

رفيع
عبد الرحمن النجدي
المكتبة والفهرسة

سيرة الملك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهرري الطروشني
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

مَقَّهَ وَمَبَّطَه وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَرَضِعَ مِنْ رَأْسِهِ

مُحَمَّدُ فَتْحِي أَبُو بَكْرٍ

تقديم
دكتور شوقي ضيف

المجلد الأول

الناشر
دار النهضة العربية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سيرة الملوك

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**

١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٤ / ٣٩٦٣

التقييم الدولي : 3 - 141 - 270 - 977

جمع : الخانجي

العنوان : ١١ ش عبد العزيز - تليفون : ٣٩١٥١٤٨

طبع : المدني

العنوان : ٦٨ شارع العباسية

تليفون : ٨٢٧٨٥١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا

وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا

إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ

وَلَمْ يَصِرْ مُهَذَّبًا كَامِلًا

أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِي

تقديم

رفع
عبد الرحمن (النجدي) بقلم الدكتور شوقي ضيف
أسكنه الله الفردوس

من الكتب الطريفة في التراث الإسلامي كتاب سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي .
المولود بطرطوشة في الشرق الأعلى من الأندلس سنة ٤٥١ للهجرة ، وبها نشأ ، وأخذ
ما عند أبيه من الفقه والعلم ، ودفعه طموحه العلمى فى شبابه إلى أهجرة منها إلى مدينة
سرقسطة عاصمة الإقليم ولقاء علمائها ، ولزم من بينهم الفقيه المالكى الكبير أبا الوليد
الباجى ، وأخذ عنه كتبه الكثيرة فى الفقه والخلافيات ، وأجاز له روايتها عنه ، وكان أبو
الوليد قد رحل إلى المشرق وأفاد منه علماً كثيراً ، فرأى - وهو فى الخامسة والعشرين من
عمره - أن يحاكى أستاذه فى ذلك ، فهاجر إلى المشرق سنة ٤٧٦ للهجرة ، وأدى فريضة
الحج ، وأخذ يرحل فى البلاد ، فدخل البصرة وتلمذ لعلمائها ، ودخل بغداد ، وأقام بها
فترة متتلمداً لشيخوخ المدرسة النظامية بها التى أنشأها نظام الملك وزير ألب أرسلان
السلجوق وابنه ملكشاه ، وتحول إلى دمشق ودرّس بها للطلاب ، ثم تركها واستقر
بالإسكندرية ، وبها اتسعت شهرته فى علوم القرآن والفقه المالكى ومسائل الخلاف .
وقصده الطلاب من كل فج ، حتى كانوا يُعدّون بالمئات .

وكان الطرطوشى يعيش معيشة زهد وورع ، يقول الحق ولا يخشى فيه لومة لائم ، ولما
أشرف وزير الفاطميين الأفضل بن بدر الجمالى (٤٨٧ - ٥١٥ هـ) فى الظلم والطغيان
قَصَدَهُ فى القاهرة ووعظه حتى أبكاه ، ويقال إنه تلقاه لقاءً حسناً ، غير أنه عاد فأمره أن

يظل في القسطنطينية بعيدًا عن طلابه خشية إفسادهم على الدولة ، فظل بها إلى أن تُوفى الأفضّل ، ورَدَّ الوزير الفاطمي الجديد المأمون البطاحي إليه حريته ، وأكرمه ، فعاد إلى الإسكندرية وإلى دروسه بها وطلابه .

وكان طغيان الأفضّل الجمالي باعثًا له على تأليف كتاب في وعظ الملوك والحكام ، وبيان ما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي لا تصلح حياة الرعية بدونه ، والسياسة الرشيدة الجامعة لمصالحها التي لا تستقيم حياتها بدونها ، سواء في تدبير الملك والحكم ونظامهما ، وقواعدهما السديدة في تدوين الدواوين ، ومعاملة الجند ، وفرض الأرزاق أو الرواتب ، وسيرة الولاة والعمال ، وحماية الأموال ، أو فيما يعترى الملك والسلطان من الاضطراب ، ومن الظلم وموقف الرعية منه وسوء عاقبته ، أو في الحروب ومكايدها وحسن تدبيرها ، أو في صلاح الملك والسلطان بالعلم والعقل الثاقب ، والخلاق السنية التي تستقيم بها دنيا الإنسان ودينه .

وقد ورَّع الطرطوشي مباحثه في كتابه إلى أربعة وستين بابًا وسماه : « سراج الملوك » ويقول في مقدمته : « إني نظرت في سير الأمم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول ، والتزموه من القوانين في حفظ النحل ، فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم ، خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول ، فوجدت ذلك في ست من الأمم ، وهم العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والسند ، والسند هند .. فنظمت ما أُلْقِيَتْ في كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعته من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، وبزاعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن الذي هو بحر العلوم ، وينبوع الحكم ، ومعدن السياسات ، ومغاص الجواهر المكنونات .. الهادي من الضلالة ، والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة .. » .

وهذه الكلمة لا توضح تمامًا مصادر الطرطوشي في سراج الملوك ، حقًّا أنه يستضيء دائمًا - كما قال - بآي الذكر الحكيم ، ولكنه لم يُشر إلى مدى ما اقتبسه من الحديث النبوي وخطابة الرسول صلى الله عليه وسلم من وصايا وحكم جامعة ، وأيضًا فإنه لم

يفصل القول فيما أخذه عن العرب والفرس والروم ، ويحيل إلى الإنسان أنه نُكِّرَ أمامه كل ما أثير عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم من وصايا لحكمائهم وشعرائهم ، وكل ما دَوَّنوه من وصايا وعُظائم لخلفائهم وحُكامهم ، وكل ما سجلوه في كتبهم من مثل البيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبدبريه ، وغير ذلك من كتب جمع طرائفها ، مع ما قصَّه عن الأنبياء والزهاد وعلماء الأمة ، وما طار عن أفواههم من وصايا وحكم ، مع ما يحمل من بدائع الأخبار عن الخلفاء - وخاصة أبا جعفر المنصور العباسي والرشيد والمأمون - سوى ما يذكره من سياسة عمر بن الخطاب ، ومواعظ علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، ولم يترك كتاباً للهند مثل كيلة ودمنة ، ولا للفرس مثل التاج ، وأمثال بزرجمهر ، في صنوف الآداب ومكارم الأخلاق ، ولا سيرة لرسول مثل موسى وعيسى ويحيى بن زكريا ، ولا سيرة لفيلسوف مثل أفلاطون وأرسطا طاليس إلا انتخب من ذلك كله درراً رائعة .

وفي الكتاب ما يُصور بدقة تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسته لصحابته ، وتربيتهم تربية خلقية قوية ، وفيه ما يوضح سياسة حكام العرب العظام في تدبير شئون الحكم ، من أمثال أنى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وأبى جعفر المنصور مؤسس الدولة العباسية ، ويسوق أخباراً طريفة عن بعض الوقائع الحربية الضخمة وحسن المكيدة فيها ، من مثل معركة الملك العادل ألب أرسلان السلجوق مع إمبراطور دولة الروم الشرقية في بيزنطة : رومانوس ديوجين سنة ٤٦٢ للهجرة ، وكان الجيش السلجوق لا يزيد عن اثني عشر ألف محارب ، في حين كان جيش الروم في حوالى مائتى ألف ، ووضع ألب أرسلان خطة لأسر إمبراطور الروم ، وتم له أسره سريعاً ، وتوَدِدُ في الروم أن إمبراطورهم قُتل ، فتبدد جيشه والسيوف تعمل فيه ومُزَّق كل مُمَزَّق .

ويسوق الطرطوشى ما يصور السياسة الحكيمة لوزيره ووزير ابنه ملكشاه ونظام الملك في خير طويل يذكر فيه كيف استمال الأعداء ، واستعمل الأكفاء ، وأسس نهضة علمية عظيمة ، وما كان من إنشائه مدارس النظامية المشهورة في أنحاء البلاد ، وإنفاقه السخى على العلماء وطلاب العلم ، وبناء الرباطات للعباد والزهاد ، وكان يتفق على كل ذلك ستائة ألف دينار سنوياً في جميع دولته ، من بيت المقدس إلى سمرقند ، فتم له بذلك حسن

السياسة ، وعم المشرق والمغرب ذكره . ويسوق الطرطوشي أخبارًا طريفة عن أنى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز في أثناء توليهم الخلافة ، وأنهم كانوا يتعقّفون في الإنفاق على أنفسهم من بيت مال المسلمين ، ويقولون إنه مال الله ، وإن اضطرتهم الضرورة إلى أخذ شيء منه ردّوه إليه سريعًا ، واشتهر عن عمر بن الخطاب أنه كان لا يأكل في خلافته - وقد أصبحت خيرات الأرض في العراق وإيران والشام ومصر طوع يده ، لو شاء ، وأيدى العرب - إلا ما كان يأكله قبل خلافته من خبز الشعير والزيت واللحم المقدّد الغليظ .

ويذكر الطرطوشي أخبارًا مختلفة عن سياسة حكام الأندلس الصائبة والمخططة ، مما لا نعثر عليه في كتب التاريخ ، من ذلك ما ذكره عن ملوك الروم المجاورين لهم في شمال البلاد بالأندلس ، من أنه لم تكن لهم بيوت أموال ، فكانوا إذا غنموا شيئًا من المسلمين دخل سلطانهم الكنيسة وقسمه على رجاله بالقسطاس ، ويأخذ لنفسه مثل ما يأخذون ، وقد لا يأخذ شيئًا ، إذ كانوا يصطنعون الرجال ، أما سلاطين الأندلس فكانوا يذخرون الأموال في بيوت المال ، ويضيعون الرجال ، والدفاع إنما يكون بالرجال لا بالأموال .

ويوصي الطرطوشي مرارًا وتكرارًا في جباية الأموال من الرعية بالرفق ، فلا يأخذ الحاكم منها إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها ، وخاصة زُرّاع الأرض وفلاحها ، ويقول إنه سمع بعض شيوخ الأندلس يقولون : مازال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم وأمر العدو في ضعف وانتقاص طالما كان الجباة يرفقون بالفلاحين ، حتى إذا اختلف الأمر في آخر أيام المنصور ابن أبي عامر وقُدّم على الأرض جباة ظالمين يجبرونها ، فأكلوا الرعايا ، واجتاحوا أموالهم ، فتهاوت وضعفت عن عمارة الأرض ، وقُلّت الجبايات ، وضعفت الأجناد ، وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ، ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها المشمون المغاربة بعد نحو قرن من الزمان .

ويتحدث عن أول وقعة للمسلمين في عهد أمراء الطوائف بين المستعين بن هود ، أمير سرقسطة المتوفى سنة ٤٣٨ للهجرة ، وبين ردمير ، ملك أرجون أمام مدينة وشقة ، ويقول إن العسكرين كانا متكافئين ، غير أن المستعين لم يضع حُماة الرجال وكُماة الأبطال في القلب ، حتى يكونوا حصنًا للجناحين مادامت راياتهم تحفّق وطبولهم تضرب ، واشتبك

العسكران منذ الصباح ، حتى إذا كان وقت العصر حمل الأعداء على جيش المستعين وصيروه شطرين ، وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم ، وملك العدو مدينة وشقة ، وكانت أول مدينة أندلسية إسلامية سقطت في حجر النصارى أول عهد ملوك الطوائف . ويصف الطرطوشى وقعة بين النصارى وأهل طرطوشة ردوهم فيها مدحورين لحسن ترتيب الجيش المعهود في الأندلس ، يقول : « أُرْجَى تدبيرِ نفعله في لقاء عدونا (هناك) أن نَقْدِمَ الرِّجَالَةَ بِالذَّرْقِ الكاملة ، والرماح الطوال ، والمزاريق المسنونة النافذة ، فيصفوا صفوفهم ، ويركزوا مراكزهم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورهم شارعة إلى عدوهم ، وهم جاثمون في الأرض ، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى ، وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين ترقى سهامهم من الدروع ، والحيل خلف الرماة ، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتحزح الرِّجَالَةُ عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشأب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم ، فأخذوا يَمْنَةً ويسرة ، فخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنازل منهم ما شاء الله » .

٣٣ وجوهان أساسيان في كتاب سراج الملوك هما : عَرَضُ سير الملوك والحكام الماضين وما أحكموه من السياسات في قواعد الحكم وأركانه ونظمه السديدة التى دبروا بها شئون الأمم السالفة ، بحيث سادَ فيها العدل والأمن والرخاء ، وعَرَضُ جوانب من يتابع الحكمة والسياسة في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، مع كلمات جامعة للأنبياء والخلفاء والعلماء والحكماء والوعاظ ، مما ينبغى أن يتحلى به الحكام والناس في سلوكهم ، بحيث تطيب الحياة ويصلح المجتمع ، فلا تحاسد ، ولا تباغض ، ولا أثرة ، ولا غيبة ، ولا تسمية ، مع العفو والمغفرة عند المقدرة ، والعمل للدنيا والآخرة ، ومع الوفاء ، والحلم ، والصبر ، والعفاف ، والإنصاف ، والبر ، والتمسك بالخصال الحميدة ، والنفور من الخصال الذميمة . وَوَضَعَ ذلك كله تحت أعين الحكام في عصره ليتخذوا منه منارات هادية في حكمهم .. وأهدى الكتاب إلى المأمون البطائحي ، الوزير الفاطمى الذى عرف فضله ، ورد إليه حرته .

وإنما أطلت في عرض كتاب سراج الملوك لأدل - بوضوح - على قيمته في السياسة الرشيدة والتربية القويمة . وقد بذل الأستاذ محمد فتحى أبو بكر في تحقيقه له جهداً خصباً جديراً بكل تقدير ، فقد ظل سنتين يحقق نصوصه ، وأصيلاً كلال الليل بكمال النهار في تصحيحها وإصلاح ما دخل عليها من الغلط ، وخرّج ما فيه من آى الذكر الحكيم والأحاديث النبوية ، وحاول - بكل ما استطاع - أن يزيد الصحيح فيه صحة بضبط ألفاظه بالشكل ضبطاً كاملاً ، واستيفاء الشرح في الهوامش لما فيه من ألفاظ غريبة ، واستطاع أن يردّ نسبة كثير من الأقوال إلى أصحابها الحقيقيين ، وقام بوضع علامات الترفيم فيه ، وعمل فقرات لأبوابه تيسيراً على قارئه ، وترجم لأعلامه الكثيرين . وبذلك لم يكتف الأستاذ محمد فتحى أبو بكر بتحقيق ألفاظ سراج الملوك للطرطوشى وتصويبها ورد كثير منها إلى صورتها الأصلية ، بل أضاف إليها أيضاً فى هوامشه ما يزيدها بياناً ووضوحاً . وألحق بالكتاب فهرس متعددة لآى القرآن الكريم فيه ، ولأحاديث النبوية ، وللأشعار ، وللأعلام الواردة فيه ، ولمصادره ومراجعته الكثيرة ، وبذلك مكّن لانتفاع بالكتاب والإفادة منه ، وهو خليق - لذلك كله - بالشكر والثناء .

* * *

القاهرة فى ٢١/٤/١٩٩١ م

شوق ضيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
« مقدمة المحقق »

تنويه :

الحمد لله الذي وسع كل شيء علماً ، وأخصى كل شيء عدداً ، وهو بكل شيء محيط .. سبحانه ، ذو البهاء والمجد ، والكبرياء والحمد ، مالك الدنيا والآخرة ، يعجز عن إدراك كُنْه حقيقته العالمون والعارفون .. تعالى عن الشبيه والنظير .. له الكمال والجلال . والتقديس والتنزيه .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ... وبعد .

فما كدت أنتهى من تحقيق كتاب « أدب الدنيا والدين » حتى قَبَضَ الله لى علماً جليلاً ، له مكانته الأدبية الرفيعة فى حياتنا الأدبية المعاصرة ، لَفَت انتباهى إلى أهمية كتاب « سراج الملوك » وما فى نصوصه من جوانب جمالية ، لم تَلَقْ من العناية ما يليق بها لإبرازها وتقديمها للقراء بالصورة التى تجعلهم يفيدون منها ، ويعم بها النفع ، لذا دعانى هذا العالم الكبير إلى تحقيقه وشرّح غوامضه .. فمكثت أكثر من عامين مُتَكَبِّاً على أصوله ، إلى أن وفقنى الله تعالى إلى إخراجه بالصورة التى بين يديك ، والتى أرجو أن تكون قريبة من الكمال الممكن ، فالكمال المطلق لله وحده - عَزَّ وَجَلَّ - وهو صاحب الفضل أولاً وأخيراً فى إتمام هذا العمل بالصورة التى بين يديك ..

والآن - وقبل أن أتعرض لبيان أهمية هذا الكتاب - أقدم للقارئ أولاً صورة موجزة ووافية عن كاتبه ، من حيث : نسبه ، ونشأته ، ورحلاته ومكانته العلمية ، وأساتذته ، وتلاميذه ، ومؤلفاته .. إلى أن انتقل إلى جوار ربه .. وبعدها أتناول بالوصف هذا الكتاب ، والهدف من تأليفه وتنويه العلماء به ، ثم وصف مخطوطات الكتاب وطبعاته والمنهج الذى اتبع فى تحقيقه ، والمجهود الذى بُذل فيه ، والله ولى التوفيق .

مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته ^(١) :

هو العالم الفقيه ، والزاهد الورع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب ، القُرَشَى الفَهْرِي الطُّرُوشِي ^(٢) المعروف بابن أبى رَزْدَقَة ^(٣) .

وُلد الطرطوشى فى مدينة طرطوش سنة ٤٥٠ هـ (أو ٤٥١ هـ) ونشأ فى هذه المدينة الأندلسية الكبيرة ، مدينة تجارية عظيمة ، بها أسواق وعقارات وضياع ، ودرج فى

(١) انظر ترجمته فى الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٥ وبغية المتلسم للمصطفى ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٩ ترجمة رقم ٢٩٦ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ والصلة لابن بشكوال ج ٣ ص ٨٣٨ ، ٨٣٩ ترجمة رقم ١٢٧٧ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ - ٦٤ والمغرب فى حلى المغرب ج ٢ ص ٤٢٤ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ج ٢ ص ٢٣ - وانظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى للدكتور جمال الشيال من ص ٥٠ - ١٠٠ وه أبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد الثائر ، للدكتور الشيال ، سلسلة أعلام العرب - العدد رقم ٧٤ وقد اعتمدت على هذين المرجعين فى كتابة هذه المقدمة وأشرت إلى ذلك .. وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ط دار المعارف ، وأعلام التصوف الإسلامى لأحمد أبو كف - ط دار الهلال ، والعروة الوثقى العدد رقم ٣٢ ص ٥٣ - ٥٦ مقال للمرحوم محمد عبد الغنى حسن .

(٢) نسبة إلى طَرُوشَة ، بضم الطاءين المهملتين .. وفى معجم البلدان ونفع الطيب ، بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة ، والأول أشهر ، وبه جاءت أكثر المراجع .. وطَرُوشَة : مدينة بالأندلس ، كانت فى آخر بلاد المسلمين ، وهى شرقى بلبسة « و « قُرُطَة » وقرية من البحر ، وهى مُتَقَنَة العمارة ، ومبنية على نهر « أبْرَة » . [انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ ، ٣١ مادة « طرطوشة » ونفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦]

(٣) رَزْدَقَة ، بفتح الراء عند ابن خلكان والمقرئ ، وبضم الراء عند ابن فرحون ، وهى لفظة أجنبية ، وقد فسرها ابن خلكان فقال : « إنها كلمة فرنجية معناها : تعال هنا » .. وقد حاول أحد المؤرخين الأسبان أن يبرر تفسير ابن خلكان فقال : إن الكلمة مكونة من لفظين ، الأول بمعنى : تعال ، أى أَقْبِلْ ، وهى مأخوذة من الفعل الفرنسى « Rendre » والثانية بمعنى : هنا ، وهى بالأسبانية « acá » فإذا جُمِعَا صارَا : « Rand - acá » . [انظر مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩١ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ وأبو بكر الطرطوشى لجمال الدين الشيال ص ١٠] .

هذه المدينة نعم بجماعها الطبيعي الملهم .. أمّا عن أسرته ، فلم تذكر المراجع التي أُرُخَتْ له حرفاً واحداً عنها ، فلا ندرى أكان أهله ذوى جاهٍ وسلطان ؟ أم كانوا من المشتغلين بالتجارة ؟ أم كانوا من رجال العلم ، ولذا نشأ فقينا عالماً ؟ أم كانوا رجالاً حُرِب ، خاصة أن الأندلس كانت تضطرم في ذلك الوقت بالفتن ، وتنتهبها الانقسامات ؟

ويروى الطرطوشى في كتابه « سراج الملوك » قصة عن فرد واحد من أفراد أسرته ، كان خالاً لوالدته ، يُدعى : ابن فرحون ، و نفهم من هذه القصة أن أسرة والدته كانت ذات جاهٍ في « سرقسطة » ونفهم منها كذلك أن بعض أفراد هذه الأسرة كانوا من رجال الحرب الشجعان المبرزين ، فهذه القصة تتحدث عن الشجاعة الخارقة لهذا الرجل ، وكيف كان يُقدَّر « المستعين » أبو « المقتدر » ويقرّبه ، ويغدق عليه العطايا ، ويعتز بشجاعته ، ويلجأ إليه في المُلِمّات ^(١) .

أمّا عن والده ، فاسمه الوليد ، وينتهى نسبه إلى قريش ، فهو من أصل عرى واضح ، وأمّا ما ذكرته المراجع من كونه كان يُعرف بابن أوى رندقة ، فيقول الشيال : لعله كُنِيَ بهذه الكنية الفرنجية في حياته لأمر لانعرفه يتصل بالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ ^(٢) .

وأمّا عن مهنته ، فلسنا نعرف عنها شيئاً كذلك ، ولعله كان عالماً ، أو من المشتغلين بالعلم ، وأنه لهذا وجّه ابنه هذه الوجهة التي يرضاها ، ولو كان تاجراً ، أو يمتن صناعة ما ، لنشأ ابنه - في الغالب - على منواله .. وأبو بكر الطرطوشى نفسه صرّح في « سراج الملوك » - عندما فكر في الرحلة إلى المشرق لطلب العلم - أنه لم يكن يفقه شيئاً في التجارة ، وأنه لم يحترف حرفة ما - وكان يقول : « إذا ذهبْتُ نفقتى فماذا أفعل ؟ » .. وكانت هذه أكبر مشاكله ، فقد كان يشغل باله أن تنفذ هذه النفقة ، فهداه تفكيره أن يعمل حارساً للبلساتين ، ليفرغ في الليل لدراسة العلم .

(١) انظر سراج الملوك ، الباب الحادى والستين : في ذكر الحروب وتديروها .. وأبو بكر الطرطوشى للشيال

ص ٩ ، ١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

واعتماداً على ما جاء في كتاب « سراج الملوك » من قصص وروايات عن أفراد أسرة الطرطوشى ، فإن والده كان عالماً ، وكان على شئ من الغناء ، ولذلك استطاع الطرطوشى أن يعيش في وطنه حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وهو عالة على أهله ، يطلب العلم وهم يكفونه ، واستطاع قبل رحيله لطلب العلم أن يزود بنفحة وفيرة .

رحيله لطلب العلم وأساتذته :

بدأ الإمام الطرطوشى رحله العلم في مسجد طرطوشة الكبير ، وتلقى فيه علومه الأولى ، وتجمع المراجع على أن الطرطوشى قرأ الفرائض والحساب بوطنه ، ولم تذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم هذين العلمين . وفي صدر شبابه - وهو في سن العشرين أو نحوها - بدأ يتلمذ على أبى الوليد الباجى ، شيخ الأندلس وعالمها في ذلك الوقت دون منازع ، وصحبه في « سرسطة » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وسمع منه وأجازه .

وذكر المقرئ في كتابه « نفع الطيب » وابن خلكان في « وفيات الأعيان » أن الطرطوشى قرأ الأدب على أبى محمد بن حزم بمدينة « أشبيلية »^(١) ولسنا نميل إلى تصديق المقرئ في ذلك ، لأن ابن حزم توفى سنة ٤٥٦ هـ ولم يكن الطرطوشى في هذه السنة قد جاوز الخامسة أو السادسة من عمره ، ولا يعقل أن يرتحل الطرطوشى في هذه السن الصغيرة إلى « أشبيلية » وأن يتلمذ على ابن حزم ويأخذ عنه الأدب أو يفقهه ، وربما يكون قد قرأ كتبه في الأدب بعد ذلك بنفسه ، أو على واحد من تلاميذ ابن حزم ، ومن هنا ذكر أنه تلميذ لابن حزم في الأدب .

الطرطوشى في مكة :

وفي سنة ٤٧٦ هـ غادر الطرطوشى وطنه - وهو في الخامسة والعشرين من عمره - ليلبدأ رحلته إلى الشرق ، ولم تذكر المراجع التي أُرُخَتْ له أى طريق سلك في هذه الرحلة .. هل سلك طريق البحر أو طريق البر ؟ ولم تذكر أيضاً أى البلدان أو الأقطار زار في

(١) انظر نفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٦ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامى ص ٥٣ .

طريقه .. ولكننا نلقاه في « مكة » وقد أذى فريضة الحج ، واستقر بها قليلاً يلقي بعض الدروس .. فقد روى مواطن من مواطنيه ، زامله في شبابه الأول ، وتلمذ معه في « سرقسطة » على أبي الوليد الباجي - أنه رآه في « مكة » ، واستمع إلى بعض دروسه هناك .. هذا المواطن هو القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فرو الصدفى ، قال : « صحبتُهُ عند الباجي ، ولقيته بمكة ، وأخذت عنه أكثر السنن لأبي داود التستري » .

الطرطوشى في بغداد :

ولم يمكث الطرطوشى في مكة طويلاً ، بل استأنف رحلته واتجه إلى بغداد ، فإن مواطنه وزميله أبا علي الصدفى الذى قابله في « مكة » يستطرد في حديثه عنه فيقول : « ثم دخل بغداد وأنا بها » .

وكانت بغداد في ذلك الوقت مركزاً من دبر مراكز العلم في العالم الإسلامى ، وكانت مَحَطَّ رِحَال العلماء ، يفدون عليها من أقصى المشرق ومن أقصى المغرب ، فكان لأبى بكر الطرطوشى - وقد رضى نفسه بأداء فريضة الحج - أن يرحل إليها ليستكمل دراسته ، ويتصل بعلمائها الأعلام ، ويتلمذ عليهم ، ويأخذ عنهم .. وكان على أمور الشرق في ذلك الوقت « نظام الملك » وزير المَلِكَيْن السلاجوقيين : ألب أرسلان ، وملك شاه .. وهو وزير عالم ، يحب العلم والعلماء ، ويقرهم إليه ، ويُغدق عليهم العطايا .. وقد شهد الطرطوشى أثناء مُقامه في بغداد آثار هذه السياسة العلمية الحصيفة التى اصطنعها لنفسه وللدولة ، وأشاد بذكرها في « سراج الملوك » ^(١) .

وأخص ما يذكر به « نظام الملك » في التاريخ أنه مُنشئ المدارس في العالم الإسلامى ، فقد كانت المساجد إلى عصره هى معاهد العلم ، فيها تعقد حلقاته ودروسه ، فكان « نظام الملك » أول من أنشأ معاهد مستقلة للتعليم ، يتفرغ فيها الطلاب للتعليم ، والمدرسون للتدريس ، وأوقف الأوقاف الكثيرة للصرف عليها وعليهم ، وأسمها : المدارس .

(١) انظر « سراج الملوك » ، الباب الثامن والأربعين في سيرة السلطان في بيت المال .

وحملت كل مدرسة منها اسمه ، فكانت تسمى « النظامية » ، وكان أكبرها وأشهرها المدرسة النظامية ببغداد ، التي بُنيت قبل وصول فقيها أئى بكر الطرطوشى إلى بغداد بسنوات قليلة ، وقد شهد الطرطوشى نظامية بغداد وهى فى أوج عظمتها ، وتلمذ بها ، ووصفها ، وذكر قصة بنائها فى هذا الكتاب ^(١) .

وكان أول من عُيِّن للتدريس بها أبو نصر عبد السيد بن محمد الصباغ ، ثم تولى منصب التدريس بها عدد من كبار الفقهاء الشافعية ، من أمثال أئى إسحاق الشيرازى ، وأئى سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولى ، وأئى بكر بن محمد بن أحمد الشاشى ، وحجة الإسلام أئى حامد الغزالى .

وبرغم أن الطرطوشى كان مالكى المذهب ، فقد تلمذ على معظم هؤلاء الفقهاء الشافعية ، وعلى بعض فقهاء الحنابلة .. قال ياقوت فى معجم البلدان عن أئى بكر الطرطوشى : « ... دخل بغداد والبصرة فتفقه على أئى بكر الشاشى ، وأئى سعد بن المتولى ، وأئى أحمد الجرجانى أئمة الشافعية ، ولقى القاضى أبا عبد الله الدامغانى ، وسمع بالبصرة من أئى على التستري ، وسمع ببغداد من أئى محمد رزق الله التميمى الحنبلى ، وغيرهم » ^(٢) .

وكان رجال هذه المدرسة جميعاً ، الذين تعاقبوا على التدريس بها ، والذين أخذ عنهم الطرطوشى ، من العلماء البارزين الذين تجمع المصادر على وصفهم بالفضل والعلم والتقوى ، والقدرة على التأليف والإنتاج . واندمج أبو بكر الطرطوشى فى هذه الحياة العلمية النشطة فى بغداد ، واستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء ^(٣) .

اتجاه الطرطوشى إلى التصوف :

وفى بغداد أيضاً اتجه أبو بكر الطرطوشى إلى التصوف ، حيث كان الفكر الصوفى

(١) المصدر السابق ، الباب نفسه .

(٢) أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٦٠ ، ٦١ ، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوشة » .

(٣) أمّا أبو إسحاق الشيرازى فكان إمام وقته ببغداد ، وروى الطرطوشى نفسه شعراً - قاله غيره - يصف الشيرازى بالذكاء المتوقد ، قال :

تراه من الذكاء تحيف جسمه عليه من توقده دليل
إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

متأصلاً على يد أقطابه ، وقد درس التصوف هناك ونبع فيه ، حتى عدّه من تحدث عنه من المتصوفة الزاهدين ، ولا غرابة في ذلك ، فإن الحياة التي كان يحياها في بغداد ، وما شاهده فيها من زهد ، وتقشف العلماء الذين أخذ عنهم ، قد أثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فقد كانوا رغم تضلّعهم في الفقه والعلوم الدينية - من المتصوفة الذين يعتقدون أن الحياة نعيم زائل ، وكانوا يفرغون لحياة كلها زهد وتقشف وعبادة وذِكْر لله ، هذا بالإضافة إلى الشعر الذي سمعه من شيوخه العراقيين ، ورواه عنهم فيما بعد في « سراج الملوك » يضرب كله المثل بالأُمّ الغابرة ، و ما بُنّت من قصور ، وما زُيّنّت من عمائر ، وكيف انتهى كل هذا الزخرف إلى زوال ^(١) .

وسيلتزم الطرطوشي ، منذ يغادر العراق ، وفيما يقبل من أيامه ، هذه الحياة ، حياة الزهد والبعد عن مباحج الدنيا .

الطرطوشي في البصرة :

زار الطرطوشي - أثناء مقامه في العراق - مدينة البصرة ، وقضى فيها

= أما أبو بكر الشاشي فصفه المراجع بأنه كان فخر الإسلام ، وفقه بغداد ، وقد تلمذ عل أبي إسحاق الشيرازي ، ثم انتهت إليه رئاسة الطائفة الشافعية ، وله تصانيف حسنة ، وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ هـ .

ووصفت المراجع أبا نصر بن الصباغ بأنه كان فقيه العراقيين في زمنه . وكان بضاهي أبا إسحاق الشيرازي ، وكان ثقة صالحاً ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية أيضاً أول ما فتحت ، ولما توفى أبو إسحاق الشيرازي أعيد للتدريس بها .

أما حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، فيصفه ابن خلكان بأنه لم يكن للطائفة الشافعية آخر عصره مثله .. والمراجع أن الطرطوشي لم يتصل به ولم يأخذ عنه ، فقد عُيّن الغزالي للتدريس في نظامية بغداد في سنة ٤٨٤ هـ بعد خروج الطرطوشي منها ، ولكنّ العالمين الكبيرين سيتقابلان معاً في الإسكندرية ، وستنشأ بينهما خصومة علمية سيكون ذا شأنها .

[أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ص ٦٢ وأبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد ص ٢٠ ، ٢١]

(١) روى الطرطوشي - في هذا الكتاب - حديثاً جرى بينه وبين أحد العراقيين ، هو كيانه هراً ، قال : ه وهأتنا أحكي لك أمراً أصابني وطيش عقلي ، وتبلّل فكري ، وقطع نياط قلبي ، فلا يزال يراه حتى يواريني التراب ، وذلك أن كنت يوماً بالعراق ، وأنا أشرب ماءً ، فقال صاحب لي - وكان له عقل : يا فلان ، لعل هذا الكوز الذي تشرب فيه الماء قد كان إنساناً يوماً من الدهر ، فمات ، فصار تراباً ، فاتفق للفخاري أن أخذ تراب القبر وضربه خزفاً ، وشواه بالنار ، فانتظم كوزاً كما ترى ، وصار آنية يُمتَهَنُ ويُستخَلَمُ بعد أن كان بشرّاً سيّئاً يأكل ويشرب وينعم ويلذّ ويغرب

وقتاً ، وتعلمذ هناك على أبنى علي محمد بن أحمد التُّسْتَرِيّ ، ثم يم وجهه شطر قطر آخر ، هو الشام ، ولسنا نعلم على وجه التحديد : كم سنة بقى الطرطوشي في العراق ، ولكننا نستطيع أن نستنتج أنه لم يقيم به طويلاً ، فهو قد بدأ رحلته من المغرب سنة ٤٧٦ هـ - كما ذكرنا - فلا بد إذن أنه وصل إلى العراق في أواخر سنة ٤٧٧ هـ ، أو أوائل سنة ٤٧٨ هـ ونحن نعرف أن عددًا كبيراً من شيوخه توفي في المدة بين سنتي ٤٧٨ هـ و ٤٧٩ هـ ، وأبو علي التستري توفي سنة ٤٧٩ هـ ، وأن الطرطوشي غادر العراق في سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ ، وقد بلغ الثلاثين من عمره ^(١) .

الطرطوشي في الشام :

دخل أبو بكر الطرطوشي الشام بعد أن أتم دراسته ، وبعد أن حصّل من العلوم ما حصّل ، وبعد أن بلغ من النضج الفكري درجة تؤهله للتدريس لينفع الناس بعلمه ، وبعد أن كوّن لنفسه فلسفة خاصة قوامها الزهد ، والسعى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد أجمعت المراجع التي ترجمت له أنه قضى الفترة التي عاشها في الشام يُعلِّمُ

= هذه النظرة الفلسفية العميقة إلى الإنسان وحقيقته ومصيره : كيف تُخلق ؟ ومِمَّ تُخلق ؟ وكيف ينتهى ؟ وإلى أين يصير ؟ .. هذه النظرة الفلسفية هزت كيانه وجعلته يدرك ما وراءها من حقيقة ، فاستطرد في حديثه يؤكددها ويحللها تحليلاً يؤكد إيمانها بها .. قال :

« فإذا الذي قاله - أى صاحبه - من الجائزات ، فإن الإنسان إذا مات عاد تراباً كما كان في النشأة الأولى ، ثم يتفق أن يُخْفَرَ لَحْدُهُ ، ويُعَجَّنَ بالماء ترابه ، فيُتخذ منه آنية مُصنَّعة في البيوت ، أو لينة فني في الجدار ، وقد يجوز أن يُغرس عند قبره شجرة ، فيستحيل تراب الإنسان شجرة وورقاً وثمره ، فترعى البهائم أوراقها ، ويأكل الإنسان ثمرها ، فيبت منها لحمه ، ويُشرب منها عظمه ، أو تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم ، فبينما كان يفتات صار قوتاً ، وبينما كان يأكل صار مأكولاً ، ثم يعود في بطن الإنسان رجيعاً فيقذف في بيت الرحاضة ، أو بعراً يُنبذ بالمرء ، ويجوز إذا خُفِرَ قبره أن تسفى الرياح ترابه فتتفرق أجزاؤه في بطون الأودية والتلول والوهاد ... » .

هذا الحديث الذي ألقى إلى الطرطوشي أثناء مقامه في بغداد ، وهذا التعليق الذي راح يحلل به الحديث يؤكدده في « سراج الملوك » ، وهذه اللَّفْظَةُ جعلته يكوّن لنفسه فلسفة خاصة بدأ يعتنقها في ذلك الحين ، هي فلسفة الزهد والعزوف عن اللذات والشهوات ، والجرأة على كل كبير في سبيل الحق ، وفي سبيل تدعيم أوامر الله - سبحانه وتعالى - فهو ينظر إلى كل كبير بهذه النظرة التي لا ترى فيه قُوته وسلطانة وجبروته ، ولكنها ترى فيه قيمته ومصيره ، وأنه لن يكون بعد الموت إلا كوراً يُشْتَرَبُ فيه الماء ، أو ما يشبه ذلك مسأ تقدم !!

[انظر المرجعين السابقين]

(١) المرجعين السابقين .

الناس ، فأقبلوا عليه ، وأحبُّوه ، وأفادوا من علمه ، فعَلَا اسمه ، وبُعِدَ صيته ، وأنه عاش هناك متقشفاً عابداً زاهداً ، منقبضاً عن الناس ، إذا أَكَلَ أَكَلَ في شقف من الفخار .. وكان أصحاب الحكم والسلطان .. يسعون إليه وإلى برِّه ، ولكنه كان ينصرف عنهم ، ويشتد عليهم في القول وإسداء النصيحة ^(١) .

ويبدو أن نفسه الأنيَّة ، وصراحتة ، والتزامه القول الحق أثارت ضده بعض الشائنين والحاسدين من أهالي بيت المقدس ، فسعوا به لدى حاكمها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منه ، واستدعاه الحاكم إليه ، فلم يَأْبَهُ لدعوته ، ورفض أن يذهب ، وراموا القَصَّ من حاله فلم ينقصوه قَلَامَةً ظَفَر ^(٢) .

ويذكر « الضَّيُّ » في كتابه « بُغْيَةُ المَلْتَمَس » أن من بين الدوافع التي دفعت الطرطوشي لزيارة بيت المقدس ، رغبته في مقابلة أبي حامد الغزالي ، فقد فاتته رؤيته في بغداد - كما سبق أن أشرنا - لأن الطرطوشي ترك بغداد حوالي سنة ٤٨٠ هـ قبل أن يصل إليها الغزالي ، وقبل أن يُعَيِّن مدرساً بالنظامية ، فقد عُيِّن بها سنة ٤٨٤ هـ .

وكان الغزالي في هذه الفترة يعاني من محنة نفسية ، ويقضي وقته - سواء في دمشق أو في بيت المقدس - منعزلاً عن الناس في مئذنة الجامع الأموي بدمشق ، أو في قُلُل الجبال ، يتعبد وحده ، ويحاول أن يصل إلى الحقيقة عن طريق التصوف والذوق وذكر الله ، بعد أن عجز عن الوصول إليها عن طريق العقل والفلسفة ، وآراء الفقهاء ، وأصحاب الحِلل والنَحْل المختلفة .. ولم يكد الغزالي - آن ذاك - يعلم بمقصد الطرطوشي ووصوله إلى بيت المقدس ، حتى بَعُد وترك المدينة ، ولم يُمَكِّنْهُ من مقابلته .

(١) قال عنه ابن فرحون: « .. وسكن الشام مُدَّة ، ودُرِس بها ، ولازم الانقباض والجماعة ، وبُعِدَ صيته هناك ، وأخذ عنه الناس هناك علماً كثيراً ، وكان إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً ، ورِعاً دَيِّناً ، متواضعاً متقشفاً ، مُتَقَلِّلاً ، من الدنيا ، راضياً باليسر منها ، وتقدَّم في الفقه مذهباً وعلاقاً .. وكان له - رحمه الله - نفسُ أبيه ، قيل إنه كان بيت المقدس يطبخ في شَقَف ، وكان مُجَانِباً للسلطان ، مُعْرِضاً عنه وعن أصحابه ، شديداً عليهم مع مبالغتهم في برِّه » .

(٢) المرجعين السابقين - ومعجم البلدان مادة « طرطوشة » .

وأقام الطرطوشي مُدَّة في بيت المقدس - كما ذكرنا آنفاً - ثم تركها إلى جبل لبنان ،
فقضى به مدة أخرى .. ولسنا نعرف أى المدن الشامية زار الطرطوشي - غير بيت المقدس
وجبل لبنان - ولكن من المرجح أنه زار دمشق وأقام بها ، وأنه طَوَّف في معظم مدن الشام
الأخرى ، وأنه ذهب في تطوافه إلى أقصى الشمال ، فزار حلب ، ثم انحدر منها إلى أنطاكية
في أواخر عام ٤٩٠ هـ وفي هذه السنة كانت الحملة الصليبية الأولى التي وفدت على
الشرق ، واستولت على مدن الشام الشمالية الواحدة بعد الأخرى ، وظلت تحاصر مدينة
أنطاكية نحو ثمانية أشهر إلى أن سقطت في جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ .

وأغلب الظن أن هذا الحادث الخطير ، واستيلاء الصليبيين على سواحل الشام كلها ،
وبيت المقدس في السنة نفسها ، هو الذى دفع الطرطوشي إلى ترك الشام ، وأنه غادرها منذ
ذلك الحين واتجه إلى مصر ، و نزل - أول منازل - في مدينة « رشيد » ثم غادرها إلى
مدينة « الإسكندرية » حيث اتخذها مقراً له بعد أن قضى في الشام حوالى عشر سنوات
يطوف بمدنه الكبرى ، فإنه وصل إليه حوالى سنة ٤٨٠ هـ وهو في الثلاثين من عمره -
وغادره سنة ٤٩٠ هـ - وهو في الأربعين من عمره ^(١) .

الطرطوشي في مصر :

تذكر المراجع أن الطرطوشي وصل إلى مصر وبها الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر
الجمالى الذى ولى الوزارة بعد وفاة أبيه في سنة ٤٨٧ هـ وصحب معه عابداً يُعرف بعبد
الله السائح ، تعرّف عليه في جبل لبنان أثناء إقامته هناك ^(٢) يقول الضبى :

« وركبا الطريق إلى مصر حتى وصلا إلى رشيد ، وأقاما هناك ، فإذا - احتاجا إلى
قوتٍ جمعا من حَطَبٍ أو ملح ، فباعا ما يحملانه من ذلك على ظَهْرَيْهِمَا وَتَقَوَّتا بَنَمَةٍ .
وبقيا هناك - أى في رشيد - مدة ، إلى أن قَتَلَ العبيدُ - صاحبُ مصر - جماعةً

(١) انظر المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال - المصدرين السابقين .

(٢) كان رجلاً من أولياء الله المتقطعين إلى الله تعالى ، وكان الطرطوشي يعز بصداقة هذا المتعبد الزاهد ، فعقد اليَّة
على اصطحابه معه إلى مصر ، ولكن هذا الشيخ رفض ، واحتج بأنه يعيش حيث يعيش في الباح من غمر الأشجار ،
ويأكل الحلال ، وبذلك يتمكن من التفرغ للعبادة ، ولا يضمن أن يجد مكاناً آخر تتوفر فيه هذه الشروط . =

من فقهاء الإسكندرية لسبب يطول شرحه ، ولم يبقَ مَنْ يُشار إليه ، وسمع أهل الإسكندرية بكون الفقيه « الطرطوشى » برشيد ، فركب إليه قاضيا يستدعيه إليها .

الطرطوشى فى الإسكندرية :

جاء وفد الإسكندرية - المكون من أعيانها ، يتقدمهم قاضى المدينة ابن حديد - إلى رشيد ، وظلوا يبحثون فيها عن أى بكر الطرطوشى إلى أن رأوه مُقبلاً عليهم من أطراف المدينة ، وفى صحبته الشيخ الزاهد عبدالله السامح ، وكل منهما يحمل على ظهره حزمة من الحطب .. وألقى الطرطوشى ما على ظهره وجلس يستمع إلى رجال الوفد السكندري ، فأخبروه بما وصلت إليه أحوال المدينة ومجالس العلم بها ، وألقوا إليه رغبتهم فى أن ينتقل معهم إلى الإسكندرية ليفيدوا من علمه ^(١) .

= يقول الضيُّ : « ... ثم أراد الحافظ أبو بكر - الطرطوشى - أن يقصد مصر ، فعرض على أبى محمد السامح صحبته والمشى معه ، وقال له : أنت ها هنا بمعزل ولاتلقى أحداً ولا يلقىك ، وإن مثَّ لم تجد مَنْ يُواريك ، وفى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، وحضور الجماعة فى الجمعة مالا يخفى عليك .. فقال له عبد الله : أنا ها هنا أكل الخلال ، وأعيش فى المباح من ثمر هذه الأشجار ، ولا أجد فى غير هذا الموضع من المباح ما أجد فيه . » فالطرطوشى يلتزم بما يلتزم به المتصوفة من إقبال على الزهد والتقشف ، والعبادة وذكر الله ، ولكنه لا يؤمن بما يؤمن به بعضهم من العزلة والبعد عن الناس ، بل هو يرى أن الخير - كل الخير - فى مخالطة الناس ومقابلتهم ، ونشر العلم ، لهذا لم يزل بصديقه السامح يحاوره ويحاول أن يقتنعه بالرحلة معه إلى مصر ، فقال له إنه يعلم أن بمصر مدينة تُسمى « رشيد » فيها من الشُباح الذى ينشد : الملح والحطب ، وأنهما يستطيعان أن يجمعا من هذين المباحين ما يُمكنهُمَا من العيش .. وكان الشيخ عبد الله السامح يعلم أن صديقه « الطرطوشى » رجل فقيه ، يشتغل بالتدريس ، وبحب أن ينفع الناس بعلمه ، والناس تُقبل دائماً عليه ، فأعلن لصديقه خوفه أن يدفعه هذا النوع من الحياة إلى البعد عنه ومفارقته ، وبذلك يكون قد تجشم مشقة الانتقال من لبنان إلى مصر بدون مبرر .. ولكن الطرطوشى طمأنه ، وعاهده ألا يفارقه أبداً .

[انظر المصدرين السابقين] .

(١) كانت « الإسكندرية » وقتها تعيش فى حالة من الرعب والفزع شديدة ، وكانت الشعائر الدينية فيها معطلة ، وكان علماءها مضطهدين ، لا يستطيعون الجهر بالعلم أو بالقول ، لأن الغالبية العظمى منهم يتبعون المذهب المالكي ، فى حين كان المذهب الشيعى هو المذهب الرسمي للدولة .

وكانت الإسكندرية أيضاً وشبكة الخروج من أزمتها خطيرة ، بدأت بالجماعة الكبرى التى حدثت فى عهد الخليفة المستنصر ، نتيجة قصور فيضان النيل سبع سنوات ، فاشتد الغلاء ، وانتشر الوباء حتى غمَّ مصر كلها ، وانتشرت الفتن ، فاستعان الخليفة المستنصر بواليه على عكا « أمير الجيوش بدر الجمالى » ، فاستدعاه إليه ، وعينه وزيراً ، وعهد إليه بمعالجة الأزمة ، والقضاء على المشاغبين ومثرى الفتن .

وبدأ بدر الجمالى فى سنة ٤٦٧ هـ بالبلاد الواقعة شرقى فرع دمياط ، وتبعَ المُفسدين وقضى عليهم ، ثم انتقل إلى البحيرة والإسكندرية ، وكانت طائفة « الملحية » - وهى إحدى طوائف الجيش الفاطمى - قد أثارت الفتن فى =

وتجددت المشكلة القديمة ، فالطرطوشى لا يريد مفارقة أخيه السامع ، والشيخ الزاهد لا يريد مغادرة رشيد ، فهو فى الإسكندرية لا يستطيع أن يعيش فى الحلال ويأكل المباح كما يفعل فى رشيد ، ولكن وفد الإسكندرية لم يعجز عن إيجاد حل لهذه المشكلة .. ورحل الاثنان إلى الإسكندرية .

استقر بالطرطوشى المقام فى الإسكندرية ، واخذها وطناً ثانياً ودار مقام ، وبدأ يُدرِّس وينشر العلم على مذهبه - مذهب الإمام مالك - وتقاطر الناس على حلقاته يأخذون عنه ، ويقروون عليه ، ويفيدون من علمه .. ولم يلبث إلا قليلاً حتى عُرِف واشتهر ، واجتذب الطلاب والعلماء إلى حلقات درسه .. وتزوج بعد قليل من سيدة تقية فاضلة ذنبة ، من بيت من أكبر بيوت الإسكندرية - وقت ذاك - فضلاً وعلماً وجاهاً وثروة ، بيت بنى عوف ، فهى خالة فقيه الإسكندرية وكبير علمائها أبى الطاهر بن عوف - تلميذ

= المدينة وأعلنت العصيان ، فحاصر بدر الجمالى الإسكندرية أنهاراً إلى أن استولى عليها عنوة ، وقتل من « الملحية » عدداً كبيراً .

وفى سنة ٤٧٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى إلى الإسكندرية بنحو ثلاثة عشر عاماً - خرج على « بدر الجمالى » ابنه الأوحى ، وانضم إلى جماعة من العسكر والعربان ، ولجأ إلى مدينة الإسكندرية وتحصن بها ، فسار إليه أبوه ، وحاصره مدة ، وألح عليه بالقتال حتى هزمه ، ودخل المدينة .

وعند موت الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧ هـ - أى قبل وصول الطرطوشى بنحو ثلاث سنوات - بادر وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، فأجلس أباه القاسم أحمد - أصغر أولاد المستنصر - على عرش الخلافة ، ففضب الابن الأكبر « نزار » وقرّ إلى الإسكندرية ، وفى صحبته ابن مصال ، أحد قواد الدولة ، وفى الإسكندرية اتصل « نزار » بالأمير « أفتكين » والى المدينة ، ووعد أنه يوليه الوزارة إن هو وقف إلى جانبه ، فاستجاب « أفتكين » لدعوته ، وأقنع سكان الإسكندرية بمبايعته .

وخرج الوزير الأفضل شاهنشاه بجيش من القاهرة ، واتجه إلى الإسكندرية ، وجرت بين الفريقين حروب انتصر فيها « نزار » . وعاد الأفضل إلى القاهرة ، وقوى أمر « نزار » واستولى على بلاد الوجه البحرى .. ولكن الأفضل جهز جيشاً جديداً ، وحاصر الإسكندرية حصاراً شديداً ، فاشتد الضيق بنزار وصحبه ، فجمع ابن مصال ماله وقرّ إلى البحر إلى بلاد المغرب ، فقتل ذلك فى عسده « نزار » ، وانتهى الأمر بهزيمة ، ودخل الأفضل الإسكندرية ، وقبض على « نزار » ، وأرسله إلى القاهرة حيث قتلها .

وأصاب الإسكندرية - من هذا النزاع ومن هذا الحصار والقتال - كثير من التخريب ، وانتقم الأفضل من أهلها انتقاماً شديداً لتأييدهم لنزار ، ومبايعتهم له بالخلافة .. ويبدو أن انتقامه كان عنيفاً صارماً ، حتى إنه قتل عدداً من علمائها ، لذا تعطلت الشعائر الدينية فيها ، ولم تقم الجمعة فى مساجدها .. وكان نزول الطرطوشى بالإسكندرية إثر قتل الأمير بها علماءها ، فوجد البلد عاطلاً من العلم ، فأقام بها ، وبثّ علماً جماً .

[جمال الدين الشال : المرجعين السابقين]

الطرطوشى وخليفته فيما بعد - وكانت متزوجة قبله .. فأطلقت يد الطرطوشى فى أموالها ، وتحسنت أحواله ، ووهبت له داراً من أملاكها ، جعل سكنه معها فى الدور الأعلى ، واتخذ من الدور الأسفل مدرسة يلقي فيها دروسه ، ويستضيف فيها طلاب العلم من الغريباء الوافدين على الإسكندرية .

موعظة الطرطوشى للأفضل الفاطمى ^(١) :

وبعد أن استقرت الحياة بالطرطوشى فى الإسكندرية خرج لزيارة العاصمة « القاهرة » وهناك ذهب لزيارة الوزير الكبير ، صاحب السلطان الأعلى ، الملك الأفضل شاهنشاه ، وذهب لزيارته بعد أن سمع عن جبروته وقوته وسلطانه ، لا ليسأله منحة أو عطية ، ولا ليقدم له المدح ويشيد بذكره ، بل لينصحه نصيحة العلماء المخلصين ، وليعظه الموعظة الحسنة ، وليطلب منه الرفق بالرعية ، وإشاعة العدل بينهم ، وفتح قصره لكل شاكٍ أو متظلم ، ولم يكن هذا غريباً من الطرطوشى ، العالم الزاهد الجرىء ، الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، والذى لا يخاف صاحب السلطان ولا يهابه ، فهو الذى وصفه ابن فرحون بأنه كان أبى النفس ، والذى وصفه المقرئ بأنه كان قوَّالاً للحق .

وقد أثبت الطرطوشى موعظته هذه للأفضل فى « سراج الملوك » وما جاء فيها :

« أيها الملك .. إن الله تعالى أزم الورى طاعتك ، فلا يكوننَّ أحدٌ أطوعَ لله منك .. وإن الله تعالى أمر عباده بالشكر ، وليس الشكر باللسان ، ولكنه بالفعال والإحسان ، قال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

(١) كانت زيارة الطرطوشى للأفضل بعد أن استقر به المقام فى الإسكندرية مدة طويلة ، تزوج خلالها وأنجب .. وهذه « الموعظة » إن دلت على شئ ، فهى تدل على جرأة الرجل فى الحق ، وهى خير شهادة له على ذلك . ولم يَرَوْنا الطرطوشى كيف تقبل « الأفضل » هذا الحديث ، وأغلب الظن أنه هزَّ كيانه هزّاً ، وأنه استكره فيما بينه وبين نفسه ، وإن كان قد تظاهر بقبوله قبولاً حسناً ، فإن الرجل المستبد يأنف عادة من النقد ، وتشبهه آيات المدح .

[انظر المصدرين السابقين]

وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي أَصْبَحَتْ فِيهِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ مِثْلَ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُ عَنِ النِّقْمِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ ، وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِخِذْفِهَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَسَحَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالْوَحُوشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ : ﴿ هَذَا عِطَاؤُنَا فَاغْنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فَوَاللَّهِ مَا عَظَّمَهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدَتْمُوهَا ، وَلاحِسِبَهَا كِرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْزِمُنِي اللَّهُ وَأَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرَ ﴾ فَانْفَتَحَ الْبَابُ ، وَسَهَّلَ الْحِجَابَ ، وَانْصَرَّ الْمَظْلُومُ ، أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلْتُمْ ، وَجَعَلَكَ كَهْفًا لِلْمَلْهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْخَائِفِ .. » .

هكذا خاطب الطرطوشي العالم الزاهد ، الملك الأفضل ذا الحَوْل والطَّوْل ، وهو في أوج سلطانه وعظمته ، والكل يأتَمرون بأمره ، حتى خليفته « الأمر » نفسه .

الطرطوشي وابن حديد :

عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ليستأنف سيرته الأولى ، وليفرغ للعلم والتعليم ، وتكاثر طلابه ، وأقبلوا على دروسه ، وأحبوه ، واصطنع هو لهم طريقة هي أقرب شيء إلى طرق التربية الحديثة ، فلم يقصر اجتماعاته بهم على حلقات الدرس ثم ينفصتون من حوله ، بل كان يصحبهم ويخرج معهم في معظم الأوقات في رحلات خارج المدينة إلى البساتين والأماكن الخلوية ، وهناك في الهواء الطلق يلقي دروسه أو يذاكرهم فيما حفظوه ودرسوه ، وشاقت هذه الطريقة تلاميذه ، فأقبلوا عليه ، وكثر عددهم ، حتى كان إذا خرج في رحلة من هذه الرحلات خرج في كوكبة لا تقل عن أربعمائة طالب .

لكن هذا الإقبال جر على الطرطوشي الويال ، فقد ضاق به قاضي الإسكندرية ابن حديد ضيقاً شديداً ^(١) فقد كان ابن حديد ينتظر من الطرطوشي عند نزوله بالمدينة أن

(١) كانت أسرة بني حديد كبرى الأسرات السكندرية في ذلك الوقت مكانة وعلماً وثروة وجاهاً ، وقد ولي منصب القضاء في المدينة أكثر من واحد من أفرادها ، وكان منصب القاضي وقت وجود الطرطوشي بالإسكندرية =

يسعى إليه ، وأن يمدحه ، وأن يكون من حاشيته ، ولو أنه فعل هذا لأغدق عليه ابن حديد العطايا ، وَلَيَسَّرَ عليه شئون الحياة جميعاً ، ولكن الطرطوشى كان من صنف آخر من الرجال ، كان رجلاً يعتدُّ برجلته ، وكان عالماً يعتر بعلمه ، وكان بعد هذا زاهداً لا يحب ذلك النوع من الحياة المترفة الباذخة التى كان يحياها ابن حديد .

وربما أخذ الطرطوشى على ابن حديد بعض تصرفاته المالية ويُعدها عن قواعد الشرع والإسلام ، وأغلب الظن أنه أطلق لسانه يتحدث إلى الناس بهذه المآخذ المالية ، مما آلم ابن حديد وآذاه .. وكان للطرطوشى أيضاً إلى جانب هذا فتاوى كثيرة يعارض بها النظم والقواعد القائمة التى تأخذ بها الدولة ، وينتقد كثيراً من العادات السائدة فى المجتمع ، والتى تنافى الدين الإسلامى وأصوله .

لهذا جمع ابن حديد هذه المآخذ ورفعها إلى الوزير الأفضل شاهنشاه ، وبَيَّنَ له خطورة هذا الرجل على الإسكندرية وأهلها ، فأرسل الأفضل إلى والى المدينة يأمره بإرسال الطرطوشى إليه ^(١) .

الأفضل يحدد إقامة الطرطوشى :

وفى القاهرة قابل الوزير الأفضل « الطرطوشى » مقابلة طيبة ، ولكنه أمره بالبقاء فى

= بلى فى الترتيب والمكانة منصب حاكم المدينة ، وكان يعزز هذه المكانة أن قاضى المدينة كانت له - إلى جانب اختصاصاته القضائية الدينية الواسعة - اختصاصات مالية وإدارية وضرائبية كثيرة ، فكان يشرف على الأحباس - أى الأوقاف - وعلى الجوالى - أى ضريبة الجزية التى تجمع من أهل الذمة من يهود ونصارى - وعلى دار الضرب ، وعلى المكوس - أى الضرائب المدنية غير الشرعية - وكان يعزز هذه المكانة أيضاً أن ابن حديد نفسه كان ذا ثروة طائلة ، وأنه يحيا حياة العلية من القوم ، فيفتح قصره لكل قاصد ، ويكرم الناس ، ويغنى العطايا ، مما دفع الكثيرين من شعراء عصره إلى مدحه والإشادة به .. وقد وصف المقرئى فى كتابه « الخطط » تلك الحياة ، حياة البذخ والترف التى كان يحياها القاضي ابن حديد فى قصره فى الإسكندرية . [انظر جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين]

(١) لم ينس الأفضل بُعْدَ كيف ثارت الإسكندرية مع « نزار » منذ قليل ووقت تقاومه مدة ، وهو لا يريد أن يثور شئ من الشعب فى هذه المدينة ، فلو ظل هذا العالم الزاهد على سياسته هذه التى ينتقد فيها المجتمع ، وينتقد الحاكم ، وينتقد القاضى وأحكامه ، وينتقد القواعد والنظم المالية المتبعة ، فإنه سيسبب للدولة متاعب كثيرة ، وسيقتص من مهابتها فى أعين الشعب ، ولذا أراد الأفضل أن يحسم الشر قبل وقوعه ، فأرسل يأمر بإحضار الطرطوشى إلى القاهرة .

[انظر المرجعين السابقين]

الفسطاط ، وحدّد إقامته في مسجد الرّصد ، جنوبي الفسطاط ، ومنع الناس من الاتصال به والأخذ عنه ، وعيّن له راتباً شهرياً ، بضعة دنانير يأخذها من متحصل جزية اليهود . وسمح لخادمه بالإقامة معه .

ويبدو أنّ الطرطوشي قضى في اعتقاله مدة طويلة تبلغ شهوراً ، فضجر من التضييق على حريته ، واشتد كرهه للأفضل !! تقول المراجع : « وكان الشيخ يكره الأفضل ، فلما طال مقامه به - أي بالمتعقل - ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟! اجمع لي المباح من الأرض ، فجمع له ، فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : « رميته الساعة » . فلما كان من الغد ، ركب الأفضل فقتل » (١) .

وانكشفت العُمة عن الطرطوشي ، فقد ولي الوزارة - بعد الأفضل - المأمون البطائحي ، وكان يعلم مابين الرّجلين ، فأفرج عن الشيخ ، وأكرمه إكراماً زائداً ، وقرّبه إليه (٢) .

الطرطوشي والمأمون البطائحي :

وعاد الطرطوشي إلى الإسكندرية ، واستأنف حياته ونشاطه العلمي ، ولم تُنَل منه هذه الحنة ولم تُقَل من جدّته ، فقد كانت تشغله دائماً الأمور التي كان يراها منافية للشرع والعدل ، وقد تقدم - من قبل - للأفضل يطلب تغييرها فلم يستمع إليه ، بل أبعده عن داره وحدّد إقامته .

وقد خشي الطرطوشي أن تأخذ الوزير الجديد عِزّة الحُكم وأُبهة السلطان فيسير على نهج سلفه ، لهذا بدأ - بعد عودته إلى الإسكندرية مباشرة - يؤلف كتاب « سراج

(١) معنى هذا أن الطرطوشي لما اشتد به الضيق أعلن امتناعه عن أكل شيء مما يأتيه به الأفضل ، وأمر خادمه أن يجمع له شيئاً حلالاً من المباح من نبات الأرض ، وأكل هذا المباح ثلاثة أيام ، وقد اعتكف يصلي ويتعبّد ، ويتهلل إلى الله ، فلما كان اليوم الثالث قُتل الأفضل .. ومن الثابت أنه قُتل في اليوم السابق لعيد الفطر من سنة ٥١٥ هـ ، وهذا بالتالي يعمد لنا المدة التي اعتقل فيها الطرطوشي ، فهو قد اعتقل في أواخر سنة ٥١٤ هـ وأوائل سنة ٥١٥ هـ وظل في الاعتقال إلى شوال سنة ٥١٥ هـ .

(٢) [د . جمال الدين الشيال : المصدرين السابقين] .

الملوك « وهو كتاب فى فن السياسة والحكم ، وما يجب أن يكون عليه الراعى والرعية ، وأتم هذا الكتاب فى سنة كاملة .. وفى شوال سنة ٥١٦ هـ حمل الكتاب وسافر إلى القاهرة ليقدمه إلى الوزير الجديد « المأمون البطائحي » وليعيد النظر معه فى الأوضاع السقيمة القائمة فى الدولة ، والتي لا يقرها شرع .

ولم يكد « المأمون » يسمع بوصوله - وكان بين يديه الكتاب وكبار الموظفين يعرضون شئون الحكم - حتى أمر فى الحال برفع الدفاتر ، وفرض المجالس ، وأمر بمد السماط ، واستدعى الفقيه لمقابلته ، فلما دخل عليه ، وقف الوزير ، ونزل من مرتبته وجلس بين يدى الطرطوشى ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ ^(١) .

حضر الطرطوشى لمقابلة المأمون ليقدم له كتاب « سراج الملوك » الذى ألفه باسمه ، وأهداه إليه ، و ليعرض عليه تلك الأمور المنافية للشرع ، والتي سبق أن تحدث بشأنها أيام الأفضل فلم يستمع إليه ^(٢) وتناقش الطرطوشى طويلاً مع المأمون فى هذه الموضوعات ، وبعدها وافق المأمون على حل وسط يرضى الطرفين ^(٣) .

(١) لم تكن من عادة الوزير فى العصر الفاطمى أن يقوم لصحية القادم عليه مهما كانت مكانته ، ولكن المأمون لم يقنع بالوقوف لصحية الطرطوشى فقط ، بل ترك مرتبته ونزل فجلس بين يديه ، كما يجلس التلميذ بين يدى الأستاذ ، وهذا أكبر دليل على عظم مكانة الطرطوشى ، وما كان يحسه الوزير نحوه من تبحيل واحترام .
[انظر المصدرين السابقين]

(٢) كانت تلك الأمور تلخص فى النظم المتبعة فى الميراث ، فقد كان القضاة فى مصر - فى العصر الفاطمى - يتبعون المذهب الشيعى الذى يقضى بأن تراث البنت كل ماترك أبوها إذا كانت وحيدة لا أخ لها ولا أخت ، ويحرم العصبة من المشاركة فى الميراث .

وكانت النظم الوضعية المتبعة تقضى أيضاً بأن يأخذ أسماء الحكم - أى الموظفون القضائيون المشرفون على شئون الميراث - ربع العشر من أموال الأيتام عند توزيع التركة .. وكان الطرطوشى يرى فى الأمر الأول مخالفة للشرع فى نظره - أى للمذاهب السنية فاللذاهب السنية ترى ألا تراث البنت أكثر من نصف التركة .. وكان يرى فى الأمر الثانى ظلماً فاحشاً ، واعتصاماً لحق الأيتام ، ومن واجب الحكومة أن تحافظ على أموالهم وتصونها ، لا أن تقتطع جزءاً منها لموظفيها .

(٣) وافق المأمون على إصدار أمر للقضاة بأن يتبع فى الميراث مذهب الميت ، فإن كان سنياً اتبع المذهب السنى ، وإن كان شيعياً اتبع المذهب الشيعى .. أما الأمر الثانى ، فقد وافق عليه الوزير منذ اللحظة الأولى ، لأنه رأى فيه إجحافاً حقيقياً بأموال اليتامى وحقوقهم . و صدر سجل رسمى موقع عليه من الخليفة الأمر والوزير المأمون بهذه الأوضاع الجديدة ، وأرسل إلى القضاة فى كل أنحاء الدولة للعمل به .

ولمّا اطمانت نفس الطرطوشى بهذا الاتفاق ، وبعد نحو شهرين من إقامته فى القاهرة ، أزمع العودة إلى الإسكندرية ، فذهب إلى الوزير يشكره ويودعه ، وتقدم إليه فى هذه المقابلة طالباً الموافقة على إنشاء مسجد جديد بالإسكندرية ، فَرَحَّبَ الوزير بطلبه ، وكتب فى الحال إلى ابن حديد ، قاضى الإسكندرية ، يأمره بالإشراف على بناء المسجد الذى يتخيره الطرطوشى ، وأن يبالغ فى إتقانه وسرعة إنجازهِ ، وتكون النفقة عليه - أى على المأمون - من مال ديوانه دون مال الدولة ^(١) .

تلاميذ الطرطوشى :

أشاع الطرطوشى فى الإسكندرية نشاطاً علمياً وافراً ، وتلمذ عليه عدد كبير من فقهاء الشافعية وطلابه ، وتخرج عليه الكثيرون ، ونبع من هؤلاء التلاميذ نفر سيكونون عُمَدَ الحركة العلمية وشيوخها فيما بعد ، وبرز من هؤلاء العلماء :

سند بن عنان :

واسمه بالكامل سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن خلف الأزدي ، وكان من أنبع تلاميذ الطرطوشى وأقرهم إليه ، وقد سمع منه ، ولازم حلقة سنين طويلة ، ولم يأخذ من أستاذه العلم وحده ، بل قبس من أخلاقه وفضله ، ومن فلسفة الزهد التى أخذ الطرطوشى بها نفسه . وقد أفاض العلماء فى وصفه ومدح أخلاقه وفضله وعلمه ^(٢) .

(١) لقد بُنى هذا المسجد فى منطقة باب البحر ، وباب البحر كان قريباً من ميدان المنشية ، وهذا المسجد - للأسف - من المساجد التى هُدمَتْ وتلاشت معالمها ، فلا وجود له الآن فى المدينة . وقد خلط بعض المؤرخين المُحدثين بين مسجد الطرطوشى الذى كان مقاماً خارج باب البحر ، وضميحه الذى أُقيم بالقرب من الباب الأخضر ، ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الضريح زُوِّدَ بمصل صغير ، شأنه فى ذلك شأن الأضرحة والمشاهد فى العمارة الإسلامية .

[انظر د . الشبال : المرجعين السابقين ، وانظر تاريخ الإسكندرية وحضارتها للدكتور عبد العزيز سالم ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ط دار المعارف] .

(٢) خلف سند بن عنان أستاذه الطرطوشى فى الجلوس فى حلقة ومدرسته فى العلوم المختلفة ، وخاصة فى فقه الإمام مالك ، وتذكر المراجع أنه ألَّفَ كتاباً ضخماً فى شرح « المُلَوَّنَةِ » وهى من أمهات الكتب فى فقه الإمام مالك ، وسماه « الطراز » وكان هذا الشرح فى ثلاثين مجلداً ، غير أنه توفى قبل إتمامه .. وقد ظل يُدرَّسه إحدى وعشرين سنة بعد وفاة أستاذه الطرطوشى ، وقد توفى سند بن عنان سنة ٥٤١ هـ ودُفِنَ بالقرب من قبر الطرطوشى .. ولا يزال المسجد الذى يحمل اسمه موجوداً حتى اليوم فى الباب الأخضر (أو شارع السكة الجديدة) بالإسكندرية . [انظر المرجعين السابقين] .

أبو الطاهر بن عوف :

وهو إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهرى ، وينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف .. وقد كان شيخ المالكية فى مدينة الإسكندرية طوال القرن السادس الهجرى دون منازع - فقد ولد سنة ٤٨٥ هـ وتوفى سنة ٥٨١ هـ عن ست وتسعين سنة - وقد وصفه السيوطى بأنه « صدر الإسلام » وقال أبو الحسن الحميرى : « كان أبو عوف - رحمه الله - إمام عصره وفريد دهره فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله ، وعليه مدار الفتوى ، وجمع إلى ذلك الورع والزهّد وكثرة العبادة ، التواضع التام ، ونزاهة النفس ^(١) .

أبو بكر بن العرى :

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العرى المعفرى الإشبلى ، وُلد فى إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ . وصحب أباه فى رحلته إلى المشرق سنة ٤٨٥ هـ وكان حين ذاك فى السابعة عشرة من عمره ، وتلمذ إبّان هذه الرحلة على كبار علماء مصر والحجاز والشام والعراق ، ففى بغداد حضر دروس أبى حامد الغزالى ، وفى بيت المقدس لازم أبابكر الطرطوشى - قبل انتقاله إلى الإسكندرية واستقراره بها - وتلمذ عليه ، واستغرقت هذه الرحلة ثمانى سنوات . وفى سنة ٤٩٣ هـ ترك بغداد إلى الإسكندرية فأقام بها وقتاً ، لازم خلاله أستاذه القديم أبابكر الطرطوشى ، فاستزاد من علمه ووثق علاقته به . ولما اعترض ابن العرى العودة إلى بلاده حمّله أستاذه الطرطوشى رسالة إلى سلطان المغرب المرابطى أبى يعقوب يوسف ابن تاشفين ، قدّم إليه فيها النصائح بأن يلتزم حدود الدين فى أوامره ونواهيه ، وأن يرفع الله فى رعيته ، وأن يفتح بابه لكل مظلمة .. ثم أوصى السلطان خيراً بتلميذه ابن العرى ..

(١) كان ابن عوف ربيب الطرطوشى ، وكان الطرطوشى تزوج خالة ابن عوف هذا .. وقد شهد ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية الشيعية وقام دولة صلاح الدين فى مصر سنة ٥٦٧ هـ وقد زار صلاح الدين الإسكندرية فى سنة ٥٧٧ هـ وحرص فى هذه الزيارة أن يحضر هو وأولاده وكبار رجال دولته دروس أبى الطاهر بن عوف ، وسمعوا عليه جميعاً « موطأ مالك » بروايته عن أستاذه الطرطوشى ، وكان صلاح الدين يُعظم ابن عوف ويراسله ويستفتيه .. وتوفى ابن عوف سنة ٥٨١ هـ ودُفن بالإسكندرية بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف . [انظر المرجعين السابقين] .

فأكرمه السلطان وعينه قاضياً لمدينة أشبيلية . وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ثم صُرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه ^(١) .

المهدي بن تومرت :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي ، البربري الجنس ، الملقب بالمهدي ، مؤسس دولة الموحدين ، وينتمي إلى قبيلة « هرغة » إحدى قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ونشأ في قبيلته ، ثم رحل إلى الشرق طلباً للعلم ، فانتفى إلى العراق ، ودرس بالمدرسة النظامية بعد افتتاحها ، وحضر دروس أبي حامد الغزالي ، وأدى إبان رحلته هذه فريضة الحج ، وجاور بمكة زمناً ، وكان ورعاً تقياً منصرفاً إلى العبادة ، شديداً على من يخالف أمر الدين ، ثم ترك مكة إلى مصر ، وقصد مدينة الإسكندرية ، واتصل فيها بأبي بكر الطرطوشي وتلمذ عليه .. ثم أبحر إلى المغرب ، ولم يعمر طويلاً وتوفي سنة ٥٢٤ هـ . وكان عظيم الهمة ، شديد الذكاء ، فصيحاً وأديباً ، وله مؤلفات ، منها : « كنز العلوم » وكتاب « أعز ما يطلب » وقد أودع هذا الكتاب الأخير أصول دعوته ، وترجمه إلى اللغة البربرية .

وبعد .. فهذه هي حياة فقيرنا العالم الزاهد أبي بكر الطرطوشي ، وهذه هي سيرته العطرة التي استحق من أجلها أن يوصف بالزهد والورع ، والفضل والجرأة ، وبأنه أحد الأئمة الكبار .

وهؤلاء بعض تلاميذه النوابغ الذين حملوا الراية من بعده ، وقادوا الحركة العلمية بعد انتقاله إلى جوار ربه سنة ٥٢٠ هـ ^(٢) وهكذا كانت سيرة العلماء ، ومنذ أن عدم

(١) ذكر حامدو ابن العري وشانوه ، ووشي به الراشون ، قبض عليه وسُجن في مدينة « مراکش » نحو عام ، ولما أطلق سراحه خرج قاصداً مدينة « فاس » فمات في طريقه إليها في سنة ٥٤٣ هـ فحُمل إليها ودُفن بها . [انظر المرجعين السابقين] .

(٢) انتقل الطرطوشي إلى جوار ربه في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت ، لأربع بقين من جمادى الأولى =

الناس أمثال هذا الطراز النادر من العلماء أصابهم ما أصابهم .

مؤلفات أبي بكر الطرطوشي :

إن حياة أبي بكر الطرطوشي غير المستقرة لم تمنعه من التأليف ، فقد ذكرت المراجع المختلفة أنَّ له تأليف كثيرة ، وأغلب الظن أنه وضع معظم هذه المؤلفات أثناء مقامه في الإسكندرية ، بعد أن تزوج بها وأنجب واطمأن إلى معيشة هادئة في كنف زوجته الإسكندرية الصالحة ^(١) .

ويبدو واضحاً من قائمة المؤلفات التي ذكرتها المراجع ونسبتها إلى الطرطوشي أن الرجل كان نشيطاً مُنتجاً ، خصب الإنتاج ، وقد أحصت له اثنين وعشرين مؤلفاً ، الموجود منها تسعة والباقي مفقود ، ومن هذه المؤلفات التسعة الباقية طُبِعَ اثنان فقط ، والسبعة الأخرى مازالت مخطوطة . وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل الخلاف والفقه ، والبعض الآخر يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم ، واجتماع وأدواء وأحواله ، وفيما يلي عرض تفصيل لهذه الكتب .

مختصر تفسير الثعالبي : اختصره الطرطوشي في كتاب خاص أثناء مقامه بالشام ، وكان يُدرسه في المسجد الأقصى ^(٢) وتوجد في دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من الجزء الثاني من هذا المختصر .

= سنة ٥٢٠ هـ وصلّى عليه ولده محمد ، وفي « الصلة » لابن بشكوال: أنه تولى في شهر شعبان سنة ٥٢٠ هـ وفي بغية للمتمس : وصلّى عليه ابن عوف ، ودُفِن في مقبرة « وَغَلَة » وهي مقبرة كانت قرية من البرج الجديد ، قبل الباب الأخضر ، الذي كان أحد أبواب الإسكندرية القديمة الهامة ، وكان يقع في الناحية الغربية من أسوارها . [انظر المرحوم جمال الشيال : المصدرين السابقين] .

(١) إن حياة الارتحال والطلب الأولى في الأندلس والحجاز والعراق والشام لم تنح له الفرصة للتفرغ للتأليف ، كما أن سن الأربعين التي بلغها عند نزوله الإسكندرية هي سن النضج الفكري ، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من اطمئنانه إلى الحياة الهادئة التي لقيها في كنف زوجته ، وهي حياة مستقرة نسبياً ، كل هذه الأسباب ترجح أنه وضع الغالبية العظمى من مؤلفاته إبان الحقبة التي عاشها في الإسكندرية ، ومداها نحو الثلاثين عاماً ، ويؤكد هذا الترجيح ، تلك الملابس والظروف التي أُلْفِت فيها وبسببها معظم كتب الطرطوشي ، فقد كانت ظروفه أو أحداثاً تتصل بالملدة التي قضاه في مصر بوجه عام ، وفي الإسكندرية بوجه خاص . [المصدرين السابقين] .

(٢) الثعالبي - أو الثعلبي - هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التيسابوري التوفي سنة ٤٢٧ هـ . قال عنه ابن خلكان : « كان أواحد زمانه في التفسير ، وصنف التفسير الذي فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس =

الكتاب الكبير في مسائل الخلاف^(١) : وهذا الكتاب يقع في خمسة أجزاء ، وقد ألفه بعد أن تم نضجه الفكرى في الإسكندرية ، وأصبح أستاذاً ، جعاً في هذا العلم .

شرح رسالة ابن أبى زيد القيروان^(٢) : ومن المرجح أن يكون هذا الشرح بعض دروسه التى يلقيها فى المذهب الما فى مدينة الإسكندرية .

كتاب الأثرار : لم تذكر المراجع التى أرخت للطروطشى وأحصت مؤلفاته هذا الكتاب ، ولكن الطروطشى أشار إليه فى أكثر من موضع من كتابه « سراج الملوك » ويبدو من الشواهد التى ذكرها عن الكتاب ، أنه يتناول موضوعات تتصل بالإنسان والعقل ، والقضاء والقدر ، وما يشبهها من موضوعات^(٣) .

كتاب يعارض به كتاب الإحياء للغزالي : ذكره الحميرى فى كتابه « صفة جزيرة الأندلس » عند ترجمته للطروطشى ، فقال : « وعاصر - أى الطروطشى - الغزالي ، وله فى إحيائه كلام ، وكان منحرفاً عنه ، سىء الاعتقاد فيه .. وذكره الضبى فى « بغية

= فى قصص الأنبياء » وهذا التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفسير هو الذى أسماه صاحبه « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » وهو الذى اختصره الطروطشى فى كتاب خاص .

[انظر الشيال : المصدرين الأسبقين ، ونفع الطيب ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ .]
(١) أو : التعليقة فى الخلافات . والخلاف كان أحد العلوم الأولى التى بدأ الطروطشى يتلقى أصولها منذ صباه المبكر فى وطنه الأول « الأندلس » على أستاذه أبى الوليد الباجى ، والتى استراد منها حتى أنقبا أثناء تحصيله فى بغداد والبصرة وغيرها من مدن العراق .. وقد ورد ذكر هذا الكتاب فى نفع الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٩٧ والأعلام للزركلى ج ٧ ص ١٣٤ وغيرها من المراجع .

(٢) هو : أبو بكر بن عبد الله بن أبى زيد ، عالم من أكبر أعلام الفقه المالكية الأوائل الذين وضعوا أسسه وقواعده ، وقد عاش فى القرن الرابع الهجرى ، وسكن القيروان مدة ، وكان إمام المالكية فى وقته وهو جامع مذهب الإمام مالك ، وشارح أقواله ، حتى لقد عرف باسم مالك الصغير .. وقد توفى سنة ٣٨٩ هـ وله تأليف كثيرة ، أهمها : الرسالة فى الفقه المالكية .. وقد شرح هذه الرسالة كثيرون من علماء المالكية ومنهم أبو بكر الطروطشى . [انظر الشيال ، ونفع الطيب ، الصفحة نفسها]

(٣) انظر سراج الملوك ، بداية الباب الثالث والعشرين - فى العقل والدعاء والخير .. ونهاية الباب الثانى والمستين - فى القضاء والقدر والتوكل والطلب .

المتمسك» فقال : « وله - أى للطروطوشى - كتاب كبير يعارض به كتاب الإحياء ، رأيت منه قطعة يسيرة » (١) .

رسالة في تحريم جبن الروم : وهى رسالة صغيرة ألفها أثناء مقامه فى الإسكندرية ، وكانت من الأسباب التى أثارت عليه القاضى ابن حديد والوزير الأفضل (٢) .

(١) يذكر المرحوم جمال الدين الشيال أنه بحث كثيراً عن هذا الكتاب فلم يعثر له على أثر ، وإنما عثر على مايفيد أن الطروطوشى كتب رسالة لصديق له يذكر فيها أنه اجتمع - أى الطروطوشى - بالغزالي فى الإسكندرية حوالى سنة ٥٠٠ هـ ، وتحدث إليه وناقشه فى موضوعات كثيرة ، ويشير إلى رأيه فى (الإحياء) وينقده .. وللسيد محمد المرتضى الزبيدي - من كبار علماء مصر فى القرن الثامن عشر - شَرَحَ كبير لكتاب إحياء علوم الدين يقع فى عشرة أجزاء سماه : « تحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » وقد عرض فى مقدمته للعلماء السابقين الذين تناولوا إحياء الغزالي بالدراسة أو بالمدح والتفريط ، أو بالنقد والتجريح ، وذكر من بين الناقدين العالمين المالكيين : المازرى والطروطوشى .. وعرض أولاً كلام المازرى فى الإحياء ، ثم ناقشه ورد عليه ، واستطرد ففرض لكلام الطروطوشى وقال : « هذا ملخص كلام المازرى ، وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطروطوشى ، نزول الإسكندرية ، فذكر فى فى رسالته إلى أبى مظفر : « فأما ماذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل وكلمته ، فرأيت من أهل العلم ، وقد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره ، وكان على ذلك طول زمانه ، ثم بدله البعد عن طريق العلماء ، فدخل فى غمار العمال ، ثم تصوف فنهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، فلقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم فى علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، أو خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالمعلومات » .

هذه هى الفقرة التى نقلها المرتضى الزبيدي لمرض رأى الطروطوشى فى الغزالي وإحيائه ، وتفهم منها أن الطروطوشى لم يؤلف كتاباً فى نقد الإحياء ، وإنما كتب رسالة إلى صديق له - هو أبو مظفر - أبدى فيها رأيه فى الغزالي وكتابه .. ولم يستطع الطروطوشى ، فى أول الرسالة أن يخفى إعجابه بالغزالي ، ولكنه لم يلبث أن استدرك فقال ماقال ، يُجرح الرجل وكتابه .

ولاشك أن الطروطوشى متحاملاً ومُتَّجَنِّ على الغزالي - وتفسير هذا التحامل أنه نوع من الغيرة التى تنشأ عادة بين العلماء المتعاصرين ، فالرجلان وُلدا فى سنة واحدة ، واشتغلا بالعلم وتخصيله ودراسته فى الحقبة الأولى من حياتهما ، ثم ركنا إلى حياة الزهد والتصوف حتى عُدّا من المتصوفة الزاهدين فى أحرىات حياتهما .. والطروطوشى أدرك شهرة وذاع صيته فى الشام أولاً ثم فى الإسكندرية ثانياً - والغزالي طبق ذكره الآفاق فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وخاصة بعد تأليفه « المنقذ من الضلال » و« إحياء علوم الدين » وقد سبقته شهرته إلى الإسكندرية قبل وصوله إليها ، ولم يكن للطروطوشى وقت ذاك مؤلف يستطيع أن يطاول به « الإحياء » ولهذا جاء نقد الطروطوشى للغزالي وكتابه ضعيفاً متهاضاً لايزيد على أن يضم بعض الاتهامات التى لا تقوم على دليل ، وقد رد « السبكي » صاحب « طبقات الشافعية » على هذه الادعاءات وفندھا واحدة واحدة (انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٨٢ - ٨٢ وأبى بكر الطروطوشى العالم الزاهد الثائر ص ٧٨ - ٨٢ والأعلام ج ٧ ص ١٣٤ وكشف الظنون ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩) .

(٢) كان الطروطوشى يغنى بتحريم الجبن الذى يأتى به النصارى الروم إلى المدينة وغيره من المأكولات التى تأتى من أوروبا ، ومعنى مقاطعة هذه المأكولات نقص إيرادات الدولة بنقصان الضرائب التى تؤخذ على هذه التجارة الواردة .. لهذا السبب وغيره أمر الوزير الأفضل القاضى ابن حديد بإرسال الطروطوشى إليه فى مصر ، وتعميد إقامته .

الحوادث والبدع (أو بدع الأمور ومحدثاتها) : وأغلب الظن أنه ألفه في الإسكندرية كذلك ، وهو ينتقد فيه المجتمع الإسلامي والبدع التي انتشرت فيه ، ليثبت أن هذه البدع والمحدثات مما يتنافى مع أصول الدين والشرعية ^(١) .

كتاب « الفتن » : ولعله تناول فيه الفتن التي سادت العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فقد كان العالم الإسلامي - شرقه وغربه - يجتاز مرحلة تسودها الانقسامات والفتن في كل جزء من أجزائه .

كتاب « بر الوالدين » : وتذكر المراجع أنه عالج فيه موضوع عقوق الآباء .. وأورد فيه من الآيات والأحاديث والحجج والأشعار ما يحث الأبناء على البر بالوالدين .

رسالة في تحريم الغناء واللهر على الصوفية في رقصهم وسماعهم : وتوجد منه نسخة خطية وحيدة ضمن المجموعة التي تضم كتاب البدع والحوادث في مكتبة مدريد تحت رقم ٥٣٤١ وتشتمل على الصفحات من ١٠٤ - ١٢١ .

كتاب « تحريم الاستمراء » : وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة برلين تحت رقم ٤٩٨١ .

كتاب « نزهة الإخوان المتحابين في الله » : وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة جوتا تحت رقم ٩٠٩ .

رسالة العدة عند الكرب والشدة .

حاشية على إثبات الواجب .

وهذان الكتابان ذكرا في فهرس مكتبة استانبول (في الجزء الأول) منسويين إلى الطرطوشي .

كتاب « الدعاء » : وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (في الجزء الثاني الصفحة رقم ٦٢١) .

كتاب النهاية في فروع المالكية : وقد ورد ذكره أيضاً في كشف الظنون (الجزء الثاني ، الصفحة رقم ٦٢١) .

(١) هذا الكتاب حُقق وتم طبعه سنة ١٩٥٩ م وقام بنشره الأستاذ/ محمد الطالبي - من علماء تونس

كتاب نفائس الفنون .

اختصار كتاب أخلاق رسول الله : والأصل لأبى محمد عبدالله بن جعفر بن حيان ،
وقد ذكره ابن خير في فهرسه .

جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد : ذكره ابن خير في فهرسه

ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الفنى والفقر : ذكرها ابن خير أيضاً في فهرسه
وقال : « ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الفنى والفقر ، تولى جمعها الفقيه أبو بكر
الطرطوشى - رحمه الله - حدثنى بها القاضى أبو بكر بن العرى » .

رسالة أبى بكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين : وهى رسالة طويلة فى نحو عشر
صفحات ، كتبها الطرطوشى إلى السلطان المرابطى أبى يعقوب بن تاشفين يوصيه فيها
بتقوى الله وطاعته ، وإشاعة العدل بين رعاياه . وقد ذكرها ابن خير فى فهرسه (١) .

المجالس : وقد ورد فى فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى الخزانة العامة بهرباط الفتح
(المغرب الأقصى) بالقسم الثانى من الجزء الأول الصفحة رقم ٤٦ - علم التفسير ،
وأوله : « الحمد لله الذى لا يؤنسه موجود » فى مجموع ، من ورقة ١٤٧ ب إلى
٢٢١ ب .

سراج الملوك : وهو أهم كتب الطرطوشى جميعاً وأقيمها ، وهو واحد من الكتب القليلة
التي وصلت إلينا ، فمعظم كتبه فقدت - كما ذكرنا - وهو الكتاب الوحيد من بين هذه
القلة الباقية الذى طبع أكثر من مرة ، وقد استمدد الطرطوشى مادته من كتب التاريخ
والأدب والأسفار ، وأورد فيه من الطرائف والنوادر ما يؤيد به قضاياه فى السياسة والحكم ،
وإدارة ، والأخلاق ، وتدبير الممالك ، والتعامل مع الناس ، فجمع الكتاب بين مكارم
الأخلاق والمروءة العربية الإسلامية ، والسلوك المستقيم .

الهدف من تأليفه : ذكرنا من قبل أن الطرطوشى ألف كتابه هذا بعد إطلاق سراحه

(١) هذه الرسالة كانت موجودة فى الجزء الذى لم يُنشر من مخطوطة « مفاخر البربر » وهى لمؤلف مجهول ، وقد قام
المرحوم الشيال بنشر نص هذه الرسالة فى كتابه أبى بكر الطرطوشى العالم الزاهد .
[انظر المصدر السابق ص ١١١ - ١٢٣] .

من المعتقل الذى حُددت إقامته فيه فى الفسطاط ، وأنه ألفه فى الإسكندرية ، ثم قَدَّمه هدية إلى الوزير المأمون البطائحي ، وكان هدفه من ذلك دعوة الوزير أن يقف موقفاً آخر من العلماء ، غير الذى كان يتبعه سلفه الأفضل ، فالعلماء هم السياج الذى يمنع الحكام من الظلم والبنى .. وقد أراد الطرطوشى من كتابه هذا أن يكون دستوراً للحكام والمحكومين على السواء ، وأن يحدد فيه حقوق الحاكم والمحكوم ، فلا يتجاوز أحدٌ من الطرفين حُدَّه ، ولا يتعدى حقه ، وليدفع به الأمة الإسلامية نحو هدف فيه صلاح أمر العرب والمسلمين ، وليعلل فيه شأن القيم الخلقية التى تحث على الفضائل عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة .

سراج الملوك والكتب المصنفة على متواله : برغم أن الموضوع الذى عالجَه الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » قد عالجَه أكثر من مفكر مسلم ، فقد عالجَه ابن قتيبة - المتوفى سنة ٣٣٦ هـ - فى « عيون الأخبار » وأبو الحسن الماوردى فى « الأحكام السلطانية » و« نصيحة الملوك » ، والغزالي فى كتابه « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك »^(١) والشيزرى فى كتابه « المنهج المسلول فى سياسة الملوك » وابن طباطبا فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية » وبرغم ذلك فإن الطرطوشى يعدمن الطلائع ، ومن رواد الفكر الإسلامى الأوائل الذين حاولوا التأليف فى علم السياسة وفن الحكم .

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته إلى كتاب الطرطوشى « سراج الملوك » ، واعترف بأن الطرطوشى من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف فى علم الاجتماع أو العمران .. ولكنه قال : إن الطرطوشى أحسن فى تقسيم كتابه وتحديد موضوعاته ، ولكنه لم يُحسن علاج هذه الموضوعات أو التفكير فيها أو عرضها - أو على حد قوله - حَوَمَ على الغرض ولم

(١) قارن المرحوم الشهاب بن كتاب الغزالي هذا وبين « سراج الملوك » وتبين له أن منهج الرجلين واحد ، فكلامهما يمزج تفكيره الأخلاقى بتفكيره السياسى مزجاً تاماً ، وكلامهما يبدأ الفصل بتقرير المبدأ الأخلاقى تقريراً موجزاً ، ثم يورد من قصص الأقدمين وحكمهم ما يبرهن به على صحة هذا المبدأ .. والغزالي أهدى كتابه الملك سلجوق ، والطرطوشى أهدى كتابه لوزير فاطمى كان يتمتع بسلطان الملك المطلق .. ولكن كتاب الغزالي موجز ، أما كتاب الطرطوشى فكتاب ضخم مفصل ، وقد تناول فيه كثيراً من الموضوعات التى لم يعرض لها الغزالي فى كتابه .. وحصيلته الطرطوشى فى « سراج الملوك » من القصص والنوادر والحكم والأخبار التاريخية والمسائل الفقهية أغنى وأوفر من حصيلته الغزالي فى كتابه « التبر المسبوك » .

[انظر أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى ص ٩٢ ، ٩٣ ، وأبو بكر الطرطوشى العالم الزاهد ص ٨٨ ، ٨٩] .

يصادفه ، ولا تحقق قصده ، ولا استوفى مسائله ^(١) .

لقد أراد ابن خلدون - بعد أن اعترف بفضل أسبقية الطرطوشى فى ارتياد هذا الموضوع - أراد أن يتعالى عليه فى الوقت نفسه ، وأن يفخر بما آتاه الله من نعمة التوفيق فى مقدمته .. وإنصافاً للطرطوشى وللحقيقة نقول : إنَّ هدف الطرطوشى من تأليف « سراج الملوك » لم يكن كههدف ابن خلدون من تأليف المقدمة ، هدفًا علميًا خالصاً ، وإنما كان هدفه فنيًا ، وهو أن يؤثّر فى النفوس بالقصة برويها ، أو بالمثل والحكمة والموعظة الحسنة ، يُلمّح ولا يصرح ، وحقيقة أن الطرطوشى لم يكن نذًا لابن خلدون ، ولكن العدل أن يقاس نجاح المؤلف بمقدار نجاحه فى تحقيق أهدافه التى كان يتطلع إليها عند وضع مؤلفه .

والحقيقة أن « سراج الملوك » كتاب حافل بالقصص الممتعة ، والأخبار الطريفة ، والنوادر الشائقة ، كما ضَمَّنهُ الطرطوشى كثيرًا من تجاربه المفيدة ، ونظراته السديدة ، وآرائه القيمة ، مما يدل على اطلاع واسع ، ومعرفة شاملة لمسائل الفقه والتشريع والتاريخ والأدب ^(٢) .

منهج الطرطوشى فى تأليف الكتاب : قسّم الطرطوشى كتابه « سراج الملوك » إلى أربعة وستين بابًا ، تتفاوت طولاً وقصرًا ، فقد يطول الباب حتى يتجاوز العشرين صفحة - من القطع الكبير - وقد يقصر حتى لا يصل إلى صفحة واحدة أو بضعة أسطر .. وقد يكرر الطرطوشى أحيانًا بعض العبارات أو ماسبق أن قصّه من حكايات فى أكثر من موضع فى كتابه .

(١) قال ابن خلدون : « وكذلك حوّم أبو بكر الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » وبوّه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله ، ولكنه لم يصادف فيه الرميّة ، ولا أصاب الشاكلة ، ولا استوفى المسائل ، ولا أوضح الأدلة . إنما يُؤبّب الباب للمسألة ، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار ، وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بُزْر جهمر ، والموبدان ، وحكماء الهند ، والمأثور عن دانيال وهيرمس ، وغيرهم من أكابر الخليقة .. ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ، ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجاباً ، إنما هو ثقل وتركيب شبيه بالمواعظ ، وكأنه حوّم على الغرض ولم يصادفه ، ولا تحقق قصده ، ولا استوفى مسائله » .

[انظر مقدمة ابن خلدون - طبعة العمران فى الخليقة ص ٦٦ ط دار الكتاب اللبنانى - وانظر الشيال : المصدرين السابقين] .

(٢) [انظر الشيال : المصدرين السابقين] .

إن منهج الطرطوشى فى تأليف هذا الكتاب أن يبدأ الباب بتقرير المبدأ الخلقى الذى يرى أن يتحلّى به صاحب الوظيفة ، سواء أكان ملكاً أم وزيراً أم والياً أم قاضياً ، وقد يشرح هذا المبدأ شرحاً يسيراً ، ولكنه لا يطيّل ، بل يسرع بإيراد كثير من الحكم والأمثال والقصص التى تؤيد صحة هذا المبدأ ، وهو يقتبس هذه الحكم والقصص والنوادر من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ومن سير الأنبياء والخلفاء والصالحين ، ومن سير الملوك والحكماء السابقين من مختلف الأجناس والعصور .

إن الطرطوشى فى كتابه هذا ، واحد من المفكرين الذين لا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، بل يراها شيئاً واحداً متفقاً ، وهو يشبه فى هذا فلاسفة اليونان القدامى ومفكرتهم ويختلف اختلافاً كبيراً عن فلاسفة أوروبا فى عصر النهضة والعصر الحديث ، من أمثال هوبز ، ولوك ، ورسو ، وهيجل ، وماركس ، الذين كانوا يفرقون بين السياسة والأخلاق ، ويفكرون فى مشاكل السياسة وموضوعاتها تفكيراً مستقلاً عن تفكيرهم الخلقى ، وهو يشبه فى هذا أنداده من المفكرين الإسلاميين ، فهم جميعاً لم يفرقوا فى مؤلفاتهم بين السياسة والأخلاق ^(١) .

مخطوطات الكتاب وطبعاته :

توجد فى دار الكتب المصرية ست مخطوطات من كتاب « سراج الملوك » وبيانها كالتالى :

المخطوطة الأولى تحت رقم (٤١٤ تاريخ) ٥٢٥ ق . خط . سنة ١٠٨٢ هـ .

والثانية تحت رقم (٢٨٣٧ تصوف) ٢٢١ ق خط . سنة ١٠٨٣ هـ .

والثالثة تحت رقم (٣٢٥٦٧ ب) ١١٩ ق خط . سنة ١٠١١ هـ

والرابعة تحت رقم (١٣ اجتماع تيمور) ٢١٦ ص .

والخامسة تحت رقم (٢٧ الزكية) .

والسادسة تحت رقم (٥١ تاريخ م) .

(١) [الشيال : المصدرين السابقين] .

والمخطوطات الأربع الأولى تم تصويرها على « ميكرو فيلم » والاثنان الأخيران بهما بعض العيوب التي حالت دون تصويرهما .

كما توجد في معهد المخطوطات العربية مخطوطة واحدة تحت رقم (٢٣١٧ - ٢١١ ق) خط نسخ ، حجم كبير ، تحت فن السياسة والاجتماع ^(١) .

هذا عن مخطوطات الكتاب المصرية ، وهناك مخطوطات أخرى للكتاب في العديد من مكتبات العالم العربى والأوربى أشار إليها بروكلمان وغيره . أما عن طبعات الكتاب ، فقد ذكرنا أن « سراج الملوك » هو الوحيد من بين كتب الطرطوشى القليلة التي وصلت إلينا ، والذي طبع أكثر من مرة .. وقد قامت المطبعة الخيرية - المنشأة بالجمالية - بطبع الكتاب سنة ١٣٠٦ هـ - ، أى منذ أكثر من مائة سنة .. ثم قامت المطبعة الأزهرية المصرية بطبعه على منوال الطبعة الأولى سنة ١٣١٩ هـ ، وهاتان الطبعتان متطابقتان تماماً ، وبها مش كل طبعة منهما كتاب « التبر المسبوك فى نصائح الملوك » للغزالي .. وهناك طبعة ثالثة أشار إليها الدكتور جمال الشيال فى مصادر كتابه « أبى بكر الطرطوشى - العالم الزاهد » طبعت سنة ١٩٣٥ م وهى تقابل سنة ١٣٥٤ هـ ، وهذه الطبعات الثلاث هى التي وقفت عليها لهذا الكتاب ، وربما كانت له طبعات أخرى .

وقد اخترت لتحقيق هذا الكتاب أولى هذه الطبعات ، وقابلتها بأقدم المخطوطات السبع التى سبق الحديث عنها - تاريخاً - هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى سيأتى ذكرها .

وصف نُسخَتِي التحقيق :

أولاً - وصف نسخة المطبعة الخيرية : وهى الطبعة الأولى من الكتاب ، وقد مضى على طبعها أكثر من مائة سنة ، وقد قام بتصويبها العالم الفاضل الشيخ محمد طموم - من علماء الأزهر - وبأعلى الصفحة الأولى عنوان الكتاب : « سراج الملوك ، للإمام العلامة ، الثبت الثقة ، الحجة الفهامة ، العارف بالله ، أبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المالكي ، رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين » .

(١) من الصعب على المحقق أن يحصر كل المخطوطات التى تخص الكتاب الذى يحققه على وجه الدقة ، حتى بعد أن يراجع فهراس الكتب والمخطوطات العربية ودور الكتب ، وخزائن المخطوطات فى شتى البقاع ، وذلك لأسباب كثيرة ، منها وجود المكتبات « الخاصة » التى تحوى الكثير من نفائس المخطوطات فى البلاد العربية والإسلامية ، والتى يتوارثها أصحابها ، والتى يصعب حصرها .

وبهامشه كتاب « التبر المسبوك في نصائح الملوك » للغزالي .. وفي وسط الصفحة الأولى - تحت عنوان الكتاب - أورد الناشر مقاله صاحب « كشف الظنون » - حاجي خليفة - عن الكتاتين قال : « سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المالكي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ جمعه من سير الأنبياء وآثار الأولياء ، ومواعظ العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، ورتبه ترتيباً أنيقاً ، فما سمع به ملك إلا استكتبه ، ولا وزير إلا استصحبه ، يستغنى الحكيم بمداسته عن مُباحثة الحكماء ، والمملك عن مشاوراة الوزراء ، وذكر فيه الأمير أبا عبدالله الأموي [الصواب : الأمر] وأبوابه أربعة وستون باباً » .

وذكر نحو هذا عن كتاب التبر المسبوك للغزالي . وفي أسفل الصفحة ذكر « الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بمجمالية مصر المحمية ، سنة ١٣٠٦ هجرية .

هذا كله في الصفحة الأولى .. أما في الصفحة الأخيرة من الكتاب ، فقد جاء فيها مايلي : « الحمد لله الذي أنار قلوب هذه الأمة بسراج الحكمة ، وأنقذهم برعاة الهدى وعلماء الملة من أوشال الظلمة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، إمام الأنام ، وعلى آله وأصحابه ، قدوة العاملين ، ونجوم الإسلام .. أما بعد ، فيقول الواصل بالله أحمد بن مفتاح : قد تم هذا الكتاب الملقب بسراج الملوك ، وهو كتاب أسفر عن بدائع الفرر ، ونجيات الفرائد ، ومحاسن النصائح ، وأعرب عن سعة اطلاع مؤلفه في بابيه ، حتى أقر له العلامة ابن خلدون في مقدمته بتقدمه عليه ، وغزارة حكمه الشاسعة المرمي ، المُصيبة الغرض ، وهو وإن لم يكن كبير الجسم فهو كثير الفائدة ، سهل التناول ، عذب المذاق ، يغنى طالبيه عن مزاوله كتب شتى ، ومراجعة أسفار عديدة ، وكفى به دليلاً هادياً ، ونبراساً فخماً ، أخذ بطرفي التاريخ والنصيحة ، وسقى بكأسى العلم والأدب ، وبالجملة ، فهو الكتاب الذي قل أن يُثار خلفه غبار ، أو يجري معه في مضمار ، أو يخضد شوكة ، التبر المسبوك ، للعلامة حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، وهو كتاب نهج منهجاً حقاً ، وسبيلاً صدقاً ، واتَّحد مع السراج في مطالب كثيرة ومقاصد متنوعة ، فهما كما قيل :

(رضيعا لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لانفرق)

وقد بزغا في سماء التصحيح تخفق فوقهما راية التهذيب ، وتحذوهما يد التنقيح ، لاسيما وقد اعتضدت على ذلك بالعالم الفاضل ، والصالح المهذب ، الأستاذ الشيخ محمد طوموم ،

من علماء الجامع الأزهر ، وكان ذلك بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المعززة ، على ذمة صاحبها الفاضلين ، حضرة السيد عمر حسين الخشاب ، وحضرة السيد محمد عبد الواحد الطوبى .. ووافق تمام طبعه يوم الخميس ، الثانى عشر من شهر رجب عام ستة وثلاثمائة وألف من هجرة سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

عيوب هذه الطبعة :

وبالرغم مما قيل عن هذه الطبعة ، فإنها لم تُخل من مآخذ :

أولها : إغفال علامات الترقيم كلية .

ثانيها : عدم توخى الدقة فى هزات الوصل والقطع .

ثالثها : إهمال تقسيم الأبواب والفصول إلى فقرات ، وإن كان يُفصل بين كل كلامين - أحياناً - بوضع الكلمة الأولى فى الكلام الجديد بين قوسين .

رابعها : لانتخلو من أخطاء فى اللغة والإملاء بجانب الأخطاء المطبعية التى تنتشر بها .

خامسها : بها كثير من « السقط » فى الشعر والنثر .

سادسها : لم تتحرر الدقة فى تحقيق أسماء الأعلام والمعلومات ، وبها الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها ، ولم يُشر إليها .

سابعها : جاءت خالية من أى تعليق أو شرح للغريب من ألفاظها وعباراتها الغامضة .

ثامنها : أهملت الضبط إهمالاً تاماً ، فجاءت كلماتها عارية من الشكل ، هذا بالإضافة الى تقارب الكلمات بعضها من بعض مما يسبب ضيقاً للقارئ بسبب تعذر القراءة .. هذا وغيره كثير مما سيلمسه القارئ بنفسه فى هوامش التحقيق من هذه الطبعة التى بين يديك .

ثانياً - وصف مخطوطة الكتاب :

هى المخطوطة المودعة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت فن السياسة والاجتماع - تحت رقم ٢٣١٧ - أحمد الثالث . وهى أقدم المخطوطات السبع التى لدينا ، وهى نسخة كاملة كتبت سنة ٧٧٣ هـ - أى بعد وفاة الطرطوشى بنحو مائتى وثلاث

وخمسين سنة - ومن مميزاتا أنها مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، ومضبوطة بالشكل (من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{2}$ شكل) وتقع في ٢١١ ورقة من القطع الكبير ، والورقة صفحتان ، ومسطرتها ١٩ سطراً ، باستثناء الصفحة الثانية التي تلى العنوان ، والتي تبدأ بالبسملة ، والصفحات الأولى التي تجمع أبواب الكتاب ، فمسطرتها ١٨ سطراً ، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين ٩ إلى ١٣ كلمة ، ماعدا أسطر الشعر ، والعناوين ، وخاتمة كل باب أو فصل ، فهي تنقص عن ذلك حتى تصل إلى كلمتين فقط ، أو كلمة في بعض الأحيان .

ومقدمة الكتاب مزدانة بزخارف بديعة على شكل دوائر وردية ، كالفواصل التي توضع بين آيات القرآن الكريم وبها أرقام الآيات ، وقد وردت هذه الزخارف كثيراً في ثانيا الكتاب ، خاصة في الشعر ، لتحصر بينها أبيات الشعر ، أو نهايات الكلام في كل باب أو فصل .. وقد تأتى هذه الزخارف على شكل مثلث بداخله نقطة ، أو على شكل مثلث مكون من ثلاث فاصلات .

كما تتميز هذه المخطوطة بأن على جوانب أو حواشي بعض صفحاتها تصويبات لبعض الأخطاء التي وردت في تلك الصفحات ، وقد وُضع خط تحت الكلمة الخطأ في المتن ، ثم نُصِّب في الحاشية ، ويوضع بجوارها إشارة إلى صوابها ، أو كلمة « صح » .. وليس الأمر مقصوراً على تصويب الأخطاء فقط ، بل تم استدراك « السقط » الذي لم يثبتته الناسخ في المتن وأثبت في الحاشية أيضاً ، بعد الإشارة إلى موضعه في المتن .

والناسخ في هذه المخطوطة يسهل الهمزة ، فهو يرسم الفعل « جاء » هكذا « جا » بحذف الهمزة - و « أبو الدرداء » هكذا « أبو الدردا » و « هؤلاء » « هولآ » .. الخ .. وأما الرسم الإملائي فيها ، فهو يخالف كثيراً ممّا اصطلح عليه العلماء حديثاً ، فعلى سبيل المثال نجد الفعل « يرضى » يُرسم في المخطوطة هكذا « يرضا » بالألف ، و « أعلى » « أعلا » ، و « معاوية » « معويه » ، و « دينار » « دينر » ، و « سفيان » « سفين » .. الخ .

وبالمخطوطة كثير من الأخطاء النحوية والإملائية التي لم تُستدرك ، وبها أيضاً كثير من التحريفات والتصحيقات التي ترجع إلى جهل النقلة والنسّاخ ، ولم يسلم كثير من الأعمال الواردة بها من التحريف أيضاً ، نتيجة لاشتباه بعضها ببعض ، وقد أشرت إليها في هوامش الكتاب بعد التحقق من صحتها .

والصفحة الأولى من المخطوطة تحمل عنوان الكتاب بخط جميل داخل مستطيل ، ينقسم إلى مستطيل آخر علوى بداخله حلية بها العنوان « سراج الملوك » وتحت هذا المستطيل مربع بداخله دائرة وردية مضلعة ، مكتوب بداخلها بخط جميل : « كتاب سراج الملوك والخلفاء ، ومنهاج الولاة والأمراء في تدبير الملك والدول ، تأليف الشيخ الأجل ، الإمام الزاهد أنى بكر محمد بن الملد الطرطوشى ^(١) رحمه الله » .

وأما الصفحة الثانية ، فيوجد أعلاها - وفوق البسملة - ختم دائرى صغير مكتوب بداخله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وأسفل هذا الكلام طُرّة « طُغراء » وقد يضع الناسخ أسفل بعض الصفحات الكلمة التى ستبدأ بها الصفحة التالية لها ..

وتحمل الصفحة الأخيرة من المخطوطة اسم الناسخ ، وتاريخ الانتهاء من كتابتها بخط نسخ صغير وكبير ، وكل سطر محصور بين دائرتين وفيها : « تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فى نهار السبت ، سابع رمضان المعظم ، سنة ثلاث وسبعين و سبعمائة .. وكتبه وذّهبه أضعف عباد الله وأحوجهم إلى رحمته محمد بن محمد بن الخطيب بن نباته ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين بِمَنَّةِ وكرمه ، إنه يعوف رحيم ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين » .

منهج التحقيق :

وضعت نصب عيني ، عندما بدأت فى تحقيق هذا الكتاب ، أن يفيد منه الباحثون والقراء على مختلف مستوياتهم ، لذا كلفت نفسى - لتحقيق هذا الهدف - فوق ماتطيق ، وربما كان هذا الجهد وهذا العناء الذى بذلته فى تحقيق هذا الكتاب ، والذى امتد حتى زاد على العامين ، قد لايرضى البعض ، فقد يرون فى بعض جوانبه خروجاً على قواعد التحقيق المتبعة ، والتى ترى أن كثرة التعليقات - حتى ولو كانت بغرض الشرح والإيضاح - تُعد إسرافاً قد يشغل القارئ عن النص نفسه ، ويخرج به من دائرة التحقيق إلى دائرة التأليف .. ولكننى أمام كتاب من كتب التراث التى تفتقر - بجانب تحقيقها - إلى شرح

(١) فى المخطوطة : « الطرطوشى » بشين بعد الراء ، وهى خطأ من الناسخ .

يزيل ما بها من إبهام وغموض في بعض ألفاظها وعباراتها ، لكي تُفهم الفهم الصحيح .
وحتى يستفيد منها القارئ الآن .. لذا وضعت نصب عيني هذا الهدف ، واتبعت
لتحقيقه المنهج التالي :

أولاً : رمزت إلى مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، بالرمز « م » ، وإلى نسخة
المطبعة الخيرية ، والتي سبقت الإشارة إليها ، بالرمز « ط » ، ثم قمت بمقابلة المطبوعة على
المخطوطة ، وأثبتت الفروق بينهما - في الهامش - كما قمت بإثبات الكثير من أبيات الشعر
التي وردت في إحدى النسختين ولم ترد في الأخرى ، وكذا العبارات والفقرات الساقطة ،
مع الإشارة إلى ذلك .

ثانياً : قمت بضبط متن الكتاب كله ضبطاً كاملاً ، مساعدة للقارئ الذي يحتاج إلى
ذلك ، وتقوياً للألسنة ، ودفعاً للالتباس ، خاصة أن مادة الكتاب مستمدة من القرآن
والحديث والشعر والأدب ، بالإضافة إلى وجود أعلام كثيرة قد يشكل على القارئ نطقها
النطق السليم ، ومعرفة ضبطها الضبط الصحيح .. وكان الدافع لى على ذلك أيضاً كثرة
الأخطاء الواردة في ضبط المخطوطة ، مما هالني ودفع بى إلى القيام بضبط الكتاب كله ، مع
عدم الإشارة في الهوامش إلى أخطاء الضبط في المخطوطة ، لأنها من الكثرة بحيث يصعب
التعليق عليها .

وقد تطلب ذلك كثيراً من الوقت والجهد ، خاصة في ضبط بعض الأسماء الأعجمية
غير المألوفة ، والتي لم ترد في كتب التراجم ، هذا بالإضافة إلى صعوبة بعض العبارات
والكلمات غير العربية - الفارسية والتركية وغيرهما - والتي أهمل ضبطها تماماً في
المخطوطة .. وقد راعيت في ذلك الضبط صحة الدلالات المعجمية المختلفة للألفاظ ، ومراد
المؤلف منها .

ثالثاً : قمت بشرح غريب الألفاظ والعبارات الغامضة المبهمة التي قد يجد بعض القراء
صعوبة في فهم مدلولها ، وذلك تيسيراً عليهم وتوفيراً لوقتهم في البحث عنها في المعاجم
العربية .

رابعاً : حققت كثيراً من الأعلام الواردة خطأً في كلتا النسختين - المخطوطة
والمطبوعة - وقمت بالتثبت من صحتها بعد الرجوع للكثير من المصادر التي تترجم

للأعلام ، وكتب الطبقات وغيرها من الكتب المذكورة في مواضعها من الهوامش ، وفي مصادر التحقيق .. فعلى سبيل المثال ، ورد اسم « ثور بن زيد » في كلتا النسختين مكان « ثور بن يزيد » فالأول عالم كبير ثقة ، و هو شيخ الإمام مالك ، والثاني قدرى ضعيف ، وهو المراد في موضعه .. وعلى منواله ورد الكثير .

خامساً : ترجمت لما يقرب من ٦٠٠ ستائة عَلمٍ من الأعلام الواردة في الكتاب ترجمة موجزة ووافية في الوقت نفسه ، بعد تصويب المحرّف منها - وهو كثير - وقد عانيت من ذلك كثيراً ، إذ كثيراً ما يذكر المؤلف اسماً واحداً فقط ، أو كنية فقط ، وقد ينطبق هذا الاسم المذكور أو الكنية على كثير من الأعلام لهم صفات مشتركة ، وكلهم وجدوا قبل عصر المؤلف ، فيكون عَليّ أن أحصر كل الأسماء المتشابهة ، وأتحقق من كل واحد منها حتى أصل إلى العَلم المطلوب .. فعلى سبيل المثال أيضاً ، يذكر المؤلف في سياق الكلام ، يقول : « ... قال النابغة .. » ولم يحدد أى نابغة من النوابع ؟ أهو النابغة الجعدي ؟ أم الشيباني ؟ أم الذهلي ؟ أم الغنوي ؟ أم الحارثي ؟ أم العدواني ؟ أم الذبياني ؟ .. الخ .. فأقوم بالبحث عن هؤلاء النوابع ، ثم أحدد أى النوابع هو ، ثم أقدمه للقارئ وأعرفه به بعد التأكد منه ، وبما تُسب إليه .

وقد أشرت في نهاية الترجمة إلى المصادر التي ترجمت لكل علم من الأعلام ، لإفادة الباحثين الذين يهمهم ذلك .

سادساً : صوّبت الكثير من الأقوال المنسوبة إلى غير أصحابها أو قائلها ، والتي وردت في كلتا النسختين أيضاً ، وأرجعتها إلى أصحابها ، بعد التأكد والتثبت من ذلك ، بالرجوع إلى كثير من مصادر وأمّهات كتب التراث المعتمدة للتحقق من صحة نسبتها .. وعلى سبيل المثال أيضاً ، يقول المؤلف : « قال الصاحب « بن عباد » ... » وينسب إليه شعراً لم يَقُلْهُ ، وإنما هو للشريف الرضي ، كما يأتي لشعر ينسبه للإمام عَليّ ، قيل إنه في فاطمة زوجته ، والصواب أنه في عَمّار بن ياسر .. الخ .

وقد أشرت أيضاً إلى المصادر التي أثبتت صحة ذلك الذي ذهبنا إليه ، مع ذكر رقم الجزء الذي وردت فيه المعلومة ، ورقم الصفحة أيضاً ، لمن يهمه الرجوع إليها من الباحثين .

سابعاً: قمت بوضع علامات الترقيم - بأنواعها المختلفة - والتي تحلّت منها المخطوطة والمطبوعة ، مما يُيسّر الفهم على القارئ ، كما قمت بعمل فقرات لأبواب الكتاب كله دفعاً للملل عن القارئ ، وراعت همزات الوصل والقطع التي أهملتها المطبوعة والمخطوطة أيضاً .

ثامناً : قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة بعد أن وضعتها بين قوسين مزهرين ، كما قمت بتصويب ماورد منها خطأً على أيدي الناسخ ، أو ماخلط بينه وبين آية أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ خلط بينها وبين قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ فالأول هي الآية ١٥٣ من سورة البقرة ، والثانية هي الآية ٤٥ من السورة نفسها .

كما قمت بتخريج الأحاديث النبوية ، وشرحت غامضها وعلّقت عليها ، بعد أن وضعت نص الحديث بين علامتي تنصيص « » .

تاسعاً : قمت بتصويب الأساليب غير الصحيحة لغوياً ، وأشرت إلى ذلك في الهامش ، كما قمت بتصويب أخطاء النحو والإملاء مراعيّاً قواعد اللغة ، وقواعد الإملاء الحديث ، وقمت بشرح ما يحتاج إلى شرح من ذلك بأسلوب سهل بسيط يفهمه القارئ العادي بدون عناء .

عاشرًا : ولما كانت الفهرسة من الأمور المهمة بالنسبة للباحثين ، وبدونها لا يُستطاع الانتفاع بالكتاب ، فإنني قمت بوضع فهرس تفصيلية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والأماكن والبقاع ، ومصادر الكتاب ومحتوياته ، وذلك ليسهل على الباحث الاهتداء إلى مايريد منها .

وأرجو بهذا أن أكون قد يسرت على القارئ الكريم الإفادة من هذا الكتاب القيم ، وأن ينال رضاه .. وأدعو الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ويتجاوز عن زلاتي وأخطائي ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد فضحي أبو بكر

۲۲۶

اخلاصت

1890



مركز النسخ والنشر



بِسْمِ

الحمد لله الذي

لحمده الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الأعمار والآثار
ومكور النصار على اللب في السبل على الهام العالم للفتاب وما خلقوا عليه
لأدسون والسموات سواء بعد العفر والآثار ومن هو شخب بالسبل والآثار
بالنار الأعلو خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق بقدرته وأظم
بغيره وحققهم بسببه ودرهم حكمته لم تكن له حاجتهم بمغيب
وخلق عليهم من سبيل وطهرهم وكف يستعين من لم يزل من لم يكن
أوتسطين من قدس عن لم يزل من خلق دليل التكون ثم كلفهم معرفته
وصحل علم العالمين من معرفته إدراكه إدراكه الكافة ومعرفة العارفين بمصيرهم
عن شكر شكرهم كعمل أنزل الله من يوفق عوالمهم عن الخطيئة فيهم
إيمانهم لا يزلهم ولا يجاوزوا من ولا يصفه حيث ولا يخلق ما
ولا يبدو كمن ولا يحصر متى ولا يحيط كيف ولا يناله إلى ولا يظله
موت ولا يخلق تحت ولا يخاله حد ولا يراجه ند ولا يخلق حلف
ولا يخلق أمام ولم يظهر قتل ولم أنبه بعد ولم يجمع كل ولم يوجد
كان ولم ينفذ أنش وصفه لأصفه له ولونه لأمد له ولا يخلق
في الخلق الأشكال الصور ولا يغير الأيام والليالي ولا يجوز عليه المناسه
والمنافاة ونخل عليه الخلافة والمقاله ان قلب لم كان من قدس
الجلادانه ومن كان معلولا كان له عمره عامه ناهي في العباد من

مِنْ جَمِيعِ الْأَعْيَانِ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَقَدَّرَ اللَّهُ فِي الْأَشْيَاءِ بِأَمْرٍ مَخْرُجٍ وَصُفْعَةٍ
 مِنْهَا تَكُونُ لِأَحَدٍ وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُفْعَةٌ وَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَصْنَعَهُ فَإِنْ ثَلَاثُ أَرْبَعٍ
 فَقَدْ نَسِيَ الْكَانَ جُودَهُ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَنْفَعَهُ جُودُهُ إِلَى أَنْ هُوَ بَعْدَ الْكَانِ
 غَنَى بَيْنَهُ كَمَا كَانَ تِلْكَ الْكَانَ هُوَ كَيْفَ حُلَّ نِيَامِهِ بِلَا أَوْ يَبْقُو
 إِلَيْهِ مَا هُوَ أَوْ تِلْكَ مَا هُوَ وَلَا مَا هِيَ لَوْ جُودُهُ وَمَا مَوْضِعُ عَمَلِ النَّوَالِ
 بَعْضُ الْخَيْرِ وَالْقَدِيمُ تَعَالَى لَا خَيْرَ لَهُ لَا لِلْجَنِّ مَحْضُورٌ مَعْنَى دَاخِلٌ تَحْتَ الْمَاءِ
 وَإِنْ ثَلَاثٌ هُوَ تَعَالَى لِي دَابَّةٍ مُتَفَرِّدٌ بِصَفَائِهِ وَإِنْ ثَلَاثٌ مَتَى كَانَ
 فَقَدْ شَقَّ الْوَقْتُ كَوْنَهُ وَإِنْ ثَلَاثٌ كَيْفَ هُوَ فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفَ لَا
 يُقَالُ لَهُ كَيْفَ وَمَنْ حَارَتْ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ حَارَ عَلَيْهِ الْقَيْمُ وَإِنْ ثَلَاثٌ هُوَ
 فَالْمَاءُ وَالْأَوَّلُ خَلَقَهُ لِي أَلَمْ يَكُنْ الْكُلُّ لِحَيْثُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ لَا زِلْزَلُ الْقَدِيمِ
 لَهُ وَاللَّيْلِ الْجَنِّمْ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ يَلْبِثُهُ وَاللَّيْلِ بِالْأَدَابِ اجْتِمَاعُهُ مَوَاقِفُهَا
 مِنْكُمْ وَاللَّيْلِ يُولَعُهُ وَقْتُ يَفْقَهُهُ وَقْتُ وَاللَّيْلِ يَغْنَمُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرْبُ
 مَسْمُومٌ وَاللَّيْلِ الْوَقْتُ يَطْفِئُهُ فَالْضَّرْبُ يَنْفَعُ إِلَيْهِ وَمَنْ أَرَادَ مَحَلَّ أَدْلُهُ أَنْ
 وَمَنْ كَانَ لَهُ جِسْرٌ ظَالِمٌ كَيْفَ جُودُهُ أَيْتَانَهُ وَمَعْرِفَتُهُ تَوْجِيدهُ
 مَسْمُومٌ مِنْ طَرَفِهِ مَا صَوَّرَهُ الْأَرْهَامُ يَصُورُ جَلَالَهُ لَا تَأْكُلُهُ الْعَيْنُ وَلَا تَحْتَاطُّ
 الظُّلُومُ وَلَا حُضُورُهُ الْأَرْهَامُ وَلَا حَيْطَرُ الْأَنْعَامِ وَلَا يَقْدَرُ مَقْدُفُ
 الْأَنَامِ وَلَا حُجُومُهُ مَكَانٌ وَلَا يَفَارُهُ رَمْلٌ وَلَا حُضْرُهُ أَمْدٌ وَلَا كَيْفُ حُضْرِهِ
 عَدَدٌ وَلَا جَمْعُهُ عِدَدٌ غَيْرُهُ كِلَامُهُ يَوْعِدُهُ أَمَانَتُهُ غُلُوهُ مِنْ غَيْرِهِ قُلُوبُ
 وَمَحَبَّةُ مِنْ غَيْرِهِ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ الْقَرِيبُ الْعَلِيمُ

على

● ان صَحْنَا الْمَوْلَى نَصُوعًا عَلَيْنَا وَاسْتَدَّ بِالرَّأْيِ دُونَ الْخَلِيسِ ●

● ٥ اَوْصَحْنَا الْحَارِغَ نَالِي الْقَمَرِ وَصَرْنَا الْإِحْنَابَ الْمَلُوشِ ●

● ٥ فَلَرَمْنَا الْيَوْمَ تَحْدَ الْجَبَرِ وَمَلَأَهُ وَجْوهَ الطُّرُوشِ ●

● ٥ لَوْ تَرَكَنَا وَذَالَ كُنَّا نَحْظَرُنَا مِنْ أَمَا يَنْبَغِي نَفْسِ ●

● ٥ غَمَلُ الزَّمَانِ أَعْنَى نَفْسِهِ حَذَرُ نَاعِي حَيَاةِ الْغُفُوشِ ●

● ٥ هَذَا شَبَدُ نَفْسِي ●

● ٥ انت الى التفرّد طول عمرى فبالي في البرية من البشر ●

● ٥ جعلت محادى قدوم معنى وانى ذنبرى بدل الغروب ●

● ٥ قد استغفيت عن ذنوبى رجلي اذا سافرت او قبل كسوف ●

● ٥ دلى عرسى بدمى كل يوم بطوح الهوى في بيت العروب ●

● ٥ نهطى شغرى في المخرج جنى وهينانى في ابداء كسوف ●

● ٥ ومتى حيث يدركنى مئآتى واهلى كل اذى عتلى نفسى ●

وليس كان الباطون قد وصفوا الجودوا وقالوا انما بلغوا فلقد نصر واواحل

ممدوح من اشعر في مدح الهوى واشتبرز في غرطه المحتل وكف

لا والكتاب نعم الاين في ساعة الوضوء في بلاد الغربة ونعم

العزيز في الدخيل ونعم الوزير في التزل في عالم على علما وطوى حتى ظرقا وانا على اراح

وحداستان محلى ردن وروضة بفتلى حجر هل سمعت بشجرة بونى

اكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم متناسله هل سمعت بشجرة لا دوى

وغير لا تنوى ومرا لا غنى ومن الى الخليل من يدك الشى وحلته والحزن ضد

طوق عن الموتى وترحم عن الأحياء غضبت عليه لم يعصب وإن تحطت
 عليه لم تحب اكتم من الأرض بمنزلة الروح والهاتين الهنئ واخذع من
 المناويع من النجا وانطق من سخا وال واعا من اقل هل سمعت علم
 واحد خلا لخل كثير وجمع اوصاف من عنى نلتى هدى ندى
 روى يوناني ان رعا طامع وان الها سمع وان اذمع وان ضرب اذجع
 عندك تستعبد منك وتزدك وتزدك ان جدر من وان سرح ترفه
 قبر الانوار وحرز الوداع بيد العلوم وينوع الحكمة ومعدن الكارم
 وموسى لآمام بيدك علم الاولين وخبرك عن كثير من انا الاخرين هل
 سمعت في الاولين اوبلغك عن احدى النالن من جمع هذه الاوصاف
 مع قله موته وحنه محله لايزال شيئا من ذنالك نعم الاخر والعقد والتسل
 والحرية لا يترك ورفق لا ملك يجمعك المايا طاعته الهار وطبعك في
 النغ طاعته في الحضر ان اذمت النظا لاله اطال اماعك وشحن طاعك
 في لئالك وجود نالك ونعم الفظك ان الله خلد على الامام ذك
 وان رسته رنع في حق وذك وان حمله نوه عندكم بامك متعد العيد
 في معاهد النادة وحسن النوة في مجالس الملوك فاصبرم به من صاحب
 : واعز من مراق وقد قال فيه الاول

● نية ناطلنا ما نهل جدتهم الباماميون غبا وشهدان
 ن يندوتابن منهم علم مانفى وراوا تاديا وعظا ونوددا
 ● ن فاعشه حتى ولا نوغره ولا نغى منهم لانا ولا نيدا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سَلَامٌ عَلَى الْمَلِكِ

لِلإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الططوشي
٥٢٠ هـ - ٥٥١ هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ ، وَهُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ، خَالِقُ الْأَعْيَانِ وَالْآثَارِ ^(١) ،
وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ ^(٢) ، الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ ، وَمَانِطُوى عَلَيْهِ
الْأَرْضُونَ وَالسَّمَوَاتُ ، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .. ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفٍ بِاللَّيْلِ
وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ﴾ ^(٣) ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ^(٤) .. خَلَقَ الْخَلْقَ
بِقُدْرَتِهِ ، وَأَخَصَّهُمْ بِعِلْمِهِ ، وَخَصَّصَهُمْ ^(٥) بِمَشِيئَتِهِ ، وَذَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي
خَلْقِهِمْ مُعَيِّنٌ ، وَلَا فِي تَذْيِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَظَاهِرٌ ^(٦) ، وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ
يَكُنْ ^(٧) ، أَوْ يَسْتَظْهِرُ مَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الدُّلَالِ بِمَنْ دَخَلَ ثَحْتِ ذُلِّ التَّكْوِينِ ؟
ثُمَّ كَلَّفَهُمْ مَعْرِفَتَهُ ، وَجَعَلَ عِلْمَ الْعَالَمِينَ بِعَجْزِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ إِذْرَاكَ لَهُمْ ، وَمَعْرِفَةَ

(١) الْأَعْيَانُ : جمع عين ، وهى الحاضر من كل شيء ، والآثار : جمع أثر ، وهو ما خلفه السابقون .

(٢) معنى : مُدْبِلٌ وَقَدْ كُتِبَ مِنْهُمَا فِي الْأَخَرِ .

(٣) سَارِبٌ بِالنَّهَارِ : أى ظاهر بالنهار في سريره ، والسَّرِبُ : الفريق مِنَ الطير والحيوان . وهذا « تضمين » من القرآن الكريم من سورة الرُّعد - الآية العاشرة ، وسيأتى كثراً .

(٤) سورة الْمُلْك - الآية ١٤ .

(٥) خَصَّصَهُمْ : اختارهم واصطفاهم وصرفهم ، وفي « ط » : خَصَّصَهُمْ ، وهى بمعناها ، إِذْ يُقَالُ : خَصَّصَ فُلَانًا بِالشَّيْءِ : خَصَّصَهُ بِهِ .

(٦) الظَّاهِرُ : الْمُبِين . والفعل يستظهر : أى يستعين .

(٧) أى : كيف يستعين الخالق - سبحانه وتعالى - بالخلوق الذى أوجده من العدم بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ ، وَصَوْرِهِ بِحِكْمَتِهِ ؟ فسبحان مَنْ قُوَّتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ ، وَقُدْرَتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُدْرَةٍ ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْعِزَّةِ وَالْعَلِيَّةِ ، وَالْمُهَيِّمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى .

الْعَارِفِينَ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ شُكْرِهِ شُكْرًا لَهُمْ ، كَمَا جَعَلَ إِقْرَارَ الْمُقَرَّرِينَ بِوُقُوفِ عُقُولِهِمْ
عَنِ الْإِحَاطَةِ بِحَقِيقَتِهِ إِيمَانًا لَهُمْ ، لَا يَلْزِمُهُ « لِمَ » ^(١) ، وَلَا يُجَاوِزُهُ « أَيْنَ » ^(٢) ،
وَلَا يُلَاصِقُهُ « حَيْثُ » ^(٣) ، وَلَا يَحُدُّهُ « مَا » ^(٤) ، وَلَا يَعُدُّهُ « كَمْ » ^(٥) ، وَلَا يَحْصُرُهُ
« مَتَى » ^(٦) ، وَلَا يَحِيطُ بِهِ « كَيْفَ » ^(٧) ، وَلَا يَتَأَلَّهُ « أَيْ » ^(٨) ، وَلَا يَظْلُمُهُ « فَوْقَ » ،
وَلَا يُقَالُهُ « تَحْتَ » ، وَلَا يُقَابَلُهُ « حَدٌّ » ^(٩) ، وَلَا يُزَاحِمُهُ « نَدٌّ » ^(١٠) ، وَلَا يَأْخُذُهُ
« خَلْفَ » ، وَلَا يَحُدُّهُ « أَمَامَ » ، وَلَمْ يُظْهِرُهُ « قَبْلَ » ، وَلَمْ

(١) لالزمه « لِمَ » : أى طَلَبَ الْعِلَّةَ .

(٢) « أَيْنَ » : لفظ أطلق على المحل الذى يُنسَبُ إليه الجسم . يقول ابن سينا : « الأين هو كون الجواهر فى مكانه الذى
يكون فيه ، كَكُونِ « زيد » فى السوق » . ويقول الغزالي : « من الأين ماهو أين بذاته ، ومنه ماهو مضاف ، فالذى هو
أين بذاته كقولنا : زيد فى الدار ، أو فى السوق . وماهو أين بالإضافة ، فهو مثل : فوق ، وأسفل ، ويمنة ، ويسرة ، وحول ،
ووسط ، وما بين ، وما إلى ، وعند ، ومع ، وعلى ، وما أشبه ذلك . ولكن لا يكون للجسم أين مضاف مالم يكن له أين
بذاته » أ هـ .

ونخلص من ذلك أن « الأين » هو حصول الجسم فى المكان ، أى فى الحيز الخاص به ، ويُسمى هذا « أينًا حقيقيًا .
[انظر المعجم الفلسفى للذكور جميل صليبا نقلًا عن معيار العلم للغزالي ص ٢٠٧ ، والنجاة لابن سينا ص ١٢٨ ،
ومقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١٦٤ ط دار المعارف] .

(٣) حيث : ظرف يدل على المكان ، وقد يدل على الزمان أيضاً .

(٤) هكذا فى « ط » و « ما » هنا للتصوُّر ، أو نكرة بمعنى : شئ ، والمعنى : لا يُحِيطُ به - سبحانه وتعالى -
تصوُّر . وفى « م » : « لا يَحُدُّهُ ما » أى : لا ينزل به شئ - جلَّ وعلا - مِنَّا يعترى مخلوقاته .

[انظر مقاصد الفلاسفة للغزالي ص ١١٨ ، ١١٩ ط دار المعارف] .

(٥) الكمُّ : المقدار ، وهو ما يقبل القياس . والكمُّ فى عِلْمِ الطبيعة مقابل للكميِّف ، وهو من مقولات العقل
الإنسانية ، ويُطلق على جميع المقادير التى يتناولها علم الحساب ، وعلم الهندسة ، وعلم الميكانيكا ، كالعدد ، والمقدار ،
والامتداد ، والكتلة ، والحركة .. الخ .

[انظر المعجم الفلسفى لصليبا ج ٢ ص ٢٤٠ وما بعدها] .

(٦) معنى : لاحتصره زمان .

(٧) الكيف : صفة الشئ ، وحاله ، وصورته .

(٨) أى : تعيين أو تصوُّر .

(٩) الحدُّ : الحاجز بين الشيئين ، وقد يُطلق الحدُّ على اللحظة الفاصلة بين زمانين ، أو على تمام الفعل ، ونهاية
العِلْمِ .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ وانظر أيضاً المعجم الوسيط] .

(١٠) النَّدُّ : البُثْلُ والتَّظْيِيرُ . وفى « م » بفتح النون ، من الجود والسخاء ، يُقال : رَجُلٌ نَدٌّ : أى جَوَادٌ كريم . =

يَعْبَهُ ^(١) ، بَعْدَ ، وَلَمْ يَجْمَعُهُ كَلٌّ ^(٢) ، وَلَمْ يُوجِدْهُ كَانَ ^(٣) وَلَمْ يُفْقِدْهُ
لَيْسَ ^(٤) .

وَصَفُّهُ لَا صِفَةَ لَهُ ، وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ ، وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ ، وَلَا تُعَيِّرُهُ
الْأَيَّامُ وَالْغَيَّرُ ^(٥) ، وَلَا تُجَوِّزُ عَلَيْهِ الْمَمَاسَةُ وَالْمُقَارَنَةُ ^(٦) ، وَتُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْمُحَادَاةُ
وَالْمُقَابَلَةُ ، إِنْ قُلْتَ : لِمَ كَانَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْعِلَلُ ذَاتُهُ ، وَمَنْ كَانَ مَعْلُولًا كَانَ لَهُ غَيْرُهُ
عِلَّةٌ يُسَاوِقُهُ ^(٧) فِي الْوُجُودِ ، وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَغْيَارِ ، بَلْ لَاعِلَةٌ لِأَفْعَالِهِ ^(٨) ، فَقُدْرَةُ اللَّهِ فِي
الْأَشْيَاءِ بِلَا مَزَاجٍ ، وَصُنْعُهُ ^(٩) فِيهَا بِلَا عِلَاجٍ ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ ، وَلَا عِلَّةٌ لِصُنْعِهِ ،
فَإِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ ؟ فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانُ وَجُودُهُ ، فَمَنْ أَيْنَ الْأَمِينُ لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى
أَيْنَ ، هُوَ بَعْدَ [خَلْقِ] ^(١٠) الْمَكَانِ غَنَى بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ ، وَكَيْفَ
يَحُلُّ فِيمَا مِنْهُ بَدَأَ ؟ أَوْ يَعُودُ إِلَيْهِ مَا هُوَ أُنْشَأَ ؟

= وفي « ط » : ولا يراجعه « عند » .. وربما يريد بها : عُنْدَ ، بضم العين والنون ، جمع « عُنُودٍ » وهي تفيد الكثرة ،
إذ يُقَالُ : سحابة عُنُودٌ أى كثيرة المطر .

[انظر لسان العرب لابن منظور - مادة عند] .

- (١) لم يَعْبَهُ : لَمْ يُعْبِدْهُ وَيَرَاهُ . وفي « ط » : لَمْ يُعْبِتْهُ ، بمعنى : يُخَصِّصُهُ . وربما كانت مُخَرَّفة عن « يُعْبِيَهُ » .
(٢) الكَلٌّ : هكنا وردت في « م » بفتح الكاف ، ومن معانيها : الثقل . والأنسب هنا ضمها بمعنى الجمع .
(٣) لَمْ يُوجِدْهُ « كان » : أى لم يوجدْهُ حَدَثٌ أو كائنٌ ، فسبحانه قَبْلَ كُلِّ الْأَحْدَاثِ ، وقبل كُلِّ الْكَائِنَاتِ ، وهو
الذى أَوْجَدَهَا بِإِرَادَتِهِ ، وَلَمْ يُوجِدْ بِإِرَادَةِ أَحَدٍ ، فهو - جَلٌّ وَعَلَا - مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ : « كُنْ » فيكون ..
وَكُنْ : فعل التكوين الذى يُعَبِّرُ عن الخلق الإلهي ، فما شاء الله « كان » وما لَمْ يَشَأْ « لَمْ يَكُنْ » .

(٤) أى : نَفْسِي .

(٥) الْغَيَّرُ : الْأَحْدَاثُ وَالْأَخْوَالُ .

(٦) فِي « م » : وَالْمُقَارَنَةُ .

(٧) فِي « م » : تُسَاوِقُهُ .

(٨) فِي « ط » : « وَهُوَ قَبْلَ جَمِيعِ الْأَعْيَانِ بِلَا عِلَّةٍ » ، والعِلَّةُ من كُلِّ شَيْءٍ : سَبَبُهُ . وعند الفلاسفة : كل ما يصدُر
عنه أمر آخر بالاستقلال ، أو بوساطة انضمام غيره إليه ، فهو عِلَّةٌ لَذَلِكَ الْأَمْرِ ، والأمر معلول له . وهى : علة
فاعلية ، أو مادية ، أو صورية ، أو غائية .

(٩) زاد في حاشية « م » : الْأَشْيَاءُ ، أى : وَصْنُهُ الْأَشْيَاءَ .

(١٠) ما بين المعرفتين عن « ط » وحاشية « م » .

وَأَنْ قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ فَلَا مَاهِيَّةَ ^(١) لِوُجُودِهِ ، وَ « مَا » مُؤْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ ،
وَالْقَدِيمِ - تَعَالَى - لِاجْتِنَاسٍ لَهُ ، لِأَنَّ الْجِنْسَ مَحْصُوصٌ بِمَعْنَى دَاخِلٍ تَحْتَ الْمَاهِيَّةِ ^(٢)
وَأَنْ قُلْتُ : كَمْ هُوَ ؟ فَهُوَ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ ، مُتَفَرِّدٌ ^(٣) بِصِفَاتِهِ ، وَإِنْ قُلْتُ : مَتَى كَانَ ؟
فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ ، وَإِنْ قُلْتُ : كَيْفَ هُوَ ؟ فَمَنْ كَيْفَ الْكَيْفَ ^(٤) لَا يُقَالُ لَهُ
كَيْفَ ، وَمَنْ جَارِثٌ عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّةُ جَازٍ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ ^(٥) ، وَإِنْ قُلْتُ : هُوَ ، فَالْهَاءُ ، وَالْوَاوُ
حَلْقُهُ ، بَلِ الزَّمَنُ الْكُلُّ الْحَدَثُ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْأَشْيَاحِ ، لِأَنَّ الْقَدَمَ لَهُ ، فَالَّذِي
بِالْجِسْمِ ظُهُورُهُ فَالْعَرَضُ ^(٦) يَلْزَمُهُ ، وَالَّذِي بِالْأَدَاةِ اجْتِمَاعُهُ فَقَوَاهَا تَمْسِكُهُ ، وَالَّذِي
يُؤَلِّفُهُ وَقْتُ يُفَرِّقُهُ وَقْتُ ، وَالَّذِي يَقِيمُهُ غَيْرُهُ فَالضَّرُورَةُ تَمْسُهُ ^(٧) ، وَالَّذِي الْوَهْمُ يَظْفَرُ
بِهِ ^(٨) فَالتَّصَوُّيرُ يَرْتَقِي إِلَيْهِ ، وَمَنْ آوَاهُ مَحَلٌّ أَدْرَكَهُ أَيْنَ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ جِنْسٌ طَالَبُهُ ^(٩)

(١) هكذا في « م » . وفي « ط » : مائية ، وماهية الشيء : كُنْهُهُ وحقيقته .

(٢) في « ط » : المائية : بالهمز .

(٣) في « ط » : مُتَفَرِّدٌ .

(٤) كَيْفَ الشَّيْءِ : جَعَلَ لَهُ كَيْفِيَّةً مَعْلُومَةً ، وَكَيْفِيَّةُ الشَّيْءِ : حَالُهُ وَصِفَتُهُ ، وَهِيَ مُصَدَّرٌ صِنَاعِي ... وَقَدْ سَبَقَ
شَرْحُهَا .

(٥) في « ط » : جَازٍ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ .

(٦) الْعَرَضُ : مَا يَطْرَأُ وَيَزُولُ ، مِنْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ . وَالْعَرَبُ يَطْلُقُونَ لَفْظَ « الْعَرَضِ » عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ تَرْجِعُ إِلَى
الْمَعْنَيْنِ الْآتَيْنِ :

أ - الْعَرَضُ ضِدُّ الْجَوْهَرِ : لِأَنَّ الْجَوْهَرَ هُوَ مَا يَقُومُ بِذَاتِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَقُومَ بِهِ ، فَالْجِسْمُ جَوْهَرٌ يَقُومُ
بِذَاتِهِ ، أَمَّا اللَّوْنُ فَهُوَ عَرَضٌ ، لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لَهُ إِلَّا بِالْجِسْمِ . وَكُلُّ مَا يَعْزِضُ فِي الْجَوْهَرِ مِنْ لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَذَوْقٍ وَلِسٍ
وغيره فَهُوَ عَرَضٌ ، لِاسْتِحَالَةِ قِيَامِهِ بِذَاتِهِ .

ب - الْعَرَضُ ضِدُّ الْمَاهِيَةِ : وَهُوَ مَا لَا يَدْخُلُ فِي تَقْوِيمِ طَبِيعَةِ الشَّيْءِ ، أَوْ تَقْوِيمِ ذَاتِهِ ، كَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ لِلْإِنْسَانِ ،
فَهُمَا لَا يَدْخُلَانِ فِي تَقْوِيمِ مَاهِيَتِهِ .

أما الفلاسفة فهم يُقَسِّمُونَ الْعَرَضَ إِلَى لَازِمٍ وَمُفَارِقٍ ، فَالْعَرَضُ الْلازِمُ عِنْدَهُمْ هُوَ مَا لَا يَمْتَنِعُ انْفِكَاكُهُ عَنِ
الشَّيْءِ ، وَهُوَ إِذَا سَرِعَ الزَّوَالُ - كَحُكْمَةِ الْحَجَلِ وَصِفْرَةِ الْوَجَلِ - وَإِذَا بَطِئَ الزَّوَالُ - كَالشَّيْبِ وَالشَّيْبَابِ .
[انظر تعريفات الجرجاني والمعجم الفلسفي لصليبا ج ٢ ص ٦٩ ، ٧٠] .

(٧) في « م » : أَيْ : تَلْجِئُهُ الضَّرُورَةُ إِلَى غَيْرِهِ .

(٨) في « ط » : وَالَّذِي الْوَهْمُ يَظْفَرُهُ .

(٩) في « ط » : طَلَبُهُ .

كَيْفَ .. وَجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْجِيدُهُ ، [وَتَوْجِيدُهُ ^(١)] تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ ..
مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهَوَ بِخِلَافِهِ .. لَا تُمَاقِلُهُ ^(٢) الْعُيُونُ ، وَلَا تُحَالِطُهُ الظُّنُونُ ،
وَلَا تُصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ ، وَلَا يَقْدَرُ قُدْرَةُ الْأَنَامِ ، وَلَا يَخُويهِ مَكَانٌ ،
وَلَا يُقَارِنُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ ، وَلَا يَشْفَعُهُ وَلَدٌ ^(٣) ، وَلَا يَجْمَعُهُ عَدَدٌ .. قُرْبُهُ
كَرَامَتُهُ ، وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَرْقُلٍ ^(٤) ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقِيلٍ .. ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٥) .. الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ ، الَّذِي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٦) .

وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ ^(٧) مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ،
وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ، وَالتَّعْوُتِ ^(٨) الْأَوْفَى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) . وَأُؤْمِنُ بِهِ ^(١٠) وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ] ^(١١) الْمُصْطَفَى ، وَأَمِينُهُ
الْمُرْتَضَى ، أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ الْوَرَى بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجَا
مُنِيرًا ﴾ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَصْحَابِهِ الْمُتَحْسِنِينَ ، وَأَزْوَاجِهِ
الطَّاهِرَاتِ أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .

(٢) لِاتْمَاقَلُهُ الْعُيُونُ : أَيْ لَا تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ . وَفِي « ط » : لَا تَغَالِبُهُ ، بِمَعْنَى : لَا تَتَمَثَّلُهُ وَلَا تَتَصَوَّرُهُ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : جَاءَتْ كَلِمَةُ « عَدَدٌ » بَدَلًا مِنْ « وَلَدٌ » وَصُحِّحَتْ فِي الْحَاشِيَةِ .. وَمَعْنَى
« لَا يَشْفَعُهُ » : أَيْ لَا يُجْمَعُ بِشَيْءٍ إِلَيْهِ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « تَوْقُلُ » ، بِالْوَاوِ .. وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى الْاسْتِعْلَاءِ وَالطَّوَالِ .

(٥) سُورَةُ الْحَدِيدِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ .

(٦) الْآيَةُ الْحَادِيثَةُ عَشْرَةٌ مِنْ سُورَةِ الشُّورَى .

(٧) فِي « م » : « وَمَا شَهِدَ لِنَفْسِهِ » .

(٨) فِي « ط » : « وَالتَّعْوُتِ الْأَوْفَى » .

(٩) مِنَ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْحَسَنِ مِنَ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(١٠) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « وَأُؤْمِنُ بِاللَّهِ » .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ « ط » .

(١٢) الْآيَةُ ٤٦ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ ^(١) فِي سِيرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْخَالِيَةِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مِنَ السِّيَاسَاتِ فِي تَذْيِيرِ الدُّوَلِ ، وَالتَّرْمُومِ مِنَ الْقَوَانِينِ فِي حِفْظِ النُّحُلِ ^(٢) ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ تَوَعِيْنًا : أَحْكَامًا وَسِيَاسَاتٍ ، فَأَمَّا الْأَحْكَامُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مَا اعْتَقَدُوهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْبَيُوعِ ^(٣) وَالْأَلْكِيَةِ ، وَالطَّلَاقِ وَالْإِجَارَاتِ وَنَحْوِهَا ، وَالرُّسُومِ الْمَوْضُوعَةِ لَهَا ، وَالْحُدُودِ الْقَائِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا ، فَأَمَرُوا اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ بِعُقُوبِهِمْ ، لَيْسَ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْهَا بَرَهَانٌ ، وَلَا أُتْرِلَ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ^(٤) ، وَلَا أَخَذُوهُ عَنْ تَذْيِيرٍ ، وَلَا اتَّبَعُوا فِيهِ رَسُولًا ، وَإِنَّمَا هِيَ صَادِرَةٌ عَنْ خَزَنَةِ النَّيْرَانِ ، وَسَدَنَةِ بَيُوتِ الْأَصْنَامِ ، وَعَبْدَةِ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ ، وَلَيْسَ يَعْجَزُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَصْنَعَ ^(٥) مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَمْثَالَهَا وَأَشْبَاهَهَا .

وَأَمَّا السِّيَاسَاتُ الَّتِي وَضَعُوهَا فِي التَّزَامِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْحِمَايَةِ لَهَا ، وَتَعْظِيمِ مَنْ عَظَّمَهَا ، وَإِهَانَةِ مَنْ اسْتَهَانَ بِهَا وَخَالَفَهَا ، فَقَدْ سَارُوا فِي ذَلِكَ بِسِيرَةِ الْعَدْلِ ، وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ ، وَجَمَعَ الْقُلُوبِ عَلَيْهَا ، وَالتَّزَامِ النُّصْفَةِ ^(٦) فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى مَا تَوَجَّهَ تِلْكَ الْأَحْكَامُ ، وَكَذَلِكَ فِي تَذْيِيرِ الْخُرُوبِ وَأَمْنِ السَّبِيلِ ، وَحِفْظِ الْأَمْوَالِ ، وَصَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ ، كُلُّ ذَلِكَ فَقَدْ سَارُوا فِيهِ بِسِيرَةٍ جَمِيلَةٍ ، لَا يَتَنَافَى الْعُقُولُ شَيْءٌ مِنْهُ لَوْ كَانَتْ الْأَصُولُ صَحِيحَةً ، وَالْقَوَاعِدُ وَاجِبَةً ، فَكَانُوا فِي حُسْنِ سِيرَتِهِمْ لِحِفْظِ ^(٧) تِلْكَ الْأَصُولِ الْفَاسِدَةِ ، كَمَنْ زَحَرَفَ كَثِيفًا ^(٨) ، أَوْ بَنَى عَلَى مَيْتٍ قَصْرًا مُنِيفًا ^(٩) .

(١) فِي د م .. لَمَّا نَظَرْتُ .

(٢) النُّحُلُ : جَمْعُ نَحْلَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ .

(٣) فِي د ط .. وَالْبَيُوعِ وَالْأَحْكَامِ .

(٤) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي د ط : لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بَرَهَانٌ ، وَلَا أُتْرِلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ،

(٥) فِي د ط : يَصْنَعُ .

(٦) النُّصْفَةُ : الْإِنْصَافُ .

(٧) فِي د ط : يَحْفَظُ .

(٨) الْكَثِيفُ : الْمُرْحَاضُ .

(٩) الْمُنِيفُ : الطَّوِيلُ الْمُرْتَفِعُ ، وَالْمُشْرِفُ عَلَى غَيْرِهِ .

وَلَوْ لَيْسَ الْجَمَارُ ثِيَابَ خُرٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ جَمَارٍ ^(١)

فَجَمَعْتُ مَحَاسِينَ مَا انْطَوَتْ ^(٢) عَلَيْهِ سِيرُهُمْ ، خَاصَّةً مِنْ مُلُوكِ الطُّوَائِفِ وَحُكَمَاءِ الدُّوَلِ ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي سِتٍّ مِنَ الْأُمَمِ ، وَهُمْ : الْعَرَبُ ، وَالْفَرُسُ ، وَالرُّومُ ، وَالْهِنْدُ ، وَالسِّنْدُ ، وَالسِّنْدُ هِنْدُ ، فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُهَا ^(٣) فَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَرْضِ الْمَغْرِبِ مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ كَبِيرُ شَيْءٍ ^(٤) لُبْعِدِ الشُّقَّةِ ^(٥) وَطُولِ الْمَسَافَةِ ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنَ الْأُمَمِ فَلَمْ يَكُونُوا أَهْلَ حِكْمٍ بَارِعَةٍ ، وَفَرَاحٍ نَافِذَةٍ ، وَأَذْهَانٍ ثَاقِبَةٍ ، وَإِنَّمَا صَدَرَ عَنْهُمْ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ مِنَ الْحِكْمَةِ ، فَتَظَنَّتْ مَا الْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمِ ^(٦) الْبَالِغَةِ ، وَالسَّيْرِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْكَلِمَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَالطَّرِيقَةِ ^(٧) الْمَأْلُوفَةِ وَالتَّوْقِيعِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَثَرِ النَّبِيلِ ، إِلَى مَارَوَيْتِهِ وَجَمَعْتُهُ مِنْ سَبِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَنْبَارِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَمُرَاعَاةِ ^(٨) الْعُلَمَاءِ ، وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ ، وَنَوَادِرِ الْخُلَفَاءِ ، وَمَا انْطَوَى عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ ، الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ ، وَيَتَبَرَّغُ الْحِكْمِ ، وَمَعْدِنُ السِّيَاسَاتِ ، وَمَعَاوِصُ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَاتِ ، إِنْ اخْتَصَرَ فَلَمْ حَظَّ ذَالَةً وَإِشَارَةً خَفِيفَةً ^(٩) ، وَإِنْ أَطَالَ فَالْفَاطُ بَارِعَةً ، وَأَيَّاتُ مُعْجِزَةٍ ، وَهُوَ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَالْحَاوِي لِمَحَاسِينِ الدُّنْيَا وَفَضَائِلِ الْآخِرَةِ .

(١) الخُرُّ : أحسن الحرير وأجوده .

(٢) فِي « ط » : انطوى .

(٣) فِي « م » : وَحُكَمَاؤُهَا ، بِالْجَرِّ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً .. وَفِي « ط » : وَحُكَمَاؤُهُمْ ، وَالتَّائِبُ لِلْسِّيَاقِ : « وَحُكَمَاؤُهَا » ، أَيْ : حُكَمَاءُ الصِّينِ ، وَالتَّائِبُ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَوَّلَ عَلَى حُكَمَاءِ أَهْلِ الصِّينِ ، وَبِذَلِكَ لَا يَكُونُ ثَمَّةُ خَطَأٍ .

(٤) الْعِبَارَةُ فِي « ط » : « فَأَمَّا مُلُوكُ الصِّينِ وَحُكَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ مِنْ سِيَاسَاتِهِمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ » .

(٥) الشُّقَّةُ : السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، أَوْ الْمَسَافَةُ يَشْتُقُّ قَطْعُهَا .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « فَتَظَنَّتْ مَا الْفَيْتُ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ » وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٧) فِي « ط » : وَالطَّرِيقَةُ .

(٨) فِي « ط » : وَبِرَاعَةِ الْعُلَمَاءِ ، أَيْ : بِكُلِّ فَضْلِهِمْ وَحُسْنِ فَصَاحَتِهِمْ ، أَمَّا مُرَاعَاةُ الْعُلَمَاءِ فَهِيَ تَعْنِي مَا حَفِظُوهُ وَأَبْقَوْا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ ، يَقَالُ : رَأَيْتُ فُلَانًا الْأَمْرَ مُرَاعَاةً : إِذَا حَفِظَهُ وَأَبْقَى عَلَيْهِ .

(٩) فِي « ط » : « وَإِشَارَةٌ خَفِيفَةٌ » .

وَرَبَّيْتُهُ تَرْبِيًّا أَنْيَقًا ، وَتَرَجَمْتُهُ تَرَاجِمَ [بَارِعَةً] ^(١) حَاوِيَةً لِمَقَاصِيدِهَا ، نَاطِقَةً بِحُكْمِهَا وَمُضْمُونِهَا ، يَلْجُ الْأُذُنَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ ، وَيَقُولُجُ التَّامُورَ ^(٢) مِنْ غَيْرِ اسْتِثْمَارٍ ، أَلْفَاظُهَا قَوْلِبُ لِمَعَانِيهَا ، لَيْسَ أَلْفَاظُهَا ^(٣) إِلَى السَّمْعِ بِأَسْرَعَ مِنْ مَعَانِيهَا إِلَى الْقَلْبِ ، فَانْتَظَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ [وَإِحْسَانِهِ] ^(٤) غَايَةً فِي بَابِهِ ، غَرِيْبًا فِي فُنُونِهِ وَأَسْبَابِهِ ، خَفِيفَ الْحَمْلِ ^(٥) ، كَثِيرَ الْفَائِدَةِ ، لَمْ يَسِيْقْ إِلَى مِثْلِهِ أَقْلَامُ ^(٦) الْعُلَمَاءِ ، وَلَا جَالَتْ فِي نَظْمِهِ أَفْكَارُ الْفُضَلَاءِ ، وَلَا حَوَتْهُ خَزَائِنُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ ، فَلَا يَسْمَعُ بِهِ مِلِكٌ إِلَّا اسْتَكْبَهَ ، وَلَا وَزِيرٌ إِلَّا اسْتَضَحَّهَ ، وَلَا رَئِيسٌ إِلَّا اسْتَحْسَنَهُ ^(٧) وَاسْتَوْسَدَهُ ، عِصْمَةً لِمَنْ عَمِلَ بِهِ مِنْ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الرِّيَاسَةِ ، وَجُتَّةً ^(٨) لِمَنْ تَحَصَّنَ بِهِ مِنْ أُولِي الْأَمْرِ ^(٩) وَالسِّيَاسَةِ ، وَجَمَالَ لِمَنْ تَحَلَّى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ ^(١٠) وَالْمُحَاضَرَةِ ، وَعُتْوَانٌ لِمَنْ فَاوَضَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَجَالِسَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ ، وَسَمِيَّتُهُ « سِرَاجُ الْمُلُوكِ » .. يَسْتَعْنِي ^(١١) الْحَكِيمُ بِدِرَاسَتِهِ عَنْ مُبَاحَثَةِ الْحُكَمَاءِ ^(١٢) وَالْمَلِكِ ^(١٣) عَنْ مُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ .

وَاعْلَمُوا - وَفَقَّكُمْ اللَّهُ - أَنَّ أَحَقَّ مَنْ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ الْحِكْمُ ، وَأَوْصِلَتْ إِلَيْهِ الثَّصَائِحُ ،

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) هكذا في « ط » .. والتَّامُورُ والتَّامُورُ ، بهز ويغير همز ، يُطلق على القلب ، والنفس ، ويُطلق أيضاً على الصَّومعة ، وعلى وزير الملك . وَيَقُولُجُ التَّامُورُ ، أى : يدخل القلب . وفي « م » : « المأمور » بدل « التامور » والاستقرار : طلب الأمر .

(٣) في « م » : أَلْفَاظُ .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « وَأَحْكَمْتُهُ » بدل « وَإِحْسَانَهُ » .

(٥) في « ط » : الْهَمْلُ .

(٦) في « م » : أَقْلَامُ .

(٧) في « م » : اسْتَجْلَسَهُ .

(٨) جُتَّةٌ : وَاقِيَةٌ .

(٩) في « م » : الإِمْرَةُ . أى : الإِمَارَةُ .

(١٠) في « ط » : الْأَدَابُ .

(١١) في « ط » : يَسْتَعْنِي بِهِ .

(١٢) في « م » : الْعُلَمَاءُ .

(١٣) في « ط » : وَالْمُلُوكُ .

وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ الْعُلُومُ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا نَفَقَذَ فِي الْخَلْقِ حُكْمَهُ ، وَجَارَ ^(١) عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ .

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْأَجَلَ [الْمَأْمُونُ] ^(٢) تَأَجَّ الْخِلَافَةُ ، عَزَّ الْإِسْلَامُ ، فَخَرَّ الْأَنْامُ ^(٣) ، نِظَامُ الدِّينِ ، خَالِصَةُ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أبا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا الْآمِرِيَّ ^(٤) ، أَدَامَ اللَّهُ لِإِعْزَازِ الدِّينِ نَصْرَهُ ، وَأَنْفَذَ فِي الْعَالَمِينَ بِالْحَقِّ أَمْرَهُ ، وَأَوْزَعَ كَافَّةَ الْخَلْقِ شُكْرَهُ ، وَكَفَاهُمْ فِيهِ مَحْذُورَهُ وَضَرَّهُ ، فَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، فَبَسَطَ فِيهِمْ يَدَهُ ، وَنَشَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ يُمْنَهُ وَبَرَكَتَهُ ، وَتَقَلَّدَ أُمُورَ الرِّعْيَةِ ^(٦) وَسَارَ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَضِيَّةٍ ^(٧) ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَاجِعًا فِي الثَّوَابِ ، طَالِبًا سَبِيلَ ^(٨) الْعَدْلِ ، وَمَتَاهِجَ الْإِنْصَافِ وَالْفَضْلِ ، رَغِبْتُ أَنْ أُخَصِّصَ بِهِذَا الْكِتَابِ ، رَجَاءَ لَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ يَوْمَ ^(٩) تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ ثَوَدَ لَوْ أَنَّ يَتْنَهَا وَيَنَّهُ أَمَلًا يُعِيدُ ﴾ ^(١٠) .

(١) في « م » : « وجار » .

(٢) ما بين المعقوفين « ط » وساقط من « م » وهو : أبو عبد الله المأمون البطاحي .

(٣) الأنام : الخلق .

(٤) في « م » و « ط » : الأُموي ، بالواو ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، نسبة إلى « الأمير » بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلي ، أما المأمون فهو عبد الله محمد بن أبي شجاع بن أبي الحسن مختار ، المعروف بمحمد بن فاطك البطاحي - أو المأمون البطاحي - الذي استوزره الأمر بعد مقتل الأفضل .

[انظر مقدمة المحقق ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٩٩ - ٣٠٣ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٧٢ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧٠ وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة للدكتور / أحمد سعيد سليمان ج ١ ص : ١١٣ ط دار المعارف ، وتاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم ص ١٧٣ وما بعدها] .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وقد تفضل الله تعالى بالحق أمره المسلمين » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وتقلد فيهم أمور الرعية » .

(٧) في « م » : القضية .

(٨) في « ط » : سبيل .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : في يوم .

(١٠) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وَلِتَذْكُرَ فَضَائِلَهُ وَمَحَاسِنَهُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، كَمَا قِيلَ :

النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدَرِهِمْ^(١) لَكِنِّي أَهْدِي عَلَى قَدْرِي
يَهْدُونَ مَا يَنْفَعِي وَأَهْدِي الَّذِي يَنْفَعِي عَلَى الْإِيمَانِ وَالِدَّهْرِ^(٢)

فَإِنَّ الْعِلْمَ عِصْمَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ ، وَمَعْقِلُ السَّلَاطِينِ وَالْوُزَرَاءِ^(٣) ، لِأَنَّهُ يَنْتَعُمُهُمْ مِنَ
الظُّلْمِ ، وَيُرْدُّهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ^(٤) ، وَيَصُدُّهُمْ عَنِ الْأَذْيَةِ ، وَيُعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَمِنْ
حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ ، وَيُكْرِمُوا حَمَلَتَهُ ، وَيَسْتَبْطِنُوا^(٥) أَهْلَهُ .

وَهَذِهِ أَبْوَابُ الْكِتَابِ وَعِدَّتُهَا^(٦) أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ بَابًا :

البَابُ الْأَوَّلُ : فِي مَوَاعِظِ الْمُلُوكِ .

البَابُ الثَّانِي : فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ عِنْدَ الْأَمْرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ .

البَابُ الثَّالِثُ : فِيمَا جَاءَ فِي الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَرَرِ وَالْخَطَرِ .

البَابُ الرَّابِعُ : فِي مَعْرِفَةِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]^(٧) وَوَجْهِ طَلَبِهِ
لِلْمُلْكِ ، وَسُؤَالِهِ الْأَيُّهَا أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ .

البَابُ الْخَامِسُ : فِي فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقُضَاةِ^(٨) إِذَا عَدَلُوا .

البَابُ السَّادِسُ : فِي أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُورٌ غَيْرُ غَائِبٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَاجِعٍ .

(١) فِي « م » : « وَالدَّهْرُ » ، بِدَلِّ « وَالدَّهْرُ » .

(٢) فِي « م » : « جَاءَتِ الْكَلِمَتَانِ : الْوُزَرَاءُ وَالْأَمْرَاءُ كُلُّهُمَا مَكَانَ الْأُخْرَى ، وَسَقَطَتْ « لِأَنَّهُ » بَعْدَهَا .

(٣) الْجَحِيمُ : بِكسر الحاء المهملة : الْأَثَاةُ وَضَبَّطُ النَّفْسِ .

(٤) يَسْتَبْطِنُوا أَهْلَهُ : يَخْنَعُهُمْ أَصْحَابُا وَبَطَانَةً لَهُمْ . وَفِي « م » : « وَيَسْتَبْطِنُوا أَهْلَهُ » أَيْ : يَطْلُبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَتَحَدَّثُوا

لِيَعْرِفُوا دَخَائِلَهُمْ وَسَرَائِرَهُمْ ، وَيَسْتَفِيدُوا مِنْ عِلْمِهِمْ .

(٥) فِي « م » : « وَعَدَّتْهُمْ » . وَالنَّاسِبُ لَعْنَةُ مَا أَتَيْتَاهُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُتَعَرِّفِينَ عَنْ « م » .

(٧) فِي « م » : « الْقُضَاةُ وَالْوَلَاةُ » .

البَابُ السَّابِعُ : فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ .

البَابُ الثَّامِنُ : فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرَّعِيَّةِ .

البَابُ الْعَاشِرُ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِ الشَّرْعِ بِهَا ، فِيهَا نِظَامُ الْمُلْكِ وَالِدَوْلِ .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَا ثَبَاتَ لَهُ دَوْلَتُهَا .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي زَعَمَ الْمُلُوكُ أَنَّهَا أَزَالَتْ دَوْلَتَهُمْ وَهَدَمَتْ سُلْطَانَتَهُمْ .

البَابُ الثَّلَاثَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ ^(١) الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ ^(٢) أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ .

البَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ : فِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي السُّلْطَانِ ^(٣) .

البَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي يَعْزُ بِهَا السُّلْطَانُ .

البَابُ السَّادِسَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ مَلَكَ أُمُورِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ .

البَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ .

البَابُ الثَّاسِعَ عَشَرَ : فِي مَعْرِفَةِ خِصَالِ جَامِعَةٍ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ : فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ .

(١) فِي ط : : الصِّفَاتِ الرَّابِعَةِ .

(٢) فِي م : : الْخُلَفَاءُ بِدَلِّ الْحُكَمَاءِ .

(٣) فِي ط : : وَقَدْ اتَّفَقَ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ عَلَيْهَا زَائِدَةً عَمَّا جَاءَ فِي م .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ : فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لِكَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ [فِي الْعِلْمِ] ^(١) .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ وَالذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ^(٢) .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْجُلَسَاءِ وَأَدَابِهِمْ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ جَمَالُ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ : فِي الْعِلْمِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَحْمُودِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ : فِيْمَا يَسْكُنُ بِهِ الْعُصْبُ .

البَابُ الثَّلَاثُونَ : فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ .

البَابُ الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا .

البَابُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الصَّبْرِ وَجَمِيلِ عَوَاقِبِهِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي كَيْفَمَنِ السَّرِّ وَمَحَاسِنِهِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخُصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنُ بَسَائِرِ ^(٣) الْخِصَالِ ، وَزَعِيمِ

بِالْمُرِيدِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، [وَالْإِكْرَامِ] ^(٤) ، وَهِيَ الشُّكْرُ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ السِّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ وَتُسَهِّلُ

صُحْبَةَ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ .

(١) ما بين المعقوفين زيادة عن « ط » .

(٢) في « ط » : وَأَوْصَافُهُمْ .

(٣) في « ط » : لِسَائِرِ .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصَلَةِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ السُّلْطَانِ [وَشِفَاءُ الصُّلُوحِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَطِبْيَةُ النُّفُوسِ] (١) .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي فِيهَا (٢) مَلْجَأُ الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقِلُ السُّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْمَمَالِكِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصَلَةِ الْمُوجِبَةِ لِدَمِّ الرُّعْيَةِ [لِلْسُّلْطَانِ] (٣) .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ : فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ .

البَابُ الْأَرْبَعُونَ : فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرُّعْيَةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ .

البَابُ الْحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ : فِي كَمَا تَكُونُونَ (٤) يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ .

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ : فِي بَيَانِ الْخَصَلَةِ الَّتِي بِهَا تَصْلُحُ الرُّعْيَةُ .

البَابُ الثَّلَاثُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرُّعْيَةِ .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجْبَاءِ الْخَرَاجِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي بَيْتِ الْمَالِ .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتْفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ (٥) .

(١) ما بين المعقوفين عن ط ، وساقط من م .

(٢) هكذا في م . .. وفي ط : معرفة الخصلة التي هي ..

(٣) ما بين المعقوفين عن ط ، وساقط من م .

(٤) ورد الفعل « تكونون » في م ، و ط ، بحذف النون والصواب إثباتها .

(٥) في ط ، في سيرة السلطان في بيت المال ، وقد جاء هذا العنوان والذي سبقه كل منهما مكان الآخر .

البَابُ الْخَمْسُونَ : فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي تَذْيِينِ الدَّوَابِّ ، وَفَرْضِ الْأَرْزَاقِ ، وَسِيرَةِ الْعُمَالِ .

البَابُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ : فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ .

البَابُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ : فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ الْمُتَعَبِّرَةِ فِي الْوَلَاةِ .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ : فِي بَيَانِ الشُّرُوطِ وَالْعُهُودِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعُمَالِ . .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ : فِي هَدَايَا الْعُمَالِ وَالرُّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ : فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ : فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ .

البَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ : فِي السَّعَايَةِ وَالنَّبِيْمَةِ وَقُبْحِهِمَا ^(١) .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ : فِي الْقِصَاصِ وَحِكْمَتِهِ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ : فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

البَابُ السُّتُونَ : فِي الشَّجَاعَةِ وَتَمَرَّتِهَا .

البَابُ الْحَادِي وَالسُّتُونَ : فِي الْحُرُوبِ وَتَنْذِيرِهَا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونَ : فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَحْكَامِهِمَا .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونَ : فِي الْجَامِعِ ^(٢) مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ [وَحِكَايَاتِهِمْ] ^(٣) .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمٍ مَثْنَوَةٍ [وَهُوَ آخِرُ الْكِتَابِ وَكَمَالُ الْأَبْوَابِ] ^(٤) .

(١) فِي « ط » : فِي السَّعَايَةِ وَالنَّبِيْمَةِ ، وَمَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ أَمْرُهَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ ، وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيَّةِ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : وَهُوَ جَامِعٌ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ سَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي مَوَاعِظِ الْمُلُوكِ.

لَقَدْ خَابَ [وَخَسِرَ] ^(١) مَنْ كَانَ حَظُّهُ [مِنْ] ^(٢) اللَّهِ الدُّنْيَا .. اعْلَمْ أَيُّهَا
الرَّجُلُ - وَكُنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ - أَنَّ عُقُولَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا ، إِلَّا أَنَّهَا
مُسْتَعْرِفَةٌ ^(٣) بِكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ ، فَتُسْتَدْعَى ^(٤) مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا يَتَوَلَّجُ عَلَى تِلْكَ الْأَفْكَارِ ،
وَيَتَقَلَّبُ فِي مَكَامِينَ تِلْكَ الْأَسْرَارِ ، فَتَرْفَعُ ^(٥) تِلْكَ الْأَسْتَارُ ، وَتُبْكَ ^(٦) تِلْكَ الْأُمُجَّةُ ^(٧)
وَالْأَقْفَالُ ، وَبُصُقِلَ ذَلِكَ الصَّدَأُ وَالرَّانُ ^(٨) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ ﴾ . [وَقَالَ] ^(٩) : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ^(١٠) فَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ

(١) ما بين المعرفتين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٢) ما بين المعرفتين عن « ط » .

(٣) هكذا في « م » .. ولي « ط » : مشغوفة .

(٤) في « ط » : ليستدعى .

(٥) في « ط » : ليرفع .

(٦) في « ط » : ويُبْكَ .

(٧) الأمجة : جمع كنان ، بكسر الكاف ، ويُطلق على الغطاء ، وعلى كل شيء يقى شيئاً ويستتره .

(٨) الران : الغطاء والحجاب الكثيف ، ويُطلق أيضاً على الصدأ الذي يعلو الشيء وعلى الدُّنس .

(٩) ما بين المعرفتين عن « م » ، وساقط من « ط » . وران على قلوبهم : أى غطى وغلب عليها . والآية
بتامها : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ سورة المطففين - الآية ١٤ .

(١٠) الآية ٧٧ من سورة النساء .

الدُّنْيَا ^(١) بِأَنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٢) ثُمَّ ذَلِكَ الْقَلِيلُ إِنْ تَمَتَّعْتَ بِهِ وَلَمْ تَعَصِ اللَّهَ فِيهِ ، فَهُوَ لَهُوَ وَلَعِبٌ [وَزِينَةٌ] ^(٣) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ ﴾ ^(٤) ثُمَّ قَالَ ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) فَلَا تَبِعْ أَهْلَهَا الْعَاقِلُ لَعِبًا قَلِيلًا يَفْنَى ، بِحَيَاةِ الْأَبَدِ حَيَاةٍ [لَا تَفْنَى] ^(٦) وَشَبَابٍ لَا يَبْلَى ، كَمَا قَالَ الْفُضَيْلُ [رَجِمَهُ اللَّهُ] ^(٧) : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا ذَهَبًا يَفْنَى ، وَكَانَتِ الْآخِرَةُ حَزَقًا يَبْقَى ، لَوَجِبَ أَنْ نَخْتَارَ حَزَقًا يَبْقَى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى » فَكَيْفَ وَقَدْ اخْتَرْنَا حَزَقًا يَفْنَى عَلَى ذَهَبٍ يَبْقَى ؟! تَأْمَلُ بِعَقْلِكَ : هَلْ آتَاكَ اللَّهُ مِنْ الدُّنْيَا مَا آتَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، حَيْثُ آتَاهُ مُلْكُ جَمِيعِ الدُّنْيَا ، وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ [وَالطَّيْرِ] ^(٨) وَالْوَحْشِ : وَ ﴿ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جميع متاع الدنيا » وما جاء في « ط » هو المناسب للسياق ، والضمير - بعدها - يؤكد ذلك .

(٢) في « م » : « قليل » بالرفع ، وهو خطأ . وفي « ط » « قليلا » بالنصب ، وهو الصواب ، لأن « ما » هنا نافية ، و « أُوتِيتَ » فعل ماضٍ مبنى للمجهول ، والثاء نائب فاعل . و « من ذلك » جار ومجرور ، و « القليل » بدل من ذلك ، و « إِلَّا » للحصر ، و « قليلا » مفعول به . ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ مُؤَلَّكَ يَامُوسَى ﴾ بفتح اللام . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » لم تُرَدِّدْ كلمة « اعلموا » في أول الآية ، وكلمة « وزينة » في آخرها ، والآية بتمامها : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ، وَلَهُوَ زِينَةٌ ، وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، نَحْمُ هَبْجًا فَتَرَاهُ مُمْصِفًا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [سورة الحديد - الآية ٢٠] الغيث : المطر .. هبج : يسيس ، حطامًا : فتاتًا هشيمًا . الغرور : الخداع والباطل .

(٥) الآية بتمامها : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النكوت - الآية ٦٤] هو ولعب : أى لذائذ مُتَصَرِّمة ، وخداع وعيب باطل . لَهِيَ الْحَيَوَانُ : أى لَهِيَ دار الحياة الدائمة الخالدة .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من « م » . والفضيل هو : الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ وهو من كبار الصوفية والعُباد الصالحين . [انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ وما بعدها] .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .

(٩) الآية بتمامها : ﴿ فَتَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [سورة « ص » - الآية ٣٦] رُخَاءً : حيث أصاب : لَبَنَةً أو مُتَفَادَةً حَيْثُ أَرَادَ .

ثُمَّ زَادَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) فَوَاللَّهِ مَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا رِفْعَةً وَمَنْزِلَةً ^(٣) كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ قَالَ عِنْدَ ذَلِكَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَالشُّكْرُ أَمْ الْكُفْرُ ﴾ ^(٤) وَهَذَا فَضْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَ أَنْ يَقُولَ لَهُ [رَبُّهُ] ^(٥) فِي مَعْرِضِ النِّمْنَةِ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثُمَّ خَافَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ اسْتِذْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَغْلَمُ .

هذا وَقَدْ قَالَ لَكَ وَلِسَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا : ﴿ قَوْلُكَ لَتَسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٦) وَقَالَ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) تَأْمَلْ بِعَقْلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٨) أَنَّهُ قَالَ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ » ^(٩) . وَالْوَيْ سَمْعَكَ إِلَى مَا نَزَلَ بِهِ

(١) ما بين المقوفين عن (م) .

(٢) سورة « ص » - الآية ٣٩ .. هذا عَطَاؤُنَا : أى هذا الْمُلْكُ هو عَطَاؤُنَا إِيَّاكَ ، تنصرف فيه كما تشاء . فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ : أى تفضل بما تشاء على من تشاء ، فأعطِ أو احرم مَنْ تشاء ، فلك مُطْلَق التصرف .
بغير حساب : أى غَيْرَ مُحَاسَبٍ على شيء من الأمرين : الإيعاض أو المنع .

(٣) في (م) : وَلَا حَسِبَهَا كِرَامَةً .

(٤) يَتْلُوَنِي : لِيَحْقِرُنِي وَيَمْحَقُنِي . وهذا جزء من الآية ٤٠ من سورة النمل ، وتكملته : ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

(٥) ما بين المقوفين ساقط من (م) .

(٦) الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر .

(٧) من الآية ٤٧ من سورة الأَنْبِيَاء ، ومِثْقَالُ حَبَّةٍ : أى وَزْنُ حَبَّةٍ . وَالْخَرْدَلُ : نبات يُضْرَبُ به المثل في الصَّغَرِ ، فيقال : ما عَصَى خَرْدَلُهُ مِنْ كَذَا .

(٨) في (م) : « إِلَى مَا رَوَى » .. وفي (ط) : « عَلَيْهِ السَّلَام » بدل « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

(٩) هذا الحديث عن ابن عباس أورده أبو نعيم في الحلية ، وقال عنه : حديث غريب من حديث الحكم عن مجاهد ، لم تكتبه إلا من حديث عبد الكبير عن أبيه ، وقد ورد الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : مثل الدنيا ، عن سهل بن سعد قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَدَى الْخُلُقِيَّةُ ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَبْتَةِ شَالَتْ بِرِجْلِهَا ، فَقَالَ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ مَبْتَةً عَلَى صَاحِبِهَا ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِلدُّنْيَا أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، مَاسَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا » أ هـ . وفي الزوائد ، في إسناده زكراها بن منظور ، وهو ضعيف ، وفيه : أَنْ أَصَلَ الْمَتْنُ صَحِيحٌ .

[انظر حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٠٤ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧] .

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى [نَبِيِّ ^(١) مُحَمَّدٍ ، ﷺ] ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ : عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ » . فَاَنْظُرْ إِلَى ^(٢) مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ مِنْ صَرَعَةِ الْمَوْتِ ^(٣) وَفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، فَلَوْ لَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرُهَا لَكَانَتْ كَافِيَةً .

أَنْظُرْ يَفْهَمُكَ إِلَى مَارَوَاهُ الْحَسَنُ ^(٤) ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِمَنْزِلٍ قَوْمٍ قَدِ ارْتَحَلُوا عَنْهُ ، وَإِذَا طَلَا ^(٥) مَطْرُوحٌ فَقَالَ : « أَتَرَوْنَ ^(٦) هَذَا هَانَ عَلَى أَهْلِهِ » فَقَالُوا : مِنْ هَوَايِهِ عَلَيْهِمْ

(١) ما بين المعقوفين عن « م » « صلى الله عليه وسلم » بدل « صلى الله عليه وسلم » .

(٢) لى « ط » فانظر ما اشتملت بحذف حرف الجر .

(٣) هكذا فى « م » « لى » من تصريح العمر : أى ذهابه .

(٤) فى « ط » : : الحسين ، تحريف .. والصواب ما أثبتناه ، فالحديث المروى هنا جاء بعقود روايات : عن ابن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وأنس بن مالك ، وأبى موسى ، وابن عمر ، وعبد الله بن ربيعة السلمى وغيرهم . والحسن قد روى عن أبى هريرة وعن ابن عمر ، وابن عباس وأنس وغيرهم والخسن هو : أبو سعيد ، الحسن بن أبى الحسن يسار ، المعروف بالحسن البصرى ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع كل فن من علم وفقه ، وزهد وورع وعبادة ، وكان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارى ، رضى الله عنه ، وأمه « خيرة » مولاة أم سلمة ، زوج النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وولد الحسن بالمدينة سنة ٢١ هـ ، ويذكرون أن أمه كانت رُبَّمَا غابت فبيكى الصبي فتعطيه أم سلمة - رضى الله عنها - ثَدْيَهَا فَنُتِلَّهُ بِهِ إِلَى أَنْ يَمُتْهُ ، ثُمَّ ، فَذَرَّ عَلَيْهَا ثَدْيَهَا فَتَشْرِبُهُ ، فَيَتَرَوْنَ أَنَّ تِلْكَ الْحِكْمَةَ وَالْفَصَاحَةَ الَّتِي كَانَ يَتَمَيَّزُ بِهَا مِنْ بَرَكَةِ ذَلِكَ .. تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ .

[انظر الحديث فى الحلية ج ٢ ص ١٨٩ وحلل الحديث للإمام الرازى ج ٣ ص ١٠٩ ، وسنن الترمذى فى أبواب الزهد ج ٩ ص ١٩٨ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٧٧ ، وجميع الزوائد للهيثمى ج ١٠ ص ٢٨٩ ، والزهد لابن حنبل ص ٣٠ والترغيب والترهيب للسنلى ج ٤ ص ١٧٢ والنظر ترجمة الحسن لى طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥٦ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٦٩ وكتاب الجرح والتعديل للرازى ج ٣ ص ٤٠ ترجمة ١٧٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧١ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٢٧] .

(٥) الطَّلَا : بالألف والياء ، فلى اللسان : الطَّلَى : الصغير من كل شيء .. وفى المعجم الوسيط : الطَّلَا : الصغير من كل شيء ، ويُطلق على الولد من الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يتشدد ، وولد الطليبة . وجاء فى حديث : « شاة » وفى حديث آخر : « سَخْلَةٌ جَرَبَاءُ أَخْرَجَهَا أَهْلُهَا » وفى حديث ثالث : « مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ » وفى حديث رابع : « مَرَّ بِجَدْيٍ أَسْلَكَ مَيْتَةٍ » وفى حديث خامس : « مَرَّ بِمَيْتَةٍ قَوْمٍ فِيهَا سَخْلَةٌ مَيْتَةٌ » والدمنة آثار الناس ، وما سَوَّدُوا ، وَتَطَلَّقُوا أَيْضًا عَلَى الْمَرْبَلَةِ . وَالسَّخْلَةُ : الْأَثْنَى مِنْ وَلَدِ الضَّأْنِ . وَالْجَدَى : الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَغْزِ . وَأَسْلَكَ : أَيْ صَغِيرُ الْأَذْنَيْنِ .

(٦) فى « م » : : « أَتَرَوْنَ » بدل « أَتَرَوْنَ » .

الْقَوَّةُ فَقَالَ : وَالَّذِي ^(١) تَفْسِي يَدِي لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ ^(٢) مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ
الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَطْرُوحَةِ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) : قَالَ
لِيَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٤) : « أَلَا أُرِيكَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ^(٥) يَمَّا فِيهَا ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَأَخَذَ
بِيَدِي وَأَتَى بِي إِلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِينَةِ ، فَإِذَا مَرْبَلَةٌ فِيهَا رُءُوسُ النَّاسِ ، وَعِذْرَاتُ ^(٦) ،
وَيُحْرَقُ بِالْيَةِ ، وَعِظَامُ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذِهِ الرُّءُوسُ كَانَتْ تَحْرُسُ
[عَلَى الدُّنْيَا] ^(٧) كَحِرْصِكُمْ ، وَكَأَمَلُ أَمَالِكُمْ ، ثُمَّ هِيَ الْيَوْمَ تَسَاقُطُ جَلْدًا بِلَا عَظْمٍ ،
ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَادًا رَمِيدًا ^(٨) ، وَهَذِهِ الْعِذْرَاتُ الْوَنُ أَنْ أُطْعِمَتْهُنَّ ، اكْتَسَبُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
اكْتَسَبُوهُنَّ ، وَقَدْ فُوتُوهُنَّ ^(٩) فِي بَطُونِهِمْ ، فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَهَا ^(١٠) ، وَهَذِهِ الْيُحْرَقُ
[الْبَالِيَةِ] ^(١١) يَبَاشُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ ، فَأَصْبَحَتْ ^(١٢) وَالرِّيحُ تُصَفِّقُهَا ^(١٣) ، وَهَذِهِ الْعِظَامُ
عِظَامُ دَوَابِّهِمْ الَّتِي كَانُوا يَنْتَجِعُونَ ^(١٤) عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلَادِ ، فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى الدُّنْيَا
فَلْيَبْكْ . قَالَ : فَمَا بَرِحْنَا حَتَّى اسْتَدَّ بِكَأُونَا ^(١٥) .

(١) لى د ط : قال : فالذى .

(٢) لى د م : للدنيا أهون على أهل الله من هوان هذا على أهله .

(٣) ما بين المعقوفين عن م .

(٤) لى د ط : عليه السلام .

(٥) هكذا لى د م .. ولى د ط : جمعاً . والحديث مروي لى إحياء علوم الدين للغزالي لى كتاب د ذم الدنيا ج ٣ ص ٢١٧ باختلاف يسير لى بعض ألفاظه .

(٦) لى د ط و د م : رؤوس الناس .. ولى الإحياء : رؤوس أناس وعذرات .. ولى د م : وعليه العذرات ، والعذرات : جمع عذرة وهو الغائط البراز .

(٧) هكذا لى د ط .. ولى د م والإحياء : كانت تحرس كحرصكم .

(٨) رَمَادًا رَمِيدًا : أى كالرماد المتناهي لى الاحتراق والدقة .

(٩) لى د ط : ثم للدفوها .

(١٠) يتحامونها : يتجنبونها .

(١١) ما بين المعقوفين عن د ط وسالط من م .

(١٢) هكذا لى د م .. ولى د ط : ثم أصبحت .

(١٣) تُصَفِّقُهَا : أى تحركها وتقلبها .

(١٤) يَنْتَجِعُونَ عليها : أى يأتون .

(١٥) لم أقف على هذا الحديث فى كتب الحديث المعروفة ، وقد علق عليه الحافظ العراقى زين الدين أبى الفضل ، التوفى سنة ٨٠٦ هـ فى كتابه : المغنى عن الأسفار فى هامش الإحياء ، بقوله : « لا أجد له أصلاً » [انظر إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨ طبعة الدار المصرية اللبنانية] .

وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ ^(١) : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضُ جَسَدِي ^(٢) فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ ، وَاعْتِذْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى » .. يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، إِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى يَفْجُوكَ الْأَجَلُ ، فَلَا تُغْتَرَّ بِطُولِ الْأَمَلِ ، فَإِنَّهُ يُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُفْسِدُ الْعَمَلَ ، وَقَدْ عَيَّرَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) أَقْرَامًا مَدَّ لَهُمْ فِي الْأَجَلِ ، فَقَسَتْ مِنْهُمْ الْقُلُوبُ ، وَطَالَ مِنْهُمْ الْأَمَلُ ، فَقَالَ [تَعَالَى] : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلُ ^(٤) مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ لَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » ^(٥) .

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَأَلَمْتُكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزْتُ بِهَا وَعِنْدَ صَفْرِ اللَّيَالِي يَخْذُلُ الْكَدْرُ

(١) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه - وقيل : كانت مجرته قبل هجرة أبيه - أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ، وَلَمَّا قُل عُثْمَانُ عَرْضَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْبِئُوهُ بِالْخِلاَفَةِ ، فَأَبَى ، وَكَانَ - رحمه الله - كثير الصدقة ، قال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجه بشيء من ماله قَرَّبَهُ لِرَبِّهِ . وقال عنه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله : « مَانَا إِلَّا مَنْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَمَالُهَا ، مَاخِلَا عَمْرُ وَابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ - سنة ٧٣ هـ [انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٥ وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٨٩ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن عمر وغيره من كتب المناقب والتراجم] .

وقد ورد هذا الحديث المروي عنه كاملاً في أسد الغابة ص ٣٤٤ المجلد الثالث ، وورد مُجْتَزِئاً في البخاري في كتاب الرقاق ج ١١ ص ٢٣٣ وفي سنن ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب « مثل الدنيا » ج ٢ ص ١٣٧٨ وفي الترمذي في الزهد أيضاً ، باب « ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل » ج ٩ ص ١٩٧ ومابعدا .

(٢) في رواية البخاري : « أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينِي » وفيه تعيين مأبهم في الرواية الواردة في الترمذي عن ليث : « أَخَذَ بَعْضُ جَسَدِي ، وَالْمَنَكِبِ ، بِكَسْرِ الْكَافِ : مُجْتَمِعُ الْعِضْدِ وَالْكَيْفِ .

(٣) مابين المعقوفين ساقط من « ط » في الموضعين .

(٤) في « م » : « أَنْزَلْ » ولم أقف على قراءة بالهمزة ، فقد قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم : « وَمَا تَزَلْ » خفيفة ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : « وَمَا تَزَلْ » مشددة الزاى مفتوحة النون ، وَرَوَى عَبَّاسٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍو : « وَمَا تَزَلْ » مرتفعة النون ، مشددة الزاى مكسورة [انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد تحقيق د . شوقي ضيف ص ٦٢٦ ط دار المعارف] .

(٥) سورة الحديد - الآية ١٦ .. والبيان بعدا وردا في « طبقات الأولياء » لابن الملقن ، على لسان مجنون يعظ فيها الفضيل بن عياض .

[انظر المصدر المشار إليه ص ٢٦٩] .

أَيَّنَ الَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي اللَّذَاتِ وَالْمَارِبِ ^(١) ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَاهَوْا ^(٢) عَلَى الْخَلَائِقِ كَيْتًا وَعَيْتًا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ رَاحُوا فِي الْحُلُلِ ^(٣) بُكْرَةً وَعَشِيًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ اسْتَلْتُوا الْمَلَاسِي أُنْثَاءً وَرِيًّا ^(٤) ؟ [وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أُنْثَاءً وَرِيًّا] ^(٥) . أَيَّنَ الَّذِينَ مَلَكُوا ^(٦) مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وَعِزًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ قَرَشُوا الْقُصُورَ خَرًّا وَبَرًّا ^(٧) ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ تَضَعَضَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَرًّا ؟ أَيَّنَ الَّذِينَ اسْتَذَلُّوا الْعِبَادَةَ قَهْرًا وَرُفًّا ^(٨) ؟ [هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسْنَعُ لَهُمْ رِكْرًا] ^(٩) . أَفَنَاهُمْ - وَاللَّهِ مُنْفِي الْأُمَمِ ، وَأَبَادُهُمْ مُبِيدُ الرِّمَمِ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَيْقِ ^(١٠) الْقُبُورِ ، تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ ، فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ^(١١) ، فَعَاثَ اللَّوْثُ فِي أَبْدَانِهِمْ ^(١٢) ، وَاتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَجْسَادِهِمْ ^(١٣) ، فَسَالَتِ الْعُمُيُونُ عَلَى

(١) الْمَارِبُ : الحاجات ، وَلَمَّا تَلَقَّى عَلَى مَا يَتَّبِعُهُ النِّزْءُ وَتَمَتَّعَهُ .

(٢) تَاهَوْا : أَيْ تَكَبَّرُوا وَعَلَوْا .. وَلِي « ط » : « دَأَسُوا » بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : جَاوَزُوا التَّخَدَّ ، وَلَطَلَهَا « أَشْرَفُوا » بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، بِمَعْنَى : نَظَرُوا إِلَى الْخَلَائِقِ مِنْ عُلَى .

(٣) رَاحُوا فِي الْحُلُلِ : فَرَحُوا بِالْغِيَابِ الْجَدِيدَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَطَابَتْ لَهُمْ ، فَسَارُوا بِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُتَبَايِنِينَ مُفْتَحِرِينَ .

(٤) اسْتَلْتُوا الْمَلَاسِي : عُلُوًّا لَيْتًا .. أُنْثَاءً : الْأُنْثَى يُطْلَقُ عَلَى مَتَاعِ الْبَيْتِ مِنَ الْفَرَاشِ وَغَوَاهِ ، وَعَلَى الْغِيَابِ وَغَوَاهِ .. رِيًّا : أَيْ : رِيًّا ، وَالرِّيُّ : حُسْنُ الْمُنَظَرِ فِي الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ وَالْهَيْبَةِ .

(٥) الْآيَةُ لَمْ تَرُدَّ فِي « ط » وَهِيَ الْآيَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُونَ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَلِي « ط » : « تَمَكَّنُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ عِزًّا وَفَخْرًا » . وَالْخَافِقَانِ : أُنْثَى السُّطْرِ فِي الْمَرْحَبِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » .. وَلِي « م » : « وَلَقُوا أَيْ : وَغَرَبُوا » .

وَالْخَرُّ مِنَ الْغِيَابِ ، مَا يَنْتَسِجُ مِنْ صُوفٍ وَلِزْنِيمٍ - أَيْ حَرِيرٍ جَدِيدٍ - أَوْ مَا يَنْتَسِجُ مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ . وَالزُّرُّ : مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الْغِيَابِ خَاصَّةً . وَقِيلَ : ضَرْبٌ مِنَ الْغِيَابِ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ : تَزَرُّ] .

(٨) اللَّوْثُ : الْعُقْلَةُ .

(٩) سُورَةُ مَرْيَمَ - الْآيَةُ ٩٨ .. وَالرِّكْرُ : الصُّوْتُ الْخَفِيُّ .

(١٠) فِي « ط » : « ضَمَكِ الْقُبُورِ » وَهِيَ بِمَعْنَى الضَّيْقِ أَيْضًا .

(١١) فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ الْآيَةُ ٢٥ : « فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ » بِالْيَاءِ ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْمٍ عَادٍ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكْتَهُمُ الرِّيحَ .

(١٢) فِي « ط » : « أَجْسَادُهُمْ » . وَعَاثَ اللَّوْثُ فِي أَبْدَانِهِمْ ، أَيْ : أَفْسَدَ فِيهَا .

(١٣) فِي « ط » : « أَبْدَانِهِمْ » . وَالْمَعْنَى : أَنَّ اللَّوْثَ اتَّخَذَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مَكَانًا يَقِيمُ فِيهِ وَيَسْتَرْحِ .

الْخُلُودِ ، وَامْتَلَأَتْ تِلْكَ الْأَفْوَءُ بِالْذُّوْدِ ، وَتَسَاقَطَتِ الْأَعْضَاءُ ، وَتَمَزَّقَتِ الْجُلُودُ ، وَتَنَاقَرَتِ اللَّحُومُ ، وَتَقَطَّعَتِ الْبُطُونُ ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا جَمَعُوا ، وَلَا أُنْعَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ، أَسْلَمَكَ الْأَحِبَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ ، وَهَجَرَكَ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْغِيَاءُ ، وَنَسِيَكَ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ ، فَأَمْسَيْتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لَأَنْشَدْتَ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ الثَّرَى ، وَرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبِلَى ^(١) :

مُقِيمٌ بِالْحَجُونِ رَهِيْنُ رَمْسٍ وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادٍ ^(١)
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ حَبِيْبًا وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ ^(٢)
فَمُوجُوا لِلْسَّلَامِ فَإِنْ أُبَيِّتُمْ فَأَوْمُوا بِالْسَّلَامِ عَلَى بَعَادٍ ^(٣)
فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَجَفَا خَلِيلٌ سِوَانَا فَادْكُرُوا صَفْوَةَ الْوَدَادِ ^(٤)
وَذَاكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيْبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ^(٥)
فَلَوْ أَنَا بِمَوْقِعِكُمْ وَقَفْنَا سَقَيْنَا الثَّرْبَ مِنْ مُهْجِ الْفُؤَادِ ^(٦)

وَقَالَ مُكْرَمُ بْنُ يُوسُفَ الْعَابِدِ : أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنْ قِفْ عَلَى الْمَدَائِنِ وَالْحُصُونِ ، فَأُيْلِعْهُمْ ^(٨) عَنِّي خَرْقَيْنِ : لَا تَأْكُلُوا إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا إِلَّا

(١) في « ط » : « فِي سُكَّانِ الثَّرَى » ، وَالثَّرَى : الْأَرْضُ أَوْ التُّرَابُ .. وَالرَّهَائِنُ : جَمْعُ رَهِيْنَةٍ ، وَهِيَ مَا يَرَهَنُ ، وَيُقَالُ : الْإِنْسَانُ رَهِيْنٌ أَوْ رَهْنٌ عَمَلِهِ ، مَا خُوِذَ بِهِ . وَيَعْنِي بِرَهَائِنِ الثَّرْبِ وَالْبِلَى : الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ حُبِسُوا فِي الثَّرْبِ رَهْنُ الْفَتَاءِ وَالْإِنْدَارِ . وَفِي « م » : « الْبَلَاءُ » ، بِفَتْحَتَيْنِ ، أَيْ : الْبَلَاءُ ، بِمَعْنَى الشَّدَّةِ ، أَوْ الْوَحْشَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْمَرَّةِ لِيُخْتَبَرُ بِهَا .

(٢) الْحَجُونُ : جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا وَالرَّمْسُ : الْفَرَسُ .

(٣) السَّوَادُ ، بِفَتْحِ السِّينِ : يُطْلَقُ عَلَى مَعْظَمِ النَّاسِ ، وَسَوَادُ الْأُمُورِ : حَاشِيَتُهُ ، وَسَوَادُ الْقَلْبِ حَبَّتُهُ ، وَبَكَسْرُهَا : الْمُسَارَّةُ ، وَهِيَ الْمُنَاجَاةُ ، يُقَالُ : سَارَرْتُ مُسَارَرَةً ، أَيْ : نَاجَاهُ وَأَعْلَمَهُ بِسِرِّهِ .

(٤) فَمُوجُوا لِلْسَّلَامِ ، أَيْ : مُرُّوا عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ . وَيُقَالُ : عَاجَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ ، أَوْ أَلَمَ بِهِ وَمَرَّ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . فَأَوْمُوا ، أَيْ : أَشْعِرُوا . وَفِي « م » : « فَأَزْمُوا بِالْسَّلَامِ » ، أَيْ : أَلْفَوْا بِهِ .

(٥) جَفَا خَلِيلٌ ، أَيْ : تَبَا أَوْ سَاءَ خُلُقُهُ . وَفِي « ط » : « صَفَا خَلِيلٌ » ، أَيْ : صَدَّقَ فِي إِخْلَائِهِ وَمَوْذُونِهِ . وَكَلَا الْمُعْتَنِينَ لَهُ وَجْهٌ .

(٦) يَوْمُ التَّنَادِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، حَيْثُ يَتَنَادَى فِيهِ النَّاسُ لِلْحَشْرِ . وَفِي سُورَةِ « غَافِرٍ » - آيَةِ ٣٢ : ﴿ وَنَقُومُوا إِلَى أَعْنَافٍ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ .

(٧) مُهْجِ الْفُؤَادِ : دِمَاءُ الْقَلْبِ .

(٨) فِي « ط » : « وَأُيْلِعْهُمْ » .

بالحق . وَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ^(١) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : عِظْنِي يَا يَزِيدُ ^(٢) .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبٌ مَيِّتٌ . فَكَيْي وَقَالَ زِدْنِي [يَا يَزِيدُ]
فَقَالَ : ^(٣) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَنْزِلٌ . فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَا تَعْفَلَنَّ عَنْ تَذَكُّرِ ^(٤) مَا تَتَقَفُّهُ مِنْ خَوَافِ الْفَنَاءِ ، وَتَقْضَى الْمَسَارَّ ،
وَذَهَابِ ^(٥) اللَّذَاتِ ، وَالْإِقْصَاءِ الشَّهَوَاتِ ، وَبَقَاءِ التَّيَعَّاتِ ، وَالتَّغْلَابِهَا حَسَرَاتِ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا
دَارٌ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَامَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَاعْقَلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادَى مَنْ
لَاعْلَمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَافَقَهُ لَهُ .. مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقَمَ ، وَمَنْ سَلِمَ فِيهَا هَرِمَ ^(٦) ،
وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ،
وَتَشَابُهُهَا عِقَابٌ ^(٧) ، مَنْ سَاعَاَهَا فَاتَتْهُ ^(٨) ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ ،
وَمَنْ بَصُرَ بِهَا ^(٩) بَصُرَتْهُ ، لِأَخِيرِهَا يُلُومٌ ، وَلَا شَرْهَا يَنْقَى ، وَلَا فِيهَا لِمَخْلُوقٍ بَقَاءٌ .

(١) هو : يزيد بن أباان الرقاشي البصري : أبو عمرو الزاهد العابد .

[انظر خبره في حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٠ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٨] .

(٢) هنا في « ط » زيادة لَمْ تَرُدْ في « م » وهي : قال : يا أمير المؤمنين ، اغْلَمْ أُنْكَ [لَسْتُ] أَوَّلَ خَلِيفَةِ مَوْت !!

فكَيْي عُمَرُ وَقَالَ : زِدْنِي يَا يَزِيدُ . وما بين المعقوفين لم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٣) في « م » : قال .. وما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « م » : عن ذِكْرِ .

(٥) الْمَسَارُّ : جَمْعُ مَسْرَةٍ ، وهي مَاهِيَةُ الْإِنْسَانِ . وَتَقْضَى الْمَسَارُّ : فَتَازَهَا وَانْقَطَعَهَا . وفي « ط » :
وَتَقْضَى الْمَسَارُّ بِذَهَابِ اللَّذَاتِ .

(٦) صَحَّ : بَرِيَءٌ مِنَ الْفَرَسِ .. سَقَمَ : طَالَ مَرَضُهُ .. سَلِمَ : نَجَا مِنَ الْآفَاتِ وَخَوَافِهَا .. هَرِمَ : كَبُرَ وَضَعُفٌ ..

وفي « م » : « بَرِمَ » أي : سَقَمَ وَضَجِرَ .

(٧) بمعنى : ما يلتبس علينا فيها من الأمور غير الْمُمَيَّزَةِ تُعَالِبُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٨) سَاعَاَهَا : سَابَقَهَا فِي السَّعْيِ .. وَفَاتَتْهُ ، أي : أي سَبَقَتْهُ وَلَمْ يَلْزِكْهَا .

(٩) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « نَظَرَ بِهَا » . وَبَصُرَ بِالشَّيْءِ : عَلِمَ بِهِ وَابْصَرَهُ . وَبَصُرَتْهُ : عَلِمَتْهُ وَعَرَفَتْهُ

الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَاتُخْذَعَنَّ كَمَا خُدِعَ مَنْ قَبْلَكَ ، فَإِنَّ الذِّى أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ
إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدِّكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَلَوْ
بَقِيَتْ الدُّنْيَا لِلْعَالَمِ لَمْ تُصِرْ لِلْحَاجِلِ ، وَلَوْ بَقِيَتْ لِلأَوَّلِ لَمْ تُثْقِلْ إِلَى الْآخِرِ ^(١) .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً ، ثُمَّ سَلِمْتَ عَلَيْكَ بِالْخِلَافَةِ ،
وَأَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا ، وَأَفْلَازَ كِبِيدَهَا ، ثُمَّ كُنْتَ طَرِيدَةً لِلْمَوْتِ مَا كَانَ يَتَّبِعُ لَكَ أَنْ
تَهْتَأَ بِعَيْشٍ .. لَا فَخْرَ فِيمَا يُزُولُ ، وَلَا غِنَاءَ فِيمَا لَا يَبْقَى ، وَهَلِ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا قَالَ
الأَوَّلُ : قَدَرْتُ ثَقْلَى ، وَكَيْفَ يُمَلَأُ ^(٢) ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ قَبَسَمْتُ عَجَبًا وَلَمْ تُبْدِ
حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى الْكَيْفِ فَقَالَ لِي أُمُؤَالُهُمْ وَنُؤَالُهُمْ عِنْدِي ^(٣)

وَلَقَدْ أَصَابَ ابْنُ السَّمَّكِ لَمَّا قَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا بَنَ السَّمَّكِ ^(٤) عِظْنِي ، وَبِيَدِهِ شَرْبَةُ
مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ حُبِسَتْ عَنْكَ هَذِهِ الشَّرْبَةُ ، أَكُنْتَ

(١) في م : : لِلآخِرِ .

(٢) في م : : قَدَرْتُ ثَقْلًا ، هَكَذَا ، أَيْ يَا لِلشَّيْخِ - مَنْ غَلِيَتْ ثَقْلَى - وَهِيَ ثَقْلَةٌ مِنْ بَابِ تَعَبَ .. قَالَ
أَبُو الْأَسود الدُّؤَلِي :

[وَلَا أَقُولُ لِقَدْرِ الْقَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلَا أَقُولُ لِأَبِ الدَّارِ مُفْلُوقَ]

وما أَشْبَهَهُ عَنْ ط : هو الفصح والمَشْهُور - مِنْ بَابِ ضَرْبٍ - قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الدُّخَانِ : الْآيَةُ ٤٥ :
﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [انظر المصباح - مادة غلَى] وَالْكَيْفُ : الْمِرْحَاضُ .
(٣) التَّوَالُ : التَّصَيُّبُ وَالْعَطَاءُ .

(٤) ابْنُ السَّمَّكِ : وَاعِظَ كَانَ يَعْظُ الْخَلِيفَةُ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، هُوَ وَالْقَضِيلُ بْنُ عِيَّاضَ ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الزُّهَّادِ ،
وَالصَّالِحِينَ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَيَتَوَاضَعُ لَهُمْ ، وَلَهُ مَعَهُمْ قِصَصٌ مَشْهُورَةٌ فِي أَسْمَاءِ كُتُبِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ
الْإِسْلَامِيِّ .

[انظر ذِكْرَ بَعْضِ سِيرَةِ الرَّشِيدِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي : الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٥ ص ١٣١ -
١٣٣ ط دار الكتاب العربي ، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ج ٨ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ط دار المعارف ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ لِابْنِ الْعِمَادِ
الْحَمَلِيِّ ج ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ط دار المسيرة ، وَسِرُّ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ لِلدَّهْبِيِّ ج ٩ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ط مؤسسة
الرسالة ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١٠ ص ٢٢٤] .

تَفْدِيهَا ^(١) بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ حُبِسَ عَنْكَ خُرُوجُهَا أَكُنْتُ تَفْدِيهَا بِمُلْكِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا غَيْرَ فِي مُلْكٍ لَا يُسَاوِي شَرِيَّةً وَلَا بَوْلَةً .
أَيُّهَا ^(٢) الشَّابُّ ، لَا تُعْتَرِ بِشَبَابِكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنْ أَقْلَ النَّاسِ الشُّيُوخُ .

يَا أَيُّهَا الشَّابُّ ، كَمْ مِنْ جَحَلٍ فِي الثُّنُورِ وَأَبُوهُ يَرَعَى ^(٣) ، وَكَمْ مِنْ طِفْلِ فِي الثَّرَابِ وَجَدُهُ يَحْيَا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، [وَسَلَامُهُ] لَأُسْقِفَ ^(٤) قَدْ أَسْلَمَ : عِظْمِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَمَنْ تُرْجُو ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَوَدِدَنِي . قَالَ : إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَكَ فَمَنْ تُخَافُ ؟ قَالَ : أَحْسَنْتَ ، فَوَدِدَنِي . قَالَ : أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ ذَنْبَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٥) ، أَلَيْسَ قَدْ فَاتَهُمْ ثَوَابُ الْمُحْسِنِينَ ؟ قَالَ : حَسْبِي حَسْبِي ، وَيَكْفِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِمَ صَعَصَعَةٌ ، يَعْنِي عَمَّ الْفَرَزْدَقِ ^(٦) ، عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هكذا في « م » ، في الموضعين .. وفي « ط » : « تَفْدِيهَا » في الموضع الأول ، و « تَفْدِيهَا » في الموضع الثاني .. وفي شلوات الذهب : « لَوْ تُفِدْتُ هَذِهِ الشَّرِيَّةَ ، بِكَمْ تَشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِمُلْكِي .. وفي الكامل : « ... بِكَمْ كُنْتُ تَشْتَرِيهَا ؟ » قَالَ : بِنَصْفِ مُلْكِي ، وَقَدْى وَاقْدَى بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. فَنَدَاهُ : اسْتَغْنَاهُ بِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَخَلَصَهُ وَمَا كَانَ فِيهِ .. وَاقْدَى الْأَسِيرُ : فَنَدَاهُ ، أَوْ قَدَّمَ الْفِدْنَةَ عَنْهُ .

(٢) في « م » : يَا أَيُّهَا .
(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَأَبُوهُ فِي الرُّعَايَةِ » ، وَالرُّعَاءُ وَالرُّعَاةُ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ وَضَمِّهَا : جَمْعُ رَاعٍ . وفي حاشية « م » : جَاءَتْ كَلِمَةُ « خُرُوف » بِدَلٍّ وَجَهْلٍ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفَيْنِ عَنْ « م » . وَالْأُسْقَفُ ، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا : رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ التَّصَاوِي فَوْقَ الرَّئِيسِ وَثَوْنٍ لِلطَّرَانِ .

(٥) هكذا في « ط » وفي « م » : « أَحْسَبُ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ » .

(٦) هُنَاكَ خِلَافٌ وَلَيْسَ بَيْنَ « صَعَصَعَةٍ » بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَ « صَعَصَعَةٍ » بَيْنَ نَاجِيَةٍ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ وَرَدَ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ فِي تَرْجُمَةِ صَعَصَعَةَ بِنِ مَعَاوِيَةَ بَيْنَ جَعْفَرٍ ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ . وَرَوَاهُ أَيْضاً سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ جَرِيرٍ ، وَقَالَ - مِثْلَ الْحَسَنِ : صَعَصَعَةُ « هَمُّ الْفَرَزْدَقِ » .. وَقَدْ وَجَّهَ بَعْضُهُمْ فِي صَعَصَعَةَ بِنِ مَعَاوِيَةَ هَمُّ الْأَحْنَفِ بِنِ قَيْسٍ ، فَقَالَ : « صَعَصَعَةُ عَمِّ الْفَرَزْدَقِ » ، وَهُوَ غُلَطٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ جَلَدُهُ - صَعَصَعَةُ بِنِ نَاجِيَةٍ بِنِ عَقَالٍ - وَاسْمُ الْفَرَزْدَقِ : قِسْمٌ مِنْ غَالِبِ بِنِ صَعَصَعَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي تَيْمٍ ، وَوَجْهُهُ بَنِي بَجَاشَعٍ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَفْتَدِي =

وَسَلَّمَ ، فَسَمِعَهُ يَقْرَأُ ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾ ^(١) فَقَالَ : حَسْبِيَ حَسْبِيَ ، لَا أَبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ آيَةَ غَيْرِهَا .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِحُمَيْدِ الطَّوِيلِ ^(٢) : عِظْنِي ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ إِذَا عَصَيْتَ اللَّهَ ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَرَاكَ فَلَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَى رَبِّ عَظِيمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ ظَنَنْتَ ^(٣) أَنَّهُ لَا يَرَاكَ ، فَلَقَدْ كَفَرْتَ بِرَبِّ رَجِيمٍ ^(٤) .

وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِلَى سَلْمَانَ ^(٦) : إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ

= التَّوَعُّدَاتِ ، وَلَهُ صَحْبَةٌ ، وَالْأَوَّلُ أُتُخِلَفَ فِي صُحْبَتِهِ ، وَقَدْ مَدَحَهُ الْفَرَزْدَقُ بِإِفْتَاءِ الْمُؤْعِدَاتِ .. جَاءَ فِي اللِّسَانِ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ مَادِحًا جَلْدُهُ مَعْصَمَةٌ بِنِ تَاجِيَةٍ :

وَجَدْتِي الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ وَأَخِيَا الْوَالِدَ فَلَمْ يُؤَادِ
وَالْوَادُ : دَفَنُ الْإِنْتِ حَيَّةٍ عِنْدَ وِلَادَتِهَا .

[انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ - ٢٣ ترجمة صعصعة بن معاوية وصعصعة بن تاجية .. وانظر لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف مادة « واد » .. وانظر شرح ديوان الفرزدق لإبيليا الحاوي ط دار الكتاب اللبناني ج ١ ص ٢٩٣] .

(١) سورة الزلزلة - الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) هو : سليمان بن عبد الملك بن مروان ، الخليفة الأموي ، وُلِدَ فِي دِمَشْقَ سَنَةِ ٥٤ هـ ، وَلَمَّا خَلَفَهُ يَوْمَ وَفَاةِ أَعْيِهِ الْوَلِيدَ سَنَةِ ٩٦ هـ .. كَانَ عَاقِلًا ، مُحَسِّنًا ، فَصِيحًا . وَفِي عَهْدِهِ فُتِحَتْ « جُرْجَان » وَ « طَبْرِسْتَان » وَغَيْرُهُمَا .. وَبُدِئَتْ خِلَاتُهُ سِتَانِ وَثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا أَيَّامًا .. تَوَفَّى سَنَةِ ٩٩ هـ ، وَأَوْصَى يُعْمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِتَوَلَّى الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ .

[انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ط دار الجليل ص ٢٦٩ - ٢٧٢ ، والأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٠٣] .
- أَمَّا حُمَيْدُ الطَّوِيلِ ، فَهُوَ : حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدِ الطَّوِيلِ ، أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَزَاعِيُّ الْبَصْرِيُّ ، تَابِعِيٌّ ، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٦٨ هـ ، وَمَاتَ سَنَةَ ١٤٢ هـ وَهُوَ قَائِمٌ بِصَلَى .. وَاخْتَلَفُوا فِي اسْمِهِ ، وَرَجَّحَ الْذَهَبِيُّ أَنَّهُ : حُمَيْدُ ابْنِ تَمْرُزِيَّةِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : هُوَ ابْنُ طَرْخَانَ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦١٠ ، ورجال صحيح البخاري للكلايبي ج ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٩] .
(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « تَقْن » .

(٤) فِي « ط » : « عَظِيم » .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ » ، وَهُوَ خَطَا ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « سُلَيْمَان » . خَطَا مِنَ النَّاسِخِ .. وَقَدْ كَتَبَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، هَذَا الْكِتَابَ إِلَى « سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَبْلَ أَيَّامِ خِلَاتِهِ ، يَصِفُ لَهُ الدُّنْيَا وَيَحْذَرُهَا مِنْهَا .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٤٣ ط دار البلاغة ، وط دار الكتاب اللبناني بشرح د . صَبْحِي الصَّالِحِ ص ٤٥٨] .

الْحَيَّةُ ، لَمَسَهَا لَيِّنٌ [وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا] ^(١) وَيَقْتُلُ سُمُّهَا ، فَأَغْرَضَ عَنْهَا وَعَمَّا يُعْجَبُكِ مِنْهَا ، لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكِ مِنْهَا ، وَدَغَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيْقَنْتُ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا ، أَخَذَرَ مَا تُكُونُ لَهَا ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصَ ^(٢) مِنْهَا إِلَى مَكْرُوهٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ^(٣) :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْأَدَى وَالْقَدَى وَدَارُ الْفَنَاءِ وَدَارُ الْغَيْرِ ^(٤)
وَلَوْ نَلَقَتْهَا بِحَذَافِيرِهَا لَمْتُ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا وَطَرٌ ^(٥)
أَيَّامُنْ يُؤْمَلُ طَوْلُ الْحَيَاةِ وَطَوْلُ الْحَيَاةِ عَلَيْهِ ضَرَرٌ
إِذَا مَا كَثُرَتْ وَبَانَ الشَّبَابُ فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْكِبَرِ ^(٦)

وَلَمَّا بَلَغَ مُرَادُهُ ^(٧) مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا سَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَقَّتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُ ، رَفَضَهَا وَتَذَّهَا ، وَقَالَ : هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَذِيبٌ ، وَمُلْكٌ لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ ، وَغِنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ فَنَاءٌ ، وَجَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ ، وَمَحْمُودٌ لَوْلَا أَنَّهُ مَفْقُودٌ ، [وَهَنَاءٌ لَوْلَا أَنَّهُ

(١) مابن المعقوفين عن (م) ، وساقط من (ط) .. وفي نيج البلاغة : « لَيِّنٌ سُمُّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَغْرَضَ عَنْهَا يُعْجَبُكِ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْنَعُكِ مِنْهَا ، وَضَغَ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا تَيْقَنْتُ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَسْرًا مَا تُكُونُ فِيهَا أَخَذَرَ مَا تُكُونُ لَهَا إِلَى سُرُورِ ، أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَخْلُوبٍ » .

[انظر المصدرين السابقين] .

(٢) أَشْخَصَ : خَرَجَ .

(٣) هو : إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْدِ الْعَتَرِيِّ (من قبيلة عنزة) ويُنَحَّى أبا إسحاق .. وأبو العتاهية لَقَّبَ له .. وهو شاعر مُكَيَّرٌ ، سريع الحاطر ، وكان يجيد القول في الزهد والمدح ، وُلِدَ سنة ١٣٠ هـ في « عين الحر » بقرب الكوفة ، ونشأ في الكوفة ، وسكن بغداد .. كان في بلد أمره ببيع الجزار ، فقبل له : « الجزار » .

ثم اتصل بالخلفاء العباسيين ، وعَلَّتْ مكانته عندهم . ثَوَّى في بغداد سنة ٢١١ هـ ، وأخباره كثيرة . [انظر الأعلام ج ١ ص ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٥ بتحقيق أحمد شاكر ط دار المعارف] .

(٤) الْقَدَى : جمع قَذَاة ، وهي ما يَكُونُ في العين من رَمَصٍ (وَسَخٍ أبيض) أو تراب ونحوه .. ويُقال : هو يُفْضِي على الْقَدَى : إذا سَكَتَ عَلَى الدَّلِّ وَالضَّمِّ وَلَمْ تَشْكُ .. وَالْغَيْرُ : أحوال الدهر وأحداثه المتغيرة .

(٥) الْوَطَرُ : الحاجة والبُحَّةُ ، يقال : قَضَى مِنْهُ وَطَرُهُ : أى نال منه بُقْيَتَهُ .

(٦) بَانَ الشَّبَابُ : ذَهَبَ وَفَارَقَ صَاحِبَهُ .

(٧) هَلَكْنَا فِي « ط » .. وفي « م » : « مَنْ دَلَّ » بدل « مراده » .

عَنَاءَ] ^(١) ، وَارْتِفَاعَ لَوْلَا أَنَّهُ اتِّضَاعٌ ، وَعَلَاءَ لَوْلَا أَنَّهُ بَلَاءٌ ، وَحُسْنَ لَوْلَا أَنَّهُ حُزْنٌ ، وَهُوَ يَوْمٌ لَوْ وَثِقَ لَهُ بِغَدٍ .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا تَكُنْ كَالْمُنْخُلِ يُرْسِلُ أَطْيَبَ مَا فِيهِ - وَيُنْسِكُ الْحَقَّالَةَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ قَسَا قَلْبُهُ لَا يَقْبِلُ الْحَقَّ ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَلَالَتُهُ ^(٢) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَفَلَنَّا أَصْرِبُوهُ بِنِعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزِيلُكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ^(٣) . وَذَلِكَ أَنَّ كَثْرَةَ الذُّنُوبِ مَانِعَةٌ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ لِلْقُلُوبِ ، وَوُلُوجِ الْمَوَاعِظِ ^(٤) فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٥) أَيْ : غَطَاءَهَا وَغَشِيَهَا ، فَلَا تُقْبَلُ خَيْرًا ، وَلَا تُصَيِّحُ لِمَوْعِظَةٍ ^(٦) .

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ تُكِنَّتْ فِي قَلْبِهِ نُكْنَةٌ سَوْدَاءٌ ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ تُكِنَّتْ نُكْنَةٌ ، حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ . وَقَالَ حَدِيثُهُ ^(٧) : الْقَلْبُ كَالْكَفِّ ، فَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ انْقَبَضَ ، وَبَقِضَ أَصْبَعًا ، ثُمَّ إِذَا أَذْنَبَ انْقَبَضَ ، وَبَقِضَ أَصْبَعًا أُخْرَى ^(٨) ، ثُمَّ كَذَلِكَ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ حَتَّى يَنْقَبِضَ الْكَفُّ كُلُّهُ ، ثُمَّ يَطْبِعُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ ^(٩) .

(١) مابين المعرفتين عن « م » .. وفي « ط » : وَغِنَى لَوْلَا أَنَّهُ مُنَى ، وَالْعُرُورُ ، بفتح الغين المعجمة : كُلُّ مَا غُرَّ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالٍ ، أَوْ جَاهٍ ، أَوْ شَيْطَانٍ وَغَوَاهُ .. وَالْعَدِيمُ : الزَّائِلُ أَوْ الْمَفْقُودُ . وَالْهَلْكَ : اسْمٌ مِنَ الْهَلَاكِ .. وَالْجَسِيمُ : الْعَظِيمُ . وَالْحَمُودُ : مَا يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ وَالشَّاءَ الْجَمِيلَ . وَالْإِضْطَاعُ : الضُّعْفُ وَالْإِغْطَااطُ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وفي « ط » : كَثُرَتْ رَذَائِلُهُ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - الْآيَتَانِ : ٧٣ ، ٧٤ .

(٤) فِي « م » : الْمَوْعِظَةُ .

(٥) سُورَةُ الْمُطَفِّينَ - الْآيَةُ ١٤ .

(٦) وَلَا تُصَيِّحُ : أَيْ ، وَلَا تَسْمَعُ .

(٧) هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ حَدِيثُهُ بَنِيَّانٌ ، صَاحِبُ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٨) فِي « م » : « أَصْبَعًا أُخْرَى » ، وَالْأَصْبَعُ مُؤَنَّثَةٌ فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ [انظر المصباح - مادة صبع] .

(٩) الرَّانُ : الدُّنْسُ . وَيُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْغَطَاءِ وَالْحِجَابِ الْكَثِيفِ ، وَمَا غَطَى عَلَى الْقَلْبِ وَرَكَبَتْهُ مِنَ الْقِسْوَةِ لِلذُّنْبِ

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) : إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ صَارَ فِي قَلْبِهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ ، ثُمَّ إِذَا ^(٢)
 أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ [ثُمَّ كُلَّمَا أَذْنَبَ صَارَ فِيهِ كَوْخَزِ الْإِبْرَةِ] ^(٣) حَتَّى يَمُوتَ
 الْقَلْبُ كَالْمُنْخُلِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : [هُوَ] ^(٤) الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ .
 وَقَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ ^(٥) : إِذَا كَانَ الْبَدَنُ سَقِيمًا لَمْ يَنْفَعَهُ الطَّعَامُ ، وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُعْرِمًا
 يُحِبُّ الدُّنْيَا لَمْ يَنْفَعَهُ الْمَوْعِظَةُ ، وَفِيهِ قِيلَ :

وَلَا أَرَى أَثَرًا لِلذِّكْرِ فِي خَلْدِي وَالْحَبْلُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَا لَهُ أَثَرٌ ^(٦)
 إِذَا قَسَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَوْعِظَةُ كَالْأَرْضِ إِنْ سَبَحَتْ لَمْ يَنْفَعِ الْمَطَرُ ^(٧)
 وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مَرَّ بِدُكَّانٍ وَرَاقٍ ، فَإِذَا ^(٨) كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ :
 لَنْ تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا رَاجِرٌ ^(٩)

(١) هو : بكر بن عبدالله المزني البصري ، كان عالماً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، وله روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين ، توفي - رحمه الله - سنة ١٠٨ هـ .

[انظر ترجمته في الحلية لأبي نعيم ج ٢ ص ٢٢٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٧ ، والطبقات لابن سعد ج ٧ ص ٢٠٩] .

(٢) في « ط » : « ثم كلما أذنب » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) الحسن : هو الحسن البصري ، وقد سبقت ترجمته .. وما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) هو : عبد الله بن شبرمة ، ويكنى أبا شبرمة ، وكان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة .. وهو من فقهاء التابعين ، وُلِدَ سنة ٩٢ هـ ومات سنة ١٤٤ هـ .. قال عنه حماد بن زيد : « مارأيت كُوفياً أفقه من ابن شبرمة » . [انظر ترجمته في طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ص ٨٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ط دار المعارف] .

(٦) هذا البيت عن « ط » ، ولم يرد في « م » .. والخَلْدُ : بفتحين : البَالُ والنَّفْسُ .. والصَّخْرَةُ الصَّمَا : أي الصَّمَاءُ الصلبة .

(٧) سَبَحَتِ الْأَرْضُ : كانت ذات نُزْ وَبَلَح .

(٨) في « ط » : « الوراق وإذا » والوراق : مَوْرَقُ الْكُتُبِ الذي يُوْرَقُ ويكتب .

(٩) المعنى : الانهماك في الجهل والضلال . والرَّاجِرُ : المانع والرَّادِعُ .

فَقَالَ ^(١) : لِمَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : لِأَبِي نُؤَاسٍ ، قَالَ : وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي يَنْصِفُ شِعْرِي . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٢) : إِنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئَةَ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ ^(٣) الَّذِي بَنَى الْحَوَزَنَ ، أَشْرَفَ عَلَى الْحَوَزَنِيِّ يَوْمًا فَأَعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ - وَتَقَوَّذَ الْأَمْرِ ، وَاقْبَالَ ^(٤) الْوُجُوهَ نَحْوَهُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيَتْ ؟ فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَائِهِ ^(٥) : أَهَذَا الَّذِي أُوتِيَتْ شَيْءٌ لَمْ يُزَلْ وَلَا يُزُولُ ^(٦) ؟ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ ، وَصَارَ إِلَيَّ ، ^(٧) وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسَرَرْتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ ^(٨) عَنْكَ لَدُنْهُ ، وَتَبْقَى نَبِيْعُهُ ؟ قَالَ : فَأَيُّ الْمَهْرَبِ ؟ قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، أَوْ تَلْبَسَ أُمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ ، تَعْبُدُ ^(٩) رَبَّكَ فِيهِ ، وَتَقَرَّ مِنَ النَّاسِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ

(١) في (م) : فقيل .

(٢) الْأَصْمَعِيُّ : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عَلِيٍّ بن أَصْنَعِ الْبَاهِلِيِّ ، راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، وُلِدَ بالبصرة سنة ١٢٢ هـ ، وكان كثير التطواف في البوادي ، يقبس من علومها ، ويتلقى أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، فَيَكْتَفِيُهَا عَلَيْهَا بِالْعَطَايَا الْوَافَةِ ، وكان الرشيد يسميه « شيطان الشعر » .. وقال عنه الْأَخْفَشُ : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالشَّعْرِ مِنَ الْأَصْمَعِيِّ » توفي سنة ٢١٦ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٠ - ١٧٦ ط دار الثقافة ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٤٥ ط دار المعارف ، وطبقات اللغويين والنحويين ص ١٦٧ - ١٧٤ ط دار المعارف] .

(٣) في (ط) : « الثُّعْمَانُ الَّذِي هُوَ أَمْرِؤُ الْقَيْسِ الْأَكْبَرُ » .

والثُّعْمَانُ هُوَ : النُّعْمَانُ بن أَمْرِئَةَ الْقَيْسِ اللَّحْيِيُّ ، أَبُو قَابُوسَ ، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، وكان داهية مقدما ، وهو ممدوح النابغة الذبياني .

وَالْحَوَزَنِيُّ : اسم قصر بالعراق (فارسي معرب) .

[انظر قصته في الْمُحَبَّرِ لابن حبيب ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ط دار الآفاق ، والأعلام ج ٨ ص ٤٣ ، والكمال لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٥ وما بعدها ط دار الكتاب العربي ، والمعارف لابن قتيبة ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ ط دار المعارف ، والصالح للجرهمي ج ٤ ص ١٤٦٨ مادة « خرنق » ط دار العلم ، ولسان العرب لابن منظور مادة « خرنق »] .

(٤) في (م) : « وَاقْبَالَ » .

(٥) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « من حكماء أصحابه » .

(٦) في (ط) : « لَمْ يُزَلْ وَلَا يُزَال » .

(٧) في (م) : « وَصَارَ إِلَيْكَ » .

(٨) في (م) : « يَذْهَبُ » .

(٩) في (ط) : « وَتَعْبُدُ » .

فَمَا لِي ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَامُوتَ فِيهَا ؛ وَشَبَابٌ لَاهَرَمَ فِيهِ ، وَصِحَّةٌ لاسْقَمَ فِيهَا ^(١) وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَائِلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا يَفْنَى ؟ وَاللَّهِ لَأُطْلَبَنَّ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا [وَمُلْكًا جَدِيدًا] ^(٢) . فَاتَّخَلَعَ مِنْ مُلْكِهِ ، وَلَيْسَ الْمُسُوحَ ^(٣) ، وَسَارَ فِي الْأَرْضِ ، وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ ، وَجَعَلَا [يَسِيحَانِ وَ] ^(٤) يَعْبُدَانِ اللَّهَ حَتَّى مَاتَا ، وَفِيهِ يَقُولُ عِدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) :

وَتَبِينَ رَبَّ الْخَوَرَتِي إِذْ أَصْبَحَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَذْكِيرُ ^(١)
سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ لِيكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدُورُ ^(٢)
فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِيبَ سَطَّةً حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ^(٣)
أَيَّنَ كِسْرَى كِسْرَى [الْمُلُوكِ] أَتَوْشِرُ وَإِنْ أُمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ ^(٤)

(١) مكلنا في « ط » .. وفي « م » : « حياة لامتوت ، وشباب لاهرم ، وصحة لاسقم » .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) مكلنا في « م » .. وفي « ط » : « الأسماح » وكلاهما جمع لكلمة « ينسح » ، والينسح : كساء من شعر .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من « ط » .

(٥) في « م » : « وفيهم يقول .. وعدي بن زيد بن حماد : شاعر جاهلي ، كان قروياً من أهل الحيرة ، فصيحا ، يحسن العربية والفارسية ، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان « كسرى » ، وكان نصرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمه ، وليس هو يمتن بعد من الفحول ، وقد أخذوا عليه أشياء غيب فيها .

[انظر ترجمته في الأغاني بتحقيق إبراهيم الأبياري ج ٢ ص ٥١٥ - ٥٧٤ ط دار الشعب ، وشعراء النصرانية في الجاهلية للأب لويس شيخو ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٧٤ ط مكتبة الآداب ، والأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ط دار العلم] .

(٦) مكلنا في « م » .. وفي « ط » : « وتبين رب الخورتي إذ فكر ... » وفي الشعر والشعراء : « وتبين رب الخورتي إذ أشرف » .

[انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٢٦ ، وكذا في لسان العرب ج ٢ ص ١١٤٧ مادة « غرقت »] . وفي الأغاني ج ٢ ص ٥٥٧ وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٥٦ : « وتذكر رب الخورتي إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير .. » وفي تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٨ ط دار المعارف : « وتذكر رب الخورتي إذ أشرف وللهدى تبصير » .

(٧) في الشعر والشعراء : « سره حاله » . ومعرضاً : أى متسبباً . والسديور : نهر . وقيل : قصر .

(٨) مكلنا في البيت في « م » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وفي الشعر والشعراء .. وفي « ط » :

« فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَدْ قَالَ مَاغِيظُهُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ » ..

أَرْعَوَى : أَرْقَضَ .. وَالْفَيْظَةُ : حُسْنُ الْحَالِ .

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .. وماورد هنا عن « ط » وهو مطابق لما جاء في الأغاني ، وشعراء النصرانية في الجاهلية . وفي الشعر والشعراء ولسان العرب (مادة : كلس) : « أبو ساسان » بدل « أبو شروان » .. وسابور : من ملوك المعجم قبل كسرى أنوشروان .

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورٌ (١)
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْـ سُلُكُ عَنْهُ قَبَائِهِ مَهْجُورٌ (٢)
وَفِيهِمْ يَقُولُ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرٍ (٣) :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الذِّى ثَبَّأْتَنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ (٤)
مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِسَادِ (٥)
أَرْضِ الْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٦)

(١) بنو الأصفر : الروم . وقيل : ملوك الروم ، وقال ابن سيده : لأندرى لِمَ سُمُّوا بذلك .. وقال ابن الأثير : لأن أباهم الأول كان أصفر اللون . [انظر اللسان - مادة صفر] .

(٢) هكذا في « ط » ، وهو مطابق لما جاء في الأغاني وشعراء النصرانية .. وفي « م » : « الزمان » بدل « المنون » .. والمنون : الموت .. وقيل : الدهر .

(٣) هو : الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرَ التَّهَمِيّ الدَّارِمِي القِيسِي ، وَيُكْنَى أَبَا الْجُرَّاحِ ، شاعر جاهل من سادات تميم من أهل العراق ، كان فصيحا جوادا ، ناذم النعمان بن المنذر ، ولما أَسْنُ كَفَّ بَصْرُهُ ، ويقال له : « أَعشى بنى نُهْشَل » توفي نحو ٢٢ قبل الهجرة (نحو ٦٠٠ ميلادية) .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٣٠ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٥ ، والأغاني ج ١٣ ص ٤٥٤٧ ، وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٧٥] .

(٤) أى : لو أغفل الموت أحدا لأغفل ذا الأعواد ، وأنا ميت مثله . وذو الأعواد : الذى قُرِعَتْ له العصا (غوى ابن سلامة الأسيدي) أو (ربيعه من مخاض الأسيدي) على خلاف في ذلك .

وفي اللسان : رجلٌ أَسْنُ ، فكان يُحْمَلُ على حقة من عود .. وقال المفصل : سبيل ذى الأعواد : يريد الموت ، ورعى بالأعواد : ما يُحْمَلُ عليه الميت .

[انظر اللسان - مادة عود ، وانظر المُفَصَّلُ في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج ٥ ص ١٥٨ ط دار العلم والتبصرة ببغداد] وهذا البيت عن « م » وهو مطابق لما جاء في لسان العرب ، وفي المفصل ، وفي شعراء النصرانية [ج ٤ ص ٤٨١] .. وفي « ط » : « ثَبَّأْتَنِي » بدل « ثَبَّأْتَنِي » .. وفي الأغاني ومعجم البلدان جاءت الشطرة الأولى هكذا : « وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنِّي عَلِمْتُ نَافِي » ، [انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٥٢٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ مادة أنقرة] .

(٥) آل مُحَرِّقٍ هنا هم ملوك الحيرة ، من لحم . ومُحَرِّقُ الذى أُضِيقُوا إليه هو امرؤ القيس بن عمر بن عُذِي ، أحد ملوكهم ، ويقال له : المُحَرِّقُ الأكبر ، وَلَقَبَ به أيضاً من اللخميين عمرو بن هند ، من ملوكهم ، ويقال له : المُحَرِّقُ الثانى ، وغيرها .

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٨٢٨ حاشية ٥ وانظر المعارف ص ٢٤٦] .

(٦) الْخَوَزَنْقُ : قصر من قصور الحيرة ، وقد سبق التعريف به - وهو فارسي يُطلق على بيت الضيافة « خورنكاه » ، بناه شخص رومى اسمه « مِيثَار » للنعمان بن امرئ القيس اللخمى ، وأكملته في عشرين سنة ، =

نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ (١)
 أَرْضَ تَخْيَرَهَا لِطَيْبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ (٢)
 جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ (٣)
 فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَتَفَادِ (٤)

= فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على « سينمار » وخشى أن يبنى مثله لغيره ، فأمر به (بسنار) أن يُطْرَحَ من أعلى شرفاته ، فضُربَ به المثل وقيل : « جزاء جزاء سينمار .. والسدير : قصر كان مابين نهر الحيرة إلى النجف . وسنداد : منزل لإياد ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وقال ابن الكلبي في القصر ذى الشرفات : « إن العرب كانت تجمع إليه » .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢٦٦ ط دار بيروت] وورد في الأغاني ، وفي شعراء النصرانية ، والشعر والشعراء : « أهل » بدل « أرض » .

(١) هكذا في « م » ، وفي شعراء النصرانية .. وفي « ط » : « تسيل » بدل « يسيل » ، وفي رواية : « حُلُوا بِأَنْقَرَةَ » .. وفي الأغاني : « يفيض » بدل « يجيء » . وأنقرة : موضع بناوحي الحيرة ، وقد ذكر بعض العلماء أن « أنقرة » التي في شعر الأسود بن يَغْفَر هي « أنقرة » التي ببلاد الروم ، نزلها « إياد » ، لَمَّا نَفَاهُم كَسْرَى عَنْ بِلَادِهِ .
 (٢) هكذا في « م » ، والشعر والشعراء .. وفي « ط » : « يحبوها » بدل « تخيَرُها » ، و« كعب بن مالك » بدل « كعب بن مامة » تحريف .. وفي شعراء النصرانية : « أَرْضُ تَوَارَتْهَا » .

و« كعب بن مامة » هو : كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ، وكان أبوه مامة ، ملك إياد .. وكان يُضْرَبُ بكعب المثل في الجود والكرم . قال أبو عبيدة : أجواد العرب ثلاثة : كعب بن مامة ، وحاتم طيء ، وقرم بن سنان . وفي الأمثال : « أكرم من أميرى عَنَزَة » وهما : حاتم الطائي ، وكعب بن مامة .

وابن أُمِّ دُوَادِ هو : أبو دُوَادِ الشاعر الجاهل المشهور ، جارية بن الحجاج الإيادي ، كان من وُصَافِ الخيل المجيدين . وهذا البيت دليل على أن « سنداد » كانت منازل « إياد » .

[انظر شعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٨١ والأعلام ج ٥ ص ٢٢٩ وج ٢ ص ١٠٦ ، وجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٧١ بتحقيق محي الدين عبد الحميد] .

(٣) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما جاء في الأغاني ج ٣ ص ٤٥٢٩ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٧٢ .. وفي « ط » ، وشعراء النصرانية : « فكأنهم » بدل « فكأنما » ، وفي المرجع الأخير : « مقر » بدل « محل » ويروى أيضاً : مكان ديارهم ، وعراص ديارهم .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يُلْهَى » بدل « يُلْهَى » .. تحريف من الناسخ .. وفي شعراء النصرانية ، ومعجم البلدان ، والأغاني : « فَإِذَا التَّوَيْمُ » بدل « فَأَرَى التَّوَيْمَ » .. و« سمع علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - رجلاً يتمثل بهذا البيت الأخير فقال :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جُنَاتٍ وَغُيُونَ ﴾ الآية ٢٥ من سورة الدخان [انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٥٦] .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهِ ^(١) : أَصِيبَ عَلَى غُمْدَانَ وَهُوَ قَصْرٌ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ^(٢) بِأَرْضِ
صَنْعَاءَ اليمَنِ ، وَكَانَ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَجَلَةِ مَكْتُوبٌ ^(٣) بِالْقَلَمِ الْمُسْنَدِ فترجم بالعربية ،
فَإِذَا ^(٤) هِيَ آيَاتٌ جَلِيلَةٌ وَمَوْعِظَةٌ عَظِيمَةٌ :

(١) هو : وَهَبُ بْنُ مُنْبِهِ الأبنائى الصنعائى ، أبو عبدالله ، مؤرخ ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم
بأساطير الأولين ، ولاسيما الإسرائيلية ، ويُعدُّ فى التابعين ، وأصله من أبناء الفُرس الذين بقى بهم كسرى إلى
اليمن ، وأمه من « جَمَيْر » ، ويُقال إنها من أصل يهودى . وكان يزعم أنه يقطن اليونانية ، والسريانية ، والحميرية .
ويُحسن قراءة الكتابات القديمة ، وُلِدَ سنة ٣٤ هـ بصنعاء ، وبها توفى سنة ١١٤ هـ .. وولاه عمر بن عبد العزيز
قضاءها .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٨ ص ١٢٥ ، ١٢٦ وفى وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥ ، ٣٦ والمعارف ص ٤٥٩
وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ١ ص ٢٥١ ومابعدهما ط دار المعارف ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣
ط دار المعرفة ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٠ ط دار المسيرة] .
(٢) فى عيون الأخبار : « قُرِئَ عَلَى قَبْرِ بِالشَّامِ » .

وسيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل الحميرى ، من ملوك العرب الجُمَانيين ودهاتم .
وقيل : اسمه معدى كرب . وُلِدَ بصنعاء سنة ١١٠ قبل الهجرة تقريباً ، ونشأ بها ، وله قصص مشهورة فى استرداد
مُلْكِ الْيَمَنِ من الأحباش بمساعدة كسرى .. وبعد أن انتصر عليهم اتخذ سيف بن ذى يزن « غُمْدَانَ » قصرأه ، وهو مبنى
على أربعة أوجه : وجه أبيض ، وجه أحمر ، وجه أصفر ، ووجه أخضر . وكان ظله إذا طلعت الشمس .. يُرى
على « عَيْتَانِ » - اسم جبل باليمن ، بينه وبين غمندان ثلاثة أميال - وجعل فى أعلاه مجلساً بناء بالرخام الملون ، وجعل
سقفه رخامة واحدة ، وصمَّم على كل ركن من أركانه تمثال أسد ، كأعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الرياح إذا
هبّت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من ذُبره وخرجت من فمه ، فَيَسْمَعُ له زفير كزفير السباع .. وكان يأمر
بالمصاييح فتسرج فى ذلك البيت ليلاً ، فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه إنسان من
بعض الطرق ظنه برقأ أو مطراً .. وقال قوم : إن الذى بنى « غُمْدَانَ » سليمان بن داود - عليه السلام - أمر
الشياطين فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور بصنعاء : غُمْدَان ، وَسَيْلَجِينَ ، وَيَسْتُون .

[انظر عيون الأخبار ج ٦ كتاب الزهد ص ٣٠٣ ط الهيئة العامة للكتاب ، والأعلام ج ٣ ص ١٤٩ ، ومعجم
البلدان ج ٤ ص ٢١٠ ، ٢١١ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١ ومابعدهما ط صبيح ، والمُفَصَّل فى تاريخ العرب ج ٣
ص ٥٢٢ ومابعدهما ، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٦٣ ومابعدهما] .

(٣) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « مَكْتُوباً » بالنصب ، وهذا لا يصح إلا إذا ضُمِّنَ الفعل « أصيب » معنى
« وُجِدَ » .. والمسند : تَحَطَّ لِجَمَيْرِ الْيَمَنِ ، مخالف لخططنا هذا .

(٤) فى « ط » : وإذا .

بَاثُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلِبَ الرِّجَالُ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُلُ (١)
 وَاسْتَقَرُّوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ فَاسْكُنُوا حُفْرًا يَابِسَ مَا تَزَلُّوا (٢)
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دَفَنُوا أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ (٣)
 أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُحَجَّبَةً مِنْ دُونِهَا تَضْرِبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِئُلُ (٤)
 فَافْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَنْتَبِلُ (٥)
 قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا شَرَبُوا فَاصْبَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا (٦)
 قَالَ شَيْخُنَا (٧) قَرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِي وَأَنَا أَسْمَعُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

(١) قُلُلِ الْأَجْبَالِ : أعاليها ، ومفردو : قُلَّة ، بالضم ، وهى أعلى الرأس ، والسمام ، والجبل ، وجمع « جبل » على : أَجْبَالٍ وَجِبَالٍ وَأَجْبَلٍ .
 وغلب الرجال : أى حكم عليهم بالعلية وفهروا .

[انظر القاموس المحيط للفيروزابادى والمعجم الوسيط ، ماذنى : قتل وجبل] .

(٢) هكذا فى (ط ، وى (م) :

وَاسْتَقَرُّوا مِنْ أَعَالِ عَزٍّ مَغْفِلُهُمْ وَاسْكُنُوا حُفْرًا يَابِسَ مَا تَزَلُّوا

والمغفل : التلجأ والحصن ، جمعه : مَغْفِلٌ .. وفى عيون الأخبار : « حفرة » بدل « حُفْرًا » .

(٣) صارخ : صائح .. بعدما دُفِنُوا : بعد موتهم .. الْأَسِيرَةُ : جمع سيرة ، وهو الْمُضْطَّجِعُ أو ما يُجْلَسُ عليه .

(٤) الْكِئُلُ بكسر الكاف : جمع كِلَّة ، وهى ستر رفيق مُقْبَبٌ يَقْوَى به من اليَؤُسِ وغيره - كالناموسية - وفى رواية : « مُنْعَمَةٌ » بدل « مُحَجَّبَةٌ » .

(٥) هكذا فى (ط .. وى (م) : « فَافْصَحَ بَدَلَ فَافْصَحَ » .. وأفصح بمعنى بَيَّن وَأَوْضَحَ ، ويقال : فحَصْتُ

عن الشيء : إذا استقصيت فى البحث عنه .. وَسَاءَ لَهُمْ : ساء لهم . وفى عيون الأخبار : « تقتل » بدل « يقتل » ، وكلاهما صواب ، لأن « الدود » اسم جنس .

(٦) هكذا البيت فى (ط .. وى (م) :

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا يَوْمًا وَمَا نَعَمُوا فَاصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

وفى عيون الأخبار :

وقد طال ما أكلوا دهرًا وما نعيموا فَاصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

(٧) تفقه « الطُّرُوشَى » على يد عدد من أئمة الشافعية والحنابلة ، برغم أنه مالكي المذهب ، منهم : أبو بكر الشاسي ، وأبو سعيد بن التولى ، وأبو أحمد الجرجاني ، ولقى القاضي أبا عبد الله الدماغاني ، وسمع ببغداد من أبا محمد التميمي الحنبلي ، وغيرهم .. وأضاف ياقوت الحموى عنه أنه : صَحِبَ الْقَاضِي أبا الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، وأخذ عنه مسائل الخلاف .

وَيَحِلِّ يا أَسْمَاءُ مَا شَانِي أَضَلَّ لَيْتِي وَاللَّهِ مَا شَانِي ^(١)
 الْمَوْتُ حَقٌّ فَأَعْلَجِي نَارِلَ فَيْسُرِي لَحْدِي وَأَكْفَانِي ^(٢)
 قَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ فَلَا وَالَّذِي أَعْطَانِي الْعَيْشَ وَأَغْنَانِي
 مَاقَرَّتِ الْعَيْنُ بِهِ سَاعَةً إِلَّا تَذَكَّرْتُ فَأُشْجَانِي ^(٣)
 عَلَيَّ بِأَيِّ صَائِرٍ لِلْبَلَى وَفَاقِدَ أَهْلِي وَجِيرَانِي ^(٤)
 وَتَارِكَ مَالِي عَلَى حَالِهِ نَهْبًا لِشَيْطَانِ ابْنِ شَيْطَانِ
 لَامْرَأَةٍ إِنِّي أَوْ لَزَوْجِ ابْنَتِي يَالِكَ مِنْ غَيٍّ وَحُسْرَانٍ ^(٥)
 يَسْعُدُ فِي مَالِي وَأَشْقَى بِهِ قَوْمٌ ذَوُو غِلٍّ وَشَتَانٍ ^(٦)
 إِنْ أَحْسَنُوا كَانَ لَهُمْ أَجْرُهُ وَخَفَّ مِنْ ذَلِكَ مِيزَانِي

وَمِمَّنْ اسْتَبَصَرَ مِنْ أَتْبَاءِ الدُّنْيَا ^(٧) ، فَرَأَى عَيْبَ الدُّنْيَا وَقَنَاءَهَا ، وَتَقَضَّيْهَا وَزَوَّالَهَا
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورٍ ، مِنْ [أَتْبَاءِ الْمُلُوكِ] ^(٨) مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، مِنْ كُورَةِ بَلْخِ

= وأبو الوليد الباجي هو : سليمان بن خلف بن سعد التميمي القرطبي ، فقيه مالكي كبير ، ومن رجال الحديث ،
 ولد في « باجة » بالأندلس سنة ٤٠٣ هـ ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفي دمشق وحلب مُدَّةً ، وعاد
 إلى الأندلس ، فَوَلَّى الْقَضَاءَ في بعض أقاليمها ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ .

[انظر مقدمة الكتاب ، و « أبو بكر » الطرطوشي لجمال الدين الشيباني ص ١٨ وما بعدها .. ومعجم البلدان
 ج ٤ ص ٣٠ مادة « طرطوش » والأعلام ج ٣ ص ١٢٥ ، والمغرب في حُلَى المغرب لابن سعيد بتحقيق د . شوقي
 ضيف ج ١ ص ٤٠٤ وما بعدها ، و نفع الطَّيِّب ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها] .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ماساني » بدل « ماشاني » الأخيرة ، بمعنى ماساغني .. والشأن : الحال
 والأمر .. وَزَنَعَ : كلمة تَوَجَّعَ وَتَرَحَّم ، وقيل : هي بمعنى « وَيَّل » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « قرب لي » بدل « فَيْسُرِي » .. واللَّحْدُ : الشق يكون في جانب القبر .

(٣) قَرَّتْ : سَكَنَتْ وَأَطْمَأْنَنَتْ .. أَشْجَانِي : أُحْزِنِي .

(٤) الْبَلَى : الْفَنَاءُ .

(٥) الْغَيُّ : الانهماك في الضلال .. والحسْران : الضياع والهلاك .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « غَيْلٌ » بدل « غِلٌّ » ، والغَيْل : الشر . والغَيْلُ : الضُّعْفُ والجَفْدُ .

(٧) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أبناء الملوك » .

(٨) ما بين المحققين عن « ط » وساقط من « م » .. وإبراهيم بن أدهم كان من أبناء الملوك والمياسر ، وكان سيد
 الزهاد ، ساج في الأرض وتَتَسَكَّعَ واشتغل بالوعظ والعبادة ، جاور في مكة ثم في ديار الشام ، ومات في حملة بخريئة
 سنة ١٦١ هـ ضد البيزنطيين ، وأخباره فيها اضطراب واختلاف في نسبه ومسكنه وموتواه .

وَلَمَّا ^(١) زَهَدَ فِي الدُّنْيَا زَهَدَ عَنْ ثَمَانِينَ سَرِيرًا ^(٢) ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ ^(٣) : سَأَلْتُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ حَتَّى صِرْتَ إِلَى هَذَا ؟ قَالَ : غَيَّرَ هَذَا أَوَّلِي
 بَلَك . قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُنِي بِهِ يَوْمًا . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَقَالَ : وَيْحَكَ ،
 اسْتَغْلِ بِاللَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَالِثَةً فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - أَنْ تُخْبِرَنِي لَعَلَّ
 اللَّهَ يَرْحَمُنِي بِهِ ^(٤) فَقَالَ : كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ مِنَ الْمَيَاسِيرِ ، وَكَانَ قَدْ
 حُبَّ إِلَى الصَّبَدِ ، فَبَيْنَمَا ^(٥) أَنَا رَاكِبٌ قَرَسًا وَكَلْبِي مَعِيَ ، فَأَثَرْتُ أَرْبَابًا أَوْ تَعَلَبًا ،
 فَحَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ وَرَائِي : يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلِقْتُ ، وَلَا بِهَذَا
 أُمِرْتُ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ،
 ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، لَيْسَ لِهَذَا خُلِقْتُ ،
 وَلَا بِهَذَا أُمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ مُقَشِّعِرًا [أَنْظُرُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً ، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ
 إِبْلِيسَ ، ثُمَّ حَرَكْتُ قَرَسِي ، فَسَمِعْتُ مِنْ قَرُبُوسٍ ^(٦) سَرَجِي : يَا إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ لِهَذَا

= [انظر خبره في سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٣٨٧ - ٣٩٦ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٩٥ ، وج ٨
 ص ٥٨ - ٣ ، وطبقات الأولياء ص ٥ - ١٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٧ - ٣٨ ، وطبقات الشمراني ص ٦٩ ،
 ٧٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ط الشعب ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٦] .
 (١) الكَوْرَة : البقعة والناحية يجتمع فيها قَرَى وَمَحَالٌ .. وَتَلَخَّ : من أَشْهَرُ مُدُنِ خُرَاسَانَ وَأَجْلَهَا ، وَأَكْثَرُهَا
 خَيْرًا .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٤٧٩]

(٢) السرير : سبق التعريف به ، وهو المضطجع وما يُجْلَسُ عليه ، وقد يُعَبَّرُ بالسرير عن المُلْكِ والنعمة . وفي
 اللسان :

وَقَارَقَ وَنَهَا عِشَّةً غَيْدَوِيَّةً وَلَمْ يَخُشْ يَوْمًا أَنْ يَزُولَ سَرِيرُهَا

(٣) هو : إبراهيم بن بشار بن محمد ، أبو إسحاق الخراساني الصوفي ، خادم إبراهيم بن أدهم ، كان ينتسب إلى
 ولاد معقل بن يسار ، قَدِمَ بَغْدَادَ وَخَلَّتْ بِهَا .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٧ ، ٤٨] .

(٤) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « يَنْفَعُنِي » .

(٥) في (ط) : « فَبَيْنَا » .

(٦) الْقَرُبُوسُ : جَنُو السَّرَجِ ، وَهُمَا قَرُبُوسَانِ ، مَقْدَمُ السَّرَجِ وَمُؤَخَّرُهُ ، وَيُقَالُ لِهَما : جَنَوَاهُ ، وَالْجَمْعُ :
 قَرَابِيسٌ .. وَالْجَنُو : كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ اعْوِجَاجٌ .

خَلِفْتُ ، وَلَإِلهَذَا أُمِرْتُ ، فَوَقَفْتُ [(١) وَقُلْتُ : هَيْهَاتَ ، جَاعَنِي التَّذِيرُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَاللَّهِ لَا عَصِيَّةَ رَبِّي ، مَا عَصَمَنِي بَعْدَ يَوْمِي هَذَا ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَخَلَفْتُ فَرَسِي ، وَجِئْتُ إِلَى بَعْضِ رِعَاةِ أَبِي ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ وَكِسَاءَهُ (٢) ، وَالْقَيْثُ إِلَيْهِ نِيَابِي ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْضُ ثِقَلِي وَأَرْضُ تَضْعِي ، حَتَّى ، صِرْتُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ عَنِ الْحَلَالِ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ .

قَالَ : فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : [الْمَنْصُورِيَّةُ وَهِيَ] الْمَصِيصَةُ (٣) ، فَعَمِلْتُ بِهَا أَيَّامًا ، فَلَمْ يَصْنَفْ لِي شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْمَشَايِخِ ، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ الْحَلَالَ فَعَلَيْكَ بِطَرَسُوسَ (٤) ، فَإِنَّ الْمُبَاحَاتِ بِهَا ، وَالْعَمَلُ كَثِيرٌ . قَالَ : فَبَيَّنَّا أَنَّا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ الْبَحْرِ ، إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَأَكْتَرَانِي (٥) أَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا ، فَتَوَجَّهْتُ مَعَهُ ، فَكُنْتُ فِي الْبُسْتَانِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، فَإِذَا أَنَا بِخَادِمٍ قَدْ أَطَّلَ (٦) وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْبُسْتَانَ لِخَادِمٍ مَانِظَرَتُهُ (٧) ، فَقَعَدْتُ فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا نَاطُورُ ، فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ :

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « جُبَّةٌ وَكِسَاءٌ » .. وفي طبقات الصوفية : « فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم ، فَأَخَذْتُ جُبَّتَهُ الصَّوْفَ فَلَبِسْتُهَا ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » وهو مطابق لما وَرَدَ في معجم البلدان ، وفي المعارف لابن قتيبة ، وغيرها .. وفي « م » : « الْمَصِيصِيَّةُ » ولعلها تحريف من الناسخ ، أو نسبة إلى « الْمَصِيصَةِ » وهي قرية من قرى دمشق ، قرب بيت « لها » . ويطلق أيضاً على مدينة أخرى على شاطئ « جيحان » من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، بالقرب من « طَرَسُوس » .

[انظر معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، والمعارف ص ٥١٤] .

(٤) طَرَسُوسُ : بفتح أوله وثانيه ، كلمة أعجمية رومية ، وهي مدينة بثلغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وكانت موطناً للزُّهَّاد والصالحين ، يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ، وخرج منها جماعة من أهل الفضل يُسَمُّونَ إليها ، منهم الحافظ محمد بن عيسى بن يزيد الطَرَسُوسِيّ وغيره .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨ ، ٢٩]

(٥) في « م » : « أَكْتَرَانِي ، أَيْ : اسْتَخَرَنِي ، وَأَنْظُرَ لَهُ بُسْتَانًا : أَيْ أَحْفَظْهُ وَأَرعَاهُ .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أَظَّلَ » أَيْ : دَنَا أَوْ غَشِيْنَا وَأَطَّلَ : اُتَّشَرَفَ .

(٧) في « م » : « مَانِظَرَتُهُ » وكلاهما بمعنى واحد ، أَيْ : مَأْمَنُ عَلَى حِرَاسَتِهِ وَتَعَهُيدِهِ .

اذْهَبَ ^(١) فَأَتَانَا بِأَكْبَرِ رُثْمَانٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَأَطْيَبِهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِرُثْمَانٍ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ رُثْمَانَهُ فَكَسَرَهَا ، فَوَجَدَهَا حَامِضَةً ، فَقَالَ : يَا نَاطُورُ [ماهذا ؟] ^(٢) أَنْتَ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا فِي بُسْتَانِنَا تَأْكُلُ مِنْ فَاكِهِتِنَا [وَرُثْمَانِنَا] لَا تَعْرِفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ ؟ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَكَلْتُ مِنْ فَاكِهِتِكُمْ شَيْئًا ، وَمَا أَغْرَفُ الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ . قَالَ : فَعَمَرَ الْخَادِمُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ ثُمَّ قَالَ لِي : لَوْ كُنْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمَ مَا رَأَى عَلَى هَذَا .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعِدِّ حَدَّثَ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِالصِّفَةِ ، فَجَاءَ النَّاسُ عُنْفًا ^(٣) إِلَى الْبُسْتَانِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثْرَةَ النَّاسِ اخْتَبَأْتُ ^(٤) وَالنَّاسُ دَاخِلُونَ ، وَأَنَا هَارِبٌ مِنْهُمْ .

وَكَانَ لِإِبْرَاهِيمَ بَنٍ أَذْهَمٌ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، مِثْلَ الْحَصَادِ ، وَحَفِظَ الْبُسَاتَيْنِ ، وَالْعَمَلَ فِي الطَّيْنِ ، وَكَانَ يَوْمًا يَحْفَظُ كَرَمًا ^(٥) ، فَمَرَّ بِهِ جُنْدِيٌّ فَقَالَ : أَعْطِنَا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ ، فَقَالَ : مَا أَمَرَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِالسَّوِطِ ، فَطَاطَأَ رَأْسَهُ وَقَالَ : اضْرِبْ رَأْسًا طَالَمَا عَصَى اللَّهَ ، فَأَنْحَجَزَ الرَّجُلُ وَمَضَى .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : صَحِبْتُ إِبْرَاهِيمَ بَنَ أَذْهَمَ فَمَرَضْتُ ، فَأَتَفَقَ عَلَى نَفَقَتِهِ ، فَاشْتَهَيْتُ شَهْوَةً ، فَبَاعَ حِمَارَهُ وَأَتَفَقَ [ثَمَنَهُ] ^(٦) عَلَى ، فَلَمَّا تَمَآثَلْتُ قُلْتُ : يَا إِبْرَاهِيمَ ، أَيْنَ الْحِمَارُ ؟ فَقَالَ : بَعْنَاهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : فَعَلَّامُ أَرْكَبُ ؟ قَالَ : يَا ابْنِي عَلَى عُنُقِي . قَالَ : فَحَمَلَنِي ثَلَاثَ مَنَازِلَ ^(٨) رَحِمَهُ اللَّهُ . وَأَشْدُّوا شِعْرًا :

(١) في « ط » : « فاذْهَب » . والناطور : حافظ البستان وحارسه

(٢) مابين المقوفين عن « ط » وسائط من « م » في الموضعين .

(٣) عُنْفًا : جماعات .

(٤) في « ط » : اخْتَفَيْتُ .

(٥) الْكَرْمُ : العنب .

(٦) مابين المقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « قَالَ : بَعْنَاهُ ، قُلْتُ » .

(٨) الْمَنْزِلُ وَالْمَنْزِلَةُ : موضع النزول .

أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّ دُيَّاكَ بَحْرٌ طَافِحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَأْمَنْتَهَا ^(١)
وَسَيْلُ النُّجَاةِ فِيهَا مُيِّنٌ وَهُوَ أَخَذَ الْكَفَافَ وَالْقَوْتَ مِنْهَا ^(٢)

وَيَلْعَنِي أَنْ بِالْهِنْدِ يَوْمًا يَخْرُجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، فَلَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ بَشَرٌ مِنْ طِينٍ ،
لَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ صَغِيرٌ ، وَهَذَا الْيَوْمُ يَكُونُ بَعْدَ انْقِرَاضِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ مِثْلِهِ ،
فَإِذَا اجْتَمَعَ الْخَلْقُ ^(٣) فِي صَعِيدٍ وَاجِدٍ ، نَادَى مُنَادِي الْمَلِكِ : لَا يَصْعَدَنَّ هَذَا الْحَجَرُ
- الْحَجَرُ هُنَاكَ مَنْصُوبٌ - إِلَّا مَنْ حَضَرَ فِي الْمَجْمَعِ الْأَوَّلِ ، الَّذِي قَدْ خَلَا مِنْ مِائَةِ
سَنَةٍ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الشَّيْخُ الْهَرَمُ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ قُوَّتُهُ ، وَعَمِيَ بَصَرُهُ ، وَفَنِيَ شَبَابُهُ ،
وَنَجَّى الْعَجُوزُ تَرْخُفَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رَسْمُهَا ، وَقَدْ أَخْنَى الدَّهْرُ ^(٤) عَلَيْهَا ، فَيَصْعَدَانِ
عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي هُنَاكَ . وَيَقُولُ الشَّيْخُ [الْفَانِي] ^(٥) : حَضَرْتُ الْمَجْمَعِ الْأَوَّلَ مُنْذُ
مِائَةِ سَنَةٍ وَأَنَا طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَكَانَ الْمَلِكُ فَلَانًا ... وَيَصِفُ الْجَبُوشَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْأُمَمَ
الْحَالِيَةَ ^(٦) ، وَكَيْفَ طَحَنَهُمُ الْيَلَى ، وَصَارُوا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى ، وَيَقُومُ خَطِيبُهُمْ فَيَعِظُ
النَّاسَ ، وَيَذَكِّرُهُمْ صَرْعَةَ الْمَوْتِ ، وَخَسْرَةَ الْقَوْتِ ^(٧) ، فَيَبْكِي الْقَوْمُ وَيَتَوَبُّونَ مِنَ
الْمَظَالِمِ ، وَيُكْثِرُونَ الصَّدَقَاتِ ، وَيَخْرُجُونَ عَنِ التَّبَعَاتِ ^(٨) ، وَيُصْلِحُونَ عَلَى ذَلِكَ
مُدَّةً ^(٩) .

(١) يُقَالُ : طَفَحَ الْإِنَاءُ أَوْ النُّهْرُ ، أَيْ : امْتَلَأَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَوَانِهِ ، وَطَافَحَ مَوْجُهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَرْتَفِعٌ .. وَفِي
« م » : « طَافِحٌ » ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا أَيْضًا . يُقَالُ : طَفَحَ الْمَاءُ وَغَوَى ، أَيْ : ارْتَفَعَ . فَلَا تَأْمَنْتَهَا : أَيْ الدُّنْيَا .
(٢) فِي « م » : « مَتَرٌ » بِدَلِّ « مِيْن » ، وَكِلَاهُمَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْوُضُوحِ وَالْإِبَانَةِ .. وَالْكَفَافُ : مَا كَانَ عَلَى
مِقْدَارِ الْحَاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْخَلَائِقُ » .. وَالصَّعِيدُ : وَجْهُ الْأَرْضِ وَمَا ارْتَفَعَ مِنْهَا .
(٤) أَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ : طَالَ عَلَيْهِ وَأَفْسَدَهُ .. وَفِي « م » .. أَخْنَى ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : جَعَلَهُ مَوْجِعَ الظَّهْرِ ، أَوْ
مُتَحَيِّيًا كَالْقَوْسِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْقَرَفَيْنِ عَنْ « م » ، وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(٦) الْأُمَمُ الْحَالِيَةُ : أَيْ الَّتِي بَادَتْ وَفَنِيَتْ .

(٧) الْقَوْتُ : مَا تَضَى وَتَهْتَمُّ وَلَمْ يَفْعَلْ .

(٨) التَّبَعَاتُ ، مُفْرَدُهَا تَبِيعَةٌ ، بِمَعْنَى : ظُلَامَةٌ ، وَتُطْلَقُ عَلَى مَا يَطْلُبُهُ الْمَظْلُومُ ، وَهِيَ اسْمُ مَا أُجِذَّ مِنْهُ ظُلْمًا .

(٩) أَيْ : يَأْتُونَ بِمَا هُوَ نَافِعٌ وَصَالِحٌ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنِيَّةٍ ^(١) : صَحِبَ رَجُلٌ بَعْضَ الرُّهْبَانِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئًا ، فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا ^(٢) عَنْهُ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَالْفِكْرَ لَا يَفْتُرُ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ عَلِمْتُ مَا تَرِيدُ : حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَالتَّوْفِيقُ تَاجُ كُلِّ خَيْرٍ ^(٣) ، فَاحْذَرِ رَأْسَ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَارْغَبْ [إِلَى رَبِّكَ] ^(٤) فِي رَأْسِ كُلِّ خَيْرٍ ، وَتَضَرَّعْ إِلَى رَبِّكَ [فِي] أَنْ يَهَبَ لَكَ ^(٥) تَاجَ كُلِّ خَيْرٍ . قَالَ : فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ جَدِّي ^(٦) رَجُلًا مِنَ الْحُكَمَاءِ ، قَدْ شَبَّهَ الدُّنْيَا بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ : فَشَبَّهَهَا بِالمَاءِ الْمَالِحِ ، يَغُرُّ وَلَا يَرَوِي ، وَيَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، [وَالبَرَقِ الخُلْبِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ] ^(٧) وَبِالسَّحَابِ الصَّيْفِ ، يَغُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَبِظُلِّ الْعَمَامِ يَغُرُّ وَيُخْذِلُ ، وَبِزَهْرِ الرَّبِيعِ يَنْضُرُّ ثُمَّ يَصْفُرُّ [لَوْنُهُ] ^(٨) فَتَرَاهُ هَشِيمًا ، وَبِأَحْلَامِ النَّائِمِ ، يَرَى السُّرُورَ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ إِلَّا الْحَسْرَةُ ، وَبِالعَسَلِ الْمَشُوبِ بِالسُّمِّ الدُّعَافِ ^(٩) يَغُرُّ وَيَقْتُلُ ..

(١) سبق التعريف به .. والأنسب للسياق هنا أن يُقال : « أحد الرُّهبان » بدل « بعض الرهبان » .

(٢) هكذا في « ط » بالنصب ، وهو الصواب - مفعول « وجد » - وفي « م » : مشغول وهو خطأ .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « رأس » بدل « تاج » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » في الموضعين .

(٥) هكذا في « ط » وهو الأنسب .. وفي « م » : « يبيك » . والفعل « وهب » يتعدى باللام ، قال تعالى : ﴿ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴾ وقال بعض اللغويين : لا يتعدى إلى الأول بنفسه ، فلا يقال : « وَهَبْتُكَ » مالا .. والفقهاء يقولونه ، وقد يُجعل له وَجَعٌ ، وهو أن يَضْمَنَ « وَهَبَ » معنى « جعل » وهذا غير دقيق ومردود عليه في الحاشية .

[انظر المصباح - مادة « وهب » بتحقيق د . عبد العظيم الشناوي ط دار المعارف] .

(٦) هكذا في « ط » ، وهو الصواب .. وفي « م » : « كان أُنَى رجل » - هكذا - من الحكماء . فأُنَى بأنى بدل جَدِّي ، سهواً منه ، وستأتى بعد ذلك كلمة « جَدِّي » .. وجاءت كلمة « رجل » بالرفع ، وهو خطأ والصواب بالنصب (خير كان) .

(٧) يَغُرُّ ، بالسُّمِّ : يخدع ، يقال : غَرَّه : خدعه وأطمعه بالباطل .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٩) الدُّعَافُ والرُّعَافُ (بالذال والراءى) : السريع : والسُّمُّ الدُّعَافُ : الذي يقتل لساعته .

فَقَدَّرْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ السَّبْعَةَ سَبْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ زِدْتُ حَرْفًا وَاحِدًا ، فَشَبَّهْتُهَا بِالْعَوْلِ
الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَتْرَكَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَرَأَيْتُ جَدِّي فِي الْمَتَامِ ، فَقَالَ ^(١) :
يَابُنْتِي ، أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ ، هِيَ وَاللَّهِ الْعَوْلُ الَّتِي تُهْلِكُ مَنْ أَجَابَهَا ، وَتَتْرَكَ مَنْ
أَعْرَضَ عَنْهَا . قُلْتُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ : بِالْيَقِينِ ، وَالْيَقِينُ بِالْبَصَرِ ،
وَالْبَصَرُ ^(٢) بِالْعَيْنِ ، وَالْعَيْنُ بِالْفِكْرِ ، ثُمَّ وَقَفَ الرَّاهِبُ وَقَالَ : تُحْذَرُ مِنِّي ^(٣) فَلَا أَرَاكَ
خَلْفِي إِلَّا مُتَجَرِّدًا بِفِعْلٍ دُونَ قَوْلٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

قُلْتُ : وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِصِفَةٍ أَعَمَّ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ :
﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٤) . وَالْكُفَّارَ هَاهُنَا : الزُّرَّاعُ ، فَكَمَا ^(٥) أَنَّ الزُّرْعَ يَكُونُ فِي
أَوَّلِ تَبَاتِهِ أَخْضَرَ ^(٦) نَاعِمًا ، اهْتَرَّتِ الْأَرْضُ بِهِ بَعْدَ تَيْسِيهَا ، فَجَاءَتْ فِي الْعُيُونِ
كَأَمْلَجٍ ^(٧) مَا يَكُونُ ، ثُمَّ يَهِيْجُ قَرَارُهُ مُصْفَرًا ، أَيْ : يَكْبُرُ وَيَسْتَوِي فَيَجِفُّ وَيَحْتَرِقُ ،
وَيَتَكَسَّرُ ^(٨) أَغْلَاهُ وَيَسْتَقِلُّ سَبْلُهُ ^(٩) ثُمَّ يُدْرَسُ ^(١٠) فَيَكُونُ حُطَامًا ، أَيْ : تَيْنًا مُتَكَسِّرًا

(١) في ط : : وقال .

(٢) هكذا في م .. وفي ط : : « بالبر ، والبر » . لعلها خطأ مطبعي .

(٣) في ط : : يئاً .

(٤) سورة الحديد - الآية ٢٠ . وفي م : سقطت كلمة « الدنيا » من الآية سهواً من الناسخ .

(٥) في ط : : كما .

(٦) في م : : خضيراً .

(٧) هكذا في ط .. وفي م : : « كأخسن » وهي بمعناها .

(٨) هكذا في ط .. وفي م : : « ويتكسر » أي : يضعف وينحني إلى أسفل .

(٩) هكذا في م .. وفي ط : : « يستقل سبله » أي يرتفع ويعلو ، يقال : استقل الطائر في

طوره : واستقل النبات ، واستقلت الشمس .. الخ

[انظر المعجم الوسيط مادة « قل » وغیره من المعاجم العربية]

(١٠) هكذا في م .. وفي ط : : « يُداس » وهي بمعناها ، يقال : داس فلان الزرع ، أو الحصيد ،

أي : قَرَسَهُ لِيُخْرِجَ الْحَبَّ مِنْهُ .

مَقْتَعًا ، وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) لَيْتَنِي آدَمَ ، إِذْ كَانُوا أَطْفَالًا أَوَّلَ الْوِلَادَةِ ، وَفِي حَالِ الطُّفُولَةِ كَأَحْسَنِ مَرَأَى ، يُعْجِبُونَ الْآبَاءَ ، وَيَفْتِنُونَ ذَوِي الْأَحْلَامِ ^(٢) وَالنَّهْيَ ، ثُمَّ يَكْبُرُونَ فَيَصِيرُونَ شَبُوحًا مُنْكَسَةً رُءُوسُهُمْ ، مُقَوَّسَةً ظُهُورُهُمْ ، قَدْ ذَهَبَ حُسْنُهُمْ وَنُعُومَتُهُمْ ، وَفَتَنَى شَبَابُهُمْ وَجَمَالُهُمْ ، وَذَوَتْ غَضَارَتُهُمْ وَنَضَارَتُهُمْ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الْهَرَمُ وَالشَّيْبُ ^(٣) ، ثُمَّ يَمُوتُونَ فَيَصِيرُونَ حُطَامًا فِي الْقُبُورِ كَالْتَيْنِ فِي الْحَرِيرِ ^(٤) ، هَذَا بَعْدَ مَا وَصَفَهَا بِخَمْسِ صِفَاتٍ مَذْمُومَةٍ : لَعِبَ ، وَلَهِيَ ، وَزِينَةَ ، وَتَفَاخُرَ ، وَتَكَاثُرَ . وَكَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يُسَمَّى الدُّلْيَا (خِنْزِيرَةٌ) وَلَوْ وَجَدُوا [لَهَا] ^(٥) اسْمًا أَقْبَحَ مِنْهُ لَسَمَوْهَا بِهِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا (أُمُّ دَفْرِ) ^(٦) ، الدَّفْرُ : التُّنُّ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٧) : بَلَغَنِي أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَكِبَ يَوْمًا فِي زَيْ عَظِيمٍ ، فَتَشَرَّفَ ^(٨) لَهُ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَفْوَاجًا ، حَتَّى مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ شَيْئًا مُكِبًّا عَلَيْهِ لَمْ يَلْفِثْ ^(٩) إِلَيْهِ ، وَلَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، فَوَقَّفَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَقَالَ : كُلُّ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ

(١) مابن المعقوفين عن م . .

(٢) هكذا في ط . . وذوى الأرحام والنهى : أصحاب العقول .. وفي م . : ذوى الأرحام ، أى : الأقارب .

(٣) هكذا في ط . . وفي م . : واليتس ، أى : الجفاف ، وهو ضد الطراوة والرطوبة ، يقال : رجل وامرأة ييس : لآخر فيما .. وفوت غضارهم ونضارهم ، أى : ذهب حُسْنُهُمْ وَجَمَالُهُمْ وإشراق لُؤْنِهِمْ .

(٤) الخرين : الجرن ، وهو الموضع الذى لئداس فيه الحبوب وتَجَفَّفَ فيه الثَّار .. وفي ط . : الحريق ، بدل الجرين .

(٥) مابن المعقوفين عن م . . وساقط من ط . . . ويعنى بالصدر الأول : أباينا الأولين .

(٦) ومنه يقال : دَفَرَ الشَّيْءُ ، أى تحيَّث راحته ، ودَفَرَ الطعام واللحم : تَوَلَّدَ الْبُذُؤُ فِيهِ .

(٧) هو : مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الجهمي ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تُنسب المالكية . وُلِدَ سنة ٩٣ هـ بالمدينة ، وتوفى بها سنة ١٧٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٣٥ - ١٣٩ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣١٦ - ٣٥٦ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٣ ، ٥٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٩٨ ، ٤٩٩] .

(٨) تشرف الناس ، أى : نظروا إليه من الشرفات والأماكن العالية ، أو رفعوا أبصارهم ينظرون إليه .

(٩) هكذا في ط . . وفي م . : لم يختلف نحوه ، أى : أغرض عنه ولم ينظر إليه .

إِلَّا أَنْتَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي رَأَيْتُ مَلِكًا مِثْلَكَ ، وَكَانَ عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَمَاتَ هُوَ وَمِسْكِينٌ ، فَدَفِنَ إِلَى جَنْبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُهُمَا فِي الدُّنْيَا بِأَجْسَادِهِمَا ، ثُمَّ كُنَّا نَعْرِفُهُمَا بِقَبْرَيْهِمَا ، ثُمَّ نَسَفَتِ الرِّيحُ قَبْرَيْهِمَا ، وَكَشَفَتْ عَنْهُمَا فَاحْتَلَطَتْ عِظَامُهُمَا ، فَلَمْ أَعْرِفِ الْمَلِكَ مِنَ الْمِسْكِينِ ، فَلِذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى عَمَلِي ، وَتَرَكْتُ النَّظَرَ إِلَيْكَ .

وَرَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيحُ فِي الْجِبَالِ ، إِذْ وَافَى عَلَى غَارٍ ، [فَتَنَّرَ] ^(١) فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَلْقِ ^(٢) مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَإِذَا عِنْدَ رَأْسِهِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ بِكِتَابٍ مَخْفُورٍ فِيهِ : أَنَا رُسْتُمُ الْمَلِكُ ، مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ ، وَفَتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَافْتَرَعْتُ ^(٣) أَلْفَ بَكْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ صِرْتُ إِلَى مَاتَرَى ، فَصَارَ التُّرَابُ فِرَاشِي ، وَالْحِجَارَةُ إِسَادِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا تَعْرِهُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّبَنِي .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ : خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ مَرُّوا بِزُرْعٍ قَدْ أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ^(٥) فَقَالُوا : يَا بَنِي اللَّهِ ، إِنَّا جِيَاعٌ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ ائْذَنْ لَهُمْ فِي قُوتِهِمْ ^(٦) ، فَأِذَنْ لَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي الزُّرْعِ يَفْرَكُونَ ^(٧) وَيَأْكُلُونَ ، فَبَيَّنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ صَاحِبُ الزُّرْعِ وَهُوَ يَقُولُ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي ، يَا ذَنِي مَنْ تَأْكُلُونَ يَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : فَدَعَا عِيسَى رَبَّهُ فَبَعَثَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٨) جَمِيعَ مَنْ مَلَكَ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى سَاعَتِهِ ، فَإِذَا عِنْدَ كُلِّ سَبِيلَةٍ - مَا شَاءَ اللَّهُ ^(٩) رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ ، كُلُّهُمْ يَنَادُونَ : زَرْعِي وَأَرْضِي ، وَرِثَتُهُ عَنْ

(١) مابين المعرفتين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهُوَ خَلْقٌ عَظِيمٌ ، وَالْخَلْقُ : الْخَلْقُ .

(٣) فَرَعَ الْبَكْرُ : فَضَّ بَكَارَتِهَا .. وَالْأَلْفُ فِي قَوْلِهِ : مَلَكَتُ أَلْفَ عَامٍ .. كِتَابَةٌ عَنِ الْكُفْرَةِ لِأَعْلَى الْحَقِيقَةِ

(٤) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٥) أُمْكِنَ مِنَ الْفَرَكِ ، أَيْ : تَفْضِيجُ .

(٦) فِي « ط » : أَقْوَانِهِمْ .

(٧) يَفْرَكُونَ الزُّرْعَ : يَحْلُوْنَهُ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى يَزِيلُوا مَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَشْرِ أَوْ مَا عُلِقَ بِهِ .

(٨) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٩) فِي « ط » : أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

آبَائِي .. فَفَرَعَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرُ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، فَلَمَّا عَرَفَهُ قَالَ : مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمْ أَغْرِفَكَ ، زَرَعِي وَمَالِي لَكَ حَلَالٌ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قَدْ وَرِثُوا هَذِهِ الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ^(٢) ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، وَأَلْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهَا ، وَبِهِمْ لَاحِقٌ ، [وَيْحَكَ] ^(٣) لَيْسَ لَكَ أَرْضٌ وَلَا مَالٌ . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَعَظَمْتَ أَجْدَاثَ صُمْتُ وَنَعَسْتَ أَزْمِنَةَ خُفْتُ ^(٤)
وَتَكَلَّمْتَ عَنْ أَوْجِهٍ ثَبَلَى وَعَنْ صَوْرِ مَبْتُ ^(٥)
وَأَرْنَكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ وَأَنْتَ حَتَّى لَمْ تَمْتُ ^(٦)
يَا شَامِتًا بِمَنِيَّتِي إِنْ أَلْمِيَّةَ لَمْ تَفُتْ ^(٧)
وَلَرَّيْنَا أَنْفَلَبَ الزَّمَا نَ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الشُّمْتُ ^(٨)

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ^(٩) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَأَى فَاطِمَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ

(١) مابن المقوفين عن (ط) .

(٢) عَمَرُ الْأَرْضِ وَعَمَرُهَا : جَعَلَهَا مَعْمُورَةً .

(٣) مابن المقوفين عن (م) ، وساقط من (ط) .. وَوَيْحٌ : كَلِمَةٌ تَوَجَّعَ وَتَرَحَّمُ . وقيل : هِيَ بِمَعْنَى (وِيلٌ) وَقَدْ مَرَّتْ .

(٤) أَجْدَاثُ صُمْتُ : أَيْ قُبُورٌ صَامِتَةٌ ، مَفْرُودَةٌ : جَدَّتْ . وَالثَّبَلَى : إِذَاعَةُ خَبَرِ مَوْتِ الْمَيِّتِ .. وَأَزْمِنَةُ خُفْتُ : أَيْ خَفِيَّتُهُ لَا تَسْمَعُ لَهَا صَوْتًا .

(٥) ثَبَلَى : تَفَتَّى . وَسَبَّ : سَاكَنَ . وَفِي (م) : « سَكُنْتُ » أَيْ : صَامِتَةٌ مُنْقَطِعَةٌ عَنِ الْكَلَامِ . وَفِي الدِّيَوَانِ : « شُتَّتْ » أَيْ : مُتَفَرِّقَةٌ .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : « فِي الْحَيَاةِ » بَدَلُ « فِي الْقُبُورِ » .

(٧) الثَّمَنِيَّةُ : الْمَوْتُ . وَالشَّامِتُ : الَّذِي يَفْرَحُ بِمَا أَصَابَ غَدُوَّهُ مِنْ بَلَاءٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، وَالْإِسْمُ مِنْهُ : الشَّمَاتُ .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي (م) .. وَفِي (ط) : « الشَّمَاتُ » بَدَلُ « الزَّمَانُ » وَالشَّمَاتُ : مَنْ يُشْمَتُ بِهِمْ لِخِيَّتِهِ أَوْ بِلَيْتِهِ (لَا وَاحِدَ لَهُ) .

(٩) هُوَ : عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ الْمَهَاجِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ وَصَهْرُهُ ، وَأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا بَعْدَ خَلِيفَةٍ ، وَلَدَ بِمَكَّةَ ، وَرُفِيَ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ يَفَارِقْهُ ، وَكَانَ اللَّوَاءُ بِيَدِهِ فِي أَكْثَرِ الْمَشَاهِدِ ، وَبَطْلَانًا مُقَدِّمًا فِي جَمِيعِ الْمَعَارِكِ ، وَلَمَّا آخَى النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ أَصْحَابِهِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ أَخِي .. وَلَدَ سَنَةَ ٢٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عِثَانَ =

عنها ، مُسَجَّاةً بِثَوْبَيْهَا ، بَكَى حَتَّى رَأَى ^(١) لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى عِلَّلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلٌ ^(٢)
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ ^(٣)
وَإِنَّ اقْتِنَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدْرِمَ خَلِيلٌ ^(٤)

[وَقَالَ ^(٥) :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ الَّذِي لَيْسَ ثَارِكِي أُرْحِنِي فَقَدْ أَقْنَيْتُ كُلَّ خَلِيلٍ
أَرَاكَ بَصِيرًا بِالَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَلِيلٍ

= ابن عفان ، رضى الله عنه ، سنة ٣٥ هـ . وقام بعض أكابر الصحابة يطلبون القبض على قتلة عثمان وقتلهم ، ووثقوا على الفتنة ، ففرضت عائشة ، وقام معها جمع كبير ، في مقدمتهم طلحة والزبير ، وقتلوا عليا ، فكانت وقعة الجمل ، سنة ٣٦ هـ وظفر علي بعد أن بلغت قتلى الفريقين عشرة آلاف .. ثم كانت وقعة « صفين » سنة ٣٧ هـ ضد معاوية بعد أن عزله علي عن ولاية الشام ، وقتل فيها من الفريقين سبعون ألفا ، وانتهت بالتحكيم ، وخلع علي .. قتل - كرم الله وجهه - غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ ، واختلف في مكان قبره ، فقيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل بنجف الحيرة ، وقيل غير ذلك .

أما غاطمة ، فهي : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد ، ولدت في السنة الثامنة عشرة قبل الهجرة ، وتزوجها علي بن أبي طالب وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر ، وتوفيت - رضى الله عنها - سنة ١١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وج ٥ ص ١٣٢ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦١ - ٨٧ وج ٢ ص ٣٩ - ٤٣] .

(١) مُسَجَّاةً : مُعْطَاة . وَرَفَى لَهُ ، أى : تعاطف معه الناس ورفقوا له .

(٢) هكذا ترتيب الآيات الثلاثة في « م » ، وكذا في ديوان الإمام « علي » الذي جمعه عبد العزيز الكرم على الرواية الصحيحة ، وديوانه الذي حققه د . خفاجي .. وفي « ط » جاء البيت الثاني مكان الأول . أما في العقد الفريد ، فقد ورد البيتان ، الثاني والثالث فقط ، وكذلك في أعلام النساء .

[انظر العقد الفريد ج ٣ ص ١٩٨ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٣١ ، وديوان الإمام علي ، لعبد العزيز الكرم ص ٩٩ ، وديوانه بتحقيق د . عبد المنعم خفاجي ص ٢٤٣] .

(٣) هكذا في « م » وفي « ط » .. وفي الديوان ، والعقد الفريد ، وأعلام النساء : « وكل الذي » .

(٤) هكذا في « م » ، و« ط » ، والمصادر السابقة .. وفي حاشية « م » أن الشطر الأولى وردت في نسخة : « وإن افتقادی فاطمة بنت أحمد » وأحمد : اسم من أسماء الرسول ، صلى الله عليه وسلم . والحليل : الصديق والصاحب .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وجاءت الآيات الخمسة في « م » متصلة .. وفي الديوان ، وغيره من المصادر ، أن هذين البيتين الأخيرين قالهما - رضى الله عنه - بعد شهادة « عمار بن ياسر » .

وَلَمَّا نَفَضَ يَدَيْهِ مِنْ تَرَابِهَا تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ بَغْضٍ يَبْئِي ضَبَّةً ^(١) :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ دُمُوعِي حَسْرَةً أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ ^(٢)

أَجْلَايَ ! لَوْ غَيْرَ الْجَمَامِ أَصَابَكُمْ عَنَبْتُ ، وَلَكِنْ مَاعَلَى الْمَوْتِ مَعَتَبُ ^(٣)
وَقَالَ الْعَتَابِيُّ ^(٤) :

قُلْتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ وَاللَّيْلُ مُلْقِي سُوْدَ أَكْتَنَافِهِ عَلَى الْآفَاقِ ^(٥)

(١) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « أُمِيَّة » بدل « ضَبَّة » ، وهو خطأ .. والشاعر الذي قال هذين البيتين هو : العَطْمَشُ بنُ غَمْرٍو بنِ عطية من بني شَقْرَةَ بنِ كعب ، من ضَبَّة ، وهو من شعراء الحماسة الشجرية ، وفي شعره رقة . والعَطْمَشُ يُطْلَقُ عَلَى الظَّالِمِ والجائر ، وعلى كليل البصر وقد ورد في اللسان - ط دار المعارف - ضبط شَقْرَةَ بضم الشين وسكون القاف ، ويفتح الشين وكسر القاف .. وفي ط بيروت - وفي معجم قبائل العرب هكذا أيضاً في جميع صورها .. وَخَالَفْتُ هذا الضبط هنا حيث ورد في الإكمال - لابن مأكولا - أن « شَقْرَةَ » بضم الشين وسكون القاف ، هو شَقْرَةُ بنِ نكرة بن لَكِيْزَ بنِ أَفْصَى (وهو غير شاعرنا) أما « شَقْرَةَ » بفتح الشين وكسر القاف ، فهو : شَقْرَةُ بنِ الحارث بن تميم بن مُرٍّ ، وأما « شَقْرَةَ » بفتح الشين أيضاً وسكون القاف ، فهو : شَقْرَةُ بنِ نبت بن أدد .. وشَقْرَةُ بنِ ربيعة بن كعب من سعد بن ضَبَّة .

[انظر لسان العرب ، مادة « عنب » ط دار المعارف ، والإكمال (باب شقرة) بصورها الثلاث ج ٥ ص ٧٨ ، ومعجم قبائل العرب ج ٢ ص ٦٠١ ، والأعلام ج ٥ ص ١٢٠] .

(٢) البيت في لسان العرب :

أَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ يَبْيِئِي غَبْرَةً أَرَى الدُّغْرَ يَبْقَى وَالْأَجْلَاءَ تَذْهَبُ
وَالْأَجْلَاءُ : جمع خليل ، وهو الصديق ، وقد سبقت ، وفاضت دموعي : بكيت .

(٣) أَجْلَايَ : أصلها أَجْلَاءُ ، وجاءت هنا بالقَصْرِ للضرورة ، ليشبهاً بالإضافة . أَيْ : يَا أَصْدِقَائِي وَالْجَمَامُ : قضاء الموت وقدره . وَعَنَبْتُ هنا بمعنى سَخِطْتُ أَيْ : لَوْ أَصِيتُمْ فِي حَرْبٍ لَأَفْرَحْنَا بِأَرْحَمٍ وَانْتَصَرْنَا لَكُمْ ، وَلَكِنْ الدُّغْرَ لَا يَنْتَصِرُ مِنْهُ .

[انظر اللسان مادة « عنب »]

(٤) هو : كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، شاعر مُجِيد ، وخطيب بليغ ، وهو من أهل يَسْرِينَ بالشام ، ويتصل نسبه بعمرو بن كلثوم (الشاعر) .. قدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء والأشراف ، وله رسائل مُسْتَحْسَنَةٌ ، وكان يجنب غشيان السلطان قاعة وتنزهاً ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد . وشغف بالعزلة والاعتزال ، وبالأدب الفارسية ، وله من الكتب : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الألفاظ ، وغيرها . توفي سنة ٢٢٠ هـ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٢١ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٦٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٢١ ، وطبقات الشعراء ص ٢٦١ - ٢٦٣ ، ومعجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦ - ٣١ ، والأغاني ج ١٣ ص ٤٦٢١ - ٤٦٣٧ ط الشعب ، وقرأ ما كتبه عنه د . شوقي ضيف في موسوعة تاريخ الأدب العربي ج ٣ ص ٤١٩ وما بعدها ط دار المعارف] .

(٥) في (م) : « قُل » بدل « قُلْتُ » .. وَالْفَرْقَدَانِ : نُجُتَانِ في السماء لا يُفَرِّقَانِ ، والمراد هنا : الصاحبان =

أَبْقَا مَا بَقِيَْتَا فَسَيَّرَمِي بَيْنَ شَخْصِيْكَمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ
عَرَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَمُوتَ الْمَنَايَا وَغَرَاهَا فَلَا جِدَّ الْأَعْتَاقِ (١)
كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتَعَا بِاجْتِمَاعِ ثُمَّ صَارَا لِغُرْبَةٍ وَأَفْتِرَاقِ (٢)
لَا يَدُومُ الْبَقَاءُ لِلْخَلْقِ لَكِ سَنَ دَوَامِ الْبَقَاءِ لِلْخَلْقِ (٣)
وَأَلْشَدَّنِي بَعْضُ الْأَذْبَاءِ (٤) :

أُسْعِدَانِي يَا تَحَلَّتْنِي حُلُوانِ وَارِثِيَا لِي مِنْ رَثَبِ هَذَا الزَّمَانِ (٥)
وَلَعَمْرِي لَوْ دُتُّمْنَا أَلَمَ الْفَرِّ قَةِ أَبْكَاكُمْ أَلَذَى أَبْكَايِي (٦)

= اللذان لا يهترقان .. وسود أكتافيه : يعنى أستاره وظلاله السوداء .

(١) عَرَّ : جَهَلَ الْأُمُورَ وَغَفَلَ عَنْهَا .. وَالْمَايَا : جمع مَيَّةَ ، وهى الموت .. وَغَرَاها : العَرَى جمع غُرْوَةٍ ، وهى طُوقُ الْقِلَادَةِ ، وَغُرْوَةُ الْكَوْزِ أَوْ الْقَبِيصِ وَغَرْمَا : تَقْبِضُهُ . وَالْقِلَادَةُ ، جمع قِلَادَةٍ ، وهى مَا يَهْتَجَلُ فِي الْعُنُقِ مِنْ خَلْيٍ وَنَحْوِهِ .

(٢) الصَّفِيَّيْنِ : الصديق ، أَوْ مَا تَصْطَفِيهِ وَتُفَضِّلُهُ مِنَ النَّاسِ .

(٣) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : ... لكن دوام طول البقاء للخلق .

(٤) الأبيات ليست لبعض الأبداء المعاصرين للطرطوشي - رحمه الله - بل هى لمطبع بن لياس الليثي ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في وقت قتاله عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة ، وتزوج بها ، فَوُلِدَ لَهُ « مطبع » .. ومطبع من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، وكان ظريفاً مليح النادرة ، ماجناً ، مُتَّهِماً بِالزِّنْدَقَةِ ، مدح الوليد بن يزيد وتادمه في العصر الأموي ، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر المنصور ، فكان معه إلى أن مات .. وأقام ببغداد زمناً ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦٦ هـ وأخباره كثيرة في كتاب الأغاني وتاريخ بغداد وغيرها من كتب الأدب .

[انظر الأغاني ج ١٣ ص ٤٧٨٨ وما بعدها ، والأعلام ج ٧ ص ٢٢٥ ، ولسان العرب ، مادة « حلا » ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٩١ وما بعدها] .

(٥) حُلُوان : مدينة كبيرة عامرة بالعراق . وكان لمطبع بن لياس جارية يحبها ، فاضطر إلى بيعها ، وندم على ذلك ، وتبعتها نفسه ، فنزل « حلوان » وجلس ينتظر مستنداً إلى نخلة على العقبة ، وإلى جنبها نخلة أخرى ، فذكر الجارية واشتاق إليها ، فأنشده هذه الأبيات ، وقد بلغت اثني عشر بيتاً في الأغاني .. وجاء في اللسان والأغاني : « وابكيا لي » بدل « وارثيا لي » وفي معجم البلدان : « وابكيا لي » بالنون .

[انظر المراجع السابقة]

(٦) هكذا ترتب الأبيات في « ط » وفي الأغاني ، وفي معجم البلدان .. وفي « م » جاء البيت الثاني مكان الثالث ، وفيها « ولعمري » بدل « ولعمري » .. وفي « ط » : « حرق » بدل « ألم » ، وهى بمعناها .

وَاعْلَمَا إِن بَقِيَّتِمَا أَنْ نَحْسَا سَوَفَ يَأْتِيَكُمَا فَتَقْتَرِيَانِ ^(١)

ولما سافر الرشيد إلى « طوس » ^(٢) وعك في طريقه من حر أصابه ، فقال له الطبيب : لا تيرثك إلا جمار ^(٣) النخل ، وكان نزوله قريباً من هاتين النخلتين ، فأمر بقطع جمار إحدى النخلتين ، فلما مئبل بين يديه أثنى بعض الجلساء هذه الأبيات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين ، فقال الرشيد : لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما .

ولما مات الإسكندر قال أرسطو طاليس ^(٤) : أيها الملك [لقد] ^(٥) حرصتنا بسكونك . وقال بعض الحكماء من أصحابه : كان الملك أمس أطلق منه اليوم ، وهو ^(٦) اليوم أوعظ منه أمس ، فنظمه ^(٧) أبو المتاهية فقال :

كفى حزناً يذيقك ثم أئسى
نفضت ثراب قبرك من يدَي

(١) هكذا البيت في « ط » وفي « م » .. وفي الأغاني ومعجم البلدان : « أسجداني وأيقنا أن نحسا » .. وفي رواية : « سوف يلقاكما » بدل « سوف يأتيكما » [انظر المراجع السابقة]

(٢) طوس : مدينة بخراسان ، وبها قبر هارون الرشيد .. وعك : مريض أو أصابه التعب من شدة الألم .

(٣) الجمار : قلب النخل .

(٤) الإسكندر هو : الإسكندر الأكبر « المقدوني » الملقب بذي القرنين ، وُلد سنة ٣٥٦ قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - وتوفي سنة ٣٢٤ ق . م .. كان من أعظم الفُزاة والفاخين وأشجعهم .

أما أرسطوطاليس ، أو أرسطو ، فهو أستاذ الإسكندر الأكبر ومؤدبه ، وهو فيلسوف يوناني كبير ، وُلد سنة ٣٨٤ قبل الميلاد ، وتوفي سنة ٣٢٢ ق . م .. وقد تأثرت بواحد التفكير العربي بتأليفه التي نقلها إلى العربية القلة السرياني ، وأهمهم إسحاق بن حنين ، مؤسس مذهب « المشائين » .

[انظر خبرهما في دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٥٨١ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ١ ص ١٨٢ وما بعدها] مادة إسكندرية ، والمجد في الأعلام ، وغير ذلك من المصادر .

(٥) ما بين المعرفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) في « م » : « وهذا » بدل « وهو » .

(٧) في « م » : « نظمه » .. وقد نظم أبو المتاهية ستة أبيات - منها هذان البيتان - لما دُفِن « على » بن ثابت فوقف أبو المتاهية يكي على قبره ويردّد هذه الأبيات ، وأولها :

ألا من لي بأنيسك بما أخيا
ومن لي أن أبك ما لكيا
طوّك خطوب ذفرك بقذ نثر
كذاك شطوبه نثراً وطيا

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا ^(١)
وَوَجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ : « قَهْرْنَا مَنْ قَهْرْنَا فَصِرْنَا لِلنَّاطِلِينَ عِبْرَةً » .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ ^(٢) :

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهَرُّ مَرَاحِلُ ^(٣)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا حَظَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
وَمَا أَقْبَحَ التَّضَرُّبِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَاعِلُ ^(٤)
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بِرَادٍ مِنَ التَّقَى فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ ^(٥)

وَلَمَّا دَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٦) الشَّامَ قَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ تَاصِحٍ ،
فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَالِي أَرَأَيْكُمْ تَثْبُونَ مَا لَا تُسْكُنُونَ ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، إِنَّ

(١) هكذا البيت في الديوان .. وفي « ط » : « من » بدل « في » .. وفي « م » : « أنطق » بدل « أوعظ » .

[انظر الأبيات في ديوانه ص ٤٩١ ، ٤٩٢ ط دار صادر]

(٢) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ، ابن التوكل ، ابن المعتصم ، ابن الرشيد العباسي : شاعر مُبدع ، وُلِدَ في بغداد سنة ٢٤٧ هـ ، وأولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، وله تصانيف كثيرة .. أَلَتْ الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي ، واستصره القُوَاد فخلعوه ، وأقبلوا على ابن المعتز وباعوه بالخلافة ، وتقبَّوه « المرتضى بالله » ، وقيل : « المنتصر بالله » ، فأقام يوماً وليلة ، ووُذِبَ عليه فخلعوه ، وعاد « المقتدر » يقبض عليه ، وسلمه إلى خادم له فخنقه سنة ٢٩٦ هـ ، وقيل : مات في الحبس ، وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة وسبعة أشهر وأيام .. وللشعراء مَرَاثٍ كثيرة فيه .. وصارت خلافة ابن المعتز تُضرب مثلاً فيمن لا تطول مدُّته ويسرع انقضاءه .

[انظر ثمار القلوب لأبي منصور الثعالبي ص ١٩١ - ١٩٤ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٤ ص ١١٨ ، ١١٩ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ - ١٠١] .

(٣) المراحل : جمع مَرَحَلَه ، وهي المسافة يقطعها السائر في نحو يوم ، أو هي ما بين المنزلتين .

(٤) في الديوان : « والشيب في الرأس شامل » بدل « شاعِل » ، وكلها بمعنى : مُتَشَتِّر .

(٥) في الديوان « قلائل » بتسهيل الهزرة .

[انظر القصيدة في ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ ، ٤١٣ ط دار المعارف] .

(٦) هو : عُزَيْرُ بْنُ مَالِكٍ [أو ابن عامر ، أو ابن زيد - فيه خلاف] ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء .. من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم . وفي الحديث : « عويمر حكيم أمتي » . ولأه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أول قاضي بها .. وقال ابن الجوزي : كان أبو الدرداء من العلماء الحكماء ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بلا خلاف .. توفي - رحمه الله - بالشام سنة ٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٢٧] .

الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَكُمْ بَنَوْا مَشِيدًا ^(١) ، وَأَمَلُوا بَعِيدًا ، وَجَمَعُوا كَثِيرًا ، فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُورًا ، وَجَمَعَهُمْ بُورًا ، وَسَاكَنَهُمْ قُبُورًا .

وَرَوَى الْجَا حِظُ ^(٢) قَالَ : وَجِدَ مَكْتُوبًا ^(٣) عَلَى حَجَرٍ : ابْنُ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ ، لَزَهَدْتَ فِي طُولِ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ ، وَلَرَغِبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ ، وَلَقَصَرْتَ عَنْ حِرْصِكَ وَحِيلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ عَذَابُ نَذْمِكَ ، لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَتْ أَهْلُكَ وَحَشَمَتُكَ ، وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ ، وَانْصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ ، فَلَا أَتَتْ فِي عَمَلِكَ زَائِدَةٌ ، وَلَا إِلَى أَهْلِكَ عَائِدَةٌ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) : بَلَغَنِي أَنَّ أَمْرًا ثَنِي أَتَى عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) فَقَالَا : يَا رُوحَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ [لَنَا] ^(٦) أَنْ يُخْرِجَ [لَنَا] أَبَاتَا ، فَإِنَّهُ هَلَكَ وَتَحْنُ غَائِبَتَانِ عَنْهُ . قَالَ : تَعْرِفَانِ قَبْرَهُ ؟ فَقَالَا : نَعَمْ . فَذَهَبَ مَعَهُمَا فَأَتَا قَبْرًا فَقَالَا : هَذَا هُوَ . فَدَعَا اللَّهَ ، فَأَخْرَجَ لَهُمَا ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ بِهِ ، فَدَعَا فَرَدَّ ، ثُمَّ دَلَّاهُ عَلَى قَبْرِ آخَرَ ، فَدَعَا أَنْ يُخْرِجَ ،

(١) هكذا في (م) .. وفي (ط) : « شديدا » تحريف .

(٢) في (ط) : « الجاحظ » تحريف .

والجاحظ هو : عُثْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ حُبُوبِ الْكَتَافِيِّ بِالْوَلَاءِ ، أَبُو عَثَانَ ، الشَّهِيرُ بِالْجَا حِظِ ، مِنْ كِبَارِ أُمَمَةِ الْأَدَبِ ، وَرَأْسُ الْفِرْقَةِ الْجَا حِظِيَّةِ ، مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ ، وُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٦٣ هـ ، وَكَانَ مُتَوَهُ الْعِلْفَقَةِ ، وَمَاتَ وَالْكِتَابُ عَلَى صَدْرِهِ ، قَتَلَتْهُ مَجْلِدَاتُ مِنَ الْكُتُبِ وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٢٥٥ هـ ، وَكَانَ قَدْ جَاوَزَ التَّسْعِينَ . وَلِلْجَا حِظِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : الْبَيَانُ وَالتَّيْبِينَ ، وَالْحَيَوَانُ ، وَسِحْرُ الْبَيَانِ ، وَالتَّاجُ - وَيُسَمَّى أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ - وَابْخَلَاءُ ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ يَزِيدَ : « وَهُوَ - أَيْ الْجَا حِظُ - نَسِيجٌ وَخُودِي فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ ، جَمَعَ بَيْنَ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَالْأَخْبَارِ ، وَالتَّنْبِيْهِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ » .

[انظر كتاب طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى - ط بيروت ص ٦٧ وما بعدها ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٠ - ٤٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٢ - ٢٢٠ ، ومعجم الأدباء ج ٢ ص ٧٤ - ١١٤] .

(٣) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « مكتوب » بالترفع . و« وجد » من الأفعال التي تنصب مفعولين .

(٤) سبق التعريف به .

(٥) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « أتيا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم »

(٦) ما بين المقوفتين عن (ط) وساقط من (م) في الموضعين .

فَخَرَجَ [فَإِذَا هُوَ] ^(١) فَلَزِمَتْهُ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتَا : يَا مَعْ لَمَّ الْخَيْرِ ، اذْعُ
 اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٢) أَنْ يُبْقِيَهُ مَعَنَا ، فَقَالَ : وَكَيْفَ أُدْعُو لَهُ وَلَمْ يَتَّقِ لَهُ رِزْقَ يَعِيشُ بِهِ ، ثُمَّ
 رَدَّهُ وَأَنْصَرَفَ .

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَأَسْفَى مِنْ فِرَاقِ قَرْمٍ	هُمُ الْمَصَائِيحُ وَالْحُصُونُ
وَالْمُزْنُ وَالْمَذْنُ وَالرَّوَاسِي	وَالْخَيْرُ وَالْأَمْنُ وَالسُّكُونُ ^(٣)
لَمْ تَعْمُرْ بِنَا اللَّيَالِي	حَتَّى تَوْفَّيَهُمُ الْمُنُونُ ^(٤)
فَكُلُّ جَمْرٍ لَنَا قُلُوبٌ	وَكُلُّ مَاءٍ لَنَا عُيُونُ

وَرَوَى أَنَّ التُّعْمَانَ بْنَ الْمُثَنِّدِ خَرَجَ مُتَصِدِّدًا ، وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، فَمَرُّوا ^(٥)
 بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتُنْذِرِي مَا تُقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَإِنَّهَا ^(٦) تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ	أَنَّهُ مُوَفٍّ عَلَى قُرْبِ زَوَالٍ ^(٧)
[وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا	وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُ الْجِبَالِ] ^(٨)
رُبُّ رَكْبٍ قَدْ أَتَانَا حَوْلَنَا	يَشْتَرُونَهُ الْخَمْرُ بِالمَاءِ الزَّلَالِ ^(٩)

(١) مابين الموقوفين عن « ط » و « ساقط من » م .

(٢) مابين الموقوفين عن « م » .

(٣) الْمُزْنُ : السحاب .. يريد تشبيههم بالسحاب في الجود . والرواسي : الجبال .

(٤) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » : « تتغير » بتاعين ، وماورد في « م » هو الصحيح ، فيه يستقيم الوزن .

(٥) هكذا في « م » و « ط » .. والمناسب للمقام أن يقال : « نَمُرُّ » .

(٦) في « ط » : « إنها » .

(٧) في « ط » : « سؤال » بدل « زوال » .

(٨) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٩) الرُّكْبُ : أصحاب الإبل في السفر دون الدواب ، وهم المشرفة فما فوقها . والركبان : الجماعة منهم . والماء
 الزلال : العذب .

عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشِ حَسَنٍ آمَنَى دَهْرَهُمْ غَيْرِ عِمَالٍ ^(١)
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ

قَالَ : ثُمَّ جَاوَزُوا الشَّجَرَةَ فَمَرُّوا ^(٢) بِمَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ عِدِي : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَتَدْرِي
مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ ؟ قَالَ : لَا .. قَالَ : إِنَّهَا تَقُولُ :

أَيَا الرُّكْبُ الْمُخْبُونَا عَلَى الْأَرْضِ الْمُجِدُونَا ^(٣)
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا كَمَا نَحْنُ تُكُونُونَا ^(٤)

فَقَالَ التُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ ^(٥) أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا يَتَكَلَّمَانِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ
إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي ^(٦) فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي ^(٧) خَيْرًا ، فَمَا السَّبِيلُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا ^(٨) النَّجَاةُ ؟
قَالَ : تَدْعُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، قَالَ : وَفِي ^(٩) هَذِهِ النَّجَاةُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
فَتَرَكَ ^(١٠) عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ يَوْمئِذٍ ^(١١) وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْاجْتِهَادِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ [بْنُ] ^(١٢) الْمُعَلِّمُ : خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا ، فَلَمَّا كُنَّا

(١) غير عِمَال : أَي مَتْرُيِّين .

(٢) هكذا في « ط » بالجمع .. وفي « م » : « ثم جاوز » ، أَي : عدى ، أو التعمان .

(٣) هكذا البيهقي في « ط » .. وفي « م » : « أيها » مكان « أيها » ، وجاءت « المخبوننا » ، والمجدوننا ، وتكونوننا - بدون ألف .. والمخبونون : المسرعون ، وما جاء في « ط » هو الصحيح ، وبه يستقيم الوزن .

(٤) في « م » : « وركنا » .

(٥) في « م » : « عَلِمْنَا » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : تعظني .

(٧) في « م » : « عنا » .

(٨) في « ط » : « فما السبيل الذي تدرِك به النجاة ؟ » . وكلاهما صواب ، فالسبيل يُدْرِكُ ويُوْتَتْ .

(٩) في « ط » : « وفي » بحذف الواو .

(١٠) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « قال : فترك » .

(١١) في « م » : « حينئذ » .

(١٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وقد ورد اسمه هكذا في الرسالة القشيرية [ج ٢ ص ٥٨٠ - وغيرها] وورد

بغير « ابن » في طبقات الصوفية [ص ١٢٧ وغيرها] .

وهو : عبدالله بن محمد بن فضالويه المُعَلِّمُ .. مُحدِّث ، ورواية ، سمع من عبدالله بن محمد بن مُنَازِل ، وعبد الله الرازي ، وأبي العباس الدينوري ، وغيرهم .

بِالرُّؤْيَا ^(١) نَزَّلْنَا ، فَوَقَفَ بِنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ [لَيْسَ] ^(٢) لَهُ مِنْظَرٌ وَهِيئةٌ فَقَالَ : مَنْ يَبْغِي ^(٣) خَادِمًا ؟ مَنْ يَبْغِي سَاقِيًا ؟ فَقُلْتُ : ذَلِكَ هَذِهِ الْقِرْبَةُ ^(٤) ، فَأُخِذَهَا فَأَنْطَلَقْتُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا ، حَتَّى أَقْبَلَ وَقَدْ امْتَلَأَتْ أَثْوَابُهُ طِينًا ، فَوَضَعَهَا كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ، ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ ^(٥) هَذَا ؟ قُلْنَا : لَا . وَأَطْعَمْنَاهُ قُرْصًا بَارِدًا ، فَأُخِذَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٦) وَشَكَرَهُ ، ثُمَّ اعْتَزَلَ وَقَعَدَ فَأَكَلَهُ أَكْلًا جَائِعٍ ، فَأَذْرَكْنِي عَلَيْهِ الرَّافَةُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ ، فَقُلْتُ [لَهُ] : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْكَ الْقُرْصُ بِمَوْجِعٍ ، فَذَلِكَ هَذَا الطَّعَامُ . فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ^(٧) ، إِنَّمَا هِيَ قَوْزَةٌ جُورَجٌ ، فَمَا أَبَالِي بِأَيِّ شَيْءٍ رَدَدْتُهَا . فَرَجَعْتُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي : أَتَعْرِفُهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : إِنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، كَانَ يَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ^(٨) قَتَابَ ، فَمَحَرَجَ مِنْهَا ، فَتَفَقَّدَ فَمَا عُرِفَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا وَقَفَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَأَعْجَبَنِي قَوْلُهُ ، ثُمَّ اجْتَمَعْتُ ^(٩) بِهِ وَأَسْتَسْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي ^(١٠) ، فَإِنْ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي ، فَجَزَانِي خَيْرًا وَقَالَ : لَوْ أُرِدْتُ هَذَا لَكَانَ لِي مُعَدًّا ، ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، كُنْتُ أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ ، وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَبَذَخٍ ، وَإِنِّي أُمِرْتُ خَادِمًا لِي أَنْ تُحْشَوْ فِرَاشًا لِي

(١) الرُّؤْيَا : موضع بينه وبين المدينة مسيرة ليلة .. وقيل : اسم منتهلة من المناهل التي بين المسجدين - يريد مكة والمدينة - والمنتهلة : الموضع الذي فيه المشرب .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « وله منظر وهيئة » وثياب رَثَّةٌ : بالية

(٣) في « م » : « يَبْغِي » في الموضعين .

(٤) دونك : اسم فعل أمر بمعنى : اخذ . والقِرْبَةُ : وعاء من جلد يُحْفَظُ فيه الماء .

(٥) أى : أتريدون غير هذا ؟

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » في الموضعين .

(٧) في « م » : « يا أبا عبدالله » .. وقَوْزَةُ الجورج : شئته .

(٨) في « م » : « بالبصرة » .

(٩) في « م » : « تجمعت معه » .

(١٠) يقال : عَادَلَ بين الشيئين ، أى : وَزَنَ . وعَادَلَ الشيء بالشئ : سواه به ، وجعله مثله قائماً مقامه . وعَادَلَ فلاناً في المَحْمَلِ : ركب معه . وهو المراد هنا .

مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةٌ بَرْدٍ نَثِيرٌ ^(١) فَقَعَلْتُ ، وَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا بَقُمُجْ وَرَدَّةٌ قَدْ أُغْفَلَتْهُ الْحَادُمُ ،
فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَأَوَجَعْتُهَا ضَرْبًا ، ثُمَّ عُذْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْمِخْدَةِ ،
فَاتَّانَى آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ ، فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفَقِيَ مِنْ غَشْيَتِكَ ، أَبْصِرْ مِنْ
خَيْرَتِكَ ، ثُمَّ أَتَانَا يَقُولُ :

يَا خَدُّ إِلَيْكَ إِنْ ثَوَسَدَ لَيْسَا وَسُدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمُّ الْجَنْدِلِ ^(٢)
فَامْهَدْ لِتَفْسِيكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ ^(٣)

فَاتَّبَعْتُهَا فَرِعْمًا ، فَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِيًا إِلَى رَبِّي .

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ^(٤) : ذَكَرَ لِي أَنَّ فِي جَوَابِ الْأُبَلَّةِ ^(٥) جَارِيَةً مَجْنُونَةً ، تَنْطَلِقُ
بِالْحِكْمَةِ ، فَلَمَّا أَرَلْ أَطْلُبَهَا حَتَّى وَجَدْتُهَا فِي حُورِيَةٍ ^(٦) جَالِسَةً عَلَى حَجَرٍ ، وَعَلَيْهَا جُبَّةٌ
صُوفٌ ، وَهِيَ مَحْلُوقَةُ الرَّأْسِ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، قَالَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ
أَكَلَمَهَا : مَرْحَبًا بِكَ يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ . فَقُلْتُ لَهَا : رَحَّبَ اللَّهُ بِكَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ مَعْرِفَتِهَا
لِي ، وَلَمْ تَرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ هَاهُنَا ؟ فَقُلْتُ ^(٧) : جِئْتُ
لِتَعْطِيَنِي ، فَقَالَتْ : وَأَعَجَبَاهُ لِوَاعِظٍ يُوعِظُ ! ثُمَّ قَالَتْ : يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ ، اعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ

(١) نثير : منشور .. وفي « ط » : نثر .

(٢) يخاطب « خدّه » قائلًا : إنك إن اتخذت لك في الدنيا وسادة ناعمة ليته فسوف تكون وسادتك بعد الموت
حجارة صماء

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « صاعداً » بدل « صالحاً » .. فامهَدْ لتفسيك : أى هيء لتفسيك فراشاً من
العمل الصالح في الدنيا .

(٤) هو عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد .. شيخ الصوفية وواعظهم ، لحق الحسن البصرى وغيره ، وكان
مجاوب الدعوة ، وقيل : إنه صلى القعدة بوضوء العشاء أربعين سنة ، وله مواعظ وأحاديث ، وأخذت عليه بعض
الناكرين ، ووثقه ابن معين .. توفى - رحمه الله - سنة ١٧٧ هـ .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧ ، والرسالة القشيرية
ص ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، وغيرها ، وطبقات الأولياء ص ١٨٣] .

(٥) في « م » : « خراب » بدل « جواب » .. والأبلَّة : بلدة على شاطئ دجلة بالبصرة .

(٦) هكذا في « م » .. والخربة والجربة : موضع الخراب .. وفي « ط » : « خرابة » .

(٧) في « م » : قلت .

إِذَا كَانَ فِي كِفَايَةِ ثَمَّ مَالٍ إِلَى الدُّنْيَا ، سَلَبَهُ اللَّهُ حَلَاوَةَ الرُّهْدِ ، فَيُظَلُّ حَيْرَانَ وَإِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تُصِيبَ عِنْدَ اللَّهِ عَائِبُهُ وَخِيَا فِي سِرِّهِ ، فَقَالَ : عَبْدِي أُرَدْتُ أَنْ أُرْفَعَ قَدْرَكَ عِنْدَ مَلَائِكَتِي وَحَمَلَةِ عَرْشِي ، وَأَجْعَلَكَ دَلِيلًا لِأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ طَاعَتِي [فِي أَرْضِي] فَمِلْتَ إِلَى عَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ ^(١) الدُّنْيَا وَتَرَكْتَنِي ، فَوَرِثْتَكَ بِذَلِكَ الْوَحْشَةَ بَعْدَ الْإِنْسِ ، وَالذَّلَّ بَعْدَ الْعِزِّ [وَالْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى] ^(٢) . عَبْدِي ، ارْجِعْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَرْجِعْ لَكَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِكَ [قَالَ] ^(٣) : ثُمَّ تَرَكْتَنِي وَوَلَّتَ عَنِّي ، وَانْصَرَفْتَ عَنْهَا ، وَبَقَيْتِي حَسْرَةً مِنْهَا . وَأَنْشُدُوا ^(٤) :

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
أَمَّا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطًا بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآمِلِ
تَعَجَّلُ الذَّنْبَ بِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمُلُ الْقُوَّةَ مِنْ قَابِلِ ^(٥)
وَالْمَوْتَ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَا ذَا يَفْعَلُ الْحَازِمُ الْعَاقِلِ ^(٦)

وَلَمَّا تَزَلْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ^(٧) الْحَيْرَةَ قِيلَ لَهُ : هَا هُنَا عَجُوزٌ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ ،

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وفي « م » : « غرض من أغراض الدنيا » بالعين المعجمة ، وكلاهما صواب ، فالغرض بالعين المعجمة : البُعْدُ والحاجة .. والعَرَضُ - بالعين المهملة : متاع الدنيا ، قُلْ أَوْ كَثُرَ .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٤) الأبيات وردت في كتاب « أدب الدنيا والدين » للماوردي ، قال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره ، فرأيت قائماً ويده رقعة ، فقال : يا محمد ، أقرأت ما فيها ؟ فقلت : هي في يد أمير المؤمنين . فرمى بها إلي ، فإذا فيها مكتوب [وذكر الأبيات الأربعة] فلما قرأها قال المأمون : هذا من أحكم شعر قرأته . [انظر أدب الدنيا والدين للماوردي - ط الدار المصرية اللبنانية ص ١٣٤] .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي أدب الدنيا والدين : « تَعَجَّلْ بِالذَّنْبِ لِمَا تَشْتَهِي » .

(٦) ماذا : أي ما هنا .. والبيت في المصنوع السابق :

والموت يأتي بعد ذَا « بختة » « ماذاك يفعل ، الحازم العاقل

(٧) هو : سعد بن أبي وقاص ، مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أبو إسحاق ، الصحابي الأمير ، فاتح العراق ومدائن كسرى ، وأحد الستة الذين عيَّنه عمر بن الخطاب للخلافة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد القشرة المبشرين بالجنة .. وُلِدَ سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وأسلم وهو ابن ١٧ سنة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتضح القادسية ، ونزل أرض الكوفة فجعلها =

يُقَالُ لَهَا الْخُرْقَةُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(١) ، وَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ عَقَائِلِ ^(٢) الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى بَيْتِهَا تُشِيرُ [عَلَيْهَا] ^(٣) أَلْفَ قَطِيفَةٍ خَزْ ^(٤) وَدِيَاجَ ، وَمَعَهَا أَلْفٌ وَصِيفٌ وَوَصِيفَةٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا سَعْدٌ ، فَجَاءَتْ كَالشَّنِّ الْبَالِي ^(٥) ، فَقَالَتْ : يَا سَعْدُ ، كُنَّا مُلُوكَ هَذَا الْبَصْرِ قَبْلَكَ ، يُجِبُنِي ^(٦) إِلَيْنَا خِرَاجُهُ ، وَيُطِيعُنَا أَهْلُهُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ ، حَتَّى صَاحَ بِنَا صَائِحُ الدَّهْرِ ، فَشَتَّتْ شَمْلَنَا ^(٧) ، وَالذَّهْرُ ذُو نَوَائِبٍ وَصُرُوفٍ ، فَلَوْ رَأَيْنَا فِي أَيَّامِنَا لِأَرْعَدْتَ فَرَائِصُكَ [قَرَعًا] ^(٨) مِنَّا . فَقَالَ لَهَا سَعْدٌ : مَا أَنْعَمَ مَا تَنْعَمُ بِهِ ؟ قَالَتْ : سَعَةُ الدُّنْيَا عَلَيْنَا ، وَكَثْرَةُ الْأَصْنَافِ إِذَا دَعَوْنَا ، ثُمَّ أَثْنَاءُ تَقُولُ :

= يَنْطَلِقُ لِقَائِلِ الْعَرَبِ (شِبْهَ الْقَطَائِعِ) وَظَلَّ وَالْيَا عَلَيْهَا مَدَّةُ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَأَقْرَهُ عِفَّانَ زَمَنًا ثُمَّ عَزَلَهُ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٥٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٩ وغورهما من المراجع] .

(١) هي : الْخُرْقَةُ [أَوْ خُرْقَةُ] بِنْتُ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، مِنْ بَنِي لَحْمٍ ، شَاعِرَةٌ مِنْ بَيْتِ السُّلَيْكِ فِي قَوْمِهَا بِالْحِوَرَةِ - عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْكُوفَةِ - وَقَدْ تُسَيِّتُ إِلَى الثُّعْمَانِ أَرْبَعَ بَنَاتٍ ، مِنْ : هُنْدَ : وَخُرْقَةَ ، وَخُرَيْقَةَ ، وَغَنَقَمِيرَ ، وَتَخْلُطُ أَخْبَارَ هُنْدَ بِنْتُ الثُّعْمَانِ بِحُرْقَةٍ ، وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ بِنْتُ الثُّعْمَانِ ، بَلْ كَانَتْ أخته ، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ وَالِدَهَا الثُّعْمَانُ زَوَّجَهَا مِنْ عَبْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَقَدْ عَاشَتْ حَتَّى أُدْرِكَتِ الْإِسْلَامَ ، وَكَانَتْ مُتَرْقِبَةً ، فَلَمْ تَقْبَلِ الدِّخُولَ فِيهِ ، وَحَتَّى رَأَتْ الدُّنْيَا كَيْفَ أَدْبَرَتْ عَنْ أَهْلِهَا .. وَنَظَرَتْ فِي حَالِهَا بَعْدَ هَلَاكِ أَهْلِهَا فَذَكَرَتْ ذَلِكَ فِي شِعْرِهَا - وَمِنْ هَذَانِ الْبَيَّانِ الْمَذْكُورَانِ هُنَا - وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّهَا قَالَتْ ذَلِكَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، يَوْمَ أَتَتْهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهَا .. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ الْوَارِدَةَ هُنَا . فَأَكْرَمَهَا سَعْدٌ ، وَأَحْسَنَ جَلَّازِيهَا .. تَوَفَّيَتْ وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ تِسْعُونَ سَنَةً .

[انظر المُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، لِحِوَادِ عَلِيٍّ ، ج ٣ ص ٢٨٦ وَمَابَعْدَهَا ، وَالْأَعْلَامُ ج ٢ ص ١٧٣ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ج ٢ ص ٣٢٨ ، وَأَعْلَامُ النِّسَاءِ لِكِحَالَةَ ج ٥ ص ٢٥٩ - ٢٦٥] .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « قَبَائِلُ » . وَالْعَقَائِلُ : جَمْعُ عَقِيلَةٍ ، وَتُطَلَّقُ عَلَى الزَّوْجَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيِّدَةِ الْقَوْمِ .

(٣) مَا يَمِينُ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « حَرِيرٌ » وَمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٥) كَالشَّنِّ الْبَالِي : كَالْقِرْبَةِ الْمُتَهَالِكَةِ - كَنَاءَةٌ عَنْ كِبَرِ سِنِهَا .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَيُجِبُنِي .. أَيْ : يُجَمِّعُ .. وَفِي « ط » : « يُحْمِلُ » . وَالْخِرَاجُ ، الْإِثَارَةُ أَوْ الضَّرِيَّةُ أَوْ الْجَزِيَّةُ تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَيُؤَدُّونَهَا كُلَّ سَنَةٍ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ خِرَاجًا .

(٧) فِي « م » : « مَلَأْنَا » . وَالْمَلَأَ : الْجَمَاعَةُ ، وَيُطَلَّقُ عَلَى أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَسِرَافِهِمْ أَيْضًا .

(٨) مَا يَمِينُ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » . وَالْفَرَائِصُ : جَمْعُ فَرِيصَةٍ ، وَهِيَ اللَّحْمُ بَيْنَ الْكَتِفِ وَالصُّدْرِ يَرْتَدُّ عِنْدَ الْفَرَعِ .

وَيَبِينَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْفَةٌ لَيْسَ نَنْصُفُ (١)
قَبًا لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ثَقُلْتُ ثَارَاتِ بِنَا وَكَصُفُ (٢)

ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، إِنَّهُ لَمْ ، يَكُنْ أَهْلُ بَيْتِ بَحِيرَةَ (٣) إِلَّا وَالذَّهْرُ يَعْقُبُهُمْ غَبْرَةٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ . فَأَكْرَمَهَا سَعْدُ ، وَأَمَرَ بِرَدِّهَا ، فَلَمَّا أَرَادَتْ الْقِيَامَ قَالَتْ : يَا سَعْدُ ، لَا أُرْزَالُ اللَّهَ عَنْكَ نِعْمَةً ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةٌ ، وَلَا أُرْزَالُ عَنْ كَرِيمٍ نِعْمَةً ، وَلَا تَزْعُ (٤) عَنْ عَبِيدٍ صَالِحٍ نِعْمَةً إِلَّا جَعَلَكَ [اللَّهُ] سَبِيلًا إِلَى رَدِّهَا عَلَيْهِ . وَلِبَعْضِهِمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْبُكُنْهُ وَالْبَغْتَ مَخْرَجُهُ (٥)
وَأَنَّهُ يَبِينُ جَنَاتٍ سَبَّحُجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَارٍ سَتَنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى الثَّقَوَى بِهِ سَمِجُ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْمَجُهُ (٦)
تَرَى الْبَذَى اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكْنًا لَمْ يَدِرْ أَنَّ الْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ (٧)

وَرَوَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ يَسِيحَانِ ، فَأَصَابَهُمَا الْجُوعُ ، وَقَدِ اتَّهَمَا إِلَى قَرْيَةٍ ، فَقَالَ عِيسَى لِصَاحِبِهِ : ائْطِلْنِي فَاطْلُبْ لَنَا طَعَامًا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، وَقَامَ عِيسَى يُصَلِّي ، فَجَاءَ [الرَّجُلُ] (٨) بِثَلَاثَةِ أَرْغَفَةٍ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ [انْصِرَافُ] (٩) عِيسَى ،

(١) هكذا البيت في (م) و (ط) . وفي رواية : « فيينا » بدل « وينا » . و « نَنْصُفُ » بدل « ليس نَنْصُفُ » وهي بمعنىهما ، أى : نطلب الإنصاف . والسوقة : العائنة وسواد الناس .

(٢) هكذا البيت في (م) و (ط) . . وفي رواية : « فَأُف » بدل « قَبًا » ، والثب : التَّخْشُرَانِ وَالْمَلَالُك .

(٣) هكذا (م) . . وفي (ط) : « وخير » بدل « بَحِيرَةَ » ، والخيرة : السرور والنعمة . وفي رواية : « ليس من قوم بسرور وخيرة ، إِلَّا وَالذَّهْرُ مَعْقُبُهُمْ حَسْرَةٌ » .

[انظر أعلام النساء ج ٥ ص ٢٦٢ - حاشية] .

(٤) هكذا في (م) . . وفي (ط) : « وَلَا أُرْزَالُ » ، وما بين المعقوفين عن « ط » .

(٥) في (ط) : « يَدْرِكُهُ » بدل « مُدْرِكُهُ » .

(٦) في (ط) : « منه » بدل « فهو » . والسَمِجُ : القبيح .

(٧) في (ط) : « ووطنًا » بدل « سَكْنًا » .

(٨) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٩) ما بين المعقوفين عن « ط » .

فَأَكَلَ رَغِيفًا ، فَأَنْصَرَفَ عِيسَى فَقَالَ : أَيْنَ الرُّغِيفُ الثَّالِثُ ؟ فَقَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ، قَالَ : فَمَرًّا عَلَى وُجُوهَيْهِمَا ^(١) حَتَّى مَرَّ بِطَبَّاءٍ [تُرْعَى] ^(٢) فَدَعَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَنِّيًّا مِنْهَا فَذَكَاهُ ^(٣) فَأَكَلَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلطَّبَّيِّ : قُمْ يَا ذَنْ اللَّهِ ، فَإِذَا هُوَ يَشْتَدُّ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) بِالَّذِي أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا رَغِيفَيْنِ ^(٥) . قَالَ : فَمَضَيْنَا عَلَى وُجُوهَيْهِمَا ^(٦) فَمَرَّ بِنَهْرٍ عَجَاجٍ [عَظِيمٍ] ^(٧) ، فَأَخَذَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ ، فَمَشَى بِهِ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَاءَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِالَّذِي أَرَاكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، مَنْ صَاحِبُ الرُّغِيفِ [الثَّالِثِ] ^(٨) ؟ قَالَ : مَا كَانَا إِلَّا اثْنَيْنِ . فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا قَرْيَةً عَظِيمَةً حَرِيَّةً ، وَإِذَا قَرِيبٌ مِنْهَا لَبَنٌ ثَلَاثٌ ^(٩) مِنْ دَهَبٍ ، [فَقَالَ الرَّجُلُ : هَذَا مَالٌ] فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَجَلْ هَذَا مَالٌ ، وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ لِصَاحِبِ الرُّغِيفِ . فَقَالَ : [الرَّجُلُ] ^(١٠) : أَنَا صَاحِبُ الرُّغِيفِ ! فَقَالَ [عِيسَى] عَلَيْهِ السَّلَامُ : هِيَ لَكَ كُلُّهَا . فَفَارَقَهُ وَأَقَامَ ^(١١) عَلَيْهَا ، لَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْمِلُهَا عَلَيْهِ ، فَمَرَّ بِهِ [ثَلَاثَةٌ] ^(١٢) نَفَرٍ فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا اللَّبَنَ ،

(١) هكذا في « م » و « ط » .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) هكذا في « ط » .. وَذَكَاهُ : ذَبَحَهُ . وفي « م » : « فَذَبَحُوهُ فَأَكَلُوا مِنْهُ » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » ، وفيها : « قَالَ » بدل « فَقَالَ » .

(٥) في « ط » : « اثْنَيْنِ » بدل « رَغِيفَيْنِ » .

(٦) هكذا في « م » و « ط » .. والصواب : وَجْهَيْهِمَا .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » ، نهر عَجَاجٍ ، بالتشديد ، أى : ثائر ، أو : لِمَائِهِ صوت .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .. وبعدها : « فَقَالَ » .

(٩) اللَّبَنُ : المضروب من الطين يَتَّبَى به دون أن يُطْلَخ ، الواحدة : لَبَنَةٌ .. وفي « م » : « ثَلَاثَةٌ » . وما بين المعقوفين بعدها - الأول - عن « ط » .. والأخرى عن « م » ، وبهذا يستقيم المعنى .

(١٠) ما بين المعقوفين عن « م » في الموضعين .

(١١) في « ط » : « وَأَقَامَ » .

(١٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

فَقَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لَوَاحِدٍ : انْطَلِقْ إِلَى الْقَرْيَةِ فَأَتِنَا بِطَعَامٍ ، فَذَهَبَ ، فَقَالَ أَحَدُ الْبَاقِيَيْنِ [لِلْآخَرِ] ^(١) : تَعَالَ تَقْتُلْ هَذَا إِذَا جَاءَ وَنَقْسِمُ هَذَا بَيْنَنَا ، قَالَ الْآخَرُ : نَعَمْ ، وَقَالَ الَّذِي ^(٢) ذَهَبَ يَشْتَرِي الطَّعَامَ ^(٣) : أَجْعَلْ فِي الطَّعَامِ سُمًّا فَأَقْتُلُهُمَا وَآخُذْ اللَّيْلَ ! فَفَعَلَ ، فَلَمَّا جَاءَ قَتَلَاهُ ، وَأَكَلَا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ فَمَاتَا ، فَمَرَّ بِهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُمْ حَوْلَهَا مَصْرُوعُونَ ^(٤) فَقَالَ : هَكَذَا تَفْعَلُ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٥) : - رَأَيْتُ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَجَبًا : رَأَيْتُ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ^(٦) عَلَى تَوَيْتَيْنِ مَصْبُوعَيْنِ يَتَيْنِ يَدَيِ ابْنِ زِيَادٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ

(١) ما بين المعرفتين عن (م) .

(٢) في (م) ، : « لِلَّذِي » .

(٣) ما بين المعرفتين عن (ط) .

(٤) هكذا في (م) على أنها خبر .. وفي (ط) ، : « مُصْرَعِينَ » على أنها حال .

(٥) هو : عبد الملك بن عمر اللخمي الكوفي ، وكنيته أبو عمرو [وفي الميزان : عمر - خطأ] القبطي القريسي ، عُرِفَ بذلك لِقَرَسِي كَانَ لَهُ اسْمُهُ الْقَبْطِيُّ .. من مشاهير التابعين وثقافتهم ، وَلِيَّ قضاء الكوفة بعد الشعمي ، وِطَالَ عمره حتى تجاوز المائة بثلاث سنين ، وتوفى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٤٧٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٦٠ ، ٦٦١] .

(٦) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، السبط الشهيد ، ابن فاطمة الزهراء ، ولد في المدينة سنة ٤ هـ ، ونشأ في بيت النبوة ، وإليه يَتَسَبَّبُ كثير من الحُسَيْنِيِّينَ ، وَلَمَّا مَاتَ معاوية وخلفه ابنه يزيد تخلف الحسين عن مباحته ، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه ، فأقام فيها أشهراً ، ودعاه إلى الكوفة أشياعه وأشياع أبيه وأخيه من قبله فيها ، على أن يبعوه بالخلافة ، وكتبوا إليه أنهم في جيش مُتَهَيِّئٍ للثوب على الأمويين ، فأجابهم ، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذرائبه ، ونحو الثمانين من رجاله ، وعَلِمَ يزيد بخروجه ، فَوَجَّهَ إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب فيه الحسين بجراح شديدة ، وسقط عن فرسه ، فقتله « سنان بن أنس التَّحِيَّيْ » وقيل : « ثمر بن ذى الجوشن » سنة ٦١ هـ وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق ، عاصمة الأمويين ، فظهر « يزيد » بالحزن عليه .

واختلفوا في الموضع الذي دُفِنَ فيه الرأس ، فقيل : في دمشق ، وقيل : في كربلاء مع الجثة ، وقيل : إن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد ، نائب المدينة ، فدفنه عند أمه بالقيع ، وقيل غير ذلك ، فتعددت المراقد ، وتعددت معرفة مدفنه .

[انظر البداية والنهاية ج ٨ ص ١٥٢ - ٢١٠ ، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٦ - ٣٠٢ ، وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٨٢ - ٤٦٧ ط دار المعارف ، والأعلام ج ٢ ص ٢٤٣] .

ابن زياد^(١) بين يدي المختار^(٢)، ثم رأيت رأس المختار بين يدي

(١) هو : عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكان خصومه يدعونه : ابن مرجانة ، وهى أمه ، وإلى فاتح من الشجعان ، وخطيب ، وُلد بالبصرة سنة ٢٨ هـ ، وكان مع والده لما مات بالعراق ، فقصده الشام ، فولاه عمه معاوية « خراسان » سنة ٥٣ هـ فتوجه إليها ، ثم قطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل ، ففتح « رامين » ونصف « بيكند » ، وقال أحد من كانوا معه : « مارأيت أشد بأساً من عبيد الله : لقيتاً زحف من الترك ، فرأيت يقاتل ويحمل عليهم ، فيطعن فهم ويغيب عنا ، ثم يرفع رايته تقطر دماً » .

وأقام بخراسان ستين ، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج واشتد عليهم . وبعد وفاة معاوية أقره يزيد على إمارته سنة ٦٠ هـ وكتب إليه : « بلغني أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق ، فضع المناظر والمسالخ ، واحترس على الظن ، وخذ على التهمة ، غير ألا تقابل إلا من قاتلك ، وكتب إلي في كل ما يحدث » فكانت الفاجعة يقتل الحسين ، رضى الله عنه ، في أيامه ، وعلى يده - كما مر بنا - ولما توفي « يزيد » سنة ٦٥ هـ بايع أهل البصرة لعبيد الله ، ثم لم يلبثوا أن وثبوا عليه ، فهرب إلى الشام ، وأقام مدة قليلة ، ثم عاد يريد العراق ، فلحق به إبراهيم بن الأشتر في جيش يطلب ثأر الحسين ، فاقتلا ، وتفرق أصحاب عبيد الله ، فقتله ابن الأشتر ، وذلك على شاطئ نهر الخازر ، قريباً من الموصل بمحس مراحل ، سنة ٦٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٣ ، والكمال في التاريخ ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٢ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٨١ وما بعدها ٨٦ - ٩٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ وغيرها] .

(٢) المختار : هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أبو إسحاق ، وُلد في السنة الأولى للهجرة ، وكان من زعماء الثأرين على بني أمية ، وأحد الشجعان الأفاذا ، من أهل الطائف ، انتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر ، وتوجه أبوه إلى العراق ، فاستشهد يوم الجسر ، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم ، وتزوج عبد الله بن عمر ابن الخطاب أخته « صفية بنت أبي عبيد » ثم كان مع عليّ بالعراق ، وسكن البصرة بعد عليّ ، ولما قُتل الحسين سنة ٦١ هـ انخرق المختار عن عبيد الله بن زياد (أمير البصرة) فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه ، ونفاه - بشفاعته ابن عمر - إلى الطائف ، ولما مات « يزيد » بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، وقام عبيد الله بن الزبير في المدينة بطلب الخلافة ، ذهب إليه المختار وعاهده ، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير ، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته ، فوثق به وأرسله ، ووصى عليه ، غير أنه كان أكبر همه - منذ دخل الكوفة - أن يقتل من قاتلوا « الحسين » وقتلوه ، فدعا إلى إمامة « محمد بن الحنفية » وقال إنه استخلفه ، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل مبرأ ، فخرج بهم على وإلى الكوفة « عبد الله بن مطيع » فغلب عليها واستولى على الموصل ، وعظم شأنه ، وتبع قتلة الحسين ، فقتل منهم « شير بن ذى الجوشن » الذي باشر قتل الحسين ، ود تحوّل بن يزيد « الذي سار برأسه إلى الكوفة » ود عمر بن سعد بن أبي وقاص « أمير الجيش الذي حاربه ، ثم أرسل « إبراهيم بن الأشتر » في عسكر كيف إلى « عبيد الله بن زياد » الذي جهز الجيش لحرب الحسين ، فقتل « ابن زياد » وقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة .. وشاعت في الناس أن « المختار » ادعى النبوة ونزول الوحي عليه .. وعمل « مصعب بن الزبير » وهو أمير البصرة على خضد شوكة « المختار » فقاتله .. ونشبت وقائع انتهت بمحصر « المختار » في قصر الكوفة وقتله ومن كانوا معه سنة ٦٧ هـ .

[انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٩٠ - ٢٩٧ ، وتاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٨ وما بعدها ، والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٧ - ٣٨٨ ، والأعلام ج ٧ ص ١٩٢] .

مُصَنَّبٌ ^(١) بن الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَأْسَ مُصَنَّبِ بْنِ الزُّبَيْرِ بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٢) .

وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ ^(٣) : لَمَّا زَحَرَفَ الرَّشِيدُ ^(٤) مَجَالِسَهُ ، وَتَحَرَّمَ

(١) في « ط » : « المصعب » بالألف واللام في الموضعين ، والمشهور بغيرهما ، وهو : مصعب بن الزبير بن العوام ابن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله ، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت مُلكه بالحجاز والعراق ، وولاه عبد الله البصرة سنة ٦٧ هـ ، فقصدها وضبط أمورها وقتل المختار الثقفي ، ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعادته في أواخر سنة ٦٨ هـ ، وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستها . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسيّر إليه الجيوش ، فكان مصعب يتغلب عليها ، حتى خرج إليه عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعباً قُوَادُ جيشه وأصحابه ، فثبت فيمن بقي معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه محمد بن مروان ، فعرض عليه الأمان وولاية العراقين مادام حياً ، وملتوئى درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فَأَبَى « مصعب » فشد عليه جيش عبد الملك في وقعة عند دير الجاليتي ، وطعنه زائدة بن قيس السعدي - أو عبيد الله بن زياد بن ظبيان - فقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك سنة ٧١ هـ ، وعققلته نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام ،

[انظر تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٥ - ١٠٨ ، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٣ وما بعدها ، والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٩ وغيرها من الصفحات ، والأعلام ج ٧ ص ٢٤٧ ، ٢٤٨] .

(٢) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي ، أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم ، وُلِدَ سنة ٢٦ هـ ، ونشأ بالمدينة ، وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ٤٢ هـ .. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعُباد والصالحين ، وكان فقيهاً واسع العلم ، انتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان جباراً على معانديه ، قوى الهيبة ، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي ، ونُقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات ، وهو أول من صك الدينار في الإسلام ، وأول من نقش بالعمية على الدراهم ، ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه ابنه الوليد فبكى ، فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ أتحزن حين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مكْتُ فَشَمَرْتُ وَأَنْزَرْتُ ، والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها .. توفي - رحمه الله - بدمشق في النصف من شوال سنة ٨٦ هـ ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة .

[البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٦ - ٧٣ وغيرها من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٣٨٨ - ٣٩١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، والأعلام ج ٤ ص ١٦٥] .

(٣) سبق التعريف به .

(٤) هو : هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس الخلفاء العباسيين في العراق وأشهرهم ، وُلِدَ بالري سنة ١٤٩ هـ ، لما كان أبوه أميراً عليها وظل خراسان ، ونشأ في دار الخلافة في بغداد ، بُوع بالخلافة بعد وفاة أخيه « الهادي » سنة ١٧٠ هـ ، وازدهرت الدولة في أيامه ، واتصلت المؤتة بينه وبين « شارلمان » ملك فرنسا ، فكانا يتهايان التحف وغيرها .. وكان الرشيد عالماً بالأدب ، وأخبار العرب ، والحديث ، =

فِيهَا ^(١) وَزَوَّقَهَا ، وَصَنَعَ فِيهَا طَعَامًا كَثِيرًا ، أُرْسِلَ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَقَالَ : صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ :

عِشْ مَا بَدَا لَكَ آمِنًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقَعِ ^(٢)
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ لَدَى الرُّوَّاحِ وَفِي ^(٣)
وَإِذَا النُّفُوسُ تَقَفَّتْ فِي ضَيْقٍ حَشْرَجَةٍ وَر ^(٤)
فَهَذَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتُ إِلَّا فِي غُرُورٍ

فَبَكَى هَارُونُ ، فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى ^(٥) : بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسْرَهُ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ هَارُونُ : دَعُهُ ، فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي ضَلَالَةٍ وَعَمَى ، فَكَّرِهِ أَنْ يَزِيدَنَا عَمَى .

= والفقه ، وكان فصيحاً ، وله شعر أورده صاحب الديارات ، ومحاضرات مع علماء عصره .. وكان شجاعاً كثير الغزوات ، ويُلَقَّبُ بِجَبَّارِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وكان حازماً كريماً متواضعاً ، يجمع سنة ويفزو سنة ، ولم يرَ خليفة أجود منه ، وأخباره كثيرة جلداً . كانت مدة ولايته ٢٣ سنة وشهرين .. توفي في « سنا باز » من قرى « طوس » سنة ١٩٣ هـ وبها قبره .

[الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، وتاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٥ - ١٣ ، والبدایة والنهاية ج ١٠ ص ١٦٤ وغيرها ، والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٨٢ ، و ١٢٩ - ١٣٤ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٢٨٦ - ٢٩٥ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٣٣٤ ، وما بعدها ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٤٧ - ٣٧٦] .

(١) تُحَرِّمُ فِيهَا : تَحْتَمِي وَتَمْنَعُ

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي (م) ، .. وَفِي (ط) ، وَالدِّيَوَانُ : « سَالماً ، بَدَلِ « آمِنًا » .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : (أَوْ) بَدَلِ (وَفِي) .

(٤) تَقَفَّتْ : تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَتْ وَأَحْدَثَتْ صَوْتًا . وَكَذَلِكَ : فَتَقَفَّ السَّلَاحُ : أَحْدَثَ صَوْتًا عِنْدَ تَحْرِيكِهِ . وَحَشْرَجٌ : رَزْدٌ تَقَسُّهُ فِي حَلْقِهِ ، وَيُقَالُ : حَشْرَجَ الْمُخْطَضِرُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَحَشْرَجَتْ رُوحُهُ فِي صَدْرِهِ ، أَيْ : أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ .

(٥) هُوَ : الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ ، وَزَيْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَأَخُوهُ فِي الرِّضَاعِ .. وُلِدَ سَنَةَ ١٤٧ هـ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ ، اسْتَوَزَرَهُ الرَّشِيدُ مُدَّةَ قَصِيرَةٍ ، ثُمَّ وُلِّاهُ « خِرَاسَانَ » سَنَةَ ١٧٨ هـ ، فَحَسُنَتْ فِيهَا سِيرَتُهُ ، قَامَ إِلَى أَنْ فَكَّ الرَّشِيدُ بِالْبِرَامِكَةِ سَنَةَ ١٧٨ هـ ، وَكَانَ الْفَضْلُ عِنْدَهُ بِبَغْدَادَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ يَحْيَى ، وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلَى « الرِّقَّةِ » فَسَجَنَهُمَا ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا الرِّزْقَ ، وَاسْتَصَفَى أَمْوَالَهُمَا وَأَمْوَالَ الْبِرَامِكَةِ كَافَةً . وَتَوَفَّى الْفَضْلُ فِي سَجْنِهِ بِالرِّقَّةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ١٩٣ هـ ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ : « كَانَ الْفَضْلُ مِنْ عَامَسِ الدُّنْيَا .. نَمَّ يَرُّ فِي الْعَالَمِ مِثْلُهُ » .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٤ - ٣٣٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٧ - ٣٦ ، والطبري ج ٨ ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، وص ٣٤١ وغيرها] .

وَيُرَى أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(١) لَيْسَ أَفْعَرَ رِيَابِهِ ، وَمَسُّ أَطْيَبَ طَبِيبِهِ ، وَنَظَرَ فِي مِرْآئِهِ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ! وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَقَالَ لِجَارِيَتِهِ : كَيْفَ تَرَيْنِ ؟ فَقَالَتْ ^(٢) :

أَنْتِ نَعَمْ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتُ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلِلِّسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِى

فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَصَوَّاهُ يُسْمِعُ آخِرَ الْمَسْجِدِ ، فَرَكِبَتْهُ الْحُمَّى ، فَلَمْ يَزَلْ صَوَّاهُ يَنْقُصُ حَتَّى مَا يَسْمَعُهُ ^(٣) مِنْ حَوَاهِ ، فَصَلَّى وَرَجَعَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَسْحَبُ رِجْلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : مَا الَّذِي قُلْتَ لِي فِي صَحْنِ الدَّارِ [وَأَنَا خَارِجٌ] ؟ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُكَ وَلَا قُلْتَ [لَكَ] ^(٤) شَيْئًا ، وَأَتَى لِي بِالْخُرُوجِ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ ؟ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي ، ثُمَّ عَهْدَ عَهْدَهُ ، وَأَوْصَى وَصِيَّتَهُ ، فَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى إِلَّا وَهُوَ فِي قَبْرِهِ

وَوُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ^(٥) :

مَنْ كَانَ لَا يَطْأُ الثَّرَابَ بِرِجْلِهِ وَطِءَ الثَّرَابَ بِصَفْحَةِ الْحَدِّ ^(٦)
مَنْ كَانَ يَتَنَكَّرُ فِي الثَّرَابِ وَتَيْنَهُ شِيرَانٍ كَانَ بِعَايَةِ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثِرَتْ لِلنَّاسِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤَلَّى مِنَ الْقَبْدِ

(١) سبق التعريف به .

(٢) الشعر لموسى بن يسار ، مولى بنى تيم من قريش .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١ - دار الكتب العلمية] .

(٣) في « ط » : سمعه .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » في الموضعين وساقط من « ط » .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) في « ط » : « بناجي » بدل « بصفحة » ، وصفحة الحد : جانباه .

وَقَالَ الْهَيْكَمُ بْنُ عَدَى^(١) : وَجَدُوا غَارًا فِي جَبَلِ ثُبَّتَانَ زَمَانَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢) ،
وَفِيهِ رَجُلٌ مُسَجَّى عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ
بِالرُّومِيَّةِ : أَنَا سَبَّأُ بْنُ ثَوَّاسٍ بْنِ سَبَّأٍ ، خَدَمْتُ عِيسَى بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ

(١) هو : الهيم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، ولد في سنة ١١٤ هـ ،
وكان مؤرخاً وعلماً بالأدب والنسب ، وأصله من « منبج » ، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها
الكثير ، واختص بمجالسة المنصور والمهدي والمهدي والرشد ، وروى عنهم . وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل
أخبارهم ، فأورد في بعض كتبه معانيهم وأظهرها ، فذكر لذلك وطناً في نسبه ، وقيل فيه :

إِذَا نَسَبْتَ عَدِيًّا فِي بَنِي ثَعْلٍ فَقَدْ لَمْ تَدَالِ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ

ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء ، فمُحِسَّ عدة سنين . قال ابن قتيبة وغيره عنه : إنه كان يرى رأى
الخوارج . وهو عد بعض علماء الحديث من المدلسين ومن غير الثقات . وله الكثير من المصنفات والتأليف ، منها
كتاب الخائب ، وكتاب المعقَّرين ، وكتاب تاريخ العجم وبنى أمية ، وكتاب من تزوج من الموالى في العرب ،
وخطط الكوفة ، وطبقات الفقهاء والحدثين ، وتاريخ الأشراف الصغير ، وكتاب النواصر ، وغيرها . توفي في « دم
الصلح » قُربَ واسط سنة ٢٠٧ هـ وقيل سنة ٢٠٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٠٤ و ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٦ - ١١٤ ، والمعارف لابن قتيبة
ص ٥٣٧ - ٥٣٩ ، وكتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري ص ٢٤٧ ، وكتاب الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي
ج ٤ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وطبقات المدلسين لابن حجر المصقلاني ص ٨٦ ، وطبقات المفسرين للداودي ج ٢
ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والبيان والتبيين للمجاط ج ١ ص ٥٦ و ٣٤٧ وغيرهما من الصفحات ، وتاريخ بغداد ج ١٤
ص ٥٠ - ٥٤]

(٢) هو : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو العباس ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٤٨ هـ ،
وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦ هـ ، فوَجَّهَ القواد لفتح البلاد ، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن
زياد ، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند والتركستان وأطراف الصين شرقاً ، وكان ولعاً بالبنيان
والعمران ، وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ،
وأقام لكل مُقْعِدٍ خادماً ، ورثب للفقراء أموالاً وأرزاقاً ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوى إليها الغرباء . وهدم مسجد المدينة
والبيوت المحيطة به ثم بناه بناءً جديداً ، وصنَّعَ الكعبة والميزاب في مكة ، وبنى المسجد الأقصى ، ومسجد دمشق
الكبير ، المعروف بالجامع الأموي ، وكان نقش خاتمه « يا وليد إنك ميت » .. توفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ ،
وُدِّفن بدمشق ، ومدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر .

[الأعلام ج ٨ ص ١٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ، وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٢٣
وغيرها] .

[الرَّبُّ] [الدَّيَّانُ] [الْمَلِكُ] ^(١) الْأَكْبَرُ ، وَعِشْتُ بَعْدَهُ عُمْرًا طَوِيلًا ، وَرَأَيْتُ عَجَبًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أَرَفِيسًا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنْ غَابِلٍ عَنِ الْمَوْتِ ، وَهُوَ يَرَى مَصَارِعَ آبَائِهِ ، وَيَقِفُ عَلَى قُبُورِ أَحِبَّائِهِ ^(٢) ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَا يُتُوبُ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَخْلَافَ الْجَفَاءَ سَيَنْزِلُونَنِي عَنْ سِرِّي وَيَتَمَوَّلُونَهُ ^(٣) وَذَلِكَ حِينَ يَتَغَيَّرُ الزَّمَانُ ، وَتَتَأَمَّرُ الصَّبِيَّانُ ، وَيَكْثُرُ الْجَذَنَانُ ^(٤) فَمَنْ أَدْرَكَ هَذَا الزَّمَانَ عَاشَ قَلِيلًا ، وَمَاتَ ذَلِيلًا .

وَرَوَى أَنَّ الْإِسْكَندَرَ مَرَّ بِمَدِينَةٍ قَدْ مَلَكَهَا أَمْلَاكٌ سَبْعَةٌ وَبَادُوا ، فَقَالَ : هَلْ بَقِيَ مِنْ نَسْلِ الْأَمْلَاكِ إِلَّا ... ؟ قَالُوا هَذِهِ الْمَدِينَةُ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ يَكُونُ فِي الْمَقَابِرِ . فَدَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ ^(٥) : مَا دَعَاكَ ؟ فَقَالَ ^(٦) : أَرَدْتُ أَنْ أُعْزِلَ عِظَامَ الْمُلُوكِ مِنْ عِظَامِ عِبِيدِهِمْ ، فَوَحَّدْتُ ذَلِكَ سَوَاءً . قَالَ : فَهَلْ لَكَ أَنْ تُتَبِعَنِي فَأُخْبِي بِكَ شَرَفَ آبَائِكَ إِنْ كَانَتْ لَكَ هِمَّةٌ ؟ قَالَ : إِنْ هِمَّتِي لِعَظِيمَةٍ إِنْ كَانَتْ بُعِثَتِي عِنْدَكَ . قَالَ : وَمَا بُعِثَتِكَ ؟ قَالَ : حَيَاةٌ لَا مَوْتَ فِيهَا ، وَشَبَابٌ لَا هَرَمَ فِيهِ ، وَرَغْنٌ لَا يَتَّبَعُهُ فَقْرٌ ، وَسُرُورٌ لَا يَغْيِرُهُ ^(٧) مَكْرُوهٌ . قَالَ : مَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا . قَالَ : فَأَنْفِذْ لِشَأْنِكَ وَخَلْنِي ^(٨) أَطْلُبْ بُعِثَتِي مِنْ هِيَ عِنْدَهُ ! فَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : هَذَا أَحْكَمُ مَنْ رَأَيْتُ .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ عِمْسَى بِنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنَمَا هُوَ فِي بَعْضِ سِيَاحَتِهِ إِذْ مَرَّ بِجُمُجُمَةِ نَحْرَةٍ ^(٩) فَأَمَرَهَا أَنْ تُتَكَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَنَا « بَلَوَامُ بِنُ

(١) ما بين المعقوفين عن ط ، وساقط من م ، في الموضعين .

(٢) في ط : « قَبْرُ أَحِبَّائِهِ » .

(٣) في ط : « سَيَنْزِلُونِي » .. والأخْلَافُ : جمع جُلْفٍ ، ويُطْلَقُ عَلَى الْأَحْمَقِ وَالْغَلِظِ الْجَانِ . وَيَتَمَوَّلُونَهُ : يَفْتَنُونَهُ ، أَيْ : يَأْخُذُونَ سِرِّيهِ الْمَصْنُوعَ مِنَ الذَّهَبِ قُبَّةً طَمَ بَعْدَ مَوْتِهِ .

(٤) تَأَمَّرُ الصَّبِيَّانُ : يَصِيرُونَ أَمْزَاءً . وَ الْجَذَنَانُ : صَغِيرَا السِّنِّ .

(٥) سَقَطَتْ « لَه » مِنْ « م » .

(٦) في ط ، قَالَ .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « يَعْتَرِيهِ » أَيْ : يُلْمُ بِهِ .

(٨) أَنْفِذْ لِشَأْنِكَ أَيْ : امْضِ خَالِكَ . وَخَلْنِي : دَعْنِي . وَفِي « م » : « حَتَّى » بَدَلِ « خَلْنِي » .

(٩) نَحْرَةٌ : بِالْيَةِ مُقْتَنَةٌ .

خَفِصِي « مَلِكُ الْيَمَنِ ، عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَوُلِدَ لِي أَلْفُ ذَكَرٍ ، وَانْقَضَتْ أَلْفُ بَكْرٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ عَسْكَرٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَانْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَغْتَرُّ بِالْأَلْفِ كَمَا غَرَّيْتَنِي ، فَمَا كَانَتْ إِلَّا كَحُلْمٍ نَائِمٍ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ بَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ بَادَ أَهْلُهُ ، وَأَقْفَرَتْ سَاحَتُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ
يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مَذْكَائُوا وَبِالذَّمِّ
تُبْكِي عَلَيْهِمْ دِيَارُكَانَ يُطْرِهَا
تَرْتُمُ الْمَجْدَ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نُوحٍ ^(١) : نَزَلَ حَتَّى مِنَ الْعَرَبِ شَيْعًا ^(٢) مِنْ شِعَابِ الْيَمَنِ ، فَتَشَاحَنُوا فِيهِ وَاخْتَلَفُوا ، وَاسْتَعْدُّوا لِلْقِتَالِ ، فَأِذَا صَائِحٌ ^(٣) بِصَيْحٍ : يَا هَوَلَاءِ ، عَلَى رِسْلِكُمْ .. عَلَامُ الْقِتَالِ [فَيَ] ؟ ^(٤) فَوَاللَّهِ لَقَدْ مَلَكَنِي سَبْعُونَ أُعْوَرًا ، كُلُّهُمْ اسْمُهُ عَمْرُو .

أَيُّهَا ^(٥) الرَّجُلُ ، اغْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ ^(٦) ، وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ ، وَكَيْفَ بَسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا ، وَأُنْسِفَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ ^(٧) ، وَأُنْفِصَ ^(٨) لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآثَالِ ، وَامْدُوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ ، كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكُلْكُلِهِ ^(٩) الْمُنُونُ ، وَاخْتَدَّعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ

(١) هكذا في « ط » .. وقد ورد اسمه في حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٨ وفيه : « حدثني حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبي نوح قال ... » .. ولم أقف على ترجمة مفصلة له .. وفي « م » نزل « مكان » نزل « تحريف » .

(٢) الشَّعْبُ : بكسر الشين المشددة وسكون العين المهملة : الطريق ، وقيل : الطريق في الجبل ، أو الانفراج بين الجبلين ، والجمع : شعاب .

(٣) في « م » : « يصائح » .. وعلى رِسْلِكُمْ أَي : اتَّيَبُوا وَلَا تُعْجَلُوا .

(٤) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) في « م » : « يا أيها » .

(٦) اعتبر : أي أخذ منهم عبرة وعظة . والأقيال : جمع قبيل ، وكان يطلق على ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

(٧) أنْسِفَتْ لَهُمُ الْأَجَالُ : أَي أَخْرَ مَوْتُهُمْ ، أَوْ : عاشوا طويلاً .

(٨) في « ط » : « وانفصَح » .

(٩) بِكُلْكُلِهِ : بصنوبره . وقد يستعار - الكلكل - لِمَا لَيْسَ بِجِسْمٍ ، مثل قول أعرابية ترى ابنها :

« أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلْكُلَهُ » مَنْ ذَا يَقُومُ بِكُلْكُلِ الدَّهْرِ

وفي « م » : « كلكله » بدون باء .. والمنون : الموت .

الدَّهْرُ الْحَوُونَ ، وَأَسْكَبُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّحُورِ ، وَعَادَ الْعَيْنُ
 أَنْزَا ^(١) ، وَالْمَلِكُ خَبَرًا ^(٢) ، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ ، وَبَقِيَ كَذْرُهُ ، فَأَلَمْتُ
 الْيَوْمَ تُخْفَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ^(٣) ، كَانَ الْخَيْرُ أَصْبَحَ خَائِبًا ، وَالشَّرُّ أَصْبَحَ نَاطِرًا ، وَكَانَ الْقَيُّ
 أَصْبَحَ ضَاحِكًا ، وَأَذْبَرَ الرُّشْدَ ^(٤) بَاكِيًا ، وَكَانَ الْعَدْلُ أَصْبَحَ غَائِلًا ، وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ
 غَالِبًا ^(٥) ، وَكَانَ الْعَقْلُ أَصْبَحَ مَذْفُونًا ، وَالْجَهْلُ مَنْشُورًا ، وَكَانَ الْيَوْمُ أَصْبَحَ بِاسِقًا ،
 وَالْكَرَمُ خَائِبًا ^(٦) ، [وَكَانَ الْوُدُّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا ، وَالْبَعْضَاءُ مَوْصُولَةً] ^(٧) ، وَكَانَ
 الْكَرَامَةُ قَدْ سَلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَتَوَجَّى ^(٨) بِهَا الْأَشْرَارُ ، وَكَانَ الْخَبُّ ^(٩) أَصْبَحَ
 مُسْتَيْقِظًا ، وَالْوَفَاءُ نَائِمًا ، وَكَانَ الْكَذِبُ أَصْبَحَ مُثْمِرًا ، وَالصَّدَقُ مَاجِلًا ^(١٠) ، وَكَانَ
 الْأَشْرَارُ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ ^(١١) ، وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرْدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ . أَمَا تَرَى
 الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ الطَّالِبِ ، وَتُذْهِبُ إِذْبَارَ الْهَارِبِ ، وَتَصِلُ وَصَالَ الْمَلُولِ ، وَتَفَارِقُ فِرَاقَ
 الْعَجُولِ ^(١٢) ، فَخَيْرُهَا يَسِيرُ ، وَغَيْرُهَا قَصِيرٌ ، وَإِقْبَالُهَا خَدِيعَةٌ ، وَإِذْبَارُهَا فَجِيعَةٌ ،

(١) العين : الحاضر من كل شيء .. والأثر : العلامة ، أو ما يخلفه السابقون . يريد : أنهم صاروا ماضياً لا يذكر لهم .

(٢) في « م » : تحريماً .

(٣) التُّخْفَةُ : الطَّرْفَةُ . وفي الحديث : « تُخْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ » ، أى : ما يصيب المؤمن في الدنيا من الأذى ، وماله عند الله من الخير ، الذى لا يصل إليه إلا بالموت . ويُشبهه الحديث الآخر : « الموت راحة المؤمن » .

[انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ١ مادة « تحف » ، وانظر اللسان المادة نفسها] .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « الغي » بدل « القى » وفيها : « والرشد باكياً » بدون أدبر .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وكان العدل أصبح غائراً وأصبح الجور غالياً » .. والغالى : خلاف الرخيص .. وغائلاً ، أى : فساداً وشراً .

(٦) باسقاً : له مكانة عالية .. والكرم خاويًا : لامتزلة له بين الناس .. وفي « م » : « داوياً » بدل « خاوياً » أى : هالِكاً .

(٧) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٨) توجى بها الأشرار ، يعنى : يناجى بعضهم بعضاً بها ، أو لازمهم واستولوا عليها .. وفي

« ط » : « وتوَّجَّى » بدل « وتوَّجَّى » ، وهى بمعنى : وقصِدَ .

(٩) الخبُّ : الخلدُ والغش . وفي الحديث : « لا يدخل الجنة خبٌّ ولا خائن » أى : خادع غشاش ، بفتح الخاء وكسرها .

(١٠) ماجلاً : مُجْدِباً لا خير فيه .. وفي « م » : « قاحلاً » وهى بمعناها .

(١١) يسامون السماء : يطأونها .

(١٢) الملول : السريع الملل .. وفي « م » : « الملوك » بالكاف .. والعجول : المُسرَّعة .

وَلَدَّأَتْهَا فَايَتَهُ ، وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةً ، فَاعْتَنِمَ غَفْوَةَ الزَّمَانِ ، وَاتَّهَزَ قُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ، وَخُذَ مِنْ
نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدَ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ ، وَلَا تُتَافِسْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي خَفْضِ عَيْشِهِمْ ،
وَلَيْنَ رِيَاسِهِمْ ^(١) ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ طَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ ^(٢) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

رُبُّ مَقْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ عِدَمَتُهُ عَيْنُ مُعْتَرِمِهِ ^(٤)
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ مَأْتُمُهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ غُرْمِهِ

وَقَدْ قَالَ التَّهَامِيُّ ^(٥) :

تُتَافِسُ فِي الدُّنْيَا غُرُورًا وَإِنَّمَا قُصَاوِي غَنَاهَا أَنْ تُعُولَ إِلَى الْفَقْرِ ^(٦)

(١) الخفص : الدعة وسعة العيش .. ولين الرياش : الناعم والفاخر من اللباس والأثاث .

(٢) التُفَنُّ : الرحيل ، ويعنى به رحيلهم عن الدنيا .. والتُنْقَلَب : العاقبة والمآل .

(٣) هو : سليمان بن مسلم بن الوليد ، الشاعر الضريع ، وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغواني ، المشهور .. كان كآبيه شاعراً مُجِيداً ، وكان ملازماً لبشار بن بُرْد يأخذ عنه ، ولذا كان مُتَهَمًا بدينه - وقال الجاحظ : إنه أخو مسلم بن الوليد وليس ابنه - توفي سنة ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، والحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ط دار الجليل ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٢ بتحقيق عبد السلام هارون] .

(٤) هكذا في (م ، و ط .. وفي البيان والتبيين ومعجم الأدباء : « عِدَمَتُهُ كَف » . وفي الحيوان : (فَقَدَتْهُ كَف » .

(٥) هو : علي بن محمد بن فهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن) من المجيدين ، وشعره غاية في الحسن . زار الشام والعراق ، وقدم القاهرة مُستَخْفياً ، ومعه كُتُبٌ من حسان بن المفرج البدرى (الطائي) أيام استقلاله ببادية فلسطين إلى بنى قُرَّة (قبيل عصيانهم بمصر) فعلمت به حكومة مصر ، فاعتُقِلَ وحُبِسَ في دار البندوب في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر (وكان يُحْبَسُ فيها مَنْ يُرَادُ قَتْلُهُ) ثُمَّ قُتِلَ سِيراً في سجنه في تاسع جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ ، وكان دُيْنًا وَرِعاً عن الهجاء ، وهو صاحب القصيدة التي مطلعها :

حُكْمُ النَّيِّ في الرِّبْوَةِ جَارِي
ماهنة الدنيا بدار قَرَارِي

[انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط دار الكتب المصرية ، وسر أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ ، ٢٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ - ٣٨١ والأعلام ج ٤ ص ٣٢٧] .

(٦) قُصَاوِي غَنَاها : غاية الغنى فيها .

وَأَنَا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكِبٍ سَفِينَةٍ نَظَنُّ وَفَوْفًا وَالزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي ^(١)
وَلِيَغْضِي الشُّعْرَاءُ ^(٢) :

تُرْوَحُ لَكَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الَّذِي عَدَدْتَ وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورٌ ^(٣)
وَتَجْرِي اللَّيَالِي بِاجْتِمَاعٍ وَفُرْقَةٍ وَتَطْلُعُ فِيهَا أَنْجُمٌ وَتَغُورُ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ بَاقٍ سُرُورُهُ فَذَاكَ مُحَالٌ لَا يَدُومُ سُرُورٌ ^(٤)
عَفَا اللَّهُ عَنْ مَنْ صَبَّرَ الْهَمَّ وَاحِدًا وَأَيُّقِنَ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَلُورُ

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَرَأْتُ فِي كُتُبِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَنَّ الْمَسِيحَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) اجْتَارَ بِجُمُوعَةِ هَائِلَةِ عَظِيمَةِ نَجْرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسْتَنْطِقَ هَذِهِ الْجُمُوعَةَ ، فَعَسَى تُخْبِرُنَا بِمَا رَأَيْتُهُ مِنَ الْعَجَائِبِ ، فَفَعَلَ ، فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، إِنِّي عِشْتُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَاسْتَوْلَدْتُ أَلْفَ ذَكَرٍ ، وَافْتَحْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ ، وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ، وَقَتَلْتُ أَلْفَ جَبَّارٍ ، وَصَحَبْتُ الدَّهْرَ وَاخْتَبَرْتُهُ ، وَامْتَحَنْتُ ثَقَلْبَهُ وَأَنْقَلَبَ ، فَلَمْ أَرِ [شَيْئًا] ^(٦) أَشَدَّ مِنْ طَالِحٍ يَلِي أَمْرَ صَالِحٍ ^(٧) ، وَلَمْ أَجِدْ لِهَذَا الدَّهْرِ شَيْئًا أَنْفَعَ مِنَ الصَّبْرِ وَمُسَالَمَةِ أَهْلِهِ ،

(١) في « ط » : والزمان « بها » بدل « بنا » .. و « نظن » بدل « نظن » .. والرَّكِب : الراكبون ، ويُطلق على العشرة فما فوق .

(٢) الأبيات وردت في « العقد الفريد » ج ٢ ص ٢٧٩ باختلاف في الترتيب ، واختلاف في بعض الألفاظ متنبِّه في موضعه .

(٣) في العقد الفريد .. هذا البيت ترتيبه الثاني ، وقبله : « عفا الله عن من صبر الهَم » . والبيت الرابع جاء ترتيبه الأول .

(٤) البيت في العقد الفريد :

وتطمع أن يفي السور لأهله وهذا مُحَالٌ أَنْ يَدُومَ سُرُورُ

(٥) مابين المعقوفين عن « م » .

(٦) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « صالح يلي أمر طالح » والطالح : الفاسد من الناس .

[وَلَمْ أَرْ هَلَاكَ أَهْلِهِ] ^(١) إِلَّا فِي الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ ، وَوَحَدْتُ الْعِزَّ فِي الرِّضَا بِالْقِسْمِ ^(٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ : آخِرُ شِعْرِ قَالَهُ [أَبِي] ^(٣) فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّي فِيهِ [رَحِمَهُ اللَّهُ] :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَالِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوُكَ إِنِّ غَفَوْتُ ، وَحَسَنُ ظَنِّي ^(٤)
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبِرَائِي وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنَّ ^(٥)
إِذَا فَكَّرْتُ فِي قُدَمَى عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي ^(٦)
أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأَقْطَعُ طَوْلَ عُمْرِي بِالتَّمَنِّي ^(٧)
وَيَسِّنْ يَدَيَّ بِبِقَاتٍ عَظِيمٍ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » ولا يستقيم المعنى إلا به .

(٢) القِسْم ، بكسر القاف وسكون السين المهملة ، وهي بمعنى الحظ والصيب وجمعها : قِسَمٌ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من « م » في الموضحين .

(٤) في « ط » : « فَمَا لِي » .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي الديوان : « فكم » بدل « وكَمْ » وفي « م » :

وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا غَفَرْتُ ، وَأَنْتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنَّ

(٦) في الديوان : « لَدَمِي » بدل « قُدَمَى » ، وعَضَضْتُ أَنَامِلِي وَفَرَعْتُ سِنِّي : كناية عن التدم ، وبعد هذا البيت

في الديوان :

يَظُنُّ النَّاسُ فِي تَخَيَّرِي وَإِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ إِن لَمْ تُعَفِّ عَنِّي

وهو ساقط من « ط » .. وسيأتي في « م » في آخر الأبيات ، وفيه « يُعَفِّ » بدل « تُعَفِّ » .

(٧) الشطر الثاني في الديوان : « وَأَفْنَى الْعَمْرِ فِيهَا بِالتَّمَنِّي » .

(٨) الشطر الأول في الديوان : « وَيَسِّنْ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ » . وأراد بالاحتبس : المنسك ، يعني : طريق الزهد

والتعبد ، أي : بين منسك تقبل الوطأة عليه ، كأنه قد دُعِيَ إليه ، ولكن الدنيا صرفته عنه .

وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ اللَّهَ فِيهَا قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْجَحَنُّ ^(١)
يُظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ يُعَفَّ عَنِّي ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٣) : لَمَّا وَقَفَ وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ ^(٤) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ ^(٥) : أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قُسَ بْنَ سَاعِدَةَ ^(٦) ؟ قَالُوا : كُلُّنَا نَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(١) هكذا البيت في م ، و ، ط ، .. وفي الديوان : « صَدَقْتُ الزَّهْدَ » بدل « صَدَقْتُ اللَّهَ » .

(٢) هكذا البيت في م ، وهو ساقط من « ط » .. وجاء ترتيبه الخامس في الديوان . وقد أُشْرِتْ إلى ذلك .

(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، صحابي جليل ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سنة ٣ قبل الهجرة ، ونشأ في بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه الأحاديث ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللَّهُمَّ أَطِيعُوا الْحِكْمَةَ وَعَلِمَتَهُ التَّأْوِيلَ » ، وقال : « لَمَسَى الْأَمُوتَ حَتَّى يُؤْتِي عِلْمًا وَيُذْهِبَ بَصَرَهُ » فكان كما قَالَ - صلى الله عليه وسلم - « خَيْرُ الْأُمَّةِ » ، وله في الصحيحين ١٦٦ حديثاً . وقال عنه ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ، وقال عمرو بن دينار : ماريت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس . وكان عمر بن الخطاب إذا أَعْضَلَتْ عليه قضية دعا ابن عباس وقال له : أنت لها ولأمثالها ، ثم يأخذ بقوله .. وقد شهد مع علي بن أبي طالب وقعة الجمل وصفين ، وكُفِّ بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف ، وتوفي بها سنة ٦٨ هـ .

[انظر نسب قريش ص ٢٦ ، ٢٧ والأعلام ج ٤ ص ٩٥] .

(٤) في « ط » : « لَمَّا وَرَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ » .. وفي البداية والنهاية : « قَدِيمٌ وَفَدَّ » وعبد القيس : قبيلة عظيمة تنسب إلى عبد القيس بن أُنْصَى بن دُعْجَى بن جَدِيلَةَ بن أَسَدَ بن ربيعة بن عدنان .. كانت ديارهم بتهامة ، ثم خرجوا منها إلى البحرين واستقروا بها .. وهم بطون كثيرة ، وظهر فهم مشاهير .. والنسبة إليهم قيسِي ، وعبد قيسِي ، .. وكان قديم وفد عبد القيس على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سنة ٩ هـ ، وَرَحَّبَ بِهِمُ النَّبِيُّ ، ودعاهم إلى الإيمان ، فآمنوا .. وقد أُرْتُدُّ أَهْلُ الْبَحْرَيْنِ بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ ، فَأَمَّا عَبْدُ الْقَيْسِ فَبَقِيَ ، ثم آمَنُوا لِلْمُسْلِمِينَ ، وناصروا علي بن أبي طالب سنة ٣٦ هـ ، ثم اعتزلوا القتال سنة ٤٠ هـ ، ثم حاربوا في سنوات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ مع المهلب بن أبي صفرة ، عامل الزبير . وأخبارهم كثيرة .

[انظر معجم قبائل العرب ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، والأعلام ج ٤ ص ٤٩ ، وانظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠ ، والأغانى ج ١٥ ص ٥٥٧١ - ٥٥٧٦] .

(٥) في « ط » : فقال .

(٦) هو : قُسَ بْنَ سَاعِدَةَ بن عمرو بن عدى ، من بني لُيَادَ ، أحد حكماء العرب ، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، ويقال : إنه أول عربي خطب متوكفاً على سيف أو عصا ، وأول من قال في كلامه : « أُمَّا بَعْدَ » ، وكان يفتد على قيسر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه . وهو معلود من الشَّعْمَرَيْنِ ، وأدركه النبي ، صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، ورآه في « عكاظ » ، وسُئِلَ عنه بعد ذلك فقال : « إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمه وحده » توفي سنة ٢٣ قبل الهجرة تقريباً .

قَالَ ^(١) : لَسْتُ أَنْسَاهُ بِكَاظَ عَلَى جَمِيلٍ أَحْمَرَ ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا ، فَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَاسْمِعُوا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ فَعُوا ، فَإِذَا وَعَيْتُمْ فَقُولُوا ، فَإِذَا قُلْتُمْ فَاصْدُقُوا . مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ ^(٢) مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَحَبِيرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِيبًا ^(٣) . وَمَهَادٌ مَوْضُوعٌ ، وَسَقَفٌ مَرْفُوعٌ ، وَنُجُومٌ تَمُورُ ، وَبُحُورٌ لَا تَغُورُ ^(٤) . أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمَ حَقٌّ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ ، لَئِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ رِضًا لَيَكُونَنَّ سَخَطًا ، إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ؟ أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا ؟ أَمْ ^(٥) تَرْكُوا عَلَى [حَالِهِمْ] فَنَامُوا ؟

ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يَرَى شَيْعَرَهُ ؟ فَأَنْشُدُوهُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ — سَنَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ ^(٦)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٩٦ ، وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، وغيرها ، والأغاني ج ١٥ ص ٥٥٧٠ - ٥٥٧٦ .]

(١) في « ط » : « قال رجل » خطأ .. والصواب ما ورد في « م » ، وجاء في المصادر السابقة ، حيث إن الذي رآه هو الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

(٢) في « م » : « من » ، بحذف الواو .

(٣) هكذا في « ط » ، وفي البداية والنهاية وغيرها .. وهو الصواب .. وفي « م » : « لخير » و « لغير » بالرفع ، خطأ ، فاللام هنا زائدة لأعمل ها .. و « خير » و « غير » اسمان لأن .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وبحر لا يغور » أي : لا يذهب في الأرض . ونجوم تمور ، أي : تمذهب ونحى .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فقاموا » بدل « فاقاموا » و « أو » بدل « أم » ، والمأنسب هنا « أم » بعد حمزة الاستفهام .. والمقام : الإقامة ، وما بين المقوفين بعدها ساقط من « م » .

(٦) في البيان والتبيين ، وفي الأغاني ، والبيان والنهاية : « يمضي » بدل « تمضي » وكلاهما صواب .

لا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيْكَ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرٌ ^(١)
 سَكُنُوا الْبُيُوتَ فَوُطِّنُوا إِنَّ الْبُيُوتَ هِيَ الْمَقَابِرُ ^(٢)
 أَتَيْتُ أَتَى لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرٌ

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَمْرِهِ ^(٣) عَجَبًا : افْتَحَمْتُ وَإِدْيَا فَإِذَا أَنَا بِعَيْنِي جَارِيَةً ^(٤)
 وَرَوْضَةً مُدْهَامَةً ، وَشَجَرَةً عَادِيَّةً ، وَإِذَا [أَنَا] ^(٥) بِقُصِّ بْنِ سَاعِدَةَ قَاعِدَةً ^(٦) فِي أَصْلِ
 الشَّحْرَةِ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى الْعَيْنِ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ ؟ فَكَلَّمَا وَرَدَ سَبَّعٌ عَلَى
 صَاحِبِهِ ضَرْبَهُ بِالْعَصَا وَقَالَ : تَنَحَّ حَتَّى يَشْرَبَ الْإِدْيَا وَرَدَ قَبْلَكَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ دَعَرْتُ
 دُعْرًا شَدِيدًا ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : لَا تَحْجَفْ ، فَالْتَفَتْتُ ، فَإِذَا [أَنَا] ^(٧) بِقَبْرَيْنِ بَيْنَهُمَا
 مَسْجِدٌ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ الْقَبْرَانِ ؟ فَقَالَ ^(٨) : هُمَا قَبْرَا أَخَوَائِي ، كَانَا يُعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى مَعِيَ
 فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَأَنَا أُعْبُدُ اللَّهَ بَيْنَهُمَا حَتَّى الْخَلَقَ بِهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا
 تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ فَتَكُونَ فِي جِيرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ لِي : تَكَلِّتْ أَتَمُّكَ ^(٩) ، أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنْ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ ^(١٠)

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » وسقط من الأغاني وأشير إليه في الحاشية .. وفي البداية والنهاية :

« لَأَمْنٌ مَضَى بَأَى إِلَيْكَ (م) وَلَامِنَ الْبَاقِينَ غَابِرٌ » .

وفي البيان والتبيين :

« لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقين غابِرٌ »

(٢) لم يذكر هذا البيت في المصادر السابقة .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « منه » .

(٤) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عين خُرَّارة » وهي بمعناها ، يقال : عين خُرَّارة أى : جارية . وروضة
 مُدْهَامَةٌ ، أى : سوداء ، من شدة الخُضْرَةِ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) في « م » : « قَاعِدًا » بالنصب . وفي الأغاني ، والبداية والنهاية وغيرهما : بالرفع ، على أنها خبر ، و « إذا »
 هنا : حرف فجأة لاصحل له .. وورد على العين : أَشْرَفَ عليها حتى يشرب منها .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٨) في « ط » : « وقال هما قبرا أَخَوَيْ » .. وفي البداية والنهاية وفي الأغاني : « أَخَوَيْنِ » .

(٩) في جبرتهم ، أى : بجوارهم .. وتكَلِّتْ أَتَمُّكَ ، أى : فقدتكَ . وهو دعاء بالهلاك .

(١٠) ولد إسماعيل ، يعنى أُمَّة إسماعيل بن إبراهيم ، عليهما السلام . وفي البداية والنهاية : « أَنُّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ »

تركوا دين أبيهم .

تَرَكَتْ دِينَ أُيْبَهَا وَاتَّبَعَتِ الْأَصْنَامَ وَعَظُمَتِ الْأُنْدَادُ ^(١) ؟ ثُمَّ تَرَكَتْنِي وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْرِينِ
وَقَالَ ^(٢) :

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا أُجِدُّكُمَا مَائِقُضِيَّانِ كَرَّاكُمَا ^(٣)
أَرَى النَّوْمَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا كَأَنَّ الَّذِي يَسْقَى الْعُقَارَ سَقَاكُمَا ^(٤)
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانٍ مُفْرَدٍ وَمَالِي فِيهِ مِنْ خَلِيلٍ سِوَاكُمَا ^(٥)

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « واتبعت الأضداد » .. وفي البداية والنهاية : « واتبعت الأضداد ، وعظموا الأنداد » .

(٢) جاء في معجم البلدان أن الذي قال هذا الشعر هو : قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ فِي خَلِيلَيْنِ كَانَا لَهُ وَمَانَا - كما ورد هنا ، وفي الأغاني ، والبداية والنهاية ، وقال آخرون : هذا الشعر لصهر بن غالب ، يرقى أَوْسُ بْنُ خَالِدٍ وَأُتَيْسَا .. وَذَكَرَ أَنَّهُ لِعَبْسِي بْنِ قِدَامَةَ الْأَسَدِيِّ .. وقيل : إنه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له : الحسن بن الحارث .
[انظر الأغاني ج ٥ ص ٥٥٦٩ وما بعدها ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ مادة « راوند »] .

(٣) هكذا البيت في « ط » ، وفي الأغاني ، والبداية والنهاية ، ومعجم البلدان .. وفي « م » : « : لائقضيان » بدل « مائقضيان » .. وفي معجم البلدان : « يُدَيْسِي » بدل « خَلِيلِي » .. وقد وردت الشطرة الأولى من البيت في « م » مكسورة ، حيث سقطت منها « قد » .. وَأُجِدُّكُمَا : أى أُبْجِدُّكُمْ . وَنُصِبَ هُنَا عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَالَ سَيَبويه : أُجِدُّكَ : مُصَنَّرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أُجِدُّا مِنْكَ ، ولكنه لا يستعمل إلا مضافاً ، والكبرى : التعاس .

[انظر اللسان - مادة جدد]

(٤) هكذا البيت في « م » و« ط » و« د » البداية والنهاية .. وفي الأغاني :

« جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا » .

وفي معجم البلدان :

« جَرَى النَّوْمُ بَيْنَ الْعَظْمِ وَالْجِلْدِ مِنْكُمَا كَأَنكُمَا سَاقِي عُقَارٍ سَقَاكُمَا »

والعُقَارُ : الحمر

(٥) هكذا البيت في « م » و« ط » والأغاني .. وفي البداية والنهاية : « بَنَجْرَانٍ مُفْرَدًا » بدل « بِسَمْعَانٍ » ،

و« حبيب » بدل « خليل » .

وفي معجم البلدان :

« أَلَمْ تَعْلَمَا مَالِي بِرَاوُنْدٍ كُلُّهَا وَلَا يَخْرَاقُ مِنْ صَدِيقٍ سِوَاكُمَا »

وسَمْعَانُ : اسم جبل في ديار بني نعيم .. وَرَاوُنْدُ : بلدة قُرب قَاشَانَ وَأَصْبَهَانَ .. وَخَرَّاقُ : اسم موضع بعينه في بلاد العرب .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧ مادة « خرقاق » وج ٣ ص ٢٥٠ مادة « سمعان » و ص ١٩ ، ٢٠ مادة

« راوند »] .

مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ نَازِحاً طَوَالَ اللَّيْلِ أَوْ يُجِيبُ صَدَّاكُمَا ^(١)
 أَتُبْكِيكُمَا طَوَلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي غُصَّةٍ إِنْ بَكََاكُمَا ^(٢)
 كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ بِرُوحِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا ^(٣)
 سَلَامٌ وَنَسْلِيمٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ الْمُؤَلَّى عَلَى سَاكِنَيْكُمَا ^(٤)
 فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَفَايَةٌ لَجُدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تُكُونَ فِدَاكُمَا ^(٥)

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ قُسَّ بَيْنَ سَاعِدَةٍ يُبْعَثُ أُمَّةٌ وَخَدَهَ ^(٦) ، يَعْنِي أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ آمَنَتْ بِنَبِيِّهَا ^(٧) تُبْعَثُ أُمَّةٌ وَخَدَهَا ، لَا يُخَالِطُهَا غَيْرُهَا ، وَيُبْعَثُ قُسٌّ ^(٨) أَيْضاً وَخَدَهَ أُمَّةٌ ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ .

(١) هكذا البيت في (ط) .. وفي (م) : « مقيماً » بالنصب .. وفي الأغاني ، ومعجم البلدان : « أقيم » .. وفي البداية والنهاية ، والأغاني ، ومعجم البلدان ، و (م) : « بارحاً » بدل « نازحاً » وكلاهما بمعنى واحد تقريباً . يقال : بَرَحَ المَكَانَ : إِذَا فَارَقَهُ ، فَهُوَ بَارِحٌ . وَتَرَحَّ : ابْتَعَدَ وَاغْتَرَبَ ، فَهُوَ نَازِحٌ .

(٢) هكذا في (م) و (ط) .. وفي الأغاني : « سأكبيكما » .. وفي معجم البلدان : « وأبكيكما » وفيه : « غَوْلَةٌ » بدل « غُصَّةٌ » .. وفي البداية والنهاية والأغاني : « لوعة » . وجميعها متقاربة في المعنى .. فالغَوْلَةُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح . واللوعة : حُرْقَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَأَلَمٌ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حُبٍّ أَوْ هَمٍّ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَالْغُصَّةُ : الشَّجَا وَالْحُزْنُ وَالْهَمُّ .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط وغيرهما من المعاجم العربية] .

(٣) هكذا البيت في (م) و (ط) .. وفي الأغاني : « بِجِسْمِي » بدل « بِرُوحِي » .

(٤) هكذا البيت في (م) .. وفي (ط) : « عَلَى سَاكِنَاكُمَا » لضرورة الشعر .. وهذا البيت وما يليه لم أقف عليهما في المصادر السابقة .

(٥) هكذا البيت في (ط) والأغاني .. وسقط من (م) .. وفي البداية والنهاية : « فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ أُسْرَى فِدَى » .

(٦) هذا الحديث روى بأكثر من وجه .. وفي البداية والنهاية : أن هذا الحديث غريب جداً .

[انظر ج ٢ ص ٢١٤ - ٢٢٠]

(٧) في (م) : « برسولها » .

(٨) في (م) : « ويبعث الله قُسّاً » .

وَيَرَوِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ ^(١) نَامَ يَوْمًا ، فَأَنْشِدَ فِي نَوْمِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ^(٢) :
 كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رُكْنُهُ وَمَتَازِلُهُ ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ تَنَادَى بِلَيْلٍ مُغْوَلَاتٍ تَوَاكَلُهُ ^(٤)
 فَمَا أَثْتُ عَلَيْهِ عَاشِرَةُ عَشْرَةٍ حَتَّى مَاتَ .

وَأَنْشَدَنِي ^(٥) الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْبَصْرَةِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

(١) هو : محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا عبد الله ، المهدي بالله .. من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وُلِدَ بِالْبَدَج (من كور الأهواز) سنة ١٢٧ هـ ، واستُخْلِفَ يوم مات المنصور بمكة بعهد منه سنة ١٥٨ هـ . وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً . وتوفي في قرية من قرى « مَسْبِدَان » يقال لها : « الرُّدْ » سنة ١٦٩ هـ . قيل : مات صريعاً عن دابته في الصيد . وقيل : مات مسموماً ، وصلى عليه ابنه هارون الرشيد .. كان محمود العهد والسيرة ، مُحِبِّباً إِلَى الرُّعْيَةِ ، حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقِ . وكان جواداً .

[انظر تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٦٨ - ١٨٦ وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢ وغيرهما ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٩١ - ٤٠١ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٢٨ - ٣٣٥ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، والأعلام ج ٦ ص ٢٢١] .

(٢) في تاريخ الطبري : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ يَظْقِينَ قَالَ : كُنَّا مَعَ الْمَهْدِيِّ بِمَسْبِدَان ، فَأَصْبَحَ يَوْمًا فَقَالَ : إِنِّي أَصْبَحْتُ جَانِعًا ، فَأَتَيْتُ بِأَرْغَافَةٍ وَلَحْمٍ بَارِدٍ مَطْبُوخٍ بِالْخَلِّ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي دَاخِلٌ إِلَى الْبَهْوِ وَنَائِمٌ فِيهِ ، فَلَا تُنَبِّهُونِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَنْتَبَهَ . ودخل البهْوُ فنام ، ونما نحن في الدار في الرزاق ، فانتهينا بيكاته ، فقعدنا إليه مُسْرِعِينَ ، فقال : أَمَا رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ؟ قلنا : مَا رَأَيْنَا شَيْئًا ! قَالَ : وَقَفَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ ، لَوْ كَانَ فِي أَلْفٍ ، أَوْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ رَجُلٌ مَا خَفِيَ عَلَيَّ . فَأَنْشَدَ يَقُولُ : كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ .. الخ . وتوفي بعدها بعشرة أيام ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

[انظر الطبري ج ٨ ص ١٧٠ ، ١٧١]

(٣) في الطبري والكامل في التاريخ : « رُبْعُهُ » بدل « رُكْنُهُ » .. وفي رواية : « مَتَازِلُهُ » بدل « مَنَازِلُهُ » ، والمنزل والمنهل بمعنى واحد .. وركنه : جانبه . ورُبْعُهُ : الدار وما حولها ، ويطلق أيضاً على الموضوع الذي يَتَرُكَلُ فِيهِ زَمَنُ الرَّبِيعِ .. وبَادَ : هَلَكَ .. وبعد هذا البيت :

« وَصَارَ غَيْبُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ وَمُلْكُهُ إِلَى قَبْرِ عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ ،

الجنادل : الصخور .

(٤) في الكامل والطبري : « تَنَادَى عَلَيْهِ مُغْوَلَاتٌ خَلَجَلَهُ » .. وفي « ط » : « تَنَادَى » .. مُغْوَلَاتٌ : رافعات الصوت بالبكاء والصياح .. خلجله : زوجته .. نواكله : النساء اللاتي افْتَقَدْنَهُ .

(٥) في « م » : وَأَنْشَدَنَا .

(٦) هو : علي بن عبد العزيز بن الحسن الجُرْجَانِيُّ ، أبو الحسن ، قاضي ، من العلماء بالأدب ، وُلِدَ بِجُرْجَان ، وولى قضاءها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ماصراً به في العلوم علماً ، وفي الكلام عالماً . توفي ببغداد سنة ٣٩٢ هـ - على الأرجح - وهو دون السبعين . ومن كتبه : الوساطة بين المتنبئ وخضومه ، وعهذيب التاريخ ، وتفسير القرآن ، وله ديوان شعر ورسائل مؤتونة .

بِاللهِ رَبِّكَ كَمْ قَصُرَ مَرَزْتُ بِهِ قَدْ كَانَ يُعَمَّرُ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرِبِ
طَارَتْ عُقَابُ الْمَنَآيَا فِي جَوَانِهِ فَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(١)
وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً :

أَيُّهَا الرَّافِعُ الْبِنَاءَ رُوَيْدَا لَنْ تَذُودَ الْمُنُونِ عَنْكَ الْمَبَانِي ^(٢)
إِنْ هَذَا الْبِنَاءُ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ أَبْقَى مِنَ الْإِنْسَانِ ^(٣)
وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَمِيْرٍ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ^(٤) عِنْدَ مَوْتِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ
أَنِّي ارْتَكَبْتُ عَظَائِمَ ^(٥) الْأُمُورِ جَرَاءَةً مِنِّي عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطْعَمْتُكَ فِي أَحَبِّ
الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ ، شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَنَا مِنْكَ لَا مَنَا عَلَيْكَ . وَكَانَ سَبَبُ إِخْرَاجِهِ مِنَ
الْحَضْرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا ، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ :

= [انظر نماذج من أدبه في بَيْعَةِ الدَّهْرِ لِلتَّعَالِيِّ ج ٣ ص ٢٣٨ - ٢٥٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٧
ص ١٩ - ٢١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٤ ص ١٤ - ٣٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٨١ ،
وطبقات المفسرين ج ١ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٠ ، والأعلام ج ٤ ص ٣٠٠ .

(١) الْعُقَابُ : طَائِرٌ مِنْ كَوَاسِرِ الطَّيْرِ ، قَوِيٌّ مُخَالِبٌ .. وَالْحَرْبُ ، بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ : الْهَلَاكُ .
يَقْسِمُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ مَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْقُصُورِ الَّتِي كَانَتْ عَامِرَةً بِمَا يَلْذُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَيَطْرِبُ الْأَسْمَاعَ ، فَإِذَا بِهِ الْآنَ يَرَاهَا
وَقَدْ نَحِمَ عَلَيْهَا الْخِرَابَ وَالْدَّمَارَ بَعْدَ أَنْ اخْتَطَفَ الْمَوْتَ سَاكِنِيهَا وَهَادُوا .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « رَفَعَ » بَدَلُ « عَنْكَ » .

(٣) بِعَنَى : يَأْتِيَنَّ تَبَالُغٌ فِي رَفْعِ الْبِنَاءِ ، تَمْثِيلٌ ، فَإِنْ مَاتَ شَيْءٌ لَنْ يَدْفَعُ عَنْكَ الْمَوْتَ وَتَسْرَحِلَ عَنْهُ وَتَتْرَكَ لغيرِكَ .
(٤) هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ كَتَبَتْهُ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٩٥ هـ
وَأَسْتُخْلَفَ بَعْدَ أَخِيهِ « السُّفَّاحِ » سَنَةَ ١٣٦ هـ ، وَهُوَ بَاقِيٌ مَدِينَةَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ يُقَلَّبُ « أَبَا الدَّوَانِيقِ » لِجَاهِ سَبْتِهِ الْكُتَّابَ
وَالْعَمَالَ عَلَى الدَّوَانِيقِ (الدَّوَانِيقُ : جَمْعُ ذَانِقٍ ، وَهُوَ سُدُسُ الدَّرْهِمِ) وَكَانَ شَجَاعًا مَهِيْبًا ، تَارِكًا لِلْهَوَى وَاللَّعِبِ ، كَامِلُ
الْعَقْلِ ، قَتَلَ خُلُقًا كَثِيرًا حَتَّى ثَبَتَ الْأَمْرَ لَهُ وَلَوْلَاهُ (الْمَهْدِيُّ) وَكَانَ فِيهِ عَدْلٌ ، وَلَهُ حِظٌّ مِنْ صَلَاةٍ وَعِلْمٍ وَفَقْهٍ .. تَوَفَّى
مُخْرِمًا عَلَى بَابِ مَكَّةَ فِي سَادِسِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ١٥٨ هـ ، وَدُفِنَ بِمَائِنِ الْحُجُونِ وَبِشْرِ مَيْمُونِ ، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ
٢٢٠ عَامًا .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٥٣ - ٦١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء
ص ٣١٤ - ٣٢٨ ، والأعلام ج ٤ ص ١١٧ .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « الْأُمُورِ الْعَظَامِ » .

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحِشَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ ^(١)
 وَصَارَ عَمِيدُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ إِلَى تُرْبَةٍ تُسْفَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ ^(٢)
 فَاسْتَقْبَلَ مَرْغُوبًا ، ثُمَّ نَامَ فَأُشِيدَ : ^(٣)
 أَبَا جَعْفَرٍ حَانَتْ وَفَاتَكَ وَانْقَضَتْ سُبُوكُ وَأَمُرُ اللَّهِ لَا بُدَّ وَأَقِغ ^(٤)

(١) هذان البيتان سبق التعليق عليهما في الحديث عن «المهدى» آنفاً ، وتكاد تجمع المراجع التي أشارت إليهما - وهي كثيرة - إلى أنهما أنشدها للمهدى بن أبي جعفر المنصور في منامه - ولم أقف عليهما في غالب المصادر التي تناولت ترجمة أبي جعفر .. وفي كتاب «أبو جعفر المنصور» لعبد السلام رسم ، المطبوع بدار المعارف ، ذكر القصة بتوسّع ، وذكر البيتين باختلاف يسير في ألفاظهما فقال : «قال الربيع : قام المنصور ليلة - وكان في قصره ببغداد - فأنابه مرعوباً ، ثم عاوده النوم قليلاً ، فأنابه ثانية فرعاً مرعوباً ، ثم مرة ثالثة ، فلما انتفض فيها - نادى : ياربيع !! .. قلت : لييك بأمر المؤمنين ، قال : لقد رأيت في منامي عجباً ! رأيت كأنّ آتياً فهِيتَمَ بشيء [الهيمنة : الكلام الحفي] لم أفهمه ، فانتبته فرعاً ، ثم عاودت النوم ، فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني يقول : حتى فهمته وحفظته ، وهو :

كَأَنَّ بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَغُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
 وَصَارَ رِئِيسُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةِ إِلَى جَدِّثَ ثُبْنَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

وما أحسبني ياربيع إلا قد حانت وفاتي ، وحضر أجل ، ومالي غير زبني ، قم فاجعل لي غسلاً .. وهبني لى آلة الحج » الخ .

وربما يكون هذا قد وقع لأبي جعفر ، فلم تتيه كثير من المراجع المعتمدة ، ثم رآه من بعده ابنه «المهدى» فأثبتته له .

[انظر المراجع السابقة ، وتاريخ الطبرى ، وأبو جعفر المنصور لعبد السلام رسم ص ١٢٨ وغيرها من المصادر] .

(٢) العميد : السيد الْمُعْتَمَدُ عليه في الأمور .. وتُسْفَى عليه جَنَادِلُهُ : يُوحَّضُ عليه التراب والصخور .

(٣) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «قَامَ فَأُشِيدَ» .. وفي تاريخ بغداد : «قال الربيع : بينا أنا مع أبى جعفر المنصور في طريق مكة ، فنزل يقضى حاجة ، فإذا الريح قد ألفت إليه رُقعة فيها مكتوب : «أبا جعفر ، حانت وفاتك وانقضت البيت .

قال : فنناداني : ياربيع ، تنعى إلى نفسى قى رُقعة ؟

فقلت : لا والله ، ما أعرف رُقعة ، ولا أدري ما هي .. قال : فما رجعت من وجهه حتى مات بمكة » .

وفي تاريخ الطبرى : «ذكر عيسى بن محمد ، أن موسى بن هارون حَدَّثَهُ ، قال : لَمَّا دَخَلَ المنصور آخر منزل منزله من طريق مكة ، نظر في صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : أبا جعفر ، حانت وفاتك وانتهت ... » وذكر البيتين .

[انظر تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١٠٧ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٦٠] .

(٤) هكذا في «ط» ، وتاريخ الطبرى ، وتاريخ بغداد .. وفي «م» : «لَاشَكَّ» بدل «لَا بُدَّ» .

فَهَلْ كَاهِنٌ أَعَدَّدْتُهُ وَمُنَجِّمٌ أَبَا جَعْفَرٍ عَنْكَ الْمَنِيَّةُ دَافِعُ ^(١)
 فَقَالَ : يَارَبِيعُ ^(٢) ، أَتَبْنِي بِطَهْوَرَى . فَقَامَ وَاعْتَسَلَ وَلَبَّى ^(٣) ، وَجَهَّزَ لِلْحَجِّ ، ثُمَّ
 قَالَ : يَارَبِيعُ ، الْفَنَى فِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى .
 وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجُرْجَانِيُّ بِالْبَصْرَةِ :

إِنْ كُنْتُ تَسْمُو إِلَى الدُّنْيَا وَرَبَّتِهَا فَأَنْظُرْ إِلَى مَلِكِ الْأُمَلَاكِ قَارُونَ ^(٤)
 زَمَّ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَتَهَا وَسَخَّرَ النَّاسَ بِالشَّدِيدِ وَاللَّيْنِ ^(٥)
 حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّ لَاشَيْءَ غَالِبَهُ وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ ^(٦)

(١) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، الشطر الأول : « أو عددته » بدل « أعددته » خطأ من الناسخ .

والبيت في تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٠٧ :

« أَبَا جَعْفَرٍ هَلْ كَاهِنٌ أَوْ مُنَجِّمٌ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ خَرِّ الْمَنِيَّةِ مَانِعُ ؟ »

(٢) هو : أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة ، كيسان ، وُلِدَ سنة ١١١ هـ ، وكان من موالى بنى العباس ، ومن العقلاء الموصوفين بالخزم ، اتخذهُ أبو جعفر المنصور حاجباً ، ثم اتخذهُ وزيراً ، وكان مهيباً ، وبخس إدارة الشؤون ، عاش إلى خلافة المهدي العباسي ، وهو الذي بايعه وخلع عيسى بن موسى ، وحظى عنده .. توفي سنة ١٦٩ هـ ، وقيل في أول سنة سبعين ومائة .

[انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٤ ، والأعلام ج ٣ ص ١٥] .

(٣) الطَّهْوَرُ : ما يظهر به من ماء ونحوه .. لَبَّى : قال : لبيك اللهم لبيك .

(٤) تسمو : تطمع .. وقارون : رجل من قوم موسى ، كان كافراً ومتكبراً .. مُفَاجِئاً بأمواله .. خسف الله به وبداره الأرض .. وَيُضْرَبُ به المثل في الْفَنَى . وقد وردت قصته في القرآن الكريم ، في سورة القصص - الآيات ٧٦ - ٨٢ .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، حُذِفَت الشطر الثانية من هذا البيت ، وَجِئَءَ بدلها بالشطر الثانية من البيت الثالث الذي يليه هكذا :

زَمَّ الْأُمُورَ فَأَعْطَتْهُ مَقَادَتَهَا وَمُكُنْتُ قَدَمَاهُ أَيْ تُمْكِينِ

زَمَّ الْأُمُورَ : مَلَكَ نواصيها فانقادت له .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » ، حُذِفَت الشطر الأولى من هذا البيت .. وَحُذِفَت الشطر الثانية من البيت الثاني ، والشطر الأولى من البيت الثالث . وهذا جاءت الأبيات في « م » ثلاثة أبيات ، وليس أربعة كما في « ط » .

رَاحَتْ عَلَيْهِ الْمَنَآيَا رَوْحَةً تَرَكَتْ ذَا الْمُلْكَ وَالْعِزَّ تَحْتَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ (١)
وَأَشَدَّنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّيْمِيُّ بِبَعْدَادَ :

لِمَنْ أُبْنَى لِمَنْ أَسِيْمُ الْمَطَايَا لِمَنْ اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ الْجَدِيدَا (٢)

إِذَا مَاصَّارَ إِخْوَانِي رُفَاتَا وَصِرْتُ لِفَقْدِهِمْ فَرْدَا وَجِيدَا (٣)

أَعَايُنُ مَعْشَرًا لَهُمْ شُكُولُ وَأَشْكَالِي قَدْ اعْتَنَقُوا اللُّهُودَا (٤)

وَمِمَّنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَبْصَرَ عُيُوبَهَا مِنْ أُنْبَاءِ الْمُلُوكِ ، أَبُو عِقَالٍ عَلَوَانُ بْنُ الْحَسَنِ ،
مِنْ بَنِي الْأَعْلَبِ ، وَهُمْ مُلُوكُ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ ذَا نِعْمَةٍ وَمُلْكٍ ، وَلَهُ قُوَّةٌ ظَاهِرَةٌ (٥) ،
فَتَنَّبَ إِلَى رُتَبِهِ ، وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ رُجُوعًا فَاقَ نَظَرَءَا ، فَرَفَضَ الْمَالَ وَالْأَهْلَ ، وَهَجَرَ
الْبَيْتَ وَالْوَطَنَ (٦) ، وَبَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَبْلَغًا أُزْبَى فِيهِ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ ، وَعُرفَ بِإِحَابَةِ
الدُّعْوَةِ ، وَكَانَ عَالِمًا أَدِيبًا ، قَدْ صَحَبَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ سَخُونٍ (٧) وَسَمِعَ مِنْهُمْ ،
ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى بَعْضِ السَّوَاخِلِ ، فَصَحَبَ رَجُلًا يُكْنَى أَبَا هَارُونَ الْأَنْدَلُسِيَّ ، مُنْقَطِعًا
مُتَبَتِّلًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمْ يَرِ مِنْهُ كَبِيرٌ (٨) احْتِجَادٍ فِي الْعَمَلِ ، فَبَيَّنَا أَبُو عِقَالٍ يَتَهَجَّدُ فِي

(١) يعنى أنَّ هذا الْمُلْكَ والعِزَّ والنَّعِيمَ الَّذِى كَانَ فِيهِ ذَهَبٌ فِي غَمَضَةِ عَيْنٍ ، حِينَ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَّاهُ الْأَرْضَ .

(٢) المَطَايَا : الدُّوَابُّ الَّتِى تُسَاقَطُ وَتُزَكَّى . وَأَسْمُهَا ، أَى : أَعْلَمُهَا بِعَلَامَاتٍ تُمَيِّزُهَا .. وَفِي « م » : « أَسْمَى »
أَى : أَطْلَبَ .

(٣) الرُّفَاتُ : الْحُطَامُ ، وَالْفَنَاتُ مِنْ كُلِّ مَا تَكْسُرُ وَالتَّدَقُّ .

(٤) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « ط » .. يَرِيدُ .. أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ أَصْحَابَهُ وَإِخْوَانَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، يَرَى نَفْسَهُ غَرِيبًا بَيْنَ جِبِلِّ
يُخَالِفُ جِبِلَّهُ فِي كَثَرِ مِنْ طَبَائِعِهِ وَسَجَايَاهُ .. وَفِي « م » : « أَعَايُنِي تَفَشَّرَا لَهُمْ شُكُوكٌ » .

(٥) الْفَنَوَةُ : الشَّيَابُ بَيْنَ طَوَرَيِ الْمَرَاهِقَةِ وَالرَّجُولَةِ ، وَتُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْجَدَةِ ، وَعَلَى الْمَسْلِكِ الَّذِى يَنْمُو لِخُلُقِ
الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ فِي الْفَنَى .

(٦) فِي « م » : « فَرَفَضَ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْوَطَنَ » .

(٧) هُوَ : عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَبِيبِ التَّوَجِيِّ ، الْمُلَقَّبُ بِسَخُونٍ ، قَاضٍ وَفَقِيهٌ ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْعِلْمِ فِي
الْمَغْرِبِ .. كَانَ زَاهِدًا ، لَا يَهَابُ سُلْطَانًا فِي حَقِّ يَقُولِهِ .. وَكَانَ رَفِيعَ الْقَدْرِ ، عَفِيفًا ، أَبَى النَّفْسِ ، وَلَقَّبَ « سَخُونٌ »
بِاسْمِ طَائِفَةٍ بِالْمَغْرِبِ يَسْمُونَهُ سَخُونًا لِجِدَّةِ ذَهْنِهِ وَذِكَاثِهِ .. وَكَانَتْ وَلادَتُهُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ١٦٠ هـ .
وَتَوَفَّى فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ تَلْعَسَ خَلْفُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ٢٤٠ هـ .

[انْظُرْ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٤ ص ٥] .

(٨) فِي « م » : « كَبِيرٌ » بَدَلُ « كَبِيرٌ » .

بَعْضِ اللَّيَالِي وَأَبُو هَارُونَ نَائِمٌ إِذْ غَالَبَهُ النَّوْمُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ : يَا نَفْسُ ، هَذَا غَابِدٌ جَلِيلٌ الْقَدَرِ ، يَتَأَمُّ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيْلِ كُلَّهُ ، فَلَوْ أَرَحْتُ نَفْسِي [سَاعَةً كَانَ خَيْرًا] ^(١) فَرَضَعَ جَنْبَهُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ شَخْصًا ، قَتَلًا عَلَيْهِ : « أُمِّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » ^(٢) ، فَاسْتَيْقَظَ فَرَعَا ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ ، فَأَيَّقَظَ أَبَا هَارُونَ وَقَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، هَلْ أَتَيْتَ كَبِيرَةً قَطُّ ؟ قَالَ : لَا يَأْتِيَنِي أَحَدٌ ، وَلَا صَغِيرَةً عَنْ ^(٣) تَعْمِيدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . فَقَالَ أَبُو عَقَالٍ : لِهَذَا تَتَأَمُّ أَنتَ وَلَا يَصْلُحُ لِمِثْلِي إِلَّا الْكُدُّ وَالْاجْتِهَادُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ وَلَزِمَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ ، وَحَجَّ مَرَارًا ، وَأَرَبَى عَلَى عُبَادِ الْمَشْرِقِ ^(٤) . وَكَانَ يَعْمَلُ بِالْقَرْيَةِ ^(٥) عَلَى ظَهْرِهِ بِقُوَّتِهِ ، وَمَاتَ بِمَكَّةَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سَنَةً سِتًّا وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَصْنَعُهُ يَوْمًا : لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . فَقَالَ لَهُ ^(٦) بَعْدَ الْجَهْدِ بِهِ . حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ إِنْ كَانَ ^(٧) لَكَ شَهْوَةٌ أُخْبِرْنِي بِهَا . قَالَ : نَعَمْ ، أَشْتَهِي أَنْ أَكُلَ رَأْسًا . قَالَ : فَاشْتَرَيْتَ لَهُ رَأْسَيْنِ وَلَفَفْتُهُمَا فِي رُقَاقٍ ^(٨) وَجِئْتُهُ بِهِمَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ : هَلْ طَابَ لَكَ الرَّأْسَانِ ؟ قَالَ : لَا ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَتَحْتُهُمَا فَإِذَا هُمَا مَحْشُرَانِ دُودًا ، لَيْسَ فِيهِمَا أُنْبَتَةٌ لَحْمٍ إِلَّا الدُّودُ ، فَأَتَيْتُ الرَّأْسَ ^(٩) فَأَخْبَرْتُهُ ، فَأَطْرَقَ مُتَعَجِّبًا ^(١٠)

(١) مابن المعرفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٢) سورة المجاثية - الآية ٢١ . وقد وردت الآية بنامها في « م » .. وفي « ط » وقف عند قوله تعالى : الصالحات . وقال : إلى آخر الآية .

(٣) في « م » : « على » بدل « عن » .

(٤) وأرَبَى على عُبَادِ المشرق : أى زاد عليهم وفاقهم في العبادة .

(٥) في « م » : « بالقرية » .

(٦) « له » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) في « م » : « كانت » وكلاهما صواب .

(٨) أى : فى شئ رقيق . أو : فى خبز رُقَاقٍ .

(٩) الرأس : بائع رعوس الحيوان .

(١٠) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « مُعْجَبًا » ، أى : حَمَلَهُ هذا الأمر على العَجَبِ منه .

ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنَنْتُ أَنْ فِي زَمَانِنَا أَحَدًا يُحْمَى عَنِ الْحَرَامِ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، تِلْكَ الرُّءُوسُ كَانَتْ مِنْ غَنَمٍ انْتَهَبَهَا بَعْضُ الْعُمَالِ ، ثُمَّ أُعْطِيَتْ رَأْسَيْنِ مِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْغَنَمِ ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا أَبَا عَقَالٍ فَأَكْلَهُمَا ، فَأَخْبِرْتُهُ بِمَا قَالَ الرَّاسُ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : يَارَبِّ ، مَا كَانَ يَسْتَحِقُّ عَبْدُكَ أَبُو عَقَالٍ مِثْلَ هَذِهِ الْحِمَايَةِ ، وَلَكِنَّهُ يَارَبِّ فَضْلُكَ وَكَرَمُكَ ، فَلَكَ عَلَى يَارَبِّ إِلَّا آكَلَ طَعَامًا بِشَهْوَةٍ أُشْتَهِيهَا حَتَّى الْقَاكُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَتْ لَهُ أُخْتُ مُتَعَبِدَةٌ ، فَلَمَّا مَاتَ لِحَقَّتْ قَبْرُهُ بِمَكَّةَ وَبَكَتْ عَلَيْهِ ، وَكَبَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ ^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي مَا لَلَّذِي عَايَنْتُهُ بَعْدَ دَوْمِ الصَّوْمِ مَعَ نَفِي الْوَسَنِ ^(٢)
 مَعَ غُرُوفِ النَّفْسِ عَنْ أَوطَارِهَا وَالتَّحْلِي عَنْ حَيِيبٍ وَسَكَنِ ^(٣)
 يَاشْتَقِقُ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ بِهِ عِلَّةٌ تَمْنَعُنِي عَنْ أَنْ أُجِنَ ^(٤)
 وَكَمَا تَبْلَى وَجُودُهُ فِي الثَّرَى فَكَذَا تَبْلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ ^(٥)

وَرَوَى ^(٦) أَنَّ رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فِي أَرْضٍ ، فَأُتِيَ اللَّهُ لَبَنَةً مِنْ جِدَارِ تِلْكَ الْأَرْضِ ، فَقَالَتْ ^(٧) :
 إِنِّي كُنْتُ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ ، مَلَكَتُ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مِتُّ وَصِرْتُ رَمِيمًا ^(٨)

(١) في « م » : « وكبت هذه الأبيات على قبره » .

(٢) ليت شعري : ليتني أعلم .. عاينته : رأيته رأى العين . نفي الوسن : امتناع النوم ، والتعاس . وتطلق أيعضا على الحاجة .

(٣) عزوف النفس عن أوطارها : انصرافها عن مآربها ومتطلباتها . وفي « م » : « وَوُطْنٌ » بدل « وسكن » ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يَاشْتَقِقُ » بالرفع ، وكلاهما صحيح .. وَوَجْهِهِ بِهِ : حُزْنِي عَلَيْهِ .. عِلَّةٌ : مرض أو سبب .

(٥) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « وَجُودُهَا » بالنصب . ولعله خطأ من الناسخ . وَتَبْلَى : يبدل .

(٦) في « م » : وَيُرَوَّى .

(٧) في « م » : فَقَالَ .

(٨) الرميم : البال من كل شيء .

أَلْفَ سَنَةٍ ، فَأَخَذْنِي خَزَافٌ وَأَخَذَنِي ^(١) خَزَفًا ، ثُمَّ أَخَذَنِي وَضَرَبَنِي لَبًا ، وَأَنَا فِي هَذَا
الْجِدَارِ [مُنْذُ] ^(٢) كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، فَلِمَ تَتَنَازَعَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ؟
وَلِبَعْضِهِمْ ^(٣) :

أَلَا حَتَّى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا لَيْسَنَ إِلَيَّ مِمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا ^(٤)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا ^(٥)
حَتَّى تَكُ اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتَ مُدَّةً بِمَسْوَى الْعَصَا لَوْ كُنَّ يَتَّقِينَ بَاقِيَا ^(٦)
وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، أَنَّ ابْنَةَ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ تَزَهَّدَتْ فِي الدُّنْيَا
[وَتَأَثَّرَتْ] ^(٧) وَخَرَجَتْ مِنْ مُلْكِهَا ، فَفَقِدَتْ ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبَرٌ ، وَلَا عَلِمَ لَهَا أَثَرٌ ،
وَكَانَ هُنَاكَ دَيْرٌ لِلْمُتَعَبِّدِينَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ ، فَأَبْصَرُوا مِنْهُ مِنَ الْاجْتِهَادِ وَالْجِدِّ
فِي الْعَمَلِ ، وَمَلَازِمَةِ الْأَوْزَادِ ، وَمَوَاصِلَةِ الْأَعْمَالِ مَا فَاقَ بِهِ جَمِيعَ مَنْ فِي الدَّيْرِ ، وَأَقَامَ
عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ ، وَوَفَّاهُ جِمَامُهُ ، فَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ ^(٨)
فَحَزِنَ لَهُ أَهْلُ الدَّيْرِ مِنَ الزُّهَّادِ وَالْعَبَادِ وَالْمُنْقَطِعِينَ ، وَأَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ ^(٩) ، ثُمَّ أَخَذُوا فِي

(١) الْخَزَافُ : بَالِغُ الْخَرْفِ أَوْ صَانِعُهُ . وَالْخَزَفُ : مَا عَمِلَ مِنَ الطِّينِ وَشَوَى بِالنَّارِ فَصَارَ نَجَارًا .
وَاللَّبُّ : مَا يَعْمَلُ مِنَ الطِّينِ وَيَتَنَى بِهِ ، وَاحِدَتُهُ : لَبَنَةٌ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ عَنْ « م » .

(٣) مِنْ هُنَا إِلَى نِهَايَةِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ عَنْ « م » وَلَمْ تَرِدْ فِي « ط » .. وَالْآيَاتُ لِأَيِّ حَيَّةِ التَّمَرِي : الْهَيْمُ بْنُ الرَّيْعِ بْنِ
زُرَّارَةَ مِنْ بَنِي ثَمَرِ بْنِ عَامِرٍ ، شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَمِنْ مُخَضَّرِي الدُّوَلَيْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ ، مَدَحَ خُلَفَاءَ
عَصْرِهِ فِيهَا ، وَقِيلَ فِي وَصْفِهِ : كَانَ أَهْوَجَ (بِهَ لَوْنَةٍ) جَبَانًا ، بَحِيلًا ، كَذِبًا .. تَوَفَّى سَنَةَ ١٨٣ هـ .

وَقِيلَ : مَاتَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْمَنْصُورِ ١٥٨ هـ . وَقَالَ الْبَغْدَادِيُّ : تَوَفَّى سَنَةَ بَضْعَ وَثَمَانِينَ وَمِائَةً .
[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، وَالْأَغَانِي ج ١٧ ص ٦١٣٢ - ٦١٣٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ
ص ١٤٣ - ١٤٦ ، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ج ٢ ص ٧٧٤ ، ٧٧٥]

(٤) الْمَعَانِيَا : الْمَنَازِلُ الَّتِي كَانَ بِهَا أَهْلُهَا ، ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا .. وَهَكَذَا أُرِدَ الْبَيْتُ وَالَّذِي يَلِيهِ فِي « م » ، وَالْأَغَانِي ج ١٧ ،
وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ ص ١٤٤ .. أَمَّا فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ص ٧٧٥ فَفِيهِ : « مِنْ بَعْدِ الْحَبِيبِ » بِدَلٍّ « مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ » .
(٥) تَقَاضَى الْمَرْءُ ، طَلَبَهُ أَوْ أَقْبَاهُ .

(٦) يَعْنِي بِهَذَا الْبَيْتِ أَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَّاتِ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مَحْبِثَ الظُّهْرِ وَالْقَامَةِ ، بَعْدَمَا كَانَ مِثْلَ الْعَصَا فِي الْاسْتِقَامَةِ
وَالْإِسْتَوَاءِ ، وَقَدْ يُزَادُ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ . وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٨) الْجِمَامُ : قَضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدَرُهُ .. وَقَضَى الْفَتَى نَحْبَهُ : مَاتَ .

(٩) أَذْرَوْا عَلَيْهِ الدُّمُوعَ : أَسْأَلُوهَا .

غَسَلِهِ ، فَإِذَا ^(١) هُوَ امْرَأَةٌ ، فَحَصَصُوا ^(٢) عَنْ أَمْرِهِ ، فَإِذَا هِيَ بِنْتُ الْمَلِكِ ، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ
إِعْجَابًا بِهِ ، وَتَعْظِيمًا لَهُ ^(٣) ، وَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِهِ : مَاذَا يُخْدِتُونَ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ ، ثُمَّ
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمُ الْإِيدِفُونَهَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَأَنْ يَحْمِلُوهَا فَوْقَ أَكْفِهِمْ ، فَعَسَلُوهَا وَكَفَّنُوهَا
وَجَهَّزُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَحْمِلُونَهَا عَلَى الْأَكْفِ وَالسَّوَادِ ، كُلُّمَا ضَجَرَ وَاحِدٌ
جَاءَ وَاحِدٌ يَحْمِلُ مَعَ مَنْ يَحْمِلُ ، وَكُلُّ مَنْ انْقَطَعَ فِي الدَّيْرِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ جَعَلَ يَحْمِلُ مَعَهُمْ
إِلَى أَنْ يَلِيَتْ ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهَا مَعَ طُولِ الزَّمَانِ ، فَذَهَبَتْ جِيئِيذٌ ^(٤) ، رَحْمَةُ اللَّهِ
عَلَيْهَا .

وَكَانَ فِي بِلَادِ الرُّومِ ، مِمَّا بَلَى أَرْضَ الْأَنْدَلُسِ ، رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، بَلَغَ ^(٥) فِي التَّحَلُّي
مِنَ الدُّنْيَا مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَاعْتَزَلَ الْخَلْقَ ، وَالتَزَمَ ^(٦) قُلُلَ الْجِبَالِ وَالسِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ إِلَى
الْعَالِيَةِ الْقُصْوَى ، فَوَرَدَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ هُوْدٍ ^(٧) فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ، فَأَكْرَمَهُ ابْنُ هُوْدٍ ،
ثُمَّ أَخَذَ يَبْدِيهِ ، وَجَعَلَ يَعْزِضُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ مُلْكِهِ ، وَخَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَمَا حَوَّثُهُ مِنْ

(١) في ط : : وإذا في الموضوعين .

(٢) في م : : فحصصوا أي : تبيتوا .

(٣) سقطت له ، من م : وكذلك في أمره بعدها .

(٤) هكذا في ط .. وفي م : : ثم أجمعوا أمرهم على ألا يدفونه تحت الثرى ، وأن يحملوها فوق أكفهم ،
ففسلوه وكفنوه وصلوا عليها ، ثم أقبلوا يحملونها على الأكف والسواعد ، كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل مع من
يحمل ، وكل من انقطع من الدير لعبادة الله تعالى جعل يحمل معهم إلى أن يلى وتقطعت أوصاله مع طول الزمان فلحق
حيثذ .

(٥) في ط : : قد بلغ .

(٦) التزم الأمر أو الشيء : أوجهه على نفسه .. وفي م : : لزوم ، وهي بمعناها ، يقال : لزيم الشيء : تعلق به .

(٧) هو المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود ، مؤسس دولة آل هود : من ملوك الطوائف في الأندلس ، وكان
مقيماً في « تَطْلَيْة » ومملوداً من كبار الجند ، فلما اضطرب أمر الأمويين استولى عليها سنة ٤١٠ هـ وتلقب
« المستعين بالله » وملك « لاردة » ثم « سرقسطه » سنة ٤٣١ هـ ، وانتظم له الأمر ، وضخم ملكه ، قسم بلاده
على أبنائه ، فجعل لكل منهم ولاية ، وكانوا خمسة ، واستمر إلى أن مات سنة ٤٣٨ هـ . ومن أبنائه المستعين بالله
أحمد بن يوسف بن أحمد بن سليمان بن محمد بن هود ، رابع ملوك الدولة الهودية ، والمتوفى سنة ٥٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٣ وج ٣ ص ١٣٢] .

الْبَيْضَاءِ وَالْحُمْرَاءِ ، وَأُحْجَارِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوَاهِرِ ، وَأَمْثَالِهَا ، وَتَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ ^(١) ،
وَالْجَوَارِي ، وَالْحَشَمِ ، وَالْأَجْنَادِ ، وَالْكَرَاعِ ^(٢) وَالسَّلَاحِ ، فَأَقَامُوا فِي ذَلِكَ أَيَّامًا ، فَلَمَّا
انْقَضَتْ ^(٣) قَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مُلْكِي ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مُلْكًا ، وَلَكِنَّهُ ^(٤) يُعْزِرُكَ فِيهِ
خَصْلَةٌ ، إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ ^(٥) عَلَيْهَا فَيُفِيهَا نِظَامُ مُلْكِكَ ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهَا فَهَذَا الْمُلْكُ
لَا شَيْءَ ^(٦) . قَالَ : وَمَاتِلِكَ الْخَصْلَةُ ؟ قَالَ تَعْمِدُ فَتَصْنَعُ ^(٧) غِطَاءً عَظِيمًا خَصِينًا قَوِيًّا ،
وَتَكُونُ بِسَاحَتِهِ قَدْرَ الْبَلَدِ ، ثُمَّ تَكْبُهُ ^(٨) عَلَى الْبَلَدِ حَتَّى لَا يَجِدَ مَلِكُ الْمَوْتِ مَدْخَلًا
إِلَيْكَ . فَقَالَ الْمُسْتَعِينُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ الْعِلْجُ ^(٩) :
بَاهَذَا ، أَتَفْتَخِرُ بِأَمْرِ تَتْرُكُهُ غَدًا ؟ وَمِمَّا لَمْ يَفْتَخِرْ بِمَا ^(١٠) يَفْنَى كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِمَا يَرَاهُ
فِي النَّوْمِ .

وَرَوَى ^(١١) أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ بَنَى قَصْرًا وَقَالَ : انْظُرُوا مِنْ عَابٍ مِنْهُ شَيْئًا
فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذَا الْقَصْرِ عَيِّينَ ^(١٢) ، قَالَ :
وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : يَمُوتُ الْمَلِكُ وَيَحْرُبُ الْقَصْرُ ، قَالَ : صَدَقْتَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ
وَوَرَّكَ الدُّنْيَا .

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة التي تتعلق بها القلب .

(٢) الكرَاع : اسم يجمع الخيل والسلاح .

(٣) فِي م : : انقضى .

(٤) فِي م : : ولكنك .. ويعزرك : ينقصلك ، أو تحتاج إليه .. والخصلة : خلق في الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة .

(٥) فِي م : : أَتَقْدَرْتُ ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٦) فِي م : : شبه لاشيء .

(٧) فِي م : : تَضَعُ .

(٨) تَكْبُهُ : تُلْفِيهِ .

(٩) الْعِلْجُ : كل جاف شديد من الرجال . وبعض العرب يطلقونه على كل من يخالف دين الإسلام ، وعلى الرجل الضخم من كبار العجم . ويطلق على الكفار مطلقاً .

(١٠) فِي م : : يَمُنْ .

(١١) فِي م : : وَرَوَى .

(١٢) فِي م : : فَقَالَ لَهُ : فِي هَذَا الْقَصْرِ عَيَّان .

وَمِنْ عَجَائِبِ أَخْبَارِ الْخَضِيرِ ^(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالُوا : سِئَلِ الْخَضِيرُ [عَلَيْهِ
السَّلَامُ] ^(٢) عَنْ أَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فِي طُولِ سِيَاحِكَ ، وَكَثْرَةِ خَلُوقِكَ ،
وَقَطْعِكَ الْفَقَارَ وَالْفَلَوَاتِ . قَالَ ^(٣) : أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُهُ أَنِّي مَرَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ لَمْ أَرْ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ أَحْسَنَ مِنْهَا ، فَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ : مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ قَالُوا ^(٤) :
سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا مَتَى يُبْنَى هَذِهِ الْمَدِينَةُ ، وَمَا زِلْتَ كَذَلِكَ مِنْ
عَهْدِ الطُّوفَانِ ، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَغَبِرَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ ،
فَإِذَا ^(٥) هِيَ خَاطِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَلَمْ أَرْ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، وَإِذَا رُعَاةُ غَنَمٍ ، فَذَنُوتُ مِنْهُمْ ،
فَقُلْتُ : أَيُّنَ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ : مَا يَذْكُرُ ^(٦) آبَاؤُنَا
وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ قَطُّ كَانَتْ هَاهُنَا مَدِينَةٌ . فَبَيْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ
انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مَوْضِعُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ ^(٧) بَحْرٌ ، وَإِذَا غَوَاصُونَ يُخْرِجُونَ مِنْهُ شِبْهَ
الْجَلْبَةِ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْغَوَاصِينَ : مُنْذُ كَمْ كَانَ ^(٨) هَذَا الْبَحْرُ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ ^(٩) آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . ثُمَّ غِبْتُ
عَنْهَا نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا ^(١٠) ذَلِكَ الْبَحْرُ قَدْ غَاصَ
مَآؤُهُ ^(١١) ، وَإِذَا مَكَائُهُ غِيضَةٌ مُلْتَفَّةٌ بِالْقَصَبِ وَالْبَرْدَى وَالسَّبَّاحِ ، وَإِذَا صَيَّادُونَ يَصِيدُونَ

(١) هو : عبد صالح ، وقيل نبي مُعَمَّر ، وهو صاحب موسى ، عليه السلام ، الذي لقيه بجميع البحرين ،
وحدثت بينهما أحداث عجيبة ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ (الآيات من ٦٠ - ٨٢) وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ
فِي الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ .

(٢) مابين المعرفتين عن « ط » .

(٣) في « م » : « فقال » .

(٤) في « م » : « فقالوا » .

(٥) في « ط » : « وإذا » .

(٦) في « ط » : « ما يذكرك » .

(٧) في « م » : « اللبنة » بدل « المدينة » .

(٨) سقطت « كان » من « م » .

(٩) في « ط » : « ما يذكرك » .

(١٠) في « ط » : « وإذا » .

(١١) غاص مآؤه ، أى : نزل في الأرض وغاب فيها . والغِيضَةُ : اللوزع يكثر فيه الشجر ويلتف . وفي
« م » : الغيطة ، بالطاء ، وهى : المنخفض الواسع من الأرض .

السَّمَكِ فِي زَوَارِقٍ صِغَارٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْبَحْرُ الَّذِي كَانَ هَاهُنَا ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا أَنَّهُ كَانَ هَاهُنَا ^(١) بَحْرٌ . فَبَغِثْتُ عَنْهَا نَحْوًا مِنْ
 خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ^(٢) ، فَإِذَا هُوَ مَدِينَةٌ عَلَى حَالَتِهَا ^(٣) الْأُولَى ،
 وَالْحُصُونُ وَالْقُصُورُ وَالْأَسْوَاقُ قَائِمَةٌ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : أَيْنَ الْغَيْضَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟
 وَمَتَى بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ ؟ فَقَالُوا : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ أَحَدٌ ^(٤) إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ
 عَلَى حَالِهَا مُنْذُ بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفَانَ . فَبَغِثْتُ عَنْهَا ^(٥) نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ انْتَهَيْتُ
 إِلَيْهَا ، فَإِذَا عَلَيْهَا سَافِلُهَا ، وَهِيَ تَذَخِنُ بِدُخَانٍ شَدِيدٍ ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَسْأَلُهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُ
 رَاعِيًا فَسَأَلْتُهُ : أَيْنَ الْمَدِينَةُ الَّتِي كَانَتْ هَاهُنَا ؟ وَمَتَى حَدَثَ هَذَا الدُّخَانُ ؟ فَقَالَ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ كَانَ هَكَذَا مُنْذُ كَانَ .
 فَهَذَا أُعْجِبُ شَيْءَ رَأَيْتُهُ فِي سِيَاحَتِي فِي الدُّنْيَا . فَسُبْحَانَ مُبِيدِ الْعِبَادِ ، وَمُفْنِي الْبِلَادِ ،
 وَوَارِثِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا . [وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ] ^(٦) .

قَالَ الشَّاعِرُ ^(٧) :

قَفَّ بِالذِّبَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ تَبْكِي الْأَجْبَةَ حَسْرَةً وَشَوْقًا ^(٨)
 كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بِهَا أَسْأَلُ مُخْبِرًا عَنْ أَهْلِهَا، أَوْ نَاطِقًا، أَوْ مُشْفِقًا ^(٩)

(١) في « ط » : « هَاهُنَا قَطُّ » .

(٢) في « م » : « الْمَوْضِعُ » .

(٣) في « ط » : « حَالُهُ » .

(٤) في « م » : « مَا يَذْكُرُ آبَاؤُنَا وَلَا أَجْدَادُنَا » .

(٥) في « م » : « بَغِثْتُ نَحْوًا » .

(٦) مابين المعنيتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) في « ط » : « قَالَ ، وَالْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ بَعْدَهَا وَرَدَتْ فِي « حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ » (ج ١٠ ص ٣٤٨) فِي تَرْجُمَةِ أَبِي
 عَمْدٍ الْجَرِيرِيِّ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ (ج ٤ ص ٤٣٣) .. وَطَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ (ص ٢٦٤) .

(٨) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » ، وَ« ط » وَطَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَالْحُلِيِّ .. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ : « تَبْكِي ، بِالنُّونِ .

(٩) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » ، وَ« ط » .. وَفِي الْمَصَادِرِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ وَرَدَتْ « صَادِقًا ، بَدَلُ « نَاطِقًا » .

فَاجَانِي دَاعِي الْهُوَى فِي رَسْمِهَا فَارْقَتْ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ الْمُلتَقَى ^(١)
وَسَمِعْتُ بِالْعِرَاقِ مُنْشِدًا يَنْشِدُ ^(٢) :

أَيُّهَا الرُّبْعُ الَّذِي قَدْ دَنَرَا كَانَ عَيْنَا نُمُّ أَضْحَى أَثَرَا
أَيْنَ سُكَّانُكَ مَاذَا فَعَلُوا خَيْرًا عَنْهُمْ سَقِيَتِ الْمَطَرَا
وَلَقَدْ نَادَى مُنَادِيهِمْ لَنَا رَحَلُوا وَاسْتَوْدَعُونِي عِبَرَا

وَمِنَ الشَّعْرِ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٣) قَوْلُ الْقَائِلِ :

رُبُّ وَرَقَاءٍ هُوَوفٌ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ ^(٤)
ذَكَرْتُ إِلْفًا وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُرْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي ^(٥)
فَبَكَتْ رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبَكَتْ رُبَّمَا أَرْقَنِي ^(٦)
فَإِذَا تُسْعِدُنِي أُسْعِدْهَا وَإِذَا أُسْعِدْهَا تُسْعِدُنِي ^(٧)

(١) هكذا في «م» و «ط» والمصادر السابقة، ماعدا الحلية، فقد جاءت كلمة «رسمها» بدل «رسمها»، والأخيرة أنسب في المعنى، وأصل الرُّس: الضراب الذي يُخْطى على القبر، أو ما يُدْفَنُ وتُسَوَّى عليه الأرض. أما الرسم، فهو الأثر الباقي من الدار بعد أن عَفَتْ وَدَسَّتْ.

(٢) من هنا إلى آخر الأبيات الثلاثة الآتية عن «م»، ولم ترد في «ط».

(٣) في «ط»: «في هذه الأبيات» بدل «في هذا الباب».

(٤) الورقاء: الحمامة، وقد شبه بها ابن سينا النفس حيث قال:

هَطَّطَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَمَنْعِ

وهووف: وصف للمبالغة، يستوى فيه الذكر والمؤنث، أي: كثرة الهُفَافِ والهديل .. والشجو: الحزن يقال: شجاء تذكر إلْف: شَوْقٌ وَهَيْجٌ حُرْنُه: والفَن: غُصْنُ الشَّجَرَةِ، جمعه: أفنان.

[انظر إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٣٢٥ ط الدار المصرية اللبنانية .. وحياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ ص ٤١٦ ط مصطفى الحلبي، وكتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٢٥ مادة: ورقاء].

(٥) هكذا البيت في «م» و «ط» .. وعند الدميري: «وَجَلْنَا صَالِحًا» وكلاهما بمعنى واحد تقريباً، فالإلف: المألوف والمحبوب .. والجَدْن: الصديق.

(٦) أَرْقَاهَا: جعلها لائناً.

(٧) هكذا البيت في «م» و «ط» ولم يرد في المرجعين السابقين.

وتسعدني: تعاونني، يقال: أُسْعِدَتِ الثَّامَةُ الثُّكْلَى: أعانتها على البكاء والتوجع.

وَلَقَدْ تَشْكُرُوا فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُرُوا فَمَا تَنْهَمُنِي ^(١)

غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أُعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تُعْرِفُنِي ^(٢)

وَنَظَرَ رَجُلٌ مِنَ الْعَبَادِ إِلَى بَابِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ شَيْدَهُ وَأَتَقَنَهُ وَزَوَّقَهُ ، فَقَالَ :
بَابٌ جَدِيدٌ ^(٣) وَمَوْتُ عَتِيدٌ ، وَنَزْعٌ شَدِيدٌ ، وَسَقَرٌ بَعِيدٌ .

وَلَمَّا ثَقُلَ ^(٤) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَأَى غَسَّالًا يَلْوِي بِيَدِهِ ثَوْبًا ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي
كُنْتُ غَسَّالًا لِأَعِيشُ إِلَّا بِمَا أَكْتَسَبْتُهُ ^(٥) يَوْمًا قَبِيئًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَازِمٍ ^(٦) ، فَقَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَمَنُّونَ عِنْدَ الْمَوْتِ مَائِخُنُ فِيهِ ^(٧) وَلَا تَتَمَنَّى عِنْدَهُ مَا هُمْ فِيهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ،
وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَحْشَعُ ، وَعَيْنٍ لَا تَعْلَمُ » ، هَلْ يَتَوَقَّعُ ^(٩) أَحَدُكُمْ مِنْ

(١) هكذا البيت في (م) ، و«ط» .. وعند الديمري وفي الإحياء ورد هكذا :

« ولقد أشكرو فَمَا أَفْهَمُهَا ولقد تشكرو نَمَا تَنْهَمُنِي »

(٢) الْجَوَى : اشتداد الوجْد : من عَشِقَ أَوْ حَزَنَ .

(٣) في «ط» : « جديد » بالخاء المهملة .. وموت عتيد ، أى : مُهَيَّأٌ وحاضِرٌ .

(٤) ثَقُلَ : اشتد مرضه .

(٥) في «ط» : « اكتسبه »

(٦) هو : أبو حازم المدني ، سلمة بن دينار ، ويقال له : الأعرج .. كان عالِمَ المدينة وفقهياً ، وقاضياً
وشيخاً ، وكان زاهداً عابداً ، كبير القدر ، بعث إليه سليمان بن عبد الملك لآتيه ، فقال : « إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ
فَلْيَأْتِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ » . وقال هشام لأبي حازم : ما النجاة من هذا الأمر ؟ (يعنى الْمُلْكُ)
قال : « هَئِن .. لَا تَأْخُذُ شَيْئاً إِلَّا مِنْ جُلْهٍ ، وَلَا تَضَعُهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ » .

ومناقب أبي حازم كثيرة .. توفى - رحمه الله - سنة ١٤٠ هـ

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، والأعلام
ج ٣ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٩] وقال ابن كثير [في البداية والنهاية ج ٩ ص ٧٧ :

« لما احتضر عبد الملك ، أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فُتِحَتْ سمِعَ قَصَّارًا بِالرَّادِي (القَصَّارُ : مُحَوِّرُ الثِّيَابِ
ومبعضها) فقال : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قَصَّارًا أَعِيشُ مِنْ عَمَلِ يَدِي ، فلما بلغ سعيد بن المسيَّب قوله قال : الحمد لله الذي
جعلهم عند موتهم يَفْرُونَ لَنَا وَلَا يَفْرُونَ لِنَفْسِهِمْ » والجدير بالذكر أن أبا حازم سمع سعيد بن المسيَّب وأخذ عنه .

(٧) في (م) : « جعلهم عند الموت يتمنون » .

(٨) في (م) : « وقال الرسول عليه السلام » .

(٩) في (م) : « ما يتوقع » ، و« هل » هنا بمعنى « ما » .

الدُّنْيَا إِلَّا غَنَى مُطْعِمًا ؛ أَوْفَقَرًا مُنْسِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا ^(١) ، أَوْ الدُّجَالَ ،
وَالدُّجَالَ ^(٢) شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةِ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأُمَرُّ ^(٣) .

وَقَالَ عِمْسَى ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَوْحَى اللَّهُ [تعالى] ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا : « مَنْ خَدَمَنِي
فَأَخْدَمِيهِ ، وَمَنْ خَدَمَكَ فَاسْتَخْدِمِيهِ ^(٦) يَا دُنْيَا تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلُولِي لَهُمْ
قَتَنِيَّتِهِمْ » ^(٧) .

وَقَالَ مُورِقُ الْعِجْلِيِّ ^(٨) : يَا بَنَ آدَمَ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ تُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ ^(٩) ،
وَيَنْقُصُ عُمْرُكَ وَأَنْتَ لَا تَحْزَنُ ، تَطْلُبُ مَا يُطْفِئُكَ ، وَعِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، لِإِقْبَالِ تَقْنَعُ
وَلَا بِكَثِيرٍ تَشْبَعُ .

(١) هَرَمًا مُفْنِدًا : كِبَرًا وَضَعْفًا فِي الرَّأْيِ .

(٢) فِي « م » : « فَالدُّجَال » .

(٣) الْحَدِيثُ رُبِّي مُجْتَزَأً فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ - بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ - فِي بَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ج ٥ ص ٨٧ ،
وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِجُزْءٍ أَيْضًا فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْإِسْتِزَادَةِ ج ٨ ص ٢٥٤ وَمَابَعْدَهَا ، بِشَرْحِ جَلَالِ الدِّينِ السَّيُوطِيِّ ،
وَأُورِدَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِجُزْءٍ فِي أَبْوَابِ الدَّعَاءِ ج ١٣ صَفَحَاتٍ مَتَرَفَّةٍ - وَابْنُ مَاجَةٍ فِي سُنَنِهِ ج ١ ص ٩٢ ،
وَالْمُنْهَرِيُّ فِي التَّرغِيبِ وَالتَّرْهيبِ - عَنْ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ - وَفِيهِ : « قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ » ج ١ ص ١٢٤ ط
الدار المصرية اللبنانية ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، ج ٤ ص ٣٦٢ .. وَوَرَدَ الْحَدِيثُ كَامِلًا فِي أَدَبِ
الدُّنْيَا وَالدِّينِ لِلْمَآوَرِدِيِّ ص ١٤٤ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٤) فِي « م » : عِمْسَى بْنُ مَرِيَمَ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّفَيْنِ عَنْ « م » .

(٦) فَاسْتَخْدَمِيهِ أَيْ : اتَّخَذِيهِ خَادِمًا .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » ، وَتَمَرَّرِي .. وَلَا تَحْلُولِي : أَيْ حَيَّرِي مُرَّةً وَلَا تَكُونِي ذَاتَ حُسْنٍ وَحِلَاوَةٍ .. وَفِي
« م » : « تَمَرَّرِي عَلَى أَوْلِيَائِي وَلَا تَحْلِي لَهُمْ » أَيْ : أَذْهَبِي عَنْهُمْ وَتَجَاوِزِيهِمْ .

(٨) هَكَذَا فِي « م » وَالْحَلِيَّةِ ، وَالْمَغْنَى ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ .. وَفِي « ط » : « مُورِقٌ بِالْهَمْزِ ، وَهُوَ : مُورِقُ بْنُ
الْمُشْتَمِرِجِ (بِالْجِيمِ الْمُعْجَمَةِ) .. وَفِي الْحَلِيَّةِ : مُشْتَمِرِجٌ (بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ) الْعِجْلِيُّ .. كَانَ زَاهِدًا وَتَقِيًّا وَرِعًا ، وَكَانَ
يَقُولُ : « لَوْ كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ فِينَا مَا يَرَوْنَ قَوْمَنَا لَمَا قَعَدُوا إِلَيْنَا » . وَكَانَ يَطْلُبُ فِي إِدْخَالِ الرِّفْقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، يَضَعُ
عِنْدَهُمْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَيَقُولُ : أَسْكُوهُمَا عِنْدَكُمْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ .. ثُمَّ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْهَا .. وَلَهُ أَحَادِيثُ
عَنْ عِدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ : أَبُو ذَرٍّ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

[انْظُرِ الْحَلِيَّةَ لِأَبِي نَعِيمٍ ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، وَالْمَغْنَى فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ ص ٢٤٣ ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ
ص ٥٠٣] .

(٩) فِي « ط » : « يُؤْتَى بِرِزْقِكَ وَتَحْزَنُ » .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ ^(٢) : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَنْبَاءَ تُطَوَّرُ ، وَالْأَعْمَارَ تُفْنَى ، وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تُبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَكَضَانِ تَرَكَضَ الْبَرِيدِ ^(٣) ، يُقَرَّبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلَقَانِ ^(٤) كُلُّ جَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ ^(٥) . مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمَالِجِ ، كُلَّمَا أَزْدَادَ صَاحِبُهُ شَرًّا أَزْدَادَ عَطَشًا ، وَكَانَ الْكَأْسُ مِنَ الْعَسَلِ ، فِي أَسْفَلِهِ ^(١) السُّمُّ الدُّعَافُ ، فَلِلذَّائِقِ ^(٢) مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ ، وَلَهُ فِي أَسْفَلِهِ الْمَوْتُ الدُّعَافُ ، وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ ^(٣) الَّتِي تُفْرِحُهُ فِي مَنَامِهِ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ انْقَطَعَ الْفَرَحُ ، وَكَالْبَرِّقِ الَّذِي يُضِيءُ قَلِيلًا وَيَذْهَبُ وَشِيكًا ^(٤) وَيَقَى رَاجِيهِ ^(٥) فِي الظَّلَامِ مُقِيمًا ، وَكَالدُّودَةِ الْإِبْرَنَسِمِ ^(٦) الَّتِي لَا يَزْدَادُ الْإِبْرَنَسِمُ عَلَى نَفْسِهَا لَفًا إِلَّا أَزْدَادَتْ مِنَ الْخُرُوجِ بَعْدًا ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(٧) :

(١) فِي م : : : النبی .

(٢) فِي ط : : : خطبته .

(٣) يترأكضان تراكض البرید ، أى : یسرعان کإسراع الدَّابَّةِ الّتی تحمل البرید .

(٤) یُخْلَقَانِ : یُبْدیان .

(٥) أى : یاعبادَ الله .

(٦) هكذا فی م و ط ، ، والصواب : أسفلها ، لأن الكأس مؤنثة .

[انظر اللسان والوسيط وغیرهما من المعاجم مادة كأس] .

(٧) هكذا فی م .. وفى ط : : : السُّمُّ ، للذائق ، ولم ترد فیها كلمة « الدُّعَافِ » . والسم الذعاف : الذى یقتل من ساعته .

(٨) فی ط : : : : وكالأحلام للنائم .

(٩) هكذا فی ط .. وفى م : : : : وشداً : لامعنى لها .

(١٠) أى : الذى یؤمِّلُ أن یعود لیسیر فی ضوئه . وفى ط : : : : راتیه .

(١١) أى : كدودة الحریر « القز » ویضربُ بها المثل فیمن یضر نفسه ویفقد غیره ، فیقال : « ما فلان إلا دودة قز » وقد مُثِّلَ بعض الحكماء ابن آدم ، بدود القز ، لا یزال ینسج على نفسه من جهله حتى لا یكون له مُخْلَصٌ ، فیقتل نفسه ، ویصیر القز لغيره ، وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه ، لأن القز یلتف علیه ، فیزوم الخروج عنه فیشمس ، وربما غمز بالأیدی حتى یموت ، لئلا یقطع القز صحیحاً ، فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى أهلكه أهله وماله ، وتعم ورثته بما شقى هو به .

[انظر الدمیری : حیاة الحيوان الکبرى ج ١ ص ٤٨٧ ، وثمار القلوب للتلحابی ص ٤٣٤] .

(١٢) هو : أبو الفتح الشُّسْتَنی ، على بن محمد بن محمد بن الحسین . وُلِدَ فی « بُسْت » قرب سجستان ، وإلها نسبه ، كان شاعر عصره وکاتبه ، وكان من کُتَّاب الدولة السامانية فی خراسان .. مات غریباً فی بلدة « أوزجند » ببخارى ، سنة ٤٠٠ هـ أو ٤٠١ هـ .

كُدُودٌ كُدُودٌ الْفَرَّ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ عَمَّا وَسَطَ مَا هُوَ تَاسِجُهُ ^(١)

وَيَقَالُ مَنْ يَسْتَعِجِلُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَيُعْرِضُ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، يَمُوتُ رَجُلَيْنِ لَقَطًا مِنَ الْأَرْضِ حَبْتَيْنِ عِنَبٍ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَعَلَ يُمَصُّ الْحَبَّةَ الَّتِي دَاذَا بِهَا ، ثُمَّ بَلَغَهَا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَرَزَعَ الْحَبَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ زَمَانٍ التَّفَتَّى ، فَأَمَّا الَّذِي رَزَعَ الْحَبَّةَ [وَجَدَهَا] ^(٢) قَدْ صَارَتْ لَهُ كَرْمًا ، وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَفَكَرَّ الْآخَرُ فِي صَنْعِهِ فِي الْحَبَّةِ فَوَجَدَهَا قَدْ صَارَتْ عَذْرَةً ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ^(٣) إِلَّا الْحَسْرَةُ عَلَى تَقْرِيطِهِ ، وَالْغَيْبَةُ ^(٤) لِصَاحِبِهِ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٥) : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِيَ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ فَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَحِيدًا فَرِيدًا ، مَهْمُومًا وَخَشِيئًا ، بِمَنْزِلَةِ الطَّيْرِ الْوَحْدَانِيِّ الَّذِي يَظَلُّ فِي الْأَرْضِ الْفَلَاةِ ، وَيَأْكُلُ مِنَ رُغُوسِ الشَّجَرِ ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْعُيُونِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ وَلَمْ يَأُوْ مَعَ الطَّيْرِ اسْتِغْنَا سَأَ بَرِيءِهِ .

وَلْيَعْزِزْهُمْ :

كَمْ لِلْحَوَادِثِ مِنْ صُرُوفٍ عَجَائِبَ وَتَوَائِبِ مُوْصُولَةٍ بِتَوَائِبِ ^(٦)

= [انظر الدميري - المرجع السابق ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٧٨] .
(١) كُدُودٌ : يعمل مجد واجتهاد ، ولا يتوانى في عمله ، والكدود من الرجال : الذي لا يتألم خيره [لا يفسر . وقيل هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرَّةَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَنْسَرِ لَا يَزَالُ يَتَعَلَّجُهُ

[الدميري - المرجع الأسبق] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) في « م » : « شفا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع . اسم « ليس » .

(٤) الغيبة : أن يمتنى المرءُ مثل ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه . ويُطلق على حسن الحال والعسرة أيضاً .

(٥) في « م » : « من الأنبياء » .

(٦) عجائب وتوائب ، صُرْفًا هنا لضرورة الشعر . وصرُوف عجائب : أحداث عجيبة غريبة .

وَلَقَدْ تَقَطَّعَ مِنْ شَبَابِكَ وَانْقَضَى مَا لَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَيْكَ بَابٌ ^(١)
تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّكَّابِ
وَقَالَ ^(٢) مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : بَلَغَنِي أَنَّ عِيسَى ^(٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ قَدْ خَرِبَتْ
حُصُونُهَا ، وَجَفَّتْ أَنْهَارُهَا ، وَتَشَعَّتْ ^(٤) شَجَرُهَا ، فَنَادَى : يَا خَرَابُ ^(٥) ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟
فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ نَادَى : يَا خَرَابُ ، أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ [فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ] ^(٦) فَنَادَى عِيسَى
إِنَّ مَرْيَمَ : بَادُوا وَتَضَمَّنْتَهُمُ الْأَرْضُ ، وَعَادَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا جِدَّ فِي أَعْنَاقِهِمْ ^(٧) إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ . فَبَكَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٨) .
قَالَ مَالِكٌ : سَأَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمٍ عَادٍ يُقَالُ لَهَا « هَزْمَةٌ » : أَيُّ عَذَابِ اللَّهِ
رَأَيْتَ أَشَدَّ ؟ قَالَتْ : كُلُّ عَذَابِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَسَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ عَلَى ^(٩) لَيْلَةٍ لَارِيحٍ
فِيهَا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْعِيرَ تَحْمِلُهَا الرِّيحُ ^(١٠) بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .
وَقَالَ مُجَاهِدٌ ^(١١) : كَانَ طَعَامُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْعُشْبُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَبْكِي

(١) هكذا في (ط) ، .. وفي (م) : « أَحْسِبُهُ » بدل « أَعْلَمُهُ » . بَابٌ : راجع .

(٢) في (م) : قال .

(٣) في (م) : عيسى بن مريم .

(٤) تشعت شجرها : تفرق أو تلبّد .

(٥) في (م) : « يا خرب » في الموضعين ، أي : ياموضع الخراب .

(٦) مابين المعقوفين عن (ط) وساقط من (م) .

(٧) في (م) : « رقابهم » بدل « أعناقهم » .

(٨) هكذا في (ط) .. وفي (م) « الجملة فيها اضطراب من الناسخ ، وسقط منها : « فبكى » .

(٩) سقطت « على » من (م) والسياق يستدعيها .

(١٠) في (م) : « الرياح » .

(١١) هو : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بنى مخزوم ، تابعي ، عالم وفقه ، ومُفسر من أهل مكة ،
وُلِدَ سنة ٢١ هـ وأخذ التفسير عن ابن عباس ، وله أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُستكثر ، وسُئل الأعمش عن
ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب من اليهود والنصارى . وفي الحلية وسير أعلام النبلاء وغيرهما من
المراجع ، الكثير من ذلك . واحتفظوا في تاريخ وفاته مابين سنة ١٠٠ هـ إلى سنة ١٠٨ هـ ، والراجع أنه توفي في سنة
١٠٤ هـ .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ،
وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ، وكتاب التاريخ الكبير للبخاري ج ٧
ص ٤١١ - ٤١٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٢٥ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٢ ، ٤٣ ، والحلية ج ٣
ص ٢٧٩ - ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٨] .

مِنْ تَحْشِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَوْ كَانَ الْقَارُّ عَلَى عَيْنَيْهِ لَحَرَقَهُ ^(١) ، وَلَقَدْ كَانَتْ الدُّمُوعُ
الْحَاشِيَةُ ^(٢) مَجْرَى فِي وَجْهِهِ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِسُقْرَاطَ ^(٣) الْحَكِيمِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ : قُمْ ، فَقَامَ
غَيْرَ مُتَرَاَعٍ مِنْهُ وَلَا مُتَعَبٍ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَمَا ^(٤) تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي ^(٥)
أَرَى فِيكَ طَبِيعَ الدُّوَابِّ ، فَهِيَ تَرْكُضُ بِأَرْجُلِهَا ^(٦) . فَعَضِبَ وَقَالَ : أَتَقُولُ لِي هَذَا
وَأَنْتَ عَبْدِي ؟ فَقَالَ لَهُ سُقْرَاطُ : بَلْ أَنْتَ عَبْدُ عَبْدِي . قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ
شَهَوَاتِكَ ^(٧) قَدْ مَلَكَكَ ، وَأَنَا أُمْلِكُ ^(٨) الشَّهَوَاتِ . فَقَالَ ^(٩) : أَنَا الْمَلِكُ ابْنُ الْأَمْلَاحِ
السَّادَةِ ، أُمْلِكُ مِنَ الْبِلَادِ كَذَا ، وَمِنَ الْأَمْوَالِ وَالرَّجَالِ كَذَا . قَالَ ^(١٠) : أَرَأَاكَ تَفْخَرُ

(١) هكذا في (م) .. وفي الحلية ج ٣ ص ٢٩٠ : « حتى لو كان القار على عينيه لحرقه » ، وفي
الحاشية : « لحرقه » ، وفي (ط) : « لأحرقه » .

(٢) في (م) : « لو كان الدمع اتخذ » .

(٣) فيلسوف وحكيم يوناني من أثينا ، ولد سنة ٤٦٩ قبل الميلاد ، في عصر كثرت فيه أضرابيل السوفسطائيين ،
وهم طائفة من الفلاسفة ، زعموا أن الموجودات خيالات لاحقيقة لها ، واستخدموا الجدل في التفرير والتضليل ، حتى
خلعوا بعض الناس عن عقائدهم ، فتصدى لهم سقراط ، وكان من ألد أعدائهم ، وقد أباطيلهم بفلسفته العالية ،
وحججه القوية .. وكان سقراط يمتاز بنبل أخلاقه وشهامته ، وكان زاهداً في الدنيا ، قليل المبالاة بها ، عزوفاً عنها ،
ومن أقواله وحكيمة المشهورة : « النفس جامعة لكل شيء » ، فمن عرف نفسه ، عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه
جهل كل شيء . وقال : « لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف » . وقال : « لا تكون كاملاً حتى يأمنك
عدوك » ، فكيف بك إذا كنت لأيا منك صديقك . وقد وصلت تعاليمه إلينا عن طريق تلاميذه ، خاصة « أفلاطون »
و « أرسطوفان » و « أرسطوفان » أو عن طريق « أرسطو » الذي وُلد - على الأرجح - بعد وفاة سقراط بحوالى ١٣
عاماً .. توفي سقراط سنة ٣٩٩ قبل الميلاد ، بعد أن تمحالف عليه أعداؤه أمام الحكام ، واتهموه بإفساد الشباب وعدم
اعتقاده في آلهة المدينة ، فحكّم عليه بشرب السم في السجن .

[انظر دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج ٥ ص ١٨٠ - ١٩٦ والموسوعة الفلسفية
ص ٢٥٦ - ٢٦٢] .

(٤) في (ط) : « ما » .

(٥) في (ط) : « ولكن » .

(٦) في (م) : « برجلها » .

(٧) في (ط) : « شهواتك » .

(٨) في (ط) : « ملكك » .

(٩) في (م) : « وقال : فأنا الملك » .

(١٠) في (م) : « فقال » .

عَلَيَّ بِمَا لَيْسَ مِنِّي ، وَإِنَّمَا سَبِيلُكَ أَنْ تَفْخَرَ عَلَيَّ بِنَفْسِكَ ^(١) ، وَلَكِنْ تَعَالِ لِنُحْلِعَ
ثِيَابَنَا ، وَنَلْبَسَ جَمِيعًا ثَوْبًا مِمَّا فِي النَّهْرِ ^(٢) وَتَتَكَلَّمُ ، فَحَيِّئِي ^(٣) بَيْنَ الْفَاضِلِ مِنَ
الْمَفْضُولِ . فَأَنْصَرَفَ الْمَلِكُ حَجَلًا .

وَهَاتَا أُخْبِنِي لَكَ أَمْرًا أَصَابَنِي ، طَيْشَ عَقْلِي ، وَبَلَلْ خَزْمِي ، وَقَطَعَ نِيَابَ
قَلْبِي ، وَلَا يَزَالُ ^(٤) مِرَاةً لِي حَتَّى يُوَابِنِي التُّرَابُ ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ يَوْمًا بِالْعِرَاقِ وَأَنَا
أَشْرَبُ مَاءً ، فَقَالَ لِي صَاحِبُ لِي ، وَكَانَ لَهُ عَقْلٌ : يَا فُلَانُ ، لَعَلَّ هَذَا الْكُورُ الَّذِي
تَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ كَانَ ^(٥) إِنْسَانًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَمَاتَ فَصَارَ تُرَابًا ، فَأَتَّفَقَ لِلْفَحَارِيِّ أَنْ
أَتَّخِذَ تُرَابَ الْقَبْرِ وَضَرِبَهُ ^(٦) حَزْفًا ، وَشَوَاهُ بِالنَّارِ فَانْتَضَبَ كُورًا كَمَا تَرَى ، وَصَارَ آيَةً
تُتَمَتَّهُنَّ وَيُسْتَحْدَمُ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بَشَرًا سَوِيًّا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَنَعَّمُ وَيَلْدُ وَيَطْرُبُ ، فَإِذَا
الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْجَائِزَاتِ ^(٧) ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ عَادَ تُرَابًا كَمَا كَانَ فِي النُّشْأَةِ
الْأُولَى ، ثُمَّ قَدْ يَتَّفَقُ أَنْ يُحْفَرَ لِحْدُهُ ، وَيَنْعَجَنَ بِالْمَاءِ تُرَابُهُ ، فَيَتَّخِذُ مِنْهُ آيَةً تُتَمَتَّهُنَّ ^(٨)
فِي الْبُيُوتِ ، أَوَّلِيَّةً تُنَبِّئِي فِي الْجِدَارِ ، أَوْ يُطَيَّنَ ^(٩) بِهِ سَطْحُ الْبَيْتِ ، أَوْ يُفَرَشَ فِي
الْبَلَدِ ^(١٠) فَيُوطَأُ بِالْأَقْدَامِ ، أَوْ يُجْعَلُ طِينًا عَلَى الْجِدَارِ ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُعْرَسَ ^(١١)

(١) فِي « م » : « تَفْخَرُ بِنَفْسِكَ » .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مِنْ مَاءٍ فِي هَذَا النَّهْرِ » وَمَا وَرَدَ فِي « م » : « أَوْضَح » .

(٣) فِي « ط » : « إِذْ يَتَيْنِ » .

(٤) فِي « ط » : « فَلَا يَزَالُ » .. وَطَيْشَ عَقْلِي ، أَيْ : جَعَلَهُ يَضْطَرِبُ وَيَتَحَرَفُ عَنِ التَّفَكُّرِ الْقَوِيمِ . وَبَلَلْ
خَزْمِي ، أَيْ : شَبَّهَ وَبَذَّذَهُ وَنِيَابَ الْقَلْبِ : عِرْقَ يَتَلَقَّى بِهِ الْقَلْبُ إِلَى الرُّتَيْنِ .

(٥) فِي « ط » : « قَدْ كَانَ » .

(٦) فِي « م » : « فَصَبَّرَهُ » بَدَلَ « وَضَرِبَهُ » وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَاهَا .

(٧) مِنَ الْجَائِزَاتِ : مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَحْدُثَ .

(٨) فِي « ط » : « تُتَمَتَّهُنَّ » بِمَعْنَى : تُسْتَحْدَمُ .. وَفِي « م » : « فَيَتَّخِذُ آيَةً » .

(٩) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « أَوْ طَيَّنَ » .

(١٠) فِي « م » : « الْبُيُوتِ » بَدَلَ « الْبَلَدِ » .

(١١) فِي « م » : « يُفَرَشُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

عِنْدَ قَبْرِهِ شَجَرَةٌ ، فَيَسْتَحِيلُ ^(١) تُرَابُ الْإِنْسَانِ شَجَرَةً وَوَرَقًا وَتَمْرَةً ، فَتَرْغَى الْبَهَائِمُ
أُورَاقَهَا ، وَيَأْكُلُ الْإِنْسَانُ ثَمَرَهَا ، فَيَنْبُثُ مِنْهَا لَحْمَهُ ، وَيَنْشُرُ مِنْهَا عَظْمَهُ ^(٢) ، أَوْ يَأْكُلُ
تِلْكَ الثَّمَرَةَ ^(٣) الْحَشَرَاتُ وَالْبَهَائِمُ ، فَيَبْنِيَانِ ^(٤) كَانَ يَفْتَاتُ ، صَارَ قُوتًا ، وَبَيْنَا ^(٥)
كَانَ يَأْكُلُ صَارَ مَأْكُولًا ، ثُمَّ يَعُودُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ^(٦) رَجِيعًا ، فَيَقْدَفُ فِي بَيْتِ
الرَّحَاصَةِ ^(٧) ، أَوْ بَعْرًا يُبْنَدُ بِالْعَرَاءِ ، وَيَجُوزُ إِذَا حُفِرَ قَبْرُهُ أَنْ تُسْفَى ^(٨) الرِّيحُ تُرَابَهُ ،
فَتَنْفَرِقُ أَجْزَاؤُهُ فِي بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَالتَّلُولِ ^(٩) وَالْوَهَادِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا أَذْهَلَ ^(١٠)
الْعُقُولَ ، وَطَيَّبَ الْحُلُومَ ^(١١) ، وَمَنَعَ اللَّذَاتِ ، وَهَانَ عِنْدَهُ مُفَارَقَةُ الْأَهْلِيْنَ وَالْمَالِ ^(١٢) ،
وَاللَّحُوقُ بِقُلُلِ الْجِبَالِ ، وَالْأُنْسُ بِالْوُحُوشِ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ . أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا صَغَّرَ
الدُّنْيَا وَمَافِيهَا ^(١٣) ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا حَقَّرَ الْمُلْكَ عِنْدَ مَنْ عَظَّمَهُ ، وَالْمَالَ عِنْدَ مَنْ
جَمَعَهُ ؟ أَلَيْسَ فِي هَذَا مَا زَهَّدَ فِي اللَّذَاتِ ، وَسَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ ^(١٤) ؟ //

(١) عبارة : « فيستحيل تراب الإنسان شجرة » عن « ط » وسقطت من « م » سهواً من الناسخ .. ومعنى
فيستحيل : فيتحول .

(٢) في « م » : « وَيَنْشُرُ عَظْمَهُ » بالراء المهملة ، غير « يَنْشُرُ » بالزاي المعجمة التي بمعنى : يُرْكَب .

(٣) في « م » : « الثمرات » .

(٤) في « م » : « فَيَبْنِيَانِ » بحذف « ما » الزائدة أو المصدرية .

(٥) في « م » : « وَبَيْنَا » .

(٦) هكذا في « م » .. ول « ط » : « بطن الإنسان » .. والرجيع الرُّوث .

(٧) الرُّحَاصَةُ : المُسَانَّةُ ، وهي ما يخرج من الشيء بالفصل .. وفي « م » : « فَيَقْدَفُ » بدل « فيقذف » .

(٨) تُسْفَى : تنقل .

(٩) في « م » : « والتلال » وكلاماً صواب ، جمع تل ، وهو ما ارتفع من الأرض عما حوله .
والوهاد : الأرض المنخفضة .

(١٠) في « م » : « أَذْهَبَ » .

(١١) الْحُلُومُ والأحلام : العقول . جمع جلم .

(١٢) في « م » : « والأموال » .

(١٣) جملة : « أليس ... مافيا » عن « ط » وسقطت من « م » .

(١٤) سَلَّى عَنِ الشَّهَوَاتِ : صرف عنها . يقال : سَلَاةً عن كذا وأَسْلَاةً : جعله يسلو ويسنى .

وَقَالَ يَسْتَعْرِ (١) : كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلِ يَوْمٍ لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُسْتَقْبِلِ عَدَا وَلَيْسَ مِنْ أَجَلِهِ .
إِنِّكُمْ (٢) لَوْ أَنْبَرْتُمْ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ ، لَأَبْقَضْتُمْ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ .

وَلَمَّا بَنَى الْمَأْمُونُ بَنَ ذِي الثَّوْنِ (٣) - وَكَانَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ - قَصْرَهُ ، وَأَنْفَقَ فِيهِ
بُيُوتَ أَمْوَالِهِ (٤) جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ بَنِيَانٍ فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَنْ صَنَعَ فِيهِ بَرَكَةَ
مَاءٍ كَانَتْهَا بِحَيْرَةً (٥) ، وَبَنَى فِي وَسْطِهَا قُبَّةً ، وَسَاقَى (٦) الْمَاءَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ حَتَّى غَلَا

(١) سقط الاسم من «ط» .. وفي «م» : «قال يستعر : كَمْ كَمْ» مكررة . ويستعر هو : يستعر بن كيدام بن
طهير ، أبو سلمة الهلال الكوفي الأحول ، من ثقات أهل الحديث ، كان يقال له : «المصحف» ، يعظم الثقة بما
يرويه . وكان تقياً ورعاً ، قال عنه ابنه محمد بن يستر : كان أوى مسير لانيام إلى أن يقرأ نصف القرآن .. وقال
ابن المبارك ، أو غيره :

مَنْ كَانَ مُقْبِصًا جَلِيسًا صَالِحًا فَلْيَأْتِ خَلْقَهُ يَسْتَعْرِ بْنِ كِيدَامِ
فِيهَا السَّكِينَةُ وَالْثَوَارُّ وَالْهَلْهَلُ أَهْلُ الْعَفَافِ ، وَعِلْيَةُ الْأَقْوَامِ

توفي - رحمه الله - بمكة سنة ١٥٣ هـ على الأرجح .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨٨ - ١٩٠ ، والخطبة ج ٧ ص ٢٠٩ - ٢٧٠ ، والمعارف لابن قتيبة
ص ٤٨١ وفيها (كَيْدَام) بضم الكاف ، والصواب ما أثبتناه (بالكسر) ، والأعلام ج ٧ ص ٢١٦] .

(٢) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «استنظر غداً لا يدرى ، لو أبصرتم» .

(٣) هكذا في «ط» .. وفي «م» : «بن ذى يزن» خطأ ، والأول هو الصواب .

وهو : يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذى النون الهواري الأندلسي ، أبو زكريا المأمون ، من ملوك
الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب «طليطلة» ولها بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥ هـ ، وامتدت أيامه في الملك خمساً
وعشرين سنة ، وكان عاكفاً على اللذات والخلاعة .. وكان بينه وبين ابن هود «سليمان بن محمد» صاحب
«سرقسطة» خلاف ، وقامت حروب بينهما ، واستنصر ابن ذى النون بالأسبان ، وكانوا يتحينون الفرصة للتوغل في
بلاد الأندلس ، فأرسلوا جيشاً أغار على «سرقسطة» وغيرها من بلاد ابن هود . ولجأ ابن هود - هو الآخر - إلى
فريق آخر من الأسبان ، وبعث إليهم بأموالاً وهدايا ، فأرسلوا جيشاً إلى نغر «طليطلة» أفضى حُماته . واستمرت هذه
الحال من سنة ٤٣٥ هـ إلى أن مات ابن هود سنة ٤٣٨ هـ ، وطمع الأسبان في بلاد الفريقين .. وقاتل ذو النون أيضاً
جاره ابن الأفطس ، صاحب «بطلوس» ، وحالف المعتضد ابن عباد على احتلال «قرطبة» فهاجمها ذو النون ،
فاستغاث بالمعتضد ، فنقض الحلف ، وأبعد ذا النون عنها ، واحتلها ، وفي سنة ٤٥٨ هـ استولى ذو النون على
بلنسية ، وقضى على دولة آل عامر ، واستتب له شرق الأندلس ، وازداد أمره قوة بعد موت المعتضد ابن عباد سنة
٤٦٠ هـ ، ولم تطل حياته بعده ، ومات بطليطلة سنة ٤٦٠ هـ في السنة نفسها .

[انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والمغرب لابن سعيد ج ٢ ص ١٣ وغيرها من
الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، والأعلام ج ٨ ص ١٣٨] .

(٤) في «ط» : «الأموال» .

(٥) في «ط» : «بحرة» .

(٦) في «م» : «وسيق» ، بالبناء للمجهول .

عَلَى رَأْسِ الْقُبَّةِ ^(١) ، عَلَى تَذْيِيرٍ قَدْ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ ، وَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ حَوْلَ يَهِهَا ، مُحِيطًا بِهَا ، مُتَّصِلًا ^(٢) بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَكَانَتْ ^(٣) الْقُبَّةُ فِي غِلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ سَكَنًا لَا يُفْتَرُّ ^(٤) ، وَالْمَأْمُونُ قَاعِدٌ فِيهَا ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ يَتِمَّا هُوَ نَائِمٌ إِذْ سَمِعَ مُنْشِدًا يُنْشِدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَتَيْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ غَقَلْتَ قَلِيلٌ ^(٥)
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةً لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَجُلٌ ^(٦)
فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ ^(٧) .

وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ قَد بَادَ أَهْلُهُ وَأَقْفَرَتْ مَنَازِلُهُ :

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتْهُمْ فِي خَفَضِ عَيْشِ نَفْسٍ مَالَهُ خَطَرٌ ^(٨)
صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا إِلَى الْقُبُورِ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ ^(٩)
وَلِلصَّاحِبِ أَيْضًا ^(١٠) :

(١) في م : : إلى رأس القصر .

(٢) في م : : متصل .

(٣) في م : : وكانت .

(٤) في ط : : سَكَنًا ، والسَكْبُ : الْهَطْلَانُ الدَّامِ مِنَ الْمَطَرِ وَغَرِهِ ، وَيُقَالُ : مَاءٌ سَكَبٌ ، وَرَقْرُ سَكَبٌ : سَرِيعُ الْجَزْيَانِ . وَالسَكْنُ ، بِالذَّوْنِ : كُلُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ ، وَاسْتَأْنَسَتْ بِهِ .

وَسَكَنًا لَا يُفْتَرُّ ، أَيُ : سَكَنًا تَطْمَعُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَا تَمَلْ مِنْهُ .

(٥) هكذا في ط ، وفي المستطرف للأبشي ج ٢ ص ٦١٠ .. وفي م : : « مقامك » بدل « بقاؤك » ، وهي بمعناها .

(٦) في م : : « تقتضيه » ، والأراك : شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ السَّوَاكُ .

(٧) أَي : مَاتَ .

(٨) خَفَضَ الْعَيْشَ : سَهَوَهُ وَلِينَهُ .

(٩) هكذا في ط ، وفي المستطرف ج ٢ ص ٦١٠ وغيرهما .. وفي م : : « صائحات » بدل « نائبات » .

(١٠) من أول قوله : وللصاحب .. إلى نهاية الأبيات الثلاثة بعده عن م ، وساقط من ط .. والأبيات الثلاثة ليست للصاحب كما هو مذكور هنا ، بل هي للشريف الرضي ، وقد وردت في ديوانه وفي الكثير من المصادر منسوبة إليه .

والشريف الرضي هو : محمد بن الحسين بن موسى العلوي ، ذي الحسين ، وهو من أهل الفضل والأدب ، والجلم والذكاء ، وحِجَّةُ الْخَاطِرِ مِنْ صِغَرِهِ ، وُلِدَ بِبَغْدَادِ سَنَةِ ٣٥٩ هـ وَتَوَلَّى بِهَا سَنَةَ ٤٠٦ هـ وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بِمَسْجِدِ =

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ وَطَلُّوْهَا بِيَدِ الْبَلَى نَهَبُ ^(١)
فَوَقَفْتُ حَتَّى عَجَّ مِنْ لَعَبٍ نَضَوِي وَعَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ ^(٢)
وَلَقَفْتُ عَيْنِي فَمَذَّ حَفِيَّتْ عَنْهَا الطُّلُولُ تَلَقَّتْ الْقَلْبُ ^(٣)

وَلَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا صِفِي نَفْسِكَ لَمَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ :

وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِثَةٍ قُرُوجِ الْأَصَابِعِ ^(٤)

وَرُوي أَنَّ الْحَجَّاجَ ^(٥) قَالَ فِي حُطَيْتِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَشْبَهُ بِمَا

= الأنباريين بالكرخ ، وقد تحرّبت الدار ، وقرّس القبر .. ومَرَّ بعض الأدياء بداره وقد أُنْخِصَ عليها الزمان وذهبت بهجتها ، وأخلقت دياجتها ، وبقيت رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان ، وطوارق الحداث ، وتمثّل بهذه الأبيات الثلاثة للشريف الرضي ، فَمَرَّ به شخص فسمعه ينشد الأبيات ، فقال : هل تعرف هذه الدار لِمَنْ ؟ قال : لا . قال : هذه الدار لقاتل هذه الأبيات ! فصعّب مِنْ حُسْنِ الاتفاق . [انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٤ - ٤٢٠ ، وديوان الشريف الرضي ج ١ ص ١٤٥ ط مؤسسة الأعلمى ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٠ ، وانباء الرواة ج ٣ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وبيضة الدهر للشعالى ج ٢ ص ٣٩٧ - ٣١٥ ط المطبعة الحنفية بدمشق ، والأعلام ج ٦ ص ٩٩] .

(١) هكذا البيت في «م» وفي الديوان .. وفي وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨٣ : « وَقَفْتُ » بدل « مَرَرْتُ » . « وَتَهَبُ » بالفتح ، الغرض المعرض للإصابة .. وبالضمّ بمعنى : متهوبة أو مُتَهَبَةٌ .

(٢) هكذا في «م» .. وفي الديوان :

« فَوَقَفْتُ حَتَّى وَضَعْتُ مِنْ لَعَبٍ نَضَوِي وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ »

والشطرة الثانية من البيت في الديوان متطابقة لما جاء في الوفيات .
عَجَّ : رفع صوته وصاح .. وَضَعْتُ مثلها .. وَتَهَبُ : البعير المهزول .. وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ ، أى : تماذى الرّاكِبون في خصرى ، وأبوا أن ينصرفوا . أو : تماقروا في رفع أصواتهم بمعاني ولوى ، مما سيئ لهم من التعب والإعياء .
وفي الوفيات والشذرات : « فَبِكَيْتْ » بدل « فَوَقَفْتُ » .

(٣) هكذا البيت في «م» ، وفي الديوان ، وفي الشذرات .. وفي الوفيات : « عَنَى » بدل « عَنْهَا » والطللول والأطلال : جمع طَلَلٍ ، وهو : مابقى شاعصاً من آثار الديار ونحوها .

(٤) قُرُوجِ الْأَصَابِعِ : فتحاتها وفي رواية : ما عَدَّتْ ما وصفها به أبو نواس بقوله :

« إِذَا افْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشِفَتْ لَهُ عَنْ عُلُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ »

[انظر المستطرف ج ٢ ص ٦١٠] .

(٥) هو : أبو محمد الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي - نسبة إلى ثقيف ، قبيلة كبيرة مشهورة في الطائف -
وُلِدَ سنة ٤٠ هـ ، ونشأ في الطائف بالحجاز ، وانتقل إلى الشام ، فلقح بروح بن زنباع ، نائب عبد الملك =

مَضَى مِنْهَا ^(١) . وَلَوْ أُعْطِيتُ مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا بِعِمَامَتِي هَذِهِ مَا قَبِلْتُهُ ، فَكَيْفَ آسَى عَلَى مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ مَثَلًا لِابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْمَوْتِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ ثَلَاثَةُ أَجْلَاءَ ^(٢) ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِأَحَدِهِمْ : قَدْ كُنْتُ لِي خَلِيلًا ^(٣) مُكْرَمًا مَوْثُورًا ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مَا تَرَى ، فَمَاذَا ^(٥) عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ، لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُنْفَسَ كَرَبِّكَ ، وَلَكِنْ هَذَاكَ ^(٦) بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَخُذْ مِنِّي زَادًا يَنْفَعُكَ . ثُمَّ يَقُولُ لِلثَّانِي : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي آثَرُ الثَّلَاثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] مَا تَرَى ، فَمَا ^(٧) عِنْدَكَ ؟ قَالَ : هَذَا أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْنِي عَلَيْكَ ،

= ابن مروان ، فكان في عهده شرطه ، ثم ما زال يظهر حتى قلَّه عبد الملك أمر عسكره ، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير ، فزحف إلى الحجاز بمحش قوى كبير ، وقتل عبد الله ، وغرق جموعه ، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق ، والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجالب ، قمع الثورة ، وثبت له الإمارة عشرين سنة ، وبنى مدينة واسط - بين الكوفة والبصرة - وكان سَفَاكًا سَفَاحًا لِلدَّمَاءِ بِاتِّفَاقِ مَعْظَمِ الْمُؤَرَّخِينَ .. قال عبد الله بن شَدَّابٍ ، مارؤى مثل الحجاج لَمَنْ أَطَاعَهُ ، ولا مثله لمن عصاه .. وقال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت أفصح من الحسن (البصري) والحجاج . وقال ياقوت في معجم البلدان : « ذَكَرَ الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوءه ، فغضب وقال : إِنْما تَذَكَّرُونَ الْمَسَاوِيَّ ! أَوْ مَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ دِرْهَمًا عَلَيْهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، محمد رسول الله ؟ وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى مَدِينَةَ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فِي الْإِسْلَامِ ؟ وَأَوَّلُ مَنْ اغْتَلَزَ الْحَامِلُ ؟ وَأَنْ أَمْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُبَيْتٌ فِي الْهِنْدِ فَنَادَتْ : يَا حُجَّاجُاجُ ! فَاتَّصَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : لِيَلِكَ لِيَلِكُ ! وَأَلْفَقَ سَبْعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ حَتَّى أَنْقَذَ الْمَرْأَةَ ؟ » . وِمْما يُؤْخَذُ عَلَى الْحِجَّاجِ قَتْلَهُ الْعَالِمِ النَّصِيِّ الْوَرَعِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ (مِنَ التَّاهِيَةِ) قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : « قَتَلَ الْحِجَّاجُ سَعِيدًا وَمَاعِلَى وَجْهَ الْأَرْضِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ مُقْتَرٌ إِلَى عِلْمِهِ » . ودعا سعيد بن جبْرِ الله بِالْأَلَا بِسُلْطَةِ الْحِجَّاجِ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ .. فَشَاشَ بَعْدَهُ أَبَاطُ ، وَمَاتَ بِوِاسْطِ سَنَةِ ٩٥ هـ وَأُجْرِيَ عَلَى قَبْرِهِ الْمَاءُ فَانْدَرَسَ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩ - ٥٤ ، ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٥٠ ، وأخباره كثيرة في كتب الأدب والتاريخ ، كالطبري ج ٦ ط دار المعارف ، والكامل لابن الأثير ، ومروج الذهب للمسعودي ، والعقد الفريد وغيرها] .

(١) في « ط » : « أَشْبَهَ بِمَا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِمَا هُوَ » .

(٢) الْأَجْلَاءُ : جمع خليل ، ويُطْلَقُ عَلَى الصَّدِيقِ الْخَالِصِ ، وَالْخَيْلِ وَالْخَلِيلِ وَاجِدٌ .

(٣) في « م » : « خِيَلًا » .

(٤) مابين المعقوفين ساقط من « م » في الموضعين .

(٥) في « م » : « فَمَا عِنْدَكَ ؟ »

(٦) في « ط » : « هَذَاكَ » .

(٧) في « م » : « فَمَاذَا » .

وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْفَسَ كَرْبَكَ ، وَلَكِنْ سَأَقُومُ عَلَيْكَ فِي مَرَضِكَ ، فَإِذَا مِتُّ أَتَقَنَّتْ
غَسْلُكَ ، وَجَوَّدْتُ كُسُوتَكَ ، وَسَتَرْتُ جَسَدَكَ وَعَوَزْتُكَ . وَقَالَ لِلثَّالِثِ : قَدْ نَزَلَ بِي
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [تَعَالَى] (١) مَا تَرَى ، وَكُنْتُ أَهْوَنَ الثَّلَاثَةِ عَلَى ، فَمَاذَا عِنْدَكَ ؟ قَالَ : إِنِّي
قَرِينُكَ وَحَلِيفُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَذْخُلُ مَعَكَ قَبْرَكَ حِينَ تَدْخُلُهُ ، وَأُخْرِجُ مَعَكَ حِينَ
تُخْرِجُ مِنْهُ (٢) ، وَلَا أَفَارِقُكَ أَبَدًا . فَقَالَ الثَّيْبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَوَّلُ مَالُهُ ،
وَالثَّانِي أَهْلُهُ ، وَالثَّالِثُ عَمَلُهُ

وَلَمَّا لَقِيَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ (٣) الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ قَالَ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أَحِبُّ لِقَاءَكَ ،
فَاعْظُنِي . فَقَرَأَ الْحَسَنُ : ﴿ أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ *
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ (٤) فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سَعِيدَ (٥) ، فَقَدْ وَعَظْتَ
أَحْسَنَ مَوْعِظَةٍ .

وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ بِالنُّشْأَةِ الْآخَرَى وَهُوَ يَرَى الْأُولَى ! وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ
لِللَّشَاكِ (٦) فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ ! وَأَعْجَبَا كُلُّ الْعَجَبِ لِلْمُكَذِّبِ

(١) مابين المعرفتين عن م م وساقط من ط .

(٢) سقطت منه م من م .

(٣) هو : ميمون بن مهران ، أبو أيوب اللقي ، عالم من القضاة ، وُلِدَ سنة ٣٧ هـ ، وكان مَوْلَى لَامْرَأَةٍ بِالْكُوفَةِ
فَاعْتَقَتْهُ ، فَنَشَأَ بِهَا ، وَاسْتَطَوَّنَ الرِّقَّةَ - مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ - فَكَانَ عَالِمَ الْجَزِيرَةِ وَسِيدَهَا ، وَاسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
الْعَزِيزِ عَلَى خَرَايجِهَا . وَكَانَ كَاتِبًا لِعُمَرَ وَمُؤَدِّبًا لِأَوْلَادِهِ .. وَقَالَ وَلَدَهُ عُمَرُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنْ أَصْبَحِي
قُطِيعَتٍ مِنْ هَاهُنَا وَأَنْيَ لَمْ أَلَّ لِأَعْمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَا لِنَفِيرِهِ . وَيُرْوَى أَنَّهُ صَلَّى فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ
رَكْعَةٍ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سنة ١١٧ هـ وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِينَ عَامًا .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٣٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ ، والمُخَيَّر لابن حبيب ص ٤٧٨ ، وحلية
الأولياء ج ٤ ص ٨٢ - ٩٧] .

(٤) سورة الشعراء - الآيات : ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٥) أى : يا أبا سعيد ، وهى كنية الحسن البصرى .

(٦) سقطت كل العجب م من م .

بِالنُّشُورِ ^(١) وَهُوَ يَمُوتُ فِي ^(٢) كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَحْيَا ! وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُصَدِّقِ
بِدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْتَعِي لِدَارِ الْغُرُورِ ! ^(٣) وَاعْجَبَا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمُحْتَالِ الْفُخُورِ
وَأِنَّمَا خُلِقَ مِنْ تُطْفَةِ ، ثُمَّ يَعُودُ جِيفَةً ، وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا يَذَرِي مَا يُفْعَلُ بِهِ !

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى آدَمَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٤) : جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلُّهُ فِي أَرْبَعٍ :
وَاحِدَةً لِي ، وَوَاحِدَةً لَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَوَاحِدَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَأَمَّا
الَّتِي لِي ، فَتَعْبُدُنِي ^(٥) لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَإِنِّي أُجْزِيكَ
بِهِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَى الْإِجَابَةِ ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ
النَّاسِ ، فَكُنْ لَهُمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا لَكَ ^(٦) .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : أُرِيتَا مَا أُوتِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُؤْتُوا ، وَعَلَّمْنَا
مَا عَلَّمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا ، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ .

وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْتُبِي لِي كِتَاباً تُوصِينِي

(١) في « م » : « بالموت والنشور » .

(٢) سقطت « في » من « م » .

(٣) الغرور ، يفتح الغين المعجمة ، كل ما غرَّ الإنسان من مالٍ ، أو جاهٍ ، أو شهوةٍ ، أو شيطانٍ . والمراد بدار
الغرور : الدنيا .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من « م » .. وجِمَاعُ الْخَيْرِ : أَصْلُهُ .

(٥) في « م » : « فَأَنْ تَعْبُدُنِي فَلَا تُشْرِكْ » .

(٦) سقطت « لَكَ » من « م » والسياق يتطلب وجودها ، للمقابلة بين « لَهُمْ » و« لَكَ » .

(٧) هو : معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي ،
مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب الكبار .. كان فصيحا ، حليما وقورا ، ولَّد بحكمة سنة ٢٠ قبل
الهجرة ، وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ ، وصار من كتّاب الوحي .. ولما وَلَّى أبو بكر الخلافة ، ولَّاه قيادة جيش تحت
إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان ، فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا ، وعرة ، وجبيل ، وبيروت . ولما وَلَّى
« عمر » جعله واليا على الأردن ، ورأى فيه حرما وعلما ، فولَّاه دمشق بعد موت أميرها (يزيد أخيه) ، وجاء عثمان
فجمع له الديار الشامية كلها ، وجعل ولَّاه أمصارها تابعين له .. وقُتِل عثمان ، فَرَلَّى « علي بن أبي طالب » فَوَجَّه
لقوره بعزل معاوية ، وعلم معاوية بالأمر ، قبل وصول البريد ، فنادى بنار عثمان ، واتهم عليا بدمه .. =

فِيهِ وَلَا تُكْبِرِي ^(١) عَلَيَّ . فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ ^(٢) ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ التَّمَسَّ رِضًا النَّاسَ يَسْحَطِ اللَّهُ ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَالسَّلَامُ » .

وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مُلْجَمٍ ^(٣) عَلَيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُذْخِلَ ^(٤) مَنَزَلَهُ فَأَعْتَرَتْهُ غَشِيَّةٌ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] ^(٥) فَقَالَ : أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالرَّغْبَةِ

= ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين عليٍّ ، وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام ، وإمامة عليٍّ بالعراق . ثم قُتل عليٌّ ، وبُيع بعده ابنه الحسن ، فسَلِمَ الخلافة لمعاوية سنة ٤١ هـ . ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة ، فعهد بها إلى ابنه « يزيد » ، ومات معاوية في دمشق سنة ٦٠ هـ بعد أن بلغت فتوحاته المحيط الأطلنطي ، وفتح عامله بمصر بلاد السودان سنة ٤٣ هـ ، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو ، وفي أيامه فُتح كثير من جزائر اليونان والدرديبل ، وحاصر القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨ هـ ، وضربت في أيامه دنائير عليها صورة أعرأى متقلد سيفاً ، وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول : هذا كَسَرِيَّ العرب .

• أَمَّا عائشة فهي : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وأقرب نسائه المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب ، كانت تُكْنَى : « أُمُّ عَيْدٍ » وَلِدَتْ سنة ٩ قبل الهجرة ، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة ، وكانت أَحَبَّ نِسَائِهِ إِلَيْهِ ، وأكثرهن رواية للحديث عنه ، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم . روى عنها ٢٢١٠ أحاديث ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٦ ، ٢٦٢ وج ٣ ص ٢٤٠] .

(١) في (م) : « وَلَا تَعْجَلِي تَكْبِرِي عَلَيَّ » .

(٢) هكذا في (ط .. وفي (م) : « فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَمَّا بَعْدُ » .

(٣) هو : عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ المُرَادِي الحميري ، فاتك ثائر ، من أشداء الفُرسان ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر بن الخطاب ، وقرأ على مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة .. شهد فتح مصر وسكنها ، وكان من شيعة عليٍّ ، رضى الله عنه ، وشهد معه « صِفَيْنَ » ثم خرج عليه ، واتفق مع « الزُّبَيْرِ » و« عمر بن بكر » على قتل عليٍّ ، ومعاوية ، وعمر بن العاص في ليلة واحدة ، وتعهد « البرك » بقتل معاوية ، وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتعهد ابن مُلْجَمٍ بقتل عليٍّ ، واستعان برجل يدعى « شَيْبًا الْأَشْجَمِي » ، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كَمُنَا خلف الباب الذي يخرج منه عليٌّ لصلاة الفجر ، فلما خرج ، ضربه « شيب » فأخطأه ، فضربه ابن مُلْجَمٍ فأصاب مقدم رأسه ، فنهض مَنْ في المسجد ، فحمل عليهم بسيفه ، فأفروا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رَمَى بِهَا عَلَيْهِ ، وحمله وضرب به الأرض ، وقعد على صدره .. وقرء « شيب » ، وتوفى « عليٌّ » رضى الله عنه من أثر الجرح ، وفي اليوم الثالث لوفاته أَخْضِرَ ابن مُلْجَمٍ وَأُجْبِهَ عَلَيْهِ ، وكان ذلك سنة ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٣٩ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٣ - ٤٠ ، ونهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٥٩٣ ، ٥٩٤]

(٤) في (ط .. : دخل .

(٥) ما بين المعقوفين عن (ط ..

في الآخرة ، والرُّهْد في الدُّنْيَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَاتَّكُمَا مِنْهَا ، اَعْمَلَا
الْخَيْرَ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ حَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً . ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا ^(١) وَقَالَ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ
مَا أُوصِيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَإِنِّي أُوصِيكَ بِهِ ، وَعَلَيْكَ بِبِرِّ أَخَوَيْكَ ،
وَتَوْقِيرِهِمَا ، وَمَعْرِفَةِ فَضْلِهِمَا ، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ :
أُوصِيكُمَا بِهِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُ أَخَوَكُمَا ^(٢) وَإِنُّنِ ابْنَيْكُمْ ، وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ أَنَّ أَبَاكُمَا ^(٣) كَانَ
يُحِبُّهُمَا فَاجْبَاهُ .

ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِيَّ ، أُوصِيكُم ^(٤) بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ فِي
الرُّضَا وَالْعُضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَالْعَدْلِ ^(٥) فِي الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ ، وَالْعَمَلِ
فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ ، وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ .

يَا بَنِيَّ ، مَا شَرُّ بَعْدَهُ الْحِجَّةُ بِشَرِّ ، وَلَا خَيْرٌ بَعْدَهُ النَّارُ بِخَيْرٍ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْحِجَّةِ
حَقِيرٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ .

يَا بَنِيَّ ، مَنْ أَبْصَرَ غَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ غَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِقَسَمِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ
عَلَى مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُئْرًا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَنْ
هَتَكَ حِجَابَ أَخِيهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْنِهِ ^(٦) ، وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَغْفَمَ خَطِيئَةَ
غَيْرِهِ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ،

(١) هو : ولده محمد بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الحنفية (نسبة إلى أمه تحولة بنت جعفر الحنفية)
يُنسب إليها تمييزاً له عن الحسن والحسين ، ابنتي فاطمة الزهراء بنت النبي ، صلى الله عليه وسلم . وكان
يقول : (الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما ، وكان واسع العلم ، شجاعاً ، وأخبار قوته وشجاعته
كثيرة ، وكان المختار للتغني يدعو الناس إلى إمامته .. توفي - رحمه الله - بالمدينة ، وقيل : بالطائف .

(٢) في (م) : « فَإِنَّهُ سَيُفَكُّكُمْ » .

(٣) في (م) : « أَبَاهُ » .

(٤) في (م) : « ثُمَّ قَالَ لَهُ : بَنِيَّ أُوصِيكَ » .

(٥) في (م) : « عَلَى ، بَدَلُ فِي » .

(٦) في (م) : « بَيْنَهُ » .

وَمَنْ خَالَطَ الْأَذْدَالَ أُخْتِفَر ، وَمَنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَفَّر ^(١) ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَم ، وَمَنْ يَصْنَحِبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَغْنَم ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاحِلَ السُّوءِ أَثْهَم ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ لَيْدَم ، وَمَنْ مَزَحَ أُسْتُخِفَ بِهِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ كَثَرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثَرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ ^(٢) .

يَا بَنِي ، الْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرٌ قَرِينٍ .

يَا بَنِي ، الْعَاقِبَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصُّمْتِ ، إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَوَاحِدَةٌ ^(٣) فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ .

يَا بَنِي ، زِينَةُ الْفَقِيرِ الصَّبْرُ ، وَزِينَةُ الْغَنِيِّ الشُّكْرُ ^(٤) .

يَا بَنِي لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَغْفَلَ ^(٥) أَخْرَزَ مِنَ الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا بِنَاسَ أَجْمَلَ مِنَ الْعَاقِبَةِ . الْجِرْصُ مِفْتَاحُ الْمَقْصَدِ ^(٦) ، وَمَطْيَةُ النَّصَبِ . التَّذْيِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤَمِّنُكَ مِنَ التَّدَمُّ . بَسْ ^(٧) الزَّادُ لِلْمَعَادِ الْعَبْدَانِ عَلَى الْعِبَادِ . طُوبَى ^(٨) لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عِلْمَهُ وَعَمَلَهُ ^(٩) ، وَحَبَهُ وَبَغَضَهُ ، وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهُ ، وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ ، وَقَوْلَهُ وَفِعْلَهُ .

(١) من أول قوله : « وَمَنْ يَصْنَحِبْ » إلى قوله : « لَيْدَم » عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَدَخَلَ النَّارَ » .

(٣) في « ط » والواحدة .

(٤) الجمعلان من أول قوله : « يَا بَنِي » إلى قوله : « الشُّكْر » عن « م » وساقط من « ط » .

(٥) التَّمَقُّلُ : التَّلَجُّجُ والجِصْنُ .

(٦) هكلا في « م » ، وبعدها : « وَمَطْيَةُ النَّصَبِ التَّعَبُ » . والنَّصَبُ : التعب . وفي « ط » : « الْجِرْصُ مِفْتَاحُ

التَّعَبِ ، وَمَطْيَةُ النَّصَبِ » .

(٧) في « م » : « شَرُّ الزَّادِ لِلْمَعَادِ » .

(٨) في « ط » : « طُوبَى » أي : هنياً لهم وحسناً ، ويُطلق على كل مُسْتَطَابٍ في الجنة ، من بقاء بلا فناء ، وعِزٍّ

بلا زوال ، وغنى بلا فقر .

(٩) في « م » : « عَمَلُهُ وَعِلْمُهُ » .

وَرَوَى أَنَّ^(١) عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَنَّهُ لَمَّا طَمِعَ دَعَا بِلَيْثٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ طَعْنَتِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَجَعَلَ جُلَسَاؤُهُ يَتَنَوَّنَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّ أُخْرِجَ مِنْهَا كَفَافًا كَمَا دَخَلْتُ فِيهَا^(٣) . لَوْ أَنَّ لِي الْيَوْمَ مَا طَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ لَأَقْدَمْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ عُمَرَ^(٤) غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ رَأْسَهُ فَرَفَعَتْهُ^(٥) فِي حِجْرِي ، فَقَالَ : ضَعِ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي ، فَمَسَحَ خَدَّيْهِ بِالتُّرَابِ وَقَالَ : وَيْلَ لِعُمَرَ ، وَيْلَ لَأُمِّهِ إِنْ لَمْ يُخَفَّرْ لَهُ . فَقُلْتُ :

(١) في « ط » : « وروى عن » .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي المكنى ، أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين ، وأول من لقّب بأمر المؤمنين ، وُلِدَ سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وكان شجاعاً حازماً ، وصحياً جليلاً ، ويضرب ببدله المثل .. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وشهد الوقائع مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ . بعهد منه .. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق ، وافتتحت القدس والمدائن ، ومصر ، والجزيرة ، حتى قيل : انتصب في مُدَّتِهِ اثنا عشر ألف منبر في الإسلام ، وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري ، وكانوا قبله يؤرخون بالوقائع ، واتخذ بيت مالٍ للمسلمين ، وأول من دُوِّنَ الدواوين في الإسلام ، وجعلها على الطريقة الفارسية لإحصاء أصحاب الأعطيات ، وتوزيع المرتبات عليهم .. وكان يطوف في الأسواق منفرداً ، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم .. وكتب إلى عثمان : « إذا كتبتم لي فابعدوا بأنفسكم » وكان إذا نزل به الأمر المُعْضِلُ دعا الشبان فاستشارهم ، ينفى حِلَّةَ عقولهم ، وكان أول ماضله لما وَلِيَ الخلافة أَنْ رَدَّ سبائاً أهل الرُّوْمَةِ إلى عِشَائِرِهِمْ ، وقال : كرهتُ أَنْ يَصُوِّرَ السُّيُ سَبَّهَ عَلَى الْعَرَبِ .. لَقَّبَهُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، بالفاروق ، وكناه بأبي حفص .. قتله أبو لؤلؤة فرورز الفارسي غيلة بمنجبر في خاصرته وهو في صلاة الصبح سنة ٢٣ هـ . وعاش بعد الطعنة ثلاث ليالٍ .. وأخباره كثيرة .

[انظر الأعمال ج ٥ ص ٤٥ ، والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ ، وما بعدها ، وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٢٨ وما بعدها وغيره من الأجزاء ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٦٧ وما بعدها وغيره من الأجزاء ، وتاريخ الخلفاء ص ١٢٥ - ١٧١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٨ - ٥٥] .

(٣) سقطت « فيها » من « م » .. والكفّاف ، بالفتح : مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقص . والمراد هنا : أَنْ يخرج من الدنيا لأعليه ولا له .

(٤) ابن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد سبق التعريف به في أول الباب .. وفي « م » : « و » ولما خضر عمر عُشِيَ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فوضعتها في حجري » والرأس مُدَكَّرٌ .. والجحجر ، بكسر الحاء وضحاها : الجفن .

وَهَلْ جِجْرَى ^(١) وَالْأَرْضَ إِلَّا سَوَاءَ يَا أَبْتَاهُ ؟ فَقَالَ : ضَعُ رَأْسِي بِالْأَرْضِ لِأَنَّمْ لَكَ كَمَا
 أَمْرُكَ ، فَإِذَا قَضَيْتَ ^(٢) فَاسْرِعُونِي إِلَى حُفْرَتِي ، فَإِنَّمَا ^(٣) هُوَ خَيْرٌ تُقَدِّمُونِي إِلَيْهِ ، أَوْ شَرٌّ
 تُضَعِّمُونَهُ عَنِّي رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ بَكَى . فَقُلْتُ ^(٤) لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ قَالَ : خَبِرَ السَّمَاءَ ، لَا أَذْرى
 إِلَى جَنَّةٍ يَنْطَلِقُ نِي أَوْ إِلَى نَارٍ ^(٥) .

وَلَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٦) الْوَفَاةُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَقَصَّصْتُ ،
 وَبَيَّغْتَنِي فَقَصَّصْتُ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ^(٧) ، فَإِنْ عَفَوْتَ فَقَدْ مَنَنْتَ ، وَإِنْ عَاقَبْتَ
 فَمَا ظَلَمْتُ ، أَلَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ . ثُمَّ قَضَى رَجَمَهُ اللَّهُ ^(٨) .

(١) في (ط) : (فَجِجْرَى) بدل (جِجْرَى) .

(٢) قَضَيْتَ ، أى : بَيَّغْتُ .

(٣) في (ط) : (فِي) بدل (إِلَى) .. و (إِنَّمَا) بدل (فَإِنَّمَا) .

(٤) في (ط) : (فَقِيلَ) .

(٥) في (م) : (لَمْ يَلِ نَارٍ) .

(٦) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحَكَمِ الأموي القرشي ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، خامس الخلفاء
 الراشدين ، وأُمُّهُ عاصم ، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وُلِدَ بالمدينة سنة ٦١ هـ أو ٦٣ هـ - وقيل : ولد
 بَحْلَوَانَ (قرية مصرية) وكان أبوه أمراً عليها - ونشأ بالمدينة ، و تلقى العلم بها ، وولّى إمارتها للوليد ، ثم استوزره
 سليمان بن عبد الملك بالشام ، وولّى الخلافة بعدهم سنة ٩٩ هـ فبُوع في مسجد دمشق ، وسكن الناس في أيامه .
 ومنع - رحمه الله - سَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رضى الله عنه ، (وكان مَنْ تقدّمه من الأمويين يسبّونه على المنابر) ،
 ولم يُطْلَقْ مُؤَدَّةً ، حيث توفى - بدير سمعان من حمص - سنة ١٠١ هـ ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة عشر
 يوماً .. وكان نقش خاتمة « عمر يؤمن بالله » ، وكان - رحمه الله - قبل توليه الخلافة يبالغ في التشمع ويفرط فيه ، ثم
 هجر كل ذلك بعد أن ولي الخلافة ، وعاش حياة كلها زهد وتقشف وورع وتقوى ، وشغله أجل العيش عن عاجله ،
 وكان للرعية أماناً وأماناً .. قال عنه أنس ، رضى الله عنه : « ماصليت خلف إمام أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
 من هذا الفتى ، عمر بن عبد العزيز ، وأخباره في غُثِّهِ وحُسْنِ سياسته كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٥٣ - ٣٥٣ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ - ٢٩٣
 ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، وفوات الوفيات ج ٣ ص ١٣٣ - ١٣٥ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦
 ص ١٢٢ ، وكتاب دول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ ، والمُحْتَجَرُ ص ٢٧ ، ٢٨ ، والطبري ج ٦
 ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ وغيرهما ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٦ ، ١٥١ - ١٥٨ وغيرها من الصفحات] .
 (٧) أَنْعَمْتُ عَلَيَّ فَأَفْضَلْتُ ، أى : أنعمت عليّ نعمة زائدة عما أستحقه .. وبضم التاء من « أفضلت » يكون
 المعنى : أنعمت عليّ فأبقيت وأمسكت .. والأول هو الأنسب للسياق .
 (٨) هكذا في (ط) .. وفي (م) : (ثُمَّ قَضَى كُفَّيْهِ) .

وَلَمَّا حَضَرَتْ هِشَامَ بْنَ عَيْدِ الْمَلِكِ ^(١) الْوَفَاةَ ، نَظَرَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَكُونُ حَوْلَهُ ، فَقَالَ :
جَادَ لَكُمْ هِشَامٌ بِالذُّبْيَا ، وَجَدْتُمْ لَهُ بِالْبِكَاءِ ^(٢) . وَتَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ
مَا حَمَلَ . مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ ^(٣) ؟

وَذُحِلَ عَلَى الْمَأْمُونِ ^(٤) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُفْرَشَ لَهُ

(١) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، وُلِدَ في دمشق سنة ٧١ هـ وُتِيع بالخلافة فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ ، وخرج عليه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٠ هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة ، فَوُجِّهَ إليه مَنْ قَتَلَهُ وَقَتْلَ جُوعِهِ ، وَنَشِبَتْ فِي أَيَّامِهِ حَرْبٌ هَائِلَةٌ مَعَ خَاقَانَ التُّرْكِ فِيمَا وَرَاءَ النِّهْرِ أَنْتَهَتْ بِمَقْتَلِ الْخَاقَانِ وَاسْتِيلَاءِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ بِلَادِهِ .. وَاجْتَمَعَ فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الْمَالِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي خِزَانَةِ أَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي الشَّامِ ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيَاسَةِ يَقْطَعُ فِي أَمْرِهِ ، يُبَاشِرُ أَعْمَالَهُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ حَلِيمًا ذَا رَأْيٍ وَحَزْمٍ . تَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وتاريخ الخلفاء ص ٢٩٦ - ٢٩٩ ، ودول الإسلام ص ٧٤ وغيرها ، والطبری ج ٧ ص ٢٥ وما بعدها ، وص ٣٥ - ٣٧ ، والكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٩٢ وصفحات أخرى متفرقة من هذا الجزء] .

(٢) فِي « م » وَ « ط » : بِالْبِكَاءِ ، بِدُونِ هَمْزٍ .

(٣) فِي « م » : يُغْفَرُ لَهُ ، .

(٤) هو : عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ألف جعفر المنصور ، أبو العباس ، سابع الخلفاء العباسيين ، وَأَحَدُ أَعَظَمِ الْمُلُوكِ فِي سِيرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَسِعَةِ مُلْكِهِ .. وُلِدَ سَنَةَ ١٧٠ هـ وَكَانَ أَفْضَلَ رِجَالِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَزْماً وَعِلْماً وَعِزْماً وَدَهَاءً وَهَيْبَةً ، وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَكَانَ فَصِيحاً مُتَوَّهاً ، وَكَانَ يَقُولُ : مَعَاوِيَةُ يَغْتَرُّهُ (يَعْنِي عَسْرُو بْنُ الْعَاصِ) وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَجِّجُجُهُ (يَعْنِي الْحُجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ) وَأَنَا بِنَفْسِي .. وَلِی الْخِلَافَةَ بَعْدَ خَلْعِ أَخِيهِ الْأَمِينِ سَنَةَ ١٩٨ هـ وَنَفَّذَ أَمْرَهُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ إِلَى أَقْصَى خِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ . وَكَانَ يُقَالُ : لِبْنِی الْعَبَّاسِ فَاتِحَةٌ ، وَوَاسِطَةٌ ، وَخَاتَمَةٌ ، فَالْفَاتِحَةُ : السِّفَاحُ . وَالْوَاسِطَةُ : الْمَأْمُونُ . وَالْخَاتَمَةُ : الْمُعْتَصِدُ .. وَكَانَ مَعْرُوفاً بِالتَّشَبُّعِ ، وَقَدْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى خَلْعِ أَخِيهِ « الْمُتَوَكِّلِ » وَالْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ إِلَى « عَلِيٍّ الرِّضَا بْنِ مُوسَى الْكَاطِمِ » وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ السَّوَادِ وَبَلَسِ الْحَضْرَةَ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِ ، وَبَايَعُوا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الرِّضَا مَاتَ فِي سَنَةِ ٢٠٣ هـ . وَاخْتَفَى الْمَهْدِيُّ لِمُدَّةِ ثَمَانِي سِنِينَ .. وَفِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ تَمَّتْ تَرْجُمَةُ الْكَثِيرِ مِنْ كِتَابِ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مُلُوكَ الرُّومِ بِالْهَدَايَا ، سَائِلًا أَنْ يَصِلُوهُ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ كِتَابِ أَفْلَاطُونِ ، وَأَرِسْطُو طَالِيسَ ، وَأَبُقِرَاطَ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَاخْتَارَ لَهَا مَهْرَةً الرَّاجِعَةَ .. وَفِي عَصْرِهِ ظَهَرَتْ مَعْنَةُ خَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَأَظْهَرَ الْقَوْلَ بِخَلْقِهِ ، وَتَفَضُّلِ « عَلِيٍّ » عَلَى أَنَّى بَكَرٍ وَعَمَرٍ ، فَاحْتَارَتْ النُّفُوسُ مِنْهُ ، وَكَادَ الْبَلَدُ يَفْتِنُ ، فَكُفَّ عَنْ ذَلِكَ .. تَوَفَّى الْمَأْمُونُ سَنَةَ ٢١٨ هـ وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ٤٧ سَنَةً وَعِدَّةُ أَشْهُرٍ ، وَذُفِنَ بِطَرَسُوسَ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : لَوْ عَرَفَ النَّاسُ حَقِّي لِلْعَفْوِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالْخِرَامِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ : مَا رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَشٌّ عِنْدَهُ لَيْلَةٌ ، فَأَخَذَهُ سَعَالٌ ، فَأَرَانَتْهُ يَسُدُّ فَا هُ بِكُمِّ قَمِيصِهِ حَتَّى لَا تَنْبَهَ ..

جُلِّ الدَّابَّةُ ^(١) وَيَسْطَ عَلَيْهِ الرَّمَادُ ، وَهُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهِ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ وَهُوَ يَقُولُ ^(٢) : يَا مَنْ لَا يُزُولُ مُلْكُهُ ، أَرْحَمَ مَنْ يُزُولُ مُلْكُهُ ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ^(٤) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَرَّ عَلَى طَائِفٍ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ ^(٥) ، فَقَالَ : طُوبَى لَكَ يَا طَائِرُ ، تَطِيرُ فَتَقْعُ عَلَى الشَّجَرِ ، وَتَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرِ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَا عِقَابٌ ، يَا ابْنَتِي كُنْتُ مِثْلَكَ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ إِلَى جَنْبِ طَرِيقِ ^(٦) ، فَمَرَّ عَلَى بَعِيرٍ فَأَخَذَنِي فَلَاكِنِي ^(٧) ، ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَقْرًا ^(٨) وَلَمْ أَكُ بَشَرًا .

= [انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٦٤ - ٣٩٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٨٣ - ١٩٢ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٩ ، والطبری ج ٨ ص ٥٢٧ و ٣٨٩ و ٥٦٤ وما بعدها وغيرها من الصفحات ، والكامل لابن الأثير ج ٥ صفحات متفرقة]

(١) جُلِّ الدَّابَّةُ : مائِطُطِي به الدَّابَّةُ لِيُصَانَ .. بفتح الجيم وضمها .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يتضرع ويقول » يسقط الفعل « يبكي » والضمير « هو » .

(٣) في « م » : « مَنْ قد زال مُلْكُهُ » .

(٤) هو : عبدالله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن كعب التَّيْمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سنة ٥١ قبل الهجرة ، وكان سيداً من سادات قريش ، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها ، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش .. حُرِّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمْ يَشْرَبْهَا ، ثُمَّ كَانَتْ لَهُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ مَوَاقِفٌ كَبِيرَةٌ ، فَشَهِدَ الْحُرُوبَ ، وَاحْتَمَلَ الشَّدَائِدَ ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ ، وَبَرِحَ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سنة ١١ هـ ، فَحَارَبَ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنْتَعِينَ مِنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ ، وَافْتَضَحَتْ فِي أَيَّامِهِ بِلَادُ الشَّامِ وَقَسَمَ كَبِيرٌ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَاتَّفَقَ لَهُ قَوَادِمُ أَمْنَاءَ ، كَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَأَبْنَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحِزْمِيِّ ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَالثَّغْنِيَّ بْنَ حَارِثَةَ .. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ ، وَالرَّافَةِ بِالْعَامَةِ ، وَكَانَ خَطِيبًا كَسِينًا ، وَشَجَاعًا بَطَلًا ، وَلَقَّبَ بِالصَّدِيقِ لِصَدْقِهِ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْرِ الْأَمْرَاءِ .. تَوَلَّى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سنة ١٣ هـ ، وَكَانَتْ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ سِتِّينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .. كُتِبَ عَنْهُ الْكَثِيرُ ، وَأُفْرِدَتْ لَهُ الصِّفَحَاتُ الطُّوَالَ فِي مَنَاقِبِهِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٠٢ ، وأسَدُ الْغَابَةِ لابن الأثير ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٣٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣ - ١٢٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨ - ٣٨ وغيرها] .

(٥) « عَلَى شَجَرَةٍ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٦) فِي « م » : « الطَّرِيقُ » .

(٧) فِي « م » : « عَلَى بَعِيرٍ فَلَاكِنِي ، أَيْ : مَضَعْنِي » .

(٨) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي بَعْرًا » لَانْصَحَ . وَأَزْدَرَدَنِي : بَلَعْنِي .

وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١) : أَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثِيْبَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَ هَذِهِ الثَّيْبَةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٢) : وَدِدْتُ أَنِّي طَائِرٌ فِي مَنْكِبِي رِيْشٌ . وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يَا لَيْتَنِي إِذَا مِتُّ لَمْ أُبْعَثْ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : عاصم بن عبد الله - وكلاهما من حَفْدَةِ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فالأول هو عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، والثاني هو : عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو من رِوَاة الحديث ، ولكنهم ضَعُفُوهُ .. وقد جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي : « قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عُمَرَ أَخَذَ ثِيْبَةً مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : لَيْتَنِي كُنْتُ هَذِهِ الثَّيْبَةِ ، يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي » وعبد الله هذا هو : عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ بن ربيعة الأموي ، أبو عبد الرحمن ، أمير فاتح ، وَلِدَ بِمَكَّةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَنَةَ ٤ هـ ، وَكَانَ شَجَاعًا سَخِيًّا ، وَصُولًا لِقَوْمِهِ ، وَلَيْلَى الْبَصْرَةَ فِي أَيَّامِ عُمَانَ سَنَةَ ٢٩ هـ ، وَكَانَ مُجِبًّا لِلْعُمَرَاءِ ، اشْتَرَى كَثِيرًا مِنْ دُورِ الْبَصْرَةِ وَهَدَمَهَا فَجَعَلَهَا شَارِعًا . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْخِيَاضَ بَعْرَةً (فِي الْحِجَازِ) وَأَجْرَى الْعَيْنَ وَسَقَى النَّاسَ الْمَاءَ .. وَهُوَ الَّذِي وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى « سَجِسْتَان » فَافْتَتَحَهَا صُلْحًا ، وَافْتَتَحَ عَامَّةَ فَارَسَ وَخِرَاسَانَ وَكَابُلَ .. وَقُتِلَ عُمَانُ وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ ، وَشَهِدَ وَقْعَةَ الْجَمَلِ مَعَ عَائِشَةَ ، وَلَمْ يَحْضُرْ وَقْعَةَ صِفِّينَ .. وَلَاحَ مَعَاوِيَةُ الْبَصْرَةَ ثَلَاثَ سِنِينَ بَعْدَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْهَا ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ .. وَمَاتَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٥٩ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ ، وَدُفِنَ بِعِرْفَاتٍ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٥٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ١٥١ ، والحيوان للجاحظ ج ١ ص ٧٨ « حاشية »]

(٢) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَمِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ ، وَكَانَ خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمِينِ ، وَصَاحِبَ سِرِّهِ ، وَرَفِيقَهُ فِي جِلَّتِهِ وَتَرْجَالِهِ وَغَزَوَاتِهِ .. يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَمْشِي مَعَهُ .. نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا وَقَالَ : « وَعَاءٌ ثُلِيَّةٌ عَلِمًا » .. وَلَيْلَى بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْتَ مَالِ الْكُوفَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ فَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ٣٢ هـ عَنْ نَحْوِ سِتِينَ عَامًا .. وَكَانَ قَصِيرًا جَدًّا يَكَادُ الْجُلُوسَ يُوَارُونَهُ .. وَكَانَ يَحِبُّ الْإِكْتَارَ مِنَ التَّطْبِيبِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ عَرَفَ الطَّرِيقَ أَنَّهُ تَرُفٌّ مِنْ طِيبِ رَأْتَحَتِهِ .. لَهُ ٨٤٨ حَدِيثًا .. وَأُورِدَ الْجَاحِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ خُطْبَةً لَهُ ، وَغَنَاتُهَا مِنْ كَلَامِهِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤ وغيرها في عامة الأجزاء ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ وغيرهما] .

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ^(١) : لَوِدِدْتُ أَنِّي رَمَادٌ تَسْفِينِي ^(٢) الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِيفٍ .
 وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٣) : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعَصَّدُ وَتُوكَلُ فَمَرَّتِي وَلَمْ أَكْ بَشَرًا .
 وَرَوَى ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْظُهُ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا
 كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِرٌ سَبِيلٍ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ
 فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ ، وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » ^(٥) .
 وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَدَخَلَ أَوَائِلَ
 الْكُوفَةِ ، فَإِذَا هُوَ يَقْبِرُ ، فَقَالَ : قَبْرٌ مِنْ هَذَا ؟ قَالُوا ^(٦) : قَبْرُ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ ^(٧) ،

(١) هو : عِمْرَانُ بْنُ حَبِيبٍ بن عبيد بن خلف ، أَبُو نُجَيْدٍ الْخُزَاعِيُّ ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خير سنة ٧ هـ ،
 وغزا مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، غزوات ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة .. بعثه عمر بن الخطاب
 إلى أهل البصرة ليفقههم في الدين ، وولى قضاءها ، وتوفى بها سنة ٥٢ هـ . وهو يَمُنُّ باعتزال حرب « صفين » وكان
 مُجَابِ الدُّعَا .. وله في كتب الأحاديث ١٣٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٧٠ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠] .

(٢) تسفيني الرياح ، أى : تُذَرُونِي وتعملني .. ولى « ط » : « تَسْفِينِي » .

(٣) أَبُو الدَّرْدَاءِ ، هو الصحابي عويمر بن مالك . وقد سبق التعريف به .. وتُعَصَّدُ ، أى : تُقَطَّعُ .

(٤) من هنا إلى آخر الحديث عن « م » ولم يرد في « ط » .

(٥) الحديث رواه البخارى في كتاب « الرقاق » باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كن في الدنيا كأنك
 غريب » عن عبدالله بن عمر ، باختلاف يسير في لفظه ، والحديث مُوجَّهٌ له ، وآخره : « وَخُذْ مِنْ صَحْتِكَ
 لِمَرْضِكَ ، وَمِنْ سَيِّئَاتِكَ لِمَوْتِكَ » .

[انظر فتح الباري بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج ١١ ص ٢٣٣ .. وقوله : « وَعُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحَابِ
 الْقُبُورِ » زادها الليث في روايته ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعاً . وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد
 بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون] .

(٦) في « ط » : « قَالُوا » .

(٧) في « م » : « الْأَرْتِ » بالياء المثلثة ، خطأ من الناسخ . وحَبَابُ هو : حَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ بْنِ جَنْدَلَةَ الْهَمِصِيِّ ،
 أَبُو يَحْيَى ، أو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، صحابي ، وهو عرق لحقه سبأ في الجاهلية فَبِيعَ بِمَكَّةَ ، وكان يعمل السيوف بها ، وهو من
 السابقين الأولين إلى الإسلام ، كان سادس ستة في الإسلام ، وهو أول مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ .. استضعفه المشركون
 فعدوه ليرجع عن دينه ، فصر ولم يُعْطِ الْكَفَّارَ مَا سَأَلُوا ، إلى أن كانت الهجرة ، فهاجر ، وشهد بدرًا وأُخِذَ
 والمشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ونزل الكوفة ، ومات بها سنة ٣٧ هـ ، وهو أول مَنْ دُفِنَ
 بظهر الكوفة مِنَ الصَّحَابَةِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٠١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ١١٤ - ١١٧ ، وحلية الأولياء ج ١
 ص ١٤٣ - ١٤٧ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤] .

فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ، أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ،
وَابْتَلَى فِي جَسَمِهِ آخِرًا ^(١) ، أَلَا وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . ثُمَّ مَضَى ، فَإِذَا
قُبُورٌ ^(٢) ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَالْمَحَالِّ
الْمُقْفِرَةِ ، أَنتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا
وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ . طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ ، وَفَنِيَ
بِالْكَفَافِ ^(٣) ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، أَمَّا الْأَرْوَاحُ فَقَدْ
لُكِحَتْ ، وَأَمَّا الدِّيَارُ فَقَدْ سُكِنَتْ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ ، هَذَا ^(٥) خَيْرٌ مَا عِنْدَنَا ،
فَمَا خَيْرٌ مَا عِنْدَكُمْ ؟ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ ^(٦) وَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ لَوِ تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنَا
أَنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ^(٧) .

(١) هكذا في « ط » .. ولي « م » : « وَابْتَلَى فِي جَسَمِهِ وَعَاشَ مُجَاهِدًا آخِرًا » .

(٢) في « م » : « فَإِذَا قُبُورٌ آخِر » .

(٣) في « م » : « وَفَنِيَ بِالْكَفَافِ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ » .

(٤) في « م » : « عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

(٥) في « ط » : « فَبُذِرَ » .

(٦) في « م » : « فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُمْ فَقَالَ » . والتكرار هنا سهو من الناسخ .

(٧) في « م » : « وَجَدْنَا خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين

دَعَلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ^(١) عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَلَيْهِ سُمْلَةٌ وَمِدْرَعَةٌ صُوفٍ ^(٢) فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٣) اقْتَحَمَتْهُ عَيْنُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَهْ يَا أَخْنَفُ ^(٤) ، فَقَالَ الْأَخْنَفُ : يَا أَمِيرَ

(١) هو : الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين المُرِّي ، السعدي ، البَنْقَرِيُّ ، القَيْمِيُّ ، أبو بحر ، سيد نعيم ، وأحد العظماء الدهاء ، الفصحاء ، الشجعان ، الفاتحين ، يُهْتَرَبُ به المَثَلُ في الجَلَمِ ، وُلِدَ في البصرة سنة ٣ قبل الهجرة ، وأدرك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يَرَهُ ، ووقد على عمر حين آلت إليه الخلافة في المدينة ، فاستبقاه عمر ، فمكث عاماً ، وأُذِنَ له ، فعاد إلى البصرة .. وكتب عمر إلى أنى موسى الأشعري ، أما بعد ، فَأَذِنَ الْأَخْنَفُ وشاورُهُ ، واسمع منه .. الخ . وشهد الفتوح في « خراسان » واعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع « علي » ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الأخنف في الجواب ، فَمَثَلَ معاوية عن صبره عليه فقال : هذا الذي إذا غَضِبَ ، غَضِبَ له مائة ألف ، لا يدرون يَمُوتُ غضب .

وولى الأخنف خراسان ، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير « أمير العراق » فوفد عليه بالكوفة ، فتوفى فيها وهو عنده سنة ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٤٢٣ - ٤٢٥ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وغيرها في سائر الأجزاء ، والبيان والتبيين ، وكلماته وأخباره وخطبه متفرقة في سائر أجزائه ، وفي كثير من كتب الأدب والتاريخ] .

(٢) السُّمْلَةُ : شُقَّةٌ من الثياب ذات محل يَتَوَشَّعُ بها وَيُتَلَفَعُ . والْمِدْرَعَةُ : ثوب من صوف ، أو جُبَّةٌ مشفوفة المَقْدَمُ .

(٣) مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ : قام بين يديه مُتَّصِياً .

(٤) هَكَذَا في « م » .. وسقطت « بالأخنف » من « ط » ومَثَ : اسم فعل أمر مبنى على السكون ، ومعناه : اكْتَفَفَ .

الْمُؤْمِنِينَ ، أَهْلَ الْبَصَرَةِ عَدَدَ يَسِيرٍ ، وَعَظَمَ كَسِيرٍ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ ^(١) ، وَاتِّصَالَ
مِنَ الدُّحُولِ ^(٢) فَالْمُكْثِرُ مِنْهَا قَدْ أَطْرَقَ ، وَالْمُقِلُّ مِنْهَا قَدْ أُمْلَقَ ^(٣) ، وَبَلَغَ بِهِ
الْمِخْتَنَقُ ^(٤) ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَتَعَشَّى الْفَقِيرَ ، وَيُجِيرَ الْكَاسِيَةَ ^(٥) ، وَيُسَهِّلَ
الْعَسِيرَ ، وَيَضْفَحَ عَنِ الدُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ ^(٦) ، وَيَأْمُرَ بِالْعَطَاءِ لِيُكْشِفَ الْبَلَاءَ ،
وَيُزِيلَ الْأَوَاءَ ^(٧) أَلَا وَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ يُمْ ^(٨) وَلَا يَحْصُرُ ، وَيَدْعُو الْجَفْلَى وَلَا يَدْعُو
التَّقَرَّى ^(٩) ، إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ شَكَرَ ، وَإِنْ أَسَى إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الرَّعِيَّةِ
عِمَادًا يَنْدَفِعُ عَنْهُمْ الْهَلُمَاتِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ الْمُضْضِلَاتِ ^(١٠) . فَقَالَ ^(١١) مُعَاوِيَةُ :
هَآ هُنَا يَا أَبَا بَكْرٍ . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَتَقَرَّرْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ ^(١٢) .

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ^(١٣) : لَمَّا حَجَّ الْمَهْدِيُّ قَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنْ سَفْيَانٍ ، فَوَضَعُوا لِي

(١) هكذا في .. وفي ط : : تتابع المحول ، أي : تتابع الجذب وانقطاع للطر .

(٢) الدُّحُول : حقداء ، جمع دَحَلٍ . ويقال : طلب بذخله ، أي : بنأه .

(٣) أَطْرَقَ : أَمَلُ رَأْسُهُ إِلَى صَدْرِهِ وَسَكَتَ .. وَأَمْلَقَ : افترق واحتاج .. وفي م : : أَمْلَقَ ، بالباء ، ومعناها لا يناسب السياق .

(٤) المِخْتَنَقُ : الرقية . ويريد به هنا شَيْئَةُ الضيق .

(٥) يجير الكسير : يكفيه حاجته .

(٦) يريد : يصفح عن الحاقدين والثائرين ، ويزيل ما حَلَّ بِهِمْ مِنْ جَذْبٍ وَقَطْعٍ بِعَطَايَاهُ .

(٧) في ط : : وتزول الأواء ، والأواء : الضنك وضيق المشقة .

(٨) يُمُّ : فلان يُمُّ الْقَوْمَ بِالْعَطِيَّةِ : أي : يشملهم .. وفي ط : : يهنر .

(٩) الْجَفْلَى : الجماعة من الناس . يريد : يدعوهم جميعاً من غير تخصيص . والتقري : الدعوة الخاصة ، لأناس بعينهم .

(١٠) هكذا في ط : : م : : يدفع عنهم المضضلات ، ويكشف عنهم الهلومات ، والمضضلات : المسائل الشكيلة التي لا يُهْتَدَى لِوُجْهِهَا .. والهلومات : التوازل الشديدة من شدائد الدهر .

(١١) في م : : لم قال .

(١٢) سورة محمد - من الآية ٣٠ .. وتقررتهم في لحن القول ، أي : بفحوى وأسلوب كلامهم .

(١٣) هو : سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ ، مِنْ بَنِي ثَوْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنْقَةَ ، مِنْ مُضَرَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٩٧ هـ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ فِقْهَ مَأْمُونًا ثَبَاتًا ، كَثُرَ الْحَدِيثُ .. وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي عُلُومِ الدِّينِ وَالْفَنَاءِ .. سَكَنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَكَانَ يَقُولُ : فَلَسِي بِصَالِحٍ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ مَعَ قَوْمٍ غَرِبَاهُ أَصْحَابُ بَيُوتٍ وَعِبَاءَ .. وَتَوَازَى فِي الْمَهْدِيِّ بِمَكَّةَ ، وَلَمْ يَظْهَرْ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَهُ مَعَ الْمَهْدِيِّ أَخْبَارٌ أَوْزَدَتْهَا كُتُبُ الْأَدَبِ وَالطَّبِيقَاتِ وَغَرَاهَا .

الرَّصَدُ ^(١) خَوْلَ الْبَيْتِ ، فَأَخَذُونِي بِاللَّيْلِ ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْنَانِي ، ثُمَّ قَالَ : لَأَيُّ شَيْءٍ لَأَتَاتِينَا فَتَسْتَشِيرُكَ فِي أَمْرِنَا ^(٢) ، فَمَا أَمَرْنَا مِنْ شَيْءٍ صِرْنَا إِلَيْهِ ، وَمَا نَهَيْتَنَا عَنْ شَيْءٍ اتَّهَيْتَا عَنْهُ ؟ قُلْتُ لَهُ : كَمْ أَنْفَقْتُ فِي سَفَرِكَ هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ، لِي أَمْتَاءُ وَوُكَلَاءٌ . قُلْتُ : فَمَا عُذْرُكَ عَذَا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَأَلَكَ عَنْ ذَلِكَ ؟ لَكِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَجَّ قَالَ لِغُلَامِهِ : كَمْ أَنْفَقْتُ ^(٣) فِي سَفَرِنَا هَذَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دِينَارًا فَقَالَ ^(٤) : وَيَحْكَ ، أَجْحَفْنَا بَيْتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ ^(٥) : مَا سَمِعْتُ بِأَحْسَنَ مِنْ كَلَامِ تَكَلَّمَ بِهِ رَجُلٌ ^(٦) عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْمَعْ مِنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ دِينِكَ

= قال القضاة بن حكيم : « كنت عند المهدي ، وأتى بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العائمة ، ولم يسلم تسليم الخلافة ، والربيع قائم على رأسه ، فمكئ على سيفه [يرقب أمره] فأقبل المهدي بوجهه طلق وقال له : ياسفيان ، نفرنا منا هاهنا وهاهنا ، وتظن أننا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؟ فقد قدرنا عليك الآن .. أفما نخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ »

قال سفيان : إن نحكم فيي يحكم فيك ملك قادر يُفَرِّقُ بين الحق والباطل .

فقال له الربيع : بأمر المؤمنين ، أفما الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ أئذن لي أن أضرب عنقه .

فقال له المهدي : اسكت وملك !! ما يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فتشقى بسعادتهم .. اكتبوا بعهده على قضاء الكوفة ، على ألا يُقَرَّضَ عليه في حكم .. فكتب عهده ودفعه إليه ، فأخذه وخرج ، ورسم به في « دجلة » ، وهرب ، فطلب في كل بلد فلم يوجد .. توفي - رحمه الله - بالبصرة سنة ١٦١ هـ متوارياً من السلطان .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٨٦ - ٣٩١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، وروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٦ - ٣٩٣ ، وج ٧ ص ٣ - ١٤٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥١ - ١٧٤] .

(١) الرصد : الرقباء ، جمع راصيد .

(٢) في م ٥ : أمورنا .

(٣) في م ٥ : أنفقت .

(٤) في ط ٥ : قال .. وقوله : أجحفنا بيت مال المسلمين ، أي : اشتد ضررنا به ، وذهبنا بأمواله .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري . وسيأتي التعريف به في آخر هذا الباب .

(٦) في م ٥ : « من كلام رجل تكلم به » .

وَمُلْكِكَ ، وَآخِرَتِكَ وَدُنْيَاكَ . قَالَ : لَا تَبْعِدْ أَحَدًا عِدَّةً وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ إِنْجَازَهَا ، وَلَا يُغْنِيكَ مُرْتَقَى سَهْلٌ ^(١) إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًّا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ جَزَاءً ، فَاحْذَرْ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٌ ^(٢) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

وَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ السَّمَاكِ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ قَالَ لَهُ : عِظْنِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ لِخِلَافَتِهِ فِي عِبَادِهِ غَيْرَكَ ، فَلَا تَرْضَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِمَا رَضِيَ اللَّهُ ^(٣) بِهِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتَ أَوَّلَى النَّاسِ بِذَلِكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ طَلَبَ فَكَأَنَّكَ رَقِيبُهُ فِي مُهَلَّةٍ مِنْ أَجَلِهِ ، كَانَ ^(٤) خَلِيقًا أَنْ يَتَّقَى نَفْسَهُ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ ذَوَّقَهُ الدُّنْيَا حَلَاوَتَهَا يَرْكُوبُ مِنْهُ إِلَيْهَا ، أَذَاقَتَهُ الْآخِرَةَ مَرَارَتَهَا يَتَجَافَى عَنْهَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَاشِدْتُكَ اللَّهَ أَنْ تَقْدَمَ إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَقَدْ دُعِيتَ إِلَيْهَا وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ تَمُوتُ وَحْدَكَ ، وَتُخَاسِبُ وَحْدَكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَقْدَمُ إِلَّا عَلَى نَادِمٍ مُشْغُولٍ ، وَلَا تُخْلَفُ إِلَّا مَفْقُوتًا مَفْرُورًا ، وَإِنَّكَ وَإِيمَانَا فِي دَارِ سَفَرٍ ، وَجِيرَانِ ظُهُنٍ ^(٥) .

وَلَمَّا حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، اسْتَحْضَرَ أَبَا حَازِمٍ فَقَالَ لَهُ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ : فِيمَ أَتَكَلَّمُ ؟ قَالَ : فِي الْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَأْخُذِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِحَقِّهَا ^(٦) ، وَلَا تَضَعُهَا إِلَّا فِي أَهْلِهَا . قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَلَّدَكَ . قَالَ : عِظْنِي يَا أَبَا

(١) في م : : سهلاً بالنصب ، والصواب بالرفع ، صفة لمُرتقى ، التي وقعت فاعلاً .

(٢) في ط : : والدَّهْرُ تارات ، والتارات : المَكَاَرِه ، جمع بَرَّة .

(٣) في م : : رَضَى بِهِ .

(٤) في م : : وأولى .

(٥) في م : : وكان .. ولا يصح العطف هنا .

(٦) جيران ظُهْن : مُرتَجِلِينَ .

(٧) في م : : إلا بجعلها .

حَازِمٌ ^(١) . قَالَ ^(٢) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ .. ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَزَّهْتُكَ فِي عِظَمَتِهِ عَنْ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ .. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَنْتَ سُوقٌ فَمَا تُفَقِّ عَنْكَ ^(٣) حُجَلٌ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيُّهُمَا شِئْتَ .. قَالَ : فَمَا لَكَ لَا تَأْتِينَا ؟ قَالَ : وَمَا أَصْنَعُ بِإِثَابِكَ ؟ إِنْ أَذْنَبْتُي فَتَنَنْتِي ، وَإِنْ أَقْصَيْتُنِي أَخْزَنْتُنِي ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مَا أَرْجُوكَ لَهُ . قَالَ : فَأَرْفَعْ إِلَيْنَا ^(٤) حَوَائِجَكَ . قَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ هُوَ أَقْدَرُ ^(٥) مِنْكَ عَلَيْهَا ، فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَا مَنَعْنِي مِنْهَا رَضِيتُ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ كَثِيرٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ ، أَوْ يَزِيدَ فِي قَلِيلٍ مَا قَسَمَ اللَّهُ ؟ قَالَ : فَبِكَيِّ سُلَيْمَانَ بُكَاءٌ شَدِيدًا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : أَسَأَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ أَبُو حَازِمٍ : أَسْكُتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيَبِينَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، بَعَثَ إِلَيْهِ ^(٨) بِمَالٍ ، قَرَدَهُ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ : خَرَجَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ لَيْلَةً إِذْ سَمِعْتُ قَرَعَ الْبَابِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَعَرَجْتُ مُسْرِعًا ، فَإِذَا أَنَا بِهِ

(١) في « م » : « أبا حازم » . ووردت القصة بكاملها في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٧ بتصرف .

(٢) في « م » : « فقال » .

(٣) في « م » : « عندك » بدل « عنك » .. إلما أنت سوق ، أي : أنت مثل السوق التي يباع فيها .

(٤) في « م » : « إلى » .

(٥) في « م » : « وأحق وأقدر » .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة الزخرف - من الآية ٣٢ .

(٨) في « م » : « بعث له » .

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَثْنَيْتِكَ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ، قَدْ حَاكَ ^(١) فِي نَفْسِي شَيْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا عَالِمٌ .. أَنْظِرْ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . قُلْتُ لَهُ : هَاهُنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) . قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى أَثْنَيْتِكَ . قَالَ : جِدْ ^(٣) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثْنَاهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ^(٤) عَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَبَّاسُ ^(٥) اقْضِ دَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَقَالَ ^(٦) : مَا أَغْنَى عَنِّي صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَلْظُرُ لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ . فَقُلْتُ ^(٧) : هَاهُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ ^(٨) ، قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلُهُ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ مُسْرِعًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أُرْسِلْتُ إِلَى

(١) حاك : رسخ .. في « م » : « حال » باللام ، وهي بمعنى : غاب .

(٢) هو : سفیان بن عیینة بن میمون الهلال الکوفی ، أبو محمد ، مُخَدَّثُ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ، كان عالماً ناعداً ، وزاهداً عابداً ، وُلِدَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ١٠٧ هـ ، وسكن مكة ، وكان حافظاً فقيهاً ، واسع العلم ، ذا رأي راجع ، كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز .. توفي - رحمه الله - بمكة وذُوْنُهَا سَنَةَ ١٩٨ هـ . وحج سبعين حجة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٥ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٢٧٠ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٧٤ - ١٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣] .

(٣) جِدْ ، أَيْ : اجْتَهِد .. وَفِي « م » : تُحْذَرُ .

(٤) سَقَطَتْ « لِه » مِنْ « م » وَبَعْدَهَا : « فَقَالَ : نَعَمْ » .

(٥) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « يَا عَبَّاسِي » وَهُوَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيْعِ .

(٦) فِي « م » : « فَقَالَ لَهُ » .

(٧) فِي « م » : « قُلْتُ » .

(٨) فِي « م » : « هَشَام » بِالشَيْنِ الْمُعْجَمَةِ : تَحْرِيفٌ . وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ هُوَ : عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ بْنُ نَافِعٍ الْحَمِيرِيُّ ، أَبُو بَكْرٍ الصَّنْعَانِيُّ ، مِنْ حُفَّاظِ الْحَدِيثِ الثَّقَاتِ .. مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٢٦ هـ ، وَكَانَ يَحْفَظُ مِائَةَ سَبْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ حَدِيثٍ ، وَقِيلَ : مَارِحِلُ النَّاسِ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُثْلَمَا رَحَلُوا إِلَيْهِ .. وَرَوَى عَنْهُ أَثْمَةُ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ ، وَمِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، وَهُوَ مِنْ شَيْوَخِهِ ، وَأَحَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَغَيْرُهُمْ .. تَوَفَّى - رحمه الله - فِي شَوَّالِ سَنَةِ ٢١١ بِالْبَحْرَيْنِ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٠٩ - ٦١٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧] .

أَتَيْتُكَ . فَقَالَ : جِدْ (١) لِمَا جِئْنَا لَهُ . فَحَادَثَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ (٢) : عَلَيْكَ ذَيْنِ ؟
 قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ (٣) ، أَقْضِ ذَيْنَهُ . ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقَالَ : مَا أَغْنَى عَنِّي
 صَاحِبُكَ شَيْئًا ، فَأَنْظُرْ (٤) لِي رَجُلًا أَسْأَلُهُ ، فَقُلْتُ (٥) : هَاهُنَا الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ (٦) .
 قَالَ : امْضِ بِنَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَإِذَا (٧) هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي غُرْفَةٍ (٨) يَتْلُو آيَةً مِنْ كِتَابِ
 اللَّهِ ، وَيُرَدِّدُهَا (٩) ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ (١٠) ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : أُجِبْ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : مَا لِي وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا عَلَيْكَ
 طَاعَتُهُ (١١) ؟ فَقَالَ : أَوْلَيْسَ قَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ
 لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ؟ فَتَزَلَّ فَفَتَحَ الْبَابَ ، ثُمَّ ارْتَفَى الْعُرْفَةَ فَاطْفَأَ السَّرَاجَ ، ثُمَّ اتَّجَأَ
 إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْعُرْفَةِ ، فَجَعَلْنَا نَحُولُ عَلَيْهِ بِأَيْدِينَا ، فَسَبَقَتْ كَفَّ الرَّشِيدِ كَفِّي
 إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَوُّهُ (١٢) مِنْ كَفِّ مَا أَلَيْنَهَا إِنْ نَجَتْ عَدَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى !

(١) في م : : نَحْذُ .

(٢) سقطت له ، من م .

(٣) في ط : : ياعباسي .

(٤) في م : : انْظُرْ .

(٥) في م : : قُلْتُ .

(٦) هو : الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي الربوعي ، أبو علي ، أحد الأقطاب ومن أكابر العباد الصالحين ،
 وُلِدَ بِمُخْرَسَانَ بِكُورَةِ (أَبُورْد) سنة ١٠٥ هـ ، وَقَدِمَ الْكُوفَةَ وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تَمَيَّدَ وَانْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ
 وَجَاوَزَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سنة ١٨٧ هـ وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥٣ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٨٤ - ١٣٩ ، والرسالة القشورية ج ص ٦٢ - ٦٤ ،
 وطبقات الصوفية ص ٦ - ١٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩ ، وطبقات الأولياء ص ٢٦٦ - ٢٧١ ،
 وروفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٧ - ٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١
 ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ وفيها قال عنه هارون الرشيد : مارأيتُ في العلماء أَمِيبَ مِنْ مَالِكٍ وَلَا أَوْزَعَ مِنْ الْفَضِيلِ] .

(٧) في ط : : رَأَى .

(٨) في م : : غُرْفَتِهِ .

(٩) في م : : وهو يرددُها .

(١٠) في م : : وقَرَعْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ .

(١١) في ط : : طَاعَتِهِ .

(١٢) أَوُّهُ ، بِسُكُونِ الْوَاوِ وَكَسْرِ الْهَاءِ : كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ التَّوَجُّعِ .. وَفِي ط : : «أَوَّاه» .

قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْكَلْمَنُ^(١) اللَّيْلَةَ بِكَلَامِ نَقِيٍّ مِنْ قَلْبِ نَقِيٍّ . فَقَالَ : جِدَّ^(٢) لِمَا جِئْنَا لَهُ بِرَحْمِكَ اللَّهُ . قَالَ : وَفِيمَ جِئْتُ ؟ حَطَبْتُ^(٣) عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَمِيعُ مَنْ مَعَكَ حَطَبُوا عَلَيْكَ ، حَتَّى لَوْ سَأَلْتَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ الْغُطَاءِ عَنْكَ وَعَنْهُمْ^(٤) أَنْ يَحْمِلُوا عَنْكَ شَيْئًا^(٥) مِنْ ذَنْبٍ مَافَعَلُوا ، وَلَكَانَ أَشَدُّهُمْ حُبًّا لَكَ أَشَدَّهُمْ هَرَبًا مِنْكَ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ [رَحِمَهُ اللَّهُ]^(٦) لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيَّوَةَ^(٧) ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ ابْتَلَيْتُ بِهِذَا الْبَلَاءِ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ، فَقَدْ الْخِلَافَةَ بَلَاءٌ ، وَعَدَدُوتُهَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ نِعْمَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : إِنْ أَرَدْتَ النُّجَاةَ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ^(٨) فَصُمْ عَنِ الدُّنْيَا ، وَتَكُنْ

(١) فِي « م » : لَتَكَلَّمَنُ .

(٢) فِي « م » : نَحْذُ .

(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « حَمَلْتُ » بَدَل « حَطَبْتُ » وَ« حَمَلُوا » بَدَل « حَطَبُوا » .. وَحَطَبَ عَلَى فُلَانٍ : سَعَى بِهِ .

(٤) الْمُرَادُ بِانْكِشَافِ الْغُطَاءِ : وَضُوحُ الْحَقِيقَةِ مِثْلَةَ أَمَامِ الْعَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي كَانَ الْإِنْسَانُ غَافِلًا عَنْهَا فِي الدُّنْيَا ، وَفِيهَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَتَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ سُورَةُ ذِي - الْآيَةِ ٢٢ .

(٥) الشَّقْصُ : الشَّيْءُ الْيَسِيرُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفِّينَ عَنْ « م » وَاسَاقَطَ مِنْ « ط » .

(٧) الْأَوَّلُ : سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، أَحَدُ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ ، وَمِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ وَعِلْمَائِهِمْ وَتَقَاتِهِمْ . تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٦ هـ .

وَالثَّانِي : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، حَلِيفُ الْأَوْسِ ، أَبُو هِزْمَةَ الْمَدِينِيُّ ، مِنَ التَّابِعِينَ .. وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عِلْمًا وَفَقْهًا ، وَكَانَ مُحَدِّثًا ثِقَةً .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١٠٨ هـ وَقِيلَ سَنَةَ ١١٧ هـ وَهُوَ ابْنُ ثَمَالٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً .

وَالثَّلَاثُ : رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ بْنِ جَزْوَلِ الْكِنْدِيِّ ، أَبُو الْمَقْدَامِ ، شَيْخُ أَهْلِ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ ، وَمِنْ الْوُحَاظِ الْفَصَحَاءِ الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ مَلَا زِمًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي عَهْدِي الْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِاسْتِخْلَافِ عُمَرَ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ١١٢ هـ .

[انْظُرْ رِجَالَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ٢ ص ٦٧٥ ، وَالْحَلِجِيِّ ج ٢ ص ١٩٣ - ١٩٨ وَج ٣ ص ٢١٢ - ٢٢١ وَج ٥ ص ١٧٠ - ١٧٧ ، وَطَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ج ٢ ص ٣٨ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ٧١ وَ ١٧٠] .

(٨) فِي « م » : « عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى » .

فُتَارَكَ فِيهَا الْمَوْتُ ، وَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : إِنْ أُرِذْتَ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَابًا ، فَلْيَكُنْ كَبِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَكَ أَبَا ، وَأَوْسَطُهُمْ عِنْدَكَ أَخَا ^(١) ، وَأَصْغَرُهُمْ وَلَدًا ، فَبَرَّ أَبَاكَ ، وَارْحَمْ أَخَاكَ ، وَتَحَنَّنْ عَلَى وَلَدِكَ . وَقَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : إِنْ أُرِذْتَ النَّجَاةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَذَابًا فَأَجِبْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاکْرَهُ لَهُمْ مَا تُكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، ثُمَّ مَتَى شِئْتَ مَتَى ، وَإِنِّي لَأَقُولُ لَكَ هَذَا ، وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ أَشَدَّ الْخَوْفِ يَوْمَ تَزُلُ ^(٢) الْأَفْدَامُ ، فَهَلْ مَعَكَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِثْلُ هَؤُلَاءِ ^(٣) الْقَوْمِ مِمَّنْ يَأْمُرُكَ بِمِثْلِ هَذَا ؟

فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : ارْفُقْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : يَا بَنُيَّ أُمِّ الرَّبِيعِ ، قَتَلْتَهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَأَرْفُقْ بِهِ أَنَا ؟ ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَّغْنِي أَنَّ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَكَا إِلَيْهِ سَهْرًا ^(٤) فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا ابْنِي ، اذْكُرْ سَهْرَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ، وَخُلُودَ الْأَبْدَانِ ^(٥) فَإِنَّ ذَلِكَ يَطْرُدُ ^(٦) بِكَ إِلَى رَبِّكَ نَائِمًا وَيَقْطَعُ ^(٧) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزُلَّ قَدَمُكَ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ فَيَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ ، وَيَنْقَطِعَ ^(٨) الرَّجَاءُ مِنْكَ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ طَوَى الْبِلَادَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ قَالَ لَهُ : خَلَعْتُ قَلْبِي بِكِتَابِكَ ، لَا وَلِيْتُ لَكَ وَلَايَةً أَبَدًا حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْعَبَّاسَ ، عَمَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَاءَهُ فَقَالَ :

(١) في « م » : « فاجعل كبير المسلمين عندك أبًا ، وأوسطهم أخًا » .

(٢) في « م » : « تَزُلُّ فِيهِ » .

(٣) في « ط » : « مثل هذا القوم ممن يأمر بك » .

(٤) سقطت « سهرًا » من « م » هي « ابن عبد العزيز » بعدها .

(٥) في « ط » : « وخلود الأبد » .

(٦) يَطْرُدُ : يرسل .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يقطعانًا » لاصح ، ممنوعة من الصرف .

(٨) في « ط » : « وينقطع » .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَمَرْنِي عَلَى إِمَارَةٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيُّ ، نَفْسٌ تُحِبُّهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا ، إِنَّ الْإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَتَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ . فَبَكَى هَارُونُ الرَّشِيدُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي يَرْحَمَكَ اللَّهُ ^(٢) .

قَالَ : يَا حَسَنَ الْوَجْهِ ، أَنْتَ الَّذِي يَسْأَلُكَ ^(٣) اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقَى هَذَا الْوَجْهَ مِنَ النَّارِ فَافْعَلْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمَسِيَ وَفِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ^(٤) : مَنْ أَصْبَحَ لَهُمْ غَاشًا لَمْ يَرْحَ رَاحَةَ الْجَنَّةِ . فَبَكَى هَارُونُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ : عَلَيْكَ ذَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ذَيْنِ لِرَبِّي لَمْ يُحَاسِبْنِي عَلَيْهِ ، فَالْوَيْلُ لِي إِنْ سَأَلَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ نَاقَشَنِي ، وَالْوَيْلُ لِي إِنْ لَمْ يُلْهِمْنِي حُجَّتِي . قَالَ : إِنَّمَا أَعْنِي ذَيْنَ الْعِبَادِ . قَالَ : إِنْ رَبِّي لَمْ يَأْمُرْنِي بِهَذَا ، أَمَرَنِي أَنْ أَصْدَقَ وَعْدَهُ ، وَأَطِيعَ أَمْرَهُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ^(٥) إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝ ﴾ ^(٦) . فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، خُذْهَا فَأَتَفَقَّهْهَا عَلَى عِيَالِكَ ، وَتَقَوَّ بِهَا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ . فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنَا أَذُلُّكَ عَلَى سَبِيلِ ^(٧) النَّجَاةِ وَتُكَافِئُنِي بِمِثْلِ هَذَا ، سَلَّمَكَ اللَّهُ وَوَفَّقَكَ ؟ ثُمَّ صَمَتَ فَلَمْ يُكَلِّمْنَا ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي هَارُونُ : إِذَا دَلَّتُنِي عَلَى رَجُلٍ فَذَلَّلْنِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، هَذَا سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ .

(١) في « م » : « فقال النبي » .

(٢) في « م » : « يرحمك الله تعالى » وبعدها : « وقال » .

(٣) في « م » : « نسلك » تحريف من الناسخ .

(٤) في « م » يقول .

(٥) هكذا في « ط » وفي القرآن الكريم .. وفي « م » : « الإنس والجن » .

(٦) سورة الذاريات ، الآيات من : ٥٦ - ٥٨ .

(٧) في « ط » : « على النجاة » .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ ^(١) دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَهُ ^(٢) : يَا هَذَا ، أَمَا تَرَى ^(٣) مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ؟ فَلَمَّا قِيلَتْ هَذَا الْمَالَ فَفَرَجْنَا بِهِ . فَقَالَ : إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كِمَثَلِ قَوْمٍ كَانَ لَهُمْ بَعِيرٌ يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ نَحْرُهُ ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ . مُوتُوا يَا أَهْلِي جُوعاً وَلَا تَذْبَحُوا فُضَيْلاً . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ قَالَ : أَدْخُلْ ، فَعَسَى أَنْ يَقْبَلَ الْمَالَ . قَالَ : فَدَخَلْنَا ، فَلَمَّا عَلِمَ بِنَا الْفَضِيلُ خَرَجَ وَجَلَسَ عَلَى التُّرَابِ عَلَى السُّطُوحِ ، فَجَاءَ ^(٤) هَارُونُ الرَّشِيدُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ ، فَلَا يُجِيبُهُ ، فَبَيْنَا نَحْنُ ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ : يَا هَذَا ، قَدْ آذَيْتَ الشَّيْخَ مُنْذُ اللَّيْلِ ، فَأَنْصَرِفْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، فَأَنْصَرَفْنَا .

وَوَعَّظَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ ^(٦) الْمَنْصُورَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ أَحَدًا ، فَلَا تَجْعَلْ فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا ^(٧) .

وَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ^(٨) عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَرَأَ : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلِإِلَاحِ عَشْرِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ

(١) أَى : مِنْ نِسَاءِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ .

(٢) فِي (م) : « قَالَتْ : يَا هَذَا » .

(٣) فِي (ط) : « قَدْ تَرَى » .

(٤) سَقَطَتْ : « فَجَاءَ هَارُونُ الرَّشِيدُ » مِنْ (م) ، وَفِيهَا : « فَجَلَسَ هَارُونُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَجَعَلَ يَكَلِّمُهُ وَلَا يُجِيبُهُ » .

(٥) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « فَبَيْنَا كَذَلِكَ » .

(٦) فِي (م) وَ(ط) : « شَيْبَةُ » ، تَحْرِيفٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْتَاهُ « شَيْبَةُ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةُ فِي تَارِيخِ

بَغْدَادِ ج ٩ ص ٢٧٥ .

وَهُوَ : شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التِّيمِيُّ الْمَنْقَرِيُّ الْأَهْمَسِيُّ ، أَبُو مَعْمَرٍ ، أَدِيبُ الْمُلُوكِ ، وَجَلِيسُ الْفُقَرَاءِ ، وَأَخُو الْمَسَاكِينِ .. مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ لَبِناً فَصِيحاً ، قَدِيمُ بَغْدَادٍ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ ، فَاتَّصَلَ بِهِ ، وَبِالْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَكَانَ كَرِيماً عَلَيْهِمَا ، أَثْبَرَا عِنْدَهُمَا . تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[انْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادِ ج ٩ ص ٢٧٤ - ٢٧٨ ، وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ٤٥٨ - ٤٦٠ ، وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ج ٢

ص ٢٦٢ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ج ١ ص ٢٤ ، ٤٧ وَغَيْرُهُمَا ، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ١٥٦] .

(٧) فِي (م) : « فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا » .

(٨) فِي (ط) : « عَمْرُ » خَطَأً .. وَهُوَ : عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ بْنِ يَابِ ، التِّيمِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَبُو عِثَانَ الْبَصْرِيُّ ، شَيْخُ

الْمَعْتَزَلَةِ فِي عَصْرِهِ .. كَانَ تَقِيّاً وَرِعاً ، وَكَانَ مِنَ الْمُخَدِّثِينَ ، وَأَحَدِ الزُّهَادِ الْمَشْهُورِينَ ، وَكَانَ تَلْمِيزاً لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ إِلَى أَنْ انْفَصَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ مَعَ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ ، وَهُوَ يُعِيدُ الْوَعظَ ، ثُمَّ لَا يَخْشَى فِي وَعْظِهِ خَلِيفَةً أَوْ أَمِيراً ، =

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ ﴾^(١) لِمَنْ فَعَلَ مِثْلَ فَعَالِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ يَبَايَكَ^(٢) نِيرَانًا تَأْجُجُ ، لَا يُعْمَلُ فِيهَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَلَا يَسْتَوِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا^(٤) وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ^(٥) ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ عُمَاكَ أَنَّهُ لَا يُرْضِيكَ مِنْهُمْ إِلَّا الْعَدْلُ لَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لَا يُرِيدُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ^(٦) : أَسْكُتَ فَقَدْ غَمَمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو^(٧) : وَبَلَّكَ يَا بَنِي أُمِّ مُجَالِدٍ ، أَمَا كَفَاكَ أَنَّكَ خَزَنْتَ نَصِيحَتَكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تُحَوِّلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَنْصَحُهُ ، أَتَى اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ اتَّخَذُوا سُلْمًا إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِكِ بِالْقُرُونِ ، وَغَيْرِكَ يَحْلِبُ ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا .

= وكان يحقر عطاياهم ، ويعلو بنفسه على نفوسهم ، وينفذ بموعظته إلى قلوبهم فيكسبهم ، ثم يلحون عليه في أن يفتي بحالهم فيأبى .. وأخباره مع المنصور كثيرة ، وقد وُلِدَ سنة ٨٠ هـ وتوفي بِمُرَّان - قرب مكة - سنة ١٤٤ هـ وقد رثاه المنصور ، وَلَمْ يُسَمَّعْ بِخَلِيفَةِ رَفِيٍّ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ ، وَكَانَ يَقُولُ فِيهِ :

« كَلَّكُم طَالِبُ صَيْدٍ غَيْرِ عَمْرُو بْنِ عِيْدٍ »

وفي العلماء من يراه مبتدعاً ، وتركوا أحاديثه . وقال عنه ابن حبان : « كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ إِلَى أَنْ أَحْدَثَ مَا أَحْدَثَ » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٦٦ - ١٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٦٠ - ٤٦٢ ، وطبقات المعتزلة ص ٣٤ وغيرها ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٣ ، وكتاب الضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٢٧٧ - ٢٨٦ ، وروج الذهب ج ٣ ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٣ - ٢٨٠ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١] .

(١) الآيات من أول سورة « الفَجْر » إلى الآية ١٤ .

(٢) في « م » : « شَابِك » - أو شَبَابِك ، وكلاهما تحريف من الناسخ ، باعتبار ما بهما .

(٣) سقطت « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » من « ط » .

(٤) اجتروحوا : ارتكبوا - أو اكتسبوا من الجرائم والموبقات .

(٥) في « ط » : « فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ إِلَّا بِفَسَادِ آخِرَتِكَ » .

(٦) في « ط » : « سُلْمَان » خطأ .. والصواب : « سُلَيْمَان » ، وهو : سليمان بن مجالد ، مولى أبي جعفر المنصور .

(٧) في « م » : « فَقَالَ عَمْرُو » .

وَقَالَ الْأَوْرَاعِيُّ ^(١) لِلْمَنْصُورِ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ
بِيدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَرِيدَةً يَابِسَةً يَسْتَاكُ ^(٢) بِهَا ، وَيَرْدُعُ بِهَا
الْمُتَارِقِينَ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ؟ أَقْدَفَهَا
لَا تَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ ، وَانْتَهَبَ
أَمْوَالَهُمْ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ^(٤) دَعَا إِلَى الْفِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ
بِحَدِّثَةٍ حَدَّثَهَا أُعْرَابِيًّا مِنْ غَيْرِ عَمِدٍ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ
يَمْعَثْكَ جَبَّارًا تُكَسِّرُ قُرُونَ رَعِيَّتِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنَ النَّارِ تُسَمِّرُ ^(٦) عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجَشْتُهُ ^(٧) ، فَكَيْفَ
بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا ^(٨) مِنَ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ لَأَجَشْتُهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سَلَابِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ
يُسَلْسَلُ ^(٩) فِيهَا وَيَرْدُعُ فَضْلُهَا عَلَى عُنُقِهِ ^(١٠) ؟ .

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْيَى الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، إمام الديار الشامية في
الفقه والزهد ، وُلِدَ في بعلبك سنة ٨٨ هـ ، ونَشَأَ في البقاع .. قال عنه صالح بن يحيى في تاريخ بيروت : كان
الأوزاعي عظيم الشأن بالشام ، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان ، وعُرض عليه القضاء فامتنع . وكان لا يخاف في
الله لومة لائم ، يقول الحق ولا يخاف سطوة العظام .. وكان المنصور يعظمه ويصغي إليه ويحمله .. توفي - رحمه الله -
سنة ١٥٧ هـ وقبره في قرية على باب بيروت يُقال لها « حَتْتُوس » .

[انظر حلية الأولياء ج ٦ ص ١٣٥ - ١٤٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص
١٧٨ - ١٨٣ ، والمعارف ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والأعلام
ج ٣ ص ٣٢٠] .

(٢) يستاك بها : يتخذ منها سواكاً ينظف فمه وأسنانه به .

(٣) عليه السلام : لم ترد في « م » .

(٤) المراد بالمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

(٥) في « ط » : « من غير عميد » .

(٦) في « م » : « صَبَّ » بدل « تُسَمِّر » والثانية هي المناسبة للمقام .

(٧) في « م » : « لَأَجَشْتُهُ » في الموضعين .

(٨) الذُّنُوب : الذُّلُور .

(٩) في « م » : « يَسْلُكُ فِيهَا ، أَى : يدخل وينفذ .

(١٠) في « م » : « على عاتقه » . والمعاق : ما بين التَّكْبِيبِ والعُنُقِ .

وَدَعَلَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ عَلَى سُلْطَانٍ فَقَالَ لَهُ ^(١) : إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِالْإِحْسَانِ ^(٢) مِنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِنصَافِ مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ ^(٣) بِالْقُدْرَةِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةِ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ سِتُونَ ثَلَاثَ : أُمَّا الْأُولَى فَأَكَلَتِ اللَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّانِيَةُ فَادَّابَتِ الشَّحْمَ ، وَأُمَّا الثَّالِثَةُ فَهَاضَتِ ^(٤) الْعَظْمَ ، وَعِنْدَكَ فَضُولُ أَمْوَالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَاقْسِمْنَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ ^(٥) ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَلِمَ تَحْصِرُهَا ^(٦) عَلَيْهِمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ ^(٧) اللَّهَ يَخْجِزِي الْمُتَصَدِّقِينَ . فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : الْكُلُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ مِثْلُ ^(٨) هَذَا ؟ قَالَ : لَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ الْمَالِ . قَالَ : لِحَاجَةٍ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لِأَمَةِ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَذْكَرُ لِمَقَامِي هَذَا مُقَاماً ^(٩) لَا يَشْفُلُ اللَّهُ عَنْكَ كَثْرَةُ مَنْ يُحَاصِمُ مِنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تُلْقَاهُ ^(١٠) بِلَا ثِقَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِإِبْرَاءَةٍ مِنَ الذَّنْبِ : فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ ^(١١) ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ وَعُمَرُ يَبْكِي وَيَسْتَجِبُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : عَامِلُكَ أَخَذَ مِنِّي اثْنَيْ عَشَرَ ^(١٢)

(١) سقطت « له » من « م » .

(٢) في « م » : « بِالْإِنْسَانِ » .

(٣) في « م » : « مَنْ بَسَطَ يَدَيْهِ » .

(٤) هَاضَتِ الْعَظْمَ : أَضَعَفَتْهُ وَأَلَانَتْهُ .

(٥) في « م » : « عِبَادَ اللَّهِ » .

(٦) في « م » : « تَحْصِرُهُمْ .. لِانْصَح . وَتَحْصِرُهَا : تَمْنَعُهَا عَنْهُمْ .

(٧) في « م » : « إِنْ » .

(٨) في « م » : « أَكُلَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا الْمَالِ ؟ » .

(٩) سقطت « مُقَاماً » من « ط » .

(١٠) في « م » : « يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(١١) اسْتَرَدَّهُ الْكَلَامَ : سَأَلَهُ أَنْ يُرَدِّدَهُ عَلَيْهِ .. وفي « م » : « فَجَعَلَ يُرَدِّدُهُ » بدل « يُرَدِّدُهُ » خطأ من الناسخ .

(١٢) سقطت « اثْنَيْ » من « م » .

أَلَفَ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَلَا تَكْتُمُونَ لَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالُهُ ^(١) ؟ .

وَلَمَّا دَخَلَ زَيْدٌ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : يَا زَيْدُ ، أَلَا تَرَى مَا ابْتَلَيْتَ ^(٣) بِهِ مِنْ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ زَيْدٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ شَجَرَةً ^(٤) مِنْكَ نَطَقَتْ ، مَا بَلَغَتْ كُنْهَ مَا أَنْتَ فِيهِ ^(٥) ، فَأَعْمَلُ لِنَفْسِكَ فِي الْخُرُوجِ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ بِكَ غَدًا وَقَدْ سُئِلْتَ عَنْ هَذِهِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعَ ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦) ، كَيْفَ حَالُ رَجُلٍ لَهُ خَصْمٌ أَلَدٌ ؟ قَالَ : سَيِّءُ الْحَالِ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ لَهُ ^(٧) خَصْمَانِ أَلَدَانِ ؟ قَالَ : أَسْوَأُ الْحَالَةِ ^(٨) . قَالَ : فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً ؟ قَالَ : لَا يَهْنِئُهُ عَيْشٌ ^(٩) . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ ^(١٠) مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا وَهُوَ خَصْمُكَ . قَالَ ^(١١) : فَبَكَى حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى ^(١٢) تَمَنَّى أَنْ لَا أَكُونَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ ^(١٣) : كُنْتُ أَرَى شَيْخًا يَدْخُلُ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي السَّنَةِ مَرَّةً

(١) في « م » : « آكبروا له حتى يرد عليه » .. وسقطت « ماله » منها .

(٢) هو : زيد العبدي .. انظر مدار بينهما في البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٣) في « م » : « إلى ما ابتلي » .

(٤) في « م » : « كل شجرة » .

(٥) أي : حقيقة ما أنت فيه .

(٦) من أول قوله : كيف بك .. إلى هنا عن « م » .. ولم يرد في « ط » .

(٧) في « م » : « فإن كان خصمان » .

(٨) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أسوأ حاله » .. وفي البداية والنهاية : « أسوأ حالا » .

(٩) أي : لا يلهي له عيش .

(١٠) في « ط » : « ما أحد » وسقطت « صلى الله عليه وسلم » بعدها من « م » .

(١١) سقطت « قال » من « م » .

(١٢) سقطت « حتى غشي عليه » من « ط » .

(١٣) من أول هذه الفقرة عن « م » ولم يرد في « ط » .. ويحيى هو : يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأستدي المروزي ، أبو محمد : قاضي رفيع القدر ، عال الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، اتصل نسبه بأكثم بن صيفي ، حكيم العرب .. وُلِدَ بِمَرْوَ سنة ١٥٩ هـ ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها . فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ .

وَاحِدَةً ، وَكَانَ يَحْلُو بِهِ خُلُوةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَلَا يَسْمَعُ لَهُ خَبَرًا ، وَلَا يَرَى لَهُ أَثَرًا ، وَلَا يَقْدَمُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قَالَ لَنَا الْمَأْمُونُ : وَالْأَسْفَى عَلَى فَقْدِ صَدِيقٍ مَسْكُونٍ إِلَيْهِ ، مَوْتُوقٍ بِهِ ، ثَلَقَى إِلَيْهِ الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ ^(١) ، وَتَقَبَّسَ مِنْهُ الْفَوَائِدُ وَالْدُرُرُ . قُلْنَا : وَمَنْ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَا كُنْتَ تَرَى شَيْخًا يَأْتِينَا فِي الْفَرَطِ ^(٢) وَنَحْلُو بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنَّهُ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ إِبَانِهِ ^(٣) ، وَأُظُنُّ أَنَّهُ قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : اللَّهُ يُمِدُّ فِي عُمَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا فِي ذَاكَ ؟ قَالَ : كَانَ صَدِيقِي بِخُرَاسَانَ ، وَكُنْتُ أُسْتَرْيِعُ إِلَيْهِ اسْتِرَاحَةَ الْمَكَاتِبِ ^(٤) بِالْوَلَدِ الْبَارِ الْمَحْبُوبِ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أُسْتَمِدُّ مِنْهُ رَأْيًا أَقُومُ بِهِ أَوْدَ الْمَمْلَكَةِ ^(٥) ، وَأَصِلُ بِهِ إِلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِي السِّيَاسَةِ لِلرَّعِيَّةِ ، وَآخِرُ مَقَالُهُ لِي عِنْدَ وَدَاعِهِ أَنْ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا اسْتَشَنْتَ ^(٦) مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ فَابْتَغِهِ . فَقُلْتُ : بِمَاذَا يَصَاحِبُ الْحَيَّرَ ؟ قَالَ : بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، كَمَا تُحِبُّ الْإِحْسَانَ مِنْ حَاشِيَتِكَ إِلَى وَلَدِكَ .. وَاللَّهِ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ الْقُدْرَ عَلَيْهِمْ إِلَّا

= ثم قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه .. وغلب على المأمون حتى لم يقدمه عنده أحد .. وكان - مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء - حسن العشرة ، حلو الحديث ، لذا استولى على قلب المأمون حتى أُمِرَ بالألَّا يُحْجَبَ عنه ليلاً ولا نهاراً .. وله غزوات وغارات ، منها : أن المأمون وجهه سنة ٢١٦ إلى بعض جهات الروم ، فعاد ظافراً .. وكان يَتَّبِعُهُ بأمور شاعت عنه وتناقلها الناس في أيامه ، وتداولها الشعراء ، وأنكرها - بعده - الإمام أحمد بن حنبل .. ولما مات المأمون ووليَّ المعتمد ، عزله عن القضاء ، فلم يبق به ، وآل الأمر إلى المتوكل ، فَرَدَّه إلى عمله ، ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ .. وتوفى بالرُبْدَةِ - من قرى المدينة - سنة ٢٤٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٧ - ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٩١ - ٢٠٤ ، ونهار القلوب ص ١٥٦ - ١٥٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٦١ ، ٢٦٢] .

(١) الْعُجْرُ وَالْبَجْرُ : الأسرار والمعائب .. وفي اللسان : أفضيت إليه يُعْجِرِي وَبُجْرِي ، أى : بعيرى وأمرى كله .

(٢) الْفَرَطُ : الحين ، ويقال للرُّجُلِ تلقاه بعد أيام : إنَّما تلقاه في الْفَرَطِ .

(٣) عَنْ إِبَانِهِ : عن وقفيه وزمانيه الذى يأتى فيه .

(٤) الْمَكَاتِبُ : السبب .

(٥) أَقُومُ بِهِ أَوْدَ الْمَمْلَكَةِ : أزيل اعوجاجها .

(٦) اسْتَشَنْتُ : جَفَّ وَيَسَّ .

لِتَصْبِرَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِمْ بِالشُّكْرِ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ ، وَالتَّعَمُّدِ لِسَيِّئَاتِهِمْ ^(١) ، وَأَتَى شَيْءٌ
أَوْجَهُ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تُكَوِّنَ إِيَّامَكَ أَيَّامَ عَدْلِ وَإِنصَافٍ ، وَإِحْسَانٍ وَإِشْفَاقٍ ، وَرَأْفَةٍ
وَرَحْمَةٍ ؟

مَنْ لِي يَا يَحْيَى بِمِثْلِ هَذَا الْقَائِلِ ؟ وَأَتَى لِي مَنْ يُذَكِّرُنِي مَا أَنَا إِلَيْهِ صَائِرٌ ^(٢) ؟

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ^(٣) لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا
سُوقٌ ^(٤) ، فَمِنْهَا خَرَجَ النَّاسُ بِمَا رَبِحُوا فِيهَا لِآخِرَتِهِمْ ، وَخَرَجُوا بِمَا بَضَرُوهُمْ ، فَكَمْ مِنْ
قَوْمٍ غَرَّهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصْبَحْنَا فِيهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ ، فَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مُزْمِلِينَ ^(٥) لَمْ
يَأْخُذُوا مِنَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، فَاقْتَسَمَ مَالَهُمْ مَنْ لَا يَحْمَدُهُمْ ^(٦) ، وَصَارُوا إِلَى مَنْ
لَا يَقْدِرُهُمْ ، فَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فَقَدَّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تُخْرِجَ إِلَيْهِ ،
وَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ ، فَاتَّبِعْ بِهِ الْبَدَلَ ^(٧) حَيْثُ يَجُوزُ
الْبَدَلُ ، وَلَا تَعْدَمَنَّ إِلَى سِلَاقَةٍ قَدْ بَارَثَ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَازَهَا عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
افْتَحِ الْأَبْوَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَأَنْصُرِ الْمَظْلُومَ .

وَحَضَرَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ بَعْضِ الْمُلُوكِ فَأَغْلَظَ لَهُ السُّلْطَانُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنْتَ
كَالسَّمَاءِ ، إِذَا أُرْعِدْتَ وَأَبْرَقْتَ فَقَدْ قَرَّبَ خَيْرُهَا . فَسَكَنَ غَيْظُهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ .

وَلَمَّا احتَاجَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ مَلِكَ الْأَنْدَلُسِ ^(٨) أَنْ يَأْخُذَ أَرْضاً مُحِبَسَةً

(١) أى : بالتَّسْمِيَةِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا .

(٢) إِلَى هَذَا يَتَنَبَّهُ السَّاقِطُ مِنْ (ط) ، الْمَشَارِ إِلَى آتِفٍ .

(٣) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْفَرَزْدَقِيُّ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) فِي (م) : « سَوْقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ » .

(٥) مُزْمِلِينَ : يُفَكِّدُ زَائِدُهُمْ وَاقْتَرَفُوا .

(٦) أى : مَنْ لَا يَتَنَبَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَجَازِيهِمْ وَيَقْضِي حَقَّهُمْ .

(٧) الْبَدَلُ : الْخَلْفُ وَالْيَوْمُضُ .

(٨) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ .

وَيُعَاوِضُ ^(١) عَنْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، اسْتَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ فِي قَصْرِهِ ، فَأَقْبَرُوا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْوُزَرَاءِ مَشْهُورًا بِالْحِدَّةِ وَالْعَجَلَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَقُولُ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : يَا مَشِيخَةَ السُّوءِ ، يَا مُسْتَحْلِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، يَا آكِلِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، يَا شَهْدَاءَ الزُّورِ ، يَا آخِذِي الرِّشَاءِ ، وَمُتْلِفِي ^(٢) الْحُصُومِ ، وَمُلْقِي الشُّرُورِ ^(٣) ، وَمُبْسِي الْأُمُورِ ^(٤) ، وَمُتْلِسِي الرُّوَايَاتِ لَدَى أَتْبَاعِ ^(٥) الشَّهَوَاتِ ، ثَبَّأَ لَكُمْ ^(٦) وَلَا رَأْيَ لَكُمْ ، فَهَرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - وَاقِفٌ ^(٧) عَلَى فُسُوقِكُمْ قَدِيمًا ، وَخَوْنِكُمْ لِأَمَانَاتِكُمْ ، مُعْضِي عَنْهُ ، صَابِرٌ عَلَيْهِ ، ثُمَّ احْتَاجَ إِلَى دِقَّةِ نَظَرِكُمْ فِي حَاجَةِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي ذَهْرِهِ فَلَمْ

= الحضراء ، ولد سنة ٣٢٦ هـ ، وقدم قرطبة شاباً طالباً للعلم فبرع ، وكانت له همة لم تزل ترتقى من شيء إلى شيء حتى استخلف على قضاء كورة « ربة » ثم عُيِّنَ إليه بوكالة السيدة « صبيح » - أم هشام المؤيد - فَوَلَّى النظر في أموالها وضياعها ، وعظمت مكانته عندها . وولى الشرطة ، والسكة ، والموارث ، وأضيف إليه القضاء بإشبيلية . ولما مات المستنصر الأموي كان « المؤيد » صغيراً ، ويحيى الاضطراب ، فضمن ابن أوى عامر لأم المؤيد سكون البلاد ، واستقرار الملك لانها ، فقام يشقون الدولة ، وغزا وفتح ، ودامت له الإمرة ٢٦ سنة ، غزا فيها بلاد الإفروج ٥٦ غزاة لم ينزله فيها جيش .. وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس) والملك لابن أوى عامر ، لم يضطرب عليه شيء منه أيام حياته ليحسن سياسته ، وعظم هيته .. قال عنه المستشرق رينو : « Reinaud : جال غزاة المسلمين تحت رايات المنصور في قشتالة ، وليون ، ونابارة ، وأراغون ، وكولونية ، إلى أن وصلوا إلى غاشقونية Gasconne وجنوبي فرنسا .. وجاست خيَّله في أماكن لم يكن خفق فيها عَلمٌ إسلامي من قبل ، وسقطت في أيدي المسلمين مدينة سانتياغو Santiago من جليقية Galice وهي أقدس معهد مسيحي في أسبانيا » .

تولى - رحمه الله - سنة ٣٩٢ هـ في إحدى غزواته بمدينة « سالم » ولايزال قبره معروفاً فيها .

[الأعلام ج ٦ ص ٢٢٦ ، وفتح الطب ج ١ ص ٣٨٢ - ٤٠٦ ، والمغرب في حلى المغرب ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣] .

(١) أرضاً مُخَيَّسَةً : موقوفة .. ويُعَاوِضُ عنها : يُعْطَى بدلاً منها .

(٢) الرِّشَاءُ : جمع رِشْوَةٍ .. وَمُتْلِفِي الحُصُومِ : مُهْلِكِهِمْ .. وفي « م » : « مُتْلِفِي » .

(٣) وَمُلْقِي الشُّرُورِ : حَامِلِهَا .

(٤) وَمُبْسِي الْأُمُورِ ، أَى : تَحْمُولِهَا غُثْلَةً حَتَّى لَا تُتَرَفَّ حَقِيقَتُهَا .

(٥) فِي « ط » : « لِأَتْبَاعِ » .. وَمُتْلِسِي : طَالِبِي .

(٦) ثَبَّأَ : دَعَا عَلَيْهِمْ بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ .

(٧) هَكَذَا فِي « ط » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا خَيْرٌ لِلْمُسُورِ « هُوَ » الْعَائِدُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .. وفي « م » : « وَاقِفًا » .

لَا تَصَحُّحُ .

تَسْعِفُوا ^(١) إِرَادَتُهُ ، مَا كَانَ هَذَا ظَنُّهُ بِكُمْ . وَاللَّهُ لِيَعَارِضَنَّكُمْ ، وَلِيَكْشِفَنَّ سُتُورَكُمْ ، وَلِيَتَّصِحَّ الْإِسْلَامَ فِيكُمْ . وَأَفْحَشَ عَلَيْهِمْ بِهِذَا وَخَوَّه ، فَأَجَابَهُ شَيْخٌ مِنْهُمْ ضَعِيفُ الْمَنَةِ ^(٢) فَقَالَ : تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَسْأَلُهُ ^(٣) الْإِقَالََةَ .

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَعِيمُ الْقَوْمِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِهِ ، وَكَانَ جَلْدًا ^(٤) صَارِمًا ، فَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ : مِمَّ تَتُوبُ يَا شَيْخَ السُّوءِ ؟ نَحْنُ بَرَاءٌ مِنْ مَتَابِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْوَزِيرِ فَقَالَ : يَا وَزِيرُ ، بِفَسِّ الْمُبْلَغِ أَنْتَ ، وَكُلُّ مَا ^(٥) نَسَبْتَهُ إِلَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ صِفَتُكُمْ مَعَاشِرَ خَدَمِهِ ^(٦) ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ تَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَتَسْتَحِلُّونَ ظُلْمَهُمْ بِالْإِخَافَةِ ^(٧) ، وَتَحْقِيقُونَ مَعَاشِيَهُمْ بِالرِّشَا وَالْمُصَانَعَةِ ^(٨) ، وَتُبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا نَحْنُ ^(٩) فَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَاتُنَا وَلَا كِرَامَتُنَا ، لَا يَقُولُهَا لَنَا إِلَّا مُتَهَمٌ فِي الدِّيَاثَةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَامُ الْهُدَى ، وَسُرُجُ ^(١٠) الظُّلْمَةِ ، بِنَا يَتَحَصَّنُ الْإِسْلَامُ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَتُنْفَذُ الْأَحْكَامُ ، وَبِنَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ ، وَتُثَبِّتُ الْحُقُوقُ ، وَتُحَقَّنُ الدِّمَاءُ ، وَتُسْتَحْلَلُ الْقُرُوجُ ، فَهَلَّا إِذْ ^(١١) عَتَبَ عَلَيْنَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ لَازِلٍ لَنَا ^(١٢)

(١) في « م » : تسعفوا : من الشفاعة .

(٢) المنة : القوة .

(٣) الإقالة : الصفح والتجاوز .

(٤) جلدًا : قوياً .

(٥) في « م » و « ط » : « كلما » .. وإذا رُسِمَت هكذا فإنها تفيد الشرط ، ولا شرط هنا .. وإنما « ما » هنا اسم

موصول بمعنى « الذي » ، ويجب فصلها عن « كل » .

(٦) أى : بامعاشير خدَمِهِ .. ومعاشر : جمع مُعَشَّر ، ويُطلق على كل جماعة أئمتهم واحد .

(٧) في « ط » : « بغير الحق » بدل « بالإضافة » .

(٨) تَحْقِيقُونَ : تظلمون وتجاوزون .. والمُصَانَعَةُ : كناية عن الرشوة والمُخَاذَعَةُ والمُدَاوَاةُ .

(٩) في « م » : « فأنا » .

(١٠) سُرُج : مصابيح .

(١١) في « م » : « إذا » .. و « إذ » هي الأنسب للمقام هنا ، لأنها ظرف للدلالة على الزمن الماضي بمعنى

« حين » .

(١٢) في « ط » : « لاذنب فيه لنا » .

فِيهِ ، وَقَالَ بِالْعِظِّ مَا قَالَهُ ، تَأْتَيْتَ لِإِبْلَاعِنَا رَسُولَهُ يَاهَوُونَ مِنْ إِنْخَاشِكَ ^(١) ، وَعَرَضْتَ لَنَا بِالْكَارِهِ حَتَّى فَيَهِنَا مِنْكَ فَأَجْبَتْكَ عَنْهُ ^(٢) بِمَا يَصْلُحُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِهِ ، فَكُنْتَ تَرِينُ ^(٣) عَلَى السُّلْطَانِ وَلَا تُفْشِي سِرَّهُ ، وَتُسْتَحْيِينَا ^(٤) بِمَا اسْتَقْبَلْتَنَا بِهِ ؟ فَخُنُ نَعْلِمُ . أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتِمَادَى عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فِينَا ، وَلَا يَعْتَقِدُ هَذَا الْمُعْتَقَدَ فِي صِفَاتِنَا ، وَأَنَّهُ سِرَّاجٌ بِصِيرَتِهِ فِي إِثَارِنَا وَتَعْزِيزِنَا ، فَلَوْ كُنَّا عِنْدَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ^(٥) الَّتِي وَصَفْتَهَا عَنَّا ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، لَبَطَلَ عَلَيْهِ كُلُّ ^(٦) مَاصِنَعَةٍ وَعَقْدَةٍ مِنْ أَوَّلِ خِلَافَتِهِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، فَمَا نَبَتْ ^(٧) لَهُ كِتَابٌ مِنْ حَرْبٍ وَلَا سِلْمٍ ، وَلَا شِرَاءٍ وَلَا بَيْعٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَا خَبْسٍ ، وَلَا هَبَةٍ ، وَلَا عِنَقٍ ، وَلَاغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِشَهَادَتِنَا ^(٨) ، هَذَا مَا عِنْدَنَا وَالسَّلَامُ .

ثُمَّ قَامُوا مُنْصَرِفِينَ ، فَلَمْ يَكَادُوا يَبْلُغُوا بَابَ الْقَصْرِ إِلَّا وَالرُّسُلُ ثَنَادِيهِمْ ، فَأَدْخَلُوا الْقَصْرَ ^(٩) ، فَتَلَقَّاهُمُ الْوُزَرَاءُ بِالْإِعْظَامِ ، وَرَفَعُوا مَنَازِلَهُمْ ، وَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِمْ ، وَقَالُوا ^(١٠) لَهُمْ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ فَرِطٍ مَوْجِدَتِهِ ^(١١) ، وَيَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَتَرْغَبِهِ ^(١٢) الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى الْجَفَاءِ عَلَيْكُمْ ،

(١) الإِنْخَاشُ : الْقَبِيحُ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ .. وَعَرَضْتَ لَنَا : نَقَلْتَ لَنَا إِنْكَارَهُ بِالتَّطْلِيحِ وَالْإِشَارَةِ - وَلَيْسَ صِرَاحًا .

(٢) فِي « م » : « فَهَيَّئْتَهُ مِنْكَ ، وَأَجْنَاهُ عَنْكَ » .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَتَرِينُ ، أَيْ : تُخَجَّبُ وَتَدَارَى .. وَفِي « م » :

« نَكَبَ مَزْمَرَةً عَلَى السُّلْطَانِ وَلَا تُفْشِي سِرَّهُ » وَهَذَا لَا يَصِحُّ ، إِذْ يُقَالُ : زَمَرَ بِالْحَدِيثِ : أَذَاعَهُ وَأَفْشَاهُ .. وَهَذَا يَنَاقِضُ قَوْلَهُ : « وَلَا تُفْشِي سِرَّهُ » بِهَذَا .

(٤) فِي « م » : « وَتُسْتَحْيِينَا .. وَتُسْتَحْيِينَا : تَجْعَلُنَا نَسْتَحْيِي مِنْكَ وَتُخْجَلُ .

(٥) فِي « م » : « الْخَالَةِ » .

(٦) فِي « م » : « كَلِمًا » وَقَدْ سَبَقَ التَّعْلِيلُ عَلَيْهَا .

(٧) فِي « ط » : « يَنْبَتْ » .

(٨) فِي « م » : « بِشَهَادَاتِنَا » .

(٩) فِي « م » : « إِلَى الْقَصْرِ » وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(١٠) فِي « م » : « وَقَالَ ، سَهُوً مِنَ التَّاسِخِ . وَالْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاقِ : وَقَالُوا .

(١١) مَوْجِدَتُهُ : غَضَبُهُ .

(١٢) تَرْغَبَةُ الشَّيْطَانِ : إِفْسَادُهُ وَتَغْرِيشُهُ وَغَرَاؤُهُ .

وَيَعْلَمُكُمْ أَنَّهُ نَادِمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ، وَهُوَ مُسْتَبِيرٌ ^(١) فِي تَعْظِيمِكُمْ وَقَضَاءِ حُقُوقِكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا تَرَوْنَ مِنْ صَلَاتِهِ وَكِسْوَتِهِ عَلَامَةً لِرِضَاةِ عَنْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ ^(٢) . فَدَعُوا لَهُ وَقَبَضُوا مَا أَمَرَ لَهُمْ ، وَانْصَرَفُوا غَالِبِينَ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ .

وَلَمَّا نَظَرَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ ^(٣) إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ ^(٤) يَجْرُ أَذْيَالَهُ وَيَتَّبِعُهُ فِي أَتَوَابِ حُيَلَاهِ ، نَادَاهُ أَنْ أَزْغِ مِنْ ثِيَابِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ : أَوْ مَا تُعْرِفُنِي ؟ قَالَ لَهُ مَالِكُ : بَلَى أَنَّى أَعْرِفُكَ ، أُولَئِكَ نُطْفَةُ مَذْرَةِ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ ^(٥) قَدْرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعِدْرَةَ ^(٦) .

(١) مُسْتَبِيرٌ : أَيْ : ذُو بَصِيرَةٍ وَفِطْنَةٍ .

(٢) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « مَا تَرَوْنَ مِنْ صَلَاةٍ وَكِسْوَةٍ عَامَةٍ » وَسَقَطَ مِنْهَا : « وَقَدْ أَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَالٍ » .

(٣) هُوَ : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ الْبَصْرِيُّ ، أَبُو يَحْيَى ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، وَكَانَ عَلَمًا زَاهِدًا ، كَثِيرَ الْوَرَعِ ، تَقِيًّا ، لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كِسْبِهِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ بِالْأَجْرَةِ .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١٣١ هـ . وَمِنْ أَقْوَالِهِ : « إِنْ الصَّدِّيقِينَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ طَرَبَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ » .
[انْظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ج ٢ ص ٣٥٧ - ٣٨٨ ، وَوَفَاةُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، وَالْأَعْلَامُ ج ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

(٤) هُوَ : الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، ظَالِمٌ مِنْ سَرَّاقِ بْنِ صَبِاحِ الْأَزْدِيِّ ، الْعُكْبِيُّ ، أَبُو سَعِيدٍ ، أَمِيرٌ ، جَوَادٌ ، قَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الْعِرَاقِ .. وَوُلِدَ فِي « ذِي قَعْدَةٍ » سَنَةِ ٧ هـ . وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ مَعَ أَبِيهِ فِي أَهَامِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ ، وَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ لِمَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَفَقِفَتْ عَيْنُهُ بِسَمْرِقَدٍ ، وَانْتَدَبَ لِقِتَالِ الْأَزْرَاقَةِ ، وَكَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى الْبِلَادِ ، وَشَرَطَ لَهُ أَنْ كُلَّ بَلَدٍ يَهْلِكُ عَنْهُ يَكُونُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي خَرَاجِهِ تِلْكَ السَّنَةِ ، فَأَقَامَ بِحَارِبِهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا ، لَقِيَ فِيهَا مِنْهُمْ الْأَهْوَالَ ، وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ فِيهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرِينَ ، وَشَرَّدَ بَقِيَّتَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ وَلَايَةَ « خُرَاسَانَ » فَقَدِمَهَا سَنَةَ ٧٩ هـ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ٨٣ هـ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الرِّكْبَ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَعْمَلُ مِنَ الْخَشَبِ .. وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ بَنِي أُتَيْيَةَ ، أَوْ عَنْ حُرُوبِ الْخَوَارِجِ .

[انْظُرْ الْأَعْلَامُ ج ٧ ص ٣٥١ ، وَوَفَاةُ الْأَعْيَانِ ج ٥ ص ٣٥٠ - ٣٥٩ ، وَالْمُتَحَرِّرُ لِابْنِ حَبِيبٍ ص ٢١٦ ، وَالْمَعَارِفُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠] .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَآخِرُكَ نُطْفَةُ قَدْرَةٍ » .. وَمَاوَرِدَ فِي « ط » هُوَ الصَّحِيحُ .. وَمَذْرَةُ : فَاسِدَةٌ ، كَرِيمَةُ الرَّاحَةِ .. وَالْجِيفَةُ : جَنَّةُ الْمَيِّتِ إِذَا أَتَتْ .

(٦) الْعِدْرَةُ : الْغَالِطُ (الْبُرَاز) .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ ^(١) : هَذَا هَارُونُ الرَّشِيدِ فِي الطَّوَافِ قَدْ أَتَى
لَهُ الْمَسْعَى ، فَقَالَ لَهُ : لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا ، كَلَفْتَنِي أَمْرًا كُنْتُ عَنْهُ غَنِيًّا . ثُمَّ جَاءَ
إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ^(٢) : يَا هَارُونُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمُّ ، قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنْ
خَلْقِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ [عَزَّ وَجَلَّ] ^(٣) . فَقَالَ : ااعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْتَلُّ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِهِ ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ ^(٤) تُسْتَلُّ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ
تَكُونُ ؟ قَالَ : فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا ^(٥) يُعْطُونَهُ مِنْ دِيْلًا مِنْ دِيْلًا لِلدُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ فِيمَا قَالَ ^(٦) : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ ^(٧)
أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَيَقَالُ ، إِنَّ هَارُونَ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ ^(٨) : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ
أُحْبَبَ ^(٩) فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَبِيدُ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ .

وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ] دَخَلَ ^(١٠) عَلَى عُمَرَ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ، ثَلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . فَقَالَ لَهُ
عُمَرُ ^(١١) : إِيَّاهُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَمُعَدِنِ الرِّسَالَةِ . [وَجَأًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ] ^(١٢) . فَقَالَ

(١) هو : عبيد الله بن عبد الله العمري ، من الزُّهَّاد الصالحين .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٢٦] .

(٢) في « ط » : « فقال : يا هارون » .

(٣) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) في « ط » : واحد .

(٥) في « ط » : فجعل .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ثم قال له : والله » .

(٧) في « ط » : فيمن .

(٨) في « م » : « إن هارون بعد ذلك كان يقول » .

(٩) في « م » : « أحب أحب » .

(١٠) في « م » : « الحسن محمد ، ومابين المعقوفين ساقط منها .

(١١) في « م » : « فقال عمر » .. وإليه : اسم فعل للاستزادة من حدث أو عمل مهود ، فإذا نوتها كانت للاستزادة من حدث أو عمل ما .

(١٢) مابين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

الْحَسَنُ : مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَمَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَنْ ^(١) إِذَا قَدَّرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ .

وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةَ وَقَدْ عَلَيْهِ ^(٢) الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ الْحِجَازِيُّونَ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمْ ^(٣) غُلَامٌ لِلْكَلامِ ، وَكَانَ حَدِيثَ السِّنِّ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ^(٤) : لِيَنْطِقْ مَنْ هُوَ أَسْنُ مِنْكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَعَ اللَّهُ عِبْدًا ^(٥) لِسَانًا لَا فِطْرًا ، وَقَلْبًا حَافِظًا ، فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْكَلَامَ ، وَعَرَفَ فَضْلَهُ مِنْ سَمْعِ خِطَابِهِ ، وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ . فَقَالَ ^(٦) : صَدَقْتَ ، قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَقَالَ الْغُلَامُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَقَدْ تَهَيَّئَ لِإِيفَاءِ مَرْزِيَّتِهِ ^(٧) ، وَقَدْ أَتَيْنَاكَ لِمَنْ اللَّهُ الَّذِي مَنْ عَلَيْنَا بِكَ ، وَلَمْ يُقَدِّمْنَا ^(٨) إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ، أَمَّا الرُّغْبَةُ فَقَدْ أَتَيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا ^(٩) ، وَأَمَّا الرُّهْبَةُ فَقَدْ آمَنَّا جَوْرَكَ بِعَذْلِكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : عِظْنِي يَا غُلَامُ . فَقَالَ الْغُلَامُ ^(١٠) : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ نَاسًا ^(١١) غَرَّهْمُ حِلْمُ اللَّهِ عَنْهُمْ ، وَطُولُ أَمَلِهِمْ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَزَلَّتْ ^(١٢) بِهِمُ الْأَقْدَامُ ، فَهَوَّوْا فِي النَّارِ ، فَلَا يَغُرُّكَ حِلْمُ اللَّهِ عَنْكَ ، وَطُولُ أَمَلِكَ ، وَكَثْرَةُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ ، فَتَزَلْ ^(١٣) بِكَ قَدَمُكَ

(١) تكررت « من » في « د م » سهواً من الناسخ .

(٢) هكذا في « د م » .. وفي « ط » : « وفدت الوفود » وسقطت منها كلمة « الخلافة » قبلها .

(٣) هكذا في « د م » .. وفي « ط » : « تقدم غلام منهم » .

(٤) في « د م » : « فقال عمر » .

(٥) في « د م » : « العبد » .

(٦) في « د م » : « قال عمر » .. وسقط منها : « هذا منك » قبلها .

(٧) يعنى : جئنا من أجل التهنئة ، لا من أجل نيل العطايا .

(٨) في « د م » : « لم » .

(٩) في « د م » : « أتينا منك إلى بلادنا » .

(١٠) في « د م » : « فقال : أصلح » .

(١١) هكذا في « د م » .. وفي « ط » : « إن ناساً من الناس » .

(١٢) في « ط » : « فزلت » .

(١٣) في « د م » : « فزل » .

فَلَحَقَ بِالْقَوْمِ ، فَلَا جَمَلَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَالْحَقَّكَ بِصَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ثُمَّ سَكَتَ .
فَسَأَلَ عُمَرُ الْغَلَامَ عَنْ سَيِّئِهِ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ
وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ^(١) ، فَتَمَثَّلَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ
فَقَالَ :

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
وَإِنْ كَبِّرَ الْقَوْمَ لِاعِلِمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا تَفَتَّ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ لِلْعَتَائِي ^(٢) ، وَكَانَ لَا يُبَالِي مَالِيَسَ : مَا لَكَ لَا تُجِيزُ الْمَلْبُوسَ ؟
فَقَالَ : إِنَّمَا يَرْفَعُ الرَّجُلُ ^(٣) أَدَبُهُ وَعَقْلُهُ ، لَا حِلِيَّتُهُ وَحُلَّتُهُ ، لَحَى ^(٤) اللَّهُ أَمْرًا يَرْضَى أَنْ
تُرْفَعَهُ ^(٥) هَيْئَتُهُ وَجَمَالُهُ ، لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى يُشْرِفَهُ أَصْغَرَاهُ : لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ . وَيَعْلَمُو بِهِ
أَكْبَرَاهُ : هَيْئَتُهُ وَكِبَرُهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ ضَمْرَةٌ بَنُ ضَمْرَةَ عَلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُنْذِرِ ^(٦) وَهُوَ مَلِكٌ ، وَكَانَ ضَمْرَةُ ذَا
رَأْيٍ وَعَقْلٍ ، احْتَقَرَتْهُ عَيْنَاهُ ^(٧) لِذِمَامَتِهِ ، فَقَالَ : لَأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعْتَدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ ^(٨) .

(١) فِي « م » : عَنْهُ .

(٢) فِي « م » : « قَوْلُ الْعَتَائِي » .. وَهُوَ : كَلْتُومُ بْنُ عَمْرِو التَّغْلَبِيِّ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٣) فِي « م » : « الْمَرْءُ » بَدَلُ « الرَّجُلِ » .

(٤) لَحَى اللَّهُ : فَكَّحَ وَلَقَنَ .

(٥) فِي « م » : يَرْفَعُهُ .

(٦) هُوَ : ضَمْرَةُ بْنُ جَابِرِ التُّهْمَلِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمَ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، مِنْ الشَّجْعَانِ الْفَرَسَانِ ، كَانَ اسْمُهُ « شَقَّةُ بْنُ
ضَمْرَةَ » فَسَمَّاهُ التَّعْمَانُ « ضَمْرَةَ » .. وَالتَّنْذِرُ الَّذِي جَاءَ هَذَا التَّكَلُّفَ عَلَى لِسَانِهِ هُوَ : التَّنْذِرُ بَيْنَ مَاءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
ثَلَاثُ الْمُنَافِرَةِ مِنْ مَلُوكِ الْحَيَّةِ ، وَمَاءِ السَّمَاءِ ، أُمَّهُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِخُسْفَانِهَا وَجَمَالِهَا .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٣ ص ٢١٦ وَج ٧ ص ٢٩٢ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٦٨ وَج ٥ ص ٣٥٨ ، وَجَمْعُ
الْأَمْثَالِ لِلْمُهَنْدِي ج ١ ص ١٢٩ - ١٣١ ، وَتَمَثَّلُ الْأَمْثَالُ لِأَبِي الْحَاسَنِ الشَّيْبِيِّ ج ١ ص ٣٩٥ ، ٣٩٦] .

(٧) فِي « م » : عَيْنُهُ .

(٨) الْمُعْتَدِي : مَنْسُوبٌ إِلَى مُعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ ، وَقَدْ نَسَبُوهُ بَعْدَ أَنْ صَفَرُوهُ وَخَفَّفُوا مِنْهُ الثَّلَاثَ .. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ
التَّنْذِرِ صَارَ مِثْلًا يُعْتَرَبُ لِغَيْرِ خَيْرٍ مِنْ مَرَأَةٍ .

[انْظُرِ الْمَصَادِرَ السَّابِقَةَ] .

فَقَالَ ضَمْرَةٌ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ (١) ، إِنَّ الْقَوْمَ لَيَسُوا بِجُزْرِ (٢) تُجْزَرُ ، إِنَّمَا (٣) الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا نَطَقَ نَطَقَ بَيِّنَانِ ، وَإِذَا قَاتَلَ قَاتَلَ بِحَتَانِ (٤) ، وَالرَّجَالُ لَا تُكَالُ بِالْقَفْزَانِ ، وَلَا تُوزَنُ بِالْقَبَانِ (٥) . فَأَعْجِبَ الْمُنْذِرُ بِكَلَامِهِ .

وَرَوَى أَنَّ رَوْحَ بْنَ زَيْبَاعَ (٦) كَانَ (٧) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَتَزَلُّوا ، فَضَرِبَتْ (٨) لَهُمُ الْخِيَامُ وَالظَّلَالُ ، وَقُدِّمَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ الْمُبْرَدُ ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِرَأْعٍ ، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ (٩) فَأَبَى وَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ . قَالَ (١٠) لَهُ رَوْحُ : فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ (١١) ؟ قَالَ : أَفَادَعُ (١٢) أَيَّامِي تَذْهَبُ بَاطِلًا ؟ قَالَ (١٣) رَوْحُ : لَقَدْ ضَنَنْتَ (١٤) بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعَ .

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ بَيْنَ يَدَيِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي

(١) أُبَيَّتَ اللَّعْنُ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أُبَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَائِلُنْ عَلَيْهِ .

(٢) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : بِجُزُورٍ ، وَالْجُزُورُ : مَا يَصْلُحُ لِأَنْ يُذْبَحَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَجَمْعُهَا : جُزُرٌ .. وَتُجْزَرُ : تُذْبَحُ .

(٣) فِي (م) : وَلِنَّمَا .

(٤) الْجَنَانُ : الْقَلْبُ .

(٥) الْقَفْزَانُ : جَمْعُ قَفِيزٍ ، وَهُوَ مِكْيَالٌ كَانَ يُكَالُ بِهِ قَدِيمًا وَالْقَبَانُ : الْمِيزَانُ ذُو الذَّرَاعِ الطَّوِيلَةِ .

(٦) هُوَ : رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعَ بْنِ رَوْحِ بْنِ سَلَامَةَ الْجُدَامِيِّ ، أَبُو زُرْعَةَ ، أَمِيرُ فَلَسْطِينَ أَهَامَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَسَيِّدُ الْإِمَامِيَّةِ فِي الشَّامِ وَقَاتِلُهَا وَخَطِيبُهَا .. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ : لَهُ صَحْبَةٌ .. وَذَكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَأَبُوهُ فِي التَّابِعِينَ .. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَةَ وَأَبُو نَعِيمٍ : لَا تَصِحُّ لَهُ صَحْبَةٌ .. وَأَبُوهِ - زَيْبَاعُ - رُؤْيَةُ .. وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ عَنْهُ : « جَمْعُ رَوْحٍ طَاعَةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَدَعَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَنَفَقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ » .. وَلَهُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٤ ، وأسَدُ الْقَابَةِ ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ ٥٤٦ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ج ١ ص ٣٤٦ ، ٣٥٨ وَغَيْرُهُمَا] .

(٧) فِي (ط) : وَكَانَ .

(٨) فِي (م) : « وَضَرِبَتْ » أَيْ : نُصِبَتْ وَأُيِّمَتْ .

(٩) فِي (م) : « إِلَى الطَّعَامِ فَأَبَاهُ » .

(١٠) فِي (م) : « فَقَالَ » .

(١١) فِي (م) : « فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ تَصُومُ ؟ » .

(١٢) فِي (م) : « فَاغْ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٣) فِي (م) : « فَقَالَ » .

(١٤) فِي (م) : « وَظَنَنْتَ » تَحْرِيفٌ .

مُكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمِلْهُ إِنْ كَرِهْتَهُ ، فَإِنْ وَرَّاهُ مَا تُحِبُّ إِنْ قِيلَتْهُ . قَالَ : هَاتِ يَا أُغْرَابِي . قَالَ (١) : سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرِمْتَ بِهِ الْأَلْسُنُ أَذَاءً (٢) لِحَقِّ اللَّهِ ، وَلِحَقِّ أَمَانَتِكَ : إِنَّهُ قَدْ اكْتَنَفَكَ (٣) رِجَالُ أَسَاوُوا الْاِخْتِيَارَ لِأَنْفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا ذُنُوبَكَ بِدِينِهِمْ ، وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَلَا تُصْلِحْ ذُنُوبَهُمْ (٤) بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَأَعْظَمُ النَّاسِ غَيْبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَصَحْتَ ، وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ سَيُعِينُنَا (٥) عَلَى مَا قُلْنَا ، وَقَدْ جَرَدْتَ لِسَانَكَ فَهُوَ سَيْفُكَ . فَقَالَ (٦) : أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ لَكَ لَا عَلَيْكَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عُرْوَةَ (٧) : حَجَّ الْحَجَّاجُ فَتَزَلَ بَعْضَ الْمِيَاهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَدَعَا بِالْقَدَاءِ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : أَنْظِرْ مَنْ يَتَعَدَّى مَعِيَ ، وَإِسْأَلْهُ عَنْ بَعْضِ الْأُمْرِ ، فَتَنَظَّرَ نَحْوَ الْجَبَلِ ، فَإِذَا (٨) هُوَ بِرَأْسِ بَيْنِ سَخْلَتَيْنِ (٩) نَائِمٌ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ : أَتَيْتَ الْأَمِيرَ ، فَأَتَاكَ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اغْمِضْ يَدَكَ وَتَعَدَّ مَعِيَ . فَقَالَ : دَعَانِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى دَعَانِي إِلَى الصِّيَامِ فَصُمْتُ . قَالَ : فِي

(١) في « م » : فقال .

(٢) سقطت كلمة « أذاء » من « م » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إنك قد اكتنفك » ، وكلاهما صواب .

(٤) في « م » : دنياك .

(٥) في « م » : سيئين .

(٦) في « م » : « وهو سيفك » ، قال : .

(٧) هو : سعيد بن أبي عروبة مهران ، مولى بني عدى ، البصرى ، مأبى النظر : حافظ للحدث .. لم يكن في زمانه أحفظ منه .. وله مصنفات .. قال الذهبي : « إمام أهل البصرة في زمانه ، لكنه ثغر بأخرة » ، ورؤي بالقدر ، توفي سنة ١٥٦ هـ وقيل ١٥٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٨ ، وميزان الاعتدال ص ١٥١ - ١٥٣ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤٥] .

(٨) في « ط » : وإذا .

(٩) السُّخْلَةُ : الذكر والأنثى من وَلَدِ الضَّأْنِ والمِرْ سَاعَةُ يُوَلَدُ .. وفي « م » : « بين سُخْلَتَيْنِ » .. والشملة : كساء من صوف أو شعر .. وقد سبق شرحها .

هَذَا الْحَرَّ الشَّدِيدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُنْتُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَفْطِرْ وَصُمْ ^(١)
 غَدًا . قَالَ : إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى الْعَدَا ^(٢) . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ :
 فَكَيْفَ ^(٣) تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تُقَدِّرُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ طَعَامٌ ^(٤) طَيِّبٌ . قَالَ :
 لَمْ تُطَيِّبْهُ أَتَلَتْ وَلَا الطَّبَاطُخَ ، وَلَكِنْ طَيِّبْتُهُ ^(٥) الْعَافِيَةَ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ الرَّشِيدُ بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ بِكَيْسٍ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ ^(٦) ،
 فَلَمَّا قَضَى سُكُّهُ ^(٧) وَانْصَرَفَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ، بَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ أَنْ تَنْتَقِلَ مَعَهُ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ^(٨) فَقَالَ لِلرُّسُولِ : قُلْ لَهُ : إِنْ الْكَيْسَ
 بَخَائِمِهِ ، وَقَالَ الرُّسُولُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ : إِنْ مَلِكًا كَانَ يَفْتِنُ النَّاسَ وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ،
 فَأَتَى بِرَجُلٍ أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسَ مَكَانَهُ وَهَالَهُمْ أَمْرُهُ ، فَرَاودَهُ ^(٩) عَلَى
 أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ^(١٠) ، فَرَفَّقَ لَهُ صَاحِبُ شُرْطَةِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ ^(١١) :
 أَنَا آتِيكَ بِجَدِي تَذْبُحُهُ مِمَّا ^(١٢) يُجِلُّ لَكَ أَكْلَهُ ، فَإِذَا ^(١٣) دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ خِنْزِيرٍ

(١) فِي « م » : وَتَصَوْمُ .

(٢) فِي « ط » : « إِلَى غَدٍ » وَالْمَعْنَى : إِنْ ضَمِنْتَ لِي الْبَقَاءَ إِلَى غَدٍ أَفْطِرُ الْيَوْمَ .

(٣) فِي « م » : كَيْفَ .

(٤) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « طَعَامٌ » مِنْ « ط » .

(٥) فِي « ط » طَيِّبُهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « بَعَثَ بِكَيْسٍ فِيهِ مِائَةُ دِينَارٍ » وَسَقَطَ مِنْهَا : « إِلَى مَالِكِ

ابْنِ أَنَسٍ » قَبْلَهَا .

(٧) الشُّكُّ : بِضَمِّينِ ، أَوْ يَضَمُّ فَسَكُونٌ : كُلُّ حَقٍّ لِلَّهِ تَعَالَى .

(٨) يَعْنَى : بِغَدَادٍ .

(٩) فِي « م » : فَرَاوَدَهُ .

(١٠) سَقَطَتْ « فَلَمْ يَفْعَلْ » مِنْ « م » .

(١١) فِي « م » : « قَالَ : هَئَانَا » .

(١٢) فِي « ط » : بِمَا .

(١٣) فِي « م » : « وَإِذَا دَعَا الْمَلِكُ بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ فَكُلَّهُ » ، فَأَتَى صَاحِبَ شُرْطَةِ الْمَلِكِ بِلَحْمِ ذَلِكَ الْجَدَى ، فَجَعَلَ

صَاحِبَ الشَّرْطَةِ يَضْمَرُهُ أَنْ يَأْكُلَ فَأَتَى .

أَتَيْتَكَ بِهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ أَتَى بِهِ الْمَلِكَ ، فَدَعَا بِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَأَتَى صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
 بِذَلِكَ الْجَدْيِ ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَجَعَلَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ
 يَغْمِزُهُ أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا ذَهَبَ
 بِهِ قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْكُلَ وَهُوَ اللَّحْمُ الَّذِي ذَبَحْتَهُ أَنْتَ ^(١) ؟ .. أَطَنَنْتَ أَلِي جَنْتَ ^(٢)
 بَعِيرُهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ هُوَ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُفْتَنَ النَّاسُ بِي ، فَإِنْ أَكْرَهُوا
 عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ^(٣) قَالُوا : قَدْ أَكَلَهُ فَلَانْ فَيَسْتَنْ بِي ، فَأَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ ، فَقَتَلَ
 رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لِكَتِّبِ الْأَخْبَارِ ^(٤) : يَا كَتِّبُ ،
 خَوْفُنَا . قَالَ : أَوْ لَيْسَ فِيكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا كَتِّبُ ، وَلَكِنْ
 خَوْفُنَا . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ ، لَوْ وَافَيْتَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِ سَبْعِينَ
 نَبِيًّا لَأَزِدْتِ عَمَلَهُمْ مِمَّا تَرَى ، فَكَفَسَ ^(٥) عُمَرُ وَأَطْرَقَ مِثْلًا ثُمَّ أَفَاقَ ، ثُمَّ قَالَ :
 يَا كَتِّبُ ، خَوْفُنَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدْرُ مَنْخَرٍ ^(٦) تُؤِيرُ
 بِالْمَشْرِقِ ، وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ ، لَعَلَى دِمَاعُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا ، فَكَفَسَ ^(٧) عُمَرُ ثُمَّ

(١) فِي (م) : : الَّذِي أَنْتَ ذَبَحْتَهُ .

(٢) فِي (م) : : جَهَنَّتِكَ .

(٣) فِي (ط) : : أَكَلَ الْخِنْزِيرِ .

(٤) هُوَ : كَتِّبُ بْنُ مَاتِعٍ بْنِ ذِي هِجَانَ الْجُمْهُرِيُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، تَابِعِيُّ .. كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ
 فِي الْيَمَنِ ، وَأَسْلَمَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَأَخَذَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَغَيْرُهُمْ كَثُورًا مِنْ
 أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ ، وَأَخَذَ هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عَنْ الصَّحَابَةِ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَكَنَ جَنْصَرَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢
 هـ فِي خِلَافَةِ عِثَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ مِائَةِ وَأَرْبَعِ سِنِينَ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٣٦٤ - ٣٩١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ،
 والمعارف ص ٤٣٠] .

(٥) فِي (م) : : فَأَلْكَسَ .

(٦) الْمَنْخَرُ : ثَقْبُ الْأَنْفِ .

(٧) فِي (م) : : فَأَلْكَسَ .

أَفَاقَ فَقَالَ : يَا كَعْبُ ، زِدْنَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ جَهَنَّمَ لَتَزْفُرُ ^(١)
 زَفْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يَبْقَى ^(٢) مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، حَتَّى
 يَخْرُ إِبْرَاهِيمُ ^(٣) تَحْلِيلَ الرَّحْمَنِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَقُولُ : يَا رَبِّ لَا أَسْأَلُكَ ^(٤) الْيَوْمَ إِلَّا
 نَفْسِي .

وَأَسْتَأْذَنَ أَبُو دُحْمَانَ ^(٥) عَلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ ^(٦) فَحَجَّجَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ
 قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ ^(٧) غَيْرِكَ ، فَأَمْسُوا وَاللَّهِ حَدِيثًا ،
 فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ، فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ الْبَشْرِ ، وَلِإِنِ الْجَانِبَ ،
 وَتَسْهِيلَ الْحِجَابِ ، فَإِنَّ حُبَّ عِبَادِ اللَّهِ مُوَصَّلٌ بِحُبِّ اللَّهِ ، وَبُغْضُهُمْ مُوَصَّلٌ بِبُغْضِهِ ،
 لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ^(٨) ، سَيِّدُ الْعُبَادِ فِي زَمَانِهِ ، عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ ،

(١) زَفَرٌ : أخرج نفسه بعد مده لثامه .. ويقال : زَفَرَتِ النَّارُ : سُمِعَ لاثقائها صوتًا .

(٢) في « م » : فما .

(٣) سقطت لإبراهيم ، من « م » .

(٤) في « م » : « إني لا أسألك » .

(٥) هو : أبو دُحْمَانَ الْغَلَائِي ، شاعر من شعراء البصرة ، ممن أدرك دَوْلَتِي بنى أُمَيَّةَ وبنى العباس ، ومدح
 المهدي ، وكان طيباً ظريفاً مليح النادرة .

[انظر ترجمته وبعض أخباره وأشعاره في الأغاني ج ٢٦ ص ٨٩٨٥ - ٨٩٨٧ والورقة لابن الجراح ص ٦٦ -
 ٦٩ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٢٠٠] .

(٦) في البيان والتبيين أنه : سعيد بن سَلَم ، والقصة مروية على لسانه وهو : سعيد بن سَلَم بن قتيبة بن مسلم
 الباهل ، وكان والياً على أرمينية .. وكان عالماً بالحديث والعربية ، ولكنه لا يبذل نفسه للناس .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٧٤ ، ٧٥ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٤٠ ، وانظر القصة في الجزء نفسه
 ص ٢٠٠ ، ٢٠١] .

(٧) هكذا في « م » وفي البيان والتبيين .. وفي « ط » : يد .

(٨) هو : محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، وكان مع قتيبة بن مسلم بخراسان في جنده .. وكان فقيهاً
 ورِعاً ، ومن ثقات أهل الحديث .. وكان لا يُقَدَّمُ عليه أحد في زمانه في زهده وعبادته .. توفي سنة ١٢٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٣٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٧٧ وفيها توفي سنة ١٢٠ هـ . والبيان والتبيين ج ١
 ص ٢٥٣] .

أَمِيرِ الْبَصْرَةِ ^(١) ، وَكَانَ تَوْبَهُ إِلَى نَصِيفِ سَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : مَا هَذِهِ الشَّهْرَةُ يَا بَنَ وَاسِيعُ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ وَاسِيعٍ : أَنْتُمْ شَهَرْتُمُونَا ، هَكَذَا كَانَ لِبَاسُ مَنْ مَضَى ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ طَوَّلْتُمْ ذُبُولَكُمْ ، فَصَارَتِ السَّنَةُ بَيْنَكُمْ بِدَعَا وَشَهْرَةً .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ^(٢) فَقُلْتُ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ عَلَيَّ نَحْوَ مَا سَلَّمْتُ رَدًّا جَيِّلاً ، وَأَكْرَمَ إِكْرَامًا جَزِيلاً ، وَأَمَرَنِي بِدُخُولِ مَجْلِسِهِ ، وَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فِيهِ ، فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَلَّكَ مَحَلًّا عَالِيًا شَامِخًا ، وَأَنْزَلَكَ مَنْزِلًا شَرِيفًا بَازِخًا ، وَمَلَكَكَ طَائِفَةً مِنْ مُلْكِهِ ، وَأَشْرَكَكَ فِي حُكْمِهِ ، وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ أَحَدٍ فَوْقَ أَمْرِكَ ، فَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَوْلَى بِالشُّكْرِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلَزَمَ الْوَرَى ^(٣) طَاعَتَكَ ، فَلَا يَكُونَنَّ ^(٤) أَحَدٌ أَطْوَعَ لَهِ مِنْكَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالشُّكْرِ ^(٥) ، وَلَيْسَ الشُّكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَلَكِنَّهُ بِالْفِعَالِ ^(٦) وَالْإِحْسَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ ^(٨) إِنَّمَا صَارَ

(١) هو : بلال بن أبي بردة ، عامر بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة وقاضيا ، كان رواية فصيحاً أدبياً .. ولأه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ فأقام إلى أن قُبِمَ يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ فعهزله وحجسه ، فمات سجيناً .. وكان ثقة في الحديث ، وَلَمْ تُحْمَدْ سيرته في القضاء .. وكان يقول : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لِيَخْتَصِمَانِ إِلَى فَأُجَدَ أَحَدُهُمَا لَنُحَفَ عَلَى قَلْبِي فَأَقْضَى لَهُ ! .. توفى نحو سنة ١٢٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٨٢ ، والمعارف ص ٢٦٦ ، ٣٩٨ وغيرهما من الصفحات] .

(٢) في (م) : دخلت على الأفضل ابن أمير الجيوش ، وهو ملك مصر .. وهو : أحمد بن بدر الجمالي ، أبو القاسم شاهنشاه ، الملقب بالملك الأفضل ، وزيرٌ ، وَلَيْدَ بعكا سنة ٤٥٨ هـ وتخلّف أباه في إمارة الجيوش المصرية ، وهو أرمي الأصل ، داهية ، ذا رأى ، جيد السياسة ، وَطَدَّ دعائم السُّلْكِ لِلآمِرِ بِأحكامِ اللَّهِ الْعَبِيدِ صاحب مصر ، ودبّر شؤون دولته ، فنقم عليه أمراً ففدس له مَنْ قُتِلَ على مقربة من داره في القاهرة سنة ٥١٥ هـ ، وكانت مدة ولايته ثمانياً وعشرين سنة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٠٣] .

(٣) الْوَرَى : الخَلْقُ .

(٤) في (م) : « فلا يكون » .

(٥) هذه الجملة عن « ط » وسقطت من (م) .

(٦) في (م) : « بالفعل » والفعل والفعل بمعنى واحد .

(٧) سورة سبأ - من الآية ١٣ .

(٨) في (م) : « هذا الذي أصبحت فيه من الملك » .

إِلَيْكَ بِمَوْتٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ ^(١) مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَأَتَى اللَّهَ فِيمَا خَوَّلَكَ ^(٢) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى] ^(٣) سَأَلَكَ عَنِ النَّفِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَالْفَقِيلِ ^(٤) . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَوَزَّكَ لَتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٦) : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا . وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٧) .

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آتَى مُلْكَ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِرِهَا سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] فَسَحَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ ، وَالطَّيْرَ وَالْوَحْشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَحَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْزِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ^(٨) ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ فَقَالَ لَهُ ^(٩) : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١٠) . فَوَاللَّهِ مَا عَدَّهَا نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ تُكُونَ ^(١١) اسْتِذْرَاجًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمَكْرًا بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَفَشْكُرُ أَمْ

(١) هكذا في (م) : .. ولي (ط) : « خارج عن يدك مثل » .

(٢) خَوَّلَكَ : أعطاك ليأه بنفسه .

(٣) ما بين المعقوفين عن (م) وساقط من (ط) .

(٤) النَّفِيرُ : قَلْبَرُ الثَّغْرِ في ظهر النواة .. وَالْقَطْمِيرُ : القشرة الرقيقة على النواة .. والفعل : قدر المحيط الذي في شيق النواة . ويُضْرَبُ بِهَا جَمِيعُ الْمَثَلِ فِي الشَّيْءِ الصَّغِيرِ أَوِ الضَّعِيفِ .. جاء في القرآن الكريم - في سورة النساء - الآية ١٢٤ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ وفي سورة فاطر - الآية ١٣ : ﴿ مَا يَخْلُقُ مِنْ يَحْيَوتٍ ﴾ وفي سورة النساء - الآية ٤٩ : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيًّا ﴾ .

(٥) سورة الجنح - الآيات : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ما بين المعقوفين عن (ط) في الموضعين .

(٧) سورة الأنبياء - الآية ٤٧ .

(٨) انظر الآية ٣٦ من سورة ص : « أَيْ : جعلنا له الريح كَيْفَةً مُتَقَادَةً حَيْثُ أَرَادَ .

(٩) (له) عن (ط) .

(١٠) سورة ص - الآية ٣٩ .

(١١) في (م) : « يكون .

أَكْفُرْ^(١) ... فَافْتَحِ الْبَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَأَنْصِرِ الْمَظْلُومَ ، أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى مَا قُلْتُكَ^(٢) ، وَجَعَلَكَ كَهْفًا لِلْمَلْهُوفِ ، وَأَمَانًا لِلْحَائِفِ .

ثُمَّ أَتَمَمْتُ الْمَجْلِسَ بِأَنْ قُلْتُ : قَدْ دَوَّخْتُ الْبِلَادَ^(٣) شَرْقًا وَغَرْبًا ، فَمَا اخْتَرْتُ مَمْلَكَةً تَزَوَّجْتُ فِيهَا وَوُلِدَ لِي غَيْرَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ أَتَشَدْتُ شِعْرًا :

وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وَكَتَبَ حَكِيمٌ إِلَى حَكِيمٍ : أَيُّ سَائِلِكَ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ، إِنْ أُجِبْتَ عَنْهَا صِرْتُ لَكَ تَلْمِيزًا^(٤) : أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ ؟ وَمَتَى تُضَيِّعُ أُمُورَ النَّاسِ ؟ وَبِمَ^(٥) تُتْلَقَى النُّعْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ ثَلَاثَةٌ : الْبَرُّ^(٦) يَكُونُ فِي سُلْطَانٍ الْفَاجِرِ^(٧) ، فَهُوَ الدَّهْرُ حَزِينٌ لِمَا يَرَى وَيَسْمَعُ ، وَالْعَاقِلُ يَكُونُ فِي تَذْيِيرِ الْجَاهِلِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ مَغْمُومٌ^(٨) ، وَالكَرِيمُ يَحْتَاجُ إِلَى اللِّيمِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ خَاضِعٌ لَهُ ذَلِيلٌ^(٩) .
وَتَضْيِيعُ أُمُورِ النَّاسِ إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمِلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَفَقَّهُ .

(١) انظر الآية ٤٠ من سورة الحمل ..

(٢) في « م » : « عَلَى نَصْرِ الْمَظْلُومِ » .

(٣) دَوَّخْتُ الْبِلَادَ ، أَيْ : صِيرْتُ فِيهَا حَتَّى عَرَفَهَا ، وَلَمْ تُخَفْ عَلَى طَرَفِهَا .

(٤) في « م » : « صِيرْتُ تَلْمِيزًا لَكَ » .

(٥) في « م » : « رِبْسًا » وَالْمَعْنَى أَنَّ أَلْفَ « مَا » الِاسْتِفْهَامِيَّةَ تُحْدَفُ إِذَا سُبِقَتْ بِحَرْفِ جَرٍ .

(٦) الْبَرُّ : الصَّالِحُ مِنَ النَّاسِ .. يَقَالُ : بَرٌّ فُلَانٌ : صَالِحٌ ، ضِدُّ فَجَرٍ ، فَهُوَ بَرٌّ .

(٧) في « ط » : « سُلْطَانٍ فَاجِرٍ » .

(٨) في « م » : « مَتْعُوبٌ مَغْمُومٌ » وَقَوْلُهُ « مَتْعُوبٌ » لَا يَصِحُّ اسْمُ مَفْعُولٍ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ مِنَ الثَّلَاثِ : تَيْبٌ تَيْبًا ، فَهُوَ « تَيْبٌ » ، وَإِذَا عَلَّقْتَهُ بِالْمُحْزَةِ وَقُلْتَ : « أُلْصِقْتُهُ فَهُوَ « مُتْعَبٌ » .. وَفِي اللِّسَانِ : لَا يَقَالُ : مَتْعُوبٌ .

[انظر لسان العرب والمصباح المنير والمعجم الوسيط وغيرها من المعاجم مادة « تَصَب »] .

(٩) في « م » : « خَاضِعٌ مِنْهُ » وَسَقَطَتْ مِنْهَا كَلِمَةُ « ذَلِيلٌ » .

وَتَقْلَقِي النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ شُكْرِهِ ، وَلِزُومِ طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ . فَصَارَ تَلْمِيزًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : حَجَّ ^(١) سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا أَشْرَقَا عَلَى عَقَبَةِ عُسْفَانَ ^(٢) نَظَرَ سُلَيْمَانُ إِلَى السَّرَادِقَاتِ ^(٣) قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ ^(٤) ، كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى دُثْيَا عَرِيضَةً بِأَكُلٍ بَعْضُهَا بَعْضًا وَأَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا ، الْمَأْخُودُ بِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا ^(٥) كَذَلِكَ إِذْ طَارَ غُرَابٌ مِنْ سَرَادِقِ ^(٦) سُلَيْمَانَ ، فِي مَنَاقِرِهِ كِسْرَةٌ ، فَصَاحَ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : مَا يَقُولُ هَذَا الْغُرَابُ ؟ قَالَ عُمَرُ : مَا أَذْرِي مَا يَقُولُ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ بِعِلْمٍ . قَالَ : أَخْبِرْنِي . قَالَ : هَذَا غُرَابٌ طَارَ مِنْ سَرَادِقِكَ ^(٧) فِي مَنَاقِرِهِ كِسْرَةٌ ، أَنْتَ بِهَا مَأْخُودٌ ، وَعَنْهَا مَسْئُولٌ ، مِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ ، وَمِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتُخْبِرُنَا بِالْعَجَائِبِ ^(٨) ! قَالَ : أَفَلَا أَخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَيْفَ عَصَاهُ ؟ وَمَنْ عَرَفَ الشَّيْطَانَ

(١) في « م » : « لَمَّا حَجَّ » . ويحيى بن سعيد هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري الشَّجَارِيُّ ، أبو سعيد ، قاضي من أكابر أهل الحديث من أهل المدينة . ولحق القضاء بالمدينة في زمن بني أمية ، ولأه يوسف بن محمد التَّقْفِيُّ أَهَامُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مِنْ اخْتِصَاصِ الْوَلَاةِ تَعْيِينَ الْقَضَاةِ (واستمر ذلك إلى أن استُخْلِفَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ، فَعَمِلَهُ لِلخُلَفَاءِ) وَرَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ فِي الْعَهْدِ الْعَبَّاسِيِّ ، فَوَلَّى قَضَاةَ « الْحِيرَةِ » وَتَوَلَّى بِالْهَالِمِيَّةِ - فِي الْعِرَاقِ - سَنَةَ ١٤٣ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠١ - ١٠٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩١ - ٧٩٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .
(٢) عُسْفَانَ ، بِالضَّمِّ ، مَنَهْلَةٌ مِنْ مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ مِنْ مَكَّةَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ . وَالْمَنَهْلَةُ : الْمَنْزِلُ فِي الْمَفَازَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمَسَافِرِينَ يَوْجَدُ بِهِ الْمَاءُ .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٤ ، ١٢١ ، ١٢٢] .

(٣) السَّرَادِقَاتُ : جَمْعُ سَرَادِقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْ حَاطِطٍ أَوْ مُضْرِبٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْفَسْطَاطِ يَجْمَعُ فِيهِ النَّاسُ لِلْعُرْسِ أَوْ مَأْتَمٍ وَلَحْوَها - وَضُرِبَتْ : أُقِيمَتْ .

(٤) في « م » : « فَقَالَ : يَا عُمَرُ » .

(٥) في « م » : « هُوَ » .

(٦) في « ط » : « سَرَادِقَاتُ » .

(٧) في « ط » : « سَرَادِقَاتُكَ » .

(٨) في « م » : « إِنَّكَ لَتَجِيءُ بِالْمَعْجَبِ » .

كَيْفَ أَطَاعَهُ ؟ وَمَنْ أَتَقَنَّ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَهَيِّئُهُ الْعَيْشُ ^(١) ؟ قَالَ : لَقَدْ غَشَّتْ عَلَيْنَا ^(٢) مَا نَحْنُ فِيهِ . ثُمَّ ضَرَبَ فَرْسَهُ وَسَارَ .

وَيُرْوَى أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بَرْدَةَ خَرَجَ فِي جَنَازَةٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَتَنَظَّرَ إِلَى جَمَاعَةٍ وَقُوفًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا ^(٣) : مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يُذَكِّرُ النَّاسَ ^(٤) . فَقَالَ لِرَاصِفٍ مَعَهُ : اذْهَبْ إِلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَقُلْ لَهُ يَرْتَفِعُ إِلَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ ، فَجَاءَ الرَّاصِفُ فَأَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى مَالِكِ ، فَصَاحَ بِهِ مَالِكُ : مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ فَأَجِيبْهُ فِيهَا ، فَإِنْ تَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فَلْيَجِئْهُ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ . فَلَمَّا دَفَنُوا مَيِّتَهُمْ قَامَ بِلَالٌ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى الْحَلَقَةِ حَتَّى جَلَسَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَالِكُ [بْنُ دِينَارٍ] ^(٥) سَكَتَ فَأَطَالَ السُّكُوتَ ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، ذَكَّرْنَا . فَقَالَ : مَا نَسِيتُ شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ ^(٦) بِهِ . قَالَ : فَحَدَّثْنَا . قَالَ : أَمَا هَذَا فَتَعَمَّ .. قَدِمَ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مِنْ قَبْلِكَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فَدَفَنَاهُ فِي هَذِهِ ^(٨) الْحِجَابَةِ ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِرِاصِفٍ فَدَفَنَاهُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى إِلَيْهِمَا كَانَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا أَبَا يَحْيَى ، أَتُذَكِّرُنِي مَا أَلْذِي جَرَّأَكَ عَلَيْنَا ، وَمَا أَلْذِي أَسْكَنَنَا ^(٩) عَنْكَ ؟ لِأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ ^(١٠) مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتَ مِنْ دَرَاهِمِنَا شَيْئًا مَا اجْتَرَأْتَ عَلَيْنَا ^(١١) هَذِهِ الْجُرْأَةَ .. قَالَ مَالِكُ : فَأَفَادَنِي ^(١٢) هَذَا الْحَدِيثُ عِلْمًا ، أَلَا فَاتَّقُوا دَرَاهِمَهُمْ .

(١) في « م » : عيش .

(٢) غشت علينا : أفسدت علينا ما نحن فيه . وفي « م » : غشت .

(٣) في « م » : فقالوا .

(٤) يُذَكِّرُ النَّاسَ : يَعِظُهُمْ .. والوصيف : الخادم .

(٥) في « ط » : دنا منه .

(٦) ما بين المقوفتين ساقط من « م » .

(٧) في « م » : فقال : نسيت شَيْئًا فَأَذْكُرُكَ هُوَ ؟ .

(٨) في « م » : إلى هذه .

(٩) في « م » : سَكَنَنِي .

(١٠) في « م » : لم تأكل .

(١١) في « م » : على .

(١٢) هكنا في « م » .. وفي « ط » : فأفاد : وسقط منها « قال مالك » .

وَدَخَلَ ابْنُ شِهَابٍ ^(١) عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ ^(٢) : يَا بْنَ شِهَابٍ ، مَا حَدِيثُ يُحَدِّثُنَا بِهِ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : حَدَّثُونَا أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا اسْتَرْعَى عَبْدًا رَعِيَّةً كَتَبَ لَهُ الْحَسَنَاتِ ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ . قَالَ : كَذَبُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَبِيُّ خَلِيفَةَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ ، أَمْ خَلِيفَةُ لَيْسَ بِنَبِيِّ ؟ قَالَ : بَلْ نَبِيُّ خَلِيفَةَ . قَالَ : فَأَنَا أَحَدُكُمْ [يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ] ^(٣) بِمَا لَا تَشْكُ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّ دَاوُدَ : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٤) . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ^(٥) وَعَيْدُ اللَّهِ لِنَبِيِّ خَلِيفَةَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِخَلِيفَةِ غَيْرِ نَبِيِّ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : إِنَّ النَّاسَ لَيَعْرِفُونَنَا ^(٦) عَنْ دِينِنَا .

وَرَوَى زَيْدًا عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ وَإِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ ^(٧)

(١) هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زُهْرَةَ بن كلاب ، من قريش ، تابعي من أهل المدينة ، وُلِدَ سنة ٥٨ هـ .. وهو أول مَنْ ذُوْنَ الْحَدِيثِ ، وواحد من كبار الحفاظ والفقهاء ، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث ، نصفها مسند .. وعن أبي الزناد قال : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ، ويكتب كل ما يسمع .. نزل الشام واستقر بها .. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عُثْمَانَ : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجهلون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . تولى - رحمه الله - يشقُب - آخر حُدِّ الْحِجَازِ وأول حد فلسطين - سنة ١٢٤ هـ .

ولى تاريخ مولده ووفاته اختلاف .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ - ١١٣] .

(٢) في « م » : قال .

(٣) ما بين المقوفتين عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) سورة « ص » - الآية ٢٦ .

(٥) في « ط » : فهذا .

(٦) أى : إن الناس يمدحوننا ويجهلوننا نجهل أمر ديننا .. وفى « م » : « ليغرونا » .

(٧) أبو جعفر المنصور : الخليفة العباسي ، وقد مرت ترجمته .. وابن طاووس هو : عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمداني ، من عُقَادِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وفقهاءهم المشهورين ، ومن رجال الحديث الثقات ، وكان أبوه (طاووس بن كيسان) من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية الحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، وسار ابنه عبد الله على مثاله .. وروى عنه .. تولى عبد الله سنة ١٣٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٤ وج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٢٣ - ٢٤] .

فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ^(١) ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى فُرْشٍ قَدْ نُصِذْتُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْطَاعٌ ^(٢) قَدْ
بُسِطَتْ وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَلَاوِزَةٌ ^(٣) بِأَيْدِيهِمُ السَّيُوفُ يَضْرِبُونَ الْأَعْنَاقَ ، فَأَوَّمَا ^(٤) إِلَيْنَا أَنْ
اجْلِسَا ، فَجَلَسْنَا ، فَأَطْرَقَ عَلَيْنَا طَوِيلًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَالتَفَتَ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ وَقَالَ :
حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيكَ ^(٥) قَالَ : نَعَمْ ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ فِي حُكْمِهِ » . فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً ، قَالَ مَالِكٌ : فَضَمَمْتُ نِيَابِي مَخَافَةَ أَنْ
يَنْضَحَنِي بِدِمِهِ ، فَأَمْسَكَ أَبُو جَعْفَرٍ سَاعَةً حَتَّى اسْوَدَّ مَابَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا ابْنَ
طَاوُوسٍ ، نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ ^(٦) ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : نَاوِلْنِي هَذِهِ الدَّوَاةَ ، فَأَمْسَكَ
عَنْهُ ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَنَاوِلْنِيهَا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُكْتَبَ بِهَا مَعْصِيَةٌ فَأَكُونَ
شَرِيكَكَ فِيهَا . فَلَمَّا ^(٨) سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ : قَوْمًا عَنِّي . قَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي
مُنْذُ الْيَوْمِ . قَالَ مَالِكٌ : فَمَا زِلْتُ أَغْرِفُ لِابْنِ طَاوُوسٍ فَضْلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ^(٩) .
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ ^(١٠) : سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ عَنْ

(١) هكذا في « ط » .. في « م » : « لَمَّا بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَابْنِ طَاوُوسٍ فَدَخَلَا عَلَيْهِ » .

(٢) نُصِذْتُ : وَضَعْتُ بِطَرِيقَةٍ مُنْسَقَةٍ .. وَالْأَنْطَاعُ : جَمْعُ نَظْعٍ ، وَهُوَ بَسَاطٌ مِنَ الْجِلْدِ يَحْتَلُّ فَرْقَهُ الْحُكُومُ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ .

(٣) الْجَلَاوِزَةُ : جَمْعُ جَلَوَزٍ ، وَهُوَ الشَّرْطِيُّ الضَّخْمُ الشَّجَاعُ .

(٤) هكذا في « ط » : « وَأَوَّمَا أَيْ : أَشَارَ » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ابْنِ طَاوُوسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيكَ » .

(٦) الدَّوَاةُ : الْبَيْخُورَةُ .

(٧) هكذا في « ط » .. ولم يتكرر هذه الجملة في « م » .

(٨) في « م » : « قَالَ : فَلَمَّا » .

(٩) من أول قوله : قَالَ مَالِكٌ .. إِلَى آخِرِ الْجُمْلَةِ عَنْ « ط » ولم يرد في « م » .

(١٠) في « م » : « الْحَوَارِيُّ » ، تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ .. اسْمُهُ مَيْمُونٌ .. مِنَ الرَّاهِدِينَ
الزُّوْرِعِينَ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، صَحَّبَ أَبَا سَلِيمَانَ الدَّارَانِيَّ وَغَيْرَهُ .. وَكَانَ الْجَنِيدُ يَقُولُ : « أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ رِيحَانَةُ
الشَّامِ » وَبُرِّرَ أَنَّهُ طَلَبَ الْعِلْمَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا بَلَغَ حَمْلَ كَتَبَهُ إِلَى الْبَحْرِ فَأَغْرَقَهَا وَقَالَ : يَا عَلِيٌّ ، لَمْ أَفْعَلْ بِكَ هَذَا
هُوَ أَنْ بَكَ ، وَلَا اسْتَحْقَاقًا بِحَقِّكَ ، بَلْ كُنْتُ أَطْلُبُكَ لِأَهْتَدِيَ بِكَ إِلَى رَبِّي ، وَالْآنَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْكَ . وَمِنْ حِكْمِهِ :
« لَا دَلِيلَ عَلَى اللَّهِ سِوَاهُ » وَ « إِذَا حَدَّثْتُكَ نَفْسَكَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا عِنْدَ إِدْبَارِهَا فَهُوَ خُدْعَةٌ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكَ بِتَرْكِهَا عِنْدَ إِقْبَالِهَا
فَذَلِكَ » . وَكَانَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ وَابْنُهُ ، كُلُّهُمْ مِنَ الْعَارِفِينَ الزُّوْرِعِينَ أَيْضًا .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ -
سَنَةَ ٢٣٠ هـ .

ابْنِ السَّمَاكِ ^(١) قَالَ : بَعَثَ إِلَيَّ هَارُونُ ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، أَخَذَ حَرَسِيَّانِ بِضَبْعِي فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ ^(٢) ، فَلَمَّا اتَّهَيْتُ إِلَى بَابِ الْقَاعَةِ ^(٣) لَقِيتُنِي خَصْمِيَّانِ ضَخْمَانِ ^(٤) فَأَخَذَانِي مِنَ الْحَرَسِيِّينَ ، فَأَعَجَلَانِي فِي قَاعَةِ الْقَصْرِ ، فَأَتَّهَيْتُ إِلَى الْبُهِوِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَتَلَقَانِي خَصْمِيَّانِ دُونَهُمَا ، فَأَخَذَانِي فَأَعَجَلَانِي فِي الْبُهِوِ ، فَقَالَ لَهُمَا هَارُونُ : ارْفُقُوا بِالشَّيْخِ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ : يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا مَرُّ بِي يَوْمَ مُنْذُ وَلَدْتُنِي أُمِّي أَتَعَبُ فِيهِ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فَأَتَّقِ اللَّهَ فِي خَلْقِهِ ، وَاحْفَظْ مُحَمَّداً فِي أُمَّتِهِ ، وَانصَحْ لِنَفْسِكَ فِي رِعْيَتِكَ ، فَإِنَّ لَكَ مَقَامًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى أَنتَ فِيهِ أَذَلُّ مِنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَتَّقِ اللَّهَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَخَذَ اللَّهَ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ كَتَبَتْ وَكَتَبَتْ ^(٥) قَالَ : فَاضْطَرَبَ عَلَى فَرَاشِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَى مُصَلًى بَيْنَ يَدَيِ فَرَاشِهِ . فَقُلْتُ : يَا أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا ذُلُّ الصِّفَةِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ ذُلَّ الْمُعَايَنَةِ ؟ قَالَ : فَكَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ . فَقَالَ يَحْيَى ^(٦) لِلْخَصْمِيِّينَ : أَخْرِجُوهُ فَقَدْ أَبْكَى أُمِيرَ

= [انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٥ - ٣٣ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٥ ، وطبقات الصوفية ص ٩٨ - ١٠٢ وكتبته فيها : أبو الحسن ، والذي أثبتناه أجمعت عليه المراجع ، وانظر طبقات الشمراني ج ١ ص ٨٢ .

(١) من وعظا هارون الرشيد . وقد مرت ترجمته .

(٢) الْحَرَسِيَّانِ : مثني ، مفردة : الْحَرَسِيُّ ، وهو واحد الْحَرَسِ ، ويُطلق على الجُند الذين يُرَبِّجُونَ لِجَفِظِ الْحَاكِمِ وَحِرَاسَتِهِ .. بِضَبْعِي : الضَّبْعُ : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها ، وهما ضَبْعَانِ .. فَأَعَجَلَانِي فِي دِهْلِيزِ الْقَصْرِ : فأسرعا إلى في حناياه ومنعطفاته ، والدِهْلِيزُ : بالكسر : يُطلق على المدخل بين الباب والدار .

(٣) في (م) : « باب القصر » .

(٤) لفظة « خَصْمِيَّانِ » عن « ط » .. و « ضَخْمَانِ » عن « م » وساقطة من « ط » .. وفي « م » : « خصمان » بالميم ، بدل « خصيان » تحريف .. و « خَصْمِيَّانِ » : مثني ، مفردة : خَصْمِيٌّ ، وهو الذي استَوْصِلْتَ خَصْمِيَّتَهُ وَجِبَّ ذَكَرُهُ ، أَيْ : قُطِعَ .

(٥) كَيْتَ وَكَتَبَتْ : وقد تُكْسَرُ التاء فيقال : كان في الأمر كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، أَيْ : كذا وكذا ، وهي كناية عن القصة والأحولة ، ولا تستعملان إلا لمكررتين .

(٦) هو : يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل ، سيد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدب هارون الرشيد ومعلمه ومُزَيِّيه .. رَضَعَ الرشيد من رُؤُوسِهِ يحيى مع ابنه الفضل ، فكان يدعوهُ : يَا بَنِي ! وَأُمْرُهُ المهدى سنة ١٦٣ هـ - وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره - أن يلازمه ، ويكون كاتباً له ، وأكرمه بمائة ألف درهم ، وقال : هي معونة لك على السفر مع هارون .. وَلَمَّا رَلَى هارون الخلافة دفع هارون خاتمة إلى يحيى وقلده أمره ، فبدأ بعلو شأنه ، واشتهر يحيى بجهوده وتحسن سياسته ، واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة ، فقبض عليه وسجنه في الرُّقَّة إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ فقال الرشيد : مات أعقل الناس وأكملهم .. وقد ندم الرشيد على ما كان منه في أمر البرامكة ، وتحسّر على ما قرط منه في أمرهم .

المؤمنين . ثم دَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : عِظْنِي وَأَوْجِزْ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ
الَّذِي أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ بِهِ لَحَقِيقٌ [عَلَيْكَ] ^(١) أَنْ تُحِبَّ مَا يُحِبُّ ، وَتُبْغِضَ
مَا يُبْغِضُ ، فَوَاللَّهِ ، لَقَدْ أَحَبَّ اللَّهُ دَارًا وَأَبْغَضَتْهَا ، وَأَبْغَضَ دَارًا وَأَحَبَّتَهَا ، كَأَنَّمَا أُرِدْتُ
خِلَافَ رَبِّكَ ، أَوْ أُرِدْتُ سِوَاهُ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ لَوْ بَقِيَ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، فَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِعَبْرِكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي
خِلَافَتِهِ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمَّتِهِ ^(٢) .

وَدَخَلَ هَارُونُ عَلَى بَعْضِ الثُّغَاثِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ تُحِبُّ اللَّهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْصِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ فِي
حُبِّكَ إِيَّاهُ ، إِنَّكَ لَوْ أَحَبَبْتَهُ إِذَا مَا عَصَيْتَهُ ، ثُمَّ أَتَيْتَهُ يَقُولُ ^(٤) :

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْمَقَالِ يَدِيعُ ^(٥)
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ^(٦)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَتَذَرِكُ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ ^(٧)

= [انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٢٨ -
١٣٢ ، ومعجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥ - ٩ ، والمعارف ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، وغيرها من كتب التاريخ كالتاريخ ،
والكامل لابن الأثير ، والبداية والنهاية] .

(١) ما بين للمعوقين عن « م » .

(٢) في « م » : « واحفظ محمدًا في أمته » .

(٣) في « م » : « وعليك السلام أيها الملك » .

(٤) الشعر لعمرو الوراق .

(٥) في « م » : « هذا لتعرك » . وفي ملحق الإحياء ج ٥ ص ٣٢١ ط الدار المصرية : « في الفعل » بدل « في
المقال » .. وفي العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٨ : « هذا محال في القياس بديع » .

(٦) في العقد الفريد :

« لو كنت تُضَيِّرُ حُبَّهُ لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ »

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « لَفَقِدَ ذَاكَ » بدل « لشكر ذاك » . وفي العقد الفريد :

« فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَذَرِكُ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ بِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ »

وَرَزَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ^(١) عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِيَجْعَلَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ابْنِ ^(٢) أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ ، وَالْيَ الْمَدِينَةُ : اخْذَرْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ غَدًا ^(٣) لَيْسَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ نَسَبٌ ^(٤) وَلَا أَبٌ ، وَلَا جَدٌّ ، فَيَكُونُ أَوَّلَى بِرَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ، كَمَا كَانَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَوَّلَى بِنُوحٍ وَلُوطٍ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٥) مِنْ زَوْجَتَيْهِمَا ، أَوْ كَمَا ^(٦) كَانَتْ زَوْجَةُ نُوحٍ وَلُوطٍ ^(٧) أَوَّلَى بِفِرْعَوْنَ مِنْ زَوْجَتِهِ .. مَنْ أَطَابَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِغْ بِهِ نَسَبُهُ ، وَمَنْ أَسْرَعَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُطِئْ بِهِ نَسَبُهُ .

وَقَالَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ ^(٨) : بَيْنَمَا الْحُجَّاجُ جَالِسٌ فِي الْحِجْرِ ^(٩) إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَجَعَلَ يَطُوفُ ، فَوَكَّلَ بِهِ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ ^(١٠) : إِذَا خَرَجَ مِنْ طَوَافِهِ فَأَتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا قَرَعُ مِنْ طَوَافِهِ ^(١١) أَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَهْلِ

(١) هو : زيد بن أسلم العدوي ، أبو عبد الله المصري ، فقيه ومفسر من أهل المدينة ، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافة ، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق مُسْتَفْتِيًا في أمر ، وكان ثقة كثير الحديث ، وكانت له حلقة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم . تولى - رحمه الله - سنة ١٣٦ هـ .

[الأعلام ج ٣ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩٨ .
(٢) هكذا في « م » وهو الصواب .. وفي « ط » : « عبد الله بن أبي طالب » .. وسقط منها « جعفر » .. وكثيراً ما يُسْقَطُ الكاتب اسماً أو أكثر من تراجم الأعلام حين يزيد على الجلد الثالث .

[انظر أولاد جعفر بن أبي طالب في جمهرة أنساب العرب ص ٦٨ ، ٦٩ ، وانظر نسب قريش ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٣) في « م » : « اخبر أن تحيى غداً رجل » ونحوه ، بالتاء : تحريف .

(٤) في « ط » : « نَسَبُهُ » .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٦) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « زوجهما » ، وكما كانت .

(٧) في « م » : « لوط ونوح » .

(٨) هو : بشير بن السري الأثوي ، أبو عمرو البصري ، ثم المكي الواعظ ، رُمِيَ بالتَّجَهُم واعتذر وتاب ، كان ثقة نبياً صاحب مواظ . مات سنة ١٩٥ هـ عن ثلاث وستين سنة .

[انظر طبقات الصوفية ص ٩٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٩) الْحُجَّاج هو : الحجاج بن يوسف الثقفي . وقد مرَّ التعريف به . والجحْر : ماحواه الحطيم ، وهو جانب الكعبة من جهة الشمال .

(١٠) في « م » : « قال » .

(١١) سقطت « من طوافه » من « م » .

الْيَمَنِ . قَالَ : أَفَلَاكَ عِلْمٌ بِمُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ . قَالَ :
لَقَدْ تَرَكْتُهُ أَتِيضَ ، بَضًّا سَمِينًا ، طَوِيلًا عَرِيضًا . قَالَ : وَيْلَكَ ، لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ :
قَالَ فَعَمَهُ ؟ ^(١) قَالَ : عَنْ سِيرَتِهِ وَطَعْمَتِهِ ^(٢) . قَالَ : فَأَجُورُ السَّيْرِ ، وَأَخْبِتُ الطَّعْمِ ،
وَأَعْدَى الْعُدَاةِ عَلَى اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ . قَالَ ^(٣) : فَفَضِيبَ الْحَجَّاجِ وَقَالَ : وَيْلَكَ ، أَمَّا
عِلِمْتُ أَنَّهُ أَخِي ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَأَنْتَ أَمَّا عِلِمْتُ ^(٤) أَنَّ اللَّهَ رَبِّي ، وَاللَّهُ لَهُوَ أَمْنُ
لِي مِنْكَ ^(٥) أَكْثَرَ مِنْ مَنَعِكَ ^(٦) لِأَخِيكَ ؟ قَالَ : أَجَلْ ، أُرْسِلُهُ يَا غُلَامُ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ ^(٧) : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ
إِبْرَاهِيمَ يُحَدِّثُ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَبَا جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِيمَا بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
وَأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَيْسُوا مِنْ قُرَيْشٍ ^(٨) ، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
ابْنَ أَبِي ذَنْبٍ ^(٩) . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِابْنِ أَبِي ذَنْبٍ : مَا تَقُولُ فِي بَنِي فَلَانٍ ؟ قَالَ :
أَشْرَارٌ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ أَشْرَارٍ . قَالُوا ^(١٠) : سَلِّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ -

(١) أَى : فَعَمْتُ تَسَالَى . وَالْهَاءُ لِلتَّكْتِ .

(٢) الطَّعْمَةُ ، بِالضَّمِّ : وَجْهُ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ ، وَكُلُّ مَا يَطْعَمُ .. وَبَكَسَرَ الطَّاءِ : الْجِهَةُ الَّتِي مِنْهَا يَرْتَفِقُ .

(٣) سَقَطَتْ « قَالَ » مِنْ « م » .

(٤) فِي « ط » : « فَأَنْتَ مَا عَلِمْتَ » .

(٥) فِي « ط » : « لِي مِنْكَ » .

(٦) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : أَكْثَرَ مِنْكَ .

(٧) هُوَ : عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قُرَيْبٍ ، أَبُو سَعِيدٍ الْأَصْمَعِيُّ ، رَاوِيَةُ الْعَرَبِ ، وَأَحَدُ أَمَّةِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ وَالشَّعْرِ .. وَقَدْ
سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ وَافِيَةٍ عَنْهُ .

(٨) فِي « ط » : لِقُرَيْشٍ .

(٩) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْغَفَرَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ذَنْبٍ ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى ، مِنْ قُرَيْشٍ ، أَبُو
الْحَارِثِ ، تَابِعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يَفْقَهُ بَهَا ، وَيُخْبِثُهُ بِسَمِيدِ بْنِ الْمُسْتَيْبِ .. وَلَدَ سَنَةَ ٨٠ هـ
وَكَانَ مِنْ أَوْرَعَ النَّاسِ وَأَفْضَلِهِمْ فِي عَصَرِهِ .. دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ - الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ - الَّذِي نَحْنُ بِصُدْدِهِ
الْآنَ ، وَقَالَ لَهُ : الظُّلُمُ فَاشٍ بِبَابِكَ ! وَسَأَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ عَنْهُ وَعَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، فَقَالَ : ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ أَصْلَحَ فِي بَدَنِهِ
وَأَقْوَمَ بِالْحَقِّ مِنْ مَالِكٍ عِنْدَ السُّلَاطِينِ .. وَقِيلَ : كَانَ يَرَى الْقَدْرَ ، وَهَجَرَهُ مَالِكٌ مِنْ أَجْلِهِ .. وَقَدْ نَفَى عَنْهُ الْقَدْرُ
الْوَاقِدِيُّ .. تَوَفَّى سَنَةَ ٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٨٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٢٠ ، والمعارف ص ٤٨٥ ، وطبقات الفقهاء
للشَّيرَازِيِّ ص ٥٢] .

(١٠) فِي « م » : فَقَالُوا .

وَكَانَ غَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ — قَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْحَسَنِ ؟ قَالَ : يَا اخْتُدُ بِالْإِخْتَةِ ^(١) ، وَيَقْضِي بِالْهَوَى . فَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ لَرَمَاكَ بِذَاهِيَةٍ ، وَتَعَتَكَ بِشَرًّا ! قَالَ : مَا تَقُولُ فِيَّ ؟ قَالَ : اغْفِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَقُولَ : قَالَ : إِنَّكَ لَا تُعْدِلُ فِي الرِّعْيَةِ ، وَلَا تُقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ . فَتَغَيَّرَ ^(٢) وَجْهُ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، صَاحِبُ الْمُوصِلِ ، وَقَالَ : طَهَّرْنِي ^(٣) بِدَمِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ ^(٤) لَهُ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ : أَفَعَدَّ يَابَنِيَّ ، فَلَيْسَ فِي دَمِ رَجُلٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ طَهُورٌ ، ثُمَّ تَذَارَكَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ الْكَلَامَ فَقَالَ : دَعْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ... بَلَعْنِي أَلَّاكَ رُزِقْتَ ابْنًا صَالِحًا بِالْعِرَاقِ — يَعْنِي الْمَهْدِيَّ ^(٥) — قَالَ : أَمَا إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَيَصُومُ ^(٦) الْيَوْمَ الْجَبِدَ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ . قَالَ : ثُمَّ قَامَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ فَخَرَجَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمُسْتَوْتَرٍ الْعَقْلِ ، وَلَقَدْ قَالَ بِذَاتِ نَفْسِهِ .

وَدَخَلَ أَبُو النَّضْرِ سَالِمٌ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٧) عَلَى غَامِلٍ لِلْخَلِيفَةِ ، فَقَالَ

(١) الإِخْتَةُ : الْجَفْدُ وَالضَّمْنُ .

(٢) فِي « م » : « قَالَ : فَتَغَيَّرَ » .

(٣) فِي « م » : « فَقَالَ : طَهَّرْنِي » يَعْنِي : اجْعَلْنِي طَاهِرًا وَنَقِيًّا مِنَ الدُّنْسِ .

(٤) فِي « ط » : « قَالَ » .

(٥) فِي « م » : « بِالْمَهْدِيِّ » .

(٦) فِي « م » : « لَلصَّوْمِ » . وَيَعْنِي بِالْيَوْمِ الْبَعِيدِ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ : الْيَوْمَ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ الْحَارِّ ، حَيْثُ يَطُولُ النَّهَارُ

عَنْهُ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ .

(٧) هَكَذَا فِي « م » وَسَائِرُ الْمَرَاجِعِ ، بِالضَّادِ الْمَجْمَعَةِ ، وَهُوَ الْأَرْجَحُ الْغَالِبُ .. أَمَّا فِي « ط » فَالْبَصَادُ الْمَهْمَلَةُ . وَفِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : أَبُو نَصْرٍ ، بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةُ أَيْضًا وَبِغَيْرِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ .

وَهُوَ : سَالِمُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ الشَّيْمِيِّ ، مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَمِنْ الصَّالِحِينَ ، كَانَ يَخْلُو عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُظَلُّهُ .. وَلَهُ أَحَادِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَكَانَ ثِقَةً حَسَنَ الْحَدِيثِ .. تَوَفَّى — رَحِمَهُ اللَّهُ — بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٢٩ هـ .

[انظر الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٠٨ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ١٧٦ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ج ١

ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، وَرِجَالُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦١] .

لَهُ : يَا أَبَا النَّضْرِ ، إِنَّهُ ثَابِتُنَا كُتِبَ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَفِيهَا ، وَلَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ
 إِنْفَازِهَا ، فَمَاذَا تَرَى ؟ قَالَ أَبُو النَّضْرِ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابُ اللَّهِ قَبْلَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَيُّهُمَا
 اتَّبَعْتَ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ .

البَابُ الثَّالِثُ

فِيمَا جَاءَ فِي التَّوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ

وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرُورِ وَالْحَطَرِ ^(١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا دَاوُدُ ، إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) . جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ : مِنْ اتِّبَاعِ الْهَوَى أَنْ يَخْضُرَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَتَوَدُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِلَّذِي لَكَ مِنْهُ خَاصَّةٌ ، وَيَهْدِيهِ الْخَصْلَةَ سَلْبَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٣) مُلْكُهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : كَانَ الَّذِي أَصَابَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ جَرَادَةَ امْرَأَتِهِ ^(٤) ، وَكَانَتْ مِنْ أَكْرَمِ نِسَائِهِ عَلَيْهِ ، تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ مَعَ غَيْرِهِمْ ،

(١) الْفُرُورُ ، يَضُمُّ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةُ : الشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .. وَبِفَتْحِهَا : التَّعْرِيزُ لِلتَّهْلُكَةِ .

(٢) سُورَةُ « ص » - الْآيَةُ ٢٦ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ « ط » فِي الْمَوْضِعِينَ .

[انْظُرْ قِصَّةَ فَتْنَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفِيَّةَ سَلْبِ مُلْكِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ « ص » فِي تَفْسِيرِ الْكَشَافِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وَقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلنَّجَّارِ ص ٣٢٣ - ٣٣١ ، وَضَعِ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبَغَارِيِّ لِابْنِ خَبَرٍ ج ٦ ص ٤٥٩ ، وَتَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ٢٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ ، وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْأَثَرِ] .

(٤) فِي « م » : « امْرَأَتُهُ جَرَادَةُ » وَهِيَ : جَرَادَةُ بِنْتُ غُولَانَ ، وَكَانَ أَبُوهَا مُلْكًا مَجُوسِيًّا عَلَى جَزِيرَةِ « صِيلُونَ » - أَوْ صَيْدَا - وَكَانَ جَبَّارًا عَظِيمَ الشَّانِ .. قَتَلَهُ سُلَيْمَانُ ، وَاصْطَفَى ابْنَتَهُ « جَرَادَةَ » لِنَفْسِهِ ، وَكَانَتْ رَاضِيَةً الْجَمَالَ فَأَسْلَمَتْ وَظَهَرَتْ بِمُظْهِرِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، فَأَحْبَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ لَا يَرْقَا لَهَا دَمْعٌ عَلَى مَقْتَلِ أَبِيهَا . [انْظُرْ قِصَّتَهَا مَعَ سُلَيْمَانَ فِي الْمَرَاجِعِ السَّابِقَةِ .. وَقَدْ أَفْرَدَ لَهَا الْأَسْتَاذُ / مُحَمَّدُ أَحْمَدُ بَرَانِقُ قِصَّةً فِي مَجْمُوعَةِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ط دَارُ الْمَعَارِفِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ « سُلَيْمَانُ وَمُلْكُ الْجَزَائِرِ » تَحْتَ رَقْمِ ١٤] .

فَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِأَهْلِ « جَرَادَةِ » ، فَيَقْضَى لَهُمْ ، فَتَقَرَّبَ ^(١) حِينَ لَمْ يَكُنْ هَوَاً فِيهِمْ وَاحِداً .

وَمِنْ ذَلِكَ آيَةُ الْمُلُوكِ الَّتِي أُنْزِلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّلَاطِينِ لِمَا اقْتَضَتْهُ مِنَ السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي فِيهَا بَقَاءُ الْمَمَالِكِ ^(٢) وَثُبُوتُ الدُّوَلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ^(٣) . ثُمَّ سَمَّى الْمَنْصُورِينَ ، وَأَوْضَحَ شَرَائِطَ النَّصْرِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَثَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٤) . فَضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ لِلْمُلُوكِ ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرَائِطَ ^(٥) كَمَا تَرَى ، فَمَتَى ^(٦) تَضَعَصَتْ قَوَاعِدُهُمْ ، وَانْتَقَصَ ^(٧) عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِهِمْ ، أَوْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ أَوْ بَاغٌ ^(٨) ، أَوْ حَاسِدٌ نِعْمَةٍ ، أَوْ اضْطَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ ، أَوْ رَأَوْا أَسْبَابَ الْغَيْرِ ^(٩) فَلْيَجْئُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَجِئُوا ^(١٠) مِنْ سُوءِ أَقْدَارِهِ بِإِصْلَاحِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ [سُبْحَانَهُ] ^(١١) بِإِقَامَةِ الْخَيْرِ وَالْقِسْطِ ^(١٢) الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، وَرُكُوبِ سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَإِظْهَارِ شَرَائِعِ الدِّينِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَالْأَخِذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَكَفِّ يَدِ الْقَوِيِّ عَنِ

(١) فِي م : فَمُتَّيَّب .

(٢) فِي م : السُّلْكُ .

(٣) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤٠ .

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ - آيَةُ ٤١ .

(٥) فِي م : « وَشَرَطَ الشَّرَائِطَ » .

(٦) فِي م : فَمَنْ .

(٧) هَكَذَا فِي م : بِالضَّادِّ الْمَجْمُوعَةِ . وَيُقَالُ : انْتَقَضَ الْقَوْمُ عَلَى السُّلْطَانِ : خَرَجُوا عَلَيْهِ وَخَلَعُوا طَاعَتَهُ .. وَفِي م : « انْتَقَصَ » بِالضَّادِّ الْمَهْمَلَةِ .

(٨) فِي م : « أَوْ بَاغٌ فَتَنَةٌ » .

(٩) فِي م : « أَوْ أَسْبَابُ الْغَيْرِ » . وَالْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(١٠) يَسْتَجِئُوا : يَسْتَجِيرُوا .. وَفِي م : « يَسْتَجِيرُوا » مِنْ الْحَيَاءِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ عَنْ م : « » .

(١٢) فِي م : « الْقِسْطُ » بِدُونِ « وَالْعُطْفُ » ، وَمَعْنَاهُ : الْعَدْلُ .

الضعيف ، ومُراعاة الفقراء والمساكين ، ومُلاحظة ذوى الخصاصة ^(١) والمستضعفين ، ولْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَحَلُّوا بِشَيْءٍ مِنَ الشَّرَاطِطِ الْأَرْبَعِ الَّتِي شَرِطْتُ فِي النَّصْرِ .

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِلَّا مِمَّا أُلْذِيَ عَلَى النَّاسِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا ^(٣) ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ ^(٤) رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » ^(٥) . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّ نَاطِلٍ فِي حَقِّ غَيْرِهِ رَاعِيًا لَهُ ، وَاللَّفْظُ مَاخُودٌ مِنَ الرُّعَايَةِ وَالْمُرَاعَاةِ ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لِرِعَايَةِ غَيْرِهِ مِنْ يَأْكُلُهُ ، فَهُوَ الْهَلَاكُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَرَاعِيَ الشَّاةِ يَخْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الذَّنَابُ لَهَا رِعَاءُ

وَرَوَى مُسْلِمٌ ^(٦) فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ أَمْرِئٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَهِدْ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ » ^(٧) .

(١) هكذا في « ط » .. ولي « م » : « وَمُتَابِعَةُ ذَوَى الْخِصَاصَةِ » ، أى : والبحث عن أصحاب الحاجة من الفقراء .

(٢) في « م » : « أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٣) سقطت « وولدها » من « م » .

(٤) في « ط » : « كُلُّكُمْ » .

(٥) الحديث رواه البخارى في صحيحه في كتاب الجمعة ج ٢ ص ٦ ط الشعب وفي الجنايز ج ٢ ص ١٠٠ ، وفي الاستقراض ج ٣ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، وفي العتق ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، وفي كتاب الرضايا ج ٤ ص ٦ ، وفي كتاب النكاح ج ٧ ص ٧٤ ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٣ بشرح النووي ، ورواه الترمذى في صحيحه في كتاب الجهاد ج ٧ ص ١٩٨ بشرح ابن العرى .

(٦) هو : الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، أبو الحسين ، أحد أئمة الحفاظ ، وأعلام المحدثين ، وُلِدَ بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، وأشهر كُتبه « صحيح مسلم » جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمس عشرة سنة ، وهو أحد الصحيحين الموقول عليهما عند أهل السنة في الحديث ، توفى - رحمه الله - بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٠ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٨٨ - ٥٩٠] .

(٧) رواه مسلم في كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢١٥ ولفظه : « مَا مِنْ أَمْرِئٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْتَهِدْ لَهُمْ وَيَنْصَحْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلِ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ » .

وَقَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ ^(١) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ [تَعَالَى] رَعِيَّةً فَلَمْ يَحْطُهَا بِنُصْحِهِ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ » ^(٢) .

وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ ^(٣) قَالَ : قَالَ لِي ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ^(٥) ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ^(٦) ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكِلْتَا إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا ^(٧) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّكُمْ

= ورواه أيضاً في كتاب الإيمان ، والرواية هي الرواية .. انظر صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦٦ شرح النووي .

(١) هو : مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ بن عبد الله المُرَازِيُّ ، صحابي ، أسلم قبل المُدَيِّنِيَّةِ ، وشهد بيعة الرضوان ، وسكن البصرة ، وإليه يُنسَبُ نهر « مَعْقِل » الذي بها . وكانت وفاته سنة ٦٥ هـ تقريباً ، ودُفِنَ بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧١ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٣٢ ، ٢٣٣] .

(٢) ما بين المعرفتين عن « م » .. والحديث في أُسْدِ الْغَابَةِ : « ما من عبد يسترعيه الله رعيَّةً ، يموت يوم يموت غاشياً لرعيته إلا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجنة » . أخرجه الثلاثة .

[انظر ج ٥ ص ٢٣٣ .. وقد رُوِيَ في مسلم بالرواية التي ذُكِرَتْ آنفاً عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، وكلا الروايين في مسلم] .

(٣) هو عبد الرحمن بن سُمُرَةَ بن حبيب بن عبد شمس القُرَشِيُّ ، أبو سعيد ، صحابي ، من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مُؤَتَةَ ، وسكن البصرة ، وافتتح « سجستان » وكابل ، وغيرها .. وولَّى « سجستان » وغزا « خراسان » ففتح بها قوفاً ، ثم عاد إلى البصرة فمات بها سنة ٥٠ هـ ، وقيل : سنة ٥١ هـ .. وإليه تُنسَبُ مَبَكَّةُ « سُمُرَةَ » بالبصرة .. وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة ، أو عبد كلال ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن » .

[انظر ترجمته في أُسْدِ الْغَابَةِ ج ٣ ص ٤٥٤ - ٤٥٦ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٤٣٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٠٢ ، والأعلام ج ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧] .

(٤) هكذا في « م » وفي صحيح مسلم .. وقد سقط الجار والمجرور « لي » من « ط » .

(٥) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « يا عبد الرحمن بن سُمُرَةَ » .

(٦) هكذا في « ط » وفي صحيح مسلم .. وفي « م » : « لا تَسْأَلِ عَنْ الْإِمَارَةِ » .

(٧) انظر الحديث في صحيح مسلم في كتاب الإمارة ، باب النبي عن طلب الإمارة والحرص عليها ج ١٢

ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ شرح النووي .. والبخاري في كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ، وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٢٥ بشرح جلال الدين السيوطي .

(٨) هو : عبد الرحمن بن صخر التُّوَسِيُّ ، وأبو هريرة لقبه ، صحابي ، وكان من أكثر الصحابة حفظاً =

سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَتَسْكُونُونَ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعِمَّتِ ^(١) الْمَرْضِعَةُ ، وَبَقَسَتْ الْفَاطِمَةُ » ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ ، [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) قُلْتُ : أَمَرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٤) ، قَالَ : « إِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ ^(٥) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(٦) .

= للحديث ورواية له .. وُلِدَ سنة ٢١ قبل الهجرة ، ونَشَأَ يَتِيمًا ضَعِيفًا ، وَقَدِمَ المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فَأَسْلَمَ سنة ٧ هـ ، ولَزِمَ صحبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يدور مع النبي حيث دار ، وَرَوَى عنه ٣٥٧٤ حديثًا ، نقلها عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابى وتابعى .. وولّى إمرة المدينة مُدَّةً ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، ثم رآه كَهْنَ العريكة ، مشغولاً بالعبادة ، فمزله ، وأراده بعد زمن على العمل ، فَأَتَى ، وكان أكثر مقامه بالمدينة ، وبها توفى سنة ٥٩ هـ .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٦١] .

(١) هكذا فى م ، و ط هـ ومنه النسائى .. وفى صحيح البخارى « فَنِعِمَّ » . وقد ضرب الله عليه وسلم الرَضِيعَةَ مثلاً للإمارة ، وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذى يهلم عليه لذاته ، ويقطع منافعها عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٩ ط الشعب ، وأخرجه النسائى فى سننه فى آخر كتاب البيعة ، فيما يكره من الحرص على الإمارة ج ٧ ص ١٦٢ ، وفى كتاب آداب القضاة ، باب ترك استعمال من يحرص على القضاء ج ٨ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ بشرح السيوطى] .

(٣) مابن المعوقين عن « ط » .. وأبو ذَرٍّ هو : جُنْدُبُ بْنُ جُنْدَةَ بن سفيان بن عبيد القفاثرى ، من كبار الصحابة ، قديم الإسلام ، أسلم بعد أربعة وكان خامساً ، يُضْرَبُ به المَثَلُ فى الصَّدْقِ ، ولم يكن تأخذه فى الحق لَوَمَةً لائم ، وهو أول من خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام .. هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام ، فأقام إلى أن توفى أبو بكر وعمر وَوَلَّى عِثَانَ ، فسكن دمشق ، وجعل يديه نحرى يرضى الفقراء على مشاركة الأغنياء فى أموالهم ، فشكاه معاوية (وكان والى الشام) إلى عِثَانَ (الخليفة) فاستقدمه عِثَانُ إلى المدينة ، فَقَبِدَتْهَا ، واستأنف نشر رأيه فى تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء ، فأمره عِثَانُ بِالرَّحْلَةِ إلى « الرِّبْدَةِ » - من قرى المدينة - فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢ هـ . وكان كريماً لا يحزن من المال قليلاً ولا كثيراً ، وَلَمَّا مات لم يكن فى داره ما يكفُرُ به .. رَوَى له البخارى ومسلم ٢٨١ حديثاً .

[انظر ترجمته فى الأعلام ج ٢ ص ١٤٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٥٦ - ١٧٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٩ - ٢٣٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ وج ٦ ص ٩٩ - ١٠١ ، والمعارف ص ٢٥٢ ، ٢٥٣] .

(٤) أَمَرَنِي : اجْعَلْنِي أميراً .. وفى صحيح مُسْلِمَ : « لَا تُسْتَعْمَلُنِي » وهى بمعناها .

(٥) فى رواية مسلم « يَخْزَى وَنَدَامَةٌ » .

(٦) انظر الحديث فى صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وفى طبقات ابن سعد فى ترجمة أبي ذر ج ٤ ص ٢٣١ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ ^(١) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً ^(٢) لِهَذَا الْأَمْرِ ، حَتَّى يَقَعَ فِيهِ » ^(٣) .

وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً ^(٤) ثُمَّ لَمْ يَحْطَهُمْ بِنُصْحِهِ كَمَا يَحُوطُ أَهْلُ بَيْتِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَعَثَ إِلَى عَاصِمٍ ^(٥) يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبَى ، وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِالْوَالِيِّ فَيُوقَفُ ^(٦) عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وُلِدَ ببُخَارَى سنة ١٩٤ هـ وقام برحلة طويلة في طلب الحديث ، فرار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع من نحو ألف شيخ ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث ، اختار منها في صحيحه ما وثق بِرَوَاتِهِ ، وهو أول مَنْ وَضَعَ في الإسلام كتاباً على هذا النحو .. وأقام في « بُخَارَى » فَمَضَى عليه جماعة وتناولوه ، بِاللَّيْتِيهِمْ ، فخرج من « بُخَارَى » إلى « نَخْرَثَان » - إحدى قُرَى سمرقند - وفيها وَافَقَهُ نَيْبَتُهُ سنة ٢٥٦ هـ . وكان - رحمه الله - حُجَّةً في الحفظ ومعرفة الأسانيد ، وكتابه في الحديث من أوثق الكتب السُّنَّة المعول عليها في الحديث .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٣٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤ - ٣٦ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٥٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٥٧ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ج ٢ ص ١١٥ - ١١٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨٨ - ١٩١] .

(٢) هكذا في « ط » وفي البخاري .. وفي « م » : « كَرَاهَةً » .

(٣) الحديث هنا مُتَّجِزٌ ، ورواه البخاري كاملاً في كتاب المناقب ج ٤ ص ٢٣٨ ط الشعب ، وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٤ ط دار المعرفة .

(٤) في « م » : « ما منَ والٍ على عشرة من أُمَرِ المسلمين شَيْئاً » .

والحديث في سنن الداريمى : « ما منَ أميرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى به يوم القيامة مغلوله يدها إلى عُقْبِهِ ، أطلقه الحق أو أوثقه » .

[انظر سنن الداريمى ، كتاب السير ، باب في التشديد في الإمارة ج ٢ ص ٢٤٠ ط دار إحياء السُّنَّة] .

(٥) هو : عاصمُ بْنُ سفيان الثقفى ، صحابى ، وكان يسكن المدينة .. والحديث مَزْوُى في « أَسَدُ الغَابَةِ » عن حَشْرَج بن بُتَّاه ، عن هشام بن حبيب ، عن بشر بن عاصم عن أبيه .. وَقَدْ ضَعُفَ حَشْرَجٌ وَجُرِّحَ .

[انظر أَسَدُ الغَابَةِ ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ، والضعفاء الكبير للمُعْتَلِّ ج ١ ص ٢٩٧ ، وكتاب الضعفاء الصغير للبُخَارَى ص ٧٩ ، ٨٠] .

(٦) في « م » : « فَيَقْدَفُ » .

سَبَّحَانَهُ ^(١) الْجِسْرَ فَيَنْتَفِضُ ^(٢) انْتِفَاضَةً ، فَيَزُولُ كُلُّ عَظِيمٍ مِنْهُ عَنْ مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٣) الْعِظَامَ فَتَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا ^(٤) ، ثُمَّ يُسْأَلُهُ ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى طَائِعاً ^(٥) أَخَذَ يَدَيْهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ ^(٦) مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِياً خَرَقَ بِهِ الْجِسْرَ فَيَهْوَى ^(٧) بِهِ فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفاً . فَقَالَ عُمَرُ : سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا لَمْ أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ سَلْمَانَ وَأَبُو ذَرٍّ ^(٨) حَاضِرَيْنِ ، فَقَالَ سَلْمَانُ :

(١) في « م » : « تعالى » بدل « سبحانه » .

(٢) في « م » : « ينفض » .

(٣) ما بين المقوسبتين عن « م » .

(٤) في « م » : « أماتها » .

(٥) في « م » : « مطيعاً » .

(٦) كِفْلَيْنِ : ضِعْفَيْنِ .

(٧) في « م » : « فهوى » .

(٨) أَبُو ذَرٍّ الْيَفَارِيُّ جُنْدُبُ بْنُ جُنْدَةَ .. مرت ترجمته .. وَسَلْمَانُ هُوَ : سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسابقُ الْقُرْسِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدَّمَهُ ، وَخَدَّثَ عَنْهُ ، وَكَانَ لِيَبِيّاً حَازِماً ، مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ وَعُبَادِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَكَانَ يُسَمَّى نَفْسَهُ : سَلْمَانَ الْإِسْلَامِ .. وَأَصْلُهُ مِنْ بَجُوسِ أَصْبَهَانَ ، عَاشَ عُثْمَرًا طَوِيلًا ، وَاخْتَلَفُوا فِيمَا كَانَ يُسَمَّى بِهِ فِي بِلَادِهِ .. وَقَالُوا : نَشَأَ فِي قَرْيَةٍ « جِيَان » وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ فَالْمَوْصِلَ ، فَتَصَيَّبَ ، فَصَمُورِيَّةَ ، وَقَرَأَ كُتُبَ الْقُرْسِ وَالرُّومِ وَالْيَهُودِ ، وَقَصِدَ الْعَرَبَ ، فَلَقِيَهُ زَكَبٌ مِنْ بَنِي « كَلْب » فَاسْتَحْلَمُوهُ ، ثُمَّ اسْتَحْلَمُوهُ وَبَاعُوهُ ، فَاشْتَرَاهُ رَجُلٌ مِنْ « قُرَيْظَةَ » فَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .. وَعَلِمَ سَلْمَانُ بِخَبَرِ الْإِسْلَامِ ، فَقَصِدَ النَّبِيَّ بِقَبَاءِ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَلاَزَمَهُ أَبَامًا وَأَلْفَى أَنْ يَتَحَرَّرَ بِالْإِسْلَامِ ، فَأَعَانَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى شَرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ صَاحِبِهِ ، فَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ .. وَكَانَ قَوِيًّا الْجِسْمَ ، صَحِيحَ الرَّأْيِ ، عَلَماً بِالْشَّرَائِعِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ الَّذِي ذَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُفْرِ الْخَنْدَقِ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ، حَتَّى اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، كَلَامَهُمَا يَقُولُ : سَلْمَانُ مِنَّا .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ » . وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَخْرًا لَا يَنْتَفِزُ . وَجُوِلَ أَمْرًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَأَقَامَ فِيهَا إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ ٣٦ هـ ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ كَصَدَقَةٍ بِهِ . وَكَانَ يَنْسِجُ الْخَوَاصِ ، وَيَأْكُلُ خَبِيزَ الشَّعِيرِ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ .

[انظر ترجمته في سمر أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٥ - ٥٥٨ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٨٥ - ٢٠٨ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤١٧ - ٤٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، والتاريخ الكبير للإمام البخاري ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٦٣ - ١٧١ ، وكتاب دول الإسلام ج ١ ص ٣١ والمعارف ص ٢٧٠ ، ٢٧١] .

إِى وَاللّٰهِ يَاعْمُرُ ، وَمَعَ السَّبْعِينَ سَبْعُونَ ^(١) خَرِيفاً فِي وَادٍ يَلْتَهَبُ النَّهَابُ . فَقَالَ عُمَرُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَنْ يَأْخُذْهَا بِمَا فِيهَا ؟ قَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَبَ اللّٰهُ أَلْفَهُ وَالصَّقَّ غَدَهُ بِالْأَرْضِ .

وَرَوَى أَنَّ الْعَبَّاسَ [رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ] ^(٢) قَالَ : أُمِّرَنِي يَارَسُولَ اللّٰهِ فَأَصِيبُ وَأُسْتَرِيضَ ^(٣) . فَقَالَ لَهُ : « يَاعَبَّاسُ ، يَاعَمُّ النَّبِيِّ [صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] نَفْسٌ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا . أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ ؟ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا لَذَامَةٌ ، وَآخِرُهَا حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ ^(٤) فِي السُّنَنِ : جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّٰهِ ، إِنَّ أَبِي

(١) هكذا في « م » على أنها مبتدأ مؤخر .. وفي « ط » : « سبعين » أى : مقدار سبعين ، فكلاهما صواب .

(٢) مابن المعقوفين عن « ط » في الموضعين .. والعبّاس هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، عمُّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن أكابر قُرَيش في الجاهلية والإسلام ، وجدُّ الخلفاء العباسيين ، وُلِدَ سنة ٥١ قبل الهجرة .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه : « هذا بنية آباءى ، أجود قريش كفاً ، وأوصلها ، وكان مُحسناً لقومه ، شديد الرأى ، واسع العقل ، مولعاً بإعتاق العبيد ، كارهها للرق ، اشترى ٧٠ عبداً وأعتقهم .. وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، وأقام بمكة يكسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة « حُتَيْن » فكان يَمُنُّ نبت حين انزعم الناس .. وشهد فتح مكة . وعُمِيَ في آخر عمره .. وكان إذا مرَّ بممر في أيام خلافته تَرَجَّلَ عمر إجلالاً له ، وكذلك عثمان .. توفى - رحمه الله - في المدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع .

[انظر ترجمته في أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٧ ، وسر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٨ - ١٠٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢١٠ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٦٢] .

(٣) فأصيب وأستريض : أُنال خيراً وأصلح حالاً .

(٤) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني ، أبو داود ، إمام أهل الحديث في زمانه ، وكان من العلماء العاملين ، أصله من سجستان ، وُلِدَ سنة ٢٠٢ هـ وطُوف البلاد ، وكتب عن العراقيين ، والحراسانيين ، والشاميين ، والمصريين . قال عنه الحافظ موسى بن هارون : خُلِقَ أبو داود في الدنيا للحديث ، وفي الآخرة للجنة ، وما رأيت أفضل منه - توفى - رحمه الله - سنة ٢٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٥٥ - ٥٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٩١ - ٥٩٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، والأعلام ج ٣ ص ١٢٢ ، وطبقات الفقهاء ص ١٧٢] .

عَرِيفٌ ^(١) عَلَى الْمَاءِ ، وَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ ^(٢) أَنْ تَجْعَلَ لِي الْعِرَاقَةَ مِنْ بَعْدِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعِرَاقَةُ فِي النَّارِ » ^(٣) .

وَرَوَى السَّاجِيُّ ^(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ الْجَائِرُ » ^(٦) . وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ^(٧) : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ مِنْ وَالٍ وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتَى ^(٨) بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٩) عَلَى الصِّرَاطِ ، ثُمَّ تَنْشُرُ الْمَلَائِكَةُ سِيرَتَهُ فَيَقْرَعُونَهَا ^(١٠) عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ، فَإِنْ كَانَ عَادِلًا ^(١١) نَجَّاهُ اللَّهُ [تَعَالَى] بِعَذْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْتَفَضَ بِهِ

(١) في « م » : « عَرِيفًا » بالنصب ، وهو خطأ ، والصواب بالرفع .. والعَرِيفُ : الْقِيمُ بِأَثَرِ الْقَوْمِ ، وَسَيُدْعَمُ .

(٢) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما ورد في رواية أبي داود .. وفي « ط » : « وَإِنِّي أَسْأَلُكَ » .

(٣) الحديث هنا مجتزأ ، وقد رواه أبو داود مُطَوَّلًا في كتاب الخراج والإمارة ، باب في العِرَاقَةِ ، وآخره : قَالَ : « إِنَّ الْعِرَاقَةَ حَقٌّ ، وَلَئِنْ لَلنَّاسِ مِنَ الْعِرَاقَةِ وَلَكِنَّ الْعِرَاقَةَ فِي النَّارِ » .

[انظر سنن أبي داود ج ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٤) هو : أَبُو يَحْيَى ، زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّاجِيُّ ، مِنْ الْخَفَاطِ الثَّقَاتِ ، وَمُحَدِّثُ الْبَصْرَةِ فِي عَصَرِهِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٢٠ هـ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٧ هـ عَنْ نَحْوِ تِسْعِينَ سَنَةً .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٤٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٠٩ ، ٧١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٦١٠ ، وطبقات الفقهاء ص ١١٤] .

(٥) مابن المقوفين عن « م » .. وأبو سعيد الخدري هو : سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري ، ولد سنة ١٠ قبل الهجرة ، وهو مشهور بكنيته .. كان من تلاميذ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وَرَوَى عَنْهُ ١١٧٠ حَدِيثًا ، وَغَرَا مَعَهُ ١٢ غَزْوَةً ، وَتَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧١ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٦٥ وج ٦ ص ١٤٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٣٢] .

(٦) الحديث أخرجه أبو نعيم في الْحِلْيَةِ في الجزء العاشر ص ١١٤ .

(٧) في « ط » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .. وقيل : كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَسْجُدْ لِصَلْتَمٍ قَطْ .

(٨) في « م » : « إِلَّا يُؤْتَى بِهِ » .

(٩) في « م » : « غَرَّ وَجَلَّ » .

(١٠) في « م » : « فَيَقْرَعُونَهَا » . وكلاهما صواب .

(١١) في « م » : « عَذْلًا » .. وما بين المقوفين بعدها ساقط من « ط » .

الصَّراطِ انْتِفَاضَةً صَارَ بَيْنَ كُلِّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ مَسِيرَةٌ سَنَةً ، ثُمَّ يَخْرُقُ بِهِ الصَّراطُ ، فَمَا يَلْقَى قَعَرَ جَهَنَّمَ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ ^(١) .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ^(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْقَاضِيَ يَزُولُ فِي مَرْلَقَةٍ ^(٣) أَبْعَدَ مِنْ عَدَنَ فِي جَهَنَّمَ » ^(٤) . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ ^(٥) شِدَّةِ الْحِسَابِ عَلَى مَا قَضَى حَتَّى يَوَدَّ ^(٦) أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ » ^(٧) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فَمَا يَلْقَى قَعَرَ النَّارِ إِلَّا بِحَرٍّ وَجْهِهِ » .. ويقال للرجل : حُرُّ الوجه ، أو سهل الوجه ، إذا لم يكن ظاهرَ الوجْنة . والوجْنة : ما ارتفع من الخُدَّينِ .

(٢) هو : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، وكان أعلم الأمة بالحلل والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أسلم وهو قتي ، وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وبهتة الرسول بعد غزوة « تبوك » قاضياً ومُرَشِّداً لأهل اليمن ، وأُرسل معه كتاباً إليه يقول فيه : « إني بعثت لكم خير أهل » ، فبقى في اليمن إلى أن تولى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وولي أبو بكر ، فعاد إلى المدينة .. ثم كان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام .. ولَمَّا أُصِيبَ أبو عبيدة (في طاعون غَمَاس) استخلف مُعَاذًا .. وأقره « عُمر » . ومات معاذ بهذا الطاعون سنة ١٨ هـ ، ودُفِنَ بناحية الأردن . وله ١٥٧ حديثاً وكان - رحمه الله - من أحسن الناس وجهاً ، ومن أَسْمَجِهِمْ كُفًا ، ومن كلام عمر : « لولا معاذ لهلك عمر » يَتَوَدَّ يَعْلَمُهُ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١٩٤ - ١٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٤] .

(٣) في « ط » : « لِيَزُولَ » أي : تنزلق قَدَمُهُ .. في مَرْلَقَةٍ : في موضع لا تثبت عليه قَدَمٌ - وهذا إذا كان غير عادل في قضائه - وَعَدَنٌ : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٤) هذا الحديث لم أقف عليه .

(٥) هكذا في « م » وفي السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ ، وفي اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ لابن الجوزي .. وفي « ط » : « في » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مَا يَوَدُّ » وسقط منها : « عَلَى مَا قَضَى » ولِ الْبَيْهَقِيِّ « مَا يَمْنَى ... قَط » .. وفي اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ : « مَا يَمْنَى أَلَّا يَكُونَ قَضَى بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي ثَمَرَةٍ قَط » .

(٧) الحديث أخرجه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١٠ ص ٩٦ ، والميمني في موارد الظمان - باب ماجاء في الأمراء ص ٣٧٦ ، وابن الجوزي في اللَّيْلِ الْمُتَنَاهِيَةِ ، في كتاب الأحكام والقضايا ج ٢ ص ٧٥٥ وص ٥٦ وقال : هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال العقيلي : عمران بن حطان - راوى هذا الحديث عن عائشة - لا يتابع على حديثه .. وقال الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣٥ - مُتَمَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وعلى قول الْعَقَلِيِّ : « كَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُلْحَقَ الضَّعْفُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِصَالِحٍ أَوْ يَمُنَّ بِهِ » - يعني : صالح بن سرج ، وهو الذي رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ عِمْرَانَ - فَإِنَّ عِمْرَانَ صَدُوقٌ فِي نَفْسِهِ .. وقال العجلي : تابعي ثقة .. وقال قتادة : كان لا يُتَّقَمُّ فِي الْحَدِيثِ .

وَرَوَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لِيَسْتَعْمِلَهُ ^(١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خِرْ لِي ^(٢) . فَقَالَ : اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ .

وَرَوَى ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَيُودُنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرَيَّا ^(٤) وَلَمْ يَكُونُوا أُمَرَاءَ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَمْ مِنْ مُتَحَوِّلٍ ^(٥) فِي مَالِ اللَّهِ ، وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ غَدًا » ^(٦) .

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَأَتْنَالَهُمَا ^(٧) شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِمَامٌ ظَالِمٌ غَشُومٌ ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ مِنْهُ » .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) : مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤَمِّرُ عَلَى عَشْرَةِ إِلَّا جِئَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا ^(٩) نَجَاهُ عَمَلُهُ أَوْ أَهْلَكَهُ ^(١٠) . وَقَالَ طَاوُوسٌ ^(١١) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ

(١) في « ط » : يستعمله .

(٢) أَى : اختر لى .

(٣) في « م » : « » وفى الحديث .

(٤) الثريا : مجموعة من النجوم فى صورة الثور ، وكَلِمَةُ « النجم » عَلِمَ عليها .

(٥) مُتَحَوِّلٌ : مُتَعَدِّلٌ .

(٦) الحديث أخرجه البيهقى بمعناه فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٧ ، وابن حبان فى صحيحه فى كتاب السُّرُج ص ٧ عن أبى هُرَيْرَةَ ، مع اختلاف يسير فى لفظه ، وموارد الظمان للهيثمى ، باب ما جاء فى الأمراء ص ٣٧٥ .

(٧) فى « م » : ينالهما .

(٨) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٩) مغلولاً : مُقَيِّداً بطوق من حديد .

(١٠) الحديث رواه البيهقى فى سننه فى كتاب آداب القاضى ج ١٠ ص ٩٦ وآخره : « حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » .. وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن أبى الذُّرَّاءِ : « ما بين وإلى ثلاثة إلا لَقِيَ الله مَغْلُولاً مِمَّنْهُ ، فَكُهُ غَذْلُهُ أَوْ غَلَّهُ حُزْرُهُ » .

(١١) هو : طاووس بن كَيْسَانَ الْخَوْلَانِيُّ ، أبو عبد الرحمن ، أحد الأعلام التابعين ، كان فقيهاً جليل القدر ، نبهه الذكر ، وراوية للحديث ، وُلِدَ سنة ٣٣ هـ ، وكانت فيه جُرْأَةٌ على وعظ الخلفاء والملوك .. ثُوِّفَ حاجاً بالمُزْدَلِفَةِ - أو بَمَنَى - سنة ١٠٦ هـ ، وصل عليه هشام بن عبد الملك ، وكان حاجاً فى تلك السنة .. وكان - رحمه الله - بأبى القُرْب من الملوك والأمراء . قال أبو عُبَيْدَةَ : مُتَجَبِّوُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةَ : أَبُو ذُرٍّ ، وطاووس ، والثورى . [انظر ترجمته فى الأعلام ج ٣ ص ٢٢٤ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣ - ٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٠٩ - ٥١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٠ وطبقات الفقهاء ص ٦٥ ، وللمعارف ص ٤٥٥] .

الْمَلِكِ : هَلْ تَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) ؟ مَنْ أَشْرَكَهُ اللَّهُ فِي مُلْكِهِ فَجَارَ فِي حُكْمِهِ . فَاسْتَلْقَى سُلَيْمَانُ عَلَى سَرِيرِهِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ ، وَمَا زَالَ يَتَكَبَّرُ حَتَّى قَامَ عَنْهُ جُلُوسًاؤُهُ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَكُونَ أَمْرَاءُ فَجَرَةٍ ، وَهَرَاءُ كَذَبَةٍ ، وَأَمْنَاءُ خَوَافَةٍ ، وَعُلَمَاءُ فَسَقَةٍ ، وَغُرَفَاءُ ظُلْمَةٍ ^(٢) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ ^(٣) : مَا أَزْدَادَ رَجُلٍ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا ، وَلَا كَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَتْ شَيَاطِينُهُ ^(٤) ، وَلَا كَثُرَ مَالُهُ إِلَّا كَثُرَ حِسَابُهُ .

وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ عِلْمٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِعِلْمٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ » ^(٥) . رَوَاهُ بُرَيْدٌ ^(٦) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) في (م) : « يوم القيامة غداً ؟ قال سليمان : قال طاروس .. » .

(٢) فَسَقَةٌ : جَمْعُ فَاسِقٍ ، وَهُوَ الْعَاصِي .. وَظُلْمَةٌ : جَمْعُ ظَالِمٍ .

(٣) هو : عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو عَاصِمٍ ، مُخَدَّمٌ ثَقَفٌ ، وَمِنْ كِبَارِ تَابِعِي أَهْلِ مَكَّةَ .. كَانَ عَابِدًا وَعَاقِلًا .. تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - سَنَةَ ٦٨ هـ تَقْرِيبًا .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٦٦ - ٢٧٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٩٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٧ ، والمعارف ص ٤٣٤] .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : « وَلَا كَثُرَ أَتْبَاعُهُ إِلَّا كَثُرَ شَيْطَانُهُ » .

(٥) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ ج ٢ ص ٧٧٦ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ آدَابِ الْقَاضِي ج ١٠ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْأَقْضِيَةِ ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، وَالْحَافِظُ فِيهِنَّ الدِّينَ الْحَنَبِيُّ فِي « الْمُحَرَّرِ » فِي أَوَّلِ كِتَابِ الْقَضَاءِ ج ٢ ص ٦٣٧ ط دار المعرفة .

(٦) فِي (م) : « يُزِيدُ » تَحْرِيفٌ .

وَبُرَيْدٌ هُوَ : بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصْبِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيُّ ، مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ « بَدْرِ » وَلَمْ يَشْهَدْهَا ، وَشَهِدَ خَيْبَرَ ، وَضَعَّ مَكَّةَ ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِلَقَاتِ قَوْمِهِ .. مَكَانَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ إِلَى « مَرْو » وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ٦٣ هـ . لَهُ ١٦٧ حَدِيثًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٠ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٢ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧] .

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ ^(١) : جَاءَ صَيْبَانٌ إِلَى عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ ^(٢) يَتَخَايَرُونَ ^(٣) إِلَيْهِ فِي التَّوَحُّجِ ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِيهَا وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ وَلَا أَتَوَلَّى حُكْمًا أَبَدًا ^(٤) . وَتَخَايَرَ غِلْمَانٌ ^(٥) إِلَى ابْنِ عُمَرَ ^(٦) فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى ^(٧) كِتَابَتِهِمْ وَقَالَ : هَذَا حُكْمٌ ، وَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ .

وَالْمُصْتَفُونَ يُرْسِلُونَ فِي كُتُبِهِمْ حَدِيثًا مَرْفُوعًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَدِمَ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٨) فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ » ^(٩) . وَفِي أَتَجَارِ الْقَضَاةَ أَنَّ قَاضِيًا قَدِمَ إِلَى بَلَدٍ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَتَبْلَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا ^(١٠) فَقَدْ ذُبِحَ

(١) هو : أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، وكان أصم .. تابعي ، وُلِدَ بالبصرة سنة ٣٣ هـ ونشأ بها ، وكان يعمل بزازًا ، وهو من أشراف الكتاب ، تفقه ، ورَوَى الحديث ، واشتهر بالزُّورِ وتعبير الرُّؤيا ، واستكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مؤلفًا لأنس . وتوفي - رحمه الله - بالبصرة سنة ١١٠ هـ . ويُنسَبُ إليه كتاب « تعبیر الرؤيا » و « مُنتخب الكلام في تفسير الأحلام » .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ١٥٤ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٨٢ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٣١ - ٣٣٨ ، وطبقات الفقهاء ص ٩٢ ، ٩٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، والمعارف ص ٤٤٢ ، ٤٤٣] .

(٢) هو : غُبَيْدَةُ بْنُ قَيْسٍ (أَوْ عَمْرُو) السَّلْمَانِيُّ الرُّمَيْدِيُّ ، تابعي ، أسلم بايمن أيام فُضَحِ مَكَّةَ ، ولم يَرِ النَّبِيَّ ، ﷺ . وكان عربف قومه . وهاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، وحضر كثيرًا من الوقائع - وتفقه وروى الحديث ، وكان يوازي « شريحًا » في القضاء . وقد رَوَى عنه ابن سيرين ، والشَّعْبِيُّ ، والنَّخَعِيُّ ، وغيرهم . توفي - رحمه الله - سنة ٧٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٩٨ ، والمعارف ص ٤٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) يتخايرون إليه : يتحاكمون إليه أيهم أخير .

(٤) كلمة « أَبَدًا » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٥) في « ط » : « غِلْمَانٌ » .. خطأ .

(٦) هو : عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقد مرت ترجمته .

(٧) في « م » : « دِي » بدل « دِلِي » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « قَدِمَ للقضاء » . أي : اجترأ عليه ، أو رَضِيَ به .

(٩) رواه أبو داود في أول كتاب الأفضية عن أبي هريرة ، وأوله : « مَنْ وَلِيَ القضاء .. » . وفي رواية : « مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ » ج ٣ ص ٢٩٧ . وأخرجه البيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ج ١ ص ٩٦ . وأخرجه ابن الجوزي في الملل المتناهية ج ٢ ص ٧٥٦ وابن ماجه في كتاب الأحكام ج ٢ ص ٧٧٤ وغيرهم .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَنْ قَدِمَ للقضاء » .

بغير سيكين ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَبَلَّغْكَ أَنَّ أُمُورَ النَّاسِ ^(١) ضَائِعَةٌ فِي بِلَدِنَا فَجِئْتُ تُجِيرُهَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ أَفَأَكْرَهَكَ ^(٢) السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنِّي لَا أَطُ لَكَ مَجْلِسًا ، وَلَا أُؤَدِّي عِنْدَكَ شَهَادَةً أَبَدًا .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ ، زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ ^(٣) ، جَذِلُ الظَّاهِرِ ^(٤) ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، فَإِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ^(٥) ، وَنَضَبَ عُمُرُهُ ^(٦) ، وَمُجِيَ ظِلُّهُ ^(٧) حَاسِبَهُ اللَّهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَّ عَفْوَهُ .

وَذَكَرَ السُّلْطَانُ لِأَعْرَابِيٍّ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ عَزُّوْا فِي الدُّنْيَا بِالْجَوْرِ ، لَقَدْ ذُلُّوْا فِي الْآخِرَةِ بِالْعُدْلِ ، وَبِقِلِيلٍ فَإِنْ رَضُوا عَنْ كَثِيرٍ ^(٨) بَاقٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّدَمُّ حِينَ ^(٩) لَا يَنْفَعُ التَّدَمُّ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ^(١٠) : حَيَّ قَوْمَ فَمَاتَ صَاحِبُ لَهُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ^(١١) فَلَمْ

(١) في « م » : « أمور المسلمين » .

(٢) في « م » : « فأكرهك » .

(٣) أَشْرَبَ قَلْبُهُ الْإِشْفَاقَ : ادَّعَى مَالِيَسَ فِيهِ .. وَيَسْخَطُ الْكَثِيرَ : يَمْنَعُهُ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، وَمِنَ الْحَدِيثِ : « إِنَّ اللَّهَ يَسْخَطُ لَكُمْ كَذَا » أَيْ : يَكْرَهُهُ لَكُمْ ، وَيَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ، وَيَعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ .

[انظر لسان العرب - مادة : سخط] .

(٤) جَذِلُ : فَرِحَ .

(٥) وَجِبَتْ نَفْسُهُ : اُغْثَتْ وَتَعَبَتْ .

(٦) نَضَبَ عُمُرُهُ : نَفَذَ .

(٧) مُجِيَ ظِلُّهُ : مَاتَ .

(٨) في « م » : « من كثير » .

(٩) في « م » : « حيث » بدل « حين » .

(١٠) لم أقف على ترجمة مفصلة له .. وذكر الذهبي - في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٩٦ - أنه : « أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم ، لا بُرَيْدَةَ بن أبي مريم ، ولا يزيد بن أبي مريم ، ولا سعيد بن أبي مريم ، فالثلاثة ثقات » أنه . وهذا يوحى بأن الأول (أبو بكر) غير ثقة .
(١١) أرض فلانة : أرض واسعة مُقْفَرَةٌ .

يَجِدُوا مَاءً ، فَأَتَاهُمُ رَجُلٌ ، فَقَالُوا : دُلُّنَا عَلَى الْمَاءِ . قَالَ : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(١) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ^(٢) صَرَّافًا وَلَا مَكَّاسًا وَلَا عَرِيفًا وَأَنَا ^(٣) أَدُلُّكُمْ عَلَى الْمَاءِ . فَحَلَفُوا لَهُ ثَلَاثًا ^(٤) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا ، فَدَلَّهُمْ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ ^(٥) : عَاوِنَا عَلَى غُسْلِهِ . فَقَالَ ^(٦) : اخْلِفُوا لِي ثَلَاثًا ^(٧) وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ ذِكْرُهُ - فَحَلَفُوا لَهُ ، فَأَعَانَهُمْ عَلَى غُسْلِهِ ، ثُمَّ قَالُوا : تَقَدَّمْ وَصَلِّ عَلَيْهِ . قَالَ : لَا ، حَتَّى تَحْلِفُوا لِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ يَمِينًا - كَمَا تَقَدَّمُ - ^(٨) فَحَلَفُوا لَهُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْفَتَحُوا فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا ، وَكَانُوا ^(٩) يَرَوْنَ أَنَّهُ الْخَصِرُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ^(١٠) : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، وَإِمَامًا ضَلَالَةً ، وَمُمْتَلٍ مِنَ الْمُمْتَلِينَ » ^(١١) .
وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَيَّامٍ ^(١٣) : « اغْضُلْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ثلاثة » خطأ ، لأن السياق يستدعي تذكير العدد ، لأن المعلوم « يمين » مؤنث .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « لم يكن فيكم » أي : الميت .

(٣) هكذا في « م » .. وزاد في « ط » : « ولا يريدا - وروى : وَلَا عَرِيفًا - فَأَنَا ... » .
الصراف : الصيرفي والثقاد ، وهو المستأمن على أموال الخزانة ، يقبض ويصرف ما يستحق .
والمكاس : الذي يحصل المكوس (الضرائب) من التجار .

والبريد : الرسول . والعرف : المنجم أو الكاهن .. أما العريف فقد سبق شرحه .

(٤) في « م » : « ثلاثة » خطأ .

(٥) في « م » : « قالوا : عَاوِنَا » بدون « ثم » .

(٦) في « م » : « قال » .

(٧) في « م » : « ثلاثة » خطأ .

(٨) هكذا في « م » و « ط » بزيادة « يمين » عما تقدم .. وسقطت من « ط » عبارة : « فحلّفوا له » .

(٩) في « ط » : « وكان » .

(١٠) هو الصحابي عبد الله بن مسعود - وقد مرت ترجمته .

(١١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، في باب أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة . وجملة : ومثل من الممثلين لم ترد فيه ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه ليث بن أبي سليم ، وهو مُتْلَس ، وبتمة رجاله ثقات .
[انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٣٩] .

(١٢) في « م » : الرسول .

(١٣) في « ط » : « ست أيام » والصواب « ستة » .

يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ ^(١) . ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ قَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِ سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَإِذَا ^(٢) أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ ، وَلَا تَسْأَلُنْ أَحَدًا ^(٣) وَإِنْ سَقَطَ سَوْرَتُكَ ، وَلَا تُثَوِّبَنَّ أَمَانَةً ^(٤) وَلَا تُثَوِّبَنَّ يَتِيمًا ، وَلَا تَقْضِيَنَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ^(٥) .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي ^(٦) أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ، وَإِنِّي أُرَاكَ ضَعِيفًا ، فَلَا ^(٧) تَتَأَمَّرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ ، وَلَا تَلْبِسَنَّ مَالَ يَتِيمٍ » ^(٨) .

وَرَوَى أَبُو ذَرٍّ أَيْضًا قَالَ ^(٩) : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ ^(١٠) لِي : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَكَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » ^(١١) .

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ^(١٢)

(١) أى : فى الأيام الستة .

(٢) فى « ط » : « فَإِذَا » .. وفى نص الحديث ، فى البيان والتعريف : « فى سرائرك » بدل « فى أمر سِرِّكَ » .

(٣) فى البيان والتعريف : « ولا تسأل أحدًا شيئاً » .

(٤) فى البيان والتعريف : « ولا تقيض أمانة » .

(٥) الحديث أخرجه ابن حمزة الحسنى فى « البيان والتعريف » وأخرجه أحمد عن أبى ذرٍّ - رضى الله عنه - وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .

[انظر المصدر السابق ص ١٨٧ ، ١٨٨] .

(٦) « إني » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٧) فى « ط » وفى نص الحديث : « ولا » .

(٨) فى نص الحديث : « ولا تؤوبن » . والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢١٠ ، والمحقق همس الدين الحنبلى فى « المغرر » ج ٢ ص ٦٣٨ ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(٩) سقطت « قال » من « ط » .

(١٠) فى « م » : « وقال : يا أبا ذرٍّ .. » وفى صحيح مسلم : « ثم قال : يا أبا ذرٍّ » .

(١١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ج ١٢ ص ٢٠٩ ، والبيهقى فى سننه ، فى كتاب آداب القاضى ، باب كراهية الإمارة ج ١٠ ص ٩٥ .

(١٢) فى « م » : « النسي » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى الْيَمَنِ وَأَنَا حَدِيثُ السَّنِّ ، فَقُلْتُ ^(١) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تَبْعْتُنِي إِلَى قَوْمٍ شَوْجَ ذَوَى أَسْتَانِ ^(٢) ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ ^(٣) قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ، فَإِذَا جَلَسَ الْخُصْمَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الْآخِرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَقْضِي » ^(٤) .. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : كَيْفَ نَهَى أَبَا ذَرٍّ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَمَرَ عَلِيًّا بِالْقَضَاءِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ [وَمَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَطَرِ ؟] ^(٥) ، وَمَارَوْى بِأَنَّ ^(٦) مَنْ قُدِّمَ لِلْقَضَاءِ فَقَدْ دُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ ؟ وَفِيهِ الْبُعْدُ عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَالتَّيْمُنُ بِمُشَاهَدَتِهِ ^(٧) ، وَتَعْلُمُ سُنَنِيهِ وَشَرَائِعَ دِينِهِ ، وَالتَّحَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَشَيْمِهِ ^(٨) ؟ وَابْيَهَا أَفْضَلُ : الْمُثُولُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكُونُ ^(٩) بِحَضْرَتِهِ ، وَمُشَاهَدَتُهُ ^(١٠) وَالصَّلَاةُ حَلْفُهُ ، أَوْ الْقَضَاءُ فِي غَيْبِهِ مَعَ الْبُعْدِ عَنْهُ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا نَهَى أَبَا ذَرٍّ لِمَعْنَى فِيهِ يَقْصُرُ بِهِ عَنْ رُبُوبَةِ الْقَضَاءِ ، مِمَّا كَانَ ضِدَّهُ فِي عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١١)] مِنْ اسْتِجْمَاعِ شَرَائِطِ الْقَضَاءِ ، وَقُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَاهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ لِعَلِيٍّ : إِنْ اللَّهَ هَادٍ قَلْبِكَ . وَقَالَ لِأَبِي ذَرٍّ : إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا [ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِهِ : « إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » فَاسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مِنْ ^(١٢) اسْتِجْمَاعَتِهِ فِيهِ شُرُوطُ الْقَضَاءِ ، وَكَانَ قَرِيبًا عَلَى إِنْفَاقِهِ ، لَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ النَّهْيِ .

(١) فِي « م » : « فَقَالَ » . خَطَأً مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) ذَوَى أَسْنَانٍ ، أَيْ : كِبَارٌ ، ذَوَى حَنَكَةٍ وَخَبْرَةٍ .

(٣) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « هَادِي » بِالْيَاءِ .. وَفِي نَصِ الْحَدِيثِ : « سَهْدِي » .

(٤) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ آدَابِ الْقَاضِي ج ١٠ ص ٨٦ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، فِي كِتَابِ الْأَقْضِيَةِ ، بَابِ كَيْفِ الْقَضَاءِ ج ٣ ص ٣٠٠ ط الدار المصرية .

(٥) مَابَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .. وَالتَّغْيِيرُ : خِلَافَةُ السَّنِّ — كِتَابَةُ عَنْ عَدَمِ الدَّرَايَةِ بِالْأُمُورِ .

(٦) فِي « م » : « أَنْ » .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « بِالْمُشَاهَدَةِ » .

(٨) فِي « ط » : « بِالْمُشَاهَدَةِ » .. وَالتَّيْمُنُ : جَمْعُ شَيْئَةٍ ، وَهِيَ الطَّيْمَةُ وَالْجَبِيلَةُ الَّتِي تُحَلِّقُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا .

(٩) الْكُونُ بِحَضْرَتِهِ : الِجْرَادُ مَعَهُ .

(١٠) فِي « ط » : « وَمُشَاهَدَةُ » .

(١١) جُمْلَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ « ط » .. وَمَابَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ بَعْدَهَا عَنْ « م » وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(١٢) فِي « م » : « عَلَى مَنْ » .

وَمِمَّا يُعَدُّ ضَعْفًا عَنِ الْقَضَاءِ طَلَبُهُ إِيَّاهُ ، إِذْ لَمْ يَدْرِ عَوَاقِبُهُ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُنْسَرَّعَ إِلَى الْأَمَانَةِ ^(١) بِالْجَهْلِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ^(٢) وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ^(٣) 》 . أَيْ : ظَلُومًا لِنَفْسِهِ ، جَهُولًا بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ . وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ : رَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَلَمْ يَقْضِ بِهِ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ ، فَقَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ ^(٤) 》 . قُلْتُ : فَهَذَانِ الرَّجُلَانِ ضَعِيفَانِ عَنِ رُبِّيَّةِ الْقَضَاءِ : أَحَدُهُمَا يَغْشَاهُ ^(٥) وَظُلْمِهِ ، وَالْآخَرُ بِجَهْلِهِ .

وَقَدْ عَابَتْ جَهْلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ « طَالُوتَ » فَقَالُوا : ﴿ أَلَيْ يَكُونُ لَكَ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وَلَمْ يَأْتِكْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ^(٦) 》 فَعَابُوهُ بِخَصْلَتَيْنِ : الْفَقْرِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ ^(٧) الْمَمْلُوكَةِ . فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ^(٨) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ^(٩) 》 . فَبَيَّنَ شُرُوطَ الْوِلَايَاتِ ^(١٠) وَالْمَمَالِكِ ، وَأَنَّهَا

(١) في « م » : الأمانات .

(٢) هكذا الآية في « ط » .. وهي الصواب .. وفي « م » : « أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا » وسقطت منها : « وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا » منها .

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٧٢ .

(٤) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب في القاضي يخطيء ج ٣ ص ٢٩٧ ط الدار المصرية ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجهد فيصيب الحق ج ٢ ص ٧٧٦ ط المكتبة العلمية ، والبيهقي في سننه ، في كتاب آداب القاضي ، باب إثم مَنْ أَقْبَى أَوْ قَضَى بِالْجَهْلِ ج ١٠ ص ١١٦ ورواه غيرهم .

(٥) في « م » : بفسقه .

(٦) سورة البقرة - من الآية ٢٤٧ . وألئى يكون .. الخ أى : كيف يكون ملكاً علينا وهو فقير وضعيع النسب ؟

(٧) السَّبْطُ مِنَ الْيَهُودِ ، كَالْقَبِيلَةِ مِنَ الْعَرَبِ .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « النَّبِيُّ ﷺ » .. وَنَبِيُّهُمْ هُوَ : صموئيل (أو شمعون) .

(٩) في « م » : الآية وهي الآية السابقة نفسها من سورة البقرة ، وزادَهُ بَسْطَةً ، أى : سَعَةً وامتداداً وفضيلة .

(١٠) في « م » : الولاية .

تَفْتَقِرُ ^(١) إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي بِهِ يُحْكَمُ ، وَإِلَى الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا تُنْفَذُ ^(٢) الْأَحْكَامُ ، دُونَ مَا ظَنَّهُ
بَنُو إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ : الْقَضَاءُ فِي غَيْبَتِهِ أَوْ الْحُضُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ ، فَالْجَوَابُ : أَنَّ أَوَامِرَهُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) فَرَضَ ، يُعْصَى بِتَرْكِهِ ، وَالْكَوْنُ فِي
حَضْرَتِهِ مُسْتَحَبٌّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَلَا يُعْصَى ^(٤) بِتَرْكِهِ ، فَعَلِمْنَا بِهَذَا أَنَّهُ إِنَّمَا بَعَثَ عَلَيْنَا
[رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) لِلْقَضَاءِ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سُكْنَاهُ بِحَضْرَتِهِ ، لِأَنَّهُ مُبْلَغٌ عَنْهُ إِلَى
الْمَخْلَاقِ شَرِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهَا ^(٦) ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ فِي ذَلِكَ ، يُدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ أَوْجَبَ
الْجَنَّةَ لِمَنْ قَضَى بِالْحَقِّ .

(١) فِي « م » : « أَمَّا مُفْتَقِرَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « يَنْفَذُ » .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضَيْنِ عَنْ « ط » .

(٤) فِي « ط » : « لَا يُعْصَى » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضَيْنِ عَنْ « ط » .

(٦) فِي « م » : « بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا » .

البَابُ الرَّابِعُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) مُلْكِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَجْهِ طَلَبِهِ الْمُلْكَ
وَسُؤَالِهِ أَنْ لَا يُؤْتَى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

قَالَ ^(٢) : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لِيَبْتَلِيَ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، فَطَلَبَ الْمُلْكَ ، ثُمَّ زَادَ
عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ لَا يُؤْتَى مُلْكُهُ أَحَدٌ مِنْ ^(٣) بَعْدِهِ ، وَكَانَ ظَاهِرُهُ يُؤْذِنُ بِالْبُخْلِ . وَالْكَلَامُ
عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ وَجْهِهِ ، أَخَذَهَا : أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ هَذَا بَعْدَ أَنْ سَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) مُلْكُهُ
ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَيْهِ ، فَجِئِنَ طَلَبَ الْمُلْكَ كَانَ مِلْكًا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْمُلْكَ الَّذِي جَدَّدْتُهُ
لِي ، هَبْ لِي عَلَى صِفَاتٍ لَا أَعْصِيكَ فِيهَا ^(٥) فَتَسْلُبْنِي إِيَّاهُ وَتُعَاقِبْنِي . يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ بَدَأَ
بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ أَيُّ : مُلْكًا لَا أَعْصِيكَ ^(٦) فِيهِ
فَتَوَاحَدَنِي ، وَالذَّلِيلُ عَلَى صِحِّهِ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « في معرفة » .

(٢) هكذا في « ط » .. والقاتل هو : سليمان ، عليه السلام .. والآية يتقاهما في سورة ص - ٣٥ : « قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لِيَبْتَلِيَ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ » .. وفي « م » : « فَإِنْ قَالَ لَنَا قَاتِلُ : أَلَيْسَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ ... » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « بَأَنْ لَا يُؤْتَى مِنْهُ أَحَدًا » .

(٤) مابين المعقوفين عن « ط » . وقد أشرنا من قبل إلى قصة سَلَبِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٥) فيها ، أَيُّ : فِي الصِّفَاتِ .. وفي « م » : « لَا أَعْصِيكَ فِيهِ » أَيُّ : فِي الْمُلْكَ .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا أَعْصِيكَ فِيهِ » .

حِسَابٍ ﴿١﴾ ، فَكَأَنَّهُ أَجَابَ دُعَاءَهُ فَقَالَ : تَصَرَّفَ كَيْفَ شِئْتَ ، فَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنْ أُعْطِيتَ أُجْرَتُ ، وَإِنْ أُنْسَكْتَ فَلَا ثَبَعَ (٢) عَلَيْكَ فِيهِ . وَهَذَا تَخْصِيصٌ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ (٣) السَّلَامُ ، وَلَمْ يُحْصَ بِهِ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ سِوَاهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ (٤) : ﴿ قَوْلُكَ لَتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَمَعْنَاهُ (٦) : لَا أَسْأَلُهُ فِي بَاقِي عُمْرِي بَصِيرَ لِعُمْرِي كَمَا سَأَلْتُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِي . وَقِيلَ : لَا تَسْلُطُ (٧) عَلَى فِيهِ شَيْطَانًا يَثُلُ الَّذِي (٨) قَدْ سَلَطْتَ عَلَى . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ عِلْمًا لَهُ (٩) عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَقَبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَكُونَ آيَةً لِتُبَيِّنَ ، وَعِلْمًا عَلَى مُعْجِزَتِهِ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ (١٠) : كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مَلِكًا ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ تَسْخِيرَ الرِّيَّاحِ وَالطَّيْرِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ ﴾ (١١) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ . وَقِيلَ : إِنَّ

(١) سورة « ص » - الآية ٣٩ .

(٢) الثَّبَعَةُ : الْعَاقِبَةُ .

(٣) فِي « ط » : عَلَيْهِمَا .

(٤) فِي « ط » : قَالَ لِلْخَلْقِ .

(٥) سورة الْحَجْرِ - الْآيَاتَانِ : ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : وَأَمَّا قَوْلُهُ : لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ ، فَقَالَ عَطَاءٌ : مَعْنَاهُ ..

(٧) فِي « م » : « تَسْلُطُ » . لَا تَصَحُّ .

(٨) فِي « م » : « يَثُلُ مَسْطُطٌ » .

(٩) سَقَطَتْ « لَه » مِنْ « ط » .

(١٠) هُوَ : مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ بَشِيرِ الْأَزْدِيِّ ، الْبَلْخِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ أَعْلَامِ الْمُفسِّرِينَ ، وَأَصْلُهُ مِنْ بَلْخٍ ، وَانْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ فَحَدَّثَ بِهَا .. وَهُوَ مُتَّهَمٌ ، مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ .. قَالَ عَنْهُ ابْنُ حِبَّانَ : « كَانَ يَأْخُذُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِي يُوَافِقُ كُتُبَهُمْ ، وَكَانَ يُعَذِّبُ الرَّبَّ بِالْمَخْلُوقَاتِ ، وَكَانَ يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ » . اِهـ .
- توفى بالبصرة سنة ١٥٠ هـ .

[انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ ، والجرح والتعديل للرازي ج ٨ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٦٠ - ١٦٩ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ١٧٣ - ١٧٥ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٨١] .
(١١) الآية بتمامها في سورة « ص » - ٣٦ : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ رُخَاءً : كَيْفَةً .. أَصَابَ : أَرَادَ .

سُلَيْمَانَ كَانَ مُلْكُهُ فِي خَائِمِهِ ، وَلِهَذَا ذَهَبَ مُلْكُهُ بِدَهَابٍ خَائِمِهِ ، فَقَالَ : ﴿ لَا يَنْبَغِي لِأَعْدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ بِعْنَى : اجْعَلْ مُلْكِي فِي نَفْسِي لَا فِي خَائِمِي ، حَتَّى لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، فَإِنْ إِبْلِيسَ لَمَّا أَخَذَ خَائِمَ سُلَيْمَانَ ، تَحَوَّلَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ إِلَى إِبْلِيسَ ، وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ يَحْكُمُ فِيهِ ، حَتَّى انْكَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُ ، وَكَانَ قَدْ أَلْفَى عَلَيْهِ شَبَّهُهُ .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّيُّ ^(١) : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُ النَّهْوِ ، يُدَلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى سَلَامَانُ الشَّعْبَانِيُّ ^(٢) قَالَ : بَلَّغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ سُلَيْمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ تَحْشَعًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » ^(٣) .

وَرَأَى غَيْرُهُ : إِنَّمَا أَرَادَ مُلْكُ النَّفْسِ وَقَهْرُهَا لِئَلَّا يَقْتَرِنَ بِالْمَمْلَكَةِ ، وَلِهَذَا قَدَّمَ سُؤَالَ الْمَغْفُورَةِ عَلَى طَلَبِ الْمَمْلَكَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْوُعَاظِ : إِنَّمَا أَرَادَ : حَتَّى اتَّقِيَمَ لِأَدَمَ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتِهِ ، حَيْثُ كَانَ سَبَبًا فِي إِخْرَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) قَالَ : « إِنْ عَفَرْنَا مِنَ الْجِنِّ جَعَلْتُ عَلَى ^(٦) الْبَارِحَةِ لِيَقْطَعَ عَلَى صَلَاتِي ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُمَكَّنَنِي مِنْهُ »

(١) هو : عمرو بن عثمان بن كُزَّاب ، أبو عبد الله المكي .. صوفي عالم بالأصول ، من أهل مكة ، له مصنفات في التصوف ، وأجوبة لطيفة في العبارات والإشارات .. زار أصبهان ، ومات ببغداد - وقيل بمكة - سنة ٢٩٧ هـ على الأرجح .

[انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٠ - ٢٠٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٢ ، وحلقة الأولياء ج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٦ ، والأعلام ج ٥ ص ٨١ ، ٨٢] .

(٢) أصله كتب التراجم والأعلام المعروفة ، ولم أقف عليه .

(٣) في « ط » : « اللَّهُ تَعَالَى » .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ ج ٦ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ من فتح الباري .. ورواه أيضاً في كتاب التفسير ، باب ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ ج ٨ ص ٤٥٦ .. والراوي لهما : أبو هريرة .

(٥) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) اليفريت : الثمرد من الإنس أو الجن .. وَيَقْتُلُ عَلَى : يعرض لى فلتة ، أى : بختة .. ولى « م » : « يَنْقَلِبُ » تحريف .

فَصَرَعْتُهُ ^(١) ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا ^(٢) إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَلَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : ﴿ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ فَرَدَّ اللَّهُ خَاسِعًا ^(٣) .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنْ حَفِظْتُ عَلَىكَ ﴾ ^(٤) ، قُلْتُ : يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ ^(٥) الْآيَةِ أَنَّ مَنْ حَصَلَ ^(٦) بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ لَا يَغْرِفُ قَدْرَهُ ، أَوْ أُمِّيَّةٌ لَا يَغْرِفُونَ فَضْلَهُ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ إِبْرَارَ فَضْلِهِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْهَهُمْ عَلَى مَكَانِهِ وَمَا يُحْسِنُهُ ، دَفْعًا لِلشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ ، فَيُجْعَلَ فِي مَكَانِهِ ^(٧) . وَفِيهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الْأُمُورَ فِي يَدِ الْخَوَاتِمِ وَاللُّصُوصِ ، وَمَنْ لَا يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ ، وَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ مَعَ الْكِفَايَةِ ^(٨) ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى أَمَانَتِهِ وَكِفَايَتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : مَنْ كَمَلَتْ فِيهِ آلَاتُ الْجَاهِدِ ^(٩) ، وَشُرُوطُ الْقَضَاءِ ، جَازَ لَهُ أَنْ يُنْبِئَ السُّلْطَانَ عَلَى مَكَانِهِ ، وَيَخْطُبَ خُطْبَةَ الْقَضَاءِ ^(١٠) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ يَجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي يَدِ ^(١١) مَنْ لَا يَقُومُ بِهِ .

(١) لفظة « فصرعته » لم ترد في نص حديث البخاري .

(٢) هكذا في صحيح البخاري وغيره .. وفي « ط » : « حتى يصبح فتظرون » .. وفي « م » : « حتى تصبح فتظرون » . والسارية : العمود .

(٣) خاسعاً : صاغراً ذليلاً .

(٤) سورة يوسف - الآية ٥٥ .

(٥) منقطت « هذه » من « ط » .

(٦) حصل : ثبت .

(٧) في « ط » مكانة .

(٨) الكفاية : الاستغناء عن الغير .

(٩) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « مَنْ كَمَلَ فِيهِ الْجَاهِدُ » . وَكَمَلْتُ ، بفتح الميم : ثبُت .. وبضمها : ثبتت فيه صفات الكمال .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَيَخْطُبُهُ خُطْبَةُ الْقَضَاءِ » أي : بطلبها .

(١١) في « ط » : « فِي يَدَيْ » . انظر إلى الشروط التي يصح معها أَنْ يُقْلَدَ الْإِنْسَانُ الْقَضَاءَ فِي كِتَابِ « الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ » لِلْمَاوَرِدِيِّ - الْبَابُ السَّادِسُ فِي وَلايَةِ الْقَضَاءِ ص ٥٩ - ٦٨ ط دار الفكر .

البَابُ الحَامِسُ

فِي فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ ^(١) إِذَا عَدَلُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ^(٢) .
 يَعْْنِي : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَامَ السُّلْطَانَ فِي الْأَرْضِ ، يَدْفَعُ الْقَوِيَّ عَنِ الضَّعِيفِ ، وَيَنْصِفُ
 الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، لِأَهْلِكَ الْقَوِيَّ الضَّعِيفَ ، وَتَوَاتَبَ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَلَا
 يَنْتَظِمُ لَهُمْ حَالٌ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ ، فَتَفْسُدُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا . ثُمَّ آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى
 عَلَى الْخَلْقِ بِإِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣)
 يَعْْنِي : فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ، فَيَأْمَنُ النَّاسُ بِهِ فَيَكُونُ فَضْلُهُ عَلَى الظَّالِمِ كَفَّ يَدِهِ عَنِ
 الْمَظْلُومِ ، وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ أَمَانَهُ وَكَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ ^(٤) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) قَالَ : ﴿ ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ :
 الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ﴾ ^(٦) .

(١) فِي د م : : الْقَضَاةُ وَالْوَلَاةُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ - مِنَ الْآيَةِ ٢٥١ .

(٣) مِنَ الْآيَةِ وَالسُّورَةِ السَّابِقَةِ .

(٤) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي ط : : وَفَضْلُهُ عَلَى الْمَظْلُومِ كَفَّ يَدَ الظَّالِمِ عَنْهُ .

(٥) فِي ط : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ كَامِلًا فِي كِتَابِ الصِّيَامِ ، بَابُ فِي الصَّائِمِ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ .. وَتَكْمِلَتُهُ : « وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
 بِرَفْعِهَا اللَّهُ دُونَ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : يَهْرُقِي لِأَنْصَرِّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .

[انظر سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٧٧] .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ ^(٢) ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ^(٣) ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا ، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ ^(٤) بَيْنَهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ » ^(٥) .

وَرَوَى كَثِيرٌ بَنُ مَرَّةٍ ^(٦) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِذَا عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَى الرُّعْيَةِ الشُّكْرُ ، وَإِذَا جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْإِصْرُ ^(٨) وَعَلَى الرُّعْيَةِ الضَّبْرُ » ^(٩) .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « .. » في المسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه .

(٣) سقطت « عليه » من « ط » .

(٤) في « م » : « ما أنفقت » .

(٥) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأذان ، باب « مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ » . [انظر فتح الباري ج ٢ ص ١٤٣] .. وأخرجه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، وغيرهما .. وأخرجه مالك في موطئه في كتاب الشُّعَر ، باب ماجاء في المتحابين في الله ج ٢ ص ٩٥٢ ، ٩٥٣ ط دار الكتاب اللبناني .. وأخرجه الحافظ همام الدين الحنظلي في « المهر » ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .. والترمذي في صحيحه ، في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ بشرح ابن العري ، والنسائي في سننه في كتاب آداب القضاة - الإمام العادل ج ٨ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ بشرح جلال الدين السيوطي .

(٦) هو : كثير بن مرة الحضرمي الجنبسي .. كان إماماً طالماً للعلم ، أدرك سبعين بديراً ، وحدث عن معاذ ، وأبي الثرداء ، وعبادة بن الصامت وطبقتهم .. وحدث عنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وسليم بن عامر ، وغيرهم .. وقال عنه النسائي : لا بأس به .

[انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، وطبقات الحفاظ ص ٢٣ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٥٧] .

(٧) في « ط » : « عليه السلام » .

(٨) الإصر : الإثم والمعقوبة .

(٩) في « علل الحديث » للإمام الرازي قال : « سألت أبا [الإمام أبي حاتم الحنظلي] عن حديث رواه خالد بن خديش ، عن أبي عون بن أبي ربيعة ، عن غيلان بن جبر ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » قال أبي : هذا حديث مُتَّكِر ، وابن أبي ربيعة مجهول .. وقد أورد الميداني هذا الحديث مجتزئاً في الباب الثلاثين ، في تَبَيُّنٍ من كلام النبي ﷺ ، قال : « السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ =

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ ^(١) قَالَ : « لَعَمَلُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَائِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ سَنَةٍ » ، أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً ^(٢) .
وَقَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ^(٣) : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ رَجُلٍ فِي بَيْتِهِ سِتِينَ سَنَةً » .
وَقَالَ مَسْرُوقٌ ^(٤) : لِأَنِّ أَقْضَى يَوْمًا بِالْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُغْزَوْ سَنَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(٥) .

= مظلوم .. وأورده الألبشبي في المُستطرف ، في الباب الرابع عشر ، عن عمر ، رضي الله عنه ، قال : قلت للنبي ﷺ : أعزني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب ، وخضعت له الأجساد ما هو ؟ قال : « ظل الله في الأرض ، فإذا أحسن قلبه الأجر ، وعليكم الشكر ، وإذا أساء فعله الإصر ، وعليكم الصبر » .. وكذا ورد منسوباً إلى كعب الأحبار [في ص ٢٠٠ من المرجع نفسه] : « سِجِلُ كَعْبِ الْأَحْبَارِ عَنِ السُّلْطَانِ ، فَقَالَ : « ظل الله في أرضه ، مَنْ ناصحه اهتدى ، وَمَنْ غَشَّه ضَلَّ » .. وورد أيضاً في الصفحة نفسها منسوباً إلى حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه : « لا تسبوا السلطان ، فإنه ظل الله في الأرض ، به يقوم الحق ، ويظهر الدين ، وبه يرفع الظلم ، ويهلك الفاسقين » . وأورده الماوردي في كتابه « نصيحة الملوك » في الفصل الأول ، ولم ينسبه ، بل قال : « .. وكذلك قيل : السلطان ظل الله في الأرض » .

[انظر طلل الحديث ج ٢ ص ٤٠٩ ، وجميع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٨٨ ، والمُستطرف ج ١ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ (الباب الرابع عشر) ، ونصيحة الملوك للماوردي ص ٧٤] .

(١) في (١٨) : « رَوَى » .. ويرفعه : ينسب إلى قائله ، وهو : النبي ﷺ ..

(٢) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب بأكثر من رواية ، ويتصرف يسر في ألفاظه ج ٣ ص ١٦٧ ط الدار المصرية .. ولى العقد الفريد ج ١ ص ١٠ في كتاب اللؤلؤة في السلطان .. والماوردي في نصيحة الملوك ص ٣٦٠ وأورده البيهقي في سننه الكبرى ، باب فضل الإمام العادل ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » [ج ٨ ص ١٦٢] .

(٣) هو : قيس بن سعد بن عبادة بن ذؤيب الأنصاري الخزرجي المدني ، صحابي ، وابن صحابي ، كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمور ، وكان صاحب لواء النبي ﷺ في بعض مغازيه ، وكان كريماً ، ومن ذوى الرأي .. صاحب علياً في خلافة ، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ . وحارب في « صيفين » مع علي ، ثم كان مع الحسن بن علي ، حتى صالَحَ معاوية ، فرجع إلى المدينة ، وتولى بها سنة ٦٠ هـ . وقيل : تولى في أول ولاية عبد الملك بن مروان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٧ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٢ - ١١٣ والمحرر ص ١٥٥] .

(٤) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الممداني ، الوادعي ، أبو عائشة ، تابعي ثقة ، من أهل اليمن ، وكان أبوه شاعراً .. قَدِمَ المدينة في أيام أبي بكر ، رضي الله عنه ، وسكن الكوفة ، وشهد حروب علي ، كَرَّمَ الله وجهه ، وكان أعلم بالفتيا من شَرِيع (القاضي) وشرائع أبصر منه بالقضاء .. ولَقِيَ عُثْرَ بن الخطاب فقال له : ما اسئلك ؟ قال : مسروق بن الأجدع . فقال عمر : إن الأجدع شيطان ، بل أنت ابن عبد الرحمن ، فكان يُعْرَفُ بذلك .. توفي - رحمه الله - سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٣٢] .

(٥) من أول قوله : « وقال مسروق » : إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

وَرَوَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مُصْعَبِ بْنِ شَرَحِبِيلٍ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ صَفْوَانَ ^(٣) ، قَالُوا لِسَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ^(٤) : لَقَضَاءُ يَوْمٍ بِالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَلَاتِكَ عُمْرَكَ .

وَسَيَبْضُحُ لَكَ صِحَّةُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا نَالَتْهُ الرَّعِيَّةُ مِنَ الصَّلَاحِ بِصَلَاحِ السُّلْطَانِ . وَاعْلَمْ أَرَشَدَكَ اللَّهُ ^(٥) - أَنَّ الْإِنْسَانَ أَعَزُّ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا ، وَأَغْلَاهَا ^(٦) قَدَرًا ، وَأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً ، وَبِالسُّلْطَانِ صَلَاحُ الْإِنْسَانِ ، إِذَا فَهَوُ أَعَزُّ أَغْلَاقٍ ^(٧) الدُّنْيَا وَأَعْمَقُهَا نَفْعًا وَبَرَكَهَةً ^(٨) ، وَلِذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَيْنِ : دَارَ الدُّنْيَا ، وَدَارَ الْآخِرَةِ . ثُمَّ كَانَ ^(٩) السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدَّارَتَيْنِ ، فَأَخْلَقَ بِشَخْصٍ يَعْمُ نَفْعُهُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ ، وَيَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَنْ يَكُونَ شَرَفُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، كَمَا كَانَ قَدْرُهُ فِي الْعُقُولِ جَسِيمًا ^(١٠) ، وَمَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ كَرِيمًا ، كَمَا كَانَ نَفْعُهُ لِلْعِبَادِ عَمِيمًا ^(١١) ، وَعَلَى قَدْرِ عُمُومِ

(١) هو : سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (الصحابي) وأمه بنت سعد بن أبي وقاص . كان قاضي المدينة (زمن هشام) وتوفي بها سنة ١٢٧ هـ وهو ابن اثنتين وتسعين سنة .
[انظر المعارف ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٢) هو : أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، واسمه : عبد الله ، كان قاضيًا يُحْمَلُ عنه الحديث .. توفي - رحمه الله - سنة ٩٤ هـ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . ويقال : توفي سنة ١٠٤ هـ .
[انظر المصدر السابق ، وانظر طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٤] .

(٣) هو : محمد بن صفوان بن عبد الله بن أمية بن خلف الجُمَحِي .. وَلَمَّا قَضَاءُ الْمَدِينَةِ سنة ١٠٦ هـ .
[انظر جبهة أنساب العرب ص ١٦١ والكمال في التاريخ ج ٤ ص ١٩٦ ، ١٩٧] .

(٤) سعيد بن سليمان : عالم ، مُخَدَّث ، وردت له ترجمة في كتاب الجرح والتعديل للرازي ، وقد روى عن أبيه (سليمان بن زيد بن ثابت) وَرَوَى عنه الزهري ، ومالك بن أنس ، وعقيل . توفي - رحمه الله - سنة ١٣٢ هـ .
[انظر الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢٥ ترجمة ١٠٣] .

(٥) في م : : دَعَزَكَ اللَّهُ ، .

(٦) في م ط : : وَأَغْلَاهَا .

(٧) أَغْلَاق : نفائس .

(٨) في م ط : : دَعَزَهَا بَرَكَهَةً ، .

(٩) في م ط : : دَعَزْتُ لَهَا كَانَ ، .

(١٠) جَسِيمًا : ذا مكانة عالية .

(١١) هَكَذَا في م : : دَعَزْتُ لَهَا كَانَ نَفْعُهُ عَمِيمًا ، .

الْمُنْفَعَةِ تَشْرُفُ الْأَعْمَالُ ، وَعَلَى قَدْرِ النِّعْمَةِ تَكُونُ الْمِثَّةُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَعْمُ خَلْقِ اللَّهِ تَفْعًا ؟ فَهُمْ أَجَلُ خَلْقِ اللَّهِ قَدْرًا لِأَنَّهُمْ تَعَاوَنُوا إِصْلَاحَ الْخَلْقِ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، كَذَلِكَ سُلْطَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، هُوَ خَلَافَةُ النَّبِيِّ فِي إِصْلَاحِ الْخَلْقِ وَدُعَائِهِمْ إِلَى فَنَاءِ الرَّحْمَنِ ^(١) ، وَإِقَامَةِ دِينِهِمْ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ^(٢) .

وَلَيْسَ فَوْقَ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَنَزِلَةٌ إِلَّا نَبِيُّ مُرْسَلٍ ، أَوْ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ ، فَاتَّخِذْ عِظَمَ قَدْرِ السُّلْطَانِ [عِنْدَكَ] ^(٣) حُجَّةً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِكَ ، وَنَاصِحَةً ^(٤) عَلَى قَدْرِ مَا تَقَعُكَ . وَلَيْسَ نَفْعُهُ مَقْصُورًا عَلَى عَجَالَةٍ ^(٥) مِنْ خُطَامِ الدُّنْيَا يَخْبُوكَ بِهَا ^(٦) ، وَلَكِنْ صِيَانَةُ جُمُوعِكَ وَحِفْظُ ^(٧) حَرِيمِكَ ، وَحِرَاسَةُ مَالِكَ عَنِ الْبَغَاةِ ، أَعْمُ نَفْعًا لَكَ إِنْ عَقَلْتَ ^(٨) . وَلَيْسَ لِلَّهِ [فِي الْأَرْضِ] ^(٩) سُلْطَانٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ شَرَائِطَ الْعَدْلِ وَمَوَالِيْقَ الْإِنصَافِ ، وَشَرَائِعَ الْإِحْسَانِ .

وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ رُتْبَةٌ ، كَذَلِكَ لَيْسَ دُونَ رُتْبَةِ السُّلْطَانِ الشَّرِيرِ الْجَائِرِ ^(١٠) رُتْبَةٌ لِشَرِيرٍ ، لِأَنَّ شَرَّهُ يَنْعَمُ ، كَمَا أَنَّ خَيْرَ الْأَوَّلِ يَنْعَمُ ، وَكَمَا أَنَّ بِالسُّلْطَانِ الْعَادِلِ تَصْلُحُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُنَالُ الرُّلْفَى ^(١١) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْفَوْزُ بِجَنَّةِ

(١) فَنَاءِ الرَّحْمَنِ : سَاحَتِهِ وَرَحَابَتُهُ - جَلَّ وَعَلَا .

(٢) تَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ : إِزَالَةَ أَعْوَجَاجِهِمْ ، وَإِصْلَاحَ حَالِهِمْ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » .

(٤) أَيْ : قَدَّمَ لَهُ النَّصِيحَ .

(٥) الْمَعَالَةِ : مَا يُعْجَلُ مِنَ الشَّيْءِ .

(٦) يَخْبُوكَ بِهَا : يَحْتَصِلُكَ بِهَا .

(٧) فِي « ط » : « وَصِيَانَةُ حَرِيمِكَ » .. وَبَرِيدُ بَصِيَانَةِ جُمُوعِكَ : يَحْفَظُ نَفْسِكَ وَحِمَايَا .

(٨) إِنْ عَقَلْتَ : إِنْ أَفْزَحَكَتِ الْأَشْيَاءُ عَلَى حَقِيقَتِهَا .. وَفِي « م » : « إِنْ قُدِّرَتْ » .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ « م » وَسَاقِطٌ مِنْ « ط » .

(١٠) فِي « م » : « الشَّرِيرُ الْجَائِرُ » .

(١١) الرُّلْفَى : الْقُرْبَى وَالْمَنْزِلَةُ .

النَّامُوسُ ، كَذَلِكَ بِالسُّلْطَانِ الْجَائِرِ تَفْسُدُ الْبِلَادُ وَالْعِبَادُ ، وَتُقْتَرَفُ الْمَعَاصِي وَالْآثَامُ ، وَتُورَثُ دَارُ الْبَرَارِ ^(١) ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا عَدَلَ انْتَشَرَ الْعَدْلُ فِي رِعْيَتِهِ ، فَأَقَامُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ، وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَزِمُوا قَوَانِينَ الْعَدْلِ ، فَمَاتَ الْبَاطِلُ ، وَذَهَبَتْ رُسُومُ الْحَوْرِ ، وَانْتَعَشَتْ قَوَانِينُ الْحَقِّ ، فَأَرْسَلَتِ السَّمَاءُ غَيْثَهَا ^(٢) ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا ، وَنَمَتْ بَجَارَاتُهُمْ ، وَزَكَتْ زُرُوعُهُمْ ^(٣) ، وَتَنَاسَلَتْ أَنْعَامُهُمْ ، وَدَثُرَتْ أَرْزَاقُهُمْ ^(٤) ، وَرُخِصَتْ أَسْعَارُهُمْ ، وَامْتَلَأَتْ أَوْعِيَتُهُمْ ، فَوَاسَى الْبَخِيلُ ^(٥) ، وَأَفْضَلَ الْكَرِيمُ ^(٦) ، وَقُضِيَتِ الْحُقُوقُ ، وَأُعِيرَتِ الْمَوَاعِينُ ، وَتَهَادَوْا فَضُولَ الْأَطْعِمَةِ وَالتَّحِفِ ، فَهَانَ الْحُطَامُ لِكَثْرَتِهِ ^(٧) ، وَذَلَّ بَعْدَ عِزَّتِهِ ، فَتَمَاسَكَتْ عَلَى النَّاسِ مُرُوءَاتُهُمْ ، وَانْحَفَظَتْ عَلَيْهِمْ أَذْيَانُهُمْ .

وَبِهَذَا يَبَيِّنُ ^(٨) لَكَ أَنَّ الْوَالِيَّ مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ مِنْ إِقَامَةِ الْعَدْلِ ، وَمَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ ^(٩) النَّاسُ بِسَبَبِهِ ، وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ انْتَشَرَ الْجَوْرُ فِي الْبِلَادِ ، وَعَمَّ الْعِبَادَ ، فَزَكَتْ أَذْيَانُهُمْ ^(١٠) ، وَاضْمَحَلَّتْ مُرُوءَاتُهُمْ ، فَفَشَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي ، وَذَهَبَتْ أَمَانَاتُهُمْ ، فَضَعُفَتِ النُّفُوسُ ^(١١) ، وَقَطَطَتِ الْقُلُوبُ ^(١٢) ، [فَتَمَنَعُوا الْحُقُوقَ ، وَتَعَاطَوْا

(١) دار البوار : دار الهلاك (جهنم) .

(٢) الغيث : المطر .. وفي م : « غياثها » أى : ما أُغِيثَ به .

(٣) زَكَتْ زُرُوعُهُمْ : نَمَتْ وَزَادَتْ .

(٤) دَثُرَتْ أَرْزَاقُهُمْ : كَثُرَتْ وَزَادَ خَيْرُهَا .

(٥) وَاسَى الْبَخِيلُ : أَغْطَى مِنْ مَالِهِ .

(٦) أَفْضَلَ الْكَرِيمُ : زَادَ فِي إِحْسَانِهِ .

(٧) الْحُطَامُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا .

(٨) فِي وَط : « يَبَيِّنُ » .

(٩) مَا جُورَ عَلَى مَا يَتَعَاطَاهُ : سَيَالُ جَزَاءِ مَا تَنَاهَا لَهُ وَقَامَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا عِنْدَ رَبِّهِ .

(١٠) جَارَ : ظَلَمَ .. زَكَتْ أَذْيَانُهُمْ : ضَعُفَتْ عَقَائِدُهُمْ .. اضْمَحَلَّتْ : تَلَاشَتْ .

(١١) هَكَذَا فِي وَط .. وَفِي م : « وَذَهَبَتْ أَذْيَانُهُمْ ، وَتَضَعُضَتِ النُّفُوسُ » أى : ضَعُفَتْ وَذَلَّتْ .

(١٢) قَطَطَتِ الْقُلُوبُ : يَوْسَتْ أَشَدَّ الْيَأْسِ .

الْبَاطِلَ] ^(١) ، وَبَحَسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ ، ^(٢) فَرَفَعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَةَ ،
وَأَمْسَكَتِ السَّمَاءُ غَيْكَهَا ^(٣) ، وَلَمْ تُخْرِجِ الْأَرْضُ رَيْعَهَا ^(٤) وَبَثَّاتُهَا ، فَقُلَّ فِي أَيْدِيهِمْ
الْحُطَامُ ، فَقَنَطُوا ، وَأَمْسَكُوا الْفَضْلَ الْمَوْجُودَ ، وَتَنَاحَرُوا ^(٥) عَلَى الْمَفْقُودِ ، فَمَنَعُوا
الرِّكَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ ، وَبَخِلُوا بِالْمُؤَاسَاةِ الْمَسْتَوْثَى ، وَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْمَكَارِمِ ،
وَتَنَازَعُوا الْإِقْدَارَ اللَّطِيفَ ، وَتَجَاحَدُوا الْقَدَرَ الْحَسِيسَ ، فَقَسَتْ فِيهِمُ الْإِيمَانُ الْكَاذِبَةُ ،
وَالْحَتْلُ فِي الْبَيْعِ ^(٦) ، وَالْخِدَاعُ فِي الْمُعَامَلَةِ ، وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ فِي الْقَضَاءِ وَالْإِقْتِضَاءِ ،
وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ السَّرِقَةِ إِلَّا الْعَارُ ، وَمِنَ الرَّيِّ إِلَّا الْحَيَاءُ ، فَيَظِلُّ أَحَدُهُمْ عَابِيًا مِنْ ^(٧)
مَحَاسِنِ دِينِهِ ، وَمُتَجَرِّدًا عَنْ جَلْبَابِ مُرُورَتِهِ ، وَأَكْثَرُ هَمِّهِ قَوْتُ دُنْيَاهُ ، وَأَعْظَمُ مَسَرَّاتِهِ
أَكْلُهُ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ ^(٨) . وَمَنْ عَاشَ كَذَلِكَ قَبِطُنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ظَهْرِهَا ^(٩) .

قَالَ ^(١٠) وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : إِذَا هَمَّ الْوَالِي بِالْجَوْرِ ^(١١) ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ النَّقْصَ
فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ : فِي الْأَسْوَأِ ، وَالزَّرْعِ ، وَالضَّرْعِ ^(١٢) ، وَكُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِالْخَيْرِ
وَالْعَدْلِ ، أَوْ عَمِلَ بِهِ ، أَدْخَلَ اللَّهُ الْبَرَكَةَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ كَذَلِكَ .

(١) ما بين المعرفتين عن « ط » و « م » .

(٢) بَحَسُوا الْمِكْيَالَ : نَقَصُوا وَغَابَرَهُ .. وَجَوَّزُوا الْبَهْرَجَ : قِيلُوا وَلَمْ يَرُدُّوهُ . وَالْبَهْرَجُ : الْبَاطِلُ .. وَفِي « م » :
« وَرَوَّجُوا الْبَهْرَجَ » أَيْ : زَيَّنُوا الْبَاطِلَ وَجَمَلُوهُ بِرُوحِ .

(٣) فِي « م » : غِيَاثُهَا .

(٤) الرَّيْعُ : الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ .

(٥) تَنَاحَرُوا : تَنَاحَرُوا وَخَرَصُوا .. وَبِالزَّيْءِ الْمُجْمَعَةِ : تَدَافَعُوا وَتَنَاقَلُوا .. وَفِي « ط » : « تَنَاحَرُوا عَنِ الْمَفْقُودِ » .

(٦) الْحَتْلُ : الْخُدَيْعَةُ . وَفِي « م » : « الْجَيْلُ » . وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٧) فِي « ط » : « عَابِيًا عَنْ » .

(٨) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « أَعْظَمُ مَسَرَّاتِهِ هَذَا الْحُطَامُ » .

(٩) فِي « ط » : « ظَاهِرُهَا » .

(١٠) فِي « م » : « وَقَالَ » .

(١١) فِي « م » : « بِالظُّلْمِ » .. وَالْجَوْرُ وَالظُّلْمُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١٢) أَصْلُ الضَّرْعِ : مَسَرُّ اللَّبَنِ ، لِكُلِّ ذَاتِ ظَلِيفٍ أَوْ نُحْفٍ .. وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : الْمَاشِيَةُ . وَفِي « م » : « وَالزَّرْعُ وَالضَّرْعُ » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : تَهْلِكُ الْعَائِمَةُ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا تَهْلِكُ الْخَاصَّةُ بِعَمَلِ الْعَائِمَةِ ، وَالْخَاصَّةُ هُمُ الْوُلَاةُ ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١) : ﴿ وَالْقَوَا قِتَّةٌ لِّلْأَظْفَارِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ^(٢) .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ ^(٣) : إِنَّ الرُّعِيَّةَ لَتَفْسَدُ بِفَسَادِ الْوَالِي وَتَصْلَحُ بِصَلَاحِهِ ^(٤) .
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ : إِنِّي لَا غِلْمَ رَجُلًا إِنْ صَلَحَ صَلَحَتِ الْأُمَّةُ .
قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنْ مَلَكَ مِنَ الْمُلُوكِ خَرَجَ يَسِيرٌ فِي مَمْلَكَتِهِ مُسْتَخْفِيًا ^(٥) ، فَتَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ لَهُ بَقَرَةٌ ، فَرَاخَتْ الْبَقَرَةُ ^(٦) ، فَحَلَبَتْ لَهُ قَدْرَ حِلَابٍ ^(٧) ثَلَاثِينَ بَقَرَةً ، فَعَجِبَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ ، وَحَدَّثَ ^(٨) نَفْسَهُ بِأَخْذِهَا ، فَلَمَّا رَاخَتْ ^(٩) مِنَ الْعِدِّ حَلَبَتْ عَلَى التَّنْصِيفِ مِمَّا حَلَبَتْ بِالْأَمْسِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا بَالُ حِلَابِهَا تَقْصُ ؟ أَرَعَتْ فِي غَيْرِ مَرْعَاهَا بِالْأَمْسِ ^(١٠) ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَظُنُّ مَلِكَنَا هُمْ ^(١١) بِأَخْذِهَا فَتَقْصُ لَبْنُهَا ، فَإِنَّ

(١) في م : تعال .

(٢) سورة الأنفال - من الآية ٢٥ .

(٣) هو الوليد بن هشام بن معاوية بن عقبة المُنْعِطِي ، مُحَدَّثٌ ثَقِيٌّ ، وَثِقَةُ ابْنِ مَعِينٍ ، وَالْعَجَلِي ، وَالْأَوْزَاعِي ، وَابْنُ حِبَّانٍ . رَوَى عَنْ مَعْدَانَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَوْزَاعِي .. وَكَانَ مِنَ الْقَادَةِ الْفَرَاةِ ، قَادَ الصُّوَالِفَ أَيَّامَ الْوَلِيدِ .. وَوَلَّى أَبَوَاهُ الطَّائِفَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص ١١٥ ، والبدایة والنهایة ج ٩ ص ١٠٠ ، والکامل فی التاریخ ج ٤ ص ١٣١ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٣١٦] .

(٤) في م : لتصلح بمصلاح الولي ، وتفسد بفساده .

(٥) مكثا في ط .. وفي م : مُسْتَخْفِيٌّ بِمَكَانِهِ .. والصواب : مُسْتَخْفِيٌّ ، بالنصب على الحال .

(٦) راخت البقرة : أوث بعد الغروب إلى مُزَاجِهَا ، أَيْ : مَاوَاهَا .

(٧) الْحِلَابُ : اللَّبَنُ (تسمية بالمصدر) .

(٨) في م : وَهَمَّتْ نَفْسُهُ .

(٩) في ط : رَاخَتْ عَلَيْهِ .

(١٠) بِالْأَمْسِ ، عَنْ (ط) وَسَقَطَتْ مِنْ (م) .

(١١) في م : أَنَّ مَلِكَنَا .

الْخَلِيجَ مُطْلَقًا لِلرَّعِيَّةِ ، وَالسَّمَكُ فِيهِ يَغْلَى الْمَاءُ بِهِ كَثْرَةً ، وَيَصِيدُهُ ^(١) الْأَطْفَالُ بِالْخَرْقِ ^(٢) ، ثُمَّ حَجَرَهُ الْوَالِي وَمَنَّعَ النَّاسَ مِنْ صَيْدِهِ ، فَذَهَبَ السَّمَكُ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يُرَى فِيهِ إِلَّا الْوَاحِدَةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَهَكَذَا تَتَعَدَّى سَرَائِرُ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمُهُمْ وَمَكْنُونُ ^(٣) ضَمَائِرِهِمْ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ ^(٤) .

وَرَوَى أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ فِي كُتُبِهِمْ ، قَالُوا : كَانَ النَّاسُ إِذَا أَصْبَحُوا فِي زَمَانِ الْحِجَاجِ فَلَاقُوا ^(٥) ، يَتَسَاءَلُونَ : مَنْ قُتِلَ الْبَارِحَةَ ؟ وَمَنْ صُلِبَ ؟ وَمَنْ جُلِدَ ؟ وَمَنْ قُطِعَ ؟ وَأَمثالُ ذَلِكَ .. وَكَانَ الْوَلِيدُ ^(٦) صَاحِبَ ضَيَاعٍ وَالْخَازِنُ مَصَانِعَ ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ فِي زَمَانِهِ عَنِ الْبَنِيَانِ وَالْمَصَانِعِ [وَالضِّيَاعِ] ^(٧) ، وَشَقُّ الْأَنْهَارِ ، وَغَرْسُ الْأَشْجَارِ .. وَلَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ^(٨) - وَكَانَ صَاحِبَ نِكَاحٍ وَطَعَامٍ - كَانَ ^(٩) النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْأَطْعِمَةِ الدَّقِيقَةِ ^(١٠) ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي الْأَنْكِحَةِ وَالسَّرَارِي ، وَيَعْمُرُونَ مَجَالِسَهُمْ بِذِكْرِ ذَلِكَ .. وَلَمَّا وَلِيَ عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١١) كَانَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ : كَمْ

(١) في « م » : « وتصيده » .

(٢) الْخَرْقُ : جَمْعُ خَرْقَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الثِّيَابِ الْمُتَرَقَّةِ .

(٣) السَّرَائِرُ : جَمْعُ سَرِيرَةٍ ، وَهِيَ مَا يُكْتُمُ وَيُسَرُّ .. وَالْعَزَائِمُ : جَمْعُ عَزِيمَةٍ ، وَهِيَ مَا يُعَزَّمُ عَلَيْهِ ، وَيُرَادُ فِعْلُهُ .. وَالْمَكْنُونُ : الْمُسْتَوْر .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » وَكِلَاهُمَا لَهُ وَجْهٌ فِي اللَّفْظِ .

(٥) فِي « ط » : « يَتَلَاوَنَ » . وَالْحِجَاجُ هُوَ : الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ التَّقْفِي . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٦) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٨) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٩) فِي « ط » : « فَكَانَ » .

(١٠) فِي « م » : « الرِّقِيقَةُ » .

(١١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

تُحَفِّظُ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ وَكَمْ وَرَدَ (١) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ؟ وَكَمْ يَحْفَظُ فُلَانٌ ؟ وَمَتَى يَحْتِمُ ؟
 وَكَمْ يَصُومُ (٢) مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

(١) الْوَرْدُ : النَّصِيبُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الذِّكْرُ .

(٢) فِي فِطْرَةِ : تَصُومُ .

البَابُ السَّادِسُ
فِي أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَ رَعِيَّتِهِ مَغْبُونٌ
غَيْرُ غَابِنٍ ، وَخَاسِرٌ غَيْرُ رَاجِحٍ

اعْلَمْ أَنَّ ^(١) السُّلْطَانَ خَطَرُهُ عَظِيمٌ ، وَبَلِيَّتُهُ عَامَّةٌ ، وَقَدْ يَطْرُقُهُ ^(٢) مِنَ الْآفَاتِ وَيَحْتَوِشُهُ ^(٣) مِنَ الْأُمُورِ الْمُهْلِكَاتِ مَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ [تَعَالَى] ^(٤) مِمَّا حَمَلَهُ ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا عَصَمَهُ ، لَا يَهْدَأُ ^(٥) فِكْرُهُ ، وَلَا تَسْكُنُ حَوَاطِرُهُ ، وَلَا يَصْفُو قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِرُّ لُبُّهُ ، الْخَلْقُ فِي شُغْلٍ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِهِمْ . وَالرَّجُلُ يَخَافُ عَدُوًّا وَاحِدًا وَهُوَ يَخَافُ أَلْفَ عَدُوٍّ . وَالرَّجُلُ يَضِيقُ بِتَذْيِيرِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَإِيَالَةِ ضِعْفَتَيْهِ ^(٦) ، وَتَقْدِيرِ مَعِيشَتِهِ ، وَهُوَ مَذْفُوعٌ لِسِيَاسَةِ ^(٧) جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَكُلُّمَا رَتَّقَ قَتَقًا مِنْ حَوَاشِي مَمْلَكَتِهِ انْفَتَقَ ^(٨) آخَرُ ، وَكُلُّمَا رَمَّ مِنْهَا شَعْمًا ^(٩) رَثَّ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « اعلموا - أرشدكم الله - أن » .

(٢) بطرقه : يطبق عليه ويأتيه .. وفي « م » : « يُطْرُقُهُ » .

(٣) يُحْتَوِشُهُ : يحيط به .. وفي « م » : « واحتوشته » .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « ط » : لا يهدأ .

(٦) لئالة ضيعته (بالياء) : حكمها وتدير أمورها .. وفي « ط » : « إنالة » - بالنون - أي : ما يصيب منها .

(٧) في « م » : سياسة .

(٨) رَتَّقَ قَتَقًا : سَدَّ وَأَصْلَحَهُ .. الحواشي : الجوانب والأطراف . انفتق : انشق وانفصل .

(٩) في « م » : « رَمَّ شَعْمًا » . والشعث : ما تفرق من الأمور .. ورَّمَّ : أصلح .. ورَثَّ : فسد .

آخِرُ ، وَكُلَّمَا قَمَعَ عَدُوًّا أَرْسَدَ لَهُ أَعْدَاءُ ^(١) ، إِلَى سَائِرِ مَا يُعَانِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَيُقَاسِيهِ مِنْ خُصُومَاتِهِمْ ^(٢) ، وَنَصَبِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ ، وَبَغْتِ الْجِيُوشِ ، وَسَدِّ الشُّعُورِ ، وَاسْتِجْبَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَدَفْعِ الْمَطَالِمِ ، ثُمَّ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا وَاحِدَةً ، وَأَنَّهُ يَرْزَأُ ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا قُوَّتَهَا كَمَا يَرْزَأُ ^(٤) أَحَاذِدَ الرِّعَايَا ، ثُمَّ يُسْأَلُ ^(٥) غَدَا عَنْ جَمِيعِهِمْ وَلَا يُسْأَلُونَ عَنْهُ ، فَيَا لِلْعَجَبِ مِنْ رَجُلٍ رَضِيَ أَنْ يَقَالَ [مِنَ الدُّنْيَا] رَغِيْفًا وَيُحَاسِبُ ^(٦) عَلَى آلَافِ آلَافٍ رَغِيْفًا ^(٧) ، وَيَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَيُحَاسِبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مَعَى ^(٨) ، وَيَتَمَتَّعُ ^(٩) بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَيُحَاسِبُ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْفُسِ .. وَعَلَى هَذَا التَّمَطُّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، يَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ ، وَيَبِيعُ أَسْرَارَهُمْ ^(١٠) ، وَيُجَاهِدُ عَدُوَّهُمْ ، وَيَسُدُّ فُجُورَهُمْ ، وَيُدَافِعُ مُقَاوِمَهُمْ وَمُنَاصِبَهُمْ ^(١١) وَيَعْصِي رَبَّهُ فِيهِمْ ، وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ ، وَيَرْكَبُ نَهْيَهُ ^(١٢) مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَيَقْتَحِمُ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ ^(١٣) عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهِمْ ، ثُمَّ تَجِدُهُمْ لَهُ قَالِينَ ^(١٤) ، وَعَنْهُ غَيْرَ رَاضِينَ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ

(١) أى : ظهر له أعداء يرقبونه .

(٢) فى « ط » : خصوماته .

(٣) فى « م » : « وَاِلَّا يَرْزَأُ » .. أى : يصبى ويبال .

(٤) فى « م » : « مِثْلَمَا يَرْزَأُ » .

(٥) هكذا فى « ط » .. وهنا فى « م » : « ثُمَّ يُسْأَلُ وَجَمَعَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَحَاسَبَ عَلَى آلَافِ آلَافٍ مِنْ جَنَسِهِ » . وسأق .

(٦) ما بين المعرفين عن « م » .. وفى « ط » : « وَيُحَاسِبُ مِنْهَا » .

(٧) « رَغِيْفٌ » عن « ط » وسقطت من « م » .

(٨) فى « م » : « آلَافِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْفُسِ » سهو من الناسخ .. وسأق بعد ذلك .. والبعى : المصر ، واحد المَصْرَانِ ، وجمعه : أَمْصَاءُ .

(٩) فى « ط » : « وَيَسْتَمَتُّ » .

(١٠) يَبِيعُ أَسْرَارَهُمْ : يتشمسها ويبحث عنها .. وَيُبْرِخُ أَسْرَارَهُمْ : يضم بهاء المضارعة (من أَرَاخَ) : يَرْفُحُا عليهم .

(١١) فى « ط » : « لَا يُدَافِعُ مُتَاوِيَهُمْ » أى : مُتَاوِيَهُمْ .. يريد : مَنْ يُعَادِيهِمْ .. ومقاويمي : مُقَالِيَهُمْ فى الْقُوَّةِ .. وَمُنَاصِبُهُمْ : مَنْ يُظَاهِرُ لَهُمُ التَّدَاوِيَةَ وَيَقِيْمُهَا .

(١٢) يَرْكَبُ نَهْيَهُ : يفعل ويقترف ما نهى الله عنه .

(١٣) يَقْتَحِمُ جَرَائِمَ جَهَنَّمَ : يُلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ رَوْيَةٍ .. والجُرْثُومَةُ : الْأَصْلُ .

(١٤) قَالِينَ : مُبِطِّضِينَ .

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ لَمْ يَرْضَ عَاقِلَ بِهِدِهِ مَنَزَلَهُ ^(١) ، وَلَا اخْتَارَهَا لِبَيْتٍ مَرْتَبَةً ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَحْكَمُهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فِي كَلِمَةٍ فَقَالَ : « مَا لَكُمْ وَلَا مَرَأِي ؟ لَكُمْ صَفْوُ أَمْرِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ كَدْرُهُ » .

وَيَمَثُلُ السُّلْطَانُ مَعَ الرَّعِيَّةِ كَالطَّبَاحِ مَعَ الْأَكْلَةِ : لَهُ الْعَنَاءُ ^(٣) وَلَهُمُ الْهَنَاءُ ، وَلَهُ الْحَارُ وَلَهُمُ الْقَارُ ^(٤) ، طَلَبَ لِقَوْمِهِ الرَّاحَةَ فَحَصَلَ عَلَى التَّعَبِ ، وَطَلَبَ لَهُمُ النِّعِمَ فَأَخْطَأَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ^(٥) ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا ^(٦) : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا قَى الْقَوْمَ آخِرُهُمْ شَرًّا » .

وَكَانَ بَعْضُ سَلَاطِينِ الْمَغْرِبِ ^(٧) يَسِيرُ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ ^(٨) إِذْ نَظَرَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الثُّجَّارِ ، فَقَالَ لِيُونَيْرِهِ : « أَتُحِبُّ ^(٩) أَنْ أُرِيكَ ثَلَاثَ طَوَائِفَ : طَائِفَةٌ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَطَائِفَةٌ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، وَطَائِفَةٌ دُنْيَا بِلَا آخِرَةٍ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا ^(١٠) الَّذِينَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فَهَؤُلَاءِ الثُّجَّارُ ، يَكْسِبُونَ أَقْوَانَهُمْ ، وَيُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ ، وَلَا يُؤْذُونَ أَحَدًا . وَأَمَّا الَّذِينَ لَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ ، فَهَؤُلَاءِ الشُّرَطُ

(١) في « م » : الْمَنَزَلَةُ .

(٢) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٣) في « م » : « لَهُ الْإِنْيَاءُ ، بِالْفَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، أَيْ : عَدَمُ الْإِحْتِيَاجِ لِلطَّعَامِ الَّذِي يُعْلَهُ » .

(٤) الْحَارُ : السَّاحِلُ ، وَالْمَارِدُ بِهِ هُنَا : الثَّلْجَةُ .. وَالْقَارُ : الْبَارِدُ ، وَالْمَارِدُ بِهِ هُنَا : الشَّيْءُ الْهَيِّئُ ... وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ الْبَسْرِيُّ : « يَلْتَقِي أَنْكَ تَقَى ، وَلَ حَارُّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا » وَمَعْنَاهُ : وَلَ شَرُّهَا مَنْ تَوَلَّى خَيْرَهَا ، وَوَلَّ شَرِّبَتْهَا مَنْ تَوَلَّى هَيْئَهَا . [انظر لسان العرب — مادة : قرر] .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « طَلَبَ الْقَوْمَ الرَّاحَةَ فَحَصَلُوا عَلَى التَّعَبِ ، طَلَبَ الْقَوْمَ الرَّاحَةَ وَالتَّعِيمَ فَأَخْطَعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » .

(٦) في « م » : قَالَ .

(٧) في « م » : « السَّلَاطِينُ الْمَغْرِبُ » تَحْرِيفٌ .

(٨) في « م » : « الْوُزَرَاءُ » أَيْ : الْعَسْكَرُ ، أَوْ الْجُنُودُ الَّذِينَ يَكُونُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى الشَّرِّ .

(٩) في « م » : « أُحِبُّ » .

(١٠) سقطت « أَمَّا » مِنْ « ط » .

وَالْخِدْمَةُ ^(١) الَّذِينَ بَيْنَ أَيْدِينَا ، وَأَمَّا الَّذِينَ لَهُمْ دُتْيَا ^(٢) بِلَا آخِرَةٍ ، فَأَنَا وَأَنْتَ وَسَائِرُ السَّلَاطِينِ .

فَحَقُّ عَلَى جَمِيعِ الزُّرَى أَنْ يَمُدُّوا السُّلْطَانَ بِالْمُنَاصَحَاتِ ^(٣) ، وَيُخْصُوهُ بِالِدَعَوَاتِ ، وَيُعِينُوهُ عَلَى سَائِرِ ^(٤) الْمُحَاوَلَاتِ ، وَيَكُونُوا ^(٥) لَهُ أَعْيُنًا نَاطِرَةً وَأَيْدِيًا بَاطِنَةً ، وَجُنَّتَا وَاقِيَةً ^(٦) ، وَالسِّينَةُ نَاطِقَةً ، وَقَوَادِمُ تَنْهِيضُهُ ، وَقَوَائِمُ ثِقْلُهُ ^(٧) . وَهَيْهَاتَ مِنْهُ السَّلَامَةُ ، وَأَنْتَى لَهُ بِالسَّلَامَةِ ^(٨) ؟ وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَاطِينِ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : « اَعْلَمُوا أَنَّ السُّلْطَانَ وَالْجَنَّةَ لَا يَجْتَمِعَانِ » .

قَالَ شَيْخُنَا — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ ^(٩) لَهُ قَدْرٌ قَالَ : أُرْسِلَ إِلَيَّ السُّلْطَانُ أَنْ طَلَّقَ أَمْرًا لَكَ ، وَكَانَ قَدْ أَرَادَهُمَا لِيَنْغَضِيَ أَصْحَابِهِ ، فَأَتَيْتُ ذَلِكَ ، وَرَاجَعْتُ الرُّسْلَ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لِي نَاصِحٌ مِنْهُمْ : خُذِ الْأَمْرَ مُقْبِلًا ^(١٠) فَإِنَّهُ لَاجِلَةٌ لَكَ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَخَافُ فِي الدُّتْيَا عَارًا ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَارًا ، فَقَارَفْتُهَا .

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَخَذَ الْمُصْحَفَ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : « هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ » ^(١١) .

(١) الشَّرْطُ : حَفَظَةُ الْأَمْنِ وَأَعْوَانُ السُّلْطَانِ (جمع شَرْطَةٍ) .. وَالْخِدْمَةُ : الْجَمْعُ ..

(٢) فِي « م » : الدُّنْيَا .

(٣) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ « فَحَقُّ » إِلَى هُنَا ، عَنْ « ط » ، وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .. وَالزُّرَى : الْخُلُقُ .

(٤) فِي « م » : « فِي سَائِرِ » .

(٥) فِي « م » : « وَيَكُونُونَ » . خَطَأً .. وَالصُّرَابُ حَذْفُ النَّونِ — مَعْطُوفٌ عَلَى مَنْصُوبٍ .

(٦) جُنَّتَا وَاقِيَةً : اسْتَارَا تَقَى الْإِنْسَانَ وَتَحْمِيهِ ، جَمْعُ « جُنَّة » .. وَفِي « م » : « جُنَّتَا » جَمْعُ « جَنْبٍ » وَهُوَ الطَّلَاعُ الْمُتَّقَادُ .

(٧) الْقَوَادِمُ : الرِّيشَاتُ الْكَبِيرُ فِي مَقْدَمِ جَنَاحِ الطَّائِرِ تَسَاعِدُهُ عَلَى الطَّرَانِ .. وَالْقَوَائِمُ : الْأَرْجُلُ .. ثِقْلُهُ : تَحْمِلُهُ وَتَرْفَعُهُ .

(٨) هَيْهَاتَ : بَعِيدٌ .. وَأَنْتَى : وَمِنْ أَيْنَ ؟

(٩) فِي « م » : شَيْخٌ .

(١٠) مُقْبِلًا : قَاصِدًا إِلَيْهِ وَمُرَحِّبًا بِهِ .

(١١) مِنَ الْآيَةِ ٧٨ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ .

وَلَمَّا حَجَّ هَارُونُ ^(١) الرُّشِيدَ لَقِيَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ الْعَمَرِيُّ ^(٢) فِي الطَّوَافِ ، فَقَالَ لَهُ :
يَا هَارُونُ ! قَالَ : لَبَّيْكَ يَا عَمَّ . قَالَ : كَمْ تَرَى هَاهُنَا مِنَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ : لَا يُحْصِيهِمْ
إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ : اعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُسْأَلُ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِيهِ ، وَأَنْتَ
وَاحِدٌ ^(٣) تُسْأَلُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ ، فَأَنْظِرْ كَيْفَ تَكُونُ . فَبَكَى هَارُونُ وَجَلَسَ ، فَجَعَلُوا
يُعْطُونَهُ مَنَدِيلًا ^(٤) لِلدَّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَاللَّهِ ، إِنْ الرَّجُلَ لَيُسْرِعُ فِي مَالِ نَفْسِهِ فَيَسْتَحِقُّ
الْحَجَرَ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَسْرَعَ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟

وَيُقَالُ : إِنْ هَارُونُ كَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّ ^(٥) أَنْ أُحِجَّ كُلَّ سَنَةٍ ^(٦) ،
وَمَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَمَرٍ ^(٧) يُسْمِعُنِي مَا أُكْرَهُ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَنْ أَحْمَقُ
مِنَ السُّلْطَانِ ؟ وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ عَصَانِي ؟ وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اعْتَرَّ ^(٨) بِي ؟ أَيَا رَاعِيَ السُّوءِ
دَفَعْتُ إِلَيْكَ غَنَمًا سِمَانًا صِيحَاخًا ^(٩) فَأَكَلْتُ اللَّحْمَ ، وَشَرِبْتُ اللَّبَنَ ، وَاتَّقَدَمْتُ
بِالسَّمَنِ ^(١٠) ، وَلَبِسْتُ الصُّوفَ ، وَتَرَكْتُهَا عِظَامًا تَقْفَعُ ، وَلَمْ تَأُوِ الضَّالَّةَ ، وَلَمْ تُجَبِّرِ
الْكَبِيرَ ^(١١) .. الْيَوْمَ اتَّقِمُوا لَهَا مِنْكُمْ .

(١) سقطت « هارون » من « م » .

(٢) من الزُّهَادِ الصَّالِحِينَ ، وتوفي في عهد هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .

(٣) « واحد » عن « ط » .. وسقطت من « م » .

(٤) في « ط » : « منديلًا منديلًا » .

(٥) في « ط » : « أحب » .

(٦) في « م » : « في كل سنة » .

(٧) في « م » : « من ولد «عمر» . تحريف .. والصواب ما أثبتناه .

(٨) في « م » : « وَمَنْ أَعَزُّ مِنْ اعْتَرَّ بِي ؟ » .

(٩) في « م » : « غَنَمًا صِيحَاخًا سِمَانًا » .

(١٠) اتَّقَدَمْتُ بِالسَّمَنِ : أَكَلْتُ خُبْزَكَ به .

(١١) يُقَالُ : جَبَّرَ الْعَظَمَ الْكَبِيرَ : أَخَذَ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ .

البَابُ السَّابِعُ فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ

اعْلَمُوا — أُرْسِدَكُمُ اللَّهُ — أَنَّ فِي وُجُودِ السُّلْطَانِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَةً لِلَّهِ تَعَالَى عَظِيمَةً ، وَنِعْمَةً عَلَى الْعِبَادِ جَزِيلَةً ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَبَلَ الْخَلْقَ ^(١) عَلَى حُبِّ الْإِتِّصَافِ ، وَعَدَمِ الْإِنْتِصَافِ ، وَمَثَلَهُمْ بِأَسْطُطَانٍ مِثْلَ الْحَيَّتَيْنِ ^(٢) فِي الْبَحْرِ ، يَزْدَرِي ^(٣) الْكَبِيرُ الصَّغِيرَ ، فَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُمْ أَمْرٌ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُمْ مَعَاشٌ ، وَلَمْ يَهْتَنُوا ^(٤) بِالْحَيَاةِ ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : لَوْ رُفِعَ السُّلْطَانُ مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ حَاجَةٍ .

وَمِنْ الْحِكْمِ الَّتِي فِي إِقَامَةِ السُّلْطَانِ ^(٥) أَنَّهُ مِنْ حِجَجِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٦) عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ ، وَمِنْ عَلَامَاتِهِ عَلَى تَوْحِيدِهِ ، لِأَنَّهُ كَمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِقَامَةُ أُمُورِ ^(٧) الْعَالَمِ

(١) فِي م : : : الْخَلْقِ . . وَجَبَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ : خَلَقَهُمْ وَمَبْنَاهُمْ .

(٢) فِي م : : : الْحَوْتَ .

(٣) يَزْدَرِي : يَتْلَعُ .

(٤) فِي م : : : لَمْ يَسْقِرْ لَهُمْ أَمْرٌ فِي مَعَاشٍ ، وَلَمْ يَهْتَنُوا .

(٥) فِي م : : : فِي السُّلْطَانِ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُقَوْضِينَ عَنْ ط .

(٧) فِي م : : : أُمُرٌ .

وَأَعْتَدَالَهُ بِغَيْرِ مُدَبِّرٍ يَتَفَرَّدُ بِتَدْبِيرِهِ ، كَذَلِكَ لَا يَتَوَهُمُ وُجُودُهُ وَتَرْبِيئُهُ ، وَمَافِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَدَقَائِقِ الصَّنِيعَةِ بِغَيْرِ خَالِقٍ خَلَقَهُ ، وَعَالِمٍ أَتَقَنَّهُ ، وَحَكِيمٍ دَبَّرَهُ .

وَكَمَا لَا يَسْتَقِيمُ سُلْطَانَانِ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَهَانِ لِلْعَالَمِ ، وَالْعَالَمُ بِأَسْرِهِ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَالْبَلَدِ الْوَاحِدِ فِي يَدِ سُلْطَانِ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لَا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْأُخْرَى ، وَلَا يَصْلُحُ الْآخَرُ إِلَّا بِالمُشَارَكَةِ ^(١) ، وَهُمَا : الْمُلْكُ ، وَالرَّأْيُ ، فَكَمَا ^(٢) لَا يَسْتَقِيمُ الْمُلْكُ بِالشَّرِكَةِ ^(٣) لَا يَسْتَقِيمُ الرَّأْيُ بِالْإِنْفِرَادِ بِهِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ الْقَاهِرِ لِرَعِيَّتِهِ ، وَالرَّعِيَّةِ ^(٤) بِمَا سُلْطَانٍ ، مِثَالُ بَيْتٍ فِيهِ سِرَاجٌ مُنِيرٌ وَحَوْلُهُ فِئَامٌ مِنَ الْخَلْقِ ^(٥) يُعَالِجُونَ صَنَائِعَهُمْ ، فَيَبْنِيانِ هُمُ كَذَلِكَ طُفَى السَّرَاجِ ، فَقَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ ^(٦) لِلْوَقْتِ ، وَتَعَطَّلَ جَمِيعُ مَا كَانُوا فِيهِ ، فَتَحَرَّكَ الْحَيَوَانُ الشَّرِيرُ ، وَخَشَخَشَ الْهَامُ ^(٧) الْحَسِيسُ ، فَذُبَّتِ الْعُقُوبُ مِنْ مَكْمَلِهَا ^(٨) ، وَفَسَقَتِ الْفَارَةُ ^(٩) مِنْ جُحْرِهَا ، وَخَرَجَتِ الْحَيَّةُ مِنْ مَعْدِنِهَا ^(١٠) ، وَجَاءَ اللَّصُّ بِحِيلِهِ ، وَهَاجَ الْبُرْعُوثُ مَعَ حَقَارَتِهِ ، فَتَعَطَّلَتِ الْمَنَافِعُ ، وَاسْتَطَارَتْ ^(١١) فِيهِمْ الْمَضَارُّ . كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ^(١٢) إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِرَعِيَّتِهِ ، كَانَتْ الْمَنْفَعَةُ بِهِ عَامَّةً ، وَكَانَتِ الدَّمَاءُ فِي أَهْلِهَا مَحْقُوقَةً ،

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « لا يصلح أحدهما بالتفرد ، ولا يصلح الآخر بالمشاركة » بسقوط أداة الاستثناء « إلا » في الموضعين ، والسياق يتطلب وجودها .

(٢) في « م » : « وكما » .

(٣) في « م » : « بالمشاركة » . تحريف .

(٤) في « م » : « ورعيته » .

(٥) في « م » : « فيام من الناس » . بتسهيل الهمز . والفيام : الجماعة من الناس .

(٦) قبضوا أيديهم : فأسكروا عن العمل .

(٧) خشخش : صوت .. والهام : جمع هامة ، وهي طير صغير من طيور الليل .. وفي « م » : « الهوام » .

(٨) ذُبَّتِ العقوب من مكملها : خرجت وسارت من المكان الذي تتوارى فيه .

(٩) فسقت الفارة : خرجت .

(١٠) مغلينها : مكانها وموضعها .

(١١) استطارت : فشت وانتشرت .

(١٢) سقطت كلمة « السلطان » من « ط » .

وَالْحَرَمُ ^(١) فِي خُلُوبِهِنَّ مَصُونَةٌ ، وَالْأَسْوَاقُ غَامِرَةٌ ، وَالْأَمْوَالُ مَحْرُوسَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الْفَاضِلُ ظَاهِرًا ، وَالْمَرَافِقُ حَاصِلَةٌ ، وَالْحَيَوَانُ الشَّرِيرُ مِنْ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالذَّعَارَةِ نَحَامِلًا ^(٢) .

وَإِذَا ^(٣) اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ دَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَلَوْ جُعِلَ ظَلَمُ السُّلْطَانِ ^(٤) حَوْلًا فِي كَيْفَةٍ ، [ثُمَّ جُعِلَ فَسَادُ الرِّعْيَةِ وَمَظَالِمُهُمْ وَهَرَجُهُمْ فِي سَاعَةٍ — إِذَا اخْتَلَّ أَمْرُ السُّلْطَانِ — فِي كَيْفَةٍ] ^(٥) كَانَ هَرْجُ سَاعَةٍ أَكْثَمَ ^(٦) وَأَرْجَحَ مِنْ ظَلَمِ السُّلْطَانِ حَوْلًا ، وَكَيْفَ لَا ، وَفِي زَوَالِ السُّلْطَانِ ، أَوْ ضَعْفِ شَوْكِهِ ^(٧) سَوْفَ أَهْلِ الشَّرِّ ، وَمُكْسَبُ الْأَجْنَادِ ، وَنِفَاقُ أَهْلِ الْبَيَارَةِ وَالسُّوقَةِ وَالْمُصْصِ وَالْمَنَاهِيَةِ ^(٨) . وَقَالَ الْفَضِيلُ ^(٩) : جَوْرُ سِتِّينَ سَنَةً خَيْرٌ مِنْ هَرْجِ سَاعَةٍ ^(١٠) .

وَلَا يَتِمَّنِي زَوَالُ السُّلْطَانِ إِلَّا جَاهِلٌ مَعْرُورٌ ، أَوْ فَاسِقٌ يَتَمَنَّى كُلَّ مَخْلُوعٍ ، فَحَقِيقٌ عَلَى كُلِّ رَعِيَةٍ أَنْ تَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِصْلَاحِ السُّلْطَانِ ، وَأَنْ تَبْذُلَ لَهُ نَصْحَهُ ، وَتُخَصِّصَهُ بِصَالِحِ دُعَائِهَا ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ ^(١١) صَلَاحَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ^(١٢) ، وَفِي فَسَادِهِ فَسَادُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .. وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ : إِذَا ^(١٣) اسْتَقَامَتْ لَكُمْ أُمُورُ السُّلْطَانِ

(١) فِي د م : « فَالْحَرَمُ » .. وَالْخُدُورُ : جَمْعُ خَلْرِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يُوَارَى الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتٍ وَغَوِي .
(٢) فِي د م : « وَط » ، جَاءَتْ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ : « ظَاهِرًا ، وَحَاصِلَةٌ ، وَنَحَامِلًا » بِالرَّفْعِ .. وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَاهُ .

(٣) فِي د م : « فَإِذَا » .

(٤) فِي « ط » : « النَّاسِ » . وَلَا تَصِحُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ .. وَالْعَوَلُ : السُّتَّةُ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ د م ، وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .. وَالْهَرْجُ : الْفِتْنَةُ وَالْاضْطِرَابُ .

(٦) فِي د م : « أَكْثَمَ وَأَكْثَرُ وَأَرْجَحُ » .

(٧) شَوْكُهُ : قُوَّتُهُ وَبَأْسُهُ .

(٨) أَهْلُ الْبَيَارَةِ : الَّذِينَ يَسْتَقُونَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْإِفْسَادِ .. وَالسُّوقَةُ : الرِّعْيَةُ وَأَوْسَاطُ النَّاسِ .. وَالْمَنَاهِيَةُ : الَّذِينَ يَسْطُونَ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُمْ وَيَأْخُذُونَهُ قَهْرًا وَغَلَبَةً .

(٩) هُوَ : الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجِمَتُهُ .

(١٠) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي « ط » : « سِتَّةً » .

(١١) فِي د م : « صَلَاحٌ » بَدَلُ « صَلَاحَةٍ » ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْبِلَادِ » مِنْ د م .

(١٣) فِي د م : « إِنْ » .

فَأَكْبَرُوا حَمْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَشَكَرَهُ ، وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْهُ مَائِكْرَهُونَ ، وَجْهَهُ إِلَى مَا تَسْتَوْجِبُونَهُ
بِذُنُوبِكُمْ ، وَتَسْتَحِقُّونَهُ بِآثَامِكُمْ ، وَأَقِيمُوا عُذْرَ السُّلْطَانِ ^(١) لَا تَيْشَارِ الْأُمُورَ عَلَيْهِ ،
وَكَثْرَةَ مَا يُكَابِدُهُ مِنْ ضَبْطِ جَوَانِبِ الْمَمْلَكَةِ ، وَاسْتِغْلَافِ الْأَعْدَاءِ ، وَإِِرْضَاءِ ^(٢)
الْأَوْلِيَاءِ ، وَقِلَّةِ النَّاصِحِ ، وَكَثْرَةِ التَّدْلِيسِ وَالطَّمَعِ ^(٣) .

وَفِي كِتَابِ التَّاجِ ^(٤) : هُمُومُ النَّاسِ صِغَارٌ ، وَهُمُومُ الْمُلُوكِ كِبَارٌ ، وَاللِّبَابُ الْمُلُوكِ
مَشْغُولَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَاللِّبَابُ السُّوقَةُ مَشْغُولَةٌ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ ، وَالْجَاهِلُ مِنْهُمْ يَغْدِرُ نَفْسَهُ
مَعَ ^(٥) مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّاحَةِ ^(٦) ، وَلَا يَغْدِرُ سُلْطَانُهُ مَعَ شِدَّةِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤَنَةِ ^(٧) ،
وَمِنْ هُنَاكَ يُعِزُّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ وَيُرْشِدُهُ وَيَنْصُرُهُ . وَعَنْ هَذَا قَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَجَمِ :
لَا تَسْتَوِطِنَ ^(٨) إِلَّا بَلَدًا فِيهِ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ ، وَقَاضٍ عَادِلٌ ، وَسُوقٌ قَائِمَةٌ ، وَطَيِّبٌ عَالِمٌ ،
وَنَهْرٌ جَارٍ .

(١) أى : التيسر له الأخذ .

(٢) فى د م : : وإرضاء . تحريف .

(٣) التدليس : الخداع .. وفى د م : : التذلل والطمع .

(٤) ذكر ابن قتيبة فى كتابه «عيون الأخبار» كتاب التاج ، ولم ينسبه لى صاحبه ، وأغلب الظن أنه الكتاب الذى
ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وهو كتاب من كتب الفرس التى تذكر ميتر ملوكهم ، وتروى أخبارهم وما يترجم
ونظم الحكم عندهم .. وهذا الكتاب غير كتاب التاج ، لابن الراوندى — المتوفى سنة ٣٠١ ، وكتاب التاج
المنسوب للجاحظ ، والتاج لأبى عبيدة ..

[انظر كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لكتاب جلى ج ٢ ص ٢٦٨ ط الآستانة ، و«عيون الأخبار»
(كتاب السلطان) ص ٥ والجاحظ — حياته وآثاره ، للدكتور الحاجرى ط المعارف ص ١٥١ — ١٥٥] .

(٥) فى د م : : عند بدل مع .

(٦) فى د م : : الرسالة بدل الراحة .. والرسل : اللون والرفق .

(٧) فى د م : : المهنة . وكلاهما بمعنى واحد .

(٨) لا تستوطنن ، أى : لا تشخذ وطننا .. وفى د م : : لا توطنن ، أى : لا تنزل به .

البَاب الثَّامِنُ فِي مَنَافِعِ السُّلْطَانِ وَمَضَارِّهِ

قَالَ ^(١) حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : مَثَلُ مَضَارِّ السُّلْطَانِ فِي جَنْبِ مَنَافِعِهِ ، مَثَلُ الْغَيْثِ
الَّذِي هُوَ سُقْيَا ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرَكَاتِ السَّمَاءِ ، وَحَيَاةِ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَقَدْ
يَتَذَي بِهِ الْمُسَافِرُ ، وَيَتَدَاعَى ^(٣) لَهُ الْبَنِيَانُ ، وَتَكُونُ فِيهِ الصَّوَاعِقُ ، وَيَكْدِرُ سَيُولُهُ
فَتَهْلِكُ ^(٤) النَّاسَ وَالذَّوَابَّ وَالذَّخَائِرَ ، وَيَمُوجُ لَهُ الْبَحْرُ فَتَشْتَدُّ يَلِيلَتُهُ عَلَى أَهْلِهِ ،
وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْخَلْقَ - إِذَا نَظَرُوا إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَحْيَا ^(٥) ،
وَالنَّبَاتِ الَّذِي أَخْرَجَ ، وَالرِّزْقِ الَّذِي بَسَطَ ^(٦) ، وَالرُّحْمَةَ الَّتِي نَشَرَ - أَنْ يُعْظَمُوا نِعْمَةَ ^(٧)
رَبِّهِمْ وَيَشْكُرُوهَا ^(٨) ، وَيَلْقُوا ذِكْرَ خَوَاصِّ الْأَذْيَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى خَوَاصِّ الْخَلْقِ .

(١) في « م » : « قالت » . وكلاهما صواب .. وهذا الباب ورد في بريمة ابن المقفع التي تشتمل على محاسن الآداب ..

[انظر ثمار القلوب ص ١٩٩] .

(٢) الغيث : المطر .. والسقيا : الاسم من السقي .

(٣) يتداعى : يتصدع .

(٤) في « م » : « فهلك » .

(٥) في « م » : « أحيها » .

(٦) في « م » : « بسطه » .

(٧) في « ط » : « رحمة » .

(٨) في « م » : « يشكرونها » . خطأ .

وَمِثْلَهُ أَيْضًا مَثَلُ الرِّيحِ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ تَعَالَى نَشْرًا ^(١) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ فَيَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ ، وَجَعَلَهَا لِقَاحًا لِلشَّمَرَاتِ ، وَرَوَاحًا لِلْعِبَادِ يَتَسَمَّوْنَ مِنْهَا ^(٢) ، وَيَتَقَلَّبُونَ ^(٣) فِيهَا ، وَتَجْرِي بِهَا مِيَاهُهُمْ ، وَتَقْدُ بِهَا زِيَارَتُهُمْ ، وَتَسِيرُ بِهَا فِي الْبَحْرِ أَفْلَاكُهُمْ ، وَقَدْ تَضَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي بَرِّهِمْ وَبَحْرِهِمْ ، وَتَخْلُصُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَشْكُرُهَا الشَّاكِرُونَ ، وَقَدْ يَتَأَذَى ^(٤) بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يُخْرِجُهَا ^(٥) ذَلِكَ عَنْ مَنَزِلَتِهَا مِنْ قَوَامِ عِبَادِهِ ^(٦) ، وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ .

وَمِثْلَهُ أَيْضًا مِثَالُ ^(٧) الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ اللَّذَيْنِ ^(٨) جَعَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) حَرَّهُمَا وَبَرْدَهُمَا صِلَاحًا لِلْخَرِثِ وَالنَّسْلِ ، وَنَجَا لِلْحَبِّ ^(١٠) ، وَالثَّمَرِ ، يَجْمَعُهُمَا الْبَرْدُ بِإِذْنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، وَيُخْرِجُهُمَا ^(١١) الْحَرُّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَتَنْضَجُ ^(١٢) عَلَى اعْتِدَالِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِمَا . وَقَدْ يَكُونُ الْأَذَى فِي حَرِّهِمَا وَبَرْدِهِمَا وَسُمُومِهِمَا وَزَمْهِرِهِمَا ^(١٣) ، وَهُمَا مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَسَبَّانِ إِلَّا ^(١٤) إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ ، وَقَدْ غَمَرَ صِلَاحُهُمَا أَذِيَّتُهُمَا .

(١) نشرًا : طَيِّبَةً .

(٢) لِي : ط : : وَيَتَسَمَّوْنَ .

(٣) لِي : ط : : يَنْقَلِبُونَ .

(٤) لِي : م : : وَيَتَأَذَى .

(٥) لِي : ط : : وَلَا يُزِيلُهَا .

(٦) لِي : ط : : عِبَادَتِهِ .. وَالْقَوَامُ : الْقَدْرُ .

(٧) لِي : م : : مَثَلُ .

(٨) لِي : م : : الَّذِي ، لَا تَصِحُّ هُنَا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفِينَ عَنْ م : لِي الْمَوْضِعِينَ .

(١٠) لِي : م : : لِلْأُتْمَامِ وَالْحَبِّ .

(١١) لِي : م : : وَيُخْرِجُهَا .

(١٢) لِي : ط : : فَتَنْضَجُ .

(١٣) لِي : م : : وَسَمَائِهَا وَزَمْهِرُهَا . تحريف من التاسخ .. والسموم : الرِّيحُ الْحَارَّةُ .. والزَمْهِيرُ : شِدَّةُ الْبَرْدِ .

(١٤) لِي : ط : : لَا يَتَسَبَّانِ إِلَى الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ .. وَسَقَطَتْ مِنَ الْعِبَارَةِ أَدَاةُ الْاسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مَثَلُ ^(١) اللَّيْلِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا ^(٢) وَنَوْمًا وَرَاحَةً وَسُبَاتًا ^(٣) ، وَقَدْ يَسْتَوْحِشُ لَهُ ^(٤) أَخُو الْفَقْرِ ، وَيُسَارِعُ فِيهِ أَهْلُ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ ، وَاللُّصُوفُ ، وَتَعْدُو فِيهِ السَّبَاحُ ، وَتَنْتَشِرُ ^(٥) فِيهِ الْهَوَامُ ، وَذَوَاتُ الْحُمَةِ ^(٦) وَالسُّمُومُ الْقَاتِلَةُ . ثُمَّ لَا يَتَسَى الْعِبَادُ نِعَمَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٨) صَغِيرُ ضَرَرِهِ بِكَبِيرِ نَفْعِهِ .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ ^(٩) النَّهَارِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٠) ضِيَاءً وَنُورًا وَنُشُورًا وَاجْتِسَابًا وَالِيشَارًا ، وَقَدْ تُكُونُ ^(١١) فِيهِ الْحُرُوبُ وَالْعَارَاتُ ، وَالتَّعَبُ وَالتَّصَبُّ ، وَالشُّخُوصُ ^(١٢) وَالْخُصُومَاتُ ، فَتَسْتَرِيحُ الْخَلْقُ مِنْهُ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَسَّ ^(١٣) الْعِبَادُ نِعَمَةَ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(١٤) عَلَيْهِمْ فِيهِ ، وَهَكَذَا كُلُّ جَسِيمٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَكُونُ ضَرَرُهُ خَاصًّا ، وَنَفْعُهُ عَامًّا ، فَهُوَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَفْعُهُ خَاصًّا فَهُوَ بَلَاءٌ عَامٌّ ، وَلَوْ كَانَتْ نِعَمُ الدُّنْيَا صَفَقًا مِنْ غَيْرِ كَدَرٍ ، وَمَبْسُورًا مِنْ غَيْرِ مَعْسُورٍ ، لَكَانَتْ الدُّنْيَا ^(١٥) هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا تَعَبُ فِيهَا وَلَا تَصَبُّ .. وَقَدْ قَالَ ^(١٦) الشَّاعِرُ :

لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ فَالْعَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَيْبِ ^(١٧)

(١) في م : : يقال . (٢) لباساً ، أى : ساتراً لكم يظلمتكم كاللباس .

(٣) سُبَاتًا : سَكَنًا وَرَاحَةً لِأَهْلِكُمْ . (٤) يستوحش له ، أى : لا يأمن به .

(٥) في م : : ينتشر ، وكلاهما صواب .

(٦) ذات الحُمَةِ : الحشرات السَّامَةُ الَّتِي لَهَا إِيرَةُ تَضْرِبُ بِهَا ، كَالْعَقْرَبِ وَنَحْوِهَا .

(٧) ما بين المعقوفين عن ط : . (٨) يَرْزَأُ : يُصِيبُ .

(٩) في م : : مثل . (١٠) ما بين المعقوفين عن م : .

(١١) في م : : يكون .

(١٢) التَّصَبُّ : الإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ .. وَالشُّخُوصُ : السَّعَى .

(١٣) في م : : تَسَّ . (١٤) ما بين المعقوفين عن م : .

(١٥) في م : : لَكَانَتْ هِيَ . (١٦) في م : : وقال .

(١٧) وفي رواية : لَا يَخْلُو مِنَ الْعَيْثِ ، أى : من الفساد ..

وَالْبَيْتُ لِأَيِّ فَضْحِ الشُّيْثِ .

[انظر نثار القلوب للعلالي ص ٦٥٦ وجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ص ٦٢٥] .

البَابُ التَّاسِعُ

فِي بَيَانِ مَنَزَلَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الرِّعْيَةِ

اعْلَمُوا أَنَّ مَنَزَلَةَ السُّلْطَانِ مِنَ الرِّعْيَةِ بِمَنَزَلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، فَإِذَا صَفَتْ الرُّوحُ مِنَ الْكَدْرِ سَرَتْ إِلَى الْجَوَارِحِ سَلِيمَةً ، وَسَرَتْ ^(١) فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْجَسَدِ ، فَأَمِنَ الْجَسَدُ مِنَ الْغَيْرِ ، فَاسْتَقَامَتِ الْجَوَارِحُ وَالْحَوَاسُّ ، وَاتَّقَطَمَ أَمْرُ الْجَسَدِ ، وَإِنْ تَكَدَّرَتِ الرُّوحُ أَوْ فَسَدَ مَزَاجُهَا ، فَيَاوَيْعَ الْجَسَدِ ^(٢) ، فَتَسْرِي إِلَى الْحَوَاسِّ وَالْجَوَارِحِ كِدْرَةً ، مَنَحْرَفَةً ^(٣) عَنِ الِاعْتِدَالِ ، فَاتَّخَذَ كُلُّ غَضْوٍ وَحَاسَّةٍ بِقِسْطِهِ مِنَ الْفَسَادِ ، فَمَرَضَتِ الْجَوَارِحُ وَتَمَعَطَلَتْ ، فَتَمَعَطَلَ نِظَامُ الْجَسَدِ ، وَجَرَّ ^(٤) إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ .

وَمِثَالُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِثَالُ النَّارِ ، وَمِثَالُ الْخَلْقِ مِثَالُ الْخَشَبِ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُعْتَدِلًا لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى النَّارِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَأَوِّدًا ^(٥) احْتِجَّاجٌ إِلَى النَّارِ لِيُقَامَ ^(٦) أَوْدُهُ فَيُعْدَلَ عَوِجُهُ ، فَإِنْ أَفْرَطَتْ ^(٧) النَّارُ احْتَرَقَ الْخَشَبُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ أَوْدُهُ ، وَإِنْ

(١) فِي د م : وَجَرَتْ .

(٢) فِي د م : أَجْزَاءُ الْجَسَدِ .

(٣) هَكَذَا فِي د م .. وَفِي ط : وَهِيَ مُنَحْرَفَةٌ .

(٤) وَجَرَّ إِلَى الْفَسَادِ : أَذَى إِلَيْهِ .. وَفِي د م : جَرَى : أَيْ : أَسْرَعَ .

(٥) مُتَأَوِّدًا : يَفْجُو جًا .. وَالْأَوْدُ : الْاِفْوَاجُ .

(٦) فِي د م : لِيُقَامَ .

(٧) فِي د م : وَإِنْ أَفْرَطَ .

فَصَرَبَ ^(١) النَّارَ لَمْ يَلِنِ الْخَشَبُ لِقَبُولِ الْإِعْتِدَالِ ، فَيَقْفَى مُتَأَوِّدًا ، وَإِذَا كَانَتِ النَّارُ مَعْتَدِلَةً اعْتَدَلَ الْخَشَبُ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي أَطْوَارِهِ ، إِنْ أَقْرَطَ ^(٢) أَهْلَكَ الْخَلْقَ ، وَإِنْ قَرِطَ لَمْ يَسْتَقِيمُوا ، وَإِنْ اعْتَدَلَ اعْتَدَلُوا .

وَمِثَالُهُ أَيْضًا مِثَالُ عَيْنِ خَرَّارَةٍ فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ ^(٣) ، فَإِنْ حَلَا مَشْرِئُهُ وَعَذَبَ طَعْمُهُ وَسَلِمَتْ مِنَ الْكَدْرِ وَالْفَسَادِ أَوْصَافُهُ ، اخْتَلَجَ ^(٤) فِي الْأَرْضِ فَابْتَلَعَتْهُ صَافِيًا صِرْفًا ، ثُمَّ شَرِبَتْهُ عُرُوقُ الْأَشْجَارِ فَاعْتَدَتْ بِهِ كَذَلِكَ ، فَعُلْظَتْ سَوْفُهَا ، وَفَرَعَتْ أَغْصَانُهَا ، وَامْتَدَّتْ أَفْئَانُهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا ، وَأُبْرَزَتْ أَزْهَارُهَا ، ثُمَّ قَدَفَتْ بِمَارِهَا فَجَاءَتْ عَلَى أَثَمٍ طَبِيعَتِهَا كَثِيرًا وَطَعْمًا ، وَلَوْنًا وَرَائِحَةً ، فَتَقَوَّتْ ^(٦) بِهَا الْعِبَادُ ، وَأَكَلَتْ حُطُوطُهَا ^(٧) الْبَهَائِمُ وَالْخَشَرَاتُ ، وَسَقَطَ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَأَخْرَزَ كُلٌّ مِنْهَا قُوَّتَهُ ^(٨) ، وَاسْتَمَامَ النِّظَامُ ، وَإِنْ كَانَ فِي حَوَاشِي الْأَرْضِ مَا يَدُقُّ ^(٩) عَنِ الْإِبْتِهَاتِ وَالنَّفْعِ ، وَيُكْدَى ^(١٠) عَنِ الزُّكَاةِ وَالرَّيْعِ ، أَوْ كَانَ ^(١١) فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ مَا يُبْرِزُ حَمْلَهُ وَيَقْلُ رُبْعَهُ ، أُعْطِيَ كُلُّ ذَلِكَ الْغَايَةَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأُطْلِعَ مَا فِي قُوَّاهُ ، وَلَمْ يُغَادِرْ مُمَكِّنًا إِلَّا وَقَا

وَمِنْ كَانَ فِي الْعَيْنِ كَدْرٌ أَوْ فُسَادٌ أَوْ يُلْنُ ، شَرِبَتْهَا الْأَشْجَارُ كَذَلِكَ ، فَفَسَدَ مِرْأَجُهَا ، وَأَضُرَّ النُّجْزُ الْقَاسِدُ بِالطَّيْبِ ، فَرَقَّتْ سَوْفُهَا ، وَضَعُفَتْ أَغْصَانُهَا ، وَتَغَيَّرَتْ أَوْرَاقُهَا ،

(١) فِي د م : فَصَرَ .

(٢) أَقْرَطَ : جَاوَزَ الْحَدَّ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .. وَقَرِطَ : فَصَرَ وَتَهَاقَنَ .

(٣) عَيْنُ خَرَّارَةٍ : جَارِيَةٍ .. وَأَرْضُ خَوَّارَةٍ : لَيِّنَةٌ سَهْلَةٌ .

(٤) اخْتَلَجَ : تَحَرَّكَ .. وَلِي د م : « تَخَلَّجَ » .. وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٥) سَوْفُهَا : سِقَانُهَا .. فَرَعَتْ : طَالَتْ وَعَلَتْ .. أَفْئَانُهَا : أَغْصَانُهَا .. وَالْفَتْنُ : الْفُضْنُ الْمُسْتَقِيمُ .

(٦) تَقَوَّتْ بِالشَّيْءِ : أَكَلَتْ .

(٧) حُطُوطُهَا : نَصِيبُهَا .

(٨) فِي د م : « فَأَخْرَزَ مِنْهَا كُلَّ وَاحِدٍ قُوَّتَهُ » .

(٩) يَدُقُّ : يَصْغُرُ .. وَيُقَالُ : الْإِبِلُ تَرْعَى وَفِي الشَّجَرِ ، أَيْ : مَا دَقَّ مِنْهُ وَخَسَّ .

(١٠) يُكْدَى : يَقْلُ حِمْرُهُ ، وَيَقْطَعُ عَطَاةً .

(١١) فِي د م : « لَوْ كَانَ فِيهِ » .

وَقُلْتُ أَزْهَارُهَا وَثِمَارُهَا ، وَدَخَلَ الْفَسَادُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ ، فَجَاءَتِ الثَّمَرَةُ وَهِيَ تَزُرُّ قَدْرُهَا ^(١) ، رَدِيءٌ طَعْمُهَا ، كَاسِفٌ لَوْنُهَا ^(٢) ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ النُّقْصِ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ مِثْلَ مَا دَخَلَ [مِنَ الْمَنَافِعِ] ^(٣) عَلَيْهِمْ فِي الْأَوَّلَى ، وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ ^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْحَشَرَاتِ لَتَمُوتُ فِي أُجْحَرَتِهَا ^(٥) هَزَالًا بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » يَعْنِي : إِذَا كَثُرَتِ الْمَعَاصِي فِي الْأَرْضِ ، حَبَسَتِ السَّمَاءُ غِيَاثَهَا ، وَمَنَعَتِ الْأَرْضُ تِبَاتَهَا ، فَهَلَكَ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ وَاللَّوَابُ .

(١) يعنى : صغيرة الحجم .

(٢) كاسف لونها ، أى : ذهب وتغير لونها المعبود .

(٣) ما بين المقوفتين عن (م) .

(٤) فى (م) : رسول الله .

(٥) فى (م) : « أُجْحَرَهَا » .

البَابُ العَاشِرُ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ خِصَالِ وَرَدِّ الشَّرْعِ بِهَا فِيهَا نِظَامُ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : اللَّيْنُ وَتَرْكُ اللَّفْظَاظَةِ ^(١) ، وَالْمُشَاوَرَةُ ، وَأَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْوَلَايَاتِ رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِيهَا مِنْ انْتِظَامِ أَمْرِ الْمِلَّةِ ^(٢) ، وَاسْتِقَامَةِ الْأَمْرِ ، نَصَّ عَلَيْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ .

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ مِنْ أَسَاسِ الْمَمَالِكِ ^(٣) ، وَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُلُوكِ : اثْنَتَانِ تَزَلَّتَا مِنَ السَّمَاءِ ، وَوَاحِدَةٌ قَالَهَا الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمَّا الْإِلَهِيَّةُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاصْفَحْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(٤) وَفِي الْآيَةِ إِشَارَتَانِ : إِحْدَاهُمَا ^(٥) : أَنَّ الْفَظَاظَةَ تُنْفَرُ الْأَصْحَابَ وَالْجُلَسَاءَ ، وَتُفَرَّقُ الْجُمُوعَ وَالْحَشَمَ ^(٦) ، وَإِنَّمَا الْمَلِكُ مَلِكٌ بِجُلَسَائِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَحَشَمِهِ

(١) اللفظاظه : القسوة والثلثة .

(٢) في د م : انتظام الملة .

(٣) في د م : المملكة .

(٤) في د م : وقد قال .

(٥) سورة آل عمران — من الآية ١٥٩ .

(٦) في د م : وإحداهما .

(٧) في د م : وتنفّر الأصحاب والحشم والجلساء والأولياء ، وتفرق الجموع والخدم .

وَأَتْبَاعِهِ ^(١) ، وَأَخْلَقَ بِخَصْلَةٍ ^(٢) تُثْقِرُ الْأَوْلِيَاءَ ، وَتُطْلِعُ الْأَعْدَاءَ ، فَقَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ رَضُيْهَا ، وَالْأَخِيرَازُ مِنْ سُوءِ مَعْيَتِهَا ^(٣) ، وَلْيَكُنْ ^(٤) كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَخْفِضُ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالُوا : هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَكَيُّ . فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ أَجَبْتُكَ .. دَلَّ الْأَثَرُ عَلَى أَنَّهُ مَا اسْتَأْثَرَ بِشَرَفِ الْمَجْلِسِ ، وَلَا بَابَتَهُمْ ^(٦) بَرِيٌّ ، وَلَا مَقْعِدٌ .

وَقَدْ يَتْلُعُ بِاللَّيْلِ مَا لَا يَتْلُعُ بِالْفَلْطَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرِّيَّاحَ تَهْوُونَ ^(٧) أَصْوَاتَهَا فَيَتَدَاخَلُ لَهَا ^(٨) الشَّجَرُ ، وَتَنْتَعِطُ الْأَفْئَانُ وَالْأَغْصَانُ ، وَفِي الْفَرْطِ ^(٩) تَنْكَسِرُ الْأَغْصَانُ ؟ وَالْمَاءُ يَلِينُ فِي أَصُولِ الشَّجَرِ يَنْفُلُهَا مِنْ أَصْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَّةُ مَعَ صَعْوَتِهَا وَسَمُّهَا وَنَعْيُهَا فِي جُحْرِهَا تَرْقَى بِالْكَلَامِ حَتَّى تُسْتَعْطَفَ فَتَخْرُجَ ، فَالْإِنْسَانُ أُخْرَى أَنْ يُسْتَمَالَ يَلِينُ الْقَوْلُ وَحُسْنُ الْمَنْطِقِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ يَسِيءُ إِلَيْكَ فَكَافِهِ بِكُلِّ كَلِمَةٍ سُوءٍ قَالَهَا ^(١٠) كَلِمَةً جَمِيلَةً وَحُسْنُ ثَنَاءٍ عَلَيْهِ .

(١) في « م » : « وَأَتْبَاعَهُ وَحُشْمُهُ » .

(٢) أُخْلِقَ بِخَصْلَةٍ .. الخ يعني : جدير بهذه الخصلة أن تُثْقِرَ الْأَتْبَاعَ وَالْأَنْصَارَ ، وَتُعْطِلَهُمْ يُعْرَضُونَ عَنْهُ .. ويقال : أُخْلِقَ بِهِ ، وَمَا أُخْلِقَهُ أَنْ يَقَعَلَ كَذَا ، أَيْ : مَا أُخْذَرَهُ وَأَوَّلَاهُ .

(٣) فَقَمَنَ بِكُلِّ سُلْطَانٍ .. الخ .. أَيْ : جدير بكل حاكم أَنْ يَخْصُصَ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهَا .

(٤) في « ط » : « وَلْيَكُنْ » .

(٥) سورة الشعراء - الآية ٢١٥ .. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ ، أَيْ : ابْنُ جَانِيكَ وَتَوَاضِعْ .

(٦) دَلَّ الْأَثَرُ ، يَعْنِي : هَذَا الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ .. وَلَا بَابَتَهُمْ ، أَيْ : وَلَا خَالَفَهُمْ .. وَفِي « ط » : « وَلَا قَاعَهُمْ » . وَهِيَ

بِعَمَانِهَا .

(٧) تَهْوُونَ أَصْوَاتُهَا : تَصِيرُ خَفِيفَةً هَيَّئَةً .. وَفِي « م » : « تَهْوِلُ » بِاللَّامِ ، أَيْ : تَصِيرُ مَخِيفَةً مُفْرَعَةً .. وَهَذِهِ

لَا تَصَحُّ ، وَالْأَوَّلَى هِيَ الْمُنَاسِبَةُ لِلْمَقَامِ .

(٨) في « م » : « بِهَا » بَدَلَ « لَهَا » .

(٩) الْفَرْطُ : تَجَاوَزَ الْحَدَّ .. وَيَعْنِي بِهِ : اسْتِنَادَ الرِّيَّاحِ وَتَجَاوَزَ حَدَّهَا فِي الشَّدَةِ .

(١٠) في « م » : « بِكُلِّ كَلِمَةٍ قَالَهَا جَمِيلَةً » .

وَالْإِشَارَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، فَإِذَا قِيلَ لَنَا : كَيْفَ يُشَاوَرُهُمْ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ وَإِمَامُهُمْ ، وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ مُشَاوَرَتُهُ ، وَأَنْ لَا يَفْصِلُوا أَمْرًا دُونَهُ ؟ قُلْنَا : هَذَا أَدَبُ أَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ نَبِيُّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) بِهِ ، وَجَعَلَهُ مَأْذِبَةً لِسَائِرِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسَّلَاطِينِ ، لِمَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي الْمَشَاوَرَةِ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ الْجَلِيسِ ، وَمُسَاهَمَتِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنْ نُفُوسَ الْجُلَسَاءِ وَالنُّصَحَاءِ وَالْوُزَرَاءِ تُصْلَحُ عَلَيْهِ ، وَتَجْمَلُ إِلَيْهِ ، وَتُخَضَّعُ عَنَوَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، شِرْعَةً لِتَبِيِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) ، وَلَذِيذُ الْإِمْرَةِ ^(٣) مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٤) ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ فِي غَزْوَةٍ ^(٥) فَأَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ هَذَا بِأَمْرِكَ فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ كَانَ ^(٦) غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَنْزِلٍ . فَسَمِعَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : ارْتَحِلُوا .

(١) هكذا في م .. وقد كرر الناسخ الجار والمجرور به .. وفي ط : : أدب الله تعالى نبيه عليه السلام .

(٢) في ط : عليه السلام .. والشرعة : المذهب والطريق المستقيم .

(٣) في م : : الأمر ، أى : الحال والشأن . والإمرة : الإمارة .

(٤) ما بين المعقوفين عن ط : .

(٥) هى غزوة بدر حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزل ، فقال له الحباب بن المنذر (وليس سعدا كما سيأتى) : يا رسول الله ، أهذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم منه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .. فقال الحباب : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أذى ماء من القوم ، ثم نبى عليه خوضا فتملؤه ماء ، فنشرب ولا يشربون (يعنى الكفار) . فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أنشرك بالرأى .. وقبل أيضا نصيحة سعد بن معاذ فى الغزوة نفسها حينما أشار ببناء عريش له ، صلى الله عليه وسلم ، لكي يشرف منه على المعركة ويوجهها .. فعمل الرسول بنصيحته وأثنى عليه .. وفي م : : « غزوة تبوك » .. لعله وهم من الناسخ ، فلم يستشر الرسول (ﷺ) سعدا فى تبوك ، بل استشار عمر بن الخطاب حينما أقام المسلمون مئة عشرين يوما بها ، ولم يلقوا جموع الروم ، فأشار عمر بالرجوع إلى المدينة ، وعمل الرسول بمشورته .

[انظر غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ص ١٥ ، وص ١٦٥ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وما بعدها ، وج ٥ ص ٣ وما بعدها ، وصور من حياة الرسول ص ٣٠٨ وما بعدها ، وص ٥٥٦ وما بعدها وغير ذلك من كتب السيرة المشهورة والتاريخ] .

(٦) في م : : يكن .

وَمِنْ أَقْبَحَ مَا يُوصَفُ بِهِ الرِّجَالُ - مُلُوكًا كَانُوا أَوْ سُوقَةً - الِاسْتِبْدَادُ بِالرَّأْيِ ، وَتَرْكُ
الْمُشَاوَرَةِ - وَسَتَعْفِدُ لِلْمُشَاوَرَةِ بَابًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْحَصْلَةُ الثَّالِثَةُ ، مَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
اسْتَعْمِلْنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « إِنْ أَلَا لِنَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ
أَرَادَهُ » . وَالسَّرُّ فِيهِ : أَنَّ الْوَلَايَاتِ أَمَانَاتٌ ، وَتَصَرَّفُ فِي أَرْوَاجِ الْخَلَائِقِ وَأُمُورِهِمْ ،
وَالْتَسَرُّعُ إِلَى الْأَمَانَةِ ذَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَإِنَّمَا يَحْطُبُهَا مَنْ يُرِيدُ أَكْلِهَا ، وَإِذَا ^(٣) اتَّخَذَ
غَائِنٌ عَلَى مَوْضِعِ الْأَمَانَاتِ كَانَ كَاسْتِزْعَاءِ ^(٤) الذَّنْبِ عَلَى الْعَنَمِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْحَصْلَةِ
تَفْسُدُ قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى مُلُوكِهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا اهْتَضَمَتْ حُقُوقُهُمْ ، وَأَكَلَتْ أُمُورُهُمْ ،
فَسَدَتْ نِيَّتُهُمْ ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالِدَّعَاءِ وَالتَّشْكِيِّ ، وَذَكَرُوا سَائِرَ الْمُلُوكِ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَكَانُوا كَالنِّيْتِ السَّائِرِ الَّذِي أُشْدِنَاهُ ^(٥) :

وَرَأَى الشَّاةُ يَحْمِي الذَّنْبَ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا ذَنَابٌ ^(٦)

فَإِذَا ^(٧) نَحَانَ أَهْلُ الْأَمَانَاتِ ، وَفَسَدَ أَهْلُ الْوَلَايَاتِ ، كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ ^(٨) :
بِالْمِلْحِ يُصْلَحُ مَا يَحْشَى تَغْيِيرُهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغَيْرُ ^(٩) ؟
وَقَالَ آخَرُ :

(١) فِي (م) : « اسْتَعْمِلْنِي عَلَى عَمَلٍ » .

(٢) فِي (ط) : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٣) فِي (م) : « فَلِذَا » .

(٤) فِي (م) : « كَانَ كَمَنْ اسْتَزَعَى » .

(٥) فِي (م) : « أُشْدِنَاهُ أَوَّلًا » .. وَقَدْ مَرَّ الْبَيْتُ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ .

(٦) الشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، فِي الْبَابِ الثَّالِثِ : « فَكَيْفَ إِذَا الذَّنَابُ لَهَا رِعَاءٌ » .

(٧) فِي (م) : « وَإِذَا » .

(٨) فِي (م) : « كَمَا قِيلَ » .

(٩) الْغَيْرُ : الْأَحْوَالُ وَالْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

ذَنبٌ تَرَاهُ مُصَلِّياً فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ ^(١)
يَدْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْقَرِيسَةِ مَا تَقَعُ ^(٢)
عَجَلُ بِهَا يَأْذَا الْعَلَا إِنَّ الْفَوَادَ قَدِ انْصَدَعُ ^(٣)

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ التَّصَدَّى لِلْأَمَانَةِ ، وَخُطْبَةُ الْوَلَايَةِ . وَرَوَى ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَكُونَ الرُّكَاةُ مَقْرَماً ، وَالْأَمَانَةُ
مَعْتَمَماً » ^(٦) . فَجَنَيْتُ . يَدْعُو عَلَيْهِ الضَّعِيفُ وَأَهْلُ الصَّلَاحِ ، وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ^(٧)
الشَّرِيرُ ، وَيُخَايَرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ ^(٨) ، وَيَقْبَحُ ثَنَاؤُهُ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ ، وَيَتَمَنُّونَ الرَّاحَةَ مِنْهُ ،
وَيَنْظُرُونَ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا ^(٩) سِوَاهُ .

(١) في م : « خَلُوتَ بِهِ » بدل « مَرَرْتَ بِهِ » .

(٢) وَجُلُّ دُعَائِهِ : مُعْظَمُ دُعَائِهِ .. وفي م : « دُعَاهُ » .. ولا يستقيم بها الوزن .

(٣) الصَّدْعُ : الشَّقُّ .. وفي م : « انْشَطَعَ » .

(٤) في م : « رَوَى » .

(٥) في ط : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) أخرجه الترمذى في أبواب الفتن ، عن أبي هريرة ، مُتَّحِزّاً من حديث طويل ، أوَّلُهُ : « إِذَا أَخَذَ الْقَبْءُ
دَوْلَاً ، وَالْأَمَانَةُ مَعْتَمَماً ، وَالرُّكَاةُ مَقْرَماً فليوتقّبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ... » .

[انظر صحيح الترمذى ج ٩ ص ٥٩] .

(٧) وَيَقْعُدُ لَهُ بِالْمَرَاصِدِ ، أى : يجلس له على الطريق يرقبه (لكى يحميه) .. والمراصد : جمع مرصد ، وهو طريق
الرصد والارتقاب .

(٨) يُخَايَرُ عَلَيْهِ الْقَوِيُّ : يستره ويحميه من الناس .

(٩) لها : للولاية .

البَابُ الْحَادِي عَشَرَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ ^(١) الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُ السُّلْطَانِ ، وَلَايَاتُ لَهُ دُونَهَا

فَأَوَّلُ الْخِصَالِ وَأَحْفَهَا بِالرَّعَايَةِ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ قِيَامُ الْمُلْكِ ^(٢) ، وَدَوَامُ الدُّوَلِ ،
وَأَسُّ ^(٣) كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، سَوَاءُ كَانَتْ نَبَوِيَّةً أَوْ إِصْلَاحِيَّةً .. اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَدْلِ ، ^(٤) ثُمَّ عَلَّمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ النَّفْسِ يُصْلَحُ عَلَى الْعَدْلِ ، بَلْ
تُطَلَّبُ الْإِحْسَانُ ، وَهُوَ فَوْقَ الْعَدْلِ ^(٥) ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ
ذِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٦) . فَلَمْ وَسِعِ الْخَلْقُ الْعَدْلَ مَا قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ^(٧) الْإِحْسَانَ ، فَمَنْ لَمْ يُصْلَحْ
حَتَّى يُزَادَ عَلَى الْعَدْلِ ، كَيْفَ يُصْلَحُ إِذَا لَمْ يُبْلَغْ بِهِ الْعَدْلُ ؟ .

وَالْعَدْلُ يَمِيزُ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٨) فِي الْأَرْضِ ، الَّذِي بِهِ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ،

(١) في م م : في معرفة .

(٢) قِيَامُ الْمُلْكِ : عِمَادُهُ وَنِظَامُهُ .

(٣) في م م : « وَأَسَاسُ » .. وَالْأَسُّ وَالْأَسَاسُ وَاحِدٌ .

(٤) في م م : « الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ » .

(٥) فوق العدل ، أى : يَجُلُو عَلَيْهِ .. وَبَعْدَهَا فِي م م : « قَالَ تَعَالَى » .

(٦) سورة النحل - من الآية ٩٠ .

(٧) في م م : « مَا قَرَنَ بِهِ » .

(٨) ما بين المعقوفين عن م م .

وَلِلْمُحِقِّ مِنَ الْمُبْطِلِ ، وَلَيْسَ مَوْضِعُ الْفِيزَانِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ فَقَطْ ، بَلْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ
أَيْضًا ، فَمَنْ أَرَادَ مِيزَانَ اللَّهِ الَّذِي وَضَعَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَأَعْلَمَ أَيُّهَا الْوَالِي ^(١) أَنَّ الْمَلِكَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ ، قَرَأَهُ أَتَتْ ^(٢) ، وَقَلْبُهُ وَزِيَرُكَ ، وَيَدَاهُ
أَعْوَانُكَ ، وَرِجْلَاهُ رَعِيَّتُكَ ، وَرُوحُهُ عَدْلُكَ ، وَمَا بَقَاءُ جَسَدٍ بِلَا رُوحٍ ، وَإِذَا أَرَدْتَ ذُرْوَةَ
الْعَدْلِ فَأَعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ ثَلَاثَةٌ الْفُئَسَى : كَبِيرٌ ، وَصَغِيرٌ ^(٣) ، وَوَسَطٌ .. فَاجْعَلْ كَبِيرَهُمْ
أَبًا ، وَوَسَطَهُمْ أَخًا ، وَصَغِيرَهُمْ ابْنًا ^(٤) ، فَبِرُّ أَبَاكَ ، وَكَرِيمُ أَخَاكَ ، وَارْحَمِ ابْنَكَ ^(٥) ،
فَأِنَّكَ وَاصِلٌ بِذَلِكَ إِلَى بِرِّ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ عَدْلَ ^(٦) الْمَلِكِ يُوجِبُ الْاجْتِمَاعَ عَلَيْهِ ، وَحُورُهُ يُوجِبُ الْافْتِرَاقَ عَنْهُ ..
عَدْلُ ^(٧) الْمَلِكِ حَيَاةُ رَعِيَّتِهِ . وَفِي مَثَوِي الْحِكْمِ : سُلْطَانٌ جَائِرٌ أَرْبَعِينَ عَامًا ^(٨) خَيْرٌ مِنْ
رَعِيَّةٍ مُهْمَلَةٍ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّهَارِ .. إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ ^(٩) فِيمَا قَرَبَ مِنْهُ صَلَاحٌ لَهُ
مَابَعْدَ عَنْهُ .. فَضْلُ الْمُلُوكِ فِي الْإِعْطَاءِ ، وَشَرَفُهَا فِي الْعَفْوِ ، وَعِزُّهَا فِي الْعَدْلِ .. عِدَّةُ
السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ : مُشَاوَرَةُ النُّصَحَاءِ ، وَتَبَاطُؤُ نِيَّاتِ الْأَعْوَانِ ، وَإِقَامَةُ سُوقِ الْعَدْلِ ..
أَفْضَلُ الْأَرْزَمَةِ أَرْزَمَةُ أُمَّةِ الْعَدْلِ .

(١) في « م » : « أَيُّهَا الْمَلِك » .

(٢) مكنا في « ط » .. وفي « م » وقع اضطراب في هذه الجملة من الناسخ ، إذ وضع كلمات مكان أخرى ، فلم
يستقيم المعنى .

(٣) في « م » : « صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ » .

(٤) في « م » : « وَلَدًا » .

(٥) في « م » : « وَلَدَكَ » .

(٦) في « م » : « عِنْدَكَ ، بَدَلُ عَدْلٍ » تعريف .

(٧) في « م » : « وَعَدْلٌ » .

(٨) في « م » : « سِتَّةً » .

(٩) في « م » : « إِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ » .

ثُمَّ الْعَدْلُ يَنْقَسِمُ فَنَسَمَتَيْنِ : قَسَمٌ ^(١) إِلَهِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(٢) عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي مَا يَشِبُّهُ الْعَدْلُ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ ^(٣) الَّتِي هَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَنَشَأَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ . وَبَعِيدٌ أَنْ يَنْقَى سُلْطَانٌ ، أَوْ تَسْتَقِيمَ رَعِيَّةٌ فِي حَالِ إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ بِلَا عَدْلٍ قَائِمٍ ، وَلَا تَرْتَبُ لِلْأُمُورِ ثَابِتٌ ، فَذَلِكَ مَا لَا يَجُوزُ وَلَا يُمَكِّنُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] ^(٤) سَلَبَ مُلْكُهُ حِينَ جَلَسَ الْخَصَمَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ لِأَحَدِهِمَا خَاصَّةٌ بِسُلَيْمَانَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لِخَاصَّتِي ^(٥) فَأَقْضَى لَهُ ، فَسَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكُهُ ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى كُرْسِيِّهِ . فَاجْعَلِ الْعَدْلَ رَأْسَ سِيَاسَتِكَ فَتَسْقُطَ عَنْكَ جَمِيعُ الْآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ لِلْسِّيَاسَةِ ، وَتَقُومَ لَكَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْمَمْلَكَةُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ ^(٦) . وَأَسَدٌ خَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ ظَلُومٍ ^(٧) . وَسُلْطَانٌ ظَلُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تُدُومُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ^(٨) : إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكَ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا فَعَلَيْهِ الْوِزْرُ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ .. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَخْرُجَانِ الْمُلْكَ . وَاتَّفَقَ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَقَالُوا : الْمُلْكُ بِنَاءٌ ، وَالْجُنْدُ أَسَاسُهُ ، فَإِذَا قَوِيَ الْأَسَاسُ دَامَ الْبِنَاءُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْأَسَاسُ انْهَارَ الْبِنَاءُ .

(١) سقطت « قَسَمٌ » من « م » .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) الإصلاحية : التي تأتي بما هو نافع ، وتزيل الفساد .. وفي « م » : « الاصطلاحية » . وتعني : ما اتفقوا وتعارفوا عليها .. وهرم عليها : كبر وضمف .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) في « م » : « لصاحبي » .

(٦) مطر وابل : شديد القطر .

(٧) أسد خطوم : عنيف ، يأتي على كل شيء .. وسُلْطَانٌ ظَلُومٌ : جَارٌ وَجَلَّوَزُ الْحَدِّ فِي الظُّلْمِ .

(٨) هو : الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود .. وقد مرت ترجمته .

فَلَا سُلْطَانَ إِلَّا بِجُنْدٍ ، وَلَا جُنْدَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا مَالَ إِلَّا بِجِبَايَةٍ ، وَلَا جِبَايَةَ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ،
وَلَا عِمَارَةَ إِلَّا بِعَدْلٍ . فَصَارَ الْعَدْلُ أَسَاسًا لِسَائِرِ الْوَلَايَاتِ ^(١) .

فَأَمَّا الْعَدْلُ النَّبَوِيُّ [فَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِيهِ] ^(٢) أَنْ يَجْمَعَ السُّلْطَانُ إِلَى تَفْسِيهِ حَمَلَةَ الْعِلْمِ
الَّذِينَ هُمْ حِفَاطُهُ وَرِعَايَتُهُ وَقَفَاهُ ، وَهُمْ الْأِدْلَاءُ ^(٣) عَلَى اللَّهِ [تَعَالَى] وَالْقَائِمُونَ بِأَمْرِ
اللَّهِ ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ، وَالنَّاصِحُونَ لِعِبَادِ اللَّهِ . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] قَالَ : « إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ
النَّصِيحَةُ . إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ،
وَلِلْأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

فَاتَّخِذْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ شِعَارًا ، وَالصَّالِحِينَ دَنَارًا ^(٥) ، فَتَدُورُ الْمَمْلَكَةُ بَيْنَ نَصَائِحِ
الْعُلَمَاءِ ، وَدَعَوَاتِ ^(٦) الصَّالِحَاءِ ، وَأَخْلِقْ بِمُلْكِكَ يَدُورُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ أَنْ تَقُومَ
عُمُدُهُ ^(٧) ، وَيَطُولَ أَمْدُهُ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ قَرَّرَهُمُ ^(٨) اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَاصْطَفَاهُمْ
بِخَالِصِ مَعْرِفِهِ ، فَقَالَ ، جُلٌّ مِنْ قَائِلٍ : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ » ^(٩) ، فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَتَنَّى بِمَلَائِكَتِهِ ، وَتَلَّتْ بِأُولَى الْعِلْمِ ،
وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(١٠) الْمُؤَقَّقُونَ عَنِ اللَّهِ [تَعَالَى] ، لِأَنَّ

(١) هكذا في م .. و في ط : « الأساسات بدل الولابات » .

(٢) ما بين المعقوفين عن م .. وساقط من ط .. و في ط : « فأن ، مكان وأن » .

(٣) الأدلاء : جمع ذليل ، وهو المرثد . وما بين المعقوفين - بعدما - عن ط .

(٤) ما بين المعقوفين عن م .. في الموضعين .

(٥) الشعار : ما ولى الجسد من الثياب ، وهو كناية عن شدة الالتصاق والقرب .. والدنار : ما يندثر به الإنسان
من كساء أو غيره ، ويُشِيرُ فِرْقُ الشعار .. وفي حديث الأنصار ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أنتم الشعار
والناس الدنار » أي : أنتم الخاصة والبطانة ، يصفهم ، صلى الله عليه وسلم بالموتة والقرب .

(٦) في م : « ودعوة » .

(٧) في م : « يقوم عموده » .

(٨) في م : « وقد قرَّره » .

(٩) سورة آل عمران - من الآية ١٨ .

(١٠) ما بين المعقوفين عن ط .. في الموضعين .

الأنبياء^(١) لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ ، فَقَبِلَ تَعْظِيمَهُمْ وَتَفْزِيرَهُمْ امْتِنَالًا لِأَمْرِ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَعْظِيمَ لِمَنْ أُنْتَى اللَّهُ عَلَيْهِ . وَيَجِبُ تَرْفِيعُ مَجَالِسِهِمْ ، وَتَمْيِيزُ مَوَاضِعِهِمْ عَنْ سِوَاهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٣) . وَفِيهِ اسْتِمَالَةُ قُلُوبِ الرُّعْيَةِ ، وَخُلُوصُ نِيَّاتِهِمْ لِسُلْطَانِهِمْ ، وَاجْتِمَاعُهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ [وَتَوْفِيرِهِ]^(٤) ، فَوَاجِبٌ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ لَا يَقْطَعَ أَمْرًا دُونَهُمْ ، وَلَا يَفْصِلَ حُكْمًا إِلَّا بِمُشَاوَرَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ فِي مُلْكِ اللَّهِ يَحْكُمُ ، وَفِي شَرْعِيَّتِهِ يَتَصَرَّفُ ، وَأَقْلُ الْوَاجِبَاتِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْزِلَ نَفْسَهُ مَعَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَلَا يَتَّهَمَهُ ، أَلَيْسَ إِذَا خَالَفَ وَآلِيَهُ أَمْرُهُ وَمَا رَسَمَهُ لَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ عَزَلَهُ وَعَاقَبَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتُهُ ؟ وَإِذَا امْتَكَلَ أَوَامِرَهُ ، وَازْدَجَرَ مِنْ زَوَاجِرِهِ حَلَّ مِنْهُ مَحَلُّ الرِّضَاءِ ؟ فَوَاعَجَبًا لِمَنْ يَغْضَبُ عَلَى وَآلِيهِ إِذَا خَالَفَهُ ، ثُمَّ لَا يَخَافُ سَطْوَةَ رَبِّهِ عَلَيْهِ إِذَا خَالَفَهُ !

فَهَذِهِ طَرِيقُ إِقَامَةِ الْعَدْلِ الشَّرْعِيِّ ، وَالسِّيَاسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَامِعَةِ لَوُجُوهِ الْمَصْلَحَةِ ، الْآخِذَةُ لِزِمَةِ التَّذْيِيرِ^(٥) ، السَّالِمَةِ مِنَ الْعُيُوبِ ، الْمُتَمَهِّدَةُ لاسْتِقَامَةِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ . وَكَمَا أَنَّ الْمَلِكَ الْحَاظِمَ لَا يَتِمُّ حَزْمُهُ إِلَّا بِمُشَاوَرَةِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَخْيَارِ ، كَذَلِكَ لَا يَتِمُّ عُدْلُهُ إِلَّا بِاسْتِفْتَاءِ الْعُلَمَاءِ الْأَبْرَارِ ، وَقَدْ وَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي قِصَّةِ مُتَطَلِّمٍ مِنْ عَمْرِو بْنِ مُسْعَدَةَ^(٦) :
« يَا عَمْرُو ، اغْمُرْ نِعْمَتَكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا » .

(١) في م : : « عليهم السلام » .

(٢) في م : : « امتثال أمر الله » .

(٣) سورة المجادلة - من الآية ١١ .

(٤) ما بين المعقوفين عن م : وساقط من ط .

(٥) في م : : « الأخذ » بدل « الآخذة » تحريف .. وَأَزِمَةُ التَّذْيِيرِ : بِلَاكُهَا وَقَرَامُهَا ، جَمْعُ زِمَامٍ .

(٦) هو : عَمْرُو بْنُ مُسْعَدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صَوْلٍ ، أَبُو الْفَضْلِ الصُّوْلِيُّ ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ ، وَأَحَدُ الْكُتَّابِ الْبُلْغَاءِ ، كَانَ يُوقَعُ بَيْنَ يَدَيْ جَمْعٍ مِنْ بَنِي الْبِرْمَكِيِّ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ ، فَرَفَعَ مَكَاتِهِ وَأَغْنَاهُ .. وَكَانَ جَوَادًا مُتَذَكِّرًا نَبِيلًا .. تَوَفَّى فِي أَذَنَةِ (أَطَنَةِ) بَرْكِيَا سَنَةَ ٢١٧ هـ .

[انظر وفيهاत الأعيان ج ٣ ص ٤٧٥ - ٤٧٨ ، والأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٠٣ ،

٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ١٢٧ - ١٣١ وفيه : أن وفاته كانت سنة ٢١٤ هـ] .

وَفِي إِشَاعَةِ الْعَدْلِ قُوَّةُ الْقَلْبِ ^(١) ، وَطَبِيعَةُ النَّفْسِ ، وَلُزُومُ الْيَقِينِ ، وَأَمَانٌ مِنَ الْعَدُوِّ .
وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ الْهَرَمَزَانُ ^(٢) عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ حَاجِبًا
وَلَا بَوَّابًا ، فَقِيلَ لَهُ : هُوَ فِي الْمَسْجِدِ . فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَوَجَدَهُ مُسْتَلْقِيًا مُتَوَسِّدًا كَرُومًا مِنَ
الْحَصْبَاءِ ^(٣) وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : عَذْلَكَ فَأَمِنْتَ فَمِنْتُ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : رَأَيْتُ
عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ جَمَعَ الْحَصْبَاءَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ^(٤) عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَقَدْ وَضَعَ أَحَدَ جَانِبَيْ رِدَائِهِ ^(٥) عَلَيْهِ ، وَهُوَ يُؤَمِّدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
مَا عِنْدَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَدِرَّتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .. وَكَتَبَ عَامِلُ حِمَصَ ^(٦) إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ : أَنَّ مَدِينَةَ حِمَصَ قَدْ تَهَلَّهَتْ وَاحْتَاجَتْ إِلَى إِصْلَاحٍ ^(٧) . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ :
حَصَّنَهَا بِالْعَدْلِ ، وَتَقَرَّقَ طَرَفُهَا مِنَ الْجَوْرِ ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ حُرِمَ الْعَدْلَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، وَلَا خَيْرَ لِلنَّاسِ فِي سُلْطَانِهِ ^(٨) .
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ ^(٩) : مَا شِئْتُ الْمَأْمُونُ فِي بُسْتَانٍ ، وَالشَّمْسُ عَنْ يَسَارِي وَالْمَأْمُونُ

(١) لِي « د » : « قوام القلب » .

(٢) هو : قُرْمَةُ بَلَكُ « نَحْوِ رِسْتَان » .. جِيءَ بِهِ أُسِيرًا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ ،
فَمَزَالَ الْمُؤَكَّلُ بِهِ « بِالْهَرَمَزَانِ » يَقْضِي أَمْرَ عُمَرَ حَتَّى عَمِرَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ نَائِمًا مُتَوَسِّدًا دِرَّتُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ
« الْهَرَمَزَانُ » قَالَ : « هَذَا - وَاللَّهِ - الْمَلِكُ الْهَنِيُّ » ، عَذْلَكَ فَلَمِنْتُ فَمِنْتُ ! وَاللَّهِ ، إِنْ قَدْ تَحَدَّثْتُ أَرْبَعَةَ مِنْ مَلُوكِ
الْأَكْسَرَةِ أَصْحَابِ التَّيْجَانِ ، لَمَّا جِئْتُ أَحَدًا هَبْنِي لِصَاحِبِ هَذِهِ الدَّرَّةِ . وَلَمَّا أَسْلَمَ ، سَمَّاهُ عُمَرَ « عُرْفُطَةُ ذُو
الْكَلْبَةِ » .. قِيلَ يَوْمَ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَنَةَ ٢٣ هـ .. قَتَلَهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هُوَ
وَبَنَتْ أُمِّي لَوْلَاةُ الْجَوْسَى - الَّذِي طَعَنَ عُمَرَ - وَجُفَيْتَ (رَجُلٌ أَعْجَمِي) .

[انظر المعارف لابن قُتَيْبَةَ ص ١٨٧ و ٤٢١ ، وَثَمَارُ الْقُلُوبِ لِلْعَالِمِيِّ ص ٨٦] .

(٣) لِي « د » : « الْحَصَاءُ » فِي الْمَوْضِعِينَ .. وَالْحَصَا وَالْحَصْبَاءُ : صِغَارُ الْحِجَارَةِ .. وَالدَّرَّةُ : السَّوْطُ يُضْرَبُ بِهِ .

(٤) لِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٥) لِي « م » : « إِحْدَى جَانِبِي رِدَائِهِ » .. وَالْجَانِبُ : الشَّقُّ وَالنَّاحِيَةُ .

(٦) حِمَصُ : مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحَلَبَ .. تُذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ ، وَهِيَ مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ (التَّنْوِينِ) لِلْعِلْمِيَّةِ
وَالْعُجْمَةِ .

(٧) لِي « م » : « تَهَلَّهَتْ وَاحْتَاجَتْ إِلَى الصَّلَاحِ » .

(٨) لِي « م » : « فَلَا خَيْرَ لَهُ » .. وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ « خَيْرٌ » الثَّانِيَةِ مِنْ « ط » .

(٩) يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : قَاضِي قِضَاةِ بَغْدَادَ عَلَى أَهَامِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ .

فِي الظَّلِّ ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَقَعَتِ الشَّمْسُ أَيْضاً عَلَيَّ ، فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : تَحَوَّلْ مَكَانِي وَأَتَحَوَّلْ مَكَانَكَ حَتَّى تُكُونَ فِي الظَّلِّ كَمَا كُنْتُ ، وَأَقِيكَ الشَّمْسَ كَمَا وَفَّقْتَنِي ، فَإِنْ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَنْدِلَ الرَّجُلُ عَلَى بَطَائِيهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى يَتْلَعَ الْعَدْلُ الطَّبَقَةَ السُّفْلَى ، فَعَزَمَ عَلَيَّ ^(١) فَتَحَوَّلْتُ .

وَكَانَ يُقَالُ : لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ بَقَاءِ مُلْكٍ الْغَاصِبِ .. وَقِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ : لَوْ أَكْثَرْتَ مِنَ النِّسَاءِ حَتَّى يَكْثُرَ نَسْلُكَ وَيَحْيَا ذِكْرُكَ ! فَقَالَ : إِنَّمَا يُحْيِي الذِّكْرَ الْأَفْعَالُ الْجَبِيلَةُ ، وَالسَّيْرَةُ الْحَمِيدَةُ ، وَلَا يَحْسُنُ بِمَنْ يَغْلِبُ الرِّجَالُ أَنْ تَغْلِبَهُ النِّسَاءُ .. وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَنِ اتَّخَذَ الْعَدْلَ سُنَّةً كَانَ لَهُ أَحْسَنُ جُنَّةٍ ^(٢) ، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ حُلَّةَ الْعَدْلِ ، اسْتَكْمَلَ زِينَةَ الْفَضْلِ ^(٣) . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ^(٤) : إِنْ الْإِمَامَ الْعَادِلَ لَيْسَ كَيْتُ الْأَصْوَاتِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِنْ الْإِمَامَ الْجَائِرَ لَتَكْثُرَ مِنْهُ الشَّكَايَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ الْحَكِيمُ : لَا يَزَالُ السُّلْطَانُ مُنْهَلًا ^(٥) حَتَّى يَتَخَطَّى إِلَى أَرْكَانِ الْعِمَارَةِ وَمَبَانِي الشَّرِيعَةِ ، فَجِيئُهُ يُرِيحُ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٦) مِنْهُ .

وَقَالُوا : لَا تُظْلِمِ الضُّعَفَاءَ فَتَكُونَ مِنَ لِقَامِ الْأَقْوِيَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَمِيرٌ بِلَا

(١) عَزَمَ عَلَيَّ : أَمَرَنِي وَشَدَّدَ عَلَيَّ .

(٢) لِي م : « أَحْصَنَ جُنَّةً » . وَالْجُنَّةُ : كُلُّ مَا وَفَى الْإِنْسَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .

(٣) لِي م : « رِبَّةُ الْفَضْلِ » . وَالرِبَّةُ : الْمَنْزِلَةُ وَالْمَكَانَةُ .

(٤) هُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - ابْنُ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ مَفْتًى الْمَدِينَةِ ، وَأَحَدَ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ فِيهَا ، وَيُعَدُّ مِنْ أَعْلَامِ التَّابِعِينَ ، لَقِيَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَصَحَّحَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .. وَهُوَ مُؤَدَّبٌ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. قَالَ عُمرُ : « لَأَنْ يَكُونَ لِي مَجْلِسٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا » .. وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثِقَةً عَالِمًا ، فَقِيهًا ، كَثِيرَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ بِالشَّعْرِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، أورد أبو تمام قطعة منه في « الحماصة » . وأورد أبو الفرج الأصبهاني كثيرًا منه في الأغاني .. توفي - رحمه الله - بالمدينة سنة ٩٨ هـ على الأرجح .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١٥ ،

١١٦ ، وحبلى الأولياء ج ٢ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٤٢] .

(٥) مُنْهَلًا : نَتْرُوكًا لَمْ يَمُجِّلْ بِالْعِقَابِ .. وَلِي « ط » : « مُنْهَلًا » .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ (م) .. وَرُفِعَ اللَّهُ مِنْهُ : بِأَخْذِهِ أَخْذَ غَزِيٍّ مُقْتَدِرٍ ، فَرَفَعَ الرِّعْيَةَ مِنْ ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ .

عَدْلٍ ، كَعَجْمٍ بِلَا مَطَرٍ ، وَعَالِمٍ بِلَا وَرَعٍ ، كَأَرْضٍ بِلَا تَبَاتٍ . وَشَابٌ بِلَا ثَوْبَةٍ ، كَشَجَرٍ
بِلَا ثَمَرٍ . وَغَنِيٌّ بِلَا سَخَاءٍ كَقَفِيلٍ بِلَا مِفْتَاحٍ ^(١) . وَفَقِيرٌ بِلَا صَبْرٍ ، كَسِرَاجٍ ^(٢)
بِلَا ضَوْءٍ . وَامْرَأَةٌ بِلَا حَيَاءٍ ، كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ . وَقَالَ كِسْرَى ^(٣) : اتَّفَقَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ
عَلَى أَرْبَعٍ خِصَالٍ : أَنَّ الطَّعَامَ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا عَلَى شَهْوَةٍ ، وَالْمَرْأَةُ لَا تُنْظَرُ إِلَّا إِلَى
زَوْجِهَا ، وَالْمَلِكُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ يَعْدِلُهُمْ يَعْدِلُ مَنْ دُونَهُمْ ، وَالَّذِينَ
إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا ^(٤) كَانَ نَافِعًا غَيْرَ مَرْدُودٍ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : زُمْ مَا شِئْتَ بِالْإِصْصِافِ
وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ بِهِ ^(٥) . وَالظُّلْمُ أَدْعَى شَيْءًا إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ ، أَوْ تَعْجِيلِ نِقْمَةٍ .
وَقَالَ الْحَكِيمُ : شَرُّ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ الذُّنْبُ بَعْدَ الذُّنْبِ ، وَشَرُّ مِنْ هَذَا ^(٦) الْعُدْوَانُ عَلَى
الْعِبَادِ . وَمَتَى لَرَادِ السُّلْطَانِ حُسْنَ الصَّبْرِ ^(٧) ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ، فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ ،
وإِنْ أَحَبَّ الرَّقْمَى ^(٨) عِنْدَ اللَّهِ وَشَرَفَ الْمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ ، فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ ، وَإِنْ أَحَبَّهَا
جَمِيعًا فَلْيَقُمْ سَوْقُ الْعَدْلِ . وَالَّذِي ^(٩) يَخْلُدُ بِهِ ذِكْرُ الْمُلُوكِ عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ ، عَدْلٌ
وَاضِحٌ ، أَوْ جَوْرٌ فَاضِحٌ ، هَذَا يُوجِبُ لَهُ الرَّحْمَةَ ، وَهَذَا يُوجِبُ لَهُ اللَّعْنَةَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « كَقَفِيلٍ بِلَا مِلْحٍ » وستأتي بعد ذلك عند قوله : « كَطَعَامٍ بِلَا مِلْحٍ » حيث
سقطت الجملتان منها ، سهواً من الناسخ .

(٢) السَّرَاجُ : البَصْبَاحُ .

(٣) هو : كِسْرَى أَبُو شِيرَوَانِ بْنِ قَبَادٍ ، مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ ، وَهُضِرْبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعَدْلِ ، وَلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي زَمَانِهِ ، لَتَسْعَ سِنِينَ غَلَّتْ مِنْ مُلْكِهِ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : « وَلِدْتُ فِي زَمَنِ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ » .. وَكَانَ سَائِرُ الْأَكَاكِسَةِ ظَلَمَةً فَجَرَةً .. ظَلَّ مُلْكُهُ قَاتِلًا سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ .

[انظر المعارف ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، وثمار القلوب ص ١٧٨ ، ١٧٩] .

(٤) في « م » : « قَالُوا فَعَلُوا » بدون « أَوْ » .

(٥) زُمْ : أَطْلُبُ .. زَعِيمٌ : كَقَفِيلٍ .. الظُّفْرُ : الْقَوَازِ .

(٦) في « م » : « وَشَرُّ مِنْهُ » .

(٧) في « م » : « بَعْدَ الصَّبْرِ » والصَّبْرُ : الذِّكْرُ الْحَسَنُ .

(٨) الرَّقْمَى : الْفَرْقَى وَالْمَنْزِلَةُ .

(٩) في « م » : « الَّذِي » بدون عطف ، والسياق يستدعيه .

(فصل)

فَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْعَدْلِ ، وَهُوَ السِّيَاسَةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا عَلَى الْجَوْرِ فَيَقُومُ بِهَا أَمْرُ الدُّنْيَا ، وَكَانَتْهَا تُشَاكِلُ مَرَاتِبَ الْإِنصَافِ ^(٢) عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مُلُوكُ الطُّوَرِافِ فِي أَيَّامِ الْفُرْسِ ، وَكَانُوا كُفَّارًا بِاللَّهِ تَعَالَى ، يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالتَّيْرَانَ ^(٣) ، وَيَتَّبِعُونَ هَوَاجِسَ ^(٤) الشَّيْطَانِ ، فَوَضَعُوا ^(٥) بَيْنَهُمْ سُنَّةً ، وَأَسَّسُوا لَهُمْ أَحْكَامًا ، وَأَقَامُوا لَهُمْ مَرَاتِبَ فِي النِّصْفَةِ ^(٦) بَيْنَ الرُّعَايَا ، وَاسْتَجَبَاءِ الْخَرَاجَاتِ ، وَتَوْظِيفِ الْمَكُوسِ ^(٧) عَلَى التَّجَارَاتِ ، كُلُّ ذَلِكَ بِعُقُولِهِمْ عَلَى وَجْهِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا مِنْ بَرَهَانٍ ^(٨) ، يَبْدُ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ ، مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، فَمِنْهَا

(١) في م : : : الاصطلاحية .

(٢) في م : : : وكانه تُشَاكِلُ مراتب الإنصاف .. تُشَاكِلُ : يشابه ويُماثل .

(٣) هكذا في م .. ولي ط : : : كفارًا يعبدون التيران .

(٤) الهواجس : كل ما يخطر بالبال من خواطر ووسوس .

(٥) في م : : : فَوَضَعُوا عَلَى وَضْعٍ .. وَالسُّنَّةُ : الطرائق والأخلاق ، جمع سُنَّة .

(٦) النِّصْفَةُ : الإنصاف .

(٧) اسْتَجَبَاءُ الْخَرَاجِ : جَمْعُهُ .. وَالْمَكُوسُ : الضرائب .

(٨) في م : : : وَلَا نَصَبَ عَلَيْهَا بَرَهَانًا ، أَيْ : وَلَا أَقَامَ عَلَيْهَا دَلِيلًا .

(٩) في م : : : نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ .

مَا أَقْرَبَهُ فِي نَصَابِهِ ^(١) ، وَمِنْهَا مَا نَسَخْتَهُ وَأَبْطَلْتَ حُكْمَهُ ، فَعَادَتْ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ إِلَى أَمْرِ ^(٢) اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُكْمُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ ، وَيَبْطُلُ مَا سِوَاهُ .

وَكَانَ مُلْكُهُمْ مَحْفُوظًا بِرِعَايَاتِهِمْ لِلْقَوَائِنِ ^(٣) الْمَالُوفَةِ بَيْنَهُمْ ، فَانْقَطَعَ بِذَلِكَ خَبَلُ الْهَمَلِ ^(٤) ، فَكَانُوا ^(٥) يَقِيمُونَ بِهَا وَاجِبَ الْحُقُوقِ ، وَيَتَعَاظُونَ بِهَا مَا لَهُمْ وَ [مَا] عَلَيْهِمْ ، وَمِنْ هَذَا ^(٦) كَانَ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ الْكَافِرَ الْحَافِظَ لِشُرَائِطِ السِّيَاسَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ ^(٧) أَبْقَى وَأَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ الْمُؤْمِنِ الْعَدِلِ فِي نَفْسِهِ ، الْمُضَيِّعَ لِلْسِّيَاسَةِ النَّبَوِيَّةِ الْعَدْلِيَّةِ ، وَالْجَوْرَ الْمُتْرَبَّ أَبْقَى مِنَ الْعَدِلِ الْمُهْمَلِ ، إِذْ لَا شَيْءَ أَصْلَحَ لِأَمْرِ السُّلْطَانِ مِنْ تَرْتِيبِ الْأُمُورِ ، وَلَا شَيْءَ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ إِهْمَالِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ دِرْهَمًا يُؤْخَذُ مِنَ الرَّعِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْإِهْمَالِ وَالْخُرْقِ ^(٨) - وَإِنْ كَانَ عَدْلًا - أَفْسَدَ قُلُوبَهَا ^(٩) مِنْ عَشْرَةِ ثَوَاقِدَ مِنْهَا سِيَاسَةً عَلَى زِمَامٍ مَعْرُوفٍ ، وَرَسْمٍ مَالُوفٍ ، وَإِنْ كَانَ جَوْرًا ، فَلَا يَقُومُ السُّلْطَانُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَلَا لِأَهْلِ الْكُفْرَانِ ^(١٠) إِلَّا بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ النَّبَوِيِّ ، وَمَا يُشْبِهُ الْعَدْلَ مِنَ التَّرْتِيبِ الْإِصْطِلَاحِيِّ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ ^(١١) : الْمُلُوكُ ثَلَاثَةٌ : مَلِكٌ دِينٍ ، وَمَلِكٌ حَزْمٍ ، وَمَلِكٌ هَوَى ..

(١) في « م » : « مَا أَقْرَبُهُ فِي نَصَابِهِ » . والنصَاب : الأصل .

(٢) في « ط » : « إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » .

(٣) في « م » : « بِرِعَايَاتِهِمُ الْقَوَائِنِ » .

(٤) الْهَمَلُ : الإِهْمَالُ .. وفي « م » : « الْهَمَلُ » أَيْ : التَّخَلُّفُ فِي الْحِزْمِ . وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ .

(٥) في « م » : « وَكَانُوا » .

(٦) في « م » : « وَعَنْ هَذَا » وَسَقَطَتْ « إِنْ » بَعْدَهَا . وَ [مَا] زِيَادَةٌ لَمْ تَرِدْ فِي « م » وَ « ط » .

(٧) في « م » : « الْإِصْلَاحِيَّةِ » .

(٨) الْخُرْقُ : بَضْمُ الْحَقِّ لِلْعَجْمَةِ : الْجَهْلُ وَالْحُمُوقُ .

(٩) في « م » : « أَفْسَدَ قُلُوبَهَا » .

(١٠) في « م » : « الْكُفْرُ » بَدَلَ الْكُفْرَانِ .

(١١) هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْفُرْسِ ، وَوُلِدَ فِي الْعِرَاقِ سَنَةَ ١٠٦ هـ . وَكَانَ جَوْشِيًّا ، وَكَانَ اسْمُهُ رُوزِيَّةً قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَيُكْنَى بِأَبِي عَمْرٍو ، فَلَمَّا أَسْلَمَ تَسَمَّى بِعَبْدِ اللَّهِ ، وَتَكْنَى بِأَبِي عَمَدٍ ، وَأَمَّا الْمُقَفَّعُ - أَبِيهِ - فَاسْمُهُ الْمُبَارَكُ ، وَلَقَّبَ بِالْمُقَفَّعِ لِأَنَّ الْحُجَّاجَ ضَرَبَهُ فَفَقَعَتْ يَدُهُ ، أَيْ تَشَجَّتْ . وَهُوَ مِنْ أُمَّةِ الْكُتَّابِ ، وَأَوَّلُ مَنْ =

فَأَمَّا مَلِكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ ^(١) لِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ دِينَهُمْ كَانُوا رَاضِينَ ^(٢) ، وَكَانَ السَّاحِطُ فِيهِمْ ^(٣) بِمَنْزِلَةِ الرَّاضِي . وَأَمَّا ^(٤) مَلِكُ الْحَزْمِ فَيَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ ، وَلَا يَسْلُمُ مِنَ الطَّغْنِ وَالسَّخَطِ ، وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الدَّلِيلِ مَعَ حَزْمِ الْقَوَى . وَأَمَّا مَلِكُ الْهَوَىٰ فَلْيَعْبُ سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرٍ ^(٥) .

وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ نَزَلَ بِهِ صَمَمٌ ، فَأَصْبَحَ مُسْتَرْجِعًا ^(٦) مُهْتَمًّا بِأُمُورِ الْمَظْلُومِينَ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ اسْتِعْثَاتِهِمْ ، فَأَمَرَ مُتَادِيَهُ أَنْ لَا يَلْبَسَ أَحَدٌ فِي مَمْلَكِيهِ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومٌ ^(٧) ، وَقَالَ : لَئِنْ مُنِعْتُ سَمْعِي لَمْ أُمْنَعْ بَصَرِي ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ ظَلِمَ لَيْسَ ثَوْبًا أَحْمَرَ وَوَقَفَ تَحْتَ قَصْرِهِ فَكَشَفَ ^(٨) عَنْ ظُلَامَتِهِ . قَالَ شَيْخُنَا : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَجَّازِيُّ ، وَكَانَ مِنْ دَخَلِ الصِّينِ ، بِسِيرَةِ عَجِيبَةٍ غَرِيبَةٍ لِمُلُوكِهَا فِي سِيَاسَتِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ لِلْبَيْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْمَلِكُ نَاقُوسًا مَوْصُولًا بِسِلْسِلَةٍ ، وَطَرَفُ السِّلْسِلَةِ فِي خَارِجِ الطَّرِيقِ ، وَعَلَيْهَا أُمْنَاءُ لِلسُّلْطَانِ وَحَفَظَةٌ ، فَيَأْتِي الْمَظْلُومُ فَيَحْرُكُ

= عُثِيَ فِي الْإِسْلَامِ بِتَرْجُمَةِ كِبِ الْمُنْطِقِ .. تَرْجَمَ كِبِ أَرْسُطُوطَالِيَسِ الثَّلَاثَةَ فِي الْمُنْطِقِ لِلْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ .. وَتَرْجَمَ عَنْ الْفَارْسِيَةِ كِتَابَ « كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ » وَهُوَ أَشْهُرُ كِتَابِهِ ، وَأَنْشَأَ رِسَالَتَيْنِ غَايَةَ فِي الْإِبْدَاعِ ، مِنْهَا : « الْأَدَبُ الصَّغِيرُ » وَالْأَدَبُ الْكَبِيرُ ، وَالْبَيْتَةُ ، وَغَيْرَهَا .. أَتَيْتُ بِالزَّنْدَقَةِ ، فَقَتَلَهُ أَمْرُ الْبَصْرَةِ سَفِيَانُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْمُهَلَّبِيُّ سَنَةَ ١٤٢ هـ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ١٤٠ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٥ ، وثمار القلوب ص ١٧٦ وص ١٩٩ ، ٢٠٠ وغیرها من الصفحات] .

(١) في « م » : « إذا قام » .

(٢) في « م » : « راضين » يراعين ، وهو مخالف لقواعد اللغة - انظر الفیصل فی ألوان الجموع ص ١١ - وقد ورد هذا النص في « الأدب الكبير » - ص ٧٣ ط بيروت - تحت عنوان « الملک ثلاثة » باختلاف يسير في الأسلوب .

(٣) في « ط » : « فيه » .

(٤) في « م » : « قائماً » .

(٥) أي : أن الملک الذی يقوم على النهو والهوى لا یکتب له الدوام ، وسرعان ما یهلك ویدثر .

(٦) هكذا في « م » .. ومُسترجعاً ، أي : قَالَ : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .. وفي « ط » : « منوجعاً » .

(٧) في « م » : « لأ مظلوماً » . وكلامها له وجه في اللغة ، فالأول مرفوع على البدلية ، والآخر منصوب على الاستثناء .

(٨) في « ط » : « فيكشف » .. والظلمة : ما يطلبه المظلوم .

السُّلْسِلَة ، فَيَسْمَعُ الْمَلِكُ صَوْتَ النَّاقُوسِ ، فَيَأْمُرُ بِإِدْخَالِ الْمَظْلُومِ ، فَكُلُّ مَنْ حَرَّكَ
السُّلْسِلَة تَمْسِكُهُ تِلْكَ الْحَفَظَةُ حَتَّى تُدْخِلَهُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ .

(١) لِيَوْمٍ : يَدْخُلُ .

البَابُ الثَّانِي عَشَرَ
 فِي التَّصْيِيرِ عَلَى الْإِخْصَالِ الَّتِي رَعَمَ
 الْمُلُوكُ أَهَهَا أَرَاكَ دَوْلَتَهُمْ وَهَدَمَتْ
 سُلْطَانَهُمْ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، اخْرِصْ كُلَّ الْجِرْصِ أَنْ تَكُونَ خَيْرًا بِأُمُورِ عُمَالِكَ ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ
 يَفْرُقُ ^(١) مِنْ خَيْرَتِكَ بِه قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ ، وَالْمُحْسِنُ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ بِهِ قَبْلَ ^(٢)
 أَنْ يَأْتِيَهُ قَوَائِكَ .. قَالَ ^(٣) أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا زَالَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ مُسْتَقِيمًا حَتَّى أَفْضَى
 أَمْرُهُمْ إِلَى أَهْلِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ ^(٤) ، فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ - مِنْ عَظِيمِ شَأْنِ الْمُلُوكِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ
 - قَصْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَإِثَارَ اللَّذَاتِ ، وَالِدُخُولِ فِي مَعَاصِي اللَّهِ وَمَسَاجِطِهِ ، جَهْلًا مِنْهُمْ
 بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمْنًا لِمَكْرِهِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٥) الْعِزَّ ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ
 النِّعْمَةَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ ^(٦) وَمَرْوَانُ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَرْوَانَ الْجِمَارِ ، وَهُوَ

(١) يَفْرُقُ : يَشْعُدُ غَرْفُهُ .

(٢) فِي (م) : « يَعْلَمُكَ قَبْلَ » .

(٣) فِي (م) : « وَقَالَ » .

(٤) أَفْضَى أَمْرُهُمْ : وَصَلَ وَانْقَهَى .. وَالْمُتَرَفِّينَ : الْمُتَعَفِّينَ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْرِفَيْنِ عَنْ (م) .

(٦) هَكَذَا فِي (م) .. وَلِي (ط) : « عَيْدُ اللَّهِ » - وَهُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ - وَالْمَرَادُ هُنَا الْأَوَّلُ ،

حَيْثُ إِنَّ عَيْدَ اللَّهِ هَلَكَ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ كَلًّا وَعَطِشًا ، وَالْقِصَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ هُنَا جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، =

آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قُتِلَ فِي أَرْضِ مِصْرَ فِي كَوْرَةِ بُوصِيرٍ ^(١) : لَمَّا زَالَ مُلْكُنَا وَهَرَبَتْ
إِلَى أَرْضِ الثُّوْبَةِ ^(٢) فِيمَنْ اتَّبَعْنِي ^(٣) مِنْ أَصْحَابِي ، فَسَمِعَ مَلِكَ الثُّوْبَةِ بِخَبْرِي ، فَجَاءَنِي ،
فَقَعَدَ عَلَيَّ الْأَرْضَ وَلَمْ يَقْعُدْ عَلَيَّ فِرَاشِ اقْتَرَشْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا تَقْعُدُ عَلَيَّ ثِيَابِنَا ؟ قَالَ :
لَا . قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مَلِكٌ ، وَحَقٌّ عَلَيَّ كُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَقَاضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ
إِذَا رَفَعَهُ . ثُمَّ قَالَ لِي : لِمَ تَشْرَبُونَ الْحَمْرَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَطْوُونَ الزُّرْعَ
بِدَوَابِّكُمْ وَالْفَسَادُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ وَلِمَ تَسْتَعْمِلُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَتَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ
وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ؟ فَقُلْتُ : زَالَ عَنَّا الْمُلْكُ ، فَقُلْنَا أَنْصَارُنَا ، وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ
مِنَ الْأَعَاجِمِ دَخَلُوا دِينَنَا ، وَلَنَا عَبِيدٌ وَاتَّبَاعٌ فَعَلُوا ذَلِكَ عَلَيَّ كَرِهًا مِنَّا . فَأَطْرَقَ مَلِيًّا يَغْلُبُ
كَفِيهِ وَيَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ ^(٤) ثُمَّ قَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ

= وقد أوردها ابن العماد في شذرات الذهب عندما قرأ ، ثم غفر عليه وسجن ، وحدث بها أبا جعفر المنصور ..
وعبد الله هذا هو عبدالله بن مروان بن محمد الأموي ، وهو من بقايا بني أمية في الشام ، شهد وقائع الكارثة وزوال
دولتهم في أيام أبيه سنة ١٣٢ هـ . وقرأ عبد الله بن مروان من عبد الله بن علي العباسي (عم السفاح) إلى بلاد النوبة ،
ثم ظفر به الأمير نصر بن محمد بن الأشعث في فلسطين - وقيل في جندة - فأجذ وسجن في بغداد ، ومات نحو سنة
١٧٠ هـ في أيام الرشيد .

أما أبوه مروان بن محمد ، فقد لُقِبَ بالبحار - أو حمار الجزيرة - لجرأته وصبره في الحرب .. وقيل غير ذلك .
واشتهر بمروان الجفندي ، نسبة إلى مؤدبه جند بن درهم ، وكانت مدة خلافته - إلى أن يبيع السفاح - خمس سنين
وشهرًا .. ولما أُقْتِلَ : خمس سنين وعشرة أشهر .. وله غزوات وفتوحات ، وحروب كثيرة مذكورة في كتب
التاريخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٧ ، وج ٧ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والإمامة والسياسة
ج ٢ صفحات متفرقة ، وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٧٤ - ٧٧ ، وتاريخ الطبري ج ٧ حوادث سنة ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٣٢ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ حوادث السنوات نفسها التي عند الطبري ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ٨٧ ،
وشذرات الذهب ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٨ ، ومعجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(١) في « م » : « كَرَّة » أي : الحملة التي قُتِلَ فيها ، اسم مَرَّةٍ من الكَرِّ .. والكورة : الصُّفْعُ ، أو البقعة التي
يجمع فيها قُرَى ومحال . وبوصير : اسم لأربع قرى بمصر ، والتي قُتِلَ فيها مروان بن محمد هي : بوصير ، قوريليس ، أو
بوصير الأفهمونين .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٥٠٩] .

(٢) في « م » : « الصين » . تحريف من الناسخ .

(٣) في « م » : « تَبَعْنِي » .

(٤) أي : يُؤَثِّرُ فيها بَعْدُ أو نحوه ، يفكر كأنما يُحَلِّثُ نفسه .. ومليًا : طويلاً .

الله ^(١) ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ ، فَسَلَبَكُمْ اللهُ الْعِزَّ بِذُنُوبِكُمْ ، وَللهُ فِيكُمْ نِقْمَةً لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا ، وَأَخَافُ أَنْ يَجْلَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ يَبْلَدِي فَيُصِيبَنِي مَعَكُمْ ، وَإِنَّمَا الضَّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَتَزَوَّدُوا مَا اخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ وَارْتَجَلُوا عَنْ بَلَدِي ، فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَجَلْنَا ^(٢) .

وَسُئِلَ بُزْرَجِيهْرُ ^(٣) : مَا بَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ ^(٤) صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ، بَعْدَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَشِدَّةِ ^(٥) الْأَرْكَانِ ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَلَدُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرِّجَالِ . وَعَنْ هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَوْتُ أَلْفٍ مِنَ الْعِلْيَةِ أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ ^(٦) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِنَّ زَوَالَ الدُّوَلِ بِاصْطِنَاعِ السُّفُلِ ^(٧) . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ^(٨) : أَظْلَمَ النَّاسُ لِنَفْسِهِ الْلَيْمِ : إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا أَقَارِبُهُ ، وَأُنْكَرَ مَعَارِفُهُ ، وَاسْتَحَفَّ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

(١) في (م) : : « مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ » .

(٢) جملة : « فَتَزَوَّدْنَا وَارْتَجَلْنَا » عن (ط) ، ولم يُرَدِّ في (م) .

(٣) اسم فارسي مُركَّب من جزأين : « بُزْرَج » وهو معرب : بزرگ ، أى : عظيم .. و « يهْر » بمعنى : شمس .. والفرس تقدم الوصف على الموصوف فيكون التركيب على النسق العربي : « عظيم كالشمس » .. وكان بُزْرَجِيهْرُ من حُكَمَاءِ الْفَرَسِ ، وَوَزِيْرًا لَأَبُو شِيْرَوَانَ .

[انظر أدب الدنيا والدين ، صفحات متفرقة ، وص ٣٥ (حاشية) ط الدار المصرية اللبنانية ، وإعجام الأعلام ص ٧٣ ، ٧٤] .

(٤) آل ساسان : ملوك الفرس .

(٥) في (م) : : « وشباب الأركان » .

(٦) السُّفْلَةُ وَالسُّفْلَةُ : أسافل الناس وغوغاؤهم .

(٧) الاصطناع : الاختيار .

(٨) في (م) : : « رحمه الله » .. والشافعي هو : الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القُرشي المِطْلَبِي ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه نسبة الشافعية كافة .. وُلِدَ في غزوة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ . ومات أبوه شاباً ، فَنَشَأَ يَتِيْمًا في حجر أمه .. وحُجِّلَ من غزوة إلى مكة وهو ابن ستين . ونشأ بها .. وكان من أحذق قريش بالرُثْمِ ، يصيب من عشرة أسهم عشرة أو تسعة .. ثم أقبل على العربية والشعر ، فبدع في ذلك وتقدم .. ثم حُبِبَ إليه الفقه والحديث ، فَسَادَ أهل زمانه .. وأُفْتِيَ وهو ابن عشرين سنة ، وكان ذكياً مُفْرِطًا .. وله تصانيف كثيرة ، أشهرها كتاب « الأم » في الفقه .. زار بغداد مرتين ، ثم قصد إلى مصر سنة ١٩٩ ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ وبقي معروف وقُرَّار .

[وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ زَوَالِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي سَلَبَكَ مُلْكَكَ ؟ قَالَ : إِعْطَاؤُنَا مَنْ بَطَرَ وَطَعَى ، وَرَفَعَ عَمِلَ الْيَوْمِ لِعَدِ] ^(١) . وَسِئِلُ بَعْضِ الْمُلُوكِ بَعْدَ أَنْ سَلَبُوا مُلْكَهُمْ ^(٢) : مَا الَّذِي سَلَبَ عِزُّكُمْ ، وَهَدَمَ مُلْكَكُمْ ؟ فَقَالَ : شَغَلْتَنَا لَذَائِنَا عَنِ التَّفَرُّغِ لِمِهْمَاتِنَا ، وَوَرَقْنَا بِكُفَاتِنَا ^(٣) فَأَثَرُوا مُرَافِقَهُمْ عَلَيْنَا ، وَظَلَمَ عُمَلَانَا رَعِيَّتَنَا ^(٤) فَأَنْفَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ لَنَا ، وَكُنْمُوا الرَّاحَةَ مِنَّا ، وَحُجِّلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ^(٥) فَقُلَّ دَخْلُنَا ، وَبَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ^(٦) فَزَالَتِ الطَّاعَةُ مِنْهُمْ لَنَا ، وَقَصَدْنَا عَدُوَّنَا ، فَقُلَّ نَاصِرُنَا . وَكَانَ أَعْظَمَ مَازَالَ بِهِ مُلْكُنَا اسْتِثَارُ الْأَخْبَارِ عَنَّا ، [ثُمَّ أَنَا وَلَيْتَنَا أَكْبَرَ الْأَعْمَالِ لِأَصْغَرِ الْعُمَالِ ، قَالَ أَمَرْنَا إِلَى مَا آل] ^(٧) .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَعْظَمُهَا وَأَسْرَعُهَا فِي إِنْسَادِهِ وَتَفْرِيقِ الْجَنَاحِ عَنْهُ : إِظْهَارُ الْمَحَابَةِ ^(٨) لِقَوْمِ دُونِ قَوْمِ ، وَالْمَيْلُ إِلَى قَبِيلَةٍ دُونَ قَبِيلَةٍ ، فَمَتَى أَعْلَنَ يَحُبُّ قَبِيلَةٍ فَقَدْ بَرَى مِنْ قَبَائِلِ . وَقَدِيمًا قِيلَ : الْمَحَابَةُ مَفْسَدَةٌ ^(٩) . وَقَالَ

= [انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥ - ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ - ٧٣ والتاريخ الكبير للبغاري ج ١ ص ٤٢ والأعلام ج ٦ ص ٢٦ ، ٢٧ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩ - ١٢ ومعجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨١ - ٣٢٧ وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٠٣ وطبقات الشافعية (الذي على طبقات الشيرازي) ص ١٨٥ - ١٨٨ ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٩ وغيرها من كتب التراجم] .

(١) ما بين المقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : « بعد زوال ملكه » .

(٣) كُفَاتِنَا : مَنْ يَقُومُونَ مَقَامَنَا .

(٤) من أول قوله : « فَأَثَرُوا » إلى قوله « رَعِيَّتَنَا » عن « ط » وساقط من « م » .

(٥) حُجِّلَ عَلَى أَهْلِ خُرَاجِنَا ، أَيْ : أَثْقِلَ عَلَيْهِمْ . وَالْخُرَاجُ : الْجِزْيَةُ أَوْ الْإِثَارَةُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ .

(٦) بَطَلَ عَطَاءُ عِبِيدِنَا ، أَيْ : ذَهَبَ وَضَاعَ .

(٧) ما بين المقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٨) في « م » : « عن إظهاره للمحابة » . وَالْمَحَابَةُ : الْمَسَاحَةُ ، وَإِعْطَاءُ الشَّيْءِ بِلَوْنٍ عَوَضَ ، مَأْخُذٌ مِنْ : حَبْرَتِهِ ، إِذَا أُعْطِيَ .

(٩) الْمَفْسَدَةُ : الضَّرَرُ .. يُقَالُ : هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ مَفْسَدَةٌ لَكُنْذَا ، أَيْ : فِيهِ فَسَادٌ .

مَهْيُودُ الْمُؤَيَّدَانِ ^(١) : مِنْ زَوَالِ السُّلْطَانِ ^(٢) تَقَرَّبَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَبَاعَدَ ، وَمُبَاعَدَهُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقْرَبَ ، وَحَيْثُ حَانَ أَوَّانُ الْعَذْرِ . وَقِيلَ لِمَلِكٍ بَعْدَ ذَهَابِ مُلْكِهِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَكُمْ ؟ قَالَ : ثِقْنِي بِدَوْلَتِي ، وَاسْتِنْدَادِي بِمَعْرِفَتِي ، وَاغْفَالِي ^(٣) اسْتِشَارَتِي ، وَاعْجَابِي بِشِدَّتِي ، وَاضَاعَتِي الْجِيلَةَ فِي وَقْتِ حَاجَتِي ^(٤) وَالتَّائِي عِنْدَ الْعَجَلَةِ ^(٥) .

وَلَمَّا أُحِيطَ بِمَرَوَانَ الْجَفِيدِي ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : لَهْفَاهُ ^(٦) عَلَى دَوْلَةِ مَائِصِرْتِ ، وَكَفَّ مَا ظَفِرَتْ ^(٧) ، وَنِعْمَةً مَا شَكِرَتْ ! فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ « تَسْتَلِ » ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ أَشْرَافِ الرُّومِ : مَنْ أَغْفَلَ الصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَالْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ ، وَالْخَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ ، أَصَابَهُ بِمِثْلِ هَذَا .. وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : مَا الَّذِي أَذْهَبَ مُلْكَ ^(٨) بَنِي مَرَوَانَ ؟ قَالَ : تَحَاسُّدُ الْأَكْفَاءِ ^(٩) ، وَانْقِطَاعُ الْأَخْبَارِ ، وَذَلِكَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَرَ ^(١٠)

(١) الْمُؤَيَّدَانِ : فقيه الفُرسِ ، وحاكم الجُوس .. وفي لسان العرب : المؤيدُ : القاضي .. والمؤيدان للمجوس ، كقاضى القضاة للمسلمين .

[انظر اللسان — مادة موبد ، والمقد الفريد ج ١ ص ٢٩٤] .

(٢) في م : : « من علامة زوال السلطان » .

(٣) الإغفال : ترك الشيء إهمالاً من غير نسيان .. وفي م : : « واستغفال » وهو تَرْقُبُ الْعُقْلَةِ .

(٤) في ط : : « وقت حاجتي » بدون « في » .

(٥) في م : : « عند عَجَلَتِي » . والعجلة : السرعة .

(٦) في م : : « يا لَهْفَاهُ » .

(٧) كَفَّ مَا ظَفِرَتْ : ما نالت ، أو : ما غلبت .

(٨) في م : : « بِمُلْكِ » .

(٩) الْأَكْفَاءُ : جمع كَفَّ ، وهو المُتَابِل والنظير .

(١٠) في ط : : « زيد بن عمر » خطأ .. وهو : يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ ، أبو خالد ، من بني فزارة ، أمير ، وقائد ، ومن ولاية الدولة الأموية ، وُلِدَ سنة ٨٧ هـ ، وأصله من الشام ، وَلِيَ « قَسْرِينَ » للوليد بن يزيد ، ثم جُمِعَتْ له ولاية العراقين البصرة والكوفة سنة ١٢٨ هـ في أيام مروان بن محمد ، واستفحل أمر الدولة العباسية في زمن إمارته ، فقاتل أشياعها مُتَمَدِّدًا ، وتغلَّبَ جيوش « خُرَّاسَان » على جيوشه ، فرحل إلى واسط وتخصَّصَ بها ، فَوَجَّهَهُ « السَّفَاحُ » أخاه المنصور ، لحرِّه ، فمكث المنصور زمناً بواسط يقاتله حتى أعياه أمره ، فكتب له بالأمان والصلح . وأمضى « السَّفَاحُ » الكتاب ، فرضى ابن هُبَيْرَةَ وأطاع ، وأقام بواسط ، وعمل أبو مسلم الخراساني على الإيقاع به ، فنقض « السَّفَاحُ » عهده له ، وبعث إليه مَنْ قَتَلَهُ بِقَصْرِ « واسط » سنة ١٣٢ هـ .. وكان سَخِيحًا ، جَسِيئًا ، خَطِيئًا ، وفيه حسدٌ .. وكان أبو جعفر المنصور يقول : « لا يَمُزُّ مُلْكُ هَذَا فِيهِ » .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣١٣ - ٣٢١] .

كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَضَعَ ^(١) مِنْ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ ^(٢) ، وَكَانَ لَا يَمُدُّهُ بِالرَّجَالِ ، وَلَا يَرْفَعُ إِلَى السُّلْطَانِ مَا يَرِدُ ^(٣) عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِ خُرَاسَانَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ قَالَ ^(٤) :
أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى نَارٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ ^(٥)

(١) يَضَعُ مِنْهُ : يُذِلُّهُ وَيَحْطُ مِنْ قُدْرِهِ .

(٢) هو : نصر بن سيار بن رافع بن خُرَيْب بن ربيعة الليثي الكناني ، أمير من الدهاة الشجعان ، وكان من الخطباء الشعراء .. كان شيخ مُضَرٍّ بخراسان ، ووالى « بُلُخ » ثم وَلَّى إمْرَةَ خُرَاسَانَ سنة ١٢٠ هـ . وقويت الدعوة العباسية في أيامه ، فكتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم وينذرهم ، فلم يَأْبَهُوا لِلحَظَرِ ، فصار يدبر الأمور إلى أَنْ أَعْيَتْهُ الحيلة ، وتَغَلَّبَ أَبُو مُسْلِمٍ عَلَى « خُرَاسَانَ » فخرج نصر بن سيار من « مَرْو » سنة ١٣٠ هـ ورحل إلى « نيسابور » فَسَيَّرَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَيْهِ « قُحْطَبَةَ بْنِ شَيْبٍ » فانتقل نصر إلى « قُومِس » وكتب إلى ابن هبيرة - وهو بواسط - يطلب منه مددًا ومعونة ، وكتب إلى مروان بن محمد - وهو بالشام - وأخذ ينتقل منتظرًا النجدة إلى أَنْ تَمَرَضَ فِي مَقَارَئِهِ بَيْنَ الرَّيِّ وَهَمْدَانَ ، ومات بِسَلاَوةِ سنة ١٣١ هـ .

[انظر تاريخ الطبري ج ٧ صفحات متفرقة ، والكامل في التاريخ ج ٤ وغيرهما من كتب التاريخ المشهورة ، وانظر الأعلام ج ٨ ص ٢٣ . وفي المُتَحَرَّرِ لابن حبيب ص ٢٥٥ أنه حُصِرَ بِمَرْوِ ثَلَاثَ سِنِينَ - انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، وص ١٥٨ ، ١٥٩] .

(٣) فِي « م » : « سُلْطَانٌ » .. وَفِي « ط » : « بَعْدَهَا » : « مَا يُؤْرَدُ » .. وَمَا يَرِدُ ، أَيْ : يَلْغِيهِ وَيُؤَافِيهِ .

(٤) هذه الأبيات من شعره ، وقد كتبها ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ عِنْدَمَا بَدَأَتْ الفتنَةُ تَطُلُ بِرَأْسِهَا ، وَبَدَأَ الْعَبَّاسِيُّونَ التَّحَرُّكَ فِي « خُرَاسَانَ » بِقِيَادَةِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ لِلانْقِضَاذِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ .. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ج ١ ص ١٥٨ ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ج ٧ ص ٣٦٩ ، وَالْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ج ٤ ص ٣٠٣ ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ، كِتَابُ الْحَرْبِ ، ص ١٢٨ .

(٥) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « م » ، وَ « ط » .. وَفِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ : « وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ » .. وَفِي الطَّبَرِيِّ :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضَى جَمْرٍ فَأُخِجَ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وفى الكامل :

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضَى نَارٍ وَأُخِشِيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وفى البيان والتبيين :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى جَمْرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ

وفى عيون الأخبار :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِضَى جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ

وَأَنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ لَتَذُكُّو وَأَنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ ^(١)
فَقُلْتُ تَجَاهِلًا : يَا لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامُ ! ^(٢)

وَكَانَ الْعَبَّاسِيُّونَ يُؤَسِّسُونَ لِدَوْلَتِهِمْ ، وَلَا تَصِلُ أَنْبَارُهُمْ إِلَى بَنِي أُمِّيَّةٍ حَتَّى
اسْتَحْفَلَ ^(٣) أُمَرَهُمْ ، وَضَعَفَ أَمْرُ بَنِي أُمِّيَّةٍ .. وَسُئِلَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيُّ ، وَهُوَ
آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمِّيَّةٍ : مَا الَّذِي أَضْعَفَ مُلْكَكَ بَعْدَ قُوَّةِ السُّلْطَانِ ، وَثَبَاتِ الْأَرْكَانِ ؟
فَقَالَ : الْاسْتِغْدَادُ بِرَأْسِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَيَّ كُتُبُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ أَنْ أُمِدَّهُ بِالْأَمْوَالِ
وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الْاسْتِكْثَارَ مِنَ الْأَمْوَالِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَسَادِ
الدَّوْلَةِ قَبْلَهُ ^(٤) ، وَهِيَئَاتِ أَنْ تَنْتَقِصَ ^(٥) عَلَيَّ خُرَاسَانَ .. فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ مِنْ خُرَاسَانَ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بِالْعُودَيْنِ يُذَكُّو » ..

وفي الطبري :

لَبَانَ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ لَتَذُكُّو وَأَنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ
وفي الكامل « مَبْدُوهَا كَلَامٌ » .

وفي عيون الأخبار بعد هذا البيت :

لَبَانَ لَمْ يُطْلِقْهَا غِلَاءَ قَوْمٍ يَكُونُ رُغُودَهَا جُحْتُ وَهَامٍ
(٢) هكذا البيت في « م » و « ط » ..

وفي الطبري وابن الأثير ، و« عيون الأخبار » ، والبيان والتبيين :

« فَقُلْتُ مِنَ التَّحَبُّبِ لَيْتَ شِعْرِي » .

وفي البيان والتبيين بعد هذا البيت :

لَبَانَ كَانُوا لِيَحْيِيَهُمْ يَتَامَا فَقُلْ : قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ الْمَتَامُ

(٣) استحفل : تفاقم واشتد .. وفي « م » : « استحفل » تحريف من الناسخ .

(٤) الْقَيْلُ : الجهة أو الناحية .

(٥) وهيات أن تنتقص علي خراسان أي : من المستبعد أن يخرج أهلها علي ويغلبوا طاعني .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ^(٥)

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَابِ دَوَامُ الْمُلْكِ مَعَ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ .. اعْلَمُوا أَنَّ الْكِبَرَ
وَالْإِعْجَابَ يَسْتَلْبِانِ الْقَضَائِلَ وَيُكْسِبَانِ الرِّذَائِلَ ، لِأَنَّ الْكِبَرَ ^(١) يَكُونُ بِالْمُنْزِلَةِ ،
وَالْعَجَبُ ^(٢) يَكُونُ بِالْفَضِيلَةِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ يُجِلُّ نَفْسَهُ ^(٣) عَنْ رُتْبَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالْمُعْجَبُ
يَسْتَكْبِرُ فَضْلَهُ عَنِ اسْتِزَادَةِ الْمُتَأَدِّبِينَ ^(٤) ، وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ
وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ .

وَالْكَبِيرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَ ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ ، وَكُلُّ كَبِيرٍ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَمَقْرُونٌ
بِالشَّرِّ ، وَلِلَّذَلِكَ ^(٥) قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : « أَتَهَاكُ عَنِ الشَّرِّ
بِاللَّهِ ، وَالْكَبِيرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَغْضَبُ ^(٦) مِنْهُمَا » . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ

(٥) لِي د ط : : الصِّفَاتِ الدَّائِيَةِ الَّتِي زَعَمَ الْحُكَمَاءُ أَنَّهَا لَا تَدُومُ مَعَهَا مَمْلَكَةٌ .

(١) لِي د م : : الْكِبَرِ .

(٢) الْعَجَبُ : الْكِبَرُ وَالزُّهْوُ .

(٣) يُجِلُّ نَفْسَهُ : يَهْتَمُّهَا .

(٤) أَى : يُعَلِّدُ نَفْسَهُ مِنَ الْفَضْلِ بِحَيْثُ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مِنْ ذَوِيهِ .

(٥) لِي د م : : وَكَذَلِكَ .

(٦) لِي د م : : فَإِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْهُمَا .. وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ : « فَإِنَّ اللَّهَ يَحْجِبُ مِنْهُمَا » .

[انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ، الفصل الأول : في مجابة الكبر والإعجاب ص ٢٨٥ - ٢٩١ ط الدار المصرية اللبنانية] .

بَابِكَ ^(١) : مَا الْكِبَرُ إِلَّا فَضْلٌ حُتِيَ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُهُ أَيْنَ يَذْهَبُ بِهِ ، فَصَرَفَهُ إِلَى الْكِبَرِ ..
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَا تَكْبِيرُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ ^(٢) يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ .. وَلَمْ تَزَلِ
الْحُكَمَاءُ تَتَحَامَى ^(٣) الْكِبَرِ وَتَأْتَفُ مِنْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوجِ لَا مِنْ خَصَاصَةٍ وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرٌ ^(٤)
وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ ^(٥) إِلَى رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي
ظَنِّكَ ، وَأَنْ أَغْدِيَّ مِثْلَكَ فِي الْحَقِيقَةِ .. قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : قَدْ ^(٦) يَدْرُمُ الْمُلُوكَ مَعَ مُعْظَمِ
التَّقَائِصِ ، قَرَبَ فَقِيرٍ سَادَ قَوْمُهُ ، وَرُبَّ أحمَقٍ سَادَ قَبِيلَتُهُ ، مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ^(٧)

(١) هكذا بالراء المهملة في « ط » .. وفي « م » : « أَرْدَشِير » بالزاي المعجمة ، وسقط منها « ابن بابك » ..
وكلاهما صواب ..

وهو : أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكِ بْنِ سَاسَانَ الْأَكْبَرِ ، ويُلقَّبُ بِسَاسَانَ الْأَصْفَرِ .. أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ أُمَّةَ الْفُرسِ بعدما تفرقت
على يد الإسكندر إلى ملوك طوائف ، يملك كل ملك ناحية من البلاد ، وكان هو أحد هؤلاء الملوك .. وله كتاب في
حُسن السيرة يُضْرَبُ المثل به ، وتقبيس الملوك منه . ومن أقواله : « إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرِّعْيَةُ عَنِ
الطَّاعَةِ .. وَاصْلَاحٌ لِلْخَاصَّةِ مَعَ فساد العامة .. وَلَا عِمَارَةٌ إِلَّا بَعْدَ وَحْسن سِيَاةِ .

وكلمة « أَرْدَشِير » مكونة من كلمتين : « أَرْد » بمعنى : دقيق و « شِير » بمعنى : حليب .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٣ وما بعدها ، وثمار القلوب ص ١٧٨ وإعجام الأعلام ص ٦٢] .

(٢) الذَّلَّةُ : الهَيَاةُ .

(٣) تتحامى : تتجنب .

(٤) الخصاصة : الفقر والحاجة وسوء الحال .

(٥) أفلاطون : من نوابغ المفكرين والحكماء ، ومن مشاهير فلاسفة اليونان ، ولد سنة ٤٢٧ قبل الميلاد تقريباً ،
وهو تلميذ « سقراط » ومُعلِّم « أرسطو » ، ومن مؤلفاته كتاب « الجمهورية » و « المحاورات » . توفي سنة ٣٤٧ قبل
الميلاد .

[انظر ترجمته وفلسفته في كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهواني سلسلة نوابغ الفكر العربي ط دار
المعارف] .

(٦) في « م » : وقد .

(٧) هو : الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ بْنِ عِقَالِ الْمَجَاشِمِيِّ الدَّارِمِيِّ التِّيمِيُّ ، صحابيٌّ ، ومن سادات العرب في الجاهلية ،
قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَقد « دارم » من تميم ، فأسلموا ، وشهدوا حُتَيْناً وفتح مكة والطائف . وسكن
المدينة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ورحل إلى « دومة الجندل » في خلافة أبي بكر ، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر
وقائعته حتى الإمامة ، واستشهد بالجوْرْجان سنة ٣١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥ ، وأسد الغابة ج ١ ص ١٢٨ - ١٣٠ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ١

ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ والمعارف ص ٣٤٢] .

الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ » ^(١) .

قَالُوا : وَلَا يَدُومُ الْمُلْكُ مَعَ الْكِبَرِ ، وَحَسْبُكَ مِنْ رِذِيلَةٍ تُسَلِّبُ السِّيَادَةَ . وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « بَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُهْلِدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ^(٢) .

فَقَرَنَ الْكِبَرَ بِالْفُسَادِ وَمُنْعًا مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ . وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٣) : « مَا أَصْرَفَ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ » ^(٤) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا رَأَيْتُ مُتَكَبِّرًا إِلَّا تَحَوَّلَ دَاوُهُ فِي ، يَنْبَغِي أَنِّي أَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِبَرَ يُوجِبُ الْمَقْتَ ، وَمَنْ مَقَّتْهُ رِجَالُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ حَالُهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَتْهُ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ^(٥) . وَمَنْ كَرِهَهُ الْحُمَاةُ تَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ الْأَغْدَاءُ . وَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْاسْتِغْدَادِ بِالرَّأْيِ ^(٦) وَتَرْكِ مَشُورَاتِ الرُّجَالِ .

(١) لى جبهة أنساب العرب ، وفى المعارف لابن قتيبة ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم . أطلق هذا على « عُبَيْتِة ابن جُصْن » وكان فى الجاهلية من الجرأين ، ويقود عشرة آلاف ، ودعا النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فلم يجده ، ولم يدخل فيه ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أريد أن أدنو من جوارك فوادعنى ، فوادعته ثلاثة أشهر ، فلما انقضت المدة انصرف هو وقومه إلى بلادهم ، وقد أسمنوا وألبثوا ، وسمن الحافز ، فأغار عُبَيْتَةُ بذلك الحافز على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الحارث بن عوف : هس ما جزيت به محمدا أسمنت فى بلاده ثم غزوته !

فقال : هو ما ترى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « الأحمق المطاع » .

وكان عُبَيْتَةُ من الأعراب الأجلاف ، ثم أسلم ، ولورد حين ارتدت العرب ، وبعث به خالد بن الوليد مُعِيْلًا إلى أبى بكر فى المدينة ، فكان صبيان المدينة يقولون : يا عدو الله ، أكفرت بعد إيمانك ؟ وله مع الرسول وأبى بكر وعمر وعثمان مواقف ذكرتها كتب السيرة والتاريخ تدل على غلظته وجفاله .

[انظر أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ ، وجبهة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ ، والمعارف ص ٣٠٢ - ٣٠٤] .

(٢) سورة القصص - الآية ٨٣ . ولم ترد فى « ط » : « والعاقبة للمتقين » .

(٣) فى « ط » : « تجل وعز » .

(٤) سورة الأعراف - من الآية ١٤٦ .

(٥) غَصَّ بالماء : وقف لى خَلْقِهِ فلم يكده يُسِفِهِ .

(٦) بالرأى : عن « م » وساقطة من « ط » .

وَمِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَقُومُ مَعَهَا الْمَمْلَكَةُ : الْكَذِبُ ، وَالْعَدْرُ ، وَالْخُبْتُ ، وَالْجَوْرُ .
وَالسُّخْفُ ^(١) . وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ : سِتُّ بِخِصَالٍ لَا تُعْتَفَرُ مِنَ السُّلْطَانِ :
الْكَذِبُ ، وَالْخَلْفُ ^(٢) ، وَالْحَسَدُ ، وَالْجِدَّةُ ، وَالْبُحْلُ ، وَالْجَبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَابًا لَمْ
يُوثِقْ بِوَعْدِهِ وَلَا بِوَعْدِهِ ، فَلَمْ يَرَجَّ خَيْرُهُ ، وَلَمْ يُخَفَّ شَرُّهُ ، وَلَا بَهَاءَ لِسُلْطَانٍ
لَا يَرْهَبُ .. وَقَالَ الْحُكَمَاءُ : خَرَابُ الْبِلَادِ وَفَسَادُ الْعِبَادِ مَقْرُونَانِ يَابِطَالِ الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ
مِنَ الْمُلُوكِ .

وَالْكَذِبُ أَسْقَطُ الْأَخْلَاقِ ، وَأَغْلَبُ شَيْءٍ عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأُخْرَى أَنْ لَا يَنْتَرَعَ عَنْهُ
لِضَرَّائِهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَمْ تَكْذِبْ ؟ قَالَ : لَوْ تَعَزَّزْتُ ^(٣) بِهِ مَا تَرَكْتُهُ . وَهُوَ نَوْعٌ
مِنَ الْفُحْشِ ، وَصَرَّبَتْ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتِعْدَابُ الْمُتَى ، وَهُوَ أَضْعَافُ فِكْرِ
الْحَقِّقِيِّ ^(٤) وَمِنْ يَلِيَّتِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى صَاحِبِهِ ذَنْبَ غَيْرِهِ ، فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذِبِهِ ^(٥)
طَائِحَةً تُسَبِّتُ إِلَيْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا تَهْ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ ^(٦)

فَإِذَا سَمِعَتْ بِكَذِبِهِ مِنْ غَيْرِهِ تُسَبِّتُ إِلَيْهِ ^(٧)

وَقَالَ غَيْرُهُ ^(٨) :

(١) السُّخْفُ : النقص .

(٢) الخلف ، بفتح الحاء المعجمة : السقط والردى من القول . وفي الأمثال : « سَكَتَ أَلْفًا وَطَلَّقَ تَحْلَقًا »

(٣) تعزَّزْتُ : صيرت عزيزاً .

(٤) أَضْعَافُ فِكْرِ الْحَقِّقِيِّ : اختلاط واضطراب أفكارهم .

(٥) في « ط » : « كَذْبَةٌ » اسم مرة من الكذب . وطائحة : منتشرة هاهنا وهاهنا .

(٦) في أدب الدنيا والدين للماوردي : وفي عيون الأخبار « مِنَ الْبَلِيَّةِ » .

(٧) هكذا في « م » وفي أدب الدنيا والدين .. وفي « ط » : « وَإِذَا » وفي عيون الأخبار : « مَهْمَا » .

[انظر أدب الدنيا والدين الفصل الخامس ، في الصدق والكذب ص ٣١٨ ط الدار المصرية اللبنانية وانظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤] .

(٨) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي ، أبو الحسن ، فقيه شافعي ، وشاعر ، كان ضريحاً ، سافر إلى بغداد

ومدح فيها الخليفة المعتز .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٨٩ - ٢٩٢ وشذرات الذهب

ج ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠] .

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْسُمُ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ ^(١)
 مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ فَجِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذَّابُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) . وَأَمَّا
 الْحَسَدُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَسُودًا لَمْ يُشْرَفْ أَحَدًا ^(٤) . وَإِذَا ضَاعَتِ الْأَشْرَافُ هَلَكَتِ
 الْأَتْبَاعُ ، وَلَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى أَشْرَافِهِمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِالَهُمْ سَادُوا ^(٥)
 وَأَمَّا الْبُخْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٦) كَانَ بَخِيلًا لَمْ يُتَاصَحْهُ أَحَدٌ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَايَةُ إِلَّا
 بِالْمُتَاصِحَةِ ^(٧) . وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ يَخْلُ ، لِأَنَّ بَيُوتَ الْأَمْوَالِ فِي يَدَيْهِ .

وَأَمَّا الْجُبْنُ ، فَإِنَّهُ إِذَا ^(٨) كَانَ جَبَانًا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ عُدُوَّهُ ، وَضَاعَتْ ثُغُورُهُ .

وَإِذَا كَانَ حَدِيدًا غَضُوبًا ^(٩) وَالْقُدْرَةُ مِنْ وَرَائِهِ هَلَكَتِ رَعِيَّتُهُ وَلَيْسَ لِلْمَلِكِ أَنْ
 يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِ . وَلَمَّا دَخَلَ أَسْطَفُ ^(١٠) تَجْرَانَ عَلَى مُصْطَبِ بْنِ
 الرَّبِيعِ [فَكَلَّمَهُ بِشَيْءٍ أَغْضَبَهُ] ^(١١) ضَرَبَ وَجْهَهُ بِالْقَضِيبِ فَأَذَمَاهُ ، فَقَالَ الْأَسْطَفُ : إِنَّ

(١) فِيمَنْ يَنْسُمُ : أَيْ فِي الَّذِي يَرْفَعُ الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْإِشَاعَةِ وَالْإِفْسَادِ .

(٢) فِي ١ م : « وَ قَالَ تَعَالَى » .

(٣) سُورَةُ النُّحْلِ - مِنَ الْآيَةِ ١٠٥ . وَتَمَامُ الْآيَةِ : « أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ » . وَفِي ٢ م : « الْخَاسِرُونَ » خَطَأً مِنَ
 النَّاسِخِ .

(٤) أَيْ : لَمْ يُعْظَمْ أَحَدًا .

(٥) السَّرَاةُ : الْأَشْرَافُ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، وَهُوَ جَمْعٌ لَا يَكَادُ يُوْجَدُ لَهُ نَظَرٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ « فِيمِلٌ » عَلَى « قَمَلَةٍ » ..
 وَفِي اللِّسَانِ : السَّرَاةُ : اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، وَلَيْسَ يَجْمَعُ عِنْدَ سَيُوبِهِ ، قَالَ : وَالِدَيْهِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : سَرَوَاتُ . وَقَوْلُهُمْ :
 قَوْمُ سَرَاةٍ ، جَمْعُ سَرِيٍّ ، جَاءَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَالْقِيَاسُ : سَرَاةٌ ، مِثْلُ : فَضَاةٌ ، وَرَعَاةٌ ، وَغَرَاةٌ .

(٦) فِي ١ ط : « فَإِذَا » .

(٧) سَقَطَتْ أَدَاةُ الْإِسْتِثْنَاءِ « إِلَّا » مِنْ ٢ م « سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَلَا يَصِحُّ الْمَعْنَى إِلَّا بِهَا » .

(٨) فِي ١ ط : « فَإِذَا » .

(٩) حَدِيدًا غَضُوبًا : شَدِيدًا كَثِيرَ الْغَضَبِ .

(١٠) الْأَسْطَفُ ، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا : رَئِيسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى فَوْقَ الْيَسِيِّسِ وَدُونَ الْمَطْرَانِ .

(١١) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوقَتَيْنِ عَنْ ٢ م « وَسَاقَطَ مِنْ ١ ط » .

شَاءَ الْأَمِيرُ أَخْبِرْتُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهَا ^(١) . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : لَا يَتَّبِعُنِي إِلَّا نَامٌ أَنْ يَكُونَ سَفِيهَا وَمِنْهُ يُتَقَسَّمُ الْجَلْمُ ، وَلَا جَائِزًا وَمِنْهُ يُتَقَسَّمُ الْعَدْلُ .

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : يَهْلِكُ السُّلْطَانُ بِالْإِعْجَابِ وَالْإِحْتِجَابِ ، فَأَمَّا الْإِعْجَابُ فَقَدْ ذَكَرْتَاهُ ، وَأَمَّا الْإِحْتِجَابُ فَهُوَ أَوْحَى ^(٣) الْخِلَالِ فِي هَذِهِ السُّلْطَانِ ، وَأَسْرَعُهَا خَرَابًا لِلدُّوَلِ ، لِأَنَّهُ ^(٤) إِذَا اخْتَجَبَ السُّلْطَانُ [سَاعَةً] ^(٥) فَكَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّ الْحَاجِبَةَ مَوْتُ حُكْمِي ، فَتَقْبُثُ بِطَائِفَتِهِ بِأَرْوَاجِ الْخَلَائِقِ وَحَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، لِأَنَّ الظَّالِمَ قَدْ أَمِنَ أَنْ لَا يَصِلَ الْمَظْلُومُ إِلَى السُّلْطَانِ . وَمُعْظَمُ مَا رَأَيْنَا فِي أَعْمَارِنَا ، وَسَمِعْنَا عَنْ سَمِعْنَا مِنْ دُخُولِ الْفَسَادِ عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ حَاجِبِيهِمْ عَنْ مَبَاشَرَةِ الْأُمُورِ ، فَلَا تَزَالُ ^(٦) الرَّعِيَّةُ ذَا سُلْطَانٍ وَاحِدٍ مَا وَصَلُوا إِلَى سُلْطَانِيهِمْ ، فَإِذَا اخْتَجَبَ فَهُنَاكَ سَلَاطِينُ كَثِيرَةٌ .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْرُورُ ، اخْتَجَبَتْ عَنِ الرَّعِيَّةِ بِالْحِجَابِ وَالْأَبْوَابِ ، وَجَعَلَتْ دُونَهُمْ بَرْوَجًا ^(٧) مُشِيدَةً ، وَحِطَّائِرَ بِالْحِجَارَةِ وَالْمَاءِ وَالطِّينِ مَانِعَةً ، وَبَابُ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لِلسَّائِلِينَ ، لَيْسَ هُنَاكَ حَاجِبٌ ^(٨) وَلَا بَوَابٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٩) . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَيْسَ بَيْنَ أَنْ يَمْلِكَ السُّلْطَانُ رَعِيَّتَهُ أَوْ تَمْلِكُهُ إِلَّا الْحَزْمُ وَالتَّوَانِي ، وَكَمَالُهُ أَمْرَانِ : شِدَّةٌ ^(١٠) فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ امْتِنَهَانٍ .

(١) في « ط » : « قَالَ : قُلْ . قَالَ : لَا تَغْضَبُ بَعْدَهَا » .

(٢) الْأَوْزَاعِيُّ : هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو ، إِمَامُ الدِّهَانِ الشَّامِيَّةِ فِي الْفِقْهِ وَالزُّهْدِ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٣) أَوْحَى الْخِلَالِ : أَسْرَعَ الْخِصَالِ .

(٤) في « ط » : « فَإِنَّهُ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ عَنْ « م » .

(٦) في « ط » : « وَلَا تَزَالُ » .

(٧) في « م » : « جِبَالًا » . وَالْبَرْوَجُ : الْحِصُونُ ، جَمْعُ بُرْجٍ ، وَيُقَالُ عَلَى الْبِنَاءِ الْعَالِ الْذَاهِبِ فِي السَّمَاءِ .

(٨) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « لَا حَاجِبَ » .

(٩) سُورَةُ الْفُرْقَانِ — مِنَ الْآيَةِ ٥٧ .

(١٠) فِي « م » : « سَعَةُ شِدَّةٍ » .

وَسُئِلَ بَزْرُ جَمَهْرٍ : أَيُّ الْمُلُوكِ أَحْزَمُ ؟ فَقَالَ ^(١) : مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزْلُهُ ، وَقَهْرُ لُبِّهِ هَوَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ ضَمِيرِهِ فِعْلُهُ ، وَلَمْ يَخْتَدِعْهُ ^(٢) رِضَاهُ عَنْ حَقِّهِ ، وَلَا غَضِبَهُ عَنْ كَيْدِهِ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : زَوَالُ الدُّوَلِ فِي اصْطِنَاعِ السُّئْلِ ^(٣) ، وَمَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَقَالُوا : مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْقِفْظَةِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفِظَةِ .. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : أَحْسَنُ مَا وَجَدْتُ فِي طِرَازِ الْحِكْمِ مِنَ الْبَلَاغَةِ : الْبُحْلُ وَالْجَهْلُ مَعَ التَّوَاضُعِ خَيْرٌ مِنَ السَّخَاءِ وَالْعِلْمِ مَعَ الْكِبَرِ ، فَيَا لَهَا حَسَنَةً غَطَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ ! وَيَا لَهَا سَيِّئَةً غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ !

(١) في « م » : قال .

(٢) يَخْتَدِعُهُ : يَخْدَعُهُ .

(٣) في « م » : « باصطناع » . والسُّئْلُ : الجهلاء والسُّقَاط من الناس وأراذلهم ، جمع « سافل » .

(٤) هو : يحيى بن خالد بن برمك ، مؤدب هارون الرشيد ، وقد مرت ترجمته .

البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِي الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي السُّلْطَانِ

وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ عَلَيْهَا فَقَالُوا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ قَصَرْتَ قُوَّتَكَ عَنْ
عَدُوَّكَ فَتَحَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي لَيْسَ لِعَدُوِّكَ مِثْلُهَا ، فَإِنَّهَا الْكَافِيَةُ ^(١) مِنَ الْغَارَةِ
الشَّعْوَاءِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِصَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ ^(٢) : صِفْ لِي عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ] ^(٣) فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرِعْيَتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، غَارِيًا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُذْرِ ،
سَهْلَ الْحِجَابِ ، مَصُونًا الْبَابِ ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابٍ
لِلْقَوِي ، وَلَا بَجَافٍ لِلْقَرِيبِ .

وَقَالُوا : الْمُنْفَعَةُ ^(٤) تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ ، وَالْمَضَرَّةُ تُوجِبُ الْبِغْضَةَ ^(٥) ، وَالْمُخَالَفَةُ
تُوجِبُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْمُتَابَعَةُ تُوجِبُ الْأَلْفَةَ ، وَالصَّدْقُ يُوجِبُ الثِّقَةَ ، وَالْأَمَانَةُ تُوجِبُ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « فَإِنَّ الْكَافِيَةَ » . لا تصح .. والغارة الشَّعْوَاءُ : المنتشرة الفاشية .

(٢) هو : صعصعة بن صُوحان بن حَجَر بن الحارث العبدى ، أسلم على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ولم يَرَهُ ، وصغر عن ذلك ، وكان سيِّدًا من سادات قومه عبد القيس ، وُلِدَ في « دارين » قرب القطيف ، وكان خطيبًا
فصيحًا ، لَسِينًا ، ذَبْنًا ، فاضِلًا ، شهد « صفين » مع علي رضي الله عنه ، وله مع معاوية مواقف . وهو بمن سيرة
عثمان إلى الشام . توفي رحمه الله سنة ٥٦ هـ عن نحو ٧٠ عامًا ودُفِنَ في البحرين ، وقيل : مات بالكوفة .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١ ، والأعلام ج ٣ ص ٢٥٥] .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) في « م » : « قالوا بالمنفعة » .

(٥) البِغْضَةُ ، بكسر الباء المعجمة : شِدَّةُ الْبُغْضِ .

الطَّمَانِينَةُ ، وَالْعَدْلُ يُوجِبُ اجْتِمَاعَ الْقُلُوبِ ، وَالْجَوْرُ يُوجِبُ الْفُرْقَةَ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمَوَدَّةَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يُوجِبُ الْمُبَاعَدَةَ ، وَالْإِسْطَاطُ يُوجِبُ الْمُوَالَسَةَ ، وَالْإِنْقِیَاضُ يُوجِبُ الْوَحْشَةَ ، وَالْكِبَرُ يُوجِبُ الْمَمَتَّ ، وَالْتَوَاضُعُ يُوجِبُ الْمَقَّةَ ^(١) ، وَالْجُودُ يُوجِبُ الْحَمْدَ ، وَالْبُحْلُ يُوجِبُ الْمَدَمَّةَ ، وَالتَّوَانِي يُوجِبُ التَّضْيِيعَ ، وَالْجِدُّ يُوجِبُ رَجَاءَ الْأَعْمَالِ ، وَالْهُوَيَّةُ تُوجِبُ الْحَسْرَةَ ^(٢) ، وَالْحَزْمُ يُوجِبُ السُّرُورَ ، وَالتَّغْيِيرُ ^(٣) يُوجِبُ الثَّدَامَةَ ، وَالْحَذَرُ يُوجِبُ الْعَذَرَ ، وَاصَابَةُ التَّدْبِيرِ تُوجِبُ بَقَاءَ النِّعَمَةِ ، وَبِالتَّائِي تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ ، وَبِالْيَمْنِ كَنَفٌ ^(٤) الْمُعَاشَرَةِ تَدُومُ الْمَوَدَّةُ ، وَبِجَفَظِ الْجَانِبِ تَأْتِسُ النَّفُوسُ ، وَبِسَعَةِ خُلُقِ الْمَرْءِ يَطِيبُ عَيْشُهُ .

وَالِاسْتِيْهَانَةُ تُوجِبُ التَّبَاعُدَ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّنِيعِ تُكُونُ الْهَيْبَةُ ^(٥) ، وَعَدْلُ الْمَنْطِقِ يُوجِبُ الْجَلَالََةَ ^(٦) ، وَبِالنِّصْفَةِ تَكْثُرُ الْمُوَالَسَةُ ^(٧) ، وَبِالْإِفْضَالِ يَعْظُمُ الْقُدْرُ ، وَبِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو ^(٨) الْأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّوْدُ ^(٩) ، وَبِالْجِلْمِ عَنِ السُّوْبَةِ يَكْثُرُ ^(١٠) الْفَضْلُ عَلَيْهِ ، وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدَّةِ ^(١١) تُسْتَحَقُّ اسْمُ الْكَرَمِ ، وَبِتَرْكِ مَا لَا يَنْفَعُكَ يَتِمُّ لَكَ الْفَضْلُ .

(١) الْبَقَّةُ : الْمَحَبَّةُ .

(٢) فِي « م » : « يُوجِبُ الْحَسْرَةَ » . وَالْهُوَيَّةُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَهَابَةِ وَالذَّلَّةُ ، وَهِيَ تَصْغِيرُ « الْهُوَيَّةِ » .

(٣) التَّغْيِيرُ : التَّغْيِيرُ لِلْمَلَكَةِ .

(٤) الْكَنَفُ : جَانِبُ الشَّيْءِ .

(٥) فِي « م » : « تَكْثُرُ الْهَيْبَةُ » .

(٦) فِي « م » : « وَبِالْمَنْطِقِ تُحْبَبُ الْجَلَالََةُ » .

(٧) أَيْ : وَبِالْإِفْضَالِ يَكْثُرُ الْإِحْسَانُ وَالْوِصَالُ .

(٨) تَزْكُو : تَزِيدُ وَتَتِمُّ .

(٩) الْمُؤْنُ : الْأَمْوَالُ . وَاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ : تَقْدِيمُ الْكَفَايَةِ مِنْهَا لِئِنْ نَحَاجَ إِلَيْهَا . وَالسُّوْدُ : السِّيَادَةُ وَالْجِدُّ وَالشَّرَفُ .

(١٠) فِي « ط » : « تَكْثُرُ » .

(١١) فِي « م » : « وَبِالرَّفْقِ وَالتَّوَدُّدِ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السِّيَاسَةَ تُكْسُو أَهْلَهَا الْمَحَبَّةَ ، وَالْفَقْاطَةَ تُخْلَعُ عَنْ صَاحِبِهَا ^(١) ثَوْبَ الْقَبُولِ . وَمِنْ صِعْرِ الْهِمَّةِ الْحَسَدُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الثَّغْمَةِ ، وَالتَّظَرُّ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَاةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَخْلُفْ ^(٢) نَدَمَ ، وَمَنْ صَبَرَ غَنِمَ ، وَمَنْ سَكَتَ سَلِمَ ، وَمَنْ خَافَ خَذِرَ ^(٣) ، وَمَنْ اغْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَ ، وَمَنْ فَهَمَ عَلِمَ ، وَمَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ضَلَّ ، وَمَعَ الْعَجَلَةِ التَّدَامَةُ ، وَمَعَ التَّائِي السَّلَامَةُ .

زَارِعُ الْبِرِّ ^(٤) يَخْصُدُ السُّرُورَ .. صَاحِبُ الْعَاقِلِ مَغْبُوطٌ ^(٥) .. صَدِيقُ الْجَاهِلِ ثَعِبٌ ^(٦) .. إِذَا جَهِلْتَ فَاسْأَلْ ، وَإِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدَمْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَاقْلَعْ ^(٧) ، وَإِذَا أَفْضَلْتَ فَاسْكُتْ ^(٨) ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاجْمِلْ ^(٩) ، وَإِذَا أُعْطِيتَ فَاجْزِلْ ^(١٠) ، وَإِذَا غَضِبْتَ ^(١١) فَاخْلُمْ .. مَنْ بَدَأَكَ بِبِرِّهِ فَقَدْ سَخَّلَكَ بِشُكْرِهِ .. الْمُرَوَّاتُ كُلُّهَا تَبِعَ لِلْعَقْلِ .. الرَّأْيُ تَبِعَ لِلتَّجَرِبَةِ .. الْعَقْلُ أَصْلُهُ التَّكَبُّثُ ، وَتَمَرَّتُهُ السَّلَامَةُ .. وَالتَّوْفِيقُ أَصْلُهُ الْعَقْلُ ، وَتَمَرَّتُهُ التَّجَنُّعُ ^(١٢) ، وَالتَّوْفِيقُ وَالْاجْتِهَادُ زَوْجَانِ ، فَلَا اجْتِهَادَ ^(١٣) سَبَبٌ ، وَالتَّوْفِيقُ يَنْجَعُ بِالْاجْتِهَادِ ^(١٤) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَٰلِمُهُ لَمَّاعٌ ۚ ﴾

(١) لِي د م : : تَخْلَعُ صَاحِبَهَا .

(٢) يَخْلُمْ : يَسْكُنُ وَيَتَأَيَّأُ عِنْدَ الْغَضَبِ .

(٣) خَذِرَ : تَهَيَّأَ وَاسْتَعَدَّ .

(٤) فِي د م : : زَارِعُ الصَّبْرِ .

(٥) مَغْبُوطٌ : حَالُهُ حَسَنَةٌ يَهَيَّأُهَا النَّاسُ عَلَيْهَا .

(٦) فِي د م : : مَصْرُوبٌ ، لَا تَصِحُّ . وَقَدْ سَبَقَ التَّصْلُوقُ عَلَيْهَا .

(٧) فَاقْلَعْ : أَيُ فَكَّكَ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي جَعَلَكَ تَدْلِمَ .

(٨) أَفْضَلْتَ : أَيُ أَحْسَنْتَ إِلَى إِنْسَانٍ .

(٩) فَاجْمِلْ : أَيُ فَاحْصِنِ .

(١٠) اْجْزِلْ : اْوَسِّعْ وَأَخْزِرْ .

(١١) فِي د م : : عَصِيتُ .

(١٢) التَّجَنُّعُ : التَّجَاحُّ .

(١٣) فِي د م : : وَالْاجْتِهَادُ .

(١٤) فِي ط : : بِالْاجْتِهَادِ .

سُبُلًا ﴿١﴾ . فَلَا غَمَالَ ﴿٢﴾ كُلُّهَا تَبِعَ لِلْمَقْلُورِ .

وَاخْتَارَ الْعُلَمَاءُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعٍ كُتِبَ .. مِنَ التَّوْرَةِ : مَنْ قَتَعَ شَيْعَ . وَمِنْ الزَّبُورِ ﴿٣﴾ : مَنْ سَكَتَ سَلِمَ . وَمِنْ الْإِنْجِيلِ : مَنْ اعْتَزَلَ نَجَا ﴿٤﴾ . وَمِنْ الْقُرْآنِ : ﴿ وَمَنْ يَخْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥﴾ .

الْجُلْمُ شَرَفٌ ، وَالصَّبْرُ ظَفَرٌ ﴿٦﴾ ، وَالْمَعْرُوفُ كَنْزٌ ، وَالْجَهْلُ سَفَةٌ ، وَالْأَيَّامُ دَوْلٌ ، وَالْدَّهْرُ غَيْرٌ ﴿٧﴾ ، وَالْمَرْءُ مَنْسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَمَاخُودٌ بِعَمَلِهِ .. اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ يُكْسِبُ الْحَمْدَ .. أَكْرَمُوا الْجَلِيسَ يَغْمُرُ نَادِيكُمْ .. أَنْصِفُوا مِنْ تَفْسِيكُمْ يُوثِقُ بِكُمْ .. إِهَانُكُمْ وَالْأَخْلَاقُ الدَّنِيئَةُ ، فَإِنَّهَا تُضَيِّعُ الشَّرَفَ ، وَتُهْدِمُ الْمَجْدَ .. نَهْنَهَةُ الْجَاهِلِ أَهْوَنُ مِنْ جَرِيرَتِهِ ﴿٨﴾ .. رَأْسُ الْعَشِيرَةِ يَحْمِلُ أَثْقَالَهَا .

وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى أَرْبَعٍ كَلِمَاتٍ : لَا تُحْمَلُ بِطَنِكَ مَالًا تُطِيقُ ﴿٩﴾ ، وَلَا تَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ ، وَلَا تُقَرَّ بِأَمْرَةٍ ﴿١٠﴾ ، وَلَا تُثِقَ بِمَالٍ وَإِنْ كَثُرَ .

(١) سورة العنكبوت - من الآية ٦٩ .

(٢) في ط : : والأعمال .

(٣) الزَّبُورُ : الكتاب المزبور ، أى الذى أُثْقِنَتْ كِتَابَتُهُ ، وغلب على صُحُفِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قال تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ . سورة النساء - من الآية ١٦٣ .

(٤) في م : : مَنْ سَكَتَ نَجَا .

(٥) سورة آل عمران - من الآية ١٠١ . وفي ط : : ﴿ وَمَنْ اعْتَصَمَ ﴾ . مخالف للآية .

(٦) ظَفَرٌ : قَوَزٌ وَتَوَالٌ .

(٧) الْأَيَّامُ دَوْلٌ : تدور وتنتقل من حال إلى حال . وغير الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة أيضًا .

(٨) النَّهْنَهَةُ : الصَّاحُ وَالزُّجْرُ . والجريرة : الجنابة والذنب .

(٩) في م : : ﴿ لَا تَحْمِلْ ظَنُّكَ مَا لَا يَطِيقُ ﴾ .

(١٠) في م : : بامرأة .

البَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ

فِيمَا يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ .. وَهِيَ الطَّاعَةُ (٥)

قَالَ مَلِكُ فَارِسَ لِمُوَيْدَانَ مُوَيْدَ : مَا شَيْءٌ وَاحِدٌ يَعِزُّ بِهِ السُّلْطَانُ ؟ قَالَ : الطَّاعَةُ .
قَالَ : فَمَا بِلَاكِ الطَّاعَةِ (١) ؟ قَالَ : التَّوَدُّدُ إِلَى الْخَاصَّةِ ، وَالْعَدْلُ عَلَى الْعَامَّةِ . قَالَ :
صَدَقْتَ . الْأَمَانَةُ مَغْفِلٌ (٢) الطَّاعَةِ ، وَالطَّاعَةُ نَيْتَةُ الْمُلْكِ (٣) . وَكَانَ يُقَالُ : طَاعَةُ
السُّلْطَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ : عَلَى الرِّغْبَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالْمَحَبَّةِ ، وَالذَّيَانَةِ .. وَلَمَّا دَخَلَ
سَعْدُ الْعَشِيرَةِ (٤) عَلَى بَعْضِ مُلُوكِ جَمَيْرٍ (٥) قَالَ لَهُ : يَا سَعْدُ ، مَا صَلَاحُ الْمُلْكِ ؟

(٥) في « م » : « في بيان معرفة السلطان .. وهي الطاعة » .

(١) في « م » : « ملال » تحريف .. وَمِلَاكِ الطاعة ، بفتح الميم وبكسرهما : قِوَامُهَا وَخِلَاصَتُهَا .

(٢) الْمَغْفِلُ : الْمَلْجَأُ وَالْجِصْنُ ، وَجَمْعُهُ : مَغَائِلُ .

(٣) في « م » : « زينة الجِلَّة » . وَالْجِلَّةُ : الشَّرِيعَةُ أَوْ الدِّينُ .

(٤) هو : سعد العشيرة بن مَذْحِجٍ — وفي الأعلام : ابن مالك — بن أَدَدَ ، من كهلان ، من القحطانية ، من رجالات العرب في الجاهلية ، وبنيوه عِدَّةٌ بَطُونٌ : الْحَكَمُ ، وَصَعْبٌ ، وَجُفْعَى ، وَزَيْدُ اللَّهِ ، وَثَيْبَةُ ، وَجَسْرٌ ، وَعَلَانْدُ اللَّهِ . وَسَمَّى « سعد العشيرة » لأنه كان يركب ومعه أبنائه ، وأبناء أبنائه ، وهم نحو مائة رجل ، فإذا سئل عنهم قال : هؤلاء عشيرتي .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٦ ، والمعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وثمار القلوب ص ١٠٤] .

(٥) جَمَيْرٌ : أَبُو قَبِيلَةٍ مِنَ الْيَمَنِ ، وَهُوَ جَمَيْرُ بْنُ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَحْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ . وَقِيلَ : هُوَ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَإِلَيْهِ تَنَتَمِي الْقَبِيلَةُ ، وَمَدِينَةُ « ظَفَار » كَانَتْ لَهُ .

[انظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط مادة : حمر .. ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٦ ، ٣٠٧] .

قَالَ : مُعِدِّلَةٌ شَائِعَةٌ ، وَهَيْبَةٌ وَارِعَةٌ ^(١) وَرَعِيَّةٌ ^(٢) طَائِعَةٌ . فَإِنَّ فِي الْمُعِدِّلَةِ حَيَاةَ الْأَنْهَامِ ، وَفِي الْهَيْبَةِ نَفْيَ الظَّلَامِ ، وَفِي طَاعَةِ الرَّعِيَّةِ الثَّالِفَ ^(٣) وَالْإِنْتِشَامَ .

طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ فَرَضٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ ^(٤) طَاعَةَ السُّلْطَانِ مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ .. أَتَقُوا اللَّهَ بِحَقِّهِ ^(٥) ، وَالسُّلْطَانَ بِطَاعَتِهِ ^(٦) . مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٧) إِجْلَالُ السُّلْطَانِ - عَادِلًا كَانَ أَوْ جَائِرًا .. الطَّاعَةُ تُؤَلَّفُ شَمْلُ الدِّينِ ، وَتُنْظَمُ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ .. عِصْيَانُ الْأَئِمَّةِ يَهْدِمُ أَرْكَانَ الْمِلَّةِ . أَوْلَى النَّاسِ بِطَاعَةِ السُّلْطَانِ وَمُنَاصَحَتِهِ أَهْلُ الدِّينِ وَالتَّعَمُّ وَالْمُرُوءَاتِ ، إِذْ لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِالسُّلْطَانِ ^(٨) ، وَلَا تُكُونُ التَّعَمُّ وَالْحَرَمُ مَحْفُوظَةً إِلَّا بِهِ .. الطَّاعَةُ مِلَاكُ الدِّينِ .. الطَّاعَةُ مَعَاقِلُ ^(٩) السَّلَامَةِ ، وَارْفَعُ مَنَازِلَ السَّعَادَةِ الطَّرِيقَةُ الْمُتَلَى ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى قِوَامُ الْأَمَةِ ^(١٠) ، وَقِيَامُ السَّنَةِ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ ^(١١) مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ .. طَاعَةُ الْأَئِمَّةِ عِصْمَةٌ لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ، وَحِرْزٌ ^(١٢) لِمَنْ دَخَلَ فِيهَا .

وَلَيْسَ لِلرَّعِيَّةِ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَى الْأَئِمَّةِ فِي تَذْيِيرِهَا ، وَإِنْ سَوَّلَتْ لَهَا أَنْفُسُهَا ، بَلَّ عَلَيْهَا الْإِنْتِقَادَ ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ الْجَاهِدُ .. بِالطَّاعَةِ يَقُومُ الْحُدُودُ ، وَتُؤَدَّى الْقَرَائِصُ ، وَتُحَقَّقُنِ

(١) الْمُعِدِّلَةُ ، بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَعُهَا : الْعَدْلُ وَالْإِسْتِقَامَةُ . وَوَارِعَةٌ : زَاجِرَةٌ وَمَانِعَةٌ .

(٢) فِي « م » : « رَغْبَةٌ » بَدَلُ « رَعِيَّةٍ » تَحْرِيفٌ .

(٣) الثَّالِفُ : اسْتِثْنَاءُ الْقُلُوبِ بِالْمَوْدَةِ وَالْإِحْسَانِ . وَفِي « م » : « التَّالِيفُ » أَيْ : الْاجْتِمَاعُ وَالتَّحَابُّ .

(٤) « كَأَنَّ » عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : « لِحَقِّهِ » .

(٦) فِي « م » : « لِطَاعَتِهِ » .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعَقِّفَيْنِ عَنْ « م » .

(٨) فِي « م » : « إِلَّا بِالسُّلْطَانِ » .

(٩) فِي « ط » : « مَعَادٍ » أَيْ : مَنَازِلُ : جَمْعُ مَقْعِدٍ .

(١٠) أَيْ : عِمَادُ الْأَمَّةِ وَنِظَامُهَا يَقُومَانِ عَلَى مَا يُسْتَنْسَكُ بِهِ وَيُتَخَصَّمُ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ الْمُحْكَمَةِ وَالدِّينِ الْحَنِيفِ .

(١١) فِي « ط » : « الطَّاعَةُ عِصْمَةٌ » .

(١٢) فِي « م » : « وَجُورٌ » تَحْرِيفٌ .

الدَّمَاءُ ، وَثَامُنُ السَّبِيلِ ^(١) .. الإمامة ^(٢) عِصْمَةُ لِلْعِبَادِ ، وَحَيَاةٌ لِلْبِلَادِ ، أَوْجَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَصَّهُ بِفَضْلِهَا وَحَمَلَهُ أَغْيَاءَهَا ^(٣) الطَّاعَةَ ، فَقَرَّبَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) .. طَاعَةُ الْأُئِمَّةِ هَذِي لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِنُورِهَا ، وَمَوْزِلٌ ^(٥) لِمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا .. الْخَارِجُ ^(٦) مِنَ الطَّاعَةِ مُنْقَطِعُ الْعِصْمَةِ ، بَرَاءٌ مِنَ الذِّمَّةِ ، مُبَدَّلٌ بِالْكَفْرِ النَّعْمَةِ ^(٧) .. طَاعَةُ الْأُئِمَّةِ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَدِينُهُ الْقَوِيمُ ، وَجَنَّتُهُ الْوَاقِيَةُ ، وَكِفَايَتُهُ الْعَالِيَةُ .

إِيَّاكُمْ وَالْخُرُوجَ عَنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسْرِوْا غِشَّ الْأُئِمَّةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّصَبُّحَةِ .. مَا مَشَى قَوْمٌ إِلَى سُلْطَانٍ لِيُذَلُّوا إِلَّا أَذَلَّهُمُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا .. الطَّاعَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْمَحَبَّةِ .. طَاعَةُ الْمَحَبَّةِ أَفْضَلُ مِنْ طَاعَةِ الْهَيْبَةِ .. لِلرَّعِيَةِ عَلَى السُّلْطَانِ الْإِسْتِصْلَاحُ لَهُمْ ، وَالتَّعَهُدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحُسْنُ السَّيَرَةِ فِيهِمْ ، وَالْعَدْلُ عَلَيْهِمْ ، وَالتَّعْدِيلُ بَيْنَهُمْ ، وَحَقُّ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ^(٨) الطَّاعَةُ ، وَالْإِسْتِقَامَةُ ، وَالشُّكْرُ . وَالْمَحَبَّةُ بِالرَّعِيَةِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الرَّاعِي مَا لَيْسَ بِالرَّاعِي مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ .. نَوَلَا الرُّعَاةُ هَلَكَتِ الرُّعِيَّةُ ، وَلَوَلَا الْمُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَائِمُ ^(٩) .

• • •

(١) في م : : « وما مل » باللام . تحريف . والسبيل : الطرق ، جمع سبيل ، ويُطلق على الطريق المسلول .

(٢) في م : : « الطاعة » بدل « الإمامة » .

(٣) في م : : « خَصَّهُ فَضْلُهَا ، وَحَمَلَهُ غِيَاءَهَا » .

(٤) سورة النساء — من الآية ٥٩ .

(٥) مَوْزِلٌ : مَلْجَأٌ .

(٦) في م : : « الخروج » .

(٧) الصواب لَفْعٌ أَنْ يُقَالَ : « مُبَدَّلُ الْكَفْرِ بِالنَّعْمَةِ » فَلْيَاءٌ تَدْخُلُ عَلَى الْمَرْكُوكِ .

(٨) في م : : « على الرعية » .

(٩) الْمُسِيْمُ : الرَّاعِي .. وَالسَّوَامُ : جَمْعُ سَائِمَةٍ ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْإِبِلِ وَالْمَاشِيَةِ الَّتِي تُرْسَلُ لِلرُّعْيِ وَلَا تُعْلَفُ . وَفِي

م : : « وَلَوْلَا الْمُسِيْمُ هَلَكَتِ السَّوَامُ » .

البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي مِلَاكِ أُمُورِ السُّلْطَانِ

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الرَّحْمَةُ وَالْعَدْلُ يَخْرُجَانِ الْمُلْكَ ^(١) . وَقَالَ زِيَادٌ ^(٢) : مِلَاكِ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ : السُّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَالْمُجَازَاةُ لِلْمُحْسِنِ ، وَصِدْقُ الْقَوْلِ . وَلَمَّا غَزَا سَابُورُ ذُو الْأَكْحَافِ ^(٣) مَلِكَ الرُّومِ ، وَأُخْرِبَ بِلَادُهُ ، وَقُتِلَ جُنْدُهُ ، وَأَفْتِيَ بَطَارِقَتُهُ ^(٤) قَالَ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ وَأُخْرَيْتَ ، فَأَخْبِرْنِي ، مَا الْأَمْرُ الَّذِي تَشَبَّهْتَ ^(٥) بِهِ حَتَّى قَوَيْتَ عَلَى مَا أَرَى ، وَبَلَّغْتَ فِي السِّيَاسَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ

(١) يَخْرُجَانِ الْمُلْكَ : يَصُونَانِهِ وَيَحْفَظَانِهِ .

(٢) هو : زياد بن أبيه ، أمير من الدُّعَاة ، ومن القادة الفاتحين ، من أهل الطائف . اختلفوا في اسم أبيه ، فقيل : عبيد الثقفى ، وقيل : أبو سفيان ، وأُمَّةٌ سُحْيَةٌ ، جارية الحارث بن كَلْدَةَ الثقفى .. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وأسلم ، في عهد أبي بكر ، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لأنى موسى الأشعرى أيام إِمْرَتِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ ، ثم وَلَّاهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ إِمْرَةً فَارِسَ ، وَلَمَّا تَوَلَّى عَلَى امْتِنَاعِ زِيَادٍ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَتَحَصَّنَ فِي قَلَاعِ فَارِسَ . وَتَبَيَّنَ لِمَعَاوِيَةَ أَنَّهُ أَخُوهُ مِنْ أَبِيهِ (أَبُو سَفْيَانَ) فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِبَلْطَلِكِ ، فَقَدِمَ زِيَادٌ عَلَيْهِ ، وَأَخْلَقَهُ مَعَاوِيَةُ بِنَسَبِهِ سَنَةَ ٤٤ هـ فَكَانَ عَضُدَهُ الْأَقْوَى ، وَوَلَّاهُ الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَسَائِرَ الْعِرَاقِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي وِلَايَتِهِ إِلَى أَنْ تَوَلَّى سَنَةَ ٥٣ هـ . وَكَانَ خَطِيبًا فَصِيحًا . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٣ والمعارف ص ٢٨٨ وغيرها من الصفحات ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧] .

(٣) هو : سابور بن هرمز ، وَذُو الْأَكْحَافِ ، لَقِبَ لَهُ ، وَقِيلَ : لَقِبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْرٌ بِفِكَ الْأَكْحَافِ أَسْرَى الْحَرْبِ . وَلِدَ سَنَةَ ٣١٠ مِيلَادِيَّةً وَتَوَلَّى سَنَةَ ٣٧٩ م .

[انظر ترجمته في المعارف لابن قتيبة ص ٦٥٩ - ٦٥٩] .

(٤) فِي م : : : بَطَارِقَتُهُ ، بِالْكَافِ . وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

(٥) فِي م : : : شَبَّهْتُ ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

مَلِكٌ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُضْبَطُ ^(١) الْأَمْرُ بِحُكْمِهِ أُدْبِتْ إِلَيْكَ الْحَرَاجُ ، وَصِرْتُ كَبَغْضِ الرُّعْيَةِ فِي الطَّاعَةِ لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ سَابُورُ : إِنِّي لَمْ أَزِدْ فِي السِّيَاسَةِ عَلَى ثَمَانٍ بِحِصَالٍ : لَمْ أَهْرُلْ فِي أَمْرِ وَلَا نَهَيْ ، وَلَمْ أَخْلِفْ فِي وَعْدٍ وَلَا وَعِيدٍ ^(٢) ، وَوَلَّيْتُ أَهْلَ الْكِفَايَةِ ، وَأَثْبَتُ عَلَى الْعَنَاءِ لَا عَلَى الْهَوَى ، وَصَرَّيْتُ لِلْأَدَبِ لَا لِلْعُضْبِ ، وَأَوْدَعْتُ قُلُوبَ الرُّعْيَةِ الْمَحَبَّةَ مِنْ غَيْرِ جُرْأَةٍ ، وَالْهَيْبَةَ مِنْ غَيْرِ ضَعِيفَةٍ ^(٣) ، وَعَمَمْتُ بِالْقَوْرِ ^(٤) ، وَمَنَعْتُ الْفُضُولَ ^(٥) . فَادَّعَنَ لَهُ ، وَأَدَّى إِلَيْهِ الْحَرَاجُ .

وَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ ^(٦) بِسِيرَتِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي أَقْبَضْتُ رَأْيِي وَأَثْمْتُ هَوَايَ ، وَأَدْبِتُ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ فِي قَوْمِهِ ، وَوَلَّيْتُ الْحَرْبَ الْحَازِمَ فِي أَمْرِهِ ، وَقَلَّدْتُ الْحَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانِيهِ ^(٧) ، وَقَسَمْتُ لِكُلِّ خَصْمٍ مِنْ نَفْسِي قَسْماً يُعْطِيهِ حَقّاً ^(٨) مِنْ تَطَرِّيٍّ وَلَطِيفٍ عِنَايَتِي ، وَصَرَفْتُ ^(٩) السَّيْفَ إِلَى الْبَطْرِ ^(١٠) وَالْمُسَيِّءِ ، فَخَافَ الْمُذْبِذِبُ صَوْلَةَ الْعِقَابِ ^(١١) ، وَتَمَسَّكَ الْمُحْسِنُ بِحَظِّهِ مِنَ الثَّوَابِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ^(١٢) : إِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحَصِّناً لِسِرِّهِ ، بَعِيداً مِنْ أَنْ يُعْرَفَ مَا فِي

(١) فِي م : ما يضبط .

(٢) الْوَعْدُ : يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَقِيلَ : الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ كَرَمٍ ، وَالْوَعِيدُ فِي الشَّرِّ ، لِأَنَّهُ حَاصِلٌ عَنْ غَضَبٍ .

(٣) ضَعِيفَةٌ : حَقْدٌ .

(٤) عَمَمْتُ : شَبَّلْتُ . يُقَالُ : عَمَّ الْقَوْمَ بِالْعَطِيَةِ : شَجَّلَهُمْ .

(٥) الْفُضُولُ : جَمْعُ فَضْلٍ ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ . وَأَدَّعَنَ : انْقَادَ .

(٦) فِي م : يكتب إليه .

(٧) قَلَّدْتُ الْخَرَاجَ الْمُوفَى لِأَمَانَتِهِ : فَوَضَعْتُ أَمْرَهُ لِلَّذِي يُوَدَّى حَقَّهُ وَيُوفِيهِ .

(٨) قَسَمْتُ قَسْماً : خَصَمْتُ جُزْأً .. وَالْحَقُّ : النَّصِيبُ .

(٩) صَرَفْتُ السَّيْفَ : رَدَدْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ .. وَفِي ط : وَصَرَفْتُ .

(١٠) الْبَطْرِ : الَّذِي يَنْكُرُ الْحَقَّ وَلَمْ يَقْبَلْهُ .

(١١) صَوْلَةُ الْعِقَابِ : شِدَّتُهُ .

(١٢) هُوَ : أَبُو عُبَيْدَةَ مَقْعَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الْبَصْرِيُّ ، مِنْ أُمَّةِ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَلِدَهُ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ١١٠ هـ ، وَاسْتَقْدَمَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٨ هـ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ كُتُبِهِ .

نَفْسِهِ ، مُتَحَيِّرًا لِلزُّرَرَاءِ ، مَهِيًّا ^(١) فِي أَنْفُسِ الْعَامَّةِ ، مُكَافِئًا بِحُسْنِ الْبَلَاءِ ، لَا يَخَافُهُ
الْبَرِيُّ ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْمُجْرِمُ ^(٢) ، كَانَ خَلِيقًا لِبَقَاءِ مُلْكِهِ .

= قال عنه الجاحظ : « لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه » . وكان شعوبيا .
وقال ابن قتيبة : « كان يفيض العرب ، وصنّف في مثالبهم كتباً ، وكان مع سعة علمه ربما أنشد البيت فلم يقم وزنه » . وكانت وفاته بالبصرة سنة ٢٠٩ هـ .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٧٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٣٥ - ٢٤٣ ، وإنباه الرواة ج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٨٧ ، وإشارة التبيين في تراجم النحاة واللغويين ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢ - ٢٥٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٤ - ١٦٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ، ٢٥] .
(١) مَهِيًّا : مُمَظَّئًا .
(٢) فِي « م » : « الظالم المجرم » .

البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي خَيْرِ السُّلْطَانِ وَشَرِّ السُّلْطَانِ

أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ كَانَ شِرْكَهَ ^(١) بَيْنَ الرَّعَايَا ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ [فِيهِ] ^(٢) قِسْطُهُ ،
لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي خَفِيفِهِ ^(٣) ، وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ
عَدْلِهِ . كَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ^(٤) .
وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : أَفْضَلُ السُّلْطَانِ ، مَنْ أَمِنَهُ الْبَرِيُّ وَخَافَهُ الْمُجْرِمُ . وَشَرُّ
السُّلْطَانِ ، مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ وَأَمِنَهُ الْمُجْرِمُ . وَقَالَ عُمَرُ لِلْمُغِيرَةِ ^(٥) لَمَّا وَلَّاهُ الْكُوفَةَ :

(١) فِي « م » : شُرْكُهُ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُقْرَفَيْنِ عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .. وَقِسْطُهُ : حَقُّهُ وَنَصِيبُهُ .

(٣) فِي خَفِيفِهِ : عَنْ « ط » وَسَقَطَتْ مِنْ « م » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ . وَالْخَفِيفُ : الْجَوْدُ وَالظُّلْمُ .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « تَأْخُذُ بِيَدِ الْأُمَّةِ مِنْ إِمَامِ الْمَدِينَةِ فَتَطُوفُ بِهِ عَلَى سَكَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى يَقْضِيَ
حَاجَتَهَا » . وَالْأُمَّةُ : الْمَرْأَةُ الْمَمْلُوكَةُ ، خِلَافَ الْخُرَّةِ .

(٥) عُمَرُ ، هُوَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ ..

وَالْمَغِيرَةُ هِيَ : الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ ذُهَابِ الْعَرَبِ وَقَادِمِهِمْ وَوَلَانِهِمْ ،
صَحَابِيُّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : « مَغِيرَةُ الرَّأْيِ » . وَوُلِدَ فِي الطَّائِفِ سَنَةَ ٢٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَغَادَرَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ
بَنِي مَالِكٍ ، فَدَخَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَانْفَلَا عَلَى الْمَقْرُوسِ ، وَعَادَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ تَرَدَّدَ فِي قَبُولِهِ ، ثُمَّ أَسْلَمَ
سَنَةَ ٥ هـ . وَشَهِدَ الْخُدَيْيَّةَ وَبِهَاجَةَ وَفُتُوحَ الشَّامِ ، وَخَهِتَ عِنْدَهُ بِالرُّمُوكِ ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَنِهَالُونَ وَهَمْدَانَ ،
وْغَيْرَهَا . وَلَمَّا وَلَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْبَصْرَةِ فَفَتَحَ عِدَّةَ بِلَادٍ ، وَعَزَلَهُ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْكُوفَةَ ، وَأَقْرَبَهُ عُمَانُ عَلَى الْكُوفَةِ ، ثُمَّ
عَزَلَهُ ، وَلَمَّا حَدَّثَ الْفَتَنَةَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ اخْتَارَهَا الْمَغِيرَةُ ، وَحَضَرَ مَعَ الْحَكَمَتَيْنِ . ثُمَّ وَلَّاهُ مَعَاوِيَةُ الْكُوفَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا
إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٥٠ هـ .

[انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ ج ٧ ص ٢٧٧ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٥ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، وَالْمَغِيرُ ص ١٨٤ وَالْمَعَارِفُ
ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

يَا مُعِيرُهُ ، لِإِيْمَانِكَ الْاَبْرَارُ ، وَلِيَحْفَكَ (١) الْفَجَارُ . وَفِي جِحَمِ الْهِنْدِ اَيْضًا : شَرُّ الْمَالِ مَالٌ لَا يَنْفَقُ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْاِخْوَانِ الْحَاذِلُ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ ، وَشَرُّ الْبِلَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ (٢) خِصْبٌ وَلَا أَمْنٌ ، وَخَيْرُ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَيْفُ لَا مَنْ أَشْبَهَ الْجَيْفَةَ وَحَوْلَهَا (٣) النَّسُورُ . وَعَنْ هَذَا الْمَعْنَى قَالُوا : سُلْطَانٌ تَخَافُهُ الرَّعِيَّةُ خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ سُلْطَانٍ يَخَافُهَا . وَفِي الْأَمْثَالِ الْعَامَّةِ : رَهْبُوتٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ رَحْمُوتٍ (٤) . وَكَانَ يُقَالُ : شَرُّ حِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وَالْبُخْلُ عِنْدَ الْإِغْطَاءِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَوَاقِرِ (٥) : جَارٌ مُلَازِمٌ ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً سَتَرَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا ، وَامْرَأَةٌ إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا لَسْتُكَ (٦) ، وَإِنْ غَبَتْ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا . وَسُلْطَانٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَحْمَدَكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلَكَ . وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ : مَتَى أَضِلُّ وَأَنَا أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ (٧) : إِذَا مَلَكَتْكَ امْرَأَةٌ ، إِنْ أَطْعَمْتَهُمْ أَذْلُوكَ ، وَإِنْ عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ (٨) لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَمِيدِ الْمَلِكِ : السُّلْطَانُ سَوَقٌ ، مَا تَفَقَّ (٩) عِنْدَهُ أَتَى بِهِ .

وَفِي كِتَابِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ (١٠) النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْبِرِّ

(١) في « ط » : لِيَحْفَكَ .

(٢) في « م » : « وشَرُّ البلاد بلد ليس فيه » .

(٣) في « م » : « حولها » بدون « واو » .

(٤) الرَّهْبُوتُ : الرُّهْبَةُ . وَالرَّحْمُوتُ : الرَّحْمَةُ : والمعنى : لأن ترهب خير من أن ترحم .

(٥) الْفَوَاقِرُ : الْفُتُورُ ، الْفُتُورُ : الْفَقْرَةُ .. وفي « م » : « الْفَقِيرُ » ومعناها : وجوه الفقر ، يقال : سَدَّ اللَّهُ مَفَاقِرَهُ ، أَيْ : أَغْنَاهُ .

(٦) لَسْتُكَ : عَابَتْكَ لِسَانَهَا وَذَكَرَتْكَ بِالسُّوءِ .. وفي « ط » : « أَلَسْتُكَ » .

(٧) في « م » : قال .

(٨) هو : أَبُو حَازِمٍ الْأَعْرَجُ ، سُلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٩) تَفَقَّ : رَاجَعَ .

(١٠) هو كتاب « التاج » الذي ترجمه عن الفارسية ، وقد سبقت الإشارة إليه .

وَالْمُرُوءَةُ عِنْدَهُ نِفَاقٌ ^(١) فَسَيَكْسُدُ بِذَلِكَ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ ^(٢) . وَسَمِعَ زَيْادٌ رَجُلًا يَذُمُّ الزَّمَانَ ^(٣) فَقَالَ : لَوْ كَانَ يَذِرُ مَا الزَّمَانُ لَعَاقَبْتُهُ ، إِنَّ الزَّمَانَ هُوَ السُّلْطَانُ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ الْكَوَّاءِ ^(٤) : صِفْ لِي الزَّمَانَ . فَقَالَ : أَنتَ الزَّمَانُ ، إِنَّ تَصْلُحَ يَصْلُحَ ، وَإِنْ تَفْسُدَ يَفْسُدَ . وَالْمَثَلُ السَّائِرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يُحَذَرَ : الْعَدُوُّ الْفَاجِرُ ، وَالصَّدِيقُ الْغَادِرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ . وَقَالَ بُرْزَجِمَهْرُ : أَدْوَمُ التَّعَبِ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ السَّيِّئِ الْخُلُقِ ^(٥) . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةِ سُلْطَانٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَقَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ^(٦) : لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ فَهُوَ هَلَاكُ الدِّينِ ، وَأَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَهُوَ هَلَاكُ الدُّنْيَا ، فَلَا حِيلَةَ لَكَ ^(٧) إِلَّا الْمَوْتُ أَوْ الْهَرَبُ مِنْهُ . وَقَالُوا : الْمَلِكُ الْعَادِلُ كَالْتَّهْرِ الصَّافِي ^(٨) يَتَنَفَّعُ بِهِ الْأَشْرَارُ وَالْأَخْيَارُ ، وَلَا يَضُرُّ أَحَدًا ، وَالْمَلِكُ السَّوُّءُ مِثْلُ الْحَيْفَةِ يُسْرِعُ إِلَيْهَا شِرَارُ الْحَيَوَانِ وَيَتَحَامَاهَا النَّاسُ ^(٩) .

(١) نِفَاقٌ : جمع نَفَقَةٍ ، وهي اسم من الإنفاق .

(٢) يَكْسُدُ الْفُجُورُ وَالذَّنَاءَةُ : يصيران كاسيدين لارَوَاجَ لهما ولا انتشار .

(٣) يَذُمُّ الزَّمَانَ : يعيبه .

(٤) فِي م : : لابن اللّوى ، تحريف من الناسخ .

وابن الكوّاء هو : عبد الله بن عمرو بن النعمان ، من بني يشكر . عالم كبير ، ونسابة مشهور . وقيل لأبيه الكوّاء لأنه كَوَّى في الجاهلية . وكان من أنصار علي ، وحارب معه في صفين ، ثم خرج عليه .

[انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٣٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٠٨ ، والبيان والبيان ج ٢ ص ٢٥٣] .

(٥) الْخُلُقُ : السَّجِيَّة . وفي م : : الْخُلَيْقَةُ ، وهي : الطبيعة التي يُهْلَقُ المرء بها .

(٦) فِي م : : بين خيرتين .. والخيار : اسم بمعنى طلب خير الأمرين .

(٧) هَكَذَا فِي ط .. وفي م : : له . ولا يصح إرجاع الضمير هنا إلى الملك ، والألف المضمة .

(٨) فِي م : : كالتهر الجاري الحافي .

(٩) يتحاماها : يتجنبها .

البَاب الثَّامِنَ عَشَرَ

فِي مَثَرَةِ السُّلْطَانِ مِنَ الْقُرْآنِ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهَ لَيَرْعُ السُّلْطَانِ مَا لَا يَرَعُ ^(١) بِالْقُرْآنِ » . مَعْنَاهُ ^(٢) : يَذْفَعُ . وَقَالَ كَعْبٌ ^(٣) : مَثَلُ الْإِسْلَامِ وَالسُّلْطَانِ وَالنَّاسِ مَثَلُ الْفُسْطَاطِ وَالْعُمُودِ وَالْأُتُنَابِ ^(٤) وَالْأَوْتَادِ ، فَالْفُسْطَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالْعُمُودُ : السُّلْطَانُ ، وَالْأُتُنَابُ ^(٥) وَالْأَوْتَادُ : النَّاسُ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهُمْ إِلَّا بِبَعْضٍ .

وَقَالَ أُرْدَشِيرُ لَابِنِهِ . يَا بُنَيَّ ، إِنْ الْمَلِكُ وَالَّذِينَ أَخَوَانِ لَا غِنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، فَالَّذِينَ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسٌ ، وَمَنْ لَمْ ^(٦) يَكُنْ لَهُ أَسٌّ فَهُوَ مَهْذُومٌ ^(٧) ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارِسٌ فَضَائِعٌ . يَا بُنَيَّ اجْعَلْ حِدِيثَكَ مَعَ أَهْلِ الْمَرَائِبِ ، وَعَظِيمَتِكَ لِأَهْلِ الْجِهَادِ ،

(١) فِي « ط » : « يَرَعَى » بَدَلُ « يَرَعُ » فِي الْمَوْضِعِينَ .

(٢) فِي « ط » : « مَعْنَاهُ أَيْ » .

(٣) فِي « م » : « قَالَ » ، بِحَذْفِ الْوَاوِ . وَكَعْبٌ هُوَ : كَعْبُ الْأَحْبَارِ ، وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٤) الْفُسْطَاطُ : بَيْتٌ مِنْ شَجَرٍ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا مُجْتَمَعُ النَّاسِ . وَالْأُتُنَابُ : مَا يُشَدُّ بِهِ الْبَيْتُ مِنَ الْحِجَالِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرِيقِ .

(٥) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الْأُتُنَابِ » مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « وَمَا لَمْ » . وَالْأَسُّ : الْأَسَاسُ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٧) فِي « م » : « فَمَهْذُومٌ » .

وَبَشِّرْ^(١) لِأَهْلِ الدِّينِ ، وَسِرِّكَ لِمَنْ عَنَاهُ مَا عَنَّاكَ ، وَلِتَكُنَّ^(٢) مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ . وَكَانَ
يُقَالُ : الدِّينُ وَالسُّلْطَانُ تَوْأَمَانِ^(٣) .

* * *

(١) البشِّر : طلاقة الوجه والسرور .

(٢) لى د م : وَلِتَكُنَّ .

(٣) هكذا فى د م و ط .. والصواب : تَوْأَمٌ أو تَوَئِمٌ ، ويُطلق على المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى . والجمع : تَوَائِم .

الباب التاسع عشر

في خصال جامعة لأمر السلطان

قالوا : ظَفَرُ^(١) المَلِكِ يَعُدُّوهُ عَلَى حَسَبِ عَدْلِهِ فِي رَعِيَّتِهِ ، وَتُكْوَبُ^(٢) فِي حُرُوبِهِ عَلَى حَسَبِ جَوْرِهِ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَإِصْلَاحُ الرِّعْيَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . وَقَالُوا : تَأَجُّجُ الْمَلِكِ عَفَافُهُ ، وَحَصْنَتُهُ إِنْصَافُهُ ، وَسِيْلَاحُهُ كَفَافُهُ^(٣) ، وَمَالُهُ رَعِيَّتُهُ^(٤) . وَقَالَتْ حُكْمَاءُ الْهِنْدِ : لَا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا صِيْحَةَ مَعَ نَهَمٍ^(٥) ، وَلَا ثَنَاءَ مَعَ كِبَرٍ^(٦) ، وَلَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، وَلَا بَرٍّ مَعَ شُعٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ جِرْصٍ ، وَلَا وِلَايَةَ حُكْمٍ مَعَ عَدَمِ فِقْهِ ، وَلَا سُودَّدَ مَعَ انْتِقَامٍ^(٧) ، وَلَا ثَبَاتَ مُلْكٍ مَعَ تَهَاوُنٍ وَجَهَالَةٍ وَزَّارَةٍ .

(١) الظَفَرُ : القَلْبَةُ والقَهْرُ .

(٢) في « م » : « وَيَكُونُ » . والنُّكُوبُ : المصائب ، مفردُها : نَكْبٌ .

(٣) كَفَافُهُ : الذين تكون بهم الكفاية ويستغنى بهم عن غيرهم . وفي « ط » : « وسلاحه كفايته » بالهمز ، وهي : المائلة في القوة والشرف ، ومنها الكفاية في الزواج . أما الكفاية بمعنى المقدرة أو حسن التصرف ، فهي « مُؤَلَّدَةٌ » لذا قالوا ولي هي المقصودة هنا .

(٤) في « م » : « ومال رعيته » بالعطف على « كفايته » .

(٥) التَّهَمُ : الإغراء في الشهوة .

(٦) في « ط » : « ولا بناء » . والثناء : المدح . والكِبَرُ : العظمة والتجبر .

(٧) في « م » : « أسقام » . تحريف . والسُّودَّدُ (بهمز وبغير همز) : السيادة والشرف .

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ [الصَّدِيقُ] ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَطَبَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا أَحَدَ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الْمَظْلُومِ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَلَا أَضْعَفَ مِنَ الظَّالِمِ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . وَقِيلَ لِلْإِسْكَانْدَرِ : بِمَ نَلْتَ مَا نِلْتَ ؟ قَالَ : بِاسْتِمَالَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَصْدِقَاءِ . وَقَالَ بِزْرَجِيهَر : سَمِعُوا أَخْرَارَ النَّاسِ بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ^(٢) ، وَالْعَامَّةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسُّفَلَةَ بِالْمَخَافَةِ . وَقَالَ الْمُؤَبِّدَانُ : السِّيَاسَةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الْمَلِكِ : الرِّفْقُ بِالرَّعِيَّةِ ، وَأَخُذُ الْحَقِّ مِنْهُمْ ^(٣) فِي غَيْرِ مَشَقَّةٍ ، وَسَدُّ الْفُرُوجِ ^(٤) ، وَأَمْنُ السَّبِيلِ ، وَأَنْ يَنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، وَلَا يَحْمِلَ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ .

وَقَالُوا : الْوَلِيُّ مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوجِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ [وَكَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا بَقَاءَ لَهُ إِلَّا بِهِ] ^(٥) . وَيَعُدُّ الْوَلِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ الرَّعِيَّةِ مَعَ إِفْسَادِ نَفْسِهِ ، كَبَعْدِ الْجَسَدِ مِنَ الْبَقَاءِ ^(٦) بَعْدَ ذَهَابِ الرَّأْسِ . وَالسُّلْطَانُ خَلِيقٌ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَ رَأْيَهُ مِنْ ذَوِي النَّصِيحَةِ ، وَالتَّجَرُّعَ لِمَرَارَةِ قَوْلِهِمْ ، وَلَا يَتَّبِعِي أَنْ يَحْسُدَ الْوَلَاةَ ^(٧) إِلَّا عَلَى حُسْنِ التَّنْذِيرِ ، وَلَا أَنْ يَكْذِبَ ، لِأَنْ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ ، وَلَا أَنْ يَغْضَبَ ، لِأَنَّ الْغَضَبَ وَالْقَدْرَةَ لِقَاحُ الشَّرِّ وَالتَّدَامَةِ ، وَلَا أَنْ يَخْلُ ، لِأَنَّهُ أَقْلُ النَّاسِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَلَا أَنْ يَحْقِدَ ، لِأَنَّ قَدْرَهُ جَلٌّ عَنِ الْمَجَازَاةِ .

وَلَا يَتَّبِعِي لِلْوَلِيِّ أَنْ يَسْتَعْمِلَ سَيْفَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالسَّوْطِ ، وَلَا سَوْطَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْحَبْسِ ، وَلَا حَبْسَهُ فِيمَا يَكْتَفِي فِيهِ بِالْجَفَاءِ وَالْوَعِيدِ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَا أَضْعُ سَيْفِي حَيْثُ يَكْفِينِي ^(٨) سَوْطِي ، وَلَا سَوْطِي حَيْثُ يَكْفِينِي لِسَانِي ، وَلَوْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ

(١) ما بين المعرفين عن م م .

(٢) بِمَخْضِ الْمَوَدَّةِ ، أَيْ : بِالْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ .

(٣) م م م : منه ، أَيْ : مِنَ الْمَلِكِ .

(٤) الْفُرُوجُ : الثُّغُورُ الَّتِي يُخَافُ مِنْهَا تَسَلُّ الْعَدُوِّ .

(٥) ما بين المعرفين عن م م ، وساقط من ط .

(٦) م ط : مع البقاء .

(٧) سقطت الولاية من ط .

(٨) م م : يكفى .

النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا مَدَّوْهَا حَلَّتْهَا ، وَإِذَا حَلَّوْهَا مَدَّدْتُهَا . وَنَحْوَ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ ^(١) : كَانَ مُعَاوِيَةُ كَأَجْمَلِ الطَّبِّ ^(٢) ، وَالْجَمَلُ الطَّبُّ هُوَ الْحَادِثُ بِالشَّيْءِ ^(٣) ، لَا يَضَعُ يَدَهُ إِلَّا حَيْثُ تُبْصِرُ عَيْنُهُ .

وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُعْلَمَ رَعِيَّتُهُ ^(٤) أَنَّهُ لَا يُصَابُ غَيْرُهُ إِلَّا بِالْمُعْوِنَةِ لَهُ عَلَى الْخَيْرِ . وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَدَعَ تَفَقُّدَ لَطِيفِ الْأُمُورِ ^(٥) أَكْثَالًا عَلَى نَظَرِهِ فِي جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِللَّطِيفِ مَوْعِدًا يَتَّبِعُ بِهِ . وَقَدْ آتَى اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٦) مُلْكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٧) ، ثُمَّ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَ ؟ لَأَنَّ التَّهَافُونَ بِالْيَسِيرِ أَسَاسُ الْوُقُوعِ فِي الْكَبِيرِ ^(٨) .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْمَعْنَى وَأَجَادَ :

تَفَقَّدُ السَّادَاتِ إِخْوَانَهُمْ فَضِيلَةً لَا تُنْكَرُ السُّودَدَا
هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَى مُلْكِهِ قَدْ قَالَ : مَا لِي لَا أَرَى الْهَذْهَذَا

(١) هو : عامر بن شراحيل بن عبيد ، الشَّعْبِيُّ ، الحميرِيُّ ، أبو عمرو ، كوفيٌّ جليل القَدَرِ ، ورواية من التَّابِعِينَ ، ويضرب المثل بحفظه ، ولد سنة ١٩ هـ في أثناء خلافة عمر ، وقيل غير ذلك . وقيل : إنه أدرك محمسة من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . اتصل عامر بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وصهره ورسوله إلى ملك الروم . وهو من رجال الحديث الثقات ، واستقضىه عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه . واختلفوا في وفاته ما بين سنة ١٠٣ - ١٠٧ هـ .

وانظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢ - ١٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٩ - ٨٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٣١٠ - ٣٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٢٧ - ٢٣٤ ، والمعارف ٤٤٩ - ٤٥١] .
(٢) الطَّبُّ : الْحَادِثُ الْمَاهِرُ ، وَالرَّفِيقُ الْحَكِيمُ .

(٣) لِي (م) : « بِالشَّيْءِ » .

(٤) لِي (م) : « يُتْلَمُ مِنْ رَعِيَّتِهِ » .

(٥) هَكَذَا فِي (م) .. وَلِي (ط) : « أُمُورُ الرِّعْيَةِ » .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْوَفَيْنِ عَنْ (م) .

(٧) فِي (م) : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٨) فِي (ط) : « الْكَبِيرُ » وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ ، مِنْ قَوْلِهِ : « وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ ... » إِلَى نَهَايَةِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ (م) ، وَاسْقَاطُ مِنْ (ط) .

وَقَالَ ^(١) الشَّاعِرُ :

لَا تُخْفِرَنَّ شَيْبًا كَمْ جَرَّ شُرًّا شَيْبٌ ^(٢)

وَقَالُوا : أَصْلُ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَا تُدْعُ ^(٣) مَبَاشَرَةَ جَسِيمِ أُمْرَةٍ ، فَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعٌ إِنْ غُفِلَ عَنْهُ تَفَاقَمَ ، وَلَا يُلْزَمُ نَفْسَهُ مَبَاشَرَةَ الصَّغِيرِ أَبَدًا فَيَضِيعُ الْكَبِيرُ .
وَقَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ : وَلَيْتَكَ حِجَابَتِي ، وَعَزَلْتُكَ عَنْ أَرْبَعٍ : الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ ، وَصَاحِبِ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ سَخُنَهُ فَسَدَ ، وَصَارِخِ اللَّيْلِ لِشَرِّ دَهَائِهِ ، وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ ، فَالْتِهَاوُنَ بِالْبَرِيدِ سَاعَةً يَخْرُبُ ^(٤) عَمَلُ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ^(٥) يَقُولُ : لِأَعْمَلِنَ اللَّيْنُ ^(٦) حَتَّى لَا يَنْتَفِعَ إِلَّا بِالشَّدَّةِ ^(٧) ، وَلَا تُخْفِرَنَّ مِنَ الْخَاصَةِ مَا أُيْمِتُهُمْ عَلَى الْعَامَةِ ، وَلَا تُعْمِدَنَّ سَفِيحِي حَتَّى يَسْلُهُ الْحَقُّ ، وَلَا تُعْطِينَ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَةِ مَوْضِعًا . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ ^(٨) لَمَّا كَمَلَ مُلْكُهُ ، وَأَبَادَ

(١) في « ط » : « وقد قال » .

(٢) الشَّيْبُ : أول شيبوب النار . يريد : أن على الإنسان ألا يستبين بالشئ الصغير ، فمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ .

(٣) في « ط » : « ولا تُدْعُ » .

(٤) يَخْرُبُ : يُفْسِدُ .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو العباس ، أول خلفاء الدولة العباسية ، وأحد الجبارين الدُّهَاءِ مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ ، وَلِدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ ، وَنَشَأَ بِالشَّرَاءِ (بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ) وَقَامَ بِدَعْوَتِهِ أَبُو مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِي ، مُقَوِّضَ عَرْشِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْكَوْفَةِ سَنَةَ ١٣٢ هـ . وَكَانَ شَدِيدَ الْعَقُوبَةِ ، عَظِيمَ الْإِنْتِقَامِ ، تَبِعَ بِقَائِلِ الْأُمَوِيِّينَ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالْإِحْرَاقِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْأَطْفَالِ وَالْجَالِينَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَلَقِبَ بِالسَّفَّاحِ لِكَثْرَةِ مَا سَفَحَ مِنْ دِمَائِهِمْ . وَبِرْغَمِ ذَلِكَ فَكَانَ جَوَادًا بِالْمَالِ ، فَصِيحًا ، عَلِيمًا ، وَلَهُ كَلِمَاتُ مَأثُورَةٍ . مَرَضَ بِالْجُدْرَى وَمَاتَ شَابًا بِالْأَنْهَارِ سَنَةَ ١٣٦ هـ ، وَلَهُ اثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سَنَةً .

[انظر تاريخ الطبري ج ٧ ، وابن الأثير ج ٤ حوادث سنة ١٣٢ ، ١٣٦ ، ودول الإسلام للهبي ج ١ ص ٩١ - ٩٣ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣١١ - ٣١٤ ، وانظر الأعلام ج ٤ ص ١١٦ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦ - ٥٣] .

(٦) أى : أَعْمَلُ بِهِ .

(٧) في « م » : « حتى لا تنفع الشدَّة » .

(٨) في « م » : « أردشير » بالزى للمعجمة .. سبق التعليق عليها .

أَعْدَاءَهُ : إِنَّهُ لَمْ يَحْكَمْ حَاكِمٌ عَلَى الْعُقُولِ كَالْعَبِيرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْهَا ^(١) مُحْكَمٌ كَالْجَرِيَةِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَجْمَعَ لِلْعَقْلِ مِنْ خَوْفِ حَاجَةٍ ^(٢) يَتَأَمَّلُ بِهَا صَفَحَاتِ خَالِهِ . وَكَانَ عَمْرُ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعِيفٍ ^(٣) وَالْقُوَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِي الرَّشِيدُ : هَلْ تَعْرِفُ كَلِمَاتٍ جَامِعَاتٍ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، يَقِلُّ لَفْظُهَا ، وَيَسْهُلُ حِفْظُهَا ، تَكُونُ لِأَغْرَاضِهَا لَفْقًا ^(٤) ، وَلِمَقَاصِدِهَا وَقْفًا ^(٥) ، تَشْرُحُ الْمُسْتَبْهَمَ ، وَتُوضِّعُ الْمُسْتَعْجَمَ ؟ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . دَخَلَ أَكْثَرُ بَنِي صَنْفِيٍّ حَكِيمِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِهَا فَقَالَ لَهُ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا تَزَالُ بِصَدْرِي مُحْتَاجَةً ^(٧) ، وَمَا تَزَالُ الشُّكُوكُ عَلَيْهَا وَالْجَنَّةُ ^(٨) ، فَأَبَيْتَنِي بِمَا عِنْدَكَ فِيهَا . فَقَالَ : أُبَيَّتُ اللَّعْنَ ^(٩) سَأَلْتَ خَيْرًا ، وَاسْتَبْتَأْتُ بِصِيرًا ، وَالْجَوَابُ يَشْفَعُهُ ^(١٠) الصَّوَابُ ، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ . قَالَ : مَا السُّؤْدُودُ ؟ قَالَ : اصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعَشِيرَةِ ، وَاحْتِمَالُ الْجَرِيرَةِ ^(١١) . قَالَ : فَمَا الشَّرَفُ ؟ قَالَ : كَفُّ الْأَذَى وَتَذُلُّ الثَّدْيِ ^(١٢) . قَالَ : فَمَا الْمَجْدُ ؟ قَالَ : حَمْلُ الْمَقَارِمِ ^(١٣) وَإِتْنَاءُ الْمَكَارِمِ . قَالَ :

(١) يُحْكَمُهَا : يَجْعَلُهَا حَكِيمَةً . يُقَالُ : أَحْكَمْتُ التَّجَارِبَ فَلَاتًا : جَعَلْتُهُ حَكِيمًا .

(٢) فِي « ط » : « مِنْ خَوْفِ حَاجَةٍ » .

(٣) الضَّعْفُ ، يَفْتَحُ الضَّادُ الْمَعْجَمَةَ فِي لَفْظِ تَمِيمٍ ، وَبِضْمِهَا فِي لَفْظِ قُرَيْشٍ : الْغَزَالِ . وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : التَّرَاخِي .

(٤) أَيْ : تَصِيبُ أَهْدَافِهَا وَمَقَاصِدِهَا . وَفِي « م » : « لِأَغْرَاضِكَ » .

(٥) أَيْ : مُوَافَقَةً لِلْمُرَادِ مِنْهَا .

(٦) فِي « م » : « أَلَسْتُمْ » ، بَدَلَ « الْمُسْتَبْهَمِ » ، تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .. وَالْمُسْتَبْهَمُ : الْغَامِضُ الَّذِي يَصْعَبُ إدْرَاكُهُ . وَالْمُسْتَعْجَمُ : غَيْرُ الْوَاضِحِ .

(٧) يُقَالُ : اخْتَلَجَ فِي صَدْرِي كَذَا ، أَيْ : خَطَرَ مَعَ شَيْءٍ وَمُتَارَعَةً . وَفِي « م » : « مُخْتَلِجَةٌ » أَيْ : مُجْتَمِعَةٌ وَمُضْطَرِبَةٌ .

(٨) وَالْجَنَّةُ : دَاخِلَةٌ .

(٩) أُبَيَّتُ اللَّعْنَ : مِنْ تَحِيَةِ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَعْنَاهَا : أُبَيَّتُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ .

(١٠) يَشْفَعُهُ : يَجْتَمِعُهُ .

(١١) الْجَرِيرَةُ : الْجَنَابَةُ وَالذَّنْبُ .

(١٢) الثَّدْيُ : الْخَيْرُ ، وَالْجُودُ ، وَالسَّخَاءُ .

(١٣) الْمَقَارِمُ : مَا يَلْزِمُ أَدَاؤُهُ مِنَ الْمَالِ ، تَأْدِيًا أَوْ تَمْوِيضًا . (الْغَرَامَاتُ) .

فَمَا الْكَرْمُ ؟ قَالَ : صِدْقُ الْإِخَاءِ فِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ ^(١) . قَالَ : فَمَا الْعِزُّ ؟ قَالَ شِدَّةُ
الْعُضْدِ وَكَثْرَةُ الْعَدَدِ ^(٢) . قَالَ : فَمَا السَّمَاخَةُ ؟ قَالَ : بَذْلُ النَّائِلِ ^(٣) وَحُبُّ السَّائِلِ .
قَالَ : فَمَا الْغِنَى ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا يَكْفِي ، وَقِلَّةُ التَّمَنَّى . قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ :
لُبُّ ^(٤) ثَعِينُهُ نَجْرِيَّةٌ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَوْزَيْتَ زُنَادَ بَصِيرَتِي ^(٥) ، وَأَذَكَيْتَ نَارَ
خَيْرَتِي ^(٦) فَاحْتَكِم . قَالَ : لِكُلِّ كَلِمَةٍ بِحِمَّةٌ ^(٧) . قَالَ هِيَ لَكَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَقَالَ
لِي الرَّشِيدُ : وَلَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ بَذْرَةٌ ^(٨) ، فَانصَرَفَتْ بِمِائَتَيْنِ أَلْفًا .

وَكَانَ قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ يَفْعُدُ عَلَى قَبْرِ فَيْصَرَ فَيَكْرِمُهُ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : قَالَ : مَا أَفْضَلُ
الْعَقْلِ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ . قَالَ : مَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ
عِلْمِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمَرْوَةِ ؟ قَالَ : اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ . قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ
الْمَالِ ؟ قَالَ : مَا قُضِيَ بِهِ الْحَقُوقُ .

(١) « وَالرِّخَاءُ » عَنْ (م) ، وَسَقَطَتْ مِنْ (ط) .

(٢) فِي (م) : « وَثَرَوَةُ الْعَدَدِ » .. وَشِدَّةُ الْعُضْدِ : الْقُوَّةُ .

(٣) بَذْلُ النَّائِلِ : بَذْلُ الْعَطَاءِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ .. وَفِي (م) : « نَيْلُ النَّائِلِ » أَيْ : إِصَابَةُ الْعَطَاءِ .

(٤) لُبُّ : عَقْلٌ .

(٥) أَوْزَيْتَ : أَوْقَعْتَ ، وَالزُّنَادُ ، جَمْعُ زَيْدٍ ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي تُقَدِّحُ بِهِ النَّارَ . وَتَقُولُ لِإِنِّ الْجَدِّكَ وَأَهْلَكَ :
وَزَيْتَ بِكَ زِنَادِي .

(٦) فِي (ط) : « نَارُ حَرِيقٍ » . وَأَذَكَيْتَ : أَشْقَعْتَ .

(٧) هَكَذَا فِي (م) . وَالْحِمَّةُ : الْكَرْمَةُ مِنَ الْإِبِلِ .. وَفِي (ط) : « حَمَمَةٌ » وَهِيَ : الْعِدَّةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْإِبِلِ لَا يَبْلُغُ
الْمَالَةَ .

(٨) فِي (م) : « لَكَ ، بِلَوْنٍ وَارٍ . وَالْبَذْرَةُ : كَيْسٌ فِيهِ مَقْدَارٌ مِنَ الْمَالِ يُقَدَّمُ فِي الْعَطَايَا ، وَيُعَامَلُ بِهِ ، وَيَخْتَلَفُ
بِاخْتِلَافِ الْمَهْرُودِ .

البَابُ الْمَوْفَى عِشْرِينَ

فِي الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ السُّلْطَانِ ^(١)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ : مَا كَانَ أَخَوْنِي أَنْ يَكُونَ عَلَى بَابِي أَرْبَعَةٌ ، لَا يَكُونُ عَلَى بَابِي أَعْفُ مِنْهُمْ . قِيلَ : مَنْ هُمْ ^(٢) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : هُمْ أَرْكَانُ الْمُلْكِ ، لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ إِلَّا بِهِمْ ، كَمَا أَنَّ السَّرِيرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِأَرْبَعِ قَوَائِمٍ ، فَإِنْ نَقَصَ قَائِمَةٌ وَاحِدَةٌ غَابَ ذَلِكَ : أَحَدُهُمْ قَاضٍ لَا تَأْخُذُهُ ^(٣) فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَالْآخَرُ صَاحِبُ شَرْطَةٍ يَنْصِفُ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَالثَّالِثُ صَاحِبُ خَرَاجٍ يَسْتَقْضِي ^(٤) وَلَا يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ، فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْ ظُلْمِهِمْ . ثُمَّ عَضَّ عَلَى أَصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ آوْ ، آوْ ^(٥) .

(١) في « م » : « الباب الموفى عشرون في معرفة الخصال ... » الموفى : المُعَمِّم ، من توفية العدد .. وقوله عشرون « خطأ » والصواب « عشرين » مفعول لاسم الفاعل « الموفى » .

(٢) في « م » : « منهم » متصلة ، خطأ من الناسخ في الرسم الإملائي .

(٣) في « م » : « لا يأخذ » .

(٤) يستقضى : يطلب من الناس قضاء ما عليهم . وفي « ط » : « يستقضى » بالصاد المهملة . والأول أوجه .

(٥) في « م » : « كل مرة يقول آو » .

فَقِيلَ ^(١) : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : صَاحِبُ بَرِيدِ يَأْتِنِي ^(٢) بِخَبَرِ هَؤُلَاءِ عَلَى الصُّحَّةِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَصْلُحُ الْوَالِي إِلَّا بِأَرْبَعِ خِصَالٍ ، إِنْ نَقَصَتْ وَاحِدَةً لَمْ يَصْلُحْ لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ : قُوَّةٌ عَلَى جَمْعِ ^(٣) الْمَالِ مِنْ أَبْوَابِ حِلِّهِ ، وَوَضْعِهِ فِي حَقِّهِ ، وَثَبَّةٌ لَا جَبْرُوتَ فِيهَا ، وَلِينٌ لَا وَهْنَ فِيهِ .

* * *

(١) في ط : : فقال .

(٢) في ط : : يكتب .

(٣) في م : : جميع : تصحيف من الناسخ .

البَابُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ فِي بَيَانِ حَاجَةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْعِلْمِ

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ ^(١) لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ^(٢) ذَلِكَ ، فَإِنْ رَوَّالَ الْكَرَامَةِ بِزَوَالِهَا ، وَلَكِنْ يُعْجِبُكَ إِنْ أَكْرَمُوكَ ^(٣) لِأَدَبٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ دِينٍ .

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ حَاجَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ ^(٤) أَكْثَرُهُمْ عِيَالًا وَأَتْبَاعًا وَحَشَنًا [وَحَدَمًا] ^(٥) وَأَصْحَابًا ، وَالْخَلْقُ مُسْتَعِينُونَ مِنَ السُّلْطَانِ مَالَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ السَّيِّئَةِ ^(٦) ، وَالطَّرَائِقِ الْعَلِيَّةِ ، مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَقَطْعِ الشَّجَائِرِ ، وَفَصْلِ الْخِصَامِ ، فَهَوَّ أَخْرَجَ خَلْقَ اللَّهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ ، وَجَمْعِ الْحُكْمِ . وَشَخْصَ بِلَا عِلْمٍ كَبَلَدَ بِلَا أَهْلٍ ، وَكَشَجَرَةَ بِلَا نَبَاتٍ ^(٧) . وَأَفْضَلُ مَا فِي السُّلْطَانِ حُصُوصًا ، وَفِي النَّاسِ عُمُومًا ، مَحَبَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّحَلُّى بِهِ ، وَالشَّوْقُ إِلَى اسْتِمَاعِهِ ، وَالتَّعْظِيمُ لِحَمَلَتِهِ ،

(١) فِي «م» : «السُّلْطَانِ» .

(٢) فِي «م» : «يُعْجِبُكَ» .

(٣) فِي «م» : «أَكْرَمُوكَ» . وَالضَّمِيرُ يَمُودُ إِلَى السُّلْطَانِ فِي هَامِشِ رَقْمِ (١) .

(٤) فِي «ط» : «إِلَى التَّفَقُّهِ» .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْتَرِفِينَ عَنْ «م» فِي الْمَوْضِعِ .

(٦) «السَّيِّئَةِ» : الرِّفْعَةُ الْقَلْبُورُ .

(٧) قَوْلُهُ : «وَكَشَجَرَةَ بِلَا نَبَاتٍ» عَنْ «م» وَسَاقَطَ مِنْ «ط» .

فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ ^(١) ، وَتُعْدِهِ مِنَ الْبَهِيمَةِ ^(٢) ، وَمُضَاهَاتِهِ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ، وَهُوَ مِنْ أَوْسَدِ ^(٣) مَا يَتَحَبَّبُ ^(٤) بِهِ إِلَى الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ خَالِيًا مِنَ الْعُلُومِ رَكِبَ هَوَاهُ ، وَأَضَرَّ بِرَعِيَّتِهِ ، كَالدَّابَّةِ بِلَا رَسَنِ ^(٥) تَمُرُّ فِي غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَقَدْ تَتَلَفَ مَا تَمُرُّ بِهِ ^(٦) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ زَهَرَ الْفَضَائِلِ ، وَحُسْنَ الْمَنَاقِبِ ، وَبَهَاءَ الْمَجَالِسِ ^(٧) ، وَمَا ضَادُّ ذَلِكَ ^(٨) مِنْ قُبْحِ الْمَكَالِبِ ^(٩) ، وَفُحْشِ الرَّذَائِلِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَظْهَرُ عَلَيْكَ وَيُعْظَمُ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا أَوْرَثْتَهُ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ ، وَشَرَفِ الْحُظُورَةِ ^(١٠) ، فَيَكُونُ حُسْنُكَ أَحْسَنَ ، كَمَا يَكُونُ قُبْحُكَ أَقْبَحَ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ ، أَخْرَجَ إِلَى مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَصُحْبَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَدِرَاسَةِ كُتُبِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، وَمُطَالَعَةِ دَوَائِرِ الْعُلَمَاءِ [وَمَجَامِعِ الْفُقَهَاءِ] ^(١١) ، وَسِيرِ الْحُكَمَاءِ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ^(١٢) كَذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ ^(١٣) لِمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَفَصْلِ خُصُومَاتِهِمْ ، وَتَعَاطَى حُكُومَاتِهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ بَارِعٍ ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ ، وَبَصِيرَةٍ بِالْعِلْمِ

(١) «فيه» عن «ط» ولم يرد في «م» .

(٢) في «ط» : «البهيمه» وهى : كل ذات أربع فواهم من ذَوَابِّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، مَا عدا السَّيَّاح .. ومضاهاته : مشابته .

(٣) وهو : أى العلم .. أَوْسَدُ : أَوْثَقُ وَأَحْكَمُ . وفى «م» : «أكد» على الإبدال .

(٤) فى «م» : «تَحَبَّبُ» .

(٥) الرِّسْنُ : الْحَبْلُ .

(٦) فى «م» : «عليه» . وكلاهما صواب ، يقال : تَمُرُّ بِهِ ، وَعَلَيْهِ .

(٧) فى «ط» : «المخاسين» .

(٨) فى «م» : «وما صار من ذلك» صار : تصحيف من الناسخ .

(٩) المَكَالِبُ : العيوب ، جمع مَكْلَبَةٍ .

(١٠) الْحُظُورَةُ : بغض الحياء المهمله وكسرهما : المحبة وعلو الشأن عند الناس .

(١١) ما بين المقوفين عن «ط» .

(١٢) فى «م» : «يكون» .

(١٣) فى «م» : «لِنَفْسِهِ» .. تصحيف .

وَدِرَاسَةِ طَوِيلَةٍ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ تَوَلَّى لَمْ يَعُدَّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ عِدَّتَهَا ، وَلَمْ يَقْدَمْ لَهَا أَهْمَتَهَا ^(١) ؟

وَالثَّانِي : أَنَّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْدِمُونَ مَنْ يَنْكُرُ ^(٢) عَلَيْهِمْ وَيُعَارِضُهُمْ ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ مَسَاوِيَهُمْ ^(٣) ، وَيُخَالِفُهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُمْ عَلَى رِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَرَاشِدَهُمْ ^(٤) .

وَمُنَاطَرَةِ الْأَكْفَاءِ ، وَمُعَاشَرَةِ النُّظَرَاءِ تَلْقِيحَ لِلْعُقُولِ ^(٥) ، وَتَهْذِيبَ لِلنَّفُوسِ ^(٦) ، وَتَنْذِيرَ ^(٧) لِمَا خِذَ الْأَحْكَامِ ، بِخِلَافِ السُّلْطَانِ ^(٨) ، فَإِنَّ ارْتِفَاعَ دَرَجَتِهِ يَقْطَعُ عَنْهُ جَمِيعَ ذَلِكَ ، إِذْ لَا يَلْقَاهُ وَلَا يُجَالِسُهُ إِلَّا مُعَظَّمُ لِقَدْرِهِ ، مُبْجَلٌ ^(٩) لِشَأْنِهِ ، وَسَائِرُ لِمَسَاوِيهِ ، وَمَادِحٌ لَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَوَابُهُ لَهُمْ صِدْقُ الْأَمِيرِ . وَعَلَى قَدْرِ الْمَرْتَبَةِ يَكُونُ عُلُوُّ السَّقَطَةِ ، كَمَا أَنَّ عَلَى قَدْرِ ارْتِفَاعِ الْحَائِطِ ^(١٠) يَكُونُ صَوْتُ الْوَجِيءِ ^(١١) .

(١) في م : : وَلَمْ يَحْمَ لَهَا أَهْمَتَهَا ، وَالْأَهْمَةُ : الْمُنَةُ .

(٢) في م : : يَكْزُرُ ، أَيْ : يَرُدُّ .

(٣) الْمَسَاوِي : الْمَلَابِغُ وَالنَّقَاصُ ، (لَا تُهْمَزُ) قِيلَ : لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقِيلَ : وَاحِدُهَا : سُوءٌ - عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

(٤) الْمَرَاشِدُ : الْمَقَاصِدُ .

(٥) في ط : : الْعُقُولُ . وَتَلْقِيحُ الْعُقُولِ : تَهْذِيبُهَا وَاكْسَابُهَا الْحَيَرَةَ .

(٦) في ط : : النَّفُوسُ .

(٧) في م : : وَتَدْرِبُ .

(٨) سَقَطَتْ كَلِمَةُ «السُّلْطَانِ» مِنْ م : : سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٩) مُبْجَلٌ : مُعَظَّمٌ .

(١٠) في م : : قَدْرُ الْحَائِطِ .

(١١) الْوَجِيءُ : صَوْتُ السَّاقَطِ .

فصل

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يَأْمَرَ ^(١) بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ أَجَلٌ قَدَرًا مِنْ أَنْ يَقْبَلَ أَمْرُ اللَّهِ ، وَلَا أَرْفَعُ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَتَّعَلَّمَ حُكْمُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَى شَأْنًا مِنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ اللَّهِ ، وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٢) الْعِلْمُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ - سُبْحَانَهُ - نَفْسَهُ ، وَتَمَدَّحَ بِسَعْيِهِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَالْكُرْسِيُّ هُوَ الْعِلْمُ ، وَالْكُرَاسِيُّ هُمُ الْعُلَمَاءُ . وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ فَضِيلَةً فَرَّغَبَهُ الْمُلُوكُ وَذَوَى الْأَخْطَارِ وَالْأَقْدَارِ وَالْأَشْرَافِ وَالشُّيُوخِ فِيهِ أَوْلَى ، لِأَنَّ الْخَطَأَ فِيهِمْ أَقْبَحُ ، وَالْإِتْدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ .

حُكِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ ^(٤) دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفِقْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، مَا عِنْدَكَ فِيمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَغَلُونَا فِي الصُّعْرِ ، وَاشْتَغَلْنَا فِي الْكِبَرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِمَ لَا تَتَعَلَّمُ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ : أَوْ يَحْسُنُ بِمِثْلِي طَلَبُ الْعِلْمِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ . قَالَ : وَإِلَى ^(٥) مَتَى يَحْسُنُ طَلَبُ ^(٦) الْعِلْمِ ؟ قَالَ : مَا حَسَنْتُ بِكَ الْحَيَاةَ ^(٧) .

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يُؤْمَر » ، مكررة .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥ .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي ، الهاشمي ، أبو إسحاق ، ويقال له : ابن شكلة ، نسبة إلى أمه ، وكانت جارية سوداء . أخو هارون الرشيد ، وعم المأمون ، ولد في بغداد سنة ١٦٢ هـ . وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده إليها ، فأقام فيها أربع سنين ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون ، كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه ، وبإيعاز كثيرين ببغداد ، فطلبه المأمون ، فاستتر ، فأهدر دمه ، فجاءه مستسلماً ، فسجنه ستة أشهر ، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله ، فاعتذر ، فغفا عنه . ولم تكن له مواهب الحكم ، وكانت له دراية بالشعر والأدب ، كما كان يجيد الغناء والضرب على العود وحسن الخادمة . مات في « سُرَّ مَنْ رَأَى » سنة ٢٢٤ هـ . وصلى عليه للمعتصم .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وقارخ بغداد ج ٦ ص ١٤٢ - ١٤٨] .

(٥) في « م » : قِيلَ .

(٦) سقطت « طَلَبَ » من « ط » .

(٧) انظر « أدب العلم » الباب الثاني من « أدب الدنيا والدين للماوردي » ص ٥٨ ط الدار المصرية اللبنانية .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى شَخْصًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيُحِبُّ النَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحْيِي ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، أَسْتَحْيِي أَنْ تَكُونَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِي أَوَّلِهِ ؟ وَلَا نَ الصَّغِيرُ أَعْدَرُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَهْلِ عُدْرٌ .

وَفِي مَثُورِ الْحِكْمِ : جَهْلُ الشَّبَابِ مَعْدُورٌ ، وَعِلْمُهُ مَحْفُورٌ ، فَأَمَّا الْكَبِيرُ فَالْجَهْلُ بِهِ أَقْبَحُ ، وَنَقْصُهُ عَلَيْهِ أَفْضَحُ ، لِأَنَّ عُلُوَّ السِّنِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهِ فَضْلًا ، وَلَمْ يُعْذِرْهُ عِلْمًا ، كَانَ الصَّغِيرُ أَفْضَلَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْأَمَلَ فِيهِ أَقْوَى ، وَحَسْبُكَ نَقِصَةٌ فِي رَجُلٍ ^(١) يَكُونَ الصَّغِيرُ الْمُسَاوِي لَهُ فِي الْجَهْلِ أَفْضَلَ مِنْهُ . وَكُلُّ مَا ذَكَرْتَاهُ ^(٢) مِنْ حَاجَةِ الشَّيْخِ إِلَى الْعِلْمِ فَحَاجَةُ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ أَكْثَرُ ، وَدَوَاعِيهِ إِلَى احْتِسَابِهِ أَشَدُّ ، لِأَنَّ مَنْ عَدَاهُ إِنَّمَا تَحْصُهُ نَفْسُهُ الْوَالِحِدَةُ ، فَيَمُوتُ ^(٣) عَلَيْهِ تَحْصِيلُ مَا يَقُومُهَا بِهِ ، وَالْمَلِكُ مُتَصَرِّبٌ لِسِيَاسَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ ، وَتَقْوِيمُ أَوْدِيهِمْ ، فَهُوَ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٤) :

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَرُّ السِّنِّينِ مُتَرَجِّمًا عَنْ الْفَضْلِ فِي الْإِنْسَانِ سَمِيئَةً طِفَلًا
وَمَا تَنْفَعُ الْأَعْوَامَ حِينَ تَعْلُمُهَا وَلَمْ تَسْتَفِدْ فِيهِمْ عِلْمًا وَلَا عَقْلًا ^(٥)
أَرَى الدُّفْرَ مِنْ سُوءِ التَّصَرُّفِ مَائِلًا إِلَى كُلِّ ذِي جَهْلٍ كَانَ بِهِ جَهْلًا

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ عِرٍّ لَا يُوطِّدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يُؤَكِّدُهُ ^(٦) عَقْلٌ مُضَلَّةٌ ، وَكَيْفَ يَسْتَنْكِفُ ^(٧) مَلِكٌ أَوْ ذُو مَنْزِلَةٍ عَلَيْهِ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ ؟

(١) هكذا في المصدر السابق ولي « ط » .. وسقطت « لي رجل » من « م » .

(٢) هكذا في « م » وفيها جاءت « وكُلُّمَا » متصلة ، والصواب فصل « ما » عن « كل » .. ولي « ط » : « وكما ذكرنا » .

(٣) هكذا في « م » .. ولي « ط » : « فَيَمُوتُ » . وكلاهما بمعنى .

(٤) انظر الأبيات في « أدب الدنيا والدين » الباب الثاني - أدب العلم ص ٥٨ ، ٥٩ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٥) في « م » : « وما ينفع » .. ولي رواية :

« وما تنفع الأيام حين تعلُّها ولم تستفيد فيهنَّ عِلْمًا وَلَا فَعْلًا »

[انظر للمرجع السابق - أدب العلم] .

(٦) في « م » : « لا يؤكِّدُهُ » .

(٧) يستنكف : يأنف ويحتج .

وَهَذَا ^(١) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَحَلَ [مِنْ الشَّامِ] ^(٢) إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ فِي أَقْصَى الْمَغْرِبِ عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ ^(٣) إِلَى لِقَاءِ الْخَضِرِ لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَلَمَّا ظَفَرَ بِهِ قَالَ : ﴿ هَلْ أَلْبِغُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتُكَ هَذَا ﴾ ^(٤) ، هَذَا وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ وَكَلِيمُهُ . وَهَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَفَوْنَهُ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، قَدْ أَوْصَاهُ رَبُّهُ ^(٥) وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَسْتَنْزِلُ مَا فِي خَزَائِنِهِ ^(٦) فَقَالَ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٧) ، فَلَوْ كَانَ فِي خَزَائِنِهِ أَشْرَفُ مِنَ الْعِلْمِ لَتَبَّهَهُ عَلَيْهِ . وَهَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا فَخَرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهَا وَتَقْدِيسِهَا لِزَوْجِهَا فَخَرَّ ^(٨) آدَمُ بِالْعِلْمِ : ﴿ فَقَالَ الْبُحْرِيُّ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٩) ، فَلَمَّا عَجَزُوا ، أَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ ، وَأُخْلِقَ بِخَصْلَةٍ تَسْتَدْعِي السُّجُودَ لِحَامِلِهَا أَنْ يَتَنَافَسَ فِيهَا كُلُّ ذِي لُبٍّ ، وَهَذَا فَصْلُ الْخِطَابِ لِمَنْ تَدْبُرُهُ .

وَلَا تُنْصِبَنَّ لَكَ عُذْرًا بِمَا رَوَى فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ ، مِثْلُ : الَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْوُشْمِ فِي الْحَجَرِ ^(١٠) ، وَالَّذِي يَتَعَلَّمُ فِي الْكِبَرِ كَالْتَّقَشِ عَلَى الْمَاءِ ، فَقَدْ سَمِعَ الْأَخْنَفُ ^(١١) رَجُلًا يَقُولُ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالْتَّقَشِ فِي الْحَجَرِ . فَقَالَ ^(١٢) الْكَبِيرُ أَكْبَرُ عَقْلًا ، وَلَكِنَّهُ أَشْغَلُ قَلْبًا ، فَفَحَصَ عَنِ الْمَعْنَى ، وَتَبَّهَ عَلَى الْعِلَّةِ ^(١٣) .

(١) في « م » : « هذا » بدون الواو .

(٢) ما بين المقوقفين عن « ط » .

(٣) بحر الظلمات : البحر المتوسط .

(٤) سورة الكهف - من الآية ٦٦ .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « وهذا محمد ، صل الله عليه وسلم ، قد أوصاه ربه سبحانه » .

(٦) في « ط » : « خزانته » في الموضعين .

(٧) سورة طه - من الآية ١١٤ . وفي « م » بعدها : « ولو » .

(٨) فخر : جواب لما وفي « م » : « وفخر » ولا يصح المطف هنا .

(٩) سورة البقرة - من الآية ٣١ .

(١٠) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر » .

(١١) هو الأخنف بن قيس ، وقد مرت ترجمته .

(١٢) في « م » : « فقال الأخنف » .

(١٣) في « م » : « وتبَّه على البحر » أى : على الماء . وفي « ط » : « عن اليلة » وفي أدب الدنيا والدين : « لقد فحص الأخنف عن المعنى وتبَّه ، وتبَّه على اليلة » ، لأن قواطع الكبير كثيرة .

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) يُسَلِّمُونَ شَيْئَهَا وَكُھُولًا
وَأَحْدَاثًا ، وَكَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ، وَهُمْ بِحُورِ الْعِلْمِ ، وَأَطْوَادِ الْحِكْمِ
وَالْفِقْهِ . غَيْرَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الصَّغَرِ أَرْسَخُ أَصُولًا ، وَأَبْسَقُ فُرُوعًا ^(٢) وَلَيْسَ إِذَا لَمْ يَحْزُهُ
[كُلُّهُ] ^(٣) يَفُوتُهُ كُلُّهُ . قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ
وَأَخَافُ أَنْ أَضَيِّعَهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَفَى بِتَرْكِكَ ^(٤) لَهُ تَضْيِيعًا .

وَبَعْضُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ الشَّرِّ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْجَاهِلِ نَحْتٌ غِيبٌ ^(٥) الْجَهْلِ مَثَلُ
الْحَمَالِ نَحْتٌ جَمِلٌ ثَقِيلٌ ، فَإِنْ هُوَ ^(٦) كَلَّمَا أَعْيَا تَقْصَهُ قَلِيلًا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يَنْقُصَهُ كُلُّهُ
فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَطْرَحِ الْقَلِيلَ حَتَّى يَطْرَحَ الْكَثِيرَ ، فَمَا أَوْشَكُهُ أَنْ يَصْرَعَهُ
جَمْلُهُ ، وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ ، إِذَا تَعَلَّمَ قَلِيلًا قَلِيلًا ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى يَقِينِهِ ، وَإِنْ لَمْ
يَتَعَلَّمْ فِي الْكِبَرِ لِمَا فَاتَهُ فِي الصَّغَرِ ، فَأَوْشِكُ بِهِ أَنْ يَمُوتَ نَحْتٌ غِيبٌ الْجَهْلِ .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) أَبْسَقُ فُرُوعًا : أَيْ اِرْتِفَاعًا .

(٣) مابين المعرفتين فقط عن « م » . وفيها : « إِذَا لَمْ يَحْزَوْهُ كُلُّهُ يَفُوتُهُ » وجزم الفعل الأخير لواجه له .
والصواب : يَفُوتُهُ .

(٤) في « م » : « بتركه » لاتصح .

(٥) الثُّبُ : العاقبة . ولعلها تصحيف عن « عبء » .

(٦) في « ط » : فَإِنَّهُ .

(٧) في « ط » : « قَلِيلًا قَلِيلًا » .

البَابُ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

فِي وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ
فِي الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ^(١)

قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ : خَرَجْتُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى
الْجَبَايَةِ ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ^(٢) ثُمَّ قَالَ : يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ ، إِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ ،
فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ^(٣) لِلْخَيْرِ ، أَحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ :

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ^(٤) ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ^(٥) ، وَهَمَّجٌ رَعَاعٌ ، أَتْبَاعُ

(١) هذا العنوان في (م) و (ط) ينتهي عند قوله « أبا طالب » أما « رضى الله عنه ... ومابعدها » فهي بداية
الفقرة .

وكُمَيْلٌ هو : كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ بْنِ نُهَيْلِ بْنِ النَّخَعِيِّ : تابعي ثقة ، ومن أصحاب علي بن أبي طالب ، وُلِدَ سنة ١٢ هـ ،
وكان شريفاً مطاعاً في قومه ، شهد « صفين » مع عليٍّ ، وسكن الكوفة ، ورَوَى الحديث . قتله الحجاج صبراً سنة
٨٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٣٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤١٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٩١ ،
وقد وردت هذه الوصية في نهج البلاغة باختلاف يسير في بعض ألفاظها ، بدون إدخال في المعنى - انظر نهج البلاغة
بشرح الشيخ محمد عبده ص ٦٩١ - ٦٩٢ ط دار البلاغة - بيروت وص ٤٩٥ - ٤٨٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(٢) الْجَبَايَةُ : الْمُقْبَرَةُ . وَأَصْحَرَ : صار في الصحراء . وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ : تنفس نفساً طويلاً من تعب أو كرب .
(٣) أَوْعِيَّةٌ : جمع وعاء .. وأوعاها : أحفظها .

(٤) الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ : الْمُتَالِفُ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ .

(٥) المتعلم على سبيل النجاة : إذا أتمَّ علَّمَهُ نَجَا .

كُلُّ تَاعِيٍّ ^(١) ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَظْهِفُوا بِثَوْرِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجِئُوا مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ .

الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ الْمَالَ ، وَالْعِلْمُ يَرْكُو ^(٢) عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ التَّفَقُّةُ ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعَالِمُ مَحْبُوبٌ ^(٣) ، وَمَحَبَّةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ^(٤) ، يُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلُ الْأُخْدُونَةِ ^(٥) بَعْدَ وَفَاتِهِ .

مَاتَ حُزْرَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَشْخَاصُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا ، إِنْ هَا هُنَا - وَأَشَارَ يَدِهِ إِلَى صُلْبِهِ - لَعَلَّمَا جَمًّا لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ^(٦) ، بَلَى قَدْ أَصَبَتْ لَهُ لِقْنَا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ ^(٧) ، يَسْتَغْمِلُ آلَةَ ^(٨) الدِّينِ لِلدُّنْيَا ، وَيَسْتَظْهِرُ ^(٩) بِحُجَجِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كِتَابِهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ ^(١٠) وَيَنْعَمِيهِ عَلَى عِبَادِهِ ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ ^(١١) ، لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَجْنَابِهِ ^(١٢) ، يَنْفِدُحُ الشُّكَّ فِي قَلْبِهِ

(١) الهمج : الحنقى من الناس .. والرَّعَاغُ : الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس . والناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق .

(٢) يَرْكُو : يزداد نماءً .

(٣) قوله : « والعالم محبوب » عن « م » ولم ترد في « ط » ولا في نهج البلاغة .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « ومحبة العالم دين يُدَانُ الله به » .

وفي نهج البلاغة ط دار الكتاب اللبناني : « معرفة العلم دين يُدَانُ به » .

وسقطت كلمة « معرفة » من طبعة دار البلاغة .

(٥) الْأُخْدُونَةُ : ما يتحدَّث به .

(٦) جَمًّا : كثيرًا .. لَوْ أَصَبَتْ لَهُ حَمَلَةٌ ، أى : لو وجدت له حاملين لأمرزئِهِ وَبَطْنَهُ .

(٧) اللَّيْقُنُ : من يفهم بسرعة ، إلَّا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَطْبَعُ أَخْلَاقَهُ عَلَى الْفَضَائِلِ ، فَهُوَ يَسْتَعْمِلُ وَسَائِلَ الدِّينِ لِحُلْبِ الدُّنْيَا ، وَيَسْتَعْمِلُ يَنْتَمِ اللَّهُ عَلَى لِهْدَاءِ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هُنَا صَارَ غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَى الْعِلْمِ .

(٨) سَفَطَتِ كَلِمَةَ (آلَةٌ) مِنْ « م » .. وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : « مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا » .

(٩) فِي « ط » : « فَيَسْتَظْهِرُ » .

(١٠) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : « وَمُسْتَظْهِرًا يَنْتَمِ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَايِهِ » .

(١١) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : « أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ » وَالْمُنْقَادُ لِأَهْلِ الْحَقِّ هُوَ الْمُقْلِدُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَلَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي دَقَائِقِ الْحَقِّ وَخَفَايَاهُ ، فَلِذَا يَسْرِعُ الشُّكُّ إِلَى قَلْبِهِ لِأَقَلِّ شَيْءٍ .

(١٢) أَجْنَابُهُ : جَوَانِبُهُ . وَهَكَذَا وَرَدَتْ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ .. وَفِي « ط » وَ« م » : « إِنْجَابُهُ ، أى : خَشْوَعُهُ وَتَوَاضَعُهُ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ » .

بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَيْءٍ ، أَلَا لَا ذَا ، وَلَا ذَاكَ ^(١) ، أَوْ مِنْهُمُومًا بِاللَّذَاتِ ^(٢) ، سَرِيعَ الْإِتْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ ، أَوْ ^(٣) آخَرَ شَأْنُهُ جَمْعُ الْمَالِ وَالْإِدْخَارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ [فِى شَيْءٍ] ، أَقْرَبُ [شَيْءٍ] شَبَّهَا بِهِمَا ^(٤) الْإِنْعَامُ السَّائِمَةُ ، اللَّهُمَّ فَكَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ يَمُوتُ حَامِلِيهِ .

وَلَكِنْ لَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٥) بِحُجَّةٍ ، لَعَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَيَبْنِئَتْهُ . وَمَنْ أَوْلَيْكَ ؟ وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ ؟ أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ^(٦) ، الْأَكْثَرُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا ، تُخْزِنُ الْحِكْمَةَ فِى قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَزْرَعُوهَا فِى قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ ، وَيُودِعُوهَا فِى صُدُورِ نُظَرَائِهِمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ ^(٧) فَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ ، فَاسْتَلَاوْا مَا اسْتَحْشَنَهُ الْمُتَرَفُّونَ ^(٨) ، وَاسْتَأْنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَجْسَادِ أَرْوَاحِهَا مُتَعَلِّقَةً بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى ، أَوْلَيْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِى بِلَادِهِ ^(٩) وَدُعَائُهُ إِلَى دِينِهِ ، آيَهُ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ !

-
- (١) أى : لا يصلح لحمل العلم واحد منهما .
 (٢) فى « م » : « مهسوم » بالرفع . خطأ . وفى « ط » : « مهسوما » .. وفى نهج البلاغة : « أو مهسوماً باللذة » وهى الأنسب . والمنهزم : المنقرض فى شهوة الطعام .
 (٣) فى « م » و « ط » : « أم » .. وفى نهج البلاغة : « أو مُقرَّماً بالجمع والإدخار » .
 (٤) سقطت « بهما » من « م » . وما بين المعقوفين عن نهج البلاغة .
 (٥) فى « م » : « سبحانه وتعالى » . وفى نهج البلاغة : « لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً » .
 (٦) هكذا فى « م » و « ط » .. وفى نهج البلاغة : « وكم ذا ؟ وأين أولئك ؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً » .
 (٧) فى نهج البلاغة : « على حقيقة البصرة » .
 (٨) هكذا فى « م » .. وفى « ط » : « استَوْحَشَنَهُ » .. وفى نهج البلاغة : « استَوْعَرَهُ » أى : رآه وعَرَا . والمعنى : انهم عَدُوا ما استَحْشَنَهُ الْمُتَعَمُّونَ لَيْثًا ، وهو : الزهد .
 (٩) فى نهج البلاغة : « أرضه » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْعَقْلِ وَاللَّهَاءِ وَالْمَكْرِ (٥)

قَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الْأَسْرَارِ (١) حَقِيقَةَ الْعَقْلِ وَأَقْسَامَهُ (٢) ، وَمَحَلَّهُ وَأَحْكَامَهُ ، بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرُ هَاهُنَا مَنَافِعَهُ وَمَذَارِكُهُ وَلِبَابُ مَا تَحَرَّرَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ . إِنَّهُ (٣) الْاسْتِشْهَادُ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ ، فَمَنْ كَانَ فِي طَرَفِهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمَا شَاهَدَ عَلَى مَا غَابَ عَنْهُ ، كَانَ مَعَهُ عَقْلٌ ، وَيُسَمَّى (٤) عَاقِلًا عِنْدَ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَبِهِ يَتَوَجَّهُ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ (٥) نَظَرَ إِلَى قَصْرِ قَدْ كَمَلَ بَنِيَانُهُ ، وَخَصَصَتْ أَرْكَائُهُ (٦) وَجُعِلَتْ فِيهِ مِنَ الْأَلَاةِ مَا يَكْتَفِي بِهِ سَاكِنُوهُ ، فَاشْتَرَفَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ ، فَرَأَى ثِيوبًا مَقْطُوعَةً ، وَأَبْوَابًا مَنصُوبَةً ، وَفُرْشًا مَفْرُوشَةً ، وَزَرَائِي مَبْثُوثَةً (٧) ، وَمَوَالِدَ مَوْضُوعَةً ، وَصِحَاحًا (٨)

(٥) فِي « ط » : « الْحَيْث » بدل « الْمَكْرِ » .

(١) هَذَا الْكِتَابُ مِنْ كَتَبِ أَبِي بَكْرٍ الطَّرِطُوشِيِّ الَّتِي لَمْ تَشْرُ إِلَيْهَا الْمَرَاجِعُ الَّتِي ارْتَحَتْ لَهُ وَأَخَصَّتْ مَوْلَفَاتِهِ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ « سَرَاةِ الْمُلُوكِ » .

[انظر أبي بكر الطرطوشي للدكتور جمال الشيال — سلسلة أعلام العرب (٧٤) ص ٧٨] .

(٢) سَقَطَتْ « وَأَقْسَامَهُ » مِنْ « م » .

(٣) ل « م » : « إِنَّ » .

(٤) فِي « م » : « يُسَمَّى » بِلَوْنٍ وَارٍ الْعَطْفِ .

(٥) فِي « م » : « وَذَلِكَ مَنْ » .

(٦) خَصَصَتْ أَرْكَائَهُ : صَارَتْ مَبْنِيَّةً . وَفِي « م » : « حَفِضَتْ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) زَرَائِي مَبْثُوثَةٌ : مُسْطًى أَوْ وَسَائِدٌ مُفَرَّقَةٌ . مَفْرُودًا : زَرْيَّةٌ ، وَهِيَ الْوَسَادَةُ لِبَسْطِ الْجُلُوسِ عَلَيْهَا .

(٨) الصِّحَاحُ : آتِيَةُ الطَّعَامِ ، مَفْرُودًا : صَحْفَةٌ .

مَصْفُوفَةٌ ، وَأَرَاتِكَ ^(١) مَنْصُوبَةٌ ، وَحِجَالًا مَسْدُولَةٌ ^(٢) ، وَطُسُونًا ^(٣) وَأَبَائِيْقٌ ، وَيَبُوتُ مَاءٍ ،
وَمَيَائِبُ تَصُبُّ الْمَاءَ وَتَحْتَهَا بَلَالِيْعٌ لَغِيْضِ الْمَاءِ ^(٤) [وَطَبِقَانِ لِلضِّيَاءِ الْوَاقِعِ ، وَمَذَاهِنِ
لِلدُّخَانِ الْخَارِجِ وَالْهَوَاءِ] ^(٥) إِلَى سَائِرِ مَا يَسْتَعِدُّهُ ^(٦) الْعُقْلَاءُ لِلْإِنْفَاعِ ، ثُمَّ فَكَّرَ : هَلْ
هَذَا الْقَصْرُ بِمَا حَوَاهُ صَنَعَةٌ قَادِرٍ صَانِعِ عَالِمٍ حَيٍّ ، أَوْ اتَّفَقَ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَكَّبَ عَلَى
صُورَتِهِ بِلَا صَانِعٍ ؟ فَيَسْتَقِرُّ فِي عَقْلِهِ بِالضَّرُورَةِ اسْتِحَالَةٌ وَجُودِهِ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ ، وَأَنَّهُ
مُنْفَقِرٌ إِلَى صَانِعِ صَنَعَهُ .

وَهَذَا عِلْمٌ يَهْجُمُ عَلَى الْعُقُولِ ، لَا يَنْفَقِرُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ ، وَإِنَّمَا كَثُرَتْ لَكَ هَذِهِ
الْأَمْثِلَةُ ، لِأَنَّ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْأَعْضَاءِ وَلَطِيفِ الصَّنَعَةِ وَالْعَجَائِبِ أَكْثَرُ مِمَّا فِي الْقَصْرِ
بِاضْتِعَافِ مُضَاعَفَةٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ قَرَأَى مَا فِيهَا ^(٧) مِنَ الْعَجَائِبِ
وَالْتَرَكِيبِ ، وَمَنْفَعَةِ كُلِّ غَضْوٍ وَتَخْصِيصِهِ ، إِنَّمَا يَجْلِبُ نَفْعٌ أَوْ دَفْعُ ضَرٍّ ، فَأَتَعَمَّ ^(٨)
نَظَرُهُ فِي غَضْوٍ وَاحِدٍ مَثَلًا ، وَهُوَ فَمُهُ ، فَيَرَى فِي أَوَّلِهِ أَسْنَانًا تُشْبِهُ الْقُفُوسَ ^(٩) تَصْلُحُ
لِلْقَطْعِ ، وَفِي آخِرِهِ طَوَاجِينُ مُضْرَسَةٌ ^(١٠) تَصْلُحُ لِلطَّحْنِ ، وَشِدْقَيْنِ ^(١١) كَأَنَّهُمَا يُفَالُ

(١) قوله : « وأراتك منصوبة » عن « ط » ولم ترد في « م » . والأراتك : المقاعد المتَّجدة ، مفردة : أَرَبَكَةٌ .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وحجلاً مسدولة » . والحجل والجبال : السناثر ، مفردة : حَجَلَةٌ .

(٣) في « م » : « وطسونا » . والطسنت : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوي ، يُقْسَلُ فِيهِ ، مُعْرَبٌ « ثننت »

بالشين المعجمة .

(٤) الميائيب : قنوات ، أو أنابيب مصروف بها الماء من سطح بناء ، أو موضع عالٍ . وبلاليع لغيب الماء : ثقب

لتصريف الماء ، ومفردها : بِالْوَعَةِ .. وفي « م » : « بلاليع » خطأ من الناسخ .

(٥) ما بين المقروضين عن « م » وساقط من « ط » . والطبقان : التوافذ المستديرة .

(٦) يستعده : يَهَيِّئُهُ .

(٧) في « ط » : « قرأى فيها » .

(٨) في « م » : « فليتعم » وتكررت كلمة « واحد » بعدها سهواً من الناسخ . وأتعم نظره في كذا : دققه وأطال

الفكرة فيه .

(٩) في « ط » : « الفأس » .

(١٠) مضرسة : مُحَرَّجَةٌ .

(١١) في « م » : « وشدقي » . والشدق : جانب الفم مما تحت الحنك . والشق ، بكسر التاء المشددة : ما يمسك

تحت الرُحَى ، من جلد وغيره ، ليسقط عليه الدقيق ، ويضم التاء المشددة أيضاً : الحجر الأسفل من الرُحَى . والأول

هو المراد .

الرَّحَى ، يَمْنَعَانِ أَنْ يَتَهَرَّقَ الطَّعَامُ ^(١) إِلَى خَارِجٍ ، وَلِسَانًا يَرُدُّ مَا انْقَلَبَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَيْهِ عَلَى الطَّوَّاجِينِ ، ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ بُلْعُومٌ لَا زِدْرَادِهِ بَعْدَ الطَّحْنِ ^(٢) ، عِلْمٌ بِأَذْنَى تَأْمِيلٍ أَنَّ هَذِهِ الْخِلْقَةَ مَا انْفَعَلَتْ بِنَفْسِهَا اتِّفَاقًا ، بَلْ هِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى قَصْدٍ قَاصِدٍ ، وَجَعَلِ جَاعِلٍ ^(٣) .
وَعَلَى هَذَا النَّمِطِ لَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ ^(٤) مَنَفَعَةَ كُلِّ عَضْوٍ لَوَقَفْتَ عَلَى الْعَجَبِ ^(٥) ، وَلَكِنْ تَرَكْنَاهُ كَرَاهِيَةَ التَّطْوِيلِ . وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى ثَبَّ الْكِتَابُ الْمُهِيمِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٦) . وَبِهَذِهِ الْعِبَرَةِ تَسْتَقِيلُ الْعُقُولُ بِإِتِّبَابِ الصَّانِعِ ، وَتَسْتَعْنِي عَنِ النَّظَرِ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْأَعْرَاضِ ^(٧) . فَالْعِلْمُ الْمُفِيدُ لِإِتِّبَابِ الصَّانِعِ فِي الشَّاهِدِ ، مِثْلُ : الْبِنَاءِ ، وَالْتِّجَارِ ، وَالْحَيَاطِ ، وَأَشْبَاهِهِمْ ، بَعْدَ النَّظَرِ فِي صَنَائِعِهِمْ عَلَى اضْطِرَّارٍ .

وَالْعِلْمُ الْمُثْبِتُ لِلصَّانِعِ - سُبْحَانَهُ - عِنْدَ النَّظَرِ فِي خُلُوثِ الْعَالَمِ ^(٨) عِلْمٌ اسْتِدْلَالٍ ، اِعْتِبَارًا ^(٩) لِلْغَايِبِ بِالشَّاهِدِ ، إِذْ لَا فَرْقَ فِي الْعُقُولِ بَيْنَ صَنْعَةٍ وَصَنْعَةٍ فِي اقْتِضَاءِ صَانِعٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الشَّاهِدِ ضَرْوِيًّا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَزَلْ يَرَى الْبِنَاءَ يَبْنِي ، وَالْحَيَاطَ يَخِيطُ ، وَالتِّجَارَ يَتَجَرَّ الْحَشَبَ ، وَلَمْ تَرَ الْعُقَلَاءُ الْقَدِيمَ - سُبْحَانَهُ - يَخْلُقُ وَيَخْتَرِعُ ، وَإِنَّمَا اسْتِفَادُوهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الشَّاهِدِ ، فَإِنْ قِيلَ : فَأَيُّ الْعِلْمَيْنِ أَقْوَى فِي النُّفُوسِ وَاتَّبَتْ فِي

(١) في (م) : « يَمْنَعَانِ الطَّعَامُ أَنْ يَهْرَقَ » . يُقَالُ هَرَقَ الْمَاءُ ، أَيْ : أَرَاهَهُ وَصَبَّهُ ، وَهَاءُ فِيهَا لَيْسَتْ أَصْلِيَّةً ، وَإِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنْ هَمْزَةِ « أَرَأَى » ، وَفِيهَا لُغَاتٌ .
[انظر لسان العرب - مادة هرق] .

(٢) في (م) : « بُلْعُومٌ يَصْلُحُ لِإِزْدِرَادِ هَذَا الطَّحْنِ » . وَالْإِزْدِرَادُ : التَّلَجُّعُ .

(٣) جَعَلَ جَاعِلٌ : أَيْ : خَلَقَ خَالِقٌ .

(٤) في (م) : « وَنَصِفُ » .

(٥) في (م) : « وَالْغَضَبُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٦) سُورَةُ النَّازِعَاتِ - الْآيَةُ ٢١ .

(٧) الْجَوَاهِرُ : مَا قَامَ بِنَفْسِهِ ، وَيُقَابِلُهُ الْقَرَحُ ، وَهُوَ مَا قَامَ بغيرِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْلِيلُ عَلَيْهِ بِتَوْسِعٍ فِي مَنْ مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ .

(٨) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي (م) : « عِنْدَ الْخُلُودِ النَّظَرُ فِي الْعَالَمِ » .

(٩) سَقَطَتْ « اِعْتِبَارًا » مِنْ (م) .

الْعُقُول ، الْعِلْمُ بِالصَّانِعِ : النَّظَرُ فِي السَّرِيرِ ^(١) وَاقْتِصَائِهِ لِلشَّجَارِ ، أَمْ ^(٢) الْعِلْمُ بِالْإِلَهِ عِنْدَ النَّظَرِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ هَذَا يَسْتَدْعِي تَفْصِيلًا وَتَدْقِيقًا ، وَلَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مَوْضِعًا لِذَلِكَ ، فَحَيْثُ نَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُ عَقْلًا غَيْرِيًّا ، وَنُسَمِّيه عَاقِلًا ، وَنَوَجِّهُ التَّكْلِيفَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْعَقْلُ التَّكْلِيفِيُّ .

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَاَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَثْنَاءٍ : مَلَائِكَةً ، وَآدَمِيَّينَ ، وَشَيَاطِينَ ، وَبَهَائِمَ . فَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَعُقُولٌ بِلَا شَهَوَاتٍ وَلَا هَوَى يُقَارِنُهُ ، وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَشَهَوَاتٌ بِلَا عُقُولٍ ، وَأَمَّا الشَّيَاطِينُ وَالْجِنُّ فَرَكَّبَ اللَّهُ فِيهَا الْعُقُولَ وَالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى ، وَهَكَذَا رَكَّبَ فِي بَنِي آدَمَ الْعَقْلَ وَالْهَوَى وَالشَّهَوَةَ ، فَغَلَبَتْ شَهَوَاتُ الشَّيَاطِينِ وَهَوَاهُمْ عُقُولُهُمْ ، فَقَطَّعُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ : بِالْكِبْرِ ^(٣) وَالْعُجْبِ ، وَالْمَقْتِ ^(٤) وَالْفَخْرِ ، وَالذَّعْوَى ، وَالْحَسَدَ ، وَالْأَذْيَةَ ، وَسَائِرِ الْأَخْلَاقِ الْمُهْلِكَةِ . وَأَمَّا الْبَهَائِمُ فَتَقَفَّضَتْ ^(٥) أَوْقَاتُهَا فِي شَهَوَاتِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ . وَأَمَّا الْآدَمِيُّونَ فَرَكَّبَ فِيهِمْ عُقُولَ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَخْلَاقَ الشَّيَاطِينِ ، وَشَهَوَاتِ الْبَهَائِمِ ، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ هَوَاهُ مِنْهُمْ فَكَانَتْهُ مِنْ عَالِمِ الْمَلَائِكَةِ : كَالْأَنْبِيَاءِ ، وَالرُّسُلِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ عَقْلُهُ مَغْلُوبًا بِهَوَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ ^(٦) مِنْ الْمَطَاعِمِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَائِبِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرَبِ ^(٧) فَأَكَلَ وَتَمَتَّعَ بَعْدَ أَنْ كَسَبَهُ مِنْ حِلِّهِ ^(٨) فَهَذَا مِنْ عَالِمِ الْبَهَائِمِ [وَإِنَّمَا الْحَقْنَاهُ بِعَالِمِ الْبَهَائِمِ

(١) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « أفرى وأثبت في العقول عند النظر في السرير » .

(٢) في (م) : « : للتحارم » . تحريف .

(٣) في (م) : « كالكبر » ، وسقطت منها « المذمومة » والسياق يتطلب وجودها .

(٤) « والمقت » عن (ط) .. وسقطت من (م) .

(٥) تقفّضت أوقاتها : فبقيت . وانقطعت . وفي (م) : « : تقفّضت أوقاتها » .

(٦) « المباحات » عن (ط) وسقطت من (م) .

(٧) « الخرب » عن (ط) وسقطت من (م) ، والمراد بها : الزرع .

(٨) أي : بعد أن كسبه من حلاله .

لأنه لا تكليف على البهائم ^(١) وكذلك هذه المباحث لا حرج في الاستمتاع بها بعد أن يكون كسبه ^(٢) من حله . وإن كان الغالب عليه أخلاق الشياطين : من الكبير ، والعجب ، والحسد ، والغش ، إلى سائر الأخلاق المذمومة - فهذا من عالم الشياطين . وإن اجتمع في الشخص إفراط الشهوات وأتباع الهوى والأخلاق المذمومة ، فيكون آدمياً في صورته ، شيطانياً في خلائقه ، بهيمة في شهواته ، فلا يصلح للصحية . وإن ثبت ^(٣) هذا فاعلم أن هذا العقل العريز أطول رقدة ^(٤) من العين ، وأخرج إلى السيف ^(٥) .

فصل

فأما العقل المكسب ، وهو نتيجة العقل العريز ، فهو نقابة المعرفة ^(٦) ، وإصابة الفكرة ، وليس له حد ينتهي إليه ، لأنه ينمو إذا استعمل ، وينقص إن أهمل ^(٧) وتماؤه يكون بأحد وجهين :

إما أن يقارنه من مبدأ النشوء ذكاء وحسن فطنة ، كالذي قال الأصمعي : قلت لغلام حدث من أولاد العرب ، كان يحادثني ^(٨) وأمتعني الله بفصاحته وملاحته :

(١) ما بين المعرفتين عن ط و ط وساقط من م .

(٢) في م : بعد أن كسبه .

(٣) في م : وإذا ثبت .

(٤) الرقدة : التومة .

(٥) شعد السيف : أخذ ميأته . والمراد بقوله هذا : أن ذلك الإنسان الذي يتسم بهذه الصفات البهيمية ، كالإنسان المستغرق في نومه ، وكالسيف الذي ران عليه الصدأ ففقد صلاحته ، فهذا الإنسان في حاجة إلى من يوقظه من تلك الغفلة التي يحياها ، وإلى تهذيب وتزويج للنفس .

(٦) نقابة المعرفة : الجماعة .

(٧) في م : إذا أهمل .

(٨) هكذا في م ، وفي أدب الدنيا والدين ص ٢٨ من الباب الأول - فضل العقل وذم الهوى . ط الدار المصرية . ومحادثي : يكالمني .. وفي ط : يحادثني .

أَسْرَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَأَنْتَ أَخْمَقُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَلِمَ ؟
قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجْعَلَنِي عَلَى حُمُقِي جَنَائَةً تَذْهَبُ بِمَالِي وَيَتَقَيَّ عَلَى حُمُقِي . فَاسْتَخْرَجَ
هَذَا الصَّبِيَّ يَفْرِطُ ذَكَائِهِ مَا يَدُقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا .

وَقِيلَ لِنَعِضِ الصَّبِيَّانِ : أَلَيْكَ أَبُ ؟ قَالَ : فَكَأَنِّي عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَقَدْ قَالَتْ
الْحِكَمَاءُ : آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ الْفَهْمِ ، وَغَايَةُ إِصَابَةِ الْوَعْدِ ، وَلَيْسَ لِلذَّكَاةِ غَايَةٌ ، وَلَا
لِجَوْدَةِ الْقَرِيبَةِ نِهَائَةٌ ، أَلَا تَرَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ^(١) [الَّذِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِذَكَائِهِ]
قَالَ لِأَبِيهِ - وَهُوَ طِفْلٌ ، وَكَانَ أَبُوهُ يُؤْذِرُ أَخَاهُ عَلَيْهِ : يَا أَبَتِ ^(٢) ، نَعْلَمُ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ
أَخِي مَعَكَ : أَنَا كَفَرَجِ الْحَمَامِ ^(٣) أَتَبِحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ^(٤) وَكُلَّمَا كَبُرَ زِدَادُ
مَلَاحَةٍ وَحُسْنًا ، فَتَبَنَّى لَهُ الْعَلَالِيُّ ^(٥) وَيَتَّخِذُ لَهُ الْمُرَبَّاعُ ، وَيَسْتَحْسِنُهُ الْمُلُوكُ ، وَمَثَلُ
أَخِي مَثَلُ الْجَحَشِ ، أَمْلَحُ مَا يَكُونُ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ ، وَكُلَّمَا كَبُرَ قَبِيحٌ وَصَارَ إِلَى
الْفَهْقَرَى ^(٦) إِنَّمَا يَصْلُحُ لِحِمْلِ الزَّيْلِ وَالتَّرَابِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : مَا يَصْلُحُ لِدَوَى الْحُنْكَةِ ^(٧) وَصِحَّةِ الرُّؤْيَةِ ، لِيَطُولَ مُمَارَسَةِ الْأُمُورِ ،

(١) ما بين المقروضين عن « ط » . وإبراهيم هو : إبراهيم بن معاوية بن قرة المزني ، أو وإبلة ، ولأه عمر بن
عبد العزيز قضاء البصرة ، وكان أحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، وُلِدَ سنة ٤٦ هـ ، وضُرِبَ المثل بذكائه
فقيل : « أذكى من إبراهيم » . وقال عنه الجاحظ : إنه من مفاخر مُضَرٍّ ، ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الخدس ،
نقائما ، عجيب الفراسة ، ملهما ، وجيها عند الخلفاء . وللمدائني كتاب سماه « زكن إبراهيم » والزكن : التفرد في
الشيء بالظن الصائب . توفي - رحمه الله - بواسط سنة ١٢٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٩٨ - ١٠١ ، والمعارف ص ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ج
١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وثمار القلوب ص ٩٢ - ٩٤ ، وميزان الاعتدال
ج ١ ص ٢٨٣] .

(٢) ل م : « يا أبته » . وكذا جاءت في وفيات الأعيان ج ١ ص ٤١٩ ط دار الثقافة - بيروت .

(٣) في م : « كَفَرَجِ حَمَام » .

(٤) يريد : عند أول خروجه من البيضة يكون قبيح المنظر .

(٥) العَلَالِيُّ : القُرْفُ العالية ، جمع عَلُوٍّ بضم العين وكسرهما .

(٦) الْفَهْقَرَى : الرَّجُوعُ إِلَى الْخَلِيفِ .

(٧) لِدَوَى الْحُنْكَةِ : لِأَصْحَابِ التَّجَرِبَةِ وَالْبَصَرِ بِالْأُمُورِ .

وَكثرةُ التَّجَارِبِ ^(١) ، وَثُرُورِ الْغَيْرِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ ، وَثَقَلِ الْأَيَّامِ وَتَصَرُّفِ الْحَوَادِثِ ، وَتَنَاسُخِ الدُّوَلِ ^(٢) قَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ وَجُوهُ الْغَيْرِ ^(٣) ، وَتَصَدَّدَتْ لَأَسْمَاعِهِمْ أَنْوَاعُ الْأَخْبَارِ وَأَثَارُ الْغَيْرِ ^(٤) .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ^(٥) ، وَثَقَلِ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالُوا : التَّجَرِبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ ، وَالْبُرَّةُ ^(٦) نَمْرَةُ الْجَهْلِ ، وَلِذَلِكَ حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالُوا : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَيَنْبِيعُ الْأَخْبَارِ ، لَا يَطْبِشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ ، وَعَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ عَدِمُوا ذِكَاءَ الطَّبِيعِ فَقَدْ أَفَادَتْهُمْ الْأَيَّامُ حُنْكَةً ^(٧) وَتَجَرِبَةً .

وَقَدْ قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ نَهْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ ^(٩)
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا ^(١٠)
غَيْرَ أَنَّ لِلْعَقْلِ آفَاتٍ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَيْفَ يَرْجُو الْعَاقِلُ النَّجَاةَ ،

(١) في « ط » : « وكثر التجارب » . والغير : الأحوال والأحداث المتغيرة .

(٢) تناسخ الدُّوَل : تداولها ، فكان بعضها مكان بعض .

(٣) هكذا في « ط » : وفي « م » : « والغير » .

(٤) هكذا في « ط » : وفي « م » : « والغير » . والغير : جمع بيرة ، وهي : الالتعاط والاعتبار بما تفتنى .

(٥) في « م » : « تأديبا » .

(٦) البرَّة : العقلة .

(٧) في « م » : « حيلة » .

(٨) في « م » : « وقال » . والبيت منسوب إلى بلال الأنصاري . [انظر مجمع الحكم والأمثال ص ٣٣٧] .

(٩) الشطرة الثانية من هذا البيت في المرجع السابق : « وأن كمال العقل طول التجارب » .

(١٠) انظر : أدب الدنيا والدين ، الباب الأول : فضل العقل ودم الهوى .

وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ قَدْ اسْتَفْتَاهُ ^(١) ؟ وَالْهَوَى أَبْعَدُ مِنْ أَنْ تُنْفَذَ ^(٢) فِيهِ حِيلَةُ الْحَازِمِ الْمُحْتَالِ ، وَهُوَ أَغْمَضُ مَسْلَكًا فِي الْجَنَانِ مِنَ الرُّوحِ فِي الْجُنُونِ ، وَأَمْلَكُ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالْمَالِكُ لِلشَّيْءِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : كَمْ مِنْ عَقِيلٍ أُسِيرَ عِنْدَ هَوَى أُمِيرٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ حُرًّا فَلَا يَهْوَى ، وَإِلَّا صَارَ عَبْدًا . كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ ^(٣) :

أَنْفَسَ حُرَّةً وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنْ رَقِيَ الْهَوَى لَرَقَى شَبِيدُ

وَاخْتَلَفَ الثَّامِسُ فِي الْعَقْلِ الْمُكْتَسَبِ ^(٤) إِذَا تَنَاهَى وَزَادَ فِي الْإِنْسَانِ ، هَلْ يَكُونُ فَضِيلَةً أَمْ لَا ؟ فَقَالَ مُعْظَمُ الْعُقَلَاءِ : إِنَّهُ فَضِيلَةٌ إِذَا كَانَ مَجْمُوعَ أَحَادٍ ، وَالْأَحَادُ فَضَائِلُ ، وَلَا شَكَّ ^(٥) أَنَّ كَثْرَةَ الْفَضَائِلِ فَضِيلَةٌ ، أَمَّا ^(٦) الشَّيْءُ الْمَحْدُودُ فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ فِيهِ نَقْصًا ^(٧) مِنَ الْمَحْدُودِ ، كَالْتَهَوُّرِ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّيْذِيرِ ^(٨) فِي الْكَرَمِ ، فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِي

(١) استفتاء : أخطأ به .

(٢) في « ط » : ينفذ .

(٣) هو : أبو الحسن ، علي بن الجهم بن بدر ، من أهل بغداد ، وهو من الشعراء المجيدين ، وشعره فيه رقة ، كان معاصراً لأبي تمام ، وتخصّص بالتوكل العباسي ، ثم غضب عليه فنفاه إلى « خراسان » فأقام بها مدة ، وانتقل إلى « حلب » ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأعلى ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨ ط الشعب] .

(٤) هكذا في « ط » وفي أدب الدنيا والدين ص ٣٢ .. وفي « م » : « في المكتسب في العقل » .

(٥) في « م » : « فلا شك » .

(٦) في « م » : « وأنا » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يكون فيه الزيادة والنقصان فيه نقصاً » . وفي أدب الدنيا والدين : « زيادة العقل فضيلة ، لأن المكتسب غير محدود ، وإنما تكون زيادة الفضائل الحمودة نقصاً مذموماً ، لأن ما جاوز الحد لا يُسمى فضيلة ، كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة نُسب إلى التهور ، والسخي إذا زاد على حد السخاء نُسب إلى التبيذير » .

[انظر أدب الدنيا والدين - الباب الأول ص ٣٢ ، ٣٣ ط الدار المصرية اللبنانية] .

(٨) سقطت كلمة « التبيذير » من « م » .

العقل المُكْتَسَب فَرِيَادَةُ عَلِيمٍ بِالْأُمُورِ ، وَحُسْنُ إِصَابَةٍ بِالْطُّنُونِ ، وَمَعْرِفَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلَ النَّاسِ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) : الْعَقْلُ حَيْثُ كَانَ الْوَفْ ^(٢) مَالُوفٍ . وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣) : مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ بِحِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ، كَانَ خُفَّةً فِي أَغْلَبِ الْخِصَالِ عَلَيْهِ . وَلَمَّا مَاتَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ حَشَدَتِ الرُّومُ ^(٤) وَاجْتَمَعَتِ مُلُوكُهَا وَقَالُوا : الْآنَ يَشْتَقِلُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فِيمَكُنَّا ^(٥) الْفُرَّةُ مِنْهُمْ ، وَالْوَثْبَةُ عَلَيْهِمْ ، وَضَرَبُوا فِي ذَلِكَ مِثَالًا ، وَتَرَجَعُوا فِيهِ بِالْمُنَاطَرَاتِ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّهُ فُرْصَةُ الدَّفْرِ وَفُرَّةُ الشَّحْرِ ^(٦) وَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ^(٧) مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْمَعْرِفَةِ غَائِبًا عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : مِنَ الْحَزْمِ عَرْضُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوهُ بِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ صَوَابًا ، فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ فَقَالَ ^(٨) : عَدَا أُغَيِّرُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عِلَّةِ ذَلِكَ الْوَعْدِ ^(١٠) وَقَالُوا : لَقَدْ وَعَدْتَنَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ بِإِخْصَارِ كَلِمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ

(١) في د م : : صلى الله عليه وسلم .

(٢) في د ط : : الْوَفْ .

والمنعنى : أن العاقل يتميز بحسن الخلق ، ومن ثم تسهل طباعه وتطبع معاشرته .

(٣) هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، وُلِدَ بالمدينة سنة ٣٧ هـ . وتولى بَقْدَه - حين مكة والمدينة - سنة ١٠٧ هـ . وكان صالحًا نفا ، ومن سادات التابعين . قال ابن عسبة : كان القاسم أفضل أهل زمانه .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ١٨١ ، وتذكره الحفاظ ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٩ ، ٦٠] .

(٤) حَشَدَتِ الرُّومُ : اجتمعوا وتحفوا في التعاون ، وفي د م : : حَشَدَتِ : أى : تحركوا للنهوض .

(٥) في د م : : فِيمَكُنَّا .

(٦) فُرَّةُ الشَّحْرِ : النقرة التي في الخلق ، أهل الصدر . والمراد هنا : أنها فرصة مناسبة للمواجهة .

(٧) هكنا في د ط .. وفي د م : : وكان رجل من ذوى الرأى منهم .

(٨) في د م : : قال .

(٩) ما بين المعرفين عن د م .

(١٠) هكنا في د م .. وفي د ط : : فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَيْهِ للوعد .

فَدَّ أَعْدَهُمَا ، ثُمَّ حَرَّشَ بَيْنَهُمَا ، وَأَلَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى الْآخَرِ ، فَتَرَاثَا وَتَهَارَشَا ^(١) حَتَّى سَأَلَتْ دِمَاؤُهُمَا ، فَلَمَّا بَلَغَا الْعَايَةَ فَتَحَ بَابَ بَيْتِ عِنْدَهُ ، وَأَرْسَلَ مِنْهُ عَلَى الْكَلْبَيْنِ ذُقْبَا عِنْدَهُ فَدَّ أَعْدَهُ ، فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ تَرَكَا مَا كَانَا عَلَيْهِ ، وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمَا ، وَوَبَّأَا جَمِيعًا عَلَى الذَّنْبِ فَتَالَا مِنْهُ مَا أَحَبَّا ، ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَمْعِ فَقَالَ لَهُمْ ^(٢) : مَثَلُكُمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ هَذَا الذَّنْبِ مَعَ الْكِلَابِ ، لَا يَزَالُ الْهَرَجُ ^(٣) وَالْفِتْنَالُ بَيْنَهُمْ مَا لَمْ يَظْهَرُ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ تَرَكُوا الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ وَتَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ ^(٤) . فَاسْتَحْسَنُوا قَوْلَهُ ^(٥) وَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِمْ .

وَأَمَّا الْمَذْمُومُ فِي هَذَا الْبَابِ فَصَرَّفَ ^(٦) الْعَقْلُ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ . قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٧) : وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَدَهَاءُ الْعَرَبِ سِتَّةٌ : مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٨) وَالْمُعَوَّرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَزِيَادُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ ^(٩) . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَقُولُ : « أَنَا » لِلْأَنَاءِ ، وَعَمْرُو لِلْبَيْدِيَّةِ ، وَزِيَادُ لِلصُّغَارِ وَالْكِبَارِ ، وَالْمُعَوَّرَةُ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ .

(١) التحريش : الإغراء أو التهيج بين الإنسان والحيوان . أَلَبَّ : حَرَّشَ . وَتَهَارَشَا : تَفَاتَلَا .

(٢) في « م » : « قَالَ : مَثَلُكُمْ » .

(٣) الْهَرَجُ : الفتنَةُ والاختلاط .

(٤) تَأَلَّفُوا عَلَى الْعَدُوِّ : اجتمعوا وتوافقوا على قتاله .

(٥) في « م » : « فَاسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ مِنْهُ » .

(٦) في « م » : « صَرَّفَ » . والصواب ما جاء في « ط » حيث إن الفاء تقع في جواب « أَمَّا » .

(٧) هو الْمُحَدَّثُ ، عالم الكوفة عامر بن شراحيل .. وقد مرَّ التعريف به .

(٨) معاوية بن أبي سفيان . مرَّ التعريف به ..

وعَمْرُو بن العاص بن وائل السُّجُعِيُّ الْقُرَشِيُّ ، صحابيٌّ ، من أشهر الفاتحين ، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي لِيَسْلَمَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَبَلَ أَنْ يَدْخُلَ الْإِسْلَامَ . وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ الرَّاى وَالْحَزْمِ وَالْمَكِينَةِ .. فَتَحَ مِصْرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْوَاءِ الْجَبِيشِ فِي الْجِهَادِ بِالشَّامِ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَفُتِحَ يَسْرِينَ ، وَصَالِحُ أَهْلِ حَلَبٍ وَمِنَبِجٍ وَأَنْطَاكِيَّةِ ، وَلَاحَ عُمَرُ فِلَسْطِينَ ثُمَّ مِصْرَ ، وَعَزَلَهُ عُثْمَانُ ، وَلَمَّا كَانَتْ الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ ، كَانَ عَمْرُو مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَلَمَّا تَمَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ وَلَاحَ عَلَى مِصْرَ سَنَةَ ٣٨ هـ . وَأُطْلِقَ لَهُ خِرَاجُهَا سِتَّ سِنِينَ . تَوَلَّى بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٤٣ هـ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٨] .

(٩) الْمُعَوَّرَةُ بن شُعْبَةَ بن أبي عامر ، صحابيٌّ ، وقد مرَّ التعريف به .

قَالَ قُصَيْصَةُ بْنُ جَابِرٍ ^(١) : مَا رَأَيْتُ أُعْطِيَ لِحْزِيلٍ مَالٌ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ مِنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ^(٢) ، وَلَا رَأَيْتُ أَثْقَلَ حِلْمًا وَلَا أَطْوَلَ أَثَاةً مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَغْلَبَ لِلرِّجَالِ وَلَا أُنْبَذَلَهُمْ حِينَ يَجْتَمِعُونَ مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَلَا أَشْبَهَ سِيرًا بِعَلَانِيَةٍ مِنْ زِيَادٍ ، وَلَوْ أَنَّ الْمُعِيرَةَ كَانَ فِي مَدِينَةٍ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ^(٣) لَا يُخْرَجُ مِنْ بَابٍ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَكْرِ ، لَخَرَجَ مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ^(٤) : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : يَا عُوَيْمِرُ ^(٦) ازْدُدْ عَقْلًا تَزِدُّدُ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا . قُلْتُ : يَا بَيْ [أَتَيْتُ] وَأُمِّي ^(٧) وَمَنْ لِي بِالْعَقْلِ ؟ قَالَ : اجْتَنِبْ

= وزباد بن أبيه - في « ط » : « زباد بن أمية » والأشهر : « ابن أبيه » وقد مرّ التعريف به .
وقيس بن سعد بن عباد ، مرّ التعريف به أيضًا .

وعبد الله بن بُنْدَلٍ بن ورقاء الخُزَاعِي ، صحابيٌّ ، وكان من النُّفَاةِ الفصحاء ، انتهت إليه السيادة في خِزَاعَةِ .. أسلم يوم الفتح ، وشهد حُتَيْبًا والطَّائِفَ وتَبُوكَ ، وقَاتَلَ مع عَلِيٍّ بِصِفَيْنَ ، فكان قَاتِلَ الرُّجَالَةِ ، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه ، فكَاتَرَ عليه أصحاب معاوية ، فَقُتِلَ ، وكان ذلك سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، والمخير ص ١٨٤] .

(١) هو : قُصَيْصَةُ بْنُ جَابِرٍ بن وهب الأَسَدِيُّ الكُوفِيُّ ، تابعيٌّ ، من رجال الأحاديث والفقهاء ، كان فصيحًا ، ويُعد من الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، وهو آخر معاوية من الرضاة ، توفي سنة ٦٩ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٨ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٧ ص ١٢٥] .

(٢) هو : طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عثمان التَّيَّيُّ الْفَرَسِيُّ المدني ، أبو محمد ، صحابيٌّ من الشجعان ، ومن الأجراد ، يُسَمَّى طَلْحَةَ الجود ، وطلحة الفياض ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى . وكان من ذُفَاةِ قُرَيْشٍ ومن عُلمائهم ، وشهد أخذًا مع رسول الله ، ﷺ ، وثبت معه ، وباهبه على الموت ، فأصيب بأربعة وعشرين جرحًا وسُيِّمَ . وشهد الحندق وسائر المشاهد ، وقُتِلَ يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبصرة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٨٥ - ٨٩ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٧ - ٨٩ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٣ - ٤٠ ، والمعارف ص ٢٢٨ - ٢٣٤ ، والمخير ص ٣٥٥] .

(٣) قوله : « لها ثمانية أبواب » عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) أبو الدرداء هو : عُوَيْمِرُ بْنُ مَالِكٍ . وقد مرّ التعريف به .

(٥) في « ط » : « عليه السلام » .

(٦) في « م » : « يا عَمْرُو » تحريف ، والصواب عُوَيْمِرُ . وقدمر .

(٧) ما بين المعقوفين ورد في حديث عويمر مع رسول الله ، ولم يرد في « م » و « ط » .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ط الدار المصرية] .

مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَدَّ فَرَائِضَ اللَّهِ تَكُنْ عَاقِلًا ، ثُمَّ تَنْفُلْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ تَزِدْ فِي الدُّنْيَا عَقْلًا ، وَتَزِدْ مِنْ رَبِّكَ قُرْبًا ، وَعَلَيْهِ عِزًّا .

وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) :

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ فَالْعَقْلُ أَوَّلُهَا وَالذِّينُ ثَانِيهَا
وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمُ رَابِعُهَا وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعُرْفُ سَادِسُهَا ^(٢)
وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيَهَا ^(٣)
وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصْدَقُهَا وَلَسْتُ أُرْشِدُ إِلَّا حِينَ أُغْصِيهَا ^(٤)
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثُهَا إِنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ مَنْ عَقَلَهُ فِي إِرْشَادٍ ، وَمَنْ رَأَيْهُ فِي إِمْدَادٍ ، فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ ، وَفَعْلُهُ حَمِيدٌ ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهَلَهُ فِي إِغْوَاءٍ ^(٦) فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ ، وَفَعْلُهُ ذَمِيمٌ ، فَأَمَّا مَنْ صَرَفَ فَضْلَ عَقْلِهِ إِلَى الْبُهَاءِ وَالْمَكْرِ وَالشَّرِّ ^(٧) وَالْحَبِيلِ وَالْخَدِيعَةِ ، كَالْحَبَّاجِ

(١) في (ط) : « وَيُرَوَّى لِعَلِيِّ .. شعر » . وقد وردت في الديوان على أنها منسوبة إليه .

[انظر ديوانه الذي جمعه عبدالعزيز الكرم ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، ٣٥] وقد وردت الأبيات في (م) ، متصلة كأنها نثر .

(٢) هكذا البيت في (ط) وفي أدب الدنيا والدين .. وساديا : سادسها . وفي (م) : « والعرف سادسها » . وفي الديوان : « والفضل سادسها » .

(٣) هكذا البيت في (ط) وفي أدب الدنيا والدين .. وعاشيها : عاشيها . وفي (م) : « واللين عاشيها » .. وفي الديوان : « واللين باقيها » .

(٤) هكذا البيت في (ط) ، وفي أدب الدنيا والدين ، وفي (م) .. وفي الديوان : « والنفس تعلم أنني لا أصادقها » .

(٥) هكذا البيت في (ط) وفي (م) .. وفي أدب الدنيا والدين : « مَنْ كَانَ مِنْ جِزْبِهَا » وبعد هذا البيت :

عيناك قد دققا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت لبيديا

ولم يرد هذا البيت الأخير في (م) و (ط) .. والبيتان الأخيران لم يردا في الديوان .

[انظر الديوان ص ١٣٢ ، وانظر أدب الدنيا والدين ص ٣٤ ، وحاشية رقم ٥٧ للمحقق ط الدار المصرية]

(٦) في (م) : « إغواء » .

(٧) في (ط) : « والشكر » . خطأ .

وَزِيَادٍ وَأَشْيَاهِمَا فَمَذْمُومٌ . وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَسْتُ بِالْخَبِثِ ،
وَالْخَبِثُ لَا يَخْدَعُنِي . وَقَالَ الْمُفِيرَةُ : كَانَ ^(١) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ ، وَأَغْفَلَ مِنْ أَنْ يُخْدَعَ .

وَالْمَوْصُوفُ بِالذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ مَذْمُومٌ ، وَصَاحِبُهُ مَحْنُورٌ ، تَخَافُ غَوَاثِلُهُ ، وَتَحْذَرُ
غَوَاقِبَ حَبَائِلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٢) أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ
يَعَزَلَ زِيَادًا عَنْ وَلَدَيْهِ ، فَقَالَ زِيَادُ : أَعَنْ مَوْجِدَةً ^(٣) أَوْ حَيَاتَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
لَا عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُحْمَلَ النَّاسَ عَلَى فَضْلِ عَقْلِكَ .. وَكَتَبَ زِيَادُ
إِلَى مُعَاوِيَةَ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ فِي شِمَالِي ، وَيَمِينِي فَارِغَةٌ ، فَوَلِّبْنِي الْحِجَارَ
أَكْفِكَ أَهْلَهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِهِ . فَطُعِنَ فِي إصْبَعِهِ ^(٥) بَعْدَ أَيَّامٍ ،
فَمَاتَ .. فَتَحَنَّنَ وَإِنْ كُنَّا نَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّا نَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ وَنُوصِي
بِهَا ^(٦) . وَالْإِسْخَاعُ فِي الْحِيلَةِ مِمَّا تَوَاصَى بِهِ الْعُقَلَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ
أُمُورِ الدُّنْيَا لِطَالِبِ الرَّفْعَةِ ، وَبَغَايِ النُّوسِيلَةِ ، وَمُزْنَادِ أَمْرِ كَانَ ، دَقٌّ أَوْ جَلٌّ ،
خَيْرًا ^(٧) مِنَ الْحِيلَةِ . وَأَضْعَفُ الْحِيلَةِ أَنْفَعُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّدَةِ .

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ ^(٨) : مَلَكَ الْعَقْلُ الْحِيلَةَ وَالتَّائِي لِلْسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَالْقَوَى مِنَ
الْأُمُورِ .. وَرَوَى أَنْ رَجُلًا وَقَفَ لِكِسْرَى فَقَالَ : أَنَا أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ .
قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : يُشَدُّ ^(٩) بِرِجْلِي حَبْلٌ ، طَرَفُهُ بِرَقِيبَةِ الْفِيلِ ، وَبِرِجْلِي

(١) فِي « م » : « كَانَ - وَاللَّهُ » قَسَمَ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضِينَ عَنْ « ط » .

(٣) الْمَوْجِدَةُ : الْقَضْبُ .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « كَتَبَ زِيَادُ إِلَى عُمَرَ » وَهُوَ مِنَ النَّاسِ . وَالصَّوَابُ : « مُعَاوِيَةُ » .

(٥) طُعِنَ فِي إصْبَعِهِ : أَصَابَهُ الطَّاعُونُ .

(٦) فِي « ط » : « وَتَوَضَّى بِهَا » . وَنَرْغَبُ عَنِ الذَّهَاءِ : نَكْرَهُهُ . وَنَرْغَبُ فِي الْحِيلَةِ : نَرْبِهَا .

(٧) فِي « م » وَ« ط » : « خَيْرٌ » . وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ - خَيْرٌ لَيْسَ .

(٨) فِي « ط » : « وَقَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءِ » .

(٩) فِي « م » : « تُشَدُّ » .

الأخرى ^(١) كذلك ، ويُشَدُّ طَرَفُهُ ^(٢) بِرَقِيَةِ الْفِيلِ ، ثُمَّ يُسَاقُ الْفِيلُ ^(٣) بِالضَرْبِ وَالزُّجْرِ فَلَا أُتْرَحُزُ ، ثُمَّ طَلَبَ ^(٤) أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعٍ مِنَ الْفَيْلَةِ ، فَمَرَّتْ بِحَدِيثِهَا ، فَقَسَّسُوهُ شَطْرَيْنِ ، فَقَالَ كِسْرَى : مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مَا فِيهِ عَقْلُهُ هَلَكَ بِأَكْبَرِ مَا فِيهِ ، فَتَنَطَّمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٥) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرُهُ عَقْلُهُ أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ ^(٦)

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا أَبَا الْوَلِيدِ ^(٧) يَخْكِي أَنَّ رَجُلًا اسْتَاذَنَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَالَ : إِنِّي أَصْنَعُ مَا تَعْجَزُ الْخَلَائِقُ عَنْهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : هَاتِ ، فَأَخْرَجَ اثْبُوتَهُ قَصَبٍ فِيهَا إِبْرَةٌ عِدَّةٌ ، ثُمَّ وَضَعَ وَاحِدَةً فِي الْأَرْضِ ، وَقَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَجَعَلَ يَرْمِي إِبْرَةً إِبْرَةً مِنْ قَامَتِهِ ، فَتَقَعَ كُلُّ إِبْرَةٍ فِي عَيْنِ ^(٨) الْإِبْرَةِ الْمَوْضُوعَةِ ، حَتَّى قَرَعَ دَسْتَهُ ^(٩) ، فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِضَرْبِهِ بِمِائَةِ سَوْطٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَسُئِلَ عَنْ جَمْعِهِ بَيْنَ الْكِرَامَةِ وَالْهَوَانِ ، فَقَالَ : وَصَلْتُهُ لِحَبْوَةِ ذَكَائِهِ ، وَأَدَبْتُهُ كَيْ لَا يَصْرِفَ قُرْطَ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ ^(١٠) .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَقْلَ الْمُكْتَسَبَ إِذَا تَنَاهَى لَا يَكُونُ فَضِيلَةً ، قَالَ : لِأَنَّ الْفَضَائِلَ هِيَ بَاتُ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ فَضِيلَتَيْنِ ^(١١) نَاقِصَتَيْنِ ، فَمَا جَاوَزَ التَّوَسُّطَ خَرَجَ عَنْ حَدِّ الْفَضِيلَةِ ،

(١) في م : : الآخر .

(٢) في م : : وَشَدُّ طَرَفِهِ ، أى : الحبل .

(٣) في م : : ثُمَّ يُسَاقُ الْفَيْلَةُ .

(٤) في م : : ثُمَّ تَعَاطَى ، أى : أَقْدَمَ عَلَيْهِ وَقَعَلَهُ .

(٥) البيت أنشده ابن لُكَّك لأبيه ، وهو : أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْبَصْرِيِّ ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ الْبَصْرَةِ ، وَأَكْبَرُ شُعْرِهِ فِي شُكْرِ الزَّمَانِ ، وَكَانَ مَعَاصِرًا لِلْمُتَنَبِّئِ .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣٣ ، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص ٦ - ١١ ، والأعلام ج ٧ ص ٢٠ ، والصُّحُح الْمُتَّبَعَةُ عَنْ حَيْثِيَةِ الْمُتَنَبِّئِ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط دار المعارف] .

(٦) في أدب الدنيا والدين : : أَهْلَكَهُ أَكْبَرُ مَا فِيهِ .

(٧) هو : أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاهِجِي ، سُلَيْمَانُ بْنُ خُلْفِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ . انظر المقدمة .

(٨) في م : : مِنْ عَيْنِ .

(٩) دَسْتُهُ : لَعْبُهُ .

(١٠) في م : : : لَا يَصْرِفُ بِقُرْطِ ذَكَائِهِ فِي الْفُضُولِ ، أى : فيما لا خير فيه .

(١١) هكذا في ط : وفي أدب الدنيا والدين .. وفي م : : : من فضيلتين .

كَانَكَرَمُ الَّذِي هُوَ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْبُحْلِ وَالتَّبَذِيرِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَسَطٍ بَيْنَ التَّهَوُّرِ وَالْجُبْنِ .
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ لِلْأَسْكَنْدَرِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عَلَيْكَ بِالْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ
غَيْبٌ ، وَالنَّقْصَانَ عَجْزٌ .. وَفِي الْحَدِيثِ .. أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) قَالَ :
« خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَيْرُ الْأُمُورِ
الْأَوْسَطُ ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْعَالِي ، وَمِنْهُ يُلْحَقُ الثَّالِي . قَالُوا : لِأَنَّ زِيَادَةَ الْعَقْلِ ^(٢) تُفْضِي
بِصَاحِبِهَا إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ .

قُلْنَا : هَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ بِمَا قَدَّمَاهُ لِنُصْرَةِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ مَنْقُوضٌ بِالْعَقْلِ الْغَرِيزِيِّ ،
وَبِالْعُلُومِ ، وَبِسَائِرِ الْفَضَائِلِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّهُ يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الذَّهَاءِ وَالْمَكْرِ
[فَتَقُولُ] ^(٣) : الذَّهَاءُ وَالْمَكْرُ كَسْبٌ مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرَ الْعَقْلِ ، لَيْسَتْ مِنْ لَوَازِمِ الْعَقْلِ ،
فَإِنْ شَاءَ تَذَاهَى وَمَكَّرَ ، وَإِنْ شَاءَ كَفَّ عَمَّا يَقُولُ فِي كُلِّ شَرٍّ يَكْتَسِبُهُ الْعَاقِلُ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَلَيْسَ ^(٤) عَقْلُهُ أَوْقَعُهُ فِيهِ ، بَلْ إِنَّمَا أَوْقَعُهُ فِيهِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ^(٥) . وَكَانَ بَرْزَجِيهْرُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ
كِتَابِ أَمْثَالِهِ ، وَتَسَقَّى كُلَّ بَابٍ عَلَى حَيَالِهِ ^(٦) يَقُولُ : لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَ هَذِهِ
الْأَمْثَالَ ^(٧) فَصَارَ عَالِمًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ حَفِظَهَا وَلَمْ يَصِرْ عَالِمًا . وَأَنَا أَقُولُ : لَيْسَ
الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَ كِتَابِي هَذَا وَصَارَ مُهَذَّبًا كَامِلًا ، إِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يَصِرْ
مُهَذَّبًا كَامِلًا .

(١) في « ط » : عليه السلام .

(٢) في « م » : الريادة في العقل .

(٣) ما بين المعقوفين من عندنا .. وفي « ط » : قلنا « بدون الفاء » . وسقطت هذه الجملة سهواً من الناسخ إلى قوله : « كسب معاني » .

(٤) في « م » : ليس « بدون واو العطف » .

(٥) في « م » : أوقعه قِلَّةُ عَقْلِهِ .

(٦) على حَيَالِهِ ، أى : بالتفكير .

(٧) في « م » : الأعمال .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْوُزَرَاءِ وَصِفَاتِهِمْ ، وَالْجُلَسَاءِ وَآدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ ^(١) فَلَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ يَسْتَعِينِي عَنِ الْوُزَرَاءِ لَكَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِذَلِكَ كَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ . ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةَ الْوُزَرَاءِ فَقَالَ : ﴿ أَشَدُّ بِهِ أُرَى * وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ^(٢) . دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الْوِزَارَةِ أَنْ يَشُدَّ ^(٣) قَوَاعِدَ الْمَمْلَكَةِ ، وَأَنْ يُفَضِّلَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِعُجْرِهِ ^(٤) وَيُجَرِّه إِذَا اسْتَكْمَلَتْ ^(٥) فِيهِ الْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ كَفَى لِسَبْحِكَ كَثِيرًا * وَلَذِكْرُكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) . دَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَنَّ بَصُوحَةَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ^(٧) وَأَهْلَ الْخَبِيرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ تَنْتَظِمُ ^(٨) أُمُورَ الدُّنْيَا وَأُمُورَ الْآخِرَةِ ، وَكَمَّا أَنَّ أَشْجَعَ النَّاسِ يَخْتَاجُ إِلَى

(١) الْآيَةُ ٢٩ مِنْ سُورَةِ طه .

(٢) الْآيَاتَانِ : ٣١ ، ٣٢ مِنْ سُورَةِ طه .

(٣) فِي « ط » : « تُشَدُّ » .

(٤) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « بِعُجْرِهِ » .. وَيُفَضِّلُ إِلَيْهِ بِعُجْرِهِ وَيُجَرِّه ، أَيْ : بِمُحَبَّةٍ وَأَمْرِهِ كُلِّهِ . وَقَدْ مَرَّتْ .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « اسْتَكْمَلَتْ » . وَالْخِلَالُ الْمَحْمُودَةُ : الْخِصَالُ الْحَسَنَةُ ، جَمْعُ خَلَّةٍ .

(٦) الْآيَاتَانِ : ٣٣ ، ٣٤ مِنْ سُورَةِ طه .

(٧) فِي « م » : « وَالسَّالِطِينَ » .

(٨) فِي « م » : « تَنْتَظِرُ » . تَعْرِيفٌ مِنَ النَّاسِ .

السَّلَاج ، وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ إِلَى السَّوْطِ ^(١) وَأَحَدَ الشَّفَارِ إِلَى الْمِسْنِ ، كَذَلِكَ يَحْتَاجُ أَجَلَ الْمُلُوكِ وَأَعْظَمُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ إِلَى الْوَزِيرِ .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَا اسْتَخْلَفَ خَلِيفَةً إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ^(٢) وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى » ^(٣) . وَإِنَّمَا اسْتَقْبَلَتِ الْوِزَارَةُ مِنَ الْوَزِيرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ ^(٤) يُرِيدُ : أَنَّهُ يَحْمِلُ مِنْ أَمْرِ الْمَمْلَكَةِ وَأَعْبَائِهَا وَاتَّقَالِهَا مِثْلَ الْأَوْزَارِ .

أَسْعَدَ الْمُلُوكَ مَنْ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ ^(٥) إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ . وَقَالَ وَهْبُ ابْنِ مُثَنَّبٍ : قَالَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِفِرْعَوْنَ : آمِنْ وَلَكَ الْجَنَّةُ وَلَكَ مُلْكُكَ ، قَالَ : حَتَّى أَشَارَ هَامَانَ ، فَشَاوَرَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : بَيْنَمَا أَنْتَ إِلَهٌ تُعْبَدُ إِذْ صِرْتَ تُعْبَدُ ، فَأَنْفَ وَاسْتَكْبَرَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كَانَ وَزِيرُ الْحَجَّاجِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ^(٦) لَا يَأْلُوهُ خَبَالًا ، وَلَيْفَسَ الْقُرَنَاءُ شَرَّ قَرِينٍ لِشَرِّ حَدِيدِيْنِ ^(٧) .

وَأَشْرَفَ مَنَازِلِ الْأَدَمِيِّينَ النَّبِيُّ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ الْوِزَارَةُ . الْوَزِيرُ عَوْنٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَشَرِيكٌ فِي التَّذْيِيرِ ، وَظَهِيرٌ عَلَى السِّيَاسَةِ ، وَمَفْرَعٌ عِنْدَ

(١) في م : « وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ يَحْتَاجُ السَّوْطَ » . وَأَفَرَهُ الْخَيْلَ : أَحْسَنَهَا وَأَمْرَهَا — أَفْعَلَ تَفْضِيلًا .

(٢) في م : « وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ . تَحْرِيفٌ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَحْكَامِ ، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ ، وَالتَّسَائُلِ فِي الْبَيْعَةِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الزَّهَدِ .

(٤) بَعْضُ : أَنَّ الْوَزَرَ هُوَ الْجَمْلُ الثَّقِيلُ ، وَالْوَزِيرُ : خَاصَّةُ الْمَلِكِ الَّذِي يَحْمِلُ ثِقْلَهُ وَيُعِينُهُ بِرَأْيِهِ .

(٥) في م : « مَلِكٌ لَهُ وَزِيرٌ صَدِيقٌ » .

(٦) هُوَ : يَزِيدُ بْنُ دِهْرَانَ التَّقِيُّ ، أَبُو الْعَلَاءِ ، وَأَبُو مُسْلِمٍ كُتِبَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى مِنْ الثَّلَاثَةِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ مِنْ مَوَالِي ثَقِيفٍ ، وَجَعَلَهُ الْحَجَّاجُ كَاتِبًا لَهُ ، فَظَهَرَتْ مَزَاهِيهِ ، وَلَمَّا احْتَضَرَ الْحَجَّاجُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْخَرَاجِ بِالرَّاقِ ، وَأَفَرَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعْدَ مَوْتِ الْحَجَّاجِ سَنَةَ ٩٥ هـ ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ وَتَوَلَّى أَخُوهُ سُلَيْمَانُ سَنَةَ ٩٦ هـ عَزَلَهُ ، وَاسْتَبَقَاهُ فِي الشَّامِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ وَلَّى إِمَارَةَ إِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ ١٠١ هـ فَاتَّصَرَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوهُ سَنَةَ ١٠٢ هـ ، وَأَتَاهُمْ بِقَتْلِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ ، فَقَتَلَهُ بِشَرِّ بَنِ صِفْوَانَ الْكَلْبِيِّ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٨٢ ، وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، وَالْمَجْلِسُ ص ٤٩٢ ، وَتَارِيخُ الطَّبَرِيِّ وَابْنُ الْأَثِيرِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَمْثَلِ كُتُبِ التَّارِيخِ] .

(٧) لَا يَأْلُوهُ خَبَالًا : لَا يَقْصُرُ فِي إِنْصَادِهِ . وَالْحَدِيدِيْنِ : الصَّدِيقُ .

التَّائِلَةُ^(١) . الزَّوْزُرُ مَعَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ سَنْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : نِعَمَ الظَّهِيرُ الزَّوْزُرُ .. وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَسْتَفِيدُ الْمَلِكُ مِنَ الزُّرَّاءِ أُمْرَانِ : عِلْمُ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ ، وَيَقْوَى عِنْدَهُ عِلْمُ مَا كَانَ يَعْلَمُهُ ، فَيَزُولُ شَكُّهُ .

وَأَوَّلُ مَا يَظْهَرُ نَبْلُ السُّلْطَانِ وَقُوَّةُ تَمَيُّزِهِ ، وَجَوْدَةُ عَقْلِهِ فِي اسْتِنْحَابِ الزُّرَّاءِ ، وَاسْتِنْفَادِ الْجُلَسَاءِ^(٢) وَمُحَادَثَةِ الْعُقَلَاءِ ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ خِلَالٍ تُدَلُّ عَلَى كَمَالِهِ ، وَبِهَا يَجْمَلُ فِي الْخُلُقِ ذِكْرُهُ ، وَيَجِلُّ فِي الْعُقُولِ^(٣) قَدْرُهُ ، وَتَرَسُّعُ^(٤) فِي النُّفُوسِ عَظَمَتُهُ ، وَالْمَرَّةُ مَوْسُومُ بَقَرِيْنِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ : جِلَّةُ الْمُلُوكِ وَنَيْتُهُمْ وَزَرَّائِهِمْ . وَفِي كِتَابِ « كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ »^(٥) لَا يَصْلُحُ السُّلْطَانُ إِلَّا بِالزُّرَّاءِ ، وَلَا الْأَعْوَانُ^(٦) إِلَّا بِالْمَوْدَّةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَلَا الْمَوْدَّةُ^(٧) وَالنَّصِيحَةُ إِلَّا بِالسَّرِّ^(٨) وَالْعَفَافِ .. وَأَعْظَمُ الْأَشْيَاءِ ضَرَرًا عَلَى النَّاسِ عَامَّةً وَعَلَى الْوَلَاةِ خَاصَّةً أَنْ يُخْرَمُوا صَالِحَ الزُّرَّاءِ وَالْأَعْوَانِ ، فَكَوْنُ أَغْوَانِهِمْ غَيْرَ ذِي جَذْوَى وَغْنَى^(٩) . وَتَحَذَّرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ غَيْرَ الْمُتَحَرِّينَ ، كَنَى لَا تُضَيِّعُ الْأُمُورَ ، كَمَا يَحْذَرُ أَنْ يَتَطَلَّبَ بِغَيْرِ طَبِيبٍ بَصِيرٍ مَأْمُونٍ .

(١) الظهير : المأمون .. المنقزع : مَنْ يُنْجَأُ إِلَيْهِ عِنْدَ نَزُولِ الْخَطَرِ .

(٢) استنفاذ الزرراء : العقلاء واهتمامهم . واستنفاد الجلوساء : اهتمامهم بهم .

(٣) في م : : في العيون .

(٤) في م : : ترسّع .

(٥) هو كتاب وضعه الفيلسوف الهندي « بَيْتَبَا » ، وقيل : وضعه غيره ، وقد عرّفه - عن البهلولية - عبد الله بن المقفع . وقد بلغ هذا الكتاب من الذبوع وَبُعْدُ الشُّقَرَةِ مَا لَمْ يَلْغُهُ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَفْرَاسِ الْأَدَبِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ، وَلَمَّا اسْتَطَاعَهُ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ مَحَبَّبٍ بِأَعْيُنٍ بَلْبٍ قَارِئِهِ . وَلَقَدْ اِهْتَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَحَضِّرَةِ بِهِ ، فَتُبِّلَ إِلَى اللُّغَاتِ : الْفَارْسِيَّةِ ، وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَالتُّرْكِيَّةِ ، وَالْيُونَانِيَّةِ ، وَاللَّاتِينِيَّةِ ، وَالْعَبْرِيَّةِ ، وَالسِّرْيَانِيَّةِ ، وَالْإِيطَالِيَّةِ ، وَالْأَسْيَانِيَّةِ ، وَالْفَرَنْسِيَّةِ ، وَالْأَلْمَانِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ .

(٦) في ط : : والأعوان .

(٧) في ط : : والمودّة .

(٨) في م : : إلا بالرأي .

(٩) في م : : وجذوة . وفي ط : : غناء .

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ ^(١) : لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكٌ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا رَأَاهُ غَضِبَانٌ ^(٢) كَتَبَ لَهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ^(٣) فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ : اِرْحَمِ الْمُسْكِينِ ، وَاحْشِ الْمَوْتَ ، وَادْكُرِ الْآخِرَةَ ، فَكُلَّمَا غَضِبَ الْمَلِكُ نَازَلَهُ صَحِيفَةٌ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُهُ . . . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : يَحِقُّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ أَلْطَفَ ^(٤) مَا يَكُونُ نَظَرًا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ خَطَرًا ، وَلَا يَذْهَبُ حُسْنُ أَثَرِهِ فِي الرِّعْيَةِ بِخَوْفِهِ ^(٥) لَهَا ، وَلَا يَسْتَعْنِي بِتَدْوِيرِ الْيَوْمِ عَنْ تَدْوِيرِ غَدٍ ، وَأَنْ يَكُونَ حَذَرُهُ لِلْمَلَاقِينَ أَكْثَرَ مِنْ حَذَرِهِ لِلْمُتَبَاعِدِينَ ، وَأَنْ يَتَّقِيَ بِطَانَةَ السُّوءِ أَشَدَّ مِنْ اتِّقَائِهِ الْعَامَّةِ ، وَلَا يَطْمَعَنَّ فِي إِصْلَاحِ الْعَامَّةِ إِلَّا بِالْخَاصَّةِ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ : لِكُلِّ مَلِكٍ بِطَانَةٌ حَتَّى يَجْمَعَ بِذَلِكَ ^(٦) جَمِيعُ الْمَمْلَكَةِ ، فَإِذَا أَقَامَ الْمَلِكُ بِطَانَةً عَلَى حَالِ الصُّوَابِ ، أَقَامَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بِطَانَتَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ عَلَى الصُّلَاحِ عَامَةُ الرِّعْيَةِ .

وَمِثَالُ الْمَلِكِ الْخَبِيرِ وَالْوَزِيرِ السُّوءِ ^(٧) الَّذِي يَمْنَعُ النَّاسَ خَيْرَهُ ، وَلَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الدُّنُوِّ مِنْهُ ، كَالْمَاءِ الصَّافِي فِيهِ التَّمَسَّاحُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ دُخُولَهُ ، وَإِنْ كَانَ سَابِحًا ، وَكَانَ إِلَى الْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَمِثْلُ ^(٨) السُّلْطَانِ مِثْلُ الطَّبِيبِ ، وَمِثْلُ الرِّعْيَةِ كَمِثْلِ الْمَرْضَى ، وَمِثْلُ الْوَزِيرِ كَمِثْلِ السَّفِيرِ بَيْنَ الْمَرْضَى وَالْأَطِبَّاءِ ، فَإِنْ كَذَبَ السَّفِيرُ بَطَلَ التَّدْوِيرُ ، وَكَأَنَّ السَّفِيرَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا مِنَ الْمَرْضَى وَصَفَ لِلطَّبِيبِ بِقِيْضٍ ذَائِبٍ ، فَإِذَا سَقَاهُ الطَّبِيبُ

(١) من رجال الحديث ، رَوَى عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَيَزِيدِ بْنِ مَسْرَةَ .

[انظر حلية الأولياء ج ٥ ، ص ٦٠ صفحات متفرقة] وفي م : « شرح بن عبدالله » تحريف .

(٢) في م : « غضباناً » خطأ ، والصواب منه من الصرف ، صفة مخومة بألف ونون زائدتين .

(٣) في م : « كتب له صحائف » .

(٤) في م : « يحق على الملك اللطيف » أي : أن يكون اللطيف .

(٥) في ط : « بخوفه » .

(٦) في م : « بذلك » .

(٧) في م : « الوزير الشرير » .

(٨) في م : « ومثال » .

عَلَى صِفَةِ السُّفِيرِ هَلَكَ الْعَلِيلُ ، كَذَلِكَ الْوَزِيرُ ، يَنْقُلُ إِلَى الْمَلِكِ مَا لَيْسَ فِي الرَّجُلِ
يَقْتُلُهُ الْمَلِكُ ، فَمِنْ هَاهُنَا شَرْطُنَا ^(١) أَنْ يَكُونَ الْوَزِيرُ صَدُوقًا فِي لِسَانِهِ ، عَدْلًا فِي دِينِهِ ،
مَأْمُونًا فِي أَخْلَاقِهِ ^(٢) ، بَصِيرًا بِأُمُورِ الرُّعْيَةِ ، وَتَكُونُ بَطَانَةُ الْوَزِيرِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ
[وَالذِّيَانَةِ] ^(٣) وَالْبَصِيرَةِ ، وَيَحْذَرُ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَلَّى الْوِزَارَةَ لَيْيَمًا ، فَالْلَّيْمُ إِذَا ارْتَفَعَ جَفَا
أَقَارِبَهُ ، وَالْكَرَّ مَعَارِفَهُ ، وَاسْتَحَفَّ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَكَبَّرَ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ .

وَلَمَّا أَرَادَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ كَاتِبَ الْحَجَّاجِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ ،
قَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَسَأَلْتُ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تُحْيِيَ ^(٤) ذِكْرَ الْحَجَّاجِ
بِاسْتِكْتَابِكَ إِيَّاهُ . فَقَالَ ^(٥) : يَا أَبَا حَفْصٍ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ حَيَاةَ دِينَارٍ وَلَا ذَرْهَمٍ .
قَالَ عُمَرُ : أَنَا أَوْجِدُكَ مَنْ هُوَ أَعْفُ مِنْهُ فِي الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
إِبْلِيسُ ، مَأْسُ دِينَارًا وَلَا ذَرْهَمًا ، وَقَدْ أَهْلَكَ هَذَا الْخَلْقُ .. وَدَخَلَ رَجُلٌ لَهُ عَقْلٌ وَأَدَبٌ
عَلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ذَمِيًّا ^(٦) كَانَ الْخُلِيفَةُ يَمِيلُ إِلَيْهِ وَيُقَرِّبُهُ ، فَقَالَ :
يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ فِي النَّوَرِ وَحُبُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ ^(٧)
إِنَّ الَّذِي شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

(١) فِي « د » : « شَرْطُ » .

(٢) هَكَذَا فِي « د » .. وَفِي « ط » : « مَأْمُونًا فِي الْخِلَافَةِ » .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ عَنْ « م » .

(٤) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « د » : « أَنْ تُحْيِيَ » . وَسَقَطَتْ « لَا » سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ ، وَالسِّيَاقُ يَسْتَدْعِي
وُجُودَهَا .

(٥) فِي « د » : « قَالَ » .

(٦) قِيلَ : هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الطَّرطُوشِيُّ نَفْسُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ صَرَاحًا تَوَاضَعًا مِنْهُ ، وَقَدْ أُنْشِدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
الْأَتَيْنِ عِنْدَمَا دَخَلَ عَلَى الْأَفْضَلِ « شَاهِنْشَاهِ » ابْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ ، لِيُوعِظَهُ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِي ،
فَوَعِظَ الْأَفْضَلُ حَتَّى بَكَى ، ثُمَّ أُنْشِدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَأَشَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ ، فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَحَدَّثَ مَا هُوَ
مَذْكُورٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

[انْظُرْ نَفْعَ الطَّبِيبِ ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وَوَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٢٦٣ ، وَالْمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، وَفِيهِ نَسَبُ هَذَا الْقَوْلِ إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ ، وَانْظُرِ الْمَقْدَمَةَ] .

(٧) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « ط » .. أَمَّا الشُّطْرَةُ الْأُولَى فَوُرِدَتْ فِي « د » هَكَذَا : « يَا مَلِكُ طَاعَتُهُ لَازِمَةٌ » .. وَفِي وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ وَنَفْعِ الطَّبِيبِ : « يَا ذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ » ..

وَمِنْ شُرُوطِهِ : أَنْ يَكُونَ ثَقِيَّ الْجَنْبِ ، نَاصِحَ الْغَيْبِ ، لَا يَقْبَلُ دَقِيقَةً ^(١) وَلَا يَكْتُمُ نَصِيحَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِوَزِيرِهِ : لَا تُكُونَنَّ ^(٢) إِلَيَّ مَا تُسِرُّنِي بِهِ أُسْرَعُ ^(٣) مُبَادَرَةً مِنْ إِنْذَارِي فِيمَا يُخَافُ ^(٤) عَلَيَّ مِنْهُ .. وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ : أُعْطِيَ مِنْ أَثَاكَ بِمَا تُكْرَهُ ، كَمَا تُعْطَى مِنْ أَثَاكَ بِمَا تُحِبُّ ، فَإِنْ مِنْ أَنْذَرَ كَمَنْ بَشَّرَ .

وَمِنْ شُرُوطِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَدِلًا كَلِيلَ نَهَامَةٍ لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ ^(٥) . وَمَوْفِعُ الْوَزِيرِ مِنَ الْمَلِكِ مَوْفِعُ الْمَلِكِ ^(٦) مِنَ الْعَامَةِ . وَكَمَا أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا صَلَحَ صَلَحَتِ الرَّجِيَّةُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدُوا ، كَذَلِكَ الْوُزَرَاءُ ، إِذَا فَسَدُوا فَسَدَ الْمَلِكُ ، وَإِذَا صَلَحُوا صَلَحَ الْمَلِكُ .

وَكَانَ يُقَالُ : آفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى ، وَآفَةُ الْأَمِيرِ سَخَافَةُ الْوَزِيرِ . وَقَالَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ لِوَزِيرِهِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى ^(٧) : ائْتِنِ اللَّهَ يُعْطِفَنِي عَلَيْكَ ، وَلَا تَعَصِهِ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ . وَقَالَ

(١) الدقيقة : الأمر الحقيق الصغير .

(٢) في (م) : : ما يكون .

(٣) في (م) : : أُسْرَعُ بِثَنِكَ .

(٤) في (م) : : إلى إِنْذَارِي فِيمَا تُخَافُ .

(٥) نَهَامَةٌ : أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز والبحن ، والقرُّ ، بفتح القاف للمُشَاكَلَة مع البحر ، البرد .

(٦) موقع الملك : عن د ط ، وسقطت من (م) سهوا من الناسخ .

(٧) المقتدر بالله هو : الخليفة العباسي جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل بن المعتضد . وُلِدَ في بغداد سنة ٢٨٢ هـ ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥ هـ ، فاستصرفه الناس ، فخلعوه سنة ٢٩٦ هـ ونصبوا عبد الله ابن المعتز ، ثم قتلوا ابن المعتز ، وأعيد المقتدر بعد يومين ، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن والاضطرابات إلى أن قُتِلَ سنة ٣٢٠ هـ .

أما علي بن عيسى فهو : علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد ، وُلِدَ سنة ٢٤٤ هـ ، وهو فارسي الأصل ، نشأ كاتباً كافيهِ ، وولى مكة ، واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠ هـ فولاه الوزارة ، فأصلح الأحوال ، وأحسن الإدارة ، وحملت سيرته ، ثم عزله المقتدر سنة ٣٠٤ هـ ، وحججه ، ونفاه إلى مكة سنة ٣١١ هـ ، ومنها إلى صنعاء ، ثم أُوذِنَ له بالعودة إلى مكة سنة ٣١٢ هـ فعاد ، وولى فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ثم أعاده المقتدر إلى الوزارة ، فرجع إلى بغداد سنة ٣١٤ هـ ، وعاد فقم منه سنة ٣١٦ هـ فعزله ، وهكذا كانت حياته ملؤها الاضطراب إلى أن توفي ببغداد سنة ٣٣٤ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢١ ، وج ٤ ص ٣١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٤٠ - ٤٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢١٣ - ٢١٩ ، والكمال لابن الأثير ج ٦ ص ٩١٩ ، وصحاح ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٤ ، ...]

الْمَأْمُونُ لِمُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ^(١) : إِيَّاكَ أَنْ تُعْصِيَ اللَّهَ فِيمَا تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيَّ فَيَسْلُطَنِي عَلَيْكَ .
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْوَزِيرِ أَنْ يَكْتُمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَةً وَإِنْ اسْتَقْلَهَا . وَمَوْفِعُ الْوَزِيرِ مِنَ
الْمَمْلَكَةِ كَمَوْفِعِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَكَالْيَدَيْنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا صَحَّ قَبْضُهُمَا وَبَسَطُهُمَا صَحَّ
التَّدْبِيرُ ، وَإِذَا سَقَمَا دَخَلَ النُّقْصُ عَلَى الْجَسَدِ . وَلَا تَصْلُحُ الْوِزَارَةُ أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ
أَهْلِهَا ، كَمَا لَا يَصْلُحُ الْمُلْكُ أَنْ يَكُونَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . وَشَرُّ الْوُزَرَاءِ مَنْ كَانَ الْأَشْرَارُ
[أَيْضاً]^(٢) لَهُ وَزَرَاءَ وَبَطَانَةً وَدَخَلًا^(٣) . وَأَوْصَتْ امْرَأَةٌ ابْنَهَا وَكَانَ مَلِكًا ، فَقَالَتْ :
يَا بُنَيَّ ، يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ : وَزِيرٌ يَخْفَى بِرَأْيِهِ ، وَيُقْضَى إِلَيْهِ بِأَسْرَارِهِ ،
وَحِصْنٌ يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِذَا فَرَعَ ، وَسَيْفٌ إِذَا نَازَلَ الْأَقْرَانُ لَمْ يَخُنْهُ^(٤) ، وَذَخِيرَةٌ خَفِيفَةٌ
الْمَخِيلُ ، إِذَا نَابَتْهُ^(٥) نَائِبَةٌ كَانَتْ مَعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَذْهَبَتْ هَمَّهُ ، وَطَبَّاحٌ
إِذَا لَمْ يَشْتَهَ الطَّعَامَ طَبَّخَ لَهُ مَا يَشْتَهِيهِ .

(١) المأمون هو : الخليفة العباسي عبدالله بن هارون الرشيد . وقد سبق التعريف به .
أما محمد بن يزداد فهو : محمد بن يزداد بن سويد المروزي ، من كتّاب الإنشاء في الدولة العباسية ، وقد استوزره
المأمون ، وتولى المأمون وهو على وزارته ، وعاش إلى أيام الواثق بالله ، وتولى يستر من رأى سنة ٢٣١ هـ .
[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣] .

(٢) ما بين المعقوفين عن د ط و ماقط من د م .

(٣) اللُّخْلُ : الفساد والعبث والرية .

(٤) في د م : : لَمْ يَخْفُ أَنْ يَخُونَهُ .

(٥) في د ط : : نَابَتْهُ .

د م ماقط من د م

نحوه

« د م ماقط من د م » : « د م ماقط من د م »

البَابُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْجُلَسَاءِ وَأَدَابِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْأَعْلَاءُ يُؤْمِدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عُدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَا وَلَدَا لَيْسَ لَكَ الْخُلْدُ فَلَا عَيْلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴾ ^(٢) .

يَتَّبِعِي ^(٣) لِلْمَلِكِ أَنْ يُجَالِسَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ، وَذَوِي الرَّأْيِ وَالْحَسَبِ ، وَذَوِي التَّجَارِبِ وَالْعَمْرِ ، فَمُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ لِقَاضِ الْعَقْلِ وَمَادَّةُ ، وَلِلَّذِي حُمِدَتْ آرَاءُ الشُّيُوخِ ^(٤) ، فَقَالَ الْقَدَمَاءُ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَارِ ، وَتَتَابِعُ الْأَحْبَارِ ، لَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ ، وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . وَقَالُوا : عَلَيْكُمْ بِآرَاءِ الشُّيُوخِ ^(٥) فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاةَ الطَّيِّعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عَيْنِهِمْ وَجْهُ الْعَمِيرِ ، وَتَصَدَّتْ لَأَسْمَاعِهِمْ آقَارُ الْغَيْرِ . وَقَالُوا : رَأَى الشَّيْخُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ الْمَلِكِ .

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر .. والأعلاء : الأجياء في غير ذات الله .

(٢) الأنبان : ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان . وخدولاً : كثير الجدلان لئِنْ يواله .

(٣) في ط ١ .. د وينبغي .

(٤) هكنا في ط ١ .. د وفي م : : المشايخ . وانظر أدب الدنيا والدين - الباب الأول ص ٢٦ ط الدار المصرية .

(٥) في ط ١ : : عليك بآراء المشايخ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ^(١) لِحُلَسَائِهِ : جَبُونِي ثَلَاثًا ^(٢) : لَا تُظَرُونِي ، فَإِنِّي أَعْرِفُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ ، وَلَا تُكْذِبُونِي ، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكُذُوبٍ ، وَلَا تُعْتَابُوا ^(٣) عِنْدِي أَحَدًا فَيَسُدَّ قَلْبِي عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كَفَى بِالتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا ، وَتَقَلُّبِ الْأَيَّامِ عِظَةً .. وَقَالُوا : التَّجَرِبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ ، وَالْعُرَّةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ .. وَقَدْ قَالَ هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ ^(٤) وَهُوَ أَحَدُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، حِينَ تَنَافَرُ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ ^(٥) : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ السَّنِّ ، الْحَدِيثُ النَّظَرُ ^(٦) .. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشُّبَابِ ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ رَأْيًا لَمْ يُعْلَمْ طَوْلُ الْقَدَمِ ، وَلَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ ، وَالْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ أَصْدَقُ عَلَى الْعُقُولِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَّارَةَ لِمُعَاوِيَةَ ^(٧) : عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ الْأَيَّامِ ^(٨) أَعْدَاءَ كَاثُوا أَوْ

(١) هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وقد مر التعريف به .

(٢) في (م) : « ثلاثة » . ولا تُظَرُونِي أى : ولا تُبَالِغُوا فِي الشَّاءِ عَلَى .

(٣) في (م) : « ولا تغتابون » خطأ ، والمصواب حذف النون .

(٤) هو : هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ بْنِ سَيَّانَ الْفَزَارِيِّ ، كَانَ حُكَمَاءً مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقْضِي بَيْنَ السَّادَاتِ فَيَرْضُونَ بِقَضَائِهِ ، وَلَا يَمُودُ قَوْلُهُ ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ ، وَكَانَ حَيًّا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَلَهُ مَعَهُ حَدِيثٌ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٣ ، والمهر ص ١٣٥ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٢ ، ومنهاج اليقين لأويس وفا الأرنؤنجاني ص ١٦ وأدب الدنيا والدين الباب الأول ص ٢٧] .

(٥) في (ط) : « علابة » بالياء ، خطأ .

وعامر بن الطفيل بن مالك بن الأحوص ، وعلقمة بن علانة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، كُلٌّ مِنْهُمَا سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ قَوْمِهِ ، وَفَارِسٌ ، وَشَاعِرٌ .

[انظر المراجع السابقة] .

(٦) في أدب الدنيا والدين : « الحديد الذهن » .

(٧) هو : عبد العزيز بن زُرَّارَةَ الْكَلَابِيِّ ، قَائِدٌ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمُتَقَلِّبِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ فِيمَنْ غَزَا الْقِسْطَنطِينِيَّةَ ، وَأَبْلَى فِي قِتَالِ الرُّومِ بِلَاءَةً حَسَنًا ، وَقُتِلَ فِي إِحْدَى الْوَقَائِعِ سَنَةَ ٤٩ هـ . وَلَمَّا تَوَقَّعَ مُعَاوِيَةُ ، قَالَ : « هَلْكَ وَاللَّهِ قَتَى الْعَرَبِ » .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٧ ، والكمال لابن الأثير ج ٣ ص ٢٢٧] .

(٨) في (م) : « الأولياء » ، أى : المناصرين والهيبن . وَالْأَيَّامُ : قَوَى الْأَبْجَابِ ، أى أصحاب العقول ، جمع

صِدْقَاءَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مُجَالَسَةُ الْعُقَلَاءِ تَزِيدُ ^(١) فِي لَشْرَفٍ . وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ^(٢) : إِنْ الرَّجُلُ يَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيَلْقَى الرَّجُلَ الْعَاقِلَ نَيْكُونُ [بِعَقْلِهِ] ^(٣) عَاقِلًا أَيَّامًا . وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَرُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بِقَصْرِ بَارِضٍ بِمِصْرَ ، فَوَجَدَ فِيهِ مَكْتُوبًا :

عَدَوْنًا مِنْ قُرَى اضْطَحَّرَ	إِلَى الْقَصْرِ فَعَلَّنَاهُ ^(٤)
فَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْقَصْرِ	فَمَبِينًا وَجَدْنَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ	إِذَا مَا الْمَرْءُ مَاشَاهُ ^(٥)
وَفِي الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ	عَلَامَاتٌ وَأَشْبَاهُ ^(٦)
فَلَا تُصْحَبُ أَخَا الْجَهْلِ	وَأِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أُرْدَى	حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ ^(٧)

قَالَ : وَوَجَدَ ^(٨) عَلَيْهِ نَسْرًا وَاقِعًا ، فَدَعَاهُ فَقَالَ : مَنْ بَنَى هَذَا الْقَصْرَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : كَمْ لَكَ مِنْذُ وَقَعْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : تِسْعُمِائَةِ سَنَةٍ . وَفِي الْأَمْثَالِ : يُظَنُّ بِالْمَرْءِ مَا يُظَنُّ بِحَلِيلِهِ . وَلَمَّا حَجَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ^(٩) نَزَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ

(١) في (م) : « يزيد » .

(٢) هو : سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بْنِ مَيْمُون . مَرُّ التعريف به .

(٣) ما بين المقوفين عن (م) وساقط من « ط » .

(٤) اضْطَحَّرَ : من أقدم مُدُنِ فَارِسَ وَأَشْهَرَهَا ، وَبِهَا كَانَ قَصْرُ مَلِكِ فَارِسَ .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢١١] .

(٥) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي « ط » : « إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ » .

(٦) أَيْ : لِمِثَالِهِ . وَأَشْبَاهُ : جَمْعُ شَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ .

(٧) أُرْدَى حَلِيمًا : أَهْلَكَهُ حِينَ صَحَبَهُ .

(٨) فِي « ط » : « وَوَجَدْنَا » لَا تَصَحُّ .

(٩) فِي « ط » : « عِبْدُ اللَّهِ » خَطَأً .. وَهُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ الْهَاشِمِيُّ ، صَحَابِيُّ ، وَلَدَ بَارِضَ الْحِشْبَةِ لَمَّا هَاجَرَ أَبَوَاهُ إِلَيْهَا ، وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُقْمَيْسَ ، وَهُوَ أَخُو مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِأُمِّهِ ، وَكَانَ كَرِيمًا يُسَمَّى بَحْرَ الْجُودِ . وَلِلشَّعْرَاءِ فِيهِ مَثَلُح . وَكَانَ أَحَدَ الْأَمْثَرَاءِ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ يَوْمَ « صَفِّينَ » . وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨٤ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، وَالْمَعْرِيفُ ص ١٤٧ - ١٥٠ ، وَالْمَعْرِيفُ ص ٢٠٦ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٣ ص ١٩٨ - ٢٠٠] .

قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَرَفْنَا خِيَارَكُمْ مِنْ أَشْرَارِكُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : نَزَّلْنَا وَمَعَنَا أَتَحْيَارَ وَأَشْرَارَ ، فَتَزَلْ أَتَحْيَارُنَا عَلَى أَتَحْيَارِكُمْ ^(١) وَأَشْرَارُنَا عَلَى
أَشْرَارِكُمْ ، فَعَرَفْنَاكُمْ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ الدُّخَانُ عَلَى النَّارِ بِأَدَلٍّ مِنَ الصَّاحِبِ عَلَى الصَّاحِبِ . وَقَالَ
الْأَوْزَاعِيُّ ^(٢) : الصَّاحِبُ لِلصَّاحِبِ كَالرُّقْعَةِ فِي الثَّوْبِ ، إِنْ لَمْ تُكُنْ مِثْلَهُ ^(٣) شَانَتْهُ .
وَقَالَ مَالِكُ بْنُ مُسْنَعٍ ^(٤) لِلْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : يَا أَبَا بَخْرٍ ، مَا أَشْتَأُقُ إِلَى غَائِبٍ إِذَا
حَضَرْتُ ، وَلَا أَتَفِئُ بِحَاضِرٍ إِذَا غَيْبٌ ، فَأَخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَاتِبُ ^(٥) فَتَنَّمَهُ
فَقَالَ :

وَأَنْتَ هَوَى النَّفْسِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْمُطَاعُ
وَمَا بِكَ إِنْ بَعْدُوا وَخَشَتْهُ وَمَا مَعَهُمْ إِنْ بَعُدَتْ اجْتِمَاعُ ^(٦)

(١) في م : « فنزل خيارنا على خياركم » .

(٢) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن يُخَيْدِ الْأَوْزَاعِي ، وقد مر التعريف به .

(٣) في ط : « في مثله » . وشأنه : عاقبه .

(٤) في م : « و ط » : « ملك » بدون ألف صغيرة فوق الميم تدل على الألف المحذوفة .

وهو : مالك بن مُسْنَعِ بْنِ « سِيَار » - وقيل : « شِيَان » و « سَنَان » - البكري ، سيد ربيعة في زمانه ، كان مقدماً
رئيساً ، وُلِدَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْمَسَافِعُ . أُصِيبَتْ عَيْنُهُ فِي مَعْرَكَةِ الْجَنْفَرَةِ (مَوْضِعٌ
بِالْبَصْرَةِ) وَقِيلَ : قُتِلَ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٣ هـ ، وَكَانَ يُقَالُ : سَادَ الْأَخْنَفُ بِجُلُوبِهِ ، وَسَادَ مَالِكُ بْنُ
مُسْنَعٍ بِمَحَبَةِ الْعَشِيرَةِ لَهُ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٦٥ ، والمهر ص ٢٦١ و ٣٠٢ ، والمعارف ص ٤١٩ ، وثمار القلوب ص ٣٩٨ ،
والحيوان ج ١ ص ٢٧٠] .

(٥) هو : إبراهيم بن العباس بن محمد بن حُلُولٍ ، أبو إسحاق ، كاتب العراق في عصره ، وُلِدَ سَنَةَ ١٧٦ هـ
وَكَانَ جَدُّهُ مُحَمَّدٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَدُعَاتِهَا ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مُقَرَّباً مِنَ الْخُلَفَاءِ ، فَكَانَ كَاتِباً لِلْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ
وَالْمُشْكِلِ . وَتَقَلَّدَ فِي الْأَعْمَالِ وَالِدَوَالِيْنِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٤٣ هـ بِسَرٍّ مَنْ رَأَى ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شِعْرٍ رَفِيقٍ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ١١٧ ،
١١٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٤ - ٤٧ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٥٧ - ٣٥٣ ط الشعب] .

(٦) هكذا في م .. وفي ط : « وَخَشَتْ » بدل « وَخَشَتْ » . والوحشة : الحُفُوفُ وَالْانْقِطَاعُ وَبُعْدُ الْقُلُوبِ
عَنِ الْمَوَدَّاتِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ^(١) : الْمَالُ غَادٍ وَرَائِعٌ ، وَالسُّلْطَانُ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَالْإِخْوَانُ كُنُوزٌ وَافِرَةٌ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : تَنَازَرُ رَجُلَانِ [مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ] ^(٢) وَأَغْرَابِي حَاضِرٌ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : مُنَازَرَةٌ مِثْلُكَ فِي الدِّينِ فَرَضَ ، وَالْإِسْتِمَاعُ مِنْكَ أَدَبٌ ، وَمُجَالَسَتُكَ نَعْنٌ ، وَمَعْرِفَتُكَ عِزٌّ ، وَمُذَاكَرَتُكَ تَلْقِيحٌ لِلْعُقُولِ ^(٣) وَشَحَذٌ ، وَإِخَاؤُكَ شَرَفٌ وَفَخْرٌ .. وَقَالَ السُّمَيْسِمَانِيُّ ^(٤) : عَنَى مُحَارِقٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ^(٥) :

(١) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء ، أبو العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي ، وُلِدَ سنة ١٨٢ هـ ، وكان جده الأعلى « زريق » من موالى طلحة بن عبد الله ، المعروف بطلحة الطُّلحات .. وَلَمَّا إِثْرَةُ الشَّامِ مُدَّةً ، فَنُقِلَ إِلَى مِصْرَ سنة ٢١١ هـ فَأَقَامَ سَنَةً ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الدِّيَّوَرِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ الْمَأْمُونُ « خِرَاسَانَ » وَظَهَرَتْ كِفَايَتُهُ فَوُلِيَ طَبْرِسَانَ وَكِرْمَانَ وَالرَّيَّ وَالسُّودَانَ ، وَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِنِيسَابُورَ - وَقَبِلَ بِسَبْرٍ - سنة ٢٣٠ هـ . وَكَانَ كَرِيمًا بِأَدْلًا لِلْمَالِ ، مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَتَجَرِبَةٍ ، وَلِلشَّعْرَاءِ فِيهِ تَرَاثٌ كَثِيرَةٌ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٣ ، ٩٤ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٨٣ - ٤٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ ، وأخباره كثيرة في ابن الأثير ، والطبري ، وعروج الذهب ، والأغانى] .

(٢) ما بين المعقوفين عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « تَلْقِيحُ الْعُقُولِ » .

(٤) هو : أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار ، أديب ولغوي ، سمع أبا بكر بن شاذان ، وأبا الفضل بن المأمون ، وكان صديقًا ، ثقة في الرواية . وقد كتب الكثير ، وأكثر كتبه بخطه . توفى - رحمه الله - سنة ٤١٥ هـ . وَالسُّمَيْسِمَانِيُّ : قَالَ ابْنُ خُلِّكَانَ : « لَا أَعْرِفُ نَسَبَهُ إِلَى مَاذَا هُوَ ، وَهُوَ بِكسر السينين المهملتين ، وسكون الميم الأولى وَضَعَ الثَّانِيَةَ ، وَبِالنُّونِ ، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي ذُرَّةِ الْفَوَاصِلِ لِلْحَرِيرِيِّ مَا مِثَالُهُ : وَيَقُولُونَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْفَاكِهَةِ وَالْبَاقِلَاءِ وَالسَّمْسَمِ : فَاكِهَانِي ، وَبَاقِلَانِي ، وَسَمْسَمَانِي ، فَيُخْطِئُونَ فِيهِ - وَيَبِينُ وَجْهُ الْخَطَأِ - ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَوَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُنْسَوْبِ إِلَى السَّمْسَمِ : سَمْسَمِي . وَتَمَّتْ الْكَلَامُ إِلَى آخِرِهِ . فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى هَذَا ، عَلِمْتُ أَنَّ نِسْبَةَ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى السَّمْسَمِ ، وَأَنَّهُ اسْتَقْبِلَ عَلَى اصطلاح النَّاسِ » . وَقَدْ ضَبَّطَهُ بِأَقْرَبِ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ بِالْفَتْحِ ، وَنَسَبَهُ إِلَى « سَمْسَمِ » الْبَلَدَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ فَقَالَ : « السُّمَيْسِمِيُّ » .

[انظر تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠ ، ومعجم مقيدات ابن خُلِّكَانَ ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، وَإِتْبَاءُ الرُّوَاةِ عَلَى أَتْبَائِهِ الثُّخَاةِ ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ومعجم الأدباء ج ١٤ ص ٥٨ - ٦١ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٢٥٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٢ ، وَدَرَةُ الْفَوَاصِلِ لِلْحَرِيرِيِّ ص ١١٢ ، ١١٣] .

(٥) المأمون : مَرَّ الصَّرِيفُ بِهِ .

وَمُحَارِقٌ هُوَ : أَبُو الْمُهَنْنَا بْنِ يَحْيَى الْجَوَارِ ، إِمَامُ عَصَرِهِ فِي فَنِّ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ صَوْتًا ، كَانَ عَمَلُكَأً لِعَاتِكَةَ بِنْتِ شَهْدَةَ بِالْكُوفَةِ ، وَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْهُ الْغَنَاءَ وَالضَّرْبَ عَلَى الْعُودِ وَبَاعَتْهُ ، فَصَارَ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَعْجَبُ بِهِ حَتَّى أَقْلَعَهُ مَرَّةً عَلَى السَّرِيرِ مَعَهُ وَأَعْطَاهُ ٣٠ ألفَ دِرْهَمٍ . وَاتَّصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَأْمُونِ ، وَزَارَ مَعَهُ دِمَشْقَ . وَتَوَفَّى بِسَبْرٍ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٣١ هـ . وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٩١ ، والأغانى ج ٢٠ ص ٧١٧٤ - ٧٢٢١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨٠]

وَأَنَّى لَمُشْتَقٍّ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُرُ إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ ^(١)
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي ، وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْرَعٌ يَدِيهِ ^(٢)
فَطَرَبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ : وَيْحَكَ ^(٣) يَا مُحَارِقُ ، خُذْ مِنِّي نِصْفَ الْخِلَافَةِ وَأَعْطِنِي هَذَا
الْإِنْسَانَ .

وَقَالَتْ ^(٤) الْحُكَمَاءُ : النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ تَلْقِيحُ الْعُقُولِ . وَقَالُوا : الْعَاقِلُ
لَا تَنْقَطِعُ صِدْقَتُهُ ، وَالْأَحْمَقُ لَا تَدُومُ مَوَدَّتُهُ ، فَاتَّخَذَ مِنْ نُصَحَائِهِ أَصْحَابَكَ مِرَاةً
لِطَبَائِعِكَ وَفَعَالِكَ ، كَمَا تَتَّخِذُ لَوَجْهِكَ الْمِرَاةَ الْمَجْلُوءَةَ ^(٥) ، فَإِنَّكَ إِلَى صَلَاحِ طَبَائِعِكَ
أَخْرُجَ مِنْكَ إِلَى تَحْسِينِ صُورَتِكَ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ^(٦) نَظَرْتُ فِي اللَّذَاتِ ^(٧) فَوَجَدْتُهَا كُلُّهَا مَمْلُوءَةً ^(٨)
خَلَا سَبْعَةً . قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ^(٩) قَالَ : خُبْرُ الْحِنْطَةِ ،

(١) البيان لأبي العتاهية ، وقد ورد في ديوانه تحت عنوان « الصديق الصادق » . وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي :
« وإلى محتاج ، بدل « وإلى لمشتاق » .

[انظر ديوان أبي العتاهية ص ٤٦٤ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٨٠] .

(٢) عذيري مِنَ الْإِنْسَانِ : أَي مَنْ يَعْذُرُنِي فِي أَمْرِهِ إِذَا جَازَيْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ ، وَلَا يَلْزَمُنِي عَلَى مَا أَفْعَلُهُ .. وفي « م » :
« مِنَ الْإِحْوَانِ » . وفي الديوان : « كُنْتُ » بدل « صِرْتُ » .

(٣) في « م » : « وَيْحَكَ » .. وَوَيْحٌ : كَلِمَةٌ تُرْخَمُ وَتَوْجَعُ . وقيل : هِيَ بِمَعْنَى « وَيْل » ، وَتَسْتَعْمَلُ أَصْلًا فِي
الدُّعَاءِ عَلَى الشَّخْصِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ عَذَابٍ ، وَاسْتَعْمِلْتُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ .

(٤) في « م » : « وَقَالَ » . وكلاهما صواب .

(٥) في « م » : « الْمَجْلُوءَةُ » وكلاهما صواب .

(٦) هُوَ : الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّرْحَسِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ، تَوَلَّى وَزَارَةَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ
أَخِيهِ « الْفَضْلِ » ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ . وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ الْقَادَةِ وَالْوَلَاءِ فِي عَصْرِهِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٦٦ هـ وَاشْتَهَرَ بِالنُّصَاحَةِ
وَالْأَدَبِ وَالذِّكَاةِ الْمَفْرُطِ ، وَحُسْنِ التَّوْقِيعَاتِ وَالْكَرَمِ ، وَهُوَ وَالِدُ « بُورَانَ » زَوْجَةِ الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يُحِبُّهُ وَيُغَالِغُ
فِي إِكْرَامِهِ ، وَلِلشُّعْرَاءِ فِيهِ أَمَادِيحٌ . تَوَفَّى فِي « سَرَخْس » مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ سَنَةَ ٢٣٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣١٩ - ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٠ -
١٢٣ ، وأخباره كثيرة في كتب التاريخ ، وله أخبار وأقوال منثورة في كتب الأدب العربي ، كعميون الأخبار ،
والكامل ، وغيرها] .

(٧) في « م » : « فِي اللَّذَاتِ كُلِّهَا » .

(٨) في « م » : « فَوَجَدْتُهَا مَمْلُوكَةً » بِالْكَافِ . وَمَا وَرَدَ فِي « ط » ، أَصَحُّ مَعْنَى .

(٩) جملة : « قَالَ : وَمَا السَّبْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » عَنْ « ط » ، وَمُسَاقَطَةٌ مِنْ « م » .

وَلَحْمُ النَّعْمِ ، وَالْمَاءُ الْبَارِدُ ، وَالتُّوبُ النَّاعِمُ ، وَالرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْفِرَاشُ الْوَطِيُّ ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْحَسَنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مُحَادَثَةِ
الرِّجَالِ ؟ قَالَ : صَدَقْتُ ، وَهِيَ أَوْلَاهُنَّ .

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَكَلْتُ الْحُلُوَّ
وَالْحَامِضَ حَتَّى لَا أُجِدَ [لِوَاحِدٍ] ^(١) مِنْهُمَا طَعْمًا ، وَشَمَنْتُ الطَّيِّبَ حَتَّى لَا أُجِدَ
لَهُ رَائِحَةً ^(٢) ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ حَتَّى مَا أَبَالِي امْرَأَةً أَتَيْتُ أَمْ حَائِطًا ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَلَذَّ
مِنْ جَلِيسٍ يُسْقِطُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُوْتَةً التَّحْفِظِ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : قَدْ قَضَيْتُ الْوَطَرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ مُحَادَثَةِ
الْإِخْوَانِ فِي اللَّيَالِي الزُّهْرِ عَلَى اللَّعَالِي الْغُفْرِ ^(٣) . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ قَرَّبَ السُّقْلَةَ ^(٤)
وَأَذَانَهُمْ ، وَبَاعَدَ ذَوِي الْعَقْلِ ^(٥) وَأَقْصَاهُمْ ، اسْتَحَقَّ الْخِذْلَانَ ^(٦) ، وَمَنْ مَنَعَ الْمَالَ مِنْ
الْحَمْدِ ^(٧) وَرَبَّةً مَنْ لَا يَحْمَدُهُ .

وَمِنْ الْكَلَامِ الشَّرِيفِ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَخْوَجَ ذَا الْقُدْرَةِ إِلَى دِينٍ يَخْرِجُهُ ^(٨) ،
وَحَيَاءُ يَكْفُهُ ، وَعَقْلٌ يَعْدِلُهُ ^(٩) وَإِلَى تَجَرِبَةٍ طَوِيلَةٍ وَعِيبٍ ^(١٠) مَحْفُوظَةٍ ، وَإِلَى أَغْرَاقِ

(١) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٢) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « وَشَمَنْتُ الرَّائِحَةَ حَتَّى لَا أُجِدَ لَهَا رَائِحَةً » .

(٣) الليالي الزُّهْرِ : الصَّافِيَّةُ .. وَالْعَالِي الْغُفْرِ : الْأَمَاكِنُ الصَّلْبَةُ الْبَعِيدَةُ . وَيُقَالُ : هَجَرْتُ أَخِي عَلَى غُفْرِ ، أَيْ :
عَلَى بُعْدٍ مِنَ الْحَقِّ وَالْقَرَابَاتِ .. وفي « م » : « فِي التَّلَالِ الزُّهْرِ عَلَى اللَّيَالِي الْغُفْرِ » .

(٤) السُّقْلَةُ : وَالسُّقْلَةُ مِنَ النَّاسِ : غَوَاظُهُمْ وَأَسَافِلُهُمْ .

(٥) في « م » : « ذَوِي الْفَضْلِ » .

(٦) الْخِذْلَانُ : عَدَمُ الثَّمَرَةِ .

(٧) الْحَمْدُ : النَّعَاءُ الْجَمِيلُ ، يَرِيدُ : مَنْ أَمْسَكَ مَالَهُ بُخْلًا وَلَمْ يَقْعَلْ بِهِ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ .

(٨) يَخْرِجُهُ : يَمْنَعُهُ وَيَكْفُهُ عَنِ الْمَأْتِمِ .

(٩) في « م » : « وَعَدْلٌ يَعْدِلُهُ » . وَالْعَدْلُ : الْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْرِ .

(١٠) الْبُيُورُ : الْإِتْمَاعُ وَالْإِعْتَابُ بِمَا مَضَى ، مُفْرَدَةً : عَيْبَةٌ . وفي « م » : « يُبَيِّرُ مَحْفُوظَةً » . وَالْبُيُورُ : أَخْوَالُ الدُّهْرِ
وَأَحْدَاثُهُ الْمُتَغَيِّرَةُ ، وَسَمَاتِي بَعْدَ قَلِيلٍ .

تَسْرِي إِلَيْهِ ، وَأُخْلَقَ ^(١) تُسَهَّلُ الْأُمُورَ عَلَيْهِ ، وَإِلَى جَلِيسِ رَقِيقٍ ، وَرَأَيْدِ شَفِيقٍ ، وَإِلَى
عَيْنٍ تَنْظُرُ الْعَوَاقِبَ ، وَعَقْلٍ يَخَافُ الْغَيَّرَ ^(٢) وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ يَوْمَ ظَفَرِ الْأَيَّامِ لَمْ يَخْتَرَسْ مِنْ
سَطَوَاتِ الدَّهْرِ ، وَلَمْ يَتَحَفَظْ مِنْ فَلَاتِ الزَّلِيلِ ، وَلَمْ يَتَعَاطَمَهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا تَنَاءٍ
وَإِنْ سَمَّجَ ^(٣) ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ جَلِيسِكَ أَمْرًا تُكْرَهُهُ ، أَوْ خَلَّةً ^(٤) لَا تُحِبُّهَا ، أَوْ صَدْرَتْ
مِنْهُ كَلِمَةٌ غَوْرَاءُ ، أَوْ هَفَوَةٌ غَبْرَاءُ ، فَلَا تَقْطَعْ حَبْلَهُ ، وَلَا تُصْرِمِ وُدَّهُ ، وَلَكِنْ دَاوِ كَلِمَتَهُ ،
وَاسْتَرْ عَوْرَتَهُ ، فَأَنْبِئِهِ ، وَابْتَأْ مِنْ عَمَلِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥) . فَلَمْ يَأْمُرْ بِقَطْعِهِمْ ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْبِرَاءَةِ مِنْ عَمَلِهِمْ [السُّوء] . قَالَ
الشَّاعِرُ ^(٦) :

إِذْ رَأَى مِنْهُ مَفْصِلَ فَقَطَعَتْهُ بَقِيْتُ وَمَا بِي لِلنُّهُوضِ مَفَاصِلُ ^(٧)
وَلَكِنْ أَذَاوِيهِ فَإِنْ صَحَّ سَرْنِي وَإِنْ هُوَ أَغْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ ^(٨)

وَأَنَّى رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَشَكَا إِلَيْهِ صَدِيقَهُ ، وَعَزَمَ عَلَى قَطْعِيَّتِهِ ^(٩) وَالْإِتْقَامِ
مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : أَتَفْهَمُ مَا أَقُولُ لَكَ [فَأَكْلُمُكَ] ^(١٠) أَمْ بِكَ مِنْ قُوْرَةِ الْغَضَبِ

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أُخْلَقَ » وهي بمعنى نفائس أو صداقات . أمّا الأعراف ، فهي جمع عِرْق ، وهو مجرى الدم في الجسد ، والمراد بها : الأصول .

(٢) في « م » : « العبر » . تحريف .

(٣) هكذا في « ط » .. والثاني : التُّجَد . وسَمَّجَ : قَبَحَ .. وفي « م » : « ولا تناء وإن سَمَّجَ » أي : ولا مدح وإن لأن وسهل . وما ورد في « ط » هو الأنسب للسياق .

(٤) الْخَلَّةُ ، بفتح الحاء المعجمة : الخصلة .

(٥) الآية ٢١٦ من سورة الشعراء .

(٦) ما بين المعوقين عن « ط » . وفي « م » : « وقال » .

(٧) التَّفْصِيلُ : مُلْتَقَى كُلِّ عَظْمَيْنِ فِي الْجَسَدِ . ورَاب : فَسَدَ . وفي « م » : « ومالي بالنهوض » .

(٨) أَغْيَا : أَعْجَزَ ، أي : أَعْجَزَنِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ مِدَاوَاتِهِ . وَالتَّحَامُلُ : تَحَمُّلُ الشَّيْءِ عَلَى مَشَقَّةٍ وَإِعْيَاءٍ .

(٩) الْقَطِيعَةُ : الْمَجْرَانِ وَالْمُتَّئِدُ . وفي « ط » : « قَطِيعٌ » وهي بمعناها .

(١٠) ما بين المعوقين عن « ط » .

مَا يَشْغَلُكَ ^(١) عَنْهُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لِمَا تَقُولُ وَاعٍ . فَقَالَ ^(٢) : أَسْرُورُكَ بِمَوَدَّتِهِ كَانَ أَطْوَلَ
 أَمْ عَمَلُكَ بِذَنْبِهِ ؟ قَالَ : بَلَى سُرُورِي . قَالَ : أَفَحَسَنَاتُهُ عِنْدَكَ أَكْثَرُ أَمْ سَيِّئَاتُهُ ؟ قَالَ : بَلَى
 حَسَنَاتُهُ . قَالَ : فَاصْفَحْ بِصَالِحِ أَيْامِكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَهَبْ لِسُرُورِكَ جُزْمَهُ ، وَاطْرَحْ مُوَدَّةَ
 الْعُصْبِ وَالْإِتْقَامِ مِنْهُ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَنَالُ مَا أُمِلْتَ فَتَطُولُ مُصَاحَبَةُ الْعُصْبِ ، وَأَنْتَ صَائِرٌ
 إِلَيَّ مَا تُحِبُّ .

(١) هَكَذَا فِي أَمٍّ ، .. وَفِي طٍّ : مَا شَغَلَكَ .

(٢) لِي أَمٍّ : قَالَ .

البَابُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

فِي بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْخِصَالِ الَّتِي هِيَ

جَمَالُ السُّلْطَانِ

قَدْ ذَكَّرْنَا الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الْأَسَاسِ مِنَ الْبُنْيَانِ ، وَذَكَّرْنَا الْآنَ الْخِصَالَ الَّتِي تُجْرَى مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَجْرَى الثَّاجِ وَالطُّيْلَسَانِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْكَمَالِ ، فَأَصْلُهَا ^(١) وَقَاعِدَتُهَا الْعَفْوُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِحُدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . ^(٢) فَلَمَّا تَرَكْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ ، فَذَهَبَ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ ^(٣) أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَاعْلَمُوا ، أَرْشَدَكُمْ اللَّهُ ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالْعَفْوِ ، وَنَدَبَ إِلَيْهِ ^(٤) وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ

(١) فِي د ط ، « فَأَكْمَلَهَا » .

(٢) الْآيَةُ ١٩٩ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .. لِحُدِّ الْعَفْوِ : مَاعِفًا وَتَيْسِيرًا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَا لَا يَجْهَدُهُمْ . وَأَمْرٍ بِالْعُرْفِ : بِالْمَعْرُوفِ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ . وَأَعْرِضٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ : بِالْإِحْتِمَالِ وَالصَّنْعِ .

(٣) هَكَذَا فِي د ط .. وَلِي د م : « رَبُّكَ يَأْمُرُكَ » .

(٤) نَدَبَ إِلَيْهِ : دَعَا إِلَيْهِ .

عن الناس ، والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ^(١) . فَأَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَحَبَّةً لِلْعَافِينَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ^(٢) . وَعَزَّائِمُ الْأُمُورِ مِنْ صِفَاتِ الْمُصْطَفَيْنِ مِنَ الرُّسُلِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ ^(٣) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٥) . فَاسْتَعْطَفَ الْخَلْقَ ، وَلَذَنَّهُمْ إِلَى أَنْ يَغْفُوا ^(٦) عَنِ الْجُنَاةِ وَالظَّالِمِينَ وَالخَاطِيئِينَ ، كَمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ بِهِمْ ، وَقَالَ فِيمَنْ اتَّصَرَ وَلَمْ يَغْفُفْ : ﴿ وَلَمَنْ اتَّصَرَ بِغَدِّ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(٧) . فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنِ الْمُتَّصِرِ وَالْمُتَّقِمِ ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ فَضِيلَةً .

ثُمَّ كَشَفَ الْغِطَاءَ وَأَزَالَ ^(٨) الْعُذْرَ ، وَصَرَّحَ بِتَفْضِيلِ الْعَافِينَ عَلَى الْمُتَّصِرِينَ ، وَالْوَاهِبِينَ حُقُوقَهُمْ عَلَى الْمُتَّقِمِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(٩) . وَهَذَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ ، وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِتِّصَارَ عَدْلٌ ، وَالْعَفْوُ فَضْلٌ ، وَفَضَّلَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ عَدْلِهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَدَلَ عَلَيْنَا فَأَخَذْنَا بِحَقِّهِ هَلَكْنَا ، وَإِنْ عَفَا عَنَّا بِرَحْمَتِهِ تَخَلَّصْنَا ، وَلَوْ كَانَ الْعَدْلُ يَسْغُ الْخَلَائِقَ لَمَا قَرَنَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٠) بِالْإِحْسَانِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعَدْلَ ^(١١) امْتِنَافَءٌ وَمُنَافَئَةٌ - وَذَلِكَ بِمَا تُضَيِّقُ عِنْدَهُ النُّفُوسُ ، وَتَخْرُجُ لَهُ الصُّدُورُ - نَاطَ

(١) من الآية ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٤٣ من سورة الشورى .

(٣) من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف .

(٤) من الآية ٣٧ من سورة الشورى .

(٥) من الآية ٢٢ من سورة النور .

(٦) في م : : : وَلَذَنَّهُمْ إِلَى الْعَفْوِ .

(٧) الآية ٤١ من سورة الشورى .

(٨) في م ط : : : وَأَزْوَاحٌ .

(٩) الآية ١٢٦ من سورة النحل .

(١٠) ما بين المقوفين عن م : .

(١١) في م : : : وَأَنَّ فِي الْعَدْلِ .

الإِحْسَانَ بِالْعَدْلِ ^(١) فَقَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٢) .
وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِتِّصَارَ الْإِقَامَ وَعَذَابَ بِلَا اِمْتِنَانٍ ، وَالْعَفْوُ مَحَبَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَالْإِحْسَانُ ^(٣) ،
وَأَيْضًا فَلَا اِتِّصَارَ سَيِّئَةٍ وَالْعَفْوُ حَسَنَةٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ﴾ ^(٤) . وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِتِّصَارَ سَيِّئَةٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِثْلُهَا ﴾ ^(٥) ، غَيْرَ أَنَّهَا سُمِّيَتْ ^(٦) سَيِّئَةً لَمَّا كَانَتْ تَبْجِجَةُ سَيِّئَةٍ ، لَا أَنَّهُ ^(٧) لَا يَجُوزُ
الْإِتِّصَارُ ، وَهُوَ كَقَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلثُومٍ الثَّغْلَبِيِّ ^(٨) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيْنَا ^(٩)
فَسَمِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْجَهْلِ جَهْلًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ جَهْلًا .. وَعَنْ هَذَا رَوَتْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : ... وبحرج له الصدر نبط فقال ، وسقط « بالعدل » منها .. ونأط : علق .

(٢) من الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) من أول قوله : وأيضًا .. إلى هنا . عن « ط » وساقط من « م » .

(٤) من الآية ٣٤ من سورة فصلت .

(٥) من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٦) في « ط » : « لَمَّا سُمِّيَتْ » .

(٧) في « م » : « لَأَنَّهُ » .. لا يصح .

(٨) في « م » : « الثغلبى » . تحريف من الناسخ .

وهو : كُلثُومُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَبَّادٍ ، مِنْ بَنِي ثَغْلَبٍ ، وَأُمُّهُ لَيْلَى بِنْتُ الْمُهَلَّبِ ، أَخِي كُتَيْبٍ . شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، مِنْ الطَّبَقَةِ
الْأُولَى ، وَلِدَ فِي هِمَالِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي بِلَادِ رِبْعَةٍ ، وَتَجَوَّلَ فِيهَا فِي الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَغَدِ ، وَكَانَ مِنْ أَعَزِّ النَّاسِ
نَفْسًا ، وَهُوَ مِنَ الْفُتَّاحِ الشُّجْعَانِ . سَادَ قَوْمَهُ « ثَغْلَبَ » وَهُوَ قَتَّى ، وَحُمُرٌ طَوِيلًا ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْمَلِكَ عَمْرُو بْنَ
هَنْدٍ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ قَبْلَ الْهِجْرَةِ تَقْرِيًا .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، وانظر معلقته في شرح
القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأبياري ص ٣٦٩ - ٤٢٨ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٨٣٨ - ٣٨٤٦ ، والخبر
ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ونثر القلوب ص ١٢٨ ، ١٣٠ ، والمعارف ص ٩٦ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٨٣ -
١٨٥] .

(٩) هذا البيت من مُعَلَّقَتِهِ الشَّهِيْرَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا : « أَلَا هُمَيُّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا » . وَمَعْنَى « فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ
الْجَاهِلِيْنَا » أَيْ : فَتَهْلِكُ أَوْ تَجْازِبُهُ وَتَعْقِبُهُ بِمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ جَهْلِهِ ، فَسَبَّ الْجَهْلُ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يَرِيدُ الْإِهْلَاكَ وَالْمُعَاقِبَةَ ،
لِيزْجُوجَ اللَّفْظَانَ ، فَتَكُونُ الثَّانِيَةُ عَلَى مِثْلِ لَفْظِ الْأُولَى ، وَهِيَ تَخَالِفُهَا فِي الْمَعْنَى ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى
عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . أَيْ : فَعَاقِبُوهُ عَلَى اعْتِدَائِهِ . وَالثَّانِي لَيْسَ اعْتِدَاءً فِي الْحَقِيقَةِ ، بَلْ هُوَ
« عَدْلٌ » وَسَمِيَ اعْتِدَاءً لِلشَّكَاكَةِ وَالتَّوَهُُّقِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ .

[انظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٦ ط دار المعارف] .

عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، مُتَّصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ ^(١) ظَلَمَهَا قَطُّ ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا اتَّهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَلَا يَقُومُ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : « يَتَادَى مَتَادِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ ^(٢) فَلْيَقُمْ . فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا » . فَإِنْ عَفَوْتَ أَتَيْهَا الطَّالِبُ كَانَ أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنْ لَمْ تَعْفُ كَانَ حَقُّكَ قَبْلَ مَنْ ظَلَمَكَ ^(٣) ، وَلَئِنْ يَكُونُ أَجْرُكَ فِي ضَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْتَقَ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ مَخْلُوقٍ . وَأَيْضًا فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَعْفُ ^(٤) نِلْتَ حَقَّكَ بِلَا زِيَادَةٍ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ [لَكَ] ^(٥) حَسَنَةٌ أَسَدَّيْهَا ^(٦) لِأَحَبِّكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَفْئَالِهَا » ^(٧) .

وَشَفَعَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي مَخْبُوسٍ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَ مُجْرِمًا فَالْعَفْوُ يَسْمَعُهُ ، وَإِنْ كَانَ بَرِيًّا ^(٨) فَالْعَدْلُ يَسْمَعُهُ . وَقِيلَ لِعَظْمَى الْكُتَّابِ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ ، فَقَالَ : لَا أَبَالِي . [فَمِيلَ لَهُ : وَلِمَ لَا تَبَالِي ؟] ^(٩) . قَالَ : إِنْ صَدَّقَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَفْوُهُ ^(١٠) ، وَإِنْ كَذَبَ الثَّاقِلُ وَسِعَنِي عَذْلُهُ . وَلَمَّا دَخَلَ عَيْنَتُهُ ابْنُ حِصْنٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : يَا بَنَى الْخَطَّابِ ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ ^(١١) وَمَا تُحْكِمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ بِأَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فَقَالَ ابْنُ أُحِيحٍ : يَا أَمِيرَ

(١) الْمَظْلَمَةُ : مَا تَطْلِبُهُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَهُوَ اسْمٌ مَا أُخِذَ مِنْكَ .

(٢) فِي « م » : « لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ » .

(٣) أَيْ : عِنْدَ مَنْ ظَلَمَكَ .

(٤) فِي « ط » : « فَإِنْ لَمْ تَعْفُ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْظَمَيْنِ عَنْ « م » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٦) أَسَدَّيْهَا : أَعْطَيْتَهَا .

(٧) مِنَ الْآيَةِ ١٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

(٨) مَكَدًا فِي « م » وَ« ط » بَدُونَ هَمْزٍ . أَيْ : بَرِيًّا .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْظَمَيْنِ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .

(١٠) فِي « م » : « فَغَضِبَ » .

(١١) الْجَزَلَ : الْكَثِيرَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١) يَقُولُ : ﴿ لِحِدِّ الْعَفْوِ وَأَمْرٍ بِالْعَزْفِ وَأَعْرِضٍ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عَمْرٌ حِينَ ثَلَاثًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَمْرٌ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ » . وَقَالَ : « اِرْحَمْ تَرْحَمْ » وَكَانَ يُقَالُ : أَوْلَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَحَقُّهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ .. وَفِي الْإِنْجِيلِ : أَفْلَحَ أَهْلُ الرَّحْمَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَيَّرَحُمُونَ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَقَدْ أَبْقَضَ اللَّهُ الْمُتَسَرِّعِينَ إِلَى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ [فَاِلَيْهِمْ] ^(٣) انْتَهَبَ الْقِسْوَةَ وَالْغِلْظَةَ وَالتَّبَاعُدَ مِنَ الرَّحْمَةِ .. وَلَمَّا تَمَكَّنَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ جَالُوْتَ أَبْقَى عَلَيْهِ ، يَوْمَئِذٍ عَدُوَّهُ وَطَالِبَهُ ^(٤) وَقَالَ : يَا رَبِّ ^(٥) أَغْظِمْ دِمِي فِي عُيُونِ ^(٦) أَغْدَائِي كَمَا عَظَّمْتَ فِي عَيْنِي دَمَ عَدُوِّي ، وَكَذَلِكَ خَلَّصْنِي مِنْ جَمِيعِ الْهَمُومِ .

وَقَالَتْ حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : لَا سُودَدَ مَعَ اتِّقَاعِ ، وَلَا سِيَّاسَةَ مَعَ عَزَازَةِ نَفْسٍ وَعُجْبٍ . وَقَالَتْ الْحُكَمَاءُ : لَيْسَ الْإِفْرَاطُ فِي شَيْءٍ أَجْوَدَ مِنْهُ فِي الْعَفْوِ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ أَقْبَحَ مِنْهُ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٢) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف . وقد مرّت .

(٣) في « م » : « هَرَقَ الدِّمَاءَ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .. وَمَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .

(٤) هكذا في « م » .. وَفِي « ط » : « أَبْقَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَدُوُّهُ وَطَالِبُهُ » .. وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ - الْجُرْءِ السَّادِسَ ، ص ٢٠٣ - « أَنْ « طَالُوتَ » - وَكَانَ مُلْكًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ - وَعَدَّ دَاوُدَ أَنْ قَتَلَ « جَالُوتَ » ، أَنْ تَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَيُعْطِيَهُ نِصْفَ مُلْكِهِ ، فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ جُنُودَ « جَالُوتَ » ، وَقَتَلَ دَاوُدَ « جَالُوتَ » ، حَسَدَهُ « طَالُوتَ » وَلَمْ يَفِ لَهُ بِوَعْدِهِ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَمْلَكَتِهِ .. ثُمَّ نَدِمَ « طَالُوتَ » ، فَذَهَبَ يَطْلُبُهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ ، وَمَلِكًا دَاوُدَ ، وَحَصَلَتْ لَهُ النُّبُوءَةُ ... وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

[انظر قصة طالوت وجالوت وكيف قتل داود جالوت في القرآن الكريم ، سورة البقرة : الآيات من ٢٤٦ - ٢٥١ ، وانظر تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ١٨٢ وما بعدها ، والكشاف للزعرشري المجلد الأول ص ٣٧٨ - ٣٨٢ ، والقرطبي المجلد الثاني ص ١٠٥١ - ١٠٦٦ وتفسير حمزة وآخرين ج ٢ ص ١٤٤ - ١٥٣ وغيرها من المصادر] .

(٥) في « م » : « رَبِّ » .

(٦) في « ط » : « عَيْنِ » .

فِي الْعُقُوبَةِ . وَكَذَلِكَ التَّقْصِيرُ ، مَذْمُومٌ فِي الْعَفْوِ ^(١) ، مَحْمُودٌ فِي الْعُقُوبَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تُحْطِئَ فِي الْعَفْوِ فِي آيَةِ قَضِيَّةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُحْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ ^(٢) فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أَعْظَمَ مِنْ عَفْوِي ، وَجَهْلٌ أَكْبَرَ مِنْ حِلْمِي ، وَعَوْرَةٌ لَا يُوَالِيهَا سِتْرِي .. وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَيْسَ عَلَيَّ فِي الْحِلْمِ مُؤَنَّةٌ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنَّ أَهْلَ الْجَرَائِمِ عَلِمُوا رَأْيِي فِي الْعَفْوِ فَيَذْهَبَ الْخَوْفُ عَنْهُمْ ^(٣) فَتَخْلُصَ لِي قُلُوبُهُمْ . وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَنْصُورِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْإِثْقَامَ الْإِصْصَافُ ، وَالْتَجَاوُزُ فَضْلٌ ، وَالْمُتَجَاوِزُ ^(٤) قَدْ جَاوَزَ حَدَّ الْمُنْصِفِ ، وَنَحْنُ نُعِيدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَوْكَسِ النَّصِيصِينَ ، وَأَنْ لَا يَرْتَفِعَ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَتَيْنِ ، فَأَعْفُ عَنَّا يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ . فَعَفَا عَنْهُمْ .

وَأَشْدُوا :

وَإِذَا بَعَى بَاغٌ عَلَيْكَ بِجَهْلِهِ فَاقْتُلْهُ بِالْمَعْرُوفِ لَا بِالْمُنْكَرِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ ^(٥) لَمَّا عَفَا عَنْهُ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَيَّ يَوْمِيكَ أَشْرَفُ ، أَيُّومَ ظَفِرْتُ ^(٦) أَمْ يَوْمَ عَفَوْتُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَاطِئًا سَلَاةَكَ جَانِبَ بِخْرَمِهِ عَلِيٍّ ^(٧)

(١) في م : « » وكذلك التقصير في مذموم العفو .

(٢) في م : « » في الفعل .

(٣) عنهم « » عن « ط » . وبعدها في م : « » فيخلص .

(٤) في م : « » والتجاوز .

(٥) هو : مُسْلِم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، من الأمراء ، وكذلك كان أبوه من الأمراء الفاتحين ، وكان جده كبير القدر عند يزيد بن معاوية .

[انظر المعارف ص ٤٠٧ ، والأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، ١٩٠] .

(٦) ظَفِرَ بِمَلُوهُ : غَلَبَ عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ .

(٧) هكذا البيت في م ، و « ط » .. والبيتان من المنسرح ، وقد وردا في العقد الفريد ، وتمثّل بهما رجل من أهل بغداد يمدح بهما المأمون عندما دخل بغداد وتلقاه وجوه أهلها مهتئين مادحين . والبيت في العقد الفريد :

حَتَّى تَمْنَى الْعَفَاةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ ^(١)

وَرُفِعَ إِلَى أَوْشِيرَوَانَ أَنَّ الْعَامَّةَ تُؤْتَبُ الْمَلِكُ فِي مُعَاوَدَةِ الصَّفْحِ عَنِ الْمُذْنِبِينَ مَعَ تَتَابُعِهِمْ فِي الذُّنُوبِ ، فَوَقَعَ ^(٢) : الْمُذْنِبُونَ مَرْضَى ، وَنَحْنُ أَطِبَّاءُ ، وَلَيْسَ مُعَاوَدَةُ الدَّاءِ بِإِهَامِهِمْ بِمَانِعِنَا مِنْ مُعَاوَدَةِ الْعِلَاجِ لَهُمْ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٣) : مَا قَرِنَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ جَلَمٍ إِلَى عِلْمٍ ، وَمِنْ عَفْوٍ إِلَى قُدْرَةٍ ... وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبِيدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ^(٤) لَمَّا ظَفِرَ بِالْمَهْلَبِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلِمَ ظُلْمَكَ [وَلَا نُصِرَ نُصْرَكَ] ^(٥) وَلَا عَفَا عَفْوَكَ . وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ : الْمُعَاقِبُ مُسْتَدْعٍ لِعِدَاوَةِ ^(٦) أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، وَالْعَافِي مُسْتَدْعٍ لِشُكْرِهِمْ ، أَوْ مُكَافَأَتِهِمْ أَيَّامَ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأنَّ يَتَنَى عَلَيْكَ بِالنَّسَاجِ الصُّدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُتَسَبَّ إِلَى ضَيْقِهِ .. وَإِقَالَةُ الْعَثَرَةِ مُوجِبَةٌ إِقَالَةَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَعَقْفُكَ عَنِ النَّاسِ مُوَصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ^(٧) ، وَعِقَابُكَ مُوَصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْعَافِينَ .

وَقَالَ الْمَنْصُورُ : عَقُوبَةُ الْأَخْرَارِ التَّعْرِيفُ ، وَعَقُوبَةُ الْأَشْرَارِ التَّصْرِيحُ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ :

مَازَلْتُ فِي التَّذَلُّقِ لِلتَّوَالِ وَاطِّ لَاقِي لِقَائِي بِجُرْمِي غَلِقِي

وَالْعَافِي : الْأَسْرُ . وَالْجُرْمُ : الذَّنْبُ . وَغَلِقِي : مَأْخُودٌ وَمَحَاسَبٌ . وَجَانِ : الْجَانِ الَّذِي يَرْتَكِبُ جَنَاحَةً أَوْ جَرِمَةً تَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ .

(١) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ :

حَتَّى تَمْنَى الْبِرَاءَةُ الْهَمُّ عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ

وَالْعَفَاةُ الْبِرَاءَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهِيَ الدِّينُ لَمْ يَرْتَكِبُوا مَا يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهِ الْعِقَابَ .

[انظر المقدِّم الفريد ج ٢ ص ١٢ ، ١٣] .

(٢) فَوَقَعَ : أَيْ كَتَبَ رَأْيَهُ بِإِجَازٍ عَلَى مَا رُفِعَ إِلَيْهِ .

(٣) (م) : رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

(٤) سَقَطَتْ (م) مِنْ مَرْوَانَ (م) .

(٥) مَا بَيْنَ الْمُعْضُوفِينَ عَنْ (ط) .

(٦) (م) : (مَبْتَدِعٌ لِعِلَاوَةِ) . تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٧) (م) : (لَكَ) . وَسَقَطَ مَا بَيْنَ (عَنْكَ) وَ (لَكَ) سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

لَمَّا رَأَيْتُ الذُّنُوبَ جَلَّتْ عَنِ الْمُجَازَاةِ بِالْعِقَابِ
جَعَلْتُ فِيهَا الْعِقَابَ عَفْوًا أَمْضَى مِنَ الضَّرْبِ لِلرَّقَابِ ^(١)

وَقَالَ الْأَخْفُفُ : لَا تَزَالُ الْعَرَبُ بَيِّنَةُ الْفَضْلِ مَا لَمْ تُعَدِّ الْعَفْوُ ضَمِيمًا ، وَالْبَذَلُ سَرَفًا ^(٢) .. وَفِي الْحِكْمَةِ : إِذَا اتَّقَمْتَ فَقَدْ اتَّصَفْتَ ، وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَدْ تَفَضَّلْتَ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اقْبَلِ الْعُذْرَ وَإِنْ كَانَ مَصْنُوعًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْجَبَتِ الْمُرُوءَةِ قَطِيعَتَهُ أَوْ يَكُونَ ^(٣) فِي قَبُولِكَ عُذْرُهُ تَشْجِيعُهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، أَوْ عَوْنُهُ عَلَى الشَّرِّ ، فَإِنَّ قَبُولَكَ الْعُذْرَ ^(٤) فِيهِ اشْتِرَاكَ فِي الْمُنْكَرِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْفِيلُ دِمَشْقَ حُشِيرِ النَّاسِ لِرُؤْيِيهِ ، وَصَعِدَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عِلِّيَّةٍ ^(٥) لَهُ مُتَطَلِّعًا ، فَبَيَّنَمَا ^(٦) هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ فِي بَعْضِ الْحَجَرِ فِي قَصْرِهِ رَجُلًا مَعَ بَعْضِ حُرَمِهِ ^(٧) ، فَأَتَى الْحُجْرَةَ وَذُقِيَ الْبَابَ ^(٨) ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ فَتْحِهِ بُدٌّ ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ^(٩) أَفَى قَصْرِي وَتَمَعْتَ جَنَاحِي فَهَيْتُكَ حُرْمِي [وَأَنْتَ فِي قَبْضَتِي] ^(١٠) ؟ مَاحَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَهَيْتُ ^(١١) الرَّجُلُ وَقَالَ : حِلْمُكَ أَوْفَعَنِي . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : فَإِنْ عَفَوْتُ

(١) هكنا في « م » .. وقد ورد البيتان في « ط » ، كثر في تقديم وتأخير في بعض الألفاظ مما أفقد الكلام الوزن مثل : « جعلت العقاب فيها عفوا .. » والبيتان من مخلع البسيط .

(٢) الضميم : الظلم أو الإذلال ، ونحوهما . والبذل : العطاء والجود . والسرف : الإسراف .

(٣) في « م » : « تكون » .

(٤) في « ط » : « للعدر » .

(٥) في « م » : « في عُلِّيَّة » . وقد سبق شرحها .

(٦) في « ط » : « فبينما » وكلاهما صحيح .

(٧) الحُرْمُ : جمع حُرْمَةٍ ، وتطلق على المرأة ، وعلى أهل الرجل ، وما لا يحل انتهاكه .

(٨) هكنا في « ط » .. وفي « م » : « فأتى الباب » .

(٩) في « ط » : « فقال : يا هذا » . وفي « م » : « في » بدون همزة الاستفهام ، وهذا جائز في اللغة - على

التقدير .

(١٠) ما بين المعقوفين عن « ط » وهو وارد في « المستطرف للأبشي » وساقط من « م » .

[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١١ ، ٤١٢] .

(١١) في « م » : « قال : فهيت » أي : شخب لونه من الحيرة والدهشة مأخوذاً بالحجة .

عَنْكَ تَسْتَرُّهَا عَلَيَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَهَذَا مِنَ الدَّهَاءِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَلِمِ الْوَاسِعِ أَنْ يُطْلَبَ السِّرُّ مِنَ الْجَانِي ، وَهُوَ غَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ^(١) :

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذُنُونَ فَنَاتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ ^(٢)

وَأَتَى مُوسَى الْهَادِي ^(٣) بِرَجُلٍ قَدْ جَنَى ، فَجَعَلَ يُقَرِّعُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَتَهَدَّدُهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنْ اعْتَذَرِي ^(٤) مِمَّا تُقَرِّعُنِي [به] ^(٥) رَدُّ عَلَيْكَ ، وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتَهُ ذَنْبٌ ^(٦) وَلَكِنِّي أَقُولُ :

فَإِنْ كُنْتُ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ الْمُعَافَاةِ فِي الْأَجْرِ

فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ . وَقَالَ الْمُتَهَلِّبُ ^(٧) : لَا شَيْءَ أَبْقَى لِلْمَلِكِ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا وَفَّقَتْ رَعِيَّتَهُ مِنْهُ بِحَسَنِ الْعَفْوِ لَمْ يُوحِشْهَا الذَّنْبَ وَإِنْ عَظَّمَ ^(٨) ، وَإِنْ خَشِيتَ مِنْهُ

(١) غَرُوضُ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، أَيْ : فَخْوَهِ وَمَعْنَاهُ .

(٢) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي (م) و (ط) . وَهُوَ مِنَ الْبَسِيطِ . وَفِي «الْمُسْتَطَرَف» : «إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ» وَهَذَا خِلَافُ الْمُرَادِ .

(٣) هُوَ : أَبُو مُحَمَّدٍ ، مُوسَى الْهَادِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وُلِدَ بِالرَّيِّ سَنَةَ ١٤٤ هـ - وَقِيلَ : سَنَةَ ١٤٧ هـ - وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ١٦٩ هـ - وَكَانَ غَافِقًا بِجُرْجَانَ ، فَأَقَامَ أَخُوهُ «الرَّشِيدَ» بَيْعَتَهُ ، وَاسْتَبَدَّتْ أُمُّهُ «الْخِزْرَانُ» بِالْأَمْرِ ، وَأَرَادَ خَلْعَ أَخِيهِ «هَارُونَ الرَّشِيدَ» مِنْ وَلَايَةِ الْعَهْدِ وَجَمَلَهَا لِابْنِهِ جَعْفَرٍ ، فَلَمْ تَرَأْهُ ذَلِكَ ، فَزَجَرَهَا ، فَاحْتَالَتَ عَلَيْهِ حَتَّى سَخَتْ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وَذُفِّنَ بِعَيْسَى آهَادَ ، وَتَمَدَّدَ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَكَانَ طَوِيلًا جَسِيمًا ، شَجَاعًا ، جَوَادًا ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٣٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢١ - ٢٥ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ١٧٣ - ١٧٥ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٣٦ - ٣٤٠ ، والمعارف ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ودول الإسلام للذهبي ج ١ ص ١١٣ ، وتاريخ الطبري ج ٨ ص ١٨٧ وما بعدها ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٣ وما بعدها] .

(٤) هَكَذَا فِي (م) .. وَفِي (ط) : «عَذَرِي» : اعْتَذَرِي . وَسَقَطَتْ كَلِمَةُ «الرَّجُلِ» مِنْهَا ..

(٥) فِي (م) : «فِيمَا تُقَرِّعُنِي» . وَمَا بَيْنَ الْمُعَقُّوفَيْنِ عَنْ (ط) وَعَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٦) هَكَذَا فِي (ط) .. وَفِي (م) : «وَإِقْرَارِي بِمَا ذَكَرْتَ ذَنْبًا» . وَقَوْلُهُ : «ذَنْبًا» بِالنَّصْبِ ، خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ . وَرَبَّمَا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ سَهْوًا عَامِلُ النَّصْبِ فِيهَا ، وَهُوَ الْفِعْلُ «يُذَمُّ» ، حَيْثُ جَاءَتْ الْعِبَارَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ هَكَذَا :

.... وَإِقْرَارِي بِهِ بِلُزْمِي ذَنْبًا لَمْ أَجِئْ . [انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠] .

(٧) فِي (م) : «الْمُهَلِّبُ» تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَهُوَ الْمُتَهَلِّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٨) مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : «عَظَّمَ» إِلَى قَوْلِهِ : «صَغُرَ» عَنْ (ط) ، وَسَقَطَ سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

الْعُقُوبَةُ أَوْحَشَهَا الذُّنْبَ وَإِنْ صَنَعَر ، حَتَّى يَضْطَرُّهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَغْصِيَةِ .

وَمِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ فِي مِثْلِ هَذَا قَوْلُ سَابُورَ ^(١) ، وَقَدْ جَمَعَ أَوْلَادَهُ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ^(٢)
 إِنْ أُعْجِزَكُمُ أَنْ تُثْمَلُوا قُلُوبَ الرُّعِيَةِ حُبًّا فَأَمْلَقُوهَا خَوْفًا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَنْ تُحْمَلَ الْعُقُوبَةُ
 عَلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ^(٣) وَلَكِنْ تَعْجِيلُهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا . وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ فَخَرَّدُ بِهِمْ مِنْ حُلْفَتِهِمْ ﴾ ^(٤) . وَهَذَا مَعْنَى لَا يَحْتَلُ عَمَّا أَوْجَبْتَاهُ ^(٥) وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ
 سَابُورَ ، وَلَا يُخَالِفُ مَا قَرَرْنَا مِنْ حُسْنِ الْعَفْوِ ، بَلْ هُوَ ^(٦) مَحْمُولٌ عَلَى الْوَاجِبِ
 الْمُسْتَحَقِّ ، أَوْ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ إِغْرَاءٌ بِرُكُوبِ ^(٧) أُمَثَالِهِ ، فَهَذَا هُنَا يَكُونُ الْعَفْوُ مَفْسَدَةً .
 فَيَا أَيُّهَا الْمَعَاقِبُ ، إِذَا أَقَمْتُ عَلَى مُذْنِبٍ عُقُوبَةً فَلَا تُكُنْ كَالْمُتَشَفِّى الْمُنْتَلِذِ بِعَذَابِهِ ،
 لِأَنَّكَ وَإِيَّاهُ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ ، آدَمَ وَحَوَّاءَ ، لَمْ تَفْضُلْهُ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، بَلْ بِمَا فَضَّلَكَ
 اللَّهُ بِهِ تَطَوُّلاً عَلَيْكَ ، فَادَّكُرْ ^(٨) لَوْ كُنْتُ فِي مَقَامِهِ وَكَانَ فِي مَقَامِكَ ، وَلَا تَأْمَنْ تَقَلُّبَ
 الدَّهْرِ فَتَقَوِّمَ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ وَلَا يَنْظُرُ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَاحْذَرِ التَّفْرِيطَ
 وَالتَّقْصِيرَ ، وَأَقِمْ نَفْسَكَ مُذْنِبًا أَقِيمَ لِلْعُقُوبَةِ ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ مُقَدَّرًا كَمَا كَانَ عَطَاؤُكَ
 مُقَدَّرًا ، وَلْيَكُنْ عِقَابُكَ لِلتَّقْوِيمِ لَا لِلِإِتِّقَامِ ، وَلِلزَّجْرِ لَا لِلْهَوَى . وَعَنْ هَذَا قَالَ
 بُزْرَجِمَهْرُ : لَا يَتَنَبَّي لِلْمُلُوكِ أَنْ يُكْرِمُوا أَحَدًا يَهْوَانِ ^(٩) مَنْ لَيْسَ لِلْهَوَانِ أَهْلًا ، وَلَا أَنْ
 يُهَيِّنُوا أَحَدًا بِإِكْرَامِ ^(١٠) مَنْ لَيْسَ لِلْكَرَامَةِ أَهْلًا .. لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى

(١) اسم يُطلق على عدَّة ملوك من ملوك الفرس . وقد سبق التعليق عليه .

(٢) « فقال : يا بني » عن « ط » وساقط من « م » .

(٣) في « م » : « هل من يستحقها » . والمعنى يتطلب وجود « لا » النافية ، كما ورد في « ط » .

(٤) من الآية ٥٧ من سورة الأنفال . ومعناها : فخرَّوهم وبكَّدوهم وخوَّفوهم بهم .

(٥) في « م » : « عَمَّا أَوْجَبْتَاهُ » .

(٦) في « ط » : « بل هذا » .

(٧) هكنا في « م » .. وفي « ط » : « إغرائاً برُكُوب » .

(٨) هكنا في « ط » .. وفي « م » : « فإنك » ولم يأت بعدها خبر « فإن » .

(٩) في « م » : « فهو ان يهوان » تحريف .

(١٠) في « م » : « بكرامة » .

الإحسان ، وَلَا عَلَى الْبُحْلِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى الْبُذْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا ^(١)

فَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى بِالْكَرْهِ لَمْ يَغْشَ مُسْلِمًا ^(٢)

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : التَّنْكِيلُ وَالْعُقُوبَةُ أُمْنِيَّةُ الْمَلِكِ الشَّرِيفِ ، وَعَلَى يَدِهِ يَتَعَثُّ اللَّهُ مَلَكًا غَيْرَ رَحِيمٍ . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ غَضَبٌ أَوْ رِضًا إِلَّا لِلثَّوَابِ ^(٣) أَوْ عِقَابٍ . وَقَالَ أُرْدَشِيرُ ^(٤) : فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَى السُّوقَةِ إِنَّمَا هُوَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ وَاسْتِفَادَةِ الْمَكَارِمِ ، فَكُلَّمَا اسْتَكْتَرَ مِنْهُمَا بَاءَتْ فَضِيلَتُهُ وَاسْتَحَقَّقَتْهُ لِمَوْضِعِهِ مِنَ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَكُلَّمَا نَقَصَ مِنْهُمَا ^(٥) قَرَّبَ مِنَ السُّوقَةِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنِّي لَأَجِدُ لِعَفْوِي لَذَّةً أَعْظَمَ مِنْ لَذَّةِ الْإِتِقَامِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمَلِكُ أَوْ أَهَانَ ^(٦) عَلَى ظَنٍّ بِغَيْرِ ^(٧) يَقِينٍ أَدْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قُبْحِ الْخَطَا فِي الرَّأْيِ أَعْظَمَ مِمَّا أَدْخَلَ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْغَالِبُ بِالْشَّرِّ مَغْلُوبٌ ، وَمَا ظَفَرَ مِنْ ظَفِيرٍ بِإِلَانِهِمْ . وَقِيلَ لِأَفْلَاطُونٍ : أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ يُشْبِهُ أَفْعَالَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ .

(١) الْأَجْرَامُ : جمع جرِّم ، وهو الجريمة والذنب .

(٢) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « إِذَا مَا لَذَّةٌ » تحريف من الناسخ . وَلَمْ يَغْشَ ، يقال : غَشِيَ الْعَذَابُ : إِذَا أَتَاهُ ، أَوْ لَا بَسَّةَ وَبَاشَرَتْهُ .

(٣) في « م » : « ثَوَابٍ » .

(٤) في « م » : « أُرْدَشِيرُ » بالزاي المعجمة . وقد سبق التعليق عليها .

(٥) في « م » : « مِنْهُمْ » . لا تصح .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عَاقَبَ وَأَهَانَ » . وسقطت كلمة « الْمَلِكِ » سهواً من الناسخ ، والسياق يستدعي وجودها .

(٧) في « م » : « غَيْرِ » .

وَقَالَ الْحَكِيمُ : الْجَلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ ^(١) وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ الْحَكِيمُ : السَّيِّدُ الَّذِي لَا يَشِينُ حُسْنَ الظَّهِيرِ بِفُجْحِ الْإِنْتِقَامِ ، وَخَيْرُ مَنَاقِبِ الْمُلُوكِ الْعَفْوُ . وَكَانَ يَخْنِي بَنُ مُعَاذٍ ^(٢) يَقُولُ : سَبَّحَانَ مَنْ أَذَلَ الْعَبْدَ بِالذَّنْبِ ، وَأَذَلَ الذَّنْبَ بِالْعَفْوِ .. إِلَهِي ، إِنْ عَفَوْتَ فَخَيْرٌ رَاحِمٍ ، وَإِنْ عَذَّبْتَ فَخَيْرٌ ظَالِمٍ .. إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ لَا تَرْضَى إِلَّا عَنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَكَيْفَ يَصْنَعُ الْخَاطِئُونَ ؟ وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا أَهْلُ وَقَائِكَ ، فِمَنْ يَسْتَعِيْثُ الْمُسْتَعِيْثُونَ ؟ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَنَّ اللَّهَ ذُو جِلْمٍ وَلَكِنْ لِعِزِّ الْجِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ ^(٣)
وَرَوَى أَنَّ الْحَجَّاجَ أَخَذَ أَخَا لِقَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَّاءِ ^(٤) فَقَالَ : لَأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ : وَلِمَ ؟

(١) هكذا في « ط » . والفِدَامُ : ما يُوضَعُ على النعم سداً له . وقد جاء هذا القول في حديث للإمام عليٍّ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، ومعنى : أَنَّ الْجِلْمَ عَنِ السَّفِيهِ يُعْطَى فَأَهْ وَيُسَكِّتُهُ عَنْ سَفِيهِهِ . وفي « م » : « قوام السفيه » . أى : يقيمه ويزيل اعوجاجه .

[انظر لسان العرب والمعجم الوسيط - مادة فَدَمَ] .

(٢) هو : يحيى بن مُعَاذِ بْنِ جَعْفَرِ الرَّازِي ، أَبُو زَكَرِيَّا ، مِنَ الْوُحَاظِ الزَّاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظَرٌ فِي وَقْتِهِ . تَوَفَّى بِنِيسَابُورِ سَنَةِ ٢٥٨ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٥١ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٠٧ - ١١٤ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨١ ، ٨٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ وغيرها من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٦٥ - ١٦٨ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٥ ، ١٦] .

(٣) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » : « يعز بدل لعز » تحريف . وقد ورد البيت في عيون الأخبار ، وفيه : « بَقْدَرِ الْجِلْمِ يَنْتَقِمُ الْحَلِيمُ » .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٥ كتاب السؤدد ، ط الهيئة العامة للكتاب] .

(٤) في « ط » : « القطري » .. وفي « م » : « لَعْنَةُ قَطْرِي » خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وقطري هو : أَبُو نَعَامَةَ قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَّاءِ ، (واسمه : جَعْفَرُ) بْنُ مَازَنْ بْنِ يَزِيدِ الْكِنَانِيِّ الْمَازَنِيِّ الْهَجَمِيِّ ، مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَزْدِ (الْخَوَارِجِ) وَأَبْطَالِهِمْ . كَانَ خَطِيئاً ، فَارْساً ، شَاعِراً .. اسْتَفْجَلَ أَمْرَهُ فِي زَمَنِ مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ نِيَابَةً عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ . وَبَقِيَ قَطْرِيٌّ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُقَاتِلُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَإِمَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ - وَقِيلَ عَشْرِينَ سَنَةً - وَالْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ التَّقْفِيَّ يُسَمِّيهِ إِلَيْهِ جَيْشاً بَعْدَ جَيْشٍ ، وَهُوَ يَرُدُّهُمْ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِمْ . وَقَطْرِيٌّ لَيْسَ بِاسْمِهِ ، وَلَكِنَّهُ نَسَبُهُ إِلَى بَلَدٍ « قَطْر » بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ ، وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ فِي الْحَرْبِ أَبَا نَعَامَةَ ، (وَنَعَامَةُ فَرَسُهُ) وَهُوَ صَاحِبُ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي أُولَاهَا « أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعاً » قُتِلَ سَنَةَ ٧٨ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي مَقْتَلِهِ ، فَقِيلَ : عَثَرَتْ بِهِ فَرَسُهُ فَانْدَلَقَتْ فَخَذَهُ فَمَاتَ ، وَجِئَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ . وَقِيلَ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ سَفِيَانُ بْنُ الْأُبَرْدِ الْكَلْبِيُّ فَقَاتَلَهُ ، وَقُتِلَ فِي الْمَرْكَةِ بِالرَّيِّ أَوْ بِطَبْرِسْتَانَ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٤١ وغيرها من الصفحات ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٩٣ - ٩٥ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، وديوان شعر الخوارج ص ١١٩ ، وانظر تاريخ الطبري وابن الأثير وغيرها من كتب التاريخ والأدب] .

قَالَ : لِمُخْرُوجِ أُخِيكَ عَلِيٍّ . فَقَالَ : إِنَّ ^(١) مَعِيَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَأْخُذَنِي بِذَنْبِ أُخِي . قَالَ : هَاتِهِ . قَالَ : إِنَّ ^(٢) مَعِيَ أَوْكَدَ مِنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٣) . فَتَعَجَّبَ مِنْ جَوَابِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ . وَلَمَّا وَقَدَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ^(٤) عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ لَهُ بِجَائِةٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ ، رَأَى فِي الطَّرِيقِ جَائِةً بَارِيعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(٥) ؟ قَالَ : تِلْكَ لِي غُلَامًا ، فَإِنْ أَغْضَبَنِي يَضْرِبُ مَفْرَقَكَ ^(٦) بِالسَّيْفِ : فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، فَأَبْتَاعَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُسْلِمٌ بْنُ عَقِيلٍ ^(٧) ثُمَّ قَدِمَ مُسْلِمُ الشَّامَ ، فَأَبْتَاعَ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ

(١) في (ط) : « قَالَ : فَإِنَّ » .

(٢) في (م) : « فَإِنَّ » .

(٣) وردت في عدة سور من القرآن الكريم :

— في سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .

— وفي سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

— وفي سورة فاطر ، من الآية ١٨ .

— وفي سورة الزمر ، من الآية ٧ .

(٤) هو : عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ، وَكُنْيَتُهُ : أَبُو يَزِيدٍ ، وَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ .. صَحَابِيٌّ ، فَصِيحُ اللِّسَانِ ، شَدِيدُ الْجَوَابِ ، وَهُوَ أَخُو « عَلِيٍّ » وَ « جَعْفَرٍ » لِأُمِّهِمَا ، وَكَانَ أَسَنُّهُمَا .. وَهُوَ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَيَّامِهَا وَمَأَثَرِهَا وَمَثَالِهَا وَأَنْسَابِهَا ، أَخْرَجَتْهُ قُرَيْشٌ كَرْهًا لِيُقَاتِلَ مَعَهَا ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ « بدر » فَشَهِدَهَا مَعَهُمْ ، وَأَسْرَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَقَادَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ الْحَدِيدِيَّةِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٨ هـ ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ مَوْثَةَ ، وَثَبَّتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَفَارَقَ أَخَاهُ عَلِيًّا فِي خِلَافَتِهِ ، وَوَفَدَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي تَذْنِئِهِ لِحَقِّهِ ، وَعَمِيَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ . وَكَانَ النَّاسُ يَأْخُلُونَ عَنْهُ الْأَنْسَابُ وَالْأَخْبَارُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ . تَوُفِّيَ سَنَةَ ٦٠ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٤٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤ ، والمهر ص ٤٥٧ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٦٣ - ٦٦ ، والمعارف ص ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٢٤] .

(٥) « بِهَا » عَنْ « ط » .

(٦) الْمَفْرُقُ مِنَ الرَّأْسِ : حَيْثُ يُفْرَقُ الشَّعْرُ .

(٧) هو : مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، تَابِعِيٌّ ، مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، كَانَ مَقِيمًا بِمَكَّةَ ، وَاتَّعَبَهُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَتَعَرَفَ لَهُ حَالُ أَهْلِ الْكُوفَةِ حِينَ وَرَدَتْ عَلَيْهِ كَتِيبَةٌ يَدْعُوهُ وَيَهْيِئُونَ لَهُ ، فَارْحَلَ مُسْلِمٌ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَخَذَ بَيْعَةَ ١٨,٠٠٠ مِنْ أَهْلِهَا ، وَكُتِبَ لِلْحَسَنِ بِذَلِكَ ، فَشَعَرَ بِهِ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ (أَمِيرُ الْكُوفَةِ) فَطَلَبَهُ ، فَهَمَّعَهُ النَّاسَ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْهُ ، فَأَوَّزَى إِلَى دَارِ امْرَأَةٍ مِنْ كِنْدَةَ فَأَخْفَتْهُ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ عَرَفَ مَكَانَهُ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ وَقَتْلَهُ سَنَةَ ٦٠ هـ ثُمَّ صَلَبَهُ . وَفِي الْكُوفَةِ ضَرْعٌ يُقَالُ إِنَّهُ قَبْرُهُ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِاسْمِهِ . [انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ ، والمهر ص ٥٦ و ٤٨٠ وغيرها من الصفحات ، وطبقات ابن سعد ج ٤ =

ضَيْعَةً ^(١) قَبَلَغَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَبَرَ ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ : إِنِّي لَا أُجِيزُ بَيْعَ مُسْلِمٍ .
فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مُسْلِمٍ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ الْحُسَيْنِ يَأْمُرُ بِرَدِّ الْمَالِ . فَقَالَ مُسْلِمٌ : أَمَّا
دُونَ أَنْ أُضْرِبَ مِفْرَقَكَ بِالسَّيْفِ فَلَا . فَفَضَحَكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ تَهَدَّدَنِي أَبُوكَ
بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ أُمْلَكَ ، وَسَوْغَةَ الْمَالِ ^(٢) ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ [حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ] ^(٣) :
عَلَيْنَا مُعَاوِيَةُ جُلْمًا وَجُودًا .

= ص ٤٢ في ترجمة عقيل بن أبي طالب ، والمعارف ص ٢٠٤ ، والطبري ج ٥ ص ٣٤٧ - ٣٨١ ، وابن الأثير ج ٣ صفحات كثيرة متفرقة .

(١) في « م » : « جارية » .

(٢) سَوْغَةُ الْمَالِ : تركه خالصاً له .

(٣) ما بين المقوقنين عن « م » وساقط من « ط » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْمُشَاوَرَةِ وَالنَّصِيحَةِ

وَهَذَا الْبَابُ مِمَّا يَعُدُّهُ ^(١) الْحُكَمَاءُ مِنْ أَسَاسِ الْمَمْلَكَةِ ، وَقَوَاعِدِ السُّلْطَنَةِ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الرَّئِيسُ وَالْمَرْعُوسُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ ^(٢) فِي بَابِ الْخِصَالِ الْفِرْقَانِيَّةِ ، وَنَذَكُرُ [هَاهُنَا] ^(٣) فَوَائِدَهَا وَمَحَامِيئَهَا .

اعْلَمُوا أَنَّ الْمُسْتَشِيرَ ، وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ رَأْيًا مِنَ الْمُسِيرِ ، فَإِنَّهُ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْيًا ، كَمَا تَزْدَادُ النَّارُ بِالسَّلِيلِ ^(٤) ضَوْءًا ، فَلَا يُقَدَّرَنَّ فِي رُوعِكَ ^(٥) أَنَّكَ إِذَا اسْتَشَرْتَ الرَّجَالَ ظَهَرَ [لِلنَّاسِ] ^(٦) مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ ، فَيَمْنَعُكَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشَاوَرَةِ ، فَإِنَّكَ لَا تَرِيدُ الرَّأْيَ لِلْفَخْرِ بِهِ ، وَلَكِنْ لِلِإِتِّفَاعِ بِهِ ، فَإِنْ ^(٧) أَرَدْتَ الذِّكْرَ كَانَ أَفْخَرُ لِلذِّكْرِ ، وَأَحْسَنُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ لِسِيَاسَتِكَ أَنْ يَقُولُوا : لَا يَنْفَرِدُ بِرَأْيِهِ دُونَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ إِخْوَانِهِ ،

(١) في م : : : : : تعلده ، وكلاهما صواب .

(٢) في م : : : : : ذكرنا . والخصال الفرقانية : هي التي ورد الشرع بها ، والتي تفرق بين الحق والباطل .

(٣) ما بين المعقوفين عن ط : وساقط من م : .

(٤) السَّلِيلُ : الزُّبْتُ . أو دهن الزيت الذي يستخدم في المصايح .

(٥) أى : في عقلك ، أو نفسك ، أو قلبك .

(٦) ما بين المعقوفين عن ط : وساقط من م : .

(٧) في م : : : : : وإن .

وَلَا يَمْنَعُكَ عَزْمُكَ عَلَى إِنْفَازِ رَأْيِكَ ، وَظُهُورُ صَوَابِهِ لَكَ عَنِ الْاسْتِشَارَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ عَزْمَةً ^(١) لَا مَشُورَةَ فِيهَا ، فَحَمَلَهُ حُسْنُ الْأَدَبِ ،
وَعِلْمُهُ بِمَوَاقِعِهِ فِي النَّفْسِ عَلَى الْاسْتِشَارَةِ فِيهِ ، فَقَالَ فِيهِ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِلَى أَرَى فِي الْمَنَامِ
أَلَيْ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ ^(٢) وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَرَسَمُ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَقَالَ ^(٣) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الرَّأْيُ الْفَرْدُ كَالْخَيْطِ السَّحِيلِ ^(٤) ،
وَالرَّأْيَانِ كَالْخَيْطَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةُ الْآرَاءُ لَا تَكَادُ تَنْقُطِعُ .. وَيُرْوَى أَنَّ رُومِيًا وَقَارِيسِيًّا تَفَاحَرَا ،
فَقَالَ الْقَارِيسِيُّ : نَحْنُ لَا نَمْلِكُ عَلَيْنَا مَنْ يُشَاوِرُ . وَقَالَ الرُّومِيُّ : وَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ عَلَيْنَا
مَنْ لَا يُشَاوِرُ .. وَقَالَ بَزْرَجِيهَرُ : إِذَا أَشْكَلَ الرَّأْيُ عَلَى الْحَازِمِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَضَلَّ ^(٥)
لَوْلَاةٌ فَجَمَعَ مَا حَوْلَ مَسْقَطِهَا ، فَالْتَمَسَهَا فَوَجَدَهَا ، كَذَلِكَ الْحَازِمُ ، يَجْمَعُ ^(٦) وَجُوهَ
الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمُشْكِكِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ لَهُ الصَّوَابُ .

وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ كَثُرَتْ اسْتِشَارَتُهُ حُدِثَتْ إِمَارَتُهُ .. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ ، قَالَ بَعْضُ
الْمُلُوكِ : إِنَّ الْمَلِكَ الْحَازِمَ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزَمَةِ ^(٧) كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ
الْأَنْهَارِ ، وَيَتَأَلَّ بِالْحَزْمِ وَالرَّأْيِ مَا لَا يَتَأَلَّهُ بِالْقُوَّةِ وَالْجُنْدِ . وَلَمْ تَزَلْ حَزَمَةُ الرُّجَالِ
يَسْتَحْلُونَ مَرَاتِرَ ^(٨) قَوْلِ النَّصَحَاءِ ، كَمَا يَسْتَحْلِي الْجَاهِلُ الْمُسَاعَدَةَ عَلَى الْهَوَى . وَقَالَ

(١) عَزْمَةٌ : فريضة من الله لا بد من فعلها .

(٢) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٣) في (م) : « قال » . وقد ورد هذا القول في عيون الأخبار ، ونصه : « رأى الفرد كالخيط السحيل ،
والرأيان كالخيطين للميرين ، والثلاثة مراء (أى الخيل الذى أجيد فله) لا يكاد ينتفض » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٣١] .

(٤) الخيط السحيل : الذى يُقْلَعُ على قُوَّةٍ واحدة .

(٥) أَضَلَّ : ضَيَّعَ .

(٦) في (م) : « جميع » . تحريف من الناسخ .

(٧) الْحَزَمَةُ : جمع حازم .

(٨) مراتر : جمع مُرٌّ ، على غير قياس . ويستحلون مراتر قول النصحاء ، أى : يجلبون حلاوة لأقوال من
ينصحونهم برغم مرارتها ، لأن عاقبتها حميدة حسنة .

الْمَأْمُونُ لِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ^(١) : صِيفٌ لِي أَخْلَاقِ الْمَخْلُوع - يَغْنَى أَخَاهُ الْأَمِين -
فَقَالَ : كَانَ وَاسِعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقُ الْأَدَبِ ، يَتَّبِعُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْبَاهُ هِمَمُ الْأَخْرَارِ ،
وَلَا يَصْنَعُ ^(٢) إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ ، فَيَرَى سُوءَ عَاقِبَتِهِ ، فَلَا ^(٣)
يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُ بِهِ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ^(٤) ؟ قَالَ : يَجْمَعُ الْكَتَائِبَ
بِالتَّذْيِيرِ ^(٥) وَيُفَرِّقُهَا بِسُوءِ التَّذْيِيرِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لِذَلِكَ مَا حَلَّ مَحَلَّهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ
لَذَاذَةَ النَّصَائِحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَةَ ^(٦) الرُّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ شَهَوَاتِهَا ، مَا ظَفِرَ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْفَادُ الْمُلُوكِ الْأُمُورَ بِغَيْرِ ^(٧) رُويَةٍ ، كَالْعِبَادَةِ بِغَيْرِ رِيَّةٍ . وَلَمْ تَزَلِ
الْعُقُلَاءُ عَلَى اخْتِلَافِ آرَائِهِمْ يَسْتَهْلِكُونَ الْعُيُوبَ ، وَيَسْتَشِيرُونَ ^(٨) صَوَابَ الرَّأْيِ مِنْ كُلِّ ،
حَتَّى الْأُمَةِ الْوَكْعَاءِ ^(٩) . هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى

(١) هو : طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، أبو الطيب ، وأبو طلحة ، من كبار الوزراء والقواد أديبا
وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطَّدَ المُلْكُ للمأمون ، وُلِدَ في بوشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩ هـ ، وسكن
بغداد ، فاتصل بالمأمون في صباه ، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، ولما مات الرشيد وولى الأمين ، كان المأمون في
« مرو » فالتفت طاهرا للزحف إلى بغداد ، فهاجها ، وظفر بالأمين وقتله سنة ١٩٨ هـ . وعقد البيعة للمأمون ،
فولاه شرطة بغداد ، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب في السنة نفسها ، وولاه خراسان سنة ٢٠٥ هـ .
مات مقتولا بمرو - وقيل : مات مسموما سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٢١ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٥٣ - ٣٥٥ ، وشنرات الذهب ج ٢
ص ١٦ ، ١٧ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥١٧ - ٥٢٣ ، وثمار القلوب ص ٢٩١ ، والمعارف ص ٣٨٥ ،
وما بعدها . والطبري ج ٨ صفحات متفرقة ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ، والبداية والنهاية ج ١٠] .

(٢) في « ط » : لا مُصْنِعًا .

(٣) في « م » : ولا .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : فكيف حروبه ؟

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : بالتذير . تحريف .

(٦) في « م » : مشورات .

(٧) في « م » : من غير .

(٨) يستهلون العيوب : أى يطلبون من يهدي إليهم عيوبهم . وهذه عن « عيون الأخبار » .. وفي « م » ،
و « ط » : يستهلون العيوب .. ويستشرون : ينشرون .

(٩) هكذا في « عيون الأخبار » .. وفي « م » : من كل أحد حتى للأمة الوكعاء .. وفي « ط » : حتى الإمامة
الوعك .. والوكعاء ، من الوكع ، وهو ميلان في صدر القدم نحو العنصر ، وربما كان في إبهام اليد ، وأكثر ما
يكون ذلك في الإمام اللان يكثذن في العمل .. أما الإمامة ، فهو المردد الذي لا يثبت على شيء . والوعك :
المرضى .

إِلَى عِيُوبَى . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُنْعَمْ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُنْعَمِ
الْمَزِيدُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الثَّوْبَةُ لَمْ يُنْعَمِ الْقَبُولُ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِخَارَةَ لَمْ يُنْعَمِ الْخَيْرَةُ ^(١))
وَمَنْ أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُنْعَمِ الصَّوَابُ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فُطَيْرِهِ ،
وَأَخْيَرُهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْدِيرِهِ .

وَذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ التَّاجِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وُزَرَاءَهُ ، فَقَالَ
أَحَدُهُمْ ^(٢) : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا نَحَالِيَا ، فَإِنَّهُ أَمُوتُ لِلْسَّرِّ ،
وَأَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ ، وَأَجْدَرُ لِلسَّلَامَةِ ، وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ ^(٣) .. وَكَانَ بَعْضُ
مُلُوكِ الْعَجَمِ إِذَا شَاوَرَ مَرَاتِبَهُ فَقَصَّصُوا فِي الرَّأْيِ ، دَعَا الْمُوَكَّلِينَ ^(٤) بِأَرْزَاقِهِمْ فَعَاقَبَهُمْ ،
فَيَقُولُونَ تُحْطِئُ مَرَاتِبُكَ وَتُعَاقِبُنَا ١٩ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، لَمْ يُحْطِئُوا إِلَّا لِتَمَلُّقِ قُلُوبِهِمْ
بِأَرْزَاقِهِمْ ، وَإِذَا ^(٥) اِهْتَمُّوا أَخْطَلُوا . وَكَانُوا إِذَا اِهْتَمُّوا بِمُشَاوَرَةِ رَجُلٍ بَعَثُوا إِلَيْهِ بِقُوَّتِهِ .
وَقُوَّتُ عِيَالِهِ لِسِتَةٍ ^(٦) لِيَتَفَرَّغَ لَهُ . وَكَانَ يُقَالُ : النَّفْسُ إِذَا أَحْرَزَتْ قُوَّتَهَا اطمأنَّت .

وَمِنْ إِذَا شَاوَرَتْ فَاصْدَقِ الْخَبَرَ تَصَدَّقَكَ الْمَشُورَةُ ، وَلَا تُكَلِّمِ الْمُسْتَشَارَ قُوَّتِي مِنْ قَبْلِ
نَفْسِكَ . وَقَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ : لَا يَمْتَنِعُنِكَ شِدَّةُ بَأْسِكَ فِي بَاطِنِكَ ، وَلَا عُلُوُّ
مَكَانِكَ فِي نَفْسِكَ مِنْ أَنْ تَجْمَعَ إِلَى رَأْيِكَ رَأْيَ غَيْرِكَ ، فَإِنْ أَحْمَدْتَ ^(٧) أَحَبَّيْتَ ، وَإِنْ
أَخْطَأْتَ ^(٨) عَذِرْتَ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ حِصَالًا ، مِنْهَا : إِنْ وَافَقَ رَأْيُكَ رَأْيَ غَيْرِكَ اِزْدَادَ

(١) الخيرة : الاختيار .

(٢) هكذا في « ط » وهو المناسب هنا للسياق .. وفي « م » : « لأحدهما » لا تصح .

[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٢٧ - كتاب السلطان ، باب المشاورة والرأي] .

(٣) هكذا في « ط » ما عدا « بعض » فهي عن « م » و« عيون الأخبار .. والعبارة في « م » : « وأزعم للرأي ،
وأخذ وأعفى لبعض من غائلة بعض » .

(٤) في « م » : « المتوكلين » .

(٥) في « م » : « فإذا » .

(٦) في « ط » : « لستيه » .

(٧) أحمد الرجل : قتل ما يُحْمَدُ عليه ، فصار محمودًا .

(٨) في « م » : « أشفقت » .

رَأَيْتُكَ شِدَّةً عِنْدَكَ ، وَإِنْ خَالَفَكَ ^(١) عَرَضْتَهُ عَلَى نَظَرِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُعْتَلِيًا ^(٢) لِمَا رَأَيْتَهُ قَبْلَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ مُنْصَبِحًا ^(٣) اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ ، وَتَجِدُ بِذَلِكَ ^(٤) التَّصْبِيحَةَ مِنْ شَاوَرَتِهِ وَإِنْ أَخْطَا ، وَتَمَحَّضُ ^(٥) لَكَ مَوَدَّتُهُ وَإِنْ قَصُرَ .. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضِيلَةِ الْمُشَاوَرَةِ إِلَّا أَنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ ^(٦) مُسْتَبِدًا سَلَبْتَ فَإِنَّهُ إِصَابَةٌ بِالسَّيَةِ الْحَسَدَةِ ، وَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا اتِّفَاقٌ ، وَلَوْ فَعَلَ كَذَا ^(٧) لَكَانَ أَحْسَنَ ، وَإِذَا شَاوَرْتَ فَأَصَبْتَ أَحْمَدُ ^(٨) الْجَمَاعَةُ رَأَيْتُكَ ، لِأَنَّهُمْ لِنُفُوسِهِمْ يَحْمَدُونَ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ حَمَلَ الْجَمَاعَةُ عَنْكَ ^(٩) ، لِأَنَّهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ يَكْفَحُونَ ^(١٠) .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْلَ الْغَلِيظَ يُسْتَمَعُ لِفَضْلِ عَاقِبَتِهِ ، كَمَا يُتَكَارَهُ شَرُّ الدَّوَاءِ الْمَرُّ لِفَضْلِ مَعْنِيَتِهِ ^(١١) . وَقَالَ أُغْرَابِيُّ : مَا عَثَرْتُ قَطُّ حَتَّى عَثَرَ قَوْمِي . قِيلَ لَهُ ^(١٢) : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ .. وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ يَأْتِي عَبَسَ ! فَقَالَ ^(١٣) : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ ، وَفِينَا حَازِمٌ وَاحِدٌ وَنَحْنُ نَطِيعُهُ ، فَكَأَنَّا أَلْفُ حَازِمٍ . [وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ : إِذَا أَطَعْتَ الْعَاقِلَ صَارَ عَقْلُهُ لَكَ] ^(١٤) . وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صُحْبَةٍ مِنْ عَاقِبَتِهِ نَحَاصَةُ

(١) في « ط » : « خَالَفَكَ » .

(٢) مُعْتَلِيًا : غَالِبًا مَرْتَفَعًا .

(٣) مُنْصَبِحًا : مِنَ الصُّبْحَةِ ، وَهِيَ خِلَافُ الرُّفْقَةِ فِي الْقَدَرِ .. وَفِي « ط » : « مُنْصَبِحًا » .

(٤) في « م » : « وَذَلِكَ أَنَّهُ تَجِدُ فِي ذَلِكَ » .

(٥) تَمَحَّضُ : تَخْلُصُ .. وَفِي « ط » : « تَمَحَّضُ » . وَفِي عِبَرِ الْأَخْبَارِ : « يَمَحُضُ » بِالْيَاءِ .

(٦) في « ط » : « أَصَبْتَهُ » .

(٧) في « م » : « قُلْتُ هَذَا » .

(٨) في « م » : « فَأَحْمَدُ » ، هِيَ : أَتَمُّ عَلَيْكَ .

(٩) في « ط » : « حَمَلَ الْجَمَاعَةُ خَطَاكَ » .

(١٠) في « م » : « يَكْفَحُوا » ، خَطَاً ، وَالصَّوَابُ ثُبُوتُ التَّوْنِ .

(١١) كَلِمَةُ « الْمَرُّ » ، عَنْ « ط » ، وَسَقَطَتْ مِنْ « م » . وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ .

(١٢) في « ط » : « قَالُوا » .

(١٣) في « م » : « يَا بَنِي عَبَسَ ، مَا أَكْثَرَ صَوَابَكُمْ ! فَقَالُوا » .

(١٤) مَا بَيْنَ الْمُعَقِّدِينَ عَنْ « م » ، وَسَاقَطَ مِنْ « ط » .

نفسه ، والاحتياطُ في هَوَى مُسْتَشِيرِهِ . وفي حِكْمِ الهِنْدِ : مَنْ التَّمَسَ مِنَ الإِخْوَانِ
الرُّخْصَةَ ^(١) عِنْدَ الْمَشُورَةِ ، وَمِنَ الْأَطْبَاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهِ ، أخطأَ
الرَّأْيَ ، وَازْدَادَ مَرَضًا ، وَحَمَلَ الْوِزْرَ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تُشَاوِرْ مُعَلِّمًا ^(٢) ، وَلَا رَاعِي غَنَمٍ ، وَلَا كَثِيرَ الْقُعُودِ مَعَ
النِّسَاءِ ، وَلَا صَاحِبَ حَاجَةٍ يُرِيدُ قَضَاءَهَا ، وَلَا خَائِفًا ، وَلَا مَنْ يَرَهْفُهُ أَحَدُ
السَّيْلَيْنِ ^(٣) . وَقَالُوا : لَا رَأْيَ لِخَافٍ ، وَلَا لِخَازِقٍ ، وَلَا لِخَاقِبٍ ^(٤) ، وَلَا تُشَاوِرْ مَنْ لَا
دَقِيقَ عِنْدَهُ . وَالْخَازِقُ : هُوَ الَّذِي ضَغَطَهُ الْخُفُّ الضَّيْقُ . وَالْخَاقِبُ : هُوَ الَّذِي يَجِدُ فِي
بَطْنِهِ رِزًّا ^(٥) .. وَقَالُوا : مَنْ شَكَا إِلَى عَاجِزٍ أَعَارَهُ عَجْزَهُ ، وَأَمَدَهُ مِنْ جَزَعِهِ .

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا جَرَى فِي الْإِسْتِشَارَةِ أَنَّ زِيَادَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ الْخَارِثِيَّ اسْتَشَارَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ
عُمَرَ فِي أُخِيهِ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُؤَلِّيه الْقَضَاءَ ، فَأَشَارَ بِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَاثْنَعَ عَلَيْهِ ،
فَبَعَثَ زِيَادٌ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ يَسْتَعِينُ [بِهِ] عَلَى أَبِي بَكْرٍ ^(٦) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُبَيْدِ اللَّهِ :
أُنْشِدْكَ اللَّهَ ، أَتَرَى لِي [أَنَّ إِلَيَّ] ^(٧) الْقَضَاءَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا .. قَالَ زِيَادٌ : سَبَّحَانَ
اللَّهِ ، اسْتَشَرْتُكَ فَأَثَرْتَ عَلَيَّ بِهِ ، ثُمَّ أَسْمَعُكَ ثَنَاهًا ! فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، اسْتَشَرْتَنِي
فَاجْتَهَدْتُ لَكَ الرَّأْيَ ، وَنَصَحْتُكَ وَلَنَصَحْتُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَشَارَنِي فَاجْتَهَدْتُ لَهُ
رَأْيِي ، وَنَصَحْتُهُ .. وَرَوَى أَنَّ الْحَجَّاجَ بَعَثَ إِلَى الْمُهَلِّبِ يَسْتَعِجِلُهُ [فِي] ^(٨) حَرْبِ

(١) في م : « من الرخصة » . و « من » زيادة من الناسخ ، فقد ورد النص بدونها في « ط » . وفي عيون
الأخبار .. والرخصة : التسهيل في الأمر والتيسير .

(٢) أي : مَنْ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ .

(٣) أصل السيل : الطريق ، والمراد هنا : مَخْرَجَا الْبُولِ وَالْعَاقِطِ .

(٤) في م : « ولا لحاقب ولا لخازق » وسيأتي تفسيرهما .

(٥) هكذا في م : وفي عيون الأخبار .. وَالرُّزُّ : فَرْقَةُ الْبَطْنِ . وفي « ط » : « الذي يجد في بطنه ثقلًا » .

(٦) من أول قوله : « فامتنع عليه » إلى هنا عن « ط » ومطابق لما ورد في عيون الأخبار ، وساقط من م ...
وما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

(٧) ما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

(٨) ما بين المعقوفين عن « عيون الأخبار » .

الْأَزَاقَةَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمُهِلُّبُ : إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ دُونَ مَنْ يَبْصُرُهُ ^(١) .

فصل في النصيحة ^(٢)

اعْلَمُوا أَنَّ النَّصِيحَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْخِبَارًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ ^(٣) .. وَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ^(٤) .. ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٥) .. وَقَالَ ﷺ ^(٦) : ﴿ إِنْ الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٧) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، قِيلَ : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : ﴿ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَتِهِمْ ﴾ ^(٩) .

(١) هكذا في عيون الأخبار .. وفي م : « عند من يملكه » .. وفي ط : « دون من لا يبصره » بزيادة لا . لا تصح .

(٢) كلمة « فصل » عن ط « ولم ترد في م » .

(٣) من الآية ٣٤ من سورة هود .

(٤) من الآية ٩٣ من سورة الأعراف .. وآسى : أحنن .

(٥) من الآية ٧٩ من سورة الأعراف . وهذا القول حكاه الله سبحانه وتعالى على لسان سيدنا صالح - عليه السلام - حينما عقر قومه الناقة فأخذتهم الرجفة - أو الصيحة - فأصبحوا جثًا هامدة لا حراك بها ، ﴿ فَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ : يَا قَوْمِ ، لَقَدْ أَبْلَحْتُكُمْ رَسُولًا رَأَى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ .

(٦) في ط : « عليه السلام » .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب العتق ، باب : العبد إذا أحسن عبادة ربه ، ونصح سيده .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب ثواب العبد إذا نصح لسيده . وما لك في الموطأ ، في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في المملوك وهيبه .

(٨) ما بين المعرفين عن م .

(٩) هكذا الحديث في ط .. وفي م : جاءت عبارة « إِنْ الدِّينَ النَّصِيحَةُ » مرة واحدة لم تتكرر ، وكلاهما مروي .. وروى الحديث مرة عن أبي هريرة ، وأخرى عن ابن عمر ، وثالثة عن نعيم الداري . وقد أخرجه البخاري في آخر كتاب الإيمان .. ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة .. والترمذي في أبواب البر والصلة ، والنسائي في كتاب البيعة - النصيحة للإمام .. والدارمي في كتاب الرقائق ، باب الدين النصيحة .. وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة .

فَالنُّصْحُ فِي الْجُمْلَةِ : فِعْلُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ الصَّلَاحُ وَدَفْعُ الْمَلَامَةِ ^(١) ، مَاخُذٌ مِنَ النَّصَاحَةِ ، وَهِيَ السُّلُوكُ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهَا ، وَتُصَغِّرُهَا نُصِيْحَةٌ ، نَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا قَبِيصٌ مَنْصُوحٌ ، أَيْ : مَخِيطٌ ، وَنُصَحْتُهُ نُصْحًا إِذَا خِطَّتُهُ ^(٢) .

وَيَخْتَلِفُ النُّصْحُ فِي الْأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ الْأَشْيَاءِ ، فَالنُّصْحُ لِلَّهِ ^(٣) هُوَ : وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَتَنْزِيهِهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ عَقْلًا ^(٤) وَقَوْلًا ، وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ ، وَالتَّبَاعُدُ مِنْ مَسَاحِطِهِ ، وَمُؤَالَاةٌ مِنْ أَطَاعِهِ ، وَمُعَاذَاةٌ مِنْ عَصَاةٍ ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعُصَاةِ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَإِرَادَةُ ^(٥) بَثِّ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي عِبَادِهِ .

وَالنُّصِيْحَةُ لِكِتَابِهِ : إِقَامَتُهُ فِي التَّلَاوَةِ ، وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ ، وَتَفْهَمُ مَا فِيهِ ، وَاسْتِعْمَالُهُ ، وَالذُّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَطَعْنِ الطَّاعِنِينَ ، وَتَعْلِيمُ مَا فِيهِ لِلْمُخَلَّاتِ أَجْمَعِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كِتَابُ الْزُّكَاةِ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦) .

وَالنُّصِيْحَةُ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مُؤَاوَزَتُهُ وَنُصْرَتُهُ ، وَالْحِمَايَةُ مِنْ ذُوْنِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَإِخْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ ، وَإِخْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فِي بَثِّ الدَّعْوَةِ وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ .

وَالنُّصِيْحَةُ لِلْإِئِمَّةِ : مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تُكَلِّفُوا الْقِيَامَ بِهِ ، فِي تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْعَقْلَةِ ،

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « والملامة » .. وسقطت كلمة « دفع » سهواً من الناسخ . ولا يصح الكلام بدونها .

(٢) انظر لسان العرب - مادة « نصح » .

(٣) هنا في « م » : « كرر الناسخ جملة « الخضوع له » سهواً منه ، وستأتي بعد قليل .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « عَمَّا لَيْسَ بِأَهْلٍ عَقْلًا » .

(٥) في « م » : « وإراد » .

(٦) الآية ٢٩ من سورة « ص » .

وَأَرْشَادِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ ، وَتَغْلِيْبِهِمْ مَا جَهِلُوا ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِمَّنْ يُرِيدُ بِهِمْ السُّوءَ ، وَإِعْلَامِهِمْ بِأَخْلَاقِ عُمَالِهِمْ [وَسَيَرِهِمْ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَسَدَّ خَلَّتِيهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتُصْرَتِيهِمْ فِي جَمْعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ] ^(١) وَرَدَّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةَ إِلَيْهِمْ .

وَالْتَّصُحُّ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ : الشَّقَقَةُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ ، وَالرَّحْمَةُ لِصَغِيرِهِمْ ، وَتَغْيِيرُ كُرْبِهِمْ ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ ، وَتَوْقِي مَا يَشْغُلُ خَوَاطِرَهُمْ وَيَفْتَحُ بَابَ الْوَسَاوِسِ ^(٢) عَلَيْهِمْ . وَمِنَ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْتَةِ نَفْسِهِ وَبَذْنِهِ وَخَوَاتِجِهِ عَنْهُمْ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : لَقَطَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثَوَاةً مِنَ الطَّرِيقِ ، فَأَمْسَكَهَا بِيَدِهِ حَتَّى مَرَّ بِدَارِ قَوْمٍ فَأَلْقَاهَا فِي الدَّارِ وَقَالَ ^(٣) : يَا كُلُّهَا دَاجِنُهُمْ ^(٤) .

وَالْتَّصُحُّ لِجَمِيعِ النِّمْلِ : أَنْ يُحِبَّ إِسْلَامَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْقَوْلِ ^(٥) ، وَيُحَذِّرُهُمْ سُوءَ مَعْبَةِ الْكُفْرِ ، وَبِالسَّيْفِ إِنْ كَانَ ذَا سُلْطَانٍ ، أَوْ يَكْفُوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُوا ذِمَّةً ، وَإِلَّا فَالْقَتْلُ نَصْحًا لِلَّهِ ^(٦) لِإِقَامَةِ أَمْرِهِ فِيهِمْ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : « ثَلَاثٌ لَا يُقَالُ عَلَيْهِنَّ قُلُوبُ مُسْلِمٍ : الْعَمَلُ لِلَّهِ ، وَمُتَاصِحَةُ وَلَاةِ الْأَمْرِ ، وَالْإِعْتِصَامُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ دَعَوْتُهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ » ^(٧) . وَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٨) :

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) في « م » : : الوسواس ، وهو : الحديث الخفى المختلط الذى لا تقع فيه ولا خير . جمعه : « وسواس » .

(٣) في « م » : : وقال .

(٤) الدَّاجِن : كُلُّ مَا أَلْفَ الْبُيُوتِ وَأَقَامَ بِهَا ، مِنْ حَيَوَانَ وَطَيْرٍ . جَمْعُهُ : « دَوَاجِن » .. وفى « م » : : يَأْكُلُهَا دَاجِنُهُمْ .

(٥) في « م » : : بالقبول .

(٦) في « ط » : : نَصْحًا لِإِقَامَةِ .

(٧) في « م » : : مَنْ وَرَائِهِمْ . والحديث أخرجه الترمذى فى أبواب العلم ج ١٠ ص ١٢٦ بشرح ابن العرى .

(٨) هو : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام المخزجى ، الأنصارى ، السلمى ، صحابى ، ولد سنة ١٦ قبل الهجرة ، وشهد العقبة فى السبعين من الأنصار ، وهو من المكثرين فى الرواية عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة .. غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له فى أواخر أيام حياته حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه العلم . روى له البخارى ومسلم وغيرهما . توفى - رحمه الله - سنة ٧٨ هـ على الأرجح ، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة .

« بَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَلَقْنِي : فِيمَا اسْتَطَعْتَ ، وَالنُّصِجَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » ^(١) . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ^(٢) قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : الْعِلْمُ يُلْفَهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْحِكْمَةُ يَنْطَلِقُ بِهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالنُّصِيحَةُ لِلَّهِ تَعَالَى لَا تُثَبَّتُ ^(٤) إِلَّا فِي قُلُوبِ الْمُتَّخِبِينَ ، الَّذِينَ صَحَّتْ عُقُولُهُمْ ، وَصَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ جُرْعَةَ النُّصِيحَةِ مَرَّةٌ لَا يَبْقَلُهَا إِلَّا أَوْلُو الْعَرْسِ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَى عُيُوبِي . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : قُلْ لِي فِي وَجْهِ مَا أُكْرَهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ مَالِكٌ : النُّصِيحَةُ لِلَّهِ فِي أَرْضِهِ هِيَ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا أَنْبِيََاءَهُ .

وَمِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْقَصْدُ وَالنُّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ فِي أُمُورِهِمْ ، وَالتُّفُوسُ مُسْتَقْبَلَةٌ لِلنُّصِجِ ، نَافِرَةٌ عَنْ أَهْلِهِ ، وَمَائِلَةٌ إِلَى مَا وَافَقَ هَوَاهَا . وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمِ : وَدَكَ مَنْ نَصَحَكَ ، وَقَلَّاكَ ^(٥) .

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٠٤ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، والتاريخ الكبير للبخارى ج ٢ ص ٢٠٧ ، والمخير ج ٢٩٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٤ ، وسر أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٨٩ - ١٩٤ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ١٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣] .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، عن جرير بن عبد الله ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، وأبو داود فى كتاب الأدب ، باب فى النصيحة ، وجميع الزوائد ج ١ باب فى النصيحة .

(٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ج ١ ص ٥٧ من فتح البارى . ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب « من محصل الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ بشرح النووي .

(٤) أى : لا تستقر . وفى « ط » : « لا تثبت » .

(٥) قَلَّاكَ : أَبْغَضَكَ .

مَنْ مَشَى فِي هَوَاكَ . وَكَانَ يُقَالُ : أَخْوَكَ مَنْ اخْتَمَلَ يُقَالُ ^(١) تَصِيحَتِكَ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ ^(٢) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّي لِزَيْدٍ فَقَالَ غَشَشْتَنِي ، وَالتَّصْنُحُ مُرٌّ
وَمَالِي أَنْ أَكُونَ تَصْنَحْتُ زَيْدًا وَزَيْدٌ طَاهِرُ الْأَنْوَابِ بَرٌّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ زَيْدًا يُقَالُ عَلَيْهِ فِي مَعْنَاهُ شَرٌّ ^(٣)
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُقَالُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحَرَّ حَرٌّ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعَلَى التَّصُوجِ نَصِيحَتِي وَعَلَى عَصِيَانِ التَّصُوحِ ^(٤)
وَلِلْقَطَامِيِّ ^(٥) :

وَمَعْصِيَةُ الشُّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا تَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا ^(٦)

(١) في د ط : : أنقل .

(٢) في د ط : : وقال بعضهم شعراً .

(٣) في معناه : أي في المنزل الذي غشى به عن الناس .. وفي د م : : في تقناه ، وهي الأرض العرة الطين
المستوية ، أو القاع الذي يمسك الماء .

(٤) التصوُّح : الذي يبلغ في التصنع أو يخلص فيه .

(٥) في د ط : : وللقطامي شعر .

والقطامي هو : عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ بن عمرو بن عباد ، من بني جُشَمِ بْنِ بَكْرِ ، أبو سعيد التغلبي ، الملقب بالقطامي ،
شاعر غزل ، فحل ، وهو أول مَنْ لُقِّبَ « صريع الغواني » ، وكا من نصارى تغلب في العراق ، وأسلم ، وهو ابن
أخت الأخطل الشاعر النصراني المشهور ، وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين ، وقال : الأخطل أبعد منه
ذكراً ، وأتمن شعراً . توفي نحو سنة ١٣٠ هـ . والقطامي بضم القاف وضحها ، مأخوذ من الليث ، أو الصقر ،
المشتق اللحم .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، ٨٩ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٣ - ٧٢٦ ، والأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٥٧ -
٩٤٩٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ، وانظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ج ٢ العصر الإسلامي ، د .
شوقي ضيف ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والقطامي حياته
وشعره . د . زكي عابدين ط المعارف - إسكندرية] .

(٦) الشفيق : المشفق .. وتزيدك منه استماعاً : وذلك لما وقع بك من سوء .. وفي العقد الفريد ، والشعر
والشعراء : « يزيدك » . والبيان من قصيدة يثوره الشاعر فيها يذفر بن الحارث الكلبي ويمدحه حين فكته من الأسر ،
وأعطاه مائة من الإبل ، ورد عليه ما سلبت منه في الحرب التي نشبت بين قبيلة الشاعر « تغلب » و « قيس » في أثناء
فتنة ابن الزبير .

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ الْبَاطِلَا
وَلَوْ رَقَّةٌ بَيْنَ تَوَفَّلٍ ^(١) :

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا التَّذِيرُ فَلَا يَمُرُّكُمْ أَحَدٌ ^(٢)
لَا شَيْءٌ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا إِلَالَهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ ^(٣)
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ هَرَمُهُ ، يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادَ فَمَا خَلَدُوا ^(٤)

= [انظر سلسلة تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، والعقد الفريد ج ١ ص ٦١ ،
والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٤ . والقصيد في الأغاني ج ٢٨ ص ٩٤٨١ ، ٩٤٨٢ ولم يرد البيتان فيها .
(١) في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : أن هذا الشعر نسبوه إلى ورقة بن نوفل ، وزعموا أنه قاله حين رأى
قريشاً مُعَذَّبَ بلاءاً على إسلامه . وكلنا وردت في الخزنة ، وفي نسب قريش .

ورقة : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، من قريش ، حكيم جاهل ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتَنَصَّرَ ،
وقرأ كتب الأديان ، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني .. أدرك ورقة أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ،
وهو ابن عم السيدة خديجة أم المؤمنين .. وفي حديث ابتداء الوحي بغار حراء أن النبي ، صلى الله عليه وسلم رجع إلى
خديجة وقواده يرفجف ، فأخبرها ما حدث له ، فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل - وكان شيخاً كبيراً قد غَوِيَ -
فقال له خديجة : يا بن عمِّ ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا بن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره الرسول : صلى
الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ليتي فيها جَدْع (أى : شأناً
صغيراً ، ليكون أمكن لنصره) ليتي أكون حياً إذ يخرجك قومك ! فقال الرسول : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم
يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً .
وتولى ورقة سنة ١٢ قبل الهجرة تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١١٤ ، ١١٥ ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٨ - ٣٠٢ ، والكمال ج ٢ ص ٣١ ،
والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ج ١ ص ٢٣ ،
وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٩٧ - ٢٠٤ باب بدء الوحي ، والمغرب ص ١٧١ ، والمعارف ص ٥٩ ،
والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ٥٠٠ - ٥٠٤ ، وج ٩ ص ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ونسب قريش ص
٢٠٧ ، وخزنة الأدب ج ٣ ص ٣٨٩ - ٣٩٥] .

(٢) هذا البيت منسوب أيضاً إلى أمية بن أبي الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل .

[انظر الأبيات الثمانية التي منها هذه الأبيات الثلاثة في نسب قريش ص ٢٠٨ ، والمخزنة ج ٣ ص ٣٨٩ ، وانظر
المفصل ج ٩ ص ٧٠٣] .

(٣) يُودى : يهلك وبغنى بالموت .. وفي نسب قريش ، وخزنة الأدب ، وطبقات ابن سعد : « يَتَقَى إِلَالَهُ » بدل
« إِلَّا إِلَالَهُ » والشرطة الأولى في طبقات ابن سعد : « لا شَيْءَ فِيمَا تَرَى إِلَّا بَشَاشَتُهُ » قاله عمر بن الخطاب مثلاً به .

[انظر الطبقات ج ٣ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧] .

(٤) هَرَمَز : من ملوك المعجم .. وعاد : قوم هود .

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ ^(١) : إِنَّمَا يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ لِغَيْرِهِ مَنْ يُحْسِنُ الْإِخْتِيَارَ لِنَفْسِهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِيمَنْ لَا خَيْرَ لَهُ فِي نَفْسِهِ . وَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ ^(٢) : لَنْ يَنْصَحَكَ أَمْرٌ لَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ ^(٣) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : رَأَيْتُ وَرَأَيْتُكَ فِي الْمَعْرِفَةِ أَمْثَلُ لِنَفْسِكَ مِنْ رَأْيِكَ ، لِأَنَّهُ يَخْلُو ^(٤) مِنْ هَوَاكَ . وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : إِنْ شِئْتُمْ لَا تَصَحْنِ لَكُمْ : إِنْ أَحَبَّ عِبَادُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ نَصْحًا .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا لَطَمَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : إِلَهِي ، إِنْ كُنْتُ تُثَبِّتُنِي وَتُعَاقِبُهُ فَلَا تُثَبِّتُنِي وَلَا تُعَاقِبُهُ ^(٥) . وَمِنْ الْخِصَالِ الَّتِي تَجْرِي مَجْرَى الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ الْجِلْمُ ^(٦) .

(١) هو : عبد الله بن وهب بن مسلم ، الفهري بالولاء ، أبو محمد ، تقيه من الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك ، ولد بمصر سنة ١٢٥ هـ ، وجمع بين الفقه والحديث والعبادة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان حافظاً ثقة مجتهداً ، وعُرض عليه القضاء فحباً نفسه ولزم بيته . توفي - رحمه الله - بمصر سنة ١٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١٤٤ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨] .

(٢) في (م) : « الحكماء » .

(٣) في (م) : « نفسه » وكلاهما صحيح .

(٤) يَخْلُو : خَالَ .

(٥) في (م) : « إِنْكَ تُثَبِّتُنِي وَتُعَاقِبُهُ ، فَلَا تُثَبِّتُنِي وَلَا تُعَاقِبُهُ » .

(٦) الْجِلْمُ : الْأَثْنَةُ وَضَبُّ النَّفْسِ .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

فِي الْحِلْمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْنَعِ الصُّنْعَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(٢) . قَالَ عَلِيُّ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصُّنْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا عِتَابٍ . وَقِيلَ : الصُّنْعُ الْجَمِيلُ ، الرُّضَا بِلَا تَوْبِيخٍ فِيهِ وَلَا حِقْدٍ مَعَهُ .. وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : كَادَ الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا . وَتَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلَا تُكْثِرَ ^(٤) عَلَيَّ فَأَنَسَى . قَالَ : « لَا تُغَضِبْ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحِلْمَ أَشْرَفُ الْأَخْلَاقِ وَأَحَقُّهَا بِدَوَى الْأَلْبَابِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ رَاحَةِ السَّرِّ وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهِ السُّلْطَانُ ، لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِإِقَامَةِ أَوْدِ الْخَلْقِ ^(٥) وَمُمَارَسَةِ أَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا يُطِيفُونَ بِهِ فِي حَالِ سِلْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَغْشَوْنَ بَابَهُ حِينَ تَنَازَعَهُمْ

(١) الآية ٧٥ من سورة هود .

(٢) من الآية ٨٥ من سورة الحجر .

(٣) في (م) : « وقال علي بن أبي طالب » .

(٤) في (ط) : « ولا يكثر » . وأعشى بن ، أى : أتضع بين فى معيشى . والحديث رواه مالك فى الموطأ ، فى

كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء فى الغضب ، وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب الخطر من الغضب ، والترمذى فى كتاب البر .

(٥) فى (ط) : « والحلائق » .

وَحُصُومَاتِهِمْ وَشُرُورِهِمْ ، وَكَذَّبُوا نُفُوسَهُمْ ، وَضَيَّقُوا اخْلَاقَهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ جِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ بَوَادِرَهُمْ ^(١) ، وَإِلَّا وَقَعَ تَحْتَ عِبَاءٍ ثَقِيلٍ . وَكَانَ أُنُوشِيرُوَانُ ذَا جِلْمٍ وَأَنَاةٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : فِيَّ خَصْلَتَانِ ، لَوْلَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ لَضَوَّتُ بِهِمَا ذَرْعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

وَرَوَى أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ^(٢) لَقِيَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) فَقَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ الْأَشْيَاءِ [فِي الدَّائِنِ] ^(٤) . قَالَ : غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ : [يَا رُوحَ اللَّهِ] وَمَا يَنْتَجِبُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ [تَعَالَى] ؟ قَالَ : تَرْكُ الْغَضَبِ . قَالَ : يَا رُوحَ اللَّهِ ، كَيْفَ بُدُّو ^(٥) الْغَضَبِ ؟ قَالَ : التَّعَزُّزُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّفَخُّرُ عَلَى النَّاسِ . وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « وَجِبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَلِمَ » .

وَالَّذِي يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ^(٦) فِي هَذَا الْبَابِ قِصَّةُ إِسْحَاقَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : « يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ

(١) بَوَادِرُهُمْ : مَا يَثُورُ مِنْهُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ مِنْ خَطَا أَوْ سَقَطٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : « فَلَنْ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ » . وَفِي « م » : « بَوَادِرِهِمْ » أَيْ : مَا يَلُوحُ مِنْهُمْ .

(٢) هُوَ : سَيِّدُنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَعِنْدَ النَّصَارَى يُسَمَّى « يوحنا المعمدان » لِأَنَّهُ كَانَ يَمْتَدُّ بِالمَاءِ للتَّوْبَةِ .. مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ وَهَبَهُ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا زَكَرِيَّا فِي شَيْخُوخَتِهِ ، وَبِرَغْمِ عَقَمِ زَوْجَتِهِ ، وَخَصَّةِ اللَّهِ بِمَوَاهِبِ عَظِيمَةٍ ، مِنْهَا جِلْدَةُ الذِّكَاةِ وَالْقِطْعَةُ ، وَأَنَّهُ بَصِيرَةٌ فِي التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَتَفْهَمُ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ . وَكَانَ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ وَخَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ .. قَتَلَهُ الْمَلِكُ « هِيرُودُس » وَقَدَّمَ رَأْسَهُ إِلَى « سَالُومِي » بِنَاءً عَلَى طَلْبِهَا ، وَذَكَرُوا فِي سَبَبِ قَتْلِهِ أَنَّهُ وَقَفَ ضِدَّ رَغْبَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ فِي زَوَاجِهِ بِهَا ، وَكَانَتْ مِنْ مَحَارِمِهِ .. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

[انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٧٠ - ٤٨٠ ، والمعارف ص ٥٢ ، ٥٣ ، وانظر تفسير الآيات : ٣٨ - ٤٠ من سورة آل عمران ، والآيات من : ١ - ١٥ من سورة مريم ، والآيات ٨٩ ، ٩٠ من سورة الأنبياء] .

(٣) فِي « ط » : « عَلَيْهِمُ السَّلَامُ » .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفِينَ عَنْ « ط » وَسَاقِطٌ مِنْ « م » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) بَدُّوا الْغَضَبَ : أَيْ بَدَأُوا بِتَوْبِهِ وَظَهْوِهِ ، مِنْ بَدَأَ يَبْدُو بُدْؤًا ، إِذَا ظَهَرَ . أَمَّا « يَبْدُو » بِكسر الباءِ وَضَعِ الدَّالِ مَعَ كسر الواوِ الْمَشْدُودَةِ فَضَى : الْآفَةُ وَالْمَرَضُ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٦) هَكَذَا فِي « م » . وَفِي « ط » : « وَالَّذِي يَجْمَلُ أَنْ يُضْرَبَ » .

مَا تَوَمَّرُ سَجْدَنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ .. ثُمَّ إِنَّهُ ثَلَاثَةٌ لِلْجَبِينِ ﴿٢﴾ وَأَمَرَ عَلَى خَلْقِهِ ﴿٣﴾ السَّكِينِ ، فَلَمْ يَقُلْ إِلَّا خَيْرًا ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَبَشْرَتَاهُ بِغَلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ .

وَفِي الْأَخْبَارِ يَقُولُ إِبْلِيسُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ : إِنْ الْحَدِيدَ مِنَ الرُّجَالِ لَمْ يَنَاسُ ﴿٥﴾ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ يُخَيِّى الْمَوْتَى بِدُعَائِهِ ، لِأَنَّهُ ثَانِي عَلَيْهِ سَاعَةً يَخْتَدُّ فِيهَا فَيَصِيرُ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ ﴿٦﴾ . وَيُرَوَّى أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ﴿٧﴾ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، وَقَدْ اسْتَحْفَفَ الْغَضَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ إِنَّمَا تُغْضَبُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَلَا ﴿٨﴾ تُغْضَبُ لَهُ بِأَكْثَرٍ مِنْ غَضَبِهِ لِنَفْسِهِ .

وَأَعْلَمُ - أُرَشِدَكَ اللَّهُ - أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَا قِيَمَةَ لَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ، فَمَا أَفْحَمَهَا وَأَجَلَ قَدَرَهَا وَأَعْظَمَ شَأْنَهَا ! لِأَنَّكَ إِذَا كُنْتَ أَيُّهَا السُّلْطَانُ إِنَّمَا تَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِ اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَاللَّهُ ﴿٩﴾ تَعَالَى قَدْ حَدَدَ حُدُودًا ، وَشَرَعَ شَرَائِعَ ، وَأَقَامَ

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الصافات .. وقد اختلف المفسرون في الذبح من هو ، فقيل : إنه « إسحاق » ، وهذا قول عمر ، وعلي ، والعباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود ، وكعب الأحبار ، وسعيد بن جبير ، وعتادة ، ومسروق ، وعكرمة ، والزهرى ، والسدى ، ومقاتل ، رضى الله عنهم . وقيل : إنه « إسماعيل » . وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، والشعمى ، ومجاهد ، والكلبي ، واحجوا على ذلك بقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « أَنَا ابْنُ الذَّيْحَيْنِ » يريد إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب ، وأن الذبح كان بمكة ، وإسحاق لم يكن بمكة ، بل كان بالشام ، وإسماعيل هو الذى شارك فى بناء البيت مع أبيه ، وهو الذى وصِفَ بالصبر دون إسحاق فى قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهو صبره على الذبح .. وقد أورد المفسرون حججا أخرى كثيرة على أن الذبح هو إسماعيل دون إسحاق ، وكان الرُّجُاج يقول : الله أعلم أيهما الذبح . [انظر تفسير الفخر الرازى ، المجلد الثالث عشر ، الجزء السادس والعشرين ص ١٥٢ - ١٥٥] .

(٢) ثَلَاثَةٌ لِلْجَبِينِ : أَصْنَفُهُ عَلَى جَبِينِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

(٣) فى « م » : « وَأَمَرَ خَلْقَهُ عَلَى السَّكِينِ » .

(٤) الآية ١٠١ من سورة الصافات . وفى « م » و « ط » : « وَبَشْرَتَاهُ » بالواو . والآية بالفاء .

(٥) فى « م » : « نَاسٌ » .

(٦) فى « م » : « فَصَبْرُهُ مِنْهُ إِلَى مَا يُرِيدُ » .

(٧) هو : جعفر بن محمد بن الأشعث . من ولادة الرشيد على « خراسان » .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣١ وغيرها من الصفحات] .

(٨) فى « ط » : « وَلَا » .

(٩) هكذا فى « ط » .. وفى « م » : « فى مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَاللَّهُ ... » .

فَرُوضًا وَسِتًّا ، وَنَهَى عَنْ حُدُودٍ وَرُسُومٍ ، ثُمَّ قَدَّرَ فِي كُلِّ عَصَلَةٍ عِنْدَ مُحَالَفَتِهِ حَدًّا مَخْدُودًا ، وَنَهَى أَنْ يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ الْحَدَّ ، فَلَا يُقْتَلُ مَنْ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ وَالْحَبْسَ وَالْأَدَبَ وَالْحَدَّ ، وَلَا يُحْبَسُ غَيْرُ مَنْ اسْتَوْجَبَ الْحَبْسَ .

وَكَاثِبُ الْخُلَفَاءِ يُؤَدَّبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ ، فَمَنْ عَثَرَ مِنْ ذَوِي الْمُرَوَّاتِ أُقِيلَتْ عَثْرَتُهُ وَلَمْ يُقَابَلْ بِشَيْءٍ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ » ^(١) . وَمَنْ سِيَّوَاهُمْ كَانَ يُقَابَلُ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِ وَهَفَوْتِهِ ، فَكَانَ ^(٢) يُقَامُ قَائِمًا فِي مَجْلِسٍ يَقْعُدُ فِيهِ نُظَرَاؤُهُ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عُقُوبَتُهُ ، وَآخَرُ يُشَقُّ جَبِيْهُ ^(٣) ، وَآخَرُ تُنَزَعُ عِمَامَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ ، وَآخَرُ يُكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ بَعْضُ الْغِلْظَةِ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) : كَاثِبُ الْعَصَاةِ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِذَا أُحْدِثَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ [بِعَثْرَةٍ] ^(٥) تُزَعَّتْ عِمَامَتُهُ ، وَطِيفَ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَقِيلَ : هَذَا أُحْدِثَ بِغَيْرِهِ ^(٦) ، فَلَمَّا وَلِيَ زِيَادَ ضَرْبَهُمْ وَنَزَعَ عِمَامَتَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِيَ مُصَنَّبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ خَلَقَ مَعَ الضَّرْبِ رُجُوسَهُمْ ، فَلَمَّا وَلِيَ بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ ^(٧) أَقَامَهُمْ عَلَى الْكُرَاسِيِّ ، ثُمَّ مَدَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَسَمَرَهَا بِسِمَارٍ ، ثُمَّ تَرَعَّ الْكُرْسِيُّ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَحْرِمَ يَدَهُ ، فَمِنْ مَيِّتٍ وَمِنْ حَيٍّ ^(٨) ، فَلَمَّا وَلِيَ الرَّجُلُ الْمَعْرُوفُ بِالْحَجَّاجِ قَالَ : كُلُّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود ، باب في الحد يُشْفَعُ فِيهِ ج ٤ ص ١٣١ ط الدار المصرية ، واستثنى ل أخره الحدود ، فقال : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْمُحْدُودَ » .

(٢) ل م : « : وكان » .

(٣) جيب القميص ونحوه : ما يُدْخَلُ منه الرأس عند نُبْسِهِ .

(٤) هو : عامر بن شراحيل ، وقد مرَّت ترجمته ، والشَّعْبِيُّ نسبة إلى « شُعْب » جبل باليمن ، وقيل : بطن من عُثْمَانَ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٦) أُحْدِثَ بِغَيْرِهِ : أَيْ بِسَقَطِيٍّ . وَل م : « : لَحُلَّ بِغَيْرِهِ » والثَّقَرُ : مَوْضِعُ الْخَافَةِ مِنْ فُرُوجِ الْجِلْدَانِ يُمِثِّلُ عَلَى دَارِ الْحَرْبِ أَوْ الْقَوْرَةِ .

[انظر اللسان - مادة ثغر] .

(٧) هو : بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ ، كَانَ سَمِيحًا جَوَادًا ، وَلِيَ إِثْرَةَ الْمُرَاقِينِ (البصرة والكوفة) لأخيه عبدالملك سنة ٧٤ هـ ، وهو أول أمير مات بالبصرة . تولى سنة ٧٥ هـ عن أربعين سنة وتوفي .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٥٥ ، والمعارف ص ٣٥٥] .

(٨) ل م : « : وبين مقتول » .

هَوَلاَ يَلْعَبُ ، مَنْ أَخَذَ بِغُرِّهِ ، ضَرَبَ عَنْقَهُ ^(١) . وَقَالَ أُرْسِنَا طَالِيسُ : النَّفْسُ الدَّلِيلَةُ لَا تَجِدُ أَلَمَ الْهَوَانِ ، وَالنَّفْسُ الشَّرِيفَةُ يُؤَثِّرُ فِيهَا ^(٢) يَسِيرُ الْكَلَامُ ، وَفِيهِ قِيلَ :
مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَالِ الْجَرْجِ بِمَيِّتٍ إِسْلَامٌ ^(٣)

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَجَاوَزَ فِي الْمُعْصِيَةِ فَوْقَ مَا خَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، شَارَكَ الْمُجْرِمَ فِي الذَّنْبِ ، وَاسْتَوْجَبَ مَا اسْتَوْجَبَهُ الْمُجْرِمُ مِنَ الْمُعْصِيَةِ ، وَتَبَيَّنَ فِي الْآخِرَةِ ^(٤) أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَاقَبُ لِلْهَوَى وَالتَّشَنُّي ، إِذَا فَمَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى . وَفِي كِتَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : الْقَاهِرُ لِنَفْسِهِ أَشَدُّ مِمَّنْ يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ [وَخَذَهُ] ^(٥) ، وَصَدَّقَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٦) ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَيَقْهَرُ أَهْلَهَا ، وَيَغْلِبُ جُنُودَهَا وَحُمَاتَهَا ، وَيَقْتُلُ أَبْطَالَهَا ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ شَهْوَتُهُ وَيَقْبَى أُسِيرًا فِي ذَلِّ هَوَاهُ ، قَدْ قَهَرْتُهُ قِيَتَهُ يَطْلُبُورَهَا ^(٧) ، أَوْ قَدْ حُ خَمِرٍ يَذْهَبُ بِعَقْلِهِ .

وَقَالَ أَكْتُمُ بِنُ صَيْفَى ^(٨) : الصَّبْرُ عَلَى جَرْجِ الْجِلْمِ أَغْذَبُ ^(٩) مِنْ جَنَى لَمَرِ التُّدْمِ .

(١) في « م » : « مَنْ أَتَمَّلَ بِغُرِّهِ ضَرَبَتْ عَنْقَهُ » .


(٢) في « م » : « فِيمَا » تحريف .

(٣) البيت لأبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي من قصيدة يمدح فيها أبا الحُسَيْنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ المُرِّي الخراساني ، وكانت بينهما مودةٌ بطبرية . ومعنى البيت : أن الإنسان إذا كان هيناً في نفسه ، سهل عليه احتيال الهوان ، كالميت الذي لا يتألم بالجرحة .


[انظر ديوان المُنْتَبِي ج ٤ ص ٢١٧ للبرقوق ، وشرح ديوان أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي لأبي العلاء المُرِّي ج ٢ ص ٢٢٢ سلسلة ذخائر العرب . ط دار المعارف] .

(٤) في « م » : « بِالْآخِرَةِ » .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « ط » : «  » .

(٧) القِيَتَةُ : الأُمَّةُ ، وغلب على المُتَعَبَةِ . وَالطُّبُورُ : آتة من آلات اللهو والطرب .

(٨) هو : أَكْبَمُ بْنُ صَيْفَى بْنِ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غُثَّاشِ بْنِ تَيْمِ ، حَكِيمُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَحَدُ الْمُعْتَمَرِينَ ، عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَقَصَدَ الْمَدِينَةَ فِي مِائَةِ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ ، فَسَاتَ فِي الطَّرِيقِ سَنَةً ٩ هـ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ  ، وَأَسْلَمَ مِنْ بَلْغِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ . وَأَعْيَارُهُ كَثِيرَةٌ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٦ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، والنَّحِيرُ ص ١٣٤ ، والمعارف ٢٩٩] .

(٩) في « م » : « أَغْظَمُ » .

وَسَأَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسٍ عَنْ أُجُودٍ
مُلُوكِهِمْ ^(١) عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ : لِأَرْدَشِيرَ فَضْلُ السَّبِقِ ، غَيْرَ أَنْ أَحْمَدَهُمْ سِيرَةَ أُنُوشِرْوَانَ .
قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْأَمَانَةُ . فَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
هَمَا تَوَامٌ يَتَّبِعُهُمَا ^(٢) غُلُوُّ الْهَيْمَةِ .

وَمِنْ مَخْمُودِ السَّيِّرَةِ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ لَا تَعْجَلُ بِالثَّوَابِ
وَلَا بِالْعِقَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذْوَمُ لِيَخُوفِ الْحَافِيفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي . وَقَالَ مَخْمُودُ
الْوَرَّاقِ ^(٣) :

سَأَلْتُ نَفْسِي الصَّفْعَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ	وَأَنْ عَظُمَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ ^(٤)
فَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلُ مَقَامٍ ^(٥)
فَأَمَّا الَّذِي قَرَّبَنِي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ	وَأَتَّبِعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَائِمٌ ^(٦)
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ	إِحْيَائِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ ^(٧)
وَأَمَّا الَّذِي يَتْلُو فَإِنْ زَلَّ أَوْهَمَا	تَفَضَّلْتُ إِنَّ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ ^(٨)

(١) هكذا في (م) ، وفي العقد الفريد .. وفي (ط) : « كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسٍ : مَنْ أَحْمَدَ مُلُوكَهُمْ ... » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ في ١٤٣ باب الحِلْم] .

(٢) في (م) : « يَتَّبِعُهُمَا » .

(٣) هو : محمود بن حسن الوراق ، شاعر ، أكثر شعره في المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبي الدنيا . وتوفي في خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠ هـ على الأرجح . والأبيات الخمسة في « أدب الدنيا والدين » منسوبة إلى الخليل ابن أحمد .

[انظر غوات الوفيات ج ٤ ص ٧٩ - ٨١ ، وطبقات الشعراء ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والأعلام ج ٧ ص ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ - ٨٩ ، وأدب الدنيا والدين ، الفصل الرابع من الباب الخامس ص ٣٠٦ ، والمعصر الصباني الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٤٠٩ - ٤١٣] .

(٤) هكذا البيت في (م) ، و(ط) ، وفي المستطرف ج ١ ص ٤١٨ .. وفي العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٢ وأدب الدنيا والدين .. والشطرا الثانية من البيت في المرجعين الأخيرين : « وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَى الْجَرَائِمِ » .

(٥) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٦) في المستطرف وأدب الدنيا والدين : « فَأَعْرِفُ قَلْبَهُ » في الشطرة الأولى .. وفي العقد الفريد : « والحق قائم » في الشطرة الثانية .

(٧) هكذا البيت في (ط) ، وفي العقد والمستطرف ، ولم يرد في (م) . والبيت في أدب الدنيا والدين :

فَأَمَّا الَّذِي قَرَّبَنِي فَأَعْلَمُ دَائِمًا أَصُونُ بِهِ عِزِّي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ

(٨) في المستطرف : « إِنَّ الْحِلْمَ بِالْفَضْلِ حَاكِمٌ » .. وفي العقد : « إِنَّ الْفَضْلَ لِلْحَمْدِ لَا لِي » .. وفي أدب الدنيا والدين : « إِنَّ الْفَضْلَ بِالْفَخْرِ حَاكِمٌ » .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أُعْرَابِيًّا يَقُولُ : أَسْرَعَ النَّاسِ جَوَابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ ..
لَا تُوقِدَنَّ بَيْنَ جَنَّتَيْكَ جَمْرَةَ الْغَضَبِ ، وَارْزُدْ إِسَاءَتَهُ ^(١) بِالْحِلْمِ ، فَإِنَّ شَجَرَ النَّارِ إِذَا
الْحُتَّ عَلَيْهَا الرِّيحُ نَحَاكَتْ أَغْصَانَهَا فَتَشْتَعِلُ نَارًا وَتَحْتَرِقُ مِنْ أَصُولِهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) : ثَلَاثٌ مَنِ اجْتَمَعْنَ فِيهِ فَقَدْ سَعِدَ : مَنْ
إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَإِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وَإِذَا قَدَرَ
عَفَّ وَكَفَّ .. وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَدِّ الْحِلْمِ فَقَالَ : وَكَيْفَ يُعْرَفُ فَضْلُ شَيْءٍ
لَمْ يَرِ كَمَالُهُ فِي أَحَدٍ ^(٣) ؟ .

وَقَالَ الْأَخْثَنْفُ [لِأَخِيهِ] ^(٤) : يَا بَنِيَّ ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاخِي رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ
أُصْلِكَ ^(٥) وَلَا فَاحْذَرَهُ .. وَكَانَ سَلَمٌ ^(٦) بِنُ نُوْفَلٍ سَيِّدَ بَنِي كِنَانَةَ ، فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ
قَوْمِهِ بِسَيْفِهِ ، فَأَخَذَ فَأَتَى بِهِ إِلَيْهِ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي فَعَلْتَ ؟ أَمَا خَشِيتُ الْإِثْقَامَ ؟
قَالَ : فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ ^(٨) إِلَّا أَنْ تُكْظِمَ الْغَيْظَ ، وَتَعْفُوَ عَنِ الْجَانِي ، وَتَحْلَمَ عَنِ الْجَاهِلِ ،
وَتَحْتَمِلَ الْمَكْرُوهَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ ؟ فَحَلَى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ قَاتِلْهُمْ ^(٩) :
يُسَوِّدُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَلِ السَّيِّدُ الْمَعْرُوفُ سَلَمٌ بِنُ نُوْفَلٍ ^(١٠)

(١) في م : : : إساءتك .

(٢) في م : : : رحمة الله عليه .

(٣) قوله : : في أحد ، عن ط .

(٤) ما بين المعرفتين عن ط . وساقط من م .

(٥) جواب الشرط محذوف ، تقديره : فأخيه .

(٦) في م : : : مسلم ، تحريف .

(٧) في العقد الفريد : « فَوُتِبَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِهِ وَابْنِ أَخِيهِ فَجَرَحَهُمَا ، فَأَتَى بِهِ ... » .

[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٦] .

(٨) في العقد : « فَلِمَ سَوَّدْنَاكَ إِذَا » وَسَوَّدْنَاكَ : جعلناك سيئاً .

(٩) في ط : : « فَقَالَ قَاتِلْهُمْ شَعْرًا » .

(١٠) في العقد : « بَلِ السَّيِّدُ الصَّبِيدُ » . والصَّبِيدُ من الناس : الشريف الشجاع .

وَقَالَ رَجُلٌ [مِنْ كَلْبٍ] ^(١) لِلْحَكَمِ بْنِ عَوَّانَةَ ^(٢) : إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَأُعْطِيَنَّكَ عَطِيَّةً مَا يُعْطِيهَا الْعَبِيدُ ، فَأَعْطَاهُ مِائَةَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ .. وَمِنْ أُمْتَالِ الْعَرَبِ :
أَحْلَمُ تُسَدُّ .. وَيُرْوَى أَنَّ هِشَامًا ^(٣) غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ فَشَتَّمَهُ ، فَوَبَّخَهُ
الرَّجُلُ وَقَالَ ^(٤) : أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تُشْتَمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؟ فَأَطْرَقَ هِشَامٌ
وَاسْتَحْيَا وَقَالَ لَهُ : اقْصِرْ . فَقَالَ : أَنَا إِذَا سَفِيعٌ مِثْلَكَ . قَالَ : فَخُذْ بِذَلِكَ ^(٥) عِوَضًا
[مِنْ الْمَالِ] ^(٦) . قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ . قَالَ : فَهَبْهَا لِلَّهِ . قَالَ مَرَى اللَّهُ ثُمَّ لَكَ ..
فَنَكَسَ هِشَامٌ رَأْسَهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ شَرُّوْا حَتَّى يَذِلُّوْا وَإِنْ عَزُّوْا لِأَقْوَامٍ ^(٧)
وَيُشْتَمُّوْا فَحَرَى الْأَلْوَانِ مُسْفِرَةً لاصْفَحْ ذَلَّ وَلَكِنْ صَفَحْ إِكْرَامٍ ^(٨)

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » . وكَلْبٌ : قبيلة معروفة .

[انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ ط دار الكتاب المصري - اللبناني ، ومعجم قبائل العرب
لكحالة ج ٣ ص ٩٩١ ، ٩٩٢ .]

(٢) هو : الْحَكَمُ بْنُ عَوَّانَةَ الْكَلْبِيُّ ، كَانَ وَالِيًا عَلَى السَّنَدِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى خِرَاسَانَ سَنَةَ
١٠٩ هـ بَعْدَ غَزْلِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقِسْرِيِّ (أمير العراق) وَكَانَ عَالِمًا بِأَهَامِ الْعَرَبِ وَأَنْسَابِهَا .

[انظر وفيات الأعيان ج ٧ ص ١٠٥ ، ١٠٨ ، والبدایة والنہایة لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٠ ، والکامل لابن الأثير
ج ٤ ص ٢٠٠ ، وإنباء الرواة ج ٢ ص ٣٦١ .]

(٣) هو : الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، وقد مر التعريف به .

(٤) في « ط » : فَقَالَ لَهُ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : فَقَالَ : فَخُذْ مِنْ ذَلِكَ « وسقط الضمير » أنا « قبلها .

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » ، وساقط من « م » .

(٧) هكذا البيت في « ط » ، وفي المستطرف .. وفي « م » : « لم يبلغ » . وزاد الناسخ ألقا في « الأقوام » سهواً
منه . والشطرة الأولى من البيت في العقد الفريد وأدب الدنيا والدين :

« لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ أَقْوَامَ وَإِنْ كَرُّوْا » .

[انظر المستطرف ج ١ ص ٤١٩ ، والعقد ج ٢ ص ٣٨ ، وفي المصدر الأخير « لا ، بدل « لن » .. وأدب الدنيا
والدين ص ٣٠٤ .]

(٨) هكذا البيت في « م » ، و « ط » ، والمستطرف .. ومُشْتَمَّةٌ : مُشْرِقةٌ . وفي العقد الفريد :

وَيُشْتَمُّوْا فَحَرَى الْأَلْوَانِ كَاسِفَةً لَا ذُلَّ غَضِبٍ وَلَكِنْ ذُلَّ أَخْلَامِ

وفي أدب الدنيا والدين : « صَفَحْ أَهْلَامِ » .. وكاسفة : متغيرة .

وَقَالَ آخَرُ :

وَجَهْلُ رَدَدَنَاهُ بِفَضْلِ حُلُومِنَا وَلَوْ أَتَيْنَا شَيْئًا رَدَدَنَاهُ بِالْجَهْلِ ^(١)
رَجَحْنَا وَقَدْ خَفَّتْ حُلُومُ كَثِيرَةٍ وَعُدْنَا عَلَى أَهْلِ السَّفَاهَةِ بِالْفَضْلِ

وَقَالَ هِشَامُ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ ^(٢) : صِفْ لِي الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ شِئْتَ أَخْبِرْتُكَ عَنْهُ بِثَلَاثٍ ^(٣) ، وَإِنْ شِئْتَ بِاثْنَتَيْنِ ، وَإِنْ شِئْتَ بِوَاحِدَةٍ .
فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْهُ بِثَلَاثٍ . قَالَ : كَانَ لَا يَحْرِصُ ، وَلَا يَجْهَلُ ، وَلَا يَدْفَعُ الْحَقَّ إِذَا
تَوَلَّى بِهِ ^(٤) . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِاثْنَتَيْنِ . قَالَ : كَانَ يُؤَيِّرُ الْخَيْرَ ، وَيَتَوَقَّى الشَّرَّ ^(٥) .
قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْهُ بِوَاحِدَةٍ . قَالَ : كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ ^(٦) . وَقَالَ أُنْكَمُ
ابْنُ صَيْفِي : الْعَلَبَةُ وَالْعَزُّ لِلْحِلْمِ .

وَقَالَ الْأَخْفَ [بْنُ قَيْسٍ] ^(٧) : وَجَدْتُ الْحِلْمَ أَنْصَرَ لِي مِنَ الرَّجَالِ .. وَصَدَقَ
الْأَخْفَ ، فَإِنَّ مَنْ حَلِمَ كَانَ النَّاسُ أَنْصَارَهُ . كَمَا رُيِيَ أَنَّ رَجُلًا اسْتَرْفَ فِي شَيْءٍ بَعْضِ
الْأُدْبَاءِ ، وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَحَمَى لَهُ ^(٨) بَعْضُ الْمَنَانِ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ،

(١) الحُلُوم : المقول ، جمع حِلْم ، وهو تقيض السُّقُوء .

(٢) هو : خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي الجُنْدِيُّ ، من فصحاء العرب المشهورين ، كان
بجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، وله مهمما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أبسر أهلها مالا ،
وعاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي ، وحظي عنده . وكان أقدر الناس على مدح الشيء وذمه .. توفي نحو سنة
١٣٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١١ ، ١٢ في ترجمة أبي بردة الأشعري ، والمعارف ص

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ومنهاج اليقين ص ١١٩ ، ١٢٠ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٢٤ وصفحات متفرقة] .

(٣) أى : بثلاث خلالٍ أو صفات أو مزايا .

[وانظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٧] .

(٤) في المرجع السابق : « كان لا يجهل ولا يخفى ولا يخل » .

(٥) في العقد : « كان مُوقِى الشَّرِّ ، مُلْقَى الْخَيْرِ » .

(٦) في المرجع السابق : « كان أقوى الناس على نفسه » .

(٧) ما بين المقوفين عن « ط » .

(٨) أى : منعه ودفع عنه .

أَلَا تُنْصِرُ لَكَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : وَلِمَ ^(١) ؟ قَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْجَلْمَ أَتْصِرُ لِي مِنَ الرِّجَالِ ، وَهَلْ حَامَيْتَ فِيَّ إِلَّا لِجَلْمِي ؟ وَقَالَ رَجُلٌ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِي : وَاللَّهِ لَا تُفَرِّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ : الْآنَ وَقَعْتَ فِي الشُّغْلِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اسْتِضَافَ قَوْمًا ^(٢) فَأَضَافُوهُ ، وَلَهُمْ كَلْبَةٌ تَنْبُحُ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَتُبُحُ ^(٣) صَيْفَ أَهْلِ اللَّيْلَةِ ، فَعَوَى جِرَاؤُهَا ^(٤) فِي بَطْنِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيًّا لَهُمْ ، أَوْ قِيْلًا مِنْ أَقْيَالِهِمْ ^(٥) ، فَقَالَ : مَثَلُ هَذَا مَثَلُ أُمَةٍ تَكُونُ بَعْدَكُمْ ، يَظْهَرُ سَفَهَاؤُهَا عَلَى حُلَمَائِهَا .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ : إِذَا كُنْتُمْ وَرَأَى الْأَوْغَادِ . قَالُوا : وَمَا رَأَى الْأَوْغَادِ ^(٦) ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَرَوْنَ الصَّنْفَحَ وَالْعَفْوَ عَارًا .. وَسُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الْجَلْمِ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِي تُصْبِرُ عَلَيْهِ ^(٧) ، وَلَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي صَبُورٌ . وَيُرْوَى أَنَّ الْمُهْلَبَ نَارَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ بَنِي تَمِيمٍ ، فَأَرَبَى ^(٨) عَلَى الْمُهْلَبِ ، وَالْمُهْلَبُ سَاكِتٌ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا سَبَّيْتُ ^(٩) اسْتَحْيَيْتُ مِنْ سُخْفِ السَّبَابِ وَغَلْبَةِ اللَّقَامِ وَالسُّفْلَةِ ، وَكَانَ إِذَا سَبَّيْتُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ ، وَشَمَخَتْ نَفْسُهُ ^(١٠) . بَانَ ظَفِيرُ يَفْضِلِ الْقُحَّةِ ^(١١) ، وَتَبَيَّدَ الْمُرُوءَةُ ، وَخَلَجَ رِيقَةُ الْحَيَاءِ ^(١٢) ، وَقَلَّتِ الْاِخْتِرَابُ بِسُوءِ النَّتَاءِ .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « أَلَا أَنْصِرُ لَكَ » . وسقطت أداة الاستفهام « وَلِمَ » منها .

(٢) استضاف قوماً : سألهم الضيافة .

(٣) في « م » : « أُنْبَحُ عَلَى » ، وكلاهما صواب .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « جِرَاؤُهَا » .

(٥) القَيْلُ : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . وقد مر .

(٦) قوله : « قَالُوا » : وما رأى الأوغاد « عن « ط » وساقط من « م » .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « هُوَ الَّذِي تُصْبِرُ عَلَيْهِ » . وفي العقد الفريد : « هو الذَّلُّ ، أَتْصِرُ عَلَيْهِ ؟ » قاله الأخنف لرجل طلب منه أن يعلمه الجلم .

(٨) أَرَبَى : زاد .

(٩) في « م » : « سَبَّيْتُ » تحريف .

(١٠) أَيْ : ارتفعت كثيراً وعظمت . وفي « م » : « سَمِعَتْ » أَيْ : لانت وسهلت . والأول أوجه .

(١١) الْقُحَّةُ : الخفاء ولؤم الطمع . وفي « م » : « يَنْهَلُ الْقُحَّةُ » .

(١٢) الرِّيقَةُ في الأصل : غُرُورَةٌ في خَيْلٍ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ لَوْ يَدُهَا تُمْسِكُهَا . والمراد هنا أنه تجاوز حدود اللياقة والأدب .

وَمَرَّ الْمَسِيحُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالُوا لَهُ شَرًّا ، وَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا ، فَقِيلَ لَهُ ^(٢) : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا ؟ فَقَالَ : كُلُّ يَتَقَفُّ مِمَّا عِنْدَهُ .. وَقَالَ أَكُنْتُمْ بَنِي صَيْفَى : مَنْ حَلَمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ ، وَكَفَّرَ النِّعْمَةَ لَوْمْ ، وَصَحْبَةُ الْجَاهِلِ شَوْمٌ ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ غُنَمٌ ، وَالْمُبَاشَرَةُ يُمَنُّ ^(٣) وَمِنْ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ بِقَبَائِحَ نَسَبَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللَّهُ لِي . وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا سَبْتَكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مَعَكَ - وَاللَّهِ - يَدْخُلُ لَامِعِي .. وَقَالَ رَجُلٌ لِلْأَخْخَفِ [بَنِي قَيْسٍ] ^(٤) : إِنْ قُلْتَ لِي كَلِمَةً ^(٥) لَتَسْمَعَنَّ عَشْرًا ^(٦) . فَقَالَ لَهُ الْأَخْخَفُ : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ [لِي] عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً ^(٧) .

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ الْأَخْخَفَ وَهُوَ يُعَاشِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَقَفَ الْأَخْخَفُ وَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ كَانَ يَبْقَى مَعَكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ هَاهُنَا ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَمِعَكَ فَيَتَيَّانَ الْحَيُّ أَنْ يُؤْذِرَكَ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : لَسْتُ ^(٨) أَذْخُلُ فِي حَرْبِ الْعَالِبِ فِيهِ ^(٩) شَرٌّ مِنَ الْمَغْلُوبِ . وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ ^(١٠) :

(١) ما بين المقوفتين عن « ط » .

(٢) « له » عن « ط » .

(٣) مُبَاشَرَةُ الْأَمْرِ : أَنْ تُخَضِّرَهُ وَتُلِيَّهُ بِنَفْسِكَ . وَالْيُمَنُ : الْخَيْرُ وَالْبَرَكَاتُ .

(٤) ما بين المقوفتين عن « ط » .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إِنْ قُلْتَ كَلِمَةً » .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « لِأَقُولَنَّ لَكَ عَشْرًا » .

(٧) ما بين المقوفتين عن « م » . وقوله : « لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً » كررها الناسخ سهواً .

(٨) في « م » : « مَا كُنْتُ » .

(٩) فيه : أَيْ فِي الْقِتَالِ . فَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ ، كَمَا هِيَ هُنَا .

(١٠) في « ط » : « وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ شَيْعَرًا » وَالْأَعْيُورَةُ وَرَدَتْ بِدُونِ الْفَاءِ ، خَطَأً . وَلَقِيْطُ هُوَ : لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّارِمِيِّ ، مِنْ تَمِيمٍ ، فَارِسٌ ، وَشَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ ، وَكُنْيَتُهُ « أَبُو دَعْشُوسَ » وَهِيَ بَنَتُهُ .

وَلَا عَقِبَ لَهُ غَيْرُهَا ، وَيُقَالُ لَهُ : أَبُو نَهْشَلٍ . قِيلَ يَوْمَ « شَيْبِ جَبَلَةٍ » فِي نَجْدٍ ، قَالَ يَأْقُوتُ : وَهُوَ يَوْمٌ بَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي عَامِرٍ بِنِ مَصْعَمَةَ ، مِنْ أَكْظَمِ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشَدِّهَا ، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهِ لِبَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ لَقِيْطُ رَئِيسَ تَمِيمٍ فِيهِ ، فَقَتَلَهُ عِمَارَةُ الْوَهَابِ الْمِصْبِيُّ ، وَقِيلَ : قَتَلَهُ شَرِيحُ بْنُ الْأَحْوَصِ سَنَةَ ٥٣ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

فَقُلْ لِّبَنِي سَعْدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ تُرْقُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْنَتِي^(١)
أَغْرَكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنَ مَثِيمَةٍ بَصِيرٍ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَحْدَقُ^(٢)
وَأَنَّكَ قَدْ سَابَقْتَنِي فَقَهَرْتَنِي هَيِّئَا مَرِيضًا أَنتَ بِالْفَحْشِ أَحْدَقُ^(٣)

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي ذَرٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَأَنْتَ الَّذِي تَفَاكُّ مُعَاوِيَةَ مِنَ الشَّامِ ؟ وَاللَّهِ^(٤) لَوْ
كَانَ فِيكَ خَيْرٌ^(٥) مَا تَفَاكَ . فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنْ وَرَأَيْتَ عَقَبَةَ كَكُودًا^(٦) ، إِنْ نَجَوْتُ
مِنْهَا لَمْ يَضُرَّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ لَمْ أُنْجُ مِنْهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا قُلْتَ .. وَقَالَ لَقَمَانُ لِأَبِيهِ :
يَا بَنِي ، ثَلَاثَةٌ لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا عِنْدَ ثَلَاثَةٍ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ الْغَضَبِ ،
وَلَا الشُّجَاعُ إِلَّا عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَلَا أَخُوكَ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .. وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ
الْحُلَمَاءِ^(٧) فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِيَّاكَ أَعْنَى . فَقَالَ الْحَلِيمُ^(٨) : وَعَنْكَ أَعْرَضُ . وَفِي
هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ جَلِيٍّ أَصَمُّ وَأَذْنِي غَيْرُ صَمَاءَ^(٩)

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٤ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧١٠ ، ٧١١ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ١٠٤ ،
وج ٣ ص ٣٤٧ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٩١٧ - ٣٩٤٩] .

(١) تُرْقُونَ مِنِّي : يَجْعَلُونَ مِنِّي رَقِيقًا ، أَيْ مَمْلُوكًا .
(٢) أَحْدَقُ فِي م : شَمَمَ بِصَوْرٍ ، تَحْرِيفٌ . وَالشَّيْمَةُ : الْخُلُقُ . وَأَحْدَقُ : أَكْثَرُ إِحَاطَةً . وَفِي « ط » : وَأَدَبَ الدُّنْيَا
وَالدِّينَ : « أَخْرَقَ » أَيْ : أَجْهَلَ .

(٣) فِي م : « مَرِيضًا » بَدَلُ « مَرِيضًا » . وَهُوَ مُصَدَّرٌ ، وَفِي اللِّسَانِ : هُنَا وَمُنَا : أَيْ ذَكَرَهُ الْمَهَائِيءَ وَالْأُمَامَى .
وَالْمُرَادُ بِهِ مَا يَحْضَرُ لِلْإِتِّمَانِ مِنْ أَحَادِيثِ النَّفْسِ وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ : « وَإِنْ
أَنْتَ قَدْ فَاحَشْتَنِي فَقَهَرْتَنِي » .

[انظر المرجع السابق ص ٣٠٥] .

(٤) لَفْظُ الْقَسَمِ عَنْ م ، وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(٥) فِي م : « خَيْرًا » ، بِالنَّصْبِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِالرَّفْعِ ، اسْمٌ لَكَانَ .

(٦) كَكُودًا : شَدِيدَةٌ صَعْبَةٌ . وَقَدْ وَرَدَتْ فِي م ، بِالرَّفْعِ . لَا تَصَحُّحٌ .

(٧) فِي « ط » : « الْحُكَمَاءُ » .

(٨) فِي « ط » : « الْحَكِيمُ » .

(٩) جَلِيٍّ أَصَمُّ : وَاسِعٌ لَا يَتَرَعَّزُ . وَالْبَيْتُ فِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ، فِي بَابِ الْجَلَمِ وَالْفُضْبِ ج ٣ ص ٢٨٤ ، وَفِي
أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ص ٣٠٧ ، وَهُوَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ لِقَاتِلِهِ .

وَقِيلَ يَوْمًا لِلْأَخْنَفِ : مَا أَطْلَمَكَ ! فَقَالَ : لَسْتُ بِحَلِيمٍ ، وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ ^(١) ، وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَأَجِمْ ^(٢) لَهَا ثَلَاثًا ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْ جَوَابِهَا إِلَّا الْخَوْفُ مِنْ أَنْ أَسْمَعَ
مَا هُوَ شَرُّ مِنْهَا .. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْجِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا كَانَ عِنْدَ السُّخْطِ لَا يَتَحَلَّمُ ^(٣)
كَمَا لَا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَا يَتَحَشَّمُ ^(٤)

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَبَّ جَعْفَرَ ^(٥) بْنَ مُحَمَّدٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَمَا مَا قُلْتَ مِمَّا
هُوَ فِينَا فَإِنَّا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ ، وَمَا قُلْتَ مِمَّا لَيْسَ فِينَا فَإِنَّا نَكِلُكَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .. وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا الْعُضْبَ ، قَرَّبَ غَضَبِ اسْتَحَقَّ الْغَضَبَانِ بِهِ غَضَبَ اللَّهِ تَعَالَى ..
وَقَالَ أَكْتُمُ بَنِي صَيْفَى : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ حَلِيمًا حَتَّى يَقُولَ السَّيِّئَةُ إِنَّهُ لَضَعِيفٌ مُسْتَذِلٌّ ،
وَلَا يَكُونُ مُخْلِصًا حَتَّى يَقُولَ الْأَخْمَقُ : إِنَّهُ لَمُفْسِدٌ .. وَمِنْ أَشْعَرِ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْجِلْمِ قَوْلُ
كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ ^(٦) :

(١) أَتَحَالَمُ : أْتَظَاهِرُ بِالْجِلْمِ .

(٢) فَأَجِمْ : أَسْكُتُ عَلَى غِيظِ .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. والشطر الثاني في العقد الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ لَمْ يَتَحَلَّمْ » .
[انظر المرجع السابق ج ٢ ص ١٤١] .

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » . ويتحشم ، بالخاء المعجمة ، أى : يتوقاه ويتجنبه . والشطر الثاني في العقد
الفريد : « إِذَا هُوَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَمْ يَتَحَشَّمْ » ويتحشم ، بالهمزة المعجمة : يَتَحَلَّمُ .
(٥) في « م » : « الْأَخْنَفُ » خطأ .

(٦) هو : كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المَضْرَبِ ، أحد فحول الشعراء المخضرمين من أهل نجد ،
وكان من أشهر في الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وظل يشبب بنساء المسلمين ،
فأهبط النبي دمه ، فجاءه مستأمنًا ، وقد أسلم ، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها : « بَانتِ سَعَادُ » ففقا عنه
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وخلع عليه بُرْدَتَهُ . وأسرته عريقة في الشعر ، فأبوه زهير بن أبي سلمى وأخوه بُجَيْرُ ،
وابنه عُبَيْة ، وحفيده العوام ، كلهم شعراء . توفي كعب في السنة السادسة والعشرين ٢٦ هـ تقريبًا .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٦ ، والأغاني ج ١٨
ص ٦٣٥٨ - ٦٣٧١ ، والمعمدة لابن رشيح ج ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، وأسد الغابة ج ٤٧٥ - ٤٧٧ ، وانظر مقدمة
ديوانه الذي حققه الأستاذ علي قاعود ص ٦٠] .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ ^(١)
وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : أَحْلَمُ مِنْ فَرْخِ طَائِرٍ ^(٢) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْقَضَبُ ^(٣)
عَدُوُّ الْعَقْلِ ، وَلِلَّذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ . وَقَالَ صَعَصَعَةُ بْنُ
صُوحَانَ : الْقَضَبُ مِقْدَحَةُ الْعَقْلِ ، فَرُبَّمَا أَصْلَدَ وَرُبَّمَا أُرْتَدَّ ^(٤) . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِذَا جَاءَ
الْقَضَبُ تَسَلَّطَ الْعَطَبُ ^(٥) وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ ^(٦) إِذَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ قَالَ :
سُبْحَانَ اللَّهِ ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ .. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : دَفَعَ أُرْدَشِيرُ ^(٧) إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَقُومُ
عَلَى رَأْسِهِ كِتَابًا ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا رَأَيْتَنِي اشْتَدَّ غَضَبِي فَأَذْفَعُهُ إِلَيْ ، فَكَانَ فِيهِ : أُسْكُنْ
فَلَسْتُ بِإِلَهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُكَ بَعْضًا ، وَتَصِيرَ عَنْ قَرِيبٍ لِللُّثُودِ
وَالْتَرَابِ . وَهَذِهِ السِّيرَةُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّهَا مَلِكٌ ثُبَيْجٌ ، أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي كِتَابٍ ، أُسْكُنْ
فَلَسْتُ بِإِلَهِ ، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ : إِذَا غَضِبْتُ فَأَعْرِضْنِي عَلَى ، فَكَانَ إِذَا غَضِبَ عَرَضَهُ
عَلَيْهِ ، فَإِذَا قَرَأَهُ سَكَنَ غَضَبُهُ .

(١) هكذا البيت في «م» و«ط» والمستطرف .. وفي الديوان : «لَمْ تُقَصِّرْ» بدل «لَمْ تُعْرِضْ» .. وتقصير عن
الجهل : تكفُّ عنه .. والخَنَا : الفُحْشُ في القول وغيره .

[انظر الديوان ص ٨٠ ، والمستطرف ج ١ ص ٤١٩] .

(٢) قيل : ضُرب به المثل في الجلم لأنه يخرج من بضرة في أرفع موضع في الجبل ، ولا يتحول من مكانه حتى
يتوفر ريشه ويقوى على الطيران .

[انظر العقد الفرید ج ٢ ص ١٣٩] .

(٣) في «ط» : «إِنَّ الْقَضَبَ» .

(٤) اليقْدَحَةُ : حديدية الزُّنْدِ يُقْدَحُ بها لإشعال النار .. فربما أصلد : صَوَّتْ ولم يُورِ .. وربما أُرْتَدَّ : قدح .

(٥) العطب : الملاك والفساد .

(٦) في «ط» : «ابن عوان» خطأ .

وهو : عبد الله بن عون بن أَرْطَبَانَ ، المَرْزُوقِيٌّ بالولاء ، شيخ أهل البصرة ، كان إماماً في العلم ، ورأساً في العبادة ،
ومن حفاظ الحديث الثقات ، وأعلم أهل العراق بالسنة ، وكان يهجو ويركب الخيل ، أخذ عنه الثوري ، ويحيى
القطان ، وغيرها .. قال عنه ابن المبارك : ما رأيت أفضل من ابن عون . توفي رحمه الله في رجب سنة ١٥١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، والمعارف ص ٤٨٧ ، ٤٨٨] .

(٧) في «م» : «أُرْدَشِير» .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ، فَإِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ كَظَمَ ، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَى ^(١) ، وَإِذَا وَعَدَ أُنْجَزَ .. وَفِي الْحِكْمَةِ مَكْتُوبٌ : [مَنْ أَطَاعَ الْوَاسِيَّ ضَيَّعَ الصِّدْقَ وَ] ^(٢) مَنْ أَطَاعَ الْغَضَبَ حُرِمَ السَّلَامَةُ ، وَمَنْ عَصَى الْحَقَّ غَمَرَهُ الدُّلُّ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : كَظَمُ الْغَيْظِ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، وَالتَّشَفُّي ضَرْبٌ مِنَ الْجَزَعِ . وَقَالَ آخَرُ : أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٤) : إِذَا غَلَبَ عَلَى الرَّجُلِ أَرْبَعُ خِصَالٍ فَقَدْ عَطِبَ : الرُّغْبَةُ ، وَالرُّهْبَةُ ، وَالشَّهْوَةُ ، وَالْغَضَبُ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ : إِنَّ فَلَانًا يَقَعُ فِيكَ ، فَقَالَ : لَا غِيظَنَ مِنْ أَمْرِهِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَهُ ، قِيلَ لَهُ : وَمَنْ أَمْرُهُ ، قَالَ : الشَّيْطَانُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ : إِنِّي مَرَزْتُ بِفُلَانٍ وَهُوَ يَقَعُ فِيكَ ^(٥) وَتَذْكُوكَ بِأَشْيَاءَ رَاحِمَتِكَ مِنْهَا : قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ ^(٦) : فَإِيَّاهُ فَارْحَمْ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : ثَلَاثَةٌ لَا يُلَامُونَ عَلَى الْغَضَبِ : الْمَرِيضُ ، وَالصَّائِمُ ، وَالْمُسَافِرُ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَقَدْ تَعَلَّمْتُ الْحِلْمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِي ^(٧) .. إِنِّي لَجَالِسٌ ^(٨)

(١) اسْتَغْفَى : طَلَبَ الْعَفْوَ ، أَوْ طَلَبَ مِنْ مُكَلِّفِهِ أَنْ يُسْقِطَ عَنْهُ تَكْلِفَهُ ، إِذَا أَسَاءَ فِيمَا كُتِّفَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْذِفِينَ عَنْ (م) وَمَاقِطٍ مِنْ (ط) .

(٣) فِي (م) : « الْحُكَمَاءُ » .

(٤) فِي (م) : « الْحُلَمَاءُ » .

(٥) يَقَعُ فِيكَ : يَسْبُكُ وَيَغْتَابِكُ .

(٦) الْفَعْلُ « قَالَ » عَنْ (م) وَلَمْ يَرِدْ فِي (ط) .

(٧) هُوَ : قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بْنِ سَيَانَ الْيَنْقَرِيُّ السَّعْدِيُّ الْقَهْمِيُّ ، أَبُو عَلِيٍّ ، أَحَدُ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ وَعُقْلَاهُمُ الْمُوصُوفِينَ بِالْحِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا اشْتَهَرَ وَسَادَ فِي الْمَجَاهِلِيَّةِ ، وَهُوَ يَمُنُّ حَرَمَ الْخَمْرِ عَلَى نَفْسِهِ فِيهَا . وَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي وَفْدِ تَمِيمِ سَنَةِ ٩ هـ فَاسْلَمَ ، وَقَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَاهُ : هَذَا سَيِّدُ أَهْلِ الزَّوْبَرِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى صِدَقَاتِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ لَهُ ٣٣ وَلَدًا . نَزَلَ الْبَصْرَةَ فِي أَوَّلِ خَرَابِهَا وَمَلَّتْ بِهَا سَنَةَ ٢٠ هـ . [انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦ ، وأسَدُ الْغَايَةِ ج ٤ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ ، وَالْمُهَرِّرُ ج ١٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وَانظر

مَجَالِسُ ثَعْلَبٍ ج ١ ص ٢٩ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٣٠١] .

(٨) فِي (ط) : « إِنِّي لَجَالِسٌ » .

مَعَهُ فِي فِتَاءٍ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا إِذْ جَاءَتْ ^(١) جَمَاعَةٌ يَحْمِلُونَ قَتِيلًا ، وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مَأْمُورٌ ،
فَقِيلَ لَهُ : هَذَا ابْنُكَ قَتَلَهُ أَخُوكَ ^(٢) فَوَاللَّهِ مَا قَطَعَ حَدِيثَهُ وَلَا حَلَ حَبْوَتَهُ ^(٣) حَتَّى قَرَعَ مِنْ
مَنْطِقِهِ ^(٤) ثُمَّ أُنْشِدَ :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ ثَانِيًا وَتَعَزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ ^(٥)
كِلَاهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي ^(٦)
ثُمَّ التَفَتَ ^(٧) إِلَى بَعْضِ وَلَدِهِ فَقَالَ : قُمْ فَأَطْلِقْ عَمَّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَسُقْ إِلَى أُمِّهِ
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَإِنَّهَا غَرِيَّةٌ .

وَمِنْ أَتْبَلِ نِسَبٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، قَوْلٌ بَعْضُهُمْ :
فُصِّحَ بِالْخَيْرِ خُرُسٌ بِالْخَنَا رُجِحَ الْأَحْلَامُ ذِيَالُ الْأَزْرِ ^(٨)
وَقَالَ : آخِرُ ^(٩) :

بِأَحْلَامٍ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسَهُمْ إِذَا نَطَقَ الْعَوْرَاءُ عُرْبُ لِسَانٍ ^(١٠)

(١) في « ط » : « جَاءَتْ » .

(٢) هكذا في « م » و « ط » والمستطرف .. وفي رواية أخرى : « قيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك » .
[انظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦ وعيون الأخبار ص ٢٨٦] .

(٣) الحَبْوَةُ : الاحْتِباء ، وهو الجلوس على التَّيِّهِ وَضَمَّ فَيَحْدِيهِ وَسَاقِيهِ إِلَى بَطْنِهِ بِذِرَاعِهِ لِيَسْتَقِدَّ . « مثقلة الحاء » .

(٤) في عيون الأخبار ، والعقد الفريد - باختلاف يسير في لفظه : « حتى قرع من كلامه ، ثم التفت إلى
ابن له في المجلس ، فقال له : قُمْ فَأَطْلِقْ عَن ابْنِ عَمِّكَ ، وَوَارِ أَخَاكَ ، وَاحِلْ إِلَى أُمِّهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فَإِنَّهَا غَرِيَّةٌ ، ثُمَّ
أَنْشَأَ يَقُولُ ... » وذكر أحيانا أربعة ، ليس من بينها هذان البيتان . وقد وردا في المستطرف ج ١ ص ٤٠٦ .

(٥) في المستطرف : « أقول للنفس تصميرا » .

(٦) تَخَلَّفَ : عَيَّوَضَ .

(٧) في « م » : « انطلق » .

(٨) فُصِّحَ : جمع فصيح ، كقضييب وقضييب .. رُجِحَ الْأَحْلَامُ : حقولهم ناضجة مكتملة .. ذِيَالُ : طويل الذيل .
وَالْأَزْرُ : جمع إزار . وَذِيَالُ الْأَزْرِ : كتابة عن اليمنى .

(٩) في « ط » : « وقال غيره » .

(١٠) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل .. وقد ورد في كتاب الأمالي ، لأبي علي القالي : « أحلام
عادي ، ببنون الباء ، وبهذه الرواية يكون قد دخله الحزم ، وهو حذف الفاء من « فعلن » .. والأحلام :
الأجسام ، وأضافها إلى عاد لأنهم كانوا ضخام الأجسام .. والقَوْرَاءُ : المعالي الغامضة المبهمة .. عرب لسان : لسان
عربي فصيح . وفي الأمالي : « عَرَبُ لِسَانٍ » أي : في لسانه جِدَّةٌ ، والأول أَوْجَه .

إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يُخْشَ سُوءَ اسْتِمَاعِهِمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِحُسْنِ بَيَانٍ ^(١)

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمٌ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةٌ مَنْ لَمْ يَرُدِّ الْقَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةٌ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ تَعَالَى ؟ وَقِيلَ لِلْمُسْكَنْدَرِ : إِنْ فَلَانًا وَفَلَانًا يَتَّقَصَانِكَ وَيُثْلِبَانِكَ ^(٢) فَلَوْ عَاقَبْتَهُمَا . فَقَالَ : هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْدُوٌّ فِي ثَلَاثِي وَتَنْقِصِي .

وَيُرْوَى أَنَّ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) بَيْنَمَا هُوَ رَاكِبٌ قَدْ أُرْدَفَ ابْنُهُ ^(٤) إِذْ لَقِيَهِ رَجُلٌ فَقَالَ مِنْهُ ، وَجَرِيرٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ [لَهُ] ^(٥) ابْنُهُ :

يَا أَبَتِي ، لِمَ سَكَتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : يَا بَنِي ، أَفَأَوْسَعُ جُرْحِي ؟ ! وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٦) :

مَتَى أَشْفَى غِيظِي ؟ أَجِبْنِ أَقْبَلُ فَيَقَالَ : لَوْ عَفَوْتُ ؟ أَمْ جِبْنٌ أَعْجَلُ فَيَقَالَ : لَوْ صَبِرْتُ ؟ وَسُئِلَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْأَخْفِ : أَكَانَ الْأَخْفُ يَغْضَبُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، لَوْ لَمْ يَغْضَبْ مَا بَانَ جِلْمُهُ ، كَانَ يَغْضِبُهُ الشَّيْءُ يَبِينُ فِي رَجْهِهِ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَهُوَ يَصْبِرُ وَيَحْلُمُ ^(٧) . وَمَنْ لَمْ يَغْضَبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِثْلُهَا يَغْضَبُ فَقَدْ فَقَدَ مِنَ الْفَضَائِلِ الشُّجَاعَةَ وَالْأَنَفَةَ ، وَالْجَمِيَّةَ وَالِدَّفَاعَ ، وَالْأَخْذَ بِالثَّأْرِ ، وَالْعِزَّةَ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تَتَأْتِي

(١) في الأمال : « لَمْ تُخْشَ » . و « م » : « أُوْدَى » بدل « أَدَّوْا » لا تصح .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٨ ط دار الجيل] .

(٢) يَثْلِبَانِكَ : يعيبانك .. وبعدها في « م » و « ط » : « فلو عاقبتهم . فقال : هم ... » .

(٣) هو : جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، أبو عمرو ، أسلم في السنة التي توفي فيها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الصورة ، قال عنه عمر بن الخطاب : « جرير » يوسف هذه الأمة ، لحسنه . وهو سيد قومه ، أثره عمر بن الخطاب على « بحيلة » .. وأقام جرير بالكوفة ، واعتزل « علياً » و « معاوية » . وتوفي بقرقيشاء . وقيل : بالسرقة سنة ٥١ أو ٥٤ هـ .

[انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، والمعارف ص ٢٩٢ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٣ ،

١٤٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١١٥ ، ١١٦ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٥٠٢] .

(٤) أَى : أَرْسَلَهُ خَلْفَهُ .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « م » : « الْحُلَمَاءُ » باللام ، وقد ورد هذا القول في « عيون الأخبار » على لسان عمر بن عبد العزيز .

[انظر المرجع السابق ص ٢٩٠] .

(٧) وَيَحْلُمُ : عن « ط » ولم ترد في « م » .

الْعَضَبُ ، وَمَنْ ^(١) فَقَدْ الْعَضَبَ فَقَدْ أَضَى الْفَضَائِلَ - عَلَى مَا سَنَذَكُرُ فِي بَابِ الشَّجَاعَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَعِنْدَ فَقْدِ الشَّجَاعَةِ تَكُونُ الْمَهَانَةُ ، وَمِنْ الْمَهَانَةِ يَكُونُ ^(٢) سَفْسَافُ الْأَخْلَاقِ ، وَزْدَالَةُ الطَّبَاعِ ، فَلَا ^(٣) يَبْقَى لِسَائِرِ فَضَائِلِهِ مَوْقِعٌ . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ لَمْ يَعْضَبْ فَلَيْسَ بِحَلِيمٍ ، لِأَنَّ الْحَلِيمَ إِنَّمَا يُعْرِفُ عِنْدَ الْعَضَبِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ ^(٤) الْجَاهِلُ حَصَمٌ ، وَالْحَلِيمُ حَاكِمٌ . قَالَ الشَّافِعِيُّ : مَنْ اسْتَعْضِبَ فَلَمْ يَعْضَبْ فَهُوَ حِمَارٌ ، وَمَنْ اسْتَرْضَى فَلَمْ يَرْضَ فَهُوَ جَبَّارٌ . وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٥) يَعْضَبُ ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَعْضَبُ ^(٦) لَا لِنَفْسِهِ ، بَلْ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ رَبِّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَامَدَحَ مَنْ لَا يَعْضَبُ وَإِنَّمَا مَدَحَ مَنْ كَظَمَ الْغَيْظَ ، فَقَالَ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ ^(٧) .

وَأَنْشَدَ ^(٨) النَّابِغَةُ الْجَعْفِدِيُّ ^(٩) بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١٠) :

(١) في م : : : : فَنَنْ .

(٢) في م : : : : تَكُونُ . : : : : والسَّفْسَافُ : الرديء الخفير من كل شيء وعمل .

(٣) في م : : : : وَلَا .

(٤) في م : : : : : : : : : : وكان الشعبي يقول .

(٥) في ط : : : : : : : : : : عليه السلام .

(٦) في م : : : : : : : : : : يعضب الله .

(٧) سورة آل عمران - من الآية ١٣٤ .

(٨) في ط : : : : : : : : : : وقد أنشد .

(٩) هو : قيس بن عبد الله بن عَدَس بن ربيعة الجَعْفِدِيُّ العامِرِيُّ ، أَبُو لَيْلَى ، شاعر مفلح ، وصحابي من المعمرين ، وقيل : إنه لما أنشد هذين البيتين - اللذين معنا - للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال له : لَا يَعْضَبُ اللَّهُ فَاكُ ، فمأش مائة وعشرين سنة لم يسقط له سن ولا ضرر ... وكان ممن اشتهروا في الجاهلية ، وسُمِّيَ « النَّابِغَةُ » لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فقال له .. وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام ، ثم وفد على النبي . صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ، وأدرك « صِفَيْنَ » وشهدهما مع « علي » رضي الله عنه . توفي - رحمه الله - نحو سنة ٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩١ - ٢٩٣ ، وأمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٥ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٣٩ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والأغاني ج ٥ ص ١٦٤٥ - ١٦٧٨] .

(١٠) في م : : : : : : : : : : صلى الله عليه وسلم .

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تُخِمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا ^(١)
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا ^(٢)
فَلَمْ يَتَكَبَّرِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ اسْتَمْتَعَ سَفِيهَا وَيَقُولُ ^(٣) :
أَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ عَنِّي .

وَأَعْلَمُوا - أُرْشِدَكُمُ اللَّهُ - أَنْ أَحْسَنَ حِصَالِ الْمُلُوكِ وَأَجْلَهَا قَدْرًا - وَهِيَ حِلْيَةُ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَيْسَتْ ^(٤) الْأَصْفِيَاءِ ، وَحَمَالُ السُّوقَةِ وَالرُّؤَسَاءِ ، وَأَعْظَمُهَا فِي النَّفْسِ مَوْقِعًا ،
وَأَعْمُهَا عَلَى الرُّعَايَا نَفْعًا ، وَأَخْلَدُهَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ذِكْرًا ، وَأَجْمَلُهَا فِي الْمَحَافِلِ
وَالْمَحَاسِنِ نَشْرًا ، وَهِيَ الْفَضِيلَةُ الَّتِي تُعَمُّ سَائِرَ الْفَضَائِلِ ، وَتَكْمُلُ بِهَا سَائِرُ الْمَحَاسِنِ
- الْحِلْمُ ^(٥) . وَهَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَقْضِي مِنْهُ ^(٦) الْعَجَبُ .

هَذِهِ ذَوْلَةُ آلِ الْعَبَّاسِ ، أَوَّلُهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ
أَحْلَمُ ^(٧) مِنَ الْمَأْمُونِ ، بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَالِي لَفِي لَذَّةِ الْعَفْوِ مَا
تَقَرَّبُوا إِلَيَّ إِلَّا بِالْجَرَائِمِ ، فَعَمَّ ^(٨) حِلْمُهُ سَائِرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، حَتَّى صَارَ يُضْرَبُ
الْمَثَلُ بِحِلْمِهِ ^(٩) ، وَبِهَذِهِ الْخَصْلَةِ تَهَيَّأَ مُلْكُهُ وَقَهَرَ أَخَاهُ الْأَمِينَ ^(١٠) .

(١) هكذا البيت في « ط » والشعر والشعراء والمقدد الفريد .. وفي « م » والأغاني وأسد الغابة وأدب الدنيا
والدين : « يكن » بالياء .. وجاء الفعل « يُكْذَرَا » بالياء في جميع المصادر السابقة ما عدا « م » ، فقد جاء بالناء
« يُكْذَرَا » .

(٢) الوُرْدُ في اللغة خلاف الصُّلْب . يقال : وَرَدَ الْمَاءُ : إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ . وَصَبَرَ عَلَى الْمَاءِ : إِذَا رَجَعَ عَنْهُ .

(٣) في « م » : « يقول » - بدون واو قبله .

(٤) الْبُسْتَةُ : مَا يُهَيَّئُ .

(٥) هكذا في « ط » .. والجلم : خير ، أن ، المتقدم .. وفي « م » : « وهي الحلم » .

(٦) في « ط » : « فيه » . و « ما » هنا نافية .

[انظر المعجم الوسيط — مادة « قضى »] .

(٧) في « ط » : « أَجَلٌ » .

(٨) في « ط » : « فاق » .

(٩) في « م » : « يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ الْمَثَل » .

(١٠) هو : الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد ، وُلِدَ في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ ، وبيع بالخلافة بعد
وفاة أبيه سنة ١٩٣ هـ بم عهد منه ، وكان « المأمون » ولَّى العهد من بعده ، وفي سنة ١٩٥ هـ أعلن « الأمين » =

وَمِنْهَا دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْلَهُمْ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَآخِرُهُمْ مَرْوَانَ الْجَعْفَرِيُّ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنْ مُعَاوِيَةَ لَا جَرَمَ ^(١) ، ذَاتَ لَهُ الدُّنْيَا ، وَمَلَكَ ^(٢) بِهَا رِقَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَصَارَ جِلْمُهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ^(٣) وَيَقْتَدَى بِهِ الْخَلْقُ ، وَيَتَخَلَّقُ بِهِ الْعُقَلَاءُ ، حَتَّى حُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ خَيْطٌ عَنكَبُوتٍ ، أَوْ شَعْرَةٌ ، مَا انْقَطَعَتْ ، إِذَا جَذَبُوا أُرْسَلْتُ ، وَإِذَا أُرْسَلُوا جَذَبْتُ .

وَهَذِهِ دَوْلَةُ الْفُرْسِ ، وَكَانَتْ أَغْظَمَ دَوْلِ الْأَرْضِ وَأَشَدَّهَا بَأْسًا ، وَأَكْثَرَهَا عُلُومًا وَحِكْمًا ^(٤) ، لَمْ يَكُنْ فِي أَكَاسِرِهَا أَحَدٌ مِنْ كِسْرَى أَوْ شِيرَوَانَ ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَلُ ، وَتُطَرِّزُ بِسِمَرِهِ الْكُتُبُ وَالْمُصَنَّفَاتُ ، فَيُرَوَّى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ كَبِيرًا مِنْ كُبَرَاءِ فَارِسَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْمَدُ خِصَالِ مُلُوكِكُمْ ، فَقَالَ : السَّبْقُ لِشِيرَوِيهِ ، وَأَحْمَدُهُمْ سِيرَةُ أَوْشِيرَوَانَ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : وَمَا كَانَ أَغْلَبُ خِصَالِهِ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ . قَالَ عَلِيٌّ : هُمَا تَوَامٌ يَنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ .. وَتَلَعٌ مِنْ جِلْمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَضِيقُ صَدْرُهُ بِجِلْمِهِ فَقَالَ : فَيُحْصَلَتَانِ ، لَوْ لَا أَنَّهُمَا ظَاهِرَتَانِ عِنْدَ الرُّعْيَةِ لَضِيقَتْ بِهِمَا ^(٥) ذَرَعًا : الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ .

فَأَخْلَقَ بِخِصْلَةٍ تَعْمُ مَنْفَعَتُهَا ، وَيَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ جَمَالُهَا ، وَتَحُلِدُ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْعُقَلَاءِ ^(٦) وَالْمُلُوكِ وَالسُّوْقَةِ بَهْجَتُهَا وَحُسْنُ مَصَادِرِهَا وَمَوَارِدِهَا ، أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُلُوكُ

= خلع أخيه المأمون ، من ولاية العهد ، وقام النزاع بين الأمين والمأمون إلى أن قُتل الأمين سنة ١٩٨ هـ ، وكان سعى التدبير ، كثير التدبير ، منصرفاً إلى النهو وبجاسة الندماء .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٢٧ ، وفوات الوفيات ج ٤ ص ٤٦ - ٤٨ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٦ - ٣٤٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٣٥٥ - ٣٦٤] .

(١) لَا جَرَمَ : حقاً .. وفي « ط » : « وَلَا جَرَم » بالواو قبلها .

(٢) فِي « م » : « وَفَهَر » .

(٣) فِي « م » : « وَصَارَ يُضْرَبُ بِجِلْمِهِ الْمَثَل » .

(٤) فِي « م » : « وَحِلْمًا » .

(٥) فِي « م » : « بِهَا » خطأ من الناسخ .

(٦) فِي « م » : « فِي الْعُقَلَاءِ وَالْعُلَمَاء » .

شِعَارًا وَدِنَارًا ، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ الْحُكَمَاءَ مِنَ الْمُلُوكِ خَاصَّةً ، وَأَمَّا ^(١) مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ
الرُّعِيَّةِ - كَالْأُخْنَفِ وَنُظَرَائِهِ - فَلَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً .

(١) في ط : ، ، فَأَمَّا ، .

الباب التاسع والعشرون

فيما يسكن به الغضب (٥)

فَأُولَٰئِكَ أَتُكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ تَغْيِيرِ اسْتِكَانِكَ (١) ، وَتَبْدِيلِ صُورَتِكَ ، وَاحْتِمَارِ وَجْهِكَ ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِكَ ، وَذَهَابِ جَنَانِكَ (٢) ، وَسَقَطِ كَلَامِكَ ، وَفُحْشِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ ، لَأَمْسَكَتَ عَنِ الْغَضَبِ ، وَلَطَالَمَا كُنْتَ تَسْتَجِي أَنْ تَتَكَلَّمَ [بَيْنَ يَدَيِ الْجُلَسَاءِ] (٣) بِالْيَسِيرِ الْجَائِزِ ، فَعَمَدْتَ تَهْدُرُ (٤) بِالْكَثِيرِ الْفَاجِشِ ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ غَضِبَ اسْتَذَكَرَ إِذَا صَحَا وَسَكَنَ ، عَزَّ بِهِ (٥) انْقِلَابُ صُورَتِهِ ، وَتَغْيِيرُ وَجْهِهِ ، وَاضْطِرَابُ شَفَتَيْهِ ، وَازْتِعَادُ أَطْرَافِهِ ، وَسَقَطُ كَلَامِهِ ، وَفُحْوَىٰ خَطَايِهِ ، وَالتِّفَافُ لِسَانِهِ ، وَخِفَةُ عَقْلِهِ ، وَطَيْشُهُ ، وَوُثُوبُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُ نِمِرٌ ، وَسُرْعَةُ التِّفَاتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا كَأَنَّهُ قِرْدٌ ، وَعَدَمُ فَهْمِهِ لِمَا يَسْمَعُ ، وَقِلَّةُ التِّفَاتِهِ إِلَىٰ مَنْ يَعْظُهُ وَيَنْصَحُهُ كَأَنَّهُ أُخْمَقٌ .

(٥) في « ط » : : فيما يسكن الغضب .

(١) استكانتك : هذولتك ووقارك . وفي « ط » : : أشكالك .

(٢) الجنان : القلب . والأوداج : ما أحاط بالفتق من العروق .

(٣) ما بين المعرفين عن « ط » .

(٤) تهذر ، بضم الدال المهملة وبكسرهما : تنطق وتصوت .

(٥) عزَّ به : اشتد وشق عليه .. وفي « ط » عزَّز به ، لعله يريد عزَّز به ، بمعنى : عرضه للهلكة .

وَمِنْ شُؤْمِ الْغَضَبِ وَعَظِيمِ بِلْيَتِهِ أَنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ النَّفْسَ ، وَيَسْلُبُ الرُّوحَ . وَكَانَ سَبَبُ مَوْتِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ كَلَامٌ ، فَعَجَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ فَقَالَ : يَا مَن يَلْحَقُ أُمُّهُ ^(١) فَفَتَحَ فَاهُ لِجَنِيهِ ، وَإِذَا بِجَنِيهِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَأَتَسَكَ عَلَى فِيهِ وَرَدَّ كَلِمَتَهُ وَقَالَ : يَا بَنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخُوكَ ، وَمَا مَلِكٌ ، وَلَهُ السُّنُّ عَلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَبَا حَنْصَفٍ فَتَلْتَنِي ! قَالَ : وَمَا صَنَعْتُ [بِكَ] ^(٢) ؟ قَالَ : رَدَدْتُ فِي جَوْفِي ^(٣) آخَرَ مِنَ الْجَمْرِ .. وَمَالَ لِجَنِيهِ فَمَاتَ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ يَزِيدُ ^(٤) عَلَى الْحَقِّ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ ^(٥) يَتَّقِلُ مِنَ الْحَالَةِ ^(٦) الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا .. كَانَتْ الْفَرَسُ تَقُولُ : إِذَا غَضِبَ الْقَائِمُ فَلْيَجْلِسْ ، وَإِذَا كَانَ جَالِسًا فَلْيَقُمْ ، وَبِهَذَا الْمَذْهَبِ كَانَ يَأْخُذُ الْمَأْمُونُ نَفْسَهُ . وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقِسْمَةَ ، فَقَالَ : اطْلُعْ فِي الْقُبُورِ ، وَاعْتَبِرْ بِالشُّورِ . وَكَانَ بَعْضُ مُلُوكِ الطُّوَايِفِ إِذَا غَضِبَ الْقَيَّ بَيْنَ يَدَيْهِ مَقَاتِيحَ ثَرْبِ الْمُلُوكِ فَيَزُولُ غَضَبُهُ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ ^(٧) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ^(٨) يَعْْنِي : إِذَا غَضِبْتَ ، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَخَافَ [مِنْهُ] ^(٩) فَيَزُولُ غَضَبُهُ ..

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي : أَنَّهُ قَالَ لَهُ : « يَا بَنَ الْخُفَاءِ » . وَهُوَ سَبُّ .

[انظر المرجع السابق ص ٢٧١ ، ٢٧٢] .

(٢) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفَيْنِ عَنْ « ط » .

(٣) فِي « م » : « رَدَدْتُ فِيَّ » .. وَفِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ : « زِدْتُ فِي جَوْفِي » .

(٤) فِي « م » : « قَدْ يَزِيدُ » .

(٥) فِي « ط » : « أَنْ » .

(٦) فِي « م » : « عَنْ الْحَالَةِ » .

(٧) هُوَ : عِكْرِمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرَبَرِيُّ الْمَدَنِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، تَابِعِي ، أَصْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْتَفْسِيرِ وَالْمَغَازِي ، وَلِدَ سَنَةَ ٢٥ هـ ، وَطَافَ بِالْبِلَادِ ، وَرَوَى عَنْ زُهَاءٍ ثَلَاثِمِائَةَ رَجُلٍ ، مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ تَابِعًا . تَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٠٥ هـ وَكَثِيرٌ غَزَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، قَقِيلٌ : مَاتَ أَعْلَمَ النَّاسِ وَأَشْعَرُ النَّاسِ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٤ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٤٧ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ -

٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦ ، والمعارف ص ٤٥٥ -

٤٥٧ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦] .

(٨) سُورَةُ الْكَهْفِ - مِنَ الْآيَةِ ٢٤ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْزُوفَيْنِ عَنْ « ط » وَلَمْ يَرِدْ فِي « م » .

وَفِي التَّوْرَةِ : يَا بَنِي آدَمَ ، اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ اذْكُرَكَ حِينَ اَغْضَبَ ، وَلَا اُحْمَقْكَ ^(١) فِيمَنْ اُحْمَقُ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ نَفْرَةَ الْقُلُوبِ عَنْهُ ، وَسُقُوطَ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَ اُتْبَاءِ جَنَسِيهِ ، وَوَصْفَهُمْ لِمَقَابِحِهِ وَطَبِئِهِ وَسُخْفِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِزَوَالِ غَيْظِهِ .

وَمِنْهَا اَنْ يَذْكُرَ اِعْطَافَ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَاِنْطِلَاقَ الْاَلْسِنَةِ بِالنِّبَاءِ عَلَيْهِ ، وَمِثْلَ النَّفُوسِ اِلَيْهِ ، وَاَنَّ الْجَنَمَ عِزٌّ وَهَيْبَةٌ ، وَاَنَّ السُّفْهَ ذُلٌّ وَشَيْنٌ . رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، اَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : « مَا اَزْدَادَ رَجُلٌ بَغْوَ اِلَّا عِزًّا ، فَاَعْفُوا بِعُزْمِ اللَّهِ » ^(٢) .. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ يَذْكُرَ قُدْرَةَ اللَّهِ لَمْ يَسْتَعْمِلْ قُدْرَتَهُ فِي ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَكَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ كِتَابًا وَدَفَعَهُ اِلَى وَهْبِهِ وَقَالَ لَهُ ^(٣) : اِذَا غَضِبْتُ فَنَاقِلِيهِ ، وَفِيهِ مَكْتُوبٌ : مَا لَكَ وَلِلْغَضَبِ ، اِنَّمَا اَنْتَ بَشَرٌ ، اَرْحَمُ مَنْ فِي الْاَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. وَكَانَ مُعَاوِيَةُ كَثِيرًا مَا يَنْشِدُ ^(٤) :

اِنَّا اِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَانْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ ^(٥)

وَ اِغْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَابِهِمْ تَقْضَى بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ ^(٦)

(١) اَحْمَقَكَ : اَهْلَكَ .

(٢) فِي « م » : « فَاَعْفُوا يَعْفُوَكُمْ اللَّهُ » قَوْلُهُ : « يَعْفُوَكُمْ » تَصْحِيفٌ . وَالحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر ، باب استحباب العفو والتواضع ، ج ١٦ ص ١٤١ بشرح النووي ، وأخرجه الترمذی في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ج ٨ ص ١٨٤ بشرح ابن العري ، وأخرجه الدارمی في سننه في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ج ١ ص ٣٩٦ . ونص الحديث كاملاً عند الثلاثة : عن أبي هريرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ اِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ اِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » .

(٣) لَهُ : عَنْ « ط » .

(٤) فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ إِذَا جَلَسَ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ يَقُومُ السَّيَّافُونَ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ ، فَيَنْشِدُ .. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَأْمُرُ مَنْ يَنْشِدُ هَذِهِ الْآيَاتِ اِلْتِمَاسًا .. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ نَسَبُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِأَبِي الْحَقِيقِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَتَمَثَّلُ بِهَا . وَهِيَ مِنَ السَّرِيعِ .

[انظر البدایة ج ٩ ص ٦٩ والعقد ج ٥ ص ١٥٥] .

(٥) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « اِنِّي » بدل « اِنَّا » وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ : « نَالَتْ » بدل « مَالَتْ » .

(٦) فِي « م » : « فَاضِلٌ » بدل « فَاصِلٌ » . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ : « وَاصْطَرَّعَ » بدل « وَاعْتَلَجَ » وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « بَارَأَهُمْ » بدل « بَأَلَّيَاهُمْ » . وَفِي الْبَدَايَةِ وَالْعَقْدِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

نَحَافُ أَنْ نُسَفَّهُ أَخْلَامُنَا فَتَحْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَائِلِ ^(١)
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي إِلَى ذُلِّ الْعُذْرِ ^(٢) .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا مَا اعْتَرَّتْكَ فِي الْغَضَبِ الْعِزُّ هُ فَادْكُرْ تَذَلُّلَ الْإِعْتِدَارِ ^(٣)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَرَرْنَا عَلَى غَيْرِ الْفَوَاحِشِ قُمْصَنَا وَلَمْ نَسْتَجِزْ إِلَّا الَّذِي هُوَ أَجْوَرُ ^(٤)

وَقَالَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ مُحَارِبٍ لَهَاوُونَ الرَّشِيدِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْأَلُكَ
بِالَّذِي أَلْتَّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَذْلَ مَنَى بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَبِالَّذِي هُوَ أَقْدَرُ عَلَى عِقَابِكَ مِنْكَ عَلَى
عِقَابِي لَمَّا ^(٥) عَفَوْتَ عَنِّي . فَقَعَا عَنْهُ لَمَّا ذَكَرَهُ قُدْرَةُ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٦) عَلَيْهِ . وَقَالَ
رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ لِعَلِيِّ بْنِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَسَارَى ابْنِ الْأَشْعَثِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ
مَا تُحِبُّ مِنَ الظَّفَرِ ، فَأَعْطِ اللَّهَ تَعَالَى مَا يُحِبُّ مِنَ الْعَفْوِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ ، وَكَانَ مَعَ أَخِيهِ عَلَيْهِ : إِنِّي شَاوَرْتُ فِي
أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ ، إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قُدْرَكَ فَوْقَ ذَلِكِ ، فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلْإِيمِ

= لَا تَهْمَلِ الْهَاطِلَ حَقًّا وَلَا تَرْضَى بَدُونِ الْخَلْقِ لِلْهَاطِلِ

غير أن في البداية جاء : « نلفظ دون » بدل « نرضى بدون » .

(١) نُسَفَّهُ أَخْلَامُنَا : تطيش وتجهل عقولنا . والخاصل : الخفى الساقط الذى لا تباعة له . والشطرة الثانية في البداية
والنهاية : « شَجَّهَلُ الْحَقُّ مَعَ الْمَاجِلِ » .

(٢) الْعُذْرُ : الحجة التى يعتذر بها . وفى « م » : « والفدر » لا تصح .

(٣) هكذا البيت فى « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من الخفيف .. وفى « م » : « ومنهاج اليقين » : « وإذا
ما اعتراك » أى اعترضك وغشيك .

[انظر الباب الخامس - الفصل الرابع من أدب الدنيا والدين ص ٣١٢ ومنهاج اليقين ص ٤٢٧] .

(٤) الْقُمْصُ : جمع قميص ، وسكنت الميم لضرورة الشعر . والشطرة الأولى من البيت كتابة عن الطهارة وعدم
ارتكاب ما يشين النفس ، والثانية كتابة عن التسامح والعفو ، وسلوك أسهل طريق في المعاملة .

(٥) هكذا فى « ط » وأدب الدنيا والدين .. وفى « م » : « أما » تحريف . واللام هنا واقعة فى جواب الْقَسَمِ .

(٦) ما بين المعقوفين عن « م » .

حُرْمَتِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمُشِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ ،
إِلَّا أَنَّكَ أُبَيِّتَ أَنْ تَطْلُبَ النُّصْرَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عُوذْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ ،
وَأَنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ . وَأَلْشَأْ يَقُولُ :

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَأَ الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي فِيمَا فَعَلْتُ فَلَمْ تُعَذِّلْ وَلَمْ تَلُمْ ^(١)

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَذْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ ^(٢)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ ^(٣) : الْعَضْبُ عَلَى مَنْ لَا تَمْلِكُ عَجْزٌ ، وَعَلَى مَنْ تَمْلِكُ لُؤْمٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ مَا يَقُولُ إِلَيْهِ الْعَضْبُ مِنَ التَّدْمِ وَمَذَلَّةِ الْإِتِّقَامِ ، وَشُرُوعِ الْقَصَاصِ فِي
بَدَنِهِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرُدُّهُ مِنَ الْعَضْبِ ^(٤) .

(١) هكذا البيت في « ط » وأدب الدنيا والدين ، وهو من البسيط .. وفي « م » سقطت « ي » من الشطر
الأول ، سهواً من النسخ .. والشطر الثانية من البيت في العقد الفريد : « فِيمَا أَنَاكَ فَلَمْ تُقْبَلْ وَلَمْ تَلُم » . والمعنى :
أَنْ يَرْكَبَ فِي مَهْدٍ وَهِيَ لِي الْعُذْرَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ فَقَعَوْتُ عَنِ بَدُونِ تَأْيِيبِ أَوْلِيَمِ .

[انظر أدب الدنيا والدين ص ٣١٣ والعقد ج ٢ ص ١٩] .

(٢) في أدب الدنيا والدين بعد هذا البيت :

لَنْ جَعَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتُ بِهِ إِلَى نَفْسِ اللُّؤْمِ أَخْطَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
لَعَنُوا بَعْدِي وَتَسْطَرُوْا إِنْ سَطَرْتُ بِهِ فَلَا عِدْمَتَكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمٍ

(٣) في « م » : « الْحُكَمَاءُ » .

(٤) يَرُدُّهُ مِنَ الْعَضْبِ : يَنْجُو مِنْهُ .. وفي « م » : « يَرْفَعُهُ عَنِ الْغَضَبِ » أى : يجعله يتركه ويذهب فيه .

البَابُ الثَّلَاثُونَ

فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ (٥)

وَهَذِهِ - الْحَصْلَةُ - الْجَلِيلُ قَدْرُهَا ، الْعَظِيمُ مَوْفَعُهَا ، الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا (١) وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَأَسَاسُهَا (٢) وَتَاجُهَا وَجَمَالُهَا - نَعْنُو لَهَا الْوُجُوهَ ، وَنَذُلُ لَهَا الرِّقَابَ ، وَنَخْضَعُ لَهَا الْجَبَابِرَةَ ، وَنُسْتَرْقُ (٣) بِهَا الْأَحْرَارَ ، وَنُسْتَمَالُ بِهَا الْأَعْدَاءَ ، وَنُسْتَكْثُرُ بِهَا الْأَوْلِيَاءَ ، وَنَحْسُنُ بِهَا الشُّنَاءَ ، وَنُمْلِكُ بِهَا الْقُرَبَاءَ وَالْبَعْدَاءَ ، وَنَسُوْدُ بِهَا فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمُ الْقُرَبَاءَ .

وَهَذِهِ الْحَصْلَةُ بِالْعَزَائِمِ الْوَاجِبَاتِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْجَمَالِ وَالْمُتَمَمَّاتِ ، وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كَافِرٍ تَرَكَ دِينَهُ وَالْتَزَمَ دِينَ الْإِسْلَامِ ابْتِغَاءَ عَرْضِ قَلِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا يَنَالُهُ ، وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنْ مُسْلِمٍ ارْتَدَّ فِي أَرْضِ الشَّرِّكِ افْتِنَانًا يَبْسِيْرُ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا ، وَأَنْخَلِقُ بِحَصْلَةٍ يَتْرُكُ لَهَا الْإِنْسَانَ دِينَهُ الَّذِي يَنْذُلُ دُونَهُ نَفْسَهُ أَنْ تُكُونَ جَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، عَظِيمَةَ الْحَظَرِ . وَأَحْوَجُ خَلَقَ اللَّهُ إِلَيْهَا أَفْقَرَهُمْ إِلَى عَطْفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَصَرَفَ الْوُجُوهَ إِلَيْهِ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَالْوُلَاةُ .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » أضاف إلى العنوان سطرا من المتن إلى قوله : « الشَّرِيفُ مَوْرِدُهَا وَمَصْنَدُهَا » .

(١) في « م » : « مَصْنَدُهَا وَمَوْرِدُهَا » .

(٢) في « م » : « وَسَيَّاسُهَا » أَيْ : امْتلاك أُمُورَهَا .

(٣) في « م » : « نُسْتَرْقُ » .

وَأَعْلَمُوا يَامَعَشَرَ مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ آلاءُهُ وَنِعَمَاهُ ^(١) أَنَّهُ لَيْسَ فِي
الْجَنَّةِ « لا » ، وَحَسْبُكَ بِكَلِمَةٍ لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ سُقُوطاً وَضَعَةً ^(٢) ، وَإِنَّمَا أُنْشِئَتْ ^(٣)
الْجَنَّةُ عَلَى مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ .

وَهَذِهِ الْحَصْلَةُ - أَغْنَى الْكَرَمَ وَالْجُودَ ، وَالسَّخَاءَ وَالْإِنْفَارَ - بِمَعْنَى وَاحِدٍ .. يُوصَفُ
الْبَارِي تَعَالَى بِالْجُودِ وَلَا يُوصَفُ بِالسَّخَاءِ ، كَمَا يُوصَفُ بِالْعِلْمِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعَقْلِ ،
لِعَدَمِ التَّوْقِيفِ . وَحَقِيقَةُ الْجُودِ هِيَ أَنَّ لَا يَصْنَعُ عَلَيْهِ الْبَذْلُ . وَيُقَالُ : السَّخَاءُ هُوَ الرِّبْيَةُ
الْأُولَى ، ثُمَّ الْجُودُ ، ثُمَّ الْإِنْفَارُ ، فَمَنْ أُعْطِيَ الْبَقْضَ وَأَمْسَكَ الْبَقْضَ فَهُوَ صَاحِبُ
سَخَاءٍ ، وَمَنْ بَذَلَ الْأَكْثَرَ ^(٤) فَهُوَ صَاحِبُ جُودٍ ، وَمَنْ أَثَرَ غَيْرَهُ بِالْحَاضِرِ وَبَقِيَ هُوَ فِي
مُقَاسَاةِ الضَّرِّ فَهُوَ صَاحِبُ إِنْفَارٍ .

قَالَ ^(٥) ذُو النُّونِ ^(٦) : بِدَايَةِ السَّخَاءِ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي يَدَيْكَ ^(٧) ، وَنَهَايَتُهُ أَنْ
تَسْخُو نَفْسُكَ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَأَنْ لَا تَبْلَى مِنْ كُلِّ ^(٨) الدُّنْيَا . وَتَذَكَّرَ قَوْمٌ مِنْ

(١) في « م » : « وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعَمَاهُ » ، أي : أتم عليه الرِّفَافَةَ وطيب العيش .

(٢) الضُّعْفُ : الانْحِطَاطُ .

(٣) في « ط » : « أُسِّسَتْ » .

(٤) في « ط » : « الْأَكْبَرُ » .

(٥) في « م » : « وَقَالَ » .

(٦) في « م » : « ذَا النُّونِ » خطأً من الناسخ .

وهو : ذُو النُّونِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْرِيَّ ، أَبُو الْفَيْضِ ، وَيُقَالُ لَهُ : ثَوْبَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمْلِيَّ الْمَصْرِيَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ النَّوْبَةِ ،
وَهُوَ أَحَدُ الزُّهَّادِ الْعُبَّادِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، كَانَتْ لَهُ فَصَاحَةٌ وَحِكْمَةٌ وَشِعْرٌ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِمِصْرَ فِي
« تَرْتِيبِ الْأَحْوَالِ » ، وَمَقَامَاتِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ ، فَأَنكَرَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَاتَّهِمَهُ لَكَدَى الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيَّ
بِالزُّنْدَقَةِ . فَاسْتَحْضَرَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَعَظَهُ ، فَبَكَى الْمُتَوَكِّلُ ، ثُمَّ أَلْفَقَهُ وَرَدَّهُ إِلَى مِصْرَ مُكْرَمًا ، وَتَوَلَّى بِالْجِيزَةِ
سَنَةَ ٢٤٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢ ، وطبقات الصوفية ص ١٥ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥ ،
وج ١٠ ص ٤٠٣ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٠ - ٧٢ ، والرسالة القشورية ج ١ ص ٥٨ - ٦١ ، ووفيات
الأعيان ج ١ ص ٣١٥ - ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٩٣ - ٣٩٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٣٢ -
٥٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٢١٨ - ٢٢٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٢ مادة أنجم] .

(٧) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ » ، وَاسْتَأْنَى ، وَقَدْ سَقَطَ مَا بَيْنَهُمَا سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٨) في « م » : « أَكُلَ » .

مِنَ الرُّهَادِ عِنْدَ رَابِعَةِ الْعَدْوِيَّةِ ^(١) فَجَعَلُوا يَذْمُونَ الدُّنْيَا وَيُكْثِرُونَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ رَابِعَةُ :
مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَأَصْلُ السَّخَاءِ هُوَ السَّمَاحَةُ ، وَأَنْ يُؤْتِيَ مَا يُؤْتِيهِ عَنْ ^(٢) طَبِيعَةِ نَفْسٍ [وَالشِّرَاجُ صَدْرٌ] ^(٣) . وَقَدْ يَكُونُ الْمُعْطَى بِخِيَالًا إِذَا صَغَبَ عَلَيْهِ الْبَذْلُ ، وَالْمُمْسِكُ سَخِيًّا إِذَا كَانَ لَا يَسْتَصْنِعُ الْعَطَاءَ وَإِنْ مَنَعَ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَمَاؤُنَا : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ جَوَادًا وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ عَطَاءٌ فِي الْأَزَلِ ، لِأَنَّ الْعَطَاءَ فِعْلٌ ، وَالْفِعْلُ فِي الْأَزَلِ مُسْتَحِيلٌ .

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَيْهَا الْجَامِعُ ، لَا تُخْذَعَنَّ ، فَالْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ^(٤) ، وَالْمُتْرَكُ لِلْعَدُوِّ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(٥) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي . قَبِعَتِ النَّبِيُّ ﷺ ، إِلَى أَزْوَاجِهِ ، فَقُلْنَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَا يُطْعِمُكَ اللَّيْلَةَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .. فَحَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَقَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا ضَيْفُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَكْرِمِيهِ ،

(١) هي : رابعة بنت إسماعيل العلوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك البصرية ، سالحة مشهورة من أهل البصرة ، ومولداها بها ، ولها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر ، ومن كلامها : « اكموا حسناتكم كما تكمون سيئاتكم » . توفيت سنة ١٣٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٨ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ٧١ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٤٠ في ترجمة محمد بن إسماعيل الشكلى ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٤١ - ٢٤٣] .

(٢) في « ط » : « من » . « يؤتي » ، يُعْطَى ، من الإتياء .. « م » : « ما بقى مآتي » .

(٣) ما بين المقوفين عن « م » ، وساقط من « ط » .

(٤) المعاد : الحياة الآخرة .

(٥) سورة الحشر - من الآية التاسعة .

(٦) ما بين المقوفين عن « ط » .

(٧) في « م » : « بعثك بالحق نبيا » .

وَلَا تُدْخِرِي ^(١) عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوْتُ الصَّبِيَّةِ . فَقَالَ ^(٢) : قَوْمِي فَعَلَّيْهِمْ
عَنْ قُوْتِهِمْ ^(٣) حَتَّى يَمَامُوا ، ثُمَّ أَسْرَجِي وَأُبْرِزِي [العِشَاءَ] ^(٤) فَإِذَا أَخَذَ الضَّيْفُ يَأْكُلُ ،
قَوْمِي كَأَنَّكَ تُصْلِحِينَ السَّرَاجَ فَأَطِيعِيهِ ، وَتَعَالَى نَمُضْعُ السِّنْتِنَا لِضَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٥) .
فَفَعَلْتُ ، وَجَعَلَا يَمُضِعَانِ السِّنْتَهُمَا وَالضَّيْفُ يَظُنُّ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ ، وَهَاتَا طَاوِثَيْنِ ^(٦) ،
فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا ، تَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ ^(٧)
هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، وَنَزَلَتْ ^(٨) ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۖ ﴾ الْآيَةَ ^(٩) .

وَقَالَ أَنَسٌ : أَهْدَى لِنَعِضِ الصَّحَابَةِ رَأْسُ شَاةٍ مَشْوِيَةٍ ، وَكَانَ مَجْهُودًا ^(١٠) ، فَوَجَّهَ بِهِ
إِلَى جَارٍ لَهُ ، فَوَجَّهَ بِهِ الْجَارُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ آخَرَ ، فَتَدَاوَلَتْهُ سَبْعَةٌ ^(١١) أَيَّامٍ حَتَّى عَادَ إِلَى
الْأَوَّلِ ، فَتَزَلَّتْ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ الْعَدَوِيُّ : انْطَلَقْتُ يَوْمَ التَّرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّ لِي ، وَمَعِيَ شَيْءٌ مِنْ
مَاءٍ ، وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ ^(١٢) سَقَيْتُهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ بَيْنَ الْقَتْلَى ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟
فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : آوِ .. فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّ أَيْ انْطَلِقْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ

(١) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « وَلَا تُدْخِرِينَ » بالنون ، لا تصح . وفي الحديث الذي رواه البخاري : « لَا
تُدْخِرِيهِ » .

(٢) في (م) : « قَالَ » .

(٣) أي : اشغلهم وألهيهم عنه .

(٤) ما بين المعقوتين عن (م) . وأسرجي : حشني الطعام ، أو أوقدي السراج .

(٥) في (م) : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٦) طَاوِثَيْنِ : جالِثَيْنِ .

(٧) في (م) : « وَفُلَانٍ » .

(٨) في (م) : « وَنَزَلَ » .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ ج ٨ ص ٦٣١ من فتح
الباري .

(١٠) أي : فقيرًا مُفسِرًا .

(١١) في (م) : « سَبْعٌ » خطأ ، والصواب « سبعة » فاليبت مذكر في اللغة .

(١٢) الرَّمَقُ : بقية الروح .

العاصي^(١) قُلْتُ : أَسْفِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ : آو . فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ انْطَلِقَ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ »^(٢) بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ »^(٣) . وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَايِدِ الْبَخِيلِ »^(٤) . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « ابْنُ آدَمَ ، إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَقْبَلَيْتَ ، أَوْ أُعْطِيَتْ فَأَمْضَيْتَ »^(٥) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السَّخَاءَ عَلَى وَجْهِهِ : سَخَاءٌ فِي الدِّينِ ، وَسَخَاءٌ فِي الدُّنْيَا ، فَالسَّخَاءُ فِي الدُّنْيَا : الْبَذْلُ ، وَالْعَطَاءُ ، وَالْإِنْفَارُ ، وَسَمَاحَةُ النَّفْسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(٦) ، وَعَلَامَتُهُ تَرْكُ الْأَدْحَارِ ، وَبُخْضُ جَمْعِ الْمَالِ ، وَتَعَاهُدُ الْإِخْوَانِ^(٧) ، مَسْرُورًا قَلْبُهُ بِذَلِكَ . وَالسَّخَاءُ فِي الدِّينِ : أَنْ تَسْخُوَ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » - بعد قوله : قُلْتُ : أَسْفِيكَ ؟ - « فَأَشَارَ أَنْ نَعْمَ » وسقطت بعض الكلمات سهواً من الناسخ مما جعل العبارة لا تستقيم معنى .

وهشام هو : هشام بن العاص بن وائل بن هاشم ، صحابي ، وهو أخو عمرو بن العاص ، وأصغر سنّاً منه ، أسلم بمكة قديماً ، وهاجر إلى بلاد الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عاد إلى مكة حين بلغه هجرة النبي ، صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة ، يريد اللحاق به ، فحبسه أبوه وقومه بمكة ، فأقام إلى ما بعد وقعة الخندق ، ورحل إلى المدينة ، فشهد الوقائع وقُيِّل في أجنادهين سنة ١٣ هـ في خلافة أبي بكر ، وقيل : في الهرموك ، وكان - رحمه الله - شجاعاً صالحاً . [انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٣ و ص ٢٧١] .

(٢) عبارة « قريب من الجنة » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٣) عبارة « قريب من النار » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذی في أبواب البرّ والصّلة ، باب ما جاء في السخاء ، ج ٨ ص ١٤٠ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد ج ١٨ ص ٩٤ بشرح النووي ، والترمذی في أبواب الزهد ج ٩ ص ٢٠٧ بشرح ابن العرفی .

(٦) سبق تخريجها .

(٧) تعاهد الإخوان : تقدّمهم والاهتمام بأحوالهم .

بِنَفْسِكَ ^(١) .. أَنْ تُثْلِفَهَا فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُرِيْقَ دَمَكَ فِي اللَّهِ سَمَاحَةً مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ ^(٢) لَا تُرِيدُ بِذَلِكَ ثَوَابًا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا ، وَإِنْ كُنْتُ ^(٣) غَيْرَ مُسْتَعْنٍ عَنِ الثَّوَابِ ، لِأَنَّ الْعَالِبَ عَلَى قَلْبِكَ ^(٤) حُسْنُ كَمَالِ السَّخَاءِ ، بِتَرْكِ الْإِخْتِيَارِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَفْعَلَ اللَّهُ بِكَ مَا لَا تُحْسِنُ أَنْ تُخْتَارَهُ لِنَفْسِكَ .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنِ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ إِذَا سُئِلَ ، الْحَلِيمُ إِذَا اسْتُجْهِلَ ، الْكَرِيمُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَهُ ، الْحَسَنُ الْخُلُقِ ^(٥) لِمَنْ جَاوَزَهُ . وَقَالَ الثَّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمًا لِجُلَسَائِهِ : مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ عَيْشًا ، وَأَنْعَمُهُمْ بَالًا ، وَأَكْرَمُهُمْ طِبَاعًا ، وَأَجْلُهُمْ فِي النَّفْسِ قَلْبًا ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : أَيْبُتُ اللَّعْنِ ^(٦) ، أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَاشَ النَّاسُ فِي فَضْلِهِ . قَالَ : صَدَقْتَ .. وَقَالَ الْحَسَنُ : بَاعَ طَلْحَةَ [بْنُ عُثْمَانَ] ^(٧) أَرْضًا بِسَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمَالُ قَالَ : إِنَّ رَجُلًا يَبِيتُ هَذَا عِنْدَهُ لَا يَذَرِي مَا يَطْرُقُهُ لَعْرِيرٍ ^(٨) بِاللَّهِ .. ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُهُ يَخْتَلِفُ حَتَّى قَسَمَهَا ، وَمَا أَصْبَحَ عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ .

وَكَانَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ ^(٩) يَقُولُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أُرَدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ، لِإِنَّهُ إِنْ كَانَ

(١) في « ط » : « تسخو نفسك أن يثلفها الله تعالى » .

(٢) في « م » : « كراهية » .

(٣) في « م » : « وإن كان » .

(٤) في « م » : « على قلبه » .

(٥) في « م » : « الحسن المجاور » .

(٦) أَيْبُتُ اللَّعْنِ : من تحية الملوك في الجاهلية ، ومعناها : أَيْبُتُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تُلْعِنُ عَلَيْهِ .

(٧) ما بين المقوفين عن « ط » .. والحسن هو : الحسن البصري .. وطلحة هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان .. وكلاهما سبق التعريف بهما .

(٨) ما يطرقة : ما يحدث له . والغريز : مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالشَّيْءِ .

(٩) هو : أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حَصْنِ بْنِ حُلَيْفَةَ الْفَزَارِيِّ ، تَابَعِيَ مِنْ رِجَالِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْعِرَاقِ ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، جَوَادًا ، مُقَدِّمًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٦ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٠٥ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، والكمال لابن الأثير ، حوادث سنة ٦٦] .

كَرِيمًا أَصُونُ عِرْضَهُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَمَّا أَصُونُ عَنْهُ عِرْضِي . وَكَانَ مُورِثُ ^(١) الْعِجْلِي
يَتَلَطَّفُ فِي إِذْخَالِ الرَّفِيقِ عَلَى إِخْوَانِهِ ، فَيَضَعُ عِنْدَ أَحَدِهِمُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَيَقُولُ : أَمْسِكُوهَا
حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ يَرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَأَنْتُمْ مِنْهَا فِي جِلٍّ ^(٢) .. وَقَالَ الْعُتْبِيُّ ^(٣) : أَعْطَى
الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(٤) جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ ، فَلَمَّا تَفَدَّ مَا عِنْدَهُ رَكِبَ قَرَسَهُ وَأَخَذَ
رُمَحَهُ يُرِيدُ الْغَزْوَ ، وَمَاتَ بِمَنِيحٍ ^(٥) ، فَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَنِيحٍ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا
الْحَكَمُ وَهُوَ مُمْلِقٌ ^(٦) لَا شَيْءَ مَعَهُ ، فَأَغْنَانَا .. قِيلَ : كَيْفَ أَغْنَاكُمْ وَهُوَ مُمْلِقٌ ؟
فَقَالَ ^(٧) : مَا أَغْنَانَا بِسَالٍ ، وَلَكِنَّهُ عَلَّمَنَا الْكَرَمَ ، فَعَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَعْتَيْنَا .

وَأَكْرَمُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ بِرَحِمِ بَيْتِهِ وَبَيْتَهُ ،
فَقَالَ : هَذَا حَارِطِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ أُعْطِيتُ بِهِ سِتِّمَاتَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ يُرَاحُ بِالسَّالِ
إِلَى الْعَشِيَّةِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَالْمَالُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَالْحَارِطُ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا بَعَثَ إِلَى
حَنْظَلَةَ بِجَابِيَةٍ ، فَوَاقَتْهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : قَبِيحٌ أَنْ أَخْذَهَا لِنَفْسِي وَأَنْتُمْ حُضُورٌ ،
وَأَكْرَهُ أَنْ أُحْصِرَ بِهَا وَاحِدًا مِنْكُمْ وَكُلُّكُمْ لَهُ حَقٌّ وَخُرْمَةٌ ، وَهَذِهِ لَا تَحْتَمِلُ الْقِسْمَةَ ،
وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَأَمَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِجَابِيَةٍ أَوْ وَصِيفٍ ^(٨) .

(١) في « ط » : « مروان » خطأ . وهو مُورِثُ الْعِجْلِي « ابن المشرج » وقد مرَّ التعريف به .

(٢) أى : هى مُباحة لكم بلا ثبقة .

(٣) هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموى ، من بنى هبة بن أبى سفيان ، وهو من أهل
البصرة ، كان أديبًا فصيحًا ، وشاعرًا ، كثير الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . توفى سنة ٢٢٨ هـ . وهو غير
« العتبي » المؤرخ محمد بن عبد الجبار .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والمعارف ص ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، وشلرات
الذهب ج ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣١٧] .
(٤) هكذا في « م » و « ط » . ولعله يريد الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وهو من سادة قريش
ووجوهها ، وكان مُتَلَحِّيًا كَرِيمًا ، تَحَلَّى عَنِ الدُّنْيَا فِي آخِرِ أَهْلَامِهِ وَلَزِمَ التَّقْوَى ، وَتَوَلَّى بِالشَّامِ .

[انظر نسب قريش ص ٣٣٩ - ٣٤١] .

(٥) مَنِيحٌ : بلدة بالشَّام ، كانت ههنا شرق حلب .

(٦) مُمْلِقٌ : أى تَفَدَّ مَالَهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ .

(٧) في « م » : قال .

(٨) الوصيف : الحادِم .

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ ^(١) : هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْحَى مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .. تَزَلُّنَا بِالنَّابِذَةِ عَلَى امْرَأَةٍ ، فَحَضَرَ زَوْجَهَا فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانٌ ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٢) . فَلَمَّا كَانَ ^(٣) الْعَدُ جَاءَ بِأُخْرَى وَتَحَرَّهَا وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ^(٤) . فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنْ أَلِيٍّ نَحَرَّتِ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ ، فَقَالَ : إِنْ لَيْتَ لَا أَطْعِمُ أَضْيَافِي الْفَائِثَ .. فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا وَالسَّمَاءُ تُمِطُّ ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرُّجِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَدِي لَنَا مِنْهُ ، وَمَضَيْنَا ، فَلَمَّا مَتَعَ ^(٥) النَّهَارُ إِذَا ^(٦) بِرَجُلٍ يَصْبِيحُ خَلْفَنَا : قَعُوا أَيُّهَا الرُّكْبُ اللَّفَامُ ، أَعْطَيْتُمُونِي ^(٧) ثَمَنَ الْفَرَى ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحَفَنَّا وَقَالَ : لِنَأْخُذْهَا ^(٨) وَإِلَّا طَعْنْتُكُمْ بِرُمْحِي ، فَأَخَذْنَاهَا ، وَانْصَرَفَ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بِلَا شَيْءٍ فَلْيَصْحَبْ أَهْلَ الْقُبُورِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ : تَعَجُّلِهِ ، وَتَصْفِيغِهِ ، وَسِرِّهِ ، فَإِذَا عَجَلَهُ فَقَدْ هَنَأَ ^(٩) ، وَإِذَا صَغُرَ ^(١٠) فَقَدْ عَظُمَ ، وَإِذَا سَتَرَهُ فَقَدْ تَمَعَهُ ^(١١) . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَانَ أَحَدُهُمْ يَشُقُّ إِزَارَهُ لِإِخِيهِ يَتَصَفَّيْنِ . وَقَالَ الْمُغِيرَةُ ^(١٢) : فِي كُلِّ شَيْءٍ سَرَفٌ ^(١٣) إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ .. وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا خَيْرَ فِي السَّرَفِ ، فَقَالَ : لَا سَرَفَ فِي الْخَيْرِ ، فَقَلَبَ اللَّفْظَ وَاسْتَوْفَى الْمَعْنَى ، وَنَظَّمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ ^(١٤) فَقَالَ :

- (١) هو : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، أحد الأجداد المشهورين . وقد مر التعريف به . وقد وردت هذه القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
 (٢) الشَّانُ : القَدْرُ . ويُطْلَقُ أَيْضًا : عَلَى الْحَالِ وَالْحَاجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَغَيْرِهَا .
 (٣) فِي « م » : « فَلَمَّا جَاءَ » . (٤) فِي « م » : « مَا شَأْنُكُمْ ؟ » .
 (٥) مَتَعَ النَّهَارُ : بَلَغَ غَايَةَ ارْتِفَاعِهِ .. وَفِي « م » : « أَمْتَعَ » . وَيُقَالُ أَيْضًا مَتَعَ النَّهَارَ ، بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَأَمْتَحَ ، أَيْ : طَالَ وَأَقْنَدَ .
 (٦) فِي « م » : « وَإِذَا » . (٧) فِي « م » : « أَعْطَيْتُمُونَا » .
 (٨) هَكَذَا فِي « م » بِالْجُزْمِ ، لِلأَمْرِ .. وَفِي « ط » : « لِنَأْخُذْهَا » .
 (٩) أَيْ : جَعَلَهُ صَالِحًا يُسَرُّ بِهِ .
 (١٠) فِي « م » : « فَإِذَا » . وَصَغُرَ : قَلَّ مِنْ شَأْنِهِ .
 (١١) فِي « م » : « غَمَّهُ » أَيْ : سَتَرَهُ .
 (١٢) فِي « م » : « وَقَالَ : الْمَعْرُوفُ .. بَدَلَ الْمَغِيرَةِ » . وَهُوَ : الْمَغِيرَةُ بِنِ شُعْبَةَ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .
 (١٣) السَّرَفُ : مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ .
 (١٤) هو : محمد بن حازم بن عمرو ، الباهل بالولاء ، أبو جعفر ، شاعر مطبوع ، كثير الهجاء ، لم يمدح =

لَا الْفَقْرُ عَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرَفٌ وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ ^(١)
مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ أُخَّرْتُهُ تُلْفُ

وَأَمَّا طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفِ الْخَزَاعِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ ^(٢) وَإِنَّمَا
سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْبَذْلِ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَكَانَ يَتَنَاقَشُ الرُّقَابَ فَيَعْتَقُهَا ^(٣) ،
وَكَانَ كُلُّ مُعْتَقٍ يُؤَلِّدُ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ سَمَاءُ طَلْحَةَ ، فَبَلَغَ عَدْدُهُمْ أَلْفَ رَجُلٍ كُلُّ يُسَمَّى
طَلْحَةَ ، فَسُمِّيَ طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ ، ثُمَّ وَلَّى سِجِسْتَانَ ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٤) :

نَضَّرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسِجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ ^(٥)

وَبَلَغَهُ ^(٦) أَنَّ مُعَلِّمَهُ كَانَ فِي الْكِتَابِ ^(٧) بِالْحِجَازِ قَدْ قَعَدَ بِهِ الدَّهْرُ ^(٨) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ

= من الخلفاء غير المأمون العباسي . ولد ونشأ بالبصرة ، وسكن بغداد ، وأكثر شعره في القناعة ، ومدح الثَّوْنُونَ ،
وذم الجزم والطمع . تولى في بغداد سنة ٢١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٩٥ ، والورقة لابن الجراح ص ١١٧ - ١١٩ ، وطبقات
الشعراء لابن المعتز ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، والأغانى ج ١٤ ص ٤٩٦٥ - ٤٩٨٥ .]

(١) البيتان من المنصرح ، وفي عيون الأخبار : « ما الفقر » بدل « لا الفقر » .

[انظر المرجع السابق ص ٢٤٦ .]

(٢) هو : طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، أحد الأجيال المقلمين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه ، وكان
أبوه كاتب عمر بن الخطاب بالمدينة ، ذهبت عنه بسمرقند ، وكان يميل إلى بني أمية فيكرمونه ، ولأه زهاد بن مسلم
على « سجستان » ، وتوفى وهو والي عليها سنة ٦٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩ ، والمثير ص ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢

ص ١٣٤ ، ١٣٥ .]

(٣) يعتقها : يحررها . وفي « م » : « يعقها » تصحيف .

(٤) هو : عبيد الله بن قيس الرُّقَاتِ .

(٥) البيت في معجم البلدان ج ٣ ص ١٩١ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٨ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥

وفيه : « رحم الله » بدل « نَضَّرَ الله » .

(٦) في « ط » : « قد بلغه » .

(٧) هكذا في « م » و « ط » .. والكتاب : موضع لتعليم الصبيان القراءة والكتابة ، وتحفيظهم القرآن . وقد
خطأها الفيروزابادي والمبرد ، فهما يريان أن الصواب هو : المكتب . ولكن أغلب المعاجم تقول : إن الكتاب أو
المكتب واحد ، وهو مكان تعليم الصبية . ومن ثم فلا خطأ .

[انظر لسان العرب ، والصحاح ، والقاموس المحيط ، والمعجم الوسيط ، وغيرها من المعاجم .]

(٨) أى : صَبْرُهُ هَرِمًا لَا يَسْتَطِيعُ السَّرَّ أَوْ الْكَسْبَ .

غَلَامِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ، فَقَالَ : سَلَّمَهَا إِلَيْهِ ، فَإِنْ يَكُنْ مَاتَ وَلَهُ وَلَدٌ فَأَذْفَعُهَا إِلَيْهِ وَلَدِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ فَفَرَّقْهَا عَلَى قَوْمِهِ ، فَوَافَقَهُ الرَّسُولُ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يُعْقِبْ ^(١) ، فَفَرَّقَهَا فِي قَوْمِهِ ^(٢) .. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَكَانَ مِنَ الْخَاشِعِينَ : يَابْنَ آدَمَ ، أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ كَرِيمًا وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ^(٣) ، وَنَهَاكَ أَنْ تَكُونَ لَيْمًا وَتَدْخُلَ النَّارَ . وَقَالَ حَكِيمُ بْنُ جَزَاءٍ ^(٤) : مَا أَصْبَحْتُ قَطُّ صَبَاحًا لَمْ أَرِ بِيَابِي طَالِبَ حَاجَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا مُصِيبَةً أَرْجُو نَوَائِهَا .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيُّ : الْمَعْرُوفُ كَثَرُ لَا يَتَعَدُّ مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ مِنْ أَجْوَدِ النَّاسِ وَأَشْجَعِهِمْ ^(٥) ، وَلَمَّا ^(٦) مَاتَ وَجِدَ عَلَيْهِ مِائَةَ ^(٧) أَلْفٍ دِينَارٍ .. وَوَجَدَ مَكْتُوبًا عَلَى حَجَرٍ : انْتَهَزِ الْفُرَصَ ^(٨) عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، وَلَا تُحْمِلْ عَلَى نَفْسِكَ هَمَّ مَا لَمْ يَأْتِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ تَقْيِيرَكَ عَلَى نَفْسِكَ تَوْفِيرٌ لِحِزَانِهِ غَيْرِكَ ، فَكَمْ مِنْ جَائِعٍ لِبَعْلِ حَلِيلَتِهِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٩) : مَا جَمَعْتُ مِنَ الْمَالِ نَوْقَ قُوتِكَ ، فَإِنَّمَا أَثْتُ فِيهِ خَازِنٌ لِعَيْرِكَ .

(١) أى : لم يترك ولداً .

(٢) فى م : : (عَلَى قَوْمِهِ) .

(٣) فى م : : (وَلَكَ الْجَنَّةُ) .

(٤) هو : حَكِيمُ بْنُ جَزَاءٍ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، أَبُو خَالِدٍ ، صَحَابِيٌّ ، قُرَشِيٌّ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِدَ بِمَكَّةَ ، وَشَهِدَ حَرْبَ الْيَفْعَارِ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِلنَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبُعْثَةِ وَبَعْدَهَا ، وَعَمَّرَ طَوِيلًا ، وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ ، وَلَهُ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ ٤٠ حَدِيثًا ، وَتَوَفَّى فِي الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٥٤ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٦٩ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، والمعارف ص ٣١١ ، ورجال صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٢ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٣ ص ٢٠٢ ، ونسب قريش ص ٢٣١] .

(٥) من أول قوله : وقال أبو علي .. إلى هنا عن م : وساقط من ط .

(٦) فى م : : (فَلَمَّا) .

(٧) هكذا فى م .. وفى ط : : (مَا تَنَا) بالرفع . لا تصح .

(٨) فى م : : (الْفُرْصَةُ) .

(٩) ما بين المعرفتين عن ط .

وَجَلَسُوا لِلطَّعَامِ إِلَى أَنْ كَفُّوا ، فَلَمَّا رُفِعَ إِذَا الطَّعَامُ بِحَالِهِ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ^(١) .
 إِثَارًا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِالرُّمْلَةِ ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ ،
 فَحَضَرَ طَبَقٌ فِيهِ تَيْنٌ أُخْضِرَ وَقَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ ^(٣) ، فَكَانَ الْوَاحِدُ يُمَدُّ يَدَهُ فَإِذَا ظَفِيرٌ بِحَبِيَّةٍ
 حِصْرِمٍ ^(٤) يَأْكُلُهَا ، وَإِنْ ظَفِيرٌ بِطَيْبٍ ^(٥) دَفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَأْكُلْهُ ، فَلَمَّا رُفِعَ الطَّبَقُ
 إِذَا الطَّيِّبُ كُلُّهُ فِي الطَّبَقِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ عَلَى بَشْرِ الْحَافِي ^(٦) فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ وَقَدْ تَعَرَّى مِنْ
 الثِّيَابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا نَصْرٍ ، النَّاسُ يَزِيدُونَ الثِّيَابَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَأَنْتَ تَنْقُصُ ؟
 فَقَالَ : ذَكَرْتُ الْفَقْرَاءَ وَمَا هُمْ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي مَا أُؤَسِّسُهُمْ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرَافِقَهُمْ ^(٧)
 بِنَفْسِي فِي مُقَاسَاةِ الْبَرْدِ . وَقَالَ الْأَسَازُ أَبُو عَلِيٍّ : لَمَّا سَعَى غَلَامٌ لِحَلِيلٍ ^(٨) بِالصُّوْفِيَّةِ

(١) في (م) : « لم يأكل أحد منهم شيئاً » .

(٢) يُطلق هذا الاسم على عبدة محالٍّ ومُتَدَنٍّ ، أشهرها : رملة فلسطين .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩ مادة : رملة] .

(٣) غَسَقَ اللَّيْلُ : أَظْلَمَ .

(٤) هكذا في (ط) .. وفي (م) : « فإن وجد لحبه حِصْرِمٌ لا يصح ، والصواب : « فإن وجد الحَبِيَّةَ حِصْرِمًا .. والحِصْرِمُ : الثَّمَرُ قَبْلَ النُّضْجِ .

(٥) الطَّيِّبُ : كل ما تستلذُّه الحواس أو النفس ، ويريد به هنا : الثَّارِ الناضجة الجميلة .

(٦) هو : بَشْرُ بْنُ الْخَلَّاتِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُرُوزِيِّ ، أَبُو نَصْرٍ ، المعروف بالحافي ، من كبار الصالحين ، له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل « تَمْرُ » . ولد سنة ١٥٠ هـ ، وسكن بغداد ، وبها توفي سنة ٢٢٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٥٤ ، وطبقات الصوفية ص ٣٩ - ٤٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٧٣ - ٧٧ ، وطبقات الشعرائين ج ١ ص ٧٢ - ٧٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٧ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٣٣٦ - ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٦٧ - ٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٤٦٩ - ٤٧٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٠٩ - ١١٨] .

(٧) في طبقات الأولياء : « فأردت أن أؤاسيهم » .

(٨) أَبُو عَلِيٍّ هُوَ : أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقِ . وَغَلَامٌ لِحَلِيلٍ هُوَ : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ غَالِبِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مُرْدَاسٍ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزَّاهِدِ ، الْبَاهِلِيُّ ، الْمَعْرُوفُ بِغَلَامِ لِحَلِيلٍ ، سَكَنَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا ، قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ زَاهِدًا صَالِحًا . قَالَ الدَّارِ قُطَنِي : مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . وَقِيلَ : كَانَ يَرَوِي الْمَنَاكِرَ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولِينَ . تَوَفَّى بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٢٧٥ هـ وَدُفِنَ بِالْبَصْرَةِ . [انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٧٨ - ٨٠ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

إِلَى الْخَلِيفَةِ ^(١) بِالرَّزْدَقَةِ أَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَمَّا الْجُنَيْدُ ^(٢) فَإِنَّهُ نَسَرَ بِالْفِقْهِ ، وَكَانَ يُفْتَى عَلَى مَذْهَبِ أَبِي ثَوْرٍ ^(٣) وَأَمَّا الشُّحَامُ وَالرُّقَامُ وَالتُّورِيُّ ^(٤) وَجَمَاعَةٌ فَقُبِضَ عَلَيْهِمْ ، وَبُسِطَ النَّطْعُ لِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَتَقَدَّمَ التُّورِيُّ أَمَامَهُمْ ^(٥) فَقَالَ لَهُ السَّيَافُ : أَتُذَرِّي لِمَاذَا تَتَقَدَّمُ وَتُسَابِقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : وَمَا ^(٦) يُعْجِلُكَ ؟ قَالَ : أُوَثِّرُ أَصْحَابِي بِحَيَاةِ

(١) هو الخليفة العباسي المعتد على الله أحمد بن جعفر بن المعتصم ، وُلِدَ سنة ٢٢٩ هـ ، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهتدي بالله يومين ، وطالت أيام ملكه ، وكانت مضطربة ، وكثيرة العزل والتولية . توفي سنة ٢٧٩ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٦٠ - ٦٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ - ٤٣٠ ، وغيرها من أمهات كتب التاريخ] .

(٢) هو : الجنيد بن محمد بن الجنيد ، أبو القاسم الخزاز ، صوفي ، من العلماء بالدين ، وُلِدَ ونشأ ببغداد ، وكان فقيهاً على مذهب « أبي ثور » ، وعُدَّ العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بالكتاب والسنة ، وكان كبير الشأن . توفي ببغداد سنة ٢٩٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٤١ ، وطبقات الصوفية ص ١٥٥ - ١٦٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٨٧ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨٤ - ٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١١٦ - ١١٩ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٦٦ - ٧٠ ، وطبقات الأولياء ص ١٢٦ - ١٣٦] .

(٣) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي إيمان الكلبي البغدادي ، أبو ثور ، الإمام الحافظ الفقيه ، صاحب الإمام الشافعي ، قال عنه ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، صنف الكتب ، وثرع على السنن ، ودافع عنها . مات ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٣٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٩ ، ٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٦٥ - ٦٩ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٠١ ، ١٠٢ ، وطبقات المفسرين للدودي ج ١ ص ٩ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٣٩ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٩٧ ، ٩٨ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٧٢ - ٧٦ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤] .

(٤) الشُّحَامُ : بالغ الشَّحْم ، والرُّقَامُ : هو الذي يقوم بوضع علامة على الشيء تميزه عن غيره . والقصة وردت في حلية الأولياء ، وطبقات الأولياء ، وتاريخ بغداد ، وسر أعلام النبلاء ، ولم يرد فيها ذكر للشُّحَامِ أو الرُّقَامِ ، وورد ذكرهما في الرسالة القشيرية ..

أما التُّورِيُّ فهو : أحمد بن محمد النوري البغدادي ، أبو الحسين ، كان شيخ الصوفية في وقته ، وكان مذكوراً بكثرة الاجتهاد وحسن العبادة ، ونسبته إلى « نور » بُيُوتة بين « بخاري » و « سمرقند » . وقيل : لنور كان في وجهه شبيب إليه . توفي - رحمه الله - سنة ٢٩٥ هـ .

[انظر ترجمته في سر أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٧٠ - ٧٧ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٠ - ١٣٦ ، وطبقات الأولياء ص ٦٢ - ٧٠ ، وطبقات الصوفية ص ١٦٤ - ١٦٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٥٥ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، وج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤] .

(٥) قوله : « أَمَامَهُمْ » عن « ط » .

(٦) في « ط » : « وماذا » .

سَاعَةٍ ، فَتَحَيَّرَ السَّيَافُ ، وَاتَى الْحَبْرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ فَرَدَّهُمْ إِلَى الْقَاضِي لِيَتَعَرَّفَ حَالَهُمْ ^(١) ، فَالْقَى الْقَاضِي عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ الثَّوْرِيَّ مَسَائِلَ فِقْهِيَّةٍ ، فَأَجَابَ عَنِ الْكُلِّ ، ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا قَامُوا قَامُوا بِاللَّهِ ، وَإِذَا نَطَقُوا نَطَقُوا بِاللَّهِ ، وَسَرَدَ الْفَاطَا حَتَّى أَبْكَى الْقَاضِي ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زُنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ .

وَلَمَّا مَرَضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بَنَ عِبَادَةَ اسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِبَادَةِ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ ^(٢) : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ ^(٣) عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ ، فَقَالَ : أَخْرَجَنِي اللَّهُ مَالًا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزَّيَارَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يَتَادَى : أَلَا ^(٤) مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عِنْدَهُ مَالٌ ^(٥) فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَكُسِرَتْ عَقَبَةُ بَابِهِ بِالْعَشِيِّ لِكَثْرَةِ الْعَوَادِ .. وَيُرْوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجْوَادِ ، خَرَجَ إِلَى ضَيْعَتِهِ لَهُ ، فَتَزَلَّ عَلَى نَحِيلِ قَوْمٍ وَفِيهَا غُلَامٌ أَسْوَدُ يَقُومُ عَلَيْهَا ، فَأَتَى بِقُوَّتِهِ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ ، وَدَخَلَ كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغُلَامِ ، فَرَمَى إِلَيْهِ ^(٦) بِقُرْصٍ فَأَكَلَهُ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ بِالثَّانِي وَالثَّالِثِ ، فَأَكَلَهُمَا وَعَبَدُ اللَّهِ يَنْظُرُ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، كَمْ قُوَّتُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ . قَالَ : فَلِمَ أَثَرْتُ هَذَا الْكَلْبَ ؟ قَالَ : مَا هِيَ بِأَرْضٍ كِلَابٍ ، وَأَنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعًا فَكَرِهْتُ رَدَّهُ . قَالَ : فَمَا أَنْتَ صَانِعُ الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَطْوِي يَوْمِي هَذَا . قَالَ ^(٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَلَا أَمُّ عَلَى السَّحَاءِ وَهَذَا أَسْحَى مِنِّي ، فَاشْتَرَى الْغُلَامَ وَالْحَائِطَ ^(٨) وَمَا فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ ، فَأَعْتَقَ الْغُلَامَ وَوَهَبَ ذَلِكَ لَهُ .

(١) في ١ م : « شَعَرَ حَالَهُمْ » . وكان على القضاء يومئذ إسماعيل بن إسحاق .

[انظر تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٣٤] .

(٢) في ١ ط : « دَقَالَ » .

(٣) في ١ م : « لِمَا لَكَ » .

(٤) « أَلَا » عن ١ م .

(٥) في ١ م : « مَالًا » بالنصب . لا تصح .

(٦) في ١ م : « إِلَهُ » في الموضعين .

(٧) في ١ م : « دَقَالَ » .

(٨) هكذا في ١ م .. وفي ١ ط « والرَّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ » فاشترى الحائط والغلام .

[انظر القصة في المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧] .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ^(١) : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سُوْقَةَ ^(٢) بِالْعَدَاةِ صَاحِبَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَبِالْعَشِيِّ سَأَلْنَا لَهُ ^(٣) مِنْ أَصْحَابِهِ خُبْرَةً ^(٤) . وَقَالَ أَبُو عَيْدٍ الرَّحْمَنُ ^(٥) : دَخَلَ أَبُو عَيْدٍ اللَّهِ الرَّوْذَبَارِيُّ ^(٦) إِلَى دَارِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُ غَائِبًا ، وَهَنَّاكَ يَتُّ مُقْفَلٌ ، فَكَسَّرَ الْقِفْلَ وَأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَتَاعِ فَأَتَقَدَّوْهُ ^(٧) إِلَى السُّوقِ فَبَاعُوهُ ، وَأَصْلَحُوا بِهِ وَقَتْنَا مِنَ الثَّمَنِ ^(٨) فَجَاءَ صَاحِبُ ^(٩) الرَّوْذَبَارِيِّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، وَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ ^(١٠) بَعْدَهُمُ الدَّارَ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ ، فَدَخَلَتْ يَتًّا وَرَمَتْ الْكِسَاءَ ^(١١) وَقَالَتْ : يَا أَصْحَابَنَا : هَذَا

- (١) هو : سفيان الثوري . وفي « ط » : « النوري » بالنون . خطأ .
 (٢) هو : محمد بن سُوْقَةَ الْغَتَرِيُّ ، الكوفي ، وكنيته أبو بكر ، من القراء ، وأهل العبادة والفضل ، والدين والسخاء ، ومُتَحَدِّثٌ ثَقَّةٌ ، ولكنه ليس بكثير الحديث ، ذكره النسائي وابن حبان في الثقات ، وقال عنه سفيان الثوري : كان محمد بن سُوْقَةَ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ .
 [انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٥ ص ٣ - ١٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٦٥٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٨ .]
 (٣) في « م » : « سألناه » .
 (٤) الخُبْرَةُ : الخبز الذي يُؤْكَلُ ، وتطلق على الطَّلَمَةِ ، وهي : عجين يوضع في الرُّمَادِ الْحَارِّ حَتَّى يَنْضَجَ .
 (٥) هو : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الْأَزْدِيُّ السَّلَمِيُّ النِّسَابُورِيُّ ، أبو عبد الرحمن ، من علماء المتصوفة وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ، بلغت تصانيفه مائة مصنف أو أكثر ، ولد في نيسابور سنة ٣٣٠ هـ وتوفي بها سنة ٤١٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٩٩ ، ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٠٨ ، ومقدمة طبقات الصوفية ص ١٦ - ٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٢٤٧ - ٢٥٥ ، وطبقات الأولياء ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وطبقات المفسرين ج ٢ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٦ ، ١٩٧ .]
 (٦) هو العارف الزاهد ، شيخ الصوفية : أحمد بن عطاء الرَّوْذَبَارِيُّ ، أبو عبد الله ، شيخ الشام ، وشيخ الصوفية في وقته ، وهو ابن أخت الصوفي الشهير أبي عليٍّ الرَّوْذَبَارِيِّ . نشأ ببغداد ، وأقام بها زمناً طويلاً ، ثم انتقل منها إلى « صور » من بلاد ساحل الشام ، وبها توفي سنة ٣٦٩ هـ .
 [انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٩ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، وطبقات الأولياء ص ٥٤ - ٥٨ ، وطبقات الصوفية ص ٤٩٧ - ٥٠٠ ، وانظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧ مادة « رُوْذِبَار » .]
 (٧) هَكَذَا فِي « ط » . وَأَتَقَدَّوْهُ : أَرْسَلُوهُ .. وفي « م » : « وَأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدَ فِيهِ فَأَتَقَدَّوْهُ » .
 (٨) أَيْ : اشْتَرَوْا بَعْضَ حَاجَاتِهِمْ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي بَاعُوا بِهِ .
 (٩) سَقَطَتْ « صَاحِبٌ » مِنْ « م » . وفي الرسالة القشيرية : « فَدَخَلَ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ » .
 (١٠) فِي « ط » : « فَدَخَلَتْ .. » . وفي « م » : « امْرَأَةٌ » .
 (١١) فِي « ط » : « بِالْكِسَاءِ » .

أَيْضًا ^(١) مِنْ جُمْلَةِ الْمَتَاعِ ، فَبَيْعُوهُ ، فَقَالَ زَوْجُهَا : لِمَ تَكَلَّفْتَ هَذَا بِاخْتِيَارِكَ ؟
فَقَالَتْ : اسْكُتْ ، بِمِثْلِ هَذَا الشَّيْخِ يُبَاسِطُنَا وَيَحْكُمُ عَلَيْنَا وَيَقِي لَنَا شَيْءًا نُدْخِرُهُ
عِنْدَهُ ^(٢) ؟ .

وَأَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَخْرِ فَوَرِثَ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى إِخْوَانِهِ
صُرَّرًا ^(٣) وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَسْأَلَ ^(٤) لِإِخْوَانِي الْجَنَّةَ فِي صَلَاتِي وَأُبْخُلُ عَلَيْهِمْ بِحَلَالِي .
وَيُرَوَّى أَنَّ الْأَشْثَثَ بْنَ قَيْسٍ ^(٥) أَرْسَلَ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ^(٦) يَسْتَعِيرُ مِنْهُ قُدُورًا كَانَتْ
لِأَبِيهِ حَاتِمٍ ، فَمَلَأَهَا وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّا لَنُغِيرُهَا فَارِغَةً .

وَقَالَ بَزْرَجِيهْرُ : لَا عِزَّ أَثْبَتُ أَرْكَانًا وَلَا أَبْدُخُ بَنِيَانًا ^(٧) مِنْ بَيْتِ الْكَرَمِ ^(٨) وَاتَّخِصَابِ

(١) في (م) ، جاء الناسخ بالفعل « اسكت » سهوًا منه ، بدلًا من « هذا أيضًا » وسيأتي بعد قليل .

(٢) انظر القصة في الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٦ وطبقات الأولياء ص ٥٦ .

(٣) جمع صُرَّة ، وهي ما يُجمع فيه الشيء ويُشَدُّ .

(٤) في (م) : « كُنْتُ أَسْأَلُ » .

(٥) هو : الْأَشْثَثُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَعْدِي كَرِبِ الْكِنْدِيِّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، أمير كتلة في الجاهلية والإسلام ، ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة ، وكانت إقامته في حضرموث ، ووقد على النبي ، صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام في جماعة من قومه فأسلم ، وارتدَّ في أيام أبي بكر ، ثم تاب ، وشهد اليرموك فأصيبت عينه ، وشهد كثيرًا من الوقائع ، وأبلى البلاء الحسَنَ ، وكان جوادًا كريمًا . توفي سنة ٤٠ هـ وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٣٣٢ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٢٧ - ٤٢٩ ، والمعارف ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وثمار القلوب ص ٨٨ ، ٨٩] .

(٦) هو : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحِشْرِجِ الطَّائِي ، أَبُو وَهَبٍ ، أمير صحابيٍّ ، ومن الأجواد العفلاء ، كان رئيس طيِّئ في الجاهلية والإسلام ، وقام في حرب الردَّة بأعمال كبيرة ، وهو ابن حاتم الطائي الموصوف بالجلود والكرم ، وقد أسلم سنة ٩ هـ ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة وشهد مع عليٍّ الجمل وصيفين والتهران ، ووقفت عنه يوم صِفِّين ، ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٢٠ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٨ - ١٠ ، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٨٩ - ١٩١ ، والتاريخ الكبير ج ٧ ص ٤٣ ، والعبر ج ١ ص ٥٥ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والجرح والتعديل ج ٧ ص ٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ١٣ ، وشننرات الذهب ج ١ ص ٧٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٨٩ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١١٨] .

(٧) في (ط) : « أُنْدَحْ شَأْنًا » وأندح : أكل سعة .

(٨) في (ط) : « مِنْ بَيْتِ الْكَرَمِ » .

الشُّكْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عِزَّ التَّعْظِيمِ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ بَاقٍ ^(١) فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، وَمَنْ تَحَصَّنَ بِالْجُودِ وَتَحَرَّرَ بِالْمَعْرُوفِ فَقَدْ ظَفِرَ بِمَنْ نَأَوَّاهُ ^(٢) وَرَبَعَ الشُّكْرَ وَالْقَوَابَ .

وَيُرْوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ^(٣) ، وَكَانَ أَحَدَ الْأَجْوَادِ ، عَطَشَ يَوْمًا فِي طَرِيقِهِ ، فَاسْتَسْقَى مِنْ مَنْزِلِ امْرَأَةٍ ، فَأَخْرَجَتْ كُوْزًا وَقَامَتْ خَلْفَ الْبَابِ وَقَالَتْ : تَنَحُّوا عَنِ الْبَابِ وَلْيَأْخُذْهُ بَعْضُ غِلْمَانِكُمْ ، فَأَتَى امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ زَوْجِي ^(٤) مُنْذُ أَيَّامٍ . فَشَرِبَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٥) وَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ ^(٦) . فَقَالَتْ : سَبِّحَانَ اللَّهِ ! تَسْخَرُ بِي ؟ فَقَالَ : يَا غَلَامُ احْمِلْ إِلَيْهَا عَشْرِينَ آلَافًا . فَقَالَتْ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ ! فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَيْهَا ثَلَاثِينَ ^(٧) آلَافًا . فَقَالَتْ : أَفْ لَكَ .. فَحَمَلَتْ إِلَيْهَا ^(٨) ثَلَاثِينَ آلَفَ دِرْهَمٍ ، فَمَا أُمْسَتْ حَتَّى كَثُرَ خَطَايُهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : قَصَدَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، فَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أُرْتِعِمَايَةَ دِرْهَمٍ عَلَى دَيْنٍ ^(٩) . فَدَخَلَ الدَّارَ وَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ

(١) « بَاقٍ » عَنْ (ط) .

(٢) نَأَوَّاهُ : نَافَرَهُ وَعَادَاهُ .

(٣) فِي (م) ، وَ (ط) ، وَالْمُسْتَرْطَفُ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ » تَصْحِيفٌ ، وَالصُّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَقَدْ ذُكِرَ الْأَسْمُ صَحِيحًا فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ، وَهُوَ : عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ التَّفَقِيُّ ، ابْنُ الصَّحَابِيِّ « أَبِي بَكْرَةَ » نَفِيعُ بْنُ الْحَارِثِ ، وُلِدَ سَنَةَ ١٤ هـ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالْأَلْحَانِ ، وَكَانَتْ قِرَاءَتُهُ خَزَنًا ، لَيْسَتْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَلْحَانِ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ أَمِيرَ سِجِسْتَانَ ، وَلَيْسَ سَنَةَ ٥٠ هـ - ٥٣ هـ . وَعَزَلَ عَنْهَا ، ثُمَّ وَلِيَهَا فِي إِسْرَةِ الْحِجَابِ ، وَوَلَّى قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ ثَرْوَةٌ وَاسِعَةٌ فَاشْتَرَى بِأَخْبَارٍ مِنَ الْجُودِ تَشْبِيهِ الْحَبَالِ . نَقَلَ الذَّهَبِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَتَّفِقُ عَلَى جَوَارِيهِ ، وَيُزَوِّجُ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ الزَّوَاجَ ، وَيَتَّقَى فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ عِدٍ - وَسَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ - تَوَلَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِسِجِسْتَانَ سَنَةَ ٧٩ هـ .

[انْظُرِ الْقِصَّةَ فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ ج ٢ ص ٥٠٤ ، وَالْمُسْتَرْطَفُ ج ١ ص ٣٤٧ ، وَقَارِنْ مَا جَاءَ فِيهَا وَلى الْأَعْلَامِ وَالرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ .. وَانْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وَسِرُّ أَعْلَامِ الْبِلَاءِ ج ٤ ص ١٣٨ ، وَالْمُهَبَّرُ ص ١٥٠ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٣٣ ، وَفَوَاتِ الْوَفَاةِ ج ٢ ص ١٧١ فِي تَرْجُمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَالتَّارِخُ الْكَبِيرُ ج ٥ ص ٣٧٥ ، وَالْمَعْقِدُ الْفَرِيدُ ج ١ ص ٢٤٧ وَص ٢٥٢] .

(٤) هَكَذَا فِي (ط) ، وَالْمُسْتَرْطَفُ .. وَفِي (م) ، وَالرِّسَالَةُ الْقَشْمِيرِيَّةُ : « مَاتَ خَادِمِي » .

(٥) فِي (ط) وَ (م) : « عَبْدُ اللَّهِ » تَصْحِيفٌ .

(٦) فِي الرِّسَالَةِ الْقَشْمِيرِيَّةِ وَالْمُسْتَرْطَفُ : « عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ » .

(٧) فِي (ط) : « ثَلَاثِينَ » .

(٨) فِي (م) : « لَهَا » .

(٩) فِي (م) : « دَيْنٌ عَلَى » .

الدَّارَ بَاكِيًا ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلَّا تَعَلَّلْتَ حِينَ شَقْتُ ^(١) عَلَيْكَ الْإِجَابَةَ ؟ قَالَ ^(٢) :
 إِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي لَمْ أَتَقَدَّرْ حَالَهُ حَتَّى اخْتَجَّ إِلَى مُكَاشَفَتِي . وَقَالَ أَكْثَرُكُمْ بَنُ صَيْفِي :
 صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ ، فَإِنْ وَقَعَ وَجَدَ مُتَّكَأً . وَقَالَ الْفَضِيلُ : مَا كَانُوا يُعْدُونَ
 الْقَرْضَ مَعْرُوفًا .

وَيُرَوَّى عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدَاتِ أَنَّهَا قَالَتْ لِحَبَّانَ بْنِ هِلَالٍ ^(٣) وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ
 أَصْحَابِهِ : مَا السَّخَاءُ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : الْبَذْلُ وَ الْإِنْتَارُ . قَالَتْ : فَمَا السَّخَاءُ فِي الدِّينِ ؟
 قَالَ : أَنْ تَعْبُدِيَ ^(٤) اللَّهَ تَعَالَى سَخِيَّةً بِهِ نَفْسُكَ غَيْرَ مُكْرَهَةٍ . قَالَتْ : أَتُرِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ
 جَزَاءً ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ عَلَى الْحَسَنَةِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . قَالَتْ : فَإِذَا
 أُعْطِيتُمْ وَاحِدَةً وَأَخَذْتُمْ عَشْرًا ، فَأَيُّ ^(٥) شَيْءٍ سَخِيتُمْ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
 [تَعَالَى] ^(٦) مُتَّعِمِينَ مُتَلَذِّذِينَ بِطَاعَتِهِ ، غَيْرَ كَارِهِينَ ، لَا تُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَجْرًا ، أَلَا
 تَسْتَحْيُونَ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ فَيَعْلَمَ مِنْهَا أَنَّهَا تُرِيدُ شَيْئًا بِشَيْءٍ ؟ .

وَقَالَتْ بَعْضُ الْمُتَعَبِّدَاتِ لِبَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ : أَتُظُنُّ السَّخَاءَ فِي الدِّينِ وَالْزُهْرِمَ فَقَطْ ؟
 إِنَّمَا السَّخَاءُ فِي بَذْلِ مَهِجِ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الدَّقَاقُ : لَيْسَ ^(٧) السَّخَاءُ أَنْ
 يُعْطِيَ الْوَاجِدَ الْمُعْدِمَ ^(٨) ، إِنَّمَا السَّخَاءُ أَنْ يُعْطِيَ الْمُعْدِمَ الْوَاجِدَ .

(١) في م : : شق .

(٢) في م : : قال .

(٣) هو الحافظ حَبَّانُ بْنُ هِلَالِ الْبَصْرِيِّ ، أَبُو حَبِيبٍ ، مُحَلِّثُ ثَقَّةٍ ، وَثَقَّةُ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ ثَقَّةً
 ثَبَاتًا ، امْتَنَعَ مِنَ التَّحْلِيثِ قَبْلَ مَوْتِهِ . وَتَوَلَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٢١٦ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، والإكمال لابن
 ماكولا ج ٢ ص ٣٠٣ وفي حَبَّانَ بفتح الحاء المهملة] .

(٤) في م : : تعبد .

(٥) في م : : نياي .

(٦) ما بين المعرفتين عن ط .

(٧) في ط : : وليس . وأبو بكر هو : العارف بالله أبو بكر بن محمد بن أحمد بن دلويز الدَّقَاقُ .

[انظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥١١ و ص ٦٨٠ ، وصفحات أخرى مفرقة] .

(٨) الْمُعْدِمُ : الْفَقِيرُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : كَانَ الْأَسْتَاذُ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلَوِيُّ ^(١) مِنَ الْأَجَوَادِ ، لَمْ يَكُنْ يَتَأَوَّلُ أَحَدًا شَيْفًا بِيَدِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَطْرَحُهُ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَتَنَاوَلُهُ الْآخِذُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانَ يَقُولُ : الدُّنْيَا أَقْلُ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَرَى مِنْ أَجْلِهَا يَدِي فَوْقَ يَدِ أُخْرَى ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » . وَكَانَ يَتَوَضَّأُ يَوْمًا فِي صَحْنٍ دَارِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَسَأَلَهُ شَيْفًا فَلَمْ يَحْضُرْهُ شَيْءٌ ، فَقَالَ : اضْبِرْ حَتَّى أَفْرُغَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ : اخْذِ الْقُمُصَةَ ^(٣) وَاخْرُجْ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَعَلِمَ أَنَّهُ بَعْدَ ، صَاحَ وَقَالَ : دَخَلَ الْإِنْسَانُ وَأَخَذَ الْقُمُصَةَ ، فَمَشَوْا خَلْفَهُ ، فَلَمْ يُدْرِكُوهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَلُومُونَهُ عَلَى الْبَذْلِ . وَفِي مَعْنَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

مَلَأْتُ يَدِي مِنَ الدُّنْيَا مِرَارًا فَمَا طَمِعَ الْعَوَازِلُ فِي اقْتِصَادِي ^(٤)
وَلَا وَجِئْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَالٍ وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَى جَوَادِ ^(٥)

وَكَانَ أَبُو مَرْثِدٍ أَحَدَ الْكِرَامِ ، فَمَدَحَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ : مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ قَدَّمْنِي إِلَى الْقَاضِي وَأَدْعِ ^(٦) عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ ذِهْرٍ حَتَّى أَقِرَّ لَكَ بِهَا ، ثُمَّ اخْبِسْنِي ، فَإِنْ أَهْلِي لَا يَتْرَكُونَنِي ^(٧) مَسْجُونًا . فَفَعَلَ ذَلِكَ ^(٨) ، فَلَمْ يُمَسِّ ^(٩) حَتَّى دُفِعَ

(١) هو : أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد العجلي ، المعروف بالصعلوكي ، الأصبهاني أصلاً ومولداً ، النيسابوري داراً وإقامة ، كان متصوفاً ، وإماماً في الفقه والتفسير والحديث والعلوم اللغوية كلها . توفي - رحمه الله - بنيسابور سنة ٣٦٩ هـ . وصلى عليه ابنه « سهل » - وكان مثل أبيه علماً وورعاً - ودُفِنَ في المسجد الذي كان يدرس فيه .

[انظر وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٢٣ ، وطبقات الشافعية للحسيني ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وانظر الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٨ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) في « م » : « عليه السلام » وسقط منها « قال » سهواً من النسخ .

(٣) الْقُمُصَةُ : إزاء صغير من نحاس وغيره .

(٤) في العقد الفريد : « وما » بدل « فما » .

(٥) في « م » : « وما وجبت » . وفي العقد الفريد : « على الجواد » .

[انظر البيهقي في المرجع السابق ج ١ ص ١٩٨ .

(٦) في « م » : « فأدعي » خطأ ، أمر مني على حذف حرف العلة .

(٧) في « م » : « لا يتركوني » .

(٨) قوله : « ففعل ذلك » عن « ط » .

(٩) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي « م » ، و « ط » : « يُمسوا » .

إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ ^(١) . وَقَالَ زِيَادُ بْنُ جَرِيرٍ : رَأَيْتُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فَرَّقَ مِائَةَ أَلْفٍ فِي مَجْلِسٍ ، وَإِنَّهُ لَيَخِيطُ إِزَارَهُ بِيَدِهِ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى ^(٢) عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَصَابَتْكِ فَاقَةٌ ^(٣) . فَقَالَتْ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَلَوْ كَانَ ^(٤) عِنْدِي عَشْرَةُ آلَافٍ لَبَعُثْتُ بِهَا إِلَيْكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا جَاءَتْهَا عَشْرَةُ آلَافٍ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ^(٥) ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا فِي أَثَرِهِ ، فَاشْتَرَى بِجَارِيَةٍ بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَقُلِدَتْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، فَكَانُوا عِبَادَ الْمَدِينَةِ : مُحَمَّدٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، بَنُو الْمُتَكَبِّرِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ^(٦) : كَانَ جَرِيرُ بْنُ يَزِيدَ فِي دَارِ الْمُطَّلِبِ ^(٧) ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ

(١) في (م) : « عشرة ألف » وسقطت منها لفظة « درهم » .

[انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠٩] .

(٢) هكذا في (ط) ، والمستطرف ج ١ ص ٣٤٥ .. وفي (م) : « مولى » بدل « على » تصحيف .. والمتكبر هو : المتكبر بن عبد الله بن الهذيل ، القرشي التيمي ، ولد على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم تثبت له صفة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٢٧٥] .

(٣) في (ط) : « أصابني » . والفاقة : الحاجة .

(٤) في (ط) : « كانت » .

(٥) هو : خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية القرشي ، أسلم عام الفتح ، ومات بمكة ، وهو أخو عتاب وعبد الرحمن ابني أمييد .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٨٩ ، والمعارف ص ٢٨٣] .

(٦) هو : يحيى بن معين بن غزن بن زياد ، البغدادي ، أبوزكريا ، من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله ، وإمام المرح والتعديل ، نحه الذهبي بسيد الحفاظ ، ولد سنة ١٥٨ هـ ، وكان أبوه « معين » كاتباً للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزازي . وقيل : كان على خراج « الرئي » فمات وخلف ليحيى ثروة كبيرة ، أنفقها كلها في طلب الحديث ، وعاش ببغداد ، وتوفي بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣ هـ وصلى عليه أموها .

[انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٧١ - ٩٦ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤١٠ ، وطبقات الحفاظ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣١ ، والمرح والتعديل ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٨ ، وج ٩ ص ١٩٢ ، والتاريخ الكبير ج ٨ ص ٣٠٧] .

(٧) هو : المطلب بن عبد الله بن مالك الخزازي ، وأل ، كان في مكة ، وولي إمرة مصر للمأمون سنة ١٩٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٥٢] .

يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ لِلْعُلَامِ : أَذْهَبَ إِلَى الْجَوَارِي ^(١) فَقُلْ لَهُنَّ : مَنْ أَرَادَتْ ^(٢) مِنْهُنَّ أَنْ تُصْنَعَ يَتَابَهَا ^(٣) فَلْتَبْعَتْ بِهَا ، فَجَاءَ الْعُلَامُ بِثِيَابٍ كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ لِلْسَّائِلِ : خُذْهَا .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : كَانَتْ جَرَتْ ^(٤) حَرْبٌ بِالْبَادِيَةِ ثُمَّ ^(٥) اتَّصَلَتْ بِالْبَصْرَةِ ، فَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ فِيهَا ، حَتَّى مُشِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِالصُّلْحِ ، فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، قَالَ : بَعِثْتُ - وَأَنَا غُلَامٌ - إِلَى ضِرَارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَازِمٍ ^(٦) فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لِي ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ شَمْلَةٌ ^(٧) يَخْلُطُ بَرًّا لِعَنْزٍ لَهُ ^(٨) فَخَبَّرْتُهُ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزَ ، ثُمَّ غَسَلَ الْقَصْعَةَ وَقَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، غَدَيْتَا ، فَأَنْتَ بَرِيَّةٌ وَنَمْرٌ ، قَالَ : فَدَعَانِي ، فَقَدِرْتُهُ أَنْ أَكُلَ مَعَهُ ^(٩) ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَتَهُ وَتَبَّ إِلَى طِينِ مُلْقَى فِي الدَّارِ ، فَعَسَلَ بِهِ يَدَيْهِ ^(١٠) ثُمَّ صَاحَ بِالْجَارِيَةِ فَقَالَ : اسْقِنِي مَاءً ، فَأَنْتَ بِمَاءٍ فَشَرِبْتُهُ ، وَمَسَحَ فَضْلُهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَاءُ الْفَرَاتِ يَنْمِرُ الْبَصْرَةَ بِرِزْتِ الشَّامِ ^(١١) مَتَى تَوَدَّى شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ ؟ ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِرِدَائِي ، فَأَنْتَ بِرِدَائِي عَدْنِي ، فَأَرْتَدِي بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمْلَةِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَتَجَاوَيْتُ ^(١٢) عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا ، لِزِيَرِهِ ،

(١) في م : : للجواري .

(٢) في و ط : : أراد .

(٣) هكذا في و ط .. وفي م : : ثوبها .. لا تصح ، فقوله ، بعد ذلك : فلتبعت بها ، يقتضي الجمع .

(٤) جرت ، عن و ط .

(٥) في م : : ديم .

(٦) هكذا في م ، و ط .. وفي عيون الأخبار أنه : ضِرَارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ وهو الصحيح ..

والقصة حكاهما الأصمعي عن أحد شيوخه ، أن قتيبة بن مسلم قال : أرسلني أُنِي إِلَى ضِرَارٍ ... الخ ، فهي حدثت لقتيبة هذا وليس للأصمعي .

[انظر القصة في المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .]

(٧) في م : : في شَمْلَةٍ ، والشَّمْلَةُ : كساء من صوف أو شعر يُلْفَى بِهِ أو يُتَلَفَفُ بِهِ .

(٨) الثَّوْبُ : القميص .. وفي و ط : : يخلط نوى لعنز له حلوب . يخلط : يندق .

(٩) أي : كرهت أَنْ أَكُلَ مَعَهُ لِقَدَرَتِهِ .

(١٠) في و ط : : يده .

(١١) هكذا في و ط .. وفي م : : يتمر الشام برزت البصرة .

(١٢) تجاوت : ابتعدت .

فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَمَشَى إِلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ تَبْقَ حَبْوَةٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ، ثُمَّ جَلَسَ فَحَضَّلَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ مِنَ الدَّهَاتِ فِي مَالِهِ وَانْصَرَفَ .

وَكَانَ الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ^(١) الْفَقِيهُ لَمَّا سَجِنَ يُعْطَى كُلَّ يَوْمٍ السَّجَانَ دِينَارًا ، فَاسْتَكْرَهُ أَصْحَابُهُ وَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ خَفْصُ بْنُ غُمَارَةَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : إِذَا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا فِي يَدَيْهِ . فَخَرَّ بُهْلُولٌ عَلَى يَدَيْهِ وَقَبَّلَهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ ، أَلَيْتَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ هَذَا ؟ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ ^(٢) . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٣) :

ذِينَئِذٍ أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِي الْمَالُ رَبًّا تَحْمِيْدِي غِيَّةَ غَدَا ^(٤)
أَيْنِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنِ أَوْ بَخِيلًا مُحَلَّلًا ^(٥)

وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ^(٦) يَنْفَقُ عَلَى أَرْبَعِينَ دَارًا مِنْ جِوَارِهِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ ^(٧) ، وَأَرْبَعِينَ أَمَامَهُ ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ ، وَيَبِيتُ إِلَيْهِمْ بِالْأَضَاحِي

(١) هو : الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ ، أَبُو عَمْرٍو الْحَجَرِيُّ ، مِنْ الْعُلَمَاءِ الزُّهَّادِ ، مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَوَانِ ، وَأَخْبَارِهِ فِي الزَّهْدِ كَثِيرَةٌ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْفَقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ ، وَعَارِضُ أَمِيرِ الْإِفْرِيقِيَّةِ فِي زَمَنِهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ الْعَمَكِيُّ فِي أَنْ يُرْسَلَ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ عَنْهُ (مَلِكُ أَسْبَايَا) مِنَ السَّلَاحِ ، فَتَصَحَّحَ الْبُهْلُولُ ، وَالْحُجَّ عَلَيْهِ أَنْ يَمْتَنَعَ مِنْ إِسْوَاحِ السَّلَاحِ لَهُ ، فَبِيعَتْ إِلَيْهِ الْعَمَكِيُّ « مِنْ فَيْكِهِ » وَجُرْدَهُ ، وَضَرَبَهُ عَشْرِينَ سَوْطًا ، وَحَبَسَهُ . وَبَقِيَ أَثَرُ السَّوَاطِ فِي جَسَدِهِ ، وَنَقِلَ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مَوْتِهِ سَنَةَ ١٨٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٧٧] .

(٢) في م : ١ : يقول : .

(٣) هو خَطْلَبُ بْنُ يَتْفَرٍ ، وَقَدْ قَالَ هَذَا عِنْدَمَا عَاتَبَتْهُ أُمُّهُ عَلَى جَوْدِهِ .

[انظر خزائن الأدب ج ١ ص ٤٠٦ ، وَالْأُمَالِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِي ج ٢ ص ٧٩ ، وَالْمِفْصَلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ج ٩ ص ٤٧٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ - مَادَّةُ « عَلَل »] .

(٤) غِيَّةٌ : عَائِيَّةٌ . وَهَذَا الْبَيْتُ تَرْتِيهِ الثَّانِي ، وَالثَّانِي تَرْتِيهِ الْأَوَّلُ فِي الْخَزَائِنِ .

(٥) في م : ١ : وَط : ١ : مَا تَرَيْنِي : تَصْحِيفٌ . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ . وَهَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ فِي قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لِخَالِمٍ ، وَنُسِبَ أَيْضًا لِلزُّهْدِيِّ بْنِ الْعَمَّةِ .

[انظر لسان العرب مادة « عَلَل » وَدِيوَانُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّنَةِ ص ١١٨] .

(٦) في م : ١ : وَط : ١ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : تَصْحِيفٌ . وَقَدْ مَرَّ .

(٧) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « وَيَمْتَنِعُ » عَنْ « وَط » وَاسْقَاطُ مِنْ « م » .

وَالْكُسْرَى فِي الْأَعْيَادِ ، وَيَعْتَقُ فِي كُلِّ عِيدٍ مِائَةَ مَمْلُوكٍ ، وَاشْتَرَى يَوْمًا جَارِيَةً بِعَشْرَةِ
آلَافٍ ، فَطَلَبَ ^(١) ذَابَةً يَحْمِلُهَا عَلَيْهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ : هَذِهِ ذَاتِي ، فَقَالَ : اَحْمِلِيهَا عَلَيَّ
ذَاتِي إِلَى دَارِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زُهَيْرٍ ^(٢) :

وَعَاذِلِي تَحْشَى الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي تُرُوحُ وَتَعْلُدُو بِالْمَلَامَةِ وَالْقَسَمِ ^(٣)
تَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ ^(٤)
وَأَمِّي أَحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ اسْتَطِيعَهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ ^(٥)

وَرَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ الْحَيَاءُ يَمْنَعُنِي أَنْ أَذْكُرَهَا . قَالَ : فَخُطِّطْهَا فِي الْأَرْضِ . فَخَطَّ
فِي الْأَرْضِ : أَمِّي فَقِيرٌ . فَقَالَ لِغُلَامِهِ : يَا قَتْبِرُ ، اكْسُهُ حُلَّتِي ، فَكَسَاهُ الْحُلَّةَ ، فَقَالَ :

كَسَوْنِي حُلَّةً ثَبَلَى مَحَاسِنَهَا فَسَوَّفَ أُكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ حُلَلَا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي دِمَكْرَ صَاحِبِهِ كَالْقَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا
إِنْ يَلَتْ حُسْنُ ثَنَاءٍ يَلَتْ مَكْرَمَةٌ لَا تَبْغِينَ بِمَا قَدْ بَلَغْتَهُ بَدَلَا ^(٦)
لَا تَزْهَدْ الدَّهْرَ فِي عَرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ كُلُّ امْرِئٍ سَوَّفَ يُجْزَى بِالْيَدَى فَعَلَا

(١) في م : « وطلب » .

(٢) هكذا في م و ط .. ولم أقف عليه ، والأبيات المنسوبة إليه هنا تُنسبت لأكثر من شاعر ، ففي
« الوحشيات » منسوبة إلى « عبادة بن أبي الكلب » وفي معجم البلدان تُنسبت إلى « مُضَرَّس بن رَبِيعٍ » وفي اللسان
نُسبت إلى « عمرو بن شَأْس » .

[انظر « الوحشيات » لأبي تمام ص ٦٩ ، ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٣ مادة « ضمر » ، واللسان مادة « زعم »] .

(٣) العاقلة : التي تلوم وتعتب .

(٤) زَعَمَ هنا بمعنى : قال ووَعَدَ .

(٥) في الوحشيات : « لم أَلَمْ » .

(٦) الشطرة الأولى من البيت في م : « : إِنْ حُزْتُ يَلَتْ حُسْنُ ثَنَاءٍ يَلَتْ مَكْرَمَةٌ » أفتح الناسخ الفعل « حُزْتُ »

زيادة من عنده .. وربما كان يريد وضعه بدلاً من « يَلَتْ » ولا يستقيم الوزن إلا بحذف أحد الفعلين .

قَالَ عَلِيُّ : زِدْهُ مِائَةَ دِينَارٍ . فَأَعْطَاهُ إِثْبَاها ، فَلَمَّا وَثَى الْأَعْرَابِيُّ ^(١) قَالَ قَنْبَرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَرَّقْتَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ لَأَصْلَحَتْ بِهَا مِنْ شَأْنِهِمْ . فَقَالَ : مَهْ يَأْقَنْبَرُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « اشْكُرُوا لِمَنْ آتَى عَلَيْكُمْ ، وَإِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ » ^(٢) . وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ ^(٣) : إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ مِنْى حَاجَةً فَلْيَرْفَعْهَا فِي رُقْعَةٍ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ الْحَاجَةَ .

قُرِئَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ ، وَأَنَا أَسْمَعُ ^(٤) :

وَأَمْرَةً بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي فَلَيْسَ إِلَيْهِ مَا حَيْثُ سَبِيلُ ^(٥)
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْكَرَامِ وَلَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ ^(٦)
وَأِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يَزِرِي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بِخِيلُ ^(٧)

(١) قوله : « فلما وثى الأعرابى » عن « ط » .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه مجتزئاً في كتاب الأدب ج ٢ ص ١٢٢٣ ، والبيهقى في السنن الكبرى في كتاب قال أهل البغى ، باب ما على السلطان من إكرام وجوه الناس ج ٨ ص ١٦٨ ، وفيه سعيد بن مسلفة ، وهو ضعيف .
(٣) هو : مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ الْحَرَضِيُّ الْعَامِرِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، زَاهِدٌ ، مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ ، لَهُ كَلِمَاتٌ فِي الْحِكْمَةِ مَأْثُورَةٌ ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ ثَقَّةٌ فِيمَا رَوَاهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ . كَانَتْ إِقَامَتُهُ بِالْبَصْرَةِ ، وَفِيهَا تَوَلَّى سَنَةَ ٨٧ هـ عَلَى الْأَرْجَحِ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٧ ص ٢٥٠ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٤ ، ٦٥ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٤١ - ١٤٦] .

(٤) هو القاضي أبو الوليد الباجي شيخ الأندلس وعلمها في زمانه . وهو ممن سمع منه « الطرطوشي » وأخذ عنه مسائل الخلاف ، وقد مر بنا ذلك في المقدمة .. والشعر ورد في الأملى لأبي علي الغالي ، والمقد الفريد ، ووفيات الأعيان ، والمستطرف ، وهو لإسحاق الموصلي ، وقد طلب منه « الرشيد » أن ينشده شيئاً من شعره ، فأنشده قصيدة ، منها هذه الأبيات .

[انظر الأملى ج ١ ص ٣١ ، والمقد ج ١ ص ٢١٧ ، والوفيات ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والمستطرف ج ١ ص ٣٧٨] .

(٥) هكذا البيت في « ط » والمستطرف .. وفي « م » ، والعقد ، والوفيات : « فليس إلى ما تأمرين سبيل » ، وفي الأملى : « فذلك شيء ما إليه سبيل » .

(٦) هكذا البيت في « م » ، و « ط » ، والوفيات .. وفي الأملى : « أرى الناس خُلَّانَ الجواد... » . وفي المستطرف : « أرى الناس إخوان الكرم وما أرى .. » .

(٧) هكذا البيت في « م » ، و « ط » ، والوفيات .. وفي الأملى : « فإني » بدل « وإني » .

وَمِنْ خَيْرِ حَالَاتِ الْفَتَى لَوْ عَلِمْتِيهِ إِذَا نَالَ تَحِيْرًا أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ^(١)
وَلَعُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ^(٢) :

وَأَنَّى امْرُؤٌ عَافَى إِنَائِي شِرْكَةً وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافَى إِنَائِكَ وَاحِدٌ^(٣)
أَتَضْحَكُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتُ وَأَنْ تَرَى بِجِسْمِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدٌ^(٤)
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَارَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَصْلُ الْمَحَاسِنِ كُلُّهَا الْكَرَمُ ، وَأَصْلُ الْكَرَمِ تَرَاهُ النَّفْسُ عَنِ
الْحَرَامِ ، وَسَخَاوُهَا بِمَا مَلَكَتْ عَلَى الْخَاصِّ^(٦) وَالْعَامِّ ، وَجَمِيعُ خِصَالِ الْخَيْرِ مِنْ

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الأمال والوفيات : « إذا نال شفاء » .

(٢) هو عُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ بن زيد القنسي ، من غطفان ، من شعراء الجاهلية وفُرسانيها وأجودها ، كان يلقب بعروة الصعاليك ، ليجمعه لأهله ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، وكان يتميز بأخلاق كريمة تتجلى في كل مكان يصنعه من إحسان ، ويبدله من عطف تجاه الفقراء والمرضى والضعفاء . توفي نحو سنة ٣٠ قبل الهجرة .
[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٧٥ - ٦٧٧ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١١ - ٤١٣ ، والأغانى ج ٣ ص ٩١٩ - ٩٩٤ ، وشعراء النصرانية في الجاهلية ص ٨٨٣ - ٩١٦ ، وديوان عروة بن الورد ص ٧ - ١٥ ط دار صادر] .

(٣) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الشعر والشعراء ، والأغانى ، والديوان ، وشعراء النصرانية « إني » بحذف الواو ، وهذه الرواية يكون قد دخله « الحزم » بحذف الحرف الأول من « فعولن » كما مر . والعاق : الضيف طالب المعروف . ومعنى البيت يقول : إني أملك إناي لبناً حتى يفيض ويكثر ، فإن طرقتني إنسان وجد ذلك مهيباً له ، وكان شريكى فيه ، قل أو كثر عندى ، وأنت امرؤ عافى إنائك واحد ، أى : تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك ، فتشبع وهم يجوعون ، وأنا أهزل وأضيافى يسمنون .
[انظر المصادر السابقة] .

(٤) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي المصادر السابقة : « أمتزأ » مكان « أتضحك » .. وفي الشعر والشعراء ، والأغانى : « بجسمي شس الحق » .. وفي الديوان وشعراء النصرانية : « بوجهي شحوب الحق » .. ومعنى قوله : « والحق جاهد » أى : يجهد الناس ، وذلك أن الحق يطرحه فيؤثره على نفسه وعلى عياله .. والحق الذى ذكره هنا هو : صلة الأرحم ، وإعطاء السائل وذوى القربى ، فمن فعل ذلك جهده .

(٥) هكذا البيت في « م » و « ط » .. والمصادر السابقة ، ماعدا « الأغاني » ففيها « أفرق » مكان « أقسم » . ومعنى البيت : أقسم قوت جسمي ، وأؤثر به الغير على نفسي ، وأجتزئ بحشو الماء القراح الذى لاخالطه شيء من اللبن وغيره .. وللماء بارد : أى في الشتاء ، وذلك أشد .

وهذه الأبيات الثلاثة هي التي من أجلها قال عبد الملك بن مروان : « مايسرني أن أجد من العرب يمن ولذنى ، ثم يلدنى ، إلا عروة بن الورد » .

(٦) في « م » : « عن الخاص » .

فَرُوْعِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْبُهْلُولِ بْنِ رَاشِدٍ طَعَامٌ ، فَعَلَا السَّعْرَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَبِيعَ لَهُ ،
ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُشْتَرَى لَهُ رُبْعُ الْفَقِيرِ ^(١) ، فَبِيعَ لَهُ : ثَبِيعٌ وَتَشْتَرَى ؟ فَقَالَ : نَفْرَحُ إِذَا فَرِحَ
النَّاسُ وَنَحْزَنُ كَمَا حَزَنُوا .

وَلَا مَ حَاتِمَ طَمِيءٍ ^(٢) :

لَعَمْرِي لَقَدْ مَا عَضَّنِي الْجُوعُ عَضَّةً فَالَيْتُ أَلَا أَمْنَعُ الدَّهْرَ جَائِعًا
فَقُولَا لِهَذَا اللَّاحِمِ الْآنَ أَغْنِيَنِي فَإِنْ أَتَيْتَ لَمْ تَسْطِيعْ نَقْضُ الْأَصَابِعِ ^(٣)
فَهَلْ مَا تَرَوْنَ الْآنَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ يَتَرَكِي يَابْنَ أُمِّ الطَّبَّائِعَا ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْغِرْضِ فِي الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أُوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْغِرْضِ إِنْ أُوْدَى بِمُحْتَالٍ

وَبَرَزَى ^(٥) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، شَيْئًا ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَقَالَ : أَتَيْتُ بِحِمَالٍ يَحْمِلُهُ لَكَ ، فَأَتَاهُ بِحِمَالٍ ، فَأَعْطَاهُ

(١) في « م » : « ربع الفقير من طعام » . والفقير : مكبال كان يكال به قديمًا ، ويختلف مقداره من بلد لآخر ،
ويعادل بالتقدير المصري نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(٢) في « ط » : « زَلِمَ حَاتِمٌ طَمِيءٌ فَقَالَ » خطأ . والصواب ماورد في « م » ، فالشعر لأُم حاتم وليس له . وأمه
هي : غنية بنت عفيف ، وكانت ذات بصر ، ومن أسقى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تمسك شيئاً تملكه ،
فحجر عليها لإخوتها ، ومنعوا ما لها ، حتى تلوق ألم الجوع .. حتى إذا غلوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها قطعاً من
الإبل ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيا كل سنة تسألها المعطاء ، فقالت : والله لقد عضنني من الجوع ما لم أسمع
معه سائلاً أبداً ، فأعطتها الإبل ، وأنشدت هذه الأبيات التي معنا .. أما حاتم فهو : حاتم بن عبد الله بن سعد بن
الحشرج الطائي ، أبو عدى ، كان فارساً وشاعراً جاهلياً ، جواداً ، يُضرب المثل ببجده ، وقد تولى سنة ٤٦ قبل
الهجرة تقريباً ، وبعضهم أرخ وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ، ^(١) .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٥١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٩ ، والأغاني ج ١٩ ص ٦٦٩٣ -
٦٧٣٠ ، وشعراء النصرانية ص ٩٨ - ١٣٤] .

(٣) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المصادر السابقة « اللحمى » بالياء . « ولم تفعل » مكان « لم تسطع » .

(٤) هكنا البيت في « م » و « ط » .. والشطرة الأولى من البيت في الأغاني : « وما إن تَرَوْنَ اليومَ إِلَّا طَبَّاعًا » ..
وفي الشعر والشعراء : « وَلَا مَاتَرُونَ اليومَ إِلَّا طَبِيعَةً » .. وفي شعراء النصرانية : « وماذا ترون اليوم إلا طبيعة » .

(٥) في « م » : « وَرَوَى » .

طَلَسَانَهُ ^(١) وَقَالَ ، يَكُونُ كِرَاءُ الْحِمَالِ مِنْ قِبَلِي ^(٢) .

وَبَرَوَى أَنَّ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ ^(٣) سَأَلَتْهُ امْرَأَةٌ سُكْرُجَّةً عَسَلٍ ^(٤) فَأَمَرَ لَهَا بِزِقٍ عَسَلٍ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهَا سَأَلَتْ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهَا ، وَتَحْنُ تُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِ نِعْمَتِنَا .. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا اسْتَصَافَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْبٍ ^(٥) ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَرْجِعَ لَمْ يَعْثُرْ غِلْمَانَهُ ، فَسُئِلَ ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّهُمْ لَا يُعِينُونَ مَنْ ارْتَحَلَ عَنَّا ، وَفِي مَعْنَاهُ يَقُولُ الْمُتَنَبِّي ^(٧) :

(١) الطَّلَسَانُ : وشاح يوضع على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خالي من التفصيل والخيطة . وهو مأخوذ في العامية المصرية « بالشال » وهو لفظة فارسية معربة .

(٢) في (م) : « يكون هذا » أى : هذا الطلستان .. وكراء الحمال : أجرته . من قبل : أتحمّلها من عندي . (٣) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، القهقيّ بالولاء ، أبو الحارث ، إمام مصر في عصره ، حديثاً وفقهاً ، وُلِدَ لِي فَلَقَّ شَتْنَةً - من قرى مصر - سنة ٩٤ هـ ، وكان من الكرماء الأجواد ، قال عنه الإمام الشافعي : « الليث أقمه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به » . تولى - رحمه الله - سنة ١٧٥ هـ ، ودفن بالقاهرة ، وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٤٨ ، وحلية الأولياء ج ٧ ص ٣١٨ - ٣٣٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣ - ١٤ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ١٢٧ - ١٣٢ ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦] .

(٤) السُّكْرُجَّةُ : إناء صغير يوضع فيه الشيء القليل من الأقم .

(٥) هكذا في (ط) .. والمعنى : لجأ إليه . وفي (م) : « استصاف بعبد الله » أى : استجار به .. وعبد الله بن عامر سبق التعريف به .

(٦) في (م) : « فسأل » .

(٧) هو : الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، أبو الطيّب المتنبّي ، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجبلي ، الكوفي ، الكندي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ وطوّف بالبلاد ، ومدح سيف الدولة ابن حمدان بالشام ، وكافور الإغشيدى بمصر ، وعضد الدولة ابن بويه الديلمي .. مات مقتولاً سنة ٣٥٤ هـ ، وأخباره كثيرة .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ١١٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٥ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٥ ، ومقدمة شرح ديوان المتنبّي للبرقوق ج ١ ص ٢٠ - ٨٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٢٤] .

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ ^(١)

(١) البيت من قصيدة له يعاتب فيها سيف الدولة .. ومعنى البيت : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك ، حتى لا تضطر إلى مفارقتهم ، فهم المختارون لفراقك ، فكانهم هم الراحلون عنك .
[انظر الديوان ج ٤ ص ٨٩] .

البَابُ الْحَادِي وَالْثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا

الشُّحُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الْبُخْلُ وَمَنْعُ الْفَضْلِ . كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُحِّ نَفْسِي وَإِسْرَافِهَا وَوَسْوَاسِيهَا » ^(١) . وَرَوَى جَابِرٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) قَالَ : « اتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَفْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا الدِّمَاءَ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ » ^(٣) . وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا مُفَرَّقُونَ فَقَالُوا ^(٤) : الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ ^(٥) ، فَإِنَّ الْبُخْلَ أَكْثَرُ مَا يَهْلِكُ فِي النَّفَقَةِ وَاسْتَاكِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٦) : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٧) . وَقَالَ تَعَالَى ^(٨) : ﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَحْمِلْهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ^(٩) . وَقَالَ تَعَالَى فِي الشُّحِّ : ﴿ أَشِحَّةً

(١) ذكره القرطبي عن أنس عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر [ج ٨ ص ٦٥٠٩ ط الشعب] .

(٢) في « ط » : « عليه السلام » .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه مجتزئاً في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم ج ٨ ص ١٣٤ .
شرح النووي ، والقرطبي في تفسيره - انظر المصدر السابق .

(٤) في « م » : « فقال ، لا تصح » .

(٥) في « م » : « البخيل » تصحيف .

(٦) في « م » : « عز وجل » .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

(٨) قوله : « تعالى » عن « ط » في المواضع الثلاث .

(٩) سورة محمد ، من الآية ٣٨ .

عَلَى الْغَيْرِ أَوْلَيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ۖ (١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ ﴾ (٢) .

وَالشُّحُّ (٣) يَتَنَبَّهُ عَلَى الْكَرَّازَةِ (٤) وَالْإِمْتِنَاعِ ، فَهُوَ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَيْسَ الشُّحُّ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلُ مَالَهُ ، وَإِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ يَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ (٥) : سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكَتْ ، سَمِعْتُ اللَّهَ [تَعَالَى] (٦) يَقُولُ : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ شَرِيحٌ ، لَا يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ يَدِي شَيْءٌ . فَقَالَ (٧) لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ : هَذَا لَيْسَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَهُ (٨) اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ (٩) أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبُهْلُ ، وَفِيهِ الشَّيْءُ (١٠) الْبُهْلُ ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا كَمَا تَرَى .

(١) سورة الأحزاب ، من الآية ١٩ .

(٢) سورة الحشر ، من الآية ٩ . وسورة التغابن ، من الآية ١٦ .

(٣) في (ط) : « فالشُّحُّ » .

(٤) في (م) : « عن الكرَّازة » . والكرَّازة : التضيق والبُهل .

(٥) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح ، الحنظلي بالولاء ، البجلي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن ، شيخ الإسلام ، وقدة الزاهدین ، ولد سنة ١١٨ هـ أو بعدها بعام ، وأقضى عمره في الأسفار حاجًا وتاجرًا ، وجمع الحديث والفقه ، والعربية ، حدَّث عنه كثيرون من أهل الأقاليم ، منهم يحيى بن معين ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وحبان بن موسى ، وغيرهم . وكان من سكان « خراسان » .. توفى ببيت (على الفرات) منصرفًا من غزو الروم سنة ١٨١ هـ . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ١١٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ - ١٦٩ ، وطبقات الشمراني ج ١ ص ٥٩ ، ٦٠ ، وطبقات المفسرين ج ١ ص ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ ، والورقة لابن الجراح ص ١٥ - ١٧ ، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٧٨ - ٤٢١ ، والمعارف ص ٥١١ ، وطبقات الفقهاء ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ١٧٩ - ١٨١ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢١٢] .

(٦) ما بين المقوفين عن (ط) .

(٧) في (م) : « قال : ليس بالشُّح » .

(٨) في (م) : « يذكره » .

(٩) في (م) : « ولكن الشُّحُّ » مكان « فإنه » .

(١٠) في (م) : « وبس الاسم » . وفي تفسير القرطبي : « وبس الشيء » .

[انظر ج ٨ ص ٦٥٠٩] .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الشُّعْ (١) أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَقْبَلِ الْإِيمَانَ . وَقَالَ طَاوُوسٌ : الشُّعْ أَنْ يَخْلُ الْمَرْءُ بِمَا فِي أُيْدِي النَّاسِ ، وَالْبُخْلُ أَنْ يَخْلُ بِمَا فِي يَدَيْهِ . وَرَوَى أَنَسٌ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) قَالَ : « بَرِيءٌ مِنَ الشُّعِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ ، وَفَرَى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّائِيَةِ » (٣) . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ (٤) : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ الشُّعُّ إِلَى أَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَقَدْ وَقَاهُ شُعَّ نَفْسِهِ .

وَقَالَ أَبُو التَّيَّاجِ الْأَسَدِيُّ (٥) : رَأَيْتُ رَجُلًا فِي الطَّوَافِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ قِنِي شُعَّ نَفْسِي ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِذَا وُقِيتُ شُعَّ نَفْسِي لَمْ أَسْرِقْ ، وَلَمْ أَزْنِ . وَلَمْ أَفْعَلْ [شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى] (٦) ، وَإِذَا الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ (٧) .

(١) سقطت « الشع » من « م » .

(٢) في « ط » : عليه الصلاة والسلام .

(٣) الحديث مروي أيضاً في المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) هكذا في « ط » وفي تفسير القرطبي .. وفي « م » : « أبو زيد » .. ولعله يريد به ثابت بن زيد بن النعمان بن مالك ، وكنيته أبو زيد ، صحابي ، وقيل : إنه أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وتوفي في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ، فوقف عمر على قبره ، وقال : لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .. وفيه خلاف .

[انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٧ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٦٩] .

(٥) هو : أبو التَّيَّاجِ يزيد بن حميد ، فقيه ومحدث ثقة .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٢٣٨ ، وج ٣ ص ٣٢٥ ، والمعارف ص ٤٦٨ ، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٦٥٠٩ وفيه : أبو الهياج . خطأ] .

(٦) ما بين المقوذين عن « ط » وساقط من « م » ، والقرطبي .

(٧) هو : عبد الرحمن بن عَوْفٍ بن عبد عوف بن عبد الحارث ، أبو محمد ، الزُّهْرِيُّ النُّفَرِيُّ ، من كبار الصحابة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم ، وأحد السابِغين إلى الإسلام ، وكان من الأجواد الشجعان ، ولد حوالي سنة ٤٤ قبل الهجرة ، وشهد بدرًا وأُحُدًا والمشاهد كلها ، وكان يحترف التجارة . ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس ومحمسين ألف دينار في سبيل الله ، توفي في المدينة سنة ٣٢ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٣٢١ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٠ - ٤٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٨ - ١٠٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١ ص ٦٨ - ٩٢ ، وطبقات ابن سعد ص ١٣٠ - ١٣٧ ، والمعارف ص ٢٣٥ ، والجرح والتعديل ج ٥ ص ٢٤٧ ، وشمس الذهب ج ١ ص ٣٨ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠] .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبُهْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا يُخْلِفَ وَلَا يُثِيبَ ، وَهَذَا يُؤْمِنُ
التَّصْدِيقُ بِمَا تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ ، وَيَطْرُقُ الْحَلَلُ وَالْامْتِنَاعُ إِلَى جَمِيعِ الْأَوَامِرِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ
الْخَالِقِ ، وَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ ^(١) فِي تَرْكِ مُعَاوَنَتِهِمْ وَالْتِمَاسِ لَهُمْ . وَقَالَ كِسْرَى
لَأَصْحَابِهِ : أَيُّ شَيْءٍ أَضُرُّ بِأَهْلِ آدَمَ ؟ قَالُوا : الْفَقْرُ . فَقَالَ ^(٢) كِسْرَى : الشُّحُّ أَضُرُّ مِنْ
الْفَقْرِ ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشُّحَّيْحَ لَا يَتَّسِعُ أَبَدًا .

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّافِعِيُّ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، كَانَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَالُوا لَهُ :
تَشْتَرِي بِهَا ضَيْعَةً ، فَضَرَبَ خِيَمَتَهُ خَارِجَ مَكَّةَ ، وَصَبَّ الدِّنَانِيرَ ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ
كَانَ يُعْطِيهِ قَبْضَةً قَبْضَةً ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ قَامَ وَتَفَضَّ الثَّوْبَ وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ . وَلَمَّا
قَرِيبَ وَقَاتِهِ قَالَ : مُرُوا فَلَنَا يُغْسِلُنِي ^(٣) ، وَكَانَ الرَّجُلُ غَائِبًا ، فَلَمَّا قَدِمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ ،
فَدَعَا بِتَذَكُّرِيهِ ^(٤) فَوَجَدَ عَلَيْهِ ^(٥) سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ دِينًا ، فَقَضَاهَا وَقَالَ : هَذَا غَسَلِي
إِيَّاهُ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يُؤْذِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى وَجْهَهُ الْبَلَدَ ^(٦) وَقَالَ : يَقُولُ
لَكُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُوا الْيَوْمَ عِنْدِي ، فَأَتَوْهُ فَمَلَعُوا الدَّارَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَأُخْبِرَ
الْخَبِيرَ ، فَأَمَرَ أَنْ تُشْتَرَى الْمَاكِهَةُ ^(٧) فِي الْوَقْتِ ، وَأُمِرَ بِالْخُبْزِ وَالطَّبِيخِ ، فَأَصْلَحَ الْفَرَى ،
فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ لِرُكَلَّائِهِ : أُمُوجُودُ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَلْيَتَعَدَّ هَؤُلَاءِ
كُلُّهُمْ كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَنَا !

وَمِنْ الْخِصَالِ الْمَجَارِيَةِ مَجْرَى الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ ، وَلَقَلَّهَا مِنَ الْأَصُولِ ، الصَّبْرُ .

(١) في م : : وبين العبد والخلق .

(٢) في م : : قال .

(٣) أوصى بأن يغسله محمد بن عبد الحكم .

(٤) التذكرة : ما تستذكر به الحاجة .

(٥) في م : : فوجد فيها .

(٦) وجوه البلد : ساداته وأشرافه .

(٧) في م : : الفواكه .

البَابُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ

فِي الصَّبْرِ

الصَّبْرُ زِمَامُ سَائِرِ الْخِصَالِ ^(١) ، وَزَعِيمُ الْغَنَمِ وَالظَّفَرِ ^(٢) ، وَمَلَاكُ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، وَبِهِ يُتَالُ كُلُّ خَيْرٍ وَمَكْرَمَةٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَمُتْ كَلِمَةً رَبُّكَ الْحُسْنَى عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ [تَعَالَى] ^(٤) : ﴿ إِنَّمَا يُؤَلِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٥) . فَمُعْظَمُ وَطَائِفِ الدِّينِ ذَكَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ جَزَاءَ مَعْلُومًا لِمَنْ أَقَامَهَا ، إِلَّا الصَّبْرَ ، فَإِنَّهُ [مُجَازَاةٌ] ^(٦) بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ ^(٧) . قِيلَ : عَنِ الدُّنْيَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ جَعَلَهُمُ اللَّهُ رُؤَسَاءَ ، وَقَالَ [تَعَالَى] : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ^(٨) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ

(١) فِي ٥ م : « زِمَامُ الْخِصَالِ » .

(٢) الْغَنَمُ : الْفُوزُ بِالشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . وَالظَّفَرُ : الْفُوزُ وَالْفَلَاحُ . وَمَلَاكُ : يَرَامُ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٣٧ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمُعْفُوفِينَ عَنْ « ط » فِيمَا سِيَأْتِي مِنْ قَوْلِهِ : « تَعَالَى » .

(٥) سُورَةُ الزُّمَرِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٠ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْفُوفِينَ عَنْ ٥ م .

(٧) سُورَةُ السَّجْدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٢٤ .. وَلِى ٥ م « خَلَطَ النَّاسُخَ بَيْنَ جُزْءٍ مِنَ الْآيَةِ ٧٣ مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ وَجَاءَ بَقِيَّةُ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ ، الْآيَةِ ٢٤ إِلَى مَعْنَا ، وَهِيَ ﴿ لَمَّا صَبَرُوا ﴾ .

(٨) سُورَةُ الْجِنِّ ، الْآيَةُ ٩٧ .

لَا يَكْذِبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١﴾ . وَقَالَ [تَعَالَى] :
﴿ وَلَقَسْمَعُنْ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

ثُمَّ نَدَبَهُمْ إِلَى الصَّبْرِ مَعَ وُجُودِ الْأَذَى فَقَالَ : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَلْتَكُنْ فَاِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عِزِّ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٣﴾ . فَالصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الْأَوَامِرِ وَالْمَكَارِهِ ، وَعَنِ التَّوَامِي
وَالْمَعَاصِي ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُؤَدُّونَ قَلِيلَ لَهُمْ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعِمْ
عُثْمَى الدَّارِ ﴾ ﴿٤﴾ . فَأَعْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَثَابَهُمْ ﴿٥﴾ جَنَّتَهُ بِصَبْرِهِمْ ، يَعْنِي : صَبَرْتُمْ عَلَى
طَاعَةِ اللَّهِ ، وَصَبَرْتُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ﴿٦﴾ أَيِ : اخْبِرْ نَفْسَكَ [الْآيَةِ] ﴿٨﴾ . فَمِنْ أَمَارَاتِ
حُسْنِ التَّوْفِيقِ وَعَلَامَاتِ السَّعَادَةِ الصَّبْرُ فِي الْمُلِمَّاتِ ﴿٩﴾ ، وَالرَّفْقُ عِنْدَ التَّوَزُّلِ .

وَفِيمَا يَرَوِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا دَاوُدُ ، مَنْ صَبَرَ عَلَيْنَا
وَصَلَّ إِلَيْنَا . وَقَالَ سَفِيَانُ : بَلَّغْنَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةً ، وَثَمَرَةُ الصَّبْرِ الظَّفَرُ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ . فَعَلَّقَ الْفَلَاحَ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى ﴿١١﴾ ، يَعْنِي : اصْبِرُوا عَلَى مَا قَرَضَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَصَابِرُوا عَذَابَكُمْ ، وَرَابِطُوا فِيهِ قَوْلَانِ : قِيلَ : رَابِطُوا عَلَى الْجِهَادِ .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٦ .

(٣) تكملة الآية السابقة (١٨٦) من سورة آل عمران .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٢٤ .

(٥) في (م) : : : أَثَابَهُمْ .

(٦) في (م) : : : مَعَاصِي .

(٧) سورة الكهف ، من الآية ٢٨ .

(٨) ما بين المعقوفين عن ط .

(٩) الْمُلِمَّاتُ : المصائب والنوازل الشديدة .

(١٠) سورة آل عمران ، الآية ٢٠٠ .

(١١) في (م) : : : بِنَى التَّقْوَى ، خطأ من الناسخ .

وَالثَّانِي : رَابِطُوا عَلَى الْإِظْطَارِّ الصَّلَوَاتِ ، بِدَلِيلِ مَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُذَلِّكُمْ عَلَى مَا يَحْطُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ^(٢) وَالْإِظْطَارُّ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ^(٤) قَالَ : ابْتِلَاؤه بِالْكُوكَبِ فَصَبَّرَ [وَبِالْقَمَرِ فَصَبَّرَ] ^(٥) وَابْتِلَاؤه بِذَبْحِ ابْنِهِ فَصَبَّرَ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ [وَتَعَالَى] ^(٦) : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٧) . فَبَدَأَ بِالصَّبْرِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَجَعَلَ نَفْسَهُ مَعَ الصَّابِرِينَ دُونَ الْمُصَلِّينَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) لِلْأَنْصَارِ : « مَا يَكُنْ ^(٩) عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُغْفَرْ لَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعِزْ ^(١٠) يُعِزَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ

(١) في « م » : « قال النبي » .

(٢) قوله : « وكثرة الخطا إلى المساجد » من « ط » ، وهي مذكورة في نص الحديث .

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ بشرح النووي ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ج ١ ص ١٤٨ ، وكتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ج ١ ص ٢٥٥ ، والبيهقي في سننه ، في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في فضل المشي إلى المسجد للصلاة ج ٣ ص ٦٢ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية ١٢٤ .

(٥) ما بين المقوفين عن « م » .

(٦) ما بين المقوفين عن « ط » .

(٧) سورة البقرة ، من الآية ١٥٣ . وفي « م » : « واستعينوا » بالزوا . وهم وخلط من الناسخ ، إذ أن الواو ذكرت في الآية الخامسة والأربعين من السورة نفسها .. والآية بتامها : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .

(٨) في « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٩) هكذا في « م » و « ط » وصحيح مسلم .. وفي الموطأ والبخاري : « ما يكون » . وكلاما صواب . وسبب هذا الحديث أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ، ﷺ ، فأعطاهم ، ثم سأله فأعطاهم حتى نفذ ماعنده ، فقال لهم هذا الحديث .

(١٠) مَنْ يَسْتَعِزْ : أي يظهر العِزَّ .

الله ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرَ أُوسَعٍ مِنَ الصَّبْرِ ^(١) . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِقِسْمَةٌ مَا لَيْدٌ بِهَا وَجْهُ اللهِ ، فَأُخْبِرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) فَشَقَّ عَلَيْهِ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُخْبِرْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » ^(٣) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ ، فَقَالَ لَهَا : « أَتَقِي ^(٥) اللهُ وَأَصْبِرِي » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمِثْلِ مُصِيبَتِي ^(٦) ، فَلَمَّا قِيلَ لَهَا هَذَا رَسُولُ اللهِ ، جَاءَتْ إِلَيْهِ تَعْتَذِرُ أَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهُ ، وَقَالَتْ : سَأَصْبِرُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » ^(٨) ، وَيَحْتَمِلُ ^(٩) هَذَا الْحَدِيثُ وَجْهَيْنِ : أَمَّا الْخَطَأِيُّ ^(١٠) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّبْرَ الْمَحْمُودَ عِنْدَ أَوَّلِ

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، باب الاستغفار عن المسألة ، وآخره : « ... عطاء خيرًا وأوسع ... » وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، وآخره : « وما أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عطاء خيرٍ وأوسع من الصبر » رفع « خير » والتقدير : هو خير . ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب الصدقة ، باب ما جاء فى التعفف عن المسألة ، والدارمى فى كتاب الزكاة ، باب فى الاستغفار عن المسألة .

(٢) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، باب من أخبر صاحبه بما يُقال فيه وغيره . وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه إن لم يُعط ، والترمذى فى المناقب .

(٤) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٥) فى « م » : « اتق » خطأ من الناسخ .

(٦) فى « م » : « بمصيبتي » .

(٧) فى « ط » : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب زيارة القبور ج ٣ ص ١٤٨ من فتح البارى .. ومسلم فى كتاب الجنائز ، باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ج ٦ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بشرح النووي .

(٩) من قوله : « ويحتمل » إلى قوله : « الصدمة الأولى » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(١٠) فى « ط » : « الطائى » خطأ ، والتصويب من فتح البارى ، فالقول الذى معنا هنا منسوب له فى المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ ، ١٥٠ . وهو : الفقيه المحدث حمَّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى ، أبو سليمان الخطائى ، التوفى سنة ٣٨٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠١٨ - ١٠٢٠] .

تُزُولُ الْمُصِيبَةِ ، وَقَدْ فَاتَكَ بِالْجَزَعِ . وَأَمَّا الْقَابِسِيُّ ^(١) فَقَالَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّدْمَةَ الْأُولَى ^(٢) وَتَتْ أَمْرَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) بِالصَّبْرِ . وَكَانَ هَذَا تَعْلِيمًا لِكُلِّ مَنْ فَاتَهُ الصَّبْرُ بِذَهْوِلٍ أَوْ نِسْيَانٍ أَوْ غَلَبَةٍ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ : « الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ » . وَفِي مَثْنَوِي الْحَكِيمِ : قَالَتِ الصَّحَّةُ : أَنَا لِاحِقَةٌ بِأَرْضِي الْمَغْرِبِ ، قَالَ الْجُوعُ ^(٥) وَأَنَا مَعَكَ . قَالَ الْإِيمَانُ : أَنَا لِاحِقٌ بِأَرْضِي الْحِجَازِ ، قَالَ الصَّبْرُ : أَنَا مَعَكَ . قَالَ الْمُلْكُ : أَنَا لِاحِقٌ بِأَرْضِي الْعِرَاقِ ، قَالَ الْقَتْلُ : أَنَا مَعَكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَجَلَةَ خُرْقُ ^(٦) وَمَخْرَجُهَا مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَأَخْرَقَ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، وَمَثَلُ ^(٧) ذَلِكَ كَالْفَلَنِرِ عَلَى النَّارِ ، إِنْ كَانَ مَأْوَاهُ ^(٨) قَلِيلًا غَلَتْ يَسِيرُ مِنَ النَّارِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوءَةً لَمْ تَغْلِ ^(٩) حَتَّى تَكْثُرَ نَارُهَا وَتَطُولَ مُدَّتُهَا . وَفِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ يَحْرَد » ^(١٠) وَلَيْسَ ^(١١) لِلْعَجَمِ كِتَابٌ مِثْلُهُ ، قَالَ : مُحَرَّمٌ عَلَى السَّامِعِ

(١) هو : الحافظ ، المُحَدِّثُ ، الفقيه الأصولي ، علي بن محمد بن خلف الماعزى ، أبو الحسن ، من أهل القيروان من قرى قابس ، ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان ضريباً ، وله كتب غاية في الصَّحَّةِ ، وكان يضبطها له ثقات أصحابه ، وكان ورعاً زاهداً تقياً . توفى - رحمه الله - بالقيروان سنة ٤٠٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٠ -

٣٢٢ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨] .

(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من م .

(٣) في م : عليه السلام .

(٤) في ط : عليه الصلاة والسلام .

(٥) في م : الجزع ، تصحيف .

(٦) الخُرْقُ : الجهل والحقق .

(٧) في م : ومثال .

(٨) في م : مَلُوْهًا . وفي ط : مَأْوُهُ . والقنر : مؤنثة ، وقد تُذكر .

(٩) في م : لَمْ يَغْلِ .

(١٠) جَاوِيدَانِ : لفظة فارسية معناها : الخالد ، أو الطويل العمر . ويحْرَد : العقل والذكاء . وبضم الخاء وسكون الدال : الصغر من كل شيء .

وهذا الكتاب منسوب إلى « هوسنك شاه » وقد غرَّبه الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، ولخصه أيضاً في تعريه . وأورد الشيخ علي بن مسكويه هذا الملخص في كتابه التَّمَسُّى بأدب العرب والفرس .

[انظر كشف الظنون للحاجي خليفة ج ١ ص ٣٨٧] .

(١١) في م : ليس ، بدون الواو .

تَكْذِيبُ الْقَائِلِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، هُنَّ غَيْرُ الْحَقِّ : صَبْرُ الْجَاهِلِ عَلَى مَضَضِ الْمُصِيبَةِ ، وَعَاقِلٌ أَبْقَضَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَحَمَاةٌ أَحَبَّتْ كَنَّهُ (١) .

فصل

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى أَقْسَامٍ : صَبْرٌ عَلَى مَا هُوَ كَسْبٌ لِلْعَبْدِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ ، فَالصَّبْرُ عَلَى الْكَسْبِ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَبْرٌ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، وَصَبْرٌ عَلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى مَا لَيْسَ بِكَسْبٍ لِلْعَبْدِ ، فَكَصْبُهُ (٢) عَلَى مُقَاسَاةٍ (٣) مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا لَهُ فِيهِ مَشَقَّةٌ ، وَيَنْقَسِمُ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ (٤) عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَأَوَّلُ أَقْسَامِهِ وَأَوَّلَاهَا (٥) : الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالِاتِّهَاءِ عَمَّا (٦) نَهَى عَنْهُ . وَالثَّانِي : الصَّبْرُ عَلَى مَافَاتٍ إِذْرَاكُهُ مِنْ مَسَرَّةٍ ، أَوْ تَقْصُصَتْ أَوْفَاتُهُ مِنْ مُصِيبَةٍ . وَالثَّلَاثُ : الصَّبْرُ فِيمَا يَنْتَظَرُ وُرُودَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَخْشَى حُدُوثَهُ ، مِنْ رَغْبَةٍ يَخَافُهَا . وَالرَّابِعُ : الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حَلَّ مِنْ أَمْرِ مَخُوفٍ ، وَجَمِيعُ أَقْسَامِهِ مَحْمُودَةٌ (٧) بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَفِي كُلِّ مِلَّةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ أُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ أَوْ كَافِرَةٍ .

وَقَالَ أَكْتُمُ بْنُ صَيْفِي : مَنْ صَبَرَ ظَهَرَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨) : الصَّبْرُ مَطِيلَةٌ لَا تُكْبَرُ ، وَالْقَنَاعَةُ سَيْفٌ لَا يَنْبُو (٩) . وَقَالَ أَرْدَشِيرُ : الصَّبْرُ

(١) الكِنَّةُ : امرأة الابن .

(٢) فِي م : : كَصْبِهِ .

(٣) فِي م : : مَقَامَاتٍ ، تَصَحِيفُ .

(٤) فِي م : : وَجْهٍ آخَرَ .

(٥) فِي م : : وَأَوَّلَاهُ .

(٦) فِي م : : وَعَيْنٌ ، لَا تَصَحُّ هُنَا ، إِذْ أَنَّ « مَنْ » اسْمُ مَوْصُولٍ لِلْعَاقِلِ بِعَكْسٍ « مَا » الَّتِي تَسْتَعْمَلُ لِعَمَلِ الْعَاقِلِ .

(٧) فِي م : : عَمُودٌ .

(٨) فِي م : : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، مَعًا .

(٩) لَا تَكْبَرُ : لَا تَكْبُ عَلَى وَجْهِهَا : وَسَيْفٌ لَا يَنْبُو : يَصِيبُ الضَّرْبُ .

الدَّرَك . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ^(١) : « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ . وَبِالصَّبْرِ يَتَوَقَّعُ الْفَرَجُ » .
 وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الصَّبْرُ سِتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ » . وَقَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : أَفْضَلُ الْعُلَّةِ ^(٢) الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ ^(٣) : لَمْ
 أَسْمَعْ أُعْجِبَ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) : لَوْ كَانَ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ
 مَطْلَبَيْنِ ^(٥) مَا بَالَيْتُ أَيهُمَا رَكِبْتُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِالصَّبْرِ عَلَى مَوَاقِعِ الْمَكْرُوهِ
 تُذَرِّكُ الْخُطُوطُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ فِي كِتَابِ : « الْيَتِيْمَةِ » ^(٦) : الصَّبْرُ صَبْرَانِ ^(٧) ، فَالْقَامُ أَصْبَرُ
 أَجْسَامًا ، وَالْكِرَامُ أَصْبَرُ نُفُوسًا . وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ صَاحِبُهُ أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ
 الْجَسَدِ ^(٨) عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ ^(٩) الْحَمِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ
 غَلَبًا ، وَلِلْأُمُورِ مُحْتِمَلًا ، وَلِحَاشِيهِ عِنْدَ الْحِفَاطِ مُرْتَبِطًا ^(١٠) . وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمَةِ :
 مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيَعِدْ لِلْمَصَائِبِ قَلْبًا صَبُورًا . وَقَالَ بَزْرَجِيهَرُ : لَمْ أَرْ ظَهِيرًا ^(١١) عَلَى

(١) في د م : « وعليه السلام » في الموضعين .

(٢) العُلَّة : ما أُعِدُّ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ .

(٣) هو : عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، العامري بالولاء المعروف بالكاتب ، عالم بالأدب ، ويَضْرِبُ به المثل في
 البلاغة ، سكن الشام ، وصار كاتباً لمروان بن محمد آخر ملوك الدولة الأموية .. توفي سنة ١٣٢ هـ .
 [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٨ - ٣٣٢ ، وثمار القلوب
 ص ١٩٦ - ١٩٩] .

(٤) مابين المعقوفين عن د ط .

(٥) في د م : « لو كان الشكر والصبر مطبتان » والأخيرة خطأ من الناسخ ، والصواب : « مطبتين » .

(٦) وفي الأدب الكبير أيضاً .

(٧) هكذا في د م ، و د ط .. والكلام هكذا يبدو ميتوراً ، ففي الأدب الكبير : « الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرُ الْمَرْءِ عَلَى
 مَا يَكْرَهُ ، وَصَبْرُهُ عَمَّا يُحِبُّ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ أَكْبَرُهُمَا وَأَشْبَهُهُمَا - بَعْنِي أَطْلَهُمَا - أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مَضْطَرًا .
 وَعَلِمَ أَنَّ الْقَامَ أَصْبَرُ أَجْسَادًا .. الخ .

[انظر المصدر السابق ص ١١٠] .

(٨) في د م : « الجسم » .

(٩) في د م : « وصف » .

(١٠) الجَأَشُ : النفس والقلب .. والمراد : أن يكون ثابتاً عند الشدائد .

(١١) ظهراً : مُعِينًا .

تَنْقِلُ الدُّوَلُ كَالصَّبْرِ ، وَلَا مُذِلًّا لِلْحُسَادِ كَالْتَّجَمُلِ ، وَلَا مَكْسِبَةً لِلْإِجْلَالِ كَتَوَكُّي
الْمُرَاجِ (١) ، وَلَا مَجْلِبَةً لِلْمَقْتِ كَالْإِعْجَابِ ، وَلَا مَتَلَفَةً لِلْمُرُوءَةِ كَاِسْتِعْمَالِ الْهَزْلِ فِي
مَوْضِعِ الْجِدِّ .

فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (٢) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالِإِنتِهَاءِ عَنْ
مَحَارِمِهِ ، فَبِهِ يَصِحُّ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَامْتِكَمَالُ السُّنَنِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا
يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) . وَلِلَّذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ . وَقَالَ الْجُنَيْدُ : الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا
سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ ، وَهَجْرُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى
اللَّهِ [تَعَالَى] (٤) شَدِيدٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى شَدِيدٌ . وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ : تَجَرُّعُ
الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيسٍ (٥) . وَكَانَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ (٦) إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّا
وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٧) بَكَى ثُمَّ قَالَ : وَاعْجَبَاهُ ! أُعْطِيَ وَأُنْتَى (٨) .
وَقَالَ الْخَوَاصُ (٩) : الصَّبْرُ : الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ

(١) المُرَاج : الهَزْل .

(٢) هكذا في ط .. وفي م : : « القسم الثاني ، خطأ من الناسخ .

(٣) سورة الزمر ، من الآية العاشرة .

(٤) ما بين المعقوفين عن م : .

(٥) التغييس : التجهُّم .

(٦) من رواية الحديث . [انظر ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٢] .

(٧) سورة ص : من الآية ٤٤ .

(٨) في م : : « واعجباً » والمراد بقوله : « أعطى » قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأَوَّلَى الْأَرْبَابِ ﴾ .. وهى الآية الثالثة والأربعون من سورة (ص) والمراد بالتفاء ، قوله تعالى : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ .

(٩) هو : إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق ، صوفى من أقران الجنيد ، وكان أوحده المشايخ في وقته ، وُلِدَ
في « سُرَّ مَنْ رَأَى » وتوفى في جامع الرُّمى سنة ٢٩١ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٤ - ٢٨٧ ، وطبقات الشعرائى ص ٩٧ ،
٩٨ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٧ - ١٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٢٥ - ٣٣١ ، والرمالة القشورية ج ١
ص ١٤٧] .

ابْنُ ثَيْدٍ (١) : مَنْ تَوَى الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى صَبْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَقَوَاهُ (٢) ، وَمَنْ عَزَمَ عَلَى الصَّبْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ [تَعَالَى] (٣) أَغَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُ مِنْهَا .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَوْصِنِي . فَقَالَ الْقَاسِمُ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي مَوَاضِعِ الصَّبْرِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ عَمَّا (٤) نَهَى اللَّهُ [تَعَالَى] عَنْهُ ، وَهُوَ الْأَفْضَلُ . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الصَّبْرُ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ ، فَإِنَّ (٥) مَنْ خَافَ شَيْئًا صَبَرَ عَلَى الْفِرَاقِ مِنْهُ ، وَصَبَرَ عِنْدَ الْكَرَاهِيَةِ لِمَا يَخْذَرُ (٦) مِنْ ضَرَرِهِ ، وَمَنْ رَجَا شَيْئًا صَبَرَ عَلَى طَلَبِهِ لِيَقْتَرِبَ بِهِ (٨) .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَاقَاتِ إِفْرَاقِكُ مِنْ مَسْرَةٍ ، أَوْ تَقَعُّضِ أَوْقَاتِهِ مِنْ مُصِيبَةٍ ، فَإِنَّهُ يَتَّعَجَّلُ بِهِ الرَّاحَةَ مَعَ اكْتِسَابِ الْمُثُوبَةِ ، فَإِنَّ صَبْرَ طَائِفَةٍ اسْتَرَاحَ وَأُخْرَى الثَّوَابَ ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ حَمَلَ الْهَمَّ وَالْوِزْرَ (٩) . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ (١٠) : إِنْ تَجَزَّعَ فَقَدْ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ مِنْكَ بِالرَّجَمِ ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَقَدْ قَبِلَ ثَوَابَ اللَّهِ تَعَالَى خَلْفَ مِنْ أَيْنِكَ ، وَإِنْ صَبِرْتَ (١١) جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ

(١) هو : عبد الواحد بن زيد البصري ، الزاهد ، من رواة الحديث ، وأحد أعلام الصوفية ، لحق الحسن وغيره ، وكان مستجاب الدعوة ، توفي سنة ١٧٧ هـ .

[انظر طبقات الأولياء ص ١٨٣ ، والرسالة القشوبية صفحات متفرقة ، وشنرات الذهب ج ١ ص ٢٨٧] .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مَنْ تَوَى الصبر على طاعة الله عز وجل صبره الله عليها » . وسقط « وقواه » منها .

(٣) ما بين المقوقفين عن « ط » .

(٤) في « م » : « عندما » تصحيف .

(٥) ما بين المقوقفين عن « م » .

(٦) « فإن » عن « ط » .

(٧) في « م » : « وصبر عن كرامته ما يحذر » تحريف .

(٨) ابتداء من هنا إلى قوله : « يتعجل به الراحة » عن « ط » وساقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٩) الوزر : اللزب .. وفي « م » : « والوزرة » لا تصح بهذا المعنى .

(١٠) قاله علي ، كرم الله وجهه ، يُعْزَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَيُؤَسِّسُهُ عَنْ ابْنِ لَه .

[انظر ضريح البلاغة ص ٥٢٧ ط دار الكتاب اللبناني] .

(١١) في « ط » : « إن تصبر » .

مَأْجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ ^(١) . وَنَظَمَهُ أَبُو تَمَّامٍ ^(٢) فَقَالَ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لِأَشْعَثِ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَائِمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوَى عِزَاءً وَحِسْبَةً فَتُوجَرُ أَمْ تُسَلُّو سُلُو الْبِهَائِمِ ^(٣)
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْعِزَا وَتِلْكَ الْأَيَّامِي لِلْبُكََا وَالْمَائِمِ ^(٤)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِرَجُلٍ : إِنْ صَبَرْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ
مَأْجُورًا ، وَإِنْ جَزَعْتَ مَضَى أَمْرُ اللَّهِ وَكُنْتَ مَأْزُورًا . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَاللَّهِ لَوْ كُفَلْنَا
الْجَزَعُ ^(٥) مَا قُنْنَا بِهِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آجَرَنَا عَلَى مَا لَوْ نَهَانَا عَنْهُ لَصِيرْنَا إِلَيْهِ . وَعَنْ
هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ ، الْجَزَعُ أَثَبُّ مِنَ الصَّبْرِ ، فَيُفَى الْجَزَعُ التَّعَبُ وَالْوُزْرُ ، وَفِي الصَّبْرِ
الرَّاحَةُ وَالْأَجْرُ . وَلَوْ صَوَّرَ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ لَكَانَ الصَّبْرُ أَحْسَنَ صُورَةً وَأَكْرَمَ
طَبِيعَةً ، وَلَكَانَ الْجَزَعُ أَقْبَحَ صُورَةً وَأَخْوَرَ ^(٦) طَبِيعَةً ، وَلَكَانَ الصَّبْرُ أَوْلَاهُمَا بِالْعَلِيَّةِ

(١) في (م) : جَرَى عَلَيْكَ الْمَقْدُورُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ « أَيْ : مَقْتَرِفٌ لِلْوُزْرِ ، وَهُوَ : الذَّنْبُ .

(٢) هُوَ الشَّاعِرُ : حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ الْحَارِثِ الطَّائِي ، أَحَدُ أَمْرَاءِ الْبَيَانِ ، وَلَدَ فِي « جَاسِمٍ » مِنْ قُرَى « حَوْرَانٍ »
بِسُورِيَّةٍ ، سَنَةِ ١٨٨ هـ . وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ ، وَاسْتَقْدَمَهُ الْمُتَعَصِّمُ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَجَازَهُ وَقَدَّمَهُ عَلَى شُعْرَاءِ عَصْرِهِ .. وَلَهُ
تَصَانِيفٌ ، مِنْهَا : دِيْوَانُ الْحِمَاسَةِ ، وَخِتَارُ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ ، وَنَقَائِصُ جَرِيرٍ وَالْأَخْطَلِ ، وَالْوَحْشِيَّاتِ ، وَغَيْرَهَا .. تَوَفَّى
سَنَةَ ٢٣١ هـ .

[انظُر تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَعْلَامِ ج ٢ ص ١٦٥ ، وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ج ٢ ص ١١ - ٢٦ ، وَطَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ص ٢٨٢ -
٢٨٦ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ج ٦ ص ٢٤٨ - ٢٥٣ ، وَالْأَغَانِي ج ١٧ ص ٦٢٢٧ - ٦٢٥٠ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ج ١ ص
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٧٢ - ٧٤ ، وَالْمَوَازِنَةُ بَيْنَ شُعْرَى أَمِي تَمَّامٍ وَالْبَحْرَى ج ١] .
وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ فِي دِيْوَانِهِ ضَمَّنَ قَصِيدَةٍ مِنْ تِسْعَةِ عَشَرَ بَيْتًا يَمْدَحُ فِيهَا مَالِكَ بْنَ طَلُوقٍ وَيَعْزِيهِ عَنْ
أَخِيهِ الْقَاسِمِ بْنِ طَلُوقٍ .

(٣) هَكَذَا الْبَيْتُ فِي « ط » وَالدِّيْوَانِ .. وَفِي « م » وَأَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ : « خَشْيَةٌ » بَدَلُ « حِسْبَةٌ » .

[انظُر أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، فِي الصَّبْرِ وَالْجَزَعِ ص ٣٤٦] .

(٤) الْأَيَّامِي : اللَّائِي قَفَذَتْ أَرْوَاجَهُنَّ .. وَالْبَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ :

« خُلِقْنَا رِجَالًا لِلصَّبْرِ وَالْأَمْسَى .. وَتِلْكَ الْعَوَانِي لِلْبُكََا وَالْمَائِمِ » .

[انظُر دِيْوَانُ أَمِي تَمَّامٍ ج ٢ ص ٢٥٩ ط دَارُ الْمَعَارِفِ] .

(٥) هَكَذَا فِي « ط » .. وَيُقَالُ : كَلَّفَهُ الْأَمْرَ : أَوْجَبَهُ عَلَيْهِ .. وَفِي « م » : « وَاللَّهِ لَوْ قَدْ كُفَلْنَا بِالْجَزَعِ » . وَالْأَوَّلُ
أَفْصَحُ .

(٦) أَخْوَرُ : أَضْعَفُ . وَفِي « م » : « أَجْوَرُ » أَيْ : أَظْلَمُ . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

لِحُسْنِ الْخَلْقَةِ وَكَرَمِ الطَّبِيعَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَوْ وَكَّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لِلْجَنَّةِ إِلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ لِلْمُهَدِّي ^(١) : إِنَّ الْمَرْءَ ^(٢) أَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِهِ ^(٣) ، وَأَلْشَدَّ :

وَإِذَا تُصِيبُكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمَتْ مُصِيبَةٌ مُبْتَلَى لَا يَصْبِرُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَعَوَّضْتُ أَجْرًا مِنْ قَعِيدٍ فَلَا تُكُنْ قَعِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَيْسَ بِمَجْمُوعٍ لَهُ الرُّشْدُ مَنْ تَابَعَ التَّلَهُّفَ عَلَى فَائِتٍ ، أَوْ أَكْثَرَ الْفَرَحِ عِنْدَ مُسْتَطَرَفٍ ^(٤) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : إِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا قَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَمَنْ أَتَقَنَّ أَنْ كُلَّ فَائِتٍ إِلَى الْقَضَاءِ ^(٥) حَسَنَ عَزَاؤُهُ عِنْدَ تَزُولِ الْقَضَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا طَالَ بِالْمَحْزُونِ أَيَّامُ صَبْرِهِ كَسَاهُ ضَنَا طُولِ الْمَقَامِ عَلَى الصَّبْرِ ^(٦)
وَلَأَشَدَّ أَنْ الصَّبْرَ يُحْمَدُ غَيْثُهُ وَلَكِنْ إِنْفَاقِي عَلَيْهِ مِنَ الْعُمْرِ ^(٧)

وَقَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ : الصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ : عَلَى الشَّوْقِ ، وَالْإِشْفَاقِ ، وَالزُّهْدِ ^(٨) ، وَالتَّرَقُّبِ ، فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ ، وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ أَقْصَرَ عَنِ الْخَطِيئَاتِ .

(١) في د م : : المهدى ، تصحيف .

(٢) والمرء ، عن ط .

(٣) هكذا في ط . وأدب الدنيا والدين .. وفي د م : : وما لا يجد إلى دفعه سبيلا .

(٤) مُسْتَطَرَفٌ : مُسْتَعْدَدٌ . وفي ط : : مُسْتَطَرَقٌ .

(٥) في ط : : إلى نقصان .

(٦) في د م : : ضنًا ، بدل ضنًا ، تصحيف من الناسخ .

(٧) يُحْمَدُ غَيْثُهُ ، أى : أجبرته حميدة .. وفي د م : : غَيْثُهُ ، تصحيف .

(٨) في د م : : الزهادة .

وَأَمَّا ^(١) الْقِسْمُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ فِيمَا ^(٢) يَنْتَظِرُ وُرُودَهُ مِنْ رَغْبَةٍ يَرْجُوهَا ، أَوْ يَحْشَى خُذُولَهُ مِنْ رَهْبَةٍ يَخَافُهَا فِالصَّبْرِ وَالتَّلَطُّفِ يَدْفَعُ ^(٣) عَادِيَةَ مَا يَخَافُ ، وَيَتَأَلَّ ^(٤) نَفْعَ مَا يَرْجُو . قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : « اِنْتَظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ » ^(٦) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ ^(٧) .

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اسْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَبَا ^(٨)
لَا تِيَّاسَنَّ وَإِنْ طَالَ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا ^(٩)
أُخْلِقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذِمِّنُ الْفَرْجِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ ^(١٠)
وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : دَخَلْتُ مَدِينَةً يُقَالُ لَهَا « ذِفَار » ^(١١) ، فَبَيَّنَّا أَنَا أَطُوفُ فِي خَرَابِهَا
إِذْ رَأَيْتُ مَكْتُوبًا عَلَى قَصْرِ خَرَابٍ :

(١) في م : : : : : فَاثْمًا .

(٢) في م : : : : : عَلَى مَا .

(٣) في ط : : : : : تَدْفَعُ .

(٤) في م : : : : : وَيَقْتُلُ لَا تَصَحُّ .

(٥) في ط : : : : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) في الترمذی ، في كتاب الدعوات : « أفضل العادة انتظار الفرج » .

(٧) هو : محمد بن بشر بن محمد ، أبو بكر المعافري ، قاضي أندلسي ، من أهل بلجة ، كان كاتباً لأحد الوزراء ، حج ولقي أنس بن مالك ، وسمع علماً كثيراً ، واستقضى الحَكَمَ بن هشام بقرطبة ، واستمر في القضاء إلى أن توفي سنة ١٩٨ هـ . وله شعر في نفع الطيب وغيره . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٥٢ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ونفع الطيب ج ٢ ص ٣٤٧ - ٣٥٣ ، وقضاة قرطبة ص ٧٣ - ٨٨] .

(٨) هكذا البيت في : م و فيها « استدَّتْ » بدل « انسلت » .. وفي ط : : « اشتدت » بالشين المعجمة . وفيها : « ما رتجبا » بدل « ما ارتجبا » والأخيرة بمعنى : استغلق . وفي أدب الدنيا والدين ، والمنهاج : « مطالبا » بدل « مسالكها » وفي العقد الفريد وأدب الدنيا والدين .. « يفتق » مكان « يفتح » .

(٩) هكذا البيت في ط : « منهاج اليقين » ، وأدب الدنيا والدين .. وفي م : « يأنسن » تحريف من الناسخ . والشرطة الثانية في العقد الفريد : « إذا تضائق أمر أن ترى فَرْجًا » .

(١٠) أُخْلِقَ : جدير ، أو أجدر وأخرى .. وبلج : يدخل .

[انظر الأبيات في العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومنهاج اليقين ص ٤٧٦ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٤٨ ط الدار المصرية] .

(١١) هكذا في م و ط و لم أقف عليها ، ولعله يريد « ذِفَار » بالميم ، وهي قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، يُنسب إليها نفرٌ من أهل العلم .. أو يريد « دفا » بالdal المهملة والفاء المعجمة ، وهي أيضاً باليمن .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٧ مادة « ذمار » و ج ٢ ص ٤٥٨ مادة « دفا »] .

يَا مَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْهَمُّ وَالْفِكْرُ وَغَيَّرَتْ حَالَهُ الْأَيَّامُ وَالْغَيَرُ
أَمَّا سَمِعْتَ بِمَا قَدْ قِيلَ فِي مَثَلٍ عِنْدَ الْإِلَاسِ قَائِنِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ ^(١)
نَمْ لِلْخُطُوبِ إِذَا أَحْدَثَهَا طَرَفَتْ وَأَصْبِرْ فَقَدْ فَارَ أَقْوَامٌ بِمَا صَبَرُوا
فَكُلُّ ضَيْقٍ سَيَأْتِي بَعْدَهُ سَعَةٌ وَكُلُّ قَوْبٍ وَشِيكَ بَعْدَهُ الظُّفَرُ

وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ بِحُطِّ آخَرَ : لَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ صَبَرَ أُعْقِبَ الظُّفَرُ صَبَرْتُ ، وَلَكِنَّا نَجِدُ
الصَّبْرَ فِي الْعَاجِلِ يُفْنِي الْعُمَرَ ، وَيُدْنِي مِنَ الْقَبْرِ ، وَمَا كَانَ أَصْلَحَ لِدَى الْعَقْلِ مَوْتُهُ وَهُوَ
طِفْلٌ ، وَالسَّلَامُ . قُلْتُ : لَوْ رَأَيْتُهُ لَكُنْتُ تَحْتَهُ : فِي الصَّبْرِ اسْتِعْجَالَ الرَّاحَةِ ، وَاتِّظَارُ
الْفَرَجِ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَأَجْرٌ بغيرِ حِسَابٍ . وَفِي الْجَزَعِ اسْتِعْجَالَ الْهَمِّ ، وَنَهْكَ
الْبَدَنِ ، وَاسْتِشْعَارُ الْحَيَّةِ ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، وَحُمُلُ الْإِنِّمِ مَعَ الْعُقُوبَةِ ، وَمَا أَحْسَنَ
لِدَوَى الْعُقُولِ ^(٢) اجْتِنَابَ هَذَا ، وَالسَّلَامُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى ، وَمَنْ شَكَرَ حَصَنَ النِّعْمَاءَ ^(٣) . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ ^(٤)
أَصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي قُرْبَمَا سَاعِدَ الْحُرُونُ ^(٥)
وَرُبَّمَا نِيلَ بِأَصْطَبَارٍ مَا قِيلَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(٦) : مَا أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَاتَّقَرَهَا

(١) فِي د م : : مِنْ مَثَلٍ .

(٢) فِي د ط : : لِدَى الْعَقْلِ .

(٣) النِّعْمَاءُ : الدَّعَاةُ وَطِيبُ الْعِيشِ .

(٤) فِي د ط : : وَكُلُّ شَيْءٍ بِهِ يَهْوُنُ .

(٥) فِي د م : : « الْحُرُونُ » بِالزَّوْىِ الْمَجْمَعَةِ ، وَمَعْنَاهَا : النَّاسُ الْغِلَاطُ الَّذِينَ تَحَشَّتْ مَعَالِمُهُمْ . وَمُرْفِدُهَا :
حُرٌّ .. وَالْحُرُونُ ، بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ : صَعْبُ الْإِقْتِيَادِ . وَيُقَالُ : فَرَسٌ حُرُونٌ : أَيْ : لَا يَنْقَادُ ، إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْجَرَى
وَقَفَّ .

(٦) فِي د م : : « رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

مِنْهُ ^(١) وَعَوِضُهُ مَصِيرًا إِلَّا كَانَ مَا عَوِضَهُ أَفْضَلَ مِنْهَا لِنَزَعِهِ مِنْهُ . وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٢) . وَرَوَى أَنَّ جَارِيَةً كَانَتْ لَعَلَى نَبِيِّ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) تَتَصَرَّفُ فِي حَوَائِجِهِ ، فَكُلَّمَا ^(٤) خَرَجَتْ تُصَدِّى لَهَا خِيَاطٌ كَانَ يَقْرُبُ دَارِ عَلِيٍّ وَيَقُولُ لَهَا : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ^(٥) فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ شَكَنَتْهُ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ ، إِذَا قَالَ لَكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقُولِي لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، مَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ فَعَادَ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ فِيهِ . فَقَالَ لَهَا . تَصْبِرِينَ وَأَصْبِرُ حَتَّى يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . فَارْجَعْتَ ^(٦) الْجَارِيَةُ وَأُخْبِرَتْ مَوْلَاهَا ، فَدَعَا عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) الْخِيَاطَ ، فَوَجَدَ أَمْرَهُ عَلَى الصَّحْفَةِ ، فَوَهَبَهَا لَهُ مَعَ نَفَقَةٍ يَسْتَعِينُ بِهَا .

وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ كَيْفِيلٌ بِالنَّجَاحِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ لَا يَخِيبُ ظَنُّهُ ^(٨) ، وَالْعَاقِلُ لَا يَدُلُّ بِأَوَّلِ نَكْبَةٍ ، وَلَا يَفْرَحُ بِأَوَّلِ رَفْعَةٍ . وَكَانَ يُقَالُ : الصَّبْرُ سَلَامَةٌ ، وَالطَّيِّشُ نَدَامَةٌ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا نَزَلَ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ حُلٍّ مِنْ أَمْرٍ مَخُوفٍ ، فَيَا صَبْرٌ ^(٩) فِيهِ تَنْفِيعٌ وَجُوهُ الْآرَاءِ ، وَتَتَوَقَّى مَكَايِدُ الْأَعْدَاءِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَلِمَاتُكَ الْمَحْسُوتِ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ^(١٠) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا

(١) فِي (م) : عَنْهُ .

(٢) سَبَقَ تَحْرِيجُهَا .

(٣) فِي (م) : لَعَلَى رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ .

(٤) فِي (م) : فَكُلَّمَا .

(٥) فِي (ط) : وَاللَّهُ .

(٦) فِي (م) : ثُمَّ رَجَعْتَ .

(٧) فِي (م) : رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ .

(٨) فِي (ط) : وَالْوَكْلُ لَا يُخِيطُهُ .

(٩) فِي (ط) : فَالْصَّبْرُ .

(١٠) سَبَقَ تَحْرِيجُهَا .

صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٢).

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) قَالَ : « إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ ، وَإِنْ (٤) لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا نَكَرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا » (٥) ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ (٦) وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ (٧) . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الصَّبْرُ مُنَاضِلُ الْجِدَّتَانِ (٨) وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ (٩) . وَقَالَ الْحَكِيمُ : يَمُفْتَاخُ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ تُعَالِجُ مَعَالِيقُ الْأُمُورِ . وَالشُّدُودُ :

إِنَّمَا أُجْزِعُ بِمَا أَتَقَى فَإِذَا حُلَّ فَمَا لِي وَالْجَزَعُ
وَلَمَّا حُبِسَ أَبُو أَيُّوبَ فِي الْخَبْسِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً (١٠) ضَاقَتْ جِيلَتُهُ ، وَقَلَّ صَبْرُهُ ، وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَشْكُو طَوْلَ حَبْسِهِ وَقِلَّةَ صَبْرِهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ جَوَابَ رُفْعَتِهِ (١١) :

صَبْرًا أَبَا أَيُّوبَ صَبْرٌ مُبْرَجٌ فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا ؟
إِنَّ الْإِدَى عَقَدَ الْإِدَى اتَّعَقَدَتْ بِهِ عَقَدَ الْمَكَارِهِ فَيْكَ يَمْلِكُ حَلُّهَا

(١) سورة النحل ، من الآية ١٢٧ .

(٢) سورة لقمان ، من الآية ١٧ .

(٣) في « ط » : « عليه السلام » .

(٤) في « م » : « فَإِنْ » .

(٥) في « م » و « ط » : « غير كثير » بالرفع ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) في « م » : « واعلم أَنَّ الصبر مع الكرب » .

(٧) الحديث رواه أحمد بن حنبل .

(٨) في نهج البلاغة : « يناضل » بدل « مناضل » . والجِدَّتَانِ : نواب الدهر ، أى : أَنَّ الصبر يُدافع نواب الدهر

وحوادثه .

(٩) أى : أَنَّ الْجَزَعَ - وهو : شدة الْفَزَعِ - يعين على الإضرار بصاحبه .

[انظر نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده ص ٧٠٥ ط دار البلاغة] .

(١٠) في « م » : « خمسة عشرة سنة » خطأ من الناسخ ، وأبو أيوب هو : أبو أيوب المورياتي ، سليمان بن أبي

سليمان ، مخلص . كان وزيراً لأبي جعفر المنصور . [انظر ترجمته في وفيات الأعيان . ج ٢ ص ٤١٠ - ٤١٤] .

(١١) في « م » : « وكتب إلى بعض إخوانه يقول » .

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يَغْفُبُ رَاحَةً فَلَمَّعَهَا أَنْ تَشْجَلِي وَلَمَّعَهَا ^(١)
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا أَبُو أَيُّوبَ ^(٢) كَتَبَ إِلَيْهِ :

صَبْرَتِي وَوَعظتني فَأَنَا لَهَا وَسْتَجَلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَمَّعَهَا
وَيَحْلُهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِمَا كَرَمًا بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَهَا

فَمَا لَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُطْلِقَ مُكْرَمًا . وَلَتَمِيمَ بْنِ الْمُعِزِّ ^(٣) :

سَأَسْكُنْتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي أَرَى الصَّبْرَ سَيْفًا لَيْسَ فِيهِ قُلُولُ ^(٤)
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنِّي عَظِيمٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَظِيمٌ ^(٥)
وَأَنَّ الَّذِي يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ وَيَسْكُو بِمَا فِي نَفْسِهِ لَجْهُولُ ^(٦)

وَأَتَشْكُدُوا :

دَعِ الدَّهْرَ يَجْرِي بِإِقْدَارِهِ وَيَقْضِي عَجَائِبَ أَوْطَارِهِ ^(٧)
وَتَمَّ نَوْمَةً عَنْ وِلَاةِ الْأُمُورِ وَحَلَّ الزَّمَانَ بِسُدُورِهِ

(١) في م : : ولَمَّعَهَا أَنْ تَجَلِي .

(٢) في م : : دَأَا أَيُّوبَ ، لَا تَصَحَّ .

(٣) في م : : المعتز ، تصحيف . وهو : تميم بن الْمُعِزِّ بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي ، أبو علي أمير ، وُلِدَ سنة ٣٣٧ هـ ، وكان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، قُرَّبَى فِي أَحْفَظَانِ النِّعَمِ ، وَمَالَ إِلَى الْأَدَبِ وَنَظْمِ الشُّعْرِ الرَّقِيقِ ، وَلَهُ دِيْوَانٌ شَعْرٌ مَطْبُوعٌ . وَكَانَ فَاضِلًا ، وَلَمْ يَلِ الْمُلْكَ ، لِأَنَّ وَلَاةَ الْعَهْدِ كَانَتْ لِأَخِيهِ نَزَارٍ وَتُوفِيَ بِمِصْرَ سَنَةِ ٣٧٤ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٨٨ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٣ ، والحلة السيرة ج ١ ص ٢٩١ - ٣٠١ ، وعصر الدول والإمارات - مصر والشام - ص ٣٠٦ - ٣١١] .

(٤) الْقُلُولُ : الكسور في حد السيف .. وهذا البيت هو البيت الأخير من قطعة مكونة من ستة أبيات في الديوان . [انظر ديوان تميم بن المعز ص ٣٢٦ ط دار الكتب] .

(٥) ترتيب هذا البيت هو الرابع في القطعة السابقة من الديوان ، والشطرة الأولى منه : « عَدَانِي إِلَى الشُّكْرِ إِلَى النَّاسِ أَنِّي » .

(٦) وهذا هو البيت الثالث في القطعة المشار إليها ، والشطرة الأولى منه : « وَإِنْ أَمْرًا يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ » .. وفي م : « وَإِنْ أَمْرًا » ، خطأ من الناسخ ، فبهذه الصورة الأخيرة ينكسر وزن البيت .

(٧) في م : : يَجْرِي بِمِقْدَارِهِ .

فَإِنَّكَ تَرْحَمُ مَنْ قَدْ غَبِطْتَ وَتُعْجِبُ مِنْ قُبْحِ آثَارِهِ ^(١)
وَالشَّدِيدِي بَعْضُهُمْ :

وَيَمْتَنِعُنِي الشُّكْوَى إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ
وَيَمْتَنِعُنِي الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا آفَاهُ قَبْلَ أَقُولُ ^(٢)
وَلِآخِر :

إِذَا ابْتَلَيْتَ فِتْنَى بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلَاةَ هُوَ اللَّهُ
الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ لَا تَيَاسُنْ فَإِنَّ الصَّابِعَ اللَّهُ
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ مَا لِمَرُءٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ

وَصَرَفَ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ : صَابِرٌ ، وَصَبُورٌ ، وَصَبَارٌ ، وَمُتَصَبِّرٌ . فَالْمُتَصَبِّرُ : مَنْ
صَبَرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، فَتَارَةً يَعْجُزُ ، وَتَارَةً يَصْبِرُ . وَالصَّابِرُ : مَنْ لَا يَشْكُو
وَلَا يَعْجُزُ . وَالصَّبَارُ : الَّذِي لَوْ دُفِعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَجْهُهُ فِي
الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْ وَجْهِهِ الرُّسْمُ وَالْبَشَرِيَّةُ وَالْخِلْقَةُ ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَعَانَ بِهِ الصَّبَّ رُفَصَاحَ الصَّبُورِ يَا صَبْرَ صَبْرًا
وَهَذَا أَقْوَى يَتَبَيَّنُ قِيلَ فِي الصَّبْرِ وَأَحْسَنُهُ ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

صَبْرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ صَبْرًا أَصَارَنِي إِلَى أَنْ يَتَأَدَّى الْحَالُ لَا صَبْرَ لِلصَّبْرِ
وَالصَّبُورُ : هُوَ الثَّابِتُ عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ . وَقِيلَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي ، وَإِنْ مِنْ أَخْلَاقِي أَنِّي أَنَا الصَّبُورُ . وَيُقَالُ : الصَّبْرُ لِلَّهِ

(١) في (م) : « وتضحك من سوء آثاره » . وغَبِطْتَ : تمنيت مثل ما عنده من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) في (م) : « عليم بما أفيده » .

غَثَى ^(١) ، وَالصَّبْرُ بِاللَّهِ تُقَى ^(٢) ، وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ بَلَاءٌ ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ وَقَاءٌ ^(٣) ، وَالصَّبْرُ عَنِ اللَّهِ جَفَاءٌ . وَأَلْشَدُّوا :

إِذَا لَعِبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُ الْحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ مَعَ الشَّمَالِ

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ ^(٤) : بَيْنَ الصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ حَالَةٌ هِيَ : التَّنَعُّمُ ، وَذَلِكَ ^(٥) إِذَا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ عَلَماً مِنْ أَعْلَامِ الْآخِرَةِ يَذُلُّهُ عَلَى مَنَازِلِ الصَّابِرِينَ عِنْدَهُ ، فَيَتَنَعَّمُ الْقَلْبُ بِسُرُورِ النِّعَمِ ^(٦) . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ ^(٧) : الصَّبْرُ هُوَ : الَّا تُفَرِّقَ ^(٨) بَيْنَ حَالِ النِّعْمَةِ

(١) في (م) : « غَثَاء » . والصبر لله تُشِيرُ الاستقلال بالفعل .

(٢) في (م) : « بقاء » . والصبر بالله يُؤَدِّن بالتبري من الحول والقوة .

[انظر الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٥٤] .

(٣) في (م) : « وقار » .

(٤) هو : الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله ، من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، ومات ببغداد سنة ٢٤٣ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٥٣ ، وطبقات الصوفية ص ٥٦ - ٦٠ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٧٣ -

١٠٩ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢١١ - ٢١٦ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ووفيات الأعيان ج ٢

ص ٥٧ ، ٥٨ ، وميزان الاحتدال ج ١ ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٣ ، والرسالة القشيرية

ج ١ ص ٧٨ - ٨٠ ، وسر أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١١٠ - ١١٢ ، وطبقات الأولياء ص ١٧٥ - ١٧٧] .

(٥) في (م) : « وكان ، بدل » وذلك .

(٦) في (م) : « التَّعَمُّ » .

(٧) في (م) : « الحارث » بدل « الجريري » تصحيف . وقد ورد هذا القول منسوباً إليه في الرسالة القشيرية

ج ١ ص ٤٥٦ باب الصبر . وهو : أحمد بن محمد بن الحسين ، أبو محمد الجريري ، والأخير نسبة إلى جرير بن عباد

من بني بكر بن وائل ، وقد غلبت عليه كنيته ، وهو من كبار مشايخ الصوفية ، وكان عالماً بعلومهم ، صاحب الجنييد ،

وسهل بن عبد الله ، وأقعد مكان الجنييد بعد وفاته لفزارة علمه ، تولى - رحمه الله - سنة ٣١١ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وطبقات الصوفية ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ، وطبقات

الشعراء ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٣٠ - ٤٣٤ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٤ ،

[١٤٥] .

(٨) في (م) : « الصبر الَّا تُفَرِّقَ » .

وَالْمُحَنَّةَ مَعَ سُكُونِ الْخَاطِرِ فِيهِمَا . وَالصَّبْرَ ^(١) هُوَ السُّكُونُ مَعَ الْبَلَاءِ مَعَ وَجْدَانِ انْقَالِ
الْمَحَنَةِ ^(٢) . وَالشُّدُو :

صَبْرْتُ وَلَمْ أُطْلِعْ هَؤَالِكَ عَلَى صَبْرِي وَأَخْفَيْتُ مَا بِي مِنْكَ عَنْ مُوَضِيعِ السَّرِّ
مَخَافَةَ أَنْ يَشْكُو ضَمِيرِي صَبَاتِي إِلَى ذِمَّتِي سِرًّا فَتَجْرِي وَلَا أَدْرِي
وَقِيلَ لِلْمُحَاسِبِيِّ : بِمَاذَا يَقْوَى الصَّابِرُ عَلَى صَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي صَبْرِكَ
رِضًا مَوْلَاكَ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْحَكِيمِ :

رَضِيتُ وَقَدْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا صَاحِبِ الْأَمْرِ ^(٣)
وَفِي مَعْنَاهُ :

سَأَصْبِرُ كَمَا تَرْضَى وَأُتْلِفُ حَسْرَةَ وَحَسْبِيَ أَنْ تَرْضَى وَيَتَّفِقُنِي صَبْرِي ^(٤)
قَالَ شَيْخُنَا : وَتُكَلِّكَ ^(٥) لِمَنْ تُجِبُهُ أَعْظَمُ مِنْ تُكَلِّكَ لِنَفْسِكَ ، هَذَا أَيُّوبُ لَمَّا أُصِيبَ
بِنَفْسِهِ قَالَ : ﴿ مَسْنَى الضَّرِّ ﴾ . وَيَقْتُوبُ لَمَّا أُصِيبَ بِحَبِيبِهِ قَالَ : ﴿ وَأَسْتَقَا عَلَى
يُوسُفَ ﴾ . قَالَ أَحْمَدُ ^(٦) : قَالَ لِي أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ ^(٧) : أَتُدْرِي بِمَاذَا ^(٨) أُرْزِلَ الْعُقَلَاءُ

(١) هكذا في « د » و « ط » .. وفي الرسالة القشيرية : « والصبر » .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « د » : « مع وجدان البلاء وانْقَالِ المحنة » ، وفي الرسالة القشيرية : « المحنة » بالنون ، بدل « المحنة » .

(٣) سقط « ما فيه » من « د » ، سهواً من الناسخ .

(٤) البيت في الرسالة القشيرية منسوب لابن عطاء . [انظر ج ١ ص ٤٥٦] .

(٥) التَّكْلُّ : فَتَدَّ الحبيب .

(٦) هو : أحمد بن أبي الحواري . وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية القنسي ، أبو سليمان الداراني ، من أهل « دارنا » بغوطة دمشق ... زاهد مشهور ، ومن كبار المصوفين ، ولد في حدود ١٤٠ هـ . ورحل إلى بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى الشام ، وتوفي بهدارها سنة ٢١٥ هـ . والنسبة إليها على غير قياس .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وطبقات الصوفية ص ٧٥ - ٨٢ ، وحلية الأولياء ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٨٠ ، وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٣١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٣ ، وفيها وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٦ - ٩٨ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٨٢ - ١٨٦] .

(٨) في « د » : « بما » خطأ ، والصواب : « بيم » ، بحذف الألف .. أو « بماذا » .

اللَّيْمَةُ ^(١) عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : لِيَعْلَمِيَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَاهُمْ بِذَلِكَ فَصَبَرُوا . وَيُرَوَّى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ : أَنْزِلْتُ ^(٢) بِعَبْدِي بِلَايَ ، فَدَعَانِي ، فَمَا طَلَعْتُ بِالْإِجَابَةِ ، فَشَكَانِي ، فَقُلْتُ : عَبْدِي ، كَيْفَ ^(٣) أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ ؟ وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(٤) إِنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا بَأْسٌ ^(٥) . قَالَ أَنَسٌ : مَا صَبَرَ مَنْ بَشَّ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تَسْتَغْرِوْا ^(٦) الدُّمُوعَ بِالتَّذَكُّرِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا يَبْعَثُ الْأَخْزَانَ مِثْلَ التَّذَكُّرِ ^(٧) .

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى عَظِيمِ الْأَمْسِ وَشِدَّةِ الْحَزَنِ ^(٨) تَذَكُّرُ الْمَسَارِّ الْمُنْقَضِيَّةِ ، وَتَصَوُّرُ ^(٩) الْمَضَارِّ الذَّاهِيَةِ ، وَكَثْرَةُ الشُّكْوَى [وَالْأَسْفَ] . وَقَالَ ^(١٠) الشَّاعِرُ :

لَا تُكْثِرِ الشُّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ وَارْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ لَا الْمَخْلُوقِ
لَا يَخْرُجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ ^(١١)

(١) اللَّيْمَةُ : اللُّؤْمُ .

(٢) هكذا في م ، والرسالة القشرية ج ١ ص ٤٦١ .. وفي ط : « إذا أنزلت » .

(٣) هكذا في م ، والرسالة القشرية .. وسقطت « كيف » من ط .

(٤) سورة الماعراج ، الآية الخامسة .

(٥) في م : « لا بَأْسَ فِيهِ وَلَا شَكْوَى » . والباء : شدة الحزن .

(٦) أى : لا تطلبوا غزارتها وكرهها .. وفي أدب الدنيا والدين : « لا تستغفروا » أى : لا تخرجوها بتذكرك ما أصيبت به ، بل اجتهدوا في تناسيها .

[انظر المرجع السابق ، في الصبر والجوع ص ٣٥٥] .

(٧) الشطرة الأولى من البيت : « سَجَعَنْ سَجْعًا أَوْ جَعَفْتُ فَذَكَّرْنِي » . يعنى : سَجَعَنْ كلمة بشارية ووصلة أطارات قوادحين ، وأذهبت عقولهم لما ذكروا ما كانت لهم من تلك الوصلة ، فَحَرَّوْا على انقطاعها وفواتها .. ولا يبعث الأمحزان ، أى : لا يبرها ولا يحر كها شيء مثل التذكُّر .

[انظر منهاج اليقين ص ٤٨٥] .

(٨) في م : « وشدة الحسرة » .

(٩) في م : « وتصرف » أى : تقلب وتوالى .

(١٠) في م : « قال » . وما بين المعقوفين عن ط .. والشعر في أدب الدنيا والدين غير منسوب لقاتل ، وهو من الرجز المشطور .

(١١) يريد : أَنَّ كل المخلوقات غَرَقَى في بحر المصائب والنواب ، فَعَلَى الإنسان حينئذٍ مُصَابٌ أَوْ يُقْتَلُ بِشَيْءٍ ، أَلَّا يُلْجَأَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ - غَرَّ وَجَلَّ - في كشف الضُّرِّ عنه .

وَفِي مَثَوْرِ الْحِكْمِ : الْمُصِيبَةُ بِالصَّبْرِ أَكْثَرُ الْمُصِيبَتَيْنِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلٌّ مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّةٍ إِلَّا وَتَالَ مَا رَجَوْهُ مِنْ فَرَجٍ . وَيَتَّبِعِي لِمَنْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ ، أَوْ كَانَ فِي شِدَّةٍ أَنْ يُسَهِّلَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يَغْفَلَ ^(١) عَنْ تَذَكُّرِ مَا يَتَّقِنُهُ مِنْ وَجُوبِ الْفَنَاءِ ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يُعَادِي مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَعَلَيْهَا يَحْسُدُ مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَلَهَا يَسْتَعِي مَنْ لَا فِقْهَ لَهُ ، مَنْ صَحَّ فِيهَا سَقَمٌ ، وَمَنْ سَقَمَ فِيهَا بَرَمٌ ، وَمَنْ اقْتَرَفَ فِيهَا حَرَنَ ، وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ ، حَلَّالَهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمُتَشَابِهُهَا عِتَابٌ ، لَا خَيْرَ لَهَا يَدُومُ ، وَلَا شَرَّهَا يَتَّقَى ، وَلَا فِيهَا لِمَخْلُوقٍ بَقَاءٌ ، فَإِذَا تَصَوَّرَ ^(٢) حَقِيقَتَهَا فَحِينَئِذٍ يَرَى ^(٣) الْحَوَادِثَ سَهْلَةً ، وَالْمَصَائِبَ هَيْئَةً . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ مَصَائِبَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا ^(٤)
فَإِنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لَمْ تُرْعَهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا ^(٥)
رَأَى الْأَمْرَ يُقْضَى إِلَى آخِرٍ فَصَبَرَ آخِرُهُ أَوَّلًا ^(٦)

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ حَازَرَ لَمْ يُخْدَعْ ، وَمَنْ رَاقَبَ لَمْ يَهْلَعْ ^(٧) ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَقِّعًا لَمْ يُلْفَ مُتَوَجِّعًا ، وَمَنْ لَمْ يُشْعِرْ نَفْسَهُ مَا ذَكَرْنَا ^(٨) - مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَتَقْضَى الْمَسَارُ ^(٩) ثُمَّ التَّوَاءُ فِي اللُّحُودِ ^(١٠) يَسَّرَ أَطْبَاقِ

(١) في م : : يضي تسهيلها على نفسه فلا يغفل .

(٢) في م : : تصورته .

(٣) في م : : ترى .

(٤) في م : : إذا بدل ذو خطأ . والشرطة الثانية في ط : : مصائب من قبل أن تنزلا . .. وفي

العقد الفريد ج ٢ ص ١١٦ : : العقل ، بدل اللب ، وما بمعنى واحد .

(٥) بغتة : فجأة من غير توقع .. ولم ترعه : لم تحفه .

(٦) هكذا البيت في م : : وط ونفع الطيب ج ٩ ص ٤٤ .. وفي العقد الفريد : : الهم بدل الأمر .

(٧) لم يهْلَعْ : لم يكن شديد الجزع .

(٨) في م : : ما ذكرناه .

(٩) تقضى المسار : فناء اللذات ، وكل ما يسر الإنسان به .. وفي م : : بعد ذلك ، كرر الناصح - سهوا ما سبق من قوله : : فإن الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له .. الخ .

(١٠) في م : : القوى ، وهي بمعناها . والتواء في اللحود : الإقامة والاستقرار في القبور بعد الموت .

التَّوْبِ (١) وَالْمُتَّادِلِ ، قَدْ فَارَقَهُ الْأَحْبَاءُ ، وَأَسْلَمَهُ الْأَوْلِيَاءُ (٢) ، وَهَجَرَهُ الْقُرْبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ -
الْفَتْنَةُ (٣) الْحَوَادِثُ وَأَبْقَا فَسَلَبَتْهُ الصَّبْرَ ، وَضَاعَفَتْ عَلَيْهِ الْأَسَى . وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ (٤) :

إِنْ الْبَلَاءُ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعِفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ فَهُوَ غَيْرُ مُطَاقٍ (٥)
وَأَنْشَدُوا (٦) :

تَعَوَّذْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى الْفَتْنَةِ وَأَسْلَمَنِي حُسْنَ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَرَّةَ الْأَذَى وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَاثًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَحَسَنَ لِي نَاسِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ لِعِلْمِي بِصَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي (٧)

وَلِبَعْضِ الْأَعْرَابِ :

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى نَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلٌ (٨)

(١) التَّوْبِ : التَّوْبِ . وفي (م) : : الغرى .

(٢) قوله : : وأسلمه الأولياء ، عن (م) .

(٣) في (م) : : الفتنه ، بالقاف . تصحيف .. واقفت الحوادث وأبقا ، أى : وجذته واقعا فيها ، أو هالكاً بسببها .

(٤) هو : علي بن العباس بن جعفر ، أو جوجيس ، أبو الحسن ، شاعر كبير من طبقة بشار بن برد والمتنبي ،

رومى الأصل ، كان جده من موالى بني العباس ، ولد سنة ٢٢١ هـ ونشأ ببغداد ، وكان شاعراً هجاءً ، وله قصائد مطولة بلديعة ، وكان يفرس على المعالي النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية .. توفي ببغداد سنة ٢٨٣ هـ وقيل : مات مسموماً . وله ديوان شعر مطبوع .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٩٧ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٨ - ٣٦٢ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٣ -

٢٦ ، ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ورسالة الغفران ص ٤٧٦ - ٤٧٨ ، وذاكرة المعارف الإسلامية ج ١

ص ٢٩٩ - ٣٠١] .

(٥) الشطره الثانية من البيت في أدب الدنيا والدين : : فإذا تضاعف صار غير مطاقٍ .

(٦) كسر الناصق في (م) ، هذا الفعل سهواً .

(٧) هذا البيت في الجزء الأول من وفيات الأعيان ص ٢٢٤ :

وَصَدْرِي نَاسِي مِنَ النَّاسِ وَالْقَا بِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي

(٨) وفي حاشية (م) : : تَصَبَّرَ فَإِنَّ الصَّبْرَ .. بجانب تَعَزَّ .. ومُعَوَّلٌ : حَزَنٌ أو عَمِلٌ .. وَزَيْبُ الزَّمَانِ : أَحْدَا

- فَلَوْ كَانَ يُعْنَى أَنْ يَرَى الْمَرْءُ جَارِعًا لِتَائِبَةٍ أَوْ كَانَ يُعْنَى التَّبَدُّلُ ^(١)
لَكَانَ التَّعَزَّى عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَارِلَةٍ بِالْحَرِّ أَوَّلَى وَأَجْمَلُ ^(٢)
فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامُهُ وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَرْحَلُ ^(٣)
فَإِنْ تَكُنِ الْآيَاتُ فِيْنَا تَبْدَلَتْ يَبُوسُ وَنَعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ ^(٤)
فَمَا لَيْتَ مِنَّا قَنَاقَةً صَلِيَّةً وَلَا ذَلَّلْنَا لِلذِّى لَيْسَ يَحْمِلُ ^(٥)
وَلَكِنْ وَجَدْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً تُحْمَلُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ فَتَحْمِلُ ^(٦)
وَقَيْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ مِنَّا نَفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هَزُلُ ^(٧)

* * *

تم الجزء الأول من كتاب « سراج الملوك » ، بتجزئة محققه - غفر الله له -
ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الثانى ، وأوله الباب الثالث والثلاثون
« فى كتمان السر »

- (١) هكذا البيت فى « م » و « ط » .. وفى الأمالى لأنى على القائل - ج ١ ص ١٧١ : « لِتَارِلَةٍ » مكان « لتائبة »
وهى بمعنىها . « والتدلل » . مكان « التبدل » .
(٢) هكذا البيت فى « ط » والأمالى .. وفى « م » : « وتائبة » مكان « وتارلة » . وربما أتى بها الناسخ سهواً ،
وقد وردت فى البيت السابق .
(٣) هكذا البيت فى « ط » .. والجحام : قضاء الموت وقدره .. والمرحل : المكان يرحل إليه .. وفى « م » :
« مَعْدِل » أى : مصيرف . وفى الأمالى : « مَرْحَل » بالزأى المعجمة ، أى : ملجأ .. وكلها تؤدى المعنى .
(٤) التعمى : التعماء وطيب العيش .
(٥) فى « م » : « قَنَاقَةً » بدل « قَنَاقَةً » تصحيف .
(٦) هكذا البيت فى « ط » .. وفى « م » والأمالى : « رَحَلْنَاهَا » مكان « وجعلناها » ، أى : رُضْنَاهَا وَصَيَّرْنَاهَا ..
وفى الأمالى أيضاً : « يُسْتَطَاع » بالبناء للمجهول ، بدل « تستطيع » .
(٧) الشطرة الأولى من البيت فى الأمالى : « وَقَيْنَا بِعَزَمِ الصَّبْرِ مِنَّا نَفُوسَنَا » . والأعراض : ما يطرأ ويَزُول من مرض
ونحوه .. وصَحَّتْ : برئت من المرض والعيوب .. وَهَزُلُ : ضَعْفَاء .



رَفَعَهُ
جَبَرُ الدُّعَى وَالتَّوَكُّلِ
وَسَكَنَهُ الدُّنْيَا وَالدُّنُورِ

سيرة الملك

للإمام الزاهد
أبي بكر محمد بن الوليد الفهرري الطُّوشِي
٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

حَقَّقَهُ وَصَبَّغَهُ وَعَلَّنَ عَلَيْهِ وَرَضَعَ فَرَّاسَهُ

مُحَمَّدُ فَتْحِي أَبُو بَكْرٍ

تقديم

دكتور شوقي ضيف

المجلد الثاني

الناشر

دار الكتب العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البَابُ الثَّالِثُ وَالْثَّلَاثُونَ

فِي كَيْفَانِ السَّرِّ

رفع
عبد الرحمن (النجدي)
(سكنه الله الفردوس)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَغْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا أَفْشَى يُوسُفُ رُؤْيَاهُ بِمَشْهَدِ امْرَأَةٍ يَغْقُوبَ أَخْبَرَتْ إِخْوَتَهُ ، فَحَلَّ بِهِ مَاحِلٌ . وَفِي الْحَدِيثِ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكِفَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْسُودٌ » .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَيْفَانَ السَّرِّ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ فِي جَمِيعِ الْخَلْقِ ، وَمِنَ اللُّوَاظِمِ فِي حَقِّهِ الْمُلُوكِ ^(٢) ، وَمِنَ الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْوُزَرَاءِ وَجُلَسَاءِ ^(٣) الْمُلُوكِ وَالْأَتْبَاعِ . قَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٤) : سِرُّكَ أَسِيرُكَ ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْنَاءَ الْأَسْرَارِ أَشَدُّ تَعَذُّرًا وَأَقْلَ وَجُودًا مِنْ أَمْنَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَحِفْظُ الْأَمْوَالِ أَيْسَرُ مِنْ كَتْمِ الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ أَخْرَازَ الْأَمْوَالِ مَنِيعَةٌ بِالْأَبْوَابِ وَالْأَقْفَالِ ، وَأَخْرَازَ الْأَسْرَارِ

(١) سورة يوسف ، من الآية الخامسة .

(٢) في د م : « في جميع الحقوق للملوك » .

(٣) في د م : « والجلساء » .

(٤) قوله : « على رضى الله عنه » عن « ط » وأدب الدنيا والدين .. وسقطت من « م » سهوا من النسخ .

[انظر المرجع السابق - الفصل الرابع من الباب الخامس - في كتمان السر ص ٣٦٧ ، ومنهاج اليقين

زَّةٌ يُذِيعُهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ ، وَيُشِيمُهَا كَلَامٌ سَابِقٌ . وَعِيبُ الْأَسْرَارِ أَثْقَلُ مِنْ عِيبِ ^(١) مَوَالٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَسْتَقِيلُ بِالْجِمْلِ الثَّقِيلِ بَحِمْلِهِ وَيَمْسِي بِهِ وَيُقِلُّهُ ^(٢) وَلَا يَسْتَطِيعُ سَمَ السَّرِّ . وَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ سِرُّهُ فِي قَلْبِهِ ، فَيَلْحَقُهُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَلْحَقُهُ مِنْ ثِقَلِ الْأَثْقَالِ ، فَإِذَا أَدَاعَهُ اسْتَرَاحَ قَلْبُهُ ، وَسَكَنَ جَأَشُهُ ، وَكَانَمَا أَلْقَى عَنْ نَفْسِهِ بَلَاً .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ ، وَالشَّفَاهُ أَثْقَالُهَا ، وَالْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا ^(٣) ، يَحْفَظُ كُلُّ امْرِئٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ . وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ ^(٤) أَنَّ أَغْلَاقَ ^(٥) الدُّنْيَا كُلَّمَا ثُرَتْ خَزَائِنُهَا كَانَ أَوْثَقَ لَهَا ، إِلَّا السَّرَّ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ خَزَائِنُهُ كَانَ أَضْيَعَ لَهُ . وَكَمْ نَ إِظْهَارِ سِرِّ أَرَأَى دَمَ صَاحِبِهِ ، وَنَمَعَ مِنْ بُلُوغِ مَآرِيهِ ، وَلَوْ كَتَمَهُ أَمِنْ مِنْ سَطَوَاتِهِ . لَ أَتُوشِرُونَ : مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَخَصُّصِيهِ حَصْلَتَانِ ^(٦) : الطَّفَرُ بِحَاجَتِهِ ، وَالسَّلَامَةُ نَ السَّطَوَاتِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ ^(٧) فَلَا تُجَرِّهِ فِي غَيْرِ أَوْدَاجِكَ ، إِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ .

وَكَانَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَاتِبٌ يَقَالُ لَهُ حُمْرَانُ ^(٨) ، فَاشْتَكَى

(١) فِي « م » : « عِيبٌ » فِي الْمُرْضِعِينَ .. تَصْغِيفٌ .

(٢) يُقِلُّهُ : يَبْنِي : أَثْقَلَ الشَّيْءُ ، إِذَا حَمَلَهُ وَرَفَعَهُ . وَهُوَ عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٣) فِي « ط » : « مِفْتَاحُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَمِنْ الْعَجَائِبِ » .

(٥) الْأَغْلَاقُ : الْأَقْفَالُ الَّتِي تَحْفَظُ مَا يَدْخُلُهَا . جَمْعُ غَلَقٍ .

(٦) فِي « م » : « وَحَالَتَانِ » .

(٧) فِي « م » : « سِرُّكَ أَسْوَرُكَ وَهُوَ مِنْ دِمِكَ » .

(٨) فِي « م » : « اسْمُهُ حُمْرَانٌ » وَهُوَ حُمْرَانُ بْنِ أَبَانَ بْنِ عَمْرِو ، وَيَكْنَى أَبَا زَيْدٍ ، وَكَانَ يَهُودِيًّا ، وَسَمِّيَ فِي « عَيْنِ الْاِمْرِ » أَبَا أُمَى بَكْرٍ ، وَاشْتَرَاهُ عُمَانُ وَأَعْتَقَهُ ، وَصَارَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَكَانَ عَامِلَهُ بِهَا . وَلَمَّا قَدِمَ الْحِجَاجَ الْبَصْرَةَ آذَاهُ وَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَكَتَبَ حُمْرَانُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِشِكْوِهِ ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْحِجَاجَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ وَيُحْسِنَ بِمَجَاوَرَتِهِ .

عُثْمَانُ ^(١) فَقَالَ : اكْتُبِ الْعَهْدَ بَعْدِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَرْفٍ . فَقَالَ حُمْرَانُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ : الْبُشْرَى . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَكَ الْبُشْرَى ^(٢) بِمَاذَا ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرُ ، فَأَطْلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَخْبَرَ عُثْمَانَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَاكِنَنِي حُمْرَانُ أَبَدًا ، وَتَقَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كِثْمَانَ الْأَسْرَارِ ^(٣) يَدُلُّ عَلَى جَوَاهِرِ الرِّجَالِ ، وَكَمَّا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آيَةٍ لَا تُنْسِيكَ مَا فِيهَا ، فَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا يُنْسِيكَ سِرَّهُ ^(٤) . وَهَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَ سِرَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَفْهِمْتُ ؟ قَالَ : بَلْ جَهَلْتُ . قَالَ : أَحْفَظْتُ ؟ قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : كَيْفَ كَتَمْتَ لِلسَّرِّ ؟ قَالَ : أَجَحَدُ الْمُخْبِرِ ^(٥) ، وَأَخْلِفُ لِلْمُسْتَحْبِرِ ^(٦) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى كِثْمَانٍ مَا اشْتَمَلْتُ مِنْهُ الضُّلُوعَ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبِيرِ ^(٧)

لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ إِذْ كُنْتُ مِنْ تَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى غَطَرٍ

قَالَ شَيْخُنَا : وَمِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ ^(٨) فِي كِثْمَانِ السَّرِّ ، مَا أَتَشَدَّنِيهِ بَعْضُ فَتَهَاءِ الْبَصْرَةِ ^(٩) بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ :

(١) أَيْ : مَرْحَلٌ .

(٢) قَوْلُهُ « لَكَ الْبُشْرَى » عَنْ « ط » .

(٣) فِي « م » : « كِثْمَانِ السَّرِّ » .

(٤) فِي « م » : « يَمْلِكُ سِرَّهُ » تَحْرِيفٌ .

(٥) أَيْ : أَنْكَرُهُ عَنِ الَّذِي يَنْقُلُهُ إِلَى النَّاسِ .. وَفِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ : « أَجَحَدُ الْخَبِيرِ » مِنَ الْجُحُودِ ، وَهُوَ إِنكَارُ الْأَمْرِ مَعَ الْعِلْمِ بِهِ .

(٦) أَيْ : أَخْلِفُ - لَفَرًا - لِمَنْ يَسْأَلُنِي عَنْهُ بَأْتِي لَا أَعْرِفُهُ .

(٧) فِي « م » : « وَلَقَدْ كَتَمْتُ » بِدَلِّ « وَلَوْ قَدَرْتُ » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ... وَالْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَالشَّاعِرُ فِيهِمَا يَحْسَرُ عَلَى عِلْمِ قُدْرَتِهِ عَلَى التَّسْيَانِ فَيَقُولُ : لَوْ اسْتَطَعْتُ نَسْيَانَ مَا احْتَوَتْهُ جَوَانِحِي مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْأَخْبَارِ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِهِ ، إِذْ كُنْتُ مِنَ شَرِّ حَقِظْهَا عَلَى غَطَرٍ إِذَاعَتْهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ .

(٨) فِي « م » : « لَا سَمِعْتُ » .

(٩) فِي « م » : « فَتَهَاءُ الْبَصْرِيِّينَ » .

وَلَهَا سَرَائِرُ فِي الضَّمِيرِ طَوَيْتَهَا نَسِيَ الضَّمِيرُ بِأَنْهَا فِي طَيْهِ (١)

وَفِي مَعْنَاهُ :

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا كَتَمْتُ مَكَانَهُ عَنِ الْجَسِّ خَوْفًا أَنْ يَنْمُ بِهِ الْجَسُّ (٢)

وَحِخْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْرَةً فَأَوْدَعْتُهُ فِي حَيْثُ لَا يَبْلُغُ النَّفْسُ (٣)

قَالَ الْعَنَبِيُّ (٤) : أَسْرَ مُعَاوِيَةَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَتَبَةَ (٥) حَدِيثًا ، فَقُلْتُ لِأَبِي (٦) : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْرَ إِلَى حَدِيثًا ، أَفَأَحَدُكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا (٧) ، مَنْ كَتَمَ حَدِيثًا كَانَ الْخِيَارُ لَهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ مَمْلُوكًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا . قُلْتُ : يَا أَبَتِ (٨) ، أَفَيَدْخُلُ هَذَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَآبِيهِ ؟ قَالَ : لَا يَا بَنِي (٩) ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ تُذَلَّلَ (١٠) لِسَانَكَ بِإِفْشَاءِ السِّرِّ . قَالَ : فَحَدَّثْتُ بِهِ

(١) في (م) : « الظمير » بالطاء المعجمة ، بدل « الضمير » ، في الموضعين ، وهي على الإبدال ، فمن سُنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض ، فهم يقولون : فاض وفاظ ، ومكة وبكة . الخ . [انظر فقه اللغة للصلابي — فصل في الإبدال — ص ٥٦٤] .

(٢) هذا البيت لم يرد في (م) وسقط سهواً من الناسخ .. والبيتان وردا في منهاج اليقين ص ٥٠١ ، والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. ويُنم : يشر إليه ويديه .

(٣) في منهاج : « شهوة » بدل « شهرة » .. و « يبلغ » بالياء ، مكان « تبلغ » . والبيت في المستطرف :

وَحِخْتُ عَنْهُ مِنْ هَوَى النَّفْسِ شَهْرَةً فَأَوْدَعَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُ الْجَسُّ

(٤) في (م) : « وقال » . والعنبي هو : محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أبو عبد الرحمن الأموي ، من بني عتبة ابن أبي سفيان بن حرب ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) مابن المقوفين عن « ط » . وعثمان بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب . [انظر المعارف ص ٣٤٥ ، ونسب قريش ص ١٣٤] .

(٦) القاتل هنا هو : عثمان .

(٧) في (م) : « أَفَأَحَدُكَ بِهِ أَوْ أَكْتَمَهُ ؟ قَالَ : فَأَكْتَمُهُ ، فَإِنَّ مَنْ كَتَمَ حَدِيثَهُ » الخ

(٨) في (م) : « يَا أَبَتِ » .

(٩) قوله : « يَا بَنِي » عن (م) .

(١٠) في (م) : « وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يُذَلَّلَ ... » .

مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : اَعْتَقَكَ اَيْحَى ^(١) مِنْ رِقِّ الْحَطَا . وَقِيلَ لِيُبْعِضِ الْمُلُوكَ : مَا اَصْنَعُبُ
الْأَشْيَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : اَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ سِرَّهُ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَطِيمِ ^(٢) :

أَجُودُ بِمَكْنُونِ التَّلَادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالِي لَضَنِينُ ^(٣)
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنْتُ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ ^(٤)
وَأَنْ ضَمِيعَ الْأَقْوَامِ سِرًّا فَإِنِّي كَتُمُ لَأَسْرَارِ الْعَشِيرِ أَمِينُ ^(٥)
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا ضَمِيتُهُ مَكَانَ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ كَبِينُ ^(٦)

(١) في م : « يا أَيْحَى » الباء زيادة من الناسخ ، فقد مر بنا أن عنيسة هو أخو معاوية .
(٢) في م : « و ط » : « الحطيم » بالخاء المهملة ، خطأ ، والصواب بالخاء المعجمة ، واسم الحطيم : ثابت ،
وهو : قيس بن الحطيم بن عدى الأوسى ، أبو يزيد ، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام
وترثت لبقوله ، وقتل قبل أن يدخل فيه ، وكان ذلك في السنة الثانية قبل الهجرة ، وشعره جيد ، وديوانه مطبوع .
[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٠ ، والأغانى ج ٣ ص ٨٤٧ - ٨٧٢ ، وخزانة الأدب ج ٧ ص ٣٤ - ٣٧ ،
والفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٩ ص ٧٢٥ - ٧٢٧ والأصمعيات ص ١٩٦] .
(٣) في م : « ل س ر ك » باللام .. وفي « ط » : « البلاد » بالباء ، بدل « التلاد » . ومكنون التلاد : المال الذي
يحافظ عليه . والشطرة الثانية من البيت في المستطرف ج ١ ص ٤٤٥ :
« بِسِرِّي عَمَّنْ بِسَالِكِي لَضَنِينُ » .

وهي بهذه الصورة غير مستقيمة الوزن . وهذا البيت لم يرد في ديوان قيس ، غير أنه جاء في عدة مصادر أخرى ،
منها كتاب أمالي القالي ، ج ٢ ص ١٧٧ و ص ٢٠٢ وفيها : « بمضنون التلاد » بدل « بمكنون التلاد » .

(٤) هكذا البيت في م : « و ذ رة الغواص » ص ٢٥٦ ، ولسان العرب ، مادة « ن ث » .. وفي « ط » :
« ن ث » بدل « ب ن ث » ، والـ ب ن ث : نشر الحديث وإفشائه . وقيل : هو نشر الحديث الذي كتمه أحق من نشره ..
وفي الديوان : « ب ن ث » . والألف في « اثنين » ألف وصل ، وقطعت هنا لضرورة الشعر ، ولذلك ذكر السُّرْدُ أن
الرواية في هذا البيت : « إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ » للتخلص من قطع هزة « اثنين » .. وفي أمالي القالي والديوان : « وتكثير
الحديث » . وفي رواية : « وتضييع الوشاة قمين » أى : تخرى وخليق .

[انظر الديوان ص ١٦٢ ط دار صادر ، ودرة الغواص للحريص ص ٢٥٦ ، ٢٥٧] .

(٥) هكذا البيت في م : « و ط » والديوان ، وأمالي القالي .. وفي المستطرف : « سِرِّي » مكان « سِرًّا » .
(٦) هكذا البيت في الأمالي ج ٢ ص ١٧٧ ، وفي رواية ثانية وردت الشطرة الأولى في المرجع نفسه ص ٢٠٢ :
« وعندي له يوماً إِذَا مَا اَتَمَّنْتَنِي .. والشطرة الثانية من البيت في م : « و ط » : « مكان سويداء الفؤاد
مكين » .. وفي نصيحة الملوك للماوردي : « مكان سويداء الفؤاد دفين » . وفي الديوان : « مقر بسوداء الفؤاد
كتين » .. وسويداء الفؤاد وسواده : حبه .. والكتين : المكنون ، أى : للمستور البعيد عن الأعين . وهناك روايات
أخرى انظرها لـ [ديوان قيس بن الحطيم ص ١٦٤ ، وانظر نصيحة الملوك ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

قَالَ شَيْخُنَا : قُلْتُ : النَّاسُ يَقُولُونَ : أَرَادَ بِالْاِثْنَيْنِ الْمُودِعَ وَالْمُودِعَ ، وَلَا يَتَعَدُّ أَنْ يُرِيدَ ^(١) بِهِ الشُّفْعَتَيْنِ . وَكَانَ يُقَالُ : أَصْبَرَ النَّاسُ مِنْ صَبَرَ عَلَى كَيْفَانٍ سِيرَهُ فَلَمْ يَتَّيِدْ ^(٢) لِصَدِيقِهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَهْجِرَ عَدُوًّا ^(٣) . وَقَدْ رُوِيَ ^(٤) فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ ثُمَّ انْتَفَتَ فِيهِ أَمَانَةٌ » ^(٦) . قُلْتُ : وَإِذَا كَانَتْ أَمَانَةٌ حُرِّمَتْ ^(٧) فِيهَا الْخِيَانَةُ ، كَأَلْأَمَانَةِ فِي الْأُمُومَالِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ ^(٨) : « إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، فَلَا يَجِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يُفْشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ^(٩) : مَا مِنْ رَجُلٍ يَنْتَقِصُ ^(١٠) مِنْ أَمَانَتِهِ إِلَّا نَقَصَ إِيْمَانَهُ . وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْمَانَ ^(١١) :

(١) في (م) : « يُرَادُ » .

(٢) في (م) : « فَلَمْ يَزَلْ » .

(٣) في (م) : « عَدُوُّهُ » .

(٤) في (م) : « وَرُوِيَ » .

(٥) في (ط) : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٦) أخرجه الترمذى في صحيحه في البر والصلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة ج ٨ ص ١٣٨ بشرح ابن العربي .. والبيهقى في السنن الكبرى ، في كتاب الشهادات ج ١٠ ص ٢٤٧ .

(٧) في (م) : « حُرِّمَتْ » .

(٨) في (م) : « ابن حُرَّه » تصحيف . وهو : أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، كان قاضى المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن أحد بالمدينة عنده علم القضاء — في عصره — ما كان عند أبى بكر بن حزم .

[انظر التاريخ الكبير للبخارى ج ٨ كتاب الكنى ص ١٠ ، وانظر المهر ص ٢٦ ، ٢٧] .

(٩) هو : هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشى الأندلسى ، أبو المنذر ، تابعى ، من أئمة الحديث من علماء المدينة ، ولد سنة ٦١ هـ ، وعاش في المدينة ، وزار الكوفة ، ودخل بغداد وانفذا على المنصور العباسى ، فكان من خاصته ، وتوفى بها سنة ١٤٦ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٧ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ - ٤٢ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٨٠ - ٨٢ ، ونسب قريش ص ٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢] .

(١٠) في (م) : « يَنْقُصُ » .

(١١) هو : جعفر بن عثمان بن نصر ، أبو الحسن ، الحاجب ، المعروف بالمُصَنَّفِى ، وزير ، وأديب أندلسى ، وله شعر جيد ، وأصله من بربر بلنسية ، استوزره المستنصر الأموى إلى أن مات ، ولما ولى الحُكْمَ استوزره وضم إليه ولاية الشرطة ، ثم آلت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحُكْم ، فتقلد حجابته ، وتصرف في أمور الدولة ، =

يَاذَا الَّذِي أَوْدَعَنِي سِيرَهُ لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي ^(١)

لَمْ أَجِرْهُ قَطُّ عَلَى فِكْرَتِي كَأَنَّهُ لَمْ يَخِرْ فِي أَذْنِي ^(٢)

وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٣) يَقُولُ : مَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى رَجُلٍ فَأَفْشَاهُ عَلَى فُلْمَتِهِ ،
إِذْ ^(٤) كَانَ صَنْدَرِي أَضْيَقَ بِهِ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : يَضْيِقُ صَنْدَرُ أَحَدِهِمْ بِسِرِّهِ حَتَّى
يُحَدِّثَ بِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اكْتُمُهُ ^(٥) عَلَى .. وَفِي مَثْوَرِ الْحَكَمِ : انْفِرْ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ
حَازِمًا فَيَزُلْ ، وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنَ . وَأَنْشَدُوا ^(٦) :

إِذَا ضَاقَ صَنْدَرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَنْدَرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ ^(٧)

= وقوى عليه منصور بن أبي عامر - أمير الأندلس في عهد هشام - فاعتقله وضيق عليه ، فاستعطفه جعفر بمنظومه
ومثوره ، فلم يرق له ، وصادر أمواله ، حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسألون به أرمالهم ، ثم قتله وبعث بجسده إلى
أهله سنة ٣٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ ، والحلة السراء ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٦٧ ، ونفع الطيب ج ٢ ص ١٣٢ -
١٣٦ ، وجلوة المقتبس ج ١ ص ٢٨٩ .]

(١) البهتان من السريع ، وقد وردا في نفع الطيب ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٦ وجلوة المقتبس ج ١ ص ٢٨٩
والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ .. وفي « م » : « لَا تُخَفِّنْ » مكان « لَا تَرْجُ » .

(٢) هكذا البيت في « ط » والمستطرف .. وفي « م » : « عَلَى خَاطِرِي » مكان « عَلَى فِكْرَتِي » .. وفي نفع
الطيب وجلوة المقتبس :

لَمْ أَجِرْهُ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِي كَأَنَّهُ مَامَرٌ فِي أَذْنِي

(٣) في « م » والمستطرف هذا القول منسوب إلى « عمر بن الخطاب » وهو وهم .. والصواب أنه لعمر بن
العباس ، ونصه : « مَا وَضَعْتُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ سِرًّا فَأَفْشَاهُ فُلْمَتُهُ » فسل : « وَلِمَ ؟ » قال : « أَنَا كُتِّ بِهِ أَضْيَقُ
صَنْدَرًا حَتَّى اسْتَوْدَعْتَهُ لِيَاهِ » .

[انظر المقد الفريد ج ١ ص ٦٢ ، وانظر عمرو بن العاص لباس المقداد ص ١٨٣ .]

(٤) في « ط » : « إِذَا » .

(٥) في « م » : « اكْتُمْ » .

(٦) في « م » : « وَقَالَ الشَّاعِرُ » .

(٧) في المستطرف وأدب الدنيا والدين قبل هذا البيت :

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَا مَ عَلَيْهِ خَيْرُهُ لِهَوِّ أَهْلِي

وَفِي مَثُورِ الْحِكَمِ : مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَتَّامُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(١) :
وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
وَقَالَ آخَرُ :

فَلَا تَنْطَلِقْ بِسِرِّكَ كُلِّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ فَاشِئِ ^(٢)
وَقَالَ آخَرُ :

تُبْرُحْ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبْغِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْثُمُ ^(٣)
وَكَيْتَمَا نَكَ السَّرَّ فِيمَا تَخَافُ وَفِيمَا تُحَازِرُهُ أَحْزَمُ
إِذَا ذَاغَ سِرُّكَ مِنْ مُطْبِعٍ فَأَنْتَ إِذَا لُمْتَهُ الْيَوْمُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ حَدِيثٍ وَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ ^(٤)
وَإِنْ عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الْمَلُومُ ^(٥)

وَقَالَ الْحَكِيمُ : مَا كَثَمْتُهُ مِنْ عَدُوِّكَ فَلَا تُطْلَعَنَّ عَلَيْهِ صَدِيقَكَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَدٌ
مِنْ إِذَاعَتِهِ لِقَرِينَةٍ تَقْتَضِيهِ مِنْ صَدِيقٍ مُسَاهِمٍ ، أَوْ اسْتِشَارَةِ نَاصِحٍ مُسَالِمٍ ، فَمِنْ صِفَاتِ
أَمِينٍ ^(٦) الْأَسْرَارُ أَنْ يَكُونَ ذَا عَقْلِ وَدِينٍ وَنُصْحٍ وَمُرُوءَةٍ ^(٧) ، فَإِنْ هَذِهِ أُمُورٌ تَمْنَعُ مِنْ

(١) في « م » : « وقال آخر » . والبيت من المقارب ، وهو للصّلتان العبدي ، نُحْمُ بْنُ عُثَيْبَةَ ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ .
[انظر ترجمته والقصيدة التي منها هذا البيت في الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٠٠ — ٥٠٢ ، وانظر منهاج اليقين
ص ٥٠٠] .

(٢) في « ط » : « ولا تنطق » .

(٣) الأبيات من المقارب ، والضيق والضيق : كل ما لا يحتمل ، كالشك والألم والحزن وغيرها .

(٤) في منهاج اليقين ص ٤٩٩ والمستطرف ج ١ ص ٤٤٥ : « عن حديث » .

(٥) في « م » : « فإن عاتبت » .

(٦) في « م » : « أمانة » بالجمع ، والسياق فيها يتطلب الأفراد .

(٧) في « م » : « ومروءة » تصحيف .

الإذاعة ، وتوجب حفظ الأمانة ، ومن كملت فيه فهو عتقاء مغرب ^(١) . ولا تودغ سيرك عند من يستدعيه ، فإن طالب الودعة خائن .

قال صالح بن عبيد القدوسي ^(٢) : لا تودغ سيرا إلى طالبه منك ، فالطالب ^(٣) ليسر مذيع .

وفي الجملة : إذا زال سيرك عن عذبة لسابك ^(٤) فالإذاعة مستولية عليه ، وإن أودعته قلب ناصح محب فاحتمال مראה الكتمان على قلبك أسهل عليك من التمليل بتميلك سيرك غيرك ، وأعلم أن إفشاء سير غيرك ^(٥) أقبح من إظهار سير نفسك ، لأنه يوح بإحدى وصفتين ^(٦) : إما الخيانة ، إن كان مؤثما ، أو التهمة إن كان مستخيرا . وقال بعض الحكماء لانيه : يابتي ، كن جوادا بالمال في مواضع الحق ، ضيئنا بالأسرار عن جميع الخلق ، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجهه البر ، والبخل يكتوم السر . وكان يقال : صدور الأحرار قبور الأسرار . وقال الشاعر ^(٧) :

لَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَاحِبًا ^(٨)

(١) في «م» : «عتق» تصحيف . وعتقاء مغرب : طائر خراف لا وجود له . والمعنى المراد هنا : أن هذا الشخص الذي فيه هذه الصفات من الصعب وجوده .

(٢) هو : صالح بن عبد القلوس بن عبد الله الأزدي ، أبو الفضل ، شاعر حكيم ، كان متكلماً ، يعظ الناس في البصرة ، وله مع أبي الغليل العلاف مناظرات ، أتهم عند المهدي العباسي بالزندقة . فقتله ببغداد سنة ١٦٠ هـ تقريباً . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، وآمال المرتضى ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٧ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨] .

(٣) في «ط» : «والطالب» .

(٤) عذبة اللسان : طرفه .

(٥) في «م» : «سرك غيرك» .

(٦) في «م» : «خصلتين» .

(٧) هو : أنس بن أسيد . [انظر منهاج اليقين ص ٤٩٨ ، وأدب الدنيا والدين ص ٣٦٧] .

(٨) هكذا البيت في «م» و«ط» وهو من المتقارب .. وفي المصدرين السابقين : «فاني رأيت وشاة الرجال» . وفي العقد الفريد ج ١ ص ٦٢ : «إلى رأيت غواة الرجال» . وجاء ترتيب هذا البيت مكان البيت الثاني ، والثاني مكان الأول .. والأدب الجلد . والمراد : أن الوشاة يمزقون أعراض الناس . وفي البيت إيماء إلى تقبيح حالهم ، بتشبيههم بالكلاب .

فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

مَأْكُلٌ مَكْتُومٌ يُبَاخُ بِهِ اخْذَرْ لِسَانَكَ مِنْ جَوَالِيهِ ^(٢)
فَمَرَارَةُ الْكِتْمَانِ أَغْدَبُ مِنْ بَتْ يُحَاذِرُ مِنْ عَوَاقِبِهِ ^(٣)
لَيْسَ الْهَوَى مَأْكُنْتُ تَعْرِفُهُ أَيَّامٌ تَلْعَبُ فِي جَوَانِبِهِ
هَذَا هَوَى لَوْ قَدْ فَصَحَتْ بِهِ ضَحِكَ الْحُسَامِ إِلَى مَضَارِبِهِ ^(٤)

(١) في المصادر السابقة : « وَلَا تُفْشِ » .

(٢) مِنْ جَوَالِيهِ : مِمَّا يَجْلِبُهُ عَلَيْكَ وَيُسَبِّحُ لَكَ .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ عَنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(٤) فِي « م » : « هَذَا هُوَ فَصَحَتْ » تَصْغِيفٌ . وَفَصَحَتْ بِهِ : أَظْهَرَتْهُ . وَضَحِكَ الْحُسَامِ : الضَّحْكُ هُنَا بِمَعْنَى الْأَنْجِلَاءِ وَالْإِبَاهَةِ ، وَمَنْهُ : ضَحِكَ السَّحَابُ : إِذَا بَرَقَ وَتَلَأَلَا ، وَضَحَكَتِ الْأَرْضُ : إِذَا أَخْرَجَتْ نَبَاتَهَا وَزَهَرَتِهَا . وَالْحُسَامُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .

رفع
عبر الرعمس النجدي
أسكنه الله الفردوس

البَابُ الرَّابِعُ وَالْثَلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ رَهْنٌ بِسَائِرِ الْخِصَالِ ،
وَزَعِيمٌ بِالْمَزِيدِ مِنَ النِّعَمِ وَالْآلَاءِ مِنْ ذِي الْجَلَالِ ، وَهِيَ : الشُّكْرُ ^(٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، حِكَايَةً عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مُلْكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَالْإِنْسِ ، وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ ، وَالرِّيحَ تُجْرِي بِأَمْرِهِ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَمَّا اسْتَمَنَّ مُلْكُهُ قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ؟ ^(١) . فَمَا عَدَدَهَا
نِعْمَةً كَمَا عَدَدَهَا مُلُوكُ الْأَرْضِ ، وَلَا حَسِيبَهَا كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا حَسِيبُهَا ^(٢) ، بَلْ
خَافَ أَنْ تَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أُمَّةٍ أَرَادَ هَلَاكَهُمْ ^(٣) :
« سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » وَأُنْصِلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي فِتْنَةٌ ^(٤) . جَاءَ فِي
التَّفْسِيرِ : أَصْبَغَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ وَالنِّسْبَةَ لِاسْتِغْفَارِهِمْ . وَلَمَّا الْفَرَحَ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَالْقِبْطَةَ بِزَهْرَتِهَا ، وَالْإِغْتِرَارَ بِزُخْرُفِهَا مِنْ شِعَارِ الْكُفَّارِ ، أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ قَارُونَ اللَّعِينِ :

(٥) هذا العنوان ينتهي عند قوله : « الخصال » . وفي « ط » عند قوله : « ذى الجلال » .

(١) سورة المل ، من الآية ٤٠ .

(٢) في « ط » : « كما ظنها ملوك الأرض » .

(٣) في « م » : « في وصفه أقوام أراد هلاكهم » .

(٤) سورة القلم ، الآيات : ٤٤ ، ٤٥ .

﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ^(١) . وَكَانَ ^(٢) جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ^(٣) . وَلَكِنَّا خَافَ سُلَيْمَانُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا ، كَانَ جَوَابُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٤) .

وَاعْلَمْ ، أُرْسِدَكَ اللَّهُ ، أَنَّ الشُّكْرَ لَيْسَ هُوَ حَافِظًا ^(٥) لِلنَّعْمِ فَقَطْ ، بَلْ هُوَ - مَعَ حِفْظِهِ لَهَا - زَعِيمٌ ^(٦) بِزِيَادَةِ النِّعَمِ ، وَأَمَانٌ مِنْ حُلُولِ النَّقَمِ ^(٧) . وَالشُّكْرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ : شُكْرٌ بِالْقَلْبِ ، وَشُكْرٌ بِاللِّسَانِ ^(٨) ، وَشُكْرٌ بِالْجَوَارِحِ .. فَأَمَّا الشُّكْرُ الْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَشُكْرُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ تَعْلَمَ ^(٩) أَنَّ النِّعْمَةَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَلَا ^(١٠) نِعْمَةً عَلَى الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا وَبِدَائِئِهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَكُونَ الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ غَيْرِكَ بِمَعْرِفَةِ نِعَمِ ^(١١) اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَعَلَى غَيْرِكَ ، وَهَذَا التَّوَرُّعُ هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ : يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(١٢) عَلَى نِعْمَةٍ أُسْدِيَتْ إِلَى غَيْرِهِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ ، قَوْلُهُ ^(١٣) تَعَالَى : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١٤) أَيْ : أُتِفِقُوا أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ ، وَإِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْتَهَى جَمِيعُ

(١) سورة القصص ، من الآية ٧٨ .

(٢) ل م : « فكان » .

(٣) سورة القصص ، من الآية ٨١ .

(٤) الآية ٣٩ من سورة « ص » .

(٥) ل م : « حافظ » خطأ . والصواب بالنصب ، خير « ليس » ، والضمير قبله ضمير فضيل

(٦) زعيم : كميل .

(٧) ل م : « وأمان من النقم » . والنقم : جمع نعمة ، وهى العقوبة .

(٨) ل م : « وشكر باللسان وشكر بالقلب » .

(٩) ل م : « يعلم » .

(١٠) ل م : « وأن لا » .

(١١) ل م : « نعمة » .

(١٢) ما بين العنقوتين عن « م » .

(١٣) ل م : « فقله » .

(١٤) سورة الصل ، من الآية ٥٣ .

مَا قَالَهُ الْخَلْقُ فِي الشُّكْرِ ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ
وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(١) أَي : اتَّقُونِي ، فَإِنَّهُ شَكَرَ نِعْمَتِي . وَخَلَقَ اللَّهُ
تَعَالَى الْحَيَاةَ نِعْمَةً عَلَى الْعَبْدِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ يَغْثَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٢) . وَالْعِبَارَةُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ : الشُّكْرُ اعْتِرَافُ الْقَلْبِ بِإِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
وَجْهِ الْخُضُوعِ ، وَيُقَالُ فِيهِ : الشُّكْرُ اعْتِكَافٌ ^(٣) عَلَى بِسَاطِ الشُّهُودِ بِإِدَامَةِ حِفْظِ
الْحَرَمَةِ .

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ ^(٤) : الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ الْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ . وَرَوَى أَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ : إِلَهِي ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :
الآنَ قَدْ شَكَرْتَنِي . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : قَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) : إِلَهِي ، ابْنُ آدَمَ
لَيْسَ مِنْهُ شَجَرَةٌ إِلَّا تَحْتَهَا ^(٦) نِعْمَةٌ ، وَفَوْقَهَا مِنْكَ نِعْمَةٌ ، فَمِنْ أَيْنَ يُكَافِئُهَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ
تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ، إِنِّي أُعْطِيَ الْكَثِيرَ ، وَأَرْضَى بِالنَّيِّبِ ، وَإِنْ شَكَرَ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ
مَا بَيْنَكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَعْنَى . وَفِي هَذَا يُقَالُ : الشُّكْرُ عَلَى الشُّكْرِ أَوْ الشُّكْرُ ، وَذَلِكَ بِأَنْ
تَرَى شُكْرَكَ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ مِنْ أَجْلِ النُّعْمَةِ ، فَتَشْكُرُهُ عَلَى الشُّكْرِ ، ثُمَّ
تَشْكُرُهُ عَلَى شُكْرِ الشُّكْرِ ، إِلَى مَا لَا يَنْتَاهِي ، وَهَذَا الشُّكْرُ أَيْضًا وَاجِبٌ . وَلِمَحْمُودِ
الْوَرَقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةً عَلَى لَهٍ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ ^(٧)

(١) الآية ١٢٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٥٦ من سورة البقرة .

(٣) في « م » : « اعتراف » .

(٤) هو الراهب المشهور ، شيخ المعتزلة عمرو بن عبيد ، أبو عثمان البصري

(٥) في « م » : « كرر الناسخ قول داود عليه السلام السابق ، سهواً منه .

(٦) في « ط » : « إلا وتحته » .

(٧) في « م » : « بإذنه » مكان « بفضلته » .

إِذَا مَسَّ بِالْإِسْرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَغْفَبَهَا الْأَجْرُ
فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيْقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالسَّرُّ وَالْجَهْرُ^(١)

وَمَنْ أَقْرَبُ يَنْعِمَ اللَّهُ وَإِحْسَانِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِقَدْرِ مَا كَلَّفَ^(٢) ، لَأَنْ أَحَدًا لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُوَازِيَ
شُكْرَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى .. وَفِي مُنَاجَاةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَهِي خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ ،
وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، فَكَيْفَ شُكْرَكَ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَعْلَمَ^(٣) أَنْ ذَلِكَ مِنِّي ، فَكَانَ مَعْرِفَتُهُ
بِذَلِكَ شُكْرَهُ لِي .

فصل

وَأَمَّا شُكْرُ اللِّسَانِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ^(٤) : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝ ﴾^(٥) .
قِيلَ : يَعْني الثَّبُوتَ . وَقِيلَ : يَعْني الْقُرْآنَ . وَحُكِّمَ الْآيَةُ عَامًّا فِي جَمِيعِ النِّعَمِ . وَرَوَى
النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ^(٦) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧) قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ
يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ »^(٨) . وَالتَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ .

(١) في (م) : « يضيّق » بدل « تضيق » .

(٢) كَلَّفَ : اخْتَلَفَ .

(٣) في (م) : « أَنْ تَعْلَمَ » .

(٤) فيه « عن (م) » .

(٥) الآية ١١ من سورة الضُّحَى .

(٦) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو عبد الله ، أمير وخطيب ، وشاعر ، من
أجلاء الصحابة ، من أهل المدينة ، وله ١٢٤ حديثاً ، ولد سنة ٢ هـ ، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة ،
ولمّا أُمِنَ لِمُعاوية ، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر وعزله ، ثم ولّاه حمص . ومات مقتولاً بالشام سنة ٦٥ هـ .
[انظر الأعلام ج ٨ ، ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٢٦ — ٣٢٩ ، والمغرب ص ٢٧٦ ، ورجال صحيح
البخاري ج ٢ ص ٧٥١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٩٣ ، والمعارف ص ٢٩٤] .

(٧) في (م) : « عليه الصلاة والسلام » .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه مجتزئاً عن أبي هريرة في كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف ج ٤ ص ٢٥٦
وأخرجه الترمذي في صحيحه في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ج ٨ ص ١٣٢ ،
١٣٣ بشرح ابن العربي .

وَقَالَ تَعَالَى جِكَاتِيَّةٌ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، أَنَّهُمْ قَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ ﴾ ^(١) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَذَاكُرُوا النِّعَمَ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا شُكْرًا ^(٢) . وَكَتَبَ عِدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ^(٣) - لَمَّا حَفَرَ نَهْرَ الْبَصْرَةِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ نَهْرُ عُمَرَ : إِنِّي حَفَرْتُ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ نَهْرًا عَذَبَ لَهُمْ مَشْرَبُهُ ، وَجَادَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ ^(٤) ، وَلَمْ أَرْ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا ، فَإِنْ أُذِلَّتْ لِي فَسَنْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنِّي لَا أَحْسِبُ ^(٥) أَهْلَ الْبَصْرَةِ خَلَوْا ^(٦) مِنْ رَجُلٍ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ حِينَ حَفَرَكَ هَذَا النَّهْرَ ، وَإِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) قَدْ رَضِيَهَا شُكْرًا مِنْ جَنَّتِيهِ ، فَارْضَ بِهَا شُكْرًا مِنْ نَهْرِكَ ، وَالسَّلَامُ .

وَحَقِيقَةُ الشُّكْرِ فِي هَذَا الْقِسْمِ ، الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يُوصَفُ الرَّبُّ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَكُورٌ حَقِيقَةٌ ، فَشُكْرُ الْعَبْدِ لِلَّهِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ إِحْسَانِيهِ ، وَشُكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ثَنَائُهُ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِيهِ ، وَإِحْسَانُ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ إِعْآمُهُ عَلَيْهِ ،

(١) سورة الزمر ، من الآية ٧٤ .

(٢) في « م » : « شكر » بالرفع ، خطأ . ومن أول قوله : « وقال عمر » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » .

(٣) في « ط » : « قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله » . وعدى بن أرتاة الغزاري ، أمير من أهل دمشق ، كان من العقلاء الشجعان ، ولما عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ هـ . فاستمر إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، في فتنة أبيه (يزيد) بالعراق سنة ١٠٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢١٩ والمعارف ص ٣٦٢ ، ٣٦٣] .

(٤) في « ط » : « وجادت عينه » .

(٥) لا أحسب : لا أظن ، من باب « تعب » في لغة جميع العرب إلا بنى كنانة ، فإنهم يكسرون المضارع ، مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس . وفي « ط » : « إلى لأحسب » . تصحيف .

(٦) في « م » : « خلوا » بدون الألف . سهو من الناسخ .

(٧) ما بين المعقوفين عن « م » .

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : ذَابَتْ شُكُورٌ ، إِذَا أَظْهَرَتْ ^(١) مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ مَا تُعْطَى مِنَ الْعَلَفِ . وَيُقَالُ : وَجَتْ شُكُورٌ ، إِذَا كَانَ مُنْتَلَىءَ الْمَحَاسِنِ ظَاهِرَهَا ، وَفِي الْحَدِيثِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « أَنَا وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَا عَظِيمٍ ، أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِي » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا أُوتِيَ ^(٢) النَّاسُ لِأَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ صَبَرَهُمْ يَحْسِبُونَ ^(٣) أَنَّهُمْ فِي مَوْضِعٍ شُكْرٍ .

فصل

وَأَمَّا الَّذِي عَلَى الْجَوَارِحِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اْعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ ^(٤) . فَجَعَلَ الْعَمَلَ شُكْرًا . وَقَالَ عَطَاءٌ ^(٥) : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ^(٦) فَقَالَ لَهَا عُبَيْدٌ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثِينَا بِأَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ ^(٧) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَكَتْ وَقَالَتْ : وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا ؟ إِنَّهُ أ في لَيْلَةٍ ، فَدَخَلَ مَعِيَ ^(٨) فِي فِرَاشِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنَّةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرِينِي أُتَعَبِدُ لِرَبِّي . قَالَتْ : قُلْتُ : إِنِّي أَحِبُّ قُرْبَكَ ، فَأَذْنُتُ لَكَ ، فَقَامَ إِلَى قُرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ ^(٩) فَتَوَضَّأَ ، وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي ، فَبَكَى حَتَّى

(١) في « م » : « ظهرت » تحريف . ولى اللسان : الشكور من الدواب : الذى يَسْتَجِبُ عَلَى قَلَّةِ الْعَلَفِ ، كَأَنَّهُ شُكْرٌ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ قَلِيلًا .

(٢) في « ط » : « أُنِيَ » .

(٣) في « م » : « موضع صبرٍ وهم يحسبون » .

(٤) سورة سبأ ، من الآية ١٣ .

(٥) هو : عطاء بن أبى رباح القرشي الفهري ، تابعي ثقة ، وكان مفتي أهل مكة في زمانه ، وهو كثير الحديث [انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٠ ، وانظر الحديث الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٣٦ باب الشكر] .

(٦) هو : عبيد بن عمر بن قتادة اللثي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) هكذا في « ط » والرسالة القشيرية .. ولى « م » : « بأعجب شيء رأيته » .

(٨) في « م » : « فدخل فراشي » .

(٩) في « م » : « قُرْبَةٍ مَاءٍ » .

سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ رَكَعَ قَبْكَى ، ثُمَّ سَجَدَ قَبْكَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْكَى ، فَلَمْ ^(١) يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِلَالٌ ^(٢) فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَسْكُرُكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ ^(٣) : أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ فَلَمْ ^(٤) لَا أَفْعَلْ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٥) .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) الشُّكْرَ بِالْعَمَلِ ، وَبَيَّنَّ بِهِ مُرَادَ الْكِتَابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ^(٧) [أَيْ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْلُفُ الْآخَرَ ، فَمَنْ فَاتَهُ الْعَمَلُ فِي أَحَدِهِمَا عَمِلَهُ فِي الْآخَرِ ، فَجَعَلَ الْأَوْرَادَ وَالْأَعْمَالَ بِالْجَوَارِحِ شُكْرًا] وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) قَامَ حَتَّى اتَّفَحَتْ قَدَمَاهُ ^(٩) ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : ﴿ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ ﴾ .

وَقَالَ أَبُو هَارُونَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي حَازِمٍ ^(١٠) فَقُلْتُ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ ؟ قَالَ ^(١١) : إِذَا رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَذَعْتَهُ ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ .

(١) في « م » : « وَلَمْ » .

(٢) هو الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله ، مؤذن الرسول (ﷺ) وغزاه على بيت ماله .

(٣) في « م » : « قَالَ » .

(٤) في « م » : « وَلَمْ » .

(٥) هكذا في « ط » والرسالة القشيرية . انظر سورة البقرة ، الآية ١٦٤ وآل عمران الآية ١٩٠ . وفي « م » : وقد أنزل عليَّ ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ الآية ، وهي الآية السادسة من سورة يونس .

(٦) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٦٢ ، وما بين المعقوفين بعدها عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٨) في « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٩) في « م » : « اتَّفَحَتْ أَوْدَاجَهُ وَالْأَوْدَاجُ : هَرُوقٌ فِي الْعُنُقِ .. والمعروف أنه قام حتى تورمت قدماء »

(الله) .

(١٠) في « م » : « أَبِي حَاتِمٍ » تصحيف . والصواب : « أَبِي حَازِمٍ » . وهو : أبو حازم الأعرج ، سلمة بن

دينار ، وقد مر التعريف به .

[انظر ماورد من أقواله هنا في الحلية ج ٣ ص ٢٤٣] .

(١١) في « م » : « فَقَالَ » .

قُلْتُ ^(١) لَهُ : فَمَا شُكْرُ الْأَذْنَيْنِ ؟ فَقَالَ : إِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا حَفِظْتَهُ ، وَإِذَا سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا نَسِيتَهُ ^(٢) . قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ ؟ قَالَ : أَنْ لَا تَأْخُذَ ^(٣) بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَا تَمْنَعَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا . [قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ ؟ قَالَ أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ صَبْرًا ، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا] ^(٤) قُلْتُ : فَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ ؟ قَالَ : كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ^(٥) . فَإِنْ أَنْتَ فَعَلْتَ ، فَأَنْتَ الشَّاكِرُ حَقًّا .

وَفِي حِكْمَةِ إِذْيَسَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ^(٦) بِمِثْلِ الْإِلْعَامِ عَلَى خَلْقِهِ ، لِيَكُونَ صَانِعًا إِلَى الْخَلْقِ مِثْلًا صَنَعَ بِهِ ، الْخَالِقُ ^(٧) تَعَالَى . وَإِذَا بَيَّنَّ أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَاتِ شُكْرٌ ، فَإِنَّ فِيهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مُلَازِمَةً ^(٨) مِنْ غَيْرِهِ ، فَالطَّاعَةُ فِي مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ أَشْكَلُ ^(٩) بِالشُّكْرِ عَلَى الْغِنَى مِنْ غَيْرِهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ النِّعْمَةِ ، فَإِذَا أُرْذِتْ أَنْ تُخْرُسَ دَوَامَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَأَدِمِ مُوَاسَاةَ الْفُقَرَاءِ .. وَالطَّاعَةُ فِي رَفْعِ ذَوِي الضُّعْفَةِ ^(١٠) وَالْخُمُولِ وَالْمَسْكِينَةِ بِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ ^(١١) أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى رَفْعِ قَدْرِكَ ، وَالتَّنْوِيهِ بِأَسْمِكَ .. وَالطَّاعَةُ فِي تَمْهِيزِ الْفُقَرَاءِ وَتَلَطِيفِ أَغْذِيَتِهِمْ أَشْبَهُ بِالشُّكْرِ عَلَى الْعَافِيَةِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .. وَالطَّاعَةُ ^(١٢) فِي الشَّفَاعَاتِ عِنْدَ

(١) فِي « م » : « قُلْتُ » .

(٢) فِي « ط » : « سَمِعَهُ » . وَفِي الْحَلِيِّ : إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَعْتَهُ ،

(٣) فِي « م » : « قَالَ : لَا تَأْخُذَ » .

(٤) مَا يَنْبَغِي الْمَقْرُوفِينَ عَنْ « ط » وَلَمْ يَرِدْ فِي « م » .

(٥) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ ، الْآيَاتَانِ : ٥ ، ٦ وَسُورَةُ الْمَارِجِ ، الْآيَاتَانِ : ٢٩ ، ٣٠

(٦) فِي « ط » : « أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةٍ » .

(٧) فِي « م » : « مَا صَنَعَ الْخَالِقُ » .

(٨) فِي « م » : « مَلَامَةٌ » .

(٩) أَشْكَلُ : أَشْبَهَ .

(١٠) فِي « م » : « ذَوِي الضُّعْفَةِ » . وَالضُّعْفَةُ : خِلَافُ الرُّقْمَةِ فِي الْقَدْرِ .

(١١) فِي « م » : « بِغَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ » .

(١٢) فِي « م » : « وَالطَّاعَاتِ » .

السُّلْطَانِ ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِ الْغُرَبَاءِ وَالْإِخْوَانِ أَشْبَهُ بِذَوِي الْجَاهِ مِنْ سَائِرِ الطَّاعَاتِ . وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ يَتَّبِعِي أَنْ تُقَابِلَ ^(١) سَائِرَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ .. وَمِنْ الْعِبَارَاتِ الْجَامِعَةِ لِلشُّكْرِ أَنْ يُقَالَ : الشُّكْرُ ^(٢) مَعْرِفَةُ بِالْجَنَانِ ، وَذِكْرُ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ .

فصل

فِي الْكَلَامِ عَلَى الزِّيَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِذَا ، وَيَقُولُهُ تَعَالَى ^(٤) : ﴿ اذْهَبْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٥) قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَالِدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّا نَرَى مَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْغِنَى ثُمَّ يَتَلَي بِالْفَقْرِ ، وَمَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْفَاقَةِ ثُمَّ يَتَلَي بِالْمَرَضِ ، وَاللَّهُ ^(٦) تَعَالَى لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ نِعَمَ ^(٧) الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا تَكُونُ الزِّيَادَةُ مِنْ جِنْسِ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ ، فَأَجَابُوا : إِنَّ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرِيَّةَ ، وَإِنْ تَفَاضَلَتْ وَاخْتَلَفَتْ ، فَكُلُّهَا مُتَجَانِسَةٌ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ .

وَقَالَ قَوْمٌ : مَعْنَاهُ : لَأَزِيدَنَّكُمْ خَيْرًا ، وَالْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ قَدْ يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ بِالْمَنْعِ وَالسَّقَمِ وَتَحْوِيهِمَا ، فَإِنْ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَهُ مَالًا ، أَوْ يُصِحِّحَ جِسْمَهُ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ وَهَبَ الْمَالُ أَتَّفَقَهُ فِي الْمَعَاصِي ، أَوْ وَهَبَهُ الصِّحَّةَ صَرَفَ ^(٨) صِحَّتَهُ إِلَى الْمَشْيِ فِي الْآثَامِ ، فَالْمَنْعُ هَاهُنَا مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى جَزِيلَةٌ ، وَعَنْ هَذَا قَالَ

(١) فِي « ط » : « يُقَالَ » مَكَانَ « تُقَابِلَ » .

(٢) سَقَطَتْ كَلِمَةُ « الشُّكْرِ » مِنْ « ط » . وَالْجَنَانُ : الْقَلْبُ

(٣) سُورَةُ الْإِبْرَاهِيمِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(٤) قَوْلُهُ : « تَعَالَى » عَنْ « م » .

(٥) سُورَةُ غَافِرٍ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٠ .

(٦) فِي « م » : « قَالَ اللَّهُ » .

(٧) فِي « ط » : « نِعْمَةٌ » .

(٨) صَرَفَ : أَتَّفَقَ . وَفِي « م » : « أَصْرَفَ صِحَّتَهُ » أَيْ : قَدَمَهَا خَالِصَةً

الْعُلَمَاءُ : مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَطَاءَهُ . وَقَالَ قَوْمٌ : يُمَكِّنُ تَقْدِيرُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهَا ، أَيْ : لَيْسَ شُكْرُهُمْ ^(١) لِأَيِّدَتِكُمْ إِلَّا أَنْ تَغْصُوا فَأَعَاقِبَكُمْ بِالْحَرَمَانِ ، فَأَجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَكُمْ ، وَهُوَ أَصْلَحُ مِنْ أَنْ أَعَاقِبَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

وَالنَّاسُ لَا يَسْلُمُونَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَلَوْ تَهَيَّأُوا أَنْ يَسْلَمُوا مِنَ الذُّنُوبِ لَدَرَّتِ الزِّيَادَاتُ ^(٢) قَالَ اللَّهُ ، تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ ^(٣) . وَقَالَ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئَ ﴾ ^(٤) . وَقَالَ قَوْمٌ : الْآيَةُ خَاصَّةٌ لَا مَحَالَةَ ، إِذْ لَوْ كَانَتْ عَلَى عُمُومِهَا لَوَجِبَ أَنْ لَا يَمُوتَ مَنْ شَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٥) عَلَى الْحَيَاةِ . قَالَ الشَّيْخُ : قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَ الزِّيَادَةَ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْعِبَادَةَ عِلَامَةً يُعْرَفُ بِهَا الشَّاكِرُ ، فَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ الْمَزِيدُ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ ، فَإِذَا رَأَيْنَا الْعَبْدَ يَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى يِلْسَانِيَةً وَمَالَهُ فِي تَقْصَانٍ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدْ أَخْلَى بِالشُّكْرِ الَّذِي أَخَذَ ^(٦) عَلَيْهِ ، إِمَّا أَنْ لَا يُزَكِّيَهُ ، أَوْ يُزَكِّيَهُ لغيرِ أَهْلِهِ ، أَوْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ وَقْتِهِ ، أَوْ يَمْنَعُ حَقًّا وَاجِبًا عَلَيْهِ فِيهِ ، مِنْ كُسُورَةِ عُرْيَانٍ ، أَوْ إِطْعَامِ جَائِعٍ وَشَبَّهَهُ ، فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ » .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٧) بِتَرْكِ آدِبٍ ، أَوْ إِخْلَالِ بِحَقٍّ ، أَوْ إِمْلَامٍ بِذَنْبٍ . كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : أَذْنَى الشُّكْرِ أَنْ لَا تَغْصِيَ اللَّهُ بِنِعْمِهِ ، فَإِنَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، فَلَا تَغْصِيهِ ^(٨) بِهَا . وَيَحْتَمِلُ

(١) في (م) : « الاستثناء فيها : إن شكرتم » .

(٢) درت الزيادات : كثرت ودامت ولم تنقطع .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٦٦ . وقد أنزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى

(٤) سورة نوح ، الآيات من ١٠ - ١٢ .

(٥) قوله : « الله تعالى » عن (م) .

(٦) في (م) : « وقد أخذ » .

(٧) سورة الرعد ، من الآية ١١ .

(٨) في (م) : « فلا تغصيه » لاتصح .

أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْآيَةِ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إِنْ شِئْنَا ^(١) ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ^(٢) . وَكَبِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ يُرِيدُونَ خَرْثَ الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتُوهُ ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : نُؤْتِهِ مِنْهَا لِمَنْ نَشَاءُ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ ^(٣) . وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . ثُمَّ إِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ ^(٥) لَهُمْ ، وَلَكِنْ مَعْنَى الْآيَةِ : أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ شِئْتُ ، وَلَمْ يَنْ شِئْتُ ^(٦) ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ﴾ ^(٧) . وَهَذَا مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ .

قَالَ الْجَنَيْدُ : كُنْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّرِيِّ ^(٨) وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ لِي : يَا غُلَامُ ، مَا الشُّكْرُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْ لَا يَعْصِيَ ^(٩) اللَّهُ

(١) في (م) : « لئن شكرتم » إن شئْتُ .. وربما يريد : لأزيدنكم إن شئْتُ .

(٢) سورة الشورى ، من الآية ٢٠ . والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ خَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي خَزَائِنِهَا مِمَّا يُرِيدُ خَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾ . والحَرْثُ : الثَّوَابُ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية ١٨ ، والآية بتمامها : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ . والعَاجِلَةُ : الدُّنْيَا . وَمَدْحُورًا : مَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْمَعْنَى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ بَعْلَمَةَ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَمَتَاعَهَا فَقَطَّ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ تَعْجِيلَهُ مِنْ نَعِيمِهَا وَمَظَاهِرِهَا لِمَنْ يُرِيدُ مِنَ الْخَلْقِ حَسْبَ مَشِئَتِنَا ، فَتَعْطِيهِ قَدْرًا - لَا كَمَا يَشَاءُ هُوَ ، بَلْ كَمَا نَشَاءُ نَحْنُ . أَيْ : أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالشَّيْئَةِ الْإِلَهِيَةِ وَحْدَهَا .

(٤) سورة غافر ، من الآية ٦٠ .

(٥) في (ط) : « يستجيب » .

(٦) قوله : « وَلَمْ يَنْ شِئْتُ » عن (م) .

(٧) سورة الأنعام ، من الآية ٤١ .

(٨) في (م) : « فإن الجنيد كتب ... » تصحيف . والسَّرِيُّ هُوَ : سَرِيُّ بْنُ الْمُثَنَّى السَّقَطِيُّ ، أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ كِبَارِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، وَلَدَ وَنَشَأَ فِي بَغْدَادَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي بَغْدَادَ بِلِسَانِ التَّوْحِيدِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ ، وَكَانَ إِمَامَ الْبَغْدَادِيِّينَ وَشَيْخَهُمْ فِي وَقْتِهِ ، وَهُوَ خَالَ الْجَنَيْدِ وَأَسَاتِذُهُ ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ٢٥٣ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٢ ، وطبقات الصوفية ص ٤٨ - ٥٥ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٧ - ١٩٢ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٦٩ - ٧٢ ، وطبقات الشعرا ج ١ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ١٨٥ - ١٨٧] .

(٩) في (م) : « فقلْتُ : لا يعصى » .

تَعَالَى بِنِعْمِهِ . قَالَ : يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانَكَ . فَلَا أَزَالُ أَبْكِي عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ^(١) . وَمَا يَحْصُلُ ^(٢) مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الْوُجُودِ يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهَيْنِ : دَفْعٌ ، وَمَنْعٌ ، فَالِدَفْعُ يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهُ ، وَالدَّفْعُ الْبَلَايَا نَعَمْ ^(٣) لَا يُمَكِّنُ إِحْصَاؤُهَا ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٤) عَنْهُمْ مِمَّا فِي مَقْدُورِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا يَدْفَعُ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ لَا يُحْصَى .

فَضْلٌ

ثُمَّ عُدْنَا إِلَى أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ فِي الشُّكْرِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَوْضِعُ الشُّكْرِ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْضِعُ الْفَرَى مِنَ الضَّيْفِ ، إِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَرَمْ ، وَإِنْ عَدِمَهُ لَمْ يَقُمْ ^(٥) . وَأَجْمَعَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ عَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَقَالُوا : الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ . وَقَالُوا : الشُّكْرُ قَيْدُ الْمَوْجُودِ ^(٦) وَصَيْدُ الْمَفْقُودِ . وَقَالُوا : مُصِيبَةٌ وَجَبَ أَجْرُهَا خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُمْنَعْ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُمْنَعْ الْمَزِيدَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُمْنَعْ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِخَارَةَ لَمْ يُمْنَعْ الْخَيْرَ ^(٧) . وَمَنْ أُعْطِيَ الْمَشُورَةَ لَمْ يُمْنَعْ الصَّوَابَ . وَكَانَ يُقَالُ :

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٤ ، وسورة النحل : من الآية ١٨ .

(٢) لِي « ط » : « وَحَصَلَ » .

(٣) سقطت « نَعَمْ » مِنْ « م » .

(٤) مابين المقفولين عَنْ « م » .

(٥) الْفَرَى : الْإِحْسَانُ إِلَى الضَّيْفِ . وَلَمْ يَرَمْ ، أَيْ : لَمْ يَطْلُبْهُ . وَلَمْ يَقُمْ : لَمْ يَتَّبِعْهُ أَوْ يَحْتَثِ عَنْهُ .

(٦) لِي « م » : « الْوُجُودِ » .

(٧) الاستخارة : طلب الخير في الشيء . والخيرة : ما يُخْتَارُ .

إِذَا رُعِيتَ النَّعْمُ بِالشُّكْرِ فَيَهِ أَطْوَقُ ، وَإِذَا رُعِيتَ بِالْكَفْرِ فَيَهِ أَغْلَلُ . قَالَ حَبِيبٌ ^(١) :

نَعْمٌ إِذَا رُعِيتَ بِشُكْرٍ لَمْ تَزَلْ نِعْمًا فَإِنْ لَمْ تُرْعَ فَهِيَ مَصَائِبٌ ^(٢)

وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْحَسَنِ ^(٣) بَعِثْنِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَكَّرَنِي . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَعْجُزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَتَغَيَّرُ الزِّيَادَةُ فِيمَا بَقِيَ ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي ^(٤) وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَأْتِي .. تُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا تَعْمَلُ بِأَعْمَالِهِمْ ^(٥) ؟ وَتَبْغِضُ الْمُسِيئِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ؟ تُكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكَ وَلَا تُدْعِيهَا فِي طُولِ حَيَاتِكَ ؟ .

وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : أَشْكُرُ مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْكَ ، وَأُلْعِمُ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ ، فَإِنَّهُ ^(٦) لَا بَقَاءَ لِلنَّعْمَةِ إِذَا كُفِّرَتْ ، وَلَا زَوَالَ لَهَا إِذَا شُكِرَتْ ، وَإِنَّ الشُّكْرَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّعْمِ ، وَأَمَانٌ مِنَ النَّقْمِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : ابْنُ آدَمَ ، مَتَى تَشْكُرُكَ مِنْ شُكْرِ النَّعْمِ وَأَنْتَ مُرْتَبِعٌ بِهَا ، كُلَّمَا شَكَرْتَ نِعْمَةً تَجِدُ لَكَ بِالشُّكْرِ أَعْظَمَ مِنْهَا عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ ^(٧) لَا تَشْكُرُكَ بِالشُّكْرِ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا . وَقَالَ سُفْيَانُ ^(٨) : لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ

(١) هو : حبيب بن عيسى بن محمد العجمي ، أبو محمد ، كان زاهدًا عابدًا مجاب الدعوة ، فارسي الأصل ، سكن البصرة ، وها توفي سنة ١١٩ هـ . وقيل سنة ١٢٥ هـ .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٥ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٥٧ ، وطبقات الأولياء ص ١٨٢ - ١٨٦ ، وجامع كرامات الأولياء ج ٢ ص ١٧ - ٢٠] .

(٢) في (م) : « وإن لم تُرْعَ » .

(٣) هو الحسن البصري ، وقد مر التعريف به .

(٤) في (م) : « ويتغى الزيادة فيما بقى منها ولا ينتهى » .

(٥) في (م) : « يأمر الناس بما لا يجب أن يأتي » .

(٦) في (م) : « يجب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم » .

(٧) في (م) : « وإله » .

(٨) في (م) : « وأنت » .

(٩) هو : سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وقد مرَّ التعريف به .

إِلَى يَغْفُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : عَلَى أَى دِين تَرَكْتَهُ ؟ قَالَ : عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ^(١) .
قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دُعِيَ إِلَى قَوْمٍ لِيَأْخُذَهُمْ عَلَى بَيْتِهِ ،
فَافْتَرَقُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُمْ ، فَأَعْتَقَ عُمَانُ رَقَبَةً شَكَرًا لِلَّهِ تَعَالَى أَنَّ لَا يَكُونُ جَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ
فَضِيحَةٌ رَجُلٍ مُسْلِمٍ . وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ التَّزَمَ الرُّكْنَ ^(٢) وَقَالَ : إِلَهِي ،
نَعْمَتْنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا ، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا ، فَلَا أَنْتَ سَلَبْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ
الشُّكْرِ ، وَلَا أَنْتَ أَدَمْتَ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ .. إِلَهِي ، مَا يَكُونُ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَّا الْكَرَمُ ،
وَلَا مِنَ الْجَافِي إِلَّا الْجَفَاءُ . وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) : الْخَيْرُ الَّذِي لَاشْرَ فِيهِ : الشُّكْرُ
مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ .

وَرَوَى أَنَّ ثَمَلَةَ قَالَتْ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَنَا عَلَى قَدَرِي
أَشْكُرُ اللَّهَ ^(٤) مِنْكَ ! وَكَانَ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ ذَلُولٍ ^(٥) فَخَرَّ عَنْهُ سَاجِدًا ^(٦) شَكَرًا لِلَّهِ
[تَعَالَى] ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنِّي أُبْجِلُكَ ^(٨) لَسَأَلْتُكَ أَنْ تَنْزِعَ مِنِّي ^(٩) مَا أُعْطَيْتَنِي .

(١) في (م) : « عن الإسلام » .

(٢) التزم الركن : أى الركن الجانى من الكعبة ، والتزمه ، اعتنقه ، ولذا سُمِّيَ « الْمُتَقَرِّم » لأنَّ الناسَ يحتفونَه
ويَضُمُّونَه إلى صدورهم ، وهذا مُستحبٌ للطائف بالكعبة .

(٣) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، خطيب ، ورواية وزاهدٌ ، كان من أدب أهل المدينة ،
وسكن الكوفة ، فاشتهر فيها بالبادة والقراءة ، وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته ، وكان ذا منزلة عنده . وتوفى
سنة ١٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٩٨ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٧٢ ، والبيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٨ ،
٣٢٩ ، والمعارف ص ٢٥٠] .

(٤) في (م) : « لَا شُكْرَ لِلَّهِ » .

(٥) الذَّلُول : السهل الانقياد .

(٦) في (م) : « فخرٌ ساجداً » .

(٧) ما بين المعقوفين عن (م) .

(٨) أى : أُعْظِمُكَ وَأَوْفِرُكَ .

(٩) في (م) : « تنزع عني » وكلاهما وارد .

وَقَالَ صَدَقَ بْنَ إِسَارٍ ^(١) : بَيِّنَا ^(٢) دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِحْرَابِهِ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ دُودَةٌ ، فَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِهَا وَقَالَ : مَا يَتَعَبَأُ اللَّهُ بِخَلْقِ هَذِهِ ^(٣) ؟ فَأَنْطَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا دَاوُدَ ^(٤) تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ ؟ لَأَنَا عَلَى قَدْرِ مَا آتَانِي اللَّهُ أَذْكُرُ اللَّهَ وَأَشْكُرُ لَهُ مِنْكَ فِيمَا آتَاكَ .

وَلَمَحْمُودُ الْوَرَّاقُ :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَى نِعْمَةٍ مَا كُنْتُ مِنْكَ لَهَا أَهْلًا ^(٥)
مَتَى أَزِدُّنِي تَقْصِيرًا تَزِدْنِي تَفْضُلًا كَأَنِّي بِالتَّقْصِيرِ أَسْتَوْجِبُ الْفَضْلَ ^(٦)

وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ صَدِيقٌ فَحَبَسَهُ السُّلْطَانُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَضَرَبَ الرَّجُلُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَجِئَءَ بِمَجُوسٍ مُبْطُونٍ ^(٧) وَفِيدٌ فَجَعَلَ خَلْقَةً فِي رِجْلِهِ وَخَلْقَةً فِي رِجْلِ الْمَجُوسِ فَكَانَ الْمَجُوسِيُّ ^(٨) يَقُومُ بِاللَّيْلِ مَرَاتٍ ، وَيَخْتَاجُ هَذَا إِلَى أَنْ يَقُومَ مَعَهُ وَيَقِفَ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَفْرُغَ ، فَكَتَبَ إِلَى صَاحِبِهِ ، فَقَالَ : أَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى ، فَقَالَ : إِلَى مَتَى تَقُولُ ؟ وَآيُ بَلَاءٍ فَوْقَ هَذَا ؟ فَقَالَ

(١) هو : صدقة بن يسار الجزري ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، نزل مكة ، وحلث عن طاووس ، وعبد الله بن عمر ، وغیرهما ، وروى عنه شعبة ، ومالك ، والسيبانان ، والضحاك بن عثمان ، وقد وثقه أحمد بن حنبل .

[انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣١٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٩ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٠١] .

(٢) في « ط » : « بينا » .

(٣) ما يتعبأ الله بخلق هذه : لم يجعلها شيئا ، ولم يخلقها .

(٤) في « م » : « فقالت : يا بني الله » .

(٥) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

« على نعم ما كنت قط لها أهلا » .

(٦) مطلع البيت في المستطرف : « إن زدني تقصيرا .. » .

[انظر البيهقي في الفصل الثاني من الباب الثاني والأربعين ، في شكر النعمة ص ٥٠٨] .

(٧) هكذا في « م » : وفي الرسالة القشيرية ج ١ ص ٤٤١ .. وفي « ط » : « فجاءه بمجوس مبطون قيد » . والمبطون : المريض ببطنه .

(٨) قوله : « فكان المجوس » من « م » ولم ترد في « ط » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

صَاحِبُهُ : لَوْ وُضِعَ الزُّنَارُ الْبِذَى فِي وَسْطِهِ فِي وَسْطِكَ كَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ الْبِذَى فِي رِجْلِهِ
رِجْلِكَ ، مَاذَا كُنْتَ تَصْنَعُ ؟

وَلْيَغْضِبْهُمْ :

وَمِنْ الرِّزْيَةِ أَنْ شُكِّرِي صَامِتٌ عَمَّا فَعَلْتُ وَأَنْ يَبْرَكَ نَاطِقٌ ^(١)

أَزَى الصَّيِّعَةِ مِنْكَ ثُمَّ أُسْرِهَا إِنِّي إِذَا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقٌ ^(٢)

وَقَالَ رَجُلٌ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٣) : إِنْ اللَّصُّ دَخَلَ دَارِي وَأَخَذَ مَتَاعِي : فَقَالَ :
اشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى ، لَوْ دَخَلَ اللَّصُّ قَلْبَكَ - وَهُوَ الشَّيْطَانُ - فَأَخَذَ ^(٤) التَّوْحِيدَ ، مَاذَا
كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ وَلَمَّا بُشِّرَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَغْفِرَةِ ، سَأَلَ الْحَيَاةَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهُ
فِيهِ ، فَقَالَ : لِأَشْكُرَهُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ قَبْلَهُ لِلْمَغْفِرَةِ ، فَبَسَطَ الْمَلِكُ جَنَاحَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى
السَّمَاءِ ^(٦) .

(١) هكذا البيت في « ط » ، والرسالة القشيرية .. وفي « م » : « سُرَّكَ » مكان « يَبْرَكَ » .

(٢) في « م » ، والرسالة القشيرية : « ليد الكريم » مكان « لندي الكريم » والمراد بها : نعمة الله سبحانه وتعالى ..
وأُسْرِها : أخفيها .

(٣) هو : سهل بن عبد الله بن يونس الششتري ، أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، وأحد التكلمين في
علوم الإخلاص والرياضيات ، وعبوب الأفعال .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٤٣ ، وطبقات الصوفية ص ٢٠٦ - ٢١١ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص
٧٧ - ٧٩ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ٩٢ - ٩٥ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ١٨٩ - ٢١٢ ، ووفيات الأعيان
ج ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وشرحات اللهب ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤ ، وسمو أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٣٠ -
٣٣٣ ، ومعجم البلدان ج ٢ مادة « تستر »] .

(٤) في « م » : « د وسرَّ » . مكان « وأخذ » .. وفي الرسالة القشيرية : « وأفَسَدَ التوحيد » .

(٥) في « م » : « فسأل المغفرة » .. وفي « ط » : « سأل المغفرة » ولا تستقيم معنى ، والتصويب من الرسالة
القشيرية . و « سأل الحياة » أى : إطالة حياته .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٢] .

(٦) أشار القرآن إلى هذا في سورة مريم . انظر الآيتين : ٥٦ ، ٥٧ .

وَرَوَى ^(١) أَنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] ^(٢) مَرَّ بِحَجَرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ : مُنْذُ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَقُوْدهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ وَأَنَا ^(٣) أَنْبِئُكَ مِنْ خَوْفِهِ ، فَدَعَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) رَبَّهُ أَنْ يُجِيبَهُ ^(٥) مِنَ النَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنِّي أُجِزُّهُ مِنَ النَّارِ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ الْحَجَرَ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ مِثْلُ مَا كَانَ ، فَتَعَجَّبَ ^(٦) فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَجَرَ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ تَبْكِي ^(٧) ؟ فَقَالَ : ذَلِكَ بُكَاءُ الْمُحْزِنِ وَالْخَوْفِ ، وَهَذَا بُكَاءُ الشُّكْرِ وَالسُّرُورِ .

وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَرْحَمُ عِبَادِي : الْمُتَبَلِّى وَالْمُعَافَى ^(٨) . فَقَالَ ^(٩) : إِلَهِي ، مَا بَالُ الْمُعَافَى ؟ فَقَالَ : لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ عَلَى عَافِيَتِي إِيَّاهُمْ .. وَأَوَّلَى رَجُلٍ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا خَيْرًا ^(١٠) فَقَالَ : لَا أَهْلَاكَ اللَّهُ بَلَاءَ يَعْجَزُ عَنْهُ صَبْرِكَ ^(١١) ، وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ ^(١٢) نِعْمَةً يَعْجَزُ عَنْهَا شُكْرُكَ .

وَالشَّدَّ بَعْضُهُمْ :

(١) في « م » : « وَرَوَى » .

(٢) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٣) هكذا في الرسالة القشيرية .. وفي « م » و « ط » : « فَأَنَا » .. وقوله تعالى : ﴿ وَقُوْدهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ورد في سورة التحريم ، من الآية السادسة ، والبقرة من الآية ٢٤ .

(٤) في « م » : « ﷺ » .

(٥) في « م » : « وَأَنْ يَجِيزَهُ اللَّهُ تَعَالَى » .

(٦) في « م » : « فَتَعَجَّبَ » .

(٧) في « م » : « لِمَ تَبْكِي » خطأ من الناسخ .

(٨) في « م » : « أَرْحَمُ الْمُعَافَى وَالْمُتَبَلِّى » .

(٩) في « م » : « قَالَ » .

(١٠) هكذا في المستطرف ج ١ ص ٥٠٧ والمعنى : حباه وأنعم عليه .. وفي « م » : « وَأَوَّلَى رَجُلٍ أَعْرَابِيًّا بَلَاءَ حَسَنًا » .

حَسَنًا .. وفي « ط » : « وَبَلَا رَجُلًا أَعْرَابِيًّا بَلَاءَ حَسَنًا » .

(١١) في « م » : « يَعْجَزُ صَبْرُكَ عَنْهُ » .

(١٢) في « م » : « عَنْكَ » تحريف .

سَأَشْكُرُ لَا أُشْكِرُ أَجْزَائِكَ مُنْعِمًا بِشُكْرِي وَلَكِنْ كَيْ يُرَى ذَلِكَ الشُّكْرُ (١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامًا لَدَيْ أَصْطَلَعْتُهَا وَآخِرُ مَا يَتَمَيَّ عَلَى الشَّاكِرِ الذِّكْرُ (٢)
وَأَتَشَدُّوا :

أُولَئِكَ نِعْمًا أُبَوِّحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأُسْرِهَا
فَلَا شُكْرُكَ مَا حَيِّتُ وَإِنْ أُمْتُ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِهَا
وَلَبِغْضِ الْأَغْرَابِ :

إِلَهِي قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ
فَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرٍ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ فَعُدْرِي إِقْرَارِي بَأَنْ لَيْسَ لِي عُدْرٌ

وَكَانَ مُطَرِّفٌ (٣) يَقُولُ : إِلَهِي ، مِنْكَ تَكُونُ النِّعْمَةُ ، وَعَلَيْكَ تَمَامُهَا ، وَأَنْتَ تُعِينُ
عَلَى شُكْرِهَا ، وَعَلَيْكَ ثَوَابُهَا . وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ مِنَ النِّعَمِ عَلَى الْعِبَادِ . وَقَدْ أَتَيْتُ عَلَى
بَعْضِ عِبَادِهِ فَقَالَ (٤) : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا » (٥) . وَقَالَ تَعَالَى : « شَاكِرًا لِنِعْمِهِ
اجْتِبَاهُ » (٦) . وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا أَتَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَمَنْ شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ » (٧) . « وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ » (٨) . وَقَالَ (٩) : « إِنْ
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ » (١٠) . لَيْسَ لِلرَّبِّ تَعَالَى فِيهَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، فَإِنَّهُ أَجَلُ

(١) في المستطرف : « ولكن كي يُرَادَ لك الشُّكْرُ » .

(٢) اصطَلَعْتُهَا ، بفتح التاء : أَحْسَنْتُ إِلَيَّ فِيهَا . وَالْمُخَاطَبُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(٣) هُوَ : مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّغَيْرِ الْعَامِرِيُّ ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٤) فِي « م » : « وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي النَّهْيِ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ » .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « نُوحٍ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٦) سُورَةُ الْحَجَلِ ، مِنَ الْآيَةِ ١٢١ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي سَيِّدِنَا « إِبْرَاهِيمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٧) سُورَةُ الْحَجَلِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٠ .

(٨) سُورَةُ فَاطِمَةَ ، مِنَ الْآيَةِ ١٨ . وَفِي « م » : « وَمَنْ يَتَزَكَّى » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ

(٩) « وَقَالَ » عَنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ فِي « ط » .

(١٠) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنَ الْآيَةِ السَّابِعَةِ .

مِنْ أَنْ تَنَالَهُ ^(١) الْحُظُوظُ ، وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُلْحَقَهُ نِشَاءُ مِثْنٍ ^(٢) أَوْ شُكْرُ شَاكِرٍ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ الْعُلُوَّ وَالْجَلَالَ لَهُ دُونُهُمْ ، وَأَلَّهُ يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنِ النَّاسِ بِنِشَاءِ مِثْنٍ ، أَوْ كُفْرِ كَافِرٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَذُوقُكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ ^(٤) . فَوَاعَجَبَا ، أُعْطِيَ ثُمَّ أُتِيَ !

وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُفِرَ النِّعْمَةُ دَاعِيَةَ الْمَقْتِ ، وَمَنْ جَازَاكَ بِالشُّكْرِ فَقَدْ أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَ مِنْكَ . وَحَقِيقٌ بِمَنْ ^(٥) أَسْدَيْتَ إِلَيْهِ نِعْمَةً ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ يُكَافِيَءَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَشْكُرْ ، فَإِنْ شَكَرَهَا فَقَدْ أَدَّى حَقَّهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدَّ لِرِفْقَةٍ حَالٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ ^(٦)
لَمَّا أَمَرَ الرَّحْمَنُ بِالشُّكْرِ خَلَقَهُ فَقَالَ اشْكُرُونِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ^(٧)
وَقَالَ الْبُسْتِيُّ ^(٨) :

لَيْنَ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قُوَّتِي وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عَاجِزُ ^(٩)
فَإِنْ ثَنَائِي وَاعْتِقَادِي وَطَاعَتِي لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتِيهِ مَرَائِزُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « نِيَال » . والحظوظ ، جمع حظ ، وهو : النصيب والمطاء .

(٢) أى : مَذْحُ مَادِح .

(٣) في « م » : « فَإِنَّهُ يَتَقَدَّسُ » أى : يَنْزَعُهُ - جَلَّ وَعَلَا .

(٤) سورة إبراهيم ، من الآية العاشرة .

(٥) في « م » : « وَمَنْ » .

(٦) هكذا البيت في « ط » .. وفي « م » والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٢ : « لكثرة مالٍ » مكان « لرفعة حالٍ » ..

والبيت في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨١ ط دار الكتب العلمية :

« فَلَوْ كَانَ يَسْتَعْنِي عَنِ الشُّكْرِ سَيَدَّ لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوٍّ مَكَانٍ »

تفسيره : فيما سبق كان اعتمادنا على عيون الأخبار المطبوع في الهيئة العامة للكتاب ، ومن هنا وإلى نهاية الكتاب - إن شاء الله تعالى - سيكون اعتمادنا على طبعة دار الكتب العلمية .

(٧) البيت في العقد الفريد :

« لَمَّا تَلَذَّبَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ .. فَقَالَ اشْكُرُوا لِي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » والشطرة الأولى في عيون الأخبار :

« لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْجَلِيلُ بِشُكْرِهِ » . ونَدَبَ : دعا . والثقلان : الإنس والجن .

(٨) هو الكاتب الشاعر : أبو الفتح ، علي بن محمد .

(٩) أَقْوَى الْوَرَى : أَشَدُّ الْخَلْقِ .

(١٠) مطلع البيت في « م » : « فَإِنْ ثَنَائِي .. » ما أَوْلَيْتِيهِ : ما أكرمْتَنِي به من نعم .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ ^(١) : وَقَفْتُ عَلَيْنَا امْرَأَةً فَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ، تَغَيَّرَ عَلَيْنَا الذَّمُّ إِذْ قُلْنَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَفَارَقْنَا الْغِنَى ، وَحَاقَلْنَا الْفَقْرَ ، فَرَجَمَ اللَّهُ أَمْرًا فِيهِمْ بِعَقْلِ ، وَأَعْطَى مِنْ فَضْلٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ ^(٢) ، وَأَعَانَ عَلَى عَفَافٍ .
وَأَسْتَدُوا :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ ^(٣)
لَمَلَّئْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرٌ شَاكِرٌ ^(٤)
وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ فِي الضَّمِيرِ يُحَرِّكُهُ الْكَلِمُ السَّائِرُ ^(٥)

وَقِيلَ لِكِسْرَى : مَا الشُّكْرُ ؟ فَقَالَ : الْمُكَافَأَةُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَةِ . قِيلَ : فَمَا الْكُفْرُ ^(٦) ؟ قَالَ : تَرْكُ الْجَزَاءِ وَلَوْ بِالثَّنَاءِ . قِيلَ : وَهَلْ يَكُونُ أَحَدٌ أَبْخَلَ مِمَّنْ يَتَحَلَّى بِالثَّنَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَنْ عَادَى عَلَى الصَّنِيعَةِ ^(٧) .

(١) هو : إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلي ، أبو محمد ، التميمي بالولاء ، المعروف بابن النديم الموصلي ، فارسي الأصل ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، وكان شاعراً ورواية للشعر ، وحافظاً للأخبار ، وُلِدَ في بغداد سنة ١٥٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٢٣٥ هـ . وألف الكثير من الكتب والتصانيف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٢٩٢ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٣٨ - ٣٤٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ٦ ص ٥ - ٥٨ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ - ٣٦١ ، والأغاني ج ٥ ص ١٩١٢ - ٢٠٧٩ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٢ - ٨٤] .
(٢) الكفاف : ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان .

(٣) يبين : يفصح عنه ويوضحه .. وفي « م » : « إِذَا تَأَمَّلَهُ » ، وسقطت « ما » منها سهواً من الناسخ ، ولا يستقيم الوزن إلا بها . والآيات في عيون الأخبار ج ٣ ص ١٨٠ وهي من المتقارب .
(٤) لَمَلَّئْتُهُ لَكَ : لَشَبَّهْتُه وَصَوَّرْتُهُ لَكَ . وفي عيون الأخبار : « تَبَيَّنَتْ لَكَ » .

(٥) الْكَلِمُ السَّائِرُ : الْكَلَامُ الَّذِي شَاغَ فِي النَّاسِ .

(٦) الْكُفْرُ : الْجُحُودُ .

(٧) عَادَى عَلَى الصَّنِيعَةِ : خَاصَمَ مَنْ قُتِمَ لَهُ الْخَيْرُ وَالْفِعْلُ الْحَسَنُ ، وَصَارَ عَدُوًّا لَهُ .

البَابُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ السَّيَرَةِ الَّتِي يَصْلُحُ عَلَيْهَا
الْأَمِيرُ وَالْمَأْمُورُ ، وَیَسْتَرْيَحُ إِلَيْهَا
الرَّئِيسُ وَالْمَرْءُوسُ ، مُسْتَخْرِجَةً
مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِئْتُ لَهُمْ أَشْوَاقٌ ﴾ (١) . فَأُنْبِئْتُ اللَّهَ تَعَالَى الْمُتَمَثِّلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَائِرِ الْبَهَائِمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَا يُتِمَّاثِلُونَنَا (٢) فِي خُلُقِنَا وَأَشْكَالِنَا ، وَلَا فِي عُقُولِنَا (٣) ، وَسَائِرِ مَا تُدْرِكُهُ الْعَيْنُ (٤) مِنْهُمْ وَمِنَّا ، فَتُبْقَى الْمُتَمَثِّلَةُ فِي الْأَخْلَاقِ ، فَلَا أَحَدَ مِنَ الْخُلُقِ إِلَّا وَفِيهِ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَخْلَاقَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفَةً : فَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْإِنْسَانِ خُلُقًا خَارِجًا عَنِ الْإِعْتِدَالِ ، فَأَبْصِرْ مَا يُمَازِلُ ذَلِكَ الْخُلُقَ مِنْ خُلُقِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ (٥) فَالْحَقُّ بِهِ ، وَعَامِلُهُ

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ .

(٢) في د م و ط : لا يماثلونا .

(٣) قوله : ولا في عقولنا عن د م .

(٤) في د م : وسائر ما يدركه حواسنا .

(٥) في د م : من سائر الحيوان .

كَمَا كُنْتَ تُعَامِلُهُ بِهِ ^(١) ، فَجِئْنِيذ تَسْتَرِيحُ مِنْ مُنَازَعَتِهِمْ وَيَسْتَرِيحُونَ مِنْكَ ، وَتَذُومُ الصُّحْبَةَ .

فَإِذَا رَأَيْتَا الرَّجُلَ الْجَاهِلَ فِي خَلَاتِقِهِ ، الْعَلِيْظَ فِي طَبَاعِهِ ، الْقَوِيَّ فِي بَذَنِهِ ، الَّذِي ^(٢) لَا يُؤْمِنُ طُغْيَانَهُ ^(٣) وَإِفْرَاطَهُ فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الثُّمُورِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَجْهَلُ مِنْ نَيْرٍ ^(٤) . وَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ النَّمِرَ بَعُدْتَ عَنْهُ وَلَمْ تُخَاصِمْهُ وَلَا تُسَابِقْهُ ^(٥) . فَاسْلُكْ بِالرَّجُلِ كَذَلِكَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ الْعَالِبَ عَلَى أَخْلَاقِهِ السَّرِيقَةَ خُفْيَةً ، وَالنَّقَبَ ^(٦) لَيْلًا عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِسْرَارِ ^(٧) قُلْنَا : هَذَا يُمَاطِلُ عَالَمَ الْجُرْذِ ^(٨) ، فَذَغُ مَلَا حَاتَهُ ^(٩) وَمُخَاصَمَتُهُ ، كَمَا تَدْعُ سِيَابَ الْجُرْذِ ^(١٠) إِذَا أَفْسَدَ رَحْلَكَ ، ثُمَّ أُخِي ^(١١) رَحْلَكَ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ . وَإِذَا رَأَيْتَ هَجَامًا عَلَى أُغْرَاضِ النَّاسِ وَتَلْبِيهِمْ ^(١٢) فَقَدْ مَاطِلَ عَالَمِ الْكِلَابِ ، فَإِنَّ ذَابَ الْكَلْبِ ^(١٣) أَنْ يَجْفُو مَنْ لَا يَجْفُوهُ ، وَيَتَدَيَّ بِالْأَذْيَةِ مَنْ لَا يُؤْذِيهِ ، فَعَامِلُهُ بِمَا كُنْتَ

(١) : بِهِ : عَنْ « ط » .

(٢) : الَّذِي : عَنْ « م » .

(٣) : فِي « م » : : لَا يُؤْمِنُ مِنْ طُغْيَانِهِ ، وَكِلَاهُمَا وَارِدٌ فِي اللَّفْظِ .

(٤) : وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « أَجْهَلُ مِنْ فَرَاثَةٍ » لِأَنَّهَا تَطْلُبُ النَّارَ فَتَلْقَى نَفْسَهَا فِيهَا .. وَ « أَجْهَلُ مِنْ عَقْرَبٍ » لِأَنَّهَا تَمْشِي بَيْنَ أَرْجُلِ النَّاسِ وَلَا تَكَادُ تَبْصُرُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ .

[انظر مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والدررة الفاخرة في الأمثال السائرة للأصبهاني ج ١ ص ١٠٧ ، ١٢١] .

(٥) : وَلَا تُسَابِقْهُ : الرَّوَا عَاطِفَةٌ ، وَلَا : نَافِيَةٌ لَا عَمَلَ لَهَا ، وَتُسَابِقُهُ : تُثَابِتُهُ ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْزُومِ بَلَمْ قَبْلَهُ .

(٦) : النَّقَبُ : الْخُرْقُ فِي الْجِدَارِ مِنْ أَجْلِ التَّسَلُّلِ وَالسَّرِقَةِ . وَفِي « م » : : « التَّعَبُ » تَحْرِيفٌ .

(٧) : الْإِسْتِسْرَارُ : الْإِسْتِتَارُ وَالْخَفَاءُ . مُصَلَّرٌ يُقَالُ : اسْتَسَرَّ ، بِمَعْنَى اسْتَرَى وَخَفَى .

(٨) : الْجُرْذُ : الْكَبِيرُ مِنَ الْفَرَّانِ ، وَجَمْعُهُ جُرْذَانٌ ، بَضْمُ الْجِيمِ وَكُسْرُهَا .

(٩) : مَلَا حَاتَهُ : مَنَازَعَتَهُ .

(١٠) : فِي « م » : : « سِيَابُ الرُّجُلِ » لَا تَسْتَقِيمُ مَعْنَى .

(١١) : أُخِي ، أَيْ : أَصْلَحَ مَا فَسَدَ مِنْهُ .. وَفِي « م » : : « أُخْبِي » وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَعْنَى السَّابِقِ .

(١٢) : التَّلْبُ : الْعَيْبُ وَالنَّقِصَةُ .

(١٣) : ذَابَ الْكَلْبُ : عَادَتَهُ وَشَأْنَهُ .

نُعَامِلُ بِهِ الْكَلْبَ إِذَا تَبَحَّكَ ، أَلَسْتَ تَذْهَبُ فِي شَأْنِكَ وَلَا تُحَاصِمُهُ وَلَا تُسَبِّهُ ؟ فَافْعَلْ
بِمَنْ يَهْتَضِمُ عِرْضَكَ مِثْلَ ذَلِكَ ^(١) .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا قَدْ جُبِلَ عَلَى الْخِلَافِ ، إِنَّ ^(٢) قُلْتَ : لَا ، قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ
قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا ، فَالْحَقُّ بِعَالِمِ الْحَمِيرِ ، فَإِنَّ ذَابَّ الْحِمَارِ إِنْ أُذْنِيَتْهُ ^(٣) بَعْدَ ،
وَإِنْ أُبْعِدَتْهُ قَرَبَ ، وَأَنْتَ تَسْتَمْتِعُ بِالْحِمَارِ وَلَا تُسَبِّهُ ، وَلَا تُفَارِقُهُ ، فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا بِهِذَا
الْإِنْسَانِ وَلَا تُسَبِّهُ وَلَا تُفَارِقُهُ ^(٤) . وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَطْلُبُ عَقَرَاتِ النَّاسِ وَسَقَطَاتِهِمْ ،
فَمَثَلُهُ فِي الْآدَمِيِّينَ ^(٥) كَمَثَلِ الذُّبَابِ فِي عَالِمِ الطَّيْرِ ، فَإِنَّ الذُّبَابَ يَقَعُ عَلَى الْجَسَدِ
فَيَتَحَامَى ^(٦) صَحِيحُهُ ، وَيَطْلُبُ الْمَوَاضِعَ الثَّغْلَةَ ^(٧) مِنْهُ وَذَوَاتِ الْمَادَّةِ وَالْدَّمِ وَالتَّجَاسَةِ .
وَإِذَا يُلَيِّتُ بِسُلْطَانٍ ^(٨) يَهْجُمُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ فَالْحَقُّ بِعَالِمِ الْأَسُودِ ، وَخُذْ
حِذْرَكَ مِنْهُ كَمَا تَأْخُذُ حِذْرَكَ مِنَ الْأَسَدِ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ ^(٩) .
* وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ ^(١٠) *

(١) قوله : « فافعل ... مثل ذلك » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « فَإِنْ » . وجبيل على الخلاف : طبع عليه .

(٣) في « م » : « إِذَا أُذْنِيَتْهُ » أَيْ : فُرِّقَتْهُ .

(٤) قوله : « فَاسْتَمْتِعْ أَيْضًا ... وَلَا تُفَارِقُهُ » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٥) في « م » : « فَمَثَلُهُ فِي النَّاسِ » .

(٦) يتحامى : يتجنب .

(٧) الثَّغْلَةُ : المتفجرة الزُّنْبَخَةُ .

(٨) في « م » : « وَإِذَا يُلَيِّتُ بِإِنْسَانٍ » .

(٩) هو النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضيابة الغطفاني المضرى ، أبو أمامة ، شاعر جاهل من الطليقة الأولى ، من أهل الحجاز ، كانت تُضَرَّبُ له قُبَّةٌ من جلد أحمر يسوق عكاظ ، تفصله الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان حظًّا عند النعمان بن المنذر ، حتى شُبِّبَ في قصيدة له بالشجرة « زوجة النعمان » ، فغضب عليه النعمان ، وغاب زمناً ، ثم رضى عنه . وسُمِّيَ النابغة لأنه لم يقل شعراً قط حتى صار رجلاً . وساد قومه ، وتوفى نحو سنة ١٨ قبل الهجرة .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٥٤ ، ٥٥ ، والأغاني ج ١١ ص ٣٧٨٩ - ٣٨٢٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٧ - ١٧٣ ، وخزانة الأدب ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨ ، ودبوان النابغة ص ٣ ط دار المعارف ، وشعراء النصرانية ص ٤٦٠ - ٧٣٢] .

(١٠) قوله هذا من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه فيما وشى به لديه في أمر

« الشجرة » . ومطلعها :

وَإِذَا يُلِيكَ يَأْتِسَانِ حَيْثُ كَثِيرَ الرُّوْعَانِ وَالْمُفَاجِرَةِ ^(١) فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الثَّعَالِبِ . وَإِذَا
 بُلِيكَ بِمَنْ يَمْشِي بِالتَّمَائِمِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الظَّرْيَانِ ^(٢) ، وَهِيَ دَابَّةٌ
 صَغِيرَةٌ ، تَقُولُ الْعَرَبُ عِنْدَ تَفَرُّقِ الْجَمَاعَةِ : فَسَا ^(٣) بَيْنَهُمْ ظَرْبَانِ فَتَفَرَّقُوا ، وَخَاصِيَّةٌ ^(٤)
 هَذِهِ الدُّوَيْيَةُ ^(٥) إِذَا حَصَلَتْ وَسَطَ جَمَاعَةٍ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، وَكَمَّا أَنَّ الْجَمَاعَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ
 نَحْوَهُمْ هَذِهِ الدَّابَّةُ طَرَدُوهَا وَمَنَعُوهَا الدُّخُولَ بَيْنَهُمْ ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي إِخْرَاجُ النَّعَامِ مِنْ بَيْنِ
 الْجَمَاعَةِ ^(٦) ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ^(٧) يُوشِكُ أَنْ يُفَرَّقَ مَا بَيْنَهُمْ ^(٨) وَيُفْسِدَ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى
 بَعْضٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا لَا يَسْمَعُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ، وَيَتَفَرُّقُ مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ،
 وَيَأْلَفُ سَمَاعَ أَخْبَارٍ ^(٩) أَهْلُ الدُّنْيَا وَسَائِرَ الْخُرَاقَاتِ وَمَا يَجْرِي فِي مَجَالِسِ الْعَوَامِّ ،
 فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الْخَنَافِسِ ، فَإِنَّهُ يُعْجِبُهُ أَكُلُ الْعِذْرَاتِ ، وَيَأْلَفُ رَوَائِحَ النَّجَاسَاتِ ، وَلَا تَرَاهُ

« يَادَارُ مَيَّةً بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّيِّدُ » . وَالْبَيْتُ بِتِمَامِهِ :

« أَلْبِثْتُ أَنَّهَا قَابُوسٌ أَوْعَدَنِي .. وَلَا فِرَازَ عَلَى رَأْسٍ مِنَ الْأَسَدِ » .

وأبو قابوس : هو النعمان بن المنذر . وأوعدني : هددني . وزأر الأسد وزئيره : صوته . يقول : وعيد النعمان
 تستقر معه نفسي ولا تطمئنُ هَيَّئَةً لَهُ ، كَمَا لَا تَطْلُقُ وَلَا تَسْكُنُ فِي مَكَانٍ يُسْتَمْنَعُ فِيهِ إِلَى زَيْبِ الْأَسَدِ .

[انظر الديوان ص ٢٦ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١٦٧ ، وشعراء النصرانية ص ٦٦٧ ، وخراتة الأدب ج ٢
 ص ١٣٧] .

(١) الرُّوْعَانُ : المخادعة .. والمُفَاجِرَةُ : الإفساد .. وَفِي « ط » : « المُفَاخِرَةُ » بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، أَيْ : الْمِبَاهَاةُ بِمَا لَهُ
 مِنَ الْخَاسَنِ .

(٢) الظَّرْيَانُ : حيوان من رتبة القوارض ، وهو أصغر من المستور ، أصْلَمُ الْأَذْيَانِ ، قصير القوائم ، مُتَيْنُ الرَّاحَةِ .

(٣) فِي « م » : « مَتَى » . وَالْأَوَّلُ أَشْهُرُ .

(٤) فِي « ط » : « وَخَاصَّةً » . وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَتَعْنِيَانِ : الصِّفَةُ الَّتِي تُمِيزُ الشَّيْءَ وَتَحَدِّدُهُ .

(٥) الدُّوَيْيَةُ : تصغير دَابَّةٍ .

(٦) فِي « م » : « مِنْ بَيْنِ الْخَلِيقَةِ » .

(٧) فِي « م » : « فَإِنْ يَفْعَلُوا » لَا تَصِحُّ مَعْنَى .

(٨) فِي « م » : « فِيمَا بَيْنَهُمْ » .

(٩) فِي « م » : « وَتَأْلِيفُ أَخْبَارٍ » .

إِلَّا مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ^(١) وَالْمَرَاجِيزِ ، وَيَتَفَرُّ مِنْ رَوَائِحِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدِ ، وَإِذَا طُرِحَ عَلَيْهِ الْمِسْكِ وَالْوَرْدُ مَاتَ .

وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا ^(٢) إِثْمًا دَأْبُهُ حِفْظُ الدُّنْيَا ، لَا يَسْتَجِى فِي التَّوْبِ عَلَيْهَا ، فَالْحِفْهُ بِعَالِمِ الْأَحْدِيثِ ^(٣) بِأَنْ تُنَحَّى رِجْلُكَ عَنْهُ ، وَإِذَا بُلِيتَ ^(٤) بِالرَّجُلِ تَظْهَرُ عَلَيْهِ الدَّيَّانَةُ ^(٥) وَالسَّكِينَةُ ، وَقَدْ نَصَبَ أَشْرَاكَهُ لِإِفْتِنَاصِ الدُّنْيَا وَأَكَلَ أَمْوَالِ الْوَدَائِعِ ^(٦) وَالْأَرَامِلِ وَالتَّيْتَامَى ، فَالْحِفْهُ بِعَالِمِ الذَّنَابِ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ ^(٧) :

ذَنْبٌ تَرَاهُ مُصْلِيًا فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ
يَلْعُو وَجُلُّ دُعَائِهِ مَا لِلْفَرَسَةِ لَا تَقَعُ
عَجَلُ بِهَا يَأْذَا الْعَلَا إِنَّ الْفُرَادَى قَدْ انْصَدَعُ

فَاخْتَرِ ^(٨) مِنْهُ كَمَا تَخْتَرِ مِنَ الذَّنْبِ .

وَإِذَا بُلِيتَ بِصُحْبَةِ إِنْسَانٍ كَذَّابٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْكَذَّابَ كَالْمَيِّتِ فِي الْحُكْمِ ، لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا يَقْبَلُ خَيْرٌ الْمَيِّتِ ^(٩) ، وَكَمَا تَصْحَبُ الْمَوْتَى لَا تَصْحَبُ الْكَذَّابَ ، وَقِيلَ ^(١٠) فِي الْمَثَلِ : كُلُّ شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَصُحْبَةُ الْكَذَّابِ لَأَمْنٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) مُلَابِسًا لِلْأَخْلِيَّةِ ، أَيْ : مُلَازِمًا لِلْمَكْنَةِ الْخَالِيَةِ .

(٢) مِنْ قَوْلِهِ : « وَإِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا .. » إِلَى قَوْلِهِ : « بُلِيتَ » مِنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٣) الْأَخْلِيَّةُ : جَمْعُ جَلَدٍ ، مِثْلُ لَوَاءِ وَالْوَيْتَةِ ، وَكِبَاءٍ وَأَكْبِيَّةٍ . وَالجَدَاءُ : جَمْعُ جَدَاءٍ ، وَهُوَ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَنْقُضُ عَلَى الْجُرَذَانِ وَالِدَوَاجِنِ وَنَحْوِهَا . وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ يُقَالُ : « انْخَطَفَ مِنْ جَدَاءٍ » . كَمَا تَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى جَدِيٍّ وَجَدَانٍ .

(٤) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقِطُ مِنْ « م » .

(٥) فِي « م » : « دَيَّانَةٌ » .

(٦) فِي « ط » : « الْوَدَائِعُ وَالْأَمَانَاتُ » .

(٧) فِي « ط » : « كَمَا قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ » .

(٨) فِي « ط » : « اخْتَرِ » .

(٩) فِي « ط » : « لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ لَهُ خَيْرٌ ، كَمَا لَا خَيْرَ لِلْمَيِّتِ » .

(١٠) فِي « م » : « وَقَدْ قِيلَ » .

يُلْحَقُ بِعَالَمِ النَّعَامِ ، فَإِنَّهُ يَذْفُنْ جَمِيعَ بَيْضِهِ تَحْتَ الرَّمْلِ ثُمَّ يَتْرُكُ وَاحِدَةً عَلَى وَجْهِ الرَّمْلِ ، وَأُخْرَى تَحْتَ طَاقِفٍ مِنَ الرَّمْلِ ، وَسَائِرُ بَيْضِهِ فِي قَعْرِ الْحُفْرَةِ ، فَإِذَا رَأَهُ الْغُرُّ (١) يَأْخُذُ (٢) تِلْكَ الْبَيْضَةَ وَيَنْصَرِفُ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الرَّمْلِ فَيَجِدُ الْأُخْرَى ، فَيَظُنُّ أَنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ (٣) شَيْءٌ آخَرُ ، وَالْخَبِيرُ بِحَالَةِ النَّعَامِ إِذَا رَأَى الْبَيْضَةَ لَا يَزَالُ يَخْفِرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، وَلَا يَغْتَرُّ بِتِلْكَ الْبَيْضَةِ (٤) ، كَذَلِكَ الْكَذَّابُ ، إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ خَبْرًا لِأَصْدَقِهِ حَتَّى تَبْلُغَ الْغَايَةَ فِي الْكَشْفِ عَنْهُ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ إِنَّمَا ذَابَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِنَفْسِهِ (٥) كَمَا تَصْنَعُ الْعُرُوسُ لِجَلِيلِهَا : يَبْغِي نِيَابَهُ ، وَيُعَدِّلُ عِمَامَتَهُ ، وَيَتَّقِي أَنْ يَمَسَّهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَيَنْظُرُ عِطْفِيهِ (٦) ، وَيَطْرَحُ الْقَدَى عَنْ ثَوْبِهِ (٧) ، لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ بَيْنَ الْجُلُسَاءِ إِلَّا نَظَرُهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَإِصْلَاحُ مَا انْتَنَى مِنْ نِيَابِهِ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الطَّوَارِسِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ (٨) ، فَإِنَّهُ يَتَبَحَّثُ فِي مِشْيَتِهِ (٩) وَيَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَيَفْرِشُ ذَنْبَهُ ، فَيَتَّخِذُهُ (١٠) الْمُلُوكُ اسْتِحْسَانًا لَهُ .

وَإِذَا يُلِيتُ بِنَاسٍ حَقُودٍ لَا يَنْسَى الْهَفَوَاتِ ، وَيُجَازِي بَعْدَ الْمُدَّةِ عَلَى السَّقَطَاتِ ، فَالْحَقُّهُ بِعَالَمِ الْجِمَالِ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : فَلَانٌ (١١) أَحْقَدُ مِنْ جَمَلٍ ، وَتَجَنَّبُ (١٢) قُرْبَ الْجَمَلِ الْحَقُودِ ، فَاجْتَنِبْ صُحْبَةَ الرَّجُلِ (١٣) الْحَقُودِ .

(١) الْغُرُّ : مَنْ يَجْهَلُ الْأُمُورَ ، أَوْ مَنْ يَخْدَعُ إِذَا خُدِعَ . وَفِي « م » : « الْغَيْرِ » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٢) فِي « م » : « وَأَخَذَ » الْوَاوُ زِيَادَةً مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) ثُمَّ : هُنَاكَ .

(٤) فِي « م » : « بِتِلْكَ الْحَالَةِ » .

(٥) فِي « ط » : « يَصْنَعُ نَفْسَهُ » .

(٦) عِطْفِيهِ : جَانِبِيهِ ، وَهِيَ مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَهِ .

(٧) فِي « ط » : « ثَوْبِيهِ » .

(٨) فِي « م » : « الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ » .

(٩) فِي « م » : « فِي مَشْيِهِ » .

(١٠) فِي « م » : « فَيَتَّخِذُهُ » . وَذَنْبُهُ : ذِيْلُهُ .

(١١) قَوْلُهُ : « فَلَانٌ » عَنْ « ط » .

(١٢) أَيْ : وَتَجَنَّبُ .

(١٣) فِي « م » : « الْجَمَلِ » .

وَإِذَا بُلِيتْ بِإِنْسَانٍ مُنَافِقٍ ^(١) يَبِطُنْ خِلَافَ مَا يُظْهَرُ ، فَالْحِفْهُ بِعَالِمِ الزُّبُوعِ ، فَإِنَّ
الزُّبُوعَ - وَهُوَ قَارٌ يَكُونُ فِي الْبَرِّيَّةِ - يَتَّخِذُ جُحْرًا تَحْتَ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهُ : النَّافِقَاءُ ،
وَلَهُ فُوهَتَانِ ، يَدْخُلُ مِنْ إِحْدَاهُمَا وَيَخْرُجُ مِنَ الْأُخْرَى ، وَمِنْهُ أُشْتُقَ اسْمُ الْمُنَافِقِ ، فَإِذَا
هَمَّ أَحَدٌ بِأَخْذِهِ دَخَلَ ^(٢) جُحْرَهُ وَخَرَجَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ ، فَيَحْفِرُ الصَّيَادُ حَلْفَهُ فَلَا يَظْفُرُ
بِشَيْءٍ ، كَذَلِكَ حَالُ الْمُنَافِقِ لَا يَصِحُّ مِنْهُ شَيْءٌ ^(٣) . وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ كُنْ فِي صُحْبَةِ
النَّاسِ ، تَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ وَتُرِيحُهُمْ مِنْكَ ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ مَا اسْتَقَامَتْ لِي صُحْبَةُ النَّاسِ وَسَكَتَتْ
نَفْسِي وَاسْتَرَحَّتْ ^(٤) مِنْ مَكَابِدَةِ أَخْلَاقِهِمْ إِلَّا مِنْ حَيْثُ سِرْتُ مَعَهُمْ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ .

وَقَالَ الرَّيَاحِيُّ ^(٥) : يَا بَنِي رِيَاحٍ ، لَا تَحْفِرُوا ، صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أُخَذْتُ مِنَ
التَّغْلِبِ رَوْعَانَهُ ^(٦) ، وَمِنْ الْفِرْدِ مَكَابِدَهُ ^(٧) ، وَمِنْ السُّنُورِ ضَرَعَهُ ^(٨) ، وَمِنْ الْكَلْبِ
نُصْرَتَهُ ، وَمِنْ ابْنِ آوَى حَدَرَهُ ، وَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ مَشَى اللَّيْلِ ، وَمِنْ الشَّمْسِ
الظُّهُورَ فِي الْحِينِ بَعْدَ الْحِينِ ^(٩) .

(١) في م : : بإنسان مبطن .

(٢) في م : : فإذا هم بأخذه ودخل

(٣) قوله : : كذلك حال المنافق لا يصح منه شيء ، عن ط : وساقط من م .

(٤) في م : : واسترحت .

(٥) هو : خالد بن غناب بن ورقاء الرياحي ، شجاع من الأبطال ، كان من أشرف الكوفة ، وأحد الذين حاربوا
شبيباً الخارجي في جيش الحجاج ، وهو الذي قتل « مصاداً » أخا شبيب ، و « غزالة » امرأة صالح بن مسروح
الخارجي ، والتحم معه أصحاب شبيب في معركة بناحية المدائن ، فانهزم أصحاب خالد ، فراجع حتى أشرف على
دجلة فالتقى نفسه فيه بقربيه ولواؤه بيده ، ففرق ، فقال شبيب : قاتله الله ، هذا أشد الناس ! وكان ذلك سنة
٧٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٩٧ ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ص ٥٩٠ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ٥٨ - ٦٠ ،
وانظر النص في العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠] .

(٦) الرُّوعَان : المكر والاحتيال .

(٧) في العقد الفريد : « خكايته » أي : محاكاته .

(٨) الضَّرْع : الدَّلَّة والخضوع .

(٩) في م : والعقد الفريد : الظهور الحين بعد الحين .

البَابُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَنِهِ الَّتِي فِيهَا غَايَةُ كَمَالِ
السُّلْطَانِ ، وَشِفَاءِ الصُّدُورِ ، وَرَاحَةِ
الْقُلُوبِ ، وَطِبِّهِ الثُّفُوسِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَتَى كَمَلْتَ فِيكَ ^(١) الْخِصَالَ الْمَحْمُودَةَ ، وَالْأَخْلَاقَ
الْمَشْكُورَةَ ، وَالسِّيَرَةَ ^(٢) الْمُسْتَقِيمَةَ ، وَمَلَكَتْ نَفْسَكَ ، وَقَهَرْتَ هَوَاكَ ، وَوَضَعْتَ
الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرِّعِيَّةَ اهْتَضَمَتْ حَقَّكَ ، وَجَهَلَتْ قَدْرَكَ ، وَلَمْ تُؤْفَكَ ،
حَظُّكَ ، فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ مَا يَسُوءُكَ ، وَرَأَيْتَ مِنْهُمْ مَالًا يُعْجِبُكَ ، فَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهِ ،
فَلَا تَطْمَعَنَّ أَنْ يَصْفُرَ ^(٣) لَكَ مِنْهُمْ مَالًا يَصْفُرُ ^(٤) مِنْهُمْ لِلْإِلَهِ .

وَفَصَّلَ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْعَمَ
عَلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ ، فَأَكْمَلَ حَوَاسَهُمْ ، وَخَلَقَ فِيهِمُ الشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمُ

(١) فِي د م : : دَنْ مَنْ كَمَلْتَ فِيهِ .

(٢) فِي د م : : دَالِ السِّيَرِ ، جَمْعُ سِيرَةٍ .

(٣) فِي د م : : دَنْ أَنْ يَصْفُرَ .

(٤) فِي د م : : د يَصْفُرُ لَكَ .. لَكَ زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ

بِعَمِّهِ ، وَكَمَلَتْ ^(١) لَهُمُ اللَّذَاتُ ، وَبَعْدَ هَذَا فَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَا عَظَمُوهُ ^(٢) حَقَّ عَظَمَتِهِ ، بَلْ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، وَوَصَفُوهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ، وَأَصَافُوا إِلَيْهِ مَا يَتَقَدَّسُ ^(٣) عَنْهُ ، وَسَلَكُوهُ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى ^(٤) ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ زَوْجَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ ابْنٌ ^(٦) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : لَهُ الْبَنَاتُ ^(٧) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَسِّمُهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشَبِّهُهُ ^(٨) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَكَرَّهُ رَأْسًا وَقَالَ : مَا لِلْخَلْقِ صَانِعٌ ، كَمَا حَكَاهُ الْخَالِقُ عَنْهُ فَقَالَ : هُوَ غَمُوتٌ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ^(٩) . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخَيِّمُهُمْ وَيَقْبِيهِمْ ، وَيُصَيِّحُ أَجْسَامَهُمْ وَحَوَاسِيَهُمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ ^(١٠) وَيُنْعِشُهُمْ ، وَيَقْضِي مَا يَرْهَمُ وَأَوْطَارَهُمْ ، وَيَمْتَتِعُهُمْ مَتَاعًا

(١) في م : « وَكَمَلَتْ » .

(٢) في م : « عَظَمُوهُ » تحريف .

(٣) يتقدَّس : يتزَّه .

(٤) في م : « الْعُلَى » .

(٥) الذين قالوا بالثلاث طائفة من النصارى ، ويعنون به أن الله أحد أقانيم - أى أصول - ثلاثة ، والأقنومان الآخران : عيسى وأُمُّه - الأب والابن والروح القدس - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا . [انظر الآية ٧٣ من سورة المائدة] .

(٦) هم اليهود والنصارى ، فقالت اليهود : غَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . [انظر الآية ٣٠ من سورة التوبة ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ج ١ الباب الثاني ص ٢٠٨ وما بعدها] .

(٧) هم السفهاء من قريش من قبائل جهينة وبنى سلَمة وخزاعة وغيرهم ، اتَّكَبُوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله . [انظر سورة الصفات ، الآيات ١٤٩ - ١٥٤ ، والآية ٣٩ من سورة الطور] .

(٨) انظر القول في صفة « الجنسية » في مناهج الأدلة في عقائد الجيلة لابن رشد ، بتحقيق د . محمود قاسم ص ١٧١ وما بعدها ، وانظر دراسات في الفلسفة الإسلامية لمحمود قاسم أيضاً ص ١٦٦ ، وانظر « الْمُشَبِّهَةُ » في الملل والنحل ج ١ ص ١٠٣ وما بعدها .

(٩) هؤلاء هم الدهريون الذين عطلوا حواسنهم وعقولهم ، فتركوا النظر والمشاهدة والسمع والضحك ، وأنكروا البعث والحساب ، ووجود الإله الخالق الذي يحيى ويميت ، وقالوا : ليس وراء حياتنا التي نحياها في الدنيا حياة أخرى ، لكننا نغيا ونموت ونبتى أمرنا عند ذلك ، وليس لهم حل قولهم هذا حجة أو دليل ، فهم كالأنعام ، بل هم أحل .. والآية بنامها : « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُم بِبَلَاءٍ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » .

[سورة الجاثية ، الآية ٢٤] .

(١٠) في م : « كَرَّرَ النَّاسُ - سَهْوًا - الْفِعْلَ » ويرزقهم .

حَسَنًا ، وَيُتْلَعُهُمْ آمَالَهُمْ فِي مُعْظَمِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، فَمَعَاصِيَهُمْ إِلَيْهِ صَاعِدَةً ، وَبَرَكَاتُهُ ^(١) عَلَيْهِمْ تَارِلَةٌ ﴿ كُلُّ يَفْعَلٍ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ ^(٢) ، وَيَتَّفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ ، وَكُلُّ ذِي حَالَةٍ ^(٣) أُولَى بِهَا .

وَفِي مُتَاجَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ ^(٤) : إِلَهِي ، أَسْأَلُكَ أَنْ لَا يُقَالَ فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ .. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتَهُ لِنَفْسِي ^(٥) فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِكَ ؟ وَفِي هَذِهِ السَّيْرَةِ عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَذِكْرٌ لِمَنْ اذْكُرَ ^(٦) ، مَعَ أَنَّكَ إِنْ التَّمَسْتَ رِضًا جَمِيعِ النَّاسِ ^(٧) التَّمَسْتَ مَا لَا يُدْرِكُ ، وَكَيْفَ يُدْرِكُ رِضَا الْمُخْتَلِفِينَ ^(٨) ؟

فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ ، وَالْعُمُرَ الْقَصِيرَ ، وَالزَّمَانَ الْيَسِيرَ ، وَالْأَيَّامَ الْمَعْدُودَةَ ، وَالْأَنْفَاسَ الْمَحْضُورَةَ ، كَيْفَ أُرَدْتُ أَنْ يَصْفُوَ لَكَ مِنَ الرَّعِيَّةِ مَا لَمْ يَصْنَفْ مِنْهُمْ لِخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُجِيبِهِمْ وَمُمِيتِهِمْ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، بَعِيدٌ مَا أُمِلْتُ ، وَمُسْتَحِيلٌ مَا طُلُبْتُ ، فَلَاكَ فِي اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَنْ تُرْضِيَ مِنْهُمْ بِمَا رَضِيَ مِنْهُمْ خَالِقُهُمْ ^(٩) ، وَتَسِيرَ فِيهِمْ بِسِيرَةِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَرَضِي مِنْكَ ^(١٠) بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْثَرَ لَكَ ^(١١) مِنَ التَّعَمُّ ، مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَوْلِ ،

(١) فِي د م : : وَتَرَّ .

(٢) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : : كُلُّ يَفْعَلٍ . وَمَا وَرَدَ فِي « ط » مُطَابِقٌ لِمَا وَرَدَ فِي آيَةِ الرَّابِعَةِ وَالْثَّانِيَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .. وَشَاكِلَتُهُ : مَذْهَبُهُ الَّذِي يَشَاكُلُ حَالَهُ . أَوْ : سَجِيَّتُهُ وَطَبْعُهُ .

(٣) فِي « ط » : : حَالٍ . وَالْحَالُ وَالْحَالَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٤) أَنَّهُ قَالَ عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : : يَا مُوسَى ، ذَلِكَ شَيْءٌ مَا فَعَلْتَهُ بِنَفْسِي .

(٦) اذْكُرْ : اتَّقَطَّ .

(٧) فِي « م » : : إِذَا التَّمَسْتَ رِضَا جَمِيعِ الْخَلْقِ .

(٨) فِي « م » : : وَكَيْفَ تُرْضِي الْمُخْتَلِفِينَ ؟

(٩) فِي « م » : : خَالِقُهُمْ ، وَرَازِقُهُمْ ، وَمُجِيبُهُمْ ، وَتَكَرَّرَ لِمَا سَبَقَ .

(١٠) فِي « م » : : أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، فَرَضِي مِنْهُمْ ، بِمَضْمُونِ الْعَالَمِينَ .

(١١) فِي « م » : : وَأَكْثَرَ لَهُمْ .

فَانْظُرْ ^(١) كَيْفَ يَسْتَرْ زَلَّاتِكَ ، وَيَتَعَمَّدُ ^(٢) سَيِّئَاتِكَ ، وَلَا يَفْضَحُكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، فَقَى ^(٣) هَذَا مَا يُمَهِّدُ النَّفُوسَ ^(٤) ، وَيُؤَدِّبُ ذَوِي الْعُقُولِ ^(٥) ، وَيَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ ، وَيُوضِّحُ طُرُقَ الرَّشَادِ ، وَلِلَّهِ دُرُّ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) ، لَقَدْ كَانَ رَاعِيًا لِمَا تَلَوَّثُهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ^(٧) : كُنْ لِزَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

* * *

(١) لى م : « وانظر » . والخول : عطية الله من التعم والغريم من الأتباع والحشم : للواحد والجمع والذكر والأنثى .

(٢) يتعمد : يستر ويغشى .

(٣) لى م : « فقى مثل هذا » .

(٤) يمهد النفوس : يجعلها سهلة مهتأة لتقبل النصيح .

(٥) لى م : « ويؤدب العقول » .

(٦) ما بين المحفوظين عن « ط » ..

(٧) لى م : « رضى الله عنه » .

البَابُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي فِيهَا مَلَجَأُ
الْمُلُوكِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَمَعْقِلُ
السَّلَاطِينِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ
وَلتَغْيِيرِ الْوُجُوهِ وَالْأَحْوَالِ (٥)

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِذَا اغْتَلَجَتْ (١) الْأُمُورُ فِي صَدْرِكَ ، وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْكَ الْقَوَاعِدُ ،
وَمَرَجَتْ (٢) فِي قَلْبِكَ وَجْهُ الرَّأْيِ ، وَتَنَكَّرَتْ عَلَيْكَ الْمَعَارِفُ ، وَكَفَهَرُ لَكَ وَجْهُ
الزَّمَانِ ، وَرَأَيْتَ آثَارَ الْغَيْرِ (٣) فَلَا يَغْلِبُنكَ خَصْلَتَانِ : أَثَرُكَ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ وَذُبْيَاهُمْ ، وَلَكَ
الْأَمَانُ مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ (٤) ، وَمَا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ (٥) . وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ (٦)

(٥) فِي « م » : « السُّلْطَانُ » مَكَانَ « السَّلَاطِينِ » .. وَ « اضْطِرَابِ الْمَالِكِ » مَكَانَ « اضْطِرَابِ الْأُمُورِ » .

(١) اغْتَلَجَتْ : اضْطَرَعَتْ .

(٢) مَرَجَتْ : اخْطَلَتْ .

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَنْ « م » وَلَمْ تَرُدْ فِي « ط » . وَالْغَيْرُ : الْأَحْدَاثُ الْمُتَغَيِّرَةُ .

(٤) طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ : حَوَادِثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

(٥) الْمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

(٦) فِي « م » « وَهُوَ دَرُ الْمَأْمُونِ فَإِنَّهُ قَالَ » .

في آخِرِ مَوَاقِفِهِ ^(١) مَعَ أُخِيهِ الْأَمِينِ ، وَقَدْ نَفَّذَتْ ^(٢) يَثُوثُ الْأَمْوَالِ ، وَالْحُبُّ الْأَجْنَادُ فِي طَلَبِ أَرْزَاقِ الْمَأْمُونِ ^(٣) : يَبْقِيَتْ لِأُخِي حَصْلَةُ لَوْ فَعَلَهَا مَلَكٌ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ .. قِيلَ لَهُ : وَمَا هِيَ ^(٤) ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُضِنُّ ^(٥) بِهَا عَلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ عَلَى غَيْرِي ؟ فَلَمَّا خَلَصَ لَهُ الْأَمْرُ سُئِلَ عَنِ تِلْكَ الْحَصْلَةِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الْأَمِينَ نَادَى فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ ^(٦) أَنَّهُ قَدْ حَطَّ الْخَرَاجَاتِ وَالْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ وَسَائِرِ الْجَبَايَاتِ عَشْرَ سِنِينَ لَمَلَّكَ ^(٧) الْأَمْرُ عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وَلَمَّا حَشِيَ الْمَأْمُونُ الْبِقَاصَ يَتَّبِعِهِ مَعَ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي أَمْرِ قِتْنَتِهِ مَعَ أُخِيهِ الْأَمِينِ ، اسْتَشَارَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ ، وَكَانَ وَثِيرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ ، وَحَدِيثَ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) ، وَالَّذِي عِنْدِي : أَنَّ تَجَمُّعَ الْفُقَهَاءِ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ ، وَإِخْيَاءِ السَّيَرَةِ ، وَبَسْطِ الْعَدْلِ ، وَالْقُعُودِ عَلَى اللَّبُودِ ^(٩) ، وَتَوَاصِلِ النَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ ، وَتُكْرِمِ الْقَوَادِ وَالْمُلُوكِ وَأَتَاءِ الْمُلُوكِ ، وَتَعِدُّهُمْ ^(١٠) بِالْمَوَاعِيدِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ السَّيِّئَةِ ، وَالرِّيَاسَاتِ الْمُشَاكِلَةِ ^(١١) . فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَحَطَّ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ^(١٢) رُبْعَ الْخَرَاجِ ، فَمَالَتْ وَجُوهُ الْحَلَائِقِ إِلَيْهِ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : ابْنُ أُخْتِنَا ،

(١) في « ط » : « في آخر مواقف » .

(٢) في « م » : « نفذت الأموال » و « نفذت » بالذال المعجمة لا يصح في هذا المقام . ونفذت - بالذال المهملة

قَيْثٌ وانقطع ما بها من الأموال .

(٣) في « م » : « في طلب الأرزاق » ، فقال المأمون .

(٤) في « م » : « وما هي يا أمير المؤمنين ؟ » .

(٥) لأضنُّ : لأبخلُّ .. وفي « م » : « لا أظنُّ » تحريف .

(٦) في « م » : « عسكره بلاده » خلط من النسخ .

(٧) في « م » : « ملك » .

(٨) في « ط » : « عليه السلام » .

(٩) اللبود : جمع لبْد ، وهو ضربٌ من البُسط يُتخذ من الصوف .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٣٧] .

(١٠) في « ط » : « وتمهد » .

(١١) المشاكلة : المائلة .

(١٢) في « م » : « وحط عنهم » .

وَابْنُ عَمِّ نَبِيْنَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَانْقَادَ إِلَيْهِ رَافِعُ بْنُ اللَّيْثِ ^(١) ، وَكَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلُوكِ بِخُرَّاسَانَ .

وَيَدْخُلُ ^(٢) تَحْتَ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ أَمْرٌ أَتَّفَقَ عَلَيْهِ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ ^(٣) وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَالْهِنْدِ ، وَهُوَ أَنَّ تَصْطَنَعَ ^(٤) وَجْهَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالْمُتَقَدِّمِينَ ^(٥) مِنْ كُلِّ عَشِيرَةٍ ، وَتُحْسِنَ إِلَى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ^(٦) وَالْعِلْمِ وَحِفَاطِ الشَّرِيعَةِ ، وَتُذِنَى ^(٧) مَجَالِسَهُمْ ، وَتُقَرَّبَ ^(٨) الصَّالِحِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ ، وَكُلُّ مُتَمَسِّكٍ بِعُرْوَةِ الدِّينِ ، وَكَذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ بِالْأَشْرَافِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَالرُّؤَسَاءِ الْمُتَبَوِّعِينَ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ ، فَهَؤُلَاءِ ، هُمْ أَرْؤَمَةُ الْخَلْقِ ^(٩) ، وَبِهِمْ يَمْلِكُ مَنْ سِوَاهُمْ .

فَمِنْ كَمَالِ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاسَةِ أَنْ تَبْقَى عَلَى كُلِّ ذِي رِيَاسَةٍ رِيَاسَتُهُ ، وَعَلَى كُلِّ ذِي عِزٍّ عِزُّهُ ^(١٠) ، وَعَلَى كُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ ^(١١) مَنْزِلَتُهُ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرُّؤَسَاءُ لَكَ أَغْوَانًا ، وَمَنْ دَانَتْ لَهُ الْفَضْلَاءُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يَدُومَ سُلْطَانُهُ . وَالْعَامَّةُ وَالْأَتْبَاعُ دُونَ

(١) هو : رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، فائر ، من بيت إمارة ورياسة ، كان مقيماً فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ، وغُزِلَ وحُبِسَ ، وهرب من الحبس ، فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠ هـ . وخلع طاعة الرشيد ، ودعا إلى نفسه ، وتوجّه إليه الرشيد سنة ١٩٢ هـ لقتاله ، فانهزم رافع سنة ١٩٣ هـ وضعف أمره واختلف المؤرخون في مصيره . قال ابن كثير : لما قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد وفاة الرشيد - بعث رافع إلى المأمون يسأله الأمان ، فأمنته ، فسار إليه بمن معه سنة ١٩٤ هـ فأكرمه المأمون وعظمه وتوفى سنة ١٩٥ هـ . [انظر الأعلام ج ٣ ص ١٢ ، ١٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٢٢ و ١٢٦ - ١٢٨ وغيرها من الصفحات ، والبدایة والنهاية ج ١ ص ٢١١] .

(٢) في (م) : : ودخل .

(٣) في (م) : : العرب والعجم .

(٤) في (م) : : يصطنع . بالياء .. وتصطنع وجوه كل قبيلة : تحسن إليهم .

(٥) في (م) : : والمقدم .

(٦) في (م) : : حَمَلَةُ الْعِلْمِ .

(٧) في (م) : : ويُذِنَى .

(٨) في (م) : : وَيُقَرَّبُ .

(٩) أَرْؤَمَةُ الْخَلْقِ : قُرَاطِهِمْ وَمَقْدُومُهُمْ .

(١٠) في (ط) : : عِزَّتُهُ .

(١١) في (ط) : : منزل .

مَقْدُمِيهِمْ وَسَادَاتِهِمْ ، وَأَتْبَاعُهُمْ ^(١) أَجْسَادُ بِلَا رُؤُوسٍ ، وَأَشْبَاحُ بِلَا أَرْوَاحٍ .. وَلَمَّا
 قَامَتِ الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ بِقُرْطَبَةَ وَلَبَسُوا السَّلَاحَ ، كَانَ شَيْخٌ جَالِسٌ ^(٢) عَلَى كَبِيرِهِ ^(٣)
 يُعَالِجُ صَنْعَتَهُ ، فَقَالَ : مَا بَأَلُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : قَامَتِ ^(٤) الْعَامَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ . قَالَ ^(٥) :
 وَلَهُمْ رَأْسٌ ^(٦) ؟ قَالُوا : لَا .. قَالَ : شَقُّ الْكَبِيرِ يَا صَبِيُّ .. فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

* * *

(١) سقطت « وأتباعهم » من « م » والسياق يتطلب وجودها .
 (٢) في « م » : « جالسا » وكلاهما له وجهٌ ، فالتنصب هل أنها خيرٌ لكان ، والرفع على الوصفية .
 (٣) في « م » : « على كبر » والكبر : جلد غليظ ذو حافات يستخدمه الحنّاد وغيره للنفخ في النار وإشعالها .
 (٤) في « م » : « قد قامت » .
 (٥) في « م » : « فقال » .
 (٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « ولهم رأسٌ ما ؟ » و « ما » هنا للإيهام ، أى : وهل لهم أى رئيس ؟

البَابُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي بَيَانِ الْإِخْصَالِ الْمُوجِبَةِ لِلذَّمِّ الرَّعِيَّةِ لِلسُّلْطَانِ

قَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : ذَمُّ الرَّعِيَّةِ [لِلْمَلِكِ] ^(١) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : إِمَّا كَرِيمٌ قُصِّرَ بِهِ عَنْ قَدْرِهِ ^(٢) فَأُورِثَهُ ذَلِكَ ضِيعَتًا ^(٣) ، وَإِمَّا لَيْيَمٌ يُلِغُ بِهِ فَوْقَ قَدْرِهِ فَأُورِثَهُ ذَلِكَ بَطْرًا ^(٤) ، وَإِمَّا رَجُلٌ مُنِعَ حَظُّهُ مِنَ الْإِنْصَافِ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : إِحْسَانُكَ إِلَى الْحُرِّ يَنْعُتُهُ عَلَى الْمُكَافَاةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى اللَّيِّيمِ الْخَسِيسِ يَنْعُتُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

وَقِيلَ لِلْأُسْكَنْدَرِ : إِنْ فَلَانًا يَتَّقِصُّكَ وَيُسِيءُ الشَّيْءَ عَلَيْكَ .. فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِيرٍ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ هَلْ نَالَهُ مِنْ نَاحِيَتِنَا أَمْرٌ دَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَبَحَثَ عَنْ حَالِهِ فَوَجَدَهَا رَثَةً ^(٥) ، فَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ سِنِيَّةٍ ^(٦) ، فَبَلَغَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَسَطَ لِسَانَهُ بِالشَّيْءِ عَلَيْهِ ،

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) في « م » : « قَدْرَتُهُ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٣) الضَّيْعُ : الْحَقْدُ الشَّدِيدُ .

(٤) بَطْرًا : اسْتِخْفَافًا ، وَكُفْرًا بِالنِّعْمَةِ .

(٥) رَثَةٌ : رَدِيْقَةٌ لَا تُحْتَمَدُ .

(٦) صِلَةٌ سَنِيَّةٌ : عَطَاءٌ جَزِيلٌ .

قَالَ : أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْنَا ^(١) أَنْ يُقَالَ فِينَا خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ ؟
وَيَتَّبِعِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يَتَّخِذَ الرُّعِيَّةَ مَالًا وَفُنْيَةً ^(٢) ، فَيَكُونَ عَلَيْهِمْ ^(٣) بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ،
وَلَكِنْ يَتَّخِذُهُمْ أَهْلًا وَإِخْوَانًا ، فَيَكُونُونَ لَهُ جُنْدًا وَأَعْوَانًا ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : إِصْلَاحُ
الرُّعِيَّةِ خَيْرٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ .

* * *

(١) لى « م » : « إِلَيْنَا » .

(٢) الْفُنْيَةُ ، بضم الفاف وكسرها : ما يُكسب ويكون خالصاً له .

(٣) لى « ط » : « فَيَكُونُوا عَلَيْهِ » .

البَابُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ

فِي مَثَلِ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ وَالْجَائِرِ (٥)

مَثَلُ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ مَثَلُ الْيَاقُوتَةِ النَّفِيسَةِ الرَّفِيعَةِ فِي وَسْطِ الْعِقْدِ ، وَمَثَلُ الرُّعْيَةِ مَثَلُ سَائِرِ الشُّذَرِ (١) ، فَلَا تُلْحَظُ الْعُيُونُ إِلَّا الْوَاسِطَةَ (٢) ، وَأَوَّلُ مَا يَبْصُرُ الْمُقْلَبُونَ (٣) وَيَتَقَدُّوْنَ النَّاقِلُونَ الْوَاسِطَةَ ، وَإِنَّمَا يَبْنِي الْمُتَتَوْنَ عَلَى الْوَاسِطَةِ ، وَكُلَّمَا حَسُنَتْ الْوَاسِطَةُ غَمَرَتْ (٤) سَائِرَ الشُّذَرِ فَلَا يَكَادُ يُذَكَّرُ . كَمَا قَالَ ابْنُ صَعْدَةَ : لَقِيتُ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ (٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦) ، فَسَفَرْتُ لِي عَنْ وَجْهِ

(٥) فِي «م» : «السائر» وهى صفة للمثَل .

(١) الشُّذَرُ : غَرَزَ يُغْرِزُ ٤ بَيْنَ حَبَاتِ الْعَقْدِ وَغَوَاهُ .

(٢) يعنى : واسطة العقد ، أى : الياقوتة النفيسة التى فى وسطه ، والمراد بها السلطان

(٣) الْمُقْلَبُونَ : التجار الذين يُقْلَبُونَ السلعة لاختبارها .

(٤) غَمَرَتْ ، بالغين المعجمة : غَطَّتْ وَأُخْفَتْ .. وفى «م» : «وكلما حَسُنَتْ غَمَرَتْ ..» وفى «ط» : «جاء الفعل أيضاً بالعين المهملة ، وإن كان له وَجْهٌ ، غير أن الأول هو الأنسب للسياق ، والأقرب للأفهام .

(٥) هى : سَكِينَةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبى طالب ، واسمها : أميمة أو آمنة ، وسكينة لقب لها ، وهى سيدة فاضلة ، وشاعرة كريمة ، كانت تجالس الأجلة من قريش ، وتجمع إليها الشعراء فيجلسون بحيث تراهم ولا يرونها ، وتسمع كلامهم ففاضل بينهم ، وتناقشهم ، وتحييهم ، وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة سنة ١١٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٠٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩٤ - ٣٩٧ ، ونسب قريش ص ٥٩ ، والأغاني ج ١٦ ص ٥٩٢١ - ٥٩٦١] .

(٦) فِي «م» : «عنها» . وسفرت : كشفت .

اَبْتَنِيهَا ، وَإِذَا وَجَّهَ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَقَدْ أَصْفَلَتْهَا بِالْجَوَاهِرِ وَالْيَوَاهِرِ وَأَنْوَعَ الدُّرَّ (١) ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عَلَّقْتُهُ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَفْضَحْتَهُ (٢) .

وَكَمَا أَنَّ جَمَالَ السُّلُوكِ (٣) أَنَّ يَلِيَّ الْوَاسِطَةِ الْأَفْضَلَ فَلَا فُضْلَ مِنَ الشَّدْرِ ، وَإِنْ كَانَ السُّلُوكُ (٤) عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَ النَّظْمِ ، كَذَلِكَ السُّلْطَانُ ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَقْرَبَ فَلَا اقْرَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ (٥) ، وَالْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَالْأَصَالَةِ وَالشَّرَفِ ، وَالْحَصَافَةِ وَذَوِي الْكَمَالِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كَانَ نَقْصًا فِي التَّذْيِيرِ ، وَكََمَا أَنَّ جَمَالَ الْعَقْدِ بِوَاسِطَتِهِ ، كَذَلِكَ جَمَالَ الرُّعْيَةِ بِكَمَالِ سُلْطَانِهِمْ وَفَضْلِهِ وَبِرَاعَتِهِ وَعَدْلِهِ .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ الْحَايِرِ مَثَلُ الشُّوكَةِ فِي الرَّجْلِ ، فَصَاحِبُهَا نَحَتْ أَلَمَ وَقَلَقِي ، وَيَتَدَاعَى (٦) لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَرُومُ قَلْعَهَا ، وَيَسْتَعِينُ بِمَا فِي مَنَسُورِهِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْمَنَاقِيشِ وَالْإِبْرِ عَلَى إِخْرَاجِهَا ، لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا الطَّبِيعِيُّ ، وَيُورِثُكَ أَنْ تُقْلَعَ بِالْأَجْرَةِ ، فَأَيُّنَ غَرَزُ الْيَاقُوتِ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ (٧) ؟

(١) في « ط » : « الدُّر » .

(٢) في « م » : « لتفضحه » .

(٣) السُّلُوكُ : الحَيْطُ الَّذِي يُنَظَّمُ فِيهِ الْخَرْزُ وَغَرَاهُ .. وفي « م » : « الملك » تحريف .

(٤) « السُّلُوكُ » عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٥) في « م » : « أهل العلم والفضل » .

(٦) يتداعى : ينهار .

(٧) غَرَزُ الْيَاقُوتِ : الْغَرَزُ : الْغُصْنُ يُغْرَسُ فِي قَضِيبِ الْكَرْمِ لِلْوَصْلِ . وَالْقَتَادُ : نَبَاتٌ صَلْبٌ ، وَلَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ .

البَابُ الْمُوفَى أَرْبَعِينَ

فِيمَا يَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ إِذَا جَارَ السُّلْطَانُ

اعْلَمْ - أُرْسَدَكَ اللَّهُ - أَنَّ الزَّمَانَ وَعَاءَ لِأَهْلِهِ ، وَرَأْسُ الْوِعَاءِ أَطْيَبُ مِنْ أَسْفَلِهِ ، كَمَا أَنَّ رَأْسَ الْجَرَّةِ أَرْقُ وَأَصْفَى مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَلَقِينَ قُلْتُ : إِنْ الْمُلُوكُ الْيَوْمَ لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ ^(١) فَالرَّعِيَّةُ أَيْضاً لَيْسُوا كَمَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، وَلَسْتُ بِأَنَّ تَذُمَّ أَمِيرَكَ إِذَا نَظَرْتَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ بِأُولَى ^(٢) مِنْ أَنَّ ^(٣) يَذُمَّكَ أَمِيرَكَ إِذَا نَظَرَ آثَارَ مَنْ مَضَى مِنَ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا جَارَ عَلَيْكَ السُّلْطَانُ فَعَلَيْكَ الصَّبْرُ وَعَلَيْهِ الْوُزْرُ .

رَوَى ^(٤) الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ^(٥) قَالَ : « بَايَعْنَا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ

(١) هكذا في (ط) .. ولي (م) : « ليسوا كمثل من مضى من الرعية » وستأق .

(٢) في (م) : « أولى » .

(٣) « أن » عن (م) .

(٤) في (م) : « ورَوَى » .

(٥) هو : عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري ، الخزرجي ، أبو الوليد ، صحابي من الموصفين بالورع ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء ، وشهد بدرأ وسائر المشاهد ، ثم حضر فتح مصر ، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين ، وتولى بالرملة أو بيت المقدس سنة ٣٤ هـ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٥٨ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦٠ ، ١٦١ ، والمحرر ص ٢٧٠ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٠ ، ٢١] .

فِيمَا ^(١) أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ^(٢) ، وَعُسْرِنَا
وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا ^(٣) ، وَأَنْ لَا تَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ^(٤) ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ^(٥)
عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بَرَهَانٌ ^(٦) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ^(٧) . وَمِنْهُ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ :
قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَهُ وَأُمُورًا تَنْكُرُونَهَا .
قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ^(٩) يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَذُوا لَهُمْ حُقُوقَهُمْ » ^(١٠) ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ
حَقَّكُمْ » ^(١١) .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ : أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٢) قَالَ : « سَيَأْتِيَكُمْ
رُكْبٌ ^(١٣) مُبْعَضُونَ يَطْلُبُونَ مِنْكُمْ مَا لَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا سَأَلُوا ذَلِكَ فَأَعْطَوْهُمْ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « بايعنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال فيما أخذ » وكرر الفعل الأخير .. وفي البخارى : « دعانا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فبايعناه فقال : فيما أخذ علينا » .

(٢) مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا : أى فى حالة نشاطنا ، وفى الحالة التى نكون فيها عاجزين عن العمل بما نُؤَمِّرُ به . والظاهر أنه أراد وقت الكسل والمشقة فى الخروج .

(٣) هكذا فى « م » وفى البخارى .. وفى « ط » : « وأثرته » والمراد بقوله : « وأثرته علينا » : أن طاعتهم لِمَنْ يتولى عليهم لا تتوقف على إصالحهم حقوقهم ، بل عليهم الطاعة ولو منهم حقوقهم .

(٤) أى : المُلْكُ والإمارة .

(٥) بَوَاحًا : ظاهراً بادياً .

(٦) برهان : نص آية ، أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل .. وهذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن ، باب قول النبي (ﷺ) سترون بعدى أموراً تنكرونها .. ج ١٣ ص ٥ ، ٦ من فتح البارى ، وصحيح البخارى ج ٩ ص ٥٩ ، ٦٠ ط دار الشعب .

(٧) الحديث رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) فى كتاب الفتن أيضاً [انظر المصدرين السابقين] .

(٨) فى « ط » : « عليه السلام » .. ووقع هنا خلطٌ من الناسخ فى « م » بين هذا الحديث والحديث السابق .

(٩) فى « م » : « فيما تأمر » .

(١٠) نص البخارى : « أذوا إليهم حقوقهم » .

(١١) رواه البخارى فى كتاب الفتن [انظر المصدرين السابقين] .

(١٢) فى « ط » : « عليه السلام » .

(١٣) الرُّكْبُ : الراكبون ، العشرة فما فوق .. وفى سنن أبى داود : « رُكْبٌ » بالتصغير .

وَلَا تَسُبُّوهُمْ ، وَلْتَدْعُوا لَهُمْ ۝ ^(١) . وَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ الْمَوْقِعُ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَتَدْفَعُ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا مِنَ الظُّلْمِ ، وَلَا تَنَازِعُهُمْ فِيهِ ، وَتَكْفُفُ السِّتِنَا عَنْ سَبِّهِمْ ^(٢) .

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَجْعَلَ سِلَاحَكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ ، فَلَا مِحْنَةَ فَوْقَ مِحْنَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا جَعَلُوهُ فِي كِفَّةِ الْمُنْجَنِيْقِ ^(٣) لِيُقَذَّفَ بِهِ فِي النَّارِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَأَنْصِرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَآخِزْنِي كَيْدَهُمْ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ : وَحَدَّثَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ ^(٤) ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً ، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً ، فَلَا تَشْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ ، وَلَكِنْ تَوَبُّوا إِلَيَّ أُعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ ^(٥) . وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ : ابْنُ آدَمَ ، تَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ ، وَيَدْعُو عَلَيْكَ مَنْ ظَلَمْتَهُ ، فَإِنْ شِئْتَ أَجَبْتَاكَ وَأَجَبْنَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ الْأَمْرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَسْأَلُكَ الْمَقُورُ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٦) : لَا تَجْعَلَ مَلَجَاكَ فِي الْأَعْدَاءِ الْمُكَافَاةَ ^(٧) ، وَلَكِنْ الثِّقَةَ بِاللَّهِ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، قَالَ : سُرِقَتْ مِلْحَفَةٌ

(١) في « م » : « وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » .. وفي سنن أبي داود : « فَإِذَا جَاءَكُمْ فَرَحُّوْهُمْ بِهِمْ ، وَخَلُّوْا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَغْتَرُونَ ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلَا تُقْسِمُهُمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا ، وَأَرْضَوْهُمْ ، فَإِنْ عَمَّ زَكَاتُكُمْ رِضَاهُمْ ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ » . [انظر كتاب الزكاة ، باب رضا المصدق ج ٢ ص ١٠٨ الحديث رقم ١٥٨٨ من سنن أبي داود] .

(٢) في « م » : « عَنْهُمْ وَعَنْ سَبِّهِمْ » .

(٣) الْمُتَجَنِّقُ ، بفتح الميم وكسرهما : آلة من آلات الحصار ، ترمى بها الحجارة . والكِفَّةُ ، بكسر الكاف : كل شيء مستدير ، ومنها كِفَّةُ الْمِيزَانِ .

(٤) في « م » : « مَالِكُ الْمُلُوكِ » .

(٥) في « ط » : « تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ » . وَأُعْظِفُهُمْ عَلَيْكُمْ : أَجْعَلْ قُلُوبَهُمْ تَعَطُّفَ عَلَيْكُمْ وَتَرْحَمَكُمْ .

(٦) في « م » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٧) الْمُكَافَاةُ : التَّسَاوِي وَالْمِثَالَةُ .

لِعَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى مَنْ أَخَذَهَا ، فَسَمِعَهَا النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) فَقَالَ : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ » ^(٢) يَعْنِي : لَا تُحَفِّفِي عَنْهُ ، فَتَهَاها عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الظَّالِمِ كَمَا تَرَى . فَإِذَا قَالَ الْمَظْلُومُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا تُؤَقِّفَهُ ، فَقَدْ دَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ الرَّعِيَّةِ ، لِأَنَّهُ مِنْ قِلَّةِ تَوْفِيقِهِ ظَلَمَكَ ، وَلَوْ كَانَ مُوَفَّقًا مَا ظَلَمَكَ . فَإِنْ اسْتَجِيبَ دُعَاؤُكَ فِيهِ زَادَ ظُلْمُهُ لَكَ .

وَمِنَ الْأَلْفَافِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَوْلُهُمْ : لَوْ كَانَتْ عِنْدَنَا دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْنَاهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لَوْ ظَفِرَتْ بَيْتِ الْمَالِ لَأَخَذْتُ مِنْ حَلَالِهِ وَصَنَعْتُ مِنْهُ أَطْيَبَ الطَّعَامِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ الصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَبْرَارِ ، فَإِذَا فَرَعُوا ^(٣) قُلْتُ لَهُمْ : تَعَالَوْا تَدْعُوا رَبَّنَا أَنْ يُؤَفِّقَ ^(٤) مُلُوكَنَا وَسَائِرَ مَنْ يَلِي عَلَيْنَا وَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرُنَا .

وَلَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ دَخَلَ دَارَ عُمَانَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ عُمَانَ : وَابْنَةُ ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا بِنْتُ أَخِي ، إِنَّ النَّاسَ أَعْطَوْنَا طَاعَةً وَأَعْطَيْنَاهُمْ أَمَانًا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ حِلْمًا تَحْتَ غَضَبٍ ، وَأَظْهَرُوا طَاعَةً ^(٥) تَحْتَهَا حَقْدٌ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَيْفُهُ ، وَهُوَ يَرَى مَكَانَ أَنْصَارِهِ ، فَإِنْ ^(٦) نَكَلْنَا بِهِمْ نَكَلُوا بِنَا ، وَلَا نُدْرِي أَعَلَيْنَا نَكُونُ أَمْ لَنَا ^(٧) ، وَلَأنَّ نَكُونِي ابْنَةُ عَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُونِي امْرَأَةً مِنْ عُرْضِ ^(٨) الْمُسْلِمِينَ .

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ ، أَيْ : لَا تُحَفِّفِي عَنْهُ ابْنَةُ الذي استحقه بالسرقة بدعائك عليه . يريد : أن السارق إذا دعا عليه المسروق منه خفف ذلك عنه .. وفي « ط » : « لَا تُسَبِّحِي عَنْهُ » بالنون المعجمة والحاء المهملة ، وهي بمعنى : [انظر نص الحديث في سنن أبي داود في كتاب الأدب ، باب فيمن دعا على من ظلم ج ٤ ص ٢٧٩ الحديث رقم ٤٩٠٩ ، وانظر لسان العرب ، والمعجم الوسيط ، مادة « سَبَّحَ »] .

(٣) أَيْ : انْتَهَوْا مِنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ .

(٤) في « م » : « يوقى » مكان « يوفق » تصحيف .

(٥) في « م » : « وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ طَاعَةً » تَكَرُّارٌ وَتَغْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) في « م » : « وَإِنْ » .

(٧) بِمَعْنَى : الْخِلَافَةِ وَالْحُكْمِ .. وفي « م » : « وَلَا نُدْرِي أَهَيُّنَا عَلَيْنَا أَمْ لَنَا » .

(٨) عُرْضُ الْمُسْلِمِينَ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَتَيْنِ : مُعْظَمُهُمْ وَعَامَّتُهُمْ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُقَلَاءِ غَضِبَهُ بَعْضُ الْوَلَدِ ^(١) ضَيْعَةً لَهُ ، فَاسْتَعْدَى ^(٢) عَلَيْهِ إِلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَذْكَرَ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ ^(٣) لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا ، فَقَالَ : بَلِ اضْرِبْ لِي قَبْلَهَا ^(٤) مَثَلًا . قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَهْرُ إِلَى أُمِّهِ ، إِذَا لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ، وَظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا ^(٥) لَا نَاصِرَ فَوْقَهَا ، فَإِذَا تَرَعَّرَعَ وَاشْتَدَّ وَأَوْذَى ^(٦) كَانَ فِرَارُهُ وَشُكْوَاهُ إِلَى أَبِيهِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ ^(٧) أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ ، فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَنَهُ أَمْرٌ ، شَكََا إِلَى الْوَالِدِ ^(٨) ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ ^(٩) أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ ^(١٠) ، فَإِذَا زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ سِوَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ ، شَكََا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ تَرَلَّتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي ، وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا ^(١١) إِلَى اللَّهِ فِي الْمَوْمِمْ ، فَإِنِّي مُتَوَجِّةٌ إِلَى بَيْتِهِ وَحَرَمِهِ ، إِذْ لَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ : بَلِ ^(١٢) . نَنْصِفُكَ .. وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ ^(١٣) .

(١) في د م : « غَضِبَهُ السُّلْطَانُ » .

(٢) استعدى : استعان واستنصر .

(٣) في د م : « أَوْ أَضْرِبُ » .

(٤) في د م : « فِيهَا » مكان « قَبْلَهَا » .

(٥) في ط : « اللَّهُ » .

(٦) في ط : « وَأَوْذَى » .

(٧) في د م : « أَنَّ » .

(٨) هنا في د م : « فَإِذَا بَلَغَ وَزَادَ عَقْلُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، شَكََا إِلَى السُّلْطَانِ » وستأتي : « وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ قُوَى قَلْبِهِ وَصَارَ ذَا أَتَقَةٍ وَإِبَاءٍ .. وَحَزَنَهُ أَمْرٌ : أَصَابَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ » .

(٩) في د م : « اللَّهُ » .

(١٠) في د م : « مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ » . بعدها : « فَإِنْ لَمْ يَنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكََا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » وستأتي .

(١١) في د م : « وَأَمْرِي » .

(١٢) في د م : « فَإِنْ لَمْ » مكان « بَلِ » تحريف .

(١٣) « إِلَيْهِ » عن ط .

البَابُ الحَادِي وَالْأَرْبَعُونَ

في : كَمَا تَكُونُونَ يُؤْلَى عَلَيْكُمْ ^(٥)

لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَعْمَالُكُمْ عَمَّا لَكُمْ ، كَمَا تَكُونُونَ ^(١) يُؤْلَى عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ تُؤْلَى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ ^(٢) . وَكَانَ يُقَالُ : مَا أَكْثَرْتَ مِنْ زَمَانِكَ فَإِنَّمَا أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ عَمَلُكَ .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : أَتُصِفُونَنَا يَا مَعْشَرَ الرُّعِيَّةِ ^(٣) ، تُرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَلَا تُسَيِّرُونَ ^(٤) . فِينَا وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ بِسِيرَتِهِمَا ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَقَالَ قَتَادَةُ ^(٥) : قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : إِلَهِنَا ، أَنتَ فِي

(٥) فِي (م) و (ط) : « كَمَا تَكُونُوا » . وَلَا تَصِحُّ ، لِأَنَّ « كَمَا » لَيْسَتْ شَرْطِيَّةً . وَالصَّوَابُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « كَيْفَمَا تَكُونُوا يُؤْلَى عَلَيْكُمْ » .

(١) فِي (ط) : « تَكُونُوا » - انْظُرِ الْخَامِشَ السَّابِقَ - وَعَمَّا لَكُمْ : حُكَاؤُكُمْ .
(٢) فِي (م) : « اجْزَأْ بِقَوْلِهِ : وَكَذَلِكَ تُؤْلَى » فَقَطْ .. وَالآيَةُ بِهَامِهَا : ﴿ وَكَذَلِكَ تُؤْلَى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . « سُورَةُ الْأَنْعَامِ ، آيَةُ ١٢٩ » . وَالْمَعْنَى : أَنَّ الظُّلْمَ إِذَا فُشِيَ وَانْتَشَرَ فِي أُمَّةٍ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَاكِمًا ظَالِمًا وَابْتَلَاهَا بِهِ ، وَوَجَدَ بَعْضَ حَوْلِهِ مِنْ يَعْنُونَهُ عَلَى الظُّلْمِ .

(٣) فِي (م) : « يَا مَعْشَرَ الظُّلَّةِ » .

(٤) فِي (م) و (ط) : « وَلَا تُسَيِّرُوا » لَا تَصِحُّ .

(٥) هُوَ : قَتَادَةُ بْنُ دِعْأَمَةَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ عَزِيزٍ ، أَبُو الْخَطَّابِ السُّلُومِيُّ الْبَصْرِيُّ ، مِنْ عُلَمَاءِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالْفِقْهِ ، وَكَانَ مِنْ حَفَظَةِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَكَانَ أَعْمَى ، جَاءَتْهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَبَاهُ ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : قُمْ يَا عُمَى فَقَدْ نَزَفْتَنِي . وَقَالَ عَنْهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : قَتَادَةُ أَحْفَظُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . تَوَفَّى بِوَسْطِ سَنَةِ ١١٧ هـ ، وَقِيلَ : بَعْدَهَا بِسَنَةٍ ، وَوُلِدَ سَنَةَ ٦١ هـ .

السَّمَاءِ ^(١) وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ رِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ بَعْضُ أَنْبِيَائِهِمْ : إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَقَدْ سَخَطْتُ عَلَيْكُمْ .

وَقَالَ عبيدة السلماني ^(٢) لِعَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا بَالُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ انْطَاعَ النَّاسَ لَهُمَا وَالْذُّنُوبُ عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِنْ شِبْرِ فَائِسَتٍ عَلَيْهِمَا ، وَوَلَيْتَ أَنْتَ وَعُثْمَانُ الْخِلَافَةَ وَلَمْ يَنْطَاعُوا لَكُمَا ، وَقَدْ اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا ^(٣) أَضْيَقُ مِنْ شِبْرِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ رَعِيَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ كَانُوا مِثْلِي وَمِثْلَ عُثْمَانَ ، وَرَعِيَّتِي أَنَا الْيَوْمَ مِثْلُكَ وَسَبْهَكَ .

وَكَتَبَ أَخُو لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ يَشْكُو إِلَيْهِ جَوْرَ الْعُمَّالِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ : بَلَّغْنِي كِتَابَكَ تَذَكُّرًا مَا أَتَمُّ فِيهِ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ يَعْمَلُ ^(٤) بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يَنْكَرَ

= [انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٣ - ٣٤٥ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥١ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٨٥ ، وطبقات الخُفَاف ج ٥٤ ، ٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٤ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وطبقات الفقهاء للشرازي ص ٩٤ ، ٩٥ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٦] .

(١) لَمَّا كَانَ مِنْ هَادَةِ النَّاسِ أَنْ يَتَجَهَّوْا بِالْإِعْدَاءِ إِلَى السَّمَاءِ ، ظَنَ الْبَعْضُ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي السَّمَاءِ فَقَطْ ، وَهَذَا مَفْهُومٌ خَاطِئٌ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَيْسَ لَهُ جِهَةٌ تَحْدُهُ ، لِأَنَّ الْجِهَةَ لَا يُفْهَمُ لَهَا مَعْنَى إِلَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَجْسَامِ ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ مُتَزَّهِ عَنْ ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي نَاقَشَهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءُ الْكَلَامِ بِإِفَاضَةٍ ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَغَيْرُهُمَا .

[انظر مناهج الأدلة لابن رشد ص ٧٢ - ٨١] .

(٢) عبيدة - يفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة : على التعييد . وهو : عبيدة بن عمرو « أو ابن قيس » السَّلْمَانِيُّ الْمُرَادِيُّ ، وَيَكْنَى أَبُو مُسْلِمٍ ، تَابَعِي ، أَسْلَمَ بِالْمِثْلِ أَيْامَ فَضْلِ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ عَرِيفَ قَوْمِهِ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَصَمِعَ مِنْهُ ، وَمِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ ، فَرَوَى عَنْهُ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ، وَأَبُو حَصِينٍ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ قَيْسٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ ، وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ يَوَازِي شَرِيحًا فِي الْقَضَاءِ ، تَوَلَّى سَنَةَ ٧٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٧ - ١٢٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠] .

(٣) فِي « م » : « عَلَيْهِمَا » تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي « م » : « عَمَلٌ » .

الْعُقُوبَةَ ، وَمَا أَرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَّا مِنْ شُؤْمِ الذُّنُوبِ ، وَالسَّلَامُ ^(١) .

(١) قوله : « والسلام » عن « ط » .

البَابُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ

فِي بَيَانِ الْحَصَلَةِ الَّتِي تُصْلَحُ بِهَا الرِّعْيَةُ

اَعْلَمَ أَنَّ اَدْعَى خِصَالِ السُّلْطَانِ إِلَى إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ ، وَأَقْوَاهَا أَثَرًا فِي تَمَسُّكِهِمْ بِأَدْبَانِهِمْ ، وَحِفْظِهِمْ لِمُرَوَاتِهِمْ ، إِصْلَاحُ السُّلْطَانِ نَفْسَهُ ^(١) ، وَتَرْفُؤُهُ عَنِ سَفْسَافٍ ^(٢) الْأَخْلَاقِ ، وَتَعَدُّهُ عَنِ مَوَاضِعِ الرِّيبِ ، وَتَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ ^(٣) عَنِ اسْتِصْحَابِ أَهْلِ ^(٤) الْبَطَالَةِ وَالْمُجُونِ ، وَاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ ^(٥) ، وَالْإِعْلَاقِ بِالْفُسُوقِ .

وَقَدْ كَانَتْ صُحْبَةُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ^(٦) لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْخَلِيعِ ، وَالْمَاجِنِ الرَّقِيعِ ، أَبِي نُوَّاسٍ

(١) فِي « م » : « إِصْلَاحُ نَفْسِهِ » .

(٢) السُّفْسَافُ : الرَّدَى وَالْحَقِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٣) تَرْفِيعُهُ نَفْسَهُ : تَرْفِيعُهَا وَالْإِرْتِفَاعُ بِهَا .

(٤) سَقَطَتْ « أَهْل » مِنْ « ط » .

(٥) فِي « ط » : « وَاللَّهْوُ وَالطَّرَبُ » .

(٦) فِي « م » : « مُحَمَّدُ الْأَمِينِ كَذَلِكَ » وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ . وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهِ .

الشاعر^(١) وَصَمَّةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْهَنَ^(٢) بِهَا سُلْطَانُهُ ، وَوَضَعَ^(٣) عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ قَلْرُهُ ، وَأَطْلَقَ^(٤) أَلْسِنَةَ الْخَلْقِ بِالشِّتْمِ وَالنَّهْيِ الْقَبِيحِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَلَعَهُ بِذَلِكَ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْوِلَايَةِ ، وَوَجَّهَ^(٥) طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لِمَحَارَبَتِهِ بِبَغْدَادَ ، وَحَارَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَأَنْفَذَ^(٦) بِرَأْسِهِ إِلَى الْمَأْمُونِ ، وَكَانَ يَعْمَلُ كُتُبًا تُقْرَأُ عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَيَقِفُ الرَّجُلُ فَيَنْتَمِ أَهْلُ الْإِرَاقِ فَيَقُولُ : أَهْلُ فُسُوقٍ وَخُمُورٍ وَمَنَاخُورٍ ، وَيَمِيبُ الْأَمِينُ بِذَلِكَ فَيَقُولُ : اسْتَصْحَبَ أَبَا نُوَّاسٍ شَاعِرًا^(٧) مَاجِنًا ، كَافِرًا ، اسْتَخْلَصَهُ مَعَهُ لِشُرْبِ الْخُمُورِ ، وَارْتِكَابِ الْمَآثِمِ ، وَتَبِيلِ الْمَحَارِمِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا فَاسْتَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تُسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ^(٨)
وَبُحَّ بِاسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَغْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِوَرُ^(٩)

(١) هو : الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح ، الحكيم بالولاء ، أبو نُوَّاس ، شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز سنة ١٤٦ هـ - تقريباً - ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد ، فالتصّل فيها بالخلفاء من بني العباس ، ومدح بعضهم ، واشتهر بشعره في الحرير والمجون . وتوفى سنة ١٩٨ هـ وفي تاريخ ولادته ووفاته خلاف .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٢٥ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٣٦ - ٤٤٩ ، والأغانى ج ٢٢ ص ٧٦٩٧ - ٧٧١٣ ، وخزانة الأدب ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٦ - ٨٢٦ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٧] .

(٢) أَوْهَنَ : أضعف .

(٣) وَضَعَ ، بِالضَّمِّ : صار وضعياً .

(٤) فِي م : : « فَأَطْلَقَ » .

(٥) فِي م : : « وَتَوَجَّهَ » .

(٦) أَنْفَذَ : أَرْسَلَ .

(٧) فِي م : : « اسْتَصْحَبَ أَبُو نُوَّاسٍ رَجُلًا » ولا يستقيم المعنى بهذه العبارة ، لأن الذي اسْتَصْحَبَ هو الأمين ، والمُسْتَصْحَبُ أَبُو نُوَّاسٍ .

(٨) هكنا البيت في ط و الديوان .. والشطرا الثانية من البيت في م : : « وَلَا تُسْقِنِي جَهْرًا فَقَدْ أُمَكَّنَ الْجَهْرُ » ، جهراً : تحريف من التناسخ .

(٩) في الديوان « فَبُحَّ » .. وفي م : : « أَهْوَى » مكان « تَهَوَّى » .. والمجاهرة بالمعصيان - في رأى أبي نُوَّاسٍ - فيها لَذَنان : لَذَّةُ توكيد الشعور بالحرية ، ولذَّةُ رؤية تشهيبها في عيون الآخرين ، فهو لهذا يطلب من الساق أن يسقيه جهراً ما أمكن ، وأن يروح باسم مَحْبُوبِهِ صريحاً بلا كتابة ولا تورية .

[انظر ديوان أبي نُوَّاسٍ ص ٢٨ ط دار الكتاب العربي] .

حَتَّى تَغْيُرَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ الْخَلْقِ ، وَتَكْثُرَ لَهُ وُجُوهُ الْوَرَى ^(١) ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِينَ حَبْسَهُ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَشْرَبَ خَمْرًا ، وَلَا يَقُولَ فِيهِ شِعْرًا .

فَمَتَى أَرَادَ السُّلْطَانُ إِصْلَاحَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ مُتَمَادٍ ^(٢) عَلَى سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ ، كَانَ كَمَنْ أَرَادَ بَقَاءَ الْجَسَدِ مَعَ فَقْدِ رَأْسِهِ ، أَوْ أَرَادَ اسْتِقَامَةَ الْجِسْمِ ^(٣) مَعَ عَدَمِ حَيَاتِهِ ، وَكَمَنْ أَرَادَ تَقْوِيمَ الضُّلْعِ مَعَ اغْوِجَاجِ الشَّخْصِ ، وَكَيْفَ يَخْيَا الثُّونُ ^(٤) مَعَ فَسَادِ الْمَاءِ ، وَلَقَدْ أَصَابَ الْخُلَيْلُ ^(٥) فِي قَوْلِهِ : أَصْلِحْ نَفْسَكَ لِتَنْفُسِكَ يَكُونُ النَّاسُ لَكَ تَبَعًا ^(٦) . وَقَدِيمًا قِيلَ : مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ أَرْغَمَ أَنْفَ أَعْدَائِهِ ، وَمَنْ أَعْمَلَ جِدَّهُ ^(٧) بَلَغَ كُنْهَ أَمَانِيهِ ، وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِمِ يَنْتَقِمُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ ؟ فَقَالَ : بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ .

وَلِأَيِّ الْفَتْحِ الْبُسْتَى :

إِذَا عَدَا مَلِكٌ بِاللَّهِوِ مُشْتَفِلًا فَاحْكُمْ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ^(٨)
أَمَّا تَرَى الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً لَمَّا عَدَا وَهُوَ بَرُّجِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ

(١) في م : « وَجُوهُ الرُّأْيِ » .

(٢) في م : « متامد » بالياء ، لا تصح .

(٣) في م : « الجسد » .

(٤) الثون : الحوت .

(٥) هُر : الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن ، من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وكان شاعرًا ذكيًا قطينًا ، وله مصنفات أشهرها كتاب « العين » في اللغة . وكان - رحمه الله - عفيف النفس ، ومن أزهده الناس ، كان الملوك يعرضون لإعطائه وهو لا يقبل ، وعاش فقيرًا ، توفي بالبصرة سنة ١٧٠ هـ وقيل : ١٧٥ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام - وفيها أنه ولد بالبصرة ، والصواب أنه ولد بعمان - ج ٢ ص ٣١٤ ، وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدي ص ٤٧ - ٥١ ، وإشارة التحين في تراجم النحاة واللغويين ص ١١٤ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٤ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٨٢ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٨ ، والمعارف ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ومعجم الأدباء ج ١١ ص ٧٢ - ٧٧ ، ومعجم المؤلفين ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ، وشرحات الذهب ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧] .

(٦) في ط : « تكون الناس تبعًا لك » .

(٧) أَعْمَلَ جِدَّهُ : بلغ الغاية في الإحسان .

(٨) الْحَرْبِ : الهلاك .

وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ ثَوْرُثُ الشَّرِّ ، كَالرَّيْحِ إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّبْتِ حَمَلَتْ نَبْتًا ^(١) ،
وَأِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا ، فَمَحَالُ اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِكَ وَأَنْتَ ^(٢) فَاسِيدٌ ،
وَأَرْشَادُهُمْ وَأَنْتَ غَاوٍ ، وَهَذَا نَبْتُهُمْ وَأَنْتَ ضَالٌّ ، وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَعْمَشُ
كَحَالٍ ^(٣) . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : يَا طَيِّبُ ، طِبْ نَفْسَكَ ^(٤) . وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْأَعْمَى عَلَى أَنْ
يَهْدِيَ ^(٥) وَالْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يُعْنَى ؟ وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنْ يِعَزَّ ؟ فَبَعْدُكَ عَنْ تَطْهِيرِ غَيْرِكَ مِنْ
الْعُيُوبِ قَبْلَ تَطْهِيرِ نَفْسِكَ ^(٦) كَجَبْدِ الطَّيِّبِ عَنْ إِتْرَاءِ غَيْرِهِ مِنْ دَاءٍ بِهِ ^(٧) مِثْلُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْهِنْدِ ^(٨) : لَنْ يَتْلُعَ أَلْفُ رَجُلٍ فِي إِصْلَاحِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ دُونَ حُسْنِ الْفِعْلِ مَا يَتْلُعُ ^(٩) رَجُلٌ وَاحِدٌ فِي إِصْلَاحِ أَلْفِ رَجُلٍ بِحُسْنِ الْفِعْلِ دُونَ
الْقَوْلِ ، وَفِيهِ قَالَ الْقَائِلُ ^(١٠) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ ^(١١)
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ ^(١٢)

(١) النَّبْتُ : الرابضة الخبيثة . وفي « م » : « إِذَا مَرَّتْ عَلَى النَّبْتِ حَمَلَتْ نَبْتًا » . تحريف .

(٢) في « م » : « فَأَنْتَ » . تحريف .

(٣) الْأَعْمَشُ : الذي ضعف بصره وسيل مع عينيه في أكثر الأوقات . والكحَال : من يداوى العين بالكحل .

(٤) طِبْ نَفْسَكَ : عالِجْهَا وداوِ أمراضها .

(٥) يَهْدِي : يُرْشِدُ السَّائِرَ إِلَى الطَّرِيقِ وَيُضِيئُهُ لَهُ .

(٦) هنا في « م » : « كَرَّرَ النَّاسُ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ » وكيف يقدر الأعْمَى « سهواً منه » .

(٧) في « م » : « مِنْ دَاءِهِ » .

(٨) في « م » : « وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ » .

(٩) في « ط » : « كَمَا يَتْلُعُ » .

(١٠) بعض هذه الأبيات يُنسَبُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَهشل اللبثي ، من شعراء « الحماسة » ، وكان على عهد معاوية .. ويُنسَبُ أَيْضاً إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩ هـ .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣ ، والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥ ، والأغانى ج ١٢ ص ٤٣٢٥ - ٤٣٣٤ ، ومنهاج
البيان ص ٤٤ ، وأدب الدنيا والدين ص ٤٤ ، ٤٥] .

(١١) الأبيات من الكامل . وههنا : حرف تحضيض ، وهو حُمِّلَ الْإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ . و « ذَا » اسم إشارة : أَيْ :
هَلَّا كَانَ ذَلِكَ التَّعْلِيمُ لِنَفْسِكَ . وههنا لَلَّوْمُ الْمُخَاطَبِ ، لِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْمَاضِي .

(١٢) الشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنَ الْبَيْتِ فِي « ط » : « تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى » .

- مَا زِلْتَ تَلْقَحُ بِالرُّشَادِ عُقُولَنَا عِظَةً وَأَنْتَ مِنَ الرُّشَادِ عَدِيمٌ ^(١)
 أَبَدًا بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غِيهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ ^(٢)
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ ^(٣)
 لَأَنَّهُ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ ^(٤)

وَلَكِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي صَلَاحِهِمْ عِنْدَ قَوْتِ صَلَاحِهِ ^(٥) اسْتِعْمَالُهُ عَلَيْهِمُ الْخَاصَّةَ مِنْهُمْ ، وَذَوِي الْأَحْلَامِ الرَّاجِحَةِ ^(٦) ، وَالْمُرَوَّاتِ الْقَائِمَةِ ، وَالْأَذْهَالِ الطَّاهِرَةِ ^(٧) ، فَمَتَى رَأْسُ الْعَامَةِ سَرَّائِهِمْ ^(٨) فَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى حِفْظِ أَذْيَانِهِمْ ^(٩) وَمُرُورِهِمْ ، وَتَمَاسُكِهِمْ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الْمَحْظُورَاتِ ، وَمُلَابَسَةِ ^(١٠) الْمُحَرَّمَاتِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

= والشطرة الثانية في « م » : « وَمِنْ الصَّنَا مَذْ كُنْتُ أَنْتَ سَقِيمٌ » .
 وما ورد في « ط » هو المشهور .. وَالسَّقَامُ : المرض . وَالضُّعَى : المرض المضال أو الهزال الشديد ، وعطفه على السقام من عطف الخاص على العام .. ويصح : يراى من مرضه .
 (١) هكذا البيت في « ط » .. ولي « م » : « صِفَةٌ » مكان « عِظَةٌ » . والبيت في منهاج اليقين :
 ونراك تصلح بالرشاد طولنا أبداً وأنت من الرشاد عديم
 ومعنى تَلْقَحُ هنا : تُهَلِّبُ وَتُصَلِّحُ .. وعديم : معلوم .
 (٢) هكذا البيت في « ط » . والمقد الفريد وعيون الأخبار .. ولي « م » : « فَإِنْ انْتَهَتْ عَنْهُ » والضمير في « عَنْهُ » راجع إلى « الْقِي » .

(٣) البيت في عيون الأخبار ، وفي منهاج اليقين ، وأدب الدنيا والدين :

فهناك لَعْدُرُ إِذْ وَعِظْتُ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
 ولي المصدرين الأخيرين « إِنْ » بدل « إِذْ » .

(٤) وتأني : وتفعل ، الواو هنا للسمعة ، و « تَأْنِي » مضارع منصوب بأن مُضْمَرَةٌ ، وعند الكوفيين : الواو للصرف ، وسُمِّيَتْ هكذا لأن الفعل يُصَبَّ بعدها إرشاداً بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها ليست عاطفة ، فالصورة هنا صورة العطف ، والمعنى على الصرف ، إذ ليس الغرض نهي الإتيان « أَيْ » : ولا تأني « عطف على « لَأَنَّهُ » .
 (٥) في « م » : « عِنْدَ قَرَبِ صَلَاحِهِمْ » .

(٦) ذَوِي الْأَحْلَامِ الرَّاجِحَةِ : أصحاب العقول الرزينة المتزنة ، و « الرَّاجِحَةُ » عن « م » .

(٧) طاهر الذيل ، أَيْ : مُتَزَوِّةٌ عَفِيفٌ .. والأذهال الطاهرة : الرجال الذين يتصفون بالأخلاق الحميدة .. وهي كناية عن الحفة والنزاهة .

(٨) سررائهم : أشرافهم .

(٩) في « م » : « أَوْقَاتِهِمْ » مكان « أَذْيَانِهِمْ » تصحيف .

(١٠) مُلَابَسَةٌ : مُخَالَطَةٌ .. ولي « م » : « مِلَازِمَةُ الْمُحَرَّمَاتِ » .

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَا لَهُمْ وَلَا سَرَا إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا ^(١)
وَقَالَ مَزْدَكُ الْفَارِسِيُّ ^(٢) خَلْتَانِ ^(٣) فِي السُّلْطَانِ أَقْرَبُ إِلَى صَلَاحِ الرِّعْيَةِ ^(٤) مِمَّا
يُؤَاهُمَا : ثِقَّةُ الرَّأْيِ ^(٥) ، وَشِدَّةُ الرَّحْمَةِ .

وَمَا أَحَقَّ السُّلْطَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِالرِّعْيَةِ كُلِّ سَبِيلٍ يَصْلُحُونَ عَلَيْهِ وَيَسُودُونَ مَعَهُ ،
فَجَيِّدٌ يَكُونُ رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ ^(٦) ، وَأَمِيرًا عَلَى السَّادَةِ وَالْفَضَلَاءِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُمْ وَرَكُوبَ
شَهَوَاتِهِمْ وَتَوَسَّطَ لَدَاتِهِمْ ، ذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُمْ ، وَاضْمَحَلَّتْ أَذْيَانُهُمْ ^(٧) ، وَتَقَوَّا - كَمَا
جَاءَ الْمَثَلُ ^(٨) - فِي الْجَمَاعَةِ الْمَذْمُومَةِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الْقَوْمِ لَا رُؤْسَاءَ فِيهِمْ ،
وَلَا سَرَا ^(٩) بَيْنَهُمْ : هُمْ ^(١٠) سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ . وَتَقُولُ : سَوَاسِيَّةٌ كَأَسْتَانِ
الْمِشْطِ .. وَفِيهِمْ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

سَوَاسِ كَأَسْتَانِ الْجِمَارِ فَلَا تَرَى لِيذَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا ^(١١)
وَلَا أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْفَضَلَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا عَلَى الْأَحْسَاءِ

(١) في « م » : لا تصلح الناس ، وسادوا : صاروا سادة وأشرافاً .

(٢) صاحب مذهب في الأمة الفارسية ، ظهرَ على أيام كسرى المُسَمَّى « قَبَاذ » وكان يرى أن الله جعل الأرض للعباد بالسوء ، فظالم الناس واستأثر بعضهم على بعض ، ومن ثَمَّ رأى أن يعدل القسمة بين الناس ، ويرد على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، فكان أعوانه يدخلون على الرجل فيغلبون على أموال ونسائه ويحيطونها نهباً مُباحاً .. ولكن رجلاً من الأشراف - اسمه ابن ساجور - نهض في جماعة من أصحابه فقتلوه سنة ٥٣١ من الميلاد .
[انظر إعجاز الأعلام ص ١٨٤] .

(٣) في « م » : « خَلْتَان » وهي بمعناها .

(٤) في « م » : « أَقْرَبُ إِلَى الرِّعْيَةِ » .

(٥) ثقة الرأي : إحكامه : وفي « م » : « ثِقَّةُ الرَّأْيِ » أي : خلاصته وجوْده .

(٦) في « م » : « يَكُونُ رَئِيسًا وَأَمِيرًا » .

(٧) في « ط » : « ذَهَبَتْ أَذْيَانُهُمْ » ، وسقطت مروائهم .

(٨) في « م » : « كَمَا قَالَ الْمَثَلُ » .

(٩) في « ط » : « سَرَوَات » وهي جمع « سَرَا » ، وسرا جمع « سَرِي » ، فهي جمع الجمع .

(١٠) الضمير « هم » عن « ط » .

(١١) في « م » : « سَوَاسِيَّةٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهَا الْوِزْنُ » .

وَالرَّمَادِيَّةِ وَالْعَوَّاءِ وَالْأَذْنِيَاءِ ^(١) . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَوْمًا ، وَقَدْ اسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ : مَنْ يَغْدِرُنِي ^(٢) مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ أَنَّى أَنْ يَدْخُلَ فِي سُلْطَانِي ؟ فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : تَسْتَحْضِرُهُ وَتَضْرِبُ عُنُقَهُ وَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَيْلَكَ ! إِذَا قَتَلْتُ ابْنَ عُمَرَ ، عَلَى مَنْ أَكُونُ أَمِيرًا ؟

وَلَمَّا صَارَ دَاوُدُ ^(٣) إِلَى الْحِجَازِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ لِيَقْتُلَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ ^(٤) لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ^(٥) : يَا بْنَ عَمٍّ ^(٦) ، إِذَا أَسْرَعْتَ فِي قَتْلِ أَكْفَائِكَ فَمَنْ تُبَاهِي بِسُلْطَانِكَ ؟ أَغْفُ يَعْفُ اللَّهُ عَنْكَ ، فَقَعَا . وَقَالَ أَرْسَطَا طَالِيسُ لِلْإِسْكَانْدَرِ : اسْتَصْلِحِ الرَّعِيَّةَ وَأَذْهِبْ شَرَّهُمْ ، تَكُونُ رَئِيسًا لِاخْتِيَارٍ ^(٧) مَمْدُوحِينَ ، وَلَا تَكُنْ ^(٨) رَئِيسًا لِأَشْرَارٍ مَذْمُومِينَ فَتَكُونُ كِرَاعِي الْبَقَرِ .

* * *

(١) في « م » : « والغاغة والدُّنَاء » .. والرمادية ، نسبة إلى الرماد ، والمراد بها هنا : الكثرة التي لا فائدة تُرجى منها . والعوَّاء : السُّقْلَةُ مِنَ النَّاسِ . والدُّنَاء : جمع دَنَاء ، وهو الخسيس اللُّون .

(٢) يَغْدِرُنِي مِنْ فُلَانٍ أَيْ : يُلْوِمُهُ عَلَى فَعْلِهِ .

(٣) هو : داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو سليمان ، أمير من بني هاشم ، وهو عم السُّفَّاحِ الْعَبَّاسِي ، كان خطيباً فصيحاً ، ومن كبار القائمين بالثورة على بني أُمَيَّةَ ، ولأه السُّفَّاحِ إمارة الكوفة ثم عزله عنها ، وولاه إمارة المدينة ومكة واليمن والجماعة والطائف ، فانصرف إلى الحجاز وأقام في المدينة ، وتوفى بها سنة ١٣٣ هـ ، وهو أول من وَلِيَ المدينة من بني العباس .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٣٣ ، والمحرر ص ٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٦ ، و ٣٤٠ ، ٣٤١] .

(٤) في « م » : « فقال » .

(٥) في « م » : « الحسين » تصحيف . وهو : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤١ ، حوادث سنة ١٣٣ هـ] .

(٦) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « يا عم » .. وفي المصدر السابق : « يا أعمى » .

(٧) في « م » : « لأَجْنَادٍ » .

(٨) في « ط » : « ولا تكون » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِيمَا يَمْلِكُ السُّلْطَانُ مِنَ الرَّعِيَّةِ

كَتَبَ أَرِسْطَا طَالِيْسُ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِ : اَمْلِكِ الرَّعِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ تَظْفَرُ مِنْهُمْ بِالْمَحَبَّةِ ، فَإِنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْإِحْسَانِ هُوَ أَذْوَمُ ^(١) بَقَاءَ مِنْهُمْ بِالْإِعْتِسَافِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِثْمًا تَمْلِكُ الْأَبْدَانَ ، فَتَحْطَأْهَا إِلَى الْقُلُوبِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلِكُ الْقُلُوبِ الرَّعِيَّةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءَ وَالتَّصَنُّعَ ^(٢) . وَفِي سَبِيلِ الْمُتَقَدِّمِينَ : قُلُوبُ الرَّعِيَّةِ خَزَائِنُ مُلُوكِهَا ، فَمَا أَوْذَعُوهَا مِنْ شَيْءٍ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُ فِيهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ إِذَا قَدَّرْتَ عَلَى أَنْ تَقُولَ ، قَدَّرْتَ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ ، فَاجْتَهِدْ أَنْ لَا تَقُولَ تَسْلَمَ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ . وَلَيْسَ هَذَا خِلَافَ مَا رَوَى عَنْ مُعَاوِيَةَ : أَنَّ رَجُلًا أَغْلَظَ لَهُ ، فَحَلَمَ عَنْهُ ^(٣) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَحْلُمُ عَنْ ^(٤) مِثْلِ هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ

(١) فِي « م » : « طَلَبَ ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ أَذْوَمُ » .

(٢) التَّصَنُّعُ : التَّظَاهَرُ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ .

(٣) حَلَمَ : صَفَحَ . . . وَفِي « ط » : « حَلَمَ عَلَيْهِ » .

(٤) فِي « ط » : « عَلَى » .

وَالسَّيِّئِهِمْ مَا لَمْ يَحُولُوا ^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَ سُلْطَانِنَا ، وَذَلِكَ أَنْ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ : فَاجْتَهِدْ أَنْ لَا تَقُولَ ، يَعْنِي : إِذَا عَدَلْتُ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِشَيْءٍ .

وَهَذِهِ السَّيْرَةُ أَحْسَنُ مِنْ سَيْرَةِ أَرْدَشِيرَ ^(٢) لَمَّا رُفِعَ إِلَيْهِ أَنْ جَمَاعَةٌ مِنْ بَطَائِنِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ^(٣) ، فَوَقَعَ : نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا نَمْلِكُ الْأَجْسَادَ لَا النَّيَّاتِ ^(٤) ، وَنَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرُّضَا ، وَتَفَحَّصُ عَنِ الْأَعْمَالِ ^(٥) لَا عَنِ السَّرَائِرِ . قُلْتُ : وَإِنَّمَا تَحْسُنُ هَذِهِ السَّيْرَةَ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْأَوَّلَى ، لِأَنَّ مِلْكَ الْأَجْسَادِ قَدْ يَكُونُ بِالْعَدْلِ وَالظُّلْمِ ، وَمِلْكَ الْقُلُوبِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ - وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ رَكِيتَ أَمْسَ فِي عِدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا يُؤْمَنُ اغْتِيَالُ الْأَعْدَاءِ فِيهَا ، فَوَقَعَ : مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ أَمِنَ أَعْدَاءُهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظُّلُمِ ^(٦) الرَّائِحِ عَلَى فِرَاحِهِ ، يُنْقَى عَنْهُمْ الْقَدَرُ ^(٧) ، وَيُبَاعِدُ عَنْهُمْ الْحَجَرَ ، وَيَكْنُتُهُمْ مِنَ الْمَطَرِ ^(٨) ، وَيَحْمِيهِمْ مِنَ الضَّبَابِ ^(٩) وَيَحْرُسُهُمْ مِنَ الذَّنَابِ .. يَا أَهْلَ الشَّامِ ، أَنْتُمْ الْجُبَّةُ ^(١٠) وَالرِّدَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْجِدَاءُ ^(١١) . وَقَالَتِ الْعَجَمُ : أَسْتَوْسُ الْمُلُوكِ مَنْ قَادَ

(١) في م : : يحونا تصحيف .

(٢) في م : : أزدشير .

(٣) في م : : قلوبهم ، ولا فرق بينهما ، فالتَّيَّةُ عملها القلب .
وَوَقَعَ : كتب في أفضل الصحيفة أو القُرطاس الذي رفع إليه .

(٤) في م : : لا القلوب .

(٥) في م : : الإعمال .

(٦) الظُّلُمُ : ذَكَرَ النُّعَامُ .

(٧) يُنْقَى : يَنْظَفُ .. وفي عيون الأخبار : يَنْقَى ، أَيْ : يَبْعِدُ . وَالْقَدَرُ : الْوَسْخُ .

[انظر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣] .

(٨) يَكْنُتُهُمْ : يَسْتَرْهِمُ وَيَحْمِيهِمْ .

(٩) الضَّبَابُ : جَمْعُ ضَبٍّ ، وَهُوَ دَوَّيَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ ، يُشْبِهُ الْوَزَلَ .

(١٠) هَكَذَا فِي م وَ د ط .. وَالْجُبَّةُ : ثَوْبٌ وَاسِعٌ الْكُمَيْنِ ، مَشْقُوقُ الْمُقَدَّمِ ، يُبَسُّ فَوْقَ الثِّيَابِ .. وَفِي

عيون الأخبار « الْجُبَّةُ » أَيْ : السَّيْرَةُ ، وَكُلُّ مَا وَفَى مِنْ سِلَاحٍ .

(١١) الْعُدَّةُ : الْقَوْنُ ، أَوْ مَا يُعَدُّ لِأَمْرِ يَحْدُثُ .. وَالْجِدَاءُ : الْقَتَاءُ وَالنَّفْعُ .

رَعِيَّتُهُ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُلُوبِهَا . وَلَا يَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يَرْغَبَ فِي الْكَرَامَةِ الَّتِي يَنَالُهَا مِنَ الْعَامَّةِ كُرْهًا ، وَلَكِنْ فِي الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الْأَثَرِ ، وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ^(١) : إِنِّي لِأَجْمِعُ ^(٢) أَنْ أُخْرِجَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرًا مِنَ الْعَدْلِ ، فَأَخَافُ أَنْ لَا تَحْمِلَهُ قُلُوبُهُمْ ، فَأُخْرِجُ مَعَهُ طَمَعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا ، فَإِنْ تَقَرَّبَ الْقُلُوبُ مِنْ هَذَا سَكَنَتْ إِلَى هَذَا . وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادَ : مَنْ أَسْوَسَ النَّاسَ ، أَنَا أَوْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا جَعَلَ اللَّهُ رَجُلًا حَفِظَ النَّاسَ ^(٣) بِسَيْفِهِ كَمَنْ أَسْمَعَ النَّاسَ ^(٤) وَأَطَاعُوا لَهُ بِاللَّيْنِ . وَيُرْوَى أَنَّ سُلَيْمًا ^(٥) مَوْلَى زِيَادَ فَحَرَ زِيَادَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَسْكُتْ ، فَمَا أَذْرَكَ صَاحِبَكَ بِسَيْفِهِ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ يَلْسَانِي ^(٦) .

(١) رَحِمَهُ اللَّهُ . عَنْ « م » .

(٢) أَجْمِعُ : أَعْرِضُ . أَوْ : أَعْقِدُ نَيْيَ عَلَى كَذَا .

(٣) فِي « م » : « حَفِظَ الدِّينَ » .. وَحَفِظَ النَّاسَ بِسَيْفِهِ : جَعَلَهُمْ يَطِيعُونَهُ وَيَتَقَادُونَ لَهُ بِالْقُوَّةِ .

(٤) فِي « م » : « كَمَنْ سَمِعَ النَّاسَ » .

(٥) فِي « م » : « سَلِيم » ، وَالصَّوَابُ بِالنَّصَبِ . وَهُوَ : سُلَيْمٌ ، بِالتَّصْغِيرِ ، مَوْلَى زِيَادَ بْنِ أَبِيهِ .

[انظر عيون الأخبار ج ١ ص ٦٢] .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « لَا أَذْرَكَتُ » .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « مَا أَذْرَكَتُ صَاحِبَكَ شَيْئًا قَطُّ بِسَيْفِهِ إِلَّا وَقَدْ أَذْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي » .

[انظر المرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ط دار الكتب العلمية] .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي التَّحْذِيرِ مِنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

اتَّفَقَتْ حُكَمَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَوَصَايَاهُمْ عَلَى النَّهْيِ عَنْ صُحْبَةِ السُّلْطَانِ ، قَالَ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةَ ^(١) : ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ عَلَيْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشَرْبُ السُّمِّ عَلَى التَّجَرُّبَةِ . وَكَانَ يُقَالُ : قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ خَطَرًا صُحْبَةُ السُّلْطَانِ . وَقَالَ مَزْدُكُ : أَحَقُّ الْأُمُورِ بِالتَّيَبُّتِ فِيهَا ، أَمْرُ السُّلْطَانِ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ بِغَيْرِ عَقْلِ ، فَقَدْ لَبَسَ شِعَارَ الْفُرُورِ . وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ أَيْضًا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ - عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعِزِّ وَالثَّرْوَةِ - عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، وَإِنَّمَا تُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوُغْرِ ، فِيهَا ^(٢) الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ ، وَالسَّبَاغُ الْعَادِيَةُ ^(٣) ، وَالنَّعَائِينُ الْمُهْلِكَةُ ، فَالِارْتِقَاءُ ^(٤) إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمَقَامُ فِيهِ أَشَدُّ .

(١) هو كتاب في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق ، تجري أحاديثه البليغة على ألسنة الطير والحيوان ، وقد وضعه علماء الهند ، ونقله عبد الله بن المقفع من الفهلوية إلى العربية ، ولهذا الكتاب طبعات كثيرة .

[انظر مقدمة كليله ودمنه التي كتبها عبد الوهاب عزام ، وتصدير طه حسين ط دار المعارف] .

(٢) تُشَبَّهُ ، أى : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ .. الْجَبَلِ الْوُغْرِ : الصَّعْبُ الْخَفِيفُ .. وَفِي « م » : « يُشَبَّهُ بِالْجَبَلِ الْوُغْرِ فِيهِ » ، أى : السُّلْطَانِ .

(٣) الْعَادِيَةُ : الَّتِي تَمْلُو عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَتَقْتَرِسُهَا .

(٤) فِي « م » : « وَالِارْتِقَاءُ » ، أى : الصُّعُودُ .

وَلَيْسَ يَتَكَفَّأُ خَيْرَ السُّلْطَانِ وَشَرُّهُ ، لِأَنَّ خَيْرَ السُّلْطَانِ لَا يَغْدُو مَزِيدَ الْحَالِ ، وَشَرُّ السُّلْطَانِ قَدْ يُزِيلُ الْحَالَ ، وَيَتَلَفُ النَّفْسَ الَّتِي لَهَا طَلَبُ الْمَزِيدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِي سَلَامَتِهِ مَالٌ وَجَاهٌ ، وَفِي تَكْثِيرِهِ الْجَائِحَةُ ^(١) وَالتَّلَفُ ، وَلِهَذَا لَمَّا قِيلَ لِلْعَتَابِيِّ ^(٢) : لِمَ لَا تَصْحَبِ السُّلْطَانَ عَلَى مَا فِيكَ مِنَ الْأَدَبِ ؟ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُهُ يُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَيُرْدِي مِنَ الصُّورِ ^(٣) فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَلَا أُدْرِي أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ .

وَأُخْبِرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَحَازِيُّ ، وَكَانَ مِمَّنْ دَوَّخَ أَرْضَ الصِّينِ ^(٤) إِلَى جَبَلِ الْيَاقُوتِ بِالْهِنْدِ ، وَأَنَّ فِيهِ ثَعَابِينَ لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْهَا ، فَإِنَّ ^(٥) الْوَاحِدَ مِنْهَا لَيَبْلُغُ ^(٦) الثَّوَرُ صَحِيحًا ، فَلَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَلَا يَقْرِبُهُ ، فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَمْطَارُ أُخْذِرَتِ السُّيُولُ مِنْهُ الْحَصَى ^(٧) وَسَاوَرَتْ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ إِلَى مُسْتَقَرِّ الْمِيَاءِ عَلَى مَسِيرَةِ أَيَّامٍ ^(٨) مِنَ الْجَبَلِ ، فَيَبْحَثُ النَّاسُ ذَلِكَ الْحَصَى ، فَيُوجَدُ فِيهِ الْوَاحِدَةُ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ مِنْ أَحْجَارِ الْيَاقُوتِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ^(٩) : إِيَّاكَ وَالسُّلْطَانَ ، فَإِنَّهُ يَغْضَبُ غَضَبَ الصَّبِيِّ ، وَيَرْضَى رِضَا الصَّبِيِّ ، وَيَتَطَشُّ بِطَشِّ الْأَسَدِ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْ كُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَامَّةِ مَا صَحَبْتُ السُّلْطَانَ . وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : ثَلَاثَةٌ لَا أَقُولُهُنَّ إِلَّا لِيُعْتَبَرَ بِهِنَّ :

(١) الجائحة : الضحية .

(٢) هو كلثوم بن عمرو التلبي ، وقد مر التعريف به .

(٣) يردي من الصور : يهلك من أمانتهم وقربهم إليه .

والصور : مصدر من : صار يَصُور ، بمعنى أمال وقرب .

(٤) هكذا في « م » .. وفي « ط » : دَوَّخَ أَرْضَ الْهِنْدِ وَالصِّينَ ، وانتهى إلى صين الصين ، ودَوَّخَ أَرْضَ الصِّينِ ،

أى : سار فيها حتى عرفها ، ولم تُلْخَفْ عليه طَرَفُهَا .

(٥) في « م » : « وإن » .

(٦) في « ط » : « و ليبلغ » ، بالفتح المعجمة . أى : في حَجَبِهِ .

(٧) أَخْذَرَتِ السُّيُولُ الْحَصَى : دَفَعَتْهُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ .. وفي « م » : « أَخْذَلَتْ » ، مكان « أَخْذَرَتْ » .

(٨) في « ط » : « مسير أيام » .

(٩) قاله معاوية لأبي الجهم القلوذي ، وهو من قريش ، من بني عُذَيٍّ بْنِ كَعْبٍ .

[انظر عيون الاخبار ج ١ ص ٣٩٨ ط دار الكتب العلمية] .

لَا أُخْلَفُ جَلِيسِي ^(١) إِلَّا بِمَا أَخْضَرُهُ بِهِ ، وَلَا أُدْخَلُ فِي أَمْرِ لَا أُدْخَلُ فِيهِ ^(٢) ، وَلَا آتِي السُّلْطَانَ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ لِابْنِهِ : إِنْ وَجَدْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَصُحْبَتِهِ ^(٣) غَنًى ، فَأَغْنِ عَنْهُ نَفْسَكَ ^(٤) ، وَاعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ ^(٥) ، فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ السُّلْطَانُ بِحَقِّهِ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا ^(٦) ، وَمَنْ لَا يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ يُكْسِبُهُ الْفُضِيحَةَ ^(٧) فِي الدُّنْيَا ، وَالْوِزَرَ فِي الْآخِرَةِ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : يَا مَيْمُونُ ، اخْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا : لَا تَصْحَبْ سُلْطَانًا وَإِنْ أَمَرْتَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَخْلُوقَ بَامْرَأَةٍ وَإِنْ أَقْرَأَتْكَ الْقُرْآنَ ، وَلَا تَصِلْ مَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ ، فَإِنَّهُ لَكَ ^(٨) أَقْطَعُ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِ الْيَوْمِ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا .

وَفِي مَثْنَوِي الْحَكِيمِ : كَثْرَةُ الْأَشْغَالِ مُذْهِلَةٌ عَنْ وُجُودِ اللَّذَاتِ بِكُنْهَيْهَا . وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا وَبَلَّغْنَا ^(٩) مِمَّنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالَّذِينَ لِيُصْلِحَهُ ، فَفَسَدَ هُوَ بِهِ ^(١٠) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

عَدَوِي الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ ^(١١)

(١) أَى : لَا آخُذُ مَكَانَهُ .

(٢) لَا أُدْخَلُ فِيهِ ، أَى : لَمْ أُدْغِ إِلَيْهِ .

(٣) فِي « م » : « فِي صُحْبَتِهِ » .

(٤) فِي « ط » : « عَنْ نَفْسِكَ » .. وَفِي الْأَدَبِ الْكَبِيرِ لِابْنِ الْمُقَفِّعِ : « فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ » .

[انظر المصدر السابق ص ٩٦] .

(٥) أَى : يَقْدِرُ طَائِفَتَكَ .

(٦) فِي الْأَدَبِ الْكَبِيرِ : « لَذَّةُ الدُّنْيَا وَعَمَلُ الْآخِرَةِ » .

(٧) فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ « يَحْتَمِلُ الْفُضِيحَةَ » .

(٨) فِي « م » : « فَاذْكُوكَ » مَكَانَ « فَإِنَّهُ لَكَ » تَحْرِيفٌ .

(٩) قَوْلُهُ « وَبَلَّغْنَا » عَنْ « م » .

(١٠) فِي « م » : « فَفَسَدَ بِهِ » .

(١١) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُوَ فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِينِ مَنْسُوبٌ لِأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّ عَدَوِي الْفَسَادِ تَنْتَقِلُ إِلَى الصَّاحِبِ الصَّالِحِ أَوْ الْعَاقِلِ أَسْرَعَ مِنَ الْفَاسِدِ ، وَلَا عَكْسَ .. وَيَحْمَدُ : يَسْكُنُ لَهُ .. وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

« لَا لَصْحَابَ الْكِسْلَانِ فِي حَالِهِ كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِهِ آخَرٌ يَفْسَدُ » . [انظر المرجع السابق ص ١٢٨] .

وَمَثَلٌ مِّنْ يَصْحَبُ السُّلْطَانَ لِیُصْلِحَهُ ^(١) مَثَلٌ مِّنْ ذَهَبٍ لِّیَقِیمَ حَاطِطًا مَا بِلَا فَاَعْتَمَدَ عَلَيْهِ لِّیَقِیمَهُ ، فَخَرَّ الْحَاطِطُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَهُ . وَفِي كِتَابِ كَلِیلَةِ وَدِیمَتَ : لَا یَسْعَدُ مَنِ ابْتَلَى بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ ، فَإِنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا حَمِیمَ ، وَلَا یُكْرَمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ^(٢) إِلَّا أَنْ یَطْمَعُوا فِیْمَا عِنْدَهُ فِیَقْبُلُوهُ ^(٣) عِنْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَضَوْا حَاجَتَهُمْ تَرَكُوهُ ، وَلَا وَدَّ وَلَا إِحْءَاءَ ، إِلَّا الْبَلَاءُ یُجْزَى ، وَالذُّنْبُ لَا یُغْفَرُ لَهُ .

وَقَالَ بَزْرَجِمَهْرُ : لَا تُصْلِحُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالْبَذْلِ ، وَلَا مُوَائِجَاةَ الْإِخْوَانِ إِلَّا بِاللِّينِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْفَرَسِ : الْمَالُ وَالسُّلْطَانُ مُفْسِدَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، إِلَّا لِرَجُلٍ لَهُ عَقْلٌ كَامِلٌ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ ، یَخَافُهُ ^(٤) النَّاسُ ، وَهُوَ لِمَرْكَبِهِ ^(٥) أَتَعُوفُ .

وَقَالُوا ^(٦) : مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ یَصْبِرُ جَمِیلٌ ، وَكَطَمِ الْغَیْظِ ، وَاطْرَاجِ الْأَذَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ ، كَالْكُرْمِ ^(٧) لَا یَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ ، لَكِنْ بِأَذْنَاهَا . وَكَانَتْ ^(٨) الْعَرَبُ تَقُولُ : إِنْ لَمْ تُكُنْ مِنْ قُرْبَاءِ الْمَلِكِ ، فَكُنْ مِنْ بَعْدَائِهِ .. وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : إِنْمَا مَثَلُ السُّلْطَانِ فِي قَلْبِهِ وَفَائِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ ^(٩) ، وَسَخَاءِ نَفْسِهِ عَنْ فَقْدِهِ مِنْهُمْ ، كَمَثَلِ الصَّبِيِّ وَالْمُكْتَبِ ^(١٠) ، كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْقَرَبُ تَقُولُ : السُّلْطَانُ ذُو

(١) في م : : « لمصلحة » .

(٢) سقطت « أَحَدٌ » من « ط » .

(٣) في م : : « فَيَقْبُلُوهُ » .

(٤) في م : : « يُخَافُهُ » وكلاهما صواب .

(٥) الْمَرْكَبُ : ما يَرْكَبُ عليه ، وهو هنا « الأسد » .

(٦) في م : : « وقال » .

(٧) الْكُرْمُ : العنب .. والعبارة في م : : « كَالْأُمِّ لَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّجَرِ » وقوله : : « كَالْأُمِّ » تحريف .

(٨) في م : : « وقد كانت » .

(٩) في م : : « في أصحابه » .

(١٠) الْمَكْتُبُ : معلم الكتابة .. وفي م : : « كَمَثَلِ الْبَيْتِيِّ وَالْكَاتِبِ » .

والأول أَوْجَهُ تَعْمِيلًا .

عَدَوَاتٍ ، وَذُو بَنَوَاتٍ ، وَذُو تَدَارُؤُ ^(١) تُرِيدُ : أَنَّهُ سَرِيعُ الانْصِرَافِ ، كَثِيرُ الْبَدَوَاتِ ،
هَجَامٌ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الذَّرِءِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ .

* * *

(١) في (م) : « ذُو عَدَوَاتٍ » أى : سريع الانصراف والملايل .. وفي عيون الأخبار : « ذُو عَدَوَاتٍ وَذُو بَنَوَاتٍ »
بنوان : كثير البنوات . والعرب تقول للرجل الحازم : ذُو بَنَوَاتٍ ، أى : ذو آراءٍ تظهر له فيختار بعضها ويسقط
بعضاً .. والتدارؤ : الدفع . يعنى أنه ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ لِي أَبِي : يَا بُنَيَّ ^(١) ، إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَخْلِيكَ ^(٢) وَيَسْتَشِيرُكَ ، وَيُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَكَابِرِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) ، وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ ثَلَاثٍ ^(٤) : لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يُحَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تُغْتَابَنَّ عَنْدَهُ أَحَدًا ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ . قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَمِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ .. وَقَالُوا : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ^(٥) بِالْحَذَرِ ، وَالصَّدِيقُ بِالتَّوَاضُّعِ ، وَالْعَدُوُّ بِالْجَهْرِ ^(٦) ، وَالْعَامَّةُ بِالْبِشْرِ ، وَلَا تَحْكُمَ لِأَحَدٍ بِحُسْنِ رَأْيِ الْمَلِكِ إِلَّا بِحُسْنِ أَثَرِهِ .

قَالَ ^(٧) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَسْتَطِيعَ السُّلْطَانُ مَا كَتَمَكَ ، وَلَا تُفْشِيَ مَا أَطْلَعَكَ

(١) « يَا بُنَيَّ » عَنْ « ط » .

(٢) يَسْتَخْلِيكَ : يَخْلُو وَيَفْرَدُ بِكَ .

(٣) فِي « ط » : « عَلَيْهِ السَّلَام » .

(٤) فِي « م » : « فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِخِلَالٍ » أَيْ : بِمَخْصَلٍ . وَسَقَطَ مِنْهَا « ثَلَاثٌ » .

(٥) فِي « م » : « وَقَالَ : اصْحَابُ السُّلْطَانِ » وَالْآخِرَةُ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي « م » : « بِالْجَهْدِ » .

(٧) فِي « م » : « وَقَالَ » .

عَلَيْهِ .. مَنْ أَدَّلَ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ اسْتَقْلَهُ ، وَمَنْ اِئْتَنَ عَلَيْهِ عَادَاهُ ، وَمَنْ أَظْهَرَ أَنَّهُ يَسْتَشِيرُ بَاعْدَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا زَادَكَ السُّلْطَانُ تَانِيَسًا فَرَدَهُ إِجْلَالًا ، وَإِذَا جَعَلَكَ السُّلْطَانُ أُنْحَا فَاَجْعَلْهُ أَبَا ، وَإِنْ زَادَكَ إِحْسَانًا فَرَدَهُ فِعْلَ الْعَبْدِ مَعَ سَيِّدِهِ ^(٢) ، وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِالذُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ مَعَ النَّاسِ فَأَخَذُوا فِي النَّيِّاءِ عَلَيْهِ ، فَعَلَيْكَ بِالْدُّعَاءِ لَهُ ^(٣) ، وَإِنْ تَرَلْتَ مِنْهُ مَنْرَلَةَ الثَّقَةِ فَاغْرِلْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلِكِ ^(٤) ، وَلَا تُكْخِرْ فِي الدُّعَاءِ لَهُ ^(٥) عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَبِيهٌ بِالْوَحْشَةِ وَالْغَرَبَةِ ، إِلَّا أَنْ تُكَلِّمَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ ، فَلَا تَأَلَّ ^(٦) بِمَا عَظُمَتُهُ وَذَكَرَتْهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ : لَتَكُنْ حَاجَتُكَ فِي سُلْطَانِكَ ثَلَاثَ إِحْلَالٍ : رِضَا رَبِّكَ ، وَرِضَا سُلْطَانِكَ ، وَرِضَا مَنْ تَلَى عَلَيْهِ . وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْهُوَ عَنِ الْمَالِ وَالْمُدَّخَرِ ^(٧) ، فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا ^(٨) مَا يَكْفِي وَيَطِيبُ . وَقَالَ مُسْلِمٌ بَيْنَ عَمْرٍو ^(٩) لِمَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ : لَا تَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ إِذَا أَدْنَاكَ ^(١٠) ، وَلَا تَتَغَيَّرَ إِذَا أَقْصَاكَ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ اسْتَصْحَبَ حَكِيمًا فَقَالَ لَهُ : أَصْحَبُكَ عَلَى ثَلَاثَ إِحْلَالٍ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : لَا تَهْتِكْ لِي سِرِّي ، وَلَا تُشْتَمَّ لِي عِرْضًا ، وَلَا تُقْبَلْ فِي قَوْلِ قَائِلٍ حَتَّى تَسْتَشِيرَ فِي ^(١١) . قَالَ : هَذَا لَكَ ، فَمَا لِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ : لَا أَفْشِي لَكَ سِرًّا ، وَلَا أَذْخِرُ عَنْكَ نَصِيحَةً ، وَلَا أُوَثِّرُ عَلَيْكَ أَحَدًا . قَالَ : نَعَمْ الصَّاحِبُ الْمُسْتَصْحَبُ أَنْتَ .

(١) أَدَّلَ : اجترأ .. وفي « م » : « أَدَّلَ » تحريف .

(٢) في « م » : « وَإِذَا زَادَكَ فَرَدَهُ » ، يعني فِعْلَ السَّيِّدِ مَعَ عَبْدِهِ .

(٣) في « م » : « فَأَخَذُوا فِي النَّيِّاءِ فَخَذُوا أَنْتَ فِي الدُّعَاءِ » .

(٤) الْمَلِكُ : الضَّرْعُ فَوْقَ مَايَبْغَى .

(٥) « لَهُ » عَنْ « ط » .

(٦) فَلَا تَأَلَّ : أَيْ فَلَا تَتَوَّانَ أَوْ تَبْخُلَ أَوْ تُقْصِرَ . وفي « ط » : « فَلَا تَأَلُّوا » بصيغة الجمع .. وفي « م » : « تَسْأَلُوا »

تحريف .

(٧) الْمُدَّخَرُ ، بِالذَّالِ الْمُجْمَعَةِ : الْمُدَّخَرُ وَالْمُخَيَّأُ .. وفي « ط » : « الدُّخْرُ » وهي بمعناها .

(٨) في « م » : « بَيْنَهُمَا » تحريف .

(٩) هر : مُسْلِمٌ بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ الْحَصِينِ ، وَكَانَ مُعَيَّنًا لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْقَلْبِ عِنْدَهُ .

[انظر عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ ، والمعارف ص ٤٠٦] .

(١٠) في « م » : « إِذَا جَفَاكَ » .

(١١) في « م » : « حَتَّى تَسْتَشِيرَنِي » .

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا الْخَرْقُ ؟ قَالَ : الدَّالَّةُ ^(١) عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوُثْبَةُ قَبْلَ
 الْإِمْكَانِ ^(٢) . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَضَّلِ : أَوْلَى النَّاسِ بِالْهَلَكَةِ ^(٣) الْفَاجِئَةُ الْمُقَدِّمُ عَلَى السُّلْطَانِ
 بِالدَّالَّةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ ^(٤) : الدَّالَّةُ تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَتُضَرُّ بِالْمَحَبَّةِ
 الْمُتَأَكَّدَةِ . وَقَالَ بُرْزُجِيمُ : إِذَا خَدَمْتَ مَلِكًا ^(٥) مِنْ الْمُلُوكِ فَلَا تُطْعِمُهُ فِي مَعْصِيَةِ
 خَالِقِكَ ، فَإِنْ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ فَوْقَ إِحْسَانِ الْمَلِكِ ، وَإِقَاعَهُ بِكَ أَغْلَظُ مِنْ إِقَاعِهِ .
 اصْحَبِ ^(٦) الْمُلُوكَ بِالْهَيْبَةِ لَهُمْ وَالْوَقَارِ ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا احْتَجَبُوا عَنِ النَّاسِ لِقِيَامِ الْهَيْبَةِ ،
 فَلَا تَتْرِكِ الْهَيْبَةَ وَإِنْ طَالَ أُنْسُكَ بِهِمْ ، فَهَوَ حَسْبُهُمْ مِنْكَ .. لَا تُعْطِ السُّلْطَانَ مَجْهُودَكَ
 فِي أَوَّلِ صُحْبَتِكَ لَهُ ، فَلَا تَجِدْ بَعْدَ ^(٧) لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ، وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا ^(٨) ..
 عَلِمَ السُّلْطَانُ وَكَأَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ تَسْتَشِيرُهُ . إِذَا أَحْلَكَ السُّلْطَانُ مِنْ
 نَفْسِهِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَتَّقِي بِكَ ، فَإِيَّاكَ وَالِدُخُولَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ بَطَانَتِهِ ، فَإِنَّكَ لَا تُدْرِي
 مَتَى يَتَغَيَّرُ لَكَ ، فَيَكُونُ ^(٩) عَوْنًا عَلَيْكَ .. إِيَّاكَ ^(١٠) أَنْ تُعَادِيَ مَنْ إِذَا شَاءَ يَطْرَحُ ثِيَابَهُ
 وَيَدْخُلُ مَعَ الْمَلِكِ فِي ثِيَابِهِ فَعَلَّ . وَفِي الْأَمْثَالِ الْقَدِيمَةِ : احْذَرِ زِمَارَةَ الْمِخْدَةِ ^(١١) .
 وَفِيهِ قِيلَ ^(١٢) :

(١) الدَّالَّةُ : الْجُرْأَةُ .

(٢) الْإِمْكَانُ : الْإِسْطَاعَةُ وَالْقُوَّةُ .

(٣) الْهَلَكَةُ : الْهَلَاكُ .

(٤) هُوَ : يَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ ، مُؤَدَّبُ الرَّشِيدِ وَمُعَلِّمُهُ وَمُرِيَّهُ ، وَقَدْ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ .

(٥) فِي « د » : « سُلْطَانًا » .

(٦) فِي « د » : « وَاصْحَبِ » .

(٧) فِي « د » : « لَا تَجِدْ لِلْمَزِيدِ » .

(٨) قَوْلُهُ : « وَلَكِنْ دَعْ لِلْمَزِيدِ مَوْضِعًا » عَنْ « ط » .

(٩) فِي « ط » : « فَيَكُونُ » .

(١٠) فِي « د » : « وَقَالَ : إِيَّاكَ » . وَالضَّمِيرُ فِي « قَالَ » يَعُودُ عَلَى بُرْزُجِيمٍ .

(١١) زِمَارَةُ الْمِخْدَةِ : انْقِاضُهَا وَتَضَاوُلُهَا .. وَفِي « ط » : « زِمَارَةُ الْمَخْدَةِ » وَالْمَخْدَةُ حَدِيدَةٌ تُشَقُّ بِهَا الْأَرْضُ .

(١٢) الْبَيْتُ فِي وَفَاتِ الْأَعْيَانِ لِلْفَرَزْدَقِ .

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَرّاً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَاناً ^(١)

وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُدِلْ قَتْلٌ ، وَلَا تُوجِفْ قَتْعَجَفٌ ^(٢) . وَقَالَ الرَّشِيدُ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ ^(٣) إِيَّاكَ وَالِدَالَّةُ ، فَإِنَّهَا تُقْسِدُ الْحُرْمَةَ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا ^(٤) السَّلَامُ : لَا تَعُشْ السُّلْطَانَ وَلَا تَقْعُدْ عَنْهُ ^(٥) . وَقَالَ ^(٦) الْحُكَمَاءُ : شِدَّةُ الْإِثْبَاطِ عَنِ السُّلْطَانِ تُورِثُ التُّهْمَةَ ^(٧) ، وَشِدَّةُ الْإِثْسَاطِ تَفْتَحُ بَابَ الْمَلَالَةِ ^(٨) . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِلَا ذُلٍّ كَانَتْ ثَمَرُهُ سَعِيهِ الذَّلُّ .

أَخْرَجَ مِنْ رِثْقِكَ عِنْدَ السُّلْطَانِ بِمِثْلِ مَا اكْتَسَبَتْهَا مِنَ الْجِدِّ وَالْمُنَاصَحَةِ ، وَاحْذَرُ أَنْ يَحُطِّكَ التَّهَاقُوتُ عَمَّا رَقَاكَ إِلَيْهِ التَّحَفُّظُ . إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ

(١) الشفيع العريان : الذي لا تَرُدُّ شفاعته .. وهذا البيت قاله الفرزدق من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأموي ، وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته « النُّوَّار » فمضيا من البصرة إلى مكة ليفصل في الحكم بينهما عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت « النُّوَّار » عند زوجة عبد الله ، وشفع كُلُّ واحدٍ لِنزله ، فقضى عبد الله للنُّوَّار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات التي منها هذا البيت ، فصار الشفيع العريان مثلاً يُضرب لكل من تُقْبَلُ شفاعته .

[انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

(٢) في اللسان : أَذَلُّ قَاتِلٌ ، وَأَوْجَفٌ قَاتْعَجَفٌ .. وتُوجِف : تُسرع السير . وتضعف : تهزل وتضعف .

[انظر لسان العرب ، مادي ، دلي ووجف . وعيون الأخبار ج ١ ص ٧٨]

(٣) صَبِيح ، بفتح الصاد ، وهو : كاتب مشهور ، كان من كُتَّابِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَمَّا آتَتِ الْخِلاَفَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اسْتَكْبَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ « عم المنصور » فكان من خاصته ، وله فيه أشعار ، ثم استكبه المنصور ، واستمر في خدمة العبَّاسيين ، وهو أول مَنْ بَشَّرَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِالْخِلاَفَةِ يَوْمَ مَاتَ أَخُوهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ ، وبشره في الساعة نفسها بولادة ابنه المأمون . توفي نحو سنة ١٨٠ هـ .

[انظر المعارف ٣٨٤ ، والأعلام ج ٨ ص ٢٤٥ ، واسمه فيه : يوسف بن القاسم بن صبيح الصجلي ، والمشهور : إسماعيل وقد ورد هكذا في العقد الفريد وفي عيون الأخبار وغيرها] .

(٤) في « م » : « عليه » .

(٥) يعني : لَا تُكْثِرْ مِنْ إِيَّانِ السُّلْطَانِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتَأَخَّرْ عَنْهُ .. وفي « م » : « وَلَا تَقْعُدْ عَلَيْهِ » مكان « عَنْهُ » تحريف .. وقعد عن الأمر : تأخر عنه .

(٦) في « م » : « وَقَالَتْ » وكلاهما صواب .

(٧) التُّهْمَةُ وَالتُّهْمَةُ : الاتهام : وتطلق على الظن والريبة .

(٨) الملالة : السَّامةُ وَالضُّجْرُ .. وفي « م » : « الْمَلَامَةُ » من اللُّوم .

أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا اخْتِرَاقًا . مَنْ لَزِمَ بَابَ السُّلْطَانِ بِصَبْرِ جَمِيلٍ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَاطْرَاجِ الْأَدَى ، وَصَلَ إِلَى حَاجَتِهِ .

وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : لَا تَنْقَبِضُوا عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا تَهَالِكُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ ^(١) مَنْ أَشْرَفَ عَلَى السُّلْطَانِ أَرْذَاهُ ^(٢) ، وَمَنْ تَضَرَّعَ لَهُ تَخَطَّاهُ ^(٣) .. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ثَلَاثَةٌ مَنْ عَادَاهُمْ عَادَتْ عِزَّتُهُ ذِلَّةٌ : السُّلْطَانُ ، وَالْوَلَدُ ، وَالْغَرِيمُ ^(٤) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا يَسْتَطِيعُ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَتَأَلَّ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلُمُ بِمُصَانَعَتِهِ ^(٥) ، وَإِمَّا مُتَّقِلٌ ^(٦) ، مَهِينٌ لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ . فَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْحَبَ السُّلْطَانِ بِالصَّدِّقِ وَالْتِمِيزَةِ وَالْعَفَافِ فَقَلَّمَا تَسْتَقِيمَ لَهُ صُحْبَتُهُ ^(٧) ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ ، أَمَّا ^(٨) الصَّدِيقُ فَيَتَأَفَسُّ فِي مَنَازِلِهِ ، قِطْعُنَ عَلَيْهِ لِتَصَبُّحَتِهِ لَهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصَّفَانِ ، كَانَ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ ^(٩) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ .. لَا يُوَحِّشُكَ ^(١٠) مِنَ السُّلْطَانِ إِكْرَامُ الْأَشْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا يَضْطَرُّ

(١) فِي « م » : « فَإِنْ » .

(٢) أَشْرَفَ عَلَيْهِ : عَلَا وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ ، وَتَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى : قَارَبَهُ .. وَأَرْذَاهُ : أَهْلَكَ .. وَابْنُ عَبَّاسٍ أَخْبَارَ ج ١

ص ٧٨ : « أَرْذَاهُ » بِمَعْنَى أَسْقَطَهُ وَأَهْلَكَهُ .

(٣) تَخَطَّاهُ : نَحَاهُ وَدَفَعَهُ . وَفِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ : « تَحْطَاهُ » أَيْ : قُرْبَهُ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ .

(٤) الْغَرِيمُ : الدَّائِنُ .

(٥) بِمُصَانَعَتِهِ : بِخِدَاعِهِ وَمُتَدَارَاتِهِ .

(٦) الْمُتَّقِلُّ : مَنْ لَاحِظٌ لِمَنْ الرِّجَالُ . أَوْ مَنْ لَا تَرَجَّى خَيْرَهُ ، وَلَا يُخْفَى شَرُّهُ .

(٧) فِي « م » : « تَسْتَقِيمُ صُحْبَتِهِمْ » .

(٨) فِي « م » : « وَأَمَّا » .

(٩) فِي « م » : « هُوَ يُعْرَضُ لِلْهَلَاكِ »

(١٠) فِي « م » : « وَلَا يُوَحِّشُكَ » وَالْوَحْشَةُ : الْانْقِطَاعُ وَعَدَمُ الْمُرُودَةِ وَالْخَوْفِ .

الْمَلِكُ إِلَى الْحَجَامِ فَيَشْرِطُ ^(١) قَفَاهُ وَيُخْرِجُ دَمَهُ . وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا حِلْمَ لِمَنْ لَا سَوِيَّةَ لَهُ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا سَافَرَ إِلَى مَكَّةَ اسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَجُلًا فِيهِ مَا فِيهِ ، يَسْتَدْفِعُ بِهِ شَرَّ السُّفَهَاءِ وَأَهْلِ الزَّوْعَادَةِ وَالذَّعَارَةِ ^(٢) . وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ : إِنَّ لِلسُّلْطَانِ لَسَكَرَاتٍ ، فَمِنْهَا : الرُّضَا عَمَّنْ ^(٣) اسْتَوْجَبَ السُّخْطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنْ اسْتَوْجَبَ الرُّضَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْحُكَمَاءِ : خَاطَرَ مَنْ لَجَّجَ فِي الْبَحْرِ ^(٤) ، وَأَعْظَمَ مِنْهُ خَطَرًا مَنْ صَجَبَ السُّلْطَانُ ^(٥) . وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّجِ لِإِخِيهِ ، لَا تُعِدُّنْ شَتْمَ السُّلْطَانِ شَتْمًا ، وَلَا إِغْلَظْهُ إِغْلَظًا ، فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ تَبْسُطُهُ فِي غَيْرِ بَأْسٍ وَلَا سَخَطٍ ^(٦) .

وَقَالَ سَامِيدُ ^(٧) أَحَدُ حُكَمَاءِ الْفُرْسِ : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ ^(٨) يَنْبَغِي أَنْ تُفَسَّرَ لِلْفَهِيمِ ^(٩) كَمَا تُفَسَّرُ لِلْبَلِيدِ ، وَلَا يُتَكَلَّمُ ^(١٠) فِيهَا عَلَى ذِكَاةٍ أَحَدٍ : تَأْوِيلُ الدِّينِ ، وَأَخْلَاطُ الْأَذْوِيَّةِ ، وَصِفَةُ الطَّرِيقِ الْمَخُوفِ ^(١١) ، وَالرَّأْيُ فِي السُّلْطَانِ ^(١٢) .

(١) بشرط : بكسر الراء وضمة : يشق . وفي « م » : « فيشترط قفاه يخرج » بدون واو العطف . والحجّام : محترف الجعامة ، وهي امتصاص الدم من الجسم بأداة معينة .

(٢) أهل الزَّوْعَادَةِ وَالذَّعَارَةِ : الأراذل والحقوقي ، والأدنياء الذين يسببون الخوف والفرع ، وهم قطاع الطرق .

(٣) في « م » : « لِمَنْ » ، وَالسُّخْطُ وَالسُّخْطُ وَاحِدٌ .

(٤) أى : أَبْهَرَ فِيهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَيْثُ تَتَلَاطَمُ أَمْوَاجُهُ وَتُخْطَلُطُ .

(٥) في « م » : « وَأَعْظَمَ مِنْ خَطَرِ مَنْ صَجَبَ السُّلْطَانُ » .

(٦) في « م » : « وَلَا تُسَخِّطُهُ » . وفي الأدب الكبير لابن المقفع : « فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ قَدْ تَبْسُطُ اللِّسَانَ بِالْغُلْظَةِ فِي غَيْرِ سَخَطٍ وَلَا بَأْسٍ » .

(٧) في « م » : « سَامِيدٌ » بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ .

(٨) قوله : « أَشْيَاءٌ » عَنْ « ط » .

(٩) في « م » : « الْفَهْمُ » وَهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَيَدُلُّ عَلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ ذَهْنِي لاسْتِنْبَاطِ الْمَعْنَى وَالْكَشْفِ عَنْهُ .

(١٠) في « م » : « وَلَا يُتَكَلَّمُ » .

(١١) في « م » : « لِلْمَخُوفِ » تَصْحِيفٌ .

(١٢) في « م » : « وَالرَّامِي فِي السُّلْطَانِ » يَعْنِي الَّذِي يَقُولُ فِيهِ رَأْيَهُ وَيَقْذِفُهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا انْقَطَعَ مِنْكَ فِي الْآخِرِ نَسِيَ الْأَوَّلَ ، فَأَرْحَامُهُمْ ^(١) مَقْطُوعَةٌ ، وَحِبَالُهُمْ مَصْرُومَةٌ ، إِلَّا مَنْ رَضُوا عَنْهُ فِي وَفْيِهِمْ وَسَاعَتِهِمْ .. وَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ الْوَالِي خِلَالًا لَا تَنْبَغِي ^(٢) فَلَا تُكَابِدْهُ عَلَى رَدِّهَا ، فَإِنَّهَا ^(٣) رِيَاضَةٌ صَغْبَةٌ ، لَكِنْ أَحْسِنِ مُسَاعَدَتَهُ عَلَى أَحْسَنِ رَأْيِهِ ، فَإِذَا اسْتَحْكَمْتَ مِنْهُ نَاحِيَةَ مِنَ الصَّوَابِ ، كَانَ ذَلِكَ الصَّوَابُ هُوَ الَّذِي يُبَصِّرُهُ السَّخَطَاتِ اللَّطِيفَةِ أَكْثَرَ مِنْ تَبْصِيرِكَ . وَاجْعَلِ ^(٤) الْعَدْلَ مِنْ حِكْمَتِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ ^(٥) يَدْعُو بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا تَمَكَّنَ اقْتَلَعَ الْخَطَأُ .

وَلَا تُطْلَبُ مَا قَبِلَ الْوَالِي ^(٦) بِالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا تَسْتَبِطُهُ وَإِنْ أَبْطَأَ ، وَلَكِنْ اطْلُبْ مَا قَبِلَهُ بِالِاسْتِحْقَاقِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ^(٧) ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَحَقَّقْتَهُ أَتَاكَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ^(٨) ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَبِطْهُ كَانَ أُعْجَلَ لَهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : إِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ فَدَارِهِ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْعَاقِلَةِ الْقَبِيحَةِ لِلزَّوْجِ الْأَحْمَقِ الْمُبْغِضِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ : تَنَكَّرْ لِي هَارُونَ الرَّشِيدُ . فَقَالَ لَهُ : اَرْضَ بِقَلِيلِهِ مِنْ كَثِيرِهِ ، وَإِنَّكَ أَنْ تَسْخَطَ فَيَكُونَ أَسْخَطَ مِنْكَ .

(١) أرحامهم : قراباتهم .. وفي الأدب الكبير : « وإن الكثير من أولئك - يعنى السلاطين - أرحامهم مقطوعة ، وحبالهم مصرومة ، إلا ممن رضوا عنه ، وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم » .

[انظر المصدر السابق ص ٨٤] .

(٢) في « م » : « إذا رأيت من الرجل خللاً لا ينبغي » .

(٣) في « م » : « ولها » .

(٤) في « م » : « والعدل » وسقط الفعل « اجعل » منها .

(٥) في « م » : « وإن العدل » .

(٦) ما قبل الوالي : ماعنه .

(٧) الاستثناء : الشرفق .. وفي « م » : « الاستثناء » .

(٨) في « م » : « طلب » .

البَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ مَعَ الْجُنْدِ

اعْلَمْ أَنَّ الْجُنْدَ عِدَدُ الْمَلِكِ ^(١) وَحُصُونُهُ وَمَعَاقِلُهُ وَأَوْتَادُهُ ^(٢) ، وَهُمْ حُمَاةُ الْبَيْضَةِ ، وَالذَّابُّونَ عَنِ الْحَرَمَةِ ^(٣) ، وَالذَّافِعُونَ عَنِ الْعَوْرَةِ ، وَهُمْ جُنُنُ الثُّغُورِ ^(٤) ، وَحُرَّاسُ الْأَبْوَابِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَأَمْدَادُ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) ، وَالْحَدُّ الَّذِي يَلْقَى الْعَدُوَّ ، وَالسَّهْمُ الَّذِي يُرْمَى بِهِ ^(٦) ، وَالسَّلَاحُ الْمَدْفُوعُ فِي نَحْرِهِ ^(٧) ، فَبِهِمْ يُدَبُّ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَيُؤْمَنُ السَّبِيلُ ^(٨) ، وَتُسَدُّ الثُّغُورُ ، وَهُمْ عِزُّ الْأَرْضِ ، وَحُمَاةُ الثُّغُورِ ، وَالذَّادَةُ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَالشُّوْكَةُ عَلَى الْعَدُوِّ ^(٩) .

(١) عِدَدُ الْمَلِكِ ، بكسر العين : جماعته : وبضمها : ما يُعَدُّ لأمرٍ يحدث .
(٢) معاقله جمع مَعْقِل ، وهو الحصن والملجأ .. والأوتاد : جمع وَتْد ، وهو ما رُزَّ في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه ، وهنا شبه الجُنْد بالأوتاد ، حيث إنَّ الْمَلِكَ يَبِثُ ، أو يَقْوَى ، بهم .
(٣) البيضة : أصلُ القوم ومجتمعهم ، يُقَالُ : أَتَاهُمُ الْعَدُوُّ فِي بَيْضَتِهِمْ ، يريد : جماعتهم وموضع سلطانهم .
وَالذَّابُّونَ : المدافعون .

(٤) الْجُنُنُ : جمع جُنَّة ، وهي السِّتْرَةُ ، وكل ما وقَّى من سلاح وغيره .

(٥) أَمْدَاد : جمع مَدَد ، وهو ما يُعَدُّ به من الأعوان والأنصار ليقوى .

(٦) فِي « م » : « يُؤْمَنُ بِهِ » .

(٧) فِي « م » : « وَالسَّلَاحُ الَّذِي فِي نَحْرِهِ » .

(٨) يُؤْمَنُ السَّبِيلُ : أى تصير الطُّرُق آمنةً يطمئن السائر فيها ولا يخاف .

(٩) الشوكة : القوة والبأس .. وفي « م » : « وَالشُّوْكَةُ عَلَى الثُّغُورِ » .

وَعَلَى الْجُنْدِ الْجِدُّ عِنْدَ اللَّقَاءِ ^(١) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ الْعَلَبَةُ فَلْيَمِجُّوْا فِي الطَّلَبِ ^(٢) ، وَإِنْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ فَلْيَكْسِرُوا الْأَعْنَةَ ، وَلْيَجْمَعُوا الْأَسِيَّةَ ، وَلْيَذْكُرُوا أَخْبَارَ غَدٍ .

وَيَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَتَفَقَّدَ جُنْدَهُ كَتَفَقَّدَ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بُسْتَانَهُ ، فَيَقْلَعُ الْعُشْبَ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ ، فَمِنْ الْعُشْبِ مَا لَا يَنْفَعُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالنَّبَاتِ النَّافِعِ ، فَهُوَ بِالْقَلْعِ أَجْدَرُ . وَلَا يُسْتَصْلَحُ ^(٣) الْجُنْدُ إِلَّا بِإِذْرَارِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَسَدِّ حَاجَاتِهِمْ ، وَالْمُكَافَأَةِ لَهُمْ عَلَى قَدْرِ عَنَائِهِمْ وَبَلَائِهِمْ . وَجُنُودُ الْمُلُوكِ وَعُدْدُهَا وَقَفَ عَلَى سُعُودِ ^(٤) الْأَثَمَةِ وَتُحُوسِهَا . وَقَالَ أَبُو رُوَيْدٍ لِأَبِيهِ شَيْرَوَيْهِ ^(٥) : لَا تُوسِّعَنَّ عَلَى جُنْدِكَ فَيَسْتَعْنُوا عَنْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ عَلَيْهِمْ فَيَضِجُوا مِنْكَ ، وَأَعْطِهِمْ عَطَاءً قَصْدًا ، وَأَمْتَعَهُمْ مَتَاعًا جَمِيلًا ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّخَاءِ ^(٦) ، وَلَا تُوسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ .

وَلَمَّا أَقْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ^(٧) الْمَنْصُورِ ، أُلْفَذَ جَيْشًا ، وَقَالَ لِقَوَادِمِهِ : سِيرُوا بِمِثْلِ هَذِهِ السَّيْرِ . ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ الْأَعْرَابِيُّ .. أَجِيعَ كَلْبِكَ يَتَبَعَكَ . فَقَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ الطُّوسِيُّ ^(٨) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُحْشَى أَنْ يُلَوِّحَ لَكَ غَيْرُكَ بِرَغِيفٍ فَيَتْبَعُهُ وَيَذْعَكَ .

(١) أى : عند لقاء العدو .

(٢) أى : فى طلب الأعداء .

(٣) فى م : « يستطلع » .

(٤) السُّعُود : التوفيق واليمن والسعادة .

(٥) أبو رويد هو : أبو رويد بن هرمز بن كسرى ، من ملوك الفرس ، وطالت مدة ملكه حتى ضجر منه الناس ، وغلطوه بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكه ، ثم جعلوا مكانه ابنه « شيرويه » وهو ابن بنت « قيسر » فأمر بأبيه فُسِّمَتْ عيناه ، وقتل من إخوته ثمانية عشر رجلا ، وهرب بقية أهل بيته ، ثم ظهر الطاعون فى بلده ، فهلك فىمن هلك ، وكان موته خمس سنين وأشهرًا من هجرة النبى ﷺ إلى المدينة . وكانت مدة ملكه سبعة أشهر .

[انظر للمعارف ص ٦٦٥] .

(٦) فى م : « الرجال » مكان « الرخاء » تحريف .

(٧) فى م : « ابن جعفر » تحريف ، والصواب « أبو » .

(٨) أبو العباس الطوسى : من ولاة خراسان ، جعله أبو جعفر المنصور على حرسه بالمدينة الهاشمية بالكوفة بعد موت عيسى بن نيهك قائد حرسه .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٦ ، وج ٥ ص ١٣١] .

وَرَوَى أَنَّ كِسْرَى صَنَعَ طَعَامًا فِي سِمَاطٍ ^(١) ، فَلَمَّا فَرَّغُوا وَرَفَعَتِ الْآلَاتُ ^(٢) ، وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ أَخَذَ جَامًا ^(٣) ، لَهُ قِيَمَةٌ كَبِيرَةٌ ^(٤) ، فَسَكَتَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ الْخَدَمُ يَرْفَعُونَ الْآلَاتِ فَلَمْ يَعِدُوا الْجَامَ ، فَسَمِعَهُمْ كِسْرَى يَتَكَلَّمُونَ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : فَقَدْنَا جَامًا مِنَ الْجَامَاتِ . فَقَالَ : لَا عَلَيْكُمْ ، أَخَذَهُ مَنْ لَا يَرُدُّهُ ، وَرَأَاهُ مَنْ لَا يَنْفُضُحُهُ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، دَخَلَ الرَّجُلُ عَلَى كِسْرَى ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَحَالٌ مُسْتَجِدَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى : هَذَا مِنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَلَمْ يَقُلْ لَهُ ^(٥) شَيْئًا .

وَسُئِلَ عَمْرُو بْنُ مُعَاذٍ - وَكَانَ عَلَى الصَّوَائِفِ ^(٦) : بِمَ قَدَرْتَ ^(٧) عَلَى جُيُوشِ الصَّائِفَةِ ؟ وَكَانَ يَغْزُو فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَجْرُ الْجُيُوشَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : بِسَمَانَةِ الظُّهْرِ ، وَالْقَدِيدِ ^(٨) ، وَكَثْرَةِ الْكَلْبِ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ كَانَ ظَالِمًا لِرَعِيَّتِهِ ، شَدِيدًا الْأَذَى لَهُمْ ^(٩) فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَمُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَجْعُ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ ، فَوَتَّبِعُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : رَبُّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ صَاحِبَهُ إِذَا لَمْ يُشْبِعْهُ .

* * *

(١) السِّمَاطُ : مَا يُنْمَدُ يُوضَعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ فِي الْمَادَبِ وَنَحْوِهَا .

(٢) الْآلَاتُ : الْأَتِيَّةُ : وَفِي « د م » : « الْأَيْدَى » .

(٣) الْجَامُ : إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ وَالطَّعَامِ مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا ، وَقَدْ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى قَدَحِ الشَّرْبِ .

(٤) فِي « ط » : « كَثِيرَةٌ » .

(٥) فِي « د م » : « لَمْ يَقُلْ شَيْئًا » .

(٦) فِي « د م » : « الطَّوَائِفُ » ، تَحْرِيفٌ . وَالصَّوَائِفُ : جَمْعُ صَائِفَةٍ ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ فِي الصَّيْفِ ، وَبِهَا سُمِّيَتْ غَزْوَةُ الرُّومِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُغْزَوْنَ صَيْفًا اتِّقَاءَ الْبَرْدِ وَالطَّلَجِ .

(٧) فِي « د م » : « نَم » مَكَانَ « بِمَ » تَحْرِيفٌ .. وَقَدَرْتُ : قَوَيْتُ .

(٨) بِسَمَانَةِ الظُّهْرِ ، أَيْ : بِكَوْثَرِ لَحْمِهِ وَشَحْمِهِ .. وَالْقَدِيدُ مِنَ اللَّحْمِ : مَا قُطِعَ وَمُلِّحَ وَجُفِّفَ فِي الْهَوَاءِ وَالشَّمْسِ .

(٩) فِي « د م » : « شَدِيدًا لِأَذْلَائِهِمْ » .

البَابُ السَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي اسْتِجَابَةِ الْخَرَاجِ

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَنْ طَالَ عُدْوَانُهُ زَالَ سُلْطَانُهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَالَ قُوَّةُ السُّلْطَانِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَلِقَاحُ الْأَمْنِ ^(١) ، وَنِتَاجُ الْعَدْلِ ^(٢) ، وَهُوَ حِصْنُ السُّلْطَانِ ، وَمَادَّةُ الْمُلْكِ . وَالْمَالَ أَقْوَى الْعُدُوِّ عَلَى الْعُدُوِّ ، وَهُوَ ذَخِيرَةُ الْمُلْكِ ، وَعِمَارَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَحَيَاةُ الْأَرْضِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَقِّهِ وَيُوضَعَ فِي حَقِّهِ ، وَيُمْنَعَ مِنْ سَرَفٍ ، وَلَا يُؤْخَذَ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَّا مَا فَضَلَ ^(٣) عَنْ مَعَاشِهَا وَمَصَالِحِهَا ، ثُمَّ يَنْفَقَ ^(٤) ذَلِكَ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي يَعُودُ عَلَيْهَا ^(٥) نَفْعُهَا ، فَيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، اخْرِصْ كُلَّ الْخَرْصِ عَلَى عِمَارَةِ الْأَرْضَيْنِ ، وَالسَّلَامِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَرَّ جَبَاةَ الْأَمْوَالِ بِالرَّفْقِ ، وَمُجَابَاتِيَةِ الْخَرْقِ ^(٦) ، فَإِنَّ الْمَلَقَةَ ^(٧) تَنَالُ مِنْ

(١) يعنى : أنه وليد الأمن .

(٢) لى : وهو ثمرة العدل .

(٣) فضل زاد على الحاجة .

(٤) في م : « بل ينفق » .

(٥) في م : « تعود عليه » .

(٦) الخرق : الحماسة .

(٧) الملقّة : دودة سوداء تمتص الدم ، تكون في الماء الآمين ، وإذا شربته الدابة علق بخلقها .

الدِّمَ بِغَيْرِ أَذَى وَلَا سَمَاعٍ صَوْتٍ مَا لَا تَنَالُهُ الْبُعُوضَةُ بِلسَنَتَيْهَا وَهَوْلُ صَوْتِهَا .

وَلَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِي عَنْ مِصْرَ ، اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا ابْنَ أَبِي السَّرِّجِ ، فَحَمَلَ مِنَ الْمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْمِلُهُ عَمْرُو ، فَقَالَ ^(١) عُثْمَانُ : يَا عَمْرُو ، أَشْتَرْتُ أَنْ اللَّقَاحَ دَرَّتْ بَعْدَكَ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ أَعْجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا ^(٢) . وَقَالَ زِيَادُ : أَحْسِنُوا إِلَى ^(٣) الْمُزَارِعِينَ ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا سِمَانًا مَا سَمِنُوا . وَفِي مَثْنَوِي الْحَكَمِ ^(٤) : مَنْ جَاوَزَ فِي الْحَلَبِ حَلَبَ الدِّمِ ^(٥) . وَفِي الْأَمْثَالِ : إِذَا اسْتَقْصَى ^(٦) الْعِجْلُ فِي مَصٍّ أُمِّهِ رَفَسَتْهُ ^(٧) .

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ^(٨) : الْحَرَاجُ عَمُودُ ^(٩) الْمُلْكِ ، وَمَا اسْتَعَزَّ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتَنْزَرَ ^(١٠) بِمِثْلِ الظُّلَمِ . وَأَسْرَعَ الْأُمُورِ فِي خَرَابِ الْبِلَادِ تَغْطِيلُ الْأَرْضِينَ ، وَهَلَاكُ الرِّعْيَةِ ، وَالْكَسَارُ الْحَرَاجُ بِالْجَوْرِ وَالْتَحَامِلُ ^(١١) .

(١) في م : : « وقال » .

(٢) يريد : أرهقهم أهلها بما لا يحتملون .

(٣) في م : : « في مكان » إلى » .

(٤) في ط : : « الحكمة » .

(٥) يعني : إذا تجاوز الأمر حده انقلب إلى ضده .

(٦) استقصى : بالغ .. وفي م : : « استقصى » تحريف .

(٧) في م : : « رفسته » بالصاد المهملة . لا تصح . وربما أراد « رفضته » بالصاد المعجمة ، بمعنى : طرده أو تركه جانباً .

(٨) هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير هارون الرشيد ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ هـ واستوزره الرشيد ، وألقى إليه مقاليد الملك ، وكان يدعوه « أخي » فانقاد له الدولة بحكم بما يشاء ، إلى أن قتم الرشيد على البرمكية ، فقتله سنة ١٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٣٠ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٥٢ - ١٦٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٤٦] .

(٩) عمود الملك : قوامه الذي لا يستقيم إلا به . وفي م : : « عماد المملكة » .

(١٠) في م : « و ط » كليهما : « استتر » والتصويب من المعجم الوسيط ، مادة « غزر » إذ جاء فيه : « الحراج عمود الملك ، وما استعزَّ بِمِثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا اسْتَنْزَرَ بِمِثْلِ الْجَوْرِ » . والأولى من الغزارة بمعنى الكثرة .. والثانية من النزارة ، وهي : القلة .

(١١) التحامل : الجور والظلم ، وتكليف الرعية ما لا تطيق .

وَمَثَلُ السُّلْطَانِ إِذَا حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ حَتَّى ضَعُفُوا ^(١) عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِينَ ^(٢)
مَثَلٌ مَنْ يَقْطَعُ لَحْمَهُ وَيَأْكُلُهُ مِنَ الْجُوعِ ، فَهُوَ وَإِنْ قَوَى مِنْ تَاجِيَةٍ ، فَقَدْ ضَعُفَ مِنْ
تَاجِيَةٍ ، وَمَا أَذْخَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْوَجَعِ وَالضَّعْفِ ^(٣) أَكْثَرُ مِمَّا دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ أَلَمِ
الْجُوعِ . وَمَثَلٌ ^(٤) مَنْ كَلَّفَ الرَّعِيَّةَ مِنَ الْخَرَاجِ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، كَالَّذِي يَطْلِي سَطْحَهُ
بِتَرَابٍ أَسَاسَ بَيْتِهِ ^(٥) . وَمَنْ يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ ^(٦) يُوشِكُ أَنْ يَضْعُفَ فَتَقَعَ الْخِمَّةُ . وَإِذَا
ضَعُفَ الزَّارِعُونَ ^(٧) عَجَزُوا عَنْ عِمَارَةِ الْأَرْضِينَ ، فَيَتْرَكُونَهَا فَتَحْرَبُ الْأَرْضُ ، وَيَهْرُبُ
الزُّرَّاعُ ^(٨) فَتَضْعُفُ الْعِمَارَةُ ، فَيَضْعُفُ الْخَرَاجُ ، وَيَنْتِجُ ذَلِكَ ضَعْفَ الْأَجْنَادِ ، وَإِذَا
ضَعُفَ الْجُنْدُ طَمِعَ الْأَعْدَاءُ فِي السُّلْطَانِ .

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنْ بِمَا يَبْقَى فِي يَدِ رَعِيَّتِكَ أَفْرَحَ مِنْكَ بِمَا تَأْخُذُ مِنْهَا .. لَا يَقِلْ مَعَ
تُصْلَاحِ شَيْءٍ ، وَلَا يَبْقَى ^(٩) مَعَ الْفَسَادِ شَيْءٌ ، وَصِيَانَةُ الْقَلِيلِ أَوْلَى مِنْ تَرْبِيَةِ
الْجَلِيلِ ^(١٠) ، فَلَا مَالَ لَاخْرِقَ ، وَلَا عِيْلَةَ لِمُصْلِحٍ ^(١١) . وَرَوَى أَنَّ الْمَأْمُونُ أَرَقَ لَيْلَةً ،
سَتَدْعَى سَمِيرًا ^(١٢) فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ بِالْمُوصِلِ بَوْمَةٌ
وَبِالْبَصْرَةِ بَوْمَةٌ ، فَخَطَبْتُ بَوْمَةَ الْمُوصِلِ إِلَى بَوْمَةِ الْبَصْرَةِ بِنْتَهَا لِأَيْنِهَا ، فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْبَصْرَةِ :
لَا أَنْكِحَكَ ابْنَتِي إِلَّا أَنْ تُجْعَلِي فِي صَدَاقِهَا مِائَةَ ضَبْعَةِ خَرَابٍ . فَقَالَتْ بَوْمَةُ الْمُوصِلِ :

- (١) ضَعُفُوا : مَرَضُوا وَذَهَبَ قُوَّتُهُمْ .. وَفِي « م » : : حَتَّى مُبْعَا .
(٢) فِي « م » : : الْأَرْضَى . وَكَلَامُهَا جَمْعُ « أَرْضٍ » .
(٣) فِي « م » : : مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ ، وَالتَّضَعُّفِ ، بِتَشْدِيدِ الضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ وَتَحْجِهَا أَوْ ضَمُّهَا : الْهَزَالُ .
(٤) قَوْلُهُ : وَمَثَلٌ : عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » وَتَرَكَ النَّاسُ بَيَاضاً مَكَانَهَا .
(٥) يَطْلِي سَطْحَهُ : يَطْلِيهِ أَوْ يَطْلِيهِ بِالطِّينِ .
(٦) يُدْمِنُ حَزَّ الْعُمُودِ : يُدَاوِمُ عَلَى الْقَطْعِ مِنْهُ فِي غَيْرِ لَبَانَةٍ .. وَفِي « م » : : جَرَّ مَكَانِ « حَزَّ » وَالْأَوَّلُ أَصْغَرُ
وَأَوْجَهُ .
(٧) فِي « ط » : : الزُّارِعُونَ .
(٨) فِي « م » : : وَيَهْرُبُ الزَّرْعُ مَكَانِ « وَيَهْرِبُ الزُّرَّاعُ » .
(٩) فِي « م » : : وَلَا يَكْثُرُ مَكَانِ « وَلَا يَبْقَى » .
(١٠) فِي « م » : : فَلَيْسَ بِتَرْبِيَةِ الْجَلِيلِ .
(١١) الْعِيْلَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ .
(١٢) السَّمِيرُ : الْمَسَايِرُ الَّتِي يُجِيدُ الْحَكَايَاتِ الَّتِي يُسَمِّرُ بِهَا .

لَا أَقْدِرُ عَلَيْهَا الْآنَ ، وَلَكِنْ إِنْ دَامَ وَالْيَا - سَلَّمَهُ اللَّهُ - عَلَيْنَا سَنَّةً وَاحِدَةً فَعَلْتُ لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : فَاسْتَيْقِظَ الْمَأْمُونُ ^(١) وَجَلَسَ لِلْمَظَالِمِ ، وَأَنْصَفَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَتَقَدَّرَ أَمْرُ الرِّوَاةِ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ : مَا زَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ^(٢) ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَمْرُ الْعَدُوِّ فِي ضَعْفٍ وَانْتِقَاضٍ ^(٣) لَمَّا كَانَتْ الْأَرْضُ مُقْطَعَةً ^(٤) فِي أَيْدِي الْأَجْنَادِ ، فَكَانُوا يَسْتَعْلِقُونَهَا وَيَرْفُقُونَ ^(٥) بِالْفَلَاحِينَ وَيُرْبُونَهُمْ كَمَا يُرْبِي التَّاجِرُ تِجَارَتَهُ ^(٦) ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ عَامِرَةً ، وَالْأَمْوَالُ وَافِرَةً ، وَالْأَجْنَادُ مُتَوَافِرِينَ ، وَالْكَرَاعُ ^(٧) وَالسَّلَاحُ فَوْقَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ ابْنِ عَامِرٍ ^(٨) ، فَرَدَّ عَطَايَا الْجُنْدِ مُشَاهِرَةً بِقَبْضِ الْأَمْوَالِ عَلَى النَّطْعِ ^(٩) ، وَقَدَّمَ عَلَى الْأَرْضِ جِبَاةً يَجْبُونَهَا ، فَأَكَلُوا الرِّعَايَا ، وَاجْتَاخُوا أَمْوَالَهُمْ ^(١٠) وَاسْتَضَعُّوهُمْ ، فَتَهَارَوَتْ ^(١١) الرِّعَايَا وَضَعُفُوا عَنِ الْعِمَارَةِ ، فَقَلَّتِ الْجِبَايَاثُ الْمُتَرَفِّعَةُ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَضَعُفَتِ الْأَجْنَادُ ، وَقَوِيَ الْعَدُوُّ عَلَى

(١) في « م » : « فاستيقظ لها المأمون » والضمير في « لها » يعود على الحكاية .

(٢) « أهل الإسلام » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) انتقاض : هدم وإفساد .. وفي « م » : « انتقاض » بالصاد المهملة ، أى : ذهاب .

(٤) مُقْطَعَةٌ : مملوكة .

(٥) يرفقون : يعاملون يرفق ولين جانب .

(٦) يربي التاجر تجارته : ينمّيها ويزيدها .

(٧) الكراع : الحيل .

(٨) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، من آل أبي عامر ، من ملوك الدولة العمارية في الأندلس ، أيام ملوك الطوائف ، بويغ بعد موت أبيه سنة ٤٥٢ هـ ، وسكن « بنسبة » وساعت سيرته ، فقبض عليه صهره صاحب « طليطلة » يحيى بن ذى النون غدرًا سنة ٤٥٧ هـ ، وأخرجه إلى مدينة « شنت بربه » فأقام بها سيرًا ، ثم توفى سنة ٤٥٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٦٠] .

(٩) يعنى : أنه منع عن الجند عطاياهم الراتبية التي كانوا يتقاضونها كل شهر ، وأثرها إلى النصف . والنطع ، بفتح النون المشددة وكسرهما ، من نطع اللقمة : إذا أكل منها جزءًا ثم ردها إلى الجوان .

(١٠) اجتاخوا أموالهم : نهبوا وأهلكوها .. وفي « م » : « واحتجبوا أموالهم » .

(١١) في « ط » : « تَهَارَوَتْ » .

بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أُخِذَ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ فِي تَقْصِي وَأَمْرِ الْعَدُوِّ فِي
ظُهُورٍ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا الْمُتَلَثَّمُونَ ^(١) ، فَرَدُّوا الْإِقْطَاعَاتِ كَمَا كَانَتْ فِي الزَّمَانِ الْقَدِيمِ ، وَلَا
أُذْرَى مَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ .

(١) المتلثمون - أو المتلثمون : قوم من المغاربة ، كانت لهم في إفريقيا والأندلس دولة .. وفي « م » : « المسلمون »

البَابُ الثَّامِنُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي يَتِّ الْمَالِ

وَهَذَا بَابٌ سَلَكَتْ فِيهِ مُلُوكُ الطُّوَائِفِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالسِّنْدِ ، وَبَعْضُ مُلُوكِ الرُّومِ خِلَافَ سِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، فَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَتَحْتَجِبُهَا دُونَ الرَّعِيَّةِ ، وَتُعِدُّهَا لِيَوْمِ كَرِيهِهَا ^(١) عَلَى مَا بَيَّنَّا فِي الْبَابِ قَبْلَهُ . وَكَانَتْ الرُّسُلُ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُمْ تَبْذُلُ الْأَمْوَالَ وَلَا تَدْخِرُهَا ، وَتَصْطَفِي الرُّعِيَّةَ ^(٢) وَتُوسِّعُ عَلَيْهَا ، فَكَانَتْ الرُّعِيَّةُ هُمْ الْأَجْنَادُ وَالْحِمَاةُ .

وَهَذِهِ سِيرَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ جُوعَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ شَبَعِهِ ، وَأَنَّهُ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ فِي صَاعِ شَعِيرٍ عِنْدَ يَهُودِيٍّ ، وَكَذَلِكَ ^(٣) الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَابْنُهُ الْحَسَنُ ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَأَنَّ النَّبِيَّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْيَمَنَ ، كَانَتْ ^(٥) تُجْبَى لَهُ الْأَمْوَالَ

(١) أى : تجهزها وتدخرها لتوابل الدهر ونوازع .

(٢) أى : تحسن إليها .

(٣) فى م : : وكانت مكان : وكذلك .

(٤) فى م : : وكان النبي ﷺ .

(٥) فى م : : كان .

فَيَفْرِقُهَا لِيَوْمِهَا ، وَقَدْ تَوَضَّعَ فِي الْمَسْجِدِ وَتَفَرَّشَ الْأَطْطَاغُ وَيُفْرِقُهَا مِنَ الْعِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ مَالٍ .

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ حُجْرَتَهُ وَخَرَجَ مُسْرِعًا وَفِي يَدَيْهِ خُرَيْقَةٌ ^(٢) فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَسَّمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا ظَنُّ آلِ مُحَمَّدٍ لَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَهَذَا عِنْدَهُ ؟ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) بَيْتٌ مَالٍ ، وَلَا لِلْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْخُلَفَاءُ تَقْسِمُ الْأَمْوَالَ الَّتِي جُعِلَتْ مِنْ جِلْهَاتِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَبَّمَا ^(٤) يَفْضُلُ مِنْهَا فَضَلَاتٌ فَتُجْعَلُ ^(٥) فِي بَيْتٍ [أَوْ يَكُونُ بِالنَّاسِ عَنْهَا غِنَاءٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَتُحْصَلُ فِي بَيْتٍ] ^(٦) فَمَنْ حَضَرَ مِنْ غَائِبٍ ، أَوْ اخْتِاجَ مِنْ حَاضِرٍ ، قُسِمَ ^(٧) لَهُ حِظُّهُ ، ثُمَّ يَفْرَقُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ مِنْهُ ذَرَاهُ . كَمَا رَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٨) أَشْرَفَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ وَفِيهِ مَالٌ ، فَقَالَ : يَا بَيْضَاءُ وَيَا حَمْرَاءُ ^(٩) ابْيَضِي وَاحْمَرِّي وَغُرِّي غَيْرِي . ثُمَّ أَمَرَ فَقُسِمَ جَمِيعُ مَا فِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ قَتَبَر ^(١٠) أَنْ يَكُنْسَهُ وَيُرْشُهُ ، ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى فِيهِ .

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ سَأَلُوا فِي الْأَمْوَالِ عَلَى نَحْوِ هَذِهِ السَّيَرَةِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ ، وَمُلُوكِ الرُّومِ . وَمُعْظَمُ مَا أَهْلَكَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ وَاسْلَطَ عَلَيْهَا الرُّومُ أَنَّ ^(١١) الرُّومَ الَّتِي

(١) فِي ط : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٢) الْخُرَيْقَةُ : تَصْغِيرُ « خِرْقَةٍ » وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوْبِ الْمَمْرُقِ .

(٣) فِي م : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) فِي م : : وَرَبَّمَا كَانَ يَفْضُلُ .

(٥) فِي ط : : فَيُجْعَلُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفِّينَ عَنْ م : : وَسَاقَطٌ مِنْ ط : : .. وَتُحْصَلُ : تُجْمَعُ .

(٧) فِي م : : فَقَسِمَ .

(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ط : : .

(٩) فِي م : : يَا حَمْرَاءُ « بَلَا عَطَفَ .

(١٠) هُوَ خَادِمٌ عَلَى كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ [انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٦ ص ٤٠٠] .

(١١) فِي م : : « لَا » مَكَانَ « أَنْ » تَحْرِيفٌ .

كَانَتْ تُجَاوِزُنَا لَمْ يَكُنْ ^(١) لَهُمْ بُيُوتُ أَمْوَالٍ ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْجِزْيَةَ مِنْ سَلَاطِينِ
الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ يَذْخُلُونَ الْكَنِيسَةَ فَيَقْسِمُهَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى رِجَالِهِ بِالطَّاسِ ، وَيَأْخُذُ مِثْلَ
مَا يَأْخُذُونَ ، وَقَدْ لَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْهَا . وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْطَلِعُونَ بِهَا الرِّجَالَ [وَكَانَتْ
سَلَاطِينُنَا تَحْتَاجُ الْأَمْوَالَ وَتُضَيِّعُ الرِّجَالَ] ^(٢) ، فَكَانَ لِلرُّومِ ^(٣) بُيُوتُ رِجَالٍ ،
وَلِلْمُسْلِمِينَ بُيُوتُ أَمْوَالٍ ، فَبِهِذِهِ الْخَلَّةِ ^(٤) قَهَرُونَا وَظَهَرُوا عَلَيْنَا .

وَكَانَ مَنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبَ وَلَا يَذْخِرُ الْأَمْوَالَ تُضَرَّبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ . وَيُقَالُ :
عَدُوُّ الْمَلِكِ بَيْتُ الْمَالِ ، وَصَدِيقُهُ جُنْدُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُهُمَا قَوَى الْآخَرُ ، وَإِذَا
ضَعُفَ بَيْتُ الْمَالِ بَدَّلَهُ لِلْحِمَاةِ ، قَوَى النَّاصِرُ وَاشْتَدَّ بِأَسُ الجُنْدِ ، وَقَوَى الْمَلِكُ ، وَإِذَا
قَوَى بَيْتُ الْمَالِ وَامْتَلَأَ بِالْأَمْوَالِ ، قَلَّ النَّاصِرُ ، وَضَعُفَتِ الْحِمَاةُ ، فَضَعُفَ الْمَلِكُ ،
فَوَبَّسَتْ عَلَيْهِ الْأَعْدَاءُ ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ مُشَاهَدَةً . وَإِذَا كَانَ الدَّفَاعُ فِي
الرِّجَالِ ^(٥) لَا فِي الْأَمْوَالِ ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ بِالْأَمْوَالِ بِوَاسِطَةِ الرِّجَالِ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ بَيْتَ
رِجَالٍ خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ مَالٍ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِإِبنِهِ : يَا بَنِيَّ ، لَا تَجْمَعْ الْأَمْوَالَ لِتَتَقَوَّى بِهَا ^(٦) عَلَى
الْأَعْدَاءِ ، فَإِنَّ فِي جَمْعِهَا ثَقُوبَةً الْأَعْدَاءِ - يَعْنِي ^(٧) إِذَا جَمَعْتَ الْأَمْوَالَ أَوْضَعْتَ الرِّجَالَ
- فَيُطَمَعُ فِيكَ الصَّدِيقُ ، وَيَثْبُغُ عَلَيْكَ الْعَدُوُّ ، وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمَلِكِ فِي مَمْلَكَتِهِ مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ
بُسْتَانٌ فِيهَا عَيْنٌ مَعِينَةٌ ^(٨) ، فَإِنْ هُوَ قَامَ عَلَى الْبُسْتَانِ فَأَحْسَنَ تَذْيِيرَهَا [فَهَنْدَسَ

(١) في « ط » : « تكن » .

(٢) ما بين المصنفين عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٣) في « م » : « الروم » تحريف .

(٤) في « م » : « الحيلة » تحريف .

(٥) في « م » : « في الأموال » والأول أوجه .

(٦) في « م » : « لا تجمع المال لتقوى به » .

(٧) في « م » : « يعنى أنك » .

(٨) عين مقيمة : أى جارية ، والبستان هنا مؤنث على معنى الحديقة .

أَرْضَهَا] ^(١) ، وَغَرَسَ أَشْجَارَهَا [وَحَظَرَ عَلَى جَوَانِبِهَا ^(٢) ، ثُمَّ أُرْسِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ ، اخْضَرَّ عُودُهَا ، فَقَوِيَتْ أَشْجَارُهَا ، وَأَتَيْتْ ثِمَارُهَا] وَرَكَتْ بَرَكَاتُهَا ^(٣) ، فَكَانُوا جَمِيعًا فِي أَمَانٍ مِنَ الضَّيْعَةِ ، لَا يَخَافُونَ ^(٤) فَقَرَأَ وَلَا شَتَاءًا . وَإِنْ هُوَ رَغِبَ فِي غَلَّتِهَا وَجَنَّاها وَلَمْ يُتَّفَقْ فِيهَا مَا يَكْفِيهَا ، وَلَا سَاقَ إِلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَرُويها رَغْبَةً فِي الْعُلَّةِ ، وَضَنَّةً ^(٥) بِالْمَالِ ، ضَعَفَتْ عِمَارَتُهَا ، وَذَقَتْ أَشْجَارُهَا ^(٦) وَقَلَّتْ ثِمَارُهَا ، وَذَهَبَتْ غَلَّتُهَا ، وَمَحَقَ ^(٧) الدَّهْرُ مَا جَنَى مِنْ غَلَّتِهَا ، فَافْتَقَرَ الْقَوْمُ وَهَلَكُوا وَتَشَتَّتُوا . وَمِثَالُ الْمَلِكِ فِي جَمْعِ الْمَالِ لِيَتَّقَى بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ مِثْلَ طَائِرٍ يَتَّيْفُ رِيشَةً ، وَيَمْصُرُ أَصُولَهَا ، وَيَأْكُلُ مَا نَعِمَ ^(٨) مِنْهَا ، فَلَذَّ لَهُ طَيِّبُهَا ، وَأَعْجَبَهُ حَصْبُ جِسْمِهِ عَلَى ذَلِكَ وَقُوَّتُهُ ^(٩) عَلَى عَدُوِّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى خَفَّ رِيشُهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَكَلَتْهُ الْهَوَامُّ وَالْحَشَرَاتُ .

وَرَأَيْتُ فِي أَخْبَارِ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّ وَزِيرَهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَاقْتِنَاءِ الْكُنُوزِ ، وَقَالَ : إِنَّ الرُّجَالَ ، وَإِنْ تَفَرَّقُوا عَنْكَ الْيَوْمَ ، فَمَتَى احْتَجَجْتَهُمْ ^(١٠) عَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالِ فَتَهَاقَتُوا عَلَيْكَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : هَلْ لِهَذَا مِنْ شَاهِدٍ ^(١١) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، هَلْ يَحْضُرُنَا السَّاعَةَ ذُبَابٌ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَمْرٌ بِإِحْضَارِ جَفْنَةٍ فِيهَا عَسَلٌ ، فَحَضَرَتْ ، فَتَسَاقَطَ عَلَيْهَا الذُّبَابُ لِوَقْتِهَا ، فَاسْتَشَارَ السُّلْطَانُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ ^(١٢) ، فَتَهَاةُ عَنْ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » ولم يرد في « م » في كل ما يأتي .

(٢) أى : حَوَّطَ عَلَيْهَا ، مِنَ الْخَطَرِ ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ حَجَزَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ ، كَالْحَائِطِ .

(٣) في « م » : « فَرَكَتْ ثِمَارُهَا » أى : ثَمَّتْ وَزَادَتْ .

(٤) في « ط » : « وَلَا يَخَافُونَ » .

(٥) في « م » : « ظَنَّةٌ » تحريف .

(٦) ذَقَّتْ أَشْجَارُهَا : صَارَتْ رَفِيعَةً ضَعِيفَةً ، عَكْسَ غُلْظَتِ .. وفي « م » : « رَقَّتْ » وهى بمعناها .

(٧) مَحَقَ : أَبَادَ وَأَمْلَكَ .

(٨) نَعِمَ : طَابَ وَرَفَعَهُ .. وَلَذَّ : صَارَ شَهِيًّا .

(٩) في « م » : « وَأَعْجَبَهُ حَصْبُ جِسْمِهِ وَقُوَّتُهُ » .

(١٠) في « م » : « احْتَجَجْنَاهُمْ » .

(١١) في « م » : « فَقَالَ الْمَلِكُ : هَلْ لِدَافِكَ مِنْ دَلِيلٍ » . وفيها : « يَحْضُرُنَا » مكان « يَحْضُرُنَا » .

(١٢) « فِي ذَلِكَ » عَنْ « ط » .

ذَلِكَ وَقَالَ : لَا تُغَيِّرْ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، فَلَيْسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَدْتُهُمْ حَضَرُوا . فَسَأَلَ ^(١) : هَلْ لِدَلِّكَ مِنْ دَلِيلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا أُمْسَيْتَا سَأَخْبِرُكَ . فَلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ قَالَ لِلْمَلِكِ : هَاتِ الْجَفَنَةَ ، فَحَضَرَتْ ، وَلَمْ تَحْضَرْ ذُبَابَةٌ وَاحِدَةً .

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ سِيرَةِ بَعْضِ السَّلَاطِينِ فِي أَرْضِ مِصْرَ - وَكَانَ قَدْ مَلَكَهَا ، وَكَانَ اسْمُهُ بِلْدَقُورَ - أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ وَلَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ ، وَهُوَ يَتَوَاعَدُكَ وَكَأَنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْكَ ^(٣) ، فَاسْتَعِدِّ الرِّجَالَ ^(٤) ، وَأَنْفِقْ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ . فَأَوْمَأَ إِلَى صِنَادِيقٍ مَوْضُوعَةٍ عِنْدَهُ وَقَالَ : الرِّجَالُ فِي الصِّنَادِيقِ ^(٥) . فَعَزَا أَمِيرُ الْجِيُوشِ ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي مِصْرَ وَقَتْلَهُ ، وَتَسَلَّمَ الصِّنَادِيقَ وَالْمَلِكُ ، فَكَانَ رَأْيُهُ رَأْيًا فَاسِدًا ، لِأَنَّ رِجَالًا يُقِيمُهُمْ لِرُفْقِهِ وَيَصْطَلِحُهُمْ لِحَاجَةٍ ^(٦) ، إِنَّمَا يَكُونُونَ أَخْيَافًا مُجْمَعِينَ ^(٧) ، وَشِرْذِمَةً مُلَفَّقِينَ ، لَيْسَ فِيهِمْ غَنَى ^(٨) ، وَلَا عِنْدَهُمْ دِفَاعٌ وَلَا مُمَارَسَةٌ لِلْحُرُوبِ .

وَمِنَ السَّيْرِ الْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ ، أَنَّهُ لَمَّا فُتِحَتِ الْعِرَاقُ ، جِئَ بِالْمَالِ إِلَى عَمَرَ ^(٩) ، فَقَالَ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ : أَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ ؟ فَقَالَ : لَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، لَا يُؤْزَى تَحْتَ سَفِيفِ بَيْتٍ حَتَّى تُقَسِّمَهُ ، فَعُطِيَ فِي الْمَسْجِدِ بِالْأَنْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّبُرِجِدِ

(١) فِي « م » : « قَالَ » .

(٢) لَا يَحْفَلُ بِالرِّجَالِ : لَا يَبَالِي أَوْ لَا يَعْنِي بِهِمْ .

(٣) أَى : وَكَأَنَّهُ عَاهَدَ عَلَى أَنَّ يُوَافِقُكَ فِي وَقْتٍ أَوْ مَوْضِعٍ مُعَيَّن .

(٤) فَاسْتَعِدِّ الرِّجَالَ ، أَى : اسْتَعِزْ وَاسْتَنْصِرْ بِهِمْ .

(٥) فِي « م » : « وَقَالَ لِلرِّجَالِ » . وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « وَتَسَلَّمَ الصِّنَادِيقَ » عَنْ « ط » : « وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٦) فِي « ط » : « لِحَاجَتِهِ » .

(٧) أَخْيَافًا ، أَى : رِجَالًا مُخْتَلَفِي الْأَخْلَاقِ وَالْأَشْكَالِ .. وَفِي « ط » : « أَجْنَادًا مُجْمَعِينَ » .

(٨) فِي « ط » : « عَنَاءٌ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَبِمَا يَرِيدُ بِهَا عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى تَحْمِلِ الْمَشَقَّةِ .

(٩) فِي « م » : « عَمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وَالثَّرَّ يَتْلَا ، فَبَكَى ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ ^(١) أَوْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ مَا هَذَا ^(٢) يَبْزُمُ بُكَاءَ ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَ شُكْرِ وَسُرُورٍ . فَقَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتُ ، وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَثُرَ هَذَا فِي قَوْمٍ إِلَّا وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَبِيلَةِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ مُسْتَذْرَجًا ، فَأَتِي أَسْمَعَكَ ^(٣) تَقُولُ : « سَتَسْتَذِرُّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » ^(٤) . ثُمَّ قَالَ : آمِينَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشِمٍ ^(٥) ، فَأَتَيْتُ بِهِ أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ دَقِيقَهُمَا ، فَأَعْطَاهُ سِوَارِي كِسْرَى وَقَالَ : الْبَسْهُمَا . فَفَعَلَ . فَقَالَ : قُلِ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ . قَالَ : قُلِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَالْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشِمٍ أَغْرَابِيًّا مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ ، ثُمَّ قَبْلَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ الَّذِي أَدَّى هَذَا لِأَمِيرٍ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَنَا أَخْبِرُكَ ، أَنْتَ أَمِيرُ اللَّهِ تَعَالَى [وَهُمْ يُؤَدُّونَ إِلَيْكَ مَا أَدَّيْتَ لِلَّهِ تَعَالَى] ^(٦) ، فَإِذَا رَغَمْتَ رَغْمًا . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَإِنَّمَا الْبَسْهُمَا سُرَاقَةَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسُرَاقَةَ ^(٧) وَنَظَرَ إِلَى ذِرَاعَيْهِ : كَأَنِّي بِكَ قَدْ ^(٨) لَبِسْتَ سِوَارِي كِسْرَى . وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ إِلَّا السَّوَارِي .

(١) في م : « فقال له عبد الرحمن بن عوف » ولم يرد فيها اسم العباس .

(٢) في م : « ما هو » .

(٣) في م : « سمعتك » أي : في القرآن الكريم .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية ١٨٢ .. وسورة القلم ، من الآية ٤٤ .

(٥) هو : سراقه بن مالك بن جُعْشِمِ الْمُدَلِجِيِّ الْكَتَائِبِيُّ ، أَبُو سَفِيانٍ ، شاعر ، كان ينزل « قديداً » - موضع بقرب مكة - وكان في الجاهلية قائفاً يقتص الأثر ، وهو الذي أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج مع أبي بكر مهاجراً من مكة إلى المدينة ، ففاصت أقدام فرسه في الرمال ، وسقط عنه ثلاث مرات ، فتشامع من متابعتها وقال لها : « والله لا أريكما ولا يأتيكما مني شيء تذكرونيه ، ثم رجع ولم يذكر شيئاً مما كان .. وفي حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له : « كيف بك إذ لبست سوارى كسرى ونطقته وتاجه » . فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقه وألبسه إياها . وتوفى سراقه سنة ٢٤ هـ في أول خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٨٠ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ ، وثمار القلوب ص ١٢٠] .

(٦) ما بين المقوسطين عن « ط » وسقط من م « سهواً من الناسخ » .

(٧) قوله : « قال لسراقه » سقط من « ط » .

(٨) في م : « وقد » .

وَلَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، فَصَبُّ فِي الْمَسْجِدِ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى ^(١) : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ ^(٢) فَلْيَحْضُرْ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ^(٣) : فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ جَاءَنِي ^(٤) مَالٌ أُعْطَيْتَكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ، وَأَشَارَ بِكَفِّهِ ، فَسَكَتَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَنْصَرَفْتُ ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي ، ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ ، وَعَاوَدْتُهُ فَقُلْتُ : إِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِي ، وَإِمَّا أَنْ تَبْخُلَ عَنِّي ^(٥) . فَقَالَ : مَا أَبْخُلُ عَنْكَ ، اذْهَبْ فَخُذْ . فَخَفْتُ حَفَنَةً ^(٦) قَالَ : عُدَّهَا ، فَقَعَدْتُهَا ، فَوَجَدْتُ فِيهَا خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : عُدَّ بِمِثْلَيْهَا ، فَقَعَدْتُ مِثْلَيْهَا ، فَأَنْصَرَفْتُ بِأَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ^(٧) . وَأَبُو أَيُّوبَ مِنَ أَغْنِيَاءِ الْأَنْصَارِ ^(٨) ، وَهُوَ نَزِيلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ ، وَدَلَّ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يُسَاوَى فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ ذَلِكَ ، مُوَكَّلٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ .

(١) في « ط » : « وأمر فنادى » .

(٢) عِدَّةٌ : وَغَدٌ مَثَلُهُ .

(٣) هذا الحديث ورد في البخارى ، والقاتل هو « جابر بن عبد الله » وليس أبا أيوب الأنصارى .. انظر فتح البارى ج ٦ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨] .

(٤) في « ط » : « قال لى : لو قد جاءنى » .

(٥) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « عَلَى » . والأول أَوْجَحُ ، وهو موافق لما ورد في البخارى .. وقال تعالى في سورة محمد ، الآية ٣٨ : « وَمَنْ يَخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَنْ نَفْسِهِ » .

(٦) هكذا في « ط » .. أى : أَخَذْتُ يَدَهُ كَفْتِي .. وفي « م » : « اذْهَبْ فَخُذْ حَفَنَةً » وما ورد في « ط » موافق لما ورد في الحديث الأستق .

(٧) من قوله : « قَالَ : عُدَّ بِمِثْلَيْهَا ... » إلى هنا عن « م » ولم يرد في « ط » .. وقد ورد في الحديث .

(٨) تقدم في الهامش رقم (٣) أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ حَدَّثَ لُجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ لِأَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ .. وَأَبُو أَيُّوبَ هَذَا مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، وَاسْمُهُ خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلْبِ بْنِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا إِلَى أَنْ بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ .. وَقَدْ شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ الْعَقِيَّةَ ، وَبَدْرًا ، وَاحِدًا ، وَالْخَنْدَقَ ، وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْ خَاصَّتِهِ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ يَوْمَ التَّهْرُوانِ . ثُمَّ غَزَا - أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ - أَرْضَ الرُّومِ مَعَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ٥١ هـ ، وَتَوَفَّى عِنْدَ مَدِينَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَدُفِنَ هُنَاكَ .

انظر أَسَدُ الْغَابَةِ ج ٦ ص ٢٥ ، ٢٦] .

فصل

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : وَجَدْتُ فِي كِتَابِ قِبْطِيٍّ بِاللُّغَةِ الصَّعِيدِيَّةِ ، مِمَّا ثَقُلَ ^(١) بِالْعَرَبِيَّةِ مَبْلَغٌ مَا كَانَ يُسْتَحْرَجُ لِإِزْعَوْنَ يَوْسَفَ مِنْ أَمْوَالِ مِصْرَ بِحَقِّ الْخَرَاجِ ، مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ وَجُوهِ الْجَبَابِيَةِ لِإِزْعَوْنَ لِسَنَةِ وَاحِدَةٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ، وَالرُّسُومِ الْجَارِيَةِ مِنْ غَيْرِ اضْطِهَادٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ ، وَيَعْدُ وَضْعُ مَا يَجِبُ وَضْعُهُ لِحَوَادِثِ الزَّمَانِ ، نَظَرًا لِلْعَامِلِينَ ، وَتَقْوِيَةً لِحَالِهِمْ ^(٢) ، مِنْ الْعَيْنِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفٍ ، وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَمِنْ ^(٣) ذَلِكَ مَا يَنْصَرَفُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ لِحَفْرِ الْخُلُجِ ^(٤) وَالْأَنْفَاقِ عَلَى الْجُسُورِ ، وَسَدِّ التَّرْعِ ، وَإِصْلَاحِ الْمُنَشَّاتِ ، ثُمَّ فِي تَقْوِيَةِ ^(٥) مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوِيَتِهِ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ عَلَيْهِ بِهَا لِإِقَامَةِ الْعَوَامِلِ ، وَالتَّوَسُّعِ فِي الْبِدَارِ ^(٦) ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَاتِ ، وَأُجْرَةٌ مَنْ يُسْتَعَانُ ^(٧) بِهِ لِحِمْلِ الْبِدَارِ ، وَسَائِرُ نَفَقَاتِ تَطْبِيقِ الْأَرْضِينَ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَار . وَلَمَّا يَنْصَرَفُ فِي أَرْزَاقِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُؤَسَّسِينَ بِالسَّلَاحِ ، وَمَنْ فِي جُمْلَتِهِمْ مِنَ الشَّادِيَةِ ^(٨) وَالْعِلْمَانِ وَأَشْيَاعِهِمْ ، وَعِدَّةٌ جَمِيعِهِمْ - مَعَ أَلْفِ كَاتِبِ مُؤَسَّسِينَ بِالْأَدْوَابِ ، سِوَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْخُرَّانِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ - مِائَةُ أَلْفٍ وَأَحَدٍ ^(٩) عَشَرَ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَثَمَانِيَةُ أَلْفِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ^(١٠) ، وَلَمَّا يَنْصَرَفُ

(١) فِي « م » : « مَا ثَقُلَ » .. وَيُرِيدُ بِقَوْلِهِ « بِاللُّغَةِ الصَّعِيدِيَّةِ » أَنَّهُ كُتِبَ بِلَهْجَةِ قِبْطِيَّةِ صَعِيدِيَّةٍ .. وَاللُّغَةُ الْقِبْطِيَّةُ تَطَوَّرَ فِي اللُّغَةِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَكَانَتِ اللُّغَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي عَهْدِ الْيَهُودِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى .
(٢) فِي « م » : « بِمَجْلَاهُمْ » .
(٣) فِي « ط » : « مِنْ » بِدُونِ الْوَاوِ .
(٤) الْخُلُجُ : جَمْعُ خُلُجٍ ، وَهُوَ التَّهْيِيزُ يَقْتَطَعُ مِنَ النِّهْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جِهَةِ يَنْتَفِعَ بِهِ .. وَفِي « ط » : « لِحَفْرِ الْخُلُجِ » بِالْإِفْرَادِ .

(٥) فِي « ط » : « ثُمَّ تَقْوِيَةٍ » .
(٦) الْبِدَارُ : بِكسر الباء ، جَمْعُ بَذَرٍ وَهُوَ كُلُّ حَبٍّ يُزْرَعُ فِي الْأَرْضِ .
(٧) فِي « م » : « مَا يُسْتَعَانُ بِهِ » .
(٨) مِنَ الشَّادِيَةِ : الْمَغْنِينِ أَوْ الْحَدَّادَةِ .. وَفِي « م » : « مِنَ الشَّاكِرِيَّةِ » وَيُرِيدُ بِهِمُ : الْعِلْمَانِ أَوْ الرِّعَاةَ الصَّغَارِ .
(٩) فِي « م » وَ « ط » : « إِحْدَى » خَطَأً ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .
(١٠) فِي « م » : « ثَمَانِيَةُ أَلْفِ دِينَارٍ » .

لِلْأَرَامِلِ ^(١) وَالْأَيْتَامِ يَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ مُحْتَاجِينَ ، حَتَّى لَا يَحُلُّو
 أَمْثَالَهُمْ مِنْ بَرِّ فِرْعَوْنَ ، أَنْعِمَائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي كَهَنَةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) وَسَائِرِ
 نُبُوتِ صَلَوَاتِهِمْ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ^(٣) وَلَمَّا يَنْصَرِفُ فِي الصَّدَقَاتِ مِمَّا يُصَبُّ صَبًّا ،
 وَيُنَادَى : بَرِّتِ الدِّمَةَ مِنْ رَجُلٍ كَشَفَ وَجْهَهُ لِفَاقَةٍ وَلَمْ يَحْضُرْ ^(٤) ، فَيَحْضُرُ لِذَلِكَ مَنْ
 يَحْضُرُ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدٌ ^(٥) ، وَالْأَمْثَاءُ جُلُوسٌ ، فَإِذَا رَأَوْا إِنْسَانًا لَمْ يُجَرَ رَسْمُهُ بَأَن يَأْخُذَ ،
 أَفْرَدُوهُ ^(٦) بَعْدَ قَبْضِهِ مَا قَبَضَهُ ، حَتَّى إِذَا فُرِّقَ الْمَالُ ، وَاجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَدَدٌ ،
 دَخَلَ أَمْثَاءُ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِ وَهَنُوهُ بِتَفْرِيقَةِ الْمَالِ ، وَدَعَا ^(٧) لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ ، وَدَوَامِ الْعِزِّ ^(٨)
 وَالسَّلَامَةِ ، وَالْأَهْلَى إِلَيْهِ حَالُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ ، فَيَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ شَعْنِهَا ^(٩) بِالْحِمَامِ وَاللِّبَاسِ ، ثُمَّ
 يُنَادِي السَّمَاطُ فَيَأْكُلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَشْرَبُونَ ، وَيَسْتَعْلِمُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ سَبَبَ فَاقَتِهِ ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ مِنْ آفَةِ الزَّمَانِ رَدٌّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا كَانَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ سُوءِ رَأْيٍ ^(١٠)
 وَتَذْيِيرٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ ، ضَمَّهُ إِلَى مَنْ يُشْرِفُ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُهُ بِالْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَا
 يَصْلُحُ إِلَّا بِهَا ^(١١) ، مِائَتَا أَلْفِ [دِينَارٍ] ^(١٢) . وَلَمَّا يَنْصَرِفُ مِنْ تَفَقَّاتِ فِرْعَوْنَ الرَّائِيَةِ
 لِسِتِّيهِ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، تُكُونُ التَّفَقَّاتُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهَا تِسْعَةَ آلَافِ أَلْفِ

(١) فِي « م » : « فِي الْأَرَامِلِ » .

(٢) أَيْ : هِيَ كُلُّهُمْ وَمُعَابِدُهُمْ .. وَفِي « م » : « فِي تَرَابِيعِهِمْ » تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي « م » : « مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ » .

(٤) فِي « م » : « إِلَّا خَضِرَ » . وَالْفَاقَةُ : الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ .

(٥) فِي « م » : « أَحَدًا » أَيْ : وَلَا يَرُدُّ الْأَمِينُ أَحَدًا . بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ .

(٦) أَيْ : عَزَلُوهُ بِمُفْرَدِهِ .. وَفِي « م » : « فَرَّدَ » أَيْ : أَعِيدَ .

(٧) فِي « م » : « وَدَعَا » بِالْإِفْرَادِ ، وَالسِّيَاقُ يَطْلُبُ الْجَمْعَ .

(٨) فِي « م » : « وَدَوَامِ النِّعْمَاءِ » .. وَفِي الْمُسْتَرْطَفِ : « وَدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَاءِ وَالسَّلَامَةِ » .

[انْظُرِ الْمَصْدَرَ السَّابِقَ ج ١ ص ٢٤٣] .

(٩) أَيْ : بِتَغْيِيرِ هَيْئَتِهِمْ وَمُظْهِرِهِمْ غَيْرِ اللَّاقِ .

(١٠) فِي « ط » : « وَإِنْ كَانَ سُوءَ رَأْيٍ » .

(١١) فِي « م » : « إِلَى أَنْ يَصْلُحَ » .

(١٢) هَكَذَا فِي « م » : « وَط » وَمَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ عَنْ « ط » .

وَنَمَائِمَاتٍ أَلْفَ دِينَارٍ . وَيَحْصُلُ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَتَسَلَّمُهُ يُوسُفُ الصَّدِيقُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُحْصِلُهُ لِفِرْعَوْنَ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِتَوَاتِبِ الزَّمَانِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ وَسِتُّمِائَةَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَقَالَ أَبُو رُفَيْمٍ : كَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ ، أَرْضًا مُدْبِرَةً ^(٢) حَتَّى إِنْ الْمَاءَ لَيَجْرِي تَحْتَ مَنَازِلِهَا وَأَقْنِيَتِهَا ، فَيَحْسِبُونَهُ كَيْفَ شَاءُوا ، وَيُرْسِلُونَهُ ^(٣) كَيْفَ شَاءُوا ، وَذَلِكَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ : « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » ^(٤) . وَكَانَ مُلْكُ مِصْرَ عَظِيمًا ^(٥) ، لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ ^(٦) مِنْ مُلْكِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ الْجَنَاطُ بِحَافَتِي الثَّيْلِ مُتَّصِلَةً ، لَا يَنْقَطِعُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ ، وَالزُّرْعُ كَذَلِكَ مِنْ أَسْوَانٍ إِلَى رَشِيدٍ ، وَكَانَتْ أَرْضُ مِصْرَ كُلُّهَا تُرَوَّى مِنْ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا لَمَّا دَبَّرُوا ^(٧) فِي جُسُورِهَا وَحَافَتَيْهَا ، وَالزُّرْعُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ أُولَاهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَالْكِهِنَ » ^(٨) . وَالْمَقَامُ الْكَرِيمُ : الْمَنَابِرُ ، وَكَانَ بِهَا أَلْفُ مَنِيرٍ ^(٩) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ^(١٠) : اسْتَعْمَلَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ عَلَى حَفْرِ خَلِيجٍ

(١) بِحْصُلٍ : يَبْقَى .

(٢) مُدْبِرَةٌ : كَثِيرَةُ الْمَيَاةِ .

(٣) فِي « ط » : « فَيَحْسِبُوهُ .. وَيُرْسِلُوهُ » وَلَا وَجْهَ لَهَا ، فَالْفَاءُ هُنَا لَيْسَتْ لِلْسَبَبَةِ .

[وَانْظُرِ الْمُسْتَطَرَفَ ج ١ ص ٢٤٣]

(٤) - سُورَةُ الزَّخْرَفِ ، مِنَ الْآيَةِ ٥١ .

(٥) فِي « م » : « مُلْكًا عَظِيمًا » .

(٦) فِي « م » : « مُلْكًا أَعْظَمُ » ، بِالنَّصْبِ ، وَلَا تَنْصَحُ .. وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ - الْبَابُ السَّابِقُ : « وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْهُ مُلْكًا » .

(٧) دَبَّرُوا : نَظَّمُوا وَاعْتَنَوْا .

(٨) سُورَةُ الدُّخَانِ ، الْآيَاتُ مِنْ ٢٥ - ٢٧ .

(٩) الْمَنِيرُ : كُلُّ مُتَرَفِّعٍ يَرْتَفِعُ . وَالْمَرَادُ بِالْمَنَابِرِ هُنَا : الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ ، أَوْ الْمَنَازِلُ الْحَسَنَةُ .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » وَالْمُسْتَطَرَفُ ج ١ ص ٢٤٤ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو » غَرِيبٌ .. وَفِي مَعْجَمِ

الْبُلْدَانِ - مَادَّةُ « سِرْدُوسٍ » قَوْلًا عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ : أَنَّهُ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ . وَهُوَ الْأَرْجَحُ .. وَلَعَلَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو

رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِ .

سَرْدُوس^(١) ، فَأَخَذَ فِي حَفْرِهِ وَتَذْيِيرِهِ ، فَجَعَلَ أَهْلَ الْقَرْيَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُجَرِيَ الْخَلِيجَ تَحْتَ قَرْيَتِهِمْ وَيُعْطُوهُ مَالًا ، وَكَانَ يَذْهَبُ بِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ ، مِنْ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ ، وَمِنْ الشَّمَالِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ أَرَادَ ، فَلَيْسَ فِي مِصْرَ خَلِيجٌ أَكْثَرُ عَطُوفًا^(٢) مِنْهُ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْوَالٌ ، عَظِيمَةٌ ، فَحَمَلَهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَخْبَرَهُ بِالْحَبْرِ ، فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُعْطِفَ عَلَى عِبِيدِهِ ، وَيُفِيضَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِهِ وَذَخَائِرِهِ ، وَلَا يَرْغَبَ فِيمَا بَأْيَدِيهِمْ ، رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَ مَا أَخَذْتَ مِنْهُمْ . فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ .

فَهَذِهِ سِيرَةٌ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ ، وَلَا يَرْجُو لِقَاءَهُ ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُكُونَ سِيرَةٌ مَنْ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُوقِنُ بِالْحِسَابِ وَالْقَوَابِ وَالْعِقَابِ^(٣) ؟

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥) ، قَالَ : هِيَ خَزَائِنُ مِصْرَ ، وَكَانَتْ أَرْبَعِينَ فَرَسَخًا^(٦) فِي مِثْلِهَا . وَلَمْ يُطِغْ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ وَيَخْلُقْهُ وَيَنْبُ^(٧) عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ^(٨) فَأَسْلَمَ ، فَحَبِطَ قَالَ : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ .

= [انظر ترجمة عبد الله بن عمرو في الأعلام ج ٤ ص ١١ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٩٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٧٣ ، وغيرها من الصفحات ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٩ - ٣٥١] .

(١) كانت خلجان مصر سبعة ، على جوانبها الجنات ، ومنها خلج سَرْدُوس هذا .

[انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٠] .

(٢) العُطُوف : الميل والانحناء .

(٣) في « م » : « سورة من يؤمن بالحساب ويقول : « لا إله إلا الله » .

(٤) في « م » : « عنه » .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٥٥ .

(٦) أى : وكانت مصر أربعين فرسخاً في مثلها .. كذا وردت في المستطرف - ج ١ ص ٢٤٤ - والفرسخ : مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال .

(٧) في « م » و « ط » : « ينبو » لاصح ، معطوفة على مجزوم .

(٨) هكذا في « ط » : والمستطرف .. وفي « م » : « السلام » ، تحريف .

وَلَمَّا اسْتَوْنِي أَمْرُ يُوسُفَ الصَّدِّيقِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(١) وَكَمَلَ ، وَصَارَتْ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ ،
وَأَرَادَ رُبُّكَ ^(٢) أَنْ يُعْرِضَهُ عَلَى صَبْرِهِ لَمَّا لَمْ يَرْكَبْ ^(٣) مَحَارِمَهُ ، وَحَلَّتْ سِنُو الْفَلَاءِ ^(٤)
وَالْجُوع - مَاتَ الْعَزِيزُ ، وَذَهَبَتِ الدَّخَائِرُ ، وَافْتَقَرْتُ « زُلَيْخَا » وَغِمَى بَصَرُهَا ،
وَجَعَلْتُ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ ^(٥) ، فَقِيلَ لَهَا : لَوْ تَعْرِضْتِ لِلْمَلِكِ لَعَلَّهُ يَرْحَمُكَ وَيُعِينِكَ ،
فَطَالَمَا حَفِظْتِيهِ وَأَكْرَمْتِيهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَتَذَكَّرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَيْهِ
مِنَ الْمُرَاوَدَةِ وَالْحَبْسِ فَيَسِيءَ إِلَيْكَ وَيُكَافِئَكَ فِيمَا سَبَقَ مِنْكَ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ : أَنَا أَعْلَمُ
بِحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ .

وَوَجَلَسْتُ لَهُ عَلَى رَأِيَّةٍ فِي طَرِيقِهِ يَوْمَ خُرُوجِهِ ، وَكَانَ يَرْكَبُ فِي زُهَاءٍ مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ
عُظَمَاءِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ قَامَتْ وَقَالَتْ : سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْمُلُوكَ
عَبِيدًا بِمَعْصِيَتِهِمْ ، وَجَعَلَ الْعَبِيدَ مُلُوكًا بِطَاعَتِهِمْ ^(٦) . فَقَالَ يُوسُفُ : مَنْ ^(٧) أَنْتِ ؟
قَالَتْ : أَنَا الَّتِي كُنْتُ أَخْدِمُكَ عَلَى صُدُورِ قَدَمِي ^(٨) ، وَأَرْجُلُ جُمُتِكَ ^(٩) يَبْدَى ،
وَأَكْرَمُ مَثْوَاكَ ^(١٠) بِجَهْدِي ، وَكَانَ مِنِّي مَا كَانَ ، وَقَدْ ذُقْتُ وَبَالَ أَمْرِي ^(١١) ، وَذَهَبَتْ
قُوَّتِي ، وَتَلَفَ مَالِي ، وَغِمَى بَصَرِي ، وَصِرْتُ أَسْأَلَ النَّاسَ ، فَجَنَّهُمْ مَنْ يَرْحَمُنِي وَمِنْهُمْ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٢) « رَبُّكَ » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٣) في « ط » : « يركب » لعله خطأ مطبعي .

(٤) في « م » : « وجاءت » مكان « وحلت » وسنو الفلاء : السنون التي حصل فيها الفلاء .

(٥) تتكفف الناس : تطلب عطاياهم .

(٦) في « م » : « سبحانه من جعل العبيد ملوكاً بطاعتهم ، وجعل الملوك عبيداً بمعصيتهم » بتقديم الجملة الثانية على الأولى .

(٧) في « ط » : « ومن » .

(٨) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المستطرف : « أخدمك بنفسى » .

(٩) « أرجل جمتك » : أسرج وأزين شعر رأسك .

(١٠) في « ط » : « مسواك » خطأ .. وأكرم مثواك : أجعل مقامك عندنا كريماً .

(١١) في « ط » : « وذقت وبال أمرى » أى : سوء عاقبتى .

مَنْ لَا يَرْحَمُنِي ، وَبَعْدَمَا ^(١) كُنْتُ مَعْبُودَةً أَهْلَ مِصْرَ كُلَّهَا صِرْتُ ^(٢) مَرْحُومَتَهُمْ ، بَلْ
مَتْحَرُومَتَهُمْ .. هَذَا جَزَاءُ الْمُفْسِدِينَ .

فَبَكَى يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُكَاءً شَدِيدًا وَقَالَ لَهَا : هَلْ بَقِيَ فِي قَلْبِكَ مِنْ حُبِّكَ إِيَّايَ
شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ : وَالَّذِي اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، لَنَظَرَةٍ إِلَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ
ذَهَبًا وَفِضَّةً . فَمَضَى يُوسُفُ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٣) وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : إِنْ كُنْتَ أَيُّمًا ^(٤)
تَزُرُّجَنَّاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ ذَاتَ بَغْلٍ أَغْنَيْنَاكَ . فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : الْمَلِكُ ^(٥) أَعَرَفَ بِاللَّهِ مِنْ
أَنْ يَسْتَهْزِئَ بِي ، هُوَ لَمْ يُرْذِنِي ^(٦) فِي أَيَّامِ شَبَابِي وَجَمَالِي ، فَكَيْفَ يَقْبَلُنِي وَأَنَا عَجُوزٌ
عَمِيَاءُ فَقِيرَةٌ ؟ فَأَمَرَ ^(٧) بِهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَهَّزَتْ ، فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَدْخَلَتْ ^(٨)
عَلَيْهِ فَصَفَ قَدَمَيْهِ وَجَعَلَ يُصَلِّي ، وَدَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ ، فَرَدَّ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(٩) عَلَيْهَا
شَبَابَهَا وَجَمَالَهَا وَبَصَرَهَا ، كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ رَاوَدَتْهُ ، فَوَاقَعَهَا فَإِذَا هِيَ بِكَرٍّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ
أَفْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ ، وَمِيثَا بْنَ يُوسُفَ ^(١٠) ، وَطَابَ فِي الْإِسْلَامِ عَيْشُهُمَا حَتَّى فَرَقَ الدَّهْرُ
بَيْنَهُمَا .

فَيَجِبُ لِلْقَوِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الضَّعِيفَ ، وَلِلْعَنِيِّ أَنْ لَا يَنْسَى الْفَقِيرَ ، قَرَّبَ مَطْلُوبُ
يَصِيرُ طَالِبًا ، وَمَرْغُوبُ إِلَيْهِ يَصِيرُ رَاغِبًا ، وَمَسْئُولُ يَصِيرُ سَائِلًا ، وَرَاجِمُ يَصِيرُ
مَرْحُومًا ، فَهَذَا يُوسُفُ الصَّدِيقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أُنْظِرْ إِلَى ضَعْفِهِ فِي يَدِ إِخْوَتِهِ يَوْمَ الْحُبِّ ،

(١) فِي م : و ط : : عِنْدَمَا ، يَدُونَ الْوَاوَ ، وَهِيَ هُنَا عَنِ الْمُسْتَطَرَفِ .

(٢) فِي م : : قَصِرْتُ ، وَمَغْبُودَةٌ يَتَمَنَّى النَّاسُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ م : .

(٤) أَيُّمًا : بِلَا زَوْجٍ .

(٥) فِي م : : فَقَالَتْ لِرَسُولِ الْمَلِكِ .

(٦) يُرْذِنِي : يَطْلُبُنِي مِنْ رَأَدِ الشَّيْءِ ، إِذَا طَلَبُهُ .

(٧) فِي م : : وَأَمَرَ .

(٨) فِي م : : وَدَخَلَتْ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَيْنِ عَنْ و ط : .

(١٠) هَكَذَا فِي م : و ط : ، وَالْمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِابْنِ كَثِيرٍ : : أَفْرَاهِمُ ، أَوْ أَفْرَاهِيمُ ، وَالْأُخْرَى

بِالْقَاءِ ، وَ : مَنْسَا ، بِالسَّيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

وَجَاءَ فِيهَا سَبَبُ بَكَارَتِهَا ، بِأَنْ زَوَّجَهَا - قَبْلَ يُوسُفَ - كَانَ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ .

[انْظُرِ الْمَصْدَرِ السَّابِقَ ، ص ٢٢٥]

ثُمَّ خَضَعِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الصَّاعِ ، وَهَذِهِ زُلَيْخَا مَلِكَةُ مِصْرَ وَسَيِّدَةُ أَهْلِهَا عَادَتْ تَتَكَفَّفُ النَّاسَ فِي الطَّرِيقَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْزَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ ^(١) . فَكَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذَا يَجُوعُ وَيَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَلَا يَشْبَعُ . فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ ^(٢) : أَتَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ .

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ الْحَقَّ بِمَنْقِبَةِ ^(٣) فِي مِثْلِهَا يَتَنَافَسُ الْمُقَلَّاءُ ، وَيَرْغَبُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْوُزَرَاءُ ، وَذَلِكَ أَنِّي لَمَّا كُنْتُ بِالْعِرَاقِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ نِظَامُ الْمُلِكِ ^(٤) ، وَالْعَالِبُ عَلَى الْقَافِيَةِ « خَوَاجَا بَزْرَك » ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ [تَعَالَى] قَدْ وَزَّرَ ^(٦) لِإِبْنِي الْفَتْحِ مَلِكِ التُّرْكِ

(١) سورة الأعراف من الآية ١٣٧ .

(٢) في « ط » : « قَالَ » .

(٣) الْمَنْقِبَةُ : الْمُصْغَرَةُ وَالْفِعْلُ الْكَرِيمُ .

(٤) هو : الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي ، أبو علي ، الملقب بقوام الدين نظام الملك .. وزير حازم ، متدين ، عالي الهمة ، أصله من نواحي طوس ، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بالأعمال السلطانية ، فاتصل بالسلطان ألب أرسلان ، فاستوزره ، فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، وبعد أن مات ألب أرسلان خلفه ولده ملك شاه ، وفي عهده صار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلا النخبة والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، فبهر العقول بسيرته ، وكان جوداً كريماً ، ويبالغ في الخضوع للمصالحين ، وكان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وازدهرت في أيامه دولة العلم .. وقُتل - رحمه الله - في رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، قُتل دهملي غيلة . وكان مولده سنة ٤٠٨ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ٢٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤ - ٩٦ ، وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٢٨ - ١٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، والكمال لابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٤٨٥ وصفحات أخرى متفرقة ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٧٣ - ٣٧٥ ، ودول الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٣ ، ولبران والعراق في العصر السلجوقي ص ٨١ وما بعدها] .

(٥) في « م » : « خَوَاجَا بِرَرْحَك » تحريف .. وفي « ط » : « بَرْحَك » ، وأهملت جميع المصادر السابقة هذا اللقب وذكرت لقب « قوام الدين » . و « خَوَاجَه » كلمة فارسية تعني : الأستاذ أو العالم أو الحاكم .. وكلمة « بَزْرَك » التي أثبتناها هنا بالإحصام معناها : العظيم أو الجليل أو الرئيس .

[انظر قاموس الفارسية د . عبد النعيم حسنين ص ١٠٣ و ص ٢٢٢]

(٦) ما بين المعقوفين عن « ط » .. وَوَزَّرَ : صار وزيراً .

ابنِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ ^(١) ، وَكَانَ قَدْ وَزَرَ لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، فَقَامَ بِدَوْلَتِهِمَا أَحْسَنَ قِيَامٍ ، فَشَدَّ أَرْكَانَهَا ، وَشَدَّدَ بَنِيَانَهَا ، وَاسْتَمَالَ الْأَعْدَاءَ ، وَوَالَى الْأَوْلِيَاءَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْكُفَاةَ ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ الْعُدُوَّ وَالصَّدِيقَ ، وَالنَّبِيضَ ^(٢) وَالْحَبِيبَ ، وَالنَّبِيدَ وَالْقَرِيبَ ، حَتَّى أَلْفَى الْمَلِكُ بِجِرَانِهِ ^(٣) ، وَذَلَّ الْخَلْقُ لِسُلْطَانِهِ ، وَكَانَ الَّذِي مَهَّدَ لَهُ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ ، أَنَّهُ أَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى مُرَاعَاةِ حَمَلَةِ الدِّينِ ^(٤) فَبَنَى دُورَ الْعِلْمِ لِلْفُقَهَاءِ ، وَأَثْنًا الْمَدَارِسَ لِلْعُلَمَاءِ ، وَأَسَسَ الرِّبَاطَاتِ ^(٥) لِلْعَبَادِ وَالزُّهَادِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْفَقَرَاءِ ، ثُمَّ أُجْزِيَ لَهُمُ الْجِرَايَاتِ وَالْكَسَا ^(٦) وَالنَّفَقَاتِ ، وَأُجْزِيَ الْخَيْرَ وَالرُّزْقَ ^(٧) لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّلَبِ لِلْعِلْمِ مُضَافًا إِلَى أَرْزَاقِهِمْ ، وَعَمَّ بِذَلِكَ سَائِرَ أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوَائِلِ الشَّامِ - وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِلَى سَائِرِ الشَّامِ الْأَعْلَى ، وَدِيَارِ بَكْرِ ، وَالْعِرَاقَيْنِ ، وَخُرَاسَانَ بِأَقْطَارِهَا ، إِلَى سَمَرْقَنْدٍ مِنْ وَرَاءِ نَهْرِ جَيْخُونٍ ، مَسِيرَةَ زَهَاءٍ مِائَةِ يَوْمٍ - حَامِلُ عِلْمٍ ، أَوْ طَالِيُهُ ، أَوْ مُتَعَبِّدٌ ، أَوْ زَاهِدٌ ^(٨) فِي زَاوِيَتِهِ إِلَّا وَكْرَامَتُهُ شَامِلَةٌ لَهُ ، وَسَابِغَةٌ عَلَيْهِ . وَكَانَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِ أَمْوَالِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْوَابِ سِتِّمِائَةِ ^(٩) أَلْفٍ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَوَشَّى بِهِ الْوُشَاءَ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ [الْمَلِكِ] ^(١٠) ، وَأَوْغَرُوا صَدْرَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الْمَالَ الْمُخْرَجَ مِنْ بُيُوتِ الْأَمْوَالِ يُقِيمُ بِهِ جَيْشًا يَرْكُزُ رَايَتُهُ فِي سُورِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ . فَحَامَرَ ذَلِكَ قَلْبَ أَبِي الْفَتْحِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ ^(١١) يَا أَبَتِ ، بَلَّغْنِي أُنْكَ ثَخْرُجَ مِنْ

(١) فِي « م » : « الْبَارِسْلَان » .. وَفِي الْأَعْلَامِ ضَبْطُ الزَّرْكَلِيِّ « أَرْسِلَان » بِسُكُونِ الرَّاءِ وَالسَّيْنِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ بِكَسْرِ السَّيْنِ . وَهِيَ لَفْظَةٌ تَرْكِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا : الْأَسَدُ الشَّجَاعُ .

[انْظُرْ : إِعْجَامُ الْأَعْلَامِ ص ٦٦] .

(٢) فِي « م » : « وَالْمُبْغِضُ » .

(٣) أَلْفَى الْمَلِكُ بِجِرَانِهِ ، أَيْ : ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ .

(٤) فِي « ط » : « دِجَالِ الدِّينِ » .

(٥) الرِّبَاطَاتُ : مَلَاجِئُ الْفُقَرَاءِ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ ، جَمْعُ رِبَاطٍ .

(٦) الْكَسَا : جَمْعُ كِسْوَةٍ .. وَفِي « ط » : « وَالْكَسَاوَى » .

(٧) فِي « م » : « وَالْوَرَقُ » ، وَهِيَ الْقَفْضَةُ ، وَلَمْلَمَهَا تَصْحِيفٌ ، وَالْأَوَّلُ أَوْجُهُ .

(٨) فِي « م » : « وَزَاهِدٌ » .

(٩) فِي « م » : « سِتَّةُ مِائَةٍ » خَطَأً .

(١٠) مَا بَيْنَ الْمُعَقِّفَيْنِ عَنْ « ط » .

(١١) فِي « م » : « قَالَ لَهُ » .

يُؤْتِ الْأَمْوَالَ كُلَّ سَنَةٍ ^(١) سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ إِلَى مَنْ لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يُغْنِي ^(٢) عَنَّا . فَبَكَى
نِظَامُ الْمَلِكِ وَقَالَ : يَا بَنِي ، أَنَا شَيْخٌ أَعْجَبِي لَوْ تُودِي عَلَى فِيمَنْ يَزِيدُ ^(٣) لَمْ أُحْفَظْ
خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَأَنْتَ غَلَامٌ تُرَكِّي لَوْ تُودِي عَلَيْكَ عَسَاكَ تَحْفَظُ ^(٤) ثَلَاثِينَ دِينَارًا ،
وَأَنْتَ مُسْتَعْلِلٌ بِلَدَاتِكَ ، مِنْهَمِكَ ^(٥) فِي شَهَوَاتِكَ ، وَأَكْثَرُ مَا يَصْنَعُدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
مَعَاصِيكَ دُونَ طَاعَاتِكَ ، وَجُيُوشُكَ الَّذِينَ تُعَلِّمُهُمُ لِلتَّوَائِبِ إِذَا اخْتَشَدُوا كَافَحُوا عَنْكَ
بِسَيْفِ طُولِهِ ذِرَاعَانِ ^(٦) ، وَقَوْسٍ لَا يَنْتَهِي مَدَى مَرْمَاهُ ^(٧) ثَلَاثِمِائَةِ ذِرَاعٍ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ
مُسْتَعْرِقُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْخُمُورِ وَالْمَلَاهِي وَالْوِزْمَارِ وَالطُّبُورِ ^(٨) ، وَأَنَا أَقْمَتُ لَكَ
جَيْشًا يُسَمَّى جَيْشَ اللَّيْلِ ، إِذَا نَامَتْ جُيُوشُكَ لَيْلًا قَامَتْ جُيُوشُ اللَّيْلِ عَلَى أَقْدَائِهِمْ
صُفُوفًا بَيْنَ يَدَي رَيْبِهِمْ ، فَأَرْسَلُوا دُمُوعَهُمْ ، وَأَطْلَقُوا بِالْدُّعَاءِ أَلْسِنَتَهُمْ ^(٩) ، وَمَدُّوا إِلَى اللَّهِ
أَكْفَهُهُمْ بِالْدُّعَاءِ لَكَ وَلِجُيُوشِكَ ، فَأَنْتَ وَجُيُوشُكَ فِي خِفَارَتِهِمْ ^(١٠) تَعِيشُونَ ، وَبِدُعَائِهِمْ
تَبِيتُونَ ^(١١) . وَبِرَّكَاتِهِمْ تُمَطَّرُونَ وَتُرَزَقُونَ ، تَخْرُقُ سِهَامُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِالْدُّعَاءِ
وَالْتَضَرُّعِ . فَبَكَى أَبُو الْفَتْحِ الْمَلِكُ بُكَاءً شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ ^(١٢) : شَابَاشِ يَا أَبَتِ
شَابَاشِ ^(١٣) ، أَكْثَرُ لِي مِنْ هَذَا الْجَيْشِ .

(١) في م : : في كل سنة .

(٢) في م : : يهضم ، خطأ من الناسخ .

(٣) قوله : : فيمن يزيد ، عن ط .

(٤) في م : : لم تحفظ .

(٥) في م : : ومنهمك ، أي : منغمس .

(٦) في م : : طولها ذراعان ، لاتصح .

(٧) القوس : آلة على هيئة هلال تُرمى بها السهام ، تُذكر وتؤنث .

(٨) الطُّبُور : آلة من آلات اللهو والطرب .

(٩) في م : : وأطلقوا ألسنتهم .

(١٠) يخفارتهم : حراستهم وحياتهم .

(١١) في م : : تببتون ، أي : في الحرب .

(١٢) في م : : وقال .

(١٣) شاباش : كلمة فارسية ، وهي كلمة استحسان وعنتة ، وهي غففة من « شاد باش » أي : كُنْ مسروراً .

[انظر قاموس الفارسية ص ٤٠٣ ط دار الكتاب المصري] .

وَمِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الرَّجُلِ وَفَضَائِلِهِ أَنَّ رَجُلًا قَصَدَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا خَوَاجَا ، أَنَا أُنَبِّئُ لَكَ مَدْرَسَةً يَبْغِدَادَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، لَا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهَا ، يَخْلُدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تُقَوِّمَ السَّاعَةَ . قَالَ : أَفْعَلْ . وَكَتَبَ إِلَى وَكَلَاهِهِ يَبْغِدَادَ ^(١) أَنْ يُمْكِنُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَأَتَابَعَ بُفْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ ، وَخَطَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ ، وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بَنِيَانٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تُكُونُ مُحْبَسَةً ^(٢) عَلَيْهَا ، وَأَتَابَعَ ضِيَاعًا ^(٣) وَخَنَائِثَ وَحَمَامَاتٍ وَأَوْقَفَتْ عَلَيْهَا ، فَكَمَلَتْ ^(٤) لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِذَلِكَ رِيَاسَةً وَسُودَدَ ^(٥) ، وَذَكَرَ جَمِيعَ طَبَقِ الْأَرْضِ خَبْرَهُ ^(٦) ، وَغَمَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَثَرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ^(٧) ، ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ التُّفَقَاتِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ نَمَى الْخَبْرُ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مِنَ الْكُتَابِ وَأَهْلِ الْحِسَابِ ^(٨) أَنَّ جَمِيعَ مَا أُتِفِقَ فِيهَا نَحْوُ مِنْ ^(٩) تِسْعَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّ سَائِرَ الْأَمْوَالِ اخْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَنَائِكَ فِيهَا . فَدَعَا نِظَامَ الْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ ^(١٠) لِلْحِسَابِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ

(١) قوله : « يَبْغِدَادَ » عَنْ « ط » .

(٢) مُحْبَسَةٌ : مَوْقُوفَةٌ .

(٣) فِي « م » : « ضِيَاع » بِالرَّفْعِ ، لَانْصَحَ . وَالضِّيَاعُ : الْعَقَارَاتُ ، وَتَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْأَرْضِ الْمُقِلَّةِ . مَفْرَدُهَا : ضِيْعَةٌ .. وَالْخَنَائِثُ : جَمْعُ خَنَانٍ ، وَهِيَ مَا يَنْزِلُ بِهَا الْمَسَافِرُونَ .

(٤) فِي « م » : « وَكَمَلَتْ » .

(٥) السُّودَدُ : يَهْمَزُ وَيَغْيَرُ هَمْزُ : السِّيَادَةُ وَالْمَجْدُ وَالشَّرَفُ .

(٦) طَبَقُ الْأَرْضِ خَبْرُهُ : عَمَلُهَا وَانْتِشَارُ فِي أَعْنَاقِهَا .

(٧) فِي « م » وَ« ط » : « لَا فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ » .. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النَّظَامِيَّةَ يَبْغِدَادَ شَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا سَنَةَ ٥٠٧ هـ وَأُنْشِئَتْ لِلتَّدْرِيسِ سَنَةَ ٥٠٩ هـ ، وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ نِظَامَ الْمُلْكِ قَدْ أَنْشَأَ عِدَّةَ مَدَارِسَ أُخْرَى عَلَى شَاكْلِهَا ، مِنْهَا الْمَدْرَسَةُ النَّظَامِيَّةُ بِنَيْسَابُورَ ، وَأُخْرَى بِطُوسَ ، وَقَدْ قَامَ بِالتَّدْرِيسِ فِيهَا حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ .

(٨) فِي « م » : « مِنَ الْكُتَابِ وَالْحُسَابِ » . وَنَمَى الْخَيْرُ : شَاعَ وَانْتَقَلَ .

(٩) فِي « م » : « نَحْوُ » مِنْ « بِالنَّصَبِ » ، لَانْصَحَ .

(١٠) فِي « م » : « أَصْبَهَانَ » بِالْقَاءِ ، وَكَلَاهِمَا صَوَابٌ .

إِلَى الْخَلِيفَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ ^(١) يَقُولُ ^(٢) : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُطَبِّقَ الْأَرْضَ بِدُكْرِكَ ، وَأَنْشُرَ لَكَ
فَخْرًا لَا تَمُحُوهُ الْأَيَّامُ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ تَمُحُو اسْمَ نِظَامِ الْمَلِكِ عَنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ
وَتَكْتُبَ عَلَيْهَا اسْمَكَ ^(٣) وَتَرِنُ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ لَهُ :
أَرْسِلْ ^(٤) مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا اسْتَوْثِقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أَصْبَهَانَ ^(٥) ، فَقَالَ لَهُ نِظَامُ
الْمَلِكِ : إِنَّكَ قَدْ رَفَعْتَ ^(٦) إِلَيْنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ تَفَقَّةً ، وَأُحِبُّ إِخْرَاجَ
الْحِسَابِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لَا تُطِيلِ الْخُطَابَ ، إِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ
الْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا اسْمَ غَيْرِكَ ، وَأَرْسِلْ مَعِيَ مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ
نِظَامُ الْمَلِكِ بِذَلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا ^(٧) لَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَمْنَحْ اسْمَنَا .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ بَنَى بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الرِّبَاطَاتِ لِلصُّوفِيَّةِ ، وَاشْتَرَى الضِّيَاعَ وَالْحَنَاتِ
وَالنَّبَسَاتِينَ وَالْدُّورَ ، وَأَوَقَفَ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَى الصُّوفِيَّةِ ، فَالصُّوفِيَّةُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِي
رِبَاطِ أَبِي سَعِيدٍ الصُّوفِيِّ وَأَوْقَافِهِ يَتَقَلَّبُونَ بِبَغْدَادَ ، فَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ ^(٩) فَلْيَتَنَافَسِ

(١) هكذا في « ط » . وفي « م » : « أبا العباس » بالنصب ، خطأ من الناسخ .. وقد وَهَمَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله -
حينما ذكر الخليفة أبا العباس ، والصواب أنه الخليفة القائم بأمر الله أبو جعفر ، عبد الله بن القادر ، وقد ولى الخلافة
سنة ٤٢٢ هـ وتولى سنة ٤٦٧ هـ . وكان - رحمه الله - وَرِعًا ، ذَهَبًا ، زَاهِدًا ، قَوِيَّ الْيَقِينِ بِاللَّهِ تَعَالَى .
أَمَّا أَبُو الْعَبَّاسِ فَهُوَ الْمُسْتَظْهَرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَدٍ الْمُقْتَدِي بِاللَّهِ ، وَقَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٤٧٠ هـ ، وَبَوَّعَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِ
أَبِيهِ وَلَهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَتَوَلَّى سَنَةَ ٥١٢ هـ . وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ الْمَدْرَسَةَ النِّظَامِيَّةَ بِبَغْدَادَ فُرِغَ مِنْ إِثْنَائِهَا وَاتَّحِثَتْ سَنَةَ
٤٥٩ هـ ، أَيْ : قَبْلَ أَنْ يُولَدَ الْخَلِيفَةُ الْمَذْكُورُ بِأَحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً .
[انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٨٠ - ٤٨٤ ، وص ٤٩٠ ، وسمر أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٩٤] .

(٢) في « م » : « ويقول » .

(٣) في « م » : « تمحو .. وتكتب اسمك عليها » .

(٤) في « ط » : « أنفذ » وكلاهما بمعنى واحد .

(٥) في « م » : « أصفهان » .

(٦) في « م » : « إنك رفعت » .

(٧) سَوَّغْنَا : أَبْخَنَّا وَأَجَزْنَا .

(٨) في « ط » : « وَوَقَّفَ » .

(٩) في « ط » : « ففي هذه المناقب » .

الْمُتَنَافِسُونَ ، وَلِيَمِثِلْ هَذَا ^(١) فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، فَإِنَّ فِيهَا عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الْآخِرَةِ ،
وَحَسَنَ الصِّبَةِ ، وَخُلُودَ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، فَإِنَّا ^(٢) لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ ^(٣) إِلَّا
الذِّكْرَ - حَسَنًا كَانَ أَوْ قَبِيحًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثًا جَمِيلَ الذِّكْرِ فَالِدُنْيَا حَدِيثٌ

فَاتَّهَزْ فُرْصَةَ الْعُمْرِ وَمُسَاعَدَةَ الدُّنْيَا وَتَقَوِّذَ الْأَمْرِ ، وَقَدِّمَ لِنَفْسِكَ كَمَا قَدَّمُوا ، تُذَكِّرُ
بِالصَّالِحَاتِ كَمَا ذَكَّرُوا ، وَادَّخِرْ لِنَفْسِكَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا ادَّخَرُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَأْكُولَ
لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبَ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَتْرُوكَ لِلْعَدُوِّ ، فَاخْتَرِ أَيَّ الثَّلَاثِ شِئْتَ ، وَالسَّلَامَ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ ^(٤) الْوَزِيرُ وَاسِعَ النَّفْسِ ، مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ ، يُعْطَى الْجَزِيلَ ،
وَيَسْتَقْبَلُ الْكَثِيرَ ، وَلَا يَرُدُّ سَوْأًا ^(٥) ، وَيَتَدَبَّعُ بِالنُّوَالِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَائِقُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(٦)
يَوْمًا : بَلَّغْنِي ^(٧) بَسْطَ يَدِكَ بِالْإِعْطَاءِ ، وَهَذَا يَتَلَفُ بَيُوتُ الْأَمْوَالِ .. فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ
رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ذَخَائِرُ أَجْرُهَا وَاصِلٌ إِلَيْكَ ، وَمَمَنَاتُ شُكْرِهَا

(١) في م : : وليثليها .

(٢) في ط : : فإئنا .

(٣) في م : : في الدهر .

(٤) في م : : ابن داود ، تحريف .. وهو : أحمد بن أبي دُوَادٍ بن جرير بن مالك الإبادي ، أبو عبد الله
المتزلي ، قاضي قضاء المعتصم والوائق ، وهو رأس فتنه القول بخلق القرآن ، وكان من الشرف والكرم بالمتزلة
العالية .. قال عنه الذهبي : حَمَلَ الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن ، ولولا ذلك لاجتمعت عليه الألسنة .. توفي
مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٢٤ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤١ - ١٥٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٨١ - ٩١ ،
وطبقات المعتزلة ص ٦٢ وصحفات أخرى متفرقة ، وثمار القلوب ص ٢٠٦ ، وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ ،
والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٢٥ ، ٣٣٩ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٩] .

(٥) السؤال : طلب الصدقة .

(٦) هو : الوائق بالله هارون بن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد .. من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ،
ولد ببغداد سنة ١٩٠ هـ - وقيل سنة ١٩٦ هـ - وولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧ هـ ، وامتحن الناس بخلق
القرآن ، وقتل أحمد بن نصر الخراساني لكونه أغظ له ، وكان إماماً قَوَّالاً للحق ، آمَّاراً بالمعروف ، وتوفي الوائق سنة
٢٢٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٦٢ ، ٦٣ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٥ - ٢١ ، ودول الإسلام ج ١ ص ١٣٨ -
١٤١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٠٠ - ٤٠٦] .

(٧) في ط : : قد بلغني .

مَوْصُولٌ ^(١) بِكَ ، وَإِنَّمَا إِلَى ^(٢) مِنْ ذَلِكَ تَعَشُّفِي فِي إِبْصَالِ الشَّاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ الْوَائِي : اللَّهُ
أَنْتَ ، جُذْ بِالْعَطَاءِ ، وَأَكْثَرُ بِالشُّكْرِ وَالشَّاءِ !

* * *

(١) فِي « ط » : « مَوْصَلَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « إِلَيْكَ » .

البَابُ الثَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي الْإِتْفَاقِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَسِيرَةِ الْعُمَالِ

اعْلَمْ أَنَّ يُوسُفَ الصَّدِّيقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) لَمَّا مَلَكَ خَزَائِنَ الْأَرْضِ كَانَ يَجُوعُ وَيَأْكُلُ
خُبْزَ الشَّعِيرِ ^(٢) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَجُوعُ وَبِيَدِكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ
فَأَنْسَى الْجَائِعِينَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا اسْتَحْلَفَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، غَدَا إِلَى السُّوقِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
قَالَ : السُّوقُ . قَالَ : قَدْ جَاءَكَ مَا يَشْغَلُكَ عَنِ السُّوقِ . قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ^(٣) ! يَشْغَلُنِي
عَنْ عِيَالِي ؟ قَالَ : نَفَرَضُ لَكَ بِالْمَعْرُوفِ . قَالَ : فَأَتَّفَقَ فِي سَتَتَيْنِ وَبَعْضِي أُخْرَى ^(٤)
ثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ مِنْ مَالِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ^(٥) .

(١) فِي د م : : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) فِي ط : : وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ .

(٣) فِي د م : : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ .

(٤) وَبَعْضُ أُخْرَى : أَى وَبَعْضُ شُهُورٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ .

(٥) فِي د م : : وَوَصَّى أَنْ تُرَدَّ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ .

[وَالحديث رواه البيهقي في السنن الكبرى ، باب ما يكون للوالى الأعظم ووالى الإقليم من مال الله ج ٦ ص ٣٥٣ ،
وفى باب ما يكره للقاضى من الشراء والبيع والنظر فى النفقة على أهله ج ١٠ ص ١٠٧] .

وَرَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا بَكْرٍ الْوَفَاةُ ، قَالَ : انْظُرُوا كَمْ أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، فَوَجَدُوا قَدْ أَتَّفَقَ فِي سِتِّينَ ، وَنِصْفٍ ^(١) ثَمَانِيَةَ آلَافٍ ذَرَاهِمٍ . قَالَ : أَقْضُوهَا عَنِّي . فَقَضَوْهَا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا تَرَوْنَ ، وَلَابدُّ لَكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَلِي أُمُورَكُمْ ، وَيُصَلِّي بِكُمْ ، وَيُقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّخَرْتُمْ ^(٢) لَكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَهَدْتُ لَكُمْ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَلُوكُمْ وَنَفْسِي خَيْرًا ^(٣) . فَبَكَوْا وَقَالُوا : أَأَنْتَ غَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا فَاخْتَرْنَا لَنَا . فَقَالَ : قَدْ اخْتَرْتُ لَكُمْ عُمَرَ .

وَرَوَى مَالِكٌ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَلَّى لَمْ يَتَّفِقْ مِنْ مَالِ اللَّهِ شَيْعًا ، وَعَدَا يَوْمًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانَتْ لَهُ هُنَاكَ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي جَمَالٍ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا ^(٤) ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ هَذَا يَشْتَعْلُكَ عَنِ النَّاسِ وَعَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ ^(٥) . قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالُوا : تَتَفَرَّغْ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِهِمْ وَتَسْتَتِفِقَ مِنْ هَذَا الْمَالِ . فَبَاعَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَغَيْرَهَا مِنْ مَالِهِ ، إِلَّا الْأَرْضَ ، ثُمَّ طَرَحَهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ ، فَكَانَ يَتَّفِقُ مِنَ الْمَالِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عِيَالِهِ . ثُمَّ كَانَ عُمَرُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ وَلِيَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَلَمْ يَتَّفِقْ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَا قَدْ عَلِمْتَ . قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنِّي أَخَذْتُ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، فَإِنْ يَكُنْ لِي فِيهِ حَقٌّ فَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ وَزِدْتُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ . قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ ^(٦) : قُلْتُ

(١) هذا على التقريب ، فقد كانت مدة خلافته - رضى الله عنه - ستين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ .. وقيل : ستين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ . [انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٣٣٤] .

(٢) اتَّخَرْتُ : اسْتَعْمْتُ وَأَطْلَعْتُ .

(٣) أَيْ : لَا أَجْعِدُ لَكُمْ إِلَّا خَيْرًا .

(٤) فِي م : : فِي جَمَالٍ لَهَا تَرِيدُ بَيْعَهَا .

(٥) فِي م ط : : أُمُورِهِمْ .

(٦) فِي م : : ابْنُ غَانِمٍ ، تَحْرِيفٌ .. وَابْنُ الْقَاسِمِ هُوَ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جُنَادَةَ الْحَقَوِيُّ الْمَصْرِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُعرفُ بِابْنِ الْقَاسِمِ ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، جمع بين الزهد والعلم وتقفه بالإمام مالك ونظراته ولد بمصر سنة ١٣٢ هـ وتوفي بها سنة ١٩١ هـ .

و انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وشدرات الذهب ج ١ ص ٣٢٩ .

لِمَالِكٍ : فَأَيَّنَ قَوْلُهُمْ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ رَدَّ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟ قَالَ : كَذَّبُوا ، إِنَّمَا يَقُولُ هَذَا أَعْدَاءُ اللَّهِ ، هُوَ لَمْ يُجِزْ لَوَلَدِهِ سَلَفَ أَبِي مُوسَى إِيَّاهُ حِينَ ^(١) أَخَذَ مِنْهُ نِصْفَهُ ، فَكَيْفَ يَأْخُذُ مِنْ مَالِ اللَّهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ؟

فَلَمَّا ثَوَمَى أَبُو بَكْرٍ اسْتَرْجَعَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَجَاءَ مُسْرِعًا بَاكِيًا ، وَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ كُنْتُ ^(٢) وَاللَّهِ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا ، وَأَكْمَلَهُمْ إِيْمَانًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَخْوَفَهُمْ لِلَّهِ ^(٣) تَعَالَى ، وَأَخْوِطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشَبَّهُهُمْ بِهِ هَدْيًا وَخَلْقًا ، وَسَمَنًا وَفَضْلًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَرْفَعَهُمْ عِنْدَهُ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرًا ، صَدَقْتَ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، فَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ صِدِّيقًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٤) . وَآتَتْهُ حِينَ تَخَلَّفُوا ^(٥) ، وَثُمْتُ مَعَهُ حِينَ قَعَدُوا ، وَصَحْبَتُهُ فِي الشَّدَّةِ حِينَ تَفَرَّقُوا ، أَكْرَمَ الصُّحْبَةَ ، ثَانِي اثْنَيْنِ ، وَصَاحِبَهُ فِي الْقَارِ ، وَرَفِيقَهُ فِي الْهَجْرَةِ ، وَالْمُنْزَلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ، وَخَلَقْتُهُ فِي أُمِّهِ أَحْسَنَ الْخِلَافَةِ ، فَقَوِيْتُ حِينَ ضَعُفَ أَصْحَابُكَ ، وَبَرَزْتُ حِينَ اسْتَكَاثُوا ، وَثُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ^(٦) ، وَمَضَيْتُ بِقُوَّةٍ إِذْ وَقَفُوا ^(٧) ، كُنْتُ أَطْوَلَهُمْ صَمَنًا ، وَأَبْلَغَهُمْ قَوْلًا ، وَأَشَجَمَهُمْ قَلْبًا ، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا ، وَأَحْسَنَهُمْ عَمَلًا ، كُنْتُ ^(٨) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ ، قَوِيًّا فِي أَمْرِ دِينِكَ ،

(١) في م : : حتى ، تحريف .

(٢) في م : : يا أبا بكر ، كُنْتُ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا .

(٣) في م : : الله ، تصحيف من الناسخ .

(٤) صورة الزمر ، الآية ٣٣ .. والذي جاء بالصديق هو سيدنا محمد ﷺ ، والذي صدق به : أبو بكر ، رضى الله عنه .

(٥) وفي رواية : : وواسيته حين بخلوا .

(٦) فَشِلُوا : تَرَاخَوْا .

(٧) في م : : حين وقفوا .

(٨) في م : : أنت .

مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا مَحْبُوبًا إِلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(١) ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنِ
الإِسْلَامَ خَيْرًا .

وَقَالَ عُمَرُ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ تَعَبًا شَدِيدًا ^(٢) . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ
عَنْ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي أُنْزِلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنْزِلَةِ ^(٣) وَلِيِّ
الْيَتِيمِ ، إِنْ أَسْتَعْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ ، وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى :
إِنْ احْتَجَجْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ ، فَإِذَا ^(٤) أُيْسِرَتْ رَذَذْتُهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أُخْبِرُكُمْ بِمَا
أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ اللَّهِ تَعَالَى - وَمَا قَالَ : يَحِلُّ لِي - أَسْتَحِلُّ مِنْهُ حُلَّتَيْنِ : حُلَّةٌ لِلشَّيْءِ ،
وَحُلَّةٌ لِلْقَيْظِ ^(٥) وَمَا أُحْجُ عَلَيْهِ وَأُعْتَمِرُ ، وَقُوَّتِي وَقُوَّتُ عِيَالِي كَقُوَّتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ
لَا مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَلَا مِنْ فَقَرَائِهِمْ ^(٦) ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، يُصِيبُنِي
مَا أَصَابَهُمْ ^(٧) .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : غَلَا الطَّعَامُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) ، فَأَكَلَ خُبْزَ
الشَّعِيرِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُهُ ، فَاسْتَنْكَرَهُ بَطْنُهُ فَصَوَّتْ ، فَضَرَبَتْهُ ^(٩) بِيَدِهِ وَقَالَ :
هُوَ وَاللَّهِ مَا تَرَى حَتَّى يُوسِّعَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ النَّهْدِيُّ ^(١٠) : رَأَيْتُ

(١) في « م » : « وأهل الأرض » .

(٢) في « م » : « تعباً عظيماً » والأول هو الأشهر والوارد في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ .

(٣) هكنا في « ط » وفي نص الحديث في المرجع السابق .. وفي « م » : « مَنْزِلَةٌ » .

(٤) في « م » : « وإذا » .

(٥) في « م » : « للقَيْظِ » بالضاد على الإبدال .

(٦) في « م » : « ولا فقرائهم » .

(٧) انظر هذه الروايات في السنن الكبرى ج ٦ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ باب ما يكون للوالي .

(٨) ما بين المعقوختين عن « ط » .

(٩) في « م » : « فضرِب » .

(١٠) هو : عبد الرحمن بن مَلٍّ - اللام مُشَدَّدَةٌ والميم مثناة - من قُضَاعَةَ ، أدرك النبی ﷺ ، ولم يره ، وشهد
فتح القادسية وجُلُولَاءَ ، وَتُسْتَرُ ، وَنَهَاوَنَدَ ، وَالْيَوْمُوكَ ، وَأَذْرِيجَانَ ، وَكَانَ مِنْ سَاكِنِي الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نَحَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَتَزَمَهَا وَقَالَ : لَا أَسْكُنُ بَلَدًا قُتِلَ فِيهِ ابْنُ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَوَفَّى فِي أَوَّلِ وَلايَةِ
الْحِجَااجِ بِالْبَصْرَةِ .

[انظر المعارف ص ٤٢٦] .

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ^(١) فِيهَا اثْنَا عَشْرَةٌ ^(٢) رُفْعَةً ، إِحْدَاهَا بِأَدَمٍ ^(٣) أَحْمَرٌ .

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ^(٤) : اسْتَعْمَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّائِبَ بْنَ الْأَقْرَعِ ^(٥) عَلَى الْمَدَائِنِ ، فَدَخَلَ إِيَّوَانًا مِنْ إِيَّوَانٍ ^(٦) كِسْرَى ، فَإِذَا صَنَمٌ يُشِيرُ بِإَصْبَعِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ عَقَدَ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يُشِيرُ هَذَا إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا وَتَمَّ شَيْءٌ . فَاحْتَفَرُوا فَاسْتَحْرِجُوا مِنْهُ سَفَطًا ^(٧) فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي دَخَلْتُ إِيَّوَانًا مِنْ إِيَّوَانٍ كِسْرَى فَرَأَيْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَاحْتَفَرْتُ فَأَخْرَجْتُ سَفَطًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ فِتْيَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْسِمُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّمَا أَصَبْنَا شَيْئًا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَلَمَّا قَدِمَ السَّفَطُ عَلَى عُمَرَ وَعَلَيْهِ خَاتَمُ السَّائِبِ ، فَرَأَى عُمَرُ [فِي مَنَامِهِ] ^(٨) فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّهُ نَارًا أُجِجَتْ وَهُوَ يُرَادُّ أَنْ يُلْقَى ^(٩) فِيهَا . فَكَتَبَ إِلَى السَّائِبِ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيَّ . قَالَ : فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَطُوفُ فِي إِبِلِ الصُّدْقَةِ ، فَطُفْتُ مَعَهُ إِلَى نَصِيفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَاغْتَسَلَ ، وَدَعَا لِي بِمَاءٍ فَاغْتَسَلْتُ ، ثُمَّ ذَهَبَ

(١) في « ط » : « جُبَّةٌ صُوفٌ » .

(٢) في « م » : « اثنا عشر » لا تصح .

(٣) الأدم ، بفتحين ، وبضمتين أيضًا ، جمع آدم ، وهو : الجلد المدبوغ .

(٤) هو : عطاء بن السائب بن زيد الثقفي ، ويكنى أبا زيد الكوفي ، محدث ، وأحد علماء التابعين ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وأنس ، ووالده ، وغيرهم . وغلط وساء حفظه في آخر عمره ، وتولى سنة ١٣٦ هـ . [انظر المعارف ص ٤٧٤ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٧٠ - ٧٣]

(٥) هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، من بني مالك ، من ثقيف .. وأمه مليكة .. دخل مع أمه على النبي ﷺ فمسح رأسه ودعا له .. شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن ، ثم استعمله عمر على المدائن ، وولى أصبهان ، ومات بها .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٩١] .

(٦) في « م » : « من أبواب » تحريف .. والإيوان : مجلس كبير على هيئة صفة واسعة ، لها سقف محمول من الأمام على عقد ، يجلس فيها كبار القوم .

(٧) في تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٨ والفاروق عمر ص ٣٠ - ٣٢ أنهما سَفَطَانِ .

(٨) ما بين المقوفين عن « م » .

(٩) في « ط » : « وهو يُرَادُّ أَنْ يُلْقَى » .

إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَتَى بِلْعَمٍ غَلِيظٍ وَخُبْزٍ مُتَحَمِّشٍ ^(١) فَقَالَ : انْظُرْ مَنْ عَلَى الْبَابِ ، فَإِذَا سُودَانِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ ^(٢) فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مَعَهُمْ ، فَإِذَا لَحْمٌ غَلِيظٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسِيعَهُ ، وَقَدْ كُنْتُ تَعَوَّدْتُ ذَرْمَكَ ^(٣) أَصْبَهَانِ ، إِذَا وَضَعْتَهُ فِي فَمِي دَخَلَ بَطْنِي . ثُمَّ دَعَا بِالسَّقَطِ وَقَالَ : أَتَعْرِفُ خَائِمَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : كَتَبْتُ تَرْفُقُ لِي ^(٤) تَزْعُمُ أَنِّي أَحَقُّ بِهِ ! مِنْ أَيْنَ أَصْبَتْهُ ؟ فَأُخْبِرْتُهُ . قَالَ : أَذْهَبَ فَأَجْعَلُهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ .

وَقَالَ قَتَادَةُ : قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشَّامَ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامَ لَمْ يَرِ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ : هَذَا لَنَا ؟ فَمَا لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ لَا يَشْبَعُونَ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ؟ قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : لَهُمُ الْجَنَّةُ . فَأَعْرُوزَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : لَيْنَ كَانَ حَظُنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ وَذَهَبُوا بِالْجَنَّةِ ، لَقَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا ^(٥) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ قَدِمَ الشَّامَ قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ ^(٦) : أَذْهَبَ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ . قَالَ : مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَغْضُ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ ^(٧) : قَالَ : فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا . فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ مَتَاعُكَ ؟ لَا أَرَى إِلَّا لِبْدًا وَشَنًّا وَصَحْفَةً ^(٨) وَأَنْتَ أَمِيرٌ ! أَعِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جُودِيَّةِ ^(٩) فَأَخْرَجَ مِنْهَا

(١) خبز متحمش : أسود جاف .

(٢) سودان من الصوفية : أشخاص من يلبسون الصوف نقشباً .

(٣) الذَّرْمُ : الخبز الجيد المصنوع من الدقيق الأبيض .

(٤) قوله : « قلت : نعم » عن « ط » .. وفي « م » : « قال : كتبت ترفق لي .. » ورفق به وله وعليه ، يرفق : لَأَنْ جَانِبَهُ وَحَسَنَ صَنِيعُهُ .

(٥) باينونا بونا بعيداً : طاولونا وسبقونا في الفضل والروعة .

(٦) هو : أبو عبيدة بن الجراح ، عامر بن عبد الله بن الجراح ، صحابي جليل ، وأحد المشرة المبشرين بالجنة ، ولد بمكة سنة ٤٠ قبل الهجرة ، وتوفي في طاعون « عمواس » سنة ١٨ هـ . وذُفِنَ في غور بيسان .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤١٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٠] .

(٧) هكذا في « م » .. وتغض عينك ، أى : تحفضهما استحباء أو تولهما .. وفي « ط » : « ماتريد إلى أن تقصر عينك عليّ » وتقصر : تولم .. وفي رواية « تمصر » بالعين المهملة .

(٨) في « ط » : « أو شتا » ، أو « خطأ مطبعي . » واللبد : بساط من صوف أو شعر .. والشن : القُرْبَةُ الصغيرة .. والصحفه : إزاء من آتية الطعام .

(٩) الجودنة : السلَّةُ الصغيرة .

كِسْرَاتٍ^(١) . فَبَكَى عُمَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، قَدْ قُلْتَ لَكَ إِنَّكَ تُغْضُ^(٢) عَيْنَكَ عَلَيَّ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَكْفِيكَ مِنَ الدُّنْيَا^(٣) مَا بَلَغَكَ الْمَقِيلُ^(٤) . فَقَالَ عُمَرُ : غَرَّتْنَا الدُّنْيَا بَعْدَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .

وَقَالَ النَّخَعِيُّ^(٥) : بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُصَدِّقِينَ^(٦) ، فَأَبْطَلُوا عَلَيْهِ ، وَبِالنَّاسِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاءُوا بِالصَّدَقَاتِ ، فَقَامَ فِيهَا مُتَزِرًا بِعِبَاعَةٍ يَخْتَلِفُ فِي أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ، يَقُولُ : هَذِهِ لَالٌ فَلَانٍ ، وَهَذِهِ لَالٌ فَلَانٍ ، حَتَّى اتَّصَفَ النَّهَارُ وَجَاعٌ ، وَدَخَلَ بَيْتُهُ ، حَتَّى إِذَا أُمْنَكَنَ أَكَلُهُ^(٧) ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ^(٨) أُبْعِدَهُ اللَّهُ . وَقَالَ طَاوُوسٌ : أَجْدَبَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ عُمَرُ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَمَا أَكَلَ سَمْنَا وَلَا سَمِينًا حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ^(٩) : إِنَّ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَدِمَ الْكُوفَةَ وَهُوَ خَلِيفَةُ وَعَلَيْهِ

(١) في (م) : « كِسْرَاتٍ يَابِسَةٍ » وهى القِطْعُ المكسورة من الخبز .. مفردتها : كِسْرَةٌ .

(٢) في (ط) : « تَقْصُر » انظر الهامش رقم ٤٥ .

(٣) في (م) : « مِنَ الزَّادِ » .

(٤) الْمَقِيلُ : الموضع يُغْضَى فيه وقت القيلولة ، وهى الاستراحة نصف النهار ، والمراد هنا ألا يمسك أو يجزن من المال أو الطعام إلا قَلَّ حَاجَتُهُ في يومه .. وفى الحديث : « كَانَ لَا يَقْبَلُ مَالًا وَلَا يَبِيتُهُ » أى : كَانَ لَا يَمْسِكُ مِنَ الْمَالِ مَا جَاءَهُ صَبَاحًا إِلَى وَقْتِ الْقَائِلَةِ ، وَمَا جَاءَهُ مَسَاءً لَا يَمْسِكُهُ إِلَى الصَّبَاحِ .
[انظر لسان العرب ، مادة : قِيلَ]

(٥) هو : مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي ، المعروف بالأشتر ، أمير من كبار الشجعان ، كان رئيس قومه ، أدرك الجاهلية ، وأول ما عُرِفَ عنه أنه حضر خطبة « عمر » فى الجابية .. وسكن الكوفة ، وشهد البرموك ، وذهبت عينه فيها .. وكان يَمْنُ أَلْبَ عَلَى عِثَانَ وحضر حصاره فى المدينة ، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع عليٍّ ، وكان من أشدَّ أنصاره ، وولاهُ عليٌّ « مصر » ققصدها ، لكنه مات فى الطريق سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٥٩ ، والمعارف ص ١٩٦ ، ٥٨٦ ، ووفيات الأعيان ج ٧ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤١٢ - ٤١٤]

(٦) الْمُصَدِّقِينَ : الذين يأخذون الحقوق من الإبل والغنم .

(٧) أى : جَاعَهُ أَوْ تَبَسَّرَ لَهُ .

(٨) قوله : « النَّارِ » عن (م) « ولم ترد فى (ط) » .

(٩) هو : سعيد بن جبير ، أبو عبد الله ، الأسدى بالولاء ، الكوفى .. تابعى ، من أصل حبشى ، ولد سنة ٤٥ هـ وكان عالماً فذاً ، ورعاً ، تقياً ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر .. قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥ هـ ودُفِنَ بها .. قال ميمون بن مهران : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفقر إلى علمه . =

إِزَارَانِ قَطْرِيَّانِ ، قَدْ رَفَعَ إِزَارَهُ بِخِرْقَةٍ لَيْسَتْ بِقَطْرِيَّةٍ مِنْ وَرَائِهِ ، فَجَاءَهُ أُغْرَابِيٌّ فَنَظَرَ إِلَى
تِلْكَ الْخِرْقَةِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كُلُّ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ ، وَالنَّسِ ، وَارْكَبْ ، فَإِنَّكَ
مَيِّتٌ أَوْ مُقْتُولٌ . قَالَ : إِنَّ هَذَا ^(١) خَيْرٌ لِي فِي صَلَاحِي ، وَأَصْلَحُ لِقَلْبِي ، وَأَشْبَهُ بِسُنَّتِهِ ^(٢)
الصَّالِحِينَ قَبْلِي ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِي ^(٣) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) بَيْنَمَا هُوَ يَسُُّ ^(٥) فِي
الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تَحْمِلُ قَرْنَةً ، فَسَأَلَهَا ، فَذَكَرَتْ أَنَّ لَهَا عِيَالًا ،
وَأَنَّ لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ فَتَسْقِيهِمُ الْمَاءَ ، وَتُكَرِّهُ أَنْ تَخْرُجَ بِالنَّهَارِ ،
فَحَمَلَ عُمَرُ عَنْهَا الْقَرْنَةَ حَتَّى بَلَغَ مَنْزِلَهَا وَقَالَ : اغْدِي عَلَى عُمَرَ غُدْوَةً ^(٦) يُحْدِثُكَ
خَادِمًا ^(٧) . قَالَتْ : لَا أَصِلُ إِلَيْهِ . قَالَ : إِنَّكَ سَتَجِدِيَنَّهُ ^(٨) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَعَدَّتْ
عَلَيْهِ فَإِذَا هِيَ بِهِ ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الَّذِي حَمَلَ قَرْنَتَهَا ، فَذَهَبَتْ تَوَلَّى ، فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهَا ،
وَأَمَرَ لَهَا بِخَادِمٍ وَتَفَقَّهَ . وَلَمَّا حَجَّ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَمْ بَلَغَتْ تَفَقُّتُنَا يَا
يَرْفَأُ ^(٩) ؟ قَالَ : ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ دِينَارًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيَحَكَ ، أَجَحَفْنَا ^(١٠) بَيْنَ
مَالِ الْمُسْلِمِينَ !

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٣ ، وحلية الأولياء ج ٤ ص ٢٧٢ - ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٤
وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٦ - ٢٦٧ ، وطبقات الشيرازي
ص ٨٢ ، ٨٣ ، وانظر كتاب « الموعد الله » لخالد محمد خالد ص ١١٦ - ١١٨] .

(١) إشارة إلى الإزار .

(٢) في « ط » : « يشبه » .

(٣) في « م » : « يقتدى به من أتى بعدى » .

(٤) ما بين المقوفين عن « م » .

(٥) في « ط » : « بينا » وهي بمعنىاها . ويسُ : يطوف بالليل ليحرس الناس ويكشف أهل الريّة .

(٦) في « م » : « اغد » بدون ياء .. لاتصح .. والغُدْوَةُ : الغَدَّةُ .

(٧) أى : يأتك بخادم يخدمك .

(٨) في « ط » : « ستجديه » لاتصح .

(٩) يَرْفَأًا : مولى عمر .. وقد مرَّ .

(١٠) أَجَحَفَ : اشتدَّ في الإضرار به .

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ^(١) : لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ طَافَ بِكُورِهَا ^(٢) حَتَّى نَزَلَ حِمَصَ ^(٣) فَقَالَ : اكْتُبُوا إِلَيَّ فَقَرَاءَهُمْ . فَرَفَعُوا إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ ، وَإِذَا فِيهَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ^(٤) ، فَقَالَ : مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالُوا : أَمِيرُنَا ! فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ أَمِيرُكُمْ فَقِيرًا ؟ فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُمْسِكُ شَيْئًا ^(٥) ، فَبَكَى عُمَرُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا فِي حَاجَتِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَرْجِعُ ^(٦) ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَا لَكَ ^(٧) ؟ أَصَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ ^(٨) : أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ! أَتُنَيِّى الدُّنْيَا ، دَخَلْتَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٩) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنْ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ^(١٠) بَارِئِينَ عَامًا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حُبِسْتُ عَنِ الرُّعِيلِ الْأَوَّلِ ، وَأَنْ لِي بِهِ مَا طَلَعْتُ

(١) هو : شهر بن حوشب الأشعري ، فقيه قارئ ، من رجال الحديث ، شامي الأصل ، ولد سنة ٢٠ هـ وسكن العراق ، وكان يتربأ بزي الجند ، وولى بيت المال مدة .. وكان يسمع الغناء بالآلات ، وهو متروك الحديث .. توفي سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٧٨ ، والمعارف ص ٤٤٨ ، وثمار القلوب ص ١٦٩ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والضعفاء الكبير ج ٢ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٥] .
(٢) أى : بأصقاعها أو بمدينها وقراها .

(٣) فى « م » : « حمصاً » بالتثنية ، لاتصح .. وهى بلدة بين دمشق وحلب .. وقال سيويه : هى أعجمية ، ولذلك لم تنصرف .. وقال الجوهرى جنص : يَذْكُرُ ويؤنث .

[انظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٠٢ مادة « حمص » ولسان العرب - المادة نفسها] .

(٤) هو : سعيد بن عامر بن جذلم الجهمي القرشي ، صحابي ، من الولاة .. أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد فتح خيبر ومابعدا من المشاهد .. ولأه عمر إثرة « حمص » بعد افتتاح الشام ، وكان - رحمه الله - مشهوراً بالزهد ، وله فيه أخبار .. توفي بالشام سنة ٢٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٩٧ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ونسب قريش ص ٣٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ص ٣٩٨ ، ٣٩٩] .
(٥) أى : لا يَذْكُرُ شيئاً .

(٦) فى « م » : « فجعلت » تحريف .. ويسترجع ، أى : يقول : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .. والإنسان عادة يسترجع عندما تغلب به مصيبة ، والعياذ بالله .

(٧) قوله : « مالك ؟ » عن « ط » .

(٨) فى « م » : « فقال » .

(٩) فى « م » : « رسول الله » .

(١٠) فى « م » : « إن فقراء الجنة يدخلون قبل أغنيائها » .

عَلَيْهِ الشَّمْسُ ! قَالَتْ : فَاصْنَعْ فِيهِ مَا شِئْتَ . قَالَ : هَلْ عِنْدَكَ مَعُونَةٌ ^(١) ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَتَيْتُهُ بِخِمَارِهَا ، فَصَرَ الدُّنَانِيرَ فِيهَا صَرًّا ، ثُمَّ جَعَلَهَا فِي مِحْلَاةٍ ، وَبَاتَ يُصَلِّي وَيُكْبِي حَتَّى أَصْبَحَ ، فَأَغْرَضَ جَنِيحًا مِنْ جُبُوشِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) فَأَمْضَاهَا كُلَّهَا ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، لَوْ حَبَسْتَ مِنْهَا شَيْئًا نَسْتَعِينُ بِهِ ! فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَطْلَعَتِ ^(٤) امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتِ الْأَرْضَ مِنْ بَيْحِ الْمِسْكِ » وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا اخْتَارَكَ عَلَيْهِنَّ . فَسَكَتَتْ .

وَوَرَى أَنْ عُمَرَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٥) اسْتَعْمَلَ عَلَى حِمَصٍ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ ^(٦) فَلَمَّا مَضَتْ السَّنَةُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ عُمَرُ إِلَّا ^(٧) أَنْ قَدِمَ مَا شِئًا حَافِيًا ، مَعَهُ ^(٨) عُكَاظُهُ وَإِدَاوَتُهُ وَمِزْوَدَتُهُ وَقَصْعَتُهُ عَلَى ظَهْرِهِ ^(٩) ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ : يَا عُمَيْرُ ، أَتُحِبُّنَا أَمْ الْبِلَادُ بِلَادُ سُوءٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا تَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُجَهَرَ بِالسُّوءِ وَعَنْ سُوءِ الظَّنِّ ؟ وَمَا تَرَى مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَقَدْ جِئْتُكَ بِالْذُّنْيَا أُجْرُهَا بِقُرَابِهَا ^(١٠) ؟ فَقَالَ : وَمَا مَعَكَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : عُكَاظَةٌ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَذْفَعُ بِهَا عَدُوًّا

(١) أى : ماعون .

(٢) أُنْزِمَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَاحِدًا لِيُعْطِيَهُمُ الدُّنَانِيرَ .

(٣) فى « م » : رسول الله .

(٤) فى « م » : طلعت . وكلاهما بمعنى واحد ، أى : ظهرت أو نظرت .

(٥) مابين المعقوفين عن « ط » .

(٦) هو : عمر بن سعد بن عبيد الأوسى الأنصارى ، من فضلاء الصحابة ، ومن الولاة الزُّهَّاد ، شهد فخر الشام ، واستعمله عمر على « حمص » فأقام سنة ، ودعاه إلى المدينة ، فجاءها ، فأراد عمير إعادته ، فأبى .. وكان عمر يقول : وَوِدِدْتُ أَنْ لِي رَجُلًا مِثْلَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .. توفي رحمه الله - فى أيام عمر .. وقيل : عاش إلى خلافة معاوية نحو ٤٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٠]

(٧) سقطت « إلا » من « م » سهواً من الناسخ .

(٨) « معه » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٩) « المُكَازَّةُ » عصاً يتوكأ عليها .. والإداوة : إناء صغير يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ .. والمُزَوْدَةُ : وعاء الزاد . وسَتَائِي .

(١٠) فى الرحلية : « أُجْرُهَا بِقُرَابِهَا » والقُرَاب : صيوان من جلد يضع فيه المسافرين أدواته وزاده .

إِنْ لَقِيتُهُ ، وَمَزَوْدَى أُحْمِلُ فِيهِ طَعَامِي ، وَإِذَا وَتَيْ هَذِهِ أُحْمِلُ فِيهَا مَاءً لِشُرْبِي وَصَلَاتِي ،
وَقَصْعَتِي هَذِهِ أَتَوَضَّأُ فِيهَا وَأَغْسِلُ فِيهَا رَأْسِي وَأَكُلُ فِيهَا طَعَامِي ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا الدُّنْيَا بَعْدَ إِلَّا تَبِعَ ^(١) لِمَا مَعِيَ . قَالَ : فَقَامَ عُمَرُ مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَى بَكْرٍ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) اللَّهُمَّ الْحَقْنِي بِصَاحِبِيْ غَيْرِ مُفْتَضِّحٍ
وَلَا مُبْدِلٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي عَمَلِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ
الرُّقَّةَ مِنْ أَهْلِ الرُّقَّةِ ^(٣) وَالْإِبِلَ مِنْ أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَأَخَذْتُ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَنْ يَدِ ^(٤)
وَهُمْ صَاغِرُونَ ، ثُمَّ قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَوْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدِي أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَالَ عُمَرُ : عُدْ إِلَى عَمَلِكَ . فَقَالَ عُمَيْرُ :
أُشْهِدُكَ اللَّهُ أَنْ لَا تُرْدِيْنِي ^(٥) إِلَى عَمَلِي ، فَإِنِّي لَمْ أَسْلَمْ مِنْهُ ^(٦) حَتَّى قُلْتُ لِلذِّمِّيِّ : أَخْزَاكَ
اللَّهُ ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَخْصِمَنِي لَهُ مُحَمَّدٌ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٧) وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ^(٨)
يَقُولُ : « أَنَا حَاجِجُ الْمَظْلُومِ ، فَمَا حَاجَجْتُهُ حَاجَجْتُهُ » ^(٩) ، وَلَكِنْ أَتَدُنُّ لِي آتِي
أَهْلِي ^(١٠) . فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَتَى أَهْلَهُ ، فَبَعَثَ عُمَرُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ حُبَيْبٌ ^(١١) بِمِائَةِ دِينَارٍ ،
فَقَالَ : اثْبَتِ عُمَيْرًا فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ^(١٢) فَإِنْ يَكُ خَائِفًا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ فِي عَيْشِهِ وَحَالِ

(١) في « م » و « ط » : « ما الدنيا إلا تبعاً » بالنصب ، ولا تصح .. وفي الحلية : « ما الدنيا إلا تبع لماعى » .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) الرُّقَّةُ : الأرض المستوية السهلة ، والمراد أنه جبا ما عليها من خراج .

(٤) قوله : « من أهل الذمة » عن « ط » وسقطت من « م » ، وعن يد : عن انقياد وطاعة .

(٥) في « م » : « أن تردني » وسقطت منها « لا » سهواً من النسخ .. وفي الحلية : قال لعمر : « لا عملت لك
ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت » ، بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني : أي أخزأك الله .. فهذا ما عرضتني له يا عمر » .

[انظر الحلية ج ١ ص ٢٤٨]

(٦) في « م » : « ولم أسلم منه » . وحتى قلت ، أي : حين قلت .

(٧) ما بين المقوفين عن « ط » .. ويخصمني : يغلبني في الخصام .

(٨) في « م » : « فإني سمعته » .

(٩) حاججته : جادلته .. وحججته : غلبته بالحجة .

(١٠) أتى أهلي : أعود إلى منزلي .. وفي « ط » : « إلى مكان آتني » وسقطت جملة : « فأذن له » من « م » .

(١١) في « م » : « حبيب » بالخاء المعجمة في المواضع كلها .. وفي الحلية : « الحارث » .

(١٢) أي : تكون في ضيافته ثلاث ليالٍ .

أَهْلَ بَيْتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُ ^(١) خَلَاتًا لَمْ يَخُفْ عَلَيْكَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْمِائَةَ . فَأَتَاهُ خُبَيْبٌ فَتَزَلَّ بِهِ ^(٢) ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَرَ لَهُ غِيْشًا إِلَّا الشَّعِيرَ وَالزَّيْتَ ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثٌ ^(٣) قَالَ : يَا خُبَيْبُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْوَلَ إِلَى جِيرَانِنَا فَلَعَلَّ أَنْ يَكُونُوا أَوْسَعَ غِيْشًا مِنَّا ، أَمَا نَحْنُ ، فَوَاللَّهِ ^(٤) لَوْ كَانَ عِنْدَنَا غَيْرُ هَذَا لَأَثَرْنَاكَ بِهِ . قَالَ : فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِائَةَ وَقَالَ : بَعَثَ ^(٥) بِهَا إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعَا بِفَرَسٍ خَلِيقٍ ^(٦) لِأَمْرَاتِهِ فَصَرَّهَا الْخُمْسَةَ ، وَالسَّتَةَ ، وَالسَّبْعَةَ ، فَقَسَمَهَا ، فَقَدِمَ خُبَيْبٌ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَعَلْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَزْهَدِ النَّاسِ ، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الدُّنْيَا لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ ^(٧) عُمَرُ وَقَالَ : مَا صَنَعْتَ فِي الْمِائَةِ يَا عُمَيْرُ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي عَنْهَا . قَالَ : لِتُخْبِرَنِي . قَالَ : قَسَمْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَانِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : فَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقَى طَعَامٍ ^(٨) وَمَوْبِيْنٍ ، فَقَالَ ^(٩) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا التَّوْبَانِ فَأَقْبَلْ ، وَأَمَا الْوَسْقَانِ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، عِنْدَ أَهْلِي صَاعٌ مِنْ بُرٍّ ^(١٠) هُوَ كَافِيهِمْ حَتَّى أَرْجِعَ ^(١١) إِلَيْهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صَرَّ أَرْبَعِيَّةَ دِينَارٍ ، وَقَالَ لِعَلَّامِهِ ^(١٢) : اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَكَّا سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَرَى

(١) في (م) : « ديك » .

(٢) في (م) : « فترل عليه » .

(٣) في (م) : « ثلاثاً » بالنصب خطأ ، والصواب بالرفع .

(٤) قوله : « فوالله » عن « ط » ولم ترد في (م) .

(٥) في (م) : « قد بعث » .

(٦) خَلِيقٌ : بالهـ .

(٧) في (م) : « فبعث له » .

(٨) الْوَسْقُ : ستون صاعاً ، والصاع : خمسة أوتال وثلاث . والمراد هنا : جمل البعير أو نحوه .

(٩) في (ط) : « قال » .

(١٠) الْبُرُّ : القمح .

(١١) في (م) : « أعود » .

(١٢) في (ط) : « للعلام » .

مَا يَصْنَعُ . فَذَهَبَ بِهَا الْعَلَامُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ . قَالَ : وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَى يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ ، وَبِهِدِ الْخُمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ ، حَتَّى أَتُفَدَّهَا ^(١) ، وَرَجِعِ الْعَلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، وَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبِي بِهِدِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ^(٢) وَتِلْكَ فِي النَّبِيتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ فِيهَا ، فَذَهَبَ ^(٣) . بِهَا إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ لَكَ : اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَاجَتِكَ ، فَقَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَوَصَلَهُ ^(٤) ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، اذْهَبِي إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، وَإِلَى فُلَانٍ بِكَذَا ، فَقَالَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ : وَنَحْنُ وَاللَّهُ مَسَاكِينُ فَأَعْطِنَا ^(٥) ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْخُرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ ، فَرَمَى بِهِمَا إِلَيْهَا ^(٦) . فَرَجَعَ الْعَلَامُ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عُمَرَ ^(٧) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ .

* * *

(١) أَتُفَدَّهَا : أَفْضَاهَا .. وَفِي « م » : « أَتُفَدَّهَا » بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ : أَفْضَاهَا .

(٢) فِي « م » : « وَقَالَ : مُرِّبَا إِلَيْهِ » .

(٣) فِي « م » : « قَدِيمٌ » .

(٤) وَوَصَلَهُ : أَحْسَنَ إِلَيْهِ .. وَفِي « ط » : « وَوَصَلَهُ » أَيْ : أَبْلَغَهُ مَا يَأْمُلُ .

(٥) فِي « م » : « فَأَعْطِنَا » بِإِثْنَاتِ الْإِيَاءِ .. لَا تَصِحُّ .

(٦) فِي « م » : « فَدَحَا » مَكَانَ « فَرَمَى » وَهِيَ بِمَعْنَى : دَفَعَ .. وَ « إِلَيْهَا » مَكَانَ « إِلَيْهَا » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي « م » : « فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ » .

البَابُ الْمُوفَى خَمْسِينَ

فِي سِيرَةِ السُّلْطَانِ فِي تَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ

وَقَرْضِ الْأَرْزَاقِ وَسِيرَةِ الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْسَدَكَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) - أَنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الدَّوَاوِينَ وَقَرَضَ الْأَرْزَاقَ ^(٢) - عَلَى مَا رَوَى ^(٣) - عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّى أُجْرِيَ عَلَى الْعَامَةِ شَيْئًا وَاحِدًا ، ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَرَضَ لِلْعِيَالِ مِائَةً دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الْعَطَاءِ ، وَلَا يُفَضِّلُ أَهْلَ السَّابِقَةِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا عَمِلُوا لِلَّهِ ، فَأَجُورُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْخُذُهُ ^(٥) الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَلَيْسَ ثَمَنًا لِأَعْمَالِهِمْ .

(١) فِي د م : : د اعلما - ربحكم الله .

(٢) فِي د ط : : د وأخرى الألفية ، وهي بمعناها .

(٣) فِي د م : : د ما رأى .

(٤) فِي د م : : د أبو بكر الصديق .

(٥) فِي د ط : : د يأكله .

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولَ اللَّهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عُمَرُ
الْأَرْزَاقَ إِلَّا فِي وَلَايَةِ عَمَّارٍ ^(١) ، فَأَجْرَى عَلَى عَمَّارٍ سِتْمِائَةَ دِرْهَمٍ ، مَعَ عَطَائِهِ لِوَلَاتِيهِ ،
وَكُتَابِهِ ، وَمُؤَذِّنِيهِ ^(٢) ، وَمَنْ كَانَ يَلِي مَعَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَمَّا بَعَثَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ عُثْمَانُ بْنُ
حُنَيْفٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ ^(٣) إِلَى الْعِرَاقِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِصْفَ شَاةٍ وَرَأْسَهَا
وَجِلْدَهَا وَأَكَارِعَهَا ^(٤) ، وَنِصْفَ جَرِيْبٍ كُلِّ يَوْمٍ ^(٥) ، وَأَجْرَى عَلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رُبْعَ
شَاةٍ وَخَمْسَةَ دِرْهَمٍ كُلِّ يَوْمٍ مَعَ عَطَائِهِ ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، وَأَجْرَى
عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُبْعَ شَاةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَجْرَى عَلَى
شُرَيْحِ الْقَاضِي ^(٦) مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَعَشْرَةَ أُجْرِيَّةٍ ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ عَمَّارًا عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ
كَانَ عَلَى الصَّلَاةِ .

(١) هو : عمار بن ياسر بن عامر الكنانى المدحجى ، أبو اليقظان ، صحابى جليل ، وأحد السابقين إلى الإسلام ..
شهد بدرًا ، وأُحْمِدًا والخندق ، وبيعة الرضوان ، وغيرها .. وكان من الولاة الشجعان ذوى الرأى ، ولأه عمر الكوفة ،
فأقام زمانًا وعزله عنها . وشهد الجمل وصفين مع عليٍّ ، رضى الله عنه ، وقتل في صفين سنة ٣٧ هـ وعمره ثلاث
وتسعون سنة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٣٦ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ١٢٩ - ١٣٥ ، والمحرر ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، وحلية الأولياء
ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٣ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٤ ، والمعارف ص ٢٥٦ - ٢٥٨] .
(٢) في « م » : « ومؤذنه » تحريف .

(٣) ابن مسعود هو : الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل .. وقد مرَّ التعريف به .. أمَّا عثمان فهو : عثمان
ابن حُنَيْفٍ بن وهب الأنصارى ، الأوسى ، أبو عمرو ، صحابى ، من الولاة ، شهد أُحْمَدًا وما بعدها .. وولاه عمر
على سواد العراق ، ثم ولَّاه على البصرة . وسكن الكوفة ، وتولى سنة ٤١ هـ فى خلافة معاوية .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٠٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٧٧ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٧ وما بعدها] .

(٤) الأكرار : جمع كُراع ، وهو من البقر والغنم ما دون الركبة إلى الكعب ..
(٥) في « م » : « فى كل يوم » . والجريب : مكبال قدره أربعة أَقْفَرَةٍ ، والقفيز : مكبال يختلف مقداره فى البلاد ،
ويحادل بالتقدير المصرى الحديث نحو ستة عشر كيلو جرامًا .

(٦) هو : شرح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، أبو أمية ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام ..
وأصله من اليمن ، وولى قضاء الكوفة فى زمن عمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، ومعاوية .. وكان ثقة فى الحديث ، مأمونًا فى
القضاء ، وله باع فى الأدب والشعر ، وعُثِرَ طويلاً ، ومات بالكوفة عن ١٢٠ سنة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٦١ ، والمعارف ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، وحلية
الأولياء ج ٤ ص ١٣٢ - ١٤١ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٣١ - ١٤٥ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٠ -
٤٦٣ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٠ ، ٨١ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٩] .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ لَا يَفْرِضُ لِصَغِيرٍ رَضِيعٍ ، فَإِذَا فُطِمَ فَرَضَ لَهُ ، فَمَرٌّ مِنَ اللَّيْلِ وَصَبِيٌّ يَتَكَبَّرُ يَنْفِي الرِّضَاعَ ، وَأُمُّهُ لَا تُرَضِعُهُ ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : ارْضِعِيهِ . قَالَتْ : إِذَا لَا يَفْرِضُ لَهُ عُمَرُ . قَالَ : بَلَى هُوَ يَفْرِضُ لَهُ . ثُمَّ فَرَضَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَوْلُودِ مِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ ^(١) : وَفَرَضَ عُمَرُ لِلْعِيَالِ ، لِكُلِّ عَيْلٍ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى جَرِيئِينَ مِنْ بَرٍّ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَقِسْطَيْنِ ^(٢) مِنْ زَيْتٍ ، وَقِسْطًا مِنْ خَلٍّ ^(٣) ، وَمِائَةَ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، قَالَ : وَالْجَرِيبُ قَفِيزٌ بِالْقُرْطُوبِيِّ ، وَالْقِسْطُ قَدْرُ ثُمْنِ رُبْعِ الزَّيْتِ بِالْقُرْطُوبِيِّ .

قَالَ الْحَسَنُ : وَكَانَ عَطَاءُ سَلَمَانَ ^(٤) خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَكَانَ عَلَى زُهَاءٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ^(٥) مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ يَحْطُبُ النَّاسَ ^(٦) فِي عَبَاةٍ يَلْبَسُ نِصْفَهَا وَيَقْتَرِشُ نِصْفَهَا ، فَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ يَسْفُ الْخُوصَ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ^(٧) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَدِيمٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) وَقَدْ مِنْ الْبَصَرَةِ مَعَ

(١) هكذا في « م » .. ولعله محمد بن حبيب بن أمية ، الهاشمي بالولاء ، وهو من موالى بنى العباس ، وعُلمةً بالنسب والأخبار واللغة والشعر ، وله العديد من المصنفات والتأليف ، أشهرها « المهر » وكتبه صحيحة .. ولد في بغداد وتوفي بسرٍّ من رأى سنة ٢٤٥ هـ .. وفي « ط » : « قال ابن جيلة » وربما كان هذا القول له أيضاً ، فابن جيلة (عبد الله بن حيّان الكنانى ، المتوفى سنة ٢١٩ هـ) فقيه ، وإمام من أهل الكوفة ، وله عدة مصنفات ، منها : « الرجال » و « النوادر » و « الصفة في الفية » وغيرها .

[انظر ابن حبيب في الأعلام ج ٦ ص ٧٨ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والمهر ص ٥٠٦ - ٥٢٠ .. وانظر ابن جيلة في الأعلام ج ٤ ص ٧٦ ، وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ، الباب الثامن عشر ص ١٧٢ - ١٧٤] .

(٢) النِّيل : أهل بيت الرجل الذين يَتَّفَقُ عليهم .. والقِسْط : المقدار ، أو الحصة والنصيب .

(٣) في « م » : « عَيْلٍ » تحريف .

(٤) هو الصحابيُّ الجليل سلمان سَلَمَانَ الفارسي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٥) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « ثمانين ألف » هكذا . خطأ .. وما ورد في « م » مطابق لما ورد في طبقات ابن سعد عن الحسن بنه .

[انظر المصدر السابق ج ٤ ص ٨٧] .

(٦) في « م » : « للناس » وكلاهما صواب .

(٧) أَمْضَاهُ : قَرَّه . وَسَفُ الْخُوصَ : ينسجه بأصابعه . وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ ، أى : مما ينسجه من خُصِيٍّ ومكائل .

(٨) ما بين المعقوطين عن « م » .

أَبَى مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : فَكُنَّا نَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ ^(١) خُبْزٌ ثَلَاثٌ ، قَرِيبًا
وَأَقْفَاهَا مَادُومَةٌ يَسْمَنُ ، وَأُخْيَانًا يَزِينُ ، وَأُخْيَانًا بِلَبَنِ ^(٢) ، وَرُبَّمَا وَأَقْفَا الْقَدِيدَ الْيَاسِ
قَدْ دُقَ ، ثُمَّ أُغْلِيَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ ، وَرُبَّمَا وَأَقْفَا اللَّحْمَ الْغَرِيضَ ^(٣) ، وَهُوَ قَلِيلٌ ، فَقَالَ لَهُمْ
يَوْمًا : إِنِّي أَرَى - وَاللَّهِ - تَقْدِيرَكُمْ وَكَرَاهِيَتَكُمْ ^(٤) لِبَطْعَامِي ، فَإِنِّي لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ
أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا ، وَأَرْفَقَكُمْ عَيْشًا ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَجْهَلُ كَرَائِرَ وَأَسْنِمَةً ، وَأَعَزُّفُ صِلَاءً ،
وَصَنَابًا وَصَلَاتِي ^(٥) قَالَ : وَالصَّلَاءُ : الشَّوَاءُ ^(٦) ، وَالصَّنَابُ : الْخُرْدُلُ ، وَالصَّلَاتِي :
الْخُبْزُ الرَّقَاقُ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى عِيرَ أَقْوَامًا بِأَمْرِ فَعَلُوهُ ، فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ ^(٧) . فَكَلَّمَنَا أَبُو مُوسَى ^(٨) فَقَالَ : لَوْ كَلَّمْتُمْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَفَرَضَ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ طَعَامًا فَكَلَّمْتُمُوهُ ، [فَكَلَّمْنَاهُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
الْأُمَرَاءَ ، هَلْ تَرْضَوْنَ لِأَنْفُسِكُمْ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟] ^(٩) فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ
الْمَدِينَةَ أَرْضٌ ^(١٠) أَلْعِيْشُ بِهَا شَدِيدٌ ، وَلَا تَرَى طَعَامًا ^(١١) يُعْنِينَا ، وَلَا يُؤْكَلُ طَعَامُكَ ،
وَأَنَا بِأَرْضِ ذَاتِ رَيْفٍ ، وَإِنَّ أَمِيرَنَا يُعْنِينَا ، وَإِنَّ طَعَامَهُ يُؤْكَلُ . قَالَ : فَتَطَّرَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ

(١) في م : : في كل يوم .

(٢) في ط : : بِاللَّبَنِ .

(٣) الغريضة : الطيرى .

(٤) وكرهيتكم : عن ط .

(٥) الكرائير : جمع كراكر ، وهى صنف كل ذى خُفٍّ .. والأسنمة : جمع سنام ، وهى تكلل من الشحم مُحَدَّبَةٌ
على ظهر البعير والناقة . والصناب : طعام يؤتد به من الخردل والزيت .. أما الصلاتى فهى جمع صليق ، وهو اللحم
النضيج المشوى ، والخبز الرقيق .

(٦) في م : : الشوى .

(٧) في م : و ط : : واستمتعتم بها ، خطأ .. والصواب ما أثبتناه .. انظر سورة الأحقاف - الآية ٢٠ .

(٨) في م : : وكلمنا أبو موسى الأشعرى .

(٩) ما بين المعنوفين عن ط : ولم يرد في م .

(١٠) في م : : بَلَدٌ .

(١١) في ط : : طعامك .

رَأْسُهُ فَقَالَ ^(١) : قَدْ قَرَضْتُ لَكُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ شَاتَيْنِ وَجَرِيَّتَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ بِالْعَدَاةِ فَضِغٌ ^(٢) إِحْدَى الشَّاتَيْنِ عَلَى أَحَدِ ^(٣) الْجَرِيَّتَيْنِ وَكُلُّ أُتٍّ وَأَصْحَابِكَ ، ثُمَّ أَدْعُ بِشَرَابٍ ، ثُمَّ اسْقِ الْإِذَى عَنْ يَمِينِكَ ، ثُمَّ اسْقِ الْإِذَى عَنْ شِمَالِكَ ، ثُمَّ قُمْ لِحَاجَتِكَ ، وَإِذَا ^(٤) كَانَ الْعِشَاءُ ^(٥) فَضِغِ الشَّاةَ الْغَائِرَةَ ^(٦) عَلَى الْجَرِيْبِ الْآخَرِ ، فَكُلْ أُتٍّ وَأَصْحَابِكَ ، أَلَا وَأَوْسِعُوا النَّاسَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَأَطْعِمُوا عِيَالَهُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رُسْتَاقًا ^(٧) يُؤَخِّدُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ شَاتَانِ وَجَرِيَّتَانِ إِلَّا يُسْرِعَانِ فِي خَرَابِهِ . وَكَانَ عُمَرُ ^(٨) قَدْ أَطْعَمَ جَرِيَّتَيْنِ بِالْخَلِّ وَالزَّيْتِ لِلثَّلَاثِينَ رَجُلًا فَكَفَاهُمْ ، فَأَجْرَاهُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِمَّنْ كَانَ فِي الدِّيَوَانِ مَكَانَ مَا كَانَتْ فَارِسٌ تُجْرِيهِ عَلَى خُمُولِهِمْ وَأَسَاوِيرِهِمْ ^(٩) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ ^(١٠) : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَبَا الْعِيَالِ ، يُسَلِّمُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَيَقُولُ : أَلَكُنْ حَاجَةٌ ؟ وَأَيُّكُمْ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا ؟ فَيُرْسِلُنَ مَعَهُ بِحَوَالِجِهِمْ ، وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ اشْتَرَى لَهَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ

(١) في (م) : « وقال » .

(٢) كان حق السياق أن يقال : « فضموا » ولكن الكلام هنا موجه إلى أبي موسى الأشعري وحده .

(٣) في (م) و (ط) : « إحدى » وهذا جائز على تأنيث « الجريب » بمعنى « الكيلة » أو المزرعة .. وما أثبتناه أوجه .

(٤) في (م) : « فإذا » .

(٥) العشاء ، بكسر العين المهملة : وقت العشي . وبفتحها : طعام العشي .

(٦) الغائرة : الباقية .

(٧) الرُستاق ، أو الرُزداق : لفظة معربة وتُطلق على الناحية أو الموضع الذي فيه مُزْدَرَج وقرى ، أو بيوت مجتمعة .

(٨) في (م) : « عمر بن الخطاب » .

(٩) الأساور : القُرود من الفُرسان .

(١٠) هو : سعيد بن المسيب . بن حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الْخَزُومِي ، الْقُرَشِيُّ ، أَبُو مُحَمَّدٍ ، سَيِّدُ التَّابِعِينَ ، وَأَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ، وَكَانَ يَمِشُ مِنَ التِّجَارَةِ وَالزَّيْتِ ، وَلَا يَأْخُذُ عَطَاءً ، كَانَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِأَحْكَامِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَقْضَيْتِهِ حَتَّى سَمَّى رُلُوبَةَ عَمْرٍ .. وَتَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٩٤ هـ .
ومولده سنة ١٣ هـ .

مِنْ بَعْضِ الثُّغُورِ يَتَّبِعُهُنَّ بِنَفْسِهِ فِي مَنَازِلِهِنَّ يَكْتُبُ أَزْوَاجَهُنَّ وَيَقُولُ : أَزْوَاجُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأَنْتُنَّ فِي بَلَدٍ ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَنْ يَقْرَأُ وَلَا فَاقرئين مِنَ الْأَبْوَابِ حَتَّى أَقْرَأَ لَكُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ : الرَّسُولُ يَخْرُجُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، فَاتَّكِبْنَ حَتَّى تَبْعَثَ بِكُتُبِكُنَّ ، ثُمَّ يَلْتَوِرُ عَلَيْهِنَّ بِالْقَرَّاطِيسِ وَالذَّوَاةِ يَقُولُ : هَذِهِ ذَوَاةٌ وَفَرَطَاسٌ ، فَاذْنِبْنَ مِنَ الْأَبْوَابِ ^(٢) حَتَّى أَكْتُبَ لَكُمْ ، وَيَمُرُّ إِلَى الْمُغِيَّاتِ ^(٣) فَيَأْخُذُ كُتُبَهُنَّ فَيَبْعَثُ بِهَا ^(٤) إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ .

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ ^(٥) : كُنْتُ عَامِلًا لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ هُوَ وَعَمَّالُهُ ، وَأَنْ يَسْتَحْلِفُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُ يَرْفَأَ ، فَقُلْتُ : يَا « يَرْفَأُ » مُسْتَرْشِدٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، أَيْ الْهَيْمَاتِ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَى فِيهَا عَمَّالَهُ ؟ فَأَوْثَمًا إِلَى الْخُشُوعِ ، فَاتَّخَذْتُ خُفَيْنِ مُطَارَقَيْنِ ^(٦) ، وَلَيْسْتُ جُبَّةَ صُورٍ ، وَلَيْسْتُ عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي ، فَدَخَلْنَا عَلَى عُمَرَ فَصَفَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ ^(٧) فَلَمْ تَأْخُذْ عَيْنُهُ غَيْرِي ، فَدَعَانِي فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ . قَالَ : وَمَا تَعْتَلِي مِنْ أَعْمَالِنَا ؟ قُلْتُ : الْبَحْرَيْنِ .

= أما أبو سلمة ، فهو : الفقيه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . وقد مر التعريف به .
[انظر ترجمة سعيد بن المسيب في الأعلام ج ٣ ص ١٠٢ ، وطبقات الشيرازي ص ٣٩ ، ٤٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ١١٩ - ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٥ - ٣٧٨ ، وحلية الأولياء ج ٢ ص ١٦١ - ١٧٥ ، والمعارف ص ٤٣٧ ، ٤٣٨] .

(١) في (ط) : بلاد .

(٢) في (م) : الباب .

(٣) الْمُغِيَّاتِ : النساء اللاتي غاب عنهن أزواجهن . جمع مُغِيٍّ .

(٤) في (م) : ويصحب بين أي : الرسائل .

(٥) هو : الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ، من بني الديان ، أمير فاتح ، أدرك عصر النبوة ، وولي البحرين ، وقدم المدينة في أيام عمر ، وولاه عبد الله بن عامر « سجستان » سنة ٢٩ هـ ففتحت على يديه . وله مع عمر بن الخطاب أخبار ، وكان - رحمه الله - شجاعاً تقياً .. وتوفي سنة ٥٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤ ، والمعارف ص ٤٤١] .

(٦) مُطَارَقَيْنِ : مَخْصُوفَيْنِ .

(٧) فَصَعَّدَ فِينَا وَصُوبَ : نظر فينا إلى أعلى وأسفل يتأملنا .

قَالَ : وَكَمْ تُرْزَقُ ؟ قُلْتُ : أَلْفًا . قَالَ : كَثِيرٌ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ^(١) ؟ قُلْتُ : أَتَقَرُّ بِهَا شَيْئًا وَأَعُوذُ عَلَى أَقَارِبِ لِي ، فَمَا فَضَّلَ عَنْهُمْ ^(٢) فَعَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ، ارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى مُوْضِعِي مِنَ الصَّفِّ ، فَصَعَّدَ فِينَا وَصَوَّبَ ، فَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ إِلَّا عَلَيَّ ، فَدَعَانِي فَقَالَ : كَمْ سِتُّكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالَ : الْآنَ حِينَ اسْتَكْمَلْتَ ^(٣) . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ ، وَأَصْحَابِي حَدِيثُو عَهْدٍ يَلِينُ الْعَيْشِ ، وَقَدْ تَجَوَّعْنَا ^(٤) لَهُ ، فَأَتَى بِخُبْزٍ وَأَعْصَاءٍ بَعِيرٍ ، فَجَعَلَ أَصْحَابِي يَمَافُونَ ذَلِكَ ^(٥) ، وَجَعَلْتُ آكُلُ ، وَجَعَلْتُ ^(٦) أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَلْحَظُنِي مِنْ بَيْنِهِمْ ، ثُمَّ سَبَقَتْ مِنِّي كَلِمَةٌ تَمَيَّيْتُ أَنِّي سُبَحْتُ ^(٧) فِي الْأَرْضِ وَلَمْ أَقْلَهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سَلَامَتِكَ ، فَلَوْ عَمَدْتُ ^(٨) إِلَى طَعَامِ الْإِنِّ مِنْ هَذَا ! فَزَجَرَنِي ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ قُلْتُ ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ تَنْظُرُ إِلَى قُوَّتِكَ مِنَ الطُّحِينَ أَنْ يُخْبِرَ لَكَ قَبْلَ إِرَادَتِكَ إِيَّاهُ بَيِّنٌ ، وَيُطْمِئِنُّ لَكَ اللَّحْمُ كَذَا ، فَتَوَثَّى ^(٩) بِالْخُبْزِ لَيْتًا ، وَبِاللَّحْمِ غَرِيضًا ^(١٠) . فَسَكَرَ غَيْظُهُ ثُمَّ قَالَ : هَاهُنَا رُغْتُ ^(١١) ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ ^(١٢) : يَا رَبِيعُ : إِنَّا لَوْ شِئْنَا لَمَلَأْنَا هَذِهِ الرُّحَابَ مِنْ صَلَاقٍ وَسَنَابِكٍ ، يَعْنِي خُبْزَ الْحَوَارَى ^(١٣) ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى غَابَ عَلَى قَوْمٍ شَهَوَاتِهِمْ فَقَالَ : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ

(١) فِي « م » : قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ بِهَا ؟ .

(٢) فَضَّلَ عَنْهُمْ : زَادَ عَلَى الْحَاجَةِ .

(٣) فِي « م » : اسْتَحْكَمْتُ .

(٤) تَجَوَّعْنَا : تَمَعَّدْنَا الْجُوعَ .

(٥) يَمَافُونَ ذَلِكَ ، أَيْ : كَرِهُوا ذَلِكَ الطَّعَامَ وَتَرَكُوهُ .

(٦) فِي « م » : ثُمَّ جَعَلْتُ .

(٧) سُبَحْتُ : غَضَبْتُ .

(٨) عَمَدْتُ : قَصَدْتُ .

(٩) فِي « م » : فَيَوَثَّى .

(١٠) غَرِيضًا : طَرِيًّا طَلَازِجًا .

(١١) هَاهُنَا رُغْتُ ؟ أَيْ : آلَانَ كَقَفْتُ ، وَأَنْهَيْتُ كَلَامَكَ ؟ .

(١٢) فِي « م » : فَقَالَ .

(١٣) الْحَوَارَى : الدَّقِيقُ الْأَيْضُ ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ مَاخُورٍ مِنْ طَعَامٍ ، أَيْ : يُبَيِّنُ .

بِهَا ١. ثُمَّ أَمَرَ أَبَا مُوسَى بِإِقْرَارِي عَلَى عَمَلِي ، وَأَنْ يَسْتَبْدِلَ بِأَصْحَابِي .

وَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ ^(١) : دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ^(٢) ، وَكَانَ عَلَى أَهْلِ حِمْنٍ ، فَقَالَ : عَلَامَ يُجِئُكَ أَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُجِئُهُمْ فَأَحْبُونِي . قَالَ : مَا لَكَ الْيَوْمَ ^(٣) ؟ قُلْتُ : عُبَيْدِي ، وَلَرَسِي ، وَبَعْلِي ^(٤) وَخَادِمِي . قَالَ : فَمَاذَا تَلْبَسُ فِي الشِّتَاءِ ؟ قُلْتُ : عَصَابَةً أَشَدُّ بِهَا رَأْسِي ، وَجُبَّةٌ وَكِسَاءٌ . قَالَ : فَمَا تَلْبَسُ فِي الصَّيْفِ ؟ قُلْتُ : قَبِيصًا وَرِبْعَةً ^(٥) . فَأَعْطَانِي عُمَرُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقَالَ : اخْذْهَا وَاسْتَنْفِقْ ^(٦) مِنْهَا ، وَأَعْطِ مِنْهَا . قُلْتُ : لَا أَرْبَ لِي فِيهَا ، وَسَتَجِدُ مَنْ هُوَ أَخْوَجُ إِلَيْهَا مِنِّي ، قَالَ : اخْذْهَا ، فَإِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَفَعَ إِلَيَّ مَالًا وَهُوَ دُونَ الَّذِي أُعْطَيْتُكَ فَقُلْتُ لَهُ كَمَا قُلْتُ لِي ، فَقَالَ لِي ^(٨) : يَا عُمَرُ ، مَا أَتَاكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ عَطَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِضَ لَهُ أَوْ تَشْرَفَ ^(٩) لَهُ نَفْسُكَ فَاقْبَلْهُ . فَأَخَذَهُ فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِي ، فَقَالَ : أَتَرَيْنِ رَجُلًا لَهُ هَذَا ، مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ هُوَ أُمُّ ^(١٠) مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ؟ فَقَالَتْ : بَلْ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ . فَقَسَمَهَا حَتَّى ^(١١) يَبْقَيْتَ مِنْهَا صَرَّةً ، أَطْنُ فِيهَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا ^(١٢) أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ ، أَلَيْسَ لِي أَنَا حَقٌّ ؟ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا ^(١٣) .

(١) « واستمتع بها » لم ترد في « م » . والآية سبق تحريفها .

(٢) هو : قَبِيصَةُ بْنُ ذُؤَيْبٍ الْحَزَائِيُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، صَحَابِيٌّ ، وَمِنْ وَجْهِهِ الْفَقْهَاءُ ، وَلَدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ كَانَ عَلَى خَاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالشَّامِ . وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٨٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، والمعارف ص ٤٤٧] .

(٣) في « م » : « عبد الله بن سعيد » . لم أقف عليه .

(٤) اليوم : عن « م » .

(٥) في « ط » : « وبعل » بالعين المهملة ، أَيْ : وَزَوْجِي .

(٦) الرِّبْعَةُ : كُلُّ ثَوْبٍ لِيْنٍ رَفِيقٍ .

(٧) اسْتَنْفَقَ : أَتَّفَقَ .

(٨) في « ط » : « فقال : يا عمر » .

(٩) تَشْرَفَ لَهُ : تَطَّلَعَ إِلَيْهِ .

(١٠) في « م » : « أو » ، مَكَانَ « أُمُّ » .

(١١) في « م » : « حين » ، مَكَانَ « حَتَّى » تحريف .

(١٢) « دينارًا » عن « م » .

(١٣) في « ط » : « إِيَّاهَا » .

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَبِيبَةَ ^(١) بَيْنَا نَحْنُ بِمُحْطَاصِرَةٍ ^(٢) إِذَا بِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ عَنْ دَارِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَرْشَدَنَا هَا إِلَى الدَّارِ ، فَارْت ^(٣) دَارًا مُتَهَشِّمَةً ، فَقَالَتْ لِحَيَّاطٍ
 هُنَاكَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى فَاطِمَةَ امْرَأَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : فَادْخُلِي ^(٤) وَصَوِّتِي
 بِهَا ، فَإِنَّا نَأْذُنُ لَكَ . فَدَخَلَتْ ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْ مَا هُنَاكَ ^(٥) قَالَتْ : جِئْتُ أُرْمُ فَقْرِي مِنْ
 بَيْتِ الْفُقَرَاءِ ، وَإِذَا رَجُلٌ ^(٦) يَعْمَلُ فِي الطِّينِ ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : هُوَ
 ذَاكَ ^(٧) يَعْمَلُ فِي الطِّينِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ زَوْجِي وَكَرَّكَ لِي ثَمَانِي
 بَنَاتٍ ^(٨) . فَبَكَى عُمَرُ بُكَاءً شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَا تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ : تُفْرِضُ لَهُنَّ ،
 قَالَ : تُفْرِضُ لِلْكُبْرَى ، مَا اسْمُهَا ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . قَالَ :
 مَا اسْمُ الثَّانِيَةِ ؟ قَالَتْ : فُلَانَةُ . فَكَتَبَهَا ، فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٩) ، حَتَّى كَتَبَ السَّابِعَةَ ،
 فَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَطَرَحَ الْقَلَمَ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ لَهَا : أَمَا أَتُكِّ لَوْ
 وَلَيْتَ الْحَمْدُ أَهْلَهُ ^(١٠) لَا لِمَمَّنَّاهُنَّ لَكَ ، مُرِيَ السَّبْعَ فَلْيُؤَاسِسِنَّ الثَّامِنَةَ ^(١١) .

* * *

(١) هكذا في (م) .. وفي « ط » : « زهاد بن حيرة » خطأ . وهو : رَجَاءُ بْنُ حَبِيبَةَ بن جَزُول الكندي ، شيخ
 أهل الشام ، وكان ملازمًا لعمر بن عبد العزيز ، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر .. وقد
 أشرنا إلى ذلك من قبل .

(٢) مُحْطَاصِرَةٌ : بَلْكَدَةٌ من أعمال « حلب » تحاذي « قنسرين » نحو البادية .

(٣) في (م) : « فرأى » تحريف .

(٤) في (م) : « فقال : ادخلي » .. وصَوِّتِي بِهَا ، أَيْ : نادِ بِهَا .

(٥) في (م) : « هنالك » .

(٦) في (م) : « يَرْجُلٌ » .

(٧) في « ط » : « ذلك » .

(٨) في « ط » و « م » أيضا : « ثمان » بدلون الباء ، والمعروف أن « الثمانية » إذا أُضِفَتْ إلى مؤنث تثبت الباء فيها
 ثبوتهما في « القاضى » وتُعرَّبُ إعراب المفعول . تقول : جاء ثمانى نسوة ، ورأيت ثمانى نسوة .

[انظر - المصباح اللير - مادة ثَمَن] .

(٩) قوله : « فقالت : الحمد لله » عن « ط » .

(١٠) في (م) : « لأخيه » .

(١١) لى « ط » : « هذه الثامنة » .

البَابُ الحَادِي وَالْخَمْسُونَ

فِي أَحْكَامِ أَهْلِ الدِّمَةِ

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ ^(١) قَالَ : كَتَبْنَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ صَلَّحَ نَصَارَى أَهْلِ الشَّامِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا : إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذُرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا ^(٢) . وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُحَدِّثَ فِي مَدَائِنِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دَبْرًا وَلَا كَيْبَسَةً وَلَا قَلِيَّةً ^(٣) وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا عَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا مَا كَانَ مُحْتَطًّا مِنْهَا ^(٤) فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَأَنْ نُوَسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ، وَأَنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، نَطْعِمُهُمْ ، وَلَا نَأْوِي فِي كَنَائِسِنَا وَلَا فِي مَنَازِلِنَا جَاسُوسًا ، وَلَا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُعَلِّمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ ، وَلَا نُظْهِرَ شَرْعَنَا ، وَلَا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا ، وَلَا نَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فِي

(١) هو : عبد الرحمن بن غنم الأشرى ، رأس التابعين وشيخ أهل فلسطين ، وقيه الشام في عصره ، ولد في حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان من أصحاب معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها .. وكان - رحمه الله - عالمًا كبير القدر .. وتوفي سنة ٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٣٢٢ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥١] .

(٢) في « م » : « وَأَمْوَالِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا » .

(٣) قَلِيَّةٌ : صَوْمَعَةٌ .

(٤) في « م » : « وَلَا مَا كَانَ مِنْهَا » .

الإسلام إن أرادَهُ ، وَأَنْ تُوقِرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُقَوِّمَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ ، وَلَا تَشْتَبِهَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : مِنْ ^(١) قَلَنْسَوَةٍ ، وَلَا عِمَامَةٍ ، وَلَا نَعْلَيْنِ ، وَلَا فَرْقِ شَعْرِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامِهِمْ ، وَلَا تَتَكُنَّى بِكُنَاهُمْ ، وَلَا تَرْكَبْ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا تَقْلُدَ ^(٢) بِالسُّيُوفِ ، وَلَا تَتَّخِذَ شَيْئًا مِنَ السَّلَاحِ ، وَلَا نَحْمِلَهُ مَعًا ، وَلَا تَتَّقَشَ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَلَا تَبِيعَ الْخُمُورَ ، وَأَنْ نَحْزِرَ مَقَادِمَ رُعُوسِنَا ، وَنَلْزِمَ زِينَتَنَا حَيْثُمَا كُنَّا ، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَائِرَ ^(٣) عَلَى أَوْسَاطِنَا ، وَلَا نُظْهِرَ صُلْبَانَنَا وَكُتُبَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ ^(٤) الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا أُسُوفِهِمْ ، وَلَا نُضْرِبَ تَوَاقِسَنَا فِي كَنَائِسِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا ، وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا بِالْفِرَاوَةِ فِي كَنَائِسِنَا فِي شَيْءٍ مِنْ حَضَرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نُخْرِجَ شَعَائِنَنَا وَلَا بَاعُوثَنَا ^(٥) ، وَلَا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا ، وَلَا نُظْهِرَ التَّيْرَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أُسُوفِهِمْ ، وَلَا نُجَاوِرُهُمْ بِمَوْتَانَا ، وَلَا نَتَّخِذَ مِنَ الرَّبِيقِ مَا جَرَى ^(٦) عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا نَطْلُعَ ^(٧) عَلَى مَنَازِلِهِمْ .

فَلَمَّا أُنِيتُ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِالْكِتَابِ زَادَ فِيهِ : « وَلَا تُضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، شَرَطْنَا ^(٨) ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا ، وَقَبَلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ ^(٩) ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ يَمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَضَمِنَاهُ ^(١٠) عَلَى أَنْفُسِنَا فَلَا ذِمَّةَ لَنَا ، وَقَدْ حُلَّ مِنَّا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَانِدَةِ وَالشَّقَاقِ » . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ أَمْضِيَ مَا سَأَلُوهُ ،

(١) في « م » : « في » مكان « من » .

(٢) في « م » : « يركب » .. ولا يقلد .. بالياء .. تحريف من الناسخ .

(٣) الزنابير : جمع زئار ، وهو ما يشده النصارى على وسطه .

(٤) من هنا إلى قوله : « حضرة المسلمين » عن « ط » وسقط من « م » سهواً من الناسخ .

(٥) الشعائين : عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح ، يُحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس .. والباعوث : صلاة قال الفصح عند النصارى ، وهي لفظة سريانية معربة .

(٦) في « م » : « ما يجرى » .

(٧) في « ط » : « نطلع » .

(٨) في « م » : « وشرطنا » .

(٩) « الأمان » عن « ط » .

(١٠) في « م » : « عن شيء مما وصفتنا لكم وشرطنا » .

وَالْحَقُّ فِيهِ خَرْفَيْنِ اشْتَرَطْتُهُمَا ^(١) عَلَيْهِمْ ، مَعَ مَا شَرَطُوا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَنْ لَا يَشْتَرُوا شَيْئًا مِنْ سَبَايَا الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ مُسْلِمًا عَمْدًا فَقَدْ خَلَعَ عَهْدَهُ .

وَرَوَى نَافِعٌ عَنْ أَسْلَمَ ^(٣) مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٤) أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فِي النَّصَارَى أَنْ يَقْطَعَ رُكْبَهُمْ ، وَأَنْ يَرْكَبُوا عَلَى الْأَكْفِ ^(٥) ، وَأَنْ يَرْكَبُوا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ ^(٦) ، وَأَنْ يَلْبَسُوا خِلَافَ زِيِّ الْمُسْلِمِينَ لِيَعْرِفُوا .

وَرَوَى أَنَّ بَنِي تَغْلِبَ ^(٧) دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ، افْرِضْ لَنَا . قَالَ : نَصَارَى ؟ قَالُوا : نَصَارَى . قَالَ : ادْعُوا لِي حَبَّامًا ، فَفَعَلُوا ، فَجَزَّ نَوَاصِيَهُمْ ^(٨) ، وَشَقَّ مِنْ أُرْدِيَتِهِمْ ^(٩) حُرْمًا يَخْتَرِمُونَهَا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَرْكَبُوا السَّرُوجَ ، وَيَرْكَبُوا ^(١٠) الْأَكْفَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ .

وَرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلَ ^(١١) أَقْصَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَلَمْ يَسْتَغْلِبْهُمْ ،

(١) في « م » : « اشترطتهما » .

(٢) في « م » : « شرطوه » .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « سالم » خطأ .. وهو : أسلم ، أبو زيد العدوي ، مولى عمر بن الخطاب ، من كبار التابعين ، وأصله حبشي ، اشتراه عمر سنة ١١ هـ لما حج .. وقيل : هو من سبي « عين القر » . وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٠ هـ .

[انظر تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٢ ، ٥٣] .

(٤) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٥) الأكف : جمع [كف] ، وهو برذعة الحمار وغيره .

(٦) « واحد » عن « م » .. والشق : الجانب والناحية .

(٧) في « م » : « تغلب » تحريف .. وتغلب قبيلة عظيمة تنسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن دُعْيَى ، وتفرع منها فروع عديدة .

[انظر لسان العرب ، مادة « غلب » ، ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٣] .

(٨) أى : قصَّ مُقَدِّمَ شعر رُؤوسهم .

(٩) في « م » : « وشق أرديتهم » .

(١٠) أى : وأن يركبوا .. وفي « م » : « ويركبون » . والأول أصح .

(١١) هو الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر ، أبو الفضل بن المتصم بن هارون الرشيد .. ولد ببغداد سنة

٢٠٦ هـ . وبويع له بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ . وكان جوادًا محبًّا للصران ، ومات مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٧ ، وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦٥ - ١٧٢ ، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٦ - ٤١٧] .

وَأَذَلَّهُمْ ^(١) وَأَقْصَاهُمْ ، وَخَالَفَ بَيْنَ رَبِّهِمْ وَرَبِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَمَنَّا لِلشَّيَاطِينِ ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَقَرَّبَ مِنْهُ أَهْلَ الْحَقِّ ، وَبَاعَدَ عَنْهُ ^(٢) أَهْلَ الْبَاطِلِ وَالْأَهْوَاءِ ، فَأَحْيَا اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ ، وَأَمَاتَ بِهِ الْبَاطِلَ ^(٣) فَهُوَ يُذَكِّرُ بِذَلِكَ ، وَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : لَا تُسْتَعْمِلُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ رِشَا فِي دِينِهِمْ ، وَلَا تَحِلُّ فِي دِينِ اللَّهِ الرِّشَا ^(٤) . وَلَمَّا اسْتَقْدَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ مِنَ الْبَصْرَةِ - وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا - لِلْحِسَابِ ، دَخَلَ عَلَى عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاسْتَأْذَنَ لِكِتَابَتِهِ ^(٥) وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : قَاتِلَكَ اللَّهُ ، وَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ ، وَلَيْتَ ذُمِّيًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؟ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٦) أَلَا اتَّخَذْتُ حَبِيبًا ^(٧) ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ . فَقَالَ : لَا أَكْرِمُهُمْ إِذْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَعِزُّهُمْ إِذْ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَذِينُهُمْ ، إِذْ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ .

وَكَتَبَ بَعْضُ الْعُمَّالِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٨) أَنَّ الْعَدُوَّ ^(٩) قَدْ كَثُرَ ، وَأَنَّ الْجَزْيَةَ قَدْ كَثُرَتْ ، فَتَسْتَعِينُ بِالْأَعَاجِمِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ ^(١٠) : أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ

(١) « وَأَذَلَّهُمْ » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) في « م » : « بَاعَدَ مِنْهُ » .

(٣) في « م » : « أَهْلُ الْبَاطِلِ » .

(٤) في « م » : « وَلَا يَحِلُّ الرِّشَا » .

(٥) في « م » : « لِكِتَابَتِهِ حُزْرَان » .

(٦) سورة المائدة - من الآية ٥١ .

(٧) حنيفاً : مسلماً ثابتاً على الإسلام .

(٨) ما بين المعرفين عن « م » .

(٩) هكذا في « م » وفي المستطرف ج ١ ص ٢٤٩ .. وفي « ط » : « الْعَدَدُ » خطأ .

(١٠) في « م » : « عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ » .

الله ، وَأَنَّهُمْ لَنَا غَشَشَةٌ ^(١) فَأَنزَلْنَاهُمْ حَيْثُ أُنزِلْنَاهُمْ اللَّهُ ، وَلَا تُرْثُوا إِلَيْهِمْ شَيْئًا . وَقَالَ
عِمْرَانُ ^(٢) بَنُ أَسِيد : أَنَا كِتَابُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَشِيرِ : أَمَا بَعْدُ ،
فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ فِي عَمَلِكَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : حَسَّانُ بْنُ بَرَزَى ، عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفُوفَ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) . وَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ حَسَّانَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَّا وَتَحْنُ مِنْهُ ، وَإِنْ أَبَى
فَلَا تُسْتَعِينُ بِهِ ^(٤) وَلَا بِأَحَدٍ مِنْ ^(٥) غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَ .

وَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) إِلَى بَذْرِ تَبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
فَلَحِقَهُ ^(٧) عِنْدَ الْحَرَّةِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ . قَالَ ^(٨) : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَفَرِحَ
بِهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٩) ، وَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ ، فَقَالَ ^(١٠) : جِئْتُكَ
لَأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : ارْجِعْ فَلَنْ أُسْتَعِينَ
بِمُشْرِكٍ ، ثُمَّ لَحِقَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَخَرَجَ بِهِ . وَهَذَا أَصْلُ عَظِيمٍ فِي أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِكَافِرٍ ، هَذَا وَقَدْ خَرَجَ

(١) غَشَشَةٌ : جمع غاشٍ .

(٢) في « م » : « عمر » .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٧ .

(٤) في « م » : « فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِهِ » .

(٥) في « ط » : « وَلَا تَأْخُذْ بِخَطَا .. وَ « من » عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٦) في « ط » : « عليه السلام » .

(٧) في « م » : « فلقبه » .

(٨) في « م » : « فقال » .

(٩) في « ط » : « عليه السلام » .

(١٠) في « م » : « قال » .

لِيَقَاتِلَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) وَيُرَاقَ دُمُهُ ، فَكَيْفَ اسْتَعْمَلَهُمْ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَالِهِ أَنْ لَا تُؤْلُوا عَلَى أَعْمَالِنَا إِلَّا أَهْلَ الْقُرْآنِ ، فَكَتَبُوا إِلَيْهِ : إِنَّا وَجَدْنَا فِيهِمْ حَيَاتَةً . فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ فَاجْدُرُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي غَيْرِهِمْ خَيْرٌ .

فصل

وَمَتَى تَقْضَى الذَّمُّ الْعَهْدَ ^(٢) بِمُخَالَفَتِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الشَّرْطِ الْمَأْخُودَةِ عَلَيْهِ لَمْ يَرُدَّ إِلَى مَأْمِيهِ ، وَالْإِمَامُ فِيهِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْاسْتِرْقَاقِ . وَقَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ : وَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللَّبَاسِ ، فَإِنْ ^(٣) لَبَسُوا قَلَانِسَ مِيزْوَهَا عَنْ قَلَانِسِ الْمُسْلِمِينَ بِالْخَرِقِ ، وَيَشْدُونَ الزَّنَائِرَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَيَكُونُ فِي رِقَابِهِمْ ^(٤) خَائِثٌ مِنْ رِصَاصٍ أَوْ نُحَاسٍ ^(٥) ، أَوْ جَرَسٍ يَدْخُلُ مَعَهُمُ الْحَمَامُ ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا الْعَمَائِمَ وَالطُّلُسَانَ ^(٦) .

وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَشْدُ الزَّنَارَ تَحْتَ الْإِزَارِ ، وَقِيلَ : فَوْقَ الْإِزَارِ ، وَهُوَ الْأَوَّلَى ، وَيَكُونُ فِي عُنُقِهَا خَائِثٌ يَدْخُلُ مَعَهَا الْحَمَامُ ، وَيَكُونُ أَخَذَ خُفَيْهَا أَسْوَدَ وَالْآخِرَ أَبْيَضَ ، وَلَا يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ ، وَيَرْكَبُونَ الْبِقَالَ وَالْحَمِيرَ بِالْأَكْفِ عُرْضًا ^(٧) ، وَلَا يَرْكَبُونَ بِالسُّرُوجِ ، وَلَا يَتَصَدَّرُونَ ^(٨) فِي الْمَجَالِسِ ، وَلَا يَتَدَبَّعُونَ بِالسَّلَامِ ، وَيُلْجِعُونَ إِلَى أَصْبَحِ الطَّرِيقِ ^(٩) ،

(١) في « ط » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « عهد الذمة » .

(٣) في اللباس ، عن « ط » .. وفيها : « وإن » مكان « فإن » .

(٤) في « م » : « أَرْقَائِهِمْ » خطأ . فجمع رقة : رَقَبَ وَرَقَاتٍ وَرِقَابَ .

(٥) قوله : « أو نحاس » عن « ط » .

(٦) الطُّلُسَان : ضَرْبٌ مِنَ الْأَوْشِيَةِ يُنْبَسُ عَلَى الْكَفِّ ، أَوْ يَحِيطُ بِالْيَدَيْنِ ، خَالٍ مِنَ التَّضْفِيلِ وَالْحَيَاظَةِ ، وَهُوَ مَا يُصْرَفُ بِالْعَامِيَةِ الْمَصْرِيَةِ بِالشَّالِ .. وَهُوَ فَارِسِي مُعَرَّبٌ .

(٧) الْعُرْضُ ، بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ : الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ ، أَيْ : مِنْ نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٨) في « م » : « ولا يهتدرون » وكلاهما صواب .

(٩) في « ط » : « الطريق » .

وَيُؤْمِنُونَ أَنْ يَمْلُؤُوا ^(١) عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ ، وَتُجَوَّرُ الْمَسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لَا تُجَوَّرُ ، بَلْ يُؤْمِنُونَ . وَإِنْ تَمَلَّكُوا ذَارًا عَالِيَةً أَفْرَأُوا عَلَيْهَا ، وَيُؤْمِنُونَ مِنْ إِظْهَارِ الْمُنْكَرِ ، كَالْحَمْرِ ^(٢) وَالْخِنْزِيرِ وَالنَّاقُوسِ ، وَالْجَنَهِرِ بِالتَّوَرَةِ وَالْإِنجِيلِ ، وَيُؤْمِنُونَ مِنَ الْمَقَامِ ^(٣) فِي الْحِجَازِ ، وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْيَمَامَةُ .

وَيَجْعَلُ الْإِمَامُ عَلَى كُلِّ طَائِفَةٍ ^(٤) مِنْهُمْ رَجُلًا يَكْتُبُ أَسْمَاءَهُمْ وَحُلَاهُمْ ، وَيَسْتَوْفِي جَمِيعَ مَا يُؤَخِّدُونَ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُوطِ . وَإِنْ ائْتَنَعُوا مِنْ أَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَالْتَزَامِ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ ^(٥) انْتَقَضَ عَهْدُهُمْ . وَإِنْ رَأَى أَحَدُهُمْ بِمُسْلِمَةٍ ، أَوْ أَصَابَهَا بِنِكَاحٍ ، أَوْ آوَى عَيْنًا ^(٦) لِلْكَفَّارِ ، أَوْ دَلَّ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ قَتَلَ مُسْلِمًا عَنْ دِينِهِ ، أَوْ قَتَلَهُ ، أَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ [تَعَالَى] ^(٧) وَرَسُولَهُ بِمَا لَا يَجُوزُ ، قِيلَ : يَنْتَقِضُ ، وَقِيلَ : لَا يَنْتَقِضُ ^(٨) . وَإِنْ فَعَلَ مَا يُنْتَعَى مِنْهُ ، بِمَا لَا ضَرَرَ فِيهِ ، كَتَرَكَ الْغِيَارِ ، وَإِظْهَارِ الْحَمْرِ ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، عَزَّرَ عَلَيْهِ ^(٩) . وَمَتَى فَعَلَ مَا يُوجِبُ ^(١٠) نَقْضَ الْعَهْدِ رُدَّ إِلَى مَأْمَرِهِ ، فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وَقِيلَ فِي الْآخَرِ ، فِي الْقَوْلِ الْآخَرِ .

فصل

فِي ^(١١) تَقْدِيرِ الْجِزْيَةِ اخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، فَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِيرَةُ الْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ ^(١٢)

(١) فِي (م) : : وَيُؤْمِنُونَ ، لَا تَصِحُّ .. وَفِيهَا : : أَنْ يَمْلُؤُوا ، مَكَانَ : : أَنْ يَمْلُؤُوا ، نَحْرَفُ .

(٢) فِي (م) : : : وَالْحَمْرِ .

(٣) فِي (م) : : : وَيُؤْمِنُونَ الْمَقَامِ .

(٤) فِي (م) : : : عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ .

(٥) فِي (م) : : : مِنْ أَحْكَامِ الْمِلَّةِ وَأَدَاءِ الْجِزْيَةِ .

(٦) عَيْنًا : جَاسُوسًا .

(٧) مَا بَيْنَ الْمُعَظَّمِينَ عَنْ (م) .

(٨) قَوْلُهُ : : وَقِيلَ : لَا يَنْتَقِضُ ، عَنْ (م) ، وَلَمْ تَرِدْ فِي (ط) .

(٩) عَزَّرَ : أَدَّبَ وَوَقَّظَ عَلَيْهِ .

(١٠) فِي (م) : : : وَمَتَى فَعَلَ مَا لَا يُوجِبُهُ .

(١١) فِي (م) : : : : وَفِي (ط) .

(١٢) مَكْنَاهُ فِي (ط) : : : وَالْمُسْتَطَرَفُ .. وَفِي (م) : : : : بِالْأَقَلِّ .

عَلَى مَا كَتَبَ بِهِ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ بِالْكُوفَةِ ، فَوَقَعَ عَلَى الْغَنِيِّ ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ أَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَعَلَى مَنْ دُونَهُ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَابْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ ، وَجَعَلُوهُ كَأَنَّهُ حُكْمُ إِمَامٍ فَلَا يَنْقُضُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مُرْدُودَةٌ إِلَى الْإِمَامِ فِي الزَّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ، وَهُوَ الْأَقْيَسُ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَقْدِرَةُ الْأَقَلِّ دُونَ الْأَكْثَرِ ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ عُمَرُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْقُصَ عَنْهُ ^(١) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَهُمْ ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ دِينَارٌ . وَقَالَ مَالِكٌ : يُؤْخَذُ مِنَ الْمُوسِرِ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَمِنَ الْفَقِيرِ دِينَارٌ وَعَشْرَةُ دَرَاهِمٍ . وَيَخْرُجُ ^(٢) عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ فِي وَجُوبِ تَقْدِيرِ طَرَفَيْهَا قَوْلَانِ ، بِنَاءً عَلَى الْعَشْرِ الْمَأْخُودِ مِنْهُمْ ^(٣) . هَلْ هُوَ تَقْدِيرٌ شَرْعِيٌّ لَا ^(٤) تَجُوزُ فِيهِ الزَّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ ؟ وَعَنْ مَالِكٍ فِيهِ رَوَاتَانِ ، وَلَا جَزِيَّةَ عَلَى النِّسَاءِ وَالْمَمَالِكِ وَالصَّبْيَانِ وَالْمَجَانِينِ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٥) : سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَدْ أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ وَشِدَّةٌ وَجَوْرٌ مِنَ الْعُمَّالِ ، وَسَنَّ سَيْفُهُ سَنًّا عَلَيْهِمْ عُمَّالُ السُّوءِ ، فَأَحْزَرُوا عَلَيْهِمْ أَرْضَهُمْ ، وَلَا تَحْمِلُ غَرَابًا عَلَى عَامِرٍ ، وَلَا عَامِرًا عَلَى غَرَابٍ ، وَلَا تَأْخُذُ مِنَ الْغَرَابِ إِلَّا مَا يُطْلِقُونَ ، وَلَا مِنَ الْعَامِرِ إِلَّا وَظِيفَةَ الْخَرَاجِ ، إِلَّا وَزْنَ سَبْعَةِ لَيْسَ لَهَا أَسٌّ ، وَلَا أَجُورِ الضَّرَائِينَ ^(٦) ، وَلَا أَدَاةَ الْفِضَّةِ ، وَلَا هَدِيَّةَ

(١) فِي (م) : (: مِنْهُ) .

(٢) فِي (م) : (: وَيَخْرُجُ) .

(٣) فِي (ط) : (: مِنْهُ) .

(٤) فِي (م) : (: وَلَا) .

(٥) هُوَ : عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ الْعَدَوِيُّ ، أَبُو عَمْرٍ ، وَالْإِمَامُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَثَقَ فِي الْحَدِيثِ .. اسْتَعْمَلَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى الْكُوفَةِ . وَتَوَلَّى بِحَرَانَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ نَحْوَ سَنَةِ ١١٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والمعارف ص ١٨٠ ، ٤٦٥] .

(٦) الضَّرَائِينَ : الْحَاسِيْنَ الَّذِينَ يُعْتَبُونَ أَوْ يُفْرَضُونَ الْأَنْصَبَةُ - وَفِي (م) : (: الْفَرَّائِينَ) عَلَى الْإِبْدَالِ .

التَّبَرُّؤِ وَالْمِهْرَجَانِ ، وَلَا ثَمَنِ الْمُصْحَفِ ، وَلَا أَجُورِ الْبُيُوتِ ، وَلَا ذَرَاهِمِ التُّكَاجِ ،
وَلَا خُرَاجَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ .

وَالْوَاجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ مَا ضَرَبَهُ عَمْرُ بْنُ الْحَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ : مِنْ كُلِّ جَرِيبٍ كَرْمٍ عَشْرَةُ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ نُحْلٍ ثَمَانِيَةُ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ (١) حَنْطَلَةٍ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ ، وَمِنْ كُلِّ جَرِيبٍ شَعِيرٍ دَرَاهِمَانِ .

فصل

وَأَمَّا ^(١) الْكِنَائِسُ ، فَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنْ تُهْدَمَ كُلُّ كَنِيسَةٍ لَمْ تُكُنْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَنَمَعَ أَنْ تُحْدَثَ ^(٢) كَنِيسَةٌ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا تُظْهَرَ عَلَيْهِ ^(٣) خَارِجَةٌ مِنْ كَنِيسَةٍ ، وَلَا يُظْهَرُ صَلِيبٌ خَارِجٌ ^(٤) مِنْ كَنِيسَةٍ إِلَّا كُسِمَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهِ . وَكَانَ عَزْوَةُ بْنُ مُحَمِّدٍ يَهْدُمُهَا بِصَنْمَاءَ ، وَهَذَا مَذْهَبُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ . وَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُتْرَكَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ بَيْعَةٌ وَلَا كَنِيسَةٌ بِحَالٍ ، قَدِيمَةٌ وَلَا حَدِيثَةٌ . وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُهْدَمَ الْكِنَائِسُ الَّتِي فِي الْأُمُصَارِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ ، وَنَمَعَ ^(٥) أَهْلُ الدِّمَةِ مِنْ بَنَاءِ مَا خَرِبَ . قَالَ الْإِسْطَخْرِيُّ ^(٦) : إِنْ طَيَّبُوا ظَاهِرَ الْحَائِطِ مُنْعُوا ، وَإِنْ طَيَّبُوا دَاخِلَهُ الَّذِي يَلِيهِمْ لَمْ يُنْعُوا . وَيُنْعَوْنَ أَنْ يَتَلَوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَنَاءِ ، وَتُجْوزُ الْمَسَاوَاةُ ، وَقِيلَ : لَا تُجْوزُ .

(١) سقطت « جريب » من « م » سهواً من الناسخ . والجريب مكيال قنر أربعة أقيزة ، والقيز يختلف مقداره في البلاد ، ويعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جراماً .

(۲) فی د م : د فامآ .

(٣) أى : ثبتي حديثاً .. وفى المستطرف : « تجدد » .. وفى « م » .. « تحدث كل كنيسة » .

(٤) ف م : : عِلْيَةُ خَارِجٌ . وَالْعِلْيَةُ بِكسر العين وضمُّها : الغرفة الثانية من البناء وما فوقها .

(٥) في «م»: «صليًا خارجًا» بالنصب . لا يصح .

(٦) فی م : جمیع مکان و منع ، تحریف .

(٧) هو : الحسن بن أحمد بن يزيد الأصطخرى ، أبو سعيد ، فقيه شافعى ، كان من نظراء أبى العباس وابن سريج ، ولحق قضاء قُم ، بين أصفهان وساعة ، ثم حَسَبَه بغداد .. واستقضىه القنطرة على سنجستان .. ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفى سنة ٣٢٨ هـ وله الكبر من المصنفات .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٩ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وطبقات الشيرازي ص ١١٩ .]

البَابُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الصِّفَاتِ ^(٥) الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْوَلَاةِ

اعْلَمْ أُرْشَدَكَ اللهُ [تَعَالَى] ^(١) أَنَّ مَنْزِلَةَ الْعُمَالِ مِنَ الْوَالِي مَنْزِلَةُ السَّلَاحِ مِنَ الْمُقَاتِلِ ، فَاجْتَنِدْ جَهْدَكَ فِي اِئْتِمَاءِ صَالِحِ ^(٢) الْعُمَالِ . وَإِذَا فَقَدْ الْوَالِي عُمَالًا ^(٣) الصُّدُقِ ، كَانَ كَقَفْدِ الْمُقَاتِلِ السَّلَاحِ يَوْمَ الْحَرْبِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَى طَبَقَاتِ الرُّجَالِ كَمَا تَحْتَاجُ الْحَرْبُ ^(٤) إِلَى أَصْنَافِ الْعُدَّةِ ، فَمِنْهَا الدَّرَقُ لِلْإِسْتِجْنَانِ ^(٥) ، وَالسِّيفُ لِلْمُنَاجَزَةِ ، وَالرُّمْحُ لِلْمُطَاعَنَةِ ، وَالسَّهْمُ لِلْمُبَاعَدَةِ ^(٦) ، وَالذَّرْعُ لِلتَّحْصِينِ ، وَلِكُلِّ مِنْهَا مَوْضِعٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ .

وَالرُّجَالُ لِلْمَلِكِ كَالْأَدَاةُ لِلصَّانِعِ ، لَا يَسُدُّ بَعْضُهَا مَسَدَ بَعْضٍ ، كَذَلِكَ طَبَقَاتُ الرُّجَالِ لِلْمَلِكِ ، مِنْهُمْ لِلرَّأْيِ ^(٧) وَالْمَشُورَةِ ، وَمِنْهُمْ لِإِدَارَةِ الْحَرْبِ ،

(٥) فِي « م » : « فِي الصِّفَاتِ » .

(١) مَا بَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ عَنْ « ط » .

(٢) فِي « م » : « مَصَالِحُ » .

(٣) فِي « م » : « عِيَالٌ » تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي « ط » : « يَحْتَاجُ » بِالْيَاءِ .. وَالْحَرْبُ مُؤَنَّةٌ فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ تُذَكَّرُ عَلَى مَعْنَى الْقِتَالِ .

(٥) فِي « م » : « وَالْإِسْتِجْنَانِ » .. وَالذَّرَقُ : جَمْعُ ذَرَقَةٍ ، وَهِيَ الثَّرْسُ مِنْ جِلْدٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ .. وَقَوْلُهُ لِلْإِسْتِجْنَانِ ، أَيْ : لِلْإِسْتِخَارَةِ .

(٦) لِلْمُنَاجَزَةِ : لِلْمُقَابَلَةِ وَالْتِزَالِ .. وَالْمُطَاعَنَةُ ، صِغَةُ مُفَاعَلَةٍ تَدُورُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، أَيْ : يَطْلُبُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ .. وَالسَّهْمُ لِلْمُبَاعَدَةِ ، لِلْمُقَابَلَةِ عَنْ بُعِيدٍ .

(٧) فِي « م » : « الرَّأْيِ » .

وَمِنْهُمْ لِمُبَاشِرَةِ الْحَرْبِ ، وَمِنْهُمْ لَجَمْعِ الْأَمْوَالِ ، وَمِنْهُمْ لِحِفْظِهَا ، وَمِنْهُمْ لِلجَبَايَةِ ^(١) ،
وَمِنْهُمْ لِلْكِتَابَةِ ، وَمِنْهُمْ لِلْجَمَالِ وَالْفَخْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلْمُبَاهَاةِ وَالذِّكْرِ ، وَمِنْهُمْ لِلدُّعَاءِ
وَالْوَقَارِ ، وَمِنْهُمْ لِلْعِلْمِ وَالْفَتْيَا وَحِفْظِ أَسَاسِ الْمِلَّةِ ، فَلَا يَكْمُلُ لِلْمَلِكِ مُلْكٌ مَا لَمْ يَجْمَعْ
هَذِهِ الطَّبَقَاتِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا مَاتَ كِسْرَى بَلَغَ مَوْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَخْلَفُوا ؟ قَالُوا : ابْنَتُهُ « بُرَّانَ » ^(٢) . قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ
قَوْمٌ أَسْتَدُوا أُمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا كَانَتْ بِنْتُ الْحَرَّةِ ^(٣) قِيلَ : مَنِ
اسْتَعْمَلَ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ ^(٤) عَلَى قُرَيْشٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ
الرَّاهِبِ ^(٥) عَلَى الْأَنْصَارِ . قَالَ : أَمِيرَانِ ؟ هَلَكَ وَاللَّهِ الْقَوْمُ .

(١) في « ط » : « للحماية » مكان « للجباية » .

(٢) حينما وليت بوران بنت كسرى ملكاً أيها لم تنجى الخراج ، وفرت الأموال بين الجند والأشراف ، فكانت
مدة ملكها سنة وستة أشهر .

[انظر المعارف ص ٦٦٦] .

(٣) الحرّة : هي حرّة واقم بالمدينة ، وبها كانت وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ . وكان
سببها تخلع أهل المدينة ليزيد ومبايعتهم لعبد الله بن الزبير .. وكان أمر الجيش فيها من قبل يزيد مسلم بن عقبة المُرِّي ،
وصموه - لقبه صنمه - « مُسْرِفًا » ، فبينما قديم المدينة نزل حرة واقم ، وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم ،
وقتل من الموالى ثلاثة آلاف ومجسمائة رجل ، ومن الأنصار ألفاً وأربعمائة ، وقيل : ألفاً وسبعمائة ، ومن قريش ألفاً
وثلاثمائة ، ودخل جنوده المدينة فنهبوا الأموال ، وسبوا الذريرة ، وفعلوا ما يندى له جبين الحر .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢١٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩ ، مادة « حرة واقم »] .

(٤) هو : عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي العدوي ، من جلة قريش جلدًا وشجاعة ، وكان على قريش
يوم الحرّة ، فلما انتهزم أصحابه توازى في المدينة ، ثم سكن مكة ، واستعمله ابن الزبير على الكوفة فأخرجته المختار بن
أبي عبيد منها ، فعاد إلى مكة ، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له سنة ٧٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٣٩ ، والمعارف ص ٣٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، والمحرر ص ٤٩٤ ،
٤٩٥] .

(٥) هو : عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسي .. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقُتل أبوه في أحد شهيدًا وخلفه جنيثًا في بطن أمه ، فنشأ يتيمًا ، وغُرِف بالشجاعة .. ولما ثار أهل المدينة
« يوم الحرّة » ، وأخرجوا غُمَال بنى أمية ، أجمعوا عليه ، فولّوه أمرهم ، فبايعهم على الموت ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل
سنة ٦٣ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٩٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٥ - ٦٨] .

وَلَيْسَ يُشْتَرَطُ النَّسَبُ ^(١) إِلَّا فِي الْإِمَامَةِ الْعَظْمَى دُونَ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ . وَلَمَّا اسْتَحْضَرَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ ^(٢) مِنَ الْخَطَبَاءِ ، قَالَ لَهُ هِشَامُ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ الْخِلَافَةَ وَلَا تَصْلُحُ لَهَا ، لِأَنَّكَ ابْنُ أُمَةٍ . قَالَ زَيْدٌ : فَقَدْ كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أُمَةٍ ، وَإِسْحَاقُ ابْنُ حُرَّةٍ ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . ثُمَّ اتَّهَمَهُ فِي أَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَنَا أُخْلِفُ لَكَ . قَالَ هِشَامُ : وَمَنْ يُصَدِّقُكَ ؟ قَالَ زَيْدٌ : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَ أَنْ يَأْمُرَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَا أَحَدٌ دُونَ أَنْ يُؤْمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : ذُلُونِي عَلَى رَجُلٍ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى أَمْرِ قَدْ أَهْمَنِي . قَالُوا : وَكَيْفَ تُرِيدُهُ ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَلَيْسَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ ^(٣) كَانَ كَأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ . قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ . قَالَ : صَدَقْتُمْ هُوَ لَهَا .

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ اسْتَشَارَ فِي قَوْمٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : عَلَيْكَ بِالْأَهْلِ الْعَدْلِ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالُوا : الَّذِينَ إِنْ عَدَلُوا فَهُوَ مَا رَجَوْتَ ، وَإِنْ

(١) النسب « عن « م » ولم ترد في « ط » .

(٢) في « م » : « وكانوا » تحريف من الناسخ .. وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه أم ولد « سندية » .. من خطباء بني هاشم ، قال عنه أبو حنيفة : ما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولاً .. وكانت إقامته بالكوفة وأشخص إلى الشام ، فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحسبه خمسة أشهر ، وعاد إلى العراق ، ثم إلى المدينة ، فلحق به بعض أهل الكوفة يجرؤونه على قتال الأمويين ، ورجعوا إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ فباعه أربعمائة ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وردّ المظالم .. ونشبت بينه وبين بني أمية معارك انتهت بمقتله في الكوفة على يد يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٢ هـ في عهد هشام ، وكان عمره اثنين وأربعين عاماً . وأخباره كثيرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبري وابن الأثير وغيرهما .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٥٩ ، والمعارف ص ٢١٦ و ٣٦٥ ، وفوات الوفيات ج ٢ ص ٣٥ - ٣٨ ، وطبقات المعتزلة ص ١٧ و ٣٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦] .

(٣) في « م » : « وإذا كان أميرهم » .

قَصَرُوا قَالَ النَّاسُ : اجْتَهَدَ عُمَرُ . وَلَمَّا قَدِمَ الْبَرِيدُ مِنْ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ سَأَلَهُ عَنْ بَشْرِ ، فَقَالَ ^(١) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُوَ الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ، اللَّيِّنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ الْأَغْرُ ^(٢) الْأَجْوَدُ ، الَّذِي كَانَ يَأْمَنُ ^(٣) عِنْدَهُ الْبَرِيُّ ، وَيَخَافُ لَدَيْهِ السَّقِيمُ ، وَيُعَاقِبُ عَلَى قَدْرِ الذَّنْبِ ، وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ الْعَفْوِ ، الشَّدِيدُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ^(٤) اللَّيِّنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَوْ قَالَ الْحَكِيمُ : اَعْتَبِرِ الرِّجَالَ بِأَفْعَالِهِمْ لَا بِعِظَمِ أَجْسَامِهِمْ ، فَإِنَّ النَّسْرَ مَعَ عِظَمِهِ ^(٥) لَا يَأْكُلُ إِلَّا مَيْتًا ، وَطَيْرَ الْمَاءِ مَعَ ضَعْفِهِ يَتَحَامَى مَيْتَ السَّمَكِ ^(٦) وَيَأْكُلُ الْحَيَّ مِنْهَا . وَفِي حِكْمِ الْهِنْدِ : السُّلْطَانُ الْحَازِمُ رُبَّمَا أَحَبَّ الرَّجُلَ فَأَقْصَاهُ وَأَطْرَحَهُ مَخَافَةَ ضَرِّهِ ، كَالْمَلْسُوعِ يَقْطَعُ أَصْبُعَهُ لِفَلَا يَنْتَشِرَ السُّمُّ فِي جَسَدِهِ ، وَرُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ فَأَكْرَهَ نَفْسَهُ عَلَى تَوَلِّيهِ وَتَقْرِيبِهِ لِإِنْعَاءِ يَجْدُهُ عِنْدَهُ ، كَتَكَارِهِ الْمَرْءِ عَلَى الدَّوَاءِ الْبَشِيعِ لِنَفْعِهِ .

إِلَّا أَنْ لِلْإِسْلَامِ شُرُوطًا ، فَلَا تَسْتَقِيمُ هَذِهِ السَّيْرَةُ عَلَيْهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَيْهِ ، كَانَ مُعَاوِيَةُ وَالْيَا عَلَى الشَّامِ مِنْ قَبْلِ عُمَرَ ، ثُمَّ عُثْمَانَ ، فَاسْتَشَارَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَقْرُءْ عَلَى إِمْرَتِهِ وَأَرْسِلْ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ ، فَإِذَا دَخَلَ فِي بَيْتِكَ فَأَعَزَّلْهُ . فَقَالَ لَهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنَا مُرِنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ ؟ ثُمَّ عَزَّلَهُ ، فَكَانَ سَبَبَ عِصْيَانِهِ . وَهَكَذَا أَشَارُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ

(١) في « ط » : « قال » .

(٢) في « ط » : « ذاك الأعسر » أي : الذي يعمل بيده اليسرى .

(٣) في « م » : « الذي يأمن » .

(٤) في « ط » : « ضَعْف » .

(٥) في « م » : « مع ضعفه » تحريف .

(٦) يتحامى مَيْتَ السَّمَكِ : يتجنب المَوْتَ منه .

الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ فَضَّلْتَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافَ وَمَنْ تَتَخَوَّفُ ^(١) مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ أَصْحَابُ دُنْيَا ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى الْأَمْرُ عُذْتُ إِلَى التَّسْوِيَةِ . فَقَالَ : أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ الْعَدْلَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِ ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَالِي ^(٢) لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ وَلَمْ أَفْضَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَكَيْفَ وَالْمَالُ لَهُمْ .

وَإِعْطَاءُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْدِيرٌ وَسَرَفٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ ذِكْرَ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يَضَعَ أَمْرُؤُ ^(٣) مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شُكْرَهُمْ ، وَيَصِيرُ لِغَيْرِهِمْ وَدُهُمْ ، فَإِنْ بَقِيَ مَعَهُ مِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ لَهُ الْوُدَّ وَالشُّكْرَ ، فَذَلِكَ مَلَقٌ وَخِدْعَةٌ لِيَتَّالَ مِنْهُ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ التَّعَلُّلُ يَوْمًا مَا ^(٤) فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِ وَمُكَافَأَتِهِ عَلَى ^(٥) مَا سَلَفَ مِنْ مَبَرَّتِهِ فَشَرُّ خَلِيلٍ ، وَالْأَمُّ خَلِيدٍ ^(٦) .

وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْوَالِي وَحُبُّ الْمَدْحِ ، فَإِنْ مَنْ أَحَبَّ الْمَدْحَ عُدَّ ^(٧) كَمَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْكَ جَعَلَهُ النَّاسُ سُلْطَمًا لِقَضَائِهِ حَوَائِجِهِمْ مِنْكَ ، فَحَيْثُ يَكُونُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ لِنَفْسِكَ لَا لَهُمْ . وَقَالَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اخْلُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ التُّرَابَ » . وَسَمِعَ الْمِقْدَادُ رَجُلًا يَمْدَحُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَأَلْقَاهُ فِي وَجْهِهِ . وَسَمِعَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا يَمْدَحُ رَجُلًا فَقَالَ : « قَطَعْتَ ظَهْرَ أَخِيكَ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَقْلَحَ بَعْدَهَا » .

وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ أَمِيرًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وَلَّى لَمْ يُطَابِقْ بَيْنَ جُفُونِهِ ، وَأَرْسَلَ الْعُيُونَ عَلَى عُيُونِهِ ، فَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ ، شَاهِدٌ مَعَهُمْ ، فَالْمُحْسِنُ رَاجِحٌ ، وَالْمُسِيءُ خَائِفٌ ،

(١) فِي د م : « تَخَوَّفَ » أَيْ : تَتَخَوَّفُ .

(٢) فِي د م : « لَوْ كَانَ لِي مَالٌ » .

(٣) فِي د م : « أَمْرٌ » تَحْرِيفٌ .

(٤) « مَا » عَنْ « ط » .

(٥) « عَلِيٌّ » عَنْ « د م » ، وَسَلَّطَ مِنْ « ط » .

(٦) « سَقَطَ » الْأَمُّ ، مِنْ « د م » . وَالْخَلِيدُ : الصَّاحِبُ وَالصَّدِيقُ .

(٧) فِي د م : « هُوَ » مَكَانَ « عُدَّ » .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا : لَا يَعْدُنْ ابْنُ هِنْدٍ ^(١) أَنْ كَانَتْ فِيهِ لَمَخَارِجُ مَا نَجِدُهَا فِي أَحَدٍ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ ^(٢) وَمَا اللَّيْثُ الْحَرْبُ عَلَى بَرَائِيهِ بِأَجْرًا مِنْهُ ، فَيَتَفَارَقُ لَنَا ^(٣) وَإِنْ كُنَّا لَنَخْذَعُهُ ، وَمَا ابْنُ لَيْلَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِأَذْهَى مِنْهُ ، وَاللَّهِ ^(٤) لَوَدِدْتُ أَنَّا مُتَعَتَا بِهِ مَا دَامَ فِي هَذَا حَجَرٍ ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ ^(٥) ، لَا يَتَخَوَّنُ لَهُ عَقْلٌ ، وَلَا يَنْتَقِصُ لَهُ قُوَّةٌ .

وَقَالَ الصَّنَائِبِيُّ ^(٦) : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابًا فِي مِثْلِ أَذُنِ الْفَارَةِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ ^(٨) إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ ، بَعِيدُ الْغُرَّةِ ^(٩) ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غُورَةٍ ، وَلَا يَخْتَنُقُ ^(١٠) فِي الْحَقِّ عَلَى الْجُرَّةِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ .

وَقَالَ مَالِكٌ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي أَمْرِ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِنَا فَاتَيْنِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ ، فَقَالَ : اطْلُبْ عَنْدهُمْ شَيْئًا ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْدهُمْ إِلَّا أَذُنَ مِزْوَدٍ ، فَكَتَبَ لَهُ فِي تِلْكَ الْأَذُنِ .

(١) يريد بابن هند : معاوية بن أبي سفيان .. وأمه : هند بنت عُتْبَةَ .

(٢) قوله : « وَاللَّهِ أَنْ كُنَّا لَنَعْرِفُهُ » عن « ط » . والليث الحَرْبُ : الشديد الغضب .

(٣) فيتفارق لنا ، أى : فيظهر لنا الجَزَع والخوف .

(٤) فى « م » : « وَاللَّهِ » .

(٥) أبو قُبَيْسٍ : جبل مشرف على مكة .. ولا يتخَوَّنُ له عقل : لا ينقص عقله .

(٦) هو : صفوان بن عَسَالٍ ، من بنى الزُّبَيْرِ بن زاهر ، صحابى ، غزا مع النبى ، صلى الله عليه وسلم ، انتهى عشرة غزوة ، وسكن الكوفة . والصَّنَائِبِيُّ : نسبة إلى صَنَابِيح ، بطن من العرب ، « من مراد » .

[انظر أسد الغابة ج ٣ ص ٢٧ ، ولسان العرب ، مادة « صنيع »] .

(٧) رضى الله عنه « م » عن « م » .

(٨) فى « م » : « والناس » .

(٩) فى « ط » : « حصيف العقدة » أى : جيد الرأى ، ومُحَكَّمُ العقل .. وبعيد الغُرَّة : كثير الخبرة . أو : سيد

القوم وشريفهم .

(١٠) يَخْتَنُقُ : يغناظ .

وَلَمَّا وَلَّى الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَمَحَنَ ^(١) عَقْلَهُ وَعِلْمَهُ ، وَامْتَحَنَهُ بِمَسَائِلَ فَوَجَدَهُ فَوْقَ مَا يُرِيدُ ، فَتَلَقَّاهُ رُجُوهُ الْبَصْرَةِ ، قَرَأُوا شَابًا صَبِيًّا مَا بَقِلَتْ لِحْيَتُهُ ^(٢) ، فَتَعَجَّبُوا ، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُقَالُونَ الْأَكْفُفُ ، وَيَعْمُرُونَ الْحَوَاجِبَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : كَمْ سِنَّ الْقَاضِي ، أَصْلَحَهُ اللَّهُ ؟ قَالَ : مِثْلُ سِنَّ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ لَمَّا وَلَّاهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) مَكَّةَ ، فَهَابُوهُ لِجِدَّةِ جَوَابِهِ ، وَعَرَفُوا فَضْلَهُ ، وَكَانَ لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً لَمَّا وَلَّى مَكَّةَ .

وَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ أَنْ يَلِيَ أُمُورَ النَّاسِ ^(٤) إِلَّا حَصِيْفُ الْعَقْلِ ، وَافِرُ الْعِلْمِ ، قَلِيلُ الْغُرَّةِ ^(٥) ، بَعِيدُ الْهِمَّةِ ، شَدِيدٌ فِي غَيْرِ غَنَفٍ ، لَيِّنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، جَوَادٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً . وَقَالَ أَيْضًا : يَتَنَبَّأُ أَنْ يَكُونَ فِي الْوَالِي مِنَ الشَّدَّةِ مَا يَكُونُ ضَرْبُ الرِّقَابِ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ كَقَتْلِ عُصْفُورٍ ، وَيَكُونُ فِيهِ ^(٦) مِنَ الرِّقَّةِ وَالْحَنُورِ وَالرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا يَجْزَعُ مِنْ قَتْلِ عُصْفُورٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

(١) استمحن : استخبر واختبر .

(٢) ما بقلت لحيته : ما نبت . وفي « م » : « ما بقلت » تحريف .

(٣) في « ط » : « عليه السلام » .. وعتَّاب بن أسيد بن أبي اليبص بن أمية بن عبد شمس ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، أموي ، قرشي ، من أشراف العرب ، أسلم يوم فتح مكة ، واستعمله النبي ، صل الله عليه وسلم عليها عند خروجه إلى « حنين » سنة ٨ هـ . وأقره أبو بكر ، فاستمر فيها إلى أن مات ، يوم مات أبي بكر ، وفي المؤرخين من يذكر أنه عاش والياً على مكة إلى أواخر أيام عمر ، فنكون وفاته سنة ٢٣ هـ . وكان - رحمه الله - رجلاً خيراً صالحاً .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٥ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٤٩ ، والمعارف ص ٧٣ و ٢٨٣] .

(٤) في « م » : « يلى على أمور المسلمين » .

(٥) الغُرَّة : الغفلة .

(٦) في « م » : « ويكون عنده » .

وَيُرَوَّى أَنَّ الرَّشِيدَ أَخْضَرَ رَجُلًا لِيُؤَلِّبَهُ الْقَضَاءَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي لَا أَحْسِنُ الْقَضَاءَ ، وَلَا أَنَا قَبِيحٌ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : فِيكَ ثَلَاثٌ خِلَالٌ : لَكَ شَرَفٌ ، وَالشَّرَفُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَلَكَ جِلْمٌ يَمْنَعُكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ قَلَّ خَطْوُهُ ^(١) ، وَأَنْتَ رَجُلٌ تُشَاوِرُ فِي أَمْرِكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ كَثَرَ صَوَابُهُ ، وَأَمَّا الْفَقْهُ فَنَضُمُ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ ^(٢) ، فَوَلِّى ، فَمَا وَجَدُوا فِيهِ مَطْعَنًا .

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ : اسْتَحْضَرَنِي عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ^(٣) فَحَضَرْتُ ، فَسَأَلَنِي (٤) فَسَكَتُ ، فَلَمَّا أَطْلَعْتُ قَالَ : إِلَيْهِ ^(٥) . قُلْتُ : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ . قَالَ : أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُقْرَضُ الْفَرَائِضُ ^(٦) . قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَهَلْ تُعْرِفُ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ شَيْعًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَغْلَمُ . قَالَ : فَهَلْ تُعْرِفُ ^(٧) مِنْ أَيَّامِ الْعَجَمِ شَيْعًا ؟ قُلْتُ : أَنَا بِهَا أَغْلَمُ . قَالَ : إِنِّي أُبِيدُ أَنْ أُسْتَعِينَ بِكَ . قُلْتُ : إِنْ فِى ثَلَاثًا - أَصْلَحُ مَعَهُنَّ لِلْعَمَلِ . قَالَ : مَا ^(٨) هُنَّ ؟ قُلْتُ : أَنَا دَوِيمٌ كَمَا تَرَى ، وَأَنَا حَدِيدٌ ، وَأَنَا عَمَى ^(٩) .

(١) فى (م) : « قل خطؤه وكثر صوابه » وسأقَى .. وسقط ما بينهما .

(٢) فى (م) : « فَنَضُمُ إِلَيْكَ مَنْ تَتَفَقَّهُ بِهِ » .

(٣) هو : عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الفرارى ، أبو المنى ، أمير ، من الدهاة الشجعان ، صحب عمرو بن معاوية العقيلي فى سيرة لغزو الروم ، فأظهر بسالة ، وشارك فى مقتل مطرف بن المغيرة المناوىء للحجاج الثقفى ، وأخذ رأسه ، وسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فسُرَّ به عبد الملك .. وولاه عمر بن عبد العزيز الجزيرة .. وفى خلافة يزيد بن عبد الملك ولَّاه إمارة العراق وخراسان ، فكانت إقامته فى الكوفة ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ومات سنة ١١٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٠٨ ، ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٧١ وغيرها من الصفحات ، والكمال لابن الأثير ج ٤ ص ١٨١ وغيرها من الصفحات] .

(٤) سَأَلَنِي : طلب سكوتى .

(٥) إِلَيْهِ : اسم فعل بمعنى « حَشَبْتُ » .. ويكون أيضًا بمعنى الاستزادة .. والأول هو المراد هنا .

(٦) فى (م) : « قَالَ : تُعْرِفُ الْفَرَائِضَ ؟ » . وتُقْرَضُ الفرائض ، بالتشديد ، أى : تستطيع أن تُبَيِّنَ ما فيها من الحلال والحرام والحدود .. وبالتخفيف : تلزم بما فُرِضَ فيها .

(٧) فى (م) : « تَعْلَمُ » .

(٨) فى (م) : « وَمَا » .

(٩) حَدِيدٌ : حادٌّ سببُ الخُلُقِ .. وَالْعَمَى وَالْعَمَى : العاجز عن التصبر اللفظى بما يفيد المعنى المقصود .

قَالَ : أُمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُبِيدُ أَنْ أُحَاسِنَ ^(١) بِكَ ، وَأُمَّا الْعَيُّ فَإِنِّي أُرَاكَ تُعْرِبُ عَنْ
 نَفْسِكَ ، وَأُمَّا سُوءُ الْخُلُقِ فَيَقْوَمُكَ السُّوْطُ ، فَوَلَّانِي وَأَعْطَانِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَهَوَّ أَوَّلُ
 مَا تَمَوَّلْتُهُ ^(٢) . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : مَا مُلَاقَاةُ كِبَرَةٍ ^(٣) سُلِبَتْ
 أَشْبَالُهَا بِأَصْعَبَ مِنْ لِقَاءِ جَاهِلٍ رَاضٍ عَنْ نَفْسِهِ .

(١) في د م : « أحاسن » تحريف .

(٢) في د م : « أول مال تمولته » .

(٣) الكِبَرَةُ ، بهز ويغير هز : انتهى الأسد .

البَابُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

فِي بَيَانِ الشَّرُوطِ وَالْمُهَوِّدِ الَّتِي تُؤْخَذُ عَلَى الْعَمَالِ

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُؤَلَّى عَلَى الْأَعْمَالِ أَهْلُ الْحَزْمِ وَالْكِفَايَةِ ^(١) وَالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَكُونَ التَّوَلِيَةُ لِلْفَنَاءِ ^(٢) لَا لِلْهَوَى . وَمَلَكَ الْوَلَايَاتِ ^(٣) وَأَسَاسُهَا أَنْ لَا يُؤَلَّى الْأَعْمَالَ طَالِبٌ لَهَا ، وَلَا رَاغِبٌ فِيهَا ^(٤) . رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ رَجُلٌ ، فَلَمَّا سَلَّمْنَا عَلَيْهِ قَالَ صَاحِبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمِلْنِي ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٥) مَا عَرَفْتُ الَّذِي فِي نَفْسِهِ . »

وَقَدْ رَوَى عَنْ بُزْجَمِهِرَ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَالُ مُلْكِ آلِ سَاسَانَ ^(٦) صَارَ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ قَلَّدُوا كِبَارَ الْأَعْمَالِ صِغَارَ الرُّجَالِ . وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرِو بْنِ

(١) فِي « م » : « وَالِدِيَانَةِ » مَكَانَ « وَالْكِفَايَةِ » .

(٢) الْفَنَاءُ : النِّفَاقُ وَالْكَفَايَةُ .

(٣) فِي « م » : « وَمَلَكَ السِّيَاسَاتِ » .. وَمَلَكَ ، يَفْتَحُ الْمِيمَ وَكَسَرَهَا ، أَيْ : يَوْمُهَا وَخِلَاصَتَهَا .

(٤) فِي « م » : « رَاغِبٌ فِيهَا وَلَا طَالِبٌ لَهَا » .

(٥) فِي « م » : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٦) فِي « م » : « مُلْكُ سَاسَانَ » .

العاصي ^(١) حَيْثُ قَالَ : مَوْتُ الْإِيفِ مِنَ الْعِلَّةِ ^(٢) أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ ارْتِفَاعِ وَاحِدٍ مِنَ السُّفْلَةِ . وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ : غَضِبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَا أَمَّاكَ اللَّهُ أَوْ يَيْلُكَ ذَوَلَةُ السُّفْلِ . وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) لِرَجُلٍ قَدْ آذَاهُ : « أَذْرَكَكَ إِمْرَةُ الصَّبِيَّانِ » . وَقَالَ الْمُسْتَوْفِرُ الْأَكْبَرُ ^(٤) ، وَكَانَ قَدْ عَمَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ :

وَمَا سَقَطَتْ يَوْمًا مِنَ الذُّهْرِ أُمَّةٌ إِلَى الذَّلِّ إِلَّا أَنْ يَسُودَ ذَمِيمُهَا
إِذَا سَادَ فِينَا بَعْدَ ذَلِّ لَيْمُنَا نَصْدَى لَنَا ذُلٌّ وَقَدْ أَدِيمُهَا
وَمَا قَادَهَا لِلْخَيْرِ إِلَّا مُجَرَّبٌ عَلِيمٌ بِإِقْبَالِ الْأُمُورِ كَرِيمُهَا
وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ وَلَكِنْ لِنُدَبِيرِ الْأُمُورِ حَكِيمُهَا ^(٥)

وَاعْلَمُوا ^(٦) أَنَّ مُعْظَمَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الدُّوَلِ مِنَ الْفَسَادِ مِنْ تَقْلِيدِ الْأَعْمَالِ أَهْلَ الْحَرَضِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ لَا يَخْطُبُهَا ^(٧) إِلَّا لِمَنْ فِي ثَوْبِ نَاسِكٍ ، وَذَنْبٌ فِي مِسْلَاحٍ ^(٨) عَائِدٍ حَرِصٍ عَلَى جَمْعِ الدُّنْيَا ، نَائِذٌ لِدِينِهِ وَمُرُوءَتِهِ ^(٩) ، ذَلِيلٌ عَلَى الْحَيَاةِ ، يَتَّخِذُونَ عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا ^(١٠) وَأَمْوَالَهُمْ دَوْلًا ^(١١) . وَإِذَا اهْتَضَمَتْ حُقُوقُ الْمُسْلِمِينَ وَأُكِلَتْ

(١) في « ط » : « العاصي » وكلاهما صواب .

(٢) في « ط » : « العلة » خطأ .

(٣) في « م » : « عليه السلام » .

(٤) في « م » : « المستعين » تحريف .. والمستوفِر هو : عمرو بن ربيعة بن كعب الجمي السعدي ، أبو يَتَهَس ، شاعر ، من المعمرين الفرسان في الجاهلية .. وقيل : أدرك الإسلام ، أو كاد يدرك أوله .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وأمال المرتضى ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥] .

(٥) في « م » : « حليمها » .

(٦) في « م » : « واعلم » .

(٧) لا يخطبها : لا يطلبها .

(٨) مسلاح : جلد .

(٩) جاء في « م » بعد هذا : « يتنى غرض الحياة الدنيا ، وقد سبق المثل والحرص على الأمانة » .

(١٠) حولًا : عبيدًا وأتباعًا .

(١١) دَوْلًا : مُتَدَوَّلًا .

أَمْوَالَهُمْ فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ ، وَقَلَّتْ طَاعَاتُهُمْ ^(١) ، فَانْتَقَصَتْ الْأُمُورُ ، وَدَبَّ الْفَسَادُ إِلَى الْمَمَالِكِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ الْآثَارَ فِي كَرَاهِيَةِ الْوَلَايَاتِ .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : مَا فُتِحَ ^(٢) عَلَيَّ قَطُّ فَتَقٌ فِي مَمْلَكَتِي إِلَّا وَجَدْتُ سَبِيَّةَ جَوْرِ الْعُمَّالِ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى قَوْلِ يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلِكِ : « اجْعَلْنِي عَلَى عِزَّائِنِ الْأَرْضِ إِلَى حِفْظِ عَالِمٍ » ^(٣) ، قُلْنَا : يُوسُفُ كَانَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ ^(٤) بِالْكَفَايَةِ وَالْأَمَانَةِ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَتَحَقَّقُ بِوَاطِنِ أَسْرَارِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ خَصَائِصَهُ ^(٥) وَفَضَائِلَهُ ، وَيَرَى الْأُمُورَ وَالْأَعْمَالَ وَالْوَلَايَاتِ فِي أَيْدِي مَنْ لَيْسُوا أَهْلًا لَهَا ، وَيَجُوزُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ لِمَنْ حَصَلَ بَيْنَ يَدَيِ جَبَّارٍ لَا يَعْلَمُ مَنْزِلَتَهُ وَلَا مَاعِنْدَهُ مِنَ الْخِصَالِ وَالْفَضَائِلِ أَنْ يَذْكَرَ بَعْضُ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ لِيُعْلِمَ قُدْرَهُ ، فَيَسْلَمَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّهِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ : إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي يَدِ مَنْ لَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَجَبَ أَنْ يَخْطُبَهُ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ قَرْضًا عَلَيْهِ . وَفَقَّهَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَى خِلَافِ هَذَا الرَّأْيِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُوجِيَ إِلَيْهِ بِمَا يَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعَدْلِ وَنَشْرِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، فَلِهَذَا ثَبَّهَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا يَرَوَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ حَبَشِيًّا غَلِيظَ الشَّفْطَيْنِ ، مُصَفَّحَ الْقَدَمَيْنِ ^(٦) ، لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَشْحَاسِ ^(٧) ، وَكَانَ جَلِيسًا لِذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَنَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّبُوَّةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي يَصْطَفِي لِتُبُّوتِهِ مَنْ

(١) فِي « م » : « طَاعَتِهِمْ » .

(٢) الْفَتْقُ : الشَّقَاقُ وَالْخِلَافُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ ، وَتَصُدُّعُ الْكَلِمَةِ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ - آيَةُ ٥٥ .

(٤) فِي « م » : « وَاثِقًا مِنْ اللَّهِ نَفْسِهِ » .

(٥) فِي « م » : « خَصَائِلُهُ » .

(٦) مُصَفَّحُ الْقَدَمَيْنِ : مَسْتَوَى الْقَدَمَيْنِ .

(٧) بَنُو الْحَشْحَاسِ : قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ - مِنَ الْأَزْدِ . وَفِي « م » : « بَنُو الْحَشْحَاشِ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ . تَحْرِيفٌ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ، مَادَّةُ « حَسَسَ » ، وَانْظُرْ لِقِمَانِ الْحَكِيمِ لِعَبْدِ اللَّهِ كُنُونِ طِ دَارِ الْمَعَارِفِ ص ١٩] .

بِشَاءٍ ، فَقَالَ لُقْمَانُ : يَا جَبْرِيلُ ، إِنْ أَمَرَنِي ^(١) رَبِّي فَسَمِعَ وَطَاعَةً ، وَإِنْ خَيْرَنِي اخْتَرْتُ الْحِكْمَةَ ، فَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ ^(٢) الْحِكْمَةَ ، وَصَرَفَ عَنْهُ الرِّسَالَةَ ^(٣) إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ دَاوُدُ يَقُولُ : طُوبَى لَكَ يَا لُقْمَانُ ، أُوتَيْتَ الْحِكْمَةَ وَأُوتِيَ دَاوُدُ الْبِلْيَةُ . وَرَوَى أَنَّهُ جَالَسَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَاوُدُ يَعْمَلُ الدُّرُوعَ ^(٤) ، فَأَقَامَ حَوْلًا يَصِيرُ صَنْعَةُ الدُّرُوعِ وَلَا يَعْلَمُ مَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَلَا يَسْأَلُ ^(٥) عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَمَّ حَوْلُ ^(٦) لَيْسَ دَاوُدُ الدُّرُوعَ وَقَالَ : ذِرْعُ حَصِيئَةٍ لِيَوْمِ حَرْبٍ ! فَقَالَ لُقْمَانُ : الصَّمْتُ حِكْمَةٌ ^(٧) وَقَلِيلٌ فَاعْلُهُ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا بَعَثَ عَامِلًا اشْتَرَطَ عَلَيْهِ ^(٨) أَنْ لَا يَرْكَبَ الْبَرَادِيزِ ، وَلَا يَلْبَسَ الرِّفِيقَ ، وَلَا يَأْكُلَ الثَّقِيَّ ، وَلَا يَتَّخِذَ حَاجِبًا ، وَلَا يَغْلِقَ بَابًا عَنْ حَوَائِجِ النَّاسِ وَمَا يَصْلِحُهُمْ ، وَيَقُولُ لَهُ : إِنِّي ^(٩) لَا أَسْتَعْمِلُكَ عَلَى أَبْشَارِهِمْ ^(١٠) وَلَا أَغْرَاضِهِمْ وَلَا أَعْمَالِهِمْ ^(١١) ، وَإِنَّمَا أَسْتَعْمِلُكَ لِتُصَلِّيَ بِهِمْ ، وَتَقْضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

(١) في (م) : « جبرئيل » .

(٢) في (م) : « وأعطاه » .

(٣) في (م) : « وصرف الرسالة » .

(٤) في (م) : « أنه كان جالساً عند داود ، وداود يعمل الدروع » والدروع ، يُذَكَّرُ وَيؤنث ، وهو : قميص من حلقات من الحديد متشابهة ، يُلْبَسُ وقاية من السلاح ، وجمعه : أدراع أو أدرع ، وفروع .

(٥) في (م) : « ولا يسأله » .

(٦) حول : سنة .. وفي (م) : « حولاً » بالنصب .. لا تصح .

(٧) في (م) : « حكم » تحريف .

(٨) في (م) : « اشترط عليه أربعة : لا يركب .. وما هنا أكثر من أربعة شروط .

(٩) في (م) : « ويقول : إني » .

(١٠) أبشارهم ، أى : ظاهراً جلودهم .. وفي الحديث : « لم أبعث عُثْمَانُ لِيُضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ » جمع بشرة .

(١١) قوله : « ولا أعمالهم » عن (ط) .

وَرَوَى عَبَّادُ بْنُ رِفَاعَةَ ^(١) قَالَ : بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ^(٢) أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ اتَّخَذَ قَصْرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بَابًا وَقَالَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٣) ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ^(٤) ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا أَحَبَّ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَمْرِ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بَعَثَهُ ، فَقَالَ لَهُ ^(٥) : اثْبَتْ سَعْدًا فَأَحْرِقْ عَلَيْهِ بَابَهُ . فَقَدِمَ الْكُوفَةَ ، فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ أَخْرَجَ زَلَدَهُ ، وَاسْتَوْرَى ^(٦) نَارًا ، ثُمَّ أَحْرَقَ الْبَابَ ، فَأَتَى سَعْدًا الْخَبِيرَ ، وَوَصَفَ لَهُ بِصِفَتِهِ فَعَرَفَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ قُلْتَ : انْقَطَعَ الصَّوْتُ ^(٧) ، فَحَلَفَ سَعْدٌ بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : نَفْعُ الْإِذَى أَمْرُنَا بِهِ ^(٨) وَتَوَدَّى عَنْكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رَكِبَ وَاحِلَتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ يَبْطِنُ الْبَرِّيَّةَ أَصَابَهُ مِنَ الْخَمْصِ ^(٩) وَالْجُوعِ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ ، فَأَبْصَرَ عَنَمًا ، فَأَرْسَلَ غَلَامَهُ بِعِمَامَتِهِ فَقَالَ : اذْهَبْ فَابْتَغِ مِنْهُمْ شَاءَ ، فَجَاءَ الْغَلَامُ بِالشَّاةِ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَأَرَادَ ^(١٠) ذَبْحَهَا ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ

(١) في « م » : « عبادية » . تحريف . وهو عباد بن رفاع بن خديج ، أبو رفاع الأنصاري الحارثي .. من رواة الحديث الثقات .

[انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٩٤ ، ولسان العرب ، مادة « عبا »] .

(٢) قوله « : قال » : بلغ عمر بن الخطاب « عن » ط « ولم ترد في « م » .

(٣) في « م » : « الصووت » .. والصَّوْتُ : الكثير التصويت .

(٤) هو : محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي ، الأوسي الأنصاري ، الحارثي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، من الأمراء ، من أهل المدينة ، شهد بدرًا وما بعدها ، إلَّا غزوة تبوك ، واستخلفه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على المدينة في بعض غزواته ، وولاه عمر على صدقات جهينة .. واعتزل الفتنة في أيام عليٍّ ، فلم يشهد الجمل ولا صفين ، وكان عند عمر متعبدًا لكشف أمور الولاة في البلاد .. وتوفي بالمدينة ، واختلف في تاريخ وفاته ما بين سنة ٤٣ هـ إلى ٤٧ هـ وقيل . كان عمره سبعاً وسبعين سنة .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ١١٢ ، ١١٣ ، والمعارف ص ٢٦٩] .

(٥) « له » عن « ط » .

(٦) في « م » : « أخرج زلداً فاستورى » . والزلُّدُ : العود الأعلى الذي تُقدح به النار . واستورَى : أخرج ناره .

(٧) في « م » : « : التصويت » .

(٨) في « م » : « : أَمْرُنَا بِهِ عُمَرُ » .

(٩) الْخَمْصُ : الجُوع .

(١٠) في « م » : « : فلما أراد » .

كُفَّ^(١) ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ : اُنْظُرْ ، فَإِنْ كَانَتْ مَمْلُوكَةٌ مُسَيَّمَتَهَا^(٢) فَارْزُدِ الشَّاةَ وَخُذِ الْعِمَامَةَ ، وَإِنْ كَانَتْ^(٣) حُرَّةً فَادْبِجِ^(٤) الشَّاةَ . فَذَهَبَ ، فَإِذَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ ، فَرَزَدَ الشَّاةَ وَأَخَذَ الْعِمَامَةَ ، فَأَخَذَ بِخَطَامِ^(٥) نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ^(٦) لَا يَمُرُّ بِقَلْبَةٍ إِلَّا حَطَفَهَا ، حَتَّى آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى قَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِخُبْرٍ وَلَيْتَنَ وَقَالُوا : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ غَيْرَ هَذَا أَتَيْنَاكَ بِهِ ، فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، كُلُّ حَلَالٍ أَذْهَبَ السُّعْبَ^(٧) خَيْرٌ مِنْ مَأْكَلِ السُّوءِ ، حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَزَلَّ بِأَهْلِهِ ، فَاتَّبَعَدَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ رَاحَ ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ : لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ مَا رَأَيْنَا أُنْكَ أَدَيْتَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَسْرَعَ السَّيْرِ^(٨) ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَهُوَ يَتَعَدَّرُ وَيَخْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ^(٩) . فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ أَمَرُ لَكَ بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ^(١٠) مَكَائِلًا أَنْ تَأْمُرَ^(١١) لِي . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ أَرْضَ الْعِرَاقِ^(١٢) أَرْضُ رَفِيقَةٍ ، وَإِنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يُمَوِّثُونَ حَوْلِي مِنَ الْجُوعِ ، فَخَشِيتُ أَنْ أَمَرَ لَكَ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكَ بَارِدُهُ وَلَيَّ الْحَارُّ .

وَرَوَى تَهْدُ بْنُ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هَيْبًا ، عَلَى الْحِمَى ، فَقَالَ : يَا هَيْبُ ، اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ^(١٣) ، وَأَتَّقِ دَعْوَةَ

(١) في « م » : « أَنْ يَكُفَّ » .

(٢) أى : « راعيتها » . وفي « م » : « مُسَيَّمَهَا » .

(٣) في « م » : « كَانَ » .

(٤) في « م » : « فَارْزُدْ » لا تصح معنى .

(٥) في « م » : « وَأَخَذَ .. وَالْخَطَامُ : الزمام .

(٦) في « م » : « وَجَعَلَ » .

(٧) السُّعْبُ : الجوع .

(٨) في « م » : « الْمَسِير » .

(٩) في « م » : « وَهُوَ يَحْتَدِرُ بِاللَّهِ وَيَخْلِفُ مَا قَالَهُ » .

(١٠) في « م » : « قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ » .

(١١) في « م » : « بِأَمْرٍ » .

(١٢) في « م » : « إِنَّ الْعِرَاقَ » .

(١٣) اضمم جناحك عن المسلمين ، أى : ائمن بجانبك لهم .

الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَأَدْخِلَ رَبُّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةَ ^(١) ، وَإِيَّاكَ
وَنَعَمْ ^(٢) ابْنِ عَوْفٍ ، وَنَعَمْ ابْنِ عَفَانَ ^(٣) فَإِنَّهُمَا أَنْ تَهْلِكَ مَاشِيَتُهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى زَرْعٍ
وَنَحْلٍ ، وَإِنَّ رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وَالْعُنَيْمَةِ ^(٤) أَنْ تَهْلِكَ مَاشِيَتُهُمَا يَأْتِيَنِي بَيْنَهُ فَيَقُولُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَتَارَكُهُمْ ^(٥) أَنَا لَا أَبَا لَكَ ؟ فَالْمَاءُ ^(٦) وَالْكَلَأُ أُنَسِرُ عَلَى مِنَ الذَّهَبِ
وَالْوَرِقِ ^(٧) ، وَإِنَّمِ اللَّهُ ، إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُهُمْ ، إِنَّهَا لَيَلَادُهُمْ ^(٨) قَاتِلُوا عَلَيْهَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَسْلَمُوا عَلَيْهَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَالَّذِي تَفْسِي يَدِيهِ ، لَوْلَا الْمَالُ الَّذِي أُحْمِلُ
عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا حَمَيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ بِلَادِهِمْ شَيْئًا ^(٩) . وَمَرَّ يَوْمًا بَيْنَاءٍ يُنْتَى بِحِجَارَةٍ
وَجِصٍّ ^(١٠) فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا ؟ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ ^(١١) لِعَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ،
فَقَالَ : أَبَتِ الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تُخْرَجَ ^(١٢) أُعْتَقَتْهَا ، وَقَاسَمَهُ مَالَهُ . وَكَانَ يَقُولُ : عَلَى كُلِّ
خَائِنٍ أُمَيَّانٍ : الْمَاءُ وَالطِّينُ .

وَكَانَ أَبُو شُرَّوَانَ يَكْتُبُ عَلَى عَهْدِ الْعُمَالِ : سُنَّ خِيَارِ النَّاسِ بِالْمَحَبَّةِ ، وَأَمْرُجَ
لِلْعَامَةِ الرُّغْبَةَ بِالرُّهْنَةِ ، وَسُنَّ سِفْلَةَ ^(١٣) النَّاسِ بِالْإِخَافَةِ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ،

(١) يعنى : فى الجمنى والمزعى ، يريد صاحب الإبل القليلة ، والقنم القليلة .

(٢) فى م : « ولماى » تحريف .. والنعم : الإبل ، وجمعه : أنعام ونعمان .. وهو جمع لا واحد له من لفظه ..
وابن عوف هو : عبد الرحمن بن عوف .

(٣) فى م : « عنان » بالنون ، تحريف .. وهو عنان بن عفان .

(٤) فى م : « ورب الثنيمة والصريمه » .

(٥) فى م : « أفأتركهم » .

(٦) فى م : « فالملأ » تحريف .

(٧) فى م : « أنسر من النهب والرزق » ، والأخيرة تحريف .. والورق : الفضة .

(٨) لتلادهم ، أى : أمولهم الأصلية القديمة .. ول م : « لتلادهم » .

(٩) فى م : « شيا » .. وما حيث عليهم من بلادهم ، أى : ما جعلتها حتى لا يُقرب .

(١٠) الجِصُّ ، بفتح الجيم وكسرها : من مواد البناء ، لفظه معربة .

[انظر الصحاح والقاموس] .

(١١) فى م : « فذكروا أنه » .

(١٢) فى م : « أن لا تخرج » .

(١٣) فى م : « سفل » .

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : كَمَا يَصْلُحُ الْيَهْمَزُ لِلْفَرَسِ ، وَالرَّسَنُ ^(١) لِلْحِمَارِ ، كَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الْجُهَالِ ^(٢) . وَفِي الْأَمْثَالِ : مَنْ لَمْ يَصْلُحْ بِاللَّيْنِ أُصْلِحَ بِالثَّلِينِ . وَقَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَافَ ^(٣) : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَقْدَادَ ^(٤) عَلَى سَرِيَّةٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ رَأَيْتَ الْإِمَارَةَ أَبَا مَعْبِدٍ ^(٥) ؟ قَالَ : خَرَجْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَرَى لِي فَضْلًا عَلَى الْقَوْمِ ^(٦) فَمَا رَجَعْتُ إِلَّا وَكَأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِي . قَالَ : وَكَذَلِكَ الْإِمَارَةُ أَبَا مَعْبِدٍ ، إِلَّا مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ^(٧) لَا أَعْمَلُ عَلَى عَمَلٍ أَبَدًا » .

وَقِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُفَشِيَ الْعَمَلَ ^(٨) فِي الْأَفَاضِلِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ ^(٩) : هُمْ أَجَلٌ مِنْ أَنْ

(١) الْيَهْمَزُ : مَا يُهْمَزُ بِهِ .. وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْحَلِيدَةِ الَّتِي فِي مَوْحَرِ حِذَاءِ الْفَارَسِ .. وَفِي « م » : « النَّهْرُ » .. وَالرَّسَنُ : مَا كَانَ مِنَ الْأَرْمِيَّةِ عَلَى الْأَنْفِ .

(٢) فِي « م » : « وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ الْقَضِيبُ لظَهْرِ الرِّجَالِ » وَالْقَضِيبُ : الْمَصَا تُنْخَذُ مِنَ الْغَصَنِ الْمَقْطُوعِ .
(٣) فِي « م » وَ « ط » : « هَلَالُ بْنُ يَسَافَ » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَهُوَ : هَلَالُ بْنُ يَسَافَ - أَوْ إِسَافَ - الْأَشْجَمِيُّ ، الْكُوفِيُّ ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو الْحَسَنِ ، تَابَعِي ، مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثَّقَاتِ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ لَقَّةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، رَوَى عَنْ أَبِي يَحْيَى ، وَسُوَيْدِ بْنِ مِقْرَنَ ، وَغُرُورَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَزَوْيَ عَنْهُ مَنصُورُ بْنُ الْمُحْتَسِرِ ، وَحَصِينُ بْنُ عَبْدَةَ .

- [انظر رجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٥ ، والمغنى في ضبط أسماء الرجال ص ٢٧٦ ، وعيون الأخبار ج ٢ ص ٣٣١] .

(٤) هُوَ : الْقَدَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ ، وَيُحْمَرُ بِأَبْنِ الْأَسْوَدِ ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو مَعْبِدٍ .. صَحَابِيُّ مِنَ الْأَطْبَالِ ، وَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ .. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٣ هـ - وَقِيلَ سَنَةَ ٣٠ هـ - وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٨٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٥١ - ٢٥٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٦ ، والجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، والمعارف ص ٢٦٢] .

(٥) فِي « ط » : « أَبَا مَغِيرَةَ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، خَطَأً ، وَكِتَبَتْهُ : أَبُو مَعْبِدٍ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي الْهَامِشِ السَّابِقِ .
(٦) فِي « ط » : « وَمَا أَدْرَى أَنْ لِي فَضْلًا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ » .

(٧) فِي « م » : « بِعَثَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا » .

(٨) تُفَشِي الْعَمَلَ : يُكْفِرُهُ وَتَنْشُرُهُ .

(٩) فِي « م » : « قَالَ » .

أَدْنَسَهُمْ بِالْعَمَلِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ^(١) : كَانَ عُمَرُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْوَفْدُ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ ، وَعَمَّنْ يَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَعَنْ أُمِيرِهِمْ : هَلْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ الضَّعِيفُ ؟ وَهَلْ يَعُودُ الْمَرِيضُ ؟ فَإِنْ قَالُوا : نَعَمْ ، حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ قَالُوا : لَا ، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَلَ .

وَمَثَلَ السُّلْطَانِ إِذَا وَلَّى الْعُمَّالَ الظَّالِمِينَ ، مَثَلُ مَنْ يَسْتَرْعِي غَنَمَهُ الذَّنَابَ ، وَمَثَلُ مَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ . وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَتَشْتُمُ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسَفَ ، وَالْخَاصَّةُ تُلُومُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، لِأَنَّهُ اسْتَرْعَاهُ ^(٢) الرُّعِيَّةَ . وَقَدْ قِيلَ :

وَمَنْ يَرْبِطُ الْكَلْبَ الْعَقُورَ بِبَابِهِ فَتَعْرِ جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ رَابِطِ الْكَلْبِ

وَكَانَ الْعَلَاءُ بْنُ أُيُوبَ لَمَّا وَلَّى فَارِسَ مِنْ قَبْلِ الْعَامُورِ يَكْتُبُ عَهْدَ الْعُمَّالِ فَيَقْرُؤُهُ عَلَى مَنْ يَحْضُرُهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَمَلِ ، وَيَقُولُ : أَنْتُمْ عِيُونِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْفُوهُ مِنْهُ ، وَمَنْ تَظَلَّمَ إِلَيَّ مِنْهُ فَعَلَى إِنْصَافِهِ وَنَفَقَتِهِ جَائِئِيًا وَرَاجِعًا ، وَيَأْمُرُ الْعُمَّالَ أَنْ يَقْرَءُوا ^(٣) عَهْدَهُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَيَقُولُ ^(٤) لَهُمْ : هَلْ اسْتَوْفَيْتُمْ ۙ

(١) في م : « أبو هريرة » .. وقد رواه إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد في تاريخ الطبري ، الجزء الرابع ص ٢٢٦ .. وإبراهيم النخعي هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي ، أبو عمران ، من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية ، وحفظًا للحديث ، روى عن علقمة بن قيس ، وعبيدة السلماني ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وغيرهم .. وتوفي - رحمه الله - سنة ٩٦ هـ متخفيًا من الحجاج ، وفي تاريخ وفاته اختلاف .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ١ ص ٨٠ ، وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٧٠ - ٢٨٤ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٠ - ٥٢٩ ، والمعارف ص ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٦٠ ، ٦١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٤٧ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٣] .

(٢) في م : « ولأنه الذي استرعاه » . واسترعاه : ولأه أمر الرعية .

(٣) في م : « ويأمر العامل أن يقرأ » .

(٤) في م : « وأن يقول » .

البَابُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي هَدَايَا الْعُمَّالِ وَالرُّشَا عَلَى الشَّفَاعَاتِ

رَوَى ^(١) أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّ » ^(٢) . وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ ^(٣) مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ الظَّالِمِ ، أَوْ الْيَدِ الْقَاهِرَةِ ، صَارَ ذَلِكَ وَاجِبًا عَلَيْكَ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اسْتَعْمَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « ابْنُ اللَّثِيئَةِ » ^(٤) ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي .. فَعَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « مَا بَالُ الرَّجُلِ » ^(٦) نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا لِي ^(٧) ، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ ۚ ^(٨) .

(١) فِي « م » : « وَرَوَى » .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْيُورُوعِ ، بَابُ فِي الْهَدِيَّةِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ ج ٣ ص ٢٩٠ ط الدار المصرية اللبنانية .

(٣) فِي « ط » : « حَاجَةٌ » .

(٤) هُوَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ اللَّثِيئَةِ الْأَزْدِيُّ ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِلَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ .

[انْظُرْ أَسَدُ الْقَابَةِ ج ٣ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، وَكِتَابُ الْخُرَاجِ لِأَبِي يُوسُفَ ص ٨٨] .

(٥) فِي « ط » : « قَالَ : فَغَضِبَ النَّبِيُّ .. » .

(٦) فِي الْبُخَارِيِّ : « فَمَا بَالُ الْعَامِلِ » وَفِي مُسْلِمَ : « مَا بَالُ عَامِلٍ ... » .

(٧) فِي الْبُخَارِيِّ : « هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي .. » وَفِي مُسْلِمَ : « هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي » .

(٨) فِي الْبُخَارِيِّ : « هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا » .

قَالَ مَالِكٌ : وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُشَاطِرُ الْعُمَالِ ، فَيَأْخُذُ
نِصْفَ أَمْوَالِهِمْ ، وَشَاطِرُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْمَالُ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
دَوَابُّ تَنَاجَثُ ، وَبِجَارَاتٍ تَدَاوَلَتْ . فَقَالَ أَذْ الشُّطْرُ . وَإِنَّمَا شَاطَرْتُهُمْ حِينَ ظَهَرَتْ
لَهُمْ ^(١) أَمْوَالُ بَعْدِ الْوِلَايَةِ لَمْ تَكُنْ تُعْرَفُ لَهُمْ .

وَرَوَى مَالِكٌ ^(٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ اشْتَرَى هُوَ وَعَبِيدُ اللَّهِ ^(٣) أَخُوهُ إِبِلًا ، فَبَعَثَا بِهَا إِلَى
الْحِمَى ، فَرَعَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ : رَعَيْتُمَا ^(٤) فِي الْحِمَى ؟ فَشَاطَرْتُهُمَا . وَشَاطَرُ سَعْدِ بْنِ
أَبِي وَقَاصٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْكُوفَةِ . كَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ مَا أَصَابَ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ رِشْوَةٍ - وَإِنْ
كَانَ حَلَالًا - فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ، لِأَنَّ لَهُ بِالْأَمْرِ قُوَّةً عَلَى أَنْ يَتَالَ مِنَ الْحَلَالِ مَالًا يَتَالُهُ
غَيْرُهُ ، فَجَعَلَهُ كَالْمُضَارِبِ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَلَمَّا دَفَعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مَالًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِعَبِيدِ اللَّهِ وَعَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ بِالْبَصْرَةِ ، اشْتَرَيَا مِنْهُ بِضَاعَةً قَرِيبَتْ ^(٥) بِالْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَأْخُذَ ^(٦)
جَمِيعَ الرِّبْحِ ، فَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، فَحَكَمَ بَيْنَهُمْ بِنِصْفِ الرِّبْحِ ، فَأَخَذَا جَمِيعًا نِصْفَ
الرِّبْحِ ، وَأَخَذَ عُمَرُ النِّصْفَ لِبَيْتِ الْمَالِ .

= [انظر الحديث في صحيح البخارى ، في كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت بين النبى ، صلى الله عليه
وسلم ، المجلد الثالث ج ٨ ص ١٦٢ ط دار الشعب ، وج ١١ ص ٥٢٤ من فتح البارى ط دار المعرفة .. وصحيح
مسلم باب تحريم هذابا العمال ج ١٢ ص ٢١٨ - ٢٢٢ ، وسنن الدارمى ج ٢ ص ٢٣٢ باب فى العامل إذا أصاب
شيئا من عمله] .

(١) : لهم « عن « ط » .

(٢) فى « م » : : مالك عن أبيه عن ابن عمر ، .. وهو الإمام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى ، وقد مر
التعريف به .

(٣) فى « م » : : عبد الله « تحريف .. وهو عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، والقرشى ، أخو عبد الله بن
عمر لأمه ، صحابى من أنجاد قريش وفُرساتهم ، ولد فى عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأسلم بعد أبيه ، ثم
سكن المدينة ، وغزا إفريقية مع عبد الله بن سعد ، ورحل إلى الشام فى أيام علي ، وشهد « صفين » مع معاوية ، وقُتل
فيها سنة ٣٧ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ١٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٢٧ - ٥٢٩] .

(٤) فى « م » : : رعيتهما « على الأفراد .

(٥) فى « م » : : خرجت « .

(٦) فى « م » : : يأخذها « .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَمَّالِهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمَنْعِهِمْ الْحَقَّ حَتَّى يَشْتَرَى ، وَبَسْطِهِمُ الْبَاطِلَ حَتَّى يُفْتَدَى ^(١) .. الْمُلْكُ بِالذِّينِ يَقْوَى ، وَالذِّينُ بِالْمُلْكِ يَنْقَى . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ إِذَا قَدِمَ ^(٢) عَلَيْهِ الْعُمَّالُ أَنْ يَدْخُلُوا نَهَارًا وَلَا يَدْخُلُوا لَيْلًا ، كَيْلًا يَحْتَاجِبُوا ^(٣) شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ .

وَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ : وَاللَّهِ مَا أَصَبْتُ فِي عَمَلِي الَّذِي وَلَّيْنِي النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا ثَوْبَيْنِ مُعَقَّدَيْنِ ^(٤) كَسَوْتُهُمَا مَوْلَايَ كَيْسَانَ . وَرَوَى أَنَّ عَلِيًّا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، اسْتَعْمَلَ أَبَا مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى السَّوَادِ ^(٥) ، فَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ وَقَدْ امْتَلَأَتْ ، فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : كَذَلِكَ يَصْنَعُونَ بِالرَّجُلِ إِذَا اسْتَعْمِلَ . قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنَّ يَأْكُلُوا فِي أَمَانَتِي ! وَيُرَوَّى : فِي إِمَارَتِي . فَرَجَعَ إِلَيَّ عَلِيٌّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٦) وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي الْعَمَلِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ سَمُرَةَ ^(٧) لِيَسْتَعْمِلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَرْ لِي . قَالَ : اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ .. وَفِي الْأَمْثَالِ : إِنَّ الْهَدِيَّةَ تُعْمِي وَتُصْمِّمُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الرِّشْوَةُ رِشَاءُ الْحَاجَةِ ^(٨) . وَالشَّدُّ بَعْضُهُمْ :

إِذَا أَتَتْ الْهَدِيَّةُ دَارَ قَوْمٍ نَطَّائِرَتِ الْأَمَانَةُ مِنْ كُورِهَا ^(٩)

(١) في ط : « يُفْتَدَى » بالفاء الموحدة .

(٢) في م : « قَدِمُوا » .

(٣) في م : « كَيَّ يَحْتَاجِبُوا » بالنون ، أَيْ : يَحْتَاجِبُوا .

(٤) في م : « مَقْعَدَيْنِ » تحريف .. وَالْمُعَقَّدُ : ضَرْبٌ مِنْ بَرْدٍ وَهَجَرٍ .

(٥) السَّوَادُ : مَا حَوْلَ الْكَوْفَةِ مِنَ الْقُرَى .. أَمَّا أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَهُوَ : عَقِبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، الْبَدْرِيُّ ، وَكَتَبَتْهُ أَبُو مَسْعُودٍ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، شَهِدَ الْعَقِبَةَ وَأَخَذَهَا وَمَا بَعْدَهَا ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا ، وَإِنَّمَا سَكَنَ بِهَا ، وَنَزَلَ الْكَوْفَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهَا لَمَّا سَارَ إِلَى « صَفِّينَ » . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٤٠ ، وَأَسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٥٧ ، وَانظر معجم البلدان ، مادة « سور »] .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُعَقَّدَيْنِ عَنْ « م » .

(٧) هُوَ الصَّحَابِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ حَبِيبِ الْقُرَشِيِّ ، وَقَدْ مَرَّ الصَّرِيفُ ٤٠ .

(٨) الرِّشَاءُ : الْحَبْلُ .. وَالرَّادُ هُنَا : الرُّوسُلَةُ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ بِالْمَصَانِعَةِ .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الرَّافِعِ .. وَكَوْرُهَا : نَوَافِذُهَا ، جَمْعُ كُورَةٍ .

وَلْيَغْضِبْهُمْ :

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حُلْوَةٌ كَالسَّخْرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا (١)
تُذْنِي الْبَعِيدَ مِنَ الْهَوَى حَتَّى تُصَيِّرَهُ قَرِيْبَا (٢)
وَتُرْدُ مُضْطَظِّنَ الْقَدَا وَةً بَعْدَ جَفَوْتِهِ حَيَا (٣)
وَمِمَّا قُلْتُمْ فِي الرِّشْوَةِ :

وَأَكْرَمُ مَنْ يَدُقُّ الْبَابَ شَخْصٌ ثَقِيلُ الْحَمْلِ مَشْغُولُ الْيَدَيْنِ
يَنْوُو إِذَا مَشَى نَفْسًا وَنَفْحًا وَيَنْطَحُ بِأَبِهِ بِالرُّكْبَتَيْنِ
وَأَكْرَمُ شَافِعٍ يَمْشِي عَلَيْهَا أَبُو الْمَنْقُوشِ فَوْقَ الصَّفْحَتَيْنِ (٤)
وَقُلْتُ (٥) أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَلْتُ بِإِنْجَازِهَا مُقَرَّمٌ (٦)
فَارْسِلْ بِأَكْمَهْ خَلَابَةً بِهِ صَمَمٌ أَغْطَشَ أَبْكَمُ (٧)
وَدَغَ عَنْكَ كُلُّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ
وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى قَاضِيهِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ ، وَقَدْ ارْتَشَى بِكَرْمَةٍ (٨) :
إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابٍ بَيْتٍ تَقَحَّمَتْ لَتَسْكُنَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ (٩)
سَعَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَوَلَّى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ (١٠)

(١) الأبيات من مجزوء الكامل المرفل ، وتغلب : تغلب .

(٢) في عيون الأخبار : « تذني البغيض » .

[انظر ج ٢ ص ٤٢ ط دار الكتب العلمية] .

(٣) في المصدر السابق : « تُفَرِّقُهُ » مكان « جَفَوْتُهُ » . والمُضْطَظِّن : المنطوي على الحقد .

(٤) هذا البيت عن « ط » ولم يرد في « م » .. وأبو المنقوش كتابة عن الدرهم والدينار .

(٥) في « م » : « وقال » .

(٦) الأبيات من المتقارب ، ومُقَرَّم : مولع وحرص .

(٧) الْأَكْمَه : الأعمى . والخَلَابَةُ : الذي يسلب العقل بلطف حديثه .. والأغطش : المتغافل المتعمى .

(٨) الكَرْمَةُ : حديقة العنب .

(٩) البيتان من الطويل ، وتَقَحَّمَتْ : دخلت بعد رَوِيَّة .

(١٠) هَرَبًا مِنْهُ ، أى : من البيت الذي دخلته الرشوة .. وفي « م » : « هَرَبًا مِنْهَا » أى : من الرشوة .

البَابُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْخَلْقِ

اعْلَمُوا ، أُرْسِدَكُمُ اللهُ [تَعَالَى] ^(١) أَنَّ هَذَا الْبَابَ مِمَّا غَلِطَ الْخَلْقُ فِيهِ ، وَقَلَّبُوا الْقَوْسَ رَكْوَةً ^(٢) ، فَعَمِدُوا إِلَى أُخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَخَلَاتِقِ الْغَوَاةِ وَالْأَذْنِيَاءِ ^(٣) ، وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوْا وَتَعَاشَرُوا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي مَدْحِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَكِعَاطِيهِمْ الْكَذِبَ وَالتَّصْنُوعَ وَالْمَلَقَ وَالْمِرَآةَ وَالْمَعَارِيضَ ^(٤) عَنِ الْأُمُورِ الْمَكْنُونَةِ الَّتِي يَسُوءُ إِظْهَارُهَا ، وَالْإِنْخِرَاطُ فِي سِلْكِ الْمَزَاجِ وَالْمَهَارَةِ ^(٥) ، فَهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ عِنْدَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا يَقْبِضُ مَائِصُ اللهِ عَلَيْهِ وَرَسُولُهُ مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ .

فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَحْتَوِ ^(٦) الْأَرْضُ عَلَى بَشَرٍ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ مُحَمَّدٍ ،

(١) ما بين المعقوفتين عن « ط » .

(٢) أصل الرُّكْوَةُ : الدَّلْوُ الصَّغِيرَةُ .. وقلبوا القوس ركوة : نكّل يُضَرَّبُ فِي الْإِدْبَارِ وَانْقِلَابِ الْأُمُورِ .

[انظر لسان العرب - مادة : ركو] .

(٣) فِي « م » : « وَالْأَذْنَاءُ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا ، فَكَلَامُهَا جَمْعُ دُنَى ، بِمَعْنَى خَسِيسٍ وَدُونَ .

(٤) الْمِرَآةُ : أَنْ يُظْهَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مُتَصِفٌ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ، عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ . وَالْمَعَارِيضُ : جَمْعُ مِعْرَاضٍ ، وَأَصْلُهُ الثَّوْبَةُ وَالسَّرُّ . وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنْ فِي الْمَارِيضِ لَمُدْوَحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ » .

(٥) الْمَزَاجُ : الْمِدَاعِمَةُ .. وَالْمَهَارَةُ : الْقَوْلُ الَّذِي يَقْبِضُ بَعْضُهُ .. بَعْضًا .

(٦) فِي « م » : « لَا تَحْتَوِي » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكُلُّ مَنْ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(١) أَوْ قَارَبَهَا ، أَوْ بَعْضُهَا ^(٢) كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ، وَكُلُّ خُلُقٍ لَيْسَ يُعَدُّ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَيْسَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَهَذَا فَضْلُ الْخُطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ لِمَنْ عَقَلَ ، وَإِنَّمَا أُوتِيَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَنَّهُمْ اسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ الْعَامِيَّةَ ، وَاسْتَحْسَنُوا الْأَخْلَاقَ النَّبَوِيَّةَ ، لِجَهْلِهِمْ بِأَخْلَاقِ الْمُصْطَفَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا أَنَا أَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَا نَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَصَفِيهِ مُحَمَّدٍ ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٤) . فَحَصَّرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، مِنَ الْحَيَاءِ ^(٥) وَالْكَرَمِ ، وَالصَّفْحِ ^(٦) وَحُسْنِ الْعَهْدِ بِمَا لَمْ يُؤْتِهِ غَيْرُهُ ، ثُمَّ مَا أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ فَضَائِلِهِ بِمِثْلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . وَعَنْ هَذَا قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ دَعَا الْخُلُقَ إِلَى حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَدَعَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ ^(٧) بْنُ عُمَيْرٍ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] ^(٨) : صِفِي لِي خُلُقَ ^(٩) رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لِي : أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ كَانَ

(١) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٢) يفتح الضاد المعجمة على المفعولية ، أى : قارب بعضها .. وبكسرهما على تقدير حرف الجر التقدم ، أى : أو تغلق ببعضها .

(٣) محمد ، عن « ط » .

(٤) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٥) فى « م » : « الحفا » تحريف .

(٦) فى « م » : « والصَّفْحُ عن الجاني » .

(٧) فى « م » : « عبد الله » تحريف .. وهو : عبيد الله بن عمر - أبو عبيد بن عمر - بن قتادة ، أبو عاصم الليثى الكنى ، وهو ممن سمع عائشة وأبا موسى .. وقد مر التعريف به .

(٨) ما بين المعقوفين عن « م » .

(٩) فى « م » : « أخلاق » .

خُلِقَهُ الْقُرْآنَ . وَحَسْبُكَ بِهَذَا الْقَوْلَ مَقْبَعَةٌ لِلرَّسُولِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَعْرِيفًا لَكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ ، فَإِذَا كَانَ خُلُقُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْقُرْآنَ ، فَالْقُرْآنُ يَجْمَعُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَيَحْتُ عَلَيْهِا ، وَيَنْتَهِي عَنْ كُلِّ تَقْصِيصَةٍ وَرَذِيلَةٍ ، وَيُوضِّحُهَا وَيُبَيِّنُهَا ، وَلِذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اخُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ . فَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ كَمَا تَرَى . فَانْظُرْ أَيْنَ أَخْلَاقُ الْعَامَةِ مِنْ هَذَا التَّمِيطِ ؟ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَقْطَعُ مَنْ وَصَلَهُ ، وَيَحْرِمُ مَنْ أَعْطَاهُ ، وَيَظْلِمُ مَنْ سَأَلَهُ ، وَيَعْضِبُ عَلَى مَنْ أَثَمَهُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، لِأَنَّهَا أَصُولُ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَّبِعُ الْمَنَاقِبِ ، لِأَنَّ فِي اخُذِ الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِ ، وَالصَّفْحِ عَنِ الظَّالِمِ ، وَإِعْطَاءِ الْمَانِعِ ، وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ نَفْوَ الرَّجِيمِ ، وَصَوْنَ اللَّسَانِ ، وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَفِي تَقْوَى اللَّهِ بِذُخْلِ جَمِيعِ آدَابِ الشَّرْعِ ، فَرَضُهَا وَتَفَلُّهَا ، وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّفْحُ وَالْحِلْمُ ، وَتَقْوَةُ النَّفْسِ عَنْ مُمَارَاةِ السَّيْفِيهِ وَمُجَارَاةِ اللَّحُوجِ ^(٣) ، فَهَذِهِ الْأَصُولُ الثَّلَاثُ تَتَضَمَّنُ مَحَاسِنَ الشَّرْعِ نَصًّا وَتَبْيِيهَا ، وَضَمِنًا ^(٤) وَاعْتِبَارًا .

وَرَوَى أَنَسٌ : « قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ ^(٥) الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي السُّنَنِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّ مَكَارِمِ ^(٦) الْأَخْلَاقِ » . اقْتَضَى الْحَدِيثُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مَبْعُوثٍ إِلَى أُمَّةٍ إِنَّمَا بُعِثَ

(١) في « م » : « مقبعة للرسول عليه السلام » والمنقبة : المفضلة والفعل الكريم .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) قوة النفس : غلبتها .. وفي « م » : « عن مجاراة اللوح ومماراة السفيه » .. والمماراة : المسايرة .

(٤) في « م » : « وتبويبها واعتبارها » .

(٥) في « م » : « أي » مكان « أي » تحريف .

(٦) في « م » : « محاسن » . والأول أشهر .

لِيَعْلَمَ الْخَلْقُ حُسْنَ الْخُلُقِ ، وَأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بُعِثَ لِيَتَمَمَّ مَكَارِمُ ^(٢) الْأَخْلَاقِ ، فَإِذْ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ ^(٣) امْتِثَالُ الشَّرَائِعِ بِأَسْرِهَا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، قَالَ : « وَإِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَكَانَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٤) فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ ، فَجَبَذَهُ ^(٥) أَعْرَابِيٌّ جَبَذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى أَثَرَتْ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ فِي عُنُقِهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرِّئِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكَ ، فَلَسْتُ تَأْمُرُ لِي بِمَالِكَ وَلَا بِمَالِ أَيْكَ ^(٦) ، فَانْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٧) وَقَالَ : مُرُّوا لَهُ ، وَلَمْ يُكَلِّمُهُ بِشَيْءٍ . وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ ^(٨) : حَسَنَ خُلُقِكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ ^(٩) بَنَ جَبَلٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَفْضَلُ مَنَاقِبِ الْعَبْدِ ، وَبِهِ يَظْهَرُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . وَالْإِنْسَانُ مَسْتُورٌ بِخُلُقِهِ ، مَشْهُورٌ بِخُلُقِهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ نَبِيَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١٠) بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ، ثُمَّ لَمْ يَثْنِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ خِصَالِهِ بِجَبَلٍ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ بِخُلُقِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١١) .

(١) في (م) : « محمد » لا تصح .. والنصب هنا على البدلية .

(٢) في (م) : « محاسن » .

(٣) في (م) : « إِذْ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ .. » .

(٤) في (م) : « عليه السلام » .

(٥) جَبَذَهُ : جَلَبَهُ .

(٦) في (م) : « من مالك ولا من مال أهلك » .

(٧) هنا كرر الناسخ « إليه » سهواً .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في (م) : « معاذ بنون » يا .

(١٠) في (م) : « عليه السلام » .

(١١) سبق تحريمها في هذا الباب .

قَالَ : لَا تُخَاصِمَ وَلَا تُخَاصِمَ مِنْ شِدَّةِ مَعْرِفَتِكَ بِاللهِ تَعَالَى ^(١) . وَقِيلَ : لَمْ يُؤْثَرِ فِيكَ جَفَاءُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ بِالْحَقِّ . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ ^(٢) : كَظُمَ الْغَيْظُ ، وَانْظَهَارَ الطَّلَاقُ وَالْبَشَرُ ، إِلَّا لِمُتَبَدِّعٍ أَوْ فَاجِرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاجِرًا إِذَا انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ اسْتَحْيَا وَأَقْلَعَ ^(٣) ، وَالْعَفْوُ عَنِ الزَّالِمِينَ إِلَّا بِأَدَبٍ ^(٤) أَوْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُعَاهِدٍ ، إِلَّا لِتَغْيِيرِ مُنْكَرٍ ، أَوْ اخْتِذَ مَظْلَمَةً لِمَظْلُومٍ ^(٥) ، فَهَذَا حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَتَغَيَّرَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي الصِّفِّ بِحَنِينِكَ . وَقِيلَ لِلْأَخْنَفِ : مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ حُسْنَ الْخُلُقِ ؟ قَالَ : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْيَنْقَرِي ، قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ جَاءَتْهُ خَادِمٌ لَهُ بِسُفُودٍ ^(٦) عَلَيْهِ شِوَاءٌ ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهَا ، فَوَقَعَ عَلَى ابْنِ لَهْ فَنَاسَتْ ، فَدَهَشَتْ الْجَارِيَةُ ^(٧) ، فَقَالَ : لَا زَوْعَ عَلَيْكَ ، أَنْتِ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ^(٨) . وَكَانَ ابْنُ عَمَرَ إِذَا رَأَى وَاحِدًا مِنْ عِبِيدِهِ يُحْسِنُ الصَّلَاةَ يُعْتِقُهُ ، فَعَرَفُوا ذَلِكَ مِنْ تَخْلِيقِهِ ، فَكَانُوا يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ مُرَاءَةً لَهُ ، فَكَانَ يُعْتِقُهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْ خَدَعَنَا فِي اللهِ اخْدَعْنَا لَهُ . وَقَالَ الْفَضْلِيُّ ^(٩) : لَوْ أَنَّ امْرَأً أَحْسَنَ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَتْ لَهُ دَجَاجَةٌ وَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَكَانَ الْمُحَاسِبِيُّ يَقُولُ : فَقَدْ نَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : حُسْنَ الْوَجْهِ مَعَ الصَّيَّانَةِ ، وَحُسْنَ الْقَوْلِ مَعَ الْأَمَانَةِ ، وَحُسْنَ الْإِحْسَانِ مَعَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ :

(١) في « م » : « معرفة الله تعالى » .

(٢) هو : أبو عبيد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، وقد مرَّ التعريف به .

(٣) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « إذا انبسطت استحيا » .

(٤) في « م » : « إلا بإذن » .

(٥) أي : ردَّ ما أخذ منه ظلماً .

(٦) في « م » : « لها » مكان « له » تحريف .. والسفود ، عود « سيخ » من حديد يُنظم فيه اللحم ليشوى .

(٧) دهشت الجارية : ذهب عقلها خوفاً واهلماً .. وهذه الجملة عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٨) في « م » : « فقال : أنت حُرَّةٌ لوجه الله » .

(٩) هو : أبو علي ، الفضل بن عياض ، وقد سبق التعريف به .

عُثْنَانُ الشَّرَفِ حُسْنُ الْخُلُقِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ ^(١) يَقُولُ : حُسْنُ الْخُلُقِ اسْتِصْفَاءُ مَا مِنْكَ ، وَاسْتِعْظَامُ ^(٢) مَا إِلَيْكَ . وَقَالَ سَهْلٌ ^(٣) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا تَطْمَعَ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ : تَحْمُلُ أَثْقَالَ الْخُلُقِ . وَقَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ ^(٤) : عَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ كَفُّ الْأَذَى ، وَاحْتِمَالُ الْمُؤْنِ . وَقِيلَ ^(٥) : حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ تَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَرِيْبًا ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ غَرِيْبًا . وَقِيلَ : حُسْنُ الْخُلُقِ قَبُولُ مَا يَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ جَفَاءِ الْخُلُقِ ، وَقَضَاءُ الْحَقِّ بِلَا ضَمَحٍ وَلَا قَلْبٍ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ الْحَسَنُ اخْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ بِحُسْنِ الْمُدَارَاةِ . وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ ^(٦) : يَا مَرَأَتِي ! فَقَالَ : يَا هَذِهِ ، وَجَذَبَ ^(٧) اسْمِي الَّذِي أَضَلَّهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ !

وَفِي الْحَدِيثِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ سَعَوْهُمْ بِسِنِّ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ » . وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ ^(٨) اجْتَارَ بِسِيكَةِ ^(٩)

(١) هو العارف بالله أبو محمد عبد الله بن محمد الخراز ، المشهور بالرازي ، تلميذ العالم الزاهد أبي عثمان الحيري ، من أهل الري ، وجاور بالحرم سنين كثيرة ، وكان من الورعين القائلين بالحق .. صاحب الجنيـد ، وأبا جعفر ، وأبا عمران الكبير ، وكان ثقة عظيم الشأن .. توفي سنة ٣٨٣ هـ وقيل : العشر والثلاثمائة .

[انظر سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وطبقات الصوفية ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، وطبقات الشمراني ج ١ ص ٩٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٤٨] .

(٢) في (م) : « واستصغار » مكررة .

(٣) هو : سهل بن عبد الله التستري ، وقد مرَّ التعريف به .

(٤) في (م) : « اشاه » تحريف .. وهو : شاه بن شجاع الكرماني ، أبو الفوارس ، من أولاد الملوك ، صحبَ أبا تراب النخشي ، وأبا عبيدة البصري ، وكان من أجل الفتيان والعلماء ، وله رسائل مشهورة .. ويقال : إن أصله من « مرو » .. ومات قبل سنة ٣٠٠ هـ .

[انظر حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٣٦ ، وطبقات الصوفية ص ١٩٢ - ١٩٤ ، وطبقات الشمراني ص ٩٠] .

(٥) في (م) : « وقد قيل » .

(٦) هو العارف بالله مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، وقد مرَّ التعريف به .

(٧) في (م) : « قد دبت » أي : اقتضت ، بمعنى : طلبت .

(٨) في (م) : « وروى أبا عثمان » وسقطت « أن » سهواً من الناسخ ، والسياق يتطلب وجودها هنا .

(٩) سِيكَةٌ : بطريق .

وَقَتِ الْهَاجِرَةَ ، فَاتَّقَى عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ طَسْتُ ^(١) رَمَادٍ ، فَتَعَيَّرَ أَصْحَابُهُ وَبَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِي الْمُلَقَى ، فَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : لَا تَقُولُوا شَيْئًا ، مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُصَبَّ ^(٢) عَلَيْهِ النَّارُ فَصُولِحَ عَلَى الرَّمَادِ لَمْ يَجْزُ ^(٣) أَنْ يُغَضَّبَ . وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ : هَلْ فَرِحْتَ فِي الدُّنْيَا قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَرَّتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا : كُنْتُ قَاعِدًا ذَاتَ يَوْمٍ فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَى ، وَالثَّانِيَةُ : كُنْتُ جَالِسًا فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَصَفَعَنِي ^(٤) . وَكَانَ أُوتَيْسُ الْقَرْنِيُّ ^(٥) إِذَا رَأَاهُ الصَّبِيَّانُ رَمَوْهُ ^(٦) بِالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : إِنْ كَانَ لَابُدَّ ^(٧) فَارْمُونِي بِالْحِجَارَةِ الصُّغَارِ كَيْلًا تَذْمُوا عَلَى سَاقِي فَتَمْنَعُونِي الصَّلَاةَ ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، دَعَا غُلَامًا لَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَدَعَاهُ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَرَأَاهُ مُضْطَجِعًا ، فَقَالَ : أَمَا نَسَمِعُ يَا غُلَامُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ جَوَابِي ؟ قَالَ : أُنِيتُ عُقُوبَتَكَ فَتَكَاسَلْتُ . قَالَ : امْضِ ، فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٩) . وَهَذَا كَمَا تَرَى قُوَّةَ إِلَهِيَّةِ يَفْرَعُهَا اللَّهُ عَلَى الْمُصْطَفَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ ^(١٠) ، وَأَهْلِ الصَّفْوَةِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَيْمَّا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ

(١) في (م) : « طشت » بالشين المعجمة .. والطَّشْتُ : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه .. وهي لفظة أعجمية .. وقال الأزهري : هي لفظة دخيلة في كلام العرب ، لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية .

(٢) في (م) : « نُصَّب » .

(٣) في (م) : « لم ينبغي » هكذا .

(٤) في (م) : « وصَفَعَنِي » .

(٥) هو : أُوتَيْسُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ جَزْءٍ بْنِ مَالِكِ الْقَرْنِيِّ ، مِنْ بَنِي قُرْنٍ بْنِ زُرْهَانَ ، مِنْ بَنِي مُرَادٍ .. أَحَدُ التُّسَلُكِ الْبُيَّادِ الْمُقْلَعِينَ ، وَمِنْ سَادَاتِ الثَّاقِبِينَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ ، أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَمْ يَرَهُ ، وَوَفَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثُمَّ سَكَنَ الْكُوفَةَ ، وَشَهِدَ رَقْمَةَ « صَفَيْنَ » مَعَ عَلِيٍّ ، وَبَرَجَحَ الْكُثْرُونَ أَنَّهُ قُتِلَ فِيهَا سَنَةَ ٣٧ هـ . [انظر الأعلام ج ٢ ص ٣٢ ، وحيلة الأولياء ج ٢ ص ٧٩ - ٨٧ ، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٢] .

(٦) في (م) : « يرموه » لا تصح ، إذ لم يتقدمها ناصب ولا جازم .

(٧) في (م) : « ولابد » .

(٨) في (م) : « كي لاتذموا ساقى فتمنعوني عن الصلاة » .

(٩) ما بين المعقوفين عن « م » .

(١٠) في (م) : « قوة المُصْطَفَيْنِ الإلهية يفرغها الله على من يشاء من عباده » .

لَتَلْت لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ١ ، فَجَرَّدَهُ عَنْ حَقَائِقِ
الْبَشَرِيَّةِ ، وَالْبَسَهُ مِنْ نُعُوتِ ٢ الرُّبُوبِيَّةِ حَتَّى قَوَّاهُ عَلَى صُحَّتِهِمْ ، وَصَبَّرَهُ ٣ عَلَى تَبْلِيغِ
الرَّسَالَةِ إِلَيْهِمْ ، مَعَ الَّذِي كَانَ يُقَاسِيهِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ ، مَعَ كَوْنِهِ مُسْتَعْرِقًا بِاسْتِغْلَاءِ الْحَقِّ
تَعَالَى عَلَيْهِ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ آلَفٌ ٤ مَالُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ
لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » . وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِالْأَدَمِيِّ ٥ لِأَنَّهُ تَأَلَّفَ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْأَلْوَانِ . وَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلَيْنِ مُتَبَاغِضَيْنِ : « آدَمَ ٦ اللَّهُ بَيْنَكُمَا » . أَيْ آلَفٌ بَيْنَكُمَا ، وَمِنْهُ سُمِّيَ
الْأَدَمُ ٧ لِأَنَّهُ يُؤْلَفُ الطَّعَامُ وَيُحْسِنُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، لِرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً : « انْظُرْ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا » ، أَيْ
يُؤْلَفُ بَيْنَكُمَا . وَرَوَى أَنَّ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ نَزَلَ الدَّجَلَةَ يَتَوَضَّأُ ، وَوَضَعَ مُصْحَفَهُ
وَمِلْحَفَتَهُ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَأَخَذَتْهُمَا ، فَتَبِعَهَا مَعْرُوفٌ وَقَالَ : يَا أَخِي ، أَنَا مَعْرُوفٌ ،
لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، أَلَيْكَ ابْنٌ يَقْرَأُ ؟ قَالَتْ : لَا ٨ . قَالَ : فَرُزُّوجُ ؟ قَالَتْ : لَا . قَالَ :
فَهَاتِي الْمُصْحَفَ وَتُعْذِي الثُّوبَ .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ عَلَى حَوْضٍ يَسْقِي إِبِلَهُ ، فَأَسْرَعَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَانْكَسَرَ
الْحَوْضُ ، فَجَلَسَ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .

(٢) في (م) : « جَرَّدَهُ » بدون الفاء .. « وألبسه من نعت » .

(٣) في (م) : « وصبر » .

(٤) في (م) : « آلوف » .

(٥) في (م) : « آدم » .

(٦) في (م) : « أدام » تحريف .

(٧) الأدم : الإدام وما يُسْتَمْتَرُ من الحيز ، ويُطلق أَيْضاً على الألفة والاتفاق .

(٨) في (م) : « فلا » .

وَسَلَّمَ ^(١) أَمَرْنَا إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ أَنْ يَجْلِسَ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ ، وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّا لَنَصَافِحُ أَكْفَا تَرَى قَطْعَهَا . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّا لَنَكْثِيرُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٌ ^(٢) وَإِنْ قُلُوبُنَا لَنَلْعَنُهُمْ . وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ ^(٣) : يُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَاءِ كُلِّ طَلِيقٍ مُضْحَاكِ ^(٤) ، فَأَمَّا الَّذِي تَلَقَّاهُ بِيَشْرٍ وَتَلَقَّاكَ بِعُبُوسٍ يَمُنُّ عَلَيْكَ بِعَمَلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ . وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : بَنِي ، لَتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً ، وَلَتَكُنْ وَجْهُكَ طَلْقًا ، وَلَتَكُنْ ^(٥) أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمْ الْقَطَاءَ ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَصْحَبْ صَاحِبًا صَالِحًا يَنْتَمِ .

وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ خَرَجَ إِلَى بَعْضِ الْبَرَارِي ، فَاسْتَقْبَلَهُ جُنْدِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْعُمَرَانُ ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَأَرْضَعَهُ ^(٦) ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ قِيلَ لَهُ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَذْهَمَ زَاهِدٌ حُرَّاسَانٌ ، فَجَاءَهُ ^(٧) يَتَعَلِّدُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لَمَّا ضَرَبْتَنِي سَأَلْتُ اللَّهَ لَكَ الْجَنَّةَ . فَقَالَ : لِمَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّي أُوجَرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمْ أَرِدْ أَنْ يَكُونَ نَصِيبِي مِنْكَ الْخَيْرَ وَنَصِيبُكَ مِنِّي الشَّرَّ .

وَحَكِيكَ أَنَّ أَبَا عَثْمَانَ الْحِجْرِيَّ ^(٨) دَعَاهُ إِنْسَانٌ إِلَى ضِيَاةٍ ، فَلَمَّا وَافَى بَابَ الدَّارِ قَالَ : يَا أَسْتَادُ ، لَيْسَ لِي وَجْهٌ فِي دُخُولِكَ وَقَدْ نِدِمْتُ ، فَأَنْصَرِفَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، فَرَجَعَ

(١) في (م) : عليه السلام .

(٢) نَكْثِيرُ في وجوه القوم : نضحك في وجوههم وتباسطهم .

(٣) الحارث بن قيس : من أصحاب عبد الله بن مسعود الذين حفظوا حديثه ، ومن القراء .

[انظر طبقات ابن سعد ج ٦ ص ١٠ ، ١١]

(٤) طَلِيقٌ مُضْحَاكٌ : منطلق كثير الضحك والبشاشة .. وفي (م) : : طَلِيقٌ وهي بمعناها .

(٥) في (م) : : تكون .

(٦) فَأَرْضَعَهُ : فشجّه حتى وضع العظم .

(٧) في (م) : : فجاء .

(٨) هو : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحيرى ، وُلد بالرى ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفى بها سنة ٢٩٨ هـ . والحيرى : نسبة إلى قرية يقال لها « الحيرة » من قرى نيسابور .. وكان - رحمه الله - أُوحد المشايخ في سيرته ، وقد صحب يحيى بن معاذ ، وشاه بن شجاع الكرمانى .. قال عنه عبد الله بن محمد الرازى : لم أرَ أحدًا أعرف بالطريق إلى الله عزَّ وجلَّ من أبى عثمان الحيرى .

أَبُو عُثْمَانَ ، فَلَمَّا وَافَى مَنْزِلَهُ عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ : يَا أَسْتَاذُ ، نِدِمْتُ ، وَأَخَذَ يَتَعَذَّرُ
 وَقَالَ : اخْضُرِ السَّاعَةَ ، فَقَامَ أَبُو عُثْمَانَ وَمَضَى مَعَهُ ، فَلَمَّا وَافَى دَارَهُ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ
 فِي الْأَوَّلَى ، وَأَخَذَ يَتَعَذَّرُ ، ثُمَّ كَذَلِكَ فَعَلَ ^(١) فِي الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ ، وَأَبُو عُثْمَانَ يَنْصَرِفُ
 وَيَحْضُرُ ، ثُمَّ قَالَ ^(٢) : يَا أَسْتَاذُ إِنَّمَا أَرَدْتُ اخْتِبَارَكَ وَالْوُقُوفَ عَلَى أَخْلَاقِكَ ، وَجَعَلَ
 يَتَعَذَّرُ إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ ، فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ : لَا تَمْدَحْنِي عَلَى خُلُقٍ تَجِدُ مِثْلَهُ مَعَ الْكِلَابِ ،
 فَالْكَلْبُ إِذَا دُعِيَ حَضَرَ ، وَإِذَا رُجِرَ انْتَجَرَ .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ نَزَلَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ جَعْفَرٌ يَخْدُمُهُ وَالْفَقِيرُ
 يَقُولُ : نِعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ لَمْ تُكُنْ يَهُودِيًّا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ ^(٣) : عَقِيدَتِي لَا تَقْدَحُ فِيمَا
 نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، فَسَلْ لِنَفْسِكَ الشُّفَاءَ وَلِيَّ الْهِدَايَةِ . وَرَوَى أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ
 الْقُمُودِيَّ ^(٤) الْمُتَعَبِّدَ لِقَبِيضِ بَعْضِ الْأَجْنَادِ وَمَعَهُ كَلْبٌ لِلصَّيْدِ ، فَقَالَ لَهُ : خُذْ هَذَا الْكَلْبَ
 وَقُدِّهِ حَنْظَلَى ، فَأَبَى ، فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّوِطِ حَتَّى أَوْجَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَائِرِينَ :
 وَتَحَكَّ ، هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْعَابِدُ ^(٥) ! فَتَزَلَّ عَنْ فَرْسِهِ وَجَعَلَ يَقْبَلُ يَدَيْهِ وَيَتَعَذَّرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
 لَهُ : أَنْتَ ^(٦) فِي حِلٍّ . قَالَ ^(٧) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ الْقُمُودِيَّ لَيَالِي

= [انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ، وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٩٩ - ١٠٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وطبقات الصوفية ص ١٧٠ - ١٧٥ ، وطبقات الشعراء ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ ، والرسالة القشيرية ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٢] .

(١) « فعل » عن « م » .

(٢) في « م » : « قال له » .

(٣) في « م » : « أبو » زيادة من الناسخ .. وجعفر بن حنظله من مُعاصري الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ومِمَّنْ كانوا يدخلون عليه .

[انظر وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٥٤ ، والرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٠٠] .

(٤) لم أنف على ترجمة له .. والقمودى من الرجال - بضم القاف والميم : الذى يتصف بالشدة والإباء .. وقد تكون النسبة هنا إلى « قمودة » وهى بلدة فى إفريقية ورد ذكرها فى الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٣١ ، ١٣٢ فى حوادث سنة ٢٩٦ هـ ولم ترد فى مخجم البلدان .

(٥) فى « ط » : « أبو جعفر القمودى العابد » .

(٦) فى « ط » : « فقال : أنت » .

(٧) فى « م » : « وقال » .

عِدَّةٌ ^(١) إِذَا فَرَغَ مِنْ حِزْبِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِصَاحِبِ الْكَلْبِ وَارْحَمَهُ .

وَقِيلَ : مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ : عَبْدِي ، أَذْكُرْنِي حِينَ تَعْصِبُ أَذْكُرَكَ حِينَ أَغْضَبُ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(٢) أَيْ : كُلُّ مَنْ لَقِيْتَهُ فَقُلْ لَهُ حُسْنًا مِنَ الْقَوْلِ . وَقَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةٍ : الْحَلِيمُ ^(٣) عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَالشُّجَاعُ فِي الْحَرْبِ ، وَالْأَخُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْخَيَّاطَ كَانَ لَهُ مَجُوسِيٌّ يَخِيطُ عِنْدَهُ الثِّيَابَ وَيَدْفَعُ لَهُ دِرَاهِمَ زُبُوفًا ^(٤) ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْخُذُهَا ، فَجَاءَ الْمَجُوسِيُّ يَوْمًا بِالدَّرَاهِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَعْطَاهَا لِتَلْمِيذِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، فَدَفَعَ لَهُ صِحَاحًا ، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ تَلْمِيذُهُ ^(٥) : وَهَذِهِ دَرَاهِمُ الْمَجُوسِيِّ ، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : بِسَمَاءٍ فَعَلْتَ ، إِنَّهُ يُعَامِلُنِي ^(٦) بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةِ مُنْذُ أَعُولُ وَأَنَا أَصْبِرُ عَلَيْهَا وَالْقِيَهَا فِي الْبَيْتِ لِفُلَا يُعْرِ بِهَا غَيْرِي .

وَرَوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ يَضْرِبُ أُمَةً لَهُ ، فَقَالَ : أَتَضْرِبُ مَنْ لَا تَمْتَنِعُ مِنْكَ ^(٧) ؟ لَقَدْ حَالَتْ الْقُدْرَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَوْلَى التَّرَاتِ ^(٨) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ ضَيْقُ الصَّدْرِ ^(٩) ، وَضَيْقُهُ عَلَى قِسْمَتَيْنِ ، أَذْنَاهُ وَأَهْوُونُهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْخُلُقِ ، وَأَقْصَاهُ وَشَرُّهُ أَنْ لَا يَتَّسِعَ لِمُرَادِ الْحَقِّ ^(١٠) . وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِ

(١) فِي « ط » : « عِدْلَةٌ » .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، مِنَ آيَةِ ٨٣ .

(٣) فِي « ط » : « الْحَلِيم » .

(٤) زُبُوفًا : مُزَيَّفَةٌ .

(٥) فِي « م » : « لِتَلْمِيذِهِ » اللَّامُ الْأُولَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « ط » : « مُعَامِلٌ » .

(٧) فِي « م » : « عَلَيْكَ » .

(٨) فِي « م » : « التَّرَاتِبُ » مَكَانُ « التَّرَاتِ » تَحْرِيفٌ .. وَأَوْلَى التَّرَاتِ : أَصْحَابُ النَّارِ .

(٩) فِي « ط » : « ضَيْقُ الْقَلْبِ » .

(١٠) فِي « م » : « لِمُرَادِ الْخَالِقِ » .

الإعجاب^(١) ، وهل يسوء^(٢) خلُق الرجل إلا من عُجِبِه وتَكَبَّرِه ، وألّه لا يرى^(٣) فرقَه
أحدًا ، ولا يَعْرِف قَدْرَ نَفْسِهِ فتَدَاخَلَه^(٤) العِزَّة .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَبَيَّنَّاكَ فُطْرًا ﴾^(٥) أَيْ : وَخُلِقْتَ فَحَسَنٌ . وَكَانَ
لِبَعْضِ النَّسَاكِ شَاةٌ ، فَرَأَاهَا عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ ، فَقَالَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَا ؟ فَقَالَ غُلَامُهُ :
أَنَا فَعَلْتُهُ . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَعْمَلَ بِهَا ، فَقَالَ : لِأَعْمَنُ مِنْ أَمْرِكَ بِهَذَا^(٦) اذْهَبْ
فَأَنْتَ حُرٌّ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « رَأَى
عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧) - رَجُلًا يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ^(٨) أَتَسْرِقُ ؟ فَقَالَ : كَلَّا وَالَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ . فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي^(٩) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَسَادَ الْأَخْلَاقِ مُعَاشَرَةُ
السُّفَهَاءِ . وَقِيلَ : الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُضَيِّقُ قَلْبَ صَاحِبِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَسْعُ فِيهِ غَيْرُ
مُرَادِهِ ، كَالْمَكَانِ الضَّيِّقِ لَا يَسْعُ فِيهِ غَيْرُ صَاحِبِهِ . وَيُقَالُ : مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ
أَنْ يَقَعَ بِصُرْكَ عَلَى سُوءِ خُلُقٍ غَيْرِكَ .

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الشُّؤْمِ ، فَقَالَ : « سُوءُ

(١) في « م » : « الأصحاب » مكان « الإعجاب » تحريف .

(٢) في « م » : « نُسِء » والأول من « ساء » والثاني من « أساء » .

(٣) في « م » : « لا يرى » . والمُعْجَبُ : التكبر والزُّهْمُ .

(٤) فتَدَاخَلَه ، أَيْ : فتَدَاخَلَهُ .

(٥) سورة المدثر ، الآية الرابعة .

(٦) في « م » : « بها » .

(٧) في « ط » : « عيسى بن مريم » .. و « عليه السلام » عن « م » .

(٨) « له » عن « ط » .

(٩) في « م » : « عيناى » .

الْخُلُقِ ١. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قِيلَ لَهُ : أَدْعُ اللَّهَ ٢ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا يُعِثُّ رَحْمَةً وَلَمْ أَتِ بِعَذَابٍ » .

وَلَمَّا وَصَّى يَنْقُوبُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَوْلَادَهُ قَالَ : اخْفَظُوا عَنِّي خَصَلَتَيْنِ ٣ : مَا انْتَصَفْتُ مِنْ ظَالِمٍ قَطُّ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَمَا رَأَيْتُ حَسَنَةً إِلَّا وَأَفْشَيْتُهَا ، وَمَا رَأَيْتُ سَيِّئَةً إِلَّا وَسَتَرْتُهَا ، كَذَلِكَ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ابْنُ عُرَمَرٍ : إِذَا سَمِعْتُمُونِي أَقُولُ لِمَمْلُوكٍ : أَخْزَاهُ اللَّهُ ، فَاشْهَدُوا أَنَّهُ حُرٌّ . وَيُقَالُ : السَّيِّئُ الْخُلُقِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَقِيلَ : أَصْلُ سُوءِ الْخُلُقِيِّ مُطَالَبَةٌ غَيْرِكَ أَنْ يُوَافَقَكَ ٤ دُونَ أَنْ تَطْلُبَ نَفْسَكَ بِمُوَافَقَةِ غَيْرِكَ . وَعَلَامَةُ حُسْنِ الْخُلُقِيِّ أَنْ تَحْتَمِلَ مُعَامَلَةَ سَيِّئِ الْخُلُقِيِّ لِتَسْتَرَّ بِهِ سُوءَ الْخُلُقِيِّ . وَقِيلَ : الْغَارِفُ يُعَاتِبُ نَفْسَهُ وَلَا يُعَاتِبُ خُلُقَهُ ، وَعَلَامَةُ مَنْ يَبْتَغِي نَفْسَهُ عِتَابٌ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُلُقِهِ عِتَابٌ .

وَرَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ فِي جَنْبِهِ ٥ يَتِيمٌ سَيِّئُ الْخُلُقِيِّ ، فَمَاتَ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَجِدُ غَيْرَهُ ، قَالَ : فَمَنْ لِي بِسُوءِ خُلُقِهِ ٦ . وَكَانَ لِيَحْيَى بْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ ٧ غُلَامٌ سُوءٍ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تُسَمِّيكَ هَذَا الْغُلَامَ ؟ قَالَ ٨ لَا تَعْلَمُ عَلَيْهِ الْجِلْمَ .

(١) قوله : « وسأل النبي » إلى هنا عن « ط » وساقط من « م » .

(٢) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٣) الظاهر هنا ثلاث خصال ، إلا إذا عدنا إنشاء الحسنه وستر السيئه بمثابة خصلة واحدة .

(٤) في « م » : « بموافقتك » .

(٥) في جَنْبِهِ : في كَتِفِهِ ورعايته .

(٦) في « م » : « بمثل سوء خُلُقِهِ » .

(٧) هو : يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي ، أبو الفضل ، شاعر ماجن من أهل الكوفة ، وكان يرمى بالزندقة ، وله في السُّفَاح والمهدي الصابغين مدائح ، وهو ابن خال السفاح .. أقام ببغداد مدة ، ولم يحمد زمانه فيها ، فخرج عنها ، وتوفي في أيام المهدي نحو سنة ١٦٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٥ ، وتاريخ بغداد ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وأملئ المرتضى ج ١ ص ٩٩] .

(٨) في « م » : « فقال » .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ ^(١) الظَّاهِرَةُ : تَسْوِيقُ
الْخَلْقِ ، وَالْبَاطِنَةُ : حُسْنُ الْخَلْقِ . وَقَالَ الْفَضِيلُ : لِأَنَّ يَصْنَعُنِي فَاجِرٌ حَسَنُ الْخَلْقِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْنَعُنِي عَابِدٌ سَيِّئُ الْخَلْقِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ رُويَ أَنَّ عِيسَى بْنَ
مَرْيَمَ ^(٢) وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، التَّقِيَّ ، فَقَالَ يَحْيَى لِعِيسَى : تَلَقَّانِي
ضَاحِكًا كَأَنَّكَ آمِنٌ ! فَقَالَ عِيسَى : وَأَنْتَ تَلَقَّانِي عَابِسًا كَأَنَّكَ آيِسٌ ! فَأَوْحَى اللَّهُ ^(٣)
إِلَيْهِمَا أَنَّ أَحَبَّكُمَا إِلَيَّ أَبَشُكُمَا بِصَاحِبِهِ . قُلْنَا : كَذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ .

وَلَيْسَ إِطْلَاقُ الْوَجْهِ ^(٤) وَالتَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ أَحَبَّكَ مِنْهَا ^(٥) عَنْهُ ، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ
مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ مِنَ التَّمَلُّقِ ^(٦) وَالتَّصْنُّعِ ، وَفَصَّلُ الْخِطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ ^(٧)
مَا رَوَى هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ^(٨) فِي صِفَةِ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
كَانَ أَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ لَا يَتَرَحُّ
وَلَا يَتَحَرَّكُ ^(٩) وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَلَا يَطْرِفُ بَعْينِهِ ، حَدَرًا أَنْ يَنْفِرَ الطَّائِرُ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُفَفِّعِ : كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي ، وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظَّمَهُ

(١) سورة لقمان ، من الآية ٢٠ .. وأسبغ : اكمل وأنم .

(٢) في « ط » : عيسى ويحيى .

(٣) لفظ الجلالة عن « ط » .

(٤) في « م » : طلاقة الوجه ، أى : ظهور الفرح والبشاشة عليه .

(٥) في « م » : منى ، لا تصح .

(٦) في « م » : التملق ، وهى بمضاهها .

(٧) في « م » : فى الباب .

(٨) فى « م » : محمد ، مكان « هند » تحريف من الناسخ .. وهو : هند بن أبى هالة ، واختلف فى اسم أبى

هالة ، ف قيل : ثابث بن زرار ، وقيل مالك بن زرار .. وكان أبو هالة زوج السيدة خديجة قبل النبى (ﷺ) فولدت
له هند بن أبى هالة ، وشهد هند بدرًا ، وقيل : بل شهد أحدًا ، وقيل مع عليّ يوم الجمل .

[انظر ترجمته والحديث الذى رواه فى صفة النبى (ﷺ) فى أسد الغابة ج ٥ ص ٤١٧ - ٤١٩] .

(٩) فى « ط » : فإنه لا يتحرك .

فِي غَيْبِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي غَيْبِهِ ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ بَطْنِهِ ، فَلَا يَسْتَهْيِي مَا لَا يَجِدُ ،
وَلَا يَكْثُرُ إِذَا مَا وَجَدَ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ ^(١) فَرَجِهِ ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ مُؤْنَةً ^(٢) ،
وَلَا يَسْتَخْفُ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَأًا ^(٣) ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانٍ الْجَهَالَةِ ، فَلَا يَقْدِمُ أَبَدًا إِلَّا
عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ ^(٤) . كَانَ أَكْثَرُ ذَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِذَا قَالَ بَدْ ^(٥) الْقَائِلِينَ ، وَكَانَ
مُتَضَاعِفًا ^(٦) مُسْتَضْعَفًا ، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا ^(٧) . كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي
دَعْوَى ، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مِرَاءٍ ، وَلَا يَذِلُّ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا عَدْلًا وَشَهُودًا عَدْلًا ،
وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَكُونُ الْعُدْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اغْتَدَارُهُ . كَانَ لَا يَشْكُو
وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبَرَّ ، وَلَا صَاحِبًا ^(٨) إِلَّا لِمَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ لَهُمَا
جَمِيعًا ^(٩) . وَكَانَ لَا يَتَّبِعُ وَلَا يَسْحَطُ وَلَا يَشْتَكِي ، وَكَانَ لَا يَنْتَقِمُ عَلَى الْوَلِيِّ ،
وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعُدْوِ ^(١٠) ، وَلَا يَخْصُرُ نَفْسَهُ دُونَ إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِنْ اهْتِمَائِهِ وَحِيلَتِهِ
وَقُوَّتِهِ ، فَاقْفَ ^(١١) هَذِهِ الْأَخْلَاقَ ، فَإِنْ لَمْ تُطِيقْ فَخُذْ الْقَلِيلَ ^(١٢) خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ .
وَرَوَى أَنَّ حَكِيمًا سَمِعَ رَجُلًا ^(١٣) يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ

(١) من قوله : « بطنه » إلى هنا عن « م » وساقط من « ط » ، وهذا الوصف في الأدب الكبير ص ١٣٣ ، وانظر
المصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ ط دار المعارف .

(٢) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « مؤونة » ولعله يريد بهما « المأنة » وهي السرة وماحولها من البطن .. أما في
المصدرين السابقين فجاءت مكانهما كلمة « رية » وهي أوضح .

(٣) قوله « ولا يذلل » عن « ط » والمصدرين السابقين ، ولم ترد في « م » : .

(٤) هكذا في « ط » والمصدرين السابقين .. وفي « م » : « لمنفعة » .

(٥) في « م » : « فإذا ما قال » .. وبَدْ : غَلَبَ وَفَاقَ .

(٦) هكذا في « م » و « ط » .. وفي المصدرين السابقين : « وكان يئى » . ومتضاعفًا أى : يبلو ضعيفًا .

(٧) عادياً : واثبًا .

(٨) في الأدب الكبير : « وكان لا يستشير صاحباً » .

(٩) قوله : « لهما جميعاً » لم ترد في المصدرين السابقين .

(١٠) هكذا في المصدرين السابقين .. وفي « م » و « ط » : « ولا ينتقم من الولي على العدو » ، ولا يغفل عن

الولى . والولى المحب والصديق .

(١١) فاقف : فاقف .. وفي الأدب الكبير : « فعليت بهذه الأخلاق إن أطقف » أى : إن استطعت .

(١٢) في « م » : « فإن لم تقدر فأخذ القليل » .

(١٣) في « م » : « وروى أن رجلاً سمع حكيماً » . وما ورد في « ط » هو المناسب للمعنى هنا .

النَّاسُ ^(١) وَلَمْ يَتَّقْ أَحَدٌ يُصْحَبُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَنْتَ طَلَبْتَ صَاحِبًا تُؤْذِيهِ فَلَا يَنْتَصِرُ ، وَتَنَالُ مِنْهُ فَلَا يَنْتَصِفُ ، وَتَأْكُلُ رَحْلَهُ وَلَا يَرْزُوكَ بِشَيْءٍ ، وَتَجْفُو عَلَيْهِ فَيَحْلُمُ ، فَلَمْ تَنْتَصِفْ فِي الطَّلَبِ ، فَلَمْ تَجِدْ حَاجَتَكَ ، وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ صَاحِبًا يُؤْذِيكَ فَلَا تَنْتَصِرُ ، وَتَجْفُوكَ فَلَا تَنْتَقِمُ ، وَيَأْكُلُ رَحْلَكَ فَلَا تَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَجَدْتَ أَصْحَابًا وَإِخْوَانًا وَخُلَائًا ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَصْحَبُكَ .

فصل

في الفرق بين المداينة والمداراة

مَنْ دَارَى سَلِمَ ، وَمَنْ دَاهَنَ أَثِمَ ^(٢) ، وَهَذَا بَابُ اخْتَلَطَ عَلَى مُعْظَمِ الْخَلْقِ ، فَدَاهَنُوا . وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُدَارُونَ ^(٣) ، فَالْمُدَاهَنَةُ مِنْهَى عَنْهَا ^(٤) ، وَالْمُدَارَاةُ مَأْمُورٌ بِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُدَاهَنَةِ : ﴿ وَذُوقُوا لَوْلَظِهِمْ فَيَلْهِنُونَ ﴾ ^(٥) . وَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْمُدَارَاةِ : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ^(٦) التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَأُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ » ^(٧) .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا سَقِمَتْ ^(٨) الْمُدَارَاةُ صَارَتْ مُدَاهَنَةً ، وَالْمُدَاهَنَةُ ^(٩) أَنْ تُدَارِيَ النَّاسَ عَلَى وَجْهِ يَذْهَبُ فِيهِ دِينُكَ ، وَالْمُدَارَاةُ مُخَالَفَتُهُمْ عَلَى وَجْهِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ ،

(١) قوله : « قد فسد الناس » عن « ط » ولم يرد في « م » .

(٢) دَارَى : لَا طَفَّ وَلَا تَنَ وَأَثَمَ .. وَدَاهَنَ : أَظْهَرَ خِلَافَ مَا أَبْطَنَ ، أَوْ : خَادَعَ وَغَشَّ .

(٣) في « م » : « يُدَارُوا » لَا تَصَحُّ .

(٤) في « م » : « عَلَيْهَا » تَحْرِيفٌ .

(٥) سورة القلم ، الآية التاسعة .

(٦) في « م » : « بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ » وَمَا وَرَدَ فِي « ط » : « هُوَ الْمُنَاطِقُ لِنَصِ الْحَدِيثِ » .

(٧) الحديث ورد مجزئاً في السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٠٩ في كتاب آداب القاضي .

(٨) سَقِمَتْ : طَالَتْ .

(٩) في « ط » : « فَالْمُدَاهَنَةُ » .

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١) نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ :
 يَا مُحَمَّدُ ، اُعْبُدْ آلِهَتَنَا سِتَّةَ وَثُمْنٍ بِكَ ، فَأَبَى . قَالُوا : فَشَهَرًا ، فَأَبَى . قَالُوا : فَيَوْمًا ،
 فَأَبَى . قَالُوا : فَسَاعَةً ^(٢) ، فَأَبَى . قَالُوا : فَاسْتَلِمَهَا ^(٣) بِيَدِكَ وَثُمْنٍ بِكَ . فَوَقَفَ النَّبِيُّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي ذَلِكَ ، وَطَمَعَ إِنْ فَعَلَ أَنْ يُؤْمِنُوا ^(٤) : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ وَدُّوا لَوْ كُنْهُمْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ^(٥) . وَقِيلَ لَهُ : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ بُشِّتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَهُهُمْ
 شَيْئًا قَلِيلًا . إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ ^(٦) . وَمِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ
 لِلظَّالِمِ : أَتُبَاكَ اللَّهُ ، وَمَنْ دَعَا لِلظَّالِمِ بِالْبَقَاءِ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ^(٧) ، وَهَذَا
 بَابٌ يَتَّبِعِي ^(٨) لِذَوِي الدِّينِ حِفْظُهُ .

وَقَدْ رَأَى بَعْضُ الْمُفَقِّهَاءِ الْخُرُوجَ مِنْ هَذِهِ الْعَهْدَةِ بِالْتَّعْرِِضِ ^(٩) ، وَكَانَ الْفَقِيهُ ابْنُ
 الْحَصَّارِ ^(١٠) يَبْغُرُطْبَةَ لَهُ جَارٌ نَصْرَانِيٌّ يَقْضِي حَوَائِجَهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَكَانَ الْفَقِيهُ يُكْثِرُ أَنْ
 يَقُولَ لَهُ ^(١١) : أَتُبَاكَ اللَّهُ وَلَوْلَاكَ ، أَقْرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ ، يَسُرُّنِي وَاللَّهِ مَا يَسُرُّكَ ، جَعَلَ اللَّهُ

(١) في (م) : « أَنْ الْآيَةَ » .

(٢) في (ط) : « سَاعَةً » .

(٣) فاستلمها : المسها . ومنه : استلم الحاج الحجر الأسود ، أي : لمسه بالقبلة أو باليد .

(٤) في (م) : « إِنْ فَعَلَ يُؤْمِنُوا » .

(٥) سبق تخريجها في هذا الفصل .

(٦) في (م) : « كِدْتَ أَنْ تَرْكُنَ » .. « أَنْ » زيادة من الناسخ .. والآتان من سورة الإسراء : ٧٤ ، ٧٥ .

(٧) في (م) : « أَنْ يُعْصِيَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ » .

(٨) في (م) : « وَهَكَذَا يَتَّبِعِي » .

(٩) التعريض : التورية .

(١٠) في (ط) : « الحصار » بالضاد المعجمة .. خطأ ، والصواب بالصاد المهملة المشددة ، وهو : أبو المطرف
 عبد الرحمن بن أحمد بن بشر ، المعروف بابن الحصار ، وكان فقيهاً وعالمًا وأديبًا ، وقاضى الجماعة بقرطبة ، وتوفى
 سنة ٤٢٢ هـ .

[انظر ترجمته في المُعَرَّبِ فِي حُلِيِّ الْمُغَرَّبِ ج ١ ص ١٥٨ ، و« جنوة المفتيس في تاريخ علماء الأندلس للحميدى ج
 ٢ ص ٤٢٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٢٣] .

(١١) « له » عن (م) .

يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ . لَا يَزِيدُهُ ^(١) عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَيَنْتَهِجُ ^(٢) النَّصْرَانِيُّ بِهَا
وَسْرَهُ ، فَغَوَّيَبَ الْفَقِيهَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَدْعُو بِمَعَارِضَ قَدْ ^(٣) عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ
نَبِيِّي ، أَمَّا قَوْلِي : أَتَيْتُكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَبْقِيَ اللَّهُ لِقُرْمِ الْجَزِيَةِ ، وَيَتَوَلَّاهُ ^(٤)
بِالْعَذَابِ ، وَأَمَّا قَوْلِي : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ تُقَرَّ حَرَكَتُهَا بِسِتْرِ يَغْرُضُ لَهَا
فَلَا تَتَحَرَّكَ جُفُونُهَا ، وَأَمَّا قَوْلِي : يَسْرُنِي وَاللَّهُ مَا يَسْرُكَ ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ تَسْرُنِي كَمَا
تَسْرُهُ ، وَأَمَّا قَوْلِي : جَعَلَ اللَّهُ يَوْمِي قَبْلَ يَوْمِكَ ، فَأَرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ الَّذِي
أَدْخُلُ فِيهِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّارَ بِكُفْرِهِ .

* * *

(١) لِي (م) : « لَا يَزِيدُ » .

(٢) لِي (م) : « فَيَنْتَهِجُ » مكان « فَيَنْتَهِجُ » .. ويقال : أَنْجَحَ الرَّجُلُ ، إِذَا قَضَيْتَ لَهُ الْحَاجَةَ .

(٣) لِي (م) : « وَقَدْ » .

(٤) لِي (م) : « وَتَوَلَّاهُ » .

البَابُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الظُّلْمِ وَشُؤْمِهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣) . فَكُلٌّ مِّنْ لِّمَ يَحْكَمْ بِمَا جَاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٤) كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الثَّلَاثَةُ : الْكُفْرُ ، وَالظُّلْمُ وَالْفِسْقُ ^(٥) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٦) . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَضْرَوْنِهِ ^(٧) : لَوْ أُذِنَ لِي فِي الشَّفَاعَةِ مَا بَدَأْتُ إِلَّا

(١) سورة المائدة ، من الآية ٤٤ . وَلَفْظَةُ « تَعَالَى » بِعَلَمِهَا عَنْ « ط » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٢) سورة المائدة ، من الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٤٧ .

(٤) فِي « م » : « وَعِنْدَ رَسُولِهِ » .

(٥) فِي « م » : « الظُّلْمُ وَالْكَفْرُ وَالْفِسْقُ » .

(٦) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٧) هُوَ الرَّاهِدُ الْكَبِيرُ أَحْمَدُ بْنُ حَضْرَوْنِهِ - أَوْ الْحَضْرِي - الْبَلْخِي ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو حَامِدٍ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مُشَاطِعِ خِرَاسَانَ ، صَحِبَ أَبَا تَرَابِ النَّحْشَبِيِّ وَحَافِئاً الْأَصَمَّ ، وَرَحَلَ إِلَى أُنَى فَزِيدِ الْبَسْطَامِيِّ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠ هـ . [انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ج ١١ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، وَطَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ص ١٠٣ - ١٠٦ ، وَطَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ص ٣٧ - ٣٩ ، وَطَبَقَاتِ الشُّعْرَانِي ج ١ ص ٨٢ ، وَجَامِعُ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ج ١ ص ٤٨٠ ، ٤٨١ ، وَحُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ ج ١٠ ص ٤٢ ، ٤٣ ، وَكَشَفُ الْمَحْجُوبِ لِلْهَجَوِيِّ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ج ٤ ص ١٣٧ ، ١٣٨] .

بِالظَّالِمِينَ ، لِأَنِّي ثَبِّتُ لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) . قَالَ : وَلَا أُغْنِيُمْ سَفَرًا لَا يَكُونُ فِيهِ مَنْ لَا يُؤْذِينِي وَيَظْلِمُنِي ، شَرَفًا مِنِّي لِتَعْزِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِينَ . وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : كَفَى بِهِذِهِ الْآيَةُ وَعَيْدًا لِلظَّالِمِ وَتَعْزِيَةً لِلْمَظْلُومِ . وَقَالَ كَعْبٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : فِي التَّوْرَةِ : مَنْ يَظْلِمُ يُحْرَبْ بَيْتُهُ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ يَبُولُونَ حَوَافِدًا بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ^(٢) . فَالظُّلْمُ ^(٣) أَدْعَى شَيْءًا إِلَى سَلْبِ النِّعَمِ وَحُلُولِ النِّقَمِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ^(٤) عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ ، قَالَ : « يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ^(٥) ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسِيكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُحْطِفُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي ^(٦) فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ^(٧) مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أُولَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِسْكَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ

(١) سورة إبراهيم ، من الآية ٤٢ .

(٢) سورة المل ، من الآية ٥٢ .

(٣) في (م) : (د والظلم) .

(٤) في (ط) : (د في الصحيح) .

(٥) في (م) : (د استطعته) تحريف .

(٦) الضَّرُّ ، بضم الضاد المعجمة : الفاقة والفقر ، وفتحها : ما كان ضد النفع ، وهو المراد هنا ، وكذا ورد في

صحيح مسلم .

(٧) هكنا في (ط) .. وفي (م) : (د رجل منكم) في الموضعين .

مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْطُ^(١) إِذَا دَخَلَ فِي الْبَحْرِ . يَاعِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ [تَعَالَى]^(٢) ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(٣) . يَرْوِيهِ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ^(٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، وَمُسْتَدًّا إِلَى النَّبِيِّ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَهُ جَنًّا^(٦) عَلَى رُكْبَتَيْهِ .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٧) . وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ »^(٨) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ

(١) في (م) : « إِلَّا كَمَا أُدْخِلَ الْمِخْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ » . والمِخْطُ : آلة الخياطة ، كالإبرة ونحوها .. والمعنى : لا ينقص شيئاً ، لأن ما عند الله لا يدخله النقص ، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص ، فضرب للثل بالميخيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة ، والمقصود التقرب إلى الأفهام بما شاهده ، فإن البحر من أعظم المراتب عياناً وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، مع أنها صغيرة لا يتعلق بها ماء .

[انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٣٣] .

(٢) ما بين المقوفين عن (م) .

(٣) في (م) : « يَلُومُ » . وما هنا هو الأشهر والمطابق لنص الحديث .. والحديث رواه مسلم في كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٢ ، وأبو نعيم في الحلية ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب النصب ج ٦ ص ٩٣ ، والمنذرى في الترغيب والترهيب ، في الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله ج ٢ ص ٤٧٣ - ٤٧٦ ط دار الحديث .

(٤) هو عالم أهل الشام عاقله الله بن عبد الله بن عمرو ، أبو إدريس الخولاني ، من فقهاء التابعين ، ولد عام حنين (سنة ٨ هـ) وروى عن معاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وأبي ذرٍّ ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم .. وكان واعظاً أهل دمشق وقاضياً .. وتوفي سنة ٨٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ ، وحلية الأولياء ج ٥ ص ١٢٢ - ١٢٩] .

(٥) في (م) : « رسول الله » .

(٦) جَنَّا : جلس .

(٧) أي : أن الظلم يكون ظلمات على صاحبه يوم القيامة فلا يجتدي سبيلاً يوم يسمي نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم . ويحتمل أن يكون المراد بالظلمات : الشدائد .

[انظر الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٤ ، وضع الباري ج ٥ ص ١٠٠ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، والبيهقي في السنن الكبرى ، باب النصب ج ٦ ص ٩٣] .

(٨) أخرجه البخاري في باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ج ٥ ص ١٠٠ ، ١٠١ من فتح الباري ، والبيهقي في المصدر السابق .

رَسُولُ اللَّهِ ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ مِنْ عَرَضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ ^(٢) كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ ^(٣) لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » ^(٤) .

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ^(٥) قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « مَنْ ظَلَمَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا ^(٦) طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّحَاوِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُقْلَبُ شُجَاعًا أَقْرَعَ فَيَطْوِقُهُ ^(٧) . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَانِعُ الزَّكَاةِ ^(٨) يَجِيءُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتَّبَعُهُ ^(٩) » وَيَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَنْزُكَ ، فَكَانَ هَذَا دَاخِلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « صَيِّطُونَ مَابِخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(١٠) .

(١) في « م » : « قال النبي » .

(٢) سقطت « إِنْ » من « م » سهواً من الناسخ .

(٣) في « م » : « فَإِنْ » .. وفي البخاري : « وَإِنْ لَمْ تَكُنْ » .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل ج ٥ ص ١٠١ .. والمَظْلَمَةُ ، بكسر اللام على المشهور ، وقد سبق شرحها .

(٥) هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العلوي القرشي ، أبو الأعرور ، من خيار الصحابة ، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته فاطمة ، وقد أسلم هو وامرأته قبل عمر ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلا بلخاً ، فقد كان غالباً في مهمة أرسله بها النبي ﷺ ، وضرب له رسول الله بسهمه وأجره فيها .. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان من ذوى الرأي والبسالة ، وشهد اليرموك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة دمشق .. وتوفي في المدينة سنة ٥١ هـ . وله في كتب الحديث ٤٨ حديثاً . [انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٩٤ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٧٩ - ٣٨٥ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٩٥ - ٩٧ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩] .

(٦) في البخاري : « شيئاً » مكان « شيئاً » وكلاهما مروي .

[انظر كتاب المظالم في المصدر السابق ، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض .. وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٦٧ كتاب البيوع ، باب من أخذ شيئاً من الأرض] .

(٧) أى : يسلط عليه ثعباناً ضخماً يجعله له طوقاً فيعذه به بذلك .. وقد يكون المراد : أن الظلم المذكور لازم له في عقه لزوم الإثم .

(٨) في « ط » : « في مانع الزكاة » .

(٩) « يتبعه » عن « ط » .

(١٠) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٠ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » ^(١) .
 وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ يُخْلِي
 لِلظَّالِمِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، وَقَرَأَ : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى
 وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » ^(٣) . وَرَوَى أَنَسُ بْنُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَالَ : « انْصَرَّ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ أَلْنَصْرَةُ مَظْلُومًا
 فَكَيْفَ أَنْصَرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَأْخُذُ قَوْقَ يَدِهِ » ^(٤) . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) أَنَّ النَّبِيَّ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : نَاسٌ ^(٦) مَعَهُمْ سِيَاطٌ
 كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ^(٧) ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مَائِلَاتٌ

(١) أراد الغني : القادر على أداء ما استحق أداءه ، ولو كان فقيراً ، ومطل : منع أدائه وتأخير .. وبقية الحديث :
 « وَإِذَا أُجِلَّتْ عَلَى غَنِيٍّ فَاتَّبَعَهُ » . أو « فَلْيَتَّبِعْ » . والمثل : الغنى الكريم .. واتبعه : اتبعه ..

[الحديث رواه البخاري مجزئاً في الاستعراض ، باب مظل الغني ظلم ج ٥ ص ٦١ من فتح الباري ، ورواه أيضاً
 في الحوالات .. ورواه مسلم في المساقاة ، باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها ج ١٠ ص ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ وزاد فيه الزيادة المذكورة آنفاً .. ورواه ابن ماجه في سننه في الصدقات ، باب الحوالة ج ٢ ص ٨٠٣ ..
 والدارمي في البيوع ، باب مظل الغني ظلم ج ٢ ص ٢٦١ ، وأبو داود في البيوع ، باب في المظل ج ٣ ص ٢٤٥ ،
 والنسائي في البيوع في مظل الغني ج ٧ ص ٣١٦ بشرح جلال الدين السيوطي ، والترمذي في البيوع باب ماجاء في
 مظل الغني ج ٦ ص ٤٣ - ٤٥ بشرح ابن العربي] .

(٢) في سنن ابن ماجه : « يُخْلِي » .. ويُمل للظالم : يمهله ويتركه مدة .

(٣) سورة هود ، الآية ١٠٢ .. وانظر الحديث في سنن ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب العقوبات ج ٢
 ص ١٣٣٢ .

(٤) هكذا في « م » و « ط » .. وفي البخاري : « هذا نصره مظلوماً ، فكيف نصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق
 يديه » أي : تكفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول .. والحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب أين أخاك
 ظالماً أو مظلوماً ج ٥ ص ٩٨ من فتح الباري .

(٥) في « م » : « وَرَوَى » بالبناء للمجهول .. والحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة .

(٦) في صحيح مسلم : « قَوْمٌ » .

(٧) المراد بأصحاب السياط : غلمان والى الشرطة ، ولم يكونوا على عهد رسول الله ، ﷺ ، لذا فإن النووي غد
 هذا الحديث من معجزات النبوة ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ .

مُمِيلَاتٌ ^(١) ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ مِثْلُ أُسْنِمَةِ الْبُحْتِ ^(٢) لَا يَرَيْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ^(٣) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا ^(٤) أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ^(٥) . وَفِي الْآيَةِ تَأْوِيلَانِ ، أَحَدُهُمَا : أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا ، أَيْ : خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَالثَّانِي عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ ^(٦) أَيْ : كَثَرْنَا عَدَدَهُمْ ، وَأُسَبَّغْنَا النَّعَمَ عَلَيْهِمْ ، فَعَصَوْا وَتَبَاغَوْا . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَابُورَةٌ وَمُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ » ^(٧) ، أَيْ : كَثِيرَةُ النَّتَاجِ .

(١) أَيْ : كَاسِيَاتٌ مِنَ الثِّيَابِ ، عَارِيَاتٌ مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْإِهْتِمَامِ بآخِرَتِهِنَّ ، وَالِاعْتِنَاءِ بِالطَّاعَاتِ .. أَوْ : يَكْشِفْنَ شَيْئًا مِنْ أَيْدَانِهِنَّ إِظْهَارًا لِحِمَامِهِنَّ ، فَهِنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ .. أَمَّا مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ فَتَعْنِي : زَائِغَاتٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا يُلْزِمُهُنَّ مِنْ جَفَظِ الْفُرُوجِ وَغَيْرِهَا ، وَيُعْلَمْنَ غَيْرُهُنَّ مِثْلَ فَعْلُهُنَّ .

(٢) فِي مُسْلِمَ : « رُءُوسُهُنَّ كَأُسْنِمَةِ الْبُحْتِ » .. وَالْبُحْتُ : نَوْعٌ مِنَ الْإِبِلِ .. وَالْمُرَادُ بِتَشْبِيهِ رُءُوسِهِنَّ بِأُسْنِمَةِ الْبُحْتِ إِنَّمَا هُوَ لِرَفَاعِ الْفَدَائِرِ (الضَّفَائِرِ) وَشَدِّهَا إِلَى فَوْقَ وَجْهِهَا فِي وَسْطِ الرَّأْسِ حَتَّى تَمِيلَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الرَّأْسِ ، كَمَا يَمِيلُ السَّنَامُ ، فَتَنَّةٌ لِلنَّاسِ .. وَقِيلَ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَنَّهُنَّ يَطْمَحْنَ إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَفْضِضْنَ عَنْهُمْ أَبْصَارَهُنَّ ، وَلَا يَنْكُسْنَ رُءُوسَهُنَّ حَيَاءً .. وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) فِي مُسْلِمَ : « لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ » . وَهَذَا عَمَلٌ عَلَى مَنْ اسْتَحَلَّتْ حَرَامًا مَعَ عِلْمِهَا بِتَحْرِيمِهِ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا ، بَابُ جَهَنَّمَ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا . ج ١٧ ص ١٩٠ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .

(٤) فِي « م » : « فَإِذَا » بِالْفَاءِ .. غَخْلَفَ لِلآيَةِ .

(٥) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، الْآيَةُ ١٦ .

(٦) أَيْ : بِمَدِّ الْهَمْزَةِ « آمَرْنَا » . هَكَذَا فِي أَهْوَآتِ كِتَابِ التَّفْسِيرِ .. وَفِي « م » : « الْمَدَائِئِ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ لِلْكَاتِمَتَيْنِ : « لِلْمَدِّ ، أَيْ .. وَفِي « ط » : « عَلَى قِرَاءَةِ الْمَدِّ » وَلَعَلَّهُ يُرِيدُ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ قَالُونَ الْمَدِّ ، وَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي مِهْرَانَ ، وَهَذَا الْأَخِيرُ جَاءَ فِي اللِّسَانِ وَفِي كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ أَنَّهُ قَرَأَ « آمَرْنَا » بِالْمَدِّ .

[انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ مَادَّةُ « أَمَر » وَطَبَقَاتُ الْقِرَاءَةِ ج ١ ص ١٨٢ ، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ج ٨ ص ٣٩٤ كِتَابُ التَّفْسِيرِ ، بَابُ « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا » ، وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ٥ ص ٣٨٤٨ - ٣٨٥١ ، وَتَفْسِيرَ الْكَشَافِ لِلزُّعْمَرِيِّ ج ٢ ص ٤٤٢ ، وَتَفْسِيرَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ١٠ ص ١٧٥ - ١٧٨ ، وَتَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٣ ص ٣٢ ، ٣٣ ، وَالْمُنْصِي فِي تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ الْمُتَوَاتِرَةِ ج ٢ ص ٣٤٠] .

(٧) السِّكَّةُ : الطَّرِيقُ الْمُصْطَفَى مِنَ النَّخْلِ .. وَالْمَابُورَةُ : الْمَلْقُوحَةُ . يُرِيدُ : خَيْرُ الْمَالِ نَتَاجُ وَزَرْعِ .

[انْظُرْ الْقُرْطُبِيِّ وَغَيْرَهُ مِنْ كِتَابِ التَّفَاسِيرِ السَّابِقَةِ] .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَهَوَامَّهَا تَلْعَنُ الْعَصَاةَ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : إِذَا أَشْعَثَتِ الْأَرْضُ ^(١) تَقُولُ الْبَهَائِمُ : هَذَا مِنْ أَجْلِ عَصَاةِ بَنِي آدَمَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ ^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْجِسْلَ لَتَمُوتُ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ » ^(٣) . يَعْنِي : أَنَّ بِذُنُوبِ الْخَلْقِ يَمْتَنِعُ الْقَطَرُ ^(٤) . فَلَا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ ، فَتَهْتَالِكُ الدُّوَابُّ وَالْحَشَرَاتُ . وَسَمِعَ أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٥) رَجُلًا يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ . فَقَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنَّ الْحُبَارَى ^(٦) لَتَمُوتُ هَزْلاً ^(٧) فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : خَطِئَةُ بَنِي آدَمَ قَتَلَتِ الْجِسْلَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ انْقَطَعَ حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِبَيْمِنِهِ فَقَدْ أَوجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : وَإِنْ كَانَ شَيْفًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ » ^(٨) . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « مَا ظَهَرَ الْعُلُولُ » ^(٩) فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، وَلَا فَشَا الرُّبَى فِي قَوْمٍ إِلَّا ^(١٠) فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ ، وَلَا نَقَصَ قَوْمَ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِلَّا انْقَطَعَ عَنْهُمْ ^(١١)

(١) أَشْعَثَتِ الْأَرْضُ : تَعَثَّرَتْ وَقَلَّ خَيْرُهَا .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ١٥٩ .

(٣) الْجِسْلُ : وَلَدُ الضَّبِّ . وَالْحَدِيثُ لَمْ يَرِدْ فِي الْكُتُبِ السَّتَةِ .

(٤) الْقَطَرُ : الْمَطَرُ .

(٥) فِي « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٦) فِي « م » : « حَتَّى إِنَّ الْحُبَارَى » . وَالْحُبَارَى : طَائِرٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ ، رَمَادَى اللَّوْنِ ، عَلَى شَكْلِ الْإِوَرَّةِ ، وَالذِّكْرُ وَالْأُنْثَى وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ .

(٧) هَزْلاً : ضَعْفًا .. وَفِي « م » : « مَزْلاً » تَحْرِيفٌ .

(٨) قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ : عَوْدًا مِنْ شَجَرِ الْأَرَاكِ ، وَهُوَ شَجَرٌ كَثِيرُ الْفُرُوعِ ، مُتَقَابِلُ الْأَوْرَاقِ ، يَنْبِتُ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ ، وَيَتَخَذُ مِنْهُ الْمَسَاكِينُ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِعِلَّةِ رَوَايَاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ ، بَابِ وَعِيدِ مَنْ انْقَطَعَ حَقُّ مُسْلِمٍ بِبَيْمِنِهِ فَاجِرَةٌ بِالنَّارِ ج ٢ ص ١٥٧ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .

(٩) الْعُلُولُ : الْخِيَانَةُ وَالسَّرَقَةُ فِي الْمَخْضَمِ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(١٠) قَوْلُهُ : « أَلْقَى اللَّهُ » إِلَى هُنَا .. عَنْ « م » « وَسَاقَطٌ مِنْ « ط » .

(١١) فِي « م » : « قُطِعَ مِنْهُمْ » .

الرُّزْقُ ، وَلَا حَكَمَ قَوْمٍ يَغْيِرُ حَقَّ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ ، وَلَا خَرَّ قَوْمٌ بِالْمَهْدِ ^(١) إِلَّا سُلْطَ عَلَيْهِمُ الْقُدُورُ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَذْكَرُ عِنْدَ الظُّلَمِ عَذْلُ اللَّهِ فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا ^(٣) يُعْجِبُنْكَ رَحْبُ الدَّرَاعَيْنِ بِسَفْلِكَ الدَّمَاءِ ، فَإِنَّ لَهُ قَاتِلًا لَا يَمُوتُ . وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ رَقَمَ عَلَى بَسَاطِهِ ^(٤) :

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فَالظُّلْمُ مَصْدَرُهُ يُفْضِي إِلَى التَّدِيمِ

تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ ^(٥)

وَأَنْشَدَنَا قَاضِي الْقَضَايَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدَّامَغَانِيُّ ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ بِعَدَادٍ :

إِذَا مَا هَمَمْتَ بِظُلْمِ الْعِبَادِ فَكُنْ ذَاكِرًا هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْمَعَادِ

فَإِنَّ الْمَظَالِمَ يَوْمَ الْقِصَاصِ لِمَنْ قَدْ تَزَوَّدَهَا شَرُّ زَادٍ ^(٧)

(١) هكذا في « م » : وَالْمُوطَأُ .. ومعنى خَرَّ بالهمد : نَقَضَهُ وَغَرَبَهُ .. ولي « ط » : « خَفَر » وهي بمعناها .

(٢) في « م » : « إِلَّا سُلْطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ » .. والحديث رواه مالك في موطئه في كتاب الجهاد ، باب ماجاء في القُلُوبِ ص ٤٦٠ ط دار الكتاب المصري .

(٣) في « م » : « لَا » بدون واو المطف .. وَرَحْبُ الدَّرَاعَيْنِ : واسع القوة .

(٤) رَقَمَ عَلَى بَسَاطِهِ : كتب عليه .. والبيتان من البسيط .

(٥) هكذا في « م » و « ط » .. والشطرة الأولى في المستطرف - ج ١ ص ٢٣٦ : « تَنَامُ عَيْنُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ » .

(٦) في « ط » : « أَنْشَدَنَا » بدون عطف .. وأبو عبد الله الدامغانى هو : محمد بن علي بن حسن بن عبد الملك ، أبو عبد الله الدامغانى ، شيخ الحنفية في زمانه ، وتبعته بقاضى القضاة ، وُلِدَ بِدَامْغَانَ - بلد بين الرى وبنيسابور - سنة ٣٩٨ هـ - وفي معجم البلدان سنة ٤٠٠ هـ - وتفقه بها وبنيسابور ، ثم ببغداد سنة ٤١٨ هـ ، وولى بها القضاء سنة ٤٤٧ هـ ، وطالت أيامه ، وكان مثل القاضى أبى يوسف فى أيامه حشمة وجأها وسؤدداً وعقلاً ، وبقي فى القضاء ثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٢٧٦ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٠٩ ، ومعجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٣ مادة « دَامْغَانَ »] .

(٧) البيتان من المتقارب .. ويوم المعاد ، ويوم القِصَاصِ : يوم القيامة .

وَقَالَ سَخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ ^(١) : كَانَ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ ^(٢) يَقُولُ : مَا هَبْتُ شَيْئًا قَطُّ هَبْتَنِي رَجُلًا ظَلَمْتُهُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَقُولُ لِي : حَسْبُكَ اللَّهُ ^(٣) ، اللَّهُ بَنِي وَبَيْتِكَ . وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ ^(٤) : اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَقَالَ أَبُو سَلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : لَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ^(٥) عَرَفَهُمْ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ ، وَكَانَ عَلَى وَجْهِهِ بَرَقٌ ، فَحَلَا بِكَبِيرِهِمْ ، وَكَانَ ابْنُ خَالَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَمَّ ^(٦) أَوْصَاكَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : يَا بَارِئُ ، قَالَ : وَمَاهُنَّ ؟ قَالَ : يَا بَنِي لَا تَتَّبِعْ هَؤَاكَ فَتَفَارِقَ إِيْمَانَكَ ، فَإِنَّ الْإِيْمَانَ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْهَوَى يَدْعُو إِلَى النَّارِ ، وَلَا تُكْثِرْ مَنْطِقَكَ بِمَا ^(٧) لَا يَغْنِيكَ فَتَسْقُطَ

(١) هو : عبد السلام بن سعيد بن حبيب التَّوَحِّي ، المُلقَّب بِسَخْنُون ، قاضي وفقه مالكي ، انتبث إليه رئاسة العلم في المغرب ، وكان غفيف النفس زاهداً ، لا يهاب سلطاناً في حقِّ بقوله ، وُلِد في القيروان سنة ١٦٠ هـ ، وولى القضاء بها سنة ٢٣٤ هـ ، واستمر إلى أن توفي سنة ٢٤٠ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٤ ص ٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨٢ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٣٤٠ ، وقضاة قرطبة للخشني ، صفحات متفرقة ، وجذوة المقتبس ، صفحات متفرقة ، وشنرات الذهب ج ٢ ص ٩٤ ، وطبقات الشيرازي ص ١٦٠ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٣٧] .

(٢) في « ط » : يزيد بن حاتم الحكيم .. وفي « م » : يزيد بن حكيم ، والأخير تحريف من « حاتم » .. وهو : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان في العصر العباسي ، ولى الديار المصرية سنة ١٤٤ هـ للمنصور ، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر ، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ هـ ، ثم ولّاه إفريقية سنة ١٥٤ هـ ، فوجه إليها وقاتل الخوارج ، واستقر بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر ، قضى في خلالها على أكثر من الفتن . وتوفي بالقيروان سنة ١٧٠ هـ . وكان جواداً مملوحاً .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٨٠ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٠١ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢١ - ٣٢٦ ، وخزانة الأدب للبغدادي ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٦ ، وفيها إشارة إلى قوله : « ما هبت شيئاً .. الخ »] .

(٣) الحسب : المحاميد .. وفي « م » : « حُسْبُكَ اللَّهُ » أي : كافيك .

(٤) هكذا في « م » وفي الحلية .. وفي « ط » : « ابن سعيد » خطأ . وهو من المُتَّابِ الزاهدين ، وكان واعظاً ومُحَدِّثاً .. قال عبد الله بن المبارك : كان محل بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة . [انظر ترجمته وأقواله في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٢١ - ٢٣٤] .

(٥) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٦) في « م » : « بما » لاتصح ، فاليم هنا استفهامية سُبِّقت بحرف جر ، فتحذف ألفها . ومثلها : عَمَّ ، ومِمَّ ، وعلام الخ ..

(٧) في « م » : « فيما » .

مِنْ عَيْنِهِ ، وَلَا تُسِئْ بِرَبِّكَ الظَّنَّ فَلَا يَسْتَجِيبَ لَكَ ، وَلَا تُكُنْ ظَالِمًا فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَمْ تَخْلُقْ لِلظَّالِمِينَ .

وَبَكَى عَلَى بَنِي الْفَضِيلِ ^(١) يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَكِيكَ ؟ فَقَالَ : أَبْكِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي إِذَا وَقَفَ غَدًا ^(٢) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ تُكُنْ ^(٣) لَهُ حُجَّةً .

وَلِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ ^(٤) :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلُمِي وَتَرَكْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي ^(٥)
وَرَأَيْتُهُ أَسَدَى إِلَى يَدَا لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ جِلْمِي ^(٦)
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْ سَنَانِي قَابَ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ ^(٧)
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالْإِنِّمِ ^(٨)
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى رَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ ^(٩)
وَكَاثِمًا الْإِحْسَانَ كَانَ لَهُ وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

(١) في « م » : « الفضل » خطأ .. وهو علي بن الفضيل بن عياض ، من كبار الصالحين .

[انظر ترجمته في حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٩٧ - ٣٠٠ ، وانظر طبقات الأولياء ص ٢٧٠] .

(٢) قوله : « غدا » عن « ط » .

(٣) في « ط » : « يكن » بالياء .

(٤) مر التعريف به .. والأبيات من الكامل ، وقد وردت في العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٣ صفة الحلم وما يصلح له .

(٥) في العقد الفريد : « غفرت » مكان « وتركت » .

(٦) أسدَى إلى هذا : قُلَّم إلى معروفاً .

(٧) هكذا البيت في « ط » .. وجاء البيت في « م » : مكسوراً ، حيث سقطت منه كلمة « وإحساناً » .. وفيه « فساد » مكان « قَاب » . والبيت في العقد الفريد :

رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِخْ سَنَانِي إِلَى مُضَاعَفِ الْعُثْمِ .

(٨) في العقد الفريد : « بكسب الظلم والإثم » .

(٩) في « م » : « يظلمني فأرحمه » . وترتيب هذا البيت في العقد الفريد بعد الذي يليه ، وأوله : « وما زال » والواو هنا زيادة لاتصح ، فيها ينكسر الوزن .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١) اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِراً غَيْرِي». وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْ قَوْمِ يُوسُفَ تَرَادُّوا الْمَظَالِمَ ^(٢)، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ ^(٣) لَيَقْلَعُ الْحَجَرَ مِنْ أَسَاسِهِ فَيَرُدُّهُ إِلَى صَاحِبِهِ. وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ^(٤): الْحَجَرُ فِي الْبَنِيَانِ مِنْ غَيْرِ جِلِّهِ غُرْبُونٌ عَلَى خَرَابِهِ ^(٥). وَقَالَ غَيْرُهُ: لَوْ أَنَّ الْجَنَّةَ - وَهِيَ دَارُ الْبَقَاءِ - أُسِّسَتْ عَلَى حَجَرٍ مِنْ الظُّلْمِ لَأَوْشَكَ أَنْ تَحْرَبَ. وَقَالَ الْحَكِيمُ: الْعَدْلُ حُرْمَةٌ، وَالظُّلْمُ ظُلْمَةٌ، فَالْعَدْلُ ^(٦) يَحْرُسُ إِيَّاكَ مِنَ الْحَوَائِجِ، وَبِالْجَوْرِ تَهْجُمُ عَلَيْكَ الْجَوَائِحُ ^(٧)، فَاحْذَرْ مَنْ لَا جُنَّةَ ^(٨) لَهُ إِلَّا الثَّقَةُ بِتَزْوِيلِ الْغَيْرِ، وَلَا سِلَاحَ لَهُ إِلَّا الْإِثْمَالُ إِلَى مَقْلَبِ الدُّوَلِ.

قَالَ ^(٩) مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: يَا مَعْشَرَ الظُّلَمَةِ ^(١٠)، لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُونِي ذَكَرْتُمْ بِرَحْمَتِي، وَإِذَا ذَكَرْتُمُونِي ذَكَرْتُكُمْ بِلَعْنَتِي.

(١) مابن المقوفين عن «ط».

(٢) تَرَادُّوا المظالم: رد كل واحد منهم ما أخذه من أخيه ظلماً.

(٣) في «ط»: «حتى إن كان الرجل».

(٤) في «م» و«ط» كليهما: «زيد» مكان «يزيد» وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه، حيث ورد قوله هنا في الخلية منسوباً إليه، وقد شبه على المصنف بثور بن زيد شيخ مالك، وهو غير ثور بن يزيد.. وهو: أبو خالد ثور بن يزيد الحمصي، أحد الحفاظ، روى عن خالد بن معدان، وعطاء، وطائفة، ورؤى عنه يحيى القطان وأبو عاصم وغيرهما.. قال أحمد بن حنبل: كان ثور يرى القنبر.. وكان أهل حمص نفوه وأخرجوه وأحرقوا داره لكلامه في القنبر.. وتوفي سنة ١٥٣ هـ.

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ١٠٢، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٤، ٧٥، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٩٣ - ١٠٠، وج ٥ ص ٢١٠ وما بعدها، وشنوات الذهب ج ١ ص ٢٣٤].

(٥) في الخلية: «عربون خرابه».

(٦) في «م»: «والعدل»: ويحجر: يجلب.

(٧) في «ط»: «والجور يهجم عليك الجوائح».. والجوائح: المصائب، مفردة: جائحة.

(٨) الجُنَّة: السُّرَّة، وكل ما وقى، من سلاح وغيره.

(٩) في «م»: «وقال».

(١٠) في «م»: «الظُّلَمَاء» على وزن فُعلاء.. وكلاهما صحيح.

والظُّلَمَةُ: المالكون أهل الحقوق حقوقهم.

[انظر لسان العرب مادة «ظلم»، والفَيْصَلُ في ألوان الجموع ص ٧٣].

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ ^(١) : يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ وَعَرَفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْزِعُوا مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتٍ ^(٢) حُمِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوا ، حَتَّى يَرِدُوا الذَّرَكَ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ ^(٣) مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أَنَاسٍ ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الزَّيْتُ ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَجِ ! فَقَالَ ^(٤) : أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنْ اللَّهُ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا » ^(٦) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَقْرَأُ الْعِلْمَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كَانَ هَا هُنَا شَيْخٌ كَانَ ^(٧) عَيْنًا لِلْمَكَّاسِينَ ، يَدُورُ حَوْلَهُمْ ، فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ ؟

(١) هو : صَدْقُ بْنُ عَجَلَانَ بْنِ الْحَارِثِ - وقيل : ابن وهب - الباهلي ، صحافي ، غلبت عليه كُتُبُهُ ، وكان مع عليٍّ في « صِفَيْنَ » ، وسكن الشام ، وتوفي في أرضِ جَنْصَ سنة ٨١ هـ ، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢٠٣ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٦ وج ٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ورجال صحيح البخاري ج ١ ص ٣٦٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣٢٠ ، وكتاب الجرح والتعديل ج ٤ ص ٤٥٤] .
(٢) في (م) : « فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَنَاتٍ » .

(٣) هو : هشام بن حكيم بن حزام بن مخوليد القرشي ، الأسدي ، صحابي ابن صحابي ، أسلم يوم الفتح ، ودخل الشام في أيام الفتح ، وعاش كالسائح ، لم يتخذ أهلاً ، ولا كان له ولد ، وكان ينتقل ومعه نفر من أهل الشام للإصلاح والنصيحة ، والترغيب بالخير والزجر عن الشر ، وليس لأحد عليهم إمارة .. وتوفي بعد سنة ١٥ هـ قبل أبيه حكيم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٨٥ ، ٨٦ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٨ - ٤٠٠ ، والمعارف ص ٢١٩ وص ٣١١ ، ورجال صحيح مسلم ج ١ ص ٣١٤] .

(٤) في (ط) : « قَالَ » .

(٥) في (ط) : « النَّبِيُّ » .

(٦) رواه مسلم في كتاب البر ، باب الوعد الشديد لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقِّ ج ١٦ ص ١٦٧ بشرح النووي .. ورواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفتى ، باب في التشديد في جباية الجزية ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) في (م) : « شَيْخٌ عَيْنًا » والأخيرة بالنصب على تقدير فعل الكينونة .. وفي (ط) : « يَكُونُ عَيْنًا » . وكان عَيْنًا لِلْمَكَّاسِينَ : كان جاسوساً لِلْمَكَّاسِ وغيرهم الذين يجيئون المكوس « الضرائب » من التجار .

فَقَالَ لِي ^(١) : لَا تَسْأَلْ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْ ^(٢) ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : مِنْ الْجَحِيمِ . قُلْتُ لَهُ : فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قَالَ : إِلَى مِثْلِ الدَّارِ الَّتِي خَرَجْتُ مِنْهَا . قُلْتُ : فَكَيْفَ لَقِيتَ ؟ قَالَ : وَمَاذَا لَقِيتُ ؟ كَانَ لَحْمِي قَدْ جُعِلَ فِي هَاوُنٍ ^(٣) وَدُقَّ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْمَخِّ ^(٤) .

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ ، قَالَ : رَأَيْتُ فَلَانًا الْبَيْعَ فِي النَّوْمِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ .

قَالَ : أَنَا مَحْبُوسٌ عَنِ الْجَنَّةِ . قُلْتُ : فِيمَاذَا ؟ قَالَ : كُنْتُ أُبِيعُ فِي الدُّكَّانِ فَيَرْدَحُمُ النَّاسُ عَلَيَّ ، فَأَتَّخِذُ ذَرَاهِمَهُمْ فَأَضَعُهَا فِي فَمِي ، وَكَلَّمَا تَفَرَّغْتُ ^(٥) وَرَزَتْهَا وَأُعْطِيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ ، فَأَخْتَلَطْتُ فِي فَمِي الْفَضْلَاتِ ^(٦) ، فَجَاءَ اثْنَانِ ، فَدَفَعْتُ ^(٧) لِأَحَدِهِمَا بِفِضَّةِ الْآخَرِ ، وَكَانَتْ أُنْقَصَ مِنْ فِضَّتِهِ بِحَبَّةٍ ، ثُمَّ حُوسِبْتُ فَبَقِيَ عَلَيَّ حَبَّةٌ ، قُلْتُ ^(٨) : فَأَذْفَعُ لَهُ الْحَبَّةَ وَتَخْلُصُ ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ وَيَقُولُ : مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ ؟ فَفَكَرَّهَا مَرَّاتٍ ^(٩) .

وَيُرْوَى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا بُدِيَ بِالْعَرَاءِ ، وَأُتِبَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنْ يَقْطِينٍ ^(١٠) كَانَ يَأْوِي إِلَى ظِلِّهَا ، فَيَسْتَسْتَسِ ، فَبَكَى عَلَيْهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ :

(١) « لِي » عن « ط » .

(٢) قوله : « فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْأَلْ » عن « ط » . ولم ترد في « م » .

(٣) الهاوون ، بضم الواو ويفتحها : وعاء مجوف من الحديد أو النحاس يُدْقُ فيه .

(٤) الشخ : نقي العظم ، أو ما أُخْرِجَ مِنَ الْعَظْمِ .

(٥) أُمِي : تَكَلَّيْتُ لَهَا .

(٦) الفضلات : ما بقي وَفَضَّلَ .. وفي « م » : « الْفَضْلَانِ » .

(٧) قوله : « فَجَاءَ اثْنَانِ » عن « ط » .. وفي « م » : « وَدَفَعْتُ » .

(٨) في « م » : « قُلْتُ لَهُ » .

(٩) في « م » جاء قوله : « مِنْ أَيْنَ أَذْفَعُ لَهُ » مرة واحدة لمرتين .. وفيها : « يَكْرَرُهَا » مكان « فَفَكَرَّهَا » .

(١٠) اليقطين : ما لا ساق له من النبات ، كالقثاء والبطيخ ونحوهما ، وغلب على القرع .

تَبْكِي عَلَى شَجَرَةٍ فَقَذَنَهَا وَلَا تَبْكِي عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ أَرَدْتَ أَنْ أَهْلِكَهُمْ ؟ وَقِيلَ لِابْنِ السَّمَاكِ الْأَسَدِيِّ ، أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : بَيْنَ مَظْلُومٍ لَا يَتَصَيَّفُ وَظَالِمٍ لَا يَنْتَهِي . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفْقَرُ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ كَسْبًا مِنْ حَرَامٍ ، لِأَنَّهُ اسْتَدَانَ بِالظُّلْمِ مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رَدِّهِ . وَقَالَ رَجُلٌ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَذَكَرَ الْحَجَّاجُ فَسَبَّبْتُهُ وَوَقَعْتُ فِيهِ ^(١) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَظْلِمُ بِالْمَظْلَمَةِ فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَشْتُمُ الظَّالِمَ وَيَسُبُّهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ ، فَيَكُونُ لِلظَّالِمِ حَقٌّ عَلَيْهِ ^(٢) .

وَقَالَ عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ ^(٣) : نَادَى رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٤) : مَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ ذِرَاعُهُ مِنْ عَضِيدِهِ ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ : مَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمَنَّ أَحَدًا ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : يَتِمُّنَا أَنَا أُسِيرُ ^(٥) عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي بَعْضِ سَوَاحِلِ الشَّامِ إِذْ مَرَزْتُ بِبَطْنِي ^(٦) قَدْ اصْطَلَاذَ تِسْعَةَ أَثْوَانٍ ^(٧) ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ ثَوْبًا وَهُوَ كَارِهِ بَعْدَ أَنْ ضَرَبْتُ رَأْسَهُ ، فَعَضُّ الثَّوْبُ إِنْهَامِي عَضَّةً يَسِيرَةً ، ثُمَّ أَكَلْتَاهُ ، فَوَقَعَتْ الْأَكِلَةُ فِي إِنْهَامِي ^(٨) ، فَاتَّقَمَتِ الْأَطْبَاءُ عَلَى قَطْعِهِ ، فَقَطَعْتُهُ ^(٩) ، فَوَقَعْتُ فِي كَفِّي ثُمَّ

(١) وقع فيه : شتمه وعابه .

(٢) في م : : : فَضَّلَ عَلَيْهِ .

(٣) هو : عمرو بن دينار ، الجُمَحِيُّ بالولاء ، أبو محمد الأثرم ، فقيه ومُحَدِّث ، كان مفتى أهل مكة ، فارسي الأصل ، ولد بصنعاء سنة ٤٦ هـ ، وتوفي بمكة سنة ١٢٦ هـ - وقيل سنة ١٢٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٧٧ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ٥٨ ، ٥٩ ، ورجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٤١ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٨ ، ٦٩ ، والمعارف ص ٤٦٨] .

(٤) قوله : « نادى رجل ... » وما بعده عن « ط .. » وفي م : : « إن الرجل في بني إسرائيل يقول : من رأى فلا يظلمن أحدا .. » فسئل عن حالة .. » وسأق .

(٥) « أسير » عن « ط .. » ولم ترد في م : .

(٦) نسبة إلى التَّجْبِيط . والأنباط - أو النبط - شعب سامي كانت له دولة في شمال الجزيرة العربية ، وعاصمتهم « سَلَع » وتُعرف اليوم بالبتراء .

(٧) أَثْوَانٌ : جمع نون ، وهو الحوت ، أو السمكة الكبيرة .

(٨) الْأَكِلَةُ وَالْأَكِلَةُ : الْحِكْمَةُ .. ووقعت فيه : أغترته وأفسدته .

(٩) في م : : « على قطعها فقطعها » وكلاهما صواب ، فالأصحُّ تَذَكُّرٌ وَتَوَكُّثٌ .

سَاعِدِي ^(١) ، ثُمَّ عَضِدِي ، فَمَنْ رَأَى فَلَا يَظْلِمُنْ أَحَدًا ، فَخَرَجْتُ أَسِيحُ فِي الْبِلَادِ ،
وَأَيْدٍ قَطَعَ عَضِدِي إِذْ رُفِعَتْ لِي شَجَرَةٌ ، فَأَوَيْتُ إِلَى ظِلِّهَا ، فَتَعَسْتُ ، فَقِيلَ لِي فِي
الْمَنَامِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَقْطَعُ أَعْضَاءَكَ ؟ رُدَّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجِئْتُ الصِّيَادَ فَقُلْتُ لَهُ ^(٢) :
يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَنَا مَمْلُوكُكَ فَأَغِيثْنِي ، فَقَالَ : مَا أَعْرِفُكَ . فَأُخْبِرْتُهُ ، فَبَكَى وَتَضَرَّعَ
وَقَالَ : أَنْتَ فِي حِلٍّ . فَلَمَّا قَالَهَا تَنَاقَرُ ^(٣) الدُّودُ مِنْ عَضِدِي ، وَسَكَنَ الرُّوجُ . فَقُلْتُ
لَهُ : بِمَاذَا دَعَوْتَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : لَمَّا ضَرَبْتَ رَأْسِي وَأَخَذْتَ السَّمَكَةَ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ
وَبَكَيْتُ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ عَدْلٌ ، تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ ^(٤) وَأَنَّكَ
الْحَقُّ ، تُحِبُّ الْحَقَّ ، وَخَلَقْتَنِي وَخَلَقْتُهُ ، وَجَعَلْتَهُ ^(٥) قَوِيًّا وَجَعَلْتَنِي ضَعِيفًا ، فَأَسْأَلُكَ
يَا مَنْ ^(٦) خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتُهُ أَنْ تَجْعَلَهُ عِبرَةً لِحَلْفِكَ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَمْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْإِتْقَامِ ، وَإِنْ أَنْقَصَ النَّاسُ عَقْلًا
مَنْ ظَلَمَ مِنْ ذُنُوبِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الظُّلْمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ^(٧) : ظَلَمَ لَا يَعْفُرُهُ
اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ ، وَظَلَمَ لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ ^(٨) ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَعْفُرُهُ اللَّهُ فَهُوَ
الشَّرْكُ بِاللَّهِ ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ فَمَظَالِمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَمَّا الظُّلْمُ
الَّذِي لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ فَظُلْمُ الْعَبِيدِ مَا ^(٩) بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

(١) فِي د م : : فِي كَفْ ثَم فِي سَاعِدِي .

(٢) فِي ط : : دَقُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ .

(٣) فِي د م : : تَنَاقَرَتْ .

(٤) قَوْلُهُ : : تُحِبُّ الْعَدْلَ ، وَهَذَا مِنْكَ عَدْلٌ : عَنْ ط .

(٥) قَوْلُهُ : : وَجَعَلْتَهُ : عَنْ ط .

(٦) فِي د م : : : فَأَسْأَلُكَ بِالَّذِي .

(٧) فِي د م : : : الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ .

(٨) فِي ط : : : لَا يَغْنِي اللَّهُ بِهِ شَيْئًا .

(٩) د م ، عَنْ ط .

وَقَالَ مِمُّونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ظَلَمَ رَجُلًا مَظْلَمَةً فَقَاتَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا فَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ، رَجَوْتُ ^(١) أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَظْلَمَتِهِ . وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ^(٢) : ثَوَّفِي رَجُلٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فَوَجَدُوا ^(٣) عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَشَكَّرُوا ذَلِكَ إِلَى ^(٤) الْمَسِيحِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٥) ، فَوَقَّفَ عَلَى قَبْرِهِ وَدَعَا ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي رِجْلَيْهِ تَغْلَانِ مِنْ نَارٍ ، فَسَأَلَ عِيسَى ^(٦) عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَصَيْتُ قَطُّ ، إِلَّا أَنِّي مَرَزْتُ بِمَظْلُومٍ فَلَمْ أُنْصُرْهُ ، فَتَنَعَلْتُ هَاتَيْنِ التَّغْلَيْنِ ^(٧) . وَأَمَّا أَنَا فَأَوْصِيكَ إِذَا فَعَلْتَ بِأَحَدٍ مَكْرُومًا فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ ^(٨) وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ، كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) لَمَّا آذَى هَارُونَ وَأَخَذَ يَلْحِقِيهِ وَرَأْسِيهِ ^(١٠) ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَرَاءَتُهُ ، وَأَنْ ^(١١) بَنَى إِسْرَائِيلَ غَلْبُوهُ عَلَيْهِ وَعَلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَذْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١٢) .

(١) في م : : « كلاه » ، بالكاف مكان « صلاة » ، تحريف من الناسخ .. وفيها : « وجب » مكان « رجوت » .
(٢) هو : يوسف بن أسباط الشيباني ، الزاهد الواعظ ، رَوَى عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ الشَّيْبَانِيُّ بِنِ وَاضِحٍ ، وَعَبَدَ اللَّهَ بِنِ حَبِيبِ الْأَنْطَاكِيِّ .. وَتَقَبَّلَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ .. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : « كَانَ قَدْ دَفِنَ كَتَبَهُ ، فَكَانَ لَا يَمْسُهُ بِحَدِيثِهِ كَمَا يَمْسِي » .

[انظر طبقات الصوفية ص ٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٦٢ ، وحلية الأولياء ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٥٣] .

(٣) وَجَدُوا : حَزَبُوا .

(٤) في م : : « على » تحريف .

(٥) في ط : : « صلى الله عليه وسلم » .

(٦) « عيسى » عن ط .

(٧) تَنَعَلْتُ : لَبَسْتُ الثَّغْلَ . وفي م : : « فعلت هاتين التعلتين » .

(٨) له : عن ط .

(٩) في م : : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) أَخَذَ يَلْحِقِيهِ وَرَأْسُهُ : جَلَبَتْهُ مِنْ شَعْرِ لَحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ ، وَذَلِكَ حِينَمَا عَادَ مُوسَى مِنْ مُنَاجَاةِ رَبِّهِ فَوَجَدَ قَوْمَهُ قَدْ أَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ بِعِجْلِهِ فَصَلَبَهُ ، فَغَضِبَ مُوسَى عَلَى أَخِيهِ لِأَنَّهُ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلُفَهُ فِي قَوْمِهِ ، فَظَنَ أَنَّهُ قَصَرَ فِي ذَلِكَ يَوْمَ بِوُجُوهِهِمْ ، فَقَالَ لِأَخِيهِ : أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَخْلُفَنِي فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَنْ تَصْلَحَ فِيهِمْ ؟ فَمَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ اغْتَدَعُوا بِكَ السَّامِرِيَّ وَخَلَبُوا بِاتِّبَاعِهِ ، وَمَالُوا إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ أَنْ تَجِبَنِي وَتَلْحَقَ فِي تَخْفِرِي بِمَآلِهِمْ ؟ فَأُجَابَهُ بِأَنَّهُ نَصَحَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِمْ ، فَصَوَّهُ ..

[انظر سورة طه ، الآيات من ٨٥ وما بعدها .. وسورة الأعراف ، الآيات من ١٤٨ وما بعدها] .

(١١) في م : : « فَإِنْ » .

(١٢) سورة الأعراف - الآية ١٥١ .

وَرَوَى أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ كَانَتْ فِيهِمْ عَشْرٌ خِصَالٍ ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) بِهَا : كَانُوا يَتَغَوَّطُونَ ^(٢) فِي الطَّرَقَاتِ ، وَتَحْتَ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَفِي الِغِيَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَفِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَكَانُوا يَحْلِفُونَ ^(٣) النَّاسَ بِالْحَصَى فَيَذُمُّونَهُمْ ^(٤) ، وَإِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَجَالِسِ أَظْهَرُوا الْمُنْكَرَ بِإِخْرَاجِ الرِّيحِ مِنْهُمْ ، وَاللُّطَمِ عَلَى رِقَابِهِمْ ، وَكَانُوا يَرْفَعُونَ نِيَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَغَوَّطُوا ، وَيَأْتُونَ بِالطَّامَةِ ^(٥) الْكُبْرَى ، وَهِيَ اللَّوَاطَةُ ^(٦) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ائْتِكُمْ لِقَائِكَ الرِّجَالِ لِنَفْتَقُونَ السَّبِيلَ وَتَأْكُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ^(٧) . وَالتَّادِي : الْمَجْلِسُ . وَيَلْعَبُونَ بِالْحَمَامِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَامِقِ ^(٨) وَضَرْبِ الدُّفِّ ^(٩) ، وَشَرْبِ الْخَمْرِ ^(١٠) ، وَفَصِّ اللَّحْيَةِ ، وَطَهِيلِ الشَّارِبِ ، وَالتَّصْنِيفِ ، وَلُبْسِ الْخُمَرَةِ ^(١١) وَتَزْيِيدِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِإِثْنَانِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(١٢) ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى إِثْنَانِ الرِّجَالِ أَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ بُنَارٌ كَثِيرَةٌ فِي مَنَازِلِهِمْ وَحَوَائِطِهِمْ ^(١٣) فَاصَابَهُمْ فَخْطٌ وَقَلَّةٌ مِنَ الثَّمَارِ ، فَقَالُوا : يَا بَى

(١) « تعالى » عن « م » .

(٢) في « م » و « ط » : « عشرة خصال » .. خطأ في اللغة ، والصواب ما أبتناه . وكلمة يتغوطون : يهزؤون .

(٣) يحلفون : يلقنون .

(٤) أى : حتى يسيل منهم الدم .. وفي « م » : « فيمورونهم » أى : يعضونهم عوزًا .

(٥) في « م » : « الطامة » أى : الداهية العظيمة .

(٦) اللوطة : نوع من الشنوء الجنسي .. وفي « م » : « اللوطة » مصدر صناعي من : لَاطَ يَلُوطُ ، إِذَا عَمِلَ

عَمَلُ قَوْمِ لُوطَ .

(٧) سورة العنكبوت ، من الآية ٢٩ .

(٨) الجلاميق : جمع جَلَمَقٍ ، وهى : القوس - فارسي معرب - وفي « ط » : « بالجلاليق » وهو : البندق الذى

تَرْمَى بِهِ .. أو هو الطين المَكُونُ الْأَمْلَسُ .. وهى أيضاً لفظة فارسية مُعَرَّبَةٌ .

(٩) الدُّفُّ : آلة من آلات الطرب .. وضرب الدُّفِّ : التقر عليه .

(١٠) في « ط » : « الخمر » .

(١١) الخُمَرَةُ : اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ .

(١٢) في « ط » : « بإثْنَانِ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا » .

(١٣) حوائطهم : بساطتهم .

شَيْءٍ نَمْنَعُ إِمَارَتَنَا حَتَّى لَا يَطْرُقَهَا ^(١) أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ مَنْ وَجَدُوهُ فِيهَا نَكَحُّوهُ وَغَرَّمُوهُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، فَفَعَلُوا ، وَمَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ ^(٢) مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ بَدْءُ الْفَاحِشَةِ فِيهِمْ أَتَاهُمْ هُمَا بِذَلِكَ ، فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ صَبِيٍّ أَجْمَلَ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ ^(٣) ، فَتَكَحُّوهُ وَتَجَرَّعُوا ^(٤) عَلَى ذَلِكَ .
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوُثٌ وَلَكِنَّ الْمُسِيءَ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى دَيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ لَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجَمُّعُ الْخُصُومِ
سَبِيلُ الْإِيمَانِ عَنْ أُمَّهِ تَقَضَّتْ فَخَبَرَكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

وَرَوَى أَنَّ أُتُوشِيرَوَانَ كَانَ لَهُ مُعَلِّمٌ حَسَنُ التَّأْدِيبِ ، فَعَلَّمَهُ حَتَّى فَاقَ فِي الْعُلُومِ ^(٥) ، فَضَرَبَهُ الْمُعَلِّمُ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ فَأَوْجَعَهُ ، فَحَقَّقَدَ أُتُوشِيرَوَانُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا وَلَّى الْمُلُوكَ قَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ مِنْ ضَرْبِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ظُلْمًا ؟ قَالَ : لَمَّا رَأَيْتُكَ تَرْغَبُ فِي الْعِلْمِ رَجَوْتُ لَكَ الْمُلُوكَ بَعْدَ أَبِيكَ ، فَأَخْبَيْتُ أَنَّ أَذِيكَ طَعَمَ الظُّلْمَ لِقَلًّا تَظْلِمُ ، فَقَالَ أُتُوشِيرَوَانُ : زَهْ ^(٦) .

(١) يطرقها : يأتيها ويسلك إليها .

(٢) في « م » : « مِنْ أَحَدٍ » .

(٣) في « م » : « أَجْمَلَ مَا يَكُونُ مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ رَأَاهُ النَّاسُ » .

(٤) في « م » : « وَجَرَّعُوا » .

(٥) فاق في العلوم : تفوق فيها .

(٦) زه : كلمة فارسية يقال عند الاستحسان ، وقد يقال عند الاستهجان معكنا وسخرية .. وهي هنا

للاستحسان .. وفي « م » : « زاه » تحريف .

البَابُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي تَحْرِيمِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَقَبْحِهِمَا وَمَا يَقُولُ إِلَيْهِ

أَمْرُهُمَا مِنَ الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ وَالْعَوَاقِبِ الذَّمِيمَةِ (٥)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هُمَا زِيَارَةُ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْقِدٌ أَيْمٍ * عَثَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنٌ ﴾ (١) ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ أَصْنَافَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْإِنْحَادِ ، وَالتَّلَايُفِ وَأَهْلِ الذَّمِّ (٢) وَالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ وَأَشْبَاهَهُمْ ، وَلَمْ يَسُبَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَحَدًا مِنْهُمْ ، إِلَّا النَّمَامَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَحَسْبُكَ بِهَا حِسَّةٌ (٣) وَرَذِيلَةٌ وَسُقُوطًا وَضَعَةٌ (٤) . وَهَذِهِ الْآيَةُ تَزَلَّتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ (٥) فِي أَصَحِّ الْأَقْوَالِ . وَالْهَمَّازُ :

(٥) فِي « م » : « النَّمِيمَةُ وَالسَّعَايَةُ .. وَالْأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ » وَمَعْنَى السَّعَايَةِ : الْوَشَايَةُ .

(١) سُورَةُ الْقَلَمِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠ - ١٣ .. وَالْحَلَّافُ : الْكَثِيرُ الْخَلْفِ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَالْمَهِينُ : الْحَقِيرُ فِي الرَّأْيِ وَالْقِيَمَةِ ، أَوْ الْكَذَّابُ . وَالْهَمَّازُ : الْعِيَابُ ، أَوْ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ .. وَمَشَاءٌ بَنِيمٌ : يَسْمَى بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ وَالْإِفْسَادِ .. وَالْعَثَلُ : الْغُلِيظُ الْجَافُ ، أَوْ الْفَاحِشُ اللَّعِيمُ .. وَالزَّيْنُ : الدُّعْبَى الْمُلْتَصِقُ بِقَوْمِهِ ، أَوْ الشَّرِيرُ ، وَمُسْتَأْنَى .

(٢) أَهْلُ التَّلَايُفِ : النَّصَارَى .. وَأَهْلُ الذَّمِّ : الدَّهْرِيُّونَ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٣) فِي « م » : « بِفَاحِشَةٍ » وَهِيَ تَحْرِيفٌ مِنْ قَوْلِهِ : « بِهَا حِسَّةٌ » حَيْثُ جَاءَ مَا يَهْدِيهَا مَنُصُوبٌ عَلَى الْقِيَمَةِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْأَوَّلَى لَكَانَ الْمُطَفُّ عَلَيْهَا بِالْجَرِّ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ وَلَرَدَ .

(٤) الضَّمَّةُ : الْأَعْطَاطُ وَاللُّؤْمُ وَالِدَّنَاعَةُ .

(٥) هُوَ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغْفِرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَبُو عَبْدِ فَحْسٍ ، مِنْ قُضَاةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمِنْ زَعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ زَنَادِقِهَا .. وَلَدَ سَنَةَ ٩٥ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَتَوَفَّى فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْهَا ، وَهُوَ وَالِدُ سَيْفِ اللَّهِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ٨ ص ١٢٢ ، وَالْمَعَارِفُ ص ٥٥١] .

الْمُعْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ ، الطَّاعِنُ فِيهِمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : هُوَ الَّذِي يَغْمِزُ بِأَخِيهِ ^(١) فِي الْمَجْلِسِ ، وَهُوَ الْهَمْزَةُ اللَّمَزَةُ . وَالْعُتْلُ فِي اللَّعَةِ : الْعَلِيْظُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعُتْلِ ، وَهُوَ : الدَّفْعُ بِالْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ ^(٢) . وَقَالَ عَلِيُّ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] ^(٣) وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الْعُتْلُ : الْفَاحِشُ السَّيِّئُ الْخُلُقِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْعُتْلُ : الْفَاتِكُ الشَّدِيدُ ، الْمَنَافِقُ . وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ : الْعُتْلُ : الْأَكُولُ ، الشَّرُّوبُ ^(٤) الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ ، يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً . وَقَالَ يَمَانُ ^(٥) : هُوَ الْجَافِي الْقَاسِي اللَّيْثُ الْعَمِيرُ ^(٦) . وَقَالَ مُقَاتِلٌ ^(٧) : الْعُتْلُ : الضَّحْمُ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ ^(٨) : الشَّدِيدُ فِي كُفْرِهِ عِنْدَ الْعَرَبِ عُتْلٌ ^(٩) . وَقِيلَ : الْعُتْلُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ بِالْبَاطِلِ ، وَالزَّيْنِمُ : هُوَ الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَنْ أَبُوهُ .. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ^(١٠) :

(١) يغمز بأخيه : يسعى به شراً .

(٢) في م م م : وهو الدفع بالعنف .

(٣) ما بين المعقوفين عن « ط » .

(٤) الشَّرُّوبُ : الكثير الشرب .

(٥) هو الصحابي حُسَيْلٌ - أَوْ حِسْلٌ - بالتكبير - بن جابر بن ربيعة الغبسي ، وهو والد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ، وإيمان لقب له . قُتِلَ حُسَيْلٌ يَوْمَ أُحُدٍ خَطَأً ، اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَقَتَلُوهُ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفِنَهُ ، فَصَدَّقَ حَذِيفَةُ يَدَيْهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ ، و ج ٥ ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والمعارف ج ٢٦٣] .

(٦) الْعَمِيرُ : الضَّعْبُ .

(٧) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، من أعلام المفسرين . وقد مرت ترجمته .

(٨) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، أبو النظر ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب والأنساب ، وقد أجمعوا على تركه ، وقد اتَّهِمَ بِالْكَذِبِ وَالرَّفْضِ .. وَلِدَ بِالْكُوفَةِ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ ١٤٦ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ١٣٣ ، والمعارف ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٥٥٦ - ٥٥٩ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ١٥٨] .

(٩) في م م م : هو : الشديد في كفره ، وكل شديد عند العرب عُتْلٌ .

(١٠) هو : أبو الوليد ، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري ، من بني النجار ، صحابي ، وأحد المخضرمين الذين أدرَكُوا الجاهلية والإسلام ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان من سكان المدينة ، وعَمِيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ .. لَمْ يَشْهَدْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَشْهُدًا ، لِأَنَّهُ كَانَ جَبَانًا ، وَيُعْتَدُّ مِنْ فَجُولِ الشُّعْرَاءِ ، كَانَ شَاعِرَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَاهِلَةِ ، وَشَاعِرَ النَّبِيِّ فِي النَّبُوَّةِ ، وَشَاعِرَ الْإِمَانِيِّينَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْمَهْجَاءِ . تَوَفَّى بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٥٤ هـ .

وَأَنْتَ زَيْنَمٌ نِيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيْطٌ خَلَفَ الرَّاْكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ ^(١)
وَقَالَ غَيْرُهُ :

زَيْنَمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ أَبِيهِ بَعِيُّ الْأُمِّ ذُو حَسَبٍ لَيْمٍ ^(٢)

وَقَالَ أَكْثَرُ الثَّقَلَةِ : هَذَا رَجُلٌ إِنَّمَا ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ^(٣) . وَعَنْ هَذَا
قَالَ الْقَدَمَاءُ : لَا يَكُونُ ثَمَامًا إِلَّا وَفِي نَسَبِهِ شَيْءٌ . وَسَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ
بِرَجُلٍ ^(٤) ، وَكَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ لَهُ : انْصَرِفْ حَتَّى أَكْشِفَ عَنْكَ ، فَكَشَفَ
عَنْهُ ^(٥) ، فَإِذَا هُوَ لِعَفْرِ رَسَدَةٍ ^(٦) ، يَعْنِي وَلَدَ زَيْنَى . وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ : لَا يَبْغِي
عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَدَ بَعِيٍّ .

وَقِيلَ : الزَّيْنَمُ الَّذِي لَهُ زَنْمَةٌ ^(٧) فِي عُنُقِهِ يُعْرَفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرَفُ الشَّاةُ . قَالَ ابْنُ

= [انظر الأعلام ج ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٥ - ٧ ، والمعارف ص ٣١٢ ، ٣١٣ ، والشعر
والشعراء ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، وشذرات الذهب ج ١ ص ٦٠ ، وديوان حسان بن ثابت « القهيد » ص ٩ ط
دار المعارف ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والأغاني ج ٤ ص ١٣٤٨ - ١٣٨٤] .

(١) البيت من الطويل ، وهو من قصيدة يهجو بها حسانُ أباسُفَيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان قد هجا
النبي ﷺ ، فقال النبي : « مَنْ لِهَذَا ؟ » فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَحَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالَ
لِحَسَانٍ : اهْجِهْ وَجَبْرِيلَ مَعَكَ ، أَيْلِكَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ .

ونيط بالقوم ، أى : ليس منهم ، أو : لا يتعلق بنسبهم .. والقَدْحُ الْفَرْدُ : القَدْحُ الَّذِي يُعْلَقُ فِي آخِرِ الرَّجُلِ عِنْدَ
فِرَاقِهِ مِنْ ثَرَّخَالِهِ . والمراد : أنه مؤخر في الذِّكْرِ .. وفي رواية : « وَكُنْتُ دَجِيًّا » مكان « وَأَنْتَ زَيْنَمٌ » .. وفي الأغاني :
« وَأَنْتَ هَجِين » .

[انظر ديوان حسان بن ثابت ط دار المعارف ص ١١٨ ، وديوان حسان ط مطبعة السعادة ص ١٣٣ ، واللسان ،
مادة « قَدَح » و « زَيْم »] .

(٢) البيت من الوافر ، وذو حَسَبٍ لَيْمٍ : ليس لأبائه شرف أو مناقب يفخر بها .

(٣) في « م » : « ثمانية عشر سنة » لاتصح .

(٤) قوله : « بِرَجُلٍ » عن « ط » .. وَسَعَى بِرَجُلٍ : وَشَى بِهِ . وبلال بن أبي بردة الأشعري ، أمير البصرة
وقاضياها . وقد مرت ترجمته .

(٥) في « م » : « انصرف حتى أكشف لك عنه » .

(٦) الرُّشْدَةُ ، بفتح الراء المهملة المشددة وكسرهما : صحيح النسب .

(٧) زَنْمَةٌ : لحمَةٌ مُتَدَلِيَةٌ .

عَبَّاس : لَمَّا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْحَالِ الْمَذْمُومَةِ لَمْ يُعْرِفْ ^(١) حَتَّى قِيلَ : زَيْنَمٌ ، فَعَرَفَ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَيْنَمَةٌ يُعْرِفُ بِهَا ، كَمَا تُعْرِفُ الشَّاةُ بِزَيْنَمَتِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ ^(٢) ، نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ^(٣) ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ بَعْدَ الْوُقْعَةِ ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَزِعَ وَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : مَنَعُونِي صِدْقَاتِهِمْ وَأَرَادُوا قَتْلِي ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ^(٥) ، ثُمَّ كَشَفَ أَمْرَهُمْ فَوَجَدَ مَا قَالَهُ كَذِبًا ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاسِقًا .

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) .. فَشَرَكْ

(١) فِي « م » : « لَمْ نَعْرِفْهُ » .

(٢) فِي « م » : « بِجَهَالَةٍ » تَحْرِيفٌ .. وَتَمَامُ الْآيَةِ : ﴿ فَتَصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ وَهِيَ الْآيَةُ السَّادِسَةُ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرَاتِ .. وَمَعْنَى فَاسِقٌ : كَاذِبٌ .. فَتَبَيَّنُوا : فَتَبَيَّنُوا .. بِجَهَالَةٍ : بِخَطَا .

(٣) هُوَ : الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، أَبُو وَهَبِ الْأُمَوِيِّ ، الْقُرَشِيُّ ، مِنْ فِزْيَانَ قُرَيْشٍ وَشُعْرَائِهِمْ وَأَجْرَادِهِمْ ، فِيهِ ظَرْفٌ وَمِجُونٌ وَهَوٌ ، وَهُوَ أَخُو عَثَانَ لِأُمِّهِ ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، عَلَى صِدَقَاتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَمْرَ صِدَقَاتِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَوَلَّاهُ عَثَانَ الْكُوفَةَ بَعْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَنَةَ ٢٥ هـ فَانصَرَفَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةِ ٢٩ هـ فَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةُ عَثَانَ بِشُرْبِ الْخَمْرِ ، فَغَزَلَهُ ، وَدَعَا بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَحَسِبَهُ ، وَلَمَّا قُتِلَ عَثَانُ تَحَوَّلَ الْوَلِيدُ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَةِ فَسَكَنَهَا ، وَاعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى عَثَانَ وَحَرَضَ مَعَاوِيَةَ عَلَى اخْتِذِ بَأْرِهِ . وَمَاتَ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ٦١ هـ .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٢٢ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٥١ - ٤٥٣ ، والمعارف ص ٣١٨ ، ٣٢٠ .

(٤) الْوُقْعَةُ : غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ .

(٥) « عَلَيْهِمْ » عَنْ « ط » .. وَكَانَ سَبَبُ غَضَبِهِ ، ﷺ ، أَنَّ عُقْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ، ﷺ ، إِلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَبَيَّنَ وَلَا يَتَعَجَّلَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ ، فَانْطَلَقَ خَالِدٌ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلًا ، فَبَعَثَ عِيُونَهُ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا عَادُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا أَنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ ، وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَاهُمْ خَالِدٌ ، وَرَأَى صِحَّةَ مَا ذَكَرُوا ، فَعَادَ إِلَى النَّبِيِّ ، ﷺ ، وَأَخْبَرَهُ ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ .

(٦) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٢ ، وَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ : يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ الْكَاذِبَ وَالْمُفْتَرِيَاتِ .. أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ : أَكْأَلُونَ لِلْكَسْبِ الدُّنْيَى وَالْحَرَامِ ، كَالرَّشْوَةِ وَغَوَاهَا .

الله تَعَالَى بَيْنَ السَّامِعِ وَالْقَائِلِ فِي الْقُبْحِ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمَا ^(١) فِي الذَّمِّ ، فَكَانَ فِيهِ تَنْبِيْهُ ^(٢) عَلَى أَنَّ السَّامِعَ نَمَامٌ ^(٣) فِي الْحُكْمِ ، وَأَمَّا مَا رَوَى ^(٤) فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ هَمَامٌ ^(٥) كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ ^(٦) إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » وَفِي لَفْظٍ آخَرَ : نَمَامٌ ^(٧) . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَلَا أُغَيِّرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « مِنْ شِرَارِكُمْ الْمَشَاعُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ^(٨) ، الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ » . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مُلْعُونٌ ذُو الْوُجْهِينِ ^(٩) ، مُلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ ^(١٠) »

(١) في (م) : و ط : : بينهم .

(٢) في (م) : : تنبيهاً بالنصب .. ولا تصح .. اسم كان .

(٣) في (م) : : نماماً بالنصب .. خطأ ، والصواب بالرفع ، خبر أن .

(٤) هنا في (م) : : قدم الناسخ على هذا الحديث قول النبي ، ﷺ : « ألا أخبركم بشراكم .. الخ » وسأق .. ثم كرهه بعد ذلك سهواً .

(٥) هو : همام بن الحارث النخعي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، روى عن حذيفة بن اليمان في الإيمان ، وعائشة في الرضوء ، وعدي بن حاتم في الصيد ، والمقداد بن الأسود في الملاحين وغيرهم .. قال ابن سعد : توفي في ولاية الحجاج .

[انظر رجال صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٧٦ ، ورجال صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٠] .

(٦) يرفع الحديث : ينقله على سبيل التهمة ، وهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم .

(٧) القَتَاتُ والنَّمَامُ بمعنى واحد .. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تغليظ التهمة ج ٢ ص ١١٢ ،

١١٣ ب شرح النووي ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في القَتَات ج ٤ ص ٢٦٩ ، والترمذي في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في النَّمَام ج ٨ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، والمنذرى في الترغيب والترهيب ، في الترهيب من التهمة ج ٣ ص ٤٩٥ .

(٨) في (م) : : الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ . وكلاهما مروى .. والباغون : الطالبون . أخرجه المنذرى في الباب

السابق ص ٤٩٩ .

(٩) ذو الوجهين : الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، أي : يتزلف إلى الفريقين ليوهم كلاهما أنه من

أنصاره وأوليائه ، ويغيرهما أخباراً كاذبة تزيد الجفاء والنفور ، وتغرس الضغائن والأحقاد في قلوبهما ، فشتغل نار العدواة بينهما .

(١٠) ذو اللسانين : الذي يقابل هذا فيدم عدوه ويقدم في عرض خصمه ، وإذا قابل هذا الخصم أتى عليه وذم

من كان يمدحه .. وفي الحديث : « مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ » .. ليفوق أشد الآلام ، ويصطلي لسانه النار مضاعفة .

مَلْعُونٌ كُلُّ سَفَّارٍ ^(١) مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَانٍ . فَالسَّفَّارُ : الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ ، وَالْفَتَاتُ : التَّمَامُ ، وَالْمَنَانُ : الَّذِي يَعْمَلُ ^(٢) الْخَيْرَ وَيَمْنُنُ بِهِ .

وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ^(٣) ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَأَنَّهُ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنَ الْبَوْلِ ^(٤) ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَأَنَّهُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » ، فَأَخَذَ ^(٥) جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ ^(٦) ، فَعَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا » ^(٧) . وَذَلِكَ لِبَرَكَةِ يَدِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا السَّعَايَةُ إِلَى السُّلْطَانِ وَإِلَى كُلِّ ذِي قُدْرَةٍ وَمُكْنَةٍ ^(٨) فَهِيَ الْمُهْلِكَةُ وَالْحَالِقَةُ ، لِإِنِّهَا ^(٩) تَجْمَعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْمُومَةِ الْعُيَّةِ وَلَوْ أَنَّ النَّمِيمَةَ ^(١٠) ، وَالتَّغْرِيرَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ^(١١) ، وَالْقَدْحَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْأَحْوَالِ ^(١٢) ، وَتَسْلُبُ الْعِزَّ عِزَّهُ ، وَتَحْطُ الْمَكِينَ

= [انظر الرغبة والترهيب للمحافظ المنذرى .. ترهيب ذى الوجهين وذى اللسانين ج ٣ ص ٦٠٢ - ٦٠٤ ، وجمع الزوائد للهيثمي ، باب في ذى الوجهين واللسانين ج ٨ ص ٩٨ ، ٩٩] .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « سفار » في الموضعين ، بالشين المعجمة ، ولم أقف عليها في نص الحديث في المصدرين السابقين ، ولا في الكتب الستة أيضاً .

(٢) في « م » : « يفعل » .

(٣) أى : أنهما لم يُعَذَّبَا في أمر كان يكبر ويشق عليهما الاحتراز عنه .. وفي « ط » : « في كثير » .

(٤) لا يستبرئ : لا يتطهر .. وفي رواية : « لا يستنزه » أى : لا يجتنب ولا يتحرز من وقوعه عليه .

(٥) في « م » : « ثم أخذ » .

(٦) في « م » : « بنصفين » .

(٧) الحديث رواه البخارى في كتاب الوضوء ، باب من الكباثر ألا يستتر من بوله ، وباب ماجاء في غسل البول ، وغيرها من الأبواب ج ١ ص ٣١٧ ، ٣٢٢ في فتح البارى .. وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة ، باب التشديد في البول ج ١ ص ١٢٥ والمنذرى في الرغبة والترهيب ، في الترهب من النيمة ج ٣ ص ٤٩٨ باختلاف يسير في ألفاظه ، وابن حبان في صحيحه ، في ذكر الخبر الدال على أن عذاب القبر قد يكون أيضاً من النيمة ج ٥ ص ٥٢ .

(٨) في « م » : « كل ذى مُكْنَةٍ » . والمُكْنَةُ : القُلُورَةُ والاستطاعة .

(٩) « لأنها » عن « م » .. وفيها : « فهى الحالقة المهلكة » . والخالقة : المنية .. والستة تأتى على كل شئ .

(١٠) في « م » : « الغيبة والنميمة » .

(١١) التفرير بالنفوس والأموال : تعريضها للهلكة .

(١٢) القدح في المنازل والأحوال : العيب والتقصُّ لَدَوَى المراتب والمكانة الرفيعة .

عَنْ مَكَاتِيهِ ^(١) ، وَالسَّيِّدَ عَنْ مَرْثِيَّتِهِ ، فَكَمْ مِنْ دَمٍ ^(٢) أَرَاكَهُ سَعَى سَاعٍ ، وَكَمْ حَرِيمٍ ^(٣) أَسْتَبِيحَ بِنَمِيمَةٍ بَاغٍ ^(٤) ، وَكَمْ مِنْ صَفِيٍّ تَقَاطَعًا ، وَمِنْ مُتَوَاصِلَيْنِ تَبَاعَدًا ، وَمِنْ مُجِبِّينِ تَبَاعُضًا ، وَمِنْ الْفَوِينِ تَهَاجَرًا ، وَمِنْ زَوْجَيْنِ افْتَرَقَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّهُ رَجُلٌ سَاعَدْتُهُ الْأَيَّامُ ، وَتَرَاخَتْ عَنْهُ الْأَقْدَارُ ، أَنْ يَصِيحَ لِسَاعٍ ^(٥) ، أَوْ يَسْمَعَ لِنَمَامٍ .

وَرَوَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا ذِيوُثٌ وَلَا قَلَاعٌ » . فَالذُّيُوثُ : الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ^(٦) ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُدِيثُ بَيْنَهُمْ ^(٧) ، وَالْقَلَاعُ : السَّاعِي الَّذِي يَقَعُ فِي النَّاسِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ ، لِأَنَّهُ يَقْصِدُ الرَّجُلَ الْمُتَمَكِّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَا يَزَالُ يَقَعُ فِيهِ حَتَّى يَقْلَعَهُ ^(٨) . وَقَالَ كَعْبٌ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ شَدِيدٌ عَلَى عَهْدِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩) ، فَخَرَجَ مُوسَى يَسْتَسْقِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً ، فَلَمْ يُسْقُوا ، ثُمَّ خَرَجَ الثَّالِثَةَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : إِنِّي لَا أَسْتَجِيبُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ ، فَإِنَّ فِيكُمْ نَمَامًا . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَنْ هُوَ حَتَّى نُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِنَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى ، أَنَهَا كُمْ عَنِ النَّمِيمَةِ وَآيَتِهَا ^(١٠) ؟ فَتَابُوا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١١) عَلَيْهِمُ الْعَيْثَ .

(١) تحط المكين عن مكاتبه : تسلب العظيم منزله ورفعة شأنه وقدره .

(٢) في م : « فكم دم » .

(٣) الحرم : ما حُرِّمَ فلا يَتَّهَكَ .

(٤) في م : « بنميمة من باغ » .

(٥) يصيح لساع : يستمع لولاش نمام .

(٦) في م : « بين الرجال والنساء » .

(٧) أى : يُنْكَلُ وَيُسَهَّلُ بَيْنَهُمُ الْعُقَبَاتُ ، وَهِيَ مِنْ « ذَيْثٍ » .. وَفِي « م » ، وَ « ط » : « يُذْثُ » ، مِنْ « ذَتْ » ، وَمَعْنَاهُ : دَفَعَ .

(٨) أى : يَخْرُضُ فِي حَقِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ بِالْبَاطِلِ لَدَى السُّلْطَانِ حَتَّى يَعْزِلَهُ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٩) في ط : « صلى الله عليه وسلم » .

(١٠) في م : « وأكون نماماً ؟ » .

(١١) في م : « تعالى » .

وَلَمَّا لَقِيَ أُسْقُفٌ ^(١) نَجْرَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، احْذَرِ قَاتِلَ الثَّلَاثَةِ . قَالَ : وَمَنْ قَاتِلُ الثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِي الْإِمَامَ بِالْحَدِيثِ الْكَذِبِ فَيَقْبَلُهُ ^(٢) الْإِمَامُ ، فَيَكُونُ قَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَإِمَامَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَاكَ أُبْعَدْتُ ^(٣) . وَوَجَدْنَا فِي حِكْمِ الْقَدَمَاءِ : أُبْعَضُ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ الْمُثَلَّثُ ^(٤) ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ الرَّجُلُ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ بِأَخِيهِ إِلَى الْإِمَامِ ، فَيَهْلِكُ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ وَإِمَامَهُ . وَذَكَرَ السَّعَاءُ ^(٥) عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيْبِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أُبْعَضُ مَا يَكُونُونَ ^(٦) عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى . وَقَالَ حَكِيمُ الْفَرَسِ : الصَّدَقُ زَيْنٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ^(٧) إِلَّا السَّعَايَةَ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ أَذْمُ وَأَتَمُّ مَا يَكُونُ إِذَا صَدَقَ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا سَعَى بِجَارٍ لَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَمَا أَنْتَ فَتُخْبِرُنَا أَنَّكَ جَارُ سُوءٍ ، إِنْ شِئْتَ أُرْسَلْنَا مَعَكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أُبْعَضْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقَبْنَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ تَارَكْنَاكَ ^(٨) . قَالَ : تَارَكْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ تَارَكْنَاكَ . وَلِلَّهِ دُرُّ الْإِسْكَانَدَرِ حِينَ وَشَى إِلَيْهِ وَاشْرَبَ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَانَدَرُ : إِنْ شِئْتَ قَبَلْنَاكَ عَلَى صَاحِبِكَ بِشَرْطٍ أَنْ نَقْبَلَهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ ^(٩) . قَالَ : أَقْلِنِي . قَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ . كُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكُفُّ عَنْكَ الشَّرُّ .

(١) الْأُسْقُفُ ، بتشديد الفاء وتخفيفها : من رؤساء النصارى ، فوق القسيس ودون المطران .

(٢) فِي « م » : « فَيَقْبَلُهُ » .

(٣) أُبْعِدْتُ : شَطَطْتُ ، أَوْ جَاوَزْتُ الْحَقِيقَةَ فِيمَا قُلْتُ .

(٤) فِي « م » : « الثَّلَاثُ » ، تحريف .. فِي اللِّسَانِ : « شَرُّ النَّاسِ الْمُثَلَّثُ » [انظر المصدر السابق ، مادة : ثَلَث]

(٥) فِي « ط » : « وَذُكِرَتِ السَّعَايَةُ » .

(٦) فِي « ط » : « مَا يَكُونُ » .

(٧) أَيْ : جَمِيلٌ وَحَسَنٌ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ .. فِي « ط » : « زَيْنٌ كُلُّ أَحَدٍ » .

(٨) تَارَكْنَاكَ : صَالَحْنَاكَ عَلَى تَرْكِهِ .

(٩) أَقْلَنَّاكَ : أَعْفَيْنَاكَ .

وَمِنَ الْعَجَبِ الَّذِي لَاعَجَبَ بَعْدَهُ ، أَنَّ الرَّجُلَ يَشْهَدُ عِنْدَكَ فِي بَاقَةِ بَقْلِ فَلَا تَقْبَلُهُ حَتَّى تَسْأَلَ النَّاسَ عَنْهُ : هَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الثَّقَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصِّيَانَةِ ، ثُمَّ يَنْبُتُ عِنْدَكَ ^(١) بِحَدِيثٍ فِيهِ الْهَلَاكُ وَفَسَادُ الْأَحْوَالِ فَتَقْبَلُهُ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ ^(٢) : قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَمَّا سَقَى السُّمَّ : أَخْبِرْنِي مَنْ مَنَّاكَ ؟ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : أَنَا فِي آخِرِ قَدَمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ قَدَمٍ مِنَ الْآخِرَةِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَغِيرَ ^(٣) ؟ قَالَ رَجُلٌ لِلْمَهْدِيِّ : عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ هَذِهِ ؟ أَلَنَا ، أَمْ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا ، مِمَّنْ قَبِلَ سِعَايَتَهُ ، وَلَا تَحْلُو مِنْ أَنْ تُكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ فَلَا تُشْفِي ^(٤) لَكَ غَيْظًا ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبُ لَكَ عَدُوًّا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا لِلَّهِ فِيهِ رِضًا وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ .

وَرَوَى أَنَّ سَاعِيًا سَعَى بِرَجُلٍ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ^(٥) ، فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : نَحْنُ

(١) في « م » : « علك » تحريف .

(٢) هو : يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار مع أبيه علي بن مروان ، وقتل أبوه وصُلِبَ بالكوفة ، فانصرف إلى « بلخ » ودعا إلى نفسه سِرًّا ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر فقبض عليه ، وقُتِلَ يحيى في « الجوزجان » سنة ١٢٥ هـ ، وحُمل رأسه إلى الوليد بن يزيد في دمشق ، وصُلِبَ جسده بالجوزجان وبقي مصلوبًا إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على « خراسان » فأنزل جثة يحيى وصلى عليها ودُفِنَتْ هناك .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ١٢٣ ، والمحرر ص ٤٨٣ ، ٤٨٤]

(٣) أغير ، أى : أسنى في الشر .

(٤) في « م » : « يشفى » .

(٥) هو : الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره ، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ ، وكان مجوسيًا ، وصحبه قيل أن على الخلافة فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معًا ، فكان يُلقَّبُ بذي الرياستين (الحرب والسياسة) .. وكان حازمًا عاقلًا ومن الأخفاء .. وقد ولد الفضل سنة ١٥٤ هـ ، وتوفى في « سرخس » بخراسان سنة ٢٠٢ هـ ، قتله جماعة حينما كان في الحمام .. وقيل : إن المأمون دسَّهم له وقد ثقل عليه أمره .. وأخبره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٤٩ ، وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٣٩ - ٣٤٣ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١ -

٤٤ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٤ ، ٥ ، ومروج الذهب ج ٤ ص ٥ ، والعبر للذهبي ج ١ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥]

رَأَى قَبُولَ السَّعَايَةِ أَشْرَ مِنَ السَّعَايَةِ ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ وَقَبُولُ إِجَازَةٍ ^(١) ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ^(٢) ، لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ أَشْرَ مِمَّنْ قَالَ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا رَفَعَ إِلَى الْمَنْصُورِ نَصِيحَةً ^(٣) فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهَا : هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدْ ^(٤) بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا جَوَابٌ عِنْدَنَا لِمَنْ آتَرْنَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْمَأْمُونِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُ اللَّهُ ^(٥) فِي أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ إِنْ أُعْطُوا كَذَبُوا ، وَإِنْ حُرِّمُوا كَذَبُوا ، فَإِنْ ^(٦) أُعْطُوا مَدَحُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ ، وَإِنْ حُرِّمُوا دُمُوا وَهُمْ كَاذِبُونَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : اللَّهُ دُرُّهَا مِنْ كَلِمَةٍ مَا أَصْدَقَهَا ^(٧) وَأَبْيَنَ فَضْلَهَا ! وَأَمَرَ أَنْ تُثَبَّتَ فِي أُمُورِ ^(٨) أَصْحَابِ الْأَخْبَارِ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ زُبَيْعٍ الْقَبْسِيُّ ^(٩) : يَا بَنِي عَبْسٍ ، اخْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا : مَنْ نَقَلَ إِلَيْكُمْ نَقَلَ عَنْكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّزْوِيجَ فِي الْبُيُوتَاتِ السُّوءِ ، وَاسْتَكْبَرُوا مِنَ الصِّدِّيقِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَاسْتَقِيلُوا مِنَ الْعَدُوِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ اسْتِكْبَارَهُ مُمَكِّنٌ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اخْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَلُصُوصِ الْمَوَدَّاتِ ، وَهُمْ السَّعَاةُ وَالنَّمَامُونَ ، إِذَا سَرَقَ اللَّصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا الْمَوَدَّاتِ . وَقَالَ حَكِيمُ الْعَرَبِ : إِيَّاكَ

(١) الدَّلَالَةُ : الإِرشَادُ .. والإِجَازَةُ : الإِمضاء والتفويض .

(٢) في م ط : : قَبِلَ وَأَجَازَ .

(٣) في م : : رَفَعَهُ .

(٤) في م : : لَمْ يُرَدْ .

(٥) في م : : كَرَّرَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

(٦) في م : : وَإِنْ .

(٧) في م ط : : مَا أَفْضَلُهَا ، أَيْ : مَا أَسْلَمُهَا .

(٨) في م : : فِي أَصْحَابِ .

(٩) هو : مَرْوَانُ بْنُ زُبَيْعٍ بْنِ جُلَيْبَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْقَبْسِيُّ ، جَاهِلِيٌّ ، مِنْ الْمُفْضِرِينَ ، كَانَ يَغِيرُ عَلَى أَهْلِ الْقَرْظِ - فِي الْيَمَنِ - فَسَبَّ إِلَى ذَلِكَ ، فَقِيلَ : مَرْوَانُ الْقَرْظُ .. وَيُعَدُّ مِنْ أَوْفِيَاءِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ وَفَائِهِ أَنْ أَخَذَ عُودًا مِنْ الْأَرْضِ فَنَدَفَعَهُ رَهْنًا بِمَالَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ، فَوُفِيَ بِهَا .

[انظر الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤٠٥ ، والمخير ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٥١ ، ولسان العرب مادة : قَرْظٌ] .

وَالسَّعَاةَ ، فَإِنَّهُمْ أَغْدَاءُ عَقْلِكَ وَلُصُوصُ عَذْلِكَ ، فَيَفْرُقُونَ بَيْنَ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَفِي الْمَثَلِ (١) السَّائِرُ : مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصِّدْقَ . وَقَدْ يُقَطَّعُ الشَّجَرُ فَيَنْبُثُ ، وَيُقَطَّعُ اللَّحْمُ بِالسَّيْفِ فَيَنْدَمِلُ (٢) ، وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ .

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِرِعَايَةِ مَا رَسَمْتُهُ مِنْ هَذِهِ الْخِلَالِ ، وَتَقْلَتُهُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَمِ ، وَاسْتَوْذَعْتُهُ مِنْ هَذِهِ السَّيْرِ ، مَنْ آتَاهُ اللَّهُ سُلْطَانًا ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ قَدَمًا ، فَذُو الْقُدْرَةِ إِذَا أَطَاعَ الْوَاشِيَ هَلَكَ الْعَالَمُ . وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ (٣) يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلَمَ مِنَ الْإِثْمِ وَيَتَّقِيَ لَهُ الْإِخْوَانَ فَيَجْعَلَ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَاضِيًا عَدْلًا ، وَيَحْكُمَ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَقْبَلُ أَحَدًا فِي أَحَدٍ ، وَلَا فِي نَفْسِهِ ، إِلَّا بِشُهُودٍ وَتَعْدِيلٍ (٤) ، فَإِنَّا قَدْ أَحْبَبْنَا بِقَوْلِ أَقْوَامٍ وَأَبْغَضْنَا بِقَوْلِ آخَرِينَ (٥) فَأَصْبَحْنَا نَادِمِينَ .

وَمِنْ لَطِيفِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّيْمِيمَةِ ، لِمَا عَلِمَ مِنْ شُؤْمِهَا ، وَاسْتِطَارَةِ شُرُورِهَا (٦) ، وَعُومُومِ مَضَرَّتِهَا فِي الْوَرَى ، حَكَمَ يَفْسُقِ النَّمَامَ حَتَّى لَا يَقْبَلَ لَهُ قَوْلٌ فَيَسْتَرِيحَ الْخَلْقُ مِنْ شُرِّهِ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَقَدْ أَلَّهِ الْحَاجُّ ، وَقَدْ الشَّيْطَانُ قَوْمَ يَرْسِلُهُمُ السُّلْطَانُ (٧) إِلَى النَّاسِ ، وَيَسْأَلُهُمْ (٨) عَنْ حَالِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَهُ أَنَّ النَّاسَ رَاضُونَ (٩) وَلَيْسُوا بِرَاضِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى أَثْنَاءِ شَتَّى (١٠) ، لَسْنَا نَذْكُرُهَا الْآنَ لِكَثْرَتِهَا

(١) فِي (م) : « وَالْمَثَلُ » .

(٢) يَنْدَمِلُ : يَرَأُ وَيَهْفَى .

(٣) فِي (م) : « بَعْضُ الْعُلَمَاءِ » .

(٤) التَّعْدِيلُ : التَّسْوِيَةُ .

(٥) فِي (م) : « يَقُولُ أَقْوَامٌ وَآخَرِينَ » .

(٦) فِي (م) : « شُرُّهَا » .. وَاسْتِطَارَةُ : الْإِفْشَاءُ وَالِانْتِشَارُ .

(٧) فِي (م) : « الشَّيْطَانُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي (م) : « فَيَسْأَلُهُمْ » .

(٩) فِي (م) : « رَاضِينَ » ، لَاتُصَحِّحُ ، خَيْرٌ أَنَّ .

(١٠) قَوْلُهُ : « شَتَّى » عَنْ (ط) .

وَطَوَّلَ تَبِعُهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ الْحَوَاسَّ الشَّرِيفَةَ ، وَالْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ ^(١) ، فَمِنْ أَفْضَلِ مَا رَكَّبَ فِيهِ اللِّسَانَ ، الَّذِي هُوَ أَلَةُ النُّطْقِ وَالْبَيَانِ ، وَبِهِ فَصَلَ ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ ، ثُمَّ فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانَ ، وَآمَنَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ ^(٣) فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْيَانَ ﴾ ^(٤) . وَخَلَقَ فِيهِ ^(٥) أَعْضَاءَ تُذَلُّ ^(٦) وَتُسْتَهَانُ وَجَعَلَهَا مَجْرَى لِفُضُولِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَمَنْ يَتَّبِعْ مَقَطَاتِ الْكَلَامِ ^(٧) وَيَرَى عَوَارِثَ الْأَنَامِ الَّتِي هِيَ كَالْعَوَارِثِ الْوَاجِبِ سِتْرُهَا وَدَفْنُهَا ، كَانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ أَشْرَفَ الْآلَاتِ فِي أَحْسَنِ ^(٨) الْمُسْتَعْمَلَاتِ ، فَصَارَ كَمَنْ لَحَسَ بِلِسَانِهِ سَوَاءَ أَحْيَاهُ ، وَجَعَلَ أَكْرَمَ جَوَارِحِهِ لِأَحْسَنِ أَجْنَاسِ الْمُسْتَعْرِضِينَ ^(٩) ، وَرَضِيَ أَنْ يَقَعَ مِنَ النَّاسِ ^(١٠) مَوْقِعَ الذُّبَابِ مِنَ الطَّيْرِ ، يَتَّبِعُ ثَقُلَ الْجَسَدِ ^(١١) وَيَتَحَامَى صَحِيحَتَهُ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ فِي نَشْرِ الْمَحَامِينِ ^(١٢) شُغْلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُ كُلِّ ذِي حَالٍ ^(١٣) أُولَى بِهَا ، وَفِي هَذَا سَبَقَ الْمَثَلُ : إِنْ لَمْ تَكُنْ مِلْحًا تُصْلِحُ فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ ^(١٤) . وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمِيعِ الْفَضَائِلِ فَلَتَكُنْ هِمَّتُهُ تَرْكُ الرَّدَائِلِ . وَإِذَا تَتَّبَعَ الْإِمَامَ عَوَارِثَ النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ .

(١) في (م) : : « فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَعْضَاءَ النَّافِعَةَ النَّفِيسَةَ » .

(٢) في (م) : : « فَضَلَ » بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ .. تَحْرِيفٌ .

(٣) في (م) : : « فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ » .

(٤) سورة الرَّحْمَنِ ، الْآيَاتِ مِنْ ١ - ٤ .

(٥) في (م) : : « وَخَلَقَ فِيهِ أَيْضًا » .

(٦) في (ط) : : « تُذَلُّ » .

(٧) سَقَطَاتِ الْكَلَامِ : الْخَطَأُ وَالزُّلُّلُ .

(٨) في (م) : : « أَحْسَنَ » تَحْرِيفٌ .. وَفِي (ط) : : « أَحْصَى » بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ .

(٩) الْمُسْتَعْرِضِينَ : الَّذِينَ يَحْثُونَ عَنْ مَعَايِبِ النَّاسِ وَنَقَائِصِهِمْ .

(١٠) في (م) : : « بَيْنَ النَّاسِ » .

(١١) ثَقُلَ الْجَسَدِ : مُوَاضِعُ الْمَرَضِ وَالْعَفْوَةِ فِيهِ ، كَالْجُرُوحِ وَنَحْوِهَا .. وَفِي (ط) : : « ثَقُلَ الْجَسَدِ » أَيْ :

فَضْلَاتِهِ .. وَيَتَحَامَى : يَتَجَنَّبُ .

(١٢) في (م) : : « الْفَضَائِلُ » .

(١٣) في (م) : : « كُلِّ حَالٍ » .

(١٤) في (م) : : « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِلْحًا يُصْلِحُ فَلَا يَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ » .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَمَّ بِالْخُرُوجِ يَوْمًا ، فَسَمِعَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ ، فَأَمْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ، حَذَرَ أَنْ لَا يَفْسَدَ ^(١) قَلْبُهُ عَلَيْهِمْ . وَلَوْ عَلِمَ الَّذِي يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ مَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّ الصَّمَمَ كَانَ أَهْنًا ^(٢) لِعَيْشِهِ ، وَأَلْتَمَعَ لِيَالِهِ مِنْ سَمَاعِ الْأَخْبَارِ ... مَاذَا عَمِلَ ثَقَلَةُ الْأَخْبَارِ ^(٣) ؟ حَمَلُوا إِلَيْكَ الصَّدَقَ أَوْ الْكَذِبَ ^(٤) ، فَتَكُونُ فِي سَمَاعِ الْكَذِبِ مِثْلَ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ^(٥) : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ ^(٦) . وَتَكُونُ ^(٧) فِي سَمَاعِ الصَّدَقِ حَمَلًا لِلَّهِمْ ، حَرَجَ الصَّدْرِ عَلَى الْخَلْقِ . مُعَادِيًا لَهُمْ ، مُتَّبِعًا لِعَثَرَاتِ الْخَلْقِ ، وَخَزَانًا لِسَقَطَاتِهِمْ ، قَدْ وَعَيْتَ مِنْهُمْ مَا يَجِبُ سِتْرُهُ ، وَحَفِظْتَ مَا يَجِبُ نِسْيَانُهُ ، ثُمَّ لَا تَسْتَطِيعُ التَّصَفَّةَ مِنْ قَائِلٍ ^(٨) ، لِأَنَّكَ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ أَهْلَكَتَ الرُّعْيَةَ ، ثُمَّ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُهْلِكَ جَمِيعَ الرُّعْيَةِ ، وَإِنْ كُنْتَ سُوقَةً لَمْ يَشْفِ غَيْظُكَ ، ثُمَّ أَفْسَدْتَ إِخْوَانَكَ وَأَبْغَضْتَ ^(٩) مَنْ يَجِبُ أَنْ تُحِبَّهُ ، وَأُخْبِيتَ مَنْ يَجِبُ أَنْ تُبَغِضَهُ ، ثُمَّ لَا تَزَالُ تَحْمِلُ الْحَسَائِفَ ، وَتَزِيدُ ^(١٠) الْأَحْقَادَ وَالضُّعْفَانِ ، وَتَرْصُدُ لِكُلِّ قَائِلٍ مَا يَنْفِي غَيْظُكَ فِيهِ ^(١١) ، فَمَا أَغْنَى الْعَاقِلَ عَنْ هَذِهِ الْقِبْلَةِ ، وَلِلَّهِ دَرُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، رَوَى أَنَّهُ لَأَخَاهُ ^(١٢) رَجُلٌ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ عِشْتُ لَأَتَفَرَّغَنَّ لَكَ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(١٣) : الْآنَ وَقَعْتُ فِي الشُّغْلِ يَا بَنَ أَخِي .

* * *

(١) فِي (م) : « حَذَرًا أَلَّا يَفْسَدَ » وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٢) فِي (م) : « أَهْنًا » .

(٣) فِي (ط) : « بِأَوَّاحِدٍ مَاذَا عَمِلَ ثَقَلَةُ الْأَخْبَارِ » وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (م) .

(٤) فِي (م) : « الصَّدَقِ وَالْكَذِبِ » .

(٥) فِيهِ « عَنْ (ط) .. وَفِي (م) : « فَيَكُونُ » مَكَانَ « فَتَكُونُ » .

(٦) سُورَةُ الْمَالَةِ ، مِنَ الْآيَةِ ٤٢ .. السُّخْتُ : الْمَالُ الْحَرَامُ .. وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ .

(٧) فِي (م) : « وَيَكُونُ » .

(٨) فِي (م) : « النَّصْفَةُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَائِلٍ » .. وَالنَّصْفَةُ : الْإِنْصَافُ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٩) فِي (م) : « فَأَبْغَضْتَ » .

(١٠) فِي (م) : « ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَحَمَّلُ الْحَسَائِفَ وَيَزِيدُ » وَالْحَسَائِفُ : النِّقَاصُ وَالْعُيُوبُ .

(١١) فِي (ط) : « يَوْمًا يَشْفِي صَدْرُكَ فِيهِ » .

(١٢) لَأَخَاهُ : نَازَعَهُ وَخَاصَمَهُ .

(١٣) فِي (م) : « فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : الْآنَ » .

البَابُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْقِصَاصِ وَحُكْمَتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١) يَعْْنَى : إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ وَالْقَاطِعُ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ أُحْجِمَ وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى الْفِعْلِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ الَّذِي هَمَّ بِهِ . رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ » ^(٢) . رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا » ^(٣) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ . وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ^(٤) . فَإِنْ قِيلَ : يُعَارِضُهُ قَوْلُهُ

(١) سورة البقرة ، من الآية ١٧٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب الدماء ، باب الحكم فى الدماء ج ٦ ص ١٧٣ ، ١٤٨ بشرح ابن العرفى ... والبيهقى فى السنن الكبرى ، فى كتاب الجنائيات ، باب تحريم القتل ج ٨ ص ٢١ .

(٣) فى « م » : « فليتحللها منها » والأخيرة تحريف .. ونص الحديث فى البخارى : « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ يَرْضُوهُ أَوْ شَيْءٌ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ - يعنى يوم القيامة .. الخ . وللحديث أكثر من رواية .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها له ، ج ٣ ص ١٧٠ وفى الرقائق ، باب القصاص يوم القيامة ج ٨ ص ١٣٨ ، ١٣٩ ط دار الشعب ، وج ٥ ص ١٠١ وج ١١ ص ٣٩٥ من فتح البازى ، والحديث سبق التعليق عليه .

تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(١) ، فَكَيْفَ يُؤْخَذُ الظَّالِمُ بِذَنْبِ رَكِبِهِ ^(٢) الْمَظْلُومُ ؟ قُلْنَا : مَعْنَى الْآيَةِ : لَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ ابْتِدَاءً ، وَأَمَّا فِي مَسْأَلَتِنَا فَمَظْلِمَةٌ بَقِيَتْ عِنْدَهُ وَلَيْسَ لَهُ وَقَاءٌ بِهَا ، فَهُوَ الَّذِي اكْتَسَبَ هَذَا الْوِزْرَ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : ﴿ يَخْلُصُ ^(٤) الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لِيُقْتَصَّ ^(٥) لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا ^(٦) وَتُقَوُّ أَيْذُنُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ^(٧) لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا ﴾ ^(٨) .

وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي مَظْلِمَةٌ فَلْيَأْتِ حَتَّى أَقْصَهُ ^(٩) مِنْ نَفْسِي » . فَقَامَ سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ ^(١٠) فَقَالَ : يَا رَسُولَ

(١) أي : لا تعمل نفس آثمة جمل نفس أخرى ، فكل نفس مأخوذة بجرمها ، ومُعاقبة بإثمها .. وقد ورد قوله تعالى هذا في عدة سور من القرآن الكريم :

ورد في سورة الأنعام ، من الآية ١٦٤ .

وفي سورة الإسراء ، من الآية ١٥ .

وفي سورة فاطر ، من الآية ١٨ .

وفي سورة الزمر ، من الآية ٧ .

(٢) رَكِبَهُ : فَعَلَهُ .

(٣) سورة العنكبوت ، من الآية ١٣ .

(٤) في « م » : يَخْلُصُونَ ، وهي مخالفة للفظ الحديث .. ومعنى يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، أي : بعد نجاتهم من

السقوط فيها بعدما جازوا على الصراط .

(٥) وفي رواية : « قُيُصَّ » . وأخرى : « قُيُصَّصُ » .

(٦) في « م » : « هُذِبُوا » تحريف .. وَهُذِبُوا وَتُقَوُّوا : تَخَلَّصُوا مِنَ التَّيَبَاطِ .

(٧) في البخاري : « فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ » .

(٨) أخرجه البخاري في الرقاق ، باب الإقصاء يوم القيامة ج ١١ ص ٣٩٥ من فتح الباري ، وج ٨ ص ١٣٨ ،

١٣٩ ط الشعب .

(٩) حتى أَقْصَهُ : حَتَّى أَمَكَّنَهُ مِنَ الْقِصَاصِ .

(١٠) في « ط » : « سَوَادٌ » بتشديد الواو ، وآخره واء مهملة في الموضعين ، وهو خطأ ، والصواب : « سَوَادٌ »

بالواو المخففة المفتوحة ، وآخره دال مهملة ، وهو : سَوَادُ بْنُ غَزِيَّةٍ الْأَنْصَارِيُّ ، من بني عدى بن النجَّار ، وقيل : هو

حليف لهم من بني يثرب بن عمرو .. شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، وكان عامل رسول الله ﷺ ، على خير .

[انظر أسد الغابة ج ٢ ص ٤٨٤] .

الله ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي عَلَى بَطْنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي ^(١) . فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : دُونَكَ فَأَنْتَصِرُ ، فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبَطْنِ ^(٣) . فَكَشَفَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَطْنَهُ ، فَإِذَا هُوَ ^(٤) كَالْقَبَاطِيِّ ^(٥) ، يَعْنِي ثِيَابَ مِصْرَ ، فَأَكْبَّ عَلَيْهِ يُقْبِلُهُ ، فَقَالَ : يَا سَوَادُ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ وَلَا نَذَرِي ^(٦) ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ أُقْبَلَ بِطْنِكَ .

فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقْصُ ^(٧) مِنْ نَفْسِهِ ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَدْعُ الْفِصَاصَ فِي الْمَطَالِمِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْدَلَ مِنْ أَنْ يَدْعَ مَظْلَمَةً لِأَحَدٍ عِنْدَ نَبِيِّ ، وَلَا غَيْرِهِ . وَفِي الْحَدِيثِ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَنَا ظَالِمٌ إِنْ فَاتَنِي ظُلْمُ ظَالِمٍ » . وَيُرْوَى أَنَّ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُقَدِّمُهُ خَصْمُهُ ^(٨) إِلَى اللَّهِ [تَعَالَى] ^(٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقْضِي لَهُ

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « إِنَّكَ ضَرَبْتَنِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ فَأَوْجَعْتَنِي .. » وقوله : « لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ » وهم من المصنف ، رحمه الله ، فالمعروف أنه يوم بدر ، وليس لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، فقد كان النبي ، ﷺ ، يُعْدِلُ الصَّفُوفَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَفِي يَدِهِ قَدْحٌ - قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ - يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَمَرَّ بِسَوَادَ بْنِ غَزِيَّةَ وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ مِنَ الصَّفِّ ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِالْقَدْحِ وَقَالَ : اسْتَوِ يَا سَوَادُ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْجَعْتَنِي ، وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ ، فَأَقْدَنِي .. فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ : اسْتَقِدَّ .. فَاعْتَنَقَهُ سَوَادُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ !! فَقَالَ ، ﷺ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَضَرْتُ مَا تَرَى - أَيْ مِنَ الْقِتَالِ - وَلَمْ أَمْنُ مِنَ الْقَتْلِ ، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدُكَ ! فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ﷺ ، بِخَيْرٍ .

[انظر المصدر السابق] .

(٢) في « م » : « عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(٣) في « م » : « إِنَّكَ تَصَرَّبْتَنِي وَأَنَا مَكْشُوفُ الْبَطْنِ » .

(٤) في « م » : « هِيَ » وَالْبَطْنُ مُذَكَّرٌ فِي اللَّغَةِ .

(٥) الْقَبَاطِيُّ ، بَظْمُ الْقَافِ وَفَتْحُهَا ، جَمْعُ قُبَاطِيَّةٍ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَهِيَ : ثِيَابٌ مِنْ كَتَّانٍ أَيْضٌ رَقِيقٌ .

(٦) أَيْ : وَلَا نَذَرِي ، فَرِمَا أَقْتُلْ .. وفي « م » : « دَنَا لِقَاءَ هَؤُلَاءِ ، يَعْنِي : لِقَاءَ الْمَشْرِكِينَ » وَسَقَطَ مِنْهَا قَوْلُهُ :

« وَلَا نَذَرِي » وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ يُؤَكِّدُ أَنَّهَا حَدَّثَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَلَيْسَ فِي لَيْلَةِ الْعَقَبَةِ كَمَا ذَكَرَ أَوَّلًا .

(٧) في « ط » : « يَقْصُ » أَيْ : يَأْخُذُ الْفِصَاصَ .

(٨) الْخَصْمُ : الْمُخَاصِمُ .

(٩) مَا بَيْنَ الْعُقُوفَيْنِ عَنْ « م » .

عَلَيْهِ ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى أُورِيَّا سِلْمًا ^(١) ، ثُمَّ يَسْتَوْهِبُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أُورِيَّا ^(٢) ، ثُمَّ يُعَوِّضُ أُورِيَّا عَنْ ^(٣) ذَلِكَ الْجَنَّةَ .

وَقَالَ حَبِيبٌ ^(٤) : دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَجَدَ عَلَامَةً يُعَلِّفُ نَاقَةً لَهُ ، وَإِذَا فِي عُلْفِهَا شَيْءٌ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَعَرَكَهَا ، ثُمَّ نَدِمَ ، فَقَالَ لِلْعَلَامَةِ : قُمْ فَأَقْصِصْ مِنِّي ، فَأَتَتْهُ الْعَلَامُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ : أَعْرُكَ أَعْرُكَ ^(٥) وَهُوَ يَقُولُ : شُدُّ شُدُّ ، حَتَّى عَرَفَ عُثْمَانُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاهَا لِقِصَاصِ الدُّنْيَا قَبْلَ قِصَاصِ الْآخِرَةِ .

رَوَى ^(٦) عَوْثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا خَادِمًا لَهُ ^(٨) فَلَمْ يُجِبْهُ ، أَوْ كَانَ نَائِمًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا الْقِصَاصُ ^(٩) »

(١) سِلْمًا : مُسَلِّمَةً .. وَأُورِيَّا ، هو : أُورِيَّا بن حنان ، أحد القُوَاد في جيش داود ، تزوج داود امرأة أوريا ، بعد الفتنة ، وأنجب منها سليمان ، عليه السلام . وللمتقدمين في هذا الموضوع كلام كثير ، وقد أشار القرآن الكريم إلى القصة ، وفسرها بعض المفسرين أن داود ، عليه السلام ، كان يرى ماعنده غيره فيستحسنه ، فيتمنى لو أنه كان صاحبه ، ففهم الله سبحانه وتعالى ، أَنَّ الرجل الصالح - فضلاً على النبي - لا يجوز له بحال أن يمد عينيه إلى ماملكه غيره ، سواء أكان هذا الشيء زوجة ، أم خطيبة ، أم مالا ، أم عيالا ، أم أى شيء آخر .

[انظر تفسير سورة ص ، الآيات من ٢١ - ٢٥ ، والمعارف ص ٤٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٠٢] .

(٢) في م : : من أوريا للداود .

(٣) في ط : : على .

(٤) هو : حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي ، أبو عبد الرحمن ، قائد من كبار القاتحين ، ولد بمكة سنة ٢ قبل الهجرة ، ورأى رسول الله ، ﷺ ، وخرج مجاهداً إلى الشام أيام أبي بكر ، فشهد الرموك ، ودخل دمشق مع أنى عبيدة بن الجراح ، فولاه أبو عبيدة أنطاكية ، وولاه عمر على الجزيرة ، وضم إليه أرمينية وأذربيجان ، ثم عزله ، فأقام في الشام .. وكان يقال له : « حبيب الروم » لكثرة دخوله بلادهم ونيله منهم .. وتوفي في أرمينية سنة ٤٢ هـ .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٦٦ ، والمعارف ص ٦١٥] .

(٥) هكنا في م : .. وفي ط : : ثم قال : يَتْرُكُ .

(٦) في م : : وَرَوَى .

(٧) هو : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، من ثقات التابعين .. وقد مرَّ .

(٨) له عن ط : .

(٩) في م : : لَوْلَا قِصَاصِ الدُّنْيَا .

لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا . وَرَوَى ابْنُ وَهَبٍ فِي مُوطَّئِهِ ^(١) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : وَقَدْ أَقَادَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخَلِيفَتَانِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِيُسْتَنَّ بِهِمْ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدُوا حَيْفًا ^(٢) وَكَانُوا سَلَاطِينَ . وَمِنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ^(٣) أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَتُذَرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فَقَالَ : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ^(٤) وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِذَا فَنِيَتْ ^(٥) حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » ^(٦) .

قَالَ مَالِكٌ وَبَلَّغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ ضَرَبَ رَجُلًا ، ثُمَّ لَدِمَ وَقَالَ : مَالِي وَلِهَذَا ، أَلَا رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ ^(٧) . فَسَمِعْتُهُ ^(٨) عَائِشَةَ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى عُمَرَ ، فَجَاءَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا ، وَقَدْ كُنْتُ مُعَافًى مِنْ هَذَا أَنْ أَضْرِبَ ، فَقَالَ عُمَرُ كَذَلِكَ الْإِمَامُ . فَقَالَ ^(٩) : فَمَا الْمَخْرُجُ ؟ قَالَ : أَنْ تَأْتِيَ الرَّجُلَ فَتَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَكَ فِي جِلٍّ . فَأَكْبَاهُ فَاسْتَحْلَاهُ ^(١٠) .

دَلَّتِ الْآثَارُ عَلَى أَنَّ الْأَمِيرَ وَالْمَأْمُورَ فِي الْقِصَاصِ سَوَاءٌ إِذَا جَنَى أَحَدُهُمَا عَلَى

(١) هو : الحافظ عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري ، فقيه من الأئمة ، ومن أصحاب الإمام مالك ، ومن كتبه : الموطأ في الحديث ، والجامع ، في الحديث أيضاً . وقد مرت ترجمته .

(٢) حَيْفًا : جَوْرًا وَظُلْمًا .

(٣) في « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٤) في « م » : « يَأْتِي بِصَلَاةٍ » .

(٥) في « م » : « فَإِنْ فَنِيَتْ » .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ج ١٦ ص ١٣٥ ، ١٣٦ بشرح النووي .

(٧) أي : الخِلافة .

(٨) في « م » : « فَسَمِعْتُ » .

(٩) في « م » : « قَالَ » .

(١٠) فَاسْتَحْلَاهُ : طَلَبًا مِنْهُ أَنْ يُجِلَّهُ مِنَ النَّجْعَةِ .

الآخر ، وَأَنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمَ الْمَأْمُورَ زَالَ تَأْمُرُهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ الْأَمِيرُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى كَبَعْضِ الْمُؤْمَرِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَتَحَاكَمُوا إِلَى السُّلْطَانِ ^(١) وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : إِنَّمَا بَعَثْتُ أُمَرَائِي لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ دِينَهُمْ ، وَيُقَسِّمُوا بَيْنَهُمْ فَيْتَهُمْ ، وَيُعْدِلُوا فِيهِمْ ^(٢) ، وَلَمْ أُبْعَثْهُمْ لِيُضْرِبُوا أَبْشَارَهُمْ ، وَيَخْلِقُوا أَشْعَارَهُمْ ، فَمَنْ ظَلَمَهُ أَمِيرٌ فَلَا إِمْرَةَ عَلَيْهِ دُونِي حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ : اللَّهُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَدَبَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، إِنَّكَ لَتَقِصُّهُ مِنْهُ ^(٣) ؟ فَقَالَ عُمَرُ : كَيْفَ ^(٤) لَا أَقْصُهُ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقْصُّ مِنْ نَفْسِهِ ؟

فَأَمَّا الْقِصَاصُ بَيْنَ الْبَهَائِمِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَشْرِهَا ، وَفِي جَرَيَانِ الْقِصَاصِ بَيْنَهَا ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : حَشَرُهَا : مَوْتُهَا . قَالَ : وَحَشَرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ، فَإِنَّهُمَا يُؤَفِّيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٥) . وَقَالَ مُعَظَّمُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّهَا تُحْشَرُ وَيُقْتَصُّ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : تُحْشَرُ الْبَهَائِمُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ^(٦) : لَا تَقْطَعُ بِإِعَادَةِ الْبَهَائِمِ وَالْمَجَانِينِ وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ

(١) في « ط » : « السلطان الأعظم » .

(٢) في « م » : « ويقسمون بينهم ويعدلون فهم » بثبوت النون في الفعلين .. وهذا لا يصح ، ووجه الخطأ أن الفعلين هنا من الأفعال الخمسة ومعطوفان على الفعل « يُعَلِّمُوا » المنصوب بلام التعليل ، وعلامة النصب حذف النون .

(٣) أرى : إنك تهكته من الاقتصاص منه .

(٤) في « م » : « أنا ، مكان » كيف ، والأخيرة هي المناسبة للسياق .

(٥) يوافيان يوم القيامة ، أرى : يُحْشَرَانِ وَيُخَاسِبَانِ على أفعالهما ، وينال كُلُّ منهما جزاء ما قدم من عمل وإثماً تاماً .

(٦) « الأشعري » عن « ط » .. وهو : علي بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ومؤسس مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة سنة ٢٦٠ هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ وبلغت مُصَنَّفَاتُهُ حوالي ٣٠٠ تلامذة كتاب .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٣ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، والخطط القرظية ج ٢ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، والعبر للذهبي ج ٢ ص ٢٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٤٣١ - ٤٣٥] .

الدَّعْوَةُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُعَادُوا وَيُدْعَلُوا الْجَنَّةَ ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُعَادُوا ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ثُبُوتِ
الإِعَادَةِ فِي الْجُمْلَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ^(١) . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّمُكُمْ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ :
﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ ﴾ ^(٢) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
« لَتَوْدُنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءُ مِنَ الشَّاةِ
الْقَرَنَاءِ » ^(٣) . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : انْتَطَحَتْ شَاتَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ : « أَتُلْدُونَ فِيْمَ » ^(٤) انْتَطَحَتَا ؟ قُلْتُ : لَا أَذْرِي . قَالَ : لَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي وَسَيَفْضِي
بَيْنَهُمَا . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تَرَكْنَا النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ
جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْماً . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : إِنَّ الْحَجَرَ لَيَسْتَلُّ عَنْ نَكْبِهِ أَصْبَعُ
الرَّجُلِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي مُسْلِمٍ وَالْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَا يَأْتِينِي أَحَدُكُمْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ^(٥) ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ
لَهَا حُورٌ ، وَعَلَى ^(٦) رَقَبَتِهِ شَاةٌ تُثْعِرُ ^(٧) ، ثُمَّ يُسِطُّ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ ^(٨) فَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا ،

(١) سورة التَّكْوِيْدِ ، آيَةُ ٥ .

(٢) سورة الْأَنْعَامِ ، آيَةُ ٣٨ .

(٣) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « حَتَّى يُقَادَ الشَّاةُ » .. وَمَاهُنَا هُوَ الْمَطَابِقُ لِنَصِّ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي
كِتَابِ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ ، بَابِ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ج ١٦ ص ١٣٦ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ .. وَالشَّاةُ الْجُلُحَاءُ ، هِيَ الْجَمَاءُ الَّتِي لَا تَقْرَنُ لَهَا .

(٤) فِي « م » ، وَ « ط » : « فِيمَا » . سَبَقَ التَّعْلِيْقُ عَلَيْهَا .

(٥) فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ : « لَا أَتَيْنِي أَحَدُكُمْ بِبَعِيرٍ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَغْنِنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ ... » . أَيْ : لَا تَعْمَلُوا عَمَلاً أَجْدَمَ بِسَبَبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَذِهِ
الصِّفَةِ .. وَالرُّغَاءُ : صَوْتُ الْبَعِيرِ .

(٦) فِي « م » ، وَ « ط » : « عَلَى » بِلَوْنٍ وَارٍ الْعَطْفِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ .. وَالْحُورُ : صَوْتُ الْبَقَرِ .

(٧) تُثْعِرُ : تَصْيحُ .. وَفِي النَّسَائِيِّ : « لَهَا يَمَارٌ » وَالْيَمَارُ : صَوْتُ الْمَرْءِ .. وَفِي مُسْلِمٍ : « لَهَا ثُقَاءٌ » .

(٨) فِي « م » : « يَسْطُهَا » تَحْرِيفٌ .. وَفِي رِوَايَةٍ : « أَقْبَعُ لَهَا بِقَاعَ قَرْقَرٍ » .. وَأَقْبَعُ لَهَا : بِمَعْنَى صَاحِبِهَا .. وَقَاعُ
قَرْقَرٍ ، أَيْ : أَمْلَسَ .

وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ أَوَّلَاهَا عَادَتْ أُخْرَاهَا ^(١) . وَالْحَدِيثُ وَارِدٌ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : لَا تَجُوزُ الْمُقَاصَةُ ^(٢) بَيْنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُكَلَّفَةٍ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا الْقَلَمُ . قَالَ : وَمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) : « يُقْتَصُّ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ » وَ « يُسْتَلُّ الْعُودُ لِمَ حَدَسَ الْعُودُ » فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالِاخْتِبَارِ عَنْ شِدَّةِ التَّقْصِي فِي الْحِسَابِ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ . وَأَبَى ذَلِكَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايْنِي ^(٤) ، قَالَ فِي الْجَامِعِ الْجَلِيِّ : يُجْرَى الْقِصَاصُ بَيْنَهَا . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْقِلُ هَذَا الْقَدْرَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، فَلِهَذَا أُجْرِيَ فِيهِ الْقِصَاصُ .

وَكَلَامُ الْأُسْتَاذِ لَهُ وَجْهٌ فِي الصَّحَّةِ ، لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ تَعْرِفُ النَّفْعَ وَالضَّرَّ ، فَتَتَفَرَّقُ مِنَ الْعَصَا ، وَتُقْبَلُ إِلَى الْعَلْفِ ، وَتَبْزُجُ الْكَلْبُ إِذَا رَجَرَ ، وَتَسْتَأْسِدُ إِذَا أُشْلِيَ ^(٥) ، وَالطَّيْرُ وَالنَّوْحَشُ يَفِرُّ مِنَ الْجَوَارِحِ اسْتِدْفَاعًا لِنَفْسِهَا ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجِرْ عَلَيْهَا ^(٦) الْقَتْلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا رُفِعَ ^(٧) الْقَتْلُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، فَإِنْ قِيلَ : الْقِصَاصُ انْتِقَامٌ ، وَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٣ ص ٢٦٧ من فتح الباري ، وأخرجه أيضاً في عدة أبواب أخرى .. ومسلم في كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ج ٧ ص ٧٠ ، وفي كتاب الإمارة ، باب تحريم غلظ الغلول ج ١٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، وفي تحريم هدايا العمال ص ٢١٩ بشرح النووي .. والنسائي في كتاب الزكاة ، باب مانع زكاة الإبل ج ٥ ص ٢٣ ، ٤٤ بشرح جلال الدين السيوطي .. ورواه غيرهم باختلاف في ألفاظه .
(٢) الْمُقَاصَةُ : الْمُحَاسَبَةُ .

(٣) في « م » : « عليه السلام » .

(٤) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، عالم بالفقه والأصول ، وكان يُلقب بركن الدين ، نشأ في « أسفرايين » بين « نيسابور » و « جرجان » .. ثم خرج إلى نيسابور ، وبيّث له فيها مدرسة عظيمة ، فدرس فيها ، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق ، فاشتهر .. وله كتاب « الجامع » في أصول الدين ، ورسالة في أصول الفقه ، وكان ثقة في رواية الحديث .. وله مناظرات مع المعتزلة .. ومات في نيسابور سنة ٤١٨ هـ ودفن في أسفرايين .

[انظر الأعلام ج ١ ص ٦١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٠٩ ، ٢١٠] .
(٥) أى : ينجراً جُرَّةً الْأَسَدِ إِذَا أَغْرَى عَلَى الصَّيْدِ وَغَوَّه .

(٦) في « م » : « عليهم » . والأول أَوْجَه ، لِأَنَّهُ الضَّمِيرُ لِغَيْرِ الْعَاقِلِ .

(٧) في « م » : « وقع » تحريف .

جَنَائِدَ وَقَعَتْ مِنْ مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ ، وَالْبَهَائِمُ لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ وَلَا لَهَا عُقُولٌ ، وَلَا جَاءَهَا رَسُولٌ ، وَالْعُقُولُ عِنْدَكُمْ لَا يَجِبُ ^(١) بِهَا شَيْءٌ عَلَى الْعُقَلَاءِ فَضْلًا عَنِ الْبَهَائِمِ ، وَفِي هَذَا انْفِصَالٌ عَنْ قَوْلِ الْأُسْتَاذِ : إِنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ هَذَا الْقَدْرَ ، إِذْ لَا يَجِبُ بِالْعَقْلِ شَيْءٌ ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، فَالْجَوَابُ : أَنَّهَا لَيْسَتْ مُكَلَّفَةٌ ^(٣) ، لِأَنَّ مِنْ ضَرُورَةِ التَّكْلِيفِ أَنْ يَعْلَمَ ^(٤) الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، وَذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْعُقَلَاءِ ، وَهُمْ الثَّقَلَانِ ^(٥) ، وَإِذَا لَمْ تُكُنْ مُكَلَّفَةً كَانَتْ فِي الْمَشِيقَةِ ^(٦) يَفْعَلُ اللَّهُ بِهَا مَا أَرَادَ ^(٧) كَمَا سَلَّطَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا الِاسْتِسْخَارَ ^(٨) وَالذَّبْحَ ، فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا أَرَادَ ^(٩) مِنْ تَنْعِيمٍ وَتَعْذِيبٍ ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُؤْلِمَ الْبَهِيمَةَ ^(١٠) ابْتِدَاءً ، جَازَ أَنْ يُؤْلِمَهَا بَعْدَ حَيَاتِهَا ، وَالآيَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الرَّسُولُ وَالْمُرْسَلُ ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَجْرَ عَلَيْهِمُ الْقَلَمُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا ^(١١) رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَكِنْ فِيمَا بَيْنَهَا تُؤَاخَذُ ^(١٢) .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « أَقْتُلُوا الزَّرْعَ فَإِنَّهُ كَانَ

(١) فِي « م » : « لَمْ يَجِبْ » .

(٢) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، مِنْ آيَةِ ١٥ .

(٣) فِي « م » : « وَالْجَوَابُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمُكَلَّفَةٍ » .

(٤) فِي « م » : « تَعْلَمَ » .

(٥) الثَّقَلَانِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ .

(٦) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُكَلَّفِينَ كَانُوا فِي الْمَشِيقَةِ » .. يَرِيدُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ، وَلَا يَبْصَحُ هَذَا بِمَعْنَى .. وَمَا وَرَدَ فِي « ط » هُوَ الْمَقْصُودُ .

(٧) فِي « م » : « يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ » .

(٨) فِي « م » : « سَلَّطَ عَلَيْهِمُ الِاسْتِسْخَارَ » .. وَالِاسْتِسْخَارُ : السُّحْرَةُ ، وَهِيَ التَّكْلِيفُ بِالْعَمَلِ بِمَا أُجْرَ وَلَا تَمْنُ .

(٩) فِي « م » : « مَنْ شَاءَ » .. الصَّوَابُ : « مَا شَاءَ » .

(١٠) فِي « م » : « الْبَهَائِمُ » .

(١١) فِي « م » : « وَإِنَّمَا » .

(١٢) فِي « م » : « وَلَكِنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ يُؤَاخِذُونَ بِهِ » .

يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ^(١) . فَهَذِهِ عَجَمَاءُ ^(٢) عُوِثَتْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِ جَنْسِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ ^(٣) بِمَلِكِهِ لَا بِالْمَعْصِيَةِ . وَقَدْ ضَرَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَجَرَ الَّذِي قَرَّبَ بَنُوهُ ^(٤) وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عِزَّتَهُ ^(٥) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « فَضْرَتُهُ بِمَصَاهِ وَالْحَجَرُ يَقْرُ ، وَمُوسَى يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، ثَوْبِي حَجَرٌ » ^(٦) . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَتَنِدِبَ بِالْحَجَرِ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ ^(٧) .

وَرَوَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ^(٨) أَنَّهَا الْحِجَارَةُ الَّتِي يَكْسِرُ النَّاسُ ^(٩) فِي الدُّنْيَا . وَرَوَى أَنَّ الْمَسِيحَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَرَّ بِجَبَلٍ فَسَمِعَ أَيْنَهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : « وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » فَلَا أَذْرِي أَكُونُ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ أَمْ لَا ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ : حَشَرَهَا مَوْتَهَا ، تُحَشَّرُ لِضَرْبٍ مِنَ الْقِصَاصِ يَتَنَهَا ، ثُمَّ تُصِيرُ تُرَابًا . قُلْتُ : وَتَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعِيدٌ ،

(١) في « م » : « فَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْفُخُ ... » والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٣٨٩ ، وكتاب بدء الخلق ج ٦ ص ٣٥١ من فتح الباري .. ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد ، باب قتل الوزغ ج ٢ ص ١٠٧٦ ، ورواه غيره .. والوزغ ، جمع وَرَغَةٌ : ضرب من الزواحف ، يطلقون عليه : سام أبرص .

(٢) العجماء : البهيمة

(٣) في « م » : « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ أَنْ يُعَذِّبَ » .

(٤) في « ط » : « مَرَّ بَنُوهُ » أي : تدرج .. وفي البخاري : « عَدَا بَنُوهُ » أي : مضى مسرعاً .

(٥) كان بنو إسرائيل يقتسلون عرباً ، وكان موسى خيلاً ، يقتسل وحده ، ويستتر عند اغتساله ، فأدعى قوم منهم أنه أدر - منتفخ الخسفة ، له قَلِيطٌ « قليطة » - وقالوا : ما يستتر إلا لعب في يده .. فانتطلق يوماً يقتسل ، وجعل ثيابه على حجر ، فطارت ثيابه لهبوب الريح ، وانتطلق وراءها عرباناً ، حتى انتهى إلى مَلَأٍ من بنى إسرائيل ، فنظروا إليه فرأوه على غير ماظنوا ، وبراء الله بما قالوا .

[انظر تفسير القرآن للحمزة وآخرين - ج ٢٢ ص ٤٤ تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب] .

(٦) ثَوْبِي ، هو بفتح الباء الأخيرة ، أي : أعطني ثَوْبِي ، أو رُدُّ ثَوْبِي .. وحجر ، بالضم ، على حذف حرف النداء ، أي يا حَجَرُ .

(٧) قَلْدِب : تركك لثوباً ، أي : علامات من أثر الضرب .. وفي رواية : « إِنَّ فِي الْحَجَرِ لَنَدَباً مِنْ أَمْرِ ضَرَبَهُ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ حَمْسًا » .. والحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ج ٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ من فتح الباري ، وأخرجه غيره .

(٨) سورة البقرة ، من الآية ٢٤ . وسورة التحريم من الآية ٦ .

(٩) في « ط » : « تَكْسِرُ النَّاسُ » .

لَأَنَّ الْحَشَرَ الْجَمْعُ ، وَلَيْسَ فِي مَوْتِهَا جَمْعُهَا ، بَلْ فِيهِ تَفْرِقَتُهَا ^(١) وَتَفْرِقَةُ أَجْزَائِهَا ، ثُمَّ قَدْ قَالَ : ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ^(٢) ، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَشَرُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى بِإِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا ، وَجَمْعِهَا إِلَى رَبِّهَا .

(١) في « م » : « وليس في موتها جمعاً ، بل فيه تفرقها » .

(٢) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ . والآية بتمامها : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أَمَّ أُمَّةً لَكُمْ ، مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ .

البَابُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

فِي الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ ^(١) . وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ^(٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ الْحَسَنُ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُبَشِّرُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمْ الْيُسْرُ ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ » . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي جُحْرِ لَطَلَبَهُ الْيُسْرُ ، وَلَنْ ^(٤) يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ عَرَّفَ ^(٥) الْعُسْرَ وَتَكَرَّرَ الْيُسْرُ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرْتَ اسْمًا مُعْرَفًا ^(٦) ثُمَّ أَعَادْتَهُ كَذَلِكَ ^(٧) فَهُوَ هُوَ ، فَإِذَا تَكَرَّرَ ^(٨) ثُمَّ كَرَّرْتَهُ كَذَلِكَ فَهُمَا اثْنَانِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٩) :

(١) سورة الشورى ، من الآية ٢٨ ، ولم ترد هذه الآية في « م » في هذا الموضع ، بل أتت بعد قوله : « ولن يغلب عُسْرُ يُسْرَيْنِ » وستأتي .

(٢) سورة الفل ، من الآية ٦٢ .

(٣) سورة الشرح ، الآية ٦ .

(٤) في « ط » : « لن » بدون الواو .

(٥) في « م » : « أنه لما عُرِفَ » .

(٦) في « م » : « معروفًا » تحريف .

(٧) قوله : « كذلك » عن « ط » في الموضعين .

(٨) في « م » : « ذكرته » مكان « تَكَرَّرَ » تحريف .

(٩) الأبيات في المستطرف ج ٢ ص ١٤١ وهى غير منسوبة لقالها .

إِنْ يَكُنْ تَالِكَ الزَّمَانُ يَبْلُوَى عَظُمْتَ عِنْدَهَا الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ (١)
وَكَلَّتْهَا قَوَارِعُ نَاكِيات (٢) سُمِعَتْ دُونَهَا الْحَيَاةُ وَمَلَّتْ (٣)
فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ مَدَاهَا فَإِلْرَازِيَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ (٣)
وَإِذَا أَوْهَنْتْ قَوَاكِ وَجَلَّتْ كُشِفَتْ عَنْكَ جُمْلَةٌ فَجَلَّتْ (٤)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ النُّطْقَ (٥) مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ، اتَّخَذَتْ مُنْطَقًا لَتُعْفَى أَثَرَهَا (٦) عَلَى سَارَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِنِّي إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تَرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ ، عِنْدَ دَوْحَةٍ (٧) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ ، فَوَضَعَهَا هُنَاكَ ، وَوَضَعَ عِنْدَهَا جِرَابًا فِيهِ ثَمَرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، ثُمَّ قَلَّ (٨) إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا ، فَتَبِعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا (٩) الْوَادِي ، لَيْسَ فِيهِ أُنْيَسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ إِذَا لَا يُضِيعُنَا .

(١) البيت في المصدر السابق :

« وَإِذَا تَمَسَّكَ الزَّمَانُ بِضُرٍّ عَظُمْتَ دُونَهُ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ »
والخطوب : الحوادث والرزايا .

(٢) قوراع : مصائب .. ناكيات : قاتلات .. والبيت في المستطرف :

« وَاتَّتْ بَعْدَهُ نَوَابِ أُخْرَى سَمِعَتْ نَفْسُكَ الْحَيَاةَ وَمَلَّتْ »

(٣) الشطرة الأولى في المصدر السابق : « فَاصْطَبِرْ وَانْتَظِرْ بُلُوغَ الْأَمَانِ » .

(٤) في المصدر السابق : « وَتَحَلَّتْ » مكان « فَجَلَّتْ » .

(٥) النُّطْقُ : جمع نطق ، وهو حبلٌ تشدُّ به المرأة وسطها .. وفي « م » والبخاري : « الْيَنْطِقُ » وهو بجمعه .

(٦) لنفى أثرها : لخصفيه .. وكان السبب في ذلك أَنَّ سَارَةَ كانت وهبت « هاجر » لإبراهيم ، فحملت منه بإسماعيل ، فلما ولدته غارت منها ، فاتخذت هاجر منطلقاً فشددت به وسطها وخرجت ، وجرت ذهلها لخصفي أثرها على سارة .

[انظر فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ص ٣٩٦ ، ٤٠٠] .

(٧) الدَّوْحَةُ : الشجرة الكبيرة .

(٨) قَلَّ : رجع .. وفي « ط » والبخاري : « قَلَّى » أى : وُلَّى راجعاً إلى الشام .

(٩) في « م » : « فِي هَذَا » .

ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَأَنْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ ^(١) حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ ^(٢) : « رَبَّنَا ^(٣) إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » ^(٤) حَتَّى بَلَغَ « يَشْكُرُونَ » .

وَجَعَلْتُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تُرَضِعُ إِسْمَاعِيلَ ^(٥) وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى ، فَأَنْطَلَقْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي ^(٦) هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِي ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا فَتَنْظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا ؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ ^(٧) بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا ، فَقَالَتْ : صَهْ ^(٨) ، تُرِيدُ نَفْسَهَا ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ ^(٩) ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ ^(١٠) عِنْدَ مَوْضِعٍ زَمَزَمَ ، فَبَحَثَ بِعَقِيهِ - أَوْ قَالَ بِحَنَاجِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ ، فَجَعَلْتُ تُحَوِّضُهُ ^(١١) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا ^(١٢) ، وَجَعَلْتُ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي

(١) في « م » : « الرندة الثنية » . ولم ترد لفظة « الرندة » في نص الحديث الذي رواه البخاري .

(٢) في « م » : « وقال » .

(٣) في « م » و « ط » : « رَبِّ » .. وما هنا مطابق لنص الآية .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية ٣٧ .

(٥) في « م » : « لإسماعيل » .

(٦) نص الحديث في البخاري : « ثم استقبلت الوادي تنظر ... » .

(٧) في البخاري : « فذَلِكَ سَعَى النَّاسِ » .

(٨) صَهْ : يفتح الصاد المهملة وسكون الهاء ، ويكسرهما مُتَوَكِّةً ، كأنها خاطبت نفسها فقالت لها : اسكبي .

(٩) هَكَذَا في « ط » و البخاري .. وفي « م » : « عليك » مكان « عندك » تحريف .. وجواب الشرط محذوف ،

والتقدير : « إن كان عندك غواث فأعطيني » .

(١٠) الْمَلِكُ : جبريل ، عليه السلام .

(١١) تُحَوِّضُهُ : أى يجعله مثل الحوض .. وفي « م » : « تحوضه » بالخاء المعجمة .. والأول هو المطابق لما ورد في

البخاري .

(١٢) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا : هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل .. وفي حديث عليٍّ : « فجعلت

نحس الماء ، فقال : دعيه فإنها رواء » .

سَقَاتِهَا ، وَهُوَ يُفَوِّرُ بَعْدَمَا تُعْرِفُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) : يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ : لَوْ لَمْ تُعْرِفْ ^(٢) لَكَانَتْ عَيْنًا مَعِينًا ^(٣) . قَالَ : فَشَرِيتَ وَأَرْضَعْتَ وَلَدَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ : لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ ^(٤) ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنِي هَذَا الْغَلَامُ وَأَبُوهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ .

وَمِنْهَا قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ، وَذَلِكَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ^(٥) ، وَمُرَّارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ^(٦) ، وَهَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ ^(٧) ، تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ « ثُبُوك » ، وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٨) عَنْ كَلَامِ الثَّلَاثَةِ ، قَالَ كَعْبٌ ^(٩) : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرْتُ لَنَا الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، فَمَا هِيَ إِلَّا الَّتِي أَعْرِفُ ، وَكُنْتُ أَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلَّمَ ^(١٠) عَلَيْهِ ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَى مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ^(١١) ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ

(١) في « م » : عليه السلام .

(٢) في « م » : « أَوْ قَالَ : لَمْ تُعْرِفْ » وسقطت « لو » منها سهواً من الناسخ .. وهذا القول شك من الراوى .

(٣) في « م » : « لَكَانَتْ » تحريف .. وعيناً معيناً ، أى : كان الماء ظاهراً جارياً على وجه الأرض .

(٤) الضَّيْعَةُ : الهلاك .

(٥) هو : كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى السلمي الخزرجي ، صحابي من أهل المدينة ، ومن أكابر الشعراء ، ومن شعراء النبي ﷺ ، شهد أكثر الوقائع معه .. توفي سنة ٥٠ هـ تقريباً .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٨٧ - ٤٨٩ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٦) هو : مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الأنصارى ، من بنى عمرو بن عوف ، صحابي ، وهو يَمُنُّ بشهدوا بدرًا .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ١٣٤ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٧) هو : هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصارى الواقفي ، صحابي ، قديم الإسلام ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وهو الذي كَسَرَ أَصْنَمَ بَنِي وَاقِفٍ ، وكانت معه رايته يوم فتح مكة .

[انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، والمعارف ص ٣٤٣] .

(٨) في « م » : « عليه السلام » .

(٩) « كعب » عن « ط » .

(١٠) في « م » : « وَأَسَلَّمَ » .

(١١) في « م » : « حَائِطُ جِدَارِ أَبِي قَتَادَةَ » . وأبو قتادة هو : أبو قتادة الأنصارى ، واسمه : الحارث بن ربيعة بن بلدعة الخزرجي السلمي ، فارس رسول الله ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها .. توفي بالمدينة سنة ٥٤ هـ .. وقيل : توفي بالكوفة في خلافة عليٍّ ، وصلى عليه عليٌّ ، رضى الله عنهما .

[انظر أسد الغابة ج ٦ ص ٢٥٠ ، ٢٥١] .

إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهَ مَارَدٌ عَلَى السَّلَامِ ، فَلَمَّا تَمَّتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ يَوْمِ نَهَى رَسُولُ اللهِ عَنْ كَلَامِنَا ، صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَى نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بِمَا رَحِبَتْ ، وَمَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، أَوْ يَمُوتَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَكُونُ مِنَ النَّاسِ فِي تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، لَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَلَا يُصَلِّيَ عَلَيَّ ، فَأَنْزَلَ اللهُ [تَعَالَى] ^(٢) ثَوْبَتَنَا ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ ^(٣) مِنْ أَعْلَى الْجَبَلِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَبْشِيرْ ! فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ ، فَجَعَلْتُ ثَوْبِي عَلَى الصَّارِخِ لِبُشْرَاهُ ^(٤) ، وَاللهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، فَقَالَ : أَبْشِيرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرُّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمَّكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ مِنْ ثَوْبَتِي أَنْ أُلْخِطَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٥) : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ^(٦) .

وَرَوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا شَبَّ وَدَرَجَ فِي مَوْضِعٍ رُئِيَ ^(٧) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ^(٨) رَأَى كَوْكَبًا ۖ يُقَالُ : إِنَّهُ رَأَى الزُّهْرَةَ ۖ قَالَ ^(٩) هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ ۖ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ۖ قَالَ : لَيْنَ لَمْ يَهْدِلْنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا ۖ

(١) « صل الله عليه وسلم » عن « م » .

(٢) « ما بين المعرفتين » عن « م » .

(٣) « في م » : « خارج » تحريف .

(٤) « في ط » : « بُشْرَاهُ » بدلون اللام .

(٥) « في م » : « عليه السلام » .

(٦) انظر الحديث في فتح الباري ، كتاب التفسير ، سورة براءة « التوبة » باب « وعلى الثلاثة الذين خلفوا ۖ »

ج ٨ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٧) « في ط » : « رُئِيَ فيه » . ودرج : ذَبَّ . يقال : دَرَجَ الصَّبِيُّ : أَخَذَ فِي الْحَرَكَةِ وَابْتَدَأَ فِي الْمَشْيِ .

(٨) جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ : سَتَرَهُ .

(٩) « في م » و « ط » : « قِيلَ » .. وما هنا مطابق للآية . والزُّهْرَةُ : أَحَدُ كَوَاكِبِ الْجُمْجُومَةِ الشَّمْسِيَةِ السَّعَةِ ، وَهُوَ ثَلَاثُ

كَوْكَبٍ فِي الْبَعْدِ عَنِ الشَّمْسِ ، يَقَعُ بَيْنَ عَطَارِدِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ أَلْعُ جُزْمِ سَمَاوِي ، بِاسْتِنَاءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .

أَصْبَحَ وَ رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَافِيًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ : أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ يَغْنَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ . قَالُوا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَمَا تَخَافُ مِنْ آلِهَتِنَا أَنْ تُصِيبَكَ بِسُوءِ إِنْ أَنْتَ سَبَيْتَهَا أَوْعَيْتَهَا ؟ قَالَ : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وَكَانَ آزَرُ يَصْنَعُ أَصْنَامًا يَعْْبُدُهَا قَوْمُهُ ، ثُمَّ يُعْطِيهَا إِبْرَاهِيمَ يَبِيعُهَا ، فَيَكْسِرُهَا وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى نَهْرٍ لَهُمْ فَيَصُبُّهَا فِيهِ عَلَى رُءُوسِهَا ، وَيَقُولُ لَهَا ^(٢) : اشْرَبِي ، اسْتَهْزَأَ بِهَا ، وَإِظْهَارًا لِقَوْمِهِ فَسَادَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، فَفَسَادَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ نَمْرُودَ ، فَأَوَّلُ مَا بَدَأَ قَوْمُهُ أَنْ ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً ^(٣) فِي النُّجُومِ ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿ يَعْنِي : مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ ، فَظَنُّوا أَنَّهُ مَطْمُونٌ ، وَكَانُوا يَقُولُونَ مِنَ الطَّاغُوتِ إِذَا سَمِعُوا بِهِ ﴿ فَهَوَّلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ . فَرَأَوْا إِلَى آلِهَتِهِمْ ﴿ فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَهُمْ قَدْ وَضَعُوا لَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا ﴾ فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ . فَرَأَوْا ^(٤) عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿ وَكَسَرَهَا ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهَا وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذَاذَا ^(٥) ، وَأَرَارَقَ طَعَامَهَا وَشَرَابَهَا ، وَعَمَدَ إِلَى الْفَأْسِ فَعَلَّقَهَا ^(٦) بِيَدِ إِلَهِهِمُ الْأَعْظَمِ ^(٧) ، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا ، فَلَمَّا

(١) من قوله تعالى : ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ إلى هنا من سورة الأنعام - الآيات من ٧٦ - ٨١ .

(٢) في « م » : ﴿ فيصبها فيه ثم يقول لها » .

(٣) نص الآية : ﴿ فنظر نظرة ﴾ .

(٤) هكذا في « م » ، وهو مطابق لما ورد في القرآن .. وفي « ط » : ﴿ فأقبل عليهم » . والمعنى : أنه مال إلى آهتهم خفية ليحطمها .. والآيات من سورة الصافات ، من الآية ٨٨ - ٩٣ .

(٥) جُذَاذَا : قطعاً صغيرة .

(٦) في « م » و « ط » : ﴿ فعلقها » والفأس مؤنثة في اللغة .. وعَمَدَ : قصَدَ .

(٧) في « ط » : ﴿ العظيم » .

رَجَعَ قَوْمُهُ مِنْ عِيْدِهِمْ دَخَلُوا ^(١) بَيْتَ أَصْنَامِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَاصِئَ بِهَا رَاعَهُمْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُوهُ ^(٢) وَ « قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ » قَالُوا ^(٣) : سَمِعْنَا قَتْلَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ « سَمِعْنَاهُ يَسْبُحُهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا ، فَقَالَ ثَمْرُودُ : « قَاتِلُوا بِهِ عَلَى أَغْنِ النَّاسَ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ » . فَلَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) « قَالُوا : أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ » قَالَ : بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَلِقُونَ « فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا : إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ » قَالُوا ^(٥) : إِنَّا قَدْ ظَلَمْنَاهُ بِمَا نَسَبْنَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا ^(٦) وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهَا لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ : « لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَلِقُونَ » قَالَ : أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ « أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » ^(٧) فَقَالَ لَهُ ثَمْرُودُ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ ^(٨) : صِفْ لَنَا ^(٩) إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ وَتَدْعُو إِلَى عِبَادَتِهِ . « قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّي ^(١٠) الَّذِي يُخْبِي وَيُخْشِئُ قَالَ « ثَمْرُودُ : وَ « أَنَا أُخْبِي وَأُخْشِئُ » . قَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : آخُذْ رَجُلَيْنِ قَدْ اسْتَرْجَبَا الْقَتْلَ فِي حُكْمِي ، فَأَقْتُلْ أَحَدَهُمَا ، فَأَكُونُ قَدْ أَمُتُّهُ ، وَأَعْفُو عَنِ الْآخَرِ ، فَأَكُونُ قَدْ أَحْيَيْتُهُ ! فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَخِي الَّذِي قَتَلْتَ بِرِزْعِكَ ، وَأُخْرِجْ رُوحًا مِنْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُقْتَلَهُ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا . وَإِنَّ ^(١١) « اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ

(١) في « م » : « ودخلوا » .

(٢) أى : أنكروه .. وفى « م » : « عَظَّمُوهُ » أى : رأوه عظيمًا .

(٣) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لما ورد فى القرآن .. وفى « ط » : « فقال بعضهم » .

(٤) فى « ط » : « صلى الله عليه وسلم » .

(٥) « قالوا » عن « ط » ولم يرد فى « م » .

(٦) فى « م » : « ثم قال » .

(٧) من قوله تعالى : « قال من فعل هذا بآلهتنا » إلى هنا ، من سورة الأنبياء ، الآيات من ٥٩ - ٦٧ بتصرف

يسير .

(٨) فى « م » : « حين سمع منه ذلك » .

(٩) فى « م » : « صِفْ لى » .

(١٠) هكذا فى « م » ، وهو مطابق لنص الآية .. وفى « ط » : « إِنَّ رَبِّي » .

(١١) فى « م » : « فَإِنَّ » . وكذا وردت فى القرآن .

الْمَشْرِقِ فَأَتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبَيَّتْ ﴿^(١)﴾ عِنْدَ ذَلِكَ نَمْرُودَ وَلَمْ يَرُدَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا ، وَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ، فَلَبِثَ فِيهِ سَبْعَ سِنِينَ ، وَجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ السَّجْنِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ وَفَشَا ، وَاتَّبَعَهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ عَلَى دِينِهِ .

فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْرِقُوا إِبْرَاهِيمَ ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَنَوْا حَيْرًا ^(٢) طُولَ جِدَارِهِ سِتُونَ ذِرَاعًا ، وَوَضَعُوهُ إِلَى مَفْجِ جَبَلٍ مُنِيفٍ لَا يُرَامُ وَلَا يُرَقَا ^(٣) ، وَلَطَطُوا الْجِدَارَ ، فَلَا يَمْشِي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا زَلَقَ عَنْهُ ^(٤) ، وَأَذَنَ مُؤَذِّنٌ نَمْرُودَ : أَيُّهَا النَّاسُ احْتَطِبُوا لِنَارِ إِبْرَاهِيمَ ^(٥) ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ عَنْهَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى ، وَلَا حُرٌّ وَلَا عَبْدٌ ، وَلَا شَرِيفٌ وَلَا وَضِيعٌ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ أُلْقِيَ فِي تِلْكَ النَّارِ ، فَعَمَلُوا فِي ذَلِكَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ تَنْدِرُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهَا ، لَئِنْ رَجَعَ غَائِبُهَا ^(٦) أَوْ أَفَاقَ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِذَا كَمَلَ ذَلِكَ قَذَفُوا فِيهِ النَّارَ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ وَهَجُ النَّارِ ^(٧) عَلَى الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ، وَضَعَ إِبْرَاهِيمُ فِي كَيْفَةِ الْمُنْجِنِيقِ ، قَالَ وَهَبْ بَنَ مُنْبِي : فَبَلَغَنِي أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحَارَ وَمَا فِيهَا ضَحُّوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَحَّةً وَاحِدَةً ، قَالُوا : يَا رَبَّنَا ، لَيْسَ فِي أَرْضِكَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرُهُ ، فَأَذَنَ لَنَا فِي نُصْرَتِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ : إِنْ اسْتَغَاثَ بِشَيْءٍ مِنْكُمْ فَانْصُرُوهُ وَأَغِيثُوهُ ^(٨) ، وَإِنْ دَعَانِي فَأَنَا وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ .

(١) من قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ إلخ هنا ، ورد في سورة البقرة ، من الآية ٢٥٨ والآية بتامها : ﴿ الْمُرْءَى إِلَى الذِّى حَاجُ إِبْرَاهِيمَ فِي زَيْتِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّى الَّذِى يَهْدِى وَيُعِيت . قَالَ : أَنَا أَخِي وَأُمِّي . قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ . فَبَيَّتَ الَّذِى كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .
(٢) الْحَيْرُ : يُطْلَقُ عَلَى الْمَكَانِ وَالْبِنَاءِ .. وفى « م » : « حَيْرًا طَوِيلًا » . والحير ، بالراء المهمله : مكان يشبه الحظيرة أو الجحشى .

(٣) مَفْجِ الْجَبَلِ : أَسْفَلُهُ .. وفى « م » : « مَفْجِ جَبَلٍ بِالْصَّادِ ، أَيْ : جَانِبِهِ أَوْ غُرُضُهُ .. وَالْمُنِيفُ : الْعَالِى .. لِإِبْرَاهِيمَ : لَا يُطْلَبُ .. وَلَا يُرَقَا : مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَمْلُوهُ .

(٤) أَيْ : زَلَّ وَلَمْ يَثْبُتْ قَدَمَاهُ .

(٥) فى « م » : « احْتَطَبُوا النَّارَ لِإِبْرَاهِيمَ » أَيْ : اجْتَمَعُوا لِحَطْبِهَا .

(٦) فى « م » : « لَئِنْ رَجَعَ ابْنُهَا وَأَفَاقَ » .

(٧) وَهَجُ النَّارِ ، بَفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِهَا ، أَيْ : يَسْمَعُ صَوْتَ اتَّقَادِهَا .

(٨) فى « م » : « إِنْ اسْتَغَاثَ بِكُمْ فَأَغِيثُوهُ وَانْصُرُوهُ » .

فَلَمَّا وَضَعُوهُ ^(١) فِي كَيْفَةِ الْمَنْجَنِيْقِ وَقَذَفُوهُ قَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِيْمَانِي بِكَ ، وَعَدَاوَةَ قَوْمِي فِيكَ ، فَالْصِّرْنِي عَلَيْهِمْ ، وَتَجْنِنِي مِنَ النَّارِ . فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى النَّارِ ^(٢) أَنْ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَاطَاعَتِ النَّارُ رَبَّهَا ، وَلَوْ لَمْ يَقُلْ سَلَامًا لَمَاتَ مِنَ شِدَّةِ الْبُرْدِ . وَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَظَنَّ قَوْمُهُ أَنَّهُ قَدْ اخْتَرَقَ ، ثُمَّ قَالَ تَمْرُودُ : انْظُرُوا مَاذَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي نَوْمِي أَنَّ جِدَارَ هَذَا الْحَيْرِ ^(٣) قَدْ تَهَلَّمَ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْشِي ، قَالَ : وَذَابَ الْحَاسُ الَّذِي سُدَّ بِهِ بَابُ الْحَيْرِ ، وَاخْتَرَقَ الْجِدَارُ فَصَارَ رَمَادًا ، فَاطْلَعُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ قَرَأُوهُ صَاحِبًا سَلِيمًا ^(٤) ، وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ^(٥) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ خَرَجَ يَمْشِي حَتَّى قَعَدَ إِلَى أُمِّهِ ، وَهِيَ فِي الْجَمْعِ ، وَأَقْبَلَتْ سَارَةً ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، حَتَّى جَلَسَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، إِنِّي آمَنْتُ بِالَّذِي جَعَلَ النَّارَ عَلَيْكَ ^(٦) ، بَرْدًا وَسَلَامًا . قَالَتْ لَهَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ : اخْذِرِي الْقَتْلَ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَتْ ^(٧) : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنِّي لَا أَخَافُ شَيْئًا وَقَدْ آمَنْتُ بِإِلَهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَحَوْلَ إِبْرَاهِيمَ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُخْصِي عَدَدُهُمْ ، يَأْتِمُرُونَ لِيُجَدِّدُوا لَهُ عَذَابًا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحًا عَاصِفًا ، فَسَفَتْ ^(٨) رَمَادَ تِلْكَ النَّارِ فِي وُجُوهِهِمْ وَغَيَّرَتْهُمْ فَقَرَأُوا عَنْهُ ، وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُذَكِّرًا بِهِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا ^(٩) : إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ،

(١) فِي ١ م : : فَلَمَّا وَضَعَ .

(٢) فِي ١ م : : إِلَيْهَا .

(٣) فِي ١ م : : الْحَيْرِ فِي الْمَوْضِعِينَ .. انظر المامش رقم ٢١٠ من ص ٦٤٠ .

(٤) فِي ١ م : : سَلَامًا .

(٥) فِي ١ م : : الْحَالَةَ .

(٦) فِي ١ م : : حِينَ تَحْرِيف .

(٧) عَلَيْكَ عَنْ ١ م .

(٨) فِي ١ م : : قَالَتْ .

(٩) فَسَفَتْ : فَطَيَّرَتْ .

(١٠) فِي ١ م : : وَغَيْرِهِمْ ، لَاتَنْصَحَ لَفَةً .

انْطَلَقَ إِلَى الْحَمَامِ ^(١) وَمَعَهُ جَنَى يُقَالُ لَهُ صَحْرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْخُلُ
 الْخَلَاءَ ^(٢) بِالْحَامِ ، فَدَخَلَ الْحَمَامَ وَأَعْطَى الشَّيْطَانَ حَاتِمَهُ ، فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، فَالْتَمَعَتْهُ
 سَمَكَةٌ ، وَنَزَعَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ مِنْهُ ^(٣) ، وَالْقَى عَلَى الشَّيْطَانِ شَبَهُ سُلَيْمَانَ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ
 عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَسُلِطَ عَلَى جَمِيعِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ غَيْرَ نِسَائِهِ ، فَجَعَلَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ
 وَالنَّاسُ يَتَكَبَّرُونَ قَضَائِيَّاهُ ، حَتَّى قَالُوا : لَقَدْ فُتِنَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ
 أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ فِي حَالَتِهِ تِلْكَ وَهُوَ جَائِعٌ نَائِعٌ ^(٤) ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَيَّادِينَ فِي
 الْبَحْرِ ، فَاسْتَطَعَمَ ^(٥) أَحَدَهُمْ مِنْ صَيْدِهِ وَقَالَ لَهُ : أَنَا سُلَيْمَانُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَضَرَبَهُ
 بِعَصَا ^(٦) فَشَجَّ وَجْهَهُ ، فَجَعَلَ ^(٧) يَغْسِلُ دَمَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَلَامَ الصَّيَّادُونَ
 صَاحِبَهُمْ عَلَى ضَرْبِهِ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَغْطَلُوا سُلَيْمَانَ سَمَكَتَيْنِ مِمَّا قَدْ تَغَيَّرَ عِنْدَهُمْ وَتَنَنَ ^(٨) ،
 وَلَمْ يَشْفُلْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الضَّرْبِ عَنْ أَنْ يَقُومَ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، فَشَقَّ بَطْنَيْهِمَا ^(٩)
 وَغَسَلَهُمَا ، فَوَجَدَ حَاتِمَهُ فِي بَطْنِ أَحَدِهِمَا ^(١٠) فَأَخَذَهُ فَلَيْسَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَهَاءَهُ
 وَمُلْكَهُ ، وَجَاءَتِ الطَّيْرُ فَحَامَتْ ^(١١) عَلَيْهِ ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهُ سُلَيْمَانُ ، فَجَاءُوا يَعْتَذِرُونَ
 إِلَيْهِ .

وَرَوَى وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَهَبَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ ، فَلَمَّا كَانَ ابْنُ سِتِّينَ
 سِنِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَهُ ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ قُرْبَانًا ، فَكَتَمَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ
 عَنْ إِسْحَاقَ وَأُمِّهِ وَجَمِيعِ النَّاسِ ، وَأَسْرَهُ إِلَى خَلِيلٍ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ : الْغَاوِرُ ، وَكَانَ أَوَّلَ

(١) في م : : الحمام « تحريف .

(٢) المراد بالخلاء : المكان الذي يقضى فيه الإنسان حاجته .

(٣) في م : : فيه « تحريف .

(٤) نائع : عطش .. وقبل : نائع اتباع لجائع .

(٥) فاستطعم : فطلب طعاماً .

(٦) في م : : فضربه ضرباً .. وشج : جرح .

(٧) في م : : قال : فجعل

(٨) أى : خبثت رائحته .

(٩) في م : و ط : : بطونهما . والصواب ما أثبتناه .

(١٠) هكذا في م : و ط : .. والصواب : إحداهما .

(١١) في م : : حتى حامت .

مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ يَوْمَ أُخْرِقَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَفَعَ اسْمَكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَاءِ ، حَتَّى كُنْتُ أَرْفَعُهُمْ بَيْتَهُ ، لِيَرْفَعَكَ اللَّهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْفَضَائِلِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتَّيَلَّكَ ^(١) بِذَلِكَ لِيَفْتِنَكَ ، وَلَا لِيُضِلَّكَ ، فَلَا يَسْوَأَنَّ بِاللَّهِ ظَنُّكَ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقًّا ^(٢) مِنِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ سَخَطًا بِحُكْمِهِ الَّذِي حَكَمَ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَكِنْ هَذَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، فَإِنْ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَتَعَزَّى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ ، وَأَسْتَدُّ لَهُ رَأْيَهُ وَبَصِيرَتَهُ ، وَانْطَلَقَ بِإِسْحَاقَ ، فَلَمَّا صَعِدَ الْجَبَلَ وَمَعَهُ السُّكَيْنُ وَالْحَبْلُ وَأَدَاةُ الْقُرْبَانِ ، فَقَالَ لَهُ ^(٣) إِسْحَاقُ : يَا أَبَتِ ، أَرَى مَعَكَ أَدَاةَ الْقُرْبَانِ وَلَا أَرَى قُرْبَانًا ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، الْقُرْبَانُ بَيْنَ رَبِّكَ ^(٤) يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ شَاءَ رَجِمَ أَبَاكَ . فَلَمْ يَقْطَعْ ^(٥) إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا وَافَى رَأْسَ الْجَبَلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَكَ وَأَجْعَلَكَ قُرْبَانًا يَرْفَعُكَ إِلَيْهِ ^(٦) وَيَقْبَلُكَ ، فَاظْطَرُّ مَاذَا تَرَى ؟ فَتَهَلَّلَ إِسْحَاقُ وَاسْتَبَشَّرَ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدُهُ : لَقَدْ فَجَعْتُكَ ^(٧) يَا بُنَيَّ بِأَمْرِ مَافَجَعَ بِهِ وَالِدَ وَلَدُهُ ، وَإِنِّي لَأَرَى ^(٨) مِنْ سُرُورِكَ بِذَلِكَ وَشُكْرِكَ لِرَبِّكَ أَمْرًا أَرْجُو بِهِ الْعَاقِبَةَ وَالْفَرَجَ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْبِرِّ بِكَ وَبِأُمِّي ، وَقَدْ حَرَمَنِي رَبِّي ، فَلَإِذَا أَرَدْتُ ذَبْحِي فَاسْتَدُّ وَتَأَقَّى ^(٩) فَإِنِّي أَخَافُ حِينَ يُفَارِقُنِي عَقْلِي وَأَجِدُ أَلَمَ الْحَدِيدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنِّي غَضْوُ فَيُؤْذِيكَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُحْتِمَ بِذَلِكَ عَمَلِي ،

(١) في د م : « لم يتتليك » خطأ في اللغة .

(٢) في د م : « وأن يكون حقاً » .

(٣) وله عن ط .

(٤) في د م : « بين الله » .

(٥) لم يقطن ، بفتح الطاء المهملة وبضمها : لم يدرك مقصد والده .

(٦) في د م : « يرفعك الله » .

(٧) فجعتك : آلمتك إيلاماً شديداً .

(٨) في د م : « وإني أرى » .

(٩) التناقى : ما يشد به ، كالجليل ونحوه .

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِي فَأَقْرِئْ أُمِّي السَّلَامَ ^(١) وَقُلْ لَهَا : لَا تَجْزَعِي ، فَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ ابْنَكَ فِي جَنَاتِهِ ^(٢) .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ وَصِيَّتِهِ عَمَدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٣) إِلَيْهِ فَعَصَبَهُ بِعِمَامَتِهِ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ ^(٤) إِلَى الْكَفَّيْنِ ، ثُمَّ كَبَّهُ لَوَجْهِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ وَجْهَهُ لِكَيْلَا ^(٥) تُدْرِكُهُ لَهُ رَحْمَةٌ إِذَا هُوَ تَشَحَّطَ ^(٦) ، فَأَذْخَلَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ حَلْقِهِ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُرَ انْقَلَبَ السَّكِينُ ، فَأَوَجَسَ إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ ^(٧) ، ثُمَّ عَادَ الثَّانِيَةَ ^(٨) ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْزُرَ ، انْقَلَبَ السَّكِينُ ، وَتَوَدَّى : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُيْنُ * وَلَقَدْ نَاهَى بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٩) ، هَذَا يَدَاءُ ابْنِكَ قَدْ فَدَاهُ اللَّهُ لَكَ بِهِ ، فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ خَلْفَهُ فَإِذَا بِكَبْشٍ ^(١٠) قَدْ لَوَى قَرْنُهُ الْأَيْمَنُ عَلَى سَاقِ شَجَرَةٍ ، فَوَجَّهَهُ ^(١١) إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَفَبَلَّتْهُ يَوْمَيْدَ مَكَّةَ ^(١٢) ، فَذَبَحَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَصَبَهُ ^(١٣) اسْتَحَاقَ ، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهُ وَضَعَاهُ قُرْبَانًا ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَتَقَبَّلَهُ .

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَلَمَّا صَارَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ وَاسْتَرْقَى ^(١٤) بَعْدَ الْحُرِّيَةِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَبْكِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى أَبِييهِ وَإِخْوَتِهِ وَوَطَنِهِ وَمَا ابْتَلَى بِهِ

(١) فِي « م » : « فَأَقْرِئْ أُمِّي السَّلَامَ عَلَى أُمِّي » .

(٢) فِي « ط » : « أَكْرَمَ اللَّهُ لَكَ ابْنَكَ » .. وَفِي « م » : « حَيَاتِهِ » مَكَانَ « جَنَاتِهِ » .

(٣) فِي « ط » : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .. وَعِنْدَ : ذَهَبَ وَقَصَدَ .

(٤) عَصَبَتْهُ : شَدَّهُ وَلَقَّهُ .. وَالنَّكَبُ : جَمْعُ رَأْسِ الْعُضْدِ وَالْكَفِّ .

(٥) فِي « ط » : « كَى لَا » .

(٦) تَشَحَّطَ : اضْطَرَبَ وَتَحَيَّطَ فِي ذَمِّهِ .

(٧) يَمْحُزُ : يَقْطَعُ .. أَوَجَسَ : وَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ .

(٨) فِي « م » : « الثَّالِثَةَ » . وَهِيَ الْمَحَاوَلَةُ الثَّانِيَةُ لَا الثَّالِثَةَ .

(٩) سُورَةُ الصَّافَّاتِ ، الْآيَاتُ مِنْ ١٠٤ - ١٠٧ .

(١٠) فِي « م » : « فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ » .

(١١) فِي « م » : « فَخَوَّجَهُ » .

(١٢) فِي « م » : « بِمَكَّةَ » .

(١٣) قَصَبَتْهُ : قَطَعَتْهُ .

(١٤) اسْتَرْقَى : صَارَ عُلُوكًا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْأَرْقَاءِ .

مِنَ الرُّقِّ ، فَأَحْيَا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي يَدْعُو رَبَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَخْرِجْنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، وَزَوِّدْنِي بَيْنِي وَإِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ وَوَطَنِي ، فَاجْعَلْ لِي فِي ذَلِكَ خَيْرًا وَرَجَاً وَمَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ اخْتَسِبْتُ ، وَمِنْ حَيْثُ لَا اخْتَسِبُ ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَنَا فِيهَا ، وَحَبِّبْهَا إِلَيَّ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُهَا ^(١) وَحَبِّبْنِي إِلَى أَهْلِهَا ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ ، وَلَا تُعْزِئْنِي حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيَّ وَإِخْوَتِي ^(٢) فِي يُسْرِ مِثْلِكَ وَنِعْمَةٍ وَسُرُورٍ ^(٣) تَجْمَعُ لَنَا بِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

فَأَنَّى ^(٤) يُوسُفُ فِي تَوَمُّهِ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اسْتَجَابَ لَكَ دُعَاكَ وَأَعْطَاكَ مَنَّاكَ ، وَزَوَّدَكَ هَذِهِ الْبِلَادَ وَسُلْطَانَهَا ، وَجَمَعَ إِلَيْكَ أَبَوَيْكَ وَإِخْوَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، فَطَبَّ نَفْسًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يُخْلِفَ وَعْدَهُ . وَيَدْعَا يُوْسُفَ صَارَتْ مِصْرَ مَحْبُوبَةً ، يُحِبُّهَا مَنْ دَخَلَهَا فَلَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهَا ، قَالَ قَتَادَةُ : مَا سَكَنَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَتَكَامَلَتِ النِّعَةُ عَلَيْهِ اشْتَقَى إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ فَقَالَ : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى لِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ تَوَفَّى مُنْصِلًا وَالْحَقِّقَى بِالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) .

وَلَمَّا وَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ^(٦) إِلَى الْعِرَاقِ لِيُطْلِقَ أَهْلَ

(١) قوله : « وَحَبِّبْهَا إِلَى كُلِّ مَنْ يَدْخُلُهَا » عَنْ « ط » .

(٢) فِي « م » : « بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي وَأَبَوَيَّ » .

(٣) فِي « م » : « عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ وَبُسْرٍ » .

(٤) فِي « م » : « قَالَ » مَكَانَ « فَأَنَّى » .

(٥) سُورَةُ يُوسُفَ ، آيَةُ ١٠١ .

(٦) هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، الْقُرَشِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَمِيرُ إِفْرِيقِيَّةِ ، أَرْسَلَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ الشَّامِ سَنَةَ ٩٧ هـ ، وَالْيَا عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ الْأَنْدَلُسُ تَابِعَةً لَهَا .. وَعَزَلَهُ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ وَفَاةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ٩٩ هـ ، فَكَانَتْ وَلايَةً سِتِينَ وَأَشْهُرًا .. وَلَمَّا وَلى الْخَلِيفَةُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ ١٠١ هـ ، وَلَّى عَلَى إِفْرِيقِيَّةِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، كَاتِبُ الْحِجَاجِ ، فَأَرَادَ هَذَا أَنْ يَسِيرَ فِي إِفْرِيقِيَّةِ بِسُورَةِ الْحِجَاجِ ، فَقَتَلَهُ أَهْلُهَا ، وَأَعَادُوا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَكَبَرُوا إِلَى الْخَلِيفَةِ : إِنْ لَمْ نَخْلَعْ أَيْدِيَنَا مِنَ الطَّاعَةِ ، وَلَكِنْ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ سَأَتَنَا مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَقَتَلَنَاهُ ، وَأَعْلَنَّا عَلَيْنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ .. فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْخَلِيفَةُ : إِنْ لَمْ أَرْضَ بِمَا صَنَعَ ابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ .. وَأَقْرَعَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَلَى عَمَلِهِ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ١٤٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٤] .

السُّجُونِ ، وَيُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ ، ضَبَّقَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَدِي
الْمَلِكُ الْخِلَافَةَ وَلَّى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ إِفْرِيقِيَّةً ، فَاسْتَحْفَى مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَطَلَبَهُ يَزِيدُ
ابْنُ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَتَى بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ ، وَفِي يَدِ ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عُنُقُودُ
عَنْبٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ حِينَ ذَا مِنْهُ : مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَطَالَمَا (١)
سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَنِي مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَنَا وَاللَّهِ فَطَالَمَا
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُجِيرَنِي مِنْكَ وَيُعِيدَنِي . فَقَالَ يَزِيدُ : فَوَاللَّهِ مَا أَجَارَكَ وَلَا أَعَاذَكَ ، وَإِنْ
سَابَقَنِي مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى قَبْضِ رُوحِكَ لَسَبَقْتُهُ (٢) ، وَاللَّهِ لَا أَكُلْتُ هَذِهِ الْحَبَّةَ حَتَّى
أَقْتُلَكَ . فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ الصَّلَاةَ ، فَوَضَعَ يَزِيدُ الْعُنُقُودَ وَتَقَدَّمَ لِيُصَلِّيَ ، وَكَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ
قَدْ (٣) اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَلَمَّا رَكَعَ ضَرْبَهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ بِعُمُودٍ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ
ابْنِ يَزِيدَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ . فَسَبَحَانَ مَنْ قَتَلَ الْأَمِيرَ وَأَحْيَا الْأَسِيرَ ، سَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ
خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ ، طُلُوعَ الْحَيَاةِ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ (٤) ، وَحُضُورَ الْمَوْتِ مِنْ مَعْدِنِ
الْحَيَاةِ .

وَبَرَزَ أَنْ سُلْطَانَ صِيقِلِيَّةٍ أَرَقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ ، فَأُرْسِلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ :
أُفَيْدْ (٥) الْآنَ مَرْكَبًا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا ، فَعَمَرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ (٦) وَأَرْسَلَهُ
لِحَبِينِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ
فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ (٧) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ امْتَنَلْتُ أَمْرَكَ وَأَتَقَدَّثُ الْمَرْكَبَ ، فَارْجِعْ بَعْدَ
سَاعَةٍ ، وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ (٨) ، فَجَاءَ [مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ] (٩) وَمَعَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ

(١) فِي (م) : (طَالَمَا) .

(٢) فِي (م) : (قَبَضْتُهُ) .

(٣) (قَدْ) عَنْ (ط) .

(٤) شِفَارِ الْمَوْتِ : حَافَتِهِ .

(٥) أُلْفَيْدٌ : أُرْسِلَ .

(٦) عَمَرَ الْمَرْكَبَ : أَعَدَّهُ .. وَفِي (م) : (عَمِدَ) بِالذَّالِ ، أَيْ : أَقَامَهُ بِصَادِهِ وَدَعَمَهُ .

(٧) (هـ) عَنْ (ط) ، وَلَمْ تَرِدْ فِي (م) .. وَكَذَا (قَدْ) بَعْدَهَا .

(٨) قَوْلُهُ : (وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ) عَنْ (ط) .. وَمُقَدِّمُ الْمَرْكَبِ : قَائِدُهُ وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُودَيْنِ عَنْ (م) .

الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ : ذَهَبْتُ بِالْمَرْكَبِ ^(١) فَبَيَّنَّا أَنَا فِي
جُوفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَارُونَ يُقَذَّفُونَ ^(٢) إِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ ، يَا غِيَاثُ
الْمُسْتَغِيثِينَ ^(٣) ، يُكْرِّرُهَا مِرَارًا ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا نَادَيْتَاهُ مِرَارًا : يَا لَيْكَ يَا
لَيْكَ ، وَهُوَ يَنَادِي : يَا اللَّهُ يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ : يَا لَيْكَ يَا لَيْكَ ،
وَقَدْفْنَا ^(٤) الْمَرْكَبَ نَحْوَ الصَّوْتِ ، فَالْفَيْنَا هَذَا الرَّجُلَ غَرِيقًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ ،
فَأَخَذْنَاهُ ^(٥) مِنَ الْبَحْرِ ، وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : كُنَّا مُقْلَعِينَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ فَعَرَقَتْ سَفِينَتُنَا
مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَمَا زِلْتُ أَسْبُحُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِالْغَوْثِ مِنْ نَاجِحَتِكُمْ !
فَسَبَّحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا ، وَأَرَقَّ جَبَّارًا فِي قَصْرِهِ لِعَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ
تِلْكَ الظُّلُمَاتِ : ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ ، وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ !

وَأُخْبِرَنِي رَجُلٌ كَانَ إِمَامَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ قَالَ : كُنْتُ بِصِيقَلِيَّةِ أَيَّامَ فَرَسِ
الْعُدُوِّ ، فَزَحَفَ إِلَيْنَا فِي الْبَحْرِ سَفُنٌ تُقَارِبُ مِائَةَ ^(٦) سَفِينَةٍ ، وَأُرْسَتْ فِي السَّاحِلِ ، فَأَرَانَا
أَمْرًا مَهُولًا ، وَفِينَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْعَابِدُ ابْنُ الْمُسْتَطَارِي ^(٧) ، فَلَجَأَ النَّاسُ إِلَيْهِ ،
وَأَسْتَجْمَعُوا حَوْلَهُ يَتَّبِعُونَ بِهِ ، وَيَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ عَلَى يَدَيْهِ ، قَالَ : فَنَظَرُ إِلَى السَّمَاءِ حِينَئِذٍ
وَسَجَدَ وَعَفَّرَ خَدَيْهِ بِالْأَرْضِ يُقَلِّبُهُمَا ^(٨) يَمِينًا وَشِمَالًا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبْنَا حَتَّى هَبَّتْ
رِيحٌ مَرَّقَتْهَا كُلُّ مَمَرٍ ^(٩) ، فَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا اثْنَانِ .

(١) فِي د م : « فِي الْمَرْكَبِ » .

(٢) يُقَذَّفُونَ : يُجَذَّفُونَ .. وَمِنَ الْجَذَافِ ، وَالْيَقْذُفُ ، وَهُوَ : الْجَذَافُ .

(٣) فِي د م : « يَا غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَنَحْنُ نُجِيبُهُ .. » .

(٤) قَدْفْنَا : ذَهَبْنَا .

(٥) فِي د م : « فَاسْتَقْبَيْنَاهُ » .. وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٦) فِي ط : « ثَلَاثُمِائَةٍ » .

(٧) فِي د م : « ابْنُ الْمُسْتَطَارِي » لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

(٨) فِي د م : « يَقْلِبُهَا » لَا يَصِحُّ .

(٩) أَيْ : فَرَّقَتْ سَفُنَ الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ جِهَةٍ .

وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ فَاتِلِكٍ ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : كُنْتُ فِي طَرِيقِ الْحِجَازِ ، فَعَطِشَ النَّاسُ ^(٢) فِي مَفَازَةِ ثُبُوكَ ، فَفَقِدَ ^(٣) الْمَاءَ ، وَلَمْ يُوجَدْ إِلَّا عِنْدَ صَاحِبِ لِي جَمَالٍ ، فَجَعَلَ يَبِيعُهُ بِالذَّنَائِيرِ بِأَرْبَعِ الْأَثْمَانِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ كَانَ مَوْسُومًا بِالصَّلَاحِ ، عَلَيْهِ مُقَطَّعَةٌ ، يَحْمِلُ رِكْوَةً ^(٤) ، وَمَعَهُ شَيْءٌ مِنْ دَقِيقٍ ، فَتَشَفَّعَ بِي إِلَى الْجَمَالِ لِيَبِيعَهُ الْمَاءَ بِذَلِكَ الدَّقِيقِ ، فَكَلَّمْتُهُ فَأَبَى ^(٥) ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ فَأَبَى ، قَالَ : فَبَسَطَ الرَّجُلُ النُّطْعَ فِي الْأَرْضِ وَنَثَرَ عَلَيْهِ الدَّقِيقَ ، ثُمَّ رَمَقَ السَّمَاءَ ^(٦) وَقَالَ : إِلَهِي ، أَنَا عَبْدُكَ ، وَهَذَا دَقِيقُكَ ، وَلَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ ، وَقَدْ أَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَيْهِ فِي النُّطْعِ وَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَبْرَحُ ^(٧) حَتَّى أَشْرَبَ ، فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا حَتَّى نَشَأُ السَّحَابُ ، فَأَمْطَرَ لِلْحَجِينِ ، فَشَرِبَ الْمَاءَ وَلَمْ يَبْرَحْ ، فَكَانَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمْرَيْنٍ ^(٨) لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأُبْرَهُ » ^(٩) .

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُسْنِدٌ مِمَّنْ كَانَ يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ بِالْقَيْرَوَانِ ، يُقَالُ لَهُ : جَرِيرٌ ^(١٠) قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْكَافِي الدِّيَاجِي ، قَالَ : رَأَيْتُ بِالْقَيْرَوَانِ آيَةً عَظِيمَةً ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِصَبِيٍّ ^(١١) لَهُ وَقَدْ أُسْكِنَتْ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ

(١) في (م) : « هائل » مكان « فاتلك » .

(٢) في (م) : « فعطش القاطد » .

(٣) في (م) : « ففقد » .

(٤) في (م) : « عليه قطعة نطع يحمل ركوة » .. والمُقَطَّعَةُ : القصير من الملابس ، وكل ما يُفَصِّلُ وَيُخَاطُ وَيُجَمَّلُ ملابس ، كالقمصان والجبَّاب وغيرها .. والنُّطْعُ : البساط من الجلد .. والرَّكْوَةُ : الإناء الصغير .. وقد مرّت .

(٥) في (ط) : « فَأَبَى عَلَيَّ » .

(٦) السماء : لم ترد في (م) .. وَرَمَقَ السَّمَاءَ : أدام النظر إليها .

(٧) لا يَبْرَحُ : لا أَغَاوِرُ مكاناً .

(٨) في (م) : « رُبُّ ذِي طَمْرَيْنٍ » والطَّمْرُ : الثوب البالي .

(٩) لا يُؤْبَهُ لَهُ : لا يُنْقَضُ إِلَيْهِ ولا يُحْتَفَلُ بِهِ .. وَأُبْرَهُ : أجابه إلى ما أقسم عليه .. والحديث رواه مسلم في كتاب

البر .. والترمذي في المناقب .

(١٠) في (ط) : « حرير » .

(١١) في (م) : « لَصِيٍّ » تحريف .

الرَّحْمَنِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ إِنِّي هَذَا قَدْ أَشْكَيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرَجِّحَ مَا نَزَلَ بِهِ ، قَالَ : فَدَعَا الشَّيْخَ سَاعَةً ، ثُمَّ مَسَحَ وَجْهَ الصَّبِيِّ ، فَاسْتَفَاقَ الصَّبِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ : اكْتُمَاهَا عَلَيَّ إِلَى الْمَوْتِ ، ثُمَّ اتَّفَقَتْ ^(١) إِلَى جَارِيَتِهِ فَقَالَ : اكْتُمِي عَلَيَّ هَذَا ^(٢) إِلَى الْمَوْتِ وَأَنْتِ حُرَّةٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ تَوَفَّى الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِحَنَازَرَتِهِ ، وَتَكَاثَرَتِ الْأُمَمُ ، قَامَ ^(٣) الرَّجُلُ فَاسْتَنْصَتَ النَّاسُ ، فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْفَقِيرِ وَالْأَهْلِ ، اسْمَعُوا قِصَّتِي مَعَ هَذَا الشَّيْخِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعْتَاهُ .

وَحَدَّثَنِي هَذَا الشَّيْخُ قَالَ : نَزَلَ ^(٤) عِنْدَنَا بِالْفَقِيرِ قِصَّةٌ لَمْ يُسْمَعْ فِي السَّالِفِينَ بِمِثْلِهَا ^(٥) ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْجَزَائِرِ أَضْجَعَ كَبْشًا لِيَذْبَحَهُ ، فَتَحَبَّطَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَقْلَتَ مِنْهُ وَذَهَبَ ، فَقَامَ الْجَزَائِرِيُّ يَطْلُبُهُ ، وَجَعَلَ يَمْشِي إِلَى أَنْ دَخَلَ خَرِبَةً ، فَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ مَذْبُوحٌ يَتَحَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَفَرَعَ وَخَرَجَ هَارِبًا ، وَإِذَا ^(٦) صَاحِبُ الشَّرْطَةِ وَالرُّجَالَةُ ^(٧) عِنْدَهُمْ خَبِيرُ الْقَبِيلِ ، وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ خَبِيرَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، فَأَصَابُوا بِيَدِهِ السَّكِينِ وَهُوَ مُلَوَّثٌ بِالدَّمِ ، وَالرَّجُلُ مَقْتُولٌ بِالْخَرِبَةِ ، فَفَقَبَضُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ قَتَلْتَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا زَالُوا يَسْتَطِيقُونَهُ ^(٨) وَهُوَ يَعْتَرِفُ اعْتِرَافًا لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، فَأَمَرَ بِهِ

(١) فِي (م) : : ثُمَّ اتَّفَقَتْ الرَّجُلُ .

(٢) فِي (م) : : اكْتُمِي هَذِهِ عَلَيَّ .

(٣) فِي (م) : : فَقَامَ . وَالْجَنَازَةُ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا : النَعَشُ وَوَرَاءَهُ الشُّشُيْعُونَ .

(٤) نَزَلَ : حَدَّثَ . وَفِي (م) : : نَزَلَتْ .

(٥) فِي (م) : : بِمِثْلِهَا .

(٦) فِي (م) : : فَإِذَا .

(٧) الرَّجَالَةُ : جَمْعُ رَاجِلٍ ، وَهُوَ خِلَافُ الْفَارَسِ .

(٨) يَسْتَطِيقُونَهُ : يَطْلُبُونَهُ مِنْهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِإِسْهَابٍ .

السُّلْطَانُ لِيُقْتَلَ ، فَأُخْرِجَ لِلْقَتْلِ ، وَاجْتَمَعَ الْأُمَمُ لِيُصِيرُوا ^(١) قَتْلَهُ ، فَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ انْدَفَعَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلْفَةِ الْمُجْتَمِعِينَ ^(٢) فَقَالَ لَهُمْ : لَا تَقْتُلُوهُ ، أَنَا قَاتِلُ الْقَتِيلِ ، فَقَبِضَ وَحْمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ فَأَعْتَرَفَ ، وَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ : قَدْ كُنْتَ مُعَافًى مِنْ هَذَا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى الْإِعْتِرَافِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ يُقْتَلُ ظُلْمًا فَكَّرِهْتُ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِدَمِ رَجُلَيْنِ ! فَأَمَرَ بِهِ السُّلْطَانُ فَقُتِلَ ، ثُمَّ قَالُوا لِلرَّجُلِ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، مَا دَعَاكَ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْقَتْلِ وَأَنْتَ بَرِيٌّ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : فَمَا جِئْتَنِي ؟ رَجُلٌ مَقْتُولٌ بِالْخَرِيبَةِ ، وَأَخَذُونِي وَأَنَا خَارِجٌ مِنَ الْخَرِيبَةِ ^(٣) وَبِيَدِي السُّكِينُ مُلَطَّخَةٌ بِالدِّمِّ ، فَإِنْ أَتَكَرَّثَ مَنْ يَقْبَلُنِي ؟ وَإِنْ اِعْتَدَرْتُ مَنْ يَعْذِرُنِي ؟ فَحُلِّي سَبِيلَهُ وَانصَرَفَ مُكْرَمًا .

وَلَمَّا وَزَّرَ ^(٤) فَخَرُ الْمُلْكِ نِظَامُ الدِّينِ لِسُنْجَارِ الْمَلِكِ ^(٥) ، وَكَانَ لِفَخْرِ الْمَلِكِ ابْنُ عَمٍّ يُقَالُ لَهُ شِهَابُ الْمُلْكِ ، وَكَانَ يَخَافُ مِنْهُ عَلَى مَنْزِلَتِهِ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ سُنْجَارُ : لَا حَيَاةَ لِي مَعَكَ إِلَّا أَنْ تُقْتَلَ ابْنُ عَمِّي شِهَابُ الْمُلْكِ ، فَأَبَى سُنْجَارُ ، فَمَا زَالَ يَرَاجِعُهُ إِلَى أَنْ أَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ ^(٦) بِيَهَقُ ، وَكَانَ وَالِي ذَلِكَ الْبَلَدِ ^(٧) يُكْرِمُهُ لِجَلَالَتِهِ وَجَلَالَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَخْلَى لَهُ دَارًا فِي الْقَلْعَةِ مُشْرِفَةً ^(٨) ، ثُمَّ جَعَلَ فَخْرُ الْمُلْكِ يُفْسِدُ قَلْبَ

(١) ليصروا : ليروا وينظروا .

(٢) في « م » : « المجتمعة » وكلاهما صواب .

(٣) في « م » : « في الخربة » .

(٤) وَزَّرَ : صار وزيرًا .

(٥) في « م » : « لسنجار » بدون إضافة « الملك » إليه .. واسمه في ابن الأثير وغيره من المصادر : « سُنْجَر » وفخر المُلْك هو : علي بن الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو المظفر ، فخر المُلْك ابن نظام المُلْك .. وزير ، وأصل أبيه من طوس .. تولى الوزارة للسُّلْطَان « بركيارق » سنة ٤٨٨ هـ ، ثم فارقه قاصدًا نيسابور ، فامتوزره صاحبها الملك « سنجار » فاغتاله فيها أحد الباطنية . وكان أكبر أولاد نظام المُلْك .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٧٣] .

(٦) في « ط » : « لها » .. وَيَهَقُ : لفظه فارسية معناها : الأجود .. وهي كورة واسعة ، كانت كثيرة البلدان والعمارة ، من نواحي نيسابور . [انظر معجم البلدان - مادة يهق] .

(٧) في « م » : « تلك البلدة » .

(٨) مُشْرِفَةٌ : عالية .

سَنَجَارَ وَيَحْمِلُهُ عَلَى قَتْلِ شِهَابِ الْمُلْكِ ، إِلَى أَنْ أُرْسَلَ سَنَجَارُ إِلَى وَالِيهِ يَقْتُلُ شِهَابِ الْمُلْكِ ، فَاسْتَغْطَمَ الْوَالِي قَتْلَهُ وَأَخْرَجَهُ أَبَانًا ، ثُمَّ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ قَتْلِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَبَيَّنَّا شِهَابِ الْمُلْكِ يَطْلُعُ مِنْ طَاقَاتِ الدَّارِ ، إِذَا ^(١) بِفَارِسٍ يَرْكُضُ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مِنْهُ ، وَقَالَ : هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَنِي ^(٢) ، فَوَصَلَ الْفَارِسُ وَقَالَ : مَاتَ فَخْرُ الْمُلْكِ ، فَخَلَّى سَبِيلَ شِهَابِ الْمُلْكِ ، ثُمَّ وَزَرَ ^(٣) لِسَنَجَارٍ ! فَسَبَّحَانَ الْفَعَالِ لِمَا يُرِيدُ .

أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُعَبِّرُ بِمَصْرَ قَالَ : كَانَ بِمَصْرَ مُلُوكُ بَنِي حَمْدَانَ ^(٤) ، وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ ^(٥) ، وَكَانَ يَشْكُو وَجَعَ الْقَوْلُجِ ^(٦) ، فَأَعْيَا الْأَطِبَّاءَ وَلَمْ يَوْجِدْ لَهُ شِفَاءً ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ ، فَأَرْصِدَ لَهُ رَجُلٌ مَعَهُ خِنْجَرٌ ، فَلَمَّا جَاءَ ^(٧) فِي بَعْضِ ذَهَالِيزِ الْقَصْرِ ، وَتَبَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخِنْجَرِ ، فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ فِي أَسْفَلِ خَاصِرَتِهِ ^(٨) فَاصْطَابَ طَرَفُ الْخِنْجَرِ الْيَمْنَى الَّذِي هُوَ الْقَوْلُجُ ، فَخَرَجَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلِيطِ ^(٩) ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَصَحَّ وَبَرِيَءَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ .

(١) في د م : « وإذا » .

(٢) في د م : « يريد قتلي » .

(٣) في د م : « ثم ولى لسنجار » .

(٤) ملوك بني حمدان يُنسبون إلى مؤسس دولتهم حمدان بن حمدون الذي كان عاملاً على الموصل للمعتضد بالله العباسي .. ولَّى المباسيون الحمدانيين في الموصل وأرض الجزيرة والشام ، ثم استقل الحمدانيون بالأمر ، وبسطوا سلطانهم على حلب وشمال سورية في عهد علي بن عبد الله سيف الدولة ، وكانت بداية انحطاطهم في عهد سعد الدولة ، وقضى عليهم الفاطميون .

(٥) ناصر الدولة هو : الأمير أبو علي الحسن الحمداني ، نشأ بمصر ، وولى فيها قيادة جيوش المستنصر لدين الله الفاطمي .

(٦) القولنج : مرض يَوقَى يصعب معه خروج البراز والريح ، وسببه التهاب القولون (اليمى الغليظ الضيق الذي يتصل بالمستقيم) .

(٧) في د م : « فلما كان » .

(٨) في د م : « أسفل في خاصرته » والخاصرة : ما بين رأس الزورك وأسفل الأضلاع .. وهما خاصرتان .

(٩) قوله : « من الخلط » عن « ط » .

وَلَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ تَزَلْتُ سَفْنُ الْعُلُوِّ بِسَاحِلِ مَدِينَةِ بَرْقَا ^(١) ، فَأَخَذُوا قَوْمًا
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ وَأَسْرَوْا بَعْضَهُمْ ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَشَدَّ كِتَافَهُ مِنْ
 خَلْفِهِ ^(٢) ، فَلَمَّا نَهَبُوا السَّفِينَةَ عَمَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَعْلَاجِ ^(٣) قَرْفَسَهُ وَالْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ،
 ثُمَّ طَعَنَهُ بِرُمْحٍ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُخْطِئْ ^(٤) نَصْلُ الرُّمَحِ حَبْلَ الْكِتَافِ فَقَطَعَهُ وَانْحَلَّتْ
 يَدُ الرَّجُلِ ، فَسَبَّحَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّاطِئِ سَلِيمًا ، وَوَصَلَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي عَاقِبَةِ
 وَحَدَّثَنِي بَعْضُ الشَّامِيِّينَ أَنَّ رَجُلًا خَبَرَا ^(٥) يَتِمَّا هُوَ يَخْبِزُ فِي ثَنُورِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ
 إِذْ عَبَّرَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَبِيعُ الْمِشْمِشَ ^(٦) ، قَالَ : فَاسْتَتَرَى مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ بِالْخُبْزِ
 الْحَارَّ ، فَلَمَّا قَرَعَ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَتَنَظَّرُوا ^(٧) فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ ، فَجَعَلُوا يَتَرَبَّصُونَ
 بِهِ ، وَيَحْمِلُونَ لَهُ الْأَطِبَّاءَ فَيَلْمِسُونَ دَلَالَتَهُ وَمَوَاضِعَ ^(٨) الْحَيَاةِ مِنْهُ ، فَقَضَوْا بِأَنَّهُ
 مَيِّتٌ ، فَفُتِّلَ وَكُفِّنَ وَحُمِلَ إِلَى الْجَبَانَةِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ خَارِجُونَ بِهِ مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ
 اسْتَقْبَلَهُمْ رَجُلٌ طَيِّبٌ يُقَالُ لَهُ : الْبُهِرِيُّ ، وَكَانَ طَيِّبًا مَاهِرًا حَازِقًا بِالطُّبِّ ، فَسَمِعَ
 النَّاسَ يَلْهَجُونَ بِقِصَّتِهِ ^(٩) فَقَالَ لَهُمْ : حُطُّوهُ حَتَّى أَرَاهُ ، قَالَ : فَحَطُّوهُ ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ
 وَيَنْظُرُ فِي أَمَارَاتِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا ، ثُمَّ فَتَحَ فَمَهُ وَسَقَفَهُ شَيْئًا ، أَوْ قَالَ : حَقَنَهُ ،
 فَأَنْدَفَعَ مَا هُنَالِكَ سَيْلًا ، وَإِذَا الرَّجُلُ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَتَكَلَّمَ ، وَعَادَ كَمَا كَانَ إِلَى دُكَّانِهِ .

(١) « بَرْقَة » هكذا في « م » وفي مجمع البلدان .. وفي « ط » : « بَرْقَا » بالألف .. وهي اسم صنم كبير
 يشتمل على مئذنة وقرى بين الإسكندرية وإفريقية .

(٢) في « م » : « وَشَدَّ كِتَافَهُ وَخَلَفَهُ » .. والكتاف : ما شُدَّ به ، من حبل ونحوه .

(٣) أى : قَصَدَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّجَالِ الْغِلَاطِ الْأَشْدَاءِ .

(٤) في « م » : « فَلَمْ يُخْطِئْ » .

(٥) في « م » : « وَكَانَ رَجُلًا خَبَرَا » .. والثَنُور : الفرن .

(٦) المِشْمِش : الفاكهة المعروفة ، وهو مثلث اليمين .

(٧) في « م » : « فَتَنَظَّرَ » .

(٨) في « م » : « وَمَوَاضِعَ » .

(٩) يلهجون بقِصَّتِهِ : يَرُدُّونَهَا .

وَكَانَ رَجُلٌ يَمْشِي بِنَعْدَادٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِدَارٍ قَدْ وَقَعَتْ ^(١) عَلَيْهِ فَخَرَّتْ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا فِي الْحَائِطِ طَاقَةٌ فَمَا أَخْطَأَتْ رَأْسَهُ ، فَصَارَتْ الدَّارُ كَوْمًا ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنَ الطَّاقَةِ سَلِيمًا .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ : كُنْتُ بِالْيَمَنِ فِي أَرْضِ الصُّلَيْحِيِّ ^(٢) فَوُشِيَ بِي إِلَى السُّلْطَانِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِي ، فَأَخْرَجْتُ وَقُدِّمْتُ ^(٣) لِلْقَتْلِ ، وَتَرَكَنِي السَّيَافُ ثُمَّ قَالَ لِي ^(٤) : مَدَّ رَقَبَتَكَ ، فَمَدَدْتُ عَنْقِي لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ قَالَ لِي السَّيَافُ : اسْتَنْدُ ، فَقُلْتُ : دُونَكَ يَا هَذَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا بِصَائِحٍ مِنْ دَاخِلِ الْقَصْرِ : لَا تَقْتُلُوهُ ، لَا تَقْتُلُوهُ ، فَخَلُّوا سَبِيلِي ^(٥) .

وَجَرَتْ بِقُرْطَبَةَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا يُعْرَفُ بِقَاسِمٍ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّنْبَسِيِّ ^(٦) شَهِدَ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ ، فَحَبَسَهُ الْمَنْصُورُ مُدَّةً مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ مِنْ وَجْهِ قُرْطَبَةَ يَرْمُقُونَ ^(٧) بِالْإِنْهَمَاكِ فِي الزُّنْدَقَةِ ^(٨) ، وَكَانَ يُنَادِي عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يُوقَفُونَ إِثْرَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِيَابِ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ فِيهِمْ فَلْيُؤَدِّهَا . فَجَبَّتْ عَلَى قَاسِمٍ عِنْدَ الْقَاضِي سِجِلُ شَهَادَاتِ الشُّهُودِ ^(٩) بِأَلْوَاعٍ مُنْكَرَةٍ ^(١٠) تَتَضَمَّنُ الزُّنْدَقَةَ وَالْكَفْرَ ، فَطَلَعُوا إِلَى الْقَصْرِ وَعَقَلُوا مَجْلِسًا

(١) في م : « إذا بدار وقعت » .

(٢) الصُّلَيْحِيُّ : نسبة إلى الصُّلَيْحِيِّين ، وهم سُلالة حكمت اليمن ، وكانت تابعة للخلافة الفاطمية .

(٣) في م : « وقُدِّمْتُ » .

(٤) في م : « وقال لي » .

(٥) في م : « لا تقتلوه واخلوا سبيله » .

(٦) نسبه إلى « سَبَس » وهو أبو حنن من طليء .

[انظر لسان العرب - مادة : سَبَس .. والأعلام ج ٦ ص ١١٦ ترجمة السَّنْبَسِيِّ « محمد بن خليفة »] .

(٧) هكذا في م .. ويرمقون : يتهمون . أو يُنظر إليهم شئراً نظر العداوة .. وفي ط : « مرمقون » بالرفع ، على أنها خبر لمبتدأ مخذوف ، والأفضل فيها الجبر على الوصفية .

(٨) في ط : « بالإنهماك والزندقة » .

(٩) في م : « سيجل الشهادات من الشهود » .

(١٠) « مُنْكَرَةٌ » عن ط .

عَظِيمًا ^(١) ، وَاسْتَشِيرَ الْفُقَهَاءَ فِيهِ ، فَأَوْجِبُوا قَتْلَهُ ، فَاسْتَحْضَرَ قَاسِمٌ فَحَضَرَ ، وَحَضَرَ
أَبُوهُ ، وَحَضَرَ ابْنَانِ صَغِيرَانِ لِقَاسِمٍ ، وَلِيسُوا ثِيَابَ الْحِدَادِ ، وَحَمَلَ أَبُوهُ مَعَهُ نَعْشًا
وَحَمَالِينَ ^(٢) ، وَجَعَلَ أَبُوهُ وَالصَّبِيَّانَ يَكُونُ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ ، وَأَخْضَرَ ^(٣) لِيَضْرِبَ
عُنُقَهُ سَيْفٌ يُعْرِفُ بِأَبْنِ الْجُنْدِيِّ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ أَسْيَافٌ مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَعَلَ يُرْوِزُهَا
وَيَلْمِسُ شِفَارَهَا ^(٤) ، وَأَبُوهُ وَابْنَاهُ يَنْظُرُونَ ^(٥) ، وَحَضَرَ الْفَقِيهَ أَبُو عَمْرٍو الْمَكُودِيُّ
الْإِشْبِيلِيُّ ^(٦) عَلَى كُرْهِ مِنْهُ ، وَكَانَ يَأْتِي الْحُضُورَ ، فَاسْتَفْتَوْهُ فَقَالَ : يَا هَوْلَاءِ ، إِنَّ
الدَّمَاءَ لَا تُسْفَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ الْوَاضِعِ ^(٧) دُونَ الشُّبْهِ ، احْسَبُوا أَنَّ السَّنْبِسِيَّ قُرُوجًا ،
بِمَاذَا تَذْبَحُونَهُ ^(٨) ؟ فَقَالَ الْقَاضِي ابْنُ الشَّرَفِيِّ : بِمَا ثَبَتَ عِنْدِي وَأَمْنَعْتُ النَّظَرَ فِيهِ .
قَالَ الْفَقِيهَ : أَوْقِفْنِي عَلَيْهِ . فَأَخَذَ السَّجْلَ وَنَظَرَ فِيهِ فَقَالَ : أَخْبِرْنِي بِمَنْ قَتَلْتَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ
الشُّهُودِ ؟ قَالَ بِهِذَا وَهَذَا ، حَتَّى عَدَّ خَمْسَةً . قَالَ الْفَقِيهَ : فَجَمِيعِهِمْ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ :
نَعَمْ ^(٩) . قَالَ : فَلَوْ شَهِدَ مِنْهُمْ اثْنَانِ خَاصَّةً كُنْتَ تَقْتُلُهُ ؟ قَالَ لَا ، إِنَّمَا قَوَى بَعْضُهُمْ
بَعْضًا ، وَزَكَّى أَكْثَرُهُمْ عِنْدِي . فَالْتَفَتَ الْفَقِيهَ إِلَى الْفُقَهَاءِ الْمَشَاوِرِينَ فَقَالَ ^(١٠) :

(١) في م : : : وعقيد مجلس عظيم .

(٢) في م : : : نمش وحمالون ، بالرفع ، لاتصح .. والصواب بالنصب على المفعولية .

(٣) في م : : : فأخضر .

(٤) يروضا : يختبرها ويجربها .. وشفارها : خذها وحروفها .

(٥) في ط : : : ينظرون .

(٦) في م : : : أبو عمرو بن الملوى الإشبيلي ، لم أقف على ترجمة له .

(٧) الواضح : عن ط .

(٨) في م : : : تذبحوه ، لاتصح .

(٩) من قوله : : قال نعم ، إلى : تقتله ، عن ط : : وساقط من م .

(١٠) في ط : : : فقالوا . .. والأول هو المراد .

يَا هَوْلَاءِ ، بِالْذَّاعِمِ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَكُمْ وَتُسْفِكُ ^(١) دِمَاؤَهُمْ ، فَلَسْتُ أَرَى قِتْلَهُ
وَلَا أَشِيرُ بِهِ .

فَرَجَعَ الْفَقَّاهُ إِلَى قَوْلِهِ وَلَمْ يَرَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا بَعْدَمَا اقْتَرَا بِقَتْلِهِ مِنْذُ سِتِّهِ أَشْهُرٍ ، فَانْقَضَ
الْجَمْعُ وَشِيمَ السَّيْفِ ^(٢) وَطَارَ الْبَشِيرُ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فَأَخْبَرَهُ بِالْمَجْلِسِ ، فَقَالَ ابْنُ
أَبِي عَامِرٍ : مَضَيْتُمْ تَقْتُلُونَ ابْنَ السَّنْبَسِيِّ ، فَدَقَقْتُمْ الْقَاضِيَّ .. قَدْ اجْتَهَدْنَا لِلَّذِينَ وَلَا قَاتِلَ
لِمُوجِلٍ ، فَحَبَسَ أَيْامًا ثُمَّ أَطْلَقَ ، فَكَانَ ابْنُ ذَكْوَانَ الْفَقِيهَ يَقُولُ لِلْقَاضِي فِي مِثْلِ هَذَا
إِذَا سُئِلَ ^(٣) : بِمَ عَرَفْتَ اللَّهَ ؟ قَالَ : بِتَقْضِيهِ عَزَائِمِي ، وَمَعْنَى الذَّاعِمِ عَلَى لِسَانِ
الْفَقِيهِ ، هُمُ الشُّهُودُ الَّذِينَ لَوْ انْفَرَدَ مِنْهُمْ اِثْنَانِ لَمْ يَثْبُتِ الْحُكْمُ ، وَلَا قَبْلًا فِيهِ ، فَإِذَا
كَثُرُوا قَوَّى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَثْبُتُ الْحُكْمُ بِهِمْ .

وَفِي تَقْيِيزِ هَذَا حَدَّثَنِي ^(٤) الْقَاضِي أَبُو مَرْوَانَ الدَّائِي بِطَرُوشَةَ ، وَقَدْ وَلَّى
قَضَاءَهَا ، فَقَدْ أَكْرَأَ ^(٥) يَوْمًا فَقَالَ : تَرَلْتُ قَافِلَةً بِقَرْيَةِ خَرِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ دَايَةِ ^(٦) فَأَوَّوْا
إِلَى دَارِ خَرَابٍ هُنَاكَ لَيْسَتْ كُنُوزًا ^(٧) مِنَ الرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ ، وَاسْتَوْقَدُوا نَارَهُمْ ، وَسَوَّوْا
مَعِيشَتَهُمْ ، وَفَرَّبَ تِلْكَ الْخَرِيَّةَ حَائِطٌ مَائِلٌ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْوُقُوعِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ
لِأَهْلِ الْقَافِلَةِ : يَا هَوْلَاءِ ، لَا تَقْعُدُوا تَحْتَ هَذَا الْحَائِطِ وَلَا تَدْخُلُوا هَذِهِ الْبُقْعَةَ ، فَأَبَوْا
إِلَّا دُخُولَهَا ، وَبَاتَ الرَّجُلُ مُتَنَبِّدًا ^(٨) خَارِجًا عَنْهُمْ ، لَمْ يَقْرَبْ ذَلِكَ الْمَكَانَ ، ثُمَّ
أَصْبَحُوا فِي عَافِيَةٍ ، وَحَمَلُوا ذَوَابَهُمْ ، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الرَّجُلُ الْخَرِيَّةَ

(١) فِي « ط » : « وَتُسْفِكُ » .

(٢) شِيمَ السَّيْفِ : أَعْيَدَ .

(٣) فِي « ط » : « فِي مِثْلِ هَذَا قَالَ الْقَاتِلُ : إِذَا سُئِلَ » .

(٤) فِي « ط » : « مَا حَدَّثَنِي » .

(٥) فِي « م » : « فَذَكَرَ » .

(٦) دَايَةِ : مَدِينَةُ بِالْأَنْدَلُسِ ، كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَةِ عَلَى ضِفَةِ الْبَحْرِ شَرْقًا .

(٧) لَيْسَتْ كُنُوزًا : لَيْسَتْ رَوَا .

(٨) مُتَنَبِّدًا ، أَيْ : مُتَخَذًا مَكَانًا بَعِيدًا عَنِ الْقَوْمِ وَمُنْعَزِلًا عَنْهُمْ .

لَيْسَتْ وَقَدْ^(١) يَبْقَى النَّارِ ، فَخَرَّ عَلَيْهِ الْحَائِطُ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ^(٢) .

وَلَمَّا لَمِنِي عَنْ بَعْضِ الْفَقَهَاءِ أَنَّ جَيْشَنَا مِنَ الْجَبُوشِ كَانَ بِصِفْلِيَّةٍ نَاهِيَةً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَقَعَدُوا سَاعَةً لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَإِذَا عَقَرَبَ يَدَبُ^(٣) ، فَضَرَبَهُ بَعْضُ الْأَجْنَادِ بِمِقْرَعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ الْمِقْرَعَةَ إِلَى نَحْوِ عُنُقِهِ ، فَإِذَا بِالْعَقَرَبِ قَدْ^(٤) تَشَبَّثَ بِأَهْدَابِ الْمِقْرَعَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَلَدَغَتْهُ فِي عُنُقِهِ ، فَقَضَى مَكَانَهُ^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ بِعُدَادَةِ جُزْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ فِي حَاثُوتِ رَجُلٍ يَبِيعُ الْعِطْرَ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَهُ فِي الْحَاثُوتِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الطَّوَّافِينَ مِنْ بَيْعِ الْعِطْرِ فِي طَبَقِ^(٦) يَحْمِلُهُ فِي يَدِهِ ، فَأَعْطَاهُ^(٧) عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيَّ^(٨) أَشْيَاءَ سَمَّاهَا مِنَ الْعِطْرِ ، فَأَخَذَهَا فِي طَبَقِهِ وَمَسَى ، فَسَقَطَ الطَّبَقُ مِنْ يَدِهِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ ، فَكَى الطَّوَّافُ وَجَزَعَ حَتَّى رَحِمْنَاهُ ، فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : لَعَلَّكَ تُجَبِّرُ لَهُ^(٩) بَعْضَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ ، قَالَ : نَعَمْ . فَتَزَلَّ وَجَمَعَ مَا تَجَمَّعَ مِنْهَا ، وَجَبَّرَ لَهُ مَا نَقَصَ ، وَأَقْبَلَ^(١٠) الشَّيْخَ عَلَى الطَّوَّافِ يُصَبِّرُهُ وَيَقُولُ لَهُ : لَا تُجَزَّغْ ، فَأَمُرُّ

(١) في م : : ليسخن .

(٢) في م : : فقتله .

(٣) في م : : تدب ، وكلاهما صواب ، فالعقرب تطلق على الذكر والأنثى ، فإذا أريد تأكيد التذكير ، قيل : عقربان ، بضم العين والراء .

(٤) في م : : حتى ، مكان قد ، تحريف .

(٥) قضي : فمات .. وفي م : : فلدغته فمات مكانه .

(٦) من قوله : : فيينا إلى هنا عن م : .. ومكانها في ط : : فجاء رجل طواف بطق .

(٧) في ط : : وأعطاه .

(٨) في م : : ادفع لي .

(٩) في ط : : تخبر لنا ، من جبر الشيء ، إذا أخذ في سبيل إصلاحه وتعريضه .

(١٠) في م : : فأقبل .

الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الطَّوْافُ : أَتَطْلُبُ أَيْهَا الشَّيْخُ أَنْ جَزَعِي لِضِيَاعٍ مَا ضَاعَ ؟
لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنِّي ^(١) كُنْتُ فِي الْقَافِلَةِ الْفَلَانِيَّةِ ، فَضَاعَ لِي هِمَيَانٌ ^(٢) فِيهِ أَرْبَعُمِائَةٍ
دِينَارٍ ، أَوْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ - الشُّكُّ مِنْ أَبِي ذَرٍّ - وَمَعَهَا فُصُوصٌ قِيمَتُهَا مِثْلُ ذَلِكَ ،
فَمَا جَزَعْتُ لِضِيَاعِهَا ^(٣) ، وَلَكِنْ وَلَدْتُ لِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجْتُ ^(٤) فِي الْبَيْتِ
إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّفْسَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الْعَشْرَةِ الدَّرَاهِمِ ^(٥) ، فَأَشْفَقْتُ
أَنْ أَشْتَرِيَ بِهَا خَوَاتِجَ النَّفْسَاءِ فَأَبْقَى ^(٦) بَغِيرَ رَأْسِ مَالٍ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى التَّكْسِبِ ،
فَقُلْتُ : أَشْتَرِي بِهَا شَيْئًا وَأَطُوفُ بِهِ صَدْرَ نَهَارِي ^(٧) فَحَسَى اسْتَفْضِيلُ مِنْهُ شَيْئًا أَسَدُّ
بِهِ رَمَقٌ أَهْلِي ^(٨) وَيَتَقَى ^(٩) رَأْسَ الْمَالِ أَتَصَرَّفُ فِيهِ ، فَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِضِيَاعِهِ
جَزَعْتُ ، فَقُلْتُ : لَا عِنْدِي مَالٌ أَرْجِعُ بِهِ ^(١٠) إِلَيْهِمْ ، وَلَا مَا أُكْسِبُ بِهِ ، وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ لَمْ يَتَّقْ لِي إِلَّا الْفِرَارَ مِنْهُمْ وَتَرْكُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَهْلِكُونَ بَعْدِي ، فَهَذَا الَّذِي
أَوْجَبَ جَزَعِي ..

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ جَالِسًا عَلَى بَابِ دَارِهِ يَسْتَوْعِبُ
الْحَدِيثَ ، فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : أَنَا أَرْغَبُ إِذَا تَمَتُّمْتُ أَمْرَهُ ^(١١) أَنْ تَدْخُلَ مَعَهُ

(١) « تعالى » عن « ط » وفيها : « متى » مكان « أنى » .

(٢) هِمَيَانٌ : كَيْسٌ لِلتَّفَقُّعِ يُشَدُّ فِي الْوَسْطِ .

(٣) فِي « م » : « فَمَا جَزَعْتُهَا » .

(٤) فِي « م » : « وَلَكِنْ طَلَعْتُ لِي اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ فَاحْتَاجُ .. » .

(٥) فِي « م » وَ « ط » : « الْعَشْرَةُ دِرَاهِمٍ » .

(٦) فِي « م » : « وَأَبْقَى » .

(٧) فِي « ط » : « وَأَطُوفُ صَدْرَ نَهَارِي » .

(٨) فِي « ط » : « اسْتَفْضِلُ شَيْئًا أَسَدُّ بِهِ رَمَقِي » .

(٩) فِي « م » : « وَرَمَقٌ » كَمَا « وَيَتَقَى » تَحْرِيفٌ .

(١٠) فِي « م » : « مَا عِنْدِي مَا أَرْجِعُ بِهِ » .

(١١) فِي « م » : « فَقَالَ لِلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ : إِذَا تَمَتُّمْتُ أَمْرَهُ فَأُرِيدُ .. » .

عِنْدِي ، وَقَامَ ، فَظَنَّنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ ^(١) شَيْئًا ، قَالَ : فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَنَا ،
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ لِلطَّوْافِ : عَجِبْتُ مِنْ جَزَعِكَ ! فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ :
وَكُنْتُ فِي تِلْكَ الْقَافِلَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَانَ بِهَا مِنْ عِظَامِ النَّاسِ ^(٢) فُلَانٌ وَفُلَانٌ ،
فَعَلِمَ الْجُنْدِيُّ صِحَّةَ قَوْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا عَلَامَةُ الْهِمَيَّانِ ؟ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ سَقَطَ
مِنْكَ ؟ فَوَصَفَ ^(٣) الْمَكَانَ وَالْعَلَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنْدِيُّ : لَوْ رَأَيْتُهُ كُنْتُ تَعْرِفُهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ . فَأَخْرَجَ الْجُنْدِيُّ هِمَيَّانًا ^(٤) وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ ^(٥) : هَذَا هِمَيَّانِي ،
وَعَلَامَتُهُ صِحَّةُ قَوْلِي أَنَّ فِيهِ مِنَ الْأُحْجَارِ مَا صِفْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، فَفَتَحَ الْهِمَيَّانَ فَوَجَدَ
الْأُحْجَارَ عَلَى مَا ذَكَرَ ، فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : خُذْ مَا لَكَ ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ ، فَقَالَ الطَّوْافُ :
هَذِهِ الْأُحْجَارُ قِيمَتُهَا مِثْلُ الدَّنَانِيرِ أَوْ أَكْثَرُ ، فَخُذْ أَنتَ الدَّنَانِيرَ ، فَتَمَسَّى طَيِّبَةً بِذَلِكَ .
فَقَالَ الْجُنْدِيُّ : لَا آخُذُ ^(٦) عَلَى أَمَانَتِي شَيْئًا . فَدَخَلَ الطَّوْافُ وَهُوَ مِنَ الْفُقَرَاءِ ،
وَخَرَجَ وَهُوَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ . فَبَكَى الْجُنْدِيُّ بُكَاءً شَدِيدًا وَاتَّحَبَ ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ
أَبُو حَفْصٍ : عَلَامٌ ^(٨) تَبْكِي وَقَدْ أَدَّى اللَّهُ أَمَانَتَكَ ، وَقَدْ بَدَّلَ لَكَ مَالًا كَثِيرًا ، وَإِنْ
شِئْتَ عَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُعِيْدَهُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَبْكِي لِذَلِكَ ، وَلَئِنَّمَا أَبْكِي لِأَنِّي أَعْلَمُ
أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ بَقِيَ ^(٩) أَمَلٌ أَوْ مَلَّةٌ وَلَا أُمْنِيَّةٌ أَتَمْنَاهَا إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنِي

(١) فِي م : : يريد يعطيه .

(٢) فِي م : : وكنت في تلك القافلة ، وكان بها من أعلام الناس .

(٣) فِي م : : ووصف .

(٤) فِي م : : هيمان ، بالرفع ، لا تصح .

(٥) فِي م : : قال .

(٦) فِي م : : ما كنت آخذ .

(٧) الانحاب : البكاء الشديد .

(٨) فِي م : : على ما والصواب : وصل ما بحرف الجر وحذف ألفها ، وقد سبق التعليق عليها .

(٩) فِي م : : وإنه ما كان بقي لي .

الله بِصَاحِبِ هَذَا الْمَالِ فَيَأْخُذْهُ ^(١) ، فَلَمَّا قَضَى اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِفَضْلِهِ وَلَمْ يَتَّقِ لِي أَمَلٌ ، عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ حَانَ أَجَلِي . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرٍّ : فَمَا انْقَضَى شَهْرٌ حَتَّى تُوفِّي وَصَلَيْنَا عَلَيْهِ .

قَالَ الْقَاضِي ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ ^(٢) بِالْمَوْصِلِ ، قَالَ : لَقَدْ جَرَتْ هَاهُنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَهَذِهِ الدَّارِ وَهَذَا الْحَاوُتِ ^(٣) - وَأَشَارَ إِلَيْهَا - قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ ، كَانَ يَسْكُنُ هَذِهِ الدَّارَ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ مِمَّنْ يُسَافِرُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي تِجَارَةِ الْخَزْرِ ، فَيَتِمَّا هُوَ يُحْمَلُ الْخَزْرُ فِي خُرْجِهِ ^(٤) عَلَى حِمَارِهِ ^(٥) وَهُوَ جَمِيعُ مَالِهِ ، تَزَلَّتِ الْقَافِلَةُ ، فَأَرَادَ إِنْزَالَهُ عَنِ الْحِمَارِ ، فَثَقُلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ إِنْسَانًا هُنَاكَ فَأَعَانَهُ عَلَى إِنْزَالِهِ ، ثُمَّ جَلَسَ يَأْكُلُ ، فَاسْتَدْعَى ذَلِكَ الرَّجُلَ لِيَأْكُلَ مَعَهُ ، فَأَجَابَهُ وَأَكَلَ مَعَهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ لِأَمْرِ أَرْعَجَهُ ذُو رَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : تَكُونُ مَعِيَ وَتُعِينَنِي عَلَى سَفَرِي وَتَكُونُ طَعَامَكَ عِنْدِي ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي حَرِيصٌ عَلَى خِدْمَتِكَ وَمُحْتَاجٌ إِلَى طَعَامِكَ .

فَسَارَ مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ ، فَعَزَمَهُ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، قَالَ : فَوَصَلَا تَكْرِيتَ ^(٦) ، فَتَزَلَّتِ الرُّفْقَةُ ^(٧) خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلْخَادِمِ : احْفَظْ رَحَلَتَا حَتَّى أَدْخُلَ وَأَشْتَرِيَ حَاجَتَنَا ، ثُمَّ دَخَلَ وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، فَأَبْطَأَ هُنَاكَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَجِدِ الرُّفْقَةَ وَلَا وَجَدَ صَاحِبَهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمَّا رَحَلَتْ

(١) في م : : « بصاحب هذا الهنيان فيأخذ ماله » .

(٢) في م : : « أبو القاسم بن حبش » .

(٣) في ط : : « والحانوت » وهو دكان البائع .

(٤) في م : : « يُعْزَلُ الْخَزْرُ » .. والخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ذو عِذْلَيْنِ ، يوضع على ظهر الدابة

لوضع الأمتعة فيه .

(٥) في م : : « على حمار له » .

(٦) تكريت : مدينة في العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالي سامراء .

(٧) في م : : « ونزلت القافلة » .. والرُّفْقَةُ : الصحبة .

الرُّفْقَةُ ^(١) رَحَلَ مَعَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْعَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرُّفْقَةِ بَعْدَ الْجَهْدِ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَقَالُوا : مَا جَاءَ مَعَنَا وَلَا رَأَيْنَاهُ ، وَلَكِنَّهُ ارْتَحَلَ الْأَسْبَابَ عَلَى الْحِمَارِ وَدَخَلَ ^(٢) عَلَى إِثْرِكَ ، وَظَنْنَاكَ أَمْرَهُ بِذَلِكَ .

فَكَرَّ الرَّجُلُ رَاجِعًا إِلَى تِكْرِيتَ وَسَأَلَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا ، وَلَا سَمِعَ لَهُ خَبِيرًا ، فَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَسَارَ إِلَى الْمُوصِلِ مَسْلُوبَ الْمَالِ ، فَوَافَاهَا ^(٣) نَهَارًا جَائِعًا غُرِيانًا فَقِيرًا مَجْهُودًا ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يَدْخُلَ نَهَارًا فَيَشْمَتَ الْعَدُوُّ وَيَحْزَنُ الصَّدِيقُ ، فَبَيَّ حَتَّى أَمْسَى ثُمَّ دَخَلَ فَدَقَّ بَابَ الدَّارِ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ فَلَانٌ ، يَعْنِي نَفْسَهُ ، فَأَظْهَرُوا سُرُورًا عَظِيمًا وَحَاجَةً إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ ^(٤) ، حَمَلْتَ جَمِيعَ مَالِكَ ، وَطَالَ سَفَرُكَ ، وَاحْتَاجَ ^(٥) أَهْلُكَ ، وَقَدْ وُلِدْتَ ^(٦) الْيَوْمَ وَلَدًا ، وَوَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا مَا نَشْتَرِي بِهِ شَيْئًا لِلتُّسْغَاءِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ طَافِيَةً عَلَى حَالِهَا ^(٧) فَتَحَيَّلَ لَنَا فِي ذَقِيقِي وَدُهْنِ تُسْرُجٍ بِهِ ^(٨) ، فَلَا سِرَاجَ عِنْدَنَا . فَرَادَهُ ذَلِكَ غَمًّا ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِحَالِهِ فَيَحْزَنَهُمْ .

وَأَخَذَ ^(٩) وَعَاءً لِلزَّيْتِ وَجَرَّابًا لِلذَّقِيقِ ، وَخَرَجَ إِلَى هَذَا الْحَاثُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ

(١) في م : : « القافلة » .

(٢) في م : : « ودخل المدينة .. وارتحل الأسباب على الحمار : جعل عليه الرحل .

(٣) فوافها : فأتاها وأدركها .

(٤) في ط : : « والحاجة والفاقة » .

(٥) في م : : « فاحتاج » .

(٦) وُلِدْتَ : أنجبت لك زوجتك .

(٧) طافية على حالها ، أي : باتت جائعة .. وتَحَيَّلَ ، أي : استعمل الحيلة في أن تأتى لنا ذقيق .. الخ .

(٨) ودهن تُسْرُجٍ به ، أي : وزيت نوقد به المصباح .

(٩) في م : : « فأخذ » .

رَجُلٌ يَبِيعُ الدَّقِيقَ وَالرَّيْثَ وَالْعَسَلَ وَنَحْوَهُ ، وَقَدْ أَغْلَقَ دُكَّانَهُ وَأَطْفَأَ مِصْبَاحَهُ
وَنَامَ ، فَتَنَادَاهُ ، فَأَجَابَهُ وَعَرَفَهُ ، وَشَكَرَ ^(١) اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِهِ ، فَقَالَ التَّاجِرُ
لِصَاحِبِ الْحَاثُوتِ : أَقْدَحَ زَنَادًا ^(٢) أَرِنُ لَكَ الدَّرَاهِمَ فِي دَقِيقٍ وَزَيْتٍ وَعَسَلٍ
اخْتَبْتُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِتَأْخِيرِ الثَّمَنِ فَيَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَقَدَحَ النَّبَّاحُ
الرَّنَادَ وَاسْتَصْبَحَ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : زِنْ لِي مِنَ الدَّقِيقِ كَذَا ، وَمِنَ الرَّيْثِ
كَذَا ، وَمِنَ الْعَسَلِ كَذَا ، وَمِنَ السَّنَنِ كَذَا ، وَمِنَ الْمِلْحِ كَذَا ، وَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ ^(٤) إِذْ حَاتَتْ مِنْهُ الْيَقَاتَةُ إِلَى قَعْرِ الْحَاثُوتِ فَرَأَى ^(٥) فِيهِ خُرْجَهُ الَّذِي
هَرَبَ بِهِ صَاحِبُهُ ، فَلَمْ يَنْلِكْ أَنْ وَثَبَ عَلَيْهِ وَالتَزَمَهُ ^(٦) ، وَالْقَى يَدَهُ فِي
أُطْوَاقِ ^(٧) صَاحِبِ الْحَاثُوتِ ، وَجَذَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَيْنَ
مَالِي ؟ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْحَاثُوتِ : مَالُكَ يَا فُلَانُ ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ مُتَعَدِّيًا
وَلَا عِلْمَتِي جَنَيْتُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى سِوَاكَ ، فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : خُرْجِي قَرَّ ^(٨)
بِهِ خَادِمِي لِي خَدَمَنِي بِجَمِيعِ مَالِي وَبِحِمَارِي . قَالَ : مَالِي عِلْمٌ غَيْرُ أَنْ رَجُلًا
وَرَدَ عَلَيَّ بَعْدَ الْعِشَاءِ ^(٩) وَاشْتَرَى مِنِّي عِشَاءً وَاسْتِضَافِي ^(١٠) فَأَضْفَعْتُهُ ، وَجَعَلْتُ
هَذَا الْخُرْجَ فِي حَاثُوتِي ، وَهَذَا الْحِمَارَ فِي دَارِ جَارِنَا ، وَالرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ
بَايْتُ . فَقَالَ لَهُ ^(١١) : اَحْمِلْ مَعِيَ ^(١٢) الْخُرْجَ وَانْهَضْ إِلَى الرَّجُلِ ، فَرَفَعَ

(١) فِي « م » : « فَشَكَرَ » .

(٢) أَقْدَحَ زَنَادًا : أَشْجَلَ عَوْذًا .

(٣) اسْتَصْبَحَ : أَتَوَقَّدَ الْمَصْبَاحَ .

(٤) قَوْلُهُ : « وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : « فَوَقَّأَنِي » .

(٦) التَزَمَهُ : تَعَلَّقَ بِهِ .

(٧) الْأُطْوَاقُ : جَمْعُ طَوْقٍ ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَحَاطَ وَالتَّفَّ بِالشَّيْءِ .

(٨) فِي « م » : « مَرَّ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٩) الْعِشَاءُ ، بِكسر العين : أَوَّلُ ظِلَامِ اللَّيْلِ .. وَبِفَتْحِهَا : طَعَامُ الْعِشَاءِ .

(١٠) فِي « م » : « فَاشْتَرَى » .. وَاسْتِضَافِي : طَلَبَ مِنِّي أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عِنْدِي .

(١١) « لَهُ » عَنْ « ط » .

(١٢) « مَعِيَ » عَنْ « م » .

الْخُرْجَ مَعَهُ وَالْقَاهُ ^(١) عَلَى عَاتِقِهِ ، وَمَشَى مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا ^(٢) الرَّجُلُ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَرَكَضَهُ ^(٣) بِرِجْلِهِ ، فَقَامَ الرَّجُلُ مَذْعُورًا ، فَقَالَ ^(٤) : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَيُّنَ مَالِي يَا خَائِنُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا عَلَى عُنُقِكَ ، وَاللَّهِ مَا تَعَادَرُ ^(٥) مِنْهُ ذَرَّةٌ . قَالَ : فَأَيْنَ الْجِمَارُ ؟ قَالَ : هُوَ عِنْدَ هَذَا الْجَائِي ^(٦) مَعَكَ ، فَتَهَضَّ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ مَتَاعَهُ سَلِيمًا ، وَاسْتَخْرَجَ الْجِمَارَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، وَوَسَّعَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَخْبَرَهُمْ بِقِصَّتِهِ ، فَرَادَ ^(٧) أَهْلُهُ قَرَحًا وَتَبَرُّكًا بِذَلِكَ الْمَوْلُودِ .

وَلَمَّا وَفَى ^(٨) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَهْرِهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَجَلَ الَّذِي أَجَلَاهُ ^(٩) لِرِغْمِ غَنَمِ شُعَيْبٍ ^(١٠) الَّتِي رَعَاهَا مُوسَى عَوَضًا عَنْ مَهْرِ ابْنَتِهِ ، أَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتَهُ وَكَرَّرَ رَاجِعًا مِنْ « مَدْيَنَ » ، فَلَمَّا وَافَى الْوَادِي الْمُقَدَّسَ عِنْدَ جَانِبِ الطُّورِ أُجِنُّهُمْ ^(١١) اللَّيْلُ بِظُلْمَتِهِ ، فَأَمْسَوْا بَايِتَيْنِ ، فَبَيْنَمَا هُم كَذَلِكَ إِذْ ضَرَبَ زَوْجَتَهُ الطَّلُقَ ^(١٢) ، وَكَانَتْ حَامِلًا ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا تُحْتَاجُ إِلَيْهِ النِّفْسَاءُ مِنَ الْفِدَاءِ وَالذَّوَاءِ ، وَمَا يَصْلُحُ بِهِ شَأْنُهُمْ ، فَبَقُوا فِي ضَيْيقٍ مِنَ الْحَالِ وَقَلَّةٍ مِنَ الْحِيلَةِ ،

(١) م : : « فَأَقَاهُ » .

(٢) م : : « وَإِذَا » .

(٣) م : : « فَرَفَسَهُ » أَيْ : ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِالْإِصْبَاعِ مَكَانَ السِّنِّ ، وَلَا تَصَحُّ .

(٤) لِي : « ط » : : « فَقَالَ لَهُ » .

(٥) مَا تَفَادَرَتْ : مَا تَخَلَّفَتْ ، أَوْ مَا تَقَصَّ .

(٦) فِي م : : « عِنْدَ الْجَائِي » وَالْأَخْيَرَةُ جَاءَتْ مَكْرَرَةً ، وَيَعْنِي بِهَا : الشَّخْصَ الَّذِي أَقَى مَعَهُ .

(٧) م : : « فَرَادُوا » .

(٨) وَفَى الْأَجَلَ : أَتَمَّهُ .

(٩) أَيْ : الْمُدَّةَ الَّتِي اتَّفَقَا عَلَيْهَا .. وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ ، مِنَ الْآيَةِ ٢٧ وَمَا بَعْدَهَا .

(١٠) م : : « لِرِغْمِ غَنَمٍ لَشُعَيْبٍ » .

(١١) أُجِنُّهُمْ اللَّيْلُ : سَتَرَهُمْ .. وَجَاءَ هُنَا بِضَمِّ الْجَمْعِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةً : مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَزَوْجَتُهُ ، وَابْنُهُ ، وَتَابِعٌ لَهُ .

(١٢) الطَّلُقُ : وَجَعُ الْوِلَادَةِ .

فَخَرَجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْتَمِشُ وَيَنْظُرُ ^(١) ، يَمِينًا وَشِمَالًا عَسَى فَرَجٌ ^(٢) لِمَا أُمْسُوا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ ^(٣) « إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَلٍ عَلَى النَّارِ هُدًى » ^(٤) ، فَلَمَّا أَتَاهَا أُضِيقَ مَا يَكُونُ ذَرْعًا ، وَأَخْرَجَهُ قَلْبًا ، وَأَيْسَهُ عَنْ رَفَقٍ ^(٥) تُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ : يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ . وَهَكَذَا لَطَائِفُ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ مَعَ مَنْ سَلَّمَ لِأَمْرِهِ ، وَرَجَا فَضْلَهُ ، وَتَكَلَّمَ بِالْهُدَى وَالْبَشَرَى ، يَفْسَحُ اللَّهُ فِيهِ أَمَلَهُ ، وَيُعْطِيهِ فَوْقَ مَسْأَلِهِ .

هَذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَرَجَ يَفْتِشُ نَارًا ، تُودِي بِالْبُؤَةِ . وَعَنْ هَذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا : لَيْسَ فِي حِصَالِ الْخَيْرِ - وَإِنْ جَلَّتْ - وَلَا فِي الْأَوَاعِ الْأَعْمَالِ ^(٦) - وَإِنْ عَظُمَتْ - أَعْلَى مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى . وَنَظَّمَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ ^(٧) :

أَيُّهَا الْعَبْدُ كُنْ لِمَا لَسْتَ تُرْجُو مِنْ نَجَاحٍ أَرْجَى لِمَا أَنْتَ رَاجٍ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَقْبِسَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ خَيْرُ مُنَاجٍ
وَكَذَا الْكَرْبُ كُلَّمَا اشْتَدَّ بِالْعَبْدِ دَنَتْ مِنْهُ رَاحَةُ الْإِفْرَاجِ

وَرُوي أَنَّ الْعَدُوَّ نَزَلَ بِسَاحِلِ ^(٨) إِفْرِيقِيَّةَ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَائِبِ ، فَفَنَى مَاوَهُمْ وَغَطِشُوا ، فَتَفَرَّ ^(٩) الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنْ تِلْكَ السَّوَاحِلِ وَالْحُصُونِ ،

(١) فِي د م : « يَلْتَمِشُ يَنْظُرُ » .

(٢) أَى : عَسَى أَنْ يَأْتِيَ فَرَجٌ .

(٣) فِي د م : « مِنْ الضَّرَرِ » .

(٤) سُورَةُ طه ، آيَةُ ١٠ .

(٥) الرَّفَقُ : الْمَطْلَبُ السَّهْلُ .

(٦) فِي د م : « أَنْوَاعِ الْبِرِّ » .

(٧) فِي د م : « فَقَالَ فِي ذَلِكَ » .. وَالْأَيَّاتِ مِنَ الْخَفِيفِ .

(٨) فِي د ط : « بِسَاحَةِ » .

(٩) تَفَرَّرَ : فَاسْتَرَعَ .

فَمَنَعُوهُمْ النَّزُولَ ^(١) لِاسْتِقَاءِ الْمَاءِ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُخْلَوْهُمْ ^(٢) وَاسْتِقَاءَ الْمَاءِ ، فَأَبَوْا ، فَتَضَاعَفَ عَطَشُهُمْ حَتَّى اشْرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ ^(٣) ، فَتَقَرَّحُوا أَنَا جِيلَهُمْ وَأَخْلَوْا فِي الدَّعَاءِ وَالِاسْتِسْقَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ^(٤) ، فَلَمْ يَكْ بِأَوْشَكَ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ أَلْقَتْ بَارُوقَهَا ^(٥) ، ثُمَّ أَرْخَتْ مَاءً كَثِيرًا ، فَبَسَطَ ^(٦) الْقَوْمُ أُلْطَاعَهُمْ وَجَفَائَهُمْ وَآلَانَهُمْ ، فَشَرِبُوا ^(٧) وَمَلَأُوا أَوَانِيَهُمْ ، فَضَجَّ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالُوا ^(٨) : هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ وَأَعْدَاءُ اللَّهِ ^(٩) وَرَسُولِهِ ، قَدْ أَخْلَصُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ ^(١٠) مَاءً يُحْيُونَ ^(١١) بِهِ رَمَقَهُمْ ، فَأَغَاثَهُمْ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِالدَّعَاءِ ^(١٢) وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَوْلَى بِالْإِجَابَةِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ جَدَّ ^(١٣) الْمُسْلِمُونَ فِي الدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً ^(١٤) يَقْوَى بِهَا قُلُوبُ الضُّعَفَاءِ ، وَيَتَزَايَدُ شُكْرُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ ^(١٥) وَالْأَوْبِيَاءِ ، فَيَسْمَعُوا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَرْسَلَ اللَّهُ [تَعَالَى] ^(١٦) عَلَيْهِمْ رِيحًا فَبَدَدَتْهُمْ ، وَمَزَقَتْهُمْ كُلَّ مُزَقٍّ ، وَكَسَرَتْ مَرَاجِبَهُمْ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

(١) في « م » : « فَمَنَعُوهُمْ مِنَ النَّزُولِ » وكلاهما صواب ، فالفعل « منع » يعطى بنفسه وبحرف الجر .

(٢) في « م » : « وَرَّاسَلُوا » مكان « وَأَرْسَلُوا » .. « وَيُخْلَوْهُمْ » يتركوهم .

(٣) في « م » : « حَتَّى هَمَّ بِالْهَلَاكِ » والأول أوجه .

(٤) في « م » : « فَأَخْلَوْا فِي الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالِاسْتِسْقَاءِ » .

(٥) في « م » : « أَلْقَتْ » تحريف .. « وَأَلْقَتْ السَّمَاءُ بَارُوقَهَا » أى : بدأت تسقط أمطارها .

(٦) في « م » : « فَبَسَطُوا » .

(٧) في « م » : « وَشَرِبُوا » .

(٨) في « م » : « فَقَالُوا » . وضج : فرغ .

(٩) في « م » : « كُفَّارُ أَعْدَاءِ اللَّهِ » .

(١٠) في « م » : « وَأَنَابُوا وَسَأَلُوهُ » .

(١١) في « م » : « مَا يَحْيُوا » تحريف .. « وَالرَّمَقُ » بقية الروح .

(١٢) في « م » : « فَنَحْنُ بِالْإِجَابَةِ أَحَقُّ مِنْهُمْ » .

(١٣) في « م » : « ثُمَّ أَخَذَ » .

(١٤) في « م » : « يُرِيهِمُ اللَّهُ آيَةً » .

(١٥) في « م » : « أَهْلُ النِّعَةِ » .

(١٦) ما بين المقرضين عن « م » .

وَمِنْ عَجَائِبِ ^(١) صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ دِيَارِ بَكْرِ جَاءَ إِلَى نَيْبِ الْمَقْدِسِ وَزَارَ قَبْرَ الْخَلِيلِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] ^(٢) وَأَكَلَ مِنْ ضِيَّافَتِهِ ، فَطَارَتْ حَبَّةُ عَدَسٍ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ فِي خَيْشُومِهِ ، وَرَامَ خُرُوجَهَا بِكُلِّ حِيلَةٍ فَأَعْجَزَتْهُ ، حَتَّى تَرَكَتْهُ مُضْنَى ^(٣) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ عَطَسَ فَطَارَتْ الْعَدَسَةُ ^(٤) فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا طَائِرٌ قَدِ اتَّقَطَهَا لَوْقَتِهَا ، وَبَرِئَ الرَّجُلُ ، فَسَبَّحَانَ مَنْ جَعَلَ أَثْفَ هَذَا الرَّجُلِ حِرْزًا لِقُوتِ هَذَا الطَّائِرِ عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ وَالْمَسَافَةِ ^(٥) .

وَأَمَّا أَنَا ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ مِنْ بَلَدِي إِلَى الْمَشْرِقِ ^(٦) فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، كُنْتُ لَا أَغْرِفُ النَّجَارَةَ ، وَلَا لِي جُرْفَةٌ أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، فَجَزَعْتُ مِنَ الْخُرُوجِ ، وَكُنْتُ أَقُولُ : إِنْ ذَهَبْتُ نَفَقَتِي مَاذَا أَفْعَلُ ؟ وَكَانَ أَقْوَى الْأَمَالِ ^(٧) فِي نَفْسِي أَنْ أَحْفَظَ الْهَسَاتِينَ بِالْأَجْرَةِ وَأُذَرِّسَ الْعِلْمَ بِاللَّيْلِ ، ثُمَّ اسْتَحَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَرَحَلْتُ ، وَكَانَ مَعِيَ ^(٨) نَفَقَةٌ وَاقِرَةٌ فِي هِمَيَانٍ عَلَى وَسْطَى ^(٩) ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْمُسَافِرِينَ يَقُولُونَ : مَنْ تَأَمَّ بِاللَّيْلِ فِي الْفَيَافِي وَلَهُ نَفَقَةٌ عَلَى وَسْطِهِ فَلْيُحْلِمَهَا ، فَإِنَّ اللَّصُوصَ إِذَا كَثُرَتْ الْخُلُقُ ^(١٠) يَتَلَدَّرُونَ أَوْسَاطَهُمْ ^(١١) ، فَخَرَجْتُ مِنْ بِلَادِ السُّوَيْدِيَّةِ ^(١٢) إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ

(١) في د م : : ومن عجيب .

(٢) ما بين المقولتين عن ط .

(٣) مُضْنَى : مريضاً سقيماً .. وفي د م : : مُضْنَى : تحريف .

(٤) في د م : : فطارت الحبة .

(٥) في د م : : وطول المسافة .

(٦) في د م : : الشرق .

(٧) في د م : : الأمل .

(٨) في د م : : فرحلتُ وكانت معي .

(٩) في د م : : على هميان في وسطى .

(١٠) كثرت الخلق : طاولتهم وغالبهم .. وفي د م : : كثرت الناس : أي : غالبتهم بالكثرة .

(١١) يتدلون أوساطهم : يسارعون إليها لكي يسرقوا ماحولها .. وفي د م : : يتدلون : يحذف النون .. خطأ .

(١٢) السُّوَيْدِيَّةُ : بلدة صغيرة كانت ترسو فيها مراكب الإفريج ، يرفعون منها أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية .

[انظر معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٨ - مادة أنطاكية] .

حَزَبٌ لِلرُّومِ ، فَسَرَّيْنَا لَيْلَتَنَا وَأَصْبَحْنَا ^(١) عَلَى بَابِ أُنْطَاكِيَّةَ ، فَأَخَذْتَنِي عَيْنِي ، وَحَلَلْتُ الْهِمْيَانَ وَنِمْتُ ، وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا ضُحْوَةَ النَّهَارِ ^(٢) فَاسْتَيْقِظْتُ ، وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْهِمْيَانِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْقَافِلَةِ وَالتَّحْتُ إِلَى النَّاسِ ^(٣) وَقَدْ أَسْقَطَ فِي يَدِي ، وَلَمْ يَبْقَ لِي حِيلَةٌ ، فَاسْتَرْجَعْتُ ^(٤) وَرَفَعْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِذَا ^(٥) رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَافِلَةِ مُتَقِفًا إِلَيَّ ، فَوَقَعَ وَجْهِي فِي وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَضْحَكُ لَمَّا رَأَى مَا بِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ أَيُّهَا الْفَقِيهُ ؟ قُلْتُ : خَيْرٌ ، فَرَاَجَعْنِي ، فَقُلْتُ : خَيْرٌ ^(٦) . فَقَامَ إِلَيَّ وَقَالَ : خُذْ هِمْيَانَكَ عَافَاكَ اللَّهُ . فَسَأَلْتُهُ : كَيْفَ ظَفِرْتُ ^(٧) بِهِ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ قَدْ تَدَخَّرَجْتَ ^(٨) ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالتَّفْتُ فَرَأَيْتُ سَوَادًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ نَائِمًا ، فَسِرْتُ إِلَيْهِ وَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْهِمْيَانُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَرِضْوَانُهُ لَدَيْهِ .

(١) في « م » : « فأصبحنا » .. ومررنا ليلتنا : قطعناها بالسر .

(٢) في « م » : « إلى ضحوة نهار » .. وضحوة النهار : قُرب انتصاف النهار .

(٣) في « م » : « وأنظر إلى وجوه الناس » .

(٤) فاسترجعت ، أي : قُلْتُ : إنا لله ، وإنا إليه راجعون .

(٥) في « م » : « إلى الله تعالى فإذا ... » .

(٦) في « م » : « وقال : مالك ؟ قلت : خيرا .. فقال : أيها الفقهاء ، ما لك ؟ قلت : خيرا .. فراجعتني ، فقلت : خيرا .. خيرا بالنصب : أي أنزل الله بي خيرا .. وبالرفع : أي هو خير ، أو : نزل بي خير .. فكلاهما له وجه في اللغة .

(٧) في « م » : « ظفرت » .

(٨) في « م » : « رأيتك قد خرجت » .. وفي « ط » : « رأست » مكان « رأيتك » .

البَابُ السُّتُونُ

فِي بَيَانِ الْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْخِصَالِ

وَيُثْبِتُ الْفَضَائِلَ ، وَمَنْ فَقَدَهَا لَمْ تَكْمُلْ ^(١) فِيهِ خَصْلَةٌ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ ،
وَيُعَبِّرُ عَنْهَا بِالصَّبْرِ ، وَيُعَبِّرُ عَنْهَا بِقُوَّةِ النَّفْسِ

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : أَصْلُ ^(١) الْخَيْرَاتِ كُلُّهَا فِي ثَبَاتِ الْقَلْبِ ، وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ جَمِيعُ
الْفَضَائِلِ ، وَهُوَ ^(٢) الثَّبُوتُ وَالْقُوَّةُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ الْعَدْلُ ^(٣) وَالْعِلْمُ . وَالْجُنُودُ غَرِيزَةٌ
يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَالشَّجَاعَةُ غَرِيزَةٌ يَجْمَعُهَا حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى ^(٤) .
سُئِلَ الْأَخْنَفُ عَنِ الشَّجَاعَةِ فَقَالَ ^(٥) : صَبْرٌ سَاعَةً . وَسُئِلَ أَبُو جَهْلٍ عَنِ الشَّجَاعَةِ
فَقَالَ : تَصْبِرُونَ عَلَى حَرِّ السُّيُوفِ فَوَاقٍ نَاقَةٍ . وَهُوَ مَا بَيْنَ الْحَلِيقَتَيْنِ ^(٦) .

(١) فِي « ط » : « تَكْمُلُ » .

(٢) فِي « م » : « وَأَصْلُ » .

(٣) فِي « م » : « وَمِنْهَا تُسْتَمَدُّ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، وَهِيَ .. » .

(٤) فِي « م » : « الْعَقْلُ ، مَكَانُ الْعَدْلِ » .

(٥) فِي « م » : « وَالشَّجَاعَةُ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْجَهْنِ وَالتَّهَوُّرِ ، وَسُئِلَ .. » .

(٦) فِي « م » : « قَالَ » .

(٦) حَرُّ السُّيُوفِ : اشْتِدَادُ الْقِتَالِ ، أَيْ : تَصْبِرُونَ عَلَى شِدَّةِ الْقِتَالِ وَهَذَا قَدَّرَ الزَّمَانُ الَّذِي بَيْنَ الْحَلِيقَتَيْنِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ الْفَارَّ مِنَ الْقِتَالِ ^(١) طَرِيدَةٌ مِنَ طَرَائِدِ الْمَوْتِ ، فَاسْتَقْبَالَ ^(٢) الْمَوْتَ خَيْرَ
مِنْ اسْتِدْبَارِهِ . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ ^(٣) : رَبُّ حَيَاةٍ سَبَّبَهَا التَّعَرُّضُ لِلْوَفَاةِ ، وَوَفَاةٍ سَبَّبَهَا
طَلَبُ الْحَيَاةِ ^(٤) . وَمَنْ حَرَصَ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْجِهَادِ وَهَبَتْ ^(٥) لَهُ الْحَيَاةُ . وَقَالُوا :
الْعَزِيمَةُ شَفَرَةٌ مِنْ شِفَارِ الْمَوْتِ . وَالْفَارُّ يُمَكِّنُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالْمُقَاتِلُ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .
وَقَالُوا : ثَمَرَةُ الشَّجَاعَةِ الْأَمْنُ مِنَ الْعُلُوِّ .

وَاعْلَمَ أَنَّ مَنْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ مُدْبِرًا أَكْثَرَ مِمَّنْ قُتِلَ مُقْبِلًا . وَقَالُوا : تَأْخِيرُ الْأَجَلِ
جِصْنُ الْمُحَارِبِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : فِي أَيِّ جُنَّةٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ؟ قَالَ : فِي
أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ . وَقِيلَ لِآخَرَ : فِي أَيِّ سِلَاحٍ تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ ^(٦) ؟ قَالَ : بِإِذْبَارِ
دَوَلِّيهِ وَانْقِضَاءِ مُدَّتِي .

وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّجَاعَةَ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ ، وَإِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ لَمْ تُعْنِ كَثْرَةُ الْعَدُوِّ .
وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا انْقَضَتْ الْمُدَّةُ كَانَتْ الْهَلَكَةُ فِي الْحِيلَةِ .

وَاعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَرْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تُكْتَسَبُ ^(٧) لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالشَّجَاعَةِ ، أَلَا
تَرَى أَنَّكَ إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَمْنَحَ ^(٨) شَيْئًا مِنْ مَالِكَ نَحَارَ طَبْعُكَ ، وَوَهَنَ قَلْبُكَ ،
وَعَجَزَتْ نَفْسُكَ ، فَشَحَحَتْ بِهِ ، وَإِذَا ^(٩) حَقَّقْتَ عَزَمَكَ ، وَقَوَّيْتَ نَفْسَكَ ، وَقَهَّرْتَ
ذَلِكَ الْعَجْزَ ، أَخْرَجْتَ الْمَالَ الْمَضْنُونَ بِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْقَلْبِ وَضَعْفِهِ تُكُونُ ^(١٠)

(١) في « ط » : « أَنْ الْقَادِمَ لِلْقِتَالِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَه .

(٢) في « م » : « وَاسْتَقْبَالَ » .

(٣) الأول : جمع الأول .

(٤) في « م » : « وَوَفَاةٍ طَلَبَهَا سَبَبُ الْحَيَاةِ » .

(٥) في « م » : « وَجَبَتْ » .

(٦) من قوله : « قَالَ : فِي أَجَلٍ مُتَأَخِّرٍ » إِلَى هُنَا عَنْ « م » وَاسْقَاطُ مِنْ « ط » .

(٧) في « م » : « أَنَّ كُلَّ كَرِهِيَةٍ تَدْفَعُ ، أَوْ مَكْرَمَةٍ تَكْتَسِبُ » .

(٨) في « م » : « تَمْنَحُ » مَكَانَ « تَمْنَحُ » تَحْرِيفٌ .

(٩) في « م » : « فَلِذَا » .

(١٠) في « م » : « يَكُونُ » .. وَطَبِيعَةُ النَّفْسِ : سَمَاحَتُهَا .

طَبِئَةُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهِ ، أَوْ كَرَاهِيَةِ النَّفْسِ لِإِخْرَاجِهِ مَعَ إِخْرَاجِهِ ، وَعَلَى هَذَا التَّمْطِ جَمِيعُ الْفَضَائِلِ ، مَهْمَا لَمْ تَقَارِنَهَا ^(١) قُوَّةُ نَفْسٍ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، وَكَانَتْ مَخْلُوعَةً ^(٢) .

وَرَوَى أَنَّ الرَّسُولَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الشَّجَاعَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » . فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالشُّجَاعُ يُقَاتِلُ عَمَّنْ لَا يُقُوبُ بِهِ ^(٣) إِلَى رَحْلِهِ ، فَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَالْإِتِّهَاءِ عَنِ الزَّوَاجِرِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُصَابُ احْتِسَابُ الْفَضَائِلِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يُنْتَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَالتَّضَمُّعِ بِالرَّذَائِلِ ^(٤) قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمَعَ الشُّجَاعَةُ وَالْخُضُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْمِخْرَابِ فِي الْمِخْرَابِ ^(٥)
وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ الْجَلِيسُ عَلَى إِهْدَاءِ ^(٦) الْجَلِيسِ وَجَفَاءِ الصَّاحِبِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ وَيَدْفَعُ الْغَارَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحُمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَتَحَمَّلُ أَثْقَالَ الْمَكَارِهِ ^(٧) ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَصْبِرُ عَلَى أُخْلَاقِ الرُّجَالِ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ تُنْفَذُ كُلُّ عَزِيمَةٍ وَرَوِيَّةٍ أَوْجَبَهَا الْحَزْمُ وَالْعَدْلُ ، وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَضْحَكُ ^(٨) الرُّجَالُ فِي وُجُوهِ الرُّجَالِ وَقُلُوبُهُمْ ^(٩) مَشْحُونَةٌ بِالضَّغَائِنِ وَالْأَحْقَادِ ، كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : « إِنَّا

(١) فِي « ط » : « بِقَارِنَهَا » .

(٢) فِي « م » : « مَخْلُوعَةٌ أَيْ : نَاقِصَةٌ .

(٣) فِي « م » : « مَنْ لَا يَقُوبُ بِهِ » وَهُوَ : يَرْجِعُ .

(٤) التَّضَمُّعُ بِالرَّذَائِلِ : التَّلَطُّعُ بِهَا .

(٥) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ .. وَالْمُرَادُ بِالْمِخْرَابِ الْأَوَّلِ : الشُّجَاعُ الْخَبِيرُ بِالْحَرْبِ .. وَالْمِخْرَابُ الثَّانِي : مَقَامُ الْإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ .

(٦) فِي « م » : « أَدَّى » .

(٧) مِنْ قَوْلِهِ : « وَبِقُوَّةِ الْقَلْبِ يَفْتَحُمُ الْأُمُورَ الصَّعَابَ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٨) فِي « م » : « تَضَحَّكَ » .

(٩) فِي « م » : « وَقُلُوبُهَا » .

لَتَكْثِيرُ^(١) فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنَهُمْ^(٢) . وَقَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِنَّا لَنَصَافِحُ أَكْثَرُ تَرَى قَطْعَهَا » .

وَلَيْسَ الصَّبْرُ وَالشَّجَاعَةُ وَقُوَّةُ النَّفْسِ أَنْ تَكُونَ مُصِيرًا فِي الْمَحَالِ^(٣) ، لَجُوجًا فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا أَنْ تَكُونَ جَلْدًا عِنْدَ الضَّرْبِ ، صَبُورًا عَلَى الْقَعَبِ ، مُصْعَمًا عَلَى
التَّعْزِيرِ^(٤) وَالتَّهْوِيرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الْخَبِيرِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ صَبُورًا عَلَى
أَذَاءِ الْحُقُوقِ عَلَيْكَ ، صَبُورًا عَلَى سَمَاعِهَا وَلِقَائِهَا إِلَيْكَ ، غَالِبًا لِهَوَاكَ ، مَالِكًا
لِشَهَوَاتِكَ ، مُلْتَمِزًا لِلْفَضَائِلِ بِجَهْدِكَ ، غَائِبًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يُجِيلُكَ^(٥)
عَنْهَا حَيَاةٌ وَلَا مَوْتٌ ، حَتَّى يَكُونَ عِنْدَكَ مَوْتُكَ عَلَى الْخَيْرِ الَّذِي أُشَارَ بِهِ الْعِلْمُ وَأُوجِبَهُ
الْعَدْلُ ، خَيْرًا^(٦) مِنَ الْبَقَاءِ عَلَى مَا أُوجِبَ رَفْضُ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ . كَمَا قَالَ عَلِيٌّ
لِلْحُسَيْنِ^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٨) : يَا بُنَيَّ ، وَمَا يَأْتِي أَبُوكَ لَوْ أَنَّ الْخَلْقَ خَالَفُوهُ إِذَا
كَانَ عَلَى الْحَقِّ ، وَهَلِ الْخَيْرُ كُلُّهُ لِلْمُحِقِّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَعَنْ^(٩) هَذَا قَالَتْ
حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَلِكِ مِنْ نَفْسِهِ مُعِينٌ^(١٠) كَانَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ضَعِيفًا
مَخْذُولًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَجْنَ مَقْتَلَةٌ ، وَالْحَرَصَ مَحْرَمَةٌ ، وَالْعَجَزُ ذَلٌّ ، وَالْجُبْنَ ضَعْفٌ . وَالْجَبَانُ
يُحْنُ عَلَى نَفْسِهِ ، يَفِرُّ عَنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبِيَّتِهِ وَيَنِيهِ .

(١) فِي « ط » : « وَأَيُّ » .. وَتَكْثِيرُ : تَقَسُّمٌ .

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي الثَّوْرَةِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ ، بَابِ الْمَدَارَةِ مَعَ النَّاسِ ج ١٠ ص ٥٢٧
مِنْ فَتْحِ الْبَارِي .

(٣) فِي « م » : « الْحَالُ » تَحْرِيفٌ .. وَالْمَحَالُ : مَا لَيْسَ ثَوَامَ بِالْحِيلَةِ أَوْ الْقُوَّةِ الشَّدِيدَةِ .. وَلِجُوجًا : مُتَادِيًا .

(٤) التَّعْزِيرُ : التَّأْدِيبُ .

(٥) لَا يُجِيلُكَ : لَا يَمْنَعُكَ .

(٦) فِي « م » : « خَيْرٌ » بِالرَّفْعِ .. خَطَأً .

(٧) هَكَذَا فِي « م » .. وَفِي « ط » : « عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ » وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

(٨) فِي « م » : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

(٩) فِي « ط » : « وَبَيْنَ » .

(١٠) فِي « م » : « مِنْ مُعِينٍ » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَرِيهَةٍ مَاتَيْنِ الْحَبِيبَتَيْنِ ^(١) ، وَالشُّجَاعُ يَنْجِي عَمَّنْ لَا يُنَاسِيهِ ، وَيَقِي مَالَ الْجَارِ وَالرَّيْقِي بِمُهَجِّبِهِ ، وَالْجَبَانُ يَخَافُ مَا لَا يُحْسِبُهُ ^(٢) ، وَالْجَبَانُ حَقْفُهُ مِنْ قَرْقِهِ ^(٣) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّجَاعَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ عَلَى ^(٤) ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :
رَجُلٌ إِذَا لَقِيَ الْجَمْعَانِ وَتَرَاحَفَ الرَّحْفَانِ وَاسْتَحْلَصَ الْأَحْدَاقَ بِالْأَحْدَاقِ ^(٥) بَرَزَ مِنَ الصَّفِّ إِلَى وَسْطِ الْمُعْتَرِكِ ، يَحْمِلُ وَيَكْبُرُ ، وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ .
وَالثَّانِي : إِذَا انْحَمَّ الْقَوْمُ وَاسْتَخْلَطُوا ^(٦) وَلَمْ يَذَرِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ ، يَكُونُ رَاطِبُ النَّجَاشِ ، سَاكِنِ الْقَلْبِ حَاضِرِ اللَّبِّ ، لَمْ يُخَايِرُهُ الدَّهْشُ ، وَلَا تَحَالَفَتْهُ الْحَيَرَةُ ، فَيَتَقَلَّبُ ^(٧) بِقَلْبِ الْمَالِكِ لِأَمْرِهِ ، الْقَائِمِ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالثَّالِثُ : إِذَا انْهَزَمَ أَصْحَابُهُ يَلْزُمُ السَّاقَةَ ^(٨) ، وَيَضْرِبُ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ ، وَيَحْوِلُ يَتْنَهُمْ وَيَتَنَ عُلُوَّهُمْ ، وَيَقْرَى قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَيُرْجِي ^(٩) ضَعِيفَهُمْ ، وَيَمْلَأُهُمْ بِالْكَلَامِ الْجَمِيلِ ، وَيُسَجِّعُ نَفْسَهُمْ ، فَمَنْ وَقَعَ أَقَامَهُ ، وَمَنْ وَقَفَ حَمَلَهُ ، وَمَنْ كَرَدَسَ قَرَسَهُ ^(١٠) كَشَفَ عَنْهُ حَتَّى يَيْئَسَ الْعَدُوُّ مِنْهُمْ ، وَهَذَا أَحْمَدُهُمْ شَجَاعَةً ، وَعَنْ هَذَا قَالُوا : الْمُقَاتِلُ مِنْ ^(١١) وَرَاءِ الْفَارِسِ كَالْمُسْتَغْفِرِ مِنْ وَرَاءِ الْعَافِلِينَ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْكَرَمِ الدَّفَاعُ عَنِ الْحَرَمِ ^(١٢) .

(١) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « الحبيبتين » .

(٢) في « م » : « مَنْ لَا يُحْسِبُهُ » .

(٣) حقه من قرقوه : هلاكه من خوفه الشديد .. وفي « م » : « من قوقه » بالواو ..

(٤) « على » عن « ط » .

(٥) استحصلت الأحداق بالأحداق : نظر بعضهم إلى بعض .

(٦) في « م » : « إِذَا بَايَتِ الْقَوْمَ وَاسْتَخْلَطُوا » .. وبايت : أقام معهم ليلا .

(٧) في « ط » : « فَيَتَقَلَّبُ » .. والجيوة : التردد والاضطراب .

(٨) الساقة : مؤخر الجيش .

(٩) أرجى : يؤخر .

(١٠) كَرَدَسَ قَرَسَهُ : قَبَذَهُ وَأَوْقَعَهُ .

(١١) « م » عن « ط » .

(١٢) في « م » : « الْحَرَمِ » .. والحريم : ما حُرِّمَ فَلَا يَتَنَهَكُ .

وَقَالُوا : لِكُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ لَهْدٌ مِنْهُمَا ، أَخَذَهُمَا : لَا يَنْجُلُ عَلَيْهِ ، وَالثَّانِي : لَا يَغْفُلُ عَنْهُ ، فَمَا لِلْجَبَانِ وَالْفِرَارِ ؟ . وَكَانَ ^(١) شَيْوُخُ الْجُنْدِ يَحْكُونَ فِي بِلَادِنَا ، قَالُوا : دَارَتْ حَرْبٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَّارِ ، ثُمَّ اقْتَرَفُوا ، فَوَجَدُوا فِي الْمُعْتَرِكِ قِطْعَةً مِنْ بَيْضَةِ الْحَدِيدِ ، قَدْ ^(٢) ثَلَّكَهَا بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَيَقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَر قطُّ ضَرْبَةَ أَقْوَى مِنْهَا ^(٣) .

وَكَانَ شَيْوُخُ الْجُنْدِ فِي بِلَادِنَا طُرُوشَةَ يَحْكُونَ ^(٤) أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِي أَيَّامِ سَيْفِ ^(٥) الْجِلَّةِ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى بِلَادِ الْعُلُوِّ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ ^(٦) إِذْ لَقِيَتْهُمْ سَرِيَّةٌ لِلرُّومِ يُرِيدُونَ مِنَّا مَا نُرِيدُ ^(٧) مِنْهُمْ ، قَالَ : وَعَرَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(٨) ، وَكَانَ فِيْنَا صَنَادِيدُ الْفَرَسَانِ ، وَفِيهِمْ صَنَادِيدُ الرُّومِ ^(٩) ، فَوَاقَفْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ شَدَدْنَا وَشَدُّوا ، فَالْتَقَيْنَا وَتَجَالَدْنَا ^(١٠) سَاعَةً ، ثُمَّ مَتَحَنَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١١) أَكْثَافَهُمْ ، فَجَعَلَنَا هُمْ حَصِيدًا كَانَهُمْ جُزْرٌ عَلَى الْأَوْضَامِ ^(١٢) ، وَكَانَ هُنَاكَ بِقُرْبِهِمْ قُرْبَةٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَمْرِ ، فَشَرِبْنَاهُ وَسَكَّرْنَا ، ثُمَّ اشْتَهَبْنَا شَرَائِيعَ اللَّحْمِ ، فَقَمْنَا نَقَطْعَ مِنْ لُحُومِهِمْ وَنَجْعَلُ عَلَى النَّارِ ، وَنَأْكُلُ

(١) من أول قوله : « وكان » إلى نهاية الفقرة ، عن « ط » ولم ترد في « م » .

(٢) أى : شق .. وفي « ط » : « قَلَز » .. والأول أوجه . وبيضة الحديد : عودة الرأس .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من « م » .

(٤) في « م » : « يحكمون » تحريف .

(٥) في « م » : « سيد » تحريف .

(٦) في « م » : « يسهرون » تحريف .

(٧) في « م » : « ما نريده » .

(٨) هكذا في « ط » .. وفي « م » : « فواقفنا ساعة » مكان « قال » وعرف بعضهم بعضاً .

(٩) قوله : « وفيهم صناديد الروم » عن « ط » ولم ترد في « م » :

(١٠) تَجَالَدْنَا : تضاربنا بالسيف .

(١١) « تعالى » عن « ط » .

(١٢) في « م » : « نُجُز في الأوضام » . والجُزْر : جمع جُزُرٍ ، وهو ما يصلح للذبح ، كالإبل ونحوها من

الأنعام ، والمراد هنا : اللحوم .. أمّا الأوضام ، فهي : جمع وَضَم ، وهو كل ما يوضع عليه اللحم ، من خشب ونحوه ، كاللثة .

بينها ^(١) ، فَنَزَعَ مَنْ كُنَّا أَسْرَانَهُ مِنْهُمْ ^(٢) ، وَبَلَغَ الْحَدِيثُ إِلَى الرُّومِ ، فَقَضَتْ
النَّصَارَى ^(٣) تَعَجُّبًا مِنَّا ، وَفَذَفَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقِيَ عُمَرُو بْنَ مَعْدَى كَرِبَ ^(٤)
فَقَالَ لَهُ : يَا عُمَرُو ، أَيُّ السِّلَاحِ أَفْضَلُ فِي الْحَرْبِ ؟ فَقَالَ : عَنْ أَهْلِ تَسَالٍ ؟ قَالَ :
مَا تَقُولُ فِي السَّهَامِ ؟ قَالَ : مِنْهَا مَا يُحْطِئُ وَيُصِيبُ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي الرُّمَحِ ؟
قَالَ : أُنْحَوِكُ ، وَرُبَّمَا نَحَاكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي السِّيفِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ ذَلِكَ لَا أُمُّ
لَكَ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي التَّرْسِ ^(٥) ؟ قَالَ : هُوَ الدَّائِرَةُ ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ ^(٦) .

وَكَانَ عُمَرُو هَذَا مِنْ شُجْعَانِ الْعَرَبِ وَأَبْطَالِهَا ، نَزَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى النَّهْرِ ،
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنِّي غَائِرٌ عَلَى الْجِسْرِ ، فَإِنْ أَسْرَعْتُمْ مِقْدَارَ حِزْرِ الْجَزُورِ ^(٧)
وَجَدْتُمُونِي وَسَيِّئِي يَبْدَى أَقَاتِلْ بِهِ تَلْقَاءَ وَجْهِ ^(٨) وَقَدْ عَقَرَنِي الْقَوْمُ وَأَنَا قَائِمٌ
بَيْنَهُمْ ، وَإِنْ أَبْطَأْتُمْ وَجَدْتُمُونِي قَتِيلًا بَيْنَهُمْ . ثُمَّ انْفَمَسَ ^(٩) فَحَمَلَ عَلَى

(١) في « ط » : « وأكلنا منها » .

(٢) في « م » : « مَنْ كَانَ أَسْرَانَهُ مِنَ الرُّومِ » .

(٣) قَضَتْ النَّصَارَى ، أَيْ : أَحْجَمَتْ عَنِ الْمُجُومِ خَوْفًا مِنْهَا .. وَفِي « م » : « فَانْقَلَبَتِ النَّصْرَانِيَّةُ » .

(٤) هُوَ : عُمَرُو بْنُ مَعْدَى كَرِبَ بْنِ رَيْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْدِيِّ ، وَكُنِيَّةُ أَبُو ثَوْرٍ ، فَارِسُ الْيَمَنِ ، وَصَاحِبُ
الغارات المذكورة .. وَغَدَى عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ٩ هـ فِي عَشْرَةِ مِنْ بَنِي زَيْدٍ ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمُوا ، وَعَادُوا ، وَلَمَّا تَوَفَّى
النَّبِيُّ ﷺ ارْتَدَى عُمَرُو فِي الْيَمَنِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَبَعَثَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الشَّامِ ، فَشَهِدَ الْيَوْمُوكَ ، وَذَهَبَتْ
فِيهَا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَبَعَثَهُ عُمَرُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَكَانَ عَصَمَى النَّفْسِ ، أَبْيَا ، فِيهِ قِسْوَةُ الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَلَهُ شَرٌّ جَدِيدٌ .. تَوَفَّى عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الرَّيِّ سَنَةَ ٢١ هـ .. وَقِيلَ : قُبِلَ عَطْشًا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ٨٦ ، وأسَدُ الْغَابَةِ ج ٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٧٢ -
٣٧٥ ، والمهجر ص ٢٦١] .

(٥) التَّرْسُ : مَا يُقَوَّى بِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَهُوَ مُسَدِّدُ الشَّكْلِ .

(٦) عَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ : تَنْزِلُ بِهِ الْمَكَارِهِ .

(٧) مِقْدَارُ حِزْرِ الْجَزُورِ ، أَيْ : مِقْدَارُ الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَرْقُ فِي ذَيْحِهَا .

(٨) فِي « م » : « أَقَاتِلْ تَلْقَاءَ وَجْهِ » .. وَالتَّلْقَاءُ مُصْدَرُ لَقِيْ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَاسْتَعْمَلُوهُ ظَرْفَ مَكَانٍ بِمَعْنَى
جِهَةِ التَّلْقَاءِ وَالْمُقَابَلَةِ ، وَنَصَبُوهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ .. وَعَقَرَنِي الْقَوْمُ ، أَيْ ، أَصَابُونِي .

(٩) انْفَمَسَ : رَمَى نَفْسَهُ وَسَطَ الْحَرْبِ .

القوم ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، يَا بَنِي زَيْدٍ ^(١) ، عَلَامَ تَدْعُونَ ^(٢) صَاحِبَكُمْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنَّ تَذَرِكُوهُ حَيًّا . فَحَمَلُوا ^(٣) فَأَتَتْهُوَ إِلَيْهِ وَقَدْ صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ ^(٤) وَقَدْ أَخَذَ بِرِجْلَيْ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ فَأَمْسَكَهَا ، وَإِنَّ الْفَارِسَ لَيَضْرِبُ فَرَسَهُ ^(٥) فَمَا يَقْدِرُ الْفَرَسُ أَنْ يَتَحَرَّكَ ، فَلَمَّا غَشِيَتْهُ رَمَى الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَخَلَّى فَرَسَهُ ، فَكَبَهُ عَمَرُو وَقَالَ : أَنَا أَبُو نُزَيْرٍ ^(٦) كِدَلْتُمْ وَاللَّهِ تَفْقِدُونِي ! قَالُوا : أَتَيْنَ فَرَسَكَ ؟ قَالَ : رُمِيَ بِنُشَابَةٍ ^(٧) فَقَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ^(٨) .

وَيُرَوَّى أَنَّ عَمْرًا حَمَلَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى رُسْتَمَ ^(٩) ، وَهُوَ الَّذِي قَلَعَهُ يَزْدَجَرْدُ ^(١٠) مَلِكُ الْفَرَسِ عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاسْتَقْبَلَ عَمَرُو رُسْتَمَ ^(١١) عَلَى فِيلٍ ، فَقَطَعَ عَرْقُوبَهُ ، فَسَقَطَ رُسْتَمَ وَسَقَطَ الْفِيلُ عَلَيْهِ مَعَ خُرْجٍ كَانَ عَلَيْهِ ، فِيهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

(١) زَيْدٌ ، بالضم : رهط عمرو بن معدى كرب .

(٢) في م : : « تتركون » .

(٣) في م : : « فحملوا عليه » .

(٤) صُرِعَ عَنْ فَرَسِهِ : أَسْقَطَ .. وفي م : : « كرر الناسخ بمدها » قد « سهوا » .

(٥) في م : : « ليضربه » .

(٦) في ط : : « أبو نوز » بالنون ، خطأ ، والصواب « أبو نور » ، بالثاء المعجمة للثقة ، وهي كنيته ، وقد مرت في التعريف به .

(٧) النُشَابَةُ : وَاجِدَةُ النَّيْلِ .

(٨) قَارَ وَشَبَّ فَصَرَعَنِي ، أى : فحاذ عن السمر ورفع يديه وألقاني على الأرض .

(٩) رُسْتَمَ ، بفتح التاء وضمها ، والضم أشهر ، وهو : رستم بن الفَرُخَزَاد ، قائد فارسي من قواد يَزْدَجَرْدُ ، وكان جريحاً طموحاً ، ويذكر المؤرخون أنه كان عالماً بالنجوم .. وقُتِلَ في وقعة القادسية .

[انظر الفاروق عمر ص ١٠٥ وما بعدها ، وص ١٦٧ ط دار المعارف] .

(١٠) هو : يَزْدَجَرْدُ بن شهریار بن كسرى ، تولى مُلْكُ أبيه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : كان في الحادية والعشرين من عمره .. وكانت مُدَّة مُلْكِهِ عشرين سنة ، وهو آخر ملوك الفرس ، قُتِلَ في « مَرُو » - أثناء هروبه من العرب الفاتحين - في طريق « سجستان » سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان ، رضى الله عنه .

[انظر المصدر السابق ص ١١٩ ، والمعارف ص ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، وإعجام الأعلام ص ١٩٨] .

(١١) في م : : « و ط » : « رستا » في للوضعين ، خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .

فَقَتَلَ رُسْتَمَ وَانْهَزَمَتِ الْعَجَمُ . وَرَوَى أَنَّ قَاتِلَ رُسْتَمَ زَيْنُ بْنُ فَلَانٍ ^(١) .

وَأَمَّا الضَّرْبَةُ الَّتِي حَكَتْنَاهَا الَّتِي حَارَتْ ثُلُثُ الْبَيْضَةِ ^(٢) بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الرَّأْسِ ، فَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، فَحَمَلَتْهَا الرُّومُ وَعَلَقَتْهَا فِي كَيْسِيَّةٍ لَهُمْ ، وَكَانُوا إِذَا عَمَرُوا بِأَهْزَامِهِمْ يَقُولُونَ : لَقِينَا أَقْوَامًا هَذَا ضَرْبُهُمْ ، فَيَرْحَلُ ^(٣) أَبْطَالُ الرُّومِ إِلَيْهَا لِيَرَوْهَا . وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تُفْخَرُ فِي هَذَا الْبَابِ بِقَوْلِ الثَّعْلَبِ بْنِ قَوْلَبٍ ^(٤) يَصِفُ ضَرْبَةَ سَيْفٍ :

أَبْقَى الْحَوَادِثَ وَالْأَيَّامَ مِنْ نَجْمٍ
آثَارُ سَيْفٍ قَدِيمٍ أَثَرُهُ بَادِي ^(٥)
تُظَلُّ تُخْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ
بَعْدَ الذَّرَاعَيْنِ وَالْقَيْدَيْنِ وَالْهَادِي ^(٦)
وَيَتَشَدُّ قَوْلُ الثَّابِعَةِ ^(٧) فِي السَّيْفِ أَيْضًا :

(١) في الفاروق عمر لميكل : أن الذي قتله هو هلال بن علفقة .

[انظر المصدر المذكور ج ١ ص ١٦٧] .

(٢) في (م) : « تلك البيضة » . وهي خوذة الرأس ، وقد مرت في هذا الباب ص ٦٧٢ .

(٣) في (م) : « فخرحل » .

(٤) هو : الثعلب بن قَوْلَب بن زهر بن أنش المكي ، شاعر مخضرم ، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية ، وكان فيها شاعر « الرباب » .. ولم يمدح أحداً ولا هجا .. وكان من ذوى النعمة والوجاهة ، جواداً . وأدرك الإسلام وهو كبير السن ، وفقد على النبي ﷺ ، وأسلم ، فكتب عنه كتاباً لقومه .. وقد توفي سنة ١٤ هـ تقريباً . و « ثير » يُضْبَطُ في كثير من الكتب بفتح النون وكسر الميم ، وفي بعض الكتب بكسر النون وتسكين الميم .. وفي الأغاني : كل غمر في العرب - كاهن بن قاسط - مكسور النون مجزوم الميم ، إلا الثمر بن تولب ، فهو بفتح النون وكسر الميم .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ٤٨ ، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، والأغاني ج ٢٦ ص ٩٠٣ - ٩٠١٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، وانظر مايقع فيه التصحيف والتحريف لابن سعيد العسكري ص ٣٩٠ ط مصطفى الحلبي ، والإكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٣٦٤] .

(٥) البيتان من البسيط .. وأثر السيف : تستسلُّه ودياحه ، والمراد هنا : أثره ، بالتحريك ، أى : ضربه ، أو مابقى من رسم الشيء ، وسكن هنا للضرورة .

(٦) هكذا البيت في (م) ، و « ط » والعقد الفرید ج ١ ص ١٥٥ .. وفي الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١١ : « والسائقين » مكان « والقيدنين » .. والهادى : الثقل .. أى : أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض حتى احتاج إلى أن يخفر عنه ، وهذا من الإفراط والكذب ، والمبالغة في الوصف .. وقد عيَّب ذلك على الشاعر .

(٧) هو الثابطة الديباني ، زياد بن عمرو بن معاوية وقد مر التعرف به .

يَقْدُ السُّلُوقَى الْمُضَاعَفَ نُسْجُهُ وَيُوقَدُ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحَبَاجِ (١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَدِّ الْحَدِيدِ بِمَا حَوَاهُ مِنَ الرَّأْسِ (٢) ؟ وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنَ الثُّرَى (٣) ؟
وَأَيْنَ الْحُسَامُ مِنَ الْمُنْجَلِ (٤) ؟ وَلَوْلَا كَرَاهَةُ التَّطْوِيلِ لَذَكَّرْنَا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا مَا فِيهِ
الْعَجَبُ . وَقَدْ قَالُوا : السَّيْفُ ظِلُّ الْمَوْتِ . السَّيْفُ لَعَابُ الْمَيِّتَةِ ، وَالرُّمْحُ رِشَاءُ
الْمَيِّتَةِ (٥) ، وَالسَّهْمُ رُسْلٌ لَا ثَوَامِرَ (٦) مَنْ أَرْسَلَهَا ، وَالرُّمْحُ أَخْوَكُ وَرُبَّمَا نَحَائِكَ ،
وَالذَّرْعُ مَشْغَلَةٌ لِلرَّاجِلِ (٧) وَمَتَعَبَةٌ لِلْفَارِسِ (٨) ، وَإِنَّهَا لَحِصْنٌ حَصِينٌ ، وَالتَّرْسُ
يَجُنُّ (٩) وَعَلَيْهِ تَدُورُ الدَّوَائِرُ .

(١) هكذا البيت في « م » و « ط » وهو من الطويل ، ومن قصيدة النابغة الشهيرة التي مطلعها :
« كَلَيْتَ لِيَهُمْ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٌ » و « يَقْدُ » : يقطع .. وفي الديوان : « قَدُّهُ أَى : السيوف . والسُّلُوقَى :
دروع منسوبة إلى مكان تُنسَبُ إليه الدروع والكلاب .. والمضاعف : الذي تُسَجِّحُ حلقتين حلقتين ، وخصه هنا
لأنه أشد على السيوف .. والصُّفَّاح : حجارة عراض .. والحَبَاج : دَوَائِرُ تَضِيءُ بالليل ، فضرِبها الشاعر مثلاً
لما ينقدح من الحجارة إذا قرعتها السيوف .. وَيُوقَدُ بِالصُّفَّاحِ ، يعنى : يضرب السيوف الحجارة فنقدح نَارًا ..
وفي الديوان : « تُوقَدُ » .. يريد أن يقول : إن هذا السيوف يقطع الدروع وكل شيء حتى يصير إلى الحجارة
فيورى فيها - أَى : ينقدح النار - وهذا إفراط غير مستحب في الوصف .

[انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٤٦ ، والعقد الفريد ج ١ ص ١٥٥] .

(٢) في « م » : « بما حواه الرأس » والرأس مُذَكَّرٌ في اللغة .

(٣) الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم في صورة الثور .. والثرى : الأرض .

(٤) الحُسَامُ : السيوف .. والمنجل : آلة لحصد الزرع .

(٥) رِشَاءُ المَيِّتَةِ ، أَى : الحبل الذي يوصل للموت .

(٦) لَا ثَوَامِرُ : لَا تُشَاوِرُ .

(٧) مشغلة للراجل ، أَى : تشغل المحارب الذي يقاتل وهو مُتَرَجِّلٌ ، وهو عكس الفارس .

(٨) في « م » : « متعبة للفارس » بدون واو والعطف .. أَى : وتعب الذي يقاتل على فرس .

(٩) يَجُنُّ : يحفظ ويستر .

البَابُ الحَادِي وَالسُّتُونَ فِي ذِكْرِ الْحُرُوبِ وَتَلْدِيرِهَا وَحِيلِهَا وَأَحْكَامِهَا

مِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَنْ لَا يُحَقِّرَ ^(١) عَدُوَّهُ وَإِنْ كَانَ ذَلِيلًا ، وَلَا يَغْلُفَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ
خَفِيرًا ، فَكَمْ مِنْ بَرُغُوثٍ ^(٢) أَسْهَرَ بَيْلًا ، وَمَتَعَ الرَّقَادَ مَلِكًا جَلِيلًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
فَلَا تُنْحِقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصْرٌ ^(٣)
فَإِنَّ السَّيُوفَ تُحْزِرُ الرَّقَابَ وَتُعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ
وَفِي الْأَمْثَالِ : لَا تُنْحِقِرَنَّ الذَّلِيلَ ، قَرِيبًا شَرِقَ ^(٤) بِالذُّبَابِ الْعَزِيزِ . وَمَثَلُ ^(٥) الْعَدُوِّ
مَثَلُ النَّارِ ، إِنْ تَدَارَكْتَ أَوَّلَهَا سَهْلٌ إِطْفَؤُهَا ، وَإِنْ تُرِكَتْ حَتَّى اسْتَحْكَمَ ضِرَامُهَا ^(٦)
صَعِبَ مَرَامُهَا ، وَنَضَاعَفَتْ يَلِيَّتُهَا . وَمَثَلُهُ ^(٧) أَيْضًا مَثَلُ الْجُرْحِ الرَّدِيِّ ، إِنْ تَدَارَكْتَهُ

(١) فِي د م : : وَمِنْ حَزْمِ الْمَلِكِ أَلَّا يُحَقِّرَ .

(٢) فِي د م : : فَكَمْ بَرُغُوثٍ .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْمُتَقَارِبِ ، وَقَدْ وَرَدَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ مَنْسُوبَيْنِ إِلَى الْفَكِيكِ ، ج ٤ ص ٢١٩ ، وَج ١١ ص ٧٤ .

(٤) شَرِقَ : غَصَّ (وَقَفَ فِي حَلْقِهِ) .. وَفِي د م : : يَشْرِقُ .

(٥) فِي د م : : وَمَثَالُ .

(٦) ضِرَامُهَا : اشْتَغَالُهَا .

(٧) فِي د م : : وَمَثَالُهُ .

سَهْلَ بَرُوءَهُ ، وَإِنْ أَغْفَلْتُهُ حَتَّى يَغْلَ (١) عَظُمْتَ بِلَيْتِهِ ، وَأَعْيَا (٢) الْأَطْبَاءَ بَرُوءَهُ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ النَّاسَ قَدْ وَضَعُوا فِي تَذْيِيرِ الْحُرُوبِ كُتُبًا ، وَرَتَّبُوا فِيهَا ثَرِيًّا ، فَلَا يَسَعُ أَهْلَ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ حَمْلُهَا (٣) ، إِذْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِي الْغَالِبِ نَوْعٌ مِنَ التَّذْيِيرِ ، وَصِنْفٌ مِنَ الْحِيلَةِ ، وَضُرْبٌ مِنَ الْمَكِيدَةِ ، وَجِنْسٌ مِنَ اللَّقَاءِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ ، وَنَعِيَّةُ الْمَوَاقِبِ (٤) ، وَحَمْلُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنْ نَصِفُ مِنْهُ أَشْيَاءَ تُجْرِي مَجْرَى الْمَعَاقِدِ (٥) ، لَا تَكَادُ (٦) تُخْتَلِفُ فِي إِنْهَاءِ أَزْمَةِ الْحُرُوبِ .

وَيَبْدَأُ أَوَّلًا بِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٧) ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ مَا فِي مَقْدُورِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْآلَةِ وَالْحِيلَةِ . وَفَسَّرَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُوَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى أَنَسٍ يَرْمُونَ ، فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ » . وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِذَا أَرَادَ الْعَزْوُ لَا يَقْصُ أَظْفَارَهُ وَيَتْرَكُهَا عُدَّةً (٨) ، وَيَرَاهَا قُوَّةً ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّقَاءِ عَمَلًا صَالِحًا ، مِنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ ، وَرَدٍّ مَظْلَمَةٍ ، وَصَلَةِ رَحِمٍ ، وَدُعَاءٍ مُخْلِصٍ ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ ، وَنَهْيٍ عَنْكَرٍ ، وَأَمْتَالِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ . وَرَوَى أَنَّ بَرِيدًا (٩)

(١) أى : « فسد » .

(٢) فى م : « وأغفل » .. وأعضل الأطباء برؤه : أعجزهم أن يداووه .

(٣) « حملها » عن ط : « ولم تردى م » .

(٤) نعية المواقب وتصبتها : عيبها .

(٥) المعاهد : مواضع انعقاد المجالس .. جمع معقود .. وجرى مجرى فلان ، أى : كانت حاله كحال .

(٦) فى م : « ولا تكاد » .

(٧) سورة الأنفال ، من الآية ٦٠ .

(٨) عُدَّة : استعدادًا .. أو ما يُعَدُّ لأمر يحدث .

(٩) البريد : الرسول .. وفى م : « زيد » تحريف .

وَرَدَ عَلَيْهِ يَفْتَحُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيُّ وَقْتٍ لَيْسَتْمُ الْعُدُو ؟ قَالَ : غَلَوَةٌ .
قَالَ : وَمَتَى انْهَزَمَ ؟ قَالَ عِنْدَ الزَّوَالِ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَامَ
الشَّرْكُ لِلْإِيمَانِ مِنْ غَدَوَةٍ إِلَى الزَّوَالِ ؟ لَقَدْ أَخَذْتُمْ بَعْدِي حَدَّثًا ، أَوْ أَخَذْتُ بَعْدَكُمْ
حَدَّثًا ! .

وَالشَّائِنُ كُلُّ الشَّائِنِ فِي اسْتِجَادَةِ الْقَوَادِ (١) ، وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ
الْوِلَايَةِ (٢) ، فَقَدْ (٣) قَالَتْ حُكَمَاءُ الْعَجَمِ : أَسَدٌ يَقُودُ أَلْفَ ثَغْلَبٍ خَيْرٌ مِنْ ثَغْلَبٍ
يَقُودُ أَلْفَ أَسَدٍ . فَلَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيَّ الْجَيْشُ إِلَّا الرَّجُلُ ذُو الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ ،
وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ ، ثَبَّتَ الْجَنَانِ (٤) ، صَارِمُ الْقَلْبِ جَرِيئُهُ (٥) ، رَابِطُ الْجَاشِرِ ،
صَادِقُ النَّاسِ ، مِمَّنْ قَدْ تَوَسَّطَ الْحُرُوبِ ، وَمَارَسَ الرِّجَالَ وَمَارَسُوهُ ، وَتَنَازَلَ الْأَقْرَانَ
وَتَنَازَلُوهُ (٦) ، وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ ، عَارِفًا بِمَوَاضِعِ الْفُرُصِ (٧) ، خَبِيرًا بِمَوَاقِعِ الْقَلْبِ
وَالْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَمَا الَّذِي يَجِبُ شَحْنُهُ بِالْحِمَاةِ وَالْأَبْطَالِ مِنْ ذَلِكَ ،
بَصِيرًا بِصُنُوفِ الْعُدُوِّ وَمَوَاقِعِ الْغُرَّةِ مِنْهُ (٨) وَمَوَاقِعِ الشَّدَةِ (٩) ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
وَصَدَرَ (١٠) الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، كَانَ جَمِيعُهُمْ (١١) كَأَنَّهُ مِثْلُهُ ، فَإِنْ رَأَى لِقْرَاعِ الْكُتَائِبِ
وَجَهًا ، وَإِلَّا رُدَّ رَدُّ الْقَتْلِ (١٢) لِلزَّرِيَّةِ .

(١) فِي م : : : : : الْقَوَادِينِ .

(٢) فِي م : : : : : الْأُلُويَّةُ وَهِيَ جَمْعُ لَوَاءٍ .. وَاتِّخَابِ الْأُمَرَاءِ وَأَصْحَابِ الْوِلَايَةِ : اخْتِيَارُهُمْ .

(٣) فِي م : : : : : وَقَدْ .

(٤) ثَبَّتَ الْجَنَانُ : الشَّجَاعَةُ الثَّابِتَةُ الْقَلْبِ .

(٥) فِي م : : : : : حَزْمُهُ ، مَكَانُ جَرِيئِهِ .

(٦) وَتَنَازَلُوهُ : عَنْ م .

(٧) فِي م : : : : : الْغُرْضُ : أَيْ : الْهَدَفُ .

(٨) فِي م : : : : : بَصِيرًا بِمَوَاقِعِ الْغُرَّةِ وَصُنُوفِ الْعُدُوِّ .

(٩) فِي م : : : : : وَمَوَاضِعِ الشَّدَةِ .

(١٠) فِي م : : : : : فَصْتَرُ . وَصَدَرَ الْكُلُّ عَنْ رَأْيِهِ ، أَيْ : رَجَعُوا إِلَى رَأْيِهِ وَانْتَهَوْا إِلَيْهِ .

(١١) فِي م : : : : : جَمْعُهُمْ .

(١٢) فِي م : : : : : وَإِلَّا رُدَّ الْقَتْلُ وَسَقَطَتْ « رُدُّ » وَلاَ تَصِحُّ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ ، وَآخِرُ ^(١) مَا يَجِبُ رُكُوبُهُ قَرْعُ الْكَتَائِبِ ، وَحَمْلُ الْجُيُوشِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَلْتَبْدَأْ بِتَصْرِيفِ الْحِيلَةِ فِي ثِيْلِ الظَّفَرِ .

قَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ : كُنْتُ أَمِيرَ خُرَاسَانَ مِنْ قَبْلِ مَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ ، آخِرَ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ ، قَالَ : وَكَانَ ^(٢) عُظَمَاءُ التُّرْكِ يَقُولُونَ : يَنْبَغِي لِلْقَائِدِ الْعَظِيمِ ^(٣) أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَشْرَةُ أَخْلَاقٍ مِنْ إِخْلَاقِ الْبَهَائِمِ ^(٤) : شَجَاعَةُ الذِّبْكِ ، وَبَحْثُ الدَّجَاجَةِ ، وَقَلْبُ الْأَسَدِ ، وَحِمْلَةُ الْخَنْزِيرِ ^(٥) ، وَرَوْعَانُ الثَّغْلِبِ ^(٦) ، وَصَبْرُ الْكَلْبِ عَلَى الْجِرَاحِ ، وَحِرَاسَةُ الْكُرْكِيِّ ^(٧) ، وَغَارَةُ الذَّنْبِ ^(٨) وَسِمَنُ ثَعْبٍ ، وَهِيَ دَوِيَّةٌ تَكُونُ بِخُرَاسَانَ تَسْمَنُ عَلَى الثَّعْبِ وَالشَّقَاءِ .

وَكَانَ يُقَالُ : أَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عَشْرَةَ : فَأَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ الْجِبَالَ ^(٩) ، وَالْحَدِيدَ يَنْحِتُ الْجِبَالَ ، وَالتَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ ^(١٠)

(١) فِي « م » : « وَأَخْسَنَ » مَكَانَ « وَآخِرَ » .

(٢) فِي « م » : « كَانَ » بِدُونِ « وَ » الْعَظَمَاءُ .

(٣) فِي « ط » : « الْعَظِيمِ الْقَائِدِ » .

(٤) مَا وَرَدَ فِي « م » ، وَ « ط » تِسْعَ صِفَاتٍ وَلَيْسَ عَشْرًا كَمَا ذَكَرَ .

(٥) حِمْلَةُ الْخَنْزِيرِ : كَرْهُهُ فِي الْحَرْبِ .. وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ الْكَبِيرِ لِلدَّمِيرِ : أَنَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ حَتَّى إِنَّهُ يَضْرِبُ

بَنَاهُ صَاحِبُ السِّيفِ وَالرَّحْمَ فَيَقْطَعُ كُلَّ مَالِقٍ مِنْ جَسَدِهِ مِنْ عَظْمٍ وَعَصَبٍ .

[انْظُرِ الْمَصْدَرُ الْمَذْكُورُ ج ١ ص ٤٣١] .

(٦) رَوْعَانُ الثَّغْلِبِ : خَدِيعَتُهُ .

(٧) الْكُرْكِيُّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ ، طَوِيلُ الشَّنْقِ وَالرَّجْلَيْنِ ، أَبْرَزُ الذَّنْبِ ، قَلِيلُ اللَّحْمِ ، يَأْوِي إِلَى الْمَاءِ أحياناً ، وَمِنْ طَبْعِهِ الْحَذَرُ وَالتَّحَارُّسُ بِالنُّوبَةِ ، وَالَّذِي يَحْرُسُ بِصَوْتٍ خَفِيِّ يَنْبُلُ بِأَنَّهُ « حَارَسٌ » ، فَإِذَا قَضَى نَوْبَهُ فِي الْحِرَاسِ قَامَ الَّذِي كَانَ نَائِمًا لِيَحْرُسَ مَكَانَهُ .

[انْظُرِ الدَّمِيرُ ج ٢ ص ٢٤٤] .

(٨) الْمَعْرُوفُ عَنِ الذَّنْبِ أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ الْجُوعُ عَزَى ، فَتَجْتَمِعُ لَهُ الذَّلَاقُ ، وَيَغْثَرُونَ مَجْتَمِعِينَ عَلَى الْفَرِيسَةِ .

(٩) قَوْلُهُ : « فَأَشَدُّ خَلْقِ اللَّهِ » عَنْ « م » وَلَمْ تَرِدْ فِي « ط » .

(١٠) فِي « ط » : « تَحْمِلُ » .

الْمَاءَ ، وَالرَّيْحُ تُصَرِّفُ السَّحَابَ ^(١) ، وَالْإِنْسَانُ يَفْنَى الرِّيحَ ^(٢) لِحَاجَّتِهِ ، وَالسُّكْرُ ^(٣)
يَصْرَعُ الْإِنْسَانَ ، وَالتَّوَمُ يَذْهَبُ السُّكْرَ ، وَالْهَمُّ يَمْنَعُ التَّوَمَ ، فَاشْتَدَّ خَلْقِي رَبِّكَ الْهَمُّ .
فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَيْتُ ^(٤) جَوَاسِيسُهُ فِي عَسْكَرِ عَدُوِّهِ ، يَسْتَعْلِمُ أَخْبَارَهُ مَعَ
السَّاعَاتِ ، وَيَسْتَعْلِمُ رُؤُسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَذَوِي الشَّجَاعَةِ مِنْهُمْ ، وَيَدُسُّ إِلَيْهِمْ ^(٥) ،
وَيَعْدُهُمْ وَغَدًا جَمِيلًا ، وَيُوجِّهُ إِلَيْهِمْ بِضُرُوبِ الْخُدْعَةِ ، وَيَقْوَى أَطْمَاعَهُمْ فِي أَنْ
يَتَأَلَّوْا ^(٦) مَا عِنْدَهُ مِنَ الْهَبَاتِ الْفَاحِشَةِ ، وَالْوَلَايَاتِ ^(٧) السَّيْنِيَّةِ ، وَإِنْ رَأَى وَجْهًا
عَاجِلَهُمْ بِالْهَدَايَا ^(٨) ، وَالتَّحْفِ ، وَسَأَلَهُمْ ^(٩) إِمَّا الْغَدَرَ بِصَاحِبِهِمْ وَإِمَّا اغْتِزَالَهُ وَقَتَ
الْلِقَاءِ ، وَيَنْشِئُ عَلَى السَّيِّئَةِ كُتْبًا مُدْلَسَةً إِلَيْهِ ^(١٠) وَيُنْشِئُ فِي عَسْكَرِهِ ، وَيَكْتُبُ عَلَى
السَّهَامِ أَخْبَارًا مُزَوَّرَةً وَيَرْمِي بِهَا فِي جُيُوشِهِمْ ، وَيَضْرِبُ بَيْنَهُمْ بِمَا فِي الْمَيْسُورِ مِنْ
ذَلِكَ ، فَإِنْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْنَا تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَمْوَالُ وَالْحِجَلُ ، وَاللِّقَاءُ تَنَفَّقَ فِيهِ الْأَرْوَاحُ
وَالنُّفُوسُ ^(١١) ، وَوُجُوهُ الْخِدَاعِ فِيهِ لَا تُحْصَى ، وَالْحَاضِرُ فِيهِ ^(١٢) أَبْصَرَ مِنْ

(١) تُصَرِّفُ السحاب : تُوجِّهه .. ول د م : : تُفَرِّق السحاب .

(٢) يَفْنَى الرِّيح : يتخلدها للاستفادة منها لحاجته .. ول د م : : يَفْنَى الرِّيح .

(٣) السُّكْر : غيبوبة العقل واختلاطه من الشراب المُسَكِّر .

(٤) ل د م : : تَمَيَّنَتْ .

(٥) يَدُسُّ إِلَيْهِمْ : يرسل إليهم خفية .

(٦) ل د م : : تَتَأَلَّوْا .

(٧) ل د م : : الْوَلَايَاتِ .

(٨) ل د م : : وَإِنْ رَأَى وَجْهًا قَابِلَهُمْ بِالْمَطَايَا . والوجه هنا بمعنى القبول والانتقاد لرأيه .

(٩) ل د م : : وسامهم . تحريف .

(١٠) كُتْبًا مُدْلَسَةً : رسائل مزيفة يلدع بها العدو .

(١١) ل د ط : : الْأَرْوَاحُ وَالرُّعُوسُ .

(١٢) فِيهِ ، أَي : فِي اللَّقَاءِ .. ول د ط : : فِيهَا ، أَي : فِي الْحَرْبِ .

الغائب . والله دُرُّ المهلبِ لما كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يَسْتَعِجِلُهُ فِي حَرْبِ الْأَزَارِقَةِ ^(١) .
رَدَّ الْجَوَابَ فَقَالَ : إِنْ مِنْ الْبَلَاءِ أَنْ يَكُونَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُكَ لَا عِنْدَ مَنْ يَصِيرُهُ .

وَقَالَ الْمُخْتَارُ لِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ^(٢) حِينَ وَلَاهُ الْجَزِيرَةَ وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ^(٣) : امْضِ إِلَى عَدُوِّكَ بِرَأْيٍ غَيْرِ مُسْتَبَدٍّ ، وَبِحَزْمٍ غَيْرِ مُتَكِلٍ ، وَلَا تُرَكِّنْ إِلَى الدَّوْلَةِ ، فَرَبَّمَا انْقَلَبْتَ ، وَاسْتَشِيرَ مَنْ لَا يَطْمَعُ فِي عَمَلِكَ ، وَلَا تَسِرْ بِقَلْبِكَ ، وَاسْتَخِرِ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ إِفْدَامِكَ تُوفِّقُ .

وَأَوْصَتْ أُمُّ الدِّيَالِ الْعَبْسِيَّةُ ابْنَهَا الْفَتَاكُ ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْعَرَبِ : يَا بُنَيَّ لَا تَنْشَبْ فِي حَرْبٍ ^(٤) إِنْ وَثَقَتْ بِشِدَّتِكَ ^(٥) حَتَّى تَعْرِفَ وَجْهَ الْمَهْرَبِ مِنْهَا ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقْوَى شَيْءٍ إِذَا وَجَدَتْ سَبِيلَ الْحِيلَةِ ، وَأَضْعَفُ شَيْءٍ إِذَا يَسَسَتْ مِنْهَا ، وَأَحْمَدُ الشَّدَةِ ^(٦) مَا كَانَتْ الْحِيلَةُ مُدْبِرَةً لَهَا ، إِذَا لَمْ يَكُنِ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَهْذَلُهَا ، وَاخْتَلَسَ مِنْ

(١) في م : : يعجله ، أى : يحته .. والأزارقة : فرقة من الحوارج ، تُسبوا إلى نافع بن الأزرق الحنفى ، كفروا علياً بالتحكيم ، وأصحابه ، والقاعدين عن القتال ، وجوزوا قتل المخالفين لهم وسبوا نسائهم .

[انظر التعريفات للجرجاني ص ٣٢ ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١١٨ - ١٢٢] .

(٢) المختار ، هو : المختار الثقفى ، وقد مرَّ التعريف به .. ويزيد هو : يزيد بن أنس المالكى الأسدى ، قائد من الشجعان من أصحاب المختار الثقفى ، خرج معه على بنى أمية مطالباً بدم الحسين ، فكان من قادة جيشه ، ووجهه المختار على رأس ثلاثة آلاف من الكوفة للدخول الموصل ، وفيها عبيد الله بن زياد ، وعلم ابن زياد بخبره ، فأرسل لقتاله فَيَلْقَيْنِ ، كل منهما ثلاثة آلاف ، وعلى الأول ربيعة بن غزاق الغنوى ، وعلى الثانى عبد الله بن جملة الخثعمى ، وتقدم ربيعة يوماً ، فانهزم من معه بعد معركة ، وقتل ، وأقبل الخثعمى ، فقتل أيضاً ، وتفرق رجاله ، وكان يزيد في حالة إعياء شديد من مرض حلَّ به ، فأوصى بمن يخلفه إن مات . وشهد المعركة الأولى وهو على حمار يمسكه بعض الرجال ، وشهد الثانية وهو في قلب جيشه على سرير . وسقط ميتاً في المساء بعد الظهر في الحريين سنة ٦٦ هـ .

[انظر الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، والأعلام ج ٨ ص ١٧٩ ، ١٨٠] .

(٣) في م : : و : : عبد الله ، والصواب ما أثبتناه .. وهو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وقد مرَّ التعريف به .

(٤) لا تنشب في حرب ، أى : لا تقع فيها .

(٥) في ط : : : : إن وثقت شدتك ، أى : صارت محكمة في القوة .

(٦) في م : : : : السورة ، تحريف .. وأحمد الشدة : الشدة المحمودة ، والفعل أفعل تفضيل من الحمد .

الْمُحَارِبِ ^(١) تَخْلَسَ الذَّنْبِ ، وَطَرَّ مِنْهُ طَيْرَانُ الْغُرَابِ ، فَإِنَّ الْحَذَرَ زِمَامُ الشَّجَاعَةِ ، وَالتَّهَوُّرُ عَدُوُّ الشَّدَّةِ .

وَقَالَ أَبُو السَّرَّاءِ - وَكَانَ أَحَدَ الْفَتَاكِ ^(٢) - لَا يَنْبِي : يَا بُنَيَّ ، كُنْ بِحِيلَتِكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ ، وَبِحَذْرِكَ ^(٣) أَوْثَقَ مِنْكَ بِشَجَاعَتِكَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمُتَهَوِّرِ وَرَغِيْمَةُ الْحَذِيرِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الدُّوْلَ إِذَا زَالَتْ صَارَتْ حِيلَهَا ^(٤) وَبَالًا عَلَيْهَا ، وَإِذَا أُذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي حُلُولِ الْبَلَاءِ كَانَتْ الْآفَةُ فِي الْحِيلَةِ . وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ كَانَ الْقَطَبُ ^(٥) فِي الْحِيلَةِ ، وَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ الدُّوْلِ أَذْبَرَتْ سُنَّةُ الْعَفْلَةِ عَنْ سُنَّةِ الْحَذَرِ ^(٦) وَيَغْلِبُ الضَّعِيفُ بِإِقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، كَمَا يَغْلِبُ الْقَوِيُّ بِفَنَاءِ مُدَّتِهِ ^(٧) .

وَقَالُوا : سُوءُ الدُّوْلِ وَتُحُوسُهَا مَقْرُونَةٌ بِسُوءِ الْمُلْكِ وَتُحُوسِيهِ ^(٨) . وَقَالُوا : أَبْهَى زَيْ ^(٩) عَلَى كُلِّ أَمْرٍ ذَوْلُهُ ، فَإِذَا انْقَضَتْ بَدَتْ عَوْرَتُهُ . وَقَالَ ^(١٠) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا وَلَّتْ دَوْلَةٌ ، وَلَّتْ أُمَّةٌ ، وَإِذَا زَالَتْ ذَوْلَةُ نُسَخَتْ أُمَّةٌ ^(١١) . وَقَالُوا : رُبَّ حِيلَةٍ أَهْلَكَتِ الْمُحْتَالَ . فَمِنْ الْحَزَمِ الْمَالُوفِ عِنْدَ سُؤْسِ الْحُرُوبِ ^(١٢) أَنَّ

(١) اختلس : اختطف بسرعة وغفلة ، والخلصة بفتح الخاء المصجمة : اسم مَرَّة ، وبالضم : ما يُخْلَسُ .. وفي « م » : « وأخلص من ثحارب » وهي بمعناها .

(٢) الفتاك : جمع فاتك ، وهو الذي يركب الشدائد ولا يبال بالموت .

(٣) في « م » : « وبجذتك » .

(٤) في « م » : « حيلتها » .

(٥) القطب : الملاك والفساد .

(٦) السُّنَّة : الطبيعة ، والصورة ، والطريقة . والسُّنَّة : القُفُوءُ والنماس . وكلاهما له وَجْهٌ .

(٧) أى : بانهاء أجله .

(٨) السُّعُود : اليأس والتوفيق - تقيض الشقاء .. والتُّحُوس : الجُهد والضرر .

(٩) سقطت لفظة « زَيْ » من « م » سهواً من النسخ .

(١٠) من قوله : « قال .. » إلى قوله : « نُسخت أمة » عن « م » . وساقط من « ط » .

(١١) إلى هنا ينتهي الساقط من « ط » .. ونُسخت أمة : أُزيلت .

(١٢) سُؤْسُ الحروب : مآسئها .. والكُماة : جمع كَيْ ، وهو : الشجاع الجريء من الأبطال .

تُكَوْنُ حُمَاةَ الرُّجَالِ وَكُمَاةَ الْأَبْطَالِ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنَّهُ مِنْهُمَا الْكَسَرُ الْجَنَاحَانِ فَالْعُمُيُونَ
نَاطِرَةٌ إِلَى الْقَلْبِ ، فَإِذَا كَانَتْ رَايَاتُهُ تَحْفُفُ ، وَطَبُولُهُ تُضْرَبُ ، كَانَتْ حِصْنًا
لِلْجَنَاحَيْنِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَنْهُرٍ ، وَإِذَا انْكَسَرَ الْقَلْبُ تَمَزَّقَ الْجَنَاحَانِ ، مِثَالُ ذَلِكَ :
الطَّاوِي إِذَا انْكَسَرَ إِحْدَى جَنَاحَيْهِ يَرْجَى عَوْدَهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، وَإِنْ انْكَسَرَ ^(١) الرَّأْسُ
ذَهَبَ الْجَنَاحَانِ ، وَلَا تُحْصَى كَثْرَةُ انْكِسَارِ جَنَاحِي الْعَسْكَرِ وَثَبَاتُ الْقَلْبِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ
الْفَارُونَ إِلَى الْقَلْبِ وَيَكُونُ الظَّفَرُ لَهُمْ . وَقُلْ عَسْكَرُ الْكَسَرِ قَلْبُهُ فَأَقْلَحْ أَوْ تَرَاوِجْ ^(٢) ،
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكِيدَةً مِنْ صَاحِبِ الْجَيْشِ ، فَيُخِلَّ الْقَلْبَ ^(٣) قَصْدًا وَتَعَمُّدًا ،
وَلَا يُعَادِرُ بِهِ كَبِيرُ أَمْرِ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَهُ الْعَدُوُّ اشْتَغَلَ بِنَهْيِهِ ^(٤) ، وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ
الْجَنَاحَانِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَكَائِدِ فِي الْحَرْبِ الْكُمْنَاءُ ^(٥) ، وَلَا يُحْصَى كَثْرَةُ . كَمَ مِنْ عَسْكَرٍ
اسْتَبِيحَتْ بَيْضَتُهُ وَقُلْ عَزَمُهُ بِالْكُمْنَاءِ ^(٦) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَارِسَ لَا يَزَالُ عَلَى حَيِيَّةٍ فِي
الدَّفَاعِ وَحِمَى الدَّمَارِ ^(٧) حَتَّى يَلْتَقِيَ قَبْرِي وَرَاءَهُ بَنَدًا مَنُشُورًا ^(٨) ، أَوْ يَسْمَعَ ضَرْبَ
الطَّبُولِ ^(٩) ، فَحَيِيَّتُهُ هِمَّتُهُ خَلَاصُ نَفْسِهِ . وَلَتَكُنْ هِمَّتُكَ وَرَاءَ ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ
الْحُرُوبِ فِي اصْطِلَاحِ الشُّجْعَانِ ^(١٠) ، وَاخْتِيَارِ الْأَبْطَالِ ، فَاصْطَلَحَ ذَوِي الْبَسَالَةِ
وَالْإِقْدَامِ وَالْجَرَاءَةِ ^(١١) ، وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا يَكْثُرُوا ، وَبَعِيدٌ ^(١٢) عَلَيْكَ أَنْ يَكْثُرُوا ،
وَلَا تَنْسَ بَيْتَ الشَّاعِرِ :

(١) لِي د ط : « كُسِر » .. وجناحا المسكر : جانيه .

(٢) لِي م : « فَأَقْلَحْ وَتَرَاوِجْ » .

(٣) فَيُخِلُّ الْقَلْبَ : يَضِيبُ عَنْهُ وَيَرْكَبُهُ .

(٤) لِي م : « وَاشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ » .

(٥) الْكُمْنَاءُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَكْمِنُونَ وَيَهْرُونَ فِي الْحَرْبِ ، حِيلَةٌ .. وَمِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ : « قُلْ عَزَمَهُ بِالْكُمْنَاءِ »
سَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٦) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي السَّاقَطُ مِنْ « م » .. وَمَعْنَى اسْتَبِيحَتْ بَيْضَتُهُ ، أَيْ : دَخَلَ الْعَدُوُّ مَكَانَهُمْ وَاسْتَبَاحَ جَنَاحَهُمْ .

(٧) لِي م : « عَلَى حَيِيَّتِهِ » .. وَالدَّمَارُ : مَا يَنْهِي حِيَاظَتَهُ وَالزُّوْدُ عَنْهُ ، كَالْأَهْلِ وَالْبِرْضِ .

(٨) بَنَدًا مَنُشُورًا : عَلَمًا مَرْفُوعًا .

(٩) لِي م : « أَوْ ضَرْبَ الطَّبُولِ » .

(١٠) اصْطِلَاحُ الشُّجْعَانِ : اخْتِيَارُهُمُ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ .

(١١) لِي م : « وَالْجَرَاءَةُ » .

(١٢) لِي م : « أَوْ بَعِيدٌ » .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمَرَ عَنَى ^(١)

بَلْ قَدْ جُرِبَ ذَلِكَ فَوَجِدَ مِنْهُمْ خَيْرًا ^(٢) مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَسَأَخِي لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ ^(٣) ، فَهُمْ فِي الْجَيْشِ ، وَإِنْ قَلُّوا ، كَالْإِنْفِخَةِ فِي اللَّبَنِ ^(٤) ، فَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا اتَّفَقَى الْمُسْتَعِينُ بْنُ هُوْدٍ ^(٥) مَعَ الطَّاعِيَةِ ابْنِ رُذَمِيلَ ^(٦) النَّصْرَانِيَّ عَلَى مَدِينَةِ « وَشَقَّة » ^(٧) فِي ثُغُورِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ الْعَسْكَرَانِ كَالْمُتَكَافِيَيْنِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرَاهِقُ ^(٨) عِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ بَيْنَ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ^(٩) ، فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ حَضَرَ النُّوقَةَ مِنَ الْأَجْنَادِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَا اللَّقَاءُ قَالَ الطَّاعِيَةُ ابْنُ رُذَمِيلَ لِمَنْ يَتَّقُ بِعَقْلِهِ وَمُمَارَسَتِهِ لِلْحُرُوبِ ^(١٠) مِنْ رِجَالِهِ : اسْتَعْلِمَ مَنْ فِي عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشُّجْعَانِ الَّذِينَ تَعْرِفُهُمْ كَمَا يَغْرِفُونَنَا ، وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ وَمَنْ حَضَرَ . فَلَدَهَبَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : فِيهِمْ فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَةَ رِجَالٍ . قَالَ : انْظُرْ

(١) عَنَى : نَزَلَ وَوَقَعَ .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ » .. لَا تَصَحُّ .

(٣) فِي « م » : « مَا يَفْضِي فِيهِ الْمَجَب » .

(٤) الْإِنْفِخَةُ ، بِتَشْدِيدِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَتَخْفِيفِهَا : مَادَّةٌ خَاصَّةٌ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مَعْدَةِ الرِّضِيعِ مِنَ الْحَبُولِ وَالْجِلْدَاءِ ،

أَوْ نَحْوِهَا ، بِهَا حِمَاةٌ تُجَبِّزُ اللَّبَنَ .

(٥) فِي « م » : « الْمُسْتَجِيبُ بْنُ هُوْدٍ » . تَحْرِيفٌ .. وَهُوَ : الْمُسْتَعِينُ بِاللَّهِ أَحْمَدُ يَوْسُفُ بْنُ هُوْدٍ ، رَابِعُ مُلُوكِ الْبُلُوَّةِ الْهُودِيَّةِ - مِنْ دُولِ الطَّوَالِفِ بِالْأَنْدَلُسِ - وَكَانَ مَقَامَ مُلُوكِهَا فِي سَرَقِطَةَ .. وَلى بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ ٤٧٨ هـ . وَكَانَ مِنَ الْغُرَاةِ .. وَكَانَتْ فِي أَيَّامِهِ وَقْعَةُ « وَشَقَّة » سَنَةَ ٤٨٩ هـ ، وَقُتِلَ فِيهَا نَحْوُ ١٠ أَلْفٍ مِنْ جَيْشِهِ .. وَاسْتَمَرَ فِي الْإِمَارَةِ إِلَى أَنْ قُتِلَ شَهِيدًا فِي مَعْرَكَةِ لِنْفِخِ الْعُلُوِّ بِظَاهِرِ سَرَقِطَةَ سَنَةَ ٥٠٣ هـ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ٢٧٣ ، وَنَفِخِ الطَّبِيبِ ج ١ ص ٤٢٣] .

(٦) فِي « م » : « ابْنُ بَرْدَمِيلَ » فِي الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا .. وَهُوَ تَحْرِيفٌ .. وَقَدْ وَرَدَ اسْمُهُ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ :

« ابْنُ رَدْمِرٍ » بِالرَّاءِ .. [انْظُرِ ابْنَ الْأَثِيرِ ج ٨ ص ٣٠٢ وَغَيْرَهَا] .

(٧) وَشَقَّةٌ : مَدِينَةٌ شَرْقِ أَسْبَانِيَا . فَتَحَهَا الْعَرَبُ سَنَةَ ٩٥ هـ .

(٨) يُرَاهِقُ : يُقَارِبُ .

(٩) فِي « م » : « مِنْ خَيْلٍ وَرَجُلٍ ، وَالرَّجُلُ ، جَمْعُ رَاجِلٍ ، وَهُوَ : الْمَاشِي عَلَى رِجْلَيْهِ .

(١٠) فِي « م » : « وَمُمَارَسَةُ الْحُرُوبِ » .

الآن ^(١) مِنَ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ . فَعَدُّوهُمْ فَوَجَدُوهُمْ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لَا يَزِيدُونَ ، فَقَامَ الطَّائِفَةُ ضَاحِكًا مَسْرُورًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا يَيَاضَكَ مِنْ يَوْمٍ ! ثُمَّ نَاشَبَ ^(٢) الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ ، فَلَمْ تَزَلِ الْمُصَابِرَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، لَمْ يُولِ أَحَدُهُمْ دُبْرَهُ ^(٣) ، وَلَا تَزَحَزَحَ عَنْ مُقَامِهِ ^(٤) حَتَّى فَنِيَ أَكْثَرُ الْعَسْكَرَيْنِ وَلَمْ يَفِرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ نَظَرُوا إِلَيْنَا سَاعَةً ، ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةً وَاحِدَةً ^(٥) وَدَاخَلُونَا مُدَاخِلَةً ، فَفَرَقُوا بَيْنَنَا وَصَبَرْنَا شَطْرَيْنِ ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَصْحَابِنَا ، وَصَارُوا بَيْنَنَا ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَهْنِنَا وَضَعْفِنَا ، وَلَمْ نَقِمِ الْحَرْبَ إِلَّا سَاعَةً وَنَحْنُ فِي خَسَارَةٍ مَعَهُمْ ، فَأَشَارَ مُقَدِّمُو ^(٦) الْعَسْكَرِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَنْجُو بِنَفْسِهِ ، وَانْكَسَرَ ^(٧) عَسْكَرُ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ ، وَمَلَكَ الْعَدُوُّ مَدِينَةَ « وَشَقَّة » . فَلْيَعْتَبِرْ ذُو الْحِزْمِ وَالْبَصِيرَةُ مِنْ جَمْعٍ يَحْتَوِي عَلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ وَلَا يَخْضَرُهُ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَعْدُودِينَ إِلَّا خُمُسَةً عَشَرَ رَجُلًا ، وَلْيَعْتَبِرْ بِضَمَانِ الْجُلُجِ ^(٨) بِالظَّفَرِ وَاسْتِيشَارِهِ بِالْفَتِيمَةِ لَمَّا زَادَ فِي أَبْطَالِهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ .

وَسَمِعْتُ أَسْتَاذَنَا الْقَاضِي أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، يَخْكِي ، قَالَ : يَنَمَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِذْ وَقَفَ عَلَى تَشْرِ ^(٩) مِنَ الْأَرْضِ مُرْتَفِعٍ ، فَرَأَى جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ^(١٠) قَدْ مَلَفُوا السَّهْلَ

(١) فِي « م » : « قَالَ : الْآنَ انْظُرْ » .

(٢) نَاشَبَ : نَاهَذَ وَجَاهَرَ .

(٣) لَمْ يُولِ أَحَدُهُمْ دُبْرَهُ : لَمْ يَفِرْ .

(٤) مُقَامِهِ : مَوْقِعُ إِقَامَتِهِ وَمَكَانِهِ .

(٥) قَوْلُهُ : « وَاحِدَةً » عَنْ « م » .

(٦) فِي « م » : « مُقَدِّم » .

(٧) فِي « م » : « فَانْكَسَرَ » أَيْ : فَانْهَزَمَ .

(٨) أَصْلُ الْجُلُجِ : حِمَارُ الْوَحْشِ الْغَلِيظِ ، وَأُطْلِقَ عَلَى الرَّجُلِ الضَّخْمِ مِنْ كُفَّارِ الْعَجَمِ ، وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَطْلُقُونَهُ عَلَى الْكَافِرِ مُطْلَقًا .. وَقَدْ مَرَّ .

(٩) التَّشَرُّ ، بِفَتْحِ الشِّينِ وَسُكُونِهَا : مَا ارْتَفَعَ وَظَهَرَ مِنَ الْأَرْضِ .

(١٠) فِي « م » : « وَعَنْ يَسَارِهِ » .

وَالْجَبَلِ ، فَاتَّفَتْ إِلَى مُقَدِّمِ الْعَسْكَرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ، فَقَالَ :
 كَيْفَ تَرَى هَذَا الْعَسْكَرَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ؟ قَالَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَرَى جَمْعًا كَثِيرًا وَجَيْشًا
 وَاسِعًا . فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : لَا يَنْجُزُ ^(١) أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ مُقَاتِلٍ ^(٢)
 مِنْ أَهْلِ الشُّجَاعَةِ وَالْبَسَالَةِ ؟ فَسَكَتَ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَا سُكُوتُكَ ؟
 أَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْجُيُوشِ ^(٣) أَلْفُ مُقَاتِلٍ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ
 انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ خَمْسُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ الْمَعْدُودِينَ ؟ قَالَ : لَا . فَحَقِيقَ
 الْمَنْصُورُ ، ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَيُّهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :
 أَيُّهُمْ خَمْسُونَ مِنَ الْأَبْطَالِ ؟ قَالَ : لَا . فَسَبَّهَ الْمَنْصُورُ وَاسْتَحَفَّ بِهِ ^(٤) ، وَأَمَرَ بِهِ
 فَأُخْرِجَ عَلَى أَقْبَحِ صَرِيفَةٍ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ ، وَتَصَافَّ ^(٥)
 الْجَمْعَانِ ، فَهَرَزَ ^(٦) عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، شَالِكٌ فِي سِلَاحِهِ يَكُرُّ وَيَقْرُ ^(٧) وَهُوَ
 يُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَهَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَقَتَلَهُ ^(٨)
 الْعِلْجُ ، فَفَرَحَ الْمُشْرِكُونَ وَصَاحُوا ^(٩) ، وَاضْطَرَبَ لَهَا الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْعِلْجُ
 يَمْحُحُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُتَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ اثْنَيْنِ لِوَاحِدٍ ؟ فَهَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
 فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ ^(١٠) الْعِلْجُ ، وَجَعَلَ يَكُرُّ وَيَحْمِلُ ^(١١) وَيُتَادَى : هَلْ

(١) فِي « ط » : « لَا يَمُجِزُنَا » .

(٢) هُنَا فِي « م » : « قَالَ : لَا .. قَالَ : فَتَعَجَّبَ الْمَنْصُورُ ثُمَّ انْعَطَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا الْجَيْشِ أَلْفُ

مُقَاتِلٍ » ، وَتَضَاقَى مَعَ تَغْيِيرِ طَفِيفٍ .

(٣) فِي « م » : « فِي هَذَا الْجَيْشِ » .

(٤) لَحَقِيقٌ : فَاغْتَاظَ .. وَاسْتَحَفَّ بِهِ : اسْتَبَانَ بِهِ وَأَهَانَهُ .

(٥) تَصَافَّ الْجَمْعَانِ : وَقَفُوا فِي صُفُوفٍ مُتَقَابِلَةٍ .. وَ « تَضَاقَى » أَيْ : انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

(٦) فِي « م » : « وَهَرَزَ » .

(٧) أَيْ : يَحْمِلُ عُذَّةَ الْحَرْبِ وَمُتَأَهَّبٌ لِلْقِتَالِ .

(٨) فِي « م » : « ثُمَّ قَتَلَهُ » .

(٩) فِي « م » : « وَصَاحُوا بِهِ » .

(١٠) فِي « م » : « ثُمَّ قَتَلَهُ الْعِلْجُ فَفَرَحَ الْمُشْرِكُونَ » .

(١١) فِي « م » : « يَكُرُّ وَيَقْرُ » .

مِنْ مَبَارِزِ ثَلَاثَةِ لَوَاحِدٍ ؟ فَبَرَزَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) فَقَتَلَهُ الْعِلْجُ ، فَصَاحَ الْمُشْرِكُونَ ، وَذَلَّ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَادَتْ تُكُونُ كَسْرَةً ، فَقِيلَ لِلْمَنْصُورِ : مَا لَهَا غَيْرَ ابْنِ الْمُصْحَفِيِّ ؟ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَحَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ الْكَلْبُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : بَعْنَى جَمِيعِ مَا جَرَى . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَنْ تُكْفِي ^(٢) الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . قَالَ : نَعَمْ الْآنَ .

ثُمَّ قَصَدَ إِلَى رِجَالٍ يَعْرِفُهُمْ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ عَلَى قَرَسٍ قَدْ نَشَرَتْ أَوْزَاكُهَا هُزَالًا ^(٣) ، وَهُوَ يَحْمِلُ قِرْبَةً مَاءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْقَرَسِ ، وَالرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّتِيهِ غَيْرُ مُتَضَمِّعٍ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ مِنْذُ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَمَاذَا تَرَى فِيهِ ؟ قَالَ أُرِيدُ رَأْسَهُ الْآنَ ^(٥) . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمَلَ الْقِرْبَةَ إِلَى رَحْلِهِ ، وَلَبَسَ لِأَمَةِ حَرْبِهِ وَبَرَزَ إِلَيْهِ ^(٦) ، فَجَاوَلَا سَاعَةً ، فَلَمْ يَرِ النَّاسُ إِلَّا الْمُسْلِمَ خَارِجًا إِلَيْهِمْ يَرْتَضِضُ ، وَلَا يَذْرُونَ مَا هُنَالِكَ ، وَإِذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ رَأْسَ الْعِلْجِ ، فَالْقَى الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ : عَنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي عَسْكَرِكَ مِنْهُمْ أَلْفٌ ، وَلَا خَمْسُمِائَةٍ ، وَلَا مِائَةٌ ، وَلَا خَمْسُونَ ، وَلَا عِشْرُونَ ، وَلَا عَشْرَةٌ ^(٧) . فَرَدَّ ابْنُ الْمُصْحَفِيِّ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَكْرَمَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ الْحَرْبِ شَكْوَى ، وَأَوْسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى . الْحَرْبُ شَغَاءٌ ^(٨) غَائِبَةٌ ، شَوْهَاءٌ ، كَالْحِمَّةِ ، حُرُورٌ ^(٩) فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ ، شُمُوسٌ فِي

(١) قوله : « من المسلمين » عن « م » .

(٢) في « م » : « قال : أكفى » .

(٣) أى : ظهرت وبرزت عظامها من الضعف .

(٤) في « م » : « غير متضمع » . ربما يريد أنه غير فقير .

(٥) في « م » : « قال : فما ترى فيه ؟ قال له : أريد رأسه الآن » .

(٦) في « م » : « ونزل إليه » . واللامَةُ : أداة الحرب كلها ، من رمح وبيضة ومقعر وسيف ودرع .

(٧) في « م » : « ولا خمسون ولا عشرة » .

(٨) الحربُ شَغَاءٌ ، أى : تشبه المرأة الشحاء الشعر في هيبتها وقبح منظرها .

(٩) الحُرُورُ : الرياح الحارة .. وفي « م » : « جُزُور » .. والجُزُورُ : ما يُذْبَحُ .

الْوَيْطِيسُ ^(١) ، تَتَغَدَّى بِالنَّمُوسِ . الْحَرْبُ أُولُهَا الْكَلَامُ وَآخِرُهَا الْجِمَامُ ^(٢) . الْحَرْبُ
مِرَّةُ الْمَذَاقِ إِذَا قَلَصَتْ ^(٣) عَنْ سَاقٍ ، مَنْ صَبَرَ فِيهَا عَرَفَ ، وَمَنْ ضَعُفَ عَنْهَا
تَلَفَ ^(٤) . جِسْمُ الْحَرْبِ الشَّجَاعَةُ ، وَقَلْبُهَا التَّذْيِيرُ ، وَعَيْنُهَا الْحَذَرُ ، وَجَنَاحُهَا
الطَّاعَةُ ، وَلِسَانُهَا الْمَكِيدَةُ ، وَقَائِدُهَا الرُّفْقُ ، وَسَائِقُهَا النُّصْرُ ^(٥) . وَقَالَ الرَّسُولُ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٦) : « الْحَرْبُ خُدْعَةٌ » . وَقَالُوا : الْحَرْبُ عَشُومٌ ^(٧) سُمِّيَتْ
بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَحْطِي إِلَى غَيْرِ الْجَانِي . قَالَ ^(٨) الشَّاعِرُ :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عِلِمَ الدِّدِ وَأَنَا بَحْرُهَا الْيَوْمَ صَالِي ^(٩)

وَقَالَ آخَرُ :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا أَنْاسٌ وَيَصْلِي حَرْهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ ^(١٠)

وَقَالَ آخَرُ :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تُكُونُ فَيَّةٌ تَسْعَى بِبَيْتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ ^(١١)

حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ تَحْلِيلٍ ^(١٢)

(١) الشَّمُوسُ : النُّجُومُ الصَّغِيرُ الْمُصْغَبُ . وَالْوَيْطِيسُ : شِدَّةُ الْحَرْبِ .

(٢) أَمَى : الْمَوْتُ .

(٣) قَلَصَتْ : كَشَفَتْ .

(٤) تَلَفَ : هَلَكَ .

(٥) فِي د م : : النُّصْرَةُ .

(٦) فِي د م : : عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٧) الْعَشُومُ : الَّذِي يَخِيطُ النَّاسَ وَيَأْخُذُ كُلَّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ .

(٨) فِي د م : : كَمَا قَالَ .

(٩) الْبَيْتُ مِنَ الْخَفِيفِ .. وَهُوَ فِي د م :

« لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا عِلِمَ اللَّهِ وَأَنَا لِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِي »

لَمْ أَكُنْ مِنْ خُدَاتِهَا : لَسْتُ سَبِيًّا فِي قِيَامِهَا وَالحَثُّ عَلَيْهَا .. وَصَالِي : مُحَرَّقٌ بِنَارِهَا .

(١٠) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ .. وَفِي د م : : « يَجْنِيهَا أَنْاسٌ » .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٢ ص ٦١ : « يَجْنِيهَا رِجَالٌ » .

(١١) الْآيَاتُ مِنَ الْكَامِلِ .. وَتَسْعَى بِبَيْتِهَا ، أَمَى : يَهَيِّئُهَا وَشَارِعَتَا .. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ٨٦ ، وَعِيُونِ
الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢١٠ : « تَسْعَى بِبَيْتِهَا » .. وَالْجَهُولُ : الْبُذْرُ .

(١٢) شَبَّ ضِرَامُهَا : انْتَفَذَ نَهْيُهَا .. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « حَتَّى إِذَا حِثَّ » .. وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « حَتَّى
إِذَا اسْتَعْرَثَ » .

شَمْطَاءُ يَنْكُرُ لَوْنَهَا وَتَعَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالْتِفِيلِ ^(١)

قَالَ ^(٢) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) آدَابَ الْحَرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ^(٤) . وَاسْتَوْصَى قَوْمٌ ^(٥) أُنْكَمَ بَنَ صَيْفِي فِي حَرْبِ أَرَادُوهَا ^(٦) فَقَالَ : أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصَّبَاحِ فَشَلٌ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ ^(٧) ، وَتَثَبَّتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرُّكْبَيْنِ ^(٨) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ رِيعَةَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَصْحَابِهِ : أَلَا تَرَوْنَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ جَيْئًا ^(٩) عَلَى الرُّكْبِ كَأَنَّهُمْ خُرْسٌ يَلْمِظُونَ تَلْمِظَ الْحَيَاتِ ^(١٠) . وَرَأَيْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَلْفَ فِي الْحُرُوبِ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ ، وَيَقُولُونَ : يَذْكُرُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ .

وَاعْلَمَ أَرَشْدَكَ ^(١١) اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْضَحَ لَنَا فِي كِتَابِهِ عِلَّةَ النَّصْرِ وَعِلَّةَ الْهَزِيمَةِ ^(١٢) وَالْفِرَارِ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَصَبَّرُوا اللَّهُ يَنْصُرَكُمْ

(١) يَنْكُرُ لَوْنَهَا : يَصِيرُ مَنكُورًا ، مِنْ تَكْرَرِ يَنْكُرُ .. وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ :

« شَمْطَاءٌ جَرَّتْ رَأْسُهَا وَتَعَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالْتِفِيلِ »

والشطرة الأولى من البيت في العقد الفريد تُشَابِلُ مَا وَرَدَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ .. وَالشَمْطَاءُ : الْمَرَأَةُ الَّتِي خَالَطَ سِوَاهُ شَعْرَهَا الْبِهَاضُ .

(٢) « وَقَالَ » .

(٣) فِي « م » : « جَمَعَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَنَا » .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، الْآيَاتُ : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) اسْتَوْصَى قَوْمٌ : طَلَبُوا الْوَصِيَّةَ وَالنَّصِيحَةَ .

(٦) فِي « م » : « أَرَادَهَا » .

(٧) فِي « م » : « لِمَنْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ » .

(٨) الرُّكْبَيْنِ : الشَّدِيدِ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

(٩) جَيْئًا عَلَى الرُّكْبِ : جَالِسِينَ .. وَفِي « م » : « جَنَى » .. لَا تَصَحُّ .

(١٠) فِي « م » : « خُرْسٌ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، أَيْ : كَالْجِرَابِ الْوَاقِقَةِ .. وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَيَلْمِظُونَ تَلْمِظَ الْحَيَاتِ : يُخْرِجُونَ أَلْسِنَهُنَّ كَالْحَيَاتِ ، وَهِيَ هُنَا كِتَابَةٌ عَنِ الْخَيْطِ وَالتَّحْفِزِ .

(١١) فِي « م » : « وَاعْلَمُوا - أَرَشَدَكُمْ اللَّهُ » .

(١٢) فِي « م » : « عِلَّةُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ » .

وَبَيَّضْتُ أَفْئِدَتَكُمْ^(١) يَعْزِي : إِنْ تَنْصَرُوا رَسُولَهُ وَدِينَهُ . وَأَمَّا الْفِرَارُ فَعِلَّتُهُ
الْمَعَاصِي^(٢) ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا»^(٣) أَيْ : بِشُؤْمِ ذُنُوبِهِمْ وَتَرْكِهِمُ الْمَرْكَزَ الَّذِي
رَسَّمَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤)
رَبَّ الرَّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى ثَلَاثَةِ الْجَبَلِ^(٥) لِيَمْنَعُوا قُرَيْشًا أَنْ يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ كَيْفَمَا^(٦)
يَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، ثُمَّ التَقَى الْمُسْلِمُونَ ، فَالْتَهَزَمَ الْكُفَّارُ ، فَقَالَ الرَّمَاةُ : لَا تَقُوتُنَا
الْعَنَائِمُ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الْعَنَائِمِ وَتَرَكُوا الْمَرْكَزَ الْأَوَّلَ ، فَخَرَجَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ^(٧)
مِنْ هُنَاكَ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَتْ مَقْتَلَةُ أُحُدٍ^(٨) .

وَلِيُخَفِّ قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَلَامَةَ الَّتِي هُوَ مَشْهُورٌ بِهَا ، فَإِنْ عَدُوُّهُ قَدْ يَسْتَعْلِمُ
حِيلَتَهُ^(٩) وَالْوَانَ خَيْلَهُ وَرَأَيْتَهُ ، وَلَا يَلْزُمُ خَيْمَتَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَلِيُيَدِّلَ زَيْهَ ، وَيُعَيِّرَ
خَيْمَتَهُ ، وَيُعْصِي مَكَائِهِ^(١٠) كَيْلًا يَلْقِيسَ عَدُوَّهُ غُرَّتَهُ ، وَإِذَا سَكَنَتِ الْحَرْبُ فَلَا يَمُشِ
فِي النَّفْرِ الْيَسِيرِ مِنْ قَوِيهِ خَارِجَ عَسْكَرِهِ ، فَإِنْ عَيُونَ عَدُوُّهُ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ^(١١) .
وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَسَرَ الْمُسْلِمُونَ جُيُوشَ إِفْرِيقَةَ عِنْدَ فَتْحِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَرْبَ سَكَنَتْ
فِي وَسْطِ النَّهَارِ ، فَخَرَجَ مُقَدِّمُ الْعَدُوِّ يَمْشِي خَارِجَ الْعَسْكَرِ يَتَمَيَّزُ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ ،

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .

(٢) في (م) : «فَيْنَ غَلَبَةِ الْمَعَاصِي» .

(٣) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٥ .

(٤) في (م) : «عليه السلام» .

(٥) ثَلَاثَةُ الْجَبَلِ : حَاقَتِهِ .

(٦) في (م) : «أَنْ يَخْرُجُوا كَيْفَمَا» أَيْ : كَمَا يَنْهَوْنَ مُتَخَفِينَ .

(٧) في (م) : «فَخَرَجَتْ الْمُشْرِكُونَ» .

(٨) في (م) : «فَكَانَتْ قَتْلَةُ أُحُدٍ» .. وَالْمَقْتَلَةُ : الْمَرَكَةُ .

(٩) في (م) : «قَدْ اسْتَعْلِمَ حِيلَتَهُ وَأَلْوَانَ حِيلَتِهِ» أَيْ : اسْتَخِيرَ عَنْ حِيلَتِهِ وَعَلَامَتِهِ وَعَرَفَهَا .

(١٠) يَمْشِي مَكَائِهِ : يَخْطِيهِ .

(١١) في (م) : «فَإِنْ عَيُونَ عَدُوَّهُ قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ» .. وَعَيُونَ الْعَدُوِّ : جَوَاسِيهِمْ .. وَأَذْكَيْتُ : أُرْبَيْيْتُ .

فَجَاءَ الْحَبْرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ ^(١) وَهُوَ نَائِمٌ فِي قُبَّتِهِ ، فَخَرَجَ ^(٢) فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ رَجَالِهِ وَحَمَلَ عَلَى الْعَدُوِّ ، فَقَتَلَ الْمَلِكَ ، وَكَانَ الْفَتْحُ .

وَلَمَّا عَبَّرَ طَارِقٌ ^(٣) مَوَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِيَفْتَحَهَا ، وَمُوسَى إِذْ ذَاكَ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، خَرَجُوا فِي الْجَزِيرَةِ الْحَضْرَاءِ ، وَتَحَصَّنُوا فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُسَمَّى الْيَوْمَ جَبَلُ طَارِقٍ ، وَهُمْ فِي أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَطَمَعَتِ الرُّومُ فِيهِمْ ، فَأَقْبَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ عَلَى الرُّومِ « تَدْمِيرٌ » اسْتَحْلَفَهُ لُدْرِيْقُ ^(٤) مَلِكُ الرُّومِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ

(١) في « م » : « ابن السرح » خطأ . وهو : عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري ، من بني عامر بن لؤي .. يطل من أبطال الصحابة وقاتح إفريقية ، وهو أخو عفان بن عفان من الرضاة ، أسلم قبل فتح مكة - وهو من أهلها - وكان مِنْ كُتَّابِ الوحي للنبي ﷺ ، وكان على مينة عمرو بن العاص حين افتتح مصر .. وولى مصر سنة ٢٥ هـ بعد عمرو بن العاص ، فاستمر نحو ١٢ عاماً ، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وعقبة بن نافع ، ولحق بهم عبد الله بن الزبير ، فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة ، ودانت له إفريقية كلها ، وغزا الروم بجزءاً وظفر بهم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ ، وعاد إلى المشرق ، وبينما كان في طريقه بين مصر والشام - علم بمقتل عثمان ، وأن علياً أرسل إلى مصر والياً آخر ، هو فليس بن سعد بن عباد ، فتوجه إلى الشام قاصداً معاوية ، واعتزل الحرب بينه وبين علي بصيفين ، ومات بمسقلان فجأة سنة ٣٧ هـ وهو قائم يصلي . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٨٨ ، ٨٩ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٩ - ٢٦١ ، والمعارف ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .]
(٢) قوله : « فخرج » عن « ط » .

(٣) هو : طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، فاتح الأندلس ، أصله من البربر ، وأسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله ، ولما تم لموسى فتح طنجة وكى عليها طارقاً سنة ٨٩ هـ ، فأقام فيها إلى أوائل سنة ٩٢ هـ . وقاد الجيش الذي أمده موسى من البربر لغزو الأندلس ، فنزل بهم البحر واستولى على جبل طارق ، وفتح حصن قرطاجنة ، وتغلغل في أرض الأندلس بعد أن أحرق السفن التي جاء عليها بجيشه ، وحاربه الملك رفرق ، فقتله طارق ، وافتتح إشبيلية ، وأستجة ، وأرسل من استولى على قرطبة وملقة ، ثم احتل طليطلة ، عاصمة الأندلس ، وتوجه شمالاً واستولى على عدة مدن ، ثم عاد إلى طليطلة سنة ٩٣ هـ فالتقى بموسى بن نصير ، وكان قد حفره من التوغل في الفتوح والمغامرة بمن معه ، فضايقه بال عزل من القيادة ، ثم أعاده الوليد بن عبد الملك ، وأصلح ما بينه وبين موسى ، وعاد طارق إلى غزواته فصعد من طليطلة شرقاً إلى منابع نهر التاجية ، واستعان بموسى على فتح سرسطة ، فافتتحها ، واحتل طرطوشة وبلنسية ، وشاطبة ، ودانية ، واستدعاه الوليد إلى الشام ، فقصدها مع موسى سنة ٩٦ هـ .. وأقوال المؤرخين مضطربة في خاتمة .

[انظر الأعلام ج ٣ ص ٢١٧ ، والمعارف ص ٥٧٠ ، وفروج البلدان للبلادري ص ٢٣٨ وما بعدها ، ونفح الطيب ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها .]

(٤) في « ط » : « لدريق » بالبدال المهمل .. ولامه عدة صور أخرى ، منها « رودريك » و « رودريجو » =

إِلَى لُذْرِيقٍ يُعْلِمُهُ أَنَّ قَوْمًا لَا تُذِرِي أَمِينَ الْأَرْضِ ^(١) أَمْ مِنْ السَّمَاءِ قَدْ وَصَلُوا إِلَى بِلَادِنَا ، وَقَدْ لَقِيتُهُمْ ، فَأَنَّهُمْ إِلَى ^(٢) بِنَفْسِكَ .

فَأَتَاهُ لُذْرِيقُ فِي سِتِّينَ أَلْفَ عِتَابٍ ^(٣) ، وَلَقِيَهُمْ طَارِقٌ وَعَلَى خَيْلِهِ مُغِيثُ الرُّومِيِّ ^(٤) مَوْلَى الْوَلِيدِ ^(٥) بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَشَدَّ قِتَالٍ ، قَرَأَى طَارِقُ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ ، فَقَامَ فَحَضَّهُمْ ^(٦) عَلَى الصَّبْرِ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ فِي أَمَانِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الْمَقَرُّ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ مِنْكُمْ ، وَالنَّصْرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأَنَا فَاعِلٌ شَيْئًا فافْعَلُوا كَيْفَعَلِي ، فَوَاللَّهِ لَا أَقْصِدُ طَاعَتَهُمْ ، فَأَمَّا أَنْ أَقْتُلَهُ ، وَإِمَّا أَنْ أَقْتَلَ دُونَهُ .

فَاسْتَوْقَى طَارِقُ مِنْ خَيْلِهِ ، وَعَرَفَ حِلْيَةَ ^(٧) لُذْرِيقٍ وَغَلَامَتَهُ وَخَيْمَتَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ

Roderic = والعرب تسميه « لُذْرِيق » .. وهو آخر ملوك القوط الغربيين في أسبانيا ، ولم يكن من أبناء الملوك ، ولا بصحيح النسب في القوط ، وإنما نال الملك عن طريق الغصب والتسور ، وقد قُتل بعد معركة نهر وادي « بكة » بينه وبين طارق بن زياد .

[انظر الأعلام المصدر السابق ، ونفع الطيب ج ١ ص ١٣٩] .

(١) ل : م : : « مِنْ الْأَرْضِ هُمْ » .

(٢) في : م : : « إِلَيْنَا » .

(٣) الأبنان : سر اللجام الذي تُسَمَك به الدَّابَّةُ ، والمراد هنا : الفارس .

(٤) قال المنقري : هو ليس برومي على الحقيقة ، وتصحيح نسبه أنه مغيث بن الحارث بن الحويرث بن حيلة ابن الأييم القسائي ، سَيَّى من الروم بالمشرق وهو صغير ، فأَذَبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد ، وأنجب ل أولاده ، وصار منه « بنو مغيث » الذين نجبوا في قرطبة وسادوا .. ونشأ مغيث بدمشق ، فأصبح بالمرية ، وقال الشعر ، وتدريب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه عبد الملك إلى الأندلس غازيًا مع طارق بن زياد ، فقدمه طارق لفتح قرطبة في سبعمائة فارس ، فافتتحها سنة ٩٢ هـ وأسر ملكها .. وتولى نحو سنة ١٠٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦ ، ونفع الطيب ج ٤ ص ١٢ ومابعدها] .

(٥) ل : ط : : « مَوْلَى الْوَلِيدِ » .

(٦) ل : م : : « فَقَامَ فَحَضَّهُمْ وَحَضَّهُمْ » .

(٧) في : م : : « حِلْيَةُ » .

مَعَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ حَمْلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى لُذْرِيْقَ بَعْدَ قَتْلِ ذَرِيْعٍ فِي الْعَدُوِّ ، وَحَمَى اللَّهُ تَعَالَى ^(١) الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ^(٢) ، وَانْهَزَمَ الرُّومُ ، فَأَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَاخْتَرَّ طَارِقُ رَأْسَ لُذْرِيْقَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُوسَى ، وَبَعَثَ بِهَا مُوسَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَارَ ^(٣) مُعِيْثٌ إِلَى قَرْطَبَةَ ، وَسَارَ طَارِقُ إِلَى طَلَيْطَلَةَ ^(٤) ، وَلَمْ يَكُنْ هُمُ غَيْرَ الْمَائِدَةِ الَّتِي يَذْكُرُ ^(٥) أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ أُتْحَمِتَ لُذْرِيْقَ الْمَائِدَةَ وَالثَّاجَ ، فَقَوَّمتِ الْمَائِدَةُ بِمِائَتِي أَلْفٍ ، لِمَا فِيهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِي لَمْ يَرِ مِثْلُهَا .

وَبِهَذِهِ الْحِيلَةِ قَهَرَ أَلْبُ أَرْسِلَانُ ^(٦) مَلِكُ التُّرْكِ مَلِكَ الرُّومِ وَقَمَعَهُ ^(٧) ، وَقَتَلَ رِجَالَهُ وَأَبَادَ جَمْعَهُ ، وَكَانَتْ الرُّومُ قَدْ جَمَعَتْ جُيُوشًا يَقُولُ أَنْ يَجْتَمِعَ ^(٨) لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِثْلُهَا ، وَكَانَ مَبْلُغُ عَدَدِهِمْ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، كِتَابٌ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَعَسَاكِرُ مُتَرَادِفَةٌ ، وَكَرَادِيْسَ ^(٩) يَتَلَوُ بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُدْرِكُهُمُ الطَّرْفُ ، وَلَا يُحْصِيهِمُ الْعَدَدُ ، وَقَدْ

(١) « تعالى » عن « ط » .

(٢) في « م » : « ولم يُقتل منهم كثير شيء » .

(٣) في « م » : « وصار » في الموضعين .

(٤) طَلَيْطَلَةُ : مدينة في أواسط أسبانيا ، قرب مدريد .

(٥) في « ط » : « تذكر » .. وفي « م » : « لم يكن لهم حيلة غير المائدة » بالجمع .

(٦) في « م » و « ط » : « البارسلان » في كل المواضع .. وهو : أبو شجاع ، لللقب عضد الدولة ، الْمُسَمَّى بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ « أَلْبُ أَرْسِلَانُ » ومعناه : أسد شجاع ، فألب : شجاع ، وأرسلان : أسد .. وقد وُلِدَ أَلْبُ أَرْسِلَانُ سَنَةَ ٤٢١ هـ . وقد ملك بعد عمه طُغْرُتُوكَ .. وكان عمه قد أوصى لأخيه داود ، ولكنه تغلب عليه ، فاستولى على الممالك ، وعظمت هيئته . وهو من ملوك الدولة السلجوقية .. وقد قُتِلَ سَنَةَ ٤٦٥ هـ وهو في الرابعة والأربعين من عمره .

[انظر ليران والعمراق في العصر السلجوقي ، الفصل الرابع ص ٥٣ ، وإعجام الأعلام ص ٦٦ ، ٦٧] .

(٧) في « م » : « وقمعه » .

(٨) في « ط » : « يُجمع » .

(٩) قوله : « كراديس » عن « ط » ، وهو جمع كُرْدوسَة ، ويُطلق على الطائفة العظيمة من الحيل والجيش .

اسْتَعْدُوا مِنَ الْكُرَاعِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَجَانِيقِ ^(١) وَالْآلَاتِ الْمَعْدَّةَ لِفَتْحِ الْحُصُونِ ^(٢) فِي الْحَرْبِ بِمَا لَا يُحْصَى ^(٣) ، وَكَانُوا قَدْ قَسَمُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ : الشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَالْعِرَاقَ ، وَخُرَاسَانَ ، وَدِيَارَ بَكْرِ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ ^(٤) دَارَتْ لَهُمْ ، وَأَنَّ نُجُومَ السُّعُودِ ^(٥) قَدْ خَدَمَتْهُمْ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلُوا بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَوَارَثَ أَخْبَارُهُمْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاضْطَرَبَتْ لَهَا مَمَالِكُ الْإِسْلَامِ ، فَاخْتَشَدَ لِلْقَائِمِينَ أَلْبُ أُرْسِلَانَ التُّرْكِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، وَجَمَعَ جُمُوعَهُ بِمَدِينَةِ أَصْبَهَانَ ^(٦) ، وَاسْتَعَدَّ بِمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَهُمْ ، فَلَمْ يَزَلِ الْعَسْكَرَانِ يَتَدَايِيَانِ إِلَى أَنْ عَادَتْ طُلُوحُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ^(٧) وَقَالُوا لِأَلْبِ أُرْسِلَانَ : غَدَا يَتَرَاى الْجَمْعَانِ ، فَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَالرُّومُ ^(٨) فِي عَدَدٍ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَمَا الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ ^(٩) إِلَّا أَكَلَةٌ جَائِعَةٌ ، فَبَقِيَ الْمُسْلِمُونَ وَاجِمِينَ لِمَا دَهَاهُمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا صَبَاحَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَهَالَ الْمُسْلِمِينَ مَا رَأَوْا مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ ^(١٠) وَقُوَّتِهِمْ وَأَلَانِهِمْ ، فَأَمَرَ أَلْبُ أُرْسِلَانَ أَنْ يُعَدَّ ^(١١) الْمُسْلِمُونَ ، فَبَلَّغُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تُرْكِيٍّ ، وَإِذَا هُمْ

(١) فِي « م » : « وَالتَّاجِي » . تَحْرِيفٌ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي « م » : « وَالْآلَاتِ الْعُدَّةُ وَفَتْحِ الْحُصُونِ » .

(٣) قَوْلُهُ : « بِمَا لَا يُحْصَى » عَنْ « ط » .

(٤) « قَدْ » عَنْ « ط » .

(٥) نَجْمُ السُّعُودِ : عِدَّةُ كَوَاكِبٍ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا : سَعْدٌ كَذَا ، وَمِنْهَا سَعْدُ السُّعُودِ .

(٦) فِي « م » : « أَصْبَهَانَ » ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ .

(٧) فِي « م » : « فَلَمْ يَزَلِ الْعَسَاكِرُ تَتَوَاصَلُ إِلَى أَنْ تَدَانَتْ الْعَسْكَرَانِ » ، فَعَادَتْ طُلُوحُ الْمُسْلِمِينَ لِلْمُسْلِمِينَ .

(٨) فِي « م » : « وَالْقَوْمُ » .

(٩) فِي « م » : « وَمَالِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ » .

(١٠) فِي « م » : « مِنْ كَثْرَةِ الْقَوْمِ » .

(١١) فِي « م » : « يَحْتَدُّ » .

مِنْهُمْ كَالرُّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ ^(١) ، فَجَمَعَ قَوَى الرُّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَالتَّدْبِيرِ
وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالتُّظَرِّ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَاسْتَشَارَهُمْ ^(٢) فِي اسْتِخْلَاصِ صَوَابِ
الرُّأْيِ ، فَتَشَاوَرُوا بِرَهَةٍ ، ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى اللِّقَاءِ ، فَتَوَادَعَ الْقَوْمُ وَتَحَالَفُوا ^(٣)
وَنَاصَحُوا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ تَأَهَّبُوا أَهْبَةَ اللِّقَاءِ ^(٤) وَقَالُوا لِأَلْبِ أَرْسِلَانَ : نُسِّىَ اللَّهُ
تَعَالَى ^(٥) وَنَحْمِلْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَقَالَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ : يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
أَمْنِيْلُوا ^(٦) فَإِنَّ هَذَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَخْطُبُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَيَدْعُونَ لَنَا فِي شَرْقِ
الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَفَاعَتِ الْأَقْيَاءُ ^(٧) وَعَلِمْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَلَّوْا
وَدَعَوْا لَنَا وَصَلَّيْنَا نَحْنُ عَمِلْنَا أَمْرًا .

فَصَبَرُوا إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّوْا ^(٨) وَدَعَوْا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ ،
وَأَنْ يَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِالصَّبْرِ ، وَأَنْ يُوهِنَ عَدُوَّهُمْ ، وَأَنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ .
وَكَانَ أَلْبُ أَرْسِلَانَ قَدْ اسْتَوْقَى مِنْ خِيَمَةِ مَلِكِ الرُّومِ وَعَلَامَتِيهِ وَفَرَسِيهِ وَزَيْيِهِ ، ثُمَّ
قَالَ لِرَجُلَيْهِ ^(٩) : لَا يَتَحَلَّفُ أَحَدُكُمْ ^(١٠) أَنْ يَفْعَلَ كِفْعَلِي ، وَيَضْرِبَ بِسَيْفِهِ ^(١١)

(١) الرُّقْمَةُ ، بضم الراء للمشددة وفتحها : هَنَّةٌ ناعمة تشبه الظفر في ذراع الدابة ، أو هي نقطة سوداء كاللحم .

(٢) في م : : فاستشارهم .

(٣) في م : : وتعاملوا : أى : سأل كل واحد منهم رفيقه أن يخلصه من التبعات التى عليه ، وأن يخلصه
منها .. وتوَادَعَ القوم : تصالحوا أو تعادوا .

(٤) في م : : تأهبوا للقاء .

(٥) تعالى عن م .

(٦) أمهلوا : لا تتسجلوا واتكدوا .

(٧) فاعَتِ الأقياء : رجعت الظلال بعد الزوال .

(٨) في م : : وصلوا .

(٩) في م : : لرجاله وها معنى واحد .

(١٠) في م : : أحد منكم .

(١١) في م : : بسيفي تحريف .

وَيَرْمِي بِسَهْمِهِ حَيْثُ أَضْرِبُ بِسَهْمِي وَأَرْمِي بِسَهْمِي ، ثُمَّ حَمَلَ ^(١) جَمِيعَهُمْ حَمَلَةً
 رَجُلٌ وَاحِدٌ إِلَى خَيْمَةِ ^(٢) مَلِكِ الرُّومِ ، فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ دُونَهَا ، فَخَلَصُوا إِلَيْهِ ، وَقُتِلَ
 مَنْ حَوْلَهُ ، وَأَسِيرَ مَلِكُ الرُّومِ ، وَجَعَلُوا يَتَادُونَ بِلِسَانِ الرُّومِ : قِيلَ الْمَلِكُ ، قِيلَ
 الْمَلِكُ ^(٣) ، فَسَمِعَتِ الرُّومُ أَنَّ مَلِكَهُمْ قَدْ قُتِلَ ، فَتَبَدُّوا وَتَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ ، وَعَمِلَ
 السَّيْفُ فِيهِمْ أَيَّامًا ، وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ وَغَنَائِمَهُمْ ، وَاسْتَحْضَرَ مَلِكُ الرُّومِ بَيْنَ
 يَدَيِ أَلْبِ أَرْسِلَانَ بِخَبْلٍ فِي عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَلْبُ أَرْسِلَانَ : مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي لَوْ
 أَخَذْتَنِي ^(٤) ؟ قَالَ : فَهَلْ تَشْكُ أُنَى كُنْتُ أَقْتُلُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ أَلْبُ أَرْسِلَانَ : أَنْتَ أَقْلُ
 فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ ، اذْهَبُوا بِهِ وَبِعُوهُ ^(٥) فِيمَنْ يَزِيدُ ، فَكَانَ يُقَادُ بِالْخَبْلِ فِي عُنُقِهِ
 وَيَتَادَى عَلَيْهِ : مَنْ يَشْتَرِي مَلِكَ الرُّومِ ؟ وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ يَطُوفُونَ بِهِ عَلَى الْخِيَامِ وَمَنَازِلِ
 الْمُسْلِمِينَ ^(٦) وَيَتَادَى عَلَيْهِ بِالْدَّرَاهِمِ وَالْفُلُوسِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ ^(٧) فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، حَتَّى
 بَاعُوهُ مِنْ إِنْسَانٍ بِكَلْبٍ ، فَأَخَذَ الَّذِي كَانَ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ الْكَلْبَ وَالْمَلِكَ ،
 وَحَمَلَهُمَا إِلَى أَلْبِ أَرْسِلَانَ ، وَقَالَ : قَدْ طَفْتُ جَمِيعَ الْعَسْكَرِ وَتَادَيْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَبْدُلْ
 فِيهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ دَفَعَ لِي فِيهِ كَلْبًا . قَالَ : قَدْ أَنْصَفَ ^(٨) ، لِأَنَّ الْكَلْبَ
 خَيْرٌ مِنْهُ ، فَأَقْبَضَ الْكَلْبَ وَادْفَعَهُ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلْبَ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِطْلَاقِهِ ، فَذَهَبَ
 إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَعَزَلَهُ الرُّومُ وَكَحَلْتَهُ ^(٩) بِالنَّارِ . فَأَنْظَرُ مَاذَا يَتَأَتَّى عَلَى الْمُلُوكِ إِذَا عَرَفُوا
 فِي الْحُرُوبِ مِنَ الْحِيلَةِ وَالْقَصْدِ فِي الْمَكِيدَةِ ^(١٠) ! .

(١) فِي د م : : وَحَمَلَ .

(٢) فِي د م : : إِلَى خَيْمَةِ الْمَلِكِ .

(٣) فِي د ط : : قُتِلَ الْمَلِكُ ، لَمْ يَتَكَرَّرْ .

(٤) فِي د م : : لَوْ أَخَذْتَنِي بِخَبْلٍ فِي عُنُقِي .

(٥) فِي د م : : فِيهِعُوهُ .

(٦) فِي د م : : وَمَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ .

(٧) فِي د م : : وَلَمْ يَدْفَعْ ، وَسَقَطَتْ أَحَدٌ مِنْهَا سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(٨) فِي د م : : قَدْ أَنْصَفَكَ .

(٩) فِي د م : : وَكَحَلُوهُ .

(١٠) فِي د م : : بِالْمَكِيدَةِ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقَدَمَاءَ قَالُوا : الْكَثْرَةُ لِلرَّغْبِ ، وَالْقَلَّةُ لِلنُّصْرِ . وَقَدْ قَالَ ^(١) تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ حُتَيْنَ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْبَرِينَ ﴾ ^(٢) ، فَالْكَثْرَةُ أَبَدًا بِصُنْحِهَا ^(٣) الْإِعْجَابُ ، وَمَعَ الْأَعْجَابِ الْهَلَاكُ . وَخَيْرُ الْأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعِيَّةٌ ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةٌ آلَافٌ ، وَلَنْ يُغْلَبَ جَيْشٌ يَبْلُغُ ^(٤) اثْنَى عَشَرَ آلَافًا مِنْ قَلَّةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ .

فَأَمَّا صِفَةُ اللِّقَاءِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ تَرْتِيبٍ رَأَيْنَاهُ ^(٥) فِي بِلَادِنَا ، وَهُوَ أَرْجَى تَدْبِيرٍ نَفَعَلُهُ فِي لِقَاءِ عَدُوِّنَا ، [فَهُوَ] ^(٦) أَنْ تُقَدَّمَ الرَّجَالَةُ بِالْذَّرَقِ الْكَامِلَةِ ، وَالرِّمَاحِ الطُّوَالِ ، وَالْمَزَارِيقِ ^(٧) الْمَسْتَوِيَةِ النَّافِذَةِ ، فَيَصْفُو صُفُوفُهُمْ ، وَيُرَكِّزُوا مَرَكَزَهُمْ ، وَرِمَاحُهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ فِي الْأَرْضِ ، وَصُدُورُهُمْ شَارِعَةً ^(٨) إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَهُمْ جَائِمُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ^(٩) الْيُسْرَى ، وَتَرَسَهُ قَائِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُمُ الرُّمَاءُ الْمُخْتَارُونَ الَّذِينَ ^(١٠) تَمْرُقُ سِهَامُهُمْ مِنَ الدُّرُوعِ ^(١١) ، وَالْعُيْلُ خَلْفَ الرُّمَاءِ ، فَإِذَا حَمَلَتِ الرُّومُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَزَحَّزَحِ الرَّجَالَةُ عَنْ هَيَاتِهِمْ ^(١٢) ، وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ مِنْهُمْ ^(١٣) عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَإِذَا قَرَّبَ الْعَدُوُّ

(١) فِي د م : : قَالَ اللَّهُ .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، مِنْ آيَةِ ٢٥ .

(٣) لِي د م : : يَتِمُّهَا .

(٤) فِي د م : : وَلَنْ يُؤْخَى جَيْشٌ إِذَا اجْتَمَعَ .. أَيْ : لَنْ يُغْلَبَ .

(٥) فِي د م : : رَأَيْنَاهُ .

(٦) مَا بَيْنَ الْمُقَوِّضِينَ زِيَادَةً مِنْ عَدَدِنَا .

(٧) فِي د م : : وَالْمَزَارِقُ : وَكُلَاهُمَا جَمْعٌ يُؤْزَقُ ، وَهُوَ : الرِّيحُ الْقَصِيرُ .. وَالْذَّرَقُ : جَمْعُ ذَرَقَةٍ ، وَهِيَ الثَّرْسُ يُقَوَّى بِهِ .. وَالرَّجَالَةُ : الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ مُتَرَجِّلِينَ .

(٨) فِي د م : : وَصُدُورُهَا شَارِعَةٌ أَيْ : مُتَّجِهَةٌ وَمُسَدَّدَةٌ .

(٩) أَلْقَمَ الْأَرْضَ رُكْبَتَهُ ، أَيْ : وَضَعَ وَتَبَّكَ رُكْبَتَهُ عَلَيْهَا .

(١٠) فِي د م : : وَط : : أَلَيْ .

(١١) تَمْرُقُ سِهَامُهُمْ : تَتَطَلَّقُ فِي سُرْعَةٍ .. وَلِي د م : : تَمْرُقُ سِهَامُهُمُ الدُّرُوعُ .

(١٢) فِي د م : : وَط : : هَيَاتِيهَا .

(١٣) فِي د م : : وَلَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ .

رَشَقَهُمُ الرِّمَاءُ بِالنُّشَابِ ^(١) ، وَالرَّجَالُ بِالْمَزَارِقِ ، وَصُدُّوا الرِّمَاحَ ثَلَاثًا ، فَأُخِذُوا
بِنَتْنَةٍ وَبَسْرَةٍ ، فَخُرُجُ ^(٢) خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الرِّمَاءِ وَالرَّجَالِ قِتَالٌ ^(٣) مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ .

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي مَنْ حَضَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ فِي بَلَدِي « طَرُوشَةَ » قَالَ : صَافَقَتِ ^(٤)
الرُّومُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ، فَحَمَلُوا عَلَيْنَا ، فَبَيْنَا ^(٥) رَجُلٌ مِنَّا كَانَ فِي آخِرِ الصَّفِّ فَقَامَ
عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ عِلْجٌ مِنَ الْعَدُوِّ فَأَصَابَ غُرَّتَهُ فَقَتَلَهُ .

وَلَمَّا بَرَزَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ بْنِ هُوْدٍ ^(٦) مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَرَقُسْطَةَ فِي ثُغُورِ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ لِلِقَاءِ الطَّاغِيَةِ رُذَيْلِ عَظِيمِ الرُّومِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ احْتَشَدَ بِمَا
فِي مِيسُورِهِ ، فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ ، ثُمَّ تَنَازَلُوا لِلْقِتَالِ وَتَصَافَقُوا ، وَدَامَ الْقِتَالُ
بَيْنَهُمْ صَدْرًا كَبِيرًا ^(٧) مِنَ النَّهَارِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي خُسْرَانٍ ، فَأَقْرَعَ الْمُقْتَدِرُ
ذَلِكَ ، وَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ ^(٨) مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَدَعَا الْمُقْتَدِرُ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
لَمْ يَكُنْ فِي الثُّغُورِ أَعْرَفَ بِالْحَرْبِ مِنْهُ ^(٩) يُسَمَّى سَعْدَادَةَ ^(١٠) ، فَقَالَ لَهُ الْمُقْتَدِرُ :
كَيْفَ تَرَى فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟ فَقَالَ سَعْدَادَةُ : هَذَا يَوْمٌ أَسْوَدُ ، وَلَكِنْ قَدْ بَقِيََتْ لِي حِيلَةٌ ،

(١) النُّشَابُ : الثَّيْلُ .

(٢) فِي « ط » : « فَيَخْرُجُ » .

(٣) فِي « م » : « فَيَنَالُونَ » .

(٤) فِي « م » : « صَافَقُوا » أَيْ : قَاتَلُوا صُغُورًا .

(٥) فِي « م » : « فَبَيْنَا » .

(٦) هُوَ : أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هُوْدٍ ، الْمَلَقَبُ بِالْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، مِنْ مُلُوكِ الطُّوَلُوفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ
ثَانِي مُلُوكِ آلِ هُوْدٍ ، وَفِي أَيَّامِهِ اقْتَحَمَ الرُّومُ مَدِينَةَ « بَشْتَر » وَارْتَكَبُوا فِيهَا فِظَالَعًا ، فَرَحَفَ عَلَيْهِمْ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ ،
فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ أَلْفِ فَارِسٍ ، وَخَمْسَةَ أَلْفِ رَاجِلٍ سَنَةَ ٤٥٧ هـ وَحَا أَرْهَمَ .

[انْظُرِ الْأَعْلَامَ ج ١ ص ١٣٢] .

(٧) فِي « م » : « كَثِيرًا » .

(٨) فَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ : جَزَعُوا وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ .

(٩) فِي « م » : « أَعْرَفَ مِنْهُ بِالْحَرْبِ » .

(١٠) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : « سَعْدَادَةُ » فِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ ، وَلَمْ أَفُفْ عَلَيْهِ .

فَذَهَبَ سَعْدَارَةُ ، زَيْتُهُ زَيْ الرُّومِ ، وَكَلَامُهُ كَلَامُهُمْ ، لِمَجَاوَزَتِهِمْ وَكَثْرَةِ مُحَالَطَتِهِمْ ،
فَالْتَمَسَ فِي عَسْكَرِ الْكُفَّارِ ، ثُمَّ صَعِدَ ^(١) إِلَى الطَّاعِيَةِ رُذَيْلٍ ، فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي
السَّلَاحِ ^(٢) ، مُكَفَّنًا فِي الْحَدِيدِ ، لَا يَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَتَحَيَّلُهُ ^(٣) وَيَتَرَصَّدُ
عِزَّتَهُ إِلَى أَنْ أَمْكَنَتْهُ الْفُرْصَةُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ وَطَعَنَهُ ^(٤) فِي عَيْنِهِ ، فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ ^(٥)
وَالْقَمَرِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُتَادَى بِلِسَانِ الرُّومِ : قُتِلَ السُّلْطَانُ يَامَعْشَرَ الرُّومِ ، فَشَاعَ قَتْلُهُ فِي
الْعَسْكَرِ ، فَتَخَذَلُوا وَوَلَّوْا مُتَهَرِّمِينَ ، وَكَانَ ^(٦) الْفَتْحُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٧) .

وَلَمَّا اسْتَضَعَفَ الرُّومُ صِرَاقِيَّةً وَضَرَبُوا عَلَيْهِمُ الْخَرَاجَ ، فَكَانُوا يَحْمِلُونَ إِلَيْهِمْ
الْخَرَاجَ ، وَيَحْمِلُونَ الْأَمْوَالَ إِلَى الْعَرَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَيَسْتَنْجِدُونَ بِهِمْ عَلَى الرُّومِ ، فَقَالَ
لَهُمْ مَلِكُ الرُّومِ : إِنَّمَا مَكَلَى وَمَثَلَكُمْ يَا أَهْلَ صِرَاقِيَّةَ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ زَوْجَتَانِ : عَجُوزٌ
وَصَبِيَّةٌ ، فَكَانَ إِذَا بَاتَ عِنْدَ الصَّبِيَّةِ تَلْقَطُ الشَّيْبَ ^(٨) مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَصْبِيئِهِ فَيَزْهَدُ فِي
الْعَجُوزِ ^(٩) ، وَإِذَا بَاتَ عِنْدَ الْعَجُوزِ ، تَلْقَطُ ^(١٠) الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لِحْيَتِهِ لِتَشْيِخِهِ ^(١١)
فَتَزْهَدُ الصَّبِيَّةُ فِيهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ دَامَ هَذَا بِهِ أَنْ يُصْبِحَ أَطْلَسَ ^(١٢) ، كَذَلِكَ خَالِكُكُمْ

(١) فِي م : : ثُمَّ قَصَدَ .

(٢) فَأَلْفَاهُ شَاكًا فِي السَّلَاحِ : وَجَدَهُ مُرْتَدًّا زَى الْحَرْبِ بِكَمَلِ هَيْئَتِهِ وَسَلَاخِهِ .

(٣) فِي م : : فَجَعَلَ يَتَرَصَّدُهُ .

(٤) فِي ط : : فَطَعَنَهُ . وَالْخَيْرَةُ : الْغَفْلَةُ .

(٥) فِي م : : لِلْيَدَيْنِ .

(٦) فِي م : : فَكَانَ .

(٧) تَعَالَى عَنْ ط .

(٨) تَلْقَطُ الشَّيْبَ : تَسْتَأْمِلُ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضَاءَ بِالْجِلْقَاطِ .

(٩) فَيَزْهَدُ فِي الْعَجُوزِ : عَنْ ط . وَلَمْ تَرِدْ فِي م .. وَمَعْنَى تَصْبِيئِهِ ، أَيْ : لِجَعْلِهِ يَدُو فِي الْأَعْيُنِ
أَصْغَرَ مِنْ سِنِّهِ .

(١٠) فِي ط : : تَلْقَطُ .

(١١) تَشْيِخُهُ : لِجَعْلِهِ يَدُو مُسَيَّنًا .

(١٢) أَطْلَسَ ، أَيْ : فِي لَوْنِهِ خَيْرَةٌ إِلَى سَوَادِهِ .

مَعِيَ وَمَعَ الْعَرَبِ ، إِذَا أَدَيْتُمُ الْمَالَ ^(١) لِي وَلَهُمْ يُوشِكُ أَنْ تُنْفَدَ أَمْوَالُكُمْ فَتَبْقُوا مُقْرَاءَ ضُعَفَاءَ ، فَأَتَسَلَّمُكُمْ وَأَتَسَلَّمُ الْبِلَادَ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِحَصَارِ صِيقَلِيَّةٍ أَمَرَ أَنْ يُسَاطَ بِسَاطٌ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ جَعَلَ فِي وَسْطِهِ دِينَارًا ، ثُمَّ قَالَ لِرُجُلَيْهِ رَجُلَيْهِ : مَنْ أَخَذَ مِنْكُمْ هَذَا الدِّينَارَ ^(٢) وَلَمْ يَطْلُ الْبِسَاطَ ، عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، فَوَقَّفُوا ^(٣) حَوْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَغْيَاهُمْ ذَلِكَ طَوَى نَاحِيَّةً مِنَ الْبِسَاطِ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَمَرَ كُلَّ وَاحِدٍ ^(٤) أَنْ يَطْوِيَ مِمَّا بِلَيْهِ ، حَتَّى طَوَى الْبِسَاطَ ، فَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فَلَحَقُوا الدِّينَارَ ، فَحِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ : إِذَا أَرَدْتُمْ مَدِينَةَ صِيقَلِيَّةٍ خُذُوا مَا حَوْلَهَا مِنَ الْحُصُونِ وَالْمُدُنِ الصَّغَارِ ، وَالضِّيَاعِ وَالْقُرَى ^(٥) ، حَتَّى إِذَا ضَعُفَتْ أَخَذْتُمُوهَا .

وَكَانَ بِسَرُقْسَطَةَ فَارِسٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ قَتْحُونٍ ، وَكَانَ يُنَاسِيْنِي ^(٦) فَبَقِيَ خَالٌ وَالدَّيْنِي ، وَكَانَ أَشْجَعَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعِينُ أَبُو الْمُفْتَدِرِ بَرَى لَهُ ذَلِكَ وَيُعْظَمُهُ ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ ^(٧) فِي كُلِّ عَظِيَّةٍ خَمْسِمِائَةَ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ النُّصْرَانِيَّةُ بِأَسْرِهَا قَدْ عَرَفَتْ مَكَانَهُ ، وَهَابَتْ لِقَاءَهُ ، فَيَحْكِي أَنَّ الرُّومِيَّ إِذَا سَقَى فَرَسَهُ فَلَمْ يَشْرَبْ يَقُولُ لَهُ : اشْرَبْ ، هَلِ ^(٨) ابْنُ قَتْحُونٍ رَأَيْتَ فِي الْمَاءِ ؟ فَحَسَدَهُ نَظَرَاؤُهُ عَلَى كَثَرَةِ الْعَطَاءِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَأَوَّغَرُوا بِهِ صَلَرِ الْمُسْتَعِينِ ^(٩) ، فَمَنَعَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ إِنَّ

(١) في م : : : الأموال .

(٢) في م : : : هذه الدنانير .

(٣) في م : : : فوقفنا .

(٤) في م : : : كل واحد منهم .

(٥) في م : : : من الحصون والمدن والقرى الصغار والضياح .. الضياح : الأراضي المؤلفة ، جمع ضيعة .

(٦) يُنَاسِيْنِي : يشاركني في النسب والقرابة .

(٧) يجري عليه : يقدم المطاء له .. وفي م : : : يجزي له .

(٨) في م : : : أو « مكان » هل .

(٩) أي : ملغوه غيظاً وحقدًا .

الْمُسْتَعِينِ أَنْشَأَ غَزْوَةً إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، فَتَوَاقَفَتِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ صُفُوفًا ، ثُمَّ بَرَزَ عَلِجٌ إِلَى وَسْطِ الْمَيْدَانِ يُنَادِي : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَجَاوَلَا سَاعَةً فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، وَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا ، وَانْكَسَرَتْ نَفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ الرُّومِيُّ يَكْثُرُ ^(١) بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ اثْنَيْنِ لِوَاحِدٍ ^(٢) ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَارِسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلَهُ الرُّومِيُّ ، فَصَاحَ الْكُفَّارُ سُرُورًا وَانْكَسَرَتْ نَفُوسُ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ يَحْجُولُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُنَادِي وَيَقُولُ : ثَلَاثَةٌ لِوَاحِدٍ ؟ فَلَمْ يَسْتَجِرْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ ، فَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ : مَا لَهَا إِلَّا أَبُو الْوَلِيدِ ^(٣) بَنُ فَتْحُونَ ، فَدَعَاهُ وَتَلَطَّفَ بِهِ ^(٤) وَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا الْعِلْجُ ^(٥) ؟ فَقَالَ : هُوَ بَعِثْنِي ! قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ فِيهِ ؟ فَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : فَمَاذَا تُرِيدُ ^(٦) ؟ فَقَالَ : أَخِيفُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُ . فَقَالَ ^(٧) : السَّاعَةَ يَكُونُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٨) .

فَلَيْسَ قَمِيصَ كَتَانٍ وَاسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ ^(٩) سَرَجِهِ بِلَا سِلَاحٍ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ سَوْطًا طَوِيلَ الطَّرْفِ ، وَفِي طَرَفِهِ عُقْدَةٌ ^(١٠) مَعْقُودَةٌ ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّبَ ^(١١) مِنْهُ النَّصْرَانِيُّ ، ثُمَّ حَمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، فَلَمْ تَحْطُ طَعْنَةُ النَّصْرَانِيِّ سَرَجَ

(١) في « م » : « يَكْثُرُ وَيَكْثُرُ » .

(٢) من قوله : « هل من اثنين » إلى قوله : « وينادي ويقول : ثلاثة » عن « ط » و « ساقط من « م » » .

(٣) في « م » : « إِلَّا الْوَلِيدَ » سقطت « أَبُو » سهواً من الناسخ .

(٤) في « م » : « واستلطفه » .

(٥) في « م » : « أما ترى هذا العليج ما يصنع منذ اليوم ؟ » .

(٦) في « م » : « فماذا ترى » .

(٧) في « م » : « قال » .

(٨) في « م » : « الساعة يكون إن شاء الله » .

(٩) قوله : « ظهر » عن « م » .

(١٠) في « م » : « عُقْدٌ » .

(١١) في « ط » : « فمجب » .

لَبِن فَحُوبٍ ، وَإِذَا ابْنُ فَحُوبٍ مُتَعَلِّقٌ بِرَقَبَةِ الْفَرَسِ ، وَنَزَلَ ^(١) إِلَى الْأَرْضِ لَا شَيْءَ بَيْنَهُ فِي السَّرَجِ ، ثُمَّ طَفَرَ ^(٢) عَلَى سَرَجِهِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ ، وَضَرَبَهُ بِالسَّوِطِ فِي عُنُقِهِ ، فَاتَّقَوَى عَلَى عُنُقِهِ ، فَجَذَبَهُ ^(٣) بِيَدِهِ مِنَ السَّرَجِ فَأَقْلَعَهُ مِنْ سَرَجِهِ وَجَاءَ بِهِ يَجُرُّهُ ، فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيْ الْمُسْتَعِينِ ، فَعَلِمَ الْمُسْتَعِينُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِي صَنْعِهِ مَعَهُ ، فَأَكْرَمَهُ وَرَدَّهُ إِلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ .

أَيُّهَا الْأَجْنَادُ ، أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى الْأُمَرَاءِ ، فَلَا ظَفَرَ مَعَ اخْتِلَافٍ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنِ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ^(٤) . وَأَوَّلُ الظَّفَرِ الْاجْتِمَاعُ ، وَأَوَّلُ الْخِذْلَانِ ^(٥) الْاِفْتِرَاقُ ، وَعِمَادُ الْجَمَاعَةِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ ^(٦) عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٧) يَوْمَ صِفِّينَ مِنَ الْعِصْيَانِ ، وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، وَتَضَعُضَعَتْ صُفُوفُ مُعَاوِيَةَ ، فَأَحْسَ ^(٨) بِالشَّرِّ وَأَنَّهُ مَغْلُوبٌ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِرِ : اذْهَبْ فَخُذْ لَنَا الْأَمَانَ مِنْ ابْنِ عَمَلِكَ ، يَعْنِي عَلِيًّا ، فَأَذَارَ عَمْرٍو الْجَيْلَةَ ، فَأَمَرَهُمْ ^(٩) أَنْ يَرْفَعُوا الْمَصَاحِفَ فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَيَنَادُونَ : نَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ عَلَى كَفُّوا عَنِ الْحَرْبِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّ قَوْمٍ هَذِهِ مَكِيدَةٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْقَوْمِ دِفَاعًا . فَعَصَوْهُ وَتَرَكُوا الْقِتَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْحَكَمَيْنِ .

(١) فِي « م » : « أَوْ نَزَلَ » .

(٢) طَفَرَ : قَفَرَ .

(٣) فِي « م » : « فَأَخَذَ » .

(٤) سُورَةُ الْأَنْفَالِ : مِنَ الْآيَةِ ٤٦ .

(٥) الْخِذْلَانُ : عَدَمُ التَّصَرُّفِ وَالْإِنْهِرَامِ .

(٦) أَيُّ الْجَيْشِ وَنَحْوِهِ : دَهْمُهُ الْعِلْوُ .

(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مِنَ الْعِصْيَانِ « عَنْ ط » .

(٨) فِي « م » : « وَأَحْسَ » .

(٩) فِي « م » : « وَأَمَرَهُمْ » .

وَاغْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَهْزَمِ مَكَائِدِ الْحَرْبِ إِذْكَاءُ الْعُيُونِ ^(١) ، وَاسْتِطْلَاعُ الْأَنْخَبَارِ ،
وَأَنْشَاءُ الْغَلَبَةِ ، وَظَهَارُ السُّرُورِ ، وَإِبَانَةُ الْحَذَرِ ، وَالْإِحْتِرَاسَ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَنْ لَا تُخْرِجَ
هَارِبًا إِلَى قِتَالٍ ، وَلَا تُضَيِّقَ أَمَانًا عَلَى مُسْتَأْمِنٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ : كَثْرَةُ
التَّكْبِيرِ ^(٢) عِنْدَ اللِّقَاءِ فَشَلَّ . غَضُّوا الْأَصْوَاتَ ، وَتَجَلَّبَّوْا ^(٣) السَّكِينَةَ ، وَأَكْمَلُوا
الْوَقَامَ ^(٤) ، وَاحْتَمَوْا الْجُنُبَ ^(٥) ، وَادْرَعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أُخْفِيَ لِلْوَيْلِ .. اللَّيْلُ يَكْفِيكَ
الْجَبَانَ وَيَصِفُ الشُّجَاعَ .. اللَّيْلُ الْمَدْدُ الْأَعْظَمُ .

الْحَازِمُ يَحْذَرُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ : الْمَوَائِبَةُ إِنْ قَرَّبَ ، وَالْعَارَةَ إِنْ بَعُدَ ، وَالْكَيْمِينَ
إِنْ انْكَشَفَ ، وَالْإِسْطِرْدَادُ إِذَا وَلَّى .. الْجَهْلُ قُوَّةُ الْجُرْأَةِ .. مَنْ اغْتَرَّ ^(٦) بِقُوَّتِهِ فَقَدْ
وَهِنَ .. لَيْسَ مِنَ الْقُوَّةِ التَّوَرُّطُ فِي الْهُوَّةِ ^(٧) ، لَكِنْ أَشَدُّ مَا كُنْتَ حَذِرًا مَا كُنْتَ عِنْدَ
نَفْسِكَ أَكْثَرَ قُوَّةً وَعَدَدًا .. مَنْ اسْتَضَعَفَ عَدُوَّهُ اغْتَرَّ ، وَمَنْ اغْتَرَّ ظَفَرَ بِهِ عَدُوُّهُ ..
أَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ فِي الْحَرْبِ ^(٨) الْجُرْأَةَ ، فَإِنَّهَا سَبَبُ الظَّفَرِ ، وَادْكُرُوا الضَّعَائِينَ ، فَإِنَّهَا
تَبْعَتْ ^(٩) عَلَى الْإِقْدَامِ ، وَالتَّزِمُوا الطَّاعَةَ فَإِنَّهَا حِصْنُ الْمُحَارِبِ .

(١) إِذْكَاءُ الْعُيُونِ : لِرِسَالِ الْجَوَاسِيسِ .. وَفِي « ط » : « ذْكَاءُ الْعُيُونِ » وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .. وَفِي « م » : « بَعْدَهَا :
« وَاسْتِصْلَاحُ « مَكَانٍ » وَاسْتِطْلَاعُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي « م » : « كَثْرَةُ التَّكْبِيرِ » .

(٣) تَجَلَّبَّوْا : تَزَيَّنُوا .. وَفِي « م » : « وَتَجَلَّبَّوْا » . وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ .

(٤) الْوَقَامُ : الْوَفَاقُ .. وَفِي « م » : « الْوَلَامُ » أَيْ : الْحَاجَةُ .

(٥) وَاحْتَمَوْا الْجُنُبَ ، أَيْ : تَجَنَّبُوا وَاتَّقَوْهُ .. وَفِي « م » : « الْجُنُبُ » . وَلَمَّا أَرَادَ الْإِحْتِثَاءَ بِهَا ، حَيْثُ إِنَّمَا
جَمَعَ جُنَّةً ، وَهِيَ كُلُّ مَا وَفَى مِنْ سِلَاحٍ وَغَيْرِهِ .. وَقَدْ مَرَّتْ .

(٦) فِي « م » : « اغْتَرَّ » .

(٧) فِي « م » : « الْقُوَّةُ » .. مَكْرَرَةٌ .

(٨) « الْحَرْبُ » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٩) « تَبَعَتْ » عَنْ « ط » .

إِذَا وَقَعَ اللَّقَاءُ بَرَزَ الْقَضَاءُ .. إِذَا لَقِيَ السَّيْفُ السَّيْفَ زَالَ الْخِيَارُ ^(١) .. رَبُّ
 مَكِيدَةٍ أَبْلَغَ مِنْ نَجْدَةٍ .. رَبُّ ^(٢) كَلِمَةٍ هَزَمَتْ عَسْكَرًا .. الصَّبْرُ سَبَبُ النَّصْرِ ..
 الظَّفَرُ مَعَ الصَّبْرِ .. اجْعَلْ قِتَالَ عَدُوِّكَ آخِرَ حِيلِكَ .. النَّصْرُ مَعَ التَّذْيِيرِ .. لَا ظَفَرَ
 مَعَ بَغْيٍ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْأَقْوِيَاءِ لِفَضْلِ قُوَّتِهِمْ ^(٣) عَلَى الضُّعَفَاءِ .. لَا تُجَبِّنُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ
 وَلَا تُمَكِّلُوا ^(٤) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ ، وَلَا تُغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ ،
 وَتَرْهَوْا ^(٥) الْجِهَادَ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

(١) سقطت كلمة « السيف » الثانية من « م » .. والخيار : المتخيرة والمفاضلة بين الأشياء .

(٢) لى « م » : « وَرُبُّ » .

(٣) لى « م » : « قُوَّتِكَ » .

(٤) لا تظفروا : لا تتكلموا وتبالغوا فى العقوبة .. وفى « ط » : « لا تغلبوا » أى : لا تظلموا .

(٥) لا تغلوا : لا تخونوا .. وفى « ط » : « تَرْهَوْا » بدون الواو ، أى : صونوا .

البَابُ الثَّانِي وَالسُّتُونَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالطَّلَبِ

اعْلَمْ - وَقَفُّكَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ مَذَاهِبَ الْخَلْقِ ^(١) فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ وَإِرَادَةِ الْكَائِنَاتِ مُتَشَبِّهَةٌ ^(٢) ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ عَلَيْهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ^(٣) ، وَحُكْمُهُ حَادِثٌ ، فَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، وَقَدْ تَبَايَنَ الْخَلْقُ فِيهِ وَتَشَبَّهَتْ مَذَاهِبُهُمْ ، وَتَقَاطَعُوا فِيهِ وَتَدَابَرُوا ، وَكُلُّ جِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَلَمْ تَضَعْ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ لِاسْتِيفَاءِ مَا قَالُوا وَالِاخْتِجَاجِ لِكُلِّ فَرِيقٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي مُجَلَّدَاتٍ وَأَسْفَارًا ، وَإِنَّمَا نَذَكُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَحْكَامًا ظَاهِرَةً قَرِيبَةً مِنَ الْمُقُولِ لِنُقَرِّبَ ^(٤) الْقَائِدَةَ عَلَى النَّظَرِ فِيهِ .

فَاعْلَمْ أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِي الْعَالَمِ ، مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ ، وَخَيْرٍ وَشَرٍّ ، وَتَفَعُّلٍ وَضَرٍّ ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ ، بِقَضَاءِ وَقَدْرِ ^(٥) ، وَكَذَلِكَ لَا ^(٦) يَطِيرُ

(١) فِي م : : « مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ » .

(٢) فِي م : : « مُتَشَبِّهَةٌ » .

(٣) « وَقَدَرِهِ » عَنْ ط .

(٤) فِي م : : « لِنُقَرِّبَ » .

(٥) « بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ » عَنْ ط .

(٦) فِي م : : « لَا » .

طَائِرٍ يَجْنَحِيهِ ، وَلَا يَدُبُ حَيَوَانٌ عَلَى بَطْنِهِ وَرِجْلَيْهِ ، وَلَا تَطِيرُ بَعُوضَةٌ وَلَا تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ ، كَمَا لَا يَجْرِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ .

ثُمَّ اغْلَمْ أَنَّ الْقَدَرَ وَالطَّلَبَ لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَالتَّوَكُّلَ وَالْكَسْبَ لَا يَتَضَادَّانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى وَقَدَرَهُ فَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ ، كَمَا أَنَّ مَا عِلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَكُونُ فَهُوَ كَائِنٌ ، وَمَنْ خَالَفَنَا فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَافَقَنَا فِي الْعِلْمِ ، قَرُبَ أَمْرُ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بِغَيْرِ طَلَبٍ فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ ^(١) ، وَرُبَّ أَمْرٍ قَدَرِ وَصَوْلُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ الطَّلَبِ فَلَا يَصِلُ إِلَّا بِالطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ أَيْضًا مِنَ الْقَدَرِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرِ ^(٢) الْمَطْلُوبِ وَبَيْنَ الطَّلَبِ فِي أَنَّهُمَا مَقْدُورَانِ ، فَمِنْ هَاهُنَا قُلْنَا إِنَّهُمَا لَا يَتَنَافَيَانِ ، وَكَذَلِكَ التَّوَكُّلُ مَعَ الْكَسْبِ ، لِأَنَّ التَّوَكُّلَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ ، وَالْكَسْبَ مَحَلُّهُ الْجَوَارِحُ ، وَلَا ^(٣) يَتَضَادُّ شَيْئَانِ فِي مَحَلِّينِ بَعْدَمَا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ أَنَّ الْمَقْدُورَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ تَعَسَّرَ شَيْءٌ فَيَتَقَدَّرُهُ ، وَإِنْ اتَّفَقَ فَيَتَسَيَّرُهُ .

قَالَ أُنْسٌ : جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَاتَّوَكَّلْ ؟ فَقَالَ : « اغْلِقْهَا وَتَوَكَّلْ » . وَالتَّوَكُّلُ وَالْاِعْتَصَامُ بِالْقَدَرِ مِنَ الْعَقْلِ ^(٤) ، وَالطَّلَبُ وَالْكَسْبُ يُسْتَمَدَّانِ مِنَ الْأَمْرِ ، فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الثِّقَةُ بِمَا ضَمِنَهُ ، وَالْقَطْعُ بِكَوْنِ مَا حَكَمَ بِهِ ، فَمَنْ رَامَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ لَيْسَ الطَّرِيقُ فِي تَحْصِيلِهِ أَنْ يَغْلِقَ بَابَهُ عَلَيْهِ ، وَيُفَوِّضَ أَمْرَهُ إِلَى رَبِّهِ ، وَيَتَنَظَّرَ حُصُولَ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، بَلِ الطَّرِيقُ أَنْ يَشْتَرَعَ فِي طَلَبِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ فِيهِ .

(١) « إِلَيْكَ » عَنْ م م .

(٢) فِي م م : « الْأَمَل » تَحْرِيف .

(٣) فِي م م : « فَلَا » .

(٤) فِي م م : « وَالتَّوَكُّلُ وَالْاِعْتَصَامُ وَالْعَقْلُ بِالْقَدَرِ يُسْتَمَدَّانِ مِنَ الْعَقْلِ » .

وَقَدْ ظَاهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ^(١) ، وَاتَّخَذَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَظْهِرُ بِهِ ^(٢) وَيَخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَأَقَامَ الرُّمَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ لِيَحْفَظُوهُ مِنْ خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ يَلْبِسُ لَأَمَةً الْحَرْبِ ^(٣) ، وَيُعْبِئُ الْجُبُوشَ ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ بِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمْ ، وَاسْتَرْقَى ^(٤) وَأَمَرَ بِالِاسْتِرْقَاءِ ، وَتَدَاوَى وَأَمَرَ بِالْمَدَاوَاةِ ، وَقَالَ : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّوَاءَ » ، فَإِنْ قِيلَ : قَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَنْ اسْتَرْقَى أَوْ ائْتَوَى فَقَدْ بَرَى مِنَ التَّوَكُّلِ » ، قُلْنَا : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ : اغْلِقْهَا وَتَوَكَّلْ ؟ وَظَاهَرَ بَيْنَ ذِرْعَيْنِ ، وَسَائِرِ مَا ذَكَرْنَاهُ آيَةً ؟ فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : مَعْنَاهُ : مَنْ اسْتَرْقَى وَائْتَوَى مُتَكِلًا عَلَى الرُّقِيَّةِ وَالْكَلْبِ ، وَأَنَّ الْبَرَّ مِنْ قِبَلِهِمَا خَاصَّةً ، فَهَذَا يُخْرِجُهُ مِنَ التَّوَكُّلِ ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ كَافِرٌ يُضَيِّفُ الْحَوَادِثَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ الْأَسْبَابَ وَالْأَدْوِيَةَ ، وَتَبَاعَطَى تَذْيِيرَ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمَالِهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ سَبِيلُهُ ^(٥) اللَّهُ تَعَالَى فِي أَرْضِيهِ ، وَعَادَتُهُ ^(٦) فِي خَلْقِهِ ، غَيْرَ مُعْتَمِدٍ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ وَائِثُّ الْقَلْبِ أَنَّ مَا حَصَلَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، وَمَا تَعَسَّرَ فَبِتَقْدِيرِهِ ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُسَبِّبِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَوَكَّلُ ^(٧) ، لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَمُشِيَ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ مَعَ الْأَمْرِ ^(٨) ، وَلَا يَسْنُكَ طَرِيقًا فِيهِ مَعْصِيَةً ، فَلَيْسَ يُسْتَدْرَجُ ^(٩) مَا عِنْدَ اللَّهِ بِمَعَاصِيهِ .

(١) ظاهر بين ذِرْعَيْنِ : طابق بينهما .

(٢) يستظهر به : يستعين به ويحاطط .

(٣) ل (م) : : لَأَمَةً حَرَبَهُ .. ولأَمَةُ الحرب : أداة الحرب ، من رُمح ، وبيضة ، ومغفر ، وسيف ، وذو زعن .. وقد مرت .

(٤) استرقى : طلب من يرقه .. والرُقِيَّة : العُوْدَةُ التي يرقى بها المريض ، ويقال فيها : بسم الله أرقيك ، والله يشفيك .. الخ .

(٥) ل (م) : : سَنَّهُ .

(٦) ل (م) : : عَادَاتِهِ .

(٧) ل (م) : : التَّوَكُّلُ .

(٨) ل (م) : : مَعَ الْأَمْرِ .

(٩) يُسْتَدْرَجُ : يُنَالُ - عَلَى التَّدرِجِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ اتَّقَى أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ^(١) كَانَ أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وَأَقْرَبَ لِمَجِيءِ مَا اتَّقَى ^(٢) . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الطَّلَبَ وَالْإِحْسَابَ يُنَاقِضُ ^(٣) التَّوَكُّلَ ، فَقَعَدَ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ مُتَكَبِّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي زَعْمِهِ ^(٤) ، كَانَ عَنِ الْعَقْلِ خَارِجًا ، وَفِي يَدِهِ الْجَهْلُ وَالْجَنَاحُ ، وَيُقَالُ لَهُ : قَبَحَتْ يَاهَذَا ^(٥) إِذَا جُعِفَتْ وَحَضِرَ الطَّعَامُ ، فَهُوَ إِلَى الطَّعَامِ أَخْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ^(٦) ، وَيَتَّبِعُنِي لِأَهْلِيهِ أَنْ يُدَاوُوهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمَرْيَمَ : ﴿ وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ^(٧) ، فَهَلَّا أَمَرَهَا بِالسُّكُونِ ثُمَّ حَمَلَ الرُّطَبَ إِلَيْهَا ^(٨) ؟ وَهَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَنْ لَهُ دَابَّةٌ أَوْ بُسْتَانٌ ، يُؤَمِّرُ بِسَفْيِ الْبُسْتَانِ وَحَفَرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ ^(٩) ، وَيُؤَمِّرُ بَأَنَّ يَغْلِفَ الدَّابَّةَ وَيَسْقِيَهَا .

وَأُبَشِّرُوا ^(١٠) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ : إِلَيْكَ فَهَؤُلَاءِ الْجِدْعُ يَسْأَلُكَ الرُّطَبَ ^(١١)

(١) في د م : : لمعصية الله .

(٢) في د م : : اتقى .

(٣) في د م : : يناقض الأمر .

(٤) في زعمه : عن د ط .

(٥) في د م : : من هذا .

(٦) في د م : : إذا جُفِتْ وحضر الطعام ألا تُؤمِّرَ يدك إليه ، وألا تفتح فمك له ، فإن عمادى على ذلك

كان إلى العقل أخوج منه إلى المعرفة .

(٧) سورة مريم ، من الآية ٢٥ .

(٨) فيها : فمها .

(٩) في د م : : وإصلاح بستانه .

(١٠) البستان من الطويل ، وقد ورد في المستطرف ج ٢ في الباب الخامس والخمسين ، في العمل والتكسب ،

ص ١٢٨ ، وص ٥٤٨ من الباب الثامن والسبعين ، في القضاء والقدر وأحكامه ، وهما غير منسوبين إلى قاتل .

(١١) الشطرة الثانية من البيت في المستطرف :

﴿ وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ الْجِدْعُ يَسْأَلُكَ الرُّطَبَ ﴾

وقبل هذا البيت :

﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَلَا تَرْغَبْ فِي الْعَمَلِ يَوْمًا عَنِ الطَّلَبِ ﴾

وَلَوْ شَاءَ أُخْنِيَ الْجِزْعَ مِنْ غَيْرِ هَؤُهَا إِلَيْهَا وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ ^(١)

وَهَكَذَا قَالَ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » ^(٣) ، فَلَمْ يَحْمِلْ أَرْزَاقَهَا إِلَيْهَا فِي أَوْكَارِهَا ، بَلِ اللَّهُمَّهَا طَلَبُهُ بِالْعُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ ^(٤) . وَقَدْ كَانَ جُهَيْلُ رَئِيسُ الْقُنْدَهَارِ ^(٥) يَرَى مِنْ تَصْدِيقِ الْقَدَرِ وَتَكْذِيبِ الطَّلَبِ دُونَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنَ الْمُلُوكِ مَا حَجَزَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالتَّذْيِيرِ ، فَأَخْرَجَهُ إِخْوَتُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَقَهَرُوهُ عَلَى مَمْلَكِيهِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنْ تَرَكْتَ الطَّلَبَ يُضْعِفُ الْهِمَّةَ وَيُذِلُّ النَّفْسَ ، وَصَاحِبُهُ سَائِرُ إِلَى أَخْلَاقِ ذَوَاتِ الْأَجْحَرَةِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، كَالضَّبِّ وَسَائِرِ الْحَشَرَاتِ ، تَنْشَأُ فِي أَجْحَرَتِهَا ، وَفِيهِ يَكُونُ مَوْتُهَا .

ثُمَّ جَمَعُوا بَيْنَ الْقَدَرِ وَالطَّلَبِ وَقَالُوا : إِنَّهُمَا كَالْعِذْلَيْنِ عَلَى ظَهْرِ الدَّائِيَةِ ، إِنْ حُمِلَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا أُرْجِحَ مِمَّا حُمِلَ فِي الْآخَرِ سَقَطَ حِمْلُهُ ^(٦) ، وَتَعَبَ ظَهْرُهُ ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ سَفَرُهُ ، وَإِنْ عَادَلَ بَيْنَهُمَا سَلِمَ ظَهْرُهُ ، وَتَجَحَّ سَفَرُهُ ، وَتَمَثَّ بُعِيَّتُهُ .

وَضَرَبُوا فِيهِ مَثَالًا عَجِيبًا فَقَالُوا : إِنْ أَعْمَى وَمُقْعَدًا كَانَا فِي قَرْيَةٍ يَفْقَرُ وَضُرٌّ ، لَا قَائِدَ لِلْأَعْمَى ، وَلَا حَامِلَ لِلْمُقْعَدِ ، وَكَانَ فِي الْقَرْيَةِ رَجُلٌ يُطْعِمُهُمَا كُلَّ يَوْمٍ احْتِسَابًا

(١) هكذا في « م » .. وفي « ط » : « أُخْنِيَ » بالجمع المعجمة . والبيت في المستطرف :

« ولو شاء أن نخفيه من غير هؤره جتته ، ولكن كل رزق له سبب »

(٢) في « م » : « عليه السلام » .

(٣) حَقَّ تَوَكُّلِهِ : بَأَن لَمْ يَحْطَر بِبَالِكِ مُدَاخَلَةً لِفَيْزِهِ - تعالى - فِي الرِّزْقِ أَصْلًا .. وَخِمَاصًا : جِيعًا .. وَبِطَانًا : بِمُتَلَفَةِ الْأَجْرَافِ .. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ ، بَابُ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ ج ٢ ص ١٣٩٤ ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي أَبْوَابِ الزَّهْدِ ، بَابُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ج ٩ ص ٢٠٨ بِشَرْحِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ .

(٤) في « م » : « تَطَلَّبُهُ فِي الرَّوَّاحِ وَالْعُدُوِّ » .

(٥) الْقُنْدَهَارُ : مِنْ بِلَادِ السَّنْدِ أَوْ الْهِنْدِ .. وَفِي « م » : « الْقُنْدَمَارِس » .. وَفِي « ط » : « رَيْسُ الْقُنْدَهَارِس » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَتَيْتَاهُ .

[انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ مادة قندهار] .

(٦) « حمله » عن « م » .

قُوَّتُهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَلَمْ يَزَالَا فِي عَاقِبَةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ الْمُحْتَسِبُ ، فَأَقَامَا
بَعْدَهُ أَيَّامًا ، فَاشْتَدَّ جُوعُهُمَا ، وَبَلَغَ الضَّرُّ ^(١) مِنْهُمَا جُهْدُهُ ، فَأَجْمَعَا ^(٢) رَأْيَهُمَا عَلَى
أَنْ يَحْمِلَ الْأَعْمَى الْمُقْعَدَ ، فَيَذُلَّهُ الْمُقْعَدُ عَلَى الطَّرِيقِ بِيَصْرِهِ ، وَيَسْتَقِيلَ الْأَعْمَى بِحِمْلِ
الْمُقْعَدِ ^(٣) فَيُدَوِّرَانِ فِي الْقَرْيَةِ يَسْتَطْعِمَانِ أَهْلَهَا ، فَفَعَلَا ، فَتَجَعَ أَمْرُهُمَا ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلَا
هَلَكَا . فَكَذَلِكَ الْقَدَرُ سَبَبُ الطَّلَبِ ، وَالطَّلَبُ سَبَبُ الْقَدَرِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُجِيبُ
لِصَاحِبِهِ .

فَاتَّخَذَ جُهَنُّ فِي الطَّلَبِ فَظَفَرَ بِأَعْدَائِهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مُلْكِهِ ، فَكَانَ جُهَنُّ يَقُولُ :
لَا تَدْعُنِ الطَّلَبَ الْكِبَالَ عَلَى الْقَدَرِ ، وَلَا تُجْهِدُنْ نَفْسَكَ فِي الطَّلَبِ مُتَعَمِّدًا عَلَيْهِ ،
مُسْتَهِينًا ^(٤) بِالْقَدَرِ ، فَإِنَّكَ إِذَا أَجْهِدْتَ نَفْسَكَ بِالطَّلَبِ بِوُجُوهِ التَّدْبِيرِ الْمَحْمُودَةِ
مُصَدِّقًا بِالْقَدَرِ ، نِلْتَ مَا تُحَاوِلُ ، وَلَمْ تَلْقَ عَلَيْكَ الْأُمُورَ ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِذَلِكَ فَالْقَوَى
عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنْ مَطْلُوبِكَ فَذَلِكَ مِنْ إِعَاقَةِ ^(٥) الْقَدَرِ ، وَأَنَّكَ قَدْ أَثْبِتَ ^(٦) ذَنْبًا ، فَتَقَعْدُ
جَوَارِحَكَ ، وَاسْتَكْشِفَ ظَاهِرَكَ وَبَاطِنَكَ ، وَثُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَثْبِتَهُ
بِجَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ ، وَاخْرُجْ مِنْ كُلِّ مَظْلَمَةٍ ظَلَمْتَهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَاتَلَكَ
الْحِظُّ ، وَسَاعَدَكَ الْقَدَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَصْلَ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يُخْرِجُ عَلَيْهِ ^(٨) كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِيثِ

(١) ق م : : الضَّرُّ .

(٢) ل ط : : فَأَجْمَعُوا .

(٣) ل ط : : وَيَسْتَقِيلُ الْمُقْعَدُ بِحِمْلِ الْأَعْمَى .

(٤) ل م : : مُسْتَهِينًا بِتَحْرِيفٍ .

(٥) ل ط : : إِعَاقَةُ .

(٦) ق م : : وَأُثْبِتَ .

(٧) (تعالى) عن ط .

(٨) ق م : : وَاعْلَمْ أَنَّ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي قَرَرْنَاهُ يَخْرُجُ كُلُّ .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَدَرِيًّا وَمَجُوسِيًّا تَنَاطَرَا ^(١) ، فَقَالَ الْقَدَرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ : مَا لَكَ لَا تُسْلِمُ ؟ فَقَالَ الْمَجُوسِيُّ : لَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَأَسْلَمْتُ . فَقَالَ الْقَدَرِيُّ : قَدْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تُسْلِمَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ يَمْنَعُكَ . قَالَ الْمَجُوسِيُّ : فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا .

وَرَوَى فِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَرَّ بِفَخٍّ مَنصُوبٍ ، وَإِذَا طَائِرٌ ^(٢) قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَقَالَ الطَّائِرُ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، هَلْ رَأَيْتَ أَقْلَ عَقْلًا مِنْ هَذَا .. نَصَبَ هَذَا الْفَخَّ لِيَصِيدَنِي فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : فَذَهَبَ عَنْهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا الطَّائِرُ فِي الْفَخِّ . فَقَالَ لَهُ : عَجَبًا لَكَ ^(٣) ، أَوْلَسْتَ الْقَائِلَ آتِفًا كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ لَمْ يَتَّقِ ^(٤) أُذُنٌ وَلَا عَيْنٌ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِعَلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ مَنْ جَنَّبَنِي سَبْلَ الْهُدَى ، وَسَلَكَ بِي سَبْلَ الرُّدَى ، أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ ؟ فَقَالَ لَهُ ^(٥) عَلِيُّ : إِنْ كُنْتَ اسْتَوْجَبْتَ عَلَيْهِ حَقًّا فَقَدْ أَسَاءَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ لِقَيْلَانَ الْقَدَرِيُّ ^(٦) : سَلْ ، فَأَقُوْى مَا تَكُونُونَ إِذَا سَأَلْتُمْ . فَقَالَ قَيْلَانُ : أَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ مَيْمُونُ : أَيْعُصَى كَارِهَا ؟ فَأَنْقَطَعَ قَيْلَانُ .

(١) في (م) : « تَنَاطَرَا » .

(٢) في (م) : « بطائر » .

(٣) في (م) : « عَجَبًا لَكَ يَا طَائِرُ » .

(٤) في (ط) : « لَمْ يَتَّقِ » . والخين : الهلاك .

(٥) في (م) : « لِي » تحريف .

(٦) هو : غيلان بن مسلم الدمشقي ، أبو مروان ، كاتب من البلغاء ، وتُنسَبُ إليه فرقة « الغيلانية » من القدرية ، وهو ثانی من تكلم في القدر ودعا إليه ، ولم يسيقه في هذا سوى معبد الجهني .. قيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز ، فلما مات عمر ، جاهر بملذه ، فطلبه هشام بن عبد الملك ، وأحضر الأوزاعي لمُناظرته ، فأُضَيَّ الأوزاعي بقتله ، فسلَّب على باب كيسان بدمشق بعد سنة ١٠٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٢٤ ، وطبقات المعتزلة ص ٢٥ - ٢٧ ، والمعارف ص ٦٢٥ ، والبيان والبيان

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبُزْرِجِيهَر^(١) : تَعَالَ تَتَنَاطَرُ فِي الْقَدْرِ . فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ^(٢)
بِالْمَتَاطَرَةِ فِي الْقَدْرِ ؟ رَأَيْتُ ظَاهِرًا اسْتَدْلَلْتُ بِهِ عَلَى الْبَاطِنِ ، وَرَأَيْتُ أَحْمَقَ^(٣)
مَرْرُوقًا ، وَعَاقِلًا مَحْرُومًا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ التَّدْبِيرَ لَيْسَ إِلَى الْعِبَادِ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَحِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرَزُقُ صَاحِبُهُ وَيُعْطَى الْمُنَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ طَالِبُهُ^(٤)
وَلَمَّا قَدِمَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بَعْدَ قِتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ
لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ^(٥) : أَنْتَ أَذْهَى النَّاسِ وَأَعْلَمُهُمْ ، فَكَيْفَ طَرَحْتَ نَفْسَكَ فِي
يَدَيِ سُلَيْمَانَ ؟ فَقَالَ مُوسَى : إِنَّ الْهُدْمَ يُهْنِدِسُ الْمَاءَ فِي الْأَرْضِ الْفَيَافَى^(٦) وَيُصِيرُ
الْقَرِيبَ مِنْهُ وَالْبَعِيدَ^(٧) عَلَى بُعْدِهِ فِي الشُّحُومِ ، ثُمَّ يَنْصَبُ لَهُ الصَّبِيءُ الْفَخَّ بِالْذُّودَةِ
وَالْحَبَّةِ فَلَا يَصِيرُهُ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ .

(١) في م : : قال له بُزْرِجِيهَر .

(٢) في م : : وما تصنع .

(٣) في م : : أحقأ بالتونين . خطأ ، ممنوع من الصرف .

(٤) البيت من الطويل ، وقد ورد في عيون الأخبار ج ٢ ص ٢١٢ هكذا :

« يَحِيبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَرَزُقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ »

(٥) هو : يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى ، أبو خالد ، أمير ، من القادة الشجعان الأجواد ، ولى
خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ فمكث نحو ست سنين ، وعزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج - وكان
الحجاج يحشئ بأبيه - فلما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولأه العراق ثم خراسان ، فعاد إليها ، وافتح
جرجان وطبرستان ، ثم نقل إلى إمارة البصرة فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز ، فعزله ، وطلبه
فجىء به إلى الشام ، فحبسه ببلب .. ولما تولى عمر وثب غلمان يزيد فأخرجوه من السجن ، وسار إلى البصرة
فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، ثم نشبت حروب بينه وبين أمير المراقين مسلمة بن عبد الملك انتهت بقتل
يزيد سنة ١٠٢ هـ . وأخباره كثيرة .

[انظر الأعلام ج ٨ ص ١٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ - ٣٠٩ ، والمعارف ص ٥٧١ وغيرها
من الصفحات ، وأخباره منتشرة في المصادر التاريخية الكبرى ، كالطبرى ، وابن الأثير وغيرها] .

(٦) الفياض : الأراضي الواسعة المستوية .. وفي م : : الأرض التثفا ، أى : التى تحتفظ بماء فى باطنها
فلا تشربه .

(٧) في م : : من البعيد .

وَفِي الْإِسْرَائِيلَاتِ : أَنَّ الْهَدَاهِدَ كَانَتْ رَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(١) إِلَى الْمَاءِ ، فَتَقَدَّمَ مُعْسَكَرُهُ ، ثُمَّ تَنْظَرُ الْأَرْضَ فَتَقُولُ ^(٢) : الْمَاءُ هَاهُنَا عَلَى الْإِفِ قَامَةٍ ، أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ ، فَتَبَادِرُ الْجِنُّ تُخْفِرُهُ ^(٣) فَلَا يَلْحَقُ سُلَيْمَانُ إِلَّا وَقَدْ اسْتَعَدَّ الْمَاءَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْهَارِبَ مِمَّا هُوَ مَقْضَى مُقَدَّرٌ كَالْمُنْقَلَبِ فِي كَفِّ الطَّالِبِ .
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْأُمُورِ مُقَدَّرًا وَفَرَزْتَ مِنْهُ فَتَحَوَّهُ تَتَوَجَّهْ ^(٤)
وَلِيَبْشَارِ ^(٥) :

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِى غَيْرِ مُحْيِرٍ هَوَاىَ ، وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهْدَبَا ^(٦)
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى ، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَامِي أَنْ يَنَالَ الْمُغْيَا ^(٧)
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُقَصَّرٌ وَأُنْسَى وَمَا أُعْطِيتُ إِلَّا التَّعْجَبَا ^(٨)

(١) في « م » : « عليه السلام » .

(٢) في « م » : « ثم تنظر الأرض ويقول » .

(٣) في « م » : « فتبادر الجن تخفرون » .

(٤) البيت من الكامل ، وقد ورد في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٣ ، وفي نفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ غير نسوب لقاتله .

(٥) هو : بشار بن برد بن بهتن . والأبيات من قصيدة يشب فيها بصفرها ، ويتخلص إلى أخلاقه ، وهي من الطويل .

[انظر ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٢٤٦ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وج ١ ص ٢٦٩ الشركة التونسية للترجيع] .

(٦) في الديوان : « خلقت » مكان « طُبِعْتُ » .

(٧) هكذا البيت في « م » .. وفي « ط » :

« أريد فلا أعطى ، وأعطي فلم أرَدْ وقصّر علمي أن أنال المغيا »

والشطرة الثانية في الديوان : « وقصّر علمي أن أنال المغيا » . وقد روى في المختار بلفظ « ولم أرَدْ » وبلغفظ « وقصّر علمي » أى : يقصر عن أن أنال .. وهو أولى مما هنا ، إذ لا موقع للقاء في قوله : « فلم » ، ولأن قوله : « وقصّر علمي » لا يعطى معنى إلا بتكلف .

[انظر المرجعين السابقين] .

(٨) هكذا البيت في « م » و « ط » .. وفي الديوان :

وَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ قَرَّ ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَلَى جِمَارٍ لَهُ ، يَطْلُبُ التَّجَاةَ ، فَسَمِعَ مُنْشِدًا يَنْشِدُ :

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى جِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَنْعَةٍ طَيَّارٍ ^(١)
أَوْ يَأْتِيَ الْخُخْفُ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي ^(٢)

فَكَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى الْكُوفَةِ وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٍ ^(٣) .
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :

أَقَامَ عَلَى الْمَسِيرِ وَقَدْ أُنِخْتُ مَطَابَاهُ وَغَرَّدَ حَادِيَاهَا ^(٤)
وَقَالَ أَخَافُ عَادِيَةَ اللَّيَالِي عَلَى نَفْسِي وَأَنْ أَلْقَى رَدَاهَا ^(٥)
وَمَنْ كُتِبَتْ مِيتَتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا ^(٦)

وَلَمَّا قَتَلَ كِسْرَى بُزْجَمَهُ وَجَدُوا فِي مِثْقَلِهِ ^(٧) كِتَابًا فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا

= « وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَجَلَمِي مِثْلِي وَأَضْحَى وَمَا اغْتَبْتُ إِلَّا التَّمَجُّبَا »

وفي رواية : « وَعَلِمِي ثَلَاثَ مَكَانٍ وَحَلِمِي مِثْلِي .. » وفي رواية : « وَأَمْسَى مَكَانٍ وَأَضْحَى .. » وفي رواية : « فَأَرْجِعُ مَا أَعْقَبْتُ .. » [انظر المرجعين السابقين] .

(١) البيتان من الرجز ، وقد وردا في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٣١ ، ونفع الطيب ج ٧ ص ٢٩٤ ، والشطرة الثانية من البيت في العقد الفريد : « وَلَا عَلَى ذِي مِيعَةٍ مَطَّارٍ » والمِيعَةُ : الفَرَسُ . ومِيعَةُ الْفَرَسِ : أَوَّلُ جَرِيهِ .. والمِثْقَةُ : القوة .. وفي النفع : « وَلَا عَلَى ذِي مَنْسَرٍ طَيَّارٍ » .

(٢) الْخُخْفُ : الْهَلَاكُ .. وَالسَّارِي : السَّائِرُ لَيْلًا .

(٣) فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٍ : لَا تَحْرِفْ نَفْيَ يَعْمَلُ عَمَلٌ لَيْسَ بِوَاسِعِهِ مَحْلُوفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ : وَلَاتِ الْحِينِ حِينَ مَهْرَبٍ ، وَ« حِينَ » الثَّانِيَةُ خَيْرٌ « لَا تَحِينَ » وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ ﴾ .

(٤) الْأَبْيَاتُ مِنَ الْوَافِرِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْمُسْتَطَرَفِ ج ٢ ص ٥٥٣ . وَمَعْنَى « أُنِخْتُ مَطَابَاهُ » : بَرَكْتُ .. وَغَرَّدَ حَادِيَاهَا : رَفَعَا الصَّوْتَ بِالْحُدَاءِ لِلتَّطَرُّبِ .

(٥) عَادِيَةُ اللَّيَالِي : نَوَائِبُهَا وَشُرُورُهَا . فِي الْمُسْتَطَرَفِ بِمَدِّ هَذَا الْبَيْتِ :

« مَشْنَاهَا تُحْطِئُ كُحِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُحِبَتْ عَلَيْهِ تُحْطِئُ مَشْنَاهَا »

(٦) كُحِبَتْ مِيتَتُهُ : قُدِّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ .. وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ : « وَمَنْ كَانَتْ مِيتَتُهُ بِأَرْضٍ » .

(٧) فِي « م » : « وَجَدَ فِي مِثْقَلِهِ » أَيْ : فِي الْخِزَامِ الَّذِي يَلْفُ بِهِ خَصْرَهُ .

فَالْجِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالْتَمَّةٌ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجَزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَارًا لَا ^(١) فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمَقٌ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ نَجْمُهُ كَثْرًا لَهُمَا ﴾ ^(٢) : إِنَّمَا كَانَ الْكَثْرُ لَوْحًا مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ ^(٣) بِالْقَدْرِ كَيْفَ يَخْزَنُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالرِّزْقِ كَيْفَ يَتَعَبُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يَغْفُلُ ! وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : عَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثٍ : رَجُلٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَ رِزْقِهِ بِتَدْيِيرِهِ وَهُوَ يَرَى تَنَاقُضَ تَدْيِيرِهِ ، وَرَجُلٌ شَغَلَهُ هَمُّ غَدِهِ ، وَعَالِمٌ مَفْتُونٌ يَعِيبُ عَلَى زَاهِدٍ مَغْبُوطٍ .

وَمِنْ عَجِيبٍ مَا تَزَلُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ خَدَمِهِ السُّلْطَانِ غَابَ عَنْ خِدْمَتِهِ أَيَّامًا فَقَبِضَهُ الشَّرْطُ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ ، فَانْسَابَ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَتَرَامَى فِي بَيْرٍ ، وَالْمَدِينَةُ مُسَرَّاةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَسْرَابٍ يَمْشِي الْمَاشِي فِيهَا قَائِمًا ، يَخْتَرِقُهَا وَيَلُورُهَا ، لِأَنَّ فِي دَوْرَهَا آبَارًا ^(٤) عَلَى تِلْكَ السَّرُوبِ ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَمْشِي إِلَى أَنْ لَاحَ لَهُ بَيْرٌ مُضِيغَةٌ ، فَطَلَعَ فِيهَا ، وَإِذَا ^(٥) الْبَيْرُ فِي دَارِ السُّلْطَانِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ فِي دَارِ ^(٦) السُّلْطَانِ ، فَأَذْبَهُ السُّلْطَانُ ، فَكَانَ فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ : الْفَارُّ مِنَ الْقَضَاءِ الْعَالِبِ ، كَالْمُنْقَلَبِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ .

(١) فِي م : : « نَازِلٌ » .. لَا تَصَحُّ ، وَالصَّوَابُ بِالنِّصْبِ .

(٢) سُورَةُ الْكَهْفِ ، مِنَ الْآيَةِ ٨٢ .

(٣) فِي م : : « يُوقِنُ » فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثِ .

(٤) فِي م : : « آبَارٌ » .. لَا تَصَحُّ . وَالصَّوَابُ بِالنِّصْبِ .

(٥) فِي م : : « فَلَذَا » .

(٦) فِي م : : « إِلَى دَارِ » .

(٧) فِي م : : « الْمُسْتَطَرَفُ ج ٢ ص ٥٥٤ : « كَالْمُنْقَلَبِ » .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : إِنَّ الرَّجُلَ لِكَشْرَفٍ عَلَى الْأَمْرِ مِنَ الْإِمَارَةِ وَالتَّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهِمَا ^(١) ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، فَيَقُولُ لِلْمَلِكِ : اصْرِفْ عَنْ عِبْدِي هَذَا الْأَمْرَ ، فَإِنِّي إِن أُبْسِرَهُ لَهُ أُدْخِلُهُ بِهِ جَهَنَّمَ . فَيُظَلُّ يَتَغَيَّبُ عَلَى جِيرَانِهِ فَيَقُولُ : سَبَقَنِي فَلَانٌ ، وَحَسَدَنِي فَلَانٌ ، وَمَا صَرَفَهُ عَنْهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَنْشُدُوا ^(٢) :

قَالُوا يُقِيمُ وَقَدْ أَحَا طَ بِكَ الْعَدُوُّ وَلَا تَقِرُّ
فَأَجَبْتُهُمُ وَالشَّيْخُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ غُرُّ ^(٣)
لَا نِلْتَ خَيْرًا مَا يَقِي ت وَلَا عَدَانِي الدَّهْرُ شُرُّ ^(٤)
إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ غَيَّرَ اللَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ

اسْتَأْذَنَ الْعَقْلُ ^(٥) عَلَى الْجَدِّ فَقَالَ : اذْهَبْ لَا حَاجَةَ لِي بِكَ ، فَقَالَ الْعَقْلُ : وَلَمْ ؟
فَقَالَ : لِأَنَّكَ ^(٦) نَحْتَاجُ إِلَيَّ وَلَا أَحْتَاجُ إِلَيْكَ .

وَأَوْصَى حَكِيمٌ ابْنَهُ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، رَزَقَكَ اللَّهُ جَدًّا يَخْلُصُكَ بِهِ ذُووُ الْعُقُولِ ، وَلَا
رَزَقَكَ عَقْلًا تَخْلُصُكَ بِهِ ذُووُ الْجُدُودِ . وَكَانَ يُقَالُ : إِفْرَاطُ الْعَقْلِ مُضِرٌّ بِالْجَدِّ .

(١) في « ط » : « أَوْ غَيْرَهَا » .

(٢) الأبيات من مجروء الكامل ، وقد قالها المسترشد بالله العباسي الفضل بن أحمد لما كُتِبَ وأُشِرَ عليه بالهزيمة .. وقد وردت في فوات الوفيات ج ٣ ص ١٨٠ ، ووردت أيضاً في المستطرف ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٣) هكنا البيت في « م » .. وفي « ط » : « الشَّيْخُ » بدون الواو .. والبيت في فوات الوفيات :
« فَأَجَبْتُهُمُ : الْمَرْءُ مَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْوَعظِ غُرُّ »
ولم يرد هذا البيت في المستطرف .. والفرُّ : من ينخدع إذا خُدِعَ .

(٤) في « م » : « وَلَا عِلَاقِي » . وفي للمستطرف :
« لِأَنَّكَ خَيْرٌ إِنْ بَقِيت » .. وفي فوات الوفيات : « لَا نِلْتَ خَيْرًا مَاحِيثٌ » .

(٥) في « م » : « الْقَلْعُ » تحريف .. والجَدُّ : الحَظُّ والرَّزْقُ .. وبكسر الجيم : الاجتهاد في العمل .

(٦) في « ط » : « إِنَّكَ » .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا خَيْرٌ فِي أَمْرِ فَأَتَى أَنْ يَخْتَارَ ، وَقَالَ : أَنَا بِجَدِّي أَوْثَقُ مِنْ بَنِي يَعْقُلِي ، فَافْرُغُوا . وَفِي الْأَمْثَالِ : اسْعَ بِجَدٍّ لَا بِكَدٍّ ^(١) . اسْعَ بِجَدٍّ أَوْ دَعْ . جَدُّكَ لَا كَدُّكَ . الْجَدُّ لَا الْجِدُّ . الْجَدُّ أَغْنَى مِنَ الْكَدِّ ^(٢) .

وَأَعْلَمَ أَنَّ زِمَامَ الْأُمُورِ التَّوْفِيقُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَقْلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالْإِجْتِهَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَلُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ^(٣) . وَقَدْ كُنْتُ جَمَعْتُ فِيهِ كِتَابًا مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِي ^(٤) فِي الْأَسْرَارِ : هَلِ التَّوْفِيقُ مُكْتَسَبٌ ^(٥) ، أَوْ مَوْهَبَةٌ بِلَا سَبَبٍ ؟ فَلَا ^(٦) مَزِيدٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ لَطِيفٍ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي مَجَارَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْهَارِبَ مِنَ الْمَقْدُورِ كَالْمُنْقَلَبِ ^(٧) فِي يَدِ الطَّالِبِ ، مَا تَزَلُ ^(٨) فِي مَدِينَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي قَضِيَّةِ ^(٩) الرَّجُلِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

(١) فِي اللِّسَانِ ، مَادَّةُ « كَدَّدَ » : « بِجَدِّكَ لَا بِكَدِّكَ » أَيْ : إِنَّكَ تَدْرِكُ الْأُمُورَ بِمَا تُرْزَقُهُ مِنَ الْجَدِّ لَا بِمَا تَعْمَلُهُ مِنَ الْكَدِّ .

(٢) فِي « د م » : « أَغْنَى مِنَ الْعَقْلِ » .

(٣) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ ، مِنَ الْآيَةِ ٦٩ .

(٤) مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِي « عَنْ ط .. » وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ تَذْكُرْهُ الْمَرَّاجِعُ الَّتِي ارْتَمَتْ لِلطَّرُوشِيِّ وَأَحْصَتْ مُؤَلَّفَاتِهِ ، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَاتٍ تَتَّصِلُ بِالْإِنْسَانِ وَالْعَقْلِ ، وَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، وَمَا يَشَبِّهُهَا مِنْ مَوْضُوعَاتٍ .

[انظُرْ أَبُو بَكْرٍ الطَّرُوشِيُّ لِلدَّكْتُورِ جَمَالِ الدِّينِ الشَّيَالِ ص ٧٨] .

(٥) فِي « د م » : « يُكْسَبُ » .

(٦) فِي « د م » : « بِلَا » تَحْرِيفٌ .

(٧) فِي « د م » : « كَالْمُنْقَلَبِ مِنْ » .

(٨) فِي « د م » : « مَا تَزَلُ » .

(٩) فِي « د م » : « مِنْ قَضِيَّةٍ » .

البَابُ الثَّالِثُ وَالسُّتُونَ

وَهُوَ جَامِعٌ مِنْ أُخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ
وَحِكَايَاتِهِمْ

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ ^(١) فُصُولٍ :

(الْأَوَّلُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى أُخْبَارِ رُفْعَتِ ^(٢) إِلَيْنَا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ ،
فَالْحَقْفَانَا .

(وَالثَّانِي) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْفُرسِ خَاصَّةً .

(وَالثَّالِثُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ ^(٣) السِّنْدِ خَاصَّةً .

(وَالرَّابِعُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ لِحَكِيمِ الْعَرَبِ خَاصَّةً .

(وَالخَامِسُ) : يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمِ مَجْمُوعَةٍ مُتَّخِيَةٍ .

رَسَمْنَا ذَلِكَ لِتَنْظُرَ ^(٤) فِي عُقُولِ الْقَوْمِ وَأَغْرَاضِهِمْ ، وَمُنْتَهَى مَرَايِهِمْ ، مِنْ كِتَابِ
جَاوِيدَانَ نُحَرِّدَ ^(٥) الْفَارِسِيَّ ، قَالَ :

(١) فِي د م : : : خمس ، لا تصح ، والصواب : خمسة .

(٢) فِي د م : : : وقت .

(٣) فِي ط ه : : : حكيم .

(٤) فِي د م : : : لتنظر .

(٥) سبق أن أشرنا إلى هذا الكتاب ، وهو منسوب إلى هوسنك شاه ، وقد عرَّبه الحسن بن سهل ، وزيد
المأمون ، ولخصه أيضاً في تعريبه ، وأورد الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ هذا الملخص =

ثَلَاثَةٌ لَا يَصْلُحُ فَسَادُهُنَّ بِشَيْءٍ ^(١) مِنَ الْجَحِيلِ : الْعِدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُدُ الْأَكْفَاءِ ^(٢) ، وَالرَّكَائِكَةُ فِي الْعُقُولِ .

وَنَثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَفْسَدُ صَلَاحُهُنَّ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْجَحِيلِ : الْعِبَادَةُ فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْقَنُوعُ فِي الْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ فِي ذَوِي الْأَخْطَارِ .

وَنَثَلَاثَةٌ ^(٣) لَا يُشْبِعُ مِنْهُنَّ : الْحَيَاةُ ، وَالْعَالِيَةُ ، وَالْمَالُ .

وَقَالَ ابْنُ لُقْمَانَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ ، مَا اللَّئَاءُ الْعِيَاءُ ؟ قَالَ : رُغُوعُهُ مَوْلُودُهُ . قَالَ : فَمَا الْجُرْحُ اللَّوِيُّ ؟ قَالَ : الْمَرْأَةُ السَّوَّةُ . قَالَ : فَمَا الْجِمْلُ الثَّقِيلُ ؟ قَالَ : الْعَضْبُ . وَلَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ أَبُو عَبَّادٍ الْكَاتِبُ - وَكَانَ ظَرِيفًا ^(٤) فِي أَنْبَايِهِ - قَالَ : وَاللَّهِ ، الْعَضْبُ أَخْفُ عَلَيَّ مِنْ رِيْشَةٍ ، وَكَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ غَضَبًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا عَنَى لُقْمَانُ أَنَّ اخْتِمَالَ الْعَضْبِ ثَقِيلٌ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَقْوَى عَلَى اخْتِمَالِ الْعَضْبِ إِلَّا الْجَمْلُ . وَغَضِبَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَرَمَاهُ بِدَوَاةٍ فَشَجَّهُ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ ، فَقَالَ أَبُو عَبَّادٍ : صَدَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حَيْثُ قَالَ : « وَالَّذِينَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » ^(٥) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَأْمُونُ ^(٦) ، فَاسْتَدْعَاهُ ، فَقَالَ ^(٧) : وَيَحَلَكَ ^(٨) ، لَا تُحْسِنُ أَنْ تَقْرَأَ

= في مقدمة كتابه للمسعى بآداب العرب والفُرس .. وهـ جلويديان « كلمة فارسية ، وتعني : الخالد أو الدائم .. وهـ خُرد : الصغير من كل شيء .. وبكسر الحاء : العقل أو الذكاء .. وهذا يُعد الفصل الأول من الفصول الخمسة التي أشار إليها

[انظر كشف الظنون ج ١ ص ٣٨٧ ، وقاموس الفارسية للدكتور عبد النعيم حسنين] .

(١) في م : : : شيء .

(٢) الأكفاء : المتأهلين المتساوين ، القادرين على تصريف الأمور .. جمع كُفء .

(٣) في م : : : وثلاث .

(٤) في م : : : ظريفاً .

(٥) أخطأ أبو عبيد في سرد هذه الآية .. والآية بتامها : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ . وهي الآية السابعة والثلاثون من سورة الشورى .

(٦) قوله : « فبلغ ذلك المأمون » عن م : : ولم ترد في م ط .

(٧) في م ط : : « فاستدعاه المأمون وقال » .

(٨) في م : : : « ويملك » . وهما مصدران فيهما معنى الترحُّم والتوجُّع .

آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : بَلَى ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي لَأَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ
وَاحِدَةٍ أَلْفَ آيَةٍ ، فَصَحِّحَكَ الْمَأْمُونُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ .

وَقِيلَ لِأَنْثُوشِرَوَانَ : مَا الْعَقْلُ ؟ قَالَ : الْقَصْدُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قِيلَ : فَمَا الْمُرُوءَةُ ؟
قَالَ : تَرْكُ الرِّيَّةِ . قِيلَ ^(١) : فَمَا السُّخَاءُ ؟ قَالَ : أَنْ تَنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ . قِيلَ :
فَمَا الْحُمُقُ ؟ قَالَ : الْإِغْرَاقُ فِي الدَّمِّ وَالْحَمْدِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ ^(٢) : سُوءُ الظَّنِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي قَوْلِهِ :
الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ ، قَالَ : إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ ^(٣) سُوءُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ لَا بغيرِهِ . قِيلَ : فَمَا
الصَّوَابُ ؟ قَالَ : الْمَشُورَةُ ^(٤) . قِيلَ : فَمَا الَّذِي يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْمَوَدَّةِ ؟ قَالَ :
كَفٌّ بَذُولٍ ، وَبَشَرٌ جَمِيلٌ . قِيلَ : فَمَا الْاِخْتِيَاظُ ؟ قَالَ : الْاِقْتِصَادُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِزِيَادِ جَمِينَ وَلَأُهِ الْعِرَاقَ : يَا زِيَادَ ، لِيَكُنْ حُبُّكَ وَبُغْضُكَ قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْغِيْرَةَ كَأَمْنَةٌ ، وَاجْعَلْ لِلرُّجُوعِ وَالتَّرْوَعِ بَقِيَّةً مِنْ قَلْبِكَ ، وَاحْذَرْ صَوْلَةَ ^(٥)
الْإِهْمَاكِ ، فَإِنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ . وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ يَبْغِضُكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغَضُكَ
هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَّا » ^(٦) . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

(١) في م : : قال .

(٢) في م : : قيل .

(٣) به عن م .

(٤) المشورة : ما يتصَّحَّ به من رأى وغيره .

(٥) الصَّوْلَةُ : السطوة والمغالبة في الحرب ونحوها .. وفي م : : صورة : أى : صفة .

(٦) انظر الحديث في صحيح الترمذى ، في أبواب البرِّ والصَّلة ، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض ،
وقد رُوِيَ مُسْنَدًا إِلَى أَنَّى هَريرة يرفعه ، والصحيح أنه لعليٍّ موقوف .

والمعنى : أحبُّ حبيبك حُبًّا رَافِقًا لِنَا ، ولا تبالِغْ في الحُبِّ والبغض ، فإن الحبيب إذا أَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِكَ حالة
الحب ثم عاد يَبْغِضُ ، كان يَمَامٌ مُضَارِكٌ أَقْصَدَ ، لَمَّا أَطْلَعَ مِنْكَ حَالُ الحُبِّ فَأَضْيَعَتْ إِلَيْهِ بَنَاتُ صَدْرِكَ ، وَأَطْلَعَتْ
عَلَى بَاطِنِ أَمْرِكَ .. وقد يعود البغض حُبًّا ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَمْلِكُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

[انظر المصدر السابق ج ٨ ص ١٦٢] .

وَأَحِبَّ حَبِيبَكَ حُبًا رُوَيْدًا فَلَيْسَ يَمُوتُكَ أَنْ تُصَرِّمًا ^(١)
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَا تَيَاسَنَّ الدَّهْرَ مِنْ حُبِّ كَاشِيَعٍ وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ صَرِّمَ حَبِيبٍ ^(٢)

وَسُئِلَ يَزْرَجِيهْرُ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : تَرَكْ مَا لَا يَعْنِي . قِيلَ : فَمَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ :
انْتِهَارُ الْفُرْصَةِ . قِيلَ : فَمَا الْجَلْمُ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ . قِيلَ : فَمَا الشَّدَّةُ ؟
قَالَ : مَلِكُ الْغَضَبِ . قِيلَ : فَمَا الْخُرْقُ ^(٣) ؟ قَالَ : حُبُّ مُغْرَقٍ ، وَبُغْضُ مُفْرِطٍ .
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ ، وَبَلَغَ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْقَلْبِ ^(٤) مَا لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ زَمَانِهِ :
مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : عَفَوِي عِنْدَ قُدْرَتِي ، وَلَيْسِي بَعْدَ شِدَّتِي ، وَبَذَلِي
الْإِنْصَافَ ، وَلَوِي لِنَفْسِي ^(٥) ، وَإِنْفَائِي فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ مَكَانًا لِمَوْضِعِ الْاسْتِئْذَالِ .
وَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أُرْشِدْنِي لِأَحْزِمِ أَمْرِي ^(٦) . قَالَ :
لَا تُثْمَلِكَنَّ ^(٧) قَلْبَكَ مَحَبَّةَ الشَّيْءِ ، وَلَا يَسْتَوِلِينَ عَلَيْكَ بُغْضُهُ ، وَاجْعَلْهُمَا قَصْدًا ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ كَأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ، وَلَهُ خَاصِيَّةٌ فِي الْقَلْبِ تَنْزِعُ وَتَرْجِعُ ^(٨) ، وَاجْعَلْ وَزِيرَكَ
التَّثَبُّتَ ، وَسَجِيرَكَ التَّيَقُّظَ ، وَلَا تُقَدِّمُ إِلَّا بَعْدَ الْمَشُورَةِ ، فَإِنَّهَا نَعَمُ الدَّلِيلُ ، وَإِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ مَلَكَتْ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ مِلْكًا اسْتِعْبَادًا .

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِأَنِّيهِ وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَقَلَّبُ ^(٩)

(١) البيت من المقارب .. ويموتك : يظلمك أو يموتك .. وأن تُصَرِّمًا : أن تُهَجَرَ وتُفْطَحَ .

(٢) البيت من الطويل .. والكاشيع : التلويح المبيض . وصَرِّم الحبيب : قطيعته ومجره .

(٣) الخُرْقُ : الخُفُّ .

(٤) في (م) : : : : والقدرة .

(٥) في (م) : : : : وَلَوِي لِنَفْسِي .

(٦) أى : لأَحْكِمُهُ وَأَقِفَهُ .. وربما كان المراد : لِأَحْزِمِ أَمْرِي ، بالتمييز ، بمعنى : أَوْقِفْهُ وَأَقِفْهُ .. وفي (م) :

لأحزم أموري .

(٧) في (م) : : : : لِأَثْمَلِكَنَّ .

(٨) تنزع وترجع : تخصم ثم تعود إلى ما كانت عليه .

(٩) البيت من الطويل .. لِأَنِّيهِ : لِشَوَانِسِهِ وَمُلَاطَفَتِهِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا الدَّلِيلُ ^(١) النَّاصِحُ ؟ قَالَ : غَرِيزَةُ الْعَقْلِ مَعَ الطَّبْعِ .
 قِيلَ : فَمَا الْقَائِدُ ^(٢) الْمُشْفِقُ ؟ قَالَ : حُسْنُ الْمُنَطِقِ . قِيلَ : فَمَا الْعَنَاءُ الْمُنْعَى ^(٣) ؟
 قَالَ : تَطْيِيعُكَ مَنْ لَا طَبْعَ لَهُ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ ^(٤) : سَأَلْتُ رَسُولَ مَلِكِ الرُّومِ عَنْ سِيرَةِ مَلِكِهِمْ
 قَالَ ^(٥) : بَذَلَ عَرْفَهُ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ،
 لَا يَنْقُصُ ^(٦) جُنْدُهُ ، وَلَا يُخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ^(٧) ، سَهَلَ النَّوَالِ ، حَزَنَ التَّكَالِ ^(٨) ، الرَّجَاءُ
 وَالْخَوْفُ مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ ^(٩) . قُلْتُ : فَكَيْفَ حُكْمُهُ ؟ قَالَ : يَرُدُّ الظُّلْمَ ، وَيُدْعُ
 الظُّلْمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ وَمُعْطِيطٌ . قُلْتُ : فَكَيْفَ
 هَيْئَتُهُمْ لَهُ ؟ قَالَ : يُتَصَوَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتُقْضَى لَهُ الْعُيُونُ ^(١٠) .

قَالَ : فَتَنَظَرَ رَسُولُ مَلِكِ الْحَبَشَةِ إِلَى إِصْبَعَاتِي إِلَيْهِ ، وَإِقْبَالِ عَيْنِي عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ
 الرُّسُلُ تَنْزِلُ عِنْدِي ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِي : مَا الَّذِي يَقُولُ الرُّومِيُّ ؟ قَالَ : يَصِفُ لَهُ مَلِكَهُمْ ،
 وَيَذْكُرُ سِيرَتَهُ . فَكَلَّمَ التَّرْجُمَانُ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ لِي التَّرْجُمَانُ : يَقُولُ : إِنَّ مَلِكَهُمْ
 ذُو أُنَاةٍ ^(١١) عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَذُو جِلْمٍ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَذُو سَطْوَةٍ عِنْدَ الْمُعَالَاةِ ،

(١) في د م : : ما القائد .

(٢) في د م : : فما القائد .

(٣) في د م : : العناء المعنى : أى : الشاق المتعب .

(٤) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، أبو العباس ، وزير ، كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء ،
 أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ ، وكان المعتصم في بلاد الروم ، فاستوزره ثلاث سنوات ،
 واعتقله ، ثم أطلقه ، فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن تولى سنة ٢٥٠ هـ .

[انظر الأعلام ج ٥ ص ١٥١ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٥ - ٤٧ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢] .

(٥) في د م : : فقال .. وَخَرَفَهُ : مَعْرُوفَةٌ .

(٦) لَا يَنْقُصُ : لَا يَكْثُرُ .. وَفِي د م : : لَا يَنْهَضُ .

(٧) فِي د م : : وَلَا تَخْرُجُ رَعِيَّتَهُ أَى : لَا تَمْرُدُ عَلَيْهِ وَتَخْرُجُ عَنْ حُكْمِهِ .

(٨) حَزَنَ التَّكَالِ : شَدِيدَ التَّعَابِ .

(٩) فِي يَدِهِ : مَكْرَرَةً فِي د م : : سَهْوًا مِنَ النَّاسِخِ .

(١٠) تُقْضَى الْعُيُونُ : تَصَحُّولُ عَنْهُ مَهَابَةٌ .. وَالْإِغْضَاءُ : الْمُقَارَبَةُ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ .

(١١) فِي د م : : إِنَّهُ يَقُولُ : مَلِكُهُمْ وَالْأُنَاةُ : الْفَرْقُ وَاللِّينُ .

وَذُو عُقُوبَةٍ عِنْدَ الْإِجْتِرَامِ ^(١) ، قَدْ كَسَا رَعِيَّتُهُ جَمِيعَ نِعَمَتِهِ ، وَقَصَّرَهُمْ تَغْنِيفَ عُقُوبَتِهِ ^(٢) ، فَهُمْ يَتَرَاوَنُوهُ تَرَائِي الْهِلَالِ جِيَالًا ^(٣) ، وَيَخَافُونَهُ مَخَافَةَ الْمَوْتِ نِكَالًا ^(٤) ، وَقَدْ وَسِعَهُمْ عَذْلُهُ ، وَرَدَّ عَنْهُمْ سَطْوَتُهُ عَقْلُهُ ^(٥) ، فَلَا تُنْمِتُهُ مَرْحَةٌ ^(٦) ، وَلَا تُؤْرِسُهُ غَفْلَةٌ ، إِذَا أُعْطِيَ أَوْسَعَ ، وَإِذَا عَاقَبَ أَوْجَعَ ، فَالْثَّاسُ اثْنَانِ : رَاجِعٌ وَخَائِفٌ ، فَلَا الرَّاجِعُ خَائِبٌ الْأَمَلِ ، وَلَا الْخَائِفُ بَعِيدُ الْأَجَلِ . قُلْتُ : فَكَيْفَ رَهْبَتُهُمْ لَهُ ^(٧) ؟ قَالَ : لَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ ^(٨) أَجْفَانَهَا ، وَلَا تُثَبِّعُهُ الْأَبْصَارُ إِنْسَانَهَا ، كَانَ رَعِيَّتُهُ قَطًّا ^(٩) فَرَّقَتْ عَلَيْهَا صُقُورَ صَوَائِدَ .

قَالَ ^(١٠) : فَحَدَّثْتُ الْمَأْمُونَنَ بِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ، فَقَالَ لِي : كَمْ قِيَمَتُهُمَا ^(١١) عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : أَلْفَا ^(١٢) دِرْهَمٍ . قَالَ : يَا فَضْلُ ، إِنَّ ^(١٣) قِيَمَتَهُمَا أَكْثَرُ مِنَ الْخِلَافَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ حَدِيثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ^(١٤) ، أَتَعْرِفُ أَحَدًا ^(١٥) مِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلَغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ

(١) الاجترام : ارتكاب الذنوب وما يستحق العقوبة .

(٢) قصرهم ، بالراء : كَفَّ عنهم وجَنَّبَهُمْ .. وفي « م » : : قصدهم بعنف عقوبته ، أى : توسط فيها ، لم يُعْرِط ولم يُعْرِطْ .

(٣) الجيال : قِبَالَةُ الشيء .. وفي « م » : : خيالاً .

(٤) نكالاً : عقاباً .

(٥) لى « م » : : سَطْوَتُهُ وَكَلَّتِيهِ ، أى : بطشه وأذاه .

(٦) تمنهه : تبطله . والمرح : المداعبة والمباسطة .

(٧) فى « م » : : هَيْبَتُهُمْ لَهُ .

(٨) فى « م » : : لَا تَرْفَعُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ .

(٩) إنسانها : ناظرها .. والقَطَا : الهيام ، واحده قَطَاة .

(١٠) « قال » عن « ط » .

(١١) فى « م » : : قِيَمَتُهَا ، فى الموضعين .. تحريف .

(١٢) فى « م » : : أَلْفَى ، لا تصح .

(١٣) « إن » عن « ط » .

(١٤) فى « م » : : تُجْنِسُ ، تحريف .

(١٥) فى « م » : : « أَنْ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ » وسأبقى .

يَصِفُ مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ :
 فَقَدْ ^(١) أَمَرْتُ لَهُمَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُعْجَلَةٍ لَهُمَا ، وَاجْعَلِ الْعِدَّةَ مَادَّةً ^(٢) بَيْنِي
 وَبَيْنَهُمَا عَلَى الْقَرْدِ ، فَلَوْلَا حُقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهُمَا مَا فِي بَيْتِ الْمَالِ
 الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّانِهِ .

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : كَانَ عِنْدِي رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ يُحَدِّثُنِي عَنْ أُخْتِ
 لِلْمَلِكِ ^(٣) يُقَالُ لَهَا : خَاثُونُ ، قَالَ : أَصَابَتْنا سَنَةٌ ^(٤) اخْتَدَمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بِحَرَارَةِ
 الْمَصَائِبِ ^(٥) وَصُتُوفِ الْآفَاتِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ إِلَى الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَذَرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ ،
 فَقَالَتْ لَهُ خَاثُونُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الْحَزَمَ عَلَّقَ ^(٦) لَا يَخْلُقُ جَدِيدَهُ ، وَلَا يُمْتَنُّهُنَّ
 غَرْبُهُ ^(٧) ، وَهُوَ دَلِيلُ الْمَلِكِ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ ، وَزَاجِرٌ ^(٨) لَهُ عَنِ اسْتِفْسَادِهَا ،
 وَقَدْ فَرَعَتْ رَعِيَّتَكَ إِلَيْكَ لِفَضْلِ الْعَجْرِ عَنِ الْإِتِجَاءِ إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ
 عِزًّا ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْعَوْدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا ، وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنْ
 الْمُوصَى ^(٩) ، وَلَا بِرُكُوبِ الدَّلَالَةِ ^(١٠) مِنَ الدَّلَالِ ، وَلَا بِحُسْنِ الرِّعَايَةِ مِنَ
 الرَّاعِي ^(١١) ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ لَمْ تُغَيِّرْهَا نِقْمَةٌ ، وَفِي رِضَا لَمْ يُكْذِرْهُ سَخَطٌ ، إِلَى
 أَنْ جَرَى الْقَدَرُ بِمَا عَمِيَ مِنْهُ الْبَصَرُ ، وَذَهَلَ عَنْهُ الْحَذَرُ ، فَسَلِبَ الْمَوْهُوبُ ، وَالسَّالِبُ
 هُوَ الْوَاهِبُ ، فَعُدَّ ^(١٢) إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَغَدَّ بِهِ ^(١٣) مِنْ قَطِيعِ النِّقَمِ ، فَمَتَى تَنْسَهُ

(١) في م : : قد .

(٢) مَادَّةٌ : مَدَدًا .. وهي عن ط ، ولم ترد في م .

(٣) في م : : أخت الملك .

(٤) السَّنَةُ : الجذب والقحط .

(٥) في م : : المصائب .

(٦) التَّلَقَّى ، بفتحين : الحبل والسير الذي تُعْلَقُ بِهِ الْقِرْبَةُ وَغُيُوهَا .. وبكسر العين وسكون اللام : الثوب
 الجيد ، والنفيس من كل شيء ، والأول هو المراد هنا .. ولا يَخْلُقُ : لا يُلْقِي .

(٧) الْقَرْبُ : الدلو العظيمة .. وفي ط : : ولا يُمْتَنُّ عَزِيْزُهُ .

(٨) في م : : وزاجرًا .. لا تصح .

(٩) في م : : يحفظ الرضا من المرضى .

(١٠) الدَّلَالَةُ : الإرشاد .. وفي م : : الدَّلَاةُ : أُمى : الجرأة .

(١١) في م : : المرعى . والأول هو المناسب للمقام .

(١٢) في م : : فيعد . لا تصح .

(١٣) في ط : : وَغَدَّبَهُ : مكان وَغَدَّ بِهِ .

يَنسَكَ^(١) ، وَلَا تَجْعَلَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ التَّذَلُّلِ لِلْمُعِزِّ الْمُدِلَّ شِرْكًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ فَتَسْتَحِقَّ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ ، وَلَكِنْ مَرُّهُمْ وَتَفْسِكَ بِصَرْفِ الْقُلُوبِ إِلَى الْإِقْرَارِ لِلَّهِ بِكُنْهِ الْقُدْرَةِ ، وَتَذَلُّلِ الْأَلْسُنِ فِي الدُّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ^(٢) ، فَإِنَّ الْمَلِكَ رُبَّمَا عَاقَبَ عَبْدَهُ يُرْجِعُهُ عَنْ شَيْءٍ فَعِلَ ، إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيُبَيِّنَهُ عَلَى ذَرْبِ شُكْرِ^(٣) يَحُوزُ بِهِ فَضْلَ أَجْرٍ .

فَأَمَرَهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقُومَ فِيهِمْ فَتُنِيرَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ، فَفَعَلَتْ ، فَرَجَعَ الْقَوْمُ عَنْ بَابِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ قَبُولَ^(٤) الْوَعِظِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَحَالَ عَلَيْهِمَا الْحَوْلُ وَمَا بَيْنَهُمَا^(٥) مُفْتَقِدَ نِعْمَةٍ كَانَ سُبُلَهَا ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِمُ الرِّبَادَاتُ بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، فَأَعْتَرَفَ الْمَلِكُ لَهَا بِالْفَضْلِ ، فَقَلَّدَهَا الْمُلْكَ بَعْدَهُ ، وَجَمَعَ الرُّعِيَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ لَهَا فِي الْمَحْجُوبِ وَالْمَكْرُوهِ . فَهَذَا فِعْلُ اللَّهِ تَعَالَى^(٦) بِأَعْدَائِهِ ، وَضَرَائِرِ نِعَمَتِهِ^(٧) لِمَا شَكَّرُوهُ أَغَادَ لَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ مَا كَانَ قَدْ اسْتَرْجَعَ ، وَزَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا تَمَنَّوْهُ ، فَكَفَيْفَ بِمَنْ يُؤَحِّدُونَهُ وَيُؤْمِنُونَ^(٨) بِهِ ، لَوْ صَدَقَتْ نِيَّاتُنَا وَصَحَّتْ ضَمَائِرُنَا ؟

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ^(٩) : ثُوْفَى رَسُولُ بَغْضَرِ الْمُلُوكِ بِدِمَشْقَ فِي خِلَافَةِ

(١) في د م : ينسك .. لا تصح .

(٢) محض الشكر : خالص الثناء .

(٣) في ط : وليسته على دوب شكر ، وكلمة « دوب » هنا خطأ مطبعي .

(٤) قبول : عن د م .

(٥) في د م : فحال الحَوْلُ عليهم وما فهم .

(٦) تعالى : عن د م .

(٧) في د م : نعيمه .. والضرائر : جمع ضرورة ، وهي : الحاجة .

(٨) في د م : بمن يؤحدونه ويؤمنون به ، ولا وجه هنا لحذف النون من الفعلين .

(٩) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمي ، الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله الواقدي ، من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث ، ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ ، وكان خطاطاً (تاجر حنطة) بها ، وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد ، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي ، فقربه من الخليفة ، وأفاض عليه من عطاياه .. وولى القضاء ببغداد ، واستمر إلى أن تولى بها سنة ٢٠٧ هـ .

[انظر ترجمته في الأعلام ج ٦ ص ٣١١ ، والمعارف ص ٥١٨ ، ووفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٤٨ - ٣٥١ ، وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٣ - ٢١ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٢٥ - ٤٣٣ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٢ - ٦٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٣٤٨ ، ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٧ - ٢٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨] .

هشام^(١) ، فَوَجِدَ فِي جَنَبِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : إِذَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ^(٢) نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا مَاتَ الْاِعْتِصَامُ عَاشَ الْاِثْتِقَامُ ، وَإِذَا ظَهَرَتِ الْخِيَانَاتُ امْتَحَجَّتِ الْبِرَكَاتُ^(٣) .

وَقَالَ الرَّضَائِيُّ^(٤) : وَجَّهَ أَبُو شِرْوَانَ رَسُولًا لَهُ إِلَى مَلِكٍ^(٥) قَدْ أَجْمَعَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَأَمَرَهُ^(٦) أَنْ يَتَعَرَّفَ سِيرَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَجَدْتُ عِنْدَهُ الْهَزْلَ أَقْوَى مِنَ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبَ^(٧) أَكْثَرَ مِنَ الصِّدْقِ ، وَالْجَوَرَ أَرْفَعَ مِنَ الْعَدْلِ . فَقَالَ أَبُو شِرْوَانَ : رُزِقْتَ الظُّفْرَ بِهِ ، سِرَ إِلَيْهِ ، وَلَيْكُنْ عَمَلُكَ فِي مُحَارَبَتِهِ بِمَا هُوَ عِنْدَهُ أضعَفُ وَأَقْلُ وَأَوْضَعُ ، فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ وَهُوَ مَخْذُولٌ . فَسَارَ إِلَيْهِ وَعَمِلَ بِمَا أَوْصَاهُ^(٨) ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ .

وَقَالَ بُرْزَجِيهْرُ : الْمَرْحُ أَفَّةُ الْجِدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْمَلِكُ الْهَزْلَ ذَهَبَتْ هَيْبَتُهُ ، وَإِذَا اسْتَصْحَبَ الْكَذِبَ اسْتَحْفُفَ بِهِ ، وَإِذَا بَسَطَ الْجَوْرَ فَسَدَ سُلْطَانُهُ .

وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتَمَ ، وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ : الْهَزْلُ مَبْعُضَةٌ ، وَالْكَذِبُ مَنْقُصَةٌ ، وَالْجَوْرُ مَفْسَدَةٌ . وَقَتِلَ^(٩) بَعْضُ أَصْحَابِ اسْتَفْنِدْيَارَ رَجُلٍ مِنَ التُّرْكِ ، فَأَصِيبَ^(١٠) فِي عُنُقِهِ لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ : أَفَّةُ الشَّدَةِ التَّهْيُبُ ، وَأَفَّةُ الْمَنْطَلِقِ الْحَيَاءُ ، وَأَفَّةُ كُلِّ شَيْءٍ الْكَذِبُ .

(١) قوله : « في خلافة هشام » عن « ط » .

(٢) في « م » : « فيه مكتوب : إذا نزل الوفاء .. » .

(٣) امتحجت البركات : هلكت وبادت .

(٤) هو : محمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن حسان ، أبو عبد الله الأنباري ، ويُعرف بالوضاحي ، أصله من الأنبار ، وانتقل إلى خراسان ، وسكن نيسابور .. مع الحديث من القاضي أبي عبد الله الهاملي وغيره ، وهو شاعر أيضًا ، أورد له الخطيب البغدادي آياتًا من قصيدة يعارض بها معلقة امرئ القيس .. وتولى بنيسابور سنة ٣٥٥ هـ .

[انظر الأعلام ج ٦ ص ٩٧ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢] .

(٥) في « م » : « رسولاً إلى ملك » .

(٦) في « م » : « وأمر » .

(٧) في « م » : « والكذب » تحريف .

(٨) قوله : « وعمل بما أوصاه » عن « م » .

(٩) في « م » : « وقيل » تحريف .

(١٠) فأصيب : فوجد .

وَقِيلَ لِيَنْفِضِ الْحُكَمَاءُ : مَا قِيَمَةُ الصَّدَقِ ؟ قَالَ : الْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْكَذِبِ ؟ قَالَ : مَوْتُ عَاجِلٌ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْعَدْلِ ؟ قَالَ : مُلْكُ الْأَبِيدِ . قِيلَ : فَمَا قِيَمَةُ الْجَوْرِ ؟ قَالَ : ذُلُّ الْحَيَاةِ .

قَالَ : وَسَأَلْ مَلِكُ الْهِنْدِ الْإِسْكَنْدَرَ ، وَقَدْ دَخَلَ بِلَادَهُ : مَا عَلَامَةُ الْمُلْكِ وَدَوْلَتُهُ ؟ قَالَ لَهُ : الْجِدُّ فِي كُلِّ الْأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلَامَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزَلُ فِيهِ . قَالَ : فَمَا سُرُورُ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : الرِّضَا بِمَا رُزِقْتَ . قَالَ فَمَا غَمُّهَا ؟ قَالَ : الْجِرْحُ عَلَى مَا لَعَلَّكَ لَا تَتَنَاهَهُ .

وَقَالَ بُزْجِيهْمُ : ثَلَاثَ هُنَّ سُرُورُ الدُّنْيَا ، وَثَلَاثَ هُنَّ غَمُّهَا ، فَأَمَّا السُّرُورُ فَالرِّضَا بِالْقَسَمِ ، وَالْعَمَلُ ^(١) بِالطَّاعَةِ فِي التَّعَمُّرِ ، وَنَفْيُ الْإِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ لِغَدٍ . وَأَمَّا الْغَمُّ فَجِرْحُ مُسْرِفٍ ، وَسُؤَالُ مُجْحِفٍ ، وَتَمَنَّى مَا يُلْهِفُ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْمُلُوكِ بِغُلَامٍ يَسُوقُ جِمَارًا غَيْرَ مُتَبَعٍ ^(٢) وَقَدْ عَنَّفَ عَلَيْهِ فِي السُّوقِ ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ أَرْفُقْ بِهِ . فَقَالَ الْغُلَامُ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فِي الرَّفْقِ بِهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَمَا مَضَرَّتُهُ ؟ قَالَ : تَطُولُ طَرِيقُهُ ، وَيَشْتَدُّ جُوعُهُ ، وَفِي الْعَنَفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ . قَالَ : وَمَا الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : يَخْفُفُ حِمْلُهُ ^(٣) ، وَيَطُولُ أَكْلُهُ . فَأَعْجَبَ ^(٤) الْمَلِكُ بِكَلَامِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ : رِزْقُ مَقْدُورٍ ، وَوَاهِبٌ مَأْجُورٍ . قَالَ : وَقَدْ أَمَرْتُ بِإِثْنَيْ عَشَرَ أَسْجَلًا فِي حَشْيِي . قَالَ : كُفَيْتَ مَعُونَةً ، وَرَزِقْتَ بِهَا مَعُونَةً . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ لَأَسْتَوَزَرْتُكَ ^(٥) . قَالَ : لَنْ يَقْدَمَ الْفَضْلُ مَنْ رِزْقِ الْعَقْلِ . قَالَ : فَهَلْ تَصْلُحُ لِدَلِّكَ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَكُونُ الْحَمْدُ

(١) فِي د ط : : وَالرِّضَا .

(٢) غَيْرَ مُتَبَعٍ ، أَيْ مُقْبَدٍ بِقَالَ وَغَوْه .

(٣) الْجَحْلُ ، بِكسر الحاء : مَا يَحْتَمِلُ عَلَى الظَّهْرِ وَغَوْه .. وَفَتْحُهَا : مَا كَانَ فِي بَطْنِ أَوْ عَلَى شَجَرٍ .. وَالْأَوَّلُ مِمَّا لَرَادِ هُنَا .

(٤) فِي د م : : قَالَ : فَأَعْجَبَ .

(٥) أَيْ : لِجِبِلَّتِكَ وَزَيْرًا .

وَالَّذُمْ بَعْدَ التَّجْرِیَةِ ، وَلَا یَعْرِفُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ حَتَّى یُتْلُوَهَا ^(١) . قَالَ : فَاسْتَوَزَرَهُ
فَوَجَدَهُ ذَا رَأٰی صَلِیبٍ ، وَفَهَمَ رَحِیبٍ ^(٢) ، وَمَشُورَةٍ تَقَعُ مَوَاقِعَ التَّوْفِیقِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكََنْدَرُ إِلَى أَرِسْطَاطَالِیسَ ، وَقَدْ نَفَذَ ^(٣) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ،
وَبَلَغَ مِنْهُمَا مَا لَمْ یُتْلَغُهُ أَحَدٌ ^(٤) : قَبْلَهُ : اَكْتُبْ إِلَیَّ لَفْظًا مُوجِزًا یَنْفَعُ وَیُرَدِّعُ ^(٥) . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ : إِذَا اسْتَوَلَتْ بِكَ السَّلَامَةُ فَجَدِّدْ ذِكْرَ الْعَطَبِ ، وَإِذَا هَتَّتِكَ الْعَاقِبَةُ ^(٦) فَحَدِّثْ
نَفْسَكَ بِالْبَلَاءِ ، وَإِذَا اطمَأَنَّ بِكَ الْأَمْنُ فَاسْتَشْعِرِ الْخَوْفَ ، وَإِذَا بَلَغْتَ نِهَایَةَ الْأَمَلِ
فَاذْكُرِ الْمَوْتَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ فَلَا تُجْعَلَنَّ لَهَا فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْهَا نَصِيبًا .

قَالَ : وَوَعِظَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ مَلِكًا فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عَمَلٍ ،
وَالْآخِرَةُ دَارُ ثَوَابٍ ، وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ لَا يَجِدُ ، فَهَنْ نَفْسَكَ حَلَاوَةً عَیْشِهَا بِتَرْكِ الْإِسَاءَةِ
إِلَيْهَا ^(٧) . وَاعْلَمْ أَنَّ زَمَانَ الْعَاقِبَةِ بَیْدُ الْبَلَاءِ ، وَأَمْنُ السَّلَامَةِ تَحْتَ جَنَاحِ الْعَطَبِ ،
وَبَابُ الْأَمَنِ مَسْتَوْرٌ بِالْخَوْفِ ، فَلَا تُكُونَنَّ فِي حَالٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ^(٨) غَيْرَ مُتَوَقِّعٍ
لَأُضْدَادِهَا ^(٩) ، وَلَا تُجْعَلْ نَفْسَكَ غَرَضًا ^(١٠) لِسِيْهَامِ الْهَلَكَةِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ عَدُوٌّ
أَبْنِ آدَمَ ، فَاحْتَرِزْ مِنْ عَدُوِّكَ بِقَايَةِ الْاسْتِعْدَادِ ، وَإِذَا فَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ
وَعَدُوَّهَا ^(١١) اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الْوَعِظِ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْإِسْكََنْدَرُ عَلَى بَابِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ : أَجَلٌ قَرِيبٌ فِي يَدِ غَيْرِكَ ، وَسَوْفَى

(١) أى : یختبرها .

(٢) صلیب : شدید قوی .. وفهم رحیب : متسع الفهم والعقل .

(٣) فی د م : : نفذ یده .

(٤) فی د م : : ما لم يبلغ أحد طامع .

(٥) یرددع : عن ط .

(٦) هتتک العاقبة : لذت وطلائت لك .

(٧) من قوله : قال : ووعظ بعض الحكماء : إلى هنا عن ط .

(٨) فی د م : : الثلاث . وكلاهما صواب .

(٩) فی د م : : خير موقع لأضداده .

(١٠) غرضاً : هدفاً ظاهراً .

(١١) فی د م : : وعلمها .

حَيْثُ ^(١) مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِذَا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاخْتَلِ قَبْلَ الْمَنْعِ ، وَأَكْرِمِ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ السَّائِقِينَ ^(٢) ، وَإِذَا آتَتْكَ السَّلَامَةُ فَاسْتَوْجِشْ بِالْعَطَبِ ، فَإِنَّهُ الْعَاقِبَةُ ، وَإِذَا فَرِحْتَ لِلْعَاقِبَةِ فَاحْزَنْ لِلْبَلَاءِ ، فَإِلَيْهِ تُكُونُ الرَّجْعَةُ ، وَإِذَا بَسَطْتَ الْأَمَلَ فَأَقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْهُ بِذِكْرِ الْأَجَلِ ، فَهُوَ الْمُوعِدُ ، وَإِلَيْهِ الْمُورِدُ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : حَلَفْنِي مَنْ رَأَى بَيْنَ أَصْبَهَانَ وَفَارِسَ حَجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ : الْعَاقِبَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْبَلَاءِ ، وَالسَّلَامَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْعَطَبِ ، وَالْأَمْنُ مَقْرُونٌ بِالْخَوْفِ .

وَلَمَّا ضَرَبَ أَبُو شُرَبْرَةَ عَنْقَ بُزْرِجَمَهْرَ لَمَّا رَغِبَ عَنْ ^(٣) دِينِ الْمَجُوسِيَّةِ وَانْتَقَلَ ^(٤) إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَدَ فِي مِنْطَقَتِهِ ^(٥) كِتَابًا فِيهِ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْجَرُ صُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجَزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ بِكُلِّ أَحَدٍ نَازِلًا ^(٦) ، فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمَقٌ .

وَلَمَّا تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مُلْكَهُ ، كَتَبَ ^(٧) عَلَى كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَبْتَ الْعَاقِبَةَ نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ السَّلَامَةُ نَجِمَ الْعَطَبُ ، وَإِذَا تَمَّ الْأَمْنُ عَلَنَ الْخَوْفُ ^(٨) .

وَحِفْرَ حَفِيرٍ ^(٩) بِفَارِسَ فَوُجِدَ فِيهِ لَوْحٌ رُخَامٌ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَسْطُفٍ مَخْفُورَةٍ ، أُولَاهَا : أَيُّهَا الْمُعَافَى أَبْشِرْ بِالْبَلَاءِ . وَالثَّانِي : أَيُّهَا السَّالِمُ تَوَقَّعِ الْعَطَبَ . وَالثَّالِثُ : أَيُّهَا الْآمِنُ خُذْ أَهْبَةَ الْخَوْفِ . وَالرَّابِعُ : أَيُّهَا الْمُؤَسِّرُ لَنْ يَبْعُدَ عَنْكَ الْعُسْرُ .

(١) السَّوْقُ : الْحَثُّ : وَالْحَثِثُ : السَّرِيعُ الْجَادُ فِي أَمْرِهِ .. والمراد : أنه بمرور الأيام والليالي يصل الإنسان إلى نهاية أجله .. وفي « م » : « شوق » بالشين ، والأول أوجه .

(٢) السَّائِقِينَ : الليل والنهار يسوقان الإنسان إلى نهايته المضمومة .. وفي « م » : « السابقين » .

(٣) رَغِبَ عَنِ الشَّيْءِ : تَرَكَهُ مُتَعَمِّدًا وَزَهَدًا فِيهِ .. وفي « م » : « غرب » .

(٤) فِي « م » : « فانتقل » .

(٥) فِي « م » : « وجد فيه منطقة » .. « فيه » غرِيف .. وَمِنْطَقَةٌ وَمِنْطَقَتُهُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ : الْخَزَامُ الَّذِي يَشَدُّ بِهِ وَسَطُهُ .. وَقَدْ مَرَّ .

(٦) فِي « م » : « نازل » لا تصح .

(٧) فِي « م » : « وكتب » .. الواو زيادة من الناسخ .

(٨) عَلَنَ الْخَوْفُ : شَاعَ وَظَهَرَ .

(٩) الْحَفِيرُ : الْبُحْرُ أَوْ الْقَبْرِ ، أَوْ مَا يُخْفَرُ لِلْكَشْفِ عَنِ الْأَثَارِ .

وَلَمَّا نَزَلَ أَبُو مُسْلِمٍ مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدَ أَتَاهُ اسْبَهَنْدَهَا ^(١) فَقَالَ : أَيُّهَا السِّلْكُ ، إِنَّ
بِالْقَنْدَهَارِ ^(٢) حَجَرًا مَذْفُونًا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ ، وَجَدْتُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ سَلِيمَانَ بْنِ
دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، بَعَثَ بِهِ وَدُفِنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَوُجِدَ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي
تُسْتَخْرِجُهُ ، وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ . فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، فَإِذَا أَوَّلُ سَطْرِ مِنْهُ : الْحَزْمُ الْبَهَارُ
الْقُرْصَةُ وَتَرَكُ الْوَيْ ^(٣) فِيمَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْقَوْتُ . وَالسَّطْرُ الثَّانِي : الرِّيَاسَةُ لَا تَيْمُ
إِلَّا بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ . وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ : لَمْ يُقْتَلِ الْآبَاءُ مِنْ تَرَكِ الْإِبْنَاءِ ، وَلَمْ يُصَبَّ
مَنْ لَمْ يُحِبَّ ^(٤) . فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَقُولُ : عَلِمَ جَلِيلٌ بِهِ تَيْمُ هَذِهِ الدُّوَلَةُ ^(٥) ، إِنَّ
لَمْ يَنْزِلِ الْقَدْرُ بِمَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَذَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى أَنْ
قَدِمَ الْعِرَاقَ ، فَأَعَمَّاهُ الْقَدْرُ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِالْحَذَرِ ، فَهَتَّلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ .

وَلَمَّا حَجَّ أَبُو مُسْلِمٍ قِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْحِيرَةِ نَصْرَانِيًّا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ مَاتِيًا سَنَةً ^(٦) ،
وَعِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَتَى بِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ
قَالَ : قَدِمْتَ بِالْكِفَايَةِ وَلَمْ تَأَلَّ ^(٧) فِي الْعِنَايَةِ ، وَقَدْ بَلَغْتَ النُّهَايَةَ ، أَخَرَفْتَ نَفْسَكَ
لِمَنْ سَيَسْكُتُ حِسْكَ ، وَكَانَ قَدْ عَايَنْتَ رَمْسَكَ ^(٨) . فَبَكَى أَبُو مُسْلِمٍ ، فَقَالَ :

(١) هكذا في « م » و « ط » .. ولعله يريد « اسبهندها » أى : كبير قوادها .. والكلمة فارسية .

[انظر قاموس الفارسية ص ٦٨ مادة « اسبيد »]

(٢) الْقَنْدَهَار ، بضم القاف وسكون النون وضم الدال : من بلاد السند أو الهند ، وهى مشهورة فى الفتوح
وقد مرت .

[انظر معجم البلدان ج ٤ مادة « قندهار »]

(٣) الْوَيْ : الفتور والضعف .. وفى « م » و « ط » : « الْوَنَا » بالألف .. والصواب ما أثبتناه .

(٤) لَمْ يُصَبَّ : سلم من الوقوع فى المصائب .. وَمَنْ لَمْ يُحِبَّ ، أى : مَنْ يَتَأَى فى أمره ، قسى التأنى السلامة ،
وفى المجلة التدامة .

(٥) فى « م » : « تَمِ الدُّوَلَةُ » .

(٦) فى « م » : « أَتَتْ لَهُ مَاتَةٌ سَنَةً » .

(٧) لَمْ تَأَلَّ : لَمْ تُقْصِرْ .

(٨) الرَّمْسُ : القبر مستوياً مع وجه الأرض .

لَا تَبْلُكَ ، فَأَنْتَ لَمْ تُؤْتِ (١) مِنْ حَزْمٍ وَرَيْقٍ ، وَلَا مِنْ رَأْيٍ رَيْقٍ (٢) ، وَلَا تَذِيرٍ نَافِعٍ (٣) ، وَلَا مِنْ سَيْفٍ قَاطِعٍ ، وَلَكِنْ مَا اسْتَجْمَعَ أَحَدٌ لِأَمْلِهِ (٤) إِلَّا أَسْرَعَ فِي تَقْرِيبِ أَجَلِهِ . قَالَ : فَمَتَى تَرَاهُ يَكُونُ ؟ قَالَ : إِذَا تَوَاطَا الْخُلِيفَتَانِ عَلَى أَمْرِ كَانَ ، وَالتَّقْدِيرُ فِي يَدَي مَنْ يَبْطُلُ مَعَهُ التَّقْدِيرُ ، وَإِنْ رَجَعَتْ إِلَى خُرَاسَانَ سَلِمْتُ ، وَهَيْهَاتَ (٥) . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ بِالْمُضِيِّ ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَنْ يَحُثُّهُ ، فَلَوْلَا أَنَّ الْبَصَرَ يَعْصِي إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ ، لَكَانَتْ هَذِهِ دَلَالَةً (٦) تَقَعُ مَوْقِعَ الْعَيَانِ ، وَتُبْعُثُ عَلَى التَّيَقُّظِ فِي الْحَذَرِ وَالْإِحْتِيَالِ فِي الْهَرَبِ (٧) ، عَلَى أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ غَايَةً ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ نِهَآيَةً .

وَقِيلَ لِجَالِينُوسَ ، وَهُوَ حَكِيمُ الطَّبِّ وَفَيْلسُوفُهُ ، وَقَدْ نَهَكَتُهُ الْعِلَّةُ (٨) : أَلَا تَتَعَالَجُ ؟ فَقَالَ : إِذَا كَانَ الدَّاءُ مِنَ السَّمَاءِ بَطَلَ الدَّوَاءُ ، وَإِذَا قَدَّرَ الرَّبُّ بَطَلَ حَذَرُ الْمَرْبُوبِ (٩) ، وَنِعْمَ الدَّوَاءُ الْأَجَلُ ، وَبِئْسَ الدَّاءُ الْأَمَلُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْفَرَاةِ : فَتَحْنَا حِصْنًا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ قَرَأْنَا فِيهِ صُورَةَ أَسَدٍ (١٠) مِنْ حَجَرٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : الْحِيلَةُ خَيْرٌ مِنَ الشُّدَّةِ ، وَالتَّائِي أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَالْجَهْلُ فِي الْحَرْبِ أَحْزَمُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْعَاقِبَةِ مَادَّةُ الْحِزْزِ .

(١) في « د » : « لَمْ يُؤْتِ حَلِيكَ » .

(٢) رَيْقٍ : سَدِيدٌ .

(٣) في « د » : « وَلَا مِنْ تَذِيرٍ نَافِعٍ » .

(٤) في « د » : « مَا اسْتَجْمَعَتْ لِأَحَدٍ أَمْلُهُ » .

(٥) وَهَيْهَاتَ ، أَيْ : وَبَعِيدَ أَنْ تَسْلَمَ .

(٦) في « د » : « دَلَالَةٌ كَافِيَةٌ » .

(٧) قَوْلُهُ : « وَتُبْعُثُ عَلَى التَّيَقُّظِ فِي الْحَذَرِ ، وَالْإِحْتِيَالِ فِي الْهَرَبِ » عَنْ « ط » .

(٨) نَبَكَتُهُ الْعِلَّةُ : أَجْهَدَتْهُ وَغَلَبَتْهُ .

(٩) الْمَرْبُوبُ : الْمَخْلُوقُ .

(١٠) في « ط » : « الْأَسَدُ » .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ ^(١) : وَجَّهَ مَلِكُ الرُّومِ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ بِثَلَاثَةِ أَسْيَافٍ مَعَ هَذَانِ كَثِيرَةٍ ، وَعَلَى سَيْفٍ مِنْهَا مَكْتُوبٌ : أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ اخِمْ لِنَعْنَمَ ، وَلَا تُفَكِّرْ فِي الْعَاقِبَةِ فَتَهْزَمَ . وَعَلَى الثَّانِي مِنْهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا لَمْ تُصِلْ ضَرْبَةً سَيْفِكَ فَصِلْهَا بِإِلْقَاءِ خَوَلِّكَ . وَعَلَى الثَّلَاثِ مَكْتُوبٌ : الثَّانِي فِيمَا لَا يُخَافُ عَلَيْهِ الْفَوَاتُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَلَةِ إِلَى إِذْرَاكِ الْأَمَلِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ^(٢) : قَرَأْتُ فِي كِتَابِ « جَاوِيدَانِ خُرَدٍ » : ثَلَاثُ ثُبُلٍ مَعَ ثَلَاثِ : الشَّدَّةُ مَعَ الْحِجْلَةِ ، وَالْعَجَلَةُ مَعَ الثَّانِي ، وَالْإِسْرَافُ مَعَ الْقَصْدِ .

وَقَالَ الْحَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : رَأَيْتُ بَعْدَنَ حَجَرًا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ بِالْحَمِيرِيَّةِ : أَيُّهَا الشَّدِيدُ ^(٣) اخْذِرِ الْحِجْلَةَ ، أَيُّهَا الْعَجُولُ اخْذِرِ الثَّانِي ، أَيُّهَا الْمُحَارِبُ تَأَيَّسْ مِنَ الْفِكْرِ ^(٤) فِي الْعَاقِبَةِ ، أَيُّهَا الطَّالِبُ مَوْجُودًا لَا تَقْطَعْ أَمْلَكَ دُونَ بُلُوغِهِ ^(٥) .

وَكَتَبَ قِصْرٌ إِلَى كِسْرَى : أَخْبِرْنِي بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهَا ، وَإِخَالُهَا ^(٦) عِنْدَكَ : أَخْبِرْنِي مَا عَدُوُّ الشَّدَّةِ ، وَصَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَمُذْرِكُ الْأَمَلِ ، وَمِفْتَاحُ الْفَقْرِ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : الْحِجْلَةُ عَدُوُّ الشَّدَّةِ ، وَالصَّبْرُ صَدِيقُ الظَّفَرِ ، وَالثَّانِي مُذْرِكُ الْأَمَلِ ، وَالْجَوْرُ ^(٧) مِفْتَاحُ الْفَقْرِ .

(١) هو : أحمد بن سهل ، أبو زيد البلخي ، من علماء الإسلام الأفلاد ، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ، وُلِدَ فِي إِحْدَى قُرَى « بَلَخ » سَنَةَ ٢٣٥ هـ ، وَسَاحَ سِيَاحَةً طَوِيلَةً .. وَتَوَلَّى سَنَةَ ٣٢٢ هـ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ الدِّمِ فِي الْفَهْرَسْتِ .

[انظر الأعلام ج ١ ص ١٣٤] .

(٢) هو : الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي ، وزير المأمون العباسي .. وقد مرت ترجمته .

(٣) فِي « م » : « أَيُّهَا الطَّالِبُ » .

(٤) فِي « م » : « مِنَ الْفِكْرِ » ... وَتَأَيَّسْ : اقْطَعْ الرَّجَاءَ .

(٥) فِي « ط » : « مِنْ بُلُوغِهِ » .

(٦) إِخَالُهَا : مِنَ الْفَعْلِ خَالَ يَخَالُ .. وَبَكْسَرِ الْهَمْزَةِ فِي الْمَضَارِعِ لِلْمُتَكَلِّمِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَبَنُو أَسَدٍ يَفْتَحُونَهَا عَلَى الْقِيَاسِ ، وَهُوَ بِمَعْنَى : ظَنِّ .

(٧) الْجَوْرُ : الظُّلْمُ .. وَفِي « م » وَ « ط » : « الْجَوْدُ » بِالْدَالِ ، وَهُوَ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِحَكِيمٍ ، وَأَرَادَ سَفَرًا : أَوْفِنِي ^(١) عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ أَغْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ لَهُ ^(٢) : اجْعَلْ تَأْيِيدَكَ زِمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِيلَتِكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَغَفْوَةَ مَلِكٍ قُدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ إِنْ لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَّةِ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَوْ تُبَيِّطَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وَقَالَ الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ : قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ : « جَاوِيدَانِ خُرْد » وَهُوَ أَجَلُ كِتَابٍ لِلْفَرَسِ : الْحِيَلَةُ أُلْفَعُ مِنْ أَقْوَى الشَّدَّةِ ، وَأَقْلُ الثَّانِي أَجَلُ ^(٤) مِنْ أَكْثَرِ الْعَجَلَةِ ، وَالذَّلُولَةُ رَسُولُ الْقَضَاءِ الْمُبْتَرَمِ ، وَإِذَا اسْتَبَدَّ الْإِنْسَانُ بِرَأْيِهِ عَمِيَتْ عَلَيْهِ الْمَرَاشِدُ .

وَكَانَ الْبُخْتِكَانُ ^(٥) أَبُو يُزْرَجِمَهْرَ حَامِلَ الْقَدْرِ ، وَضَبَعَ الْحَالِ ، مُقَهَّهَ الْمَنْطِقِ ^(٦) ، فَلَمَّا أَتَتْ لِیُزْرَجِمَهْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ ^(٧) سَنَةً حَضَرَ ^(٨) مَجْلِسَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيِّهَا ، وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا ، وَقَفَ فَحَيَّا ^(٩) الْمَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُولِ نِعْمُهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمُهُ ، الدَّالُّ عَلَيْهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمَلِكِ بِسُوءِهِ ^(١٠) فِي الْقَلَلِ ، حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَأَثَارَ بِهِ الْبِلَادُ ، وَأَعَاشَ بِهِ الْعِبَادُ ، وَقَسَمَ لَهُ فِي التَّقْدِيرِ وَجُوهَ التَّدْبِيرِ ، فَرَعَى رَعِيَّتَهُ ^(١١) بِفَضْلِ

(١) أَوْفِنِي : أَطْلِفْنِي .

(٢) « لَهُ » عَنْ « م » .

(٣) « عَلَيْهِمْ » عَنْ « م » .

(٤) فِي « م » : « أَجَلُهُ » .

(٥) فِي « م » : « الْبُخْتِكَانُ » وَفِي « ط » : « التَّجْتِكَانُ » .. وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « إِعْجَامِ الْأَعْلَامِ » فِي تَرْجُمَةِ

يُزْرَجِمَهْرَ ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٦) مُقَهَّهَ الْمَنْطِقِ ، أَيْ : عَقِي .

(٧) فِي « م » : « خَمْسَةَ عَشَرَ » لَا تَصَحُّ .

(٨) فِي « ط » : « وَحَضَرَ فِي .. » .

(٩) قَوْلُهُ : « وَالْمَرَازِبَةُ فِي مَجَالِسِهَا » عَنْ « ط » ، وَلَمْ تَرُدَّ فِي « م » .. وَفِي « ط » : « وَقَفَ بِجِالِ الْمَلِكِ »

أَيْ : بِأَزَاثِهِ .

(١٠) فِي « م » : « بِسُوءِهِ » .

(١١) فِي « م » : « بِرَعِيَّتِهِ » .

نِعْمَتِهِ ، وَحَمَاهَا الْوَلَيَاتِ ^(١) ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِيَاتِ ^(٢) وَذَادَهَا عَنِ الْآكِلِينَ ^(٣) ،
وَأَلْفَهَا بِالرَّفِقِ وَاللِّينِ إِنْعَامًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَثَبَّتَهَا ^(٤) لِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يُبَارِكَ لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ ^(٥) لَهُ فِيمَا اسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قُدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ^(٦) ، وَيَنْشُرَ
ذِكْرَهُ تَحْتَ الْمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ يَتْنُهُمَا مُنَاوِيءٌ ^(٧) ، وَلَا يَجِدَ لَهُ فِيهِمَا
مُدَانِي ^(٨) ، وَأُسْتَوْهَبُ ^(٩) لَهُ حَيَاةً لَا تُنْفِصَ فِيهَا ، وَقُدْرَةً لَا شَاذَ عَنْهَا ، وَمُلْكًا لَا
بُؤْسَ فِيهِ ، وَعَاقِبَةً تُدِيمُ لَهُ الْبَقَاءَ وَتُكَثِّرُ لَهُ النَّمَاءَ ، وَعِزًّا يُؤَمِّنُهُ مِنَ انْقِلَابِ رَعِيَّتِهِ ،
أَوْ هُجُومِ بِلَدِهِ ، فَإِنَّهُ مَوْلَى الْخَيْرِ ، وَدَافِعُ الشَّرِّ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ فُحْشِي فَمَهُ بِبَيْعِ الْجَوَاهِرِ
وَرَفِيْعِهِ ، وَلَمْ يَذْفَعْ حَدَاثَهُ سِنِّهِ مَعَ بَيْلِ كَلَامِهِ أَنْ اسْتَوَزَّرَهُ ، وَقَلَّدَهُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ،
فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخِرَ خَارِجِهِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا اللَّهُ عَلَى الْعَاقِلِ نِعْمَةً بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ مِنْ مُبَايَنَةِ
هَذِهِ السُّقْلَةِ ^(١٠) بِالْفَقْهِمِ وَالْعَقْلِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَا عُرِفَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِالْجَهْلِ ،
أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ أُولَى الثُّهَى وَذَوَى الْأَلْبَابِ وَذَوَى الْبَصَائِرِ ، وَيَجِبُ عَلَى
الْعُلَمَاءِ أَنْ يَحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مُبَايَنَتِهِمْ ^(١١) هَذِهِ السُّقْلَةَ بِالْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، كَمَا
يَحْمَدُونَهُ عَلَى جَمِيعِ النِّعَمِ .

(١) أى : منها ودفع عنها الوليات .. وفى « ط » : « المؤيدات » .

(٢) شبه الرعية بالسائمة .. وأوردها الْمُعْشِيَات : قادها إلى المراعى الكريمة النبات .

(٣) ذادها عن الآكلين : طردها ودفع عنها الضواري والوحوش المفترسة .

(٤) فى « م » : « وتببها » .

(٥) يُخَيِّرُ : ينتقى ويختار .

(٦) فى « م » ، « فى السَّوَاد » أى : بين الناس .

(٧) مُنَاوِيءٌ ، أى : إنسان يفاخره ويهاديه .

(٨) أى : مقارب .. وفى « م » : « مُوَاتِي » .

(٩) أُسْتَوْهَبُ : أسأل الله أن يَهَبَهُ .

(١٠) مُبَايَنَةُ السُّقْلَةِ : مخالفة الغوغاء من الناس .

(١١) فى « م » : « مُبَايَنَتَهَا » .

وَقِيلَ لِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ : مَا الَّذِي أَصَارَكَ إِلَى هَذَا ؟
 قَالَ : الْاسْتِغْنَاءُ بِرَأْيِي ، لَمَّا كَثُرَتْ عَلَيَّ كُتُبُ نَصْرِ بَنِي سَيَّارِ أَنْ أَمُدَّهُ بِالْأُمُورِ
 وَالرِّجَالِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ الْاسْتِغْنَاءَ مِنَ الْأُمُورِ وَالْجُنْدِ بِمَا يُظْهِرُ
 لِي مِنْ فَسَادِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُ ، وَهِيَئَاتِ أَنْ يَنْتَقِضَ ^(١) عَلَيَّ خُرَاسَانَ . فَانْتَقَضَتْ دَوْلَتُهُ
 مِنْ خُرَاسَانَ .

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : لَمَّا دُعِيَ لِلْمَأْمُونِ فِي كَوْرِ خُرَاسَانَ
 بِالْخِلَافَةِ ، جَاءَتْهُمَا هَذَانِ الْمُلُوكِ سُرُورًا بِمَكَانِهِ مِنَ الْخِلَافَةِ ، وَوَجْهَ مَلِكِ
 كَابِلِستان ^(٢) ، شَيْخًا يُقَالُ لَهُ ذُوبَانُ ، وَكَتَبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ ^(٣) بِهَدِيَّةٍ لَيْسَ فِي
 الْأَرْضِ أَسْتَى مِنْهَا ، وَلَا أَرْفَعُ وَلَا أَتْبَلُ وَلَا أَفْخَرُ مِنْهَا ^(٤) . فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ وَقَالَ :
 سَلِ الشَّيْخَ مَانِعَهُ . فَسَأَلَتْهُ ، قَالَتْ : مَا مَعِيَ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ عَلَمِي . فَقُلْتُ ^(٥) : وَائِي
 شَيْءٌ عَلِمْتُكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ يَنْفَعُ ، وَتَذِيرٌ يَقْطَعُ ، وَدَلَالَةٌ تَجْمَعُ . قَالَ : فَسَرَّ الْمَأْمُونُ
 بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ ^(٦) بِإِثْرَالِهِ وَإِكْرَامِهِ ، وَكَيْفَانِ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ
 لِقِتَالِ أَخِيهِ قَالَ لِلذُّوبَانِ : مَا تَرَى فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ وَثِيقًا ، وَخَزْمًا
 مُصِيبًا ، وَمُلْكًا قَرِيبًا ، فَالْسَّيْرُ مَاضٍ ^(٧) ، فَاقْضِ مَا أُلْتِ قَاضِرٌ . قَالَ لَهُ : فَمَنْ
 تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : الْفَتَى الْأَعْوَرُ ، الطَّاهِرُ الْأَطْهَرُ ، يَسِيرُ وَلَا يَبْثُرُ ^(٨) ، قَوِيٌّ مَرْهُوبٌ ،

(١) انتقض القوم على السلطان : خرجوا عليه وخلعوا طاعته .

(٢) كابلستان : بين الهند وبنوحي سجمستان .

(٣) في م : : : تَوَجَّهَ .

(٤) في م : : : وَلَا أَتْبَلُ مِنْهَا وَلَا أَفْخَرُ .

(٥) في ط : : : قُلْتُ .

(٦) في ط : : : فَأَمَرَ .

(٧) في م : : : قَاضِرٌ .

(٨) في م : : : يَبْثُرُ .

مُقَاتِلٌ غَيْرُ مُغْلُوبٍ . قَالَ : فَكَمْ تُوجُّهُ مَعَهُ ^(١) مِنَ الْجُنْدِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، صَوَارِمُ الْأَسْيَافِ ، لَا يَنْتَقِصُونَ الْعَدَدَ ^(٢) ، وَلَا يَخْتَاجُونَ إِلَى الْمَدَدِ .

فَسَرَّ الْمَأْمُونُ بِذَلِكَ ^(٣) ، وَوَجَّهَ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ . قَالَ : وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَخْرُجُ ؟ قَالَ : مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، يَجْمَعُ لَكَ الْأَمْرَ ، وَيَصِيرُ ^(٤) إِلَى النُّصْرِ ، نَصْرٌ سَرِيعٌ ، وَقَتْلٌ ذَرِيعٌ ، وَتَفْرِيقٌ تِلْكَ الْجُمُوعِ ، وَالنُّصْرَ لَهُ لَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَيْكَ ^(٥) . وَلِئِهِ . فَظَفَّرَ طَاهِرٌ وَكَانَ لَهُ النُّصْرُ ، وَقَتْلٌ عَلَى بَنِي عِيسَى وَزَيْرِ الْأَمِينِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَحَازَ أَمْوَالَهُ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ لِلذُّوبَانِ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنْ مَلَكَ لَمْ يُوجِّهْنِي إِلَيْكَ لِأَتَقِصَّكَ مَا لَكَ ، فَلَا تُجْعَلْ ^(٦) رَذَى لِيَعْنَمَتِكَ تَسْخُطًا ^(٧) ، وَسَاقِبُلُ مَا يَفِي هَذَا ^(٨) الْمَالُ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ . قَالَ الْمَأْمُونُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ كِتَابٌ يُوجَدُ بِالْعِرَاقِ ، فِيهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، وَعُلُومُ الْأَفَاقِ ، مِنْ كُتُبِ عَظِيمِ الْفُرْسِ ، فِيهِ شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْ صُتُوفِ الْأَذَابِ ، بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ ، عِنْدَ عَاقِلٍ لَيْسَبٍ ، وَلَا فَطِنٍ أَرِيبٍ ، يُوجَدُ تَحْتَ إِيوَانِ كِسْرَى ^(٩) بِالْمَدَائِنِ ، قِيَاسُ بِالذُّرْعَانِ ^(١٠) فِي وَسْطِ الْإِيوَانِ ، لَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ ، فَاحْفَظِ الْمَدْرَ ^(١١) ، وَاقْلَعْ

(١) في (م) : : فمن تُوجُّهُ معه ، والأخيرة لم ترد في (ط) .

(٢) في (م) : : لا ينتقص ، فخير العدد .

(٣) بذلك ، عن (ط) .

(٤) في (م) : : وتصير .

(٥) في (م) : : عليك .

(٦) في (م) : : فلا تُجْعَلَنَّ .

(٧) تَسْخُطًا : عدم رضا واستقلالاً .. وفي (م) : : سخطاً ، أى : كراهة .. والأول أوجه .

(٨) في (م) : : جهذا .. وفي : يوازي ويساوى .

(٩) سقطت كسرى من (ط) .

(١٠) الذُّرْعَان : جمع ذراع ، وهى مقياس مقداره سبث قبضات محدلات ، أو ٦٤ ستمتيراً تقريباً .

(١١) الْمَدْر : الطين اللزج المتعاسك .

الْحَجَرَ ، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى السَّاجَةِ ^(١) فَأَقْلَعَهَا تَجِدُ الْحَاجَةَ ، وَلَا تَلْزِمُ لغيرها ^(٢) فَيَلْزِمُكَ غِبٌ ^(٣) ضَرُّهَا .

فَارْسَلِ الْمَأْمُونُ إِلَى إِيوَانَ كِسْرَى ، فَحَفَرُوا فِي وَسْطِهِ ، فَوَجَدُوا صَنْدُوقًا صَغِيرًا مِنْ زُجَاجٍ ^(٤) عَلَيْهِ قُفْلٌ مِنْهُ ، فَحَمِلَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ لِدُؤْبَانَ : هَذَا بُعِثْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : اخْذْهَا وَانْصَرِفْ . فَتَكَلَّمَ بِلسَانِهِ ، وَنَفَعَ فِي الْقُفْلِ فَأَخْرَجَ مِنْهُ خِرْقَةً دِيَّاجٍ فَشَرَّهَا ، فَسَقَطَ مِنْهَا أَوْزَاقٌ ، فَعَدَمًا مِائَةَ وَرَقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَنْدُوقِ شَيْءٌ غَيْرُهَا ، فَأَخَذَ الْأَوْزَاقَ وَالصَّرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ^(٥) .

قَالَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ : فَجِئْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابٌ « جَاوِيدَانُ خُرْد » تَأَلَّفَ كَيْجُورٌ ^(٦) وَزَيْرٌ مَلِكُ إِيْرَانَ شَهْرٍ ، فَطَلَبْتُ ^(٧) مِنْهُ شَيْئًا ، فَدَفَعَ إِلَيَّ وَرَقَاتٍ مِنْهُ ، وَتَرَجَمَهَا لِي الْخَضِرُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أُعْبِرْتُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ : اخْجِلْ إِلَيَّ الْوَرَقَاتِ ، فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ ، فَقَرَأَهَا فَقَالَ : هَذَا - وَاللَّهِ - الْكَلَامُ ^(٨) لَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَيِّ السَّيِّئِينَ فِي فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا ، وَلَوْلَا أَنَّ الْعَهْدَ حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِينَا لَأَخَذْتُهُ ^(٩) .

(١) السَّاجَةُ : الشجرة العظيمة .

(٢) أى : لا تصمداها لغيرها .. وفى « م » : « لا يلزم » .

(٣) الثِّبْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَاقِبَتُهُ وَآخِرُهُ .. وفى « م » : « عِيبٌ » .

(٤) فى « م » : « صَنْدُوقًا مِنْ زُجَاجٍ أَسْوَد » .

(٥) فى « م » : « الْمَنْزِلَ الَّذِى لَهُ » .

(٦) فى « م » : « سِجُور » وقد سبق التعليق عليه .

(٧) فى « م » : « فَطَلَبْتُ » .

(٨) فى « ط » : « وَاللَّهِ هَذَا الْكَلَامُ » .

(٩) مِنْ قَوْلِهِ : « فى فَجَوَاتِ أَشْدَاقِنَا » إِلَى نِهَاجَةِ الْفَصْلِ ، مِنْ « م » وَلَمْ يَرِدْ فى « ط » .

فَصْلٌ

مِنْ نَوَادِرِ بُزْجَمِهَرِ حَكِيمِ الْفَرَسِ قَالَ ^(١) : نَصَحْنِي النَّصَحَاءُ ، وَوَعظَنِي
 الْوُعَظَاءُ ^(٢) شَفَقَةً وَنَصِيحَةً وَتَأْدِيبًا ، فَلَمْ يَعْظُنِي أَحَدٌ مِثْلَ شَيْئِي ، وَلَا نَصَحْنِي مِثْلَ
 فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضْنَأْتُ بِنُورِ الشَّمْسِ وَضَوْءِ الْقَمَرِ ، فَلَمْ أَسْتَضِئْ بِشَيْءٍ أَضْوَأَ مِنْ
 نُورِ قَلْبِي . وَكُنْتُ عِنْدَ الْأَخْرَارِ وَالْعَبِيدِ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ ، وَلَا قَهَرْنِي غَيْرُ هَوَايَ ،
 وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ ، فَلَمْ أَرِ أَعْدَى لِي مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ . وَاحْتَرَزْتُ لِنَفْسِي بِنَفْسِي
 مِنَ الْخُلُقِ كُلِّهِمْ ، حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً ، فَوَجَدْتُهَا أَشَرَّ ^(٣) الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا ، وَرَأَيْتُ
 أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا . وَرَحِمَنِي الْمُضَائِقُ فَلَمْ يَزَحْمَنِي مِثْلَ الْخُلُقِ السَّوِّءِ .
 وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبُعْدِ ^(٤) وَأَطْوَلَ الطُّوْلِ فَلَمْ أَقْعُ فِي شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي .
 وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ ^(٥) ، وَوُطِفْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحَرَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا
 تَمَكَّنَ مِنِّي . وَطَالَيَنِي الطُّلَابُ فَلَمْ يُدْرِكْنِي مُدْرِكٌ مِثْلَ أُسَاتِي ^(٦) . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ
 الْقَاتِلُ ، وَمِنْ أَيْنَ نَالَنِي ؟ فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سَبْحَانَهُ . وَالتَّمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي
 فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَرْوَحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا ^(٧) مَا لَا يَعْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ ، وَرَأَيْتُ
 الْأَهْوَالَ ، فَلَمْ أَرِ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ ،

(١) قَالَ : عَنْ م . .

(٢) المشهور في جمع واعظ : وعُظا ، لكن الوصف الذي على وزن فاعل ، يعطد جمعه على « فُعلاء »
 نحو : عاقل وفُعلاء : وجاهل وجُهلاء ، وصالح وصلحاء .. الخ .
 والعرب اشترطوا أن يكون هذا الوصف دالاً على سَجِيَّةٍ مدح أو ذم .

(٣) فِي م . : « أَشَدَّ » .

(٤) فِي م . : « مِنْ الْبُعْدِ » .

(٥) فِي م . : « الْحَجَرِ » .

(٦) أَيْ : إِخْوَانِي الَّذِينَ يُؤَاوِنُونِي وَيُعِزُّونَنِي عِنْدَ النَّوَازِلِ .. وَفِي « ط » : « إِنْسَانِي » .

(٧) فِي م . : « تَرْكِ » .

فَلَمْ أَرُ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوِّءِ ^(١) . وَعَالَجْتُ السَّبَّاعَ وَالذَّنَّابَ وَعَاشَرْتُهَا
وَعَاشَرْتُنِي ، وَعَلَبْتُهَا فَعَلَّيْنِي صَاحِبَ الْخُلُقِ السَّوِّءِ ، وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ ^(٢) . وَشَرِبْتُ
الْمُسْكِرَ ، وَعَانَقْتُ الْحَسَانَ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَلَدَّ مِنَ الْعَاقِبَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ
وَالْجِبَالَ وَالسَّبَّاعَ فَلَمْ أُجَزَّغْ إِلَّا مِنَ الْإِنْسَانِ السَّوِّءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبِيرَ ، وَشَرِبْتُ الْمُرَّ ،
فَلَمْ أَرُ شَيْئاً أَمَرُّ مِنَ الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَتَعَبَةَ الْجُيُوشِ ، وَبَاشَرْتُ السَّيُوفَ ،
وَصَارَعْتُ الْأَقْرَانَ ، فَلَمْ أَرُ قَرِئاً ^(٣) أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوِّءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ ^(٤) ،
وَنَقَلْتُ الصَّخْرَ ، فَلَمْ أَرُ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدَّيْنِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُدَلُّ ^(٥) الْعَزِيزُ ،
وَيَكْسِرُ الْقَوَى ، وَيَضَعُ الشَّرِيفَ ^(٦) ، فَلَمْ أَرُ أَذَلَّ مِنْ ذِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنُّشَابِ ^(٧) ، وَرَجَمْتُ بِالْحِجَارَةِ ، فَلَمْ أَرُ أَثْفَذَ ^(٨) مِنَ الْكَلَامِ السَّوِّءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمٍ مُطَالِبٍ بِحَقٍّ . وَعَمَّرْتُ السَّجْنَ ، وَشَدِذْتُ فِي الْوَثَاقِ ، وَضَرَبْتُ بِعُمْدِ الْحَدِيدِ ،
فَلَمْ يَهْدِمْنِي مِثْلُ مَا هَدَمْنِي مِنَ الْعَمِّ ^(٩) وَالْحَزَنِ . وَاصْطَلَعْتُ الْإِنْعَوَانَ ، وَانْتَحَيْتُ
الْأَقْوَامَ لِلْعُدُوِّ ^(١٠) وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ ، فَلَمْ أَرُ شَيْئاً أَخْيَرَ ^(١١) مِنَ التَّكْرَمِ عِنْدَهُمْ ^(١٢)

(١) في « ط » : « فَلَمْ أَرُ مِثْلَ الْقَرِينِ السَّوِّءِ » .

(٢) في « م » : « الطَّيِّبُ » .

(٣) قَرِئاً ، أَيْ : كُنْفُاً وَنَظِيراً فِي الشَّجَاعَةِ .. وَفِي « م » : « قَرِيباً » .

(٤) عَالَجْتُ الْحَدِيدَ : زَاوَلْتُ الْعَمَلَ فِيهِ وَمَارَسْتَهُ .

(٥) فِي « م » : « فِيمَا يَمْلِكُ » .

(٦) وَيَضَعُ الشَّرِيفَ : يَجْعَلُهُ وَضِيعاً .. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَاسْقَاطُهُ مِنْ « م » .

(٧) أَيْ : النَّبْلُ .

(٨) فِي « م » : « أَثْقَلَ » .

(٩) فِي « ط » : « مِثْلُ مَا هَدَمْنِي الْعَمُّ » وَوَصَّلَ « مَا » وَفَصَّلَهَا بِمِثْلِ جَائِزٍ .

(١٠) الْمُدَّةُ : مَا يُعَدُّ لِأَمْرٍ يَحْدُثُ .

(١١) فِي « م » : « خَيْرٌ » لَا تَصِحُّ .. وَالصَّرَابُ بِالنَّصَبِ .

(١٢) فِي « م » : « عَلَيْهِمْ » .

وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَرِ أَغْنَى مِنَ الْقُنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذُّخَائِرِ ، فَلَمْ أَرِ صَدَقَةً أَتَفَعَّ مِنْ رَدِّ ذِي ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْعُرْبَةَ ^(١) وَالْمَذَلَّةَ ، فَلَمْ أَرِ أَذْلَ مِنْ مُقَاسَاةِ الْجَارِ ^(٢) السَّوِّءِ . وَشِئْتُ الْبَيْتَانَ لِأَعِزَّ بِهِ وَأَذْكَرَ ^(٣) ، فَلَمْ أَرِ شَرْقًا أَرْفَعَ مِنْ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَبِئْتُ الْكُسَا الْفَاحِشَةَ ، فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَسُرِرْتُ بِعَطَايَا الْمُلُوكِ وَجِبَائِهِمْ ^(٤) ، فَلَمْ أَسِرَّ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْخَلَاصِ مِنْهُمْ .

فصل

وَمِنْ حِكْمِ شَاهِقِ السَّنْدِيِّ ^(٥) مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ « مُتَّحِلُ الْجَوَاهِرِ » لِلْمَلِكِ ابْنِ قَمَاصٍ ^(٦) الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ^(٨) ، اتَّقِ عَثَرَاتِ الزَّمَانِ ، وَتَحَشَّ ^(٩) تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ ، وَلَوْمْ غَلَبَتْ ^(١٠) الدَّهْرَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَلِلْأَيَّامِ عَثَرَاتٌ ^(١١) فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ ، وَلِلْأَقْدَارِ مَقَبَاتٌ ^(١٢) فَاسْتَعِذْ لَهَا ، وَالزَّمَانَ مُنْقَلَبٌ ^(١٣) فَاحْذَرْ دَوْلَتَهُ ، لَيْبِمُ الْكَرَّةِ فَحَفَّ سَطْوَتُهُ ، سَرِيعُ الْغُرَّةِ فَلَا تَأْمَنْ دَوْلَتَهُ .

(١) في م : : ورأيت الثربة والوحدة .

(٢) في م : : جار .

(٣) وأذكر ، من ط .

(٤) جبايهم : إكرامهم وعطايهم .. وفي م : : وجاههم .

(٥) هكذا في ط .. وفي م : : شاهاق الهندي ملك السند .. وفي كشف الظنون ج ٢ ص ٥٣٥

أنه طبيب وليس ملكاً .

(٦) في المصدر السابق : « متتحل الجواهر » .

(٧) في كشف الظنون : « ابن قماص » بالنون .

(٨) في م : : يا أيها الوالي .

(٩) تحش : تحف وأحش .

(١٠) في ط : : علية الدهر : أي : قهره وغلبيه .

(١١) في ط : : عثرات .

(١٢) في ط : : مغيبات .

(١٣) في م : : والزمان منقلب لؤلؤي .. وفي ط : : « والزمان » .

وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سِقَامِ الْآثَامِ ^(١) فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، فَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَادَوَاءِ لَهُ بِهَا ، وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ وَاسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ لِنَفْسِهِ بَانَ ^(٢) فَضْلُهُ ، وَظَهَرَ بُذُلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ ، وَإِذَا لَمْ يَضْبِطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعَبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ ، فَكَانَتْ عَامَّةُ الرُّعِيَّةِ فِي قَوَاصِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ ، فَلْيَبْذِلِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ عَدُوٍّ أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْفَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ يَشْتَرِعْ فِي فَهْرِ حَوَاسِهِ الْخَمْسِ ، لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صَوَاجِبِهَا ^(٣) قَدْ تَأْنَى عَلَى التَّفْسِيرِ الْقَوِيَّةِ ^(٤) الْحَذِيرَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ ^(٥) عَلَى وَاحِدَةٍ ؟

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ شِئْرَةٌ لَيْسَتْ لِلْآخَرَى ، فَمَيَّزَهَا ^(٦) تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهَا ، وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ فَيَسْكُنُ مِنْ حَرِّهَا ، وَيُعْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَذْثُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ ، وَالطَّيْبِيُّ عَلَى نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ جَرَمِهِ يَنْصَبُ لِلسَّمَاعِ الْمُوَبِقِ الْمُلْهِى ، فَيَمَكِّنُ الْفَانِصَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذُبَابُ الْوَرْدِ ^(٧) الْمُتَّبِعِ لِطِيبِ الْأَرَايِجِ يَطْلُبُ مَا يَقْطُرُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ لِطِيبِ رَائِحَتِهِ ، فَإِنَّهُ فِي طِيبِ رَائِحَةِ الْمِسْكِ ، قَبْلِهِ طِيبُ الرَّائِحَةِ ^(٨) عَنِ الْاِخْتِرَاسِ مِنْ تَحْرِيلِ الْفِيلِ أُذُنُهُ ، فَيَتَوَلَّجُ فِي أَصْلِ أُذُنِهِ ،

(١) فِي د م : : : : : الْأَيَّامِ ، تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي د م : : : : : أَبَانَ .

(٣) فِي د م : : : : : صَوَاجِبُهَا .

(٤) فِي د م : : : : : الْقُوَّةُ ، تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي د م : : : : : خَمْسَةُ أَنْفُسٍ ، وَكَلَامُهَا صَوَابٌ ، فَالْنَفْسُ مُؤَنَّةٌ إِذَا أُريدَ بِهَا الرُّوحُ .. قَالَ تَعَالَى : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وَإِنْ أُريدَ بِهَا الْإِنْسَانُ فَتَذَكَّرْ .. وَنَجِمُ عَلَى أَنْفُسٍ وَنَفُوسٍ .

(٦) فِي د م : : : : : فَاقْتَرَبَهَا ، مَكَانٌ وَفَتَيَّرَهَا ، وَالشَّرَّةُ : الْحِدَّةُ .

(٧) فِي د م : : : : : الْوَرْدِ الطَّيِّبِ .

(٨) فِي د م : : : : : فَبَلِيهِ طِيبِهِ .

فَقَعُ ^(١) عَلَيْهِ ضَرْبَةُ الْأَذْنِ فَتَقَلَّتْهُ ، وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ ^(٢) أَنْ يَتَلَعَهُ ، فَحَصَلُ الصَّنَارَةِ فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَقْفُهُ .

وَذَكَرَ الْحَكِيمُ ^(٣) : أَنْ حِصَالاً مَعْرُوفَةً قَلَّتْ بِالْإِفْرَاطِ فِيهَا مُلُوكًا مَعْرُوفِينَ ، فَالْصِيدُ ^(٤) مَاتَ فِيهِ « قَيْدُهُ » الْمَلِكُ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْقَهَّارِ ^(٥) مَاتَ مِنْهُ « سَيْبُ » ^(٦) الْمَلِكِ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي السُّكْرِ مَاتَ فِيهِ « حَازِقُ » الْمَلِكِ ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ مَاتَ مِنْهُ « مُهْرِيقُ » الْمَلِكِ ، وَالْقَضْبُ « أَخْرَسَخِي » الْمَلِكِ ^(٧) ، وَالطَّمَعُ « وَاثِلُ » وَالْفَرَحُ « وَاطَابُ » ^(٨) ، وَالْأَنَفَةُ « بُولِيسُ » وَالتَّوَانِي « زَمِيرُبَهْرُ » ^(٩) . وَأَخْلَقَ بِخِصَالٍ أَهْلَكَتْ مُلُوكًا أَنْ يَجْتَنِبَهَا الْمُلُوكُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرِّعْيَةَ تَسْتَمْطِي ^(١٠) إِلَى الْمَلِكِ الْعَادِلِ اسْتِمْطَاءَ أَهْلِ الْجَذْبِ إِلَى الْغَيْثِ ، وَيَتَتَمِشُّونَ بِطَلْعِهِ عَلَيْهِمْ كَأَنِّيَعَاشِرَ الثَّيَابِ بِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْقَطْرِ ، بَلِ الرِّعْيَةُ بِالْمَلِكِ الْعَادِلِ أَكْثَمُ نَفْعًا مِنْهَا بِالْغَيْثِ ، لِأَنَّ لِمَنْفَعَةِ الْغَيْثِ وَقْتًا مَعْلُومًا ، وَعَذْلُ الْمَلِكِ عَلَى الدَّوَامِ لَا يَتَعَيَّنُ لَهُ وَقْتُ ، وَيَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ تُشَبَّهَ ^(١١) تَصَارِيفُ تَذْيِيرِهِ

(١) فِي « م » : : فِي أَصْلِ الْأَذْنِ .

(٢) فِي « م » : : يَطْلُبُ لَذَّةَ الطَّعْمِ .

(٣) فِي « م » : : وَذَكَرَ هَذَا الْحَكِيمُ « إِشَارَةً إِلَى الْحَكِيمِ السَّنْدِيِّ « شَابَاقِ » .

(٤) فِي « م » : : بِالصَّيْدِ ، تَحْرِيفٌ .. وَسَمَّاهُ أَسْمَاءَ مُلُوكِ هِنْدٍ لَمْ أَقِفْ عَلَيْهَا ، وَهِيَ : قَيْدُهُ ، وَسَيْبُ ، وَحَازِقُ ، وَمَهْرِيقُ ، وَأَخْرَسَخِي ، وَوَاثِلُ ، وَوَاطَابُ ، وَبُولِيسُ ، وَزَمِيرُبَهْرُ .

(٥) الْقَهَّارُ : الْفَجُورُ .. وَفِي « م » : : الْقَهَّارُ « تَحْرِيفٌ .

(٦) مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ « مُهْرِيقُ » عَنْ « ط » : : وَسَاقَطٌ مِنْ « م » .

(٧) أَيْ : مَاتَ مِنْهُ « أَخْرَسَخِي » وَهَكَذَا إِلَى نِهَازَةِ الْفَقْرَةِ .

(٨) فِي « ط » : : « وَاطَابَاتِ » .

(٩) هَكَذَا فِي « ط » .. وَفِي « م » : : « مُهْرِيقُ » وَلَعَلَّهُ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(١٠) تَسْتَمْطِي : تَمُدُّ يَدَيْهَا .

(١١) فِي « م » : : « يُشَبَّهُ » .

يَطْبَاعُ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ ^(١) : الْغَيْثُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالرَّيْحُ ، وَالنَّارُ ،
وَالْأَرْضُ ، وَالْمَاءُ ، وَالْمَوْتُ .

فَأَمَّا شَيْبَةُ الْغَيْثِ فَهَوَاتِرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ ، كَذَلِكَ
يَتَنَبَّأُ لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطَى جُنْدُهُ وَأَعْوَانُهُ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٢) تَقْدِيرًا لِتَحِيَّةِ السَّنَةِ ،
فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطَرِ ^(٣) بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةِ
مُشْرِقَةٍ ، وَغَائِطِ مُسْتَقِيلٍ ^(٤) ، وَيَقُومُ كَلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدَرِ حَاجَتِهِ ^(٥) ، ثُمَّ يَسْتَجِيبُ
الْمَلِكُ فِي الثَّمَانِيَةِ الْأَشْهُرِ حُقُوقَهُ مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ ، كَمَا تُسَحَّنُ ^(٦) الشَّمْسُ
بِحَرِّهَا وَشِدَّةِ ^(٧) فِعْلِهَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ وَالْأَمْطَارِ فِي الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ ^(٨) .

وَأَمَّا شَيْبَةُ الرِّيحِ ، فَإِنَّ ^(٩) الرِّيحَ لَطِيفَةَ الْمَدَاحِلِ ^(١٠) تُسَرِّحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِدِ
حَتَّى لَا يَقُوعَهَا مَكَانٌ ، كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَنَبَّأُ أَنْ يَتَوَلَّجَ ^(١١) قُلُوبَ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِيهِ
وَعِيُونِهِ ، لَا يَخْتَفُونَ عَنْهُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِمُرُونَ بِهِ فِي مُيُورَتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ ،
وَكَالْقَمَرِ إِذَا اسْتَهْلَ أَيَّامَهُ فَأَضَاءَ وَاعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ ، وَسَرَّ النَّاسُ بِضَوْوِهِ ^(١٢) .

(١) في (م) : منها لا تصح ، لأن الأشياء الثمانية ذُكرت كلها وليس بعضها .

(٢) في (ط) : الأربعة أشهر .. والأول أصح .

(٣) في (ط) : بمنزلة ، كما يسوى المطر .

(٤) غائط مُسْتَقِيل ، أى : الأرض الجدياء ، أو الوادى المنقطع .

(٥) في (ط) : بقدر حيوة .

(٦) في (م) : كما تُنحَى .

(٧) في (م) : وجدة .

(٨) في (م) : في الأربعة الأشهر والأمطار .

(٩) في (م) : لأن .

(١٠) في (م) : للمدخل .

(١١) في (م) : يتولج على ، أى : يدخل .

(١٢) في (م) : بضوءه ، تحريف .

يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ ^(١) ، وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَإِبْنَاسِهِ رَعِيَّتَهُ بِبِشْرِهِ ^(٢) ، فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بَعْدِلِهِ ، وَكَالْأَرْضِ فِي كَيْمَانِ السَّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالْأَمَانَةِ ، وَكَالتَّارِ عَلَى أَهْلِ الدُّعَارَةِ ^(٣) وَالْقَسَادِ ، وَكَعَاقِبَةِ الْمَوْتِ فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، يَكُونُ ثَوَابُهُ ، لَا يَقْصُرُ عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ ، وَلَا يَتَجَاوِزُهُ ، وَكَالْمَاءِ فِي لَبِنِهِ لِمَنْ لَا يَنْتَهُ وَهَدَمُهُ ، وَإِقْلَاعِهِ عَظِيمَ الشَّجَرِ لِمَنْ حَارَبَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكْتَنِفُ السُّلْطَانَ ^(٤) مِنْ شِرَارِ النَّاسِ وَالْأَعْوَانِ ، عَلَى الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ ، مَنْ يُسْتَبْشَعُ وَيُسْتَكْرَهُ ، كَالْحَيَاتِ تَكْتَنِفُ بِالصَّنْدَلِ ^(٥) فَيَقْتُلُهَا الصَّنْدَلُ بِطِيبِ رَائِحَتِهِ وَبَرْدِهِ وَيَتَّبِعِيهِ ، وَيَنْتَفِعُ الصَّنْدَلُ بِهَا ، إِذَا لَا يَقْرُبُ مِنْهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ .

لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ ثَلْثُفِكَ تَشْدِيدُ الْبَلَاءِ ، فَلَا يَجْرَأُ عَلَيْكَ ^(٦) ، فَإِنَّ الْقَمَرَ يُسْتَنَارُ بِضَوْوِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ ، لَكِنَّ الشَّمْسَ يُسْتَظِلُّ مِنْ خَرِّهَا وَيُسْتَكْرَهُ ^(٧) لَهَا ، وَقَدْ قَالَتْ الْعَرَبُ فِي مِثْلِ هَذَا : لَا تَكُنْ حُلُومًا فَسْتَرْطُ ^(٨) ، وَلَا مَرًّا قَلْفَظُ . اجْعَلْ لِكُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ أَعْدَائِكَ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَعْوَانِكَ يَسُوسُونَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَالْمَاءِ فِي الْأُذُنِ ، لَا حِيلَةَ فِي إِخْرَاجِهِ إِلَّا ^(٩) بِأَرْقَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مِنْ جِنْسِيهِ .

إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَلَا تُعَادِ جِنْسَهُ ^(١٠) ، وَاسْتَيْقِ مِنْ دُونِهِ أَحَدًا ، فَعَسَى تَنْتَفِعَ بِهِ ،

(١) « زينه » عن « ط » .

(٢) « في م » : « بِبِشْرِهِ » تحريف .

(٣) « في ط » : « أَهْلُ الدُّعَارَةِ » بالدال المعجمة ، أى : الذين يُخَيِّفُونَ النَّاسَ وَيُفْزَعُونَهُمْ .

(٤) « أى » يحيط به .

(٥) « في م » : « يَكْتَنِفُ الصَّنْدَلُ » أى : تتخله كسائر وملجأ لها .

(٦) « في م » : « تَشْدِيدًا فَلَا يَجْرَأُ عَلَيْكَ » . وقوله « تَشْدِيدًا » بالنصب ، خطأ ، والصواب بالرفع ،

اسم « يكن » .

(٧) « في ط » : « وَيُسْكِنُ » .

(٨) « في م » : « لَا يَكُنْ حُلُومًا فَسْتَرْطُ » .. ومعنى « فَسْتَرْطُ » ، أى : تَبْلُغْ بسهولة .

(٩) « إِلَّا » عن « ط » .

(١٠) « في م » : « إِذَا عَادَيْتَ رَجُلًا فَاسْقًا فَلَا تُعَادِ كُلَّ جِنْسِهِ » .

فَإِنَّ السَّيْفَ الْقَاتِلَ مِنْ جَنْسِ الدَّرْعِ الْوَاقِي ، وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي الْكَذُوبِ وَالْمَطْبُوعِ عَلَى الشَّرِّ أَنْ تَغْطِفَهُمَا ^(١) بِالْإِحْسَانِ ، فَإِنَّهُمَا كَالْفَرْدِ ، كُلُّمَا سَمِنَ بِإِطْعَامِ الْحَلَاوَةِ وَاللَّدْسِ ، أَزْدَادَ وَجْهَهُ قُبْحًا .

قَدْ يَرُدُّ الْوَاحِدُ كَيْدَ الْجَمِيعِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا ، كَمَا يَرُدُّ الظِّلُّ ^(٢) حَرَّ شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا كَانَ وَاقِيًا ^(٣) غَايَةً . أَرْمَى النَّاسُ أَنْ يَقْتُلَ بِسَهْمِهِ وَاحِدًا ، لَكِنْ رَمِيَتْ عَاقِلُ ذَهْنٍ ^(٤) تَقْتُلُ الْجَيْشَ بِأَسْرِهِ . وَالْمَلِكُ الشَّرِيفُ الْعَاقِلُ لَا يَتَّقِدُ فِيهِ قَذْحُ أَهْلِ الْبَغْيِ ^(٥) ، مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَزِمَهُ كَانَ كَالْجَوْهَرِ ^(٦) الْمُضْيِئِ بِنُورِهِ ، لَا تُظْلِفُهُ عُصُوفُ الرِّيَّاحِ .

مَنْ كَانَ قَابِلًا لِمَا يُورَدُ عَلَيْهِ فِي إِصْغَائِهِ ^(٧) إِلَى كُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ ، كَانَ كَالسَّرَاجِ ^(٨) يَجِئُ بِهِ كُلُّ رِيحٍ لَيْتَةٍ ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ إِنْ عَصَفَتِ الرِّيَّاحُ أَنْ يُظْفَأَ . تَذِيرُ الْمَلِكِ الْحَاظِمِ فِي سُلْطَانِهِ ، كَتَاهِدُ صَاحِبِ الْبُسْتَانِ بِبُسْتَانِهِ ، يُخْرِجُ نَاجِلَ ^(٩) عَيْدَانِهِ ، وَشَوْكَ شَجَرِهِ ، فَيَحِيطُ ^(١٠) بِهِ عَلَى ثَمَرِهِ وَزَرْعِهِ لِيَقْبَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ ، كَمَا يَنْتَحِبُ الْمَلِكُ أَهْلَ الشُّكِيمَةِ وَالشُّوَكَةِ فَيَجْعَلُهُمْ فِي أَقَاصِيهِ وَخُدُودِهِ رَدْعًا ^(١١)

(١) فِي « م » : « أَنْ يَسْتَعِطِفَهُ » .

(٢) « الظِّل » عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٣) فِي « م » : « وَاقِيًا » .

(٤) فِي « م » : « ذَهْنٍ مِنْ » وَالذَّهْنُ : الْفَهْمُ وَالْعَقْلُ .. وَيُوصَفُ بِهِ قَيْمَالٌ : فُلَانٌ ذَهْنٌ ، أَيْ : ذَكِيٌّ قَظِينٌ .

(٥) أَيْ : لَا يُؤْثِرُ فِيهِ عَيْبُ أَهْلِ الْبَغْيِ .. وَفِي « م » : « لَا يَنْفَذُ » مَكَانَ « لَا يَهْدُ » .

(٦) فِي « م » : « فَمَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَازَمَهُ كَالْجَوْهَرِ » .

(٧) فِي « م » : « ثِقَاتِهِ » .. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلسياقِ .

(٨) فِي « م » : « كَالزَّوْجِ » وَهُوَ الزَّيْتُ الَّذِي يُوقَدُ بِهِ الْمَصْبَاحُ .

(٩) فِي « م » : « إِنَّ بُسْتَانَهُ يَخْرُجُ قَاحِلٌ » .

(١٠) فِي « م » : « فَيَحِيطُ » .

(١١) رَدْعًا : دَعْمًا وَقُوَّةً .

لِلْمَمْلَكَةِ . وَلَيَكُنِ الْمَلِكُ أَخَذَرَ مَا يَكُونُ آمَنُ مَا يَكُونُ . قُلْتُ : وَقَدْ صَدَقَ الشَّاعِرُ :

أَمِئْتُمْ رَبِّبَ الْمُتُونِ فَمِئْتُمْ فَلَرَّبْ خَوْفِ مَكْمَنِي فِي أَمَانٍ ^(١)

قَالَ : أَلَا تَرَى أَنَّ « بَهْرَشَانَ » الْمَلِكَ ، أُنَامَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى فِرَاشِهِ رَجُلًا ، فَلَمَّا رَامَ فِرَاشَهُ وَتَبَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَ « بَاسَرَجَ » الْمَلِكُ قَتْلَهُ امْرَأَةً ^(٢) بِحُلْخَالٍ مَسْمُومٍ ، وَ « ذُرُوفَ » الْمَلِكِ قَتْلَهُ امْرَأَتَهُ بِمُدِيَّةٍ خَبَأَتْهَا فِي عِقَاصِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ عَلِمَ مِنْكَ مَوَاقِعَ الْغُرَّةِ ^(٣) ، وَمَوَاضِعَ الْحَذَرِ وَحَالَاتِ الْأَمَنِ ، وَإِنَّمَا تَرَصُّدُهُ لَكَ ^(٤) فِي حَالَاتِ الْأَمَنِ وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي تَظُنُّ الْعَدُوُّ لَا يَكْمُنُ ^(٥) فِيهَا ، فَكُنْ أَخَذَرَ مَا تُكُونُ ^(٦) فِيهَا .

وَسَائِرُ حِكْمِ هَذَا الْبَابِ قَدْ قَدَّمْتُهَا فِي تَرَاجِمِ كِتَابِنَا هَذَا ^(٧) .

فصل

قَالَ غَيْرُهُ : لَا يَتَّبِعِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ يَظْهَرُ فِيهَا ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِصَالًا مَذْمُومَةً ، مِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يَعُوقُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ مُسْمِكُ مُهِمَّ ^(٨) ، أَوْ بَعْضُ

(١) البيت من الكامل .. وربيب المتون : حوادث الدهر .. وفي « م » : « ربيب الزمان » قَرَّبْ خَوْفِ مَكْمَنِي : فِي « ط » : « رَبِّ » .. وَالْمَكْمَنُ : الْكَائِنُ فِيهِ وَلَا يُعْطَنُ لَهُ .. وَفِي « م » : « مَكْمَنٌ » .

(٢) « امْرَأَةً » عَنْ « م » .

(٣) « مَوَاقِعَ الْغُرَّةِ » عَنْ « م » . وَالْمَرَادُ بِهَا : أَوْقَاتُ الْقَتْلَةِ .

(٤) « لَكَ » عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : « لَا يَكْمُنُ » .

(٦) فِي « ط » : « يَكُونُ » .

(٧) « هُنَا » عَنْ « م » .

(٨) فِي « م » : « قَدْ يَعُوقُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شُغْلُ مُهِمَّ » .. وَفِي « ط » : « مُسْمِكُ بِهِمْ » وَكَلَامُهَا صَوَابٌ .

كَسَلٍ ^(١) ، أَوْ لَذَّةٍ مُعْتَمَةٍ ، فَيَلْزِمُهُ الْخُرُوجَ عَلَى كُرْهِ . وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَخَلَّفَ
عَنِ ^(٢) الظُّهُورِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِأَمْرِ مَا ، تَطَارَلَتِ الْأَعْتَاقُ مِنَ الرِّعْيَةِ ، وَكَثُرَ
كَلَامُهَا ، وَقَالُوا : مَرَضَ الْمَلِكُ ^(٣) ، أَوْ مَاتَ ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ ، فَيَكْسِبُ الْعَدُوُّ جُرْأَةً
وَسُرُورًا ، وَيَكْسِبُ الْوَلِيُّ حُزْنًا ^(٤) وَحَسَبًا . وَمِنْهَا : أَنَّهُ قَدْ يُرَاعَدُ ^(٥) عَدُوُّهُ لِيَزِمَ
يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، فَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ ^(٦) .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ كَثِيرَ التَّصَرُّفِ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ ، وَتُخْبِثُ الرِّعْيَةُ ، وَعَنْ
هَذَا قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِذَا كَانَ الْجَمَلُ كَثِيرَ الْفَقْرِ ^(٧) كَانَ نَصِيبُ الذُّبِّ .

فصل

مِنْ تَوَادِدِ كَلَامِ الْعَرَبِ : مِنْ حِكْمِ ^(٨) أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ ، وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ
عَقْلٌ وَعِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ ، وَقَدْ عَلِقَ ^(٩) النَّاسُ عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً ، وَالْفَوَا فِيهَا ^(١٠)
تَصَانِيفٌ ، فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنْ
السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمَضَرَّةٍ نَفْسِيَةٍ . الْعَدِيمُ مِنَ اخْتِاجٍ إِلَى

(١) فِي د م : : بَعْضُ الْكَسَلِ .

(٢) فِي د م : : عَلَى .

(٣) الْمَلِكُ ، عَنْ د م .. وَبَعْدَهَا : : أَوْ مَاتَ ، عَنْ د ط .

(٤) فِي د م : : : خَوْفًا .

(٥) فِي د م : : : وَاعَدَ .

(٦) قَوْلُهُ : : فَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ ، عَنْ د ط ، وَلَمْ يَرِدْ فِي د م .

(٧) فِي د م : : : الْفَقْرُ ، تَعْرِيفٌ .

(٨) فِي د م : : : مِنْ كَلَامٍ .

(٩) عَلِقَ : : تَحَلَّمَ .

(١٠) فِي د م : : : فِيهِ .

لَيْسَ . مَنْ لَمْ يَتَّعِزْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَقْرَةٍ تُقَالُ ^(١) ، وَلَا كُلُّ مُرَصَّةٍ تُتَالُ .
لَا وَفَاءَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ حَيَاءٌ . قَدْ يُشْهَرُ ^(٢) السَّلَاحُ فِي بَغْضِ الْمَزَاحِ . مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ
فَازَ بِالْحَمْدِ . الْمَوْتُ يَذْهَبُ وَالْمَرْءُ يَلْهَوُ . طَوَّلَ الْقَضِبُ يُورِثُ الْقَوَصَبَ . رَبُّ عِنَقِي
شَرٌّ مِنْ رِقِّي . مَنْ اضْطَلَعَ قَوْمًا اخْتِاجَ إِلَيْهِمْ يَوْمًا مَا ^(٣) . الْكَلْبُ بَهْتٌ ^(٤) وَالْحِلْفُ
مَقَتْ . مَنْ لَمْ يَكُفْ أَذَاهُ لَقِيَ مَاسَاهُ ^(٥) . الْحُرُّ يَتَقَاضَى لَكَ مِنْ نَفْسِهِ ^(٦) وَاللَّيْمُ
يَسْتَحْسِنُ نُسُوبَهُ وَحَبْسَهُ ^(٧) . لَيْسَ بِالْإِنْسَانِ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِخْوَانٌ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ
إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . عَلَيْكَ بِالْمُجَامَلَةِ لِمَنْ لَا تُلْزِمُ لَهُ مُوَاصَلَةً .

فِي الْأَسْفَارِ يَتَلَوُ الْأَخْبَارُ ^(٨) . أَفْسَدَ كُلُّ حَسَبٍ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ . أَفْضَلُ الْفِعَالِ
صِيَاةُ الْغُرَضِ بِالْمَالِ . لَيْسَ مَنْ حَدَّثَ الْجَهْلُولَ بِذِي مَعْقُولٍ . لَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ
الرَّدِّ . مَنْ جَالَسَ الْجَهْلَالَ فَلَيْسَتْ لَهُ لِقَى وَقَالَ . مَا جَلَا عَنْكَ التَّسْيَانُ مِثْلُ التَّيَّانِ ، وَلَا نَفَى
عَنْكَ الْبَهْتَانُ مِثْلُ الْبِرْهَانِ . لَمْ يَتَّجِ مِنَ الْمَوْتِ عَنِّي لِمَالِي ، وَلَا قَبِيرٌ لِأَفْلَالِي . إِذَا
أَزْدَتْ طَرْدَ الْحُرِّ فَسِمَةُ ^(٩) الْهَوَانِ . كَرَّةُ الْعِلَالِي آتَى الْبُحْلَى . كَفَرَ التَّعْنَةُ لَوْمٌ ،
وَصُغْبَةُ الْأَخْمَقِ شَوْمٌ . إِنْ مِنْ الْكَرَمِ لَيْنُ الشَّيْمِ .

إِيَّاكَ وَالْخُلَيْفَةَ ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ لَيْمٌ . أُنْجِضُ أَخَاكَ التَّصْبِيحَةَ ^(١٠) حَسَنَةً كَانَتْ
أَوْ قَبِيحَةً . رَبُّ سَبَابٍ قَدْ هَاجَهُ الْخِتَابُ . الصَّلُودُ ^(١١) آفَةُ الْمَقْتِ . سَبَبُ الْجُرْمَانِ

(١) لِي م م : : تكررت هذه الجملة سهواً من النسخ .. ومعنى يقال ، أى : يتخاور وتشتغل بها .

(٢) يُشْهَرُ : يُسَلُّ مِنْ غَدٍ وَيُتَرَقَّ لِي م م : : شَهَرٌ .. والمزاح ، بضم الميم وكسرها : المُلَاعِبَةُ والمزَل .

(٣) م م : : عِنْ ط

(٤) الْبَهْتُ وَالْبَهْتَانُ : الْكَلْبُ الْمُتَفَرَّى .

(٥) لِي : مَا سَاهُ .

(٦) لِي م م : : لَكَ نَفْسُهُ .

(٧) لِي م م : : وَجْهُهُ ، لِي : وَجْهَانُهُ .

(٨) لِي ط : : الْأَخْبَارُ .

(٩) سِمَةٌ : أَذَى لِي م م : : فَسِمَةٌ ، لِي : قَبِيحَةٌ وَذَمَّةٌ .

(١٠) أُنْجِضُ أَخَاكَ التَّصْبِيحَةَ : أَخْصِيهَا لَهُ ، وَأَصْنِفْهَا فِيهَا ، مِنَ الْفِعْلِ الرَّهَامِيِّ « أُنْجِضُ » .

(١١) الصَّلُودُ : الْإِهْرَاسُ .

التواني . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قُدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْجَزْمَان . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُجُوبُ . إِنَّ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةَ الزَّادِ . مَنْ حَلَّمَ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ أَزْدَادَ . لَا تَرْغَبْ بِيَمَنِ يَزْهَدُ فِيكَ . رَبُّ بَعِيدٌ ^(١) أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ ^(٢) . مَثَلُ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . غُثَّكَ ^(٣) خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ ، مَنْ أَجَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ ^(٤) . اسْتَرَّ غَوْرَةَ أَخِيكَ لِمَا يَعْلَمُ ^(٥) فِيكَ . لَا تُكْثِرْ مِنَ الْمَزَاحِ فَتَذْهَبَ هَيْئَتُكَ ، وَلَا مِنَ الضَّحِكِ فَيَسْتَحْفَ بِكَ . مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ . كَفَى بِالْحَلِمِ نَاصِرًا . الْيَمْنَةُ تَهْدِمُ الصَّبِيحَةَ . نِعَمَ الشَّيْءِ الْهَدِيَّةُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَاجَةِ . رَبُّمَا نَصَحَ غَيْرَ النَّاصِحِ ، وَرَبُّمَا غَشَى النَّاصِحُ ^(٦) . الْكَلَامُ فِيمَا يَنْفَعُكَ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ ، وَالسُّكُوتُ عَمَّا يَضُرُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ . لَا يُغْنِيكَ مِنَ جَاهِلٍ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارَ وَلَا إِلْفٌ ، فَإِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ ^(٧) مِنَ النَّارِ قُرْبًا ، أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا لَهَا .

أَرْفُضُ أَهْلَ الدَّنَاءَةِ تَلْزِمَكَ الْمَهَابَةُ . دَغِ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الرَّيْبِ ^(٨) عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ يَسَلَّمَ دِينُكَ لَمْ تَسَلَمْ مِنْ سُوءِ الْمَقَالِ . الْكَرَمُ شُكْرُ الْبِلَاءِ ، وَاللُّؤْمُ كُفْرُ النِّعْمَةِ . أَكْرَمُ الصَّنَائِعِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ . لَنْ تَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَسَلَّمُوا مِنْكَ . مَنْ عَدِمَ الْإِيمَانَ لَمْ تَزِدْهُ الرُّوَايَةُ فِقْهًا . الْحُزْنُ ^(٩) مَفْسَدَةٌ لِلْعَقْلِ ، وَمَقْطَعَةٌ لِلْحِيلَةِ . كَثْرَةُ النَّوْمِ إِمَانَةٌ لِلْقَلْبِ ^(١٠) . شِدَّةُ الْحَذَرِ تَذُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْيَقِينِ . مُحَادَثَةُ الْحَقِيقِ

(١) في « م » : « رَبُّ أَمْرٍ بَعِيدٌ » .

(٢) « الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ » عَنْ « ط » وَاسْقَاطُهُ مِنْ « م » .

(٣) الْغَثُ : الْحَبِيفُ .

(٤) الْمَقِيلُ : مَوْضِعُ الْقَبُولَةِ ، وَهُوَ وَقْتُ الْإِسْتِرَاحَةِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ .

(٥) في « م » : « لِمَا يَعْرِفُ » .

(٦) في « ط » : « الْمُنْصَحُ » .

(٧) في « ط » : « تَكُونُ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٨) الرَّيْبُ : جَمْعُ رَيْبَةٍ ، وَهِيَ : الظَّنُّ ، وَالشَّكُّ ، وَالتَّهَمَةُ .

(٩) في « م » : « الْحَزَنُ » .

(١٠) في « م » : « دَامَانَةُ الْقَلْبِ » .

وَالسُّمَّاءِ ثَوْرٌ ^(١) سَوْءُ الْخُلُقِ . الدَّلِيلُ عَلَى الْحَقِّ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِعَقْلِهِ . مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْحَدِيثَ فَارْفَعَ عَنْهُ مُوتَتَهُ . مَنْ حَدَّثَ مَنْ لَا يَفْقَهُ كَمَنْ قَدَّمَ مَائِدَةً لِأَهْلِ الْقُبُورِ . مَنْ قَطَعَ عَلَيْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تُحَدِّثْهُ ، فَلَيْسَ بِصَاحِبِ آدَبٍ .

مَنْ عُرِفَ بِالصَّدْقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يُقْبَلْ ^(٢) صِدْقُهُ . مَنْ وَصَلَ ^(٣) مَنْ يَحْسُدُهُ قَوَى عَدُوَّهُ ، وَقَصَرَ بِنَفْسِهِ . اغْتَفِرَ زَلَّةَ صَدِيقِكَ . مَنْ غَضِبَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ^(٤) رَضِيَ مِنْ لَا شَيْءٍ . مَنْ غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ طَالَ حُزْنُهُ . الرَّجُلُ عَبْدٌ هَوَاهُ . لَوْلَا جَهْلُ الْجَاهِلِ مَا عُرِفَ عَقْلُ الْعَاقِلِ . مَنْ خَافَ رَبَّهُ كَفَ ظُلْمُهُ . كَسَلَ الْفَقِيرِ هَلَاكُهُ . شُحُّ الْعَيْتِ فَضِيحَتُهُ . مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي كَلَامِهِ أَظْهَرَ فُجُورَهُ . كُلُّ شَيْءٍ لَا يُوَافِقُ الْأَحْمَقَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَوَابٌ .

إِذَا عَلَيَّكَ أَمْرُكَ فَجَاهِدْهَا ، فَإِنَّهَا عَدُوُّكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَالْحَقُّهُ بِالْبَهَائِمِ . مَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ الْبَخِيلِ مَاتَ جُوعًا . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَمُجَاوِرِ ^(٥) الْبَحْرِ ، لَا يَخَافُ الْعَطَشَ ، وَجَارُ الْبَخِيلِ فِي الْمَفَازَةِ هَالِكٌ . إِذَا لَمْ تَتَّقِ بِمُصَادَقَةِ الْأَحْيَاءِ فَاتَ أَهْلُ الْقُبُورِ . مَنْ عَادَى مَنْ فَوْقَهُ أَبْغَضَهُ مَنْ تَحْتَهُ .

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ ، وَالْحَرِيصُ ^(٦) مَحْرُومٌ . مَنْ كَثَرَ كَلَامُهُ عَلَى الْمَائِدَةِ غَشَّ بَطْنُهُ ^(٧) وَأَبْغَضَهُ أَصْحَابُهُ . الْعِلْمُ زَيْنٌ وَمَنْفَعَةٌ ، وَالْجَهْلُ شَيْنٌ وَمَضَرَّةٌ . الْجَاهِلُ يَسْتَطِيعُ الشَّرَّ ، وَالْعَاقِلُ يَمْتَنِعُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّرِّ ^(٨) ، مَنْ لَمْ يَرْتَحِ لِلشَّيْءِ فَلَيْسَ لَهُ

(١) في (م) : « تدل على » مكان « ثور » .

(٢) في (م) : « لم يقبل » .

(٣) وصل : أحسن إليه .

(٤) في (م) : « من شيء » .

(٥) في (م) : « كمجاورة » .

(٦) في (م) : « والحرص » .

(٧) في (م) : « غش نفسه » .

(٨) في (م) : « من السوء » .

نَصِيبٌ فِي الْمُرُوءَةِ . إِذَا كَانَ لَكَ جَارٌ أَوْ صَدِيقٌ لَا يَتَمَتَّعُ بِهِ فَصَوِّرْ مِثْلَهُ فِي الْحَالِاطِ ، فَإِنَّهُ أَزِينٌ لِلْحَالِاطِ وَأَخَفٌ لِلْمُؤْنَةِ ^(١) . الْعَاقِلُ يَرْغَبُ فِي الْأَدَبِ ، وَالْجَاهِلُ يَهْرُبُ مِنْهُ . الْعَاقِلُ إِذَا فَاتَهُ الْأَدَبُ لَزِمَ ^(٢) الصَّنْتَ . لَا تَسْتَنَاطِقُ مَنْ تُكَذِّبُهُ . الْعَاقِلُ يَتَّهَمُ رَأْيَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَالْجَاهِلُ يُقِيمُ عَلَى جَهْلِهِ . مَنْ لَمْ يَمْلِكْ ^(٣) عَقْلَهُ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ . مَنْ أَظْهَرَ مُحَاسِنَهُ وَدَفَنَ مَسَاوِيَهُ كَمَلَ عَقْلُهُ . مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلُهُ انْقَضَعَ .

مَنْ اسْتَشَارَهُ عَدُوُّهُ فِي صَدِيقِهِ أَمَرَهُ ^(٤) بِقَطِيعَتِهِ . مُصَادَقَةُ الْكَرَامِ غَيْمَةٌ ، وَمُصَادَقَةُ اللُّغَامِ نَذَامَةٌ . لَا تُدْخِلْ عَلَى صَدِيقِكَ التُّهْمَةَ ^(٥) فَيَرْجِعَ لَكَ عَنِ النَّصِيحَةِ . إِذَا انْقَطَعَ رَجَاؤُكَ عَنْ صَدِيقِكَ فَالْحَقِّقْ بِعَدُوِّكَ . مَنْ طَلَبَ مَرْضَاةَ الْإِخْوَانِ بِغَيْرِ شَيْءٍ فَلْيَصَادِقْ أَهْلَ الْقُبُورِ . الْعَاقِلُ لَيْسَ فِي مُصَادَقَتِهِ مُحَادَعَةٌ . رَأْسُ مَالِ الْأَحْمَقِ الْخَدِيعَةُ ، وَفَالِدَتُهُ ^(٦) الْغَضَبُ ، وَالْحَلِيمُ رَأْسُ مَالِهِ الصَّنْتُ ^(٧) وَفَالِدَتُهُ الْجَلْمُ . إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ الْأَحْمَقُ فَالْبَسْ لَهُ سِلَاحَ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ . صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّ كُلِّ امْرِئٍ حُمْقُهُ .

مَنْ أَتَوَّلَ نَفْسَهُ عَاقِلًا أَتَوَّلَهُ النَّاسُ جَاهِلًا . مَنْ قَنَعَ بِكَذِبِ النَّسَاءِ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ رَفَاقَتَهُ ^(٨) . السُّكُوتُ عَنِ الْأَحْمَقِ جَوَابُهُ . السُّكُوتُ يَزِينُ ^(٩) الْأَحْمَقَ ، وَالْكَلَامُ

(١) من قوله : « إِذَا كَانَ لَكَ جَارٌ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَاسْقَطَ مِنْ « م » .

(٢) فِي « م » : « لَزِمَهُ » .

(٣) فِي « ط » : « يَمْلِكُهُ » .

(٤) فِي « ط » : « أَمَرَهُ » .

(٥) التُّهْمَةُ ، بِسُكُونِ الْمَاءِ وَضَعُهَا : الْإِتِّهَامُ .

(٦) فِي « ط » : « وَفَالِدَتُهَا » .

(٧) فِي « م » : « الْغَضَبُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) الرِّفَاقَةُ : الْحِمَاقَةُ وَضَعَفَ الْعَقْلُ .. وَفِي « م » : « رَفَاقَتُهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٩) يَزِينُ : يُجَمِّلُ وَيُحَسِّنُ .. وَفِي « م » : « زَيْنٌ » .

يَشِينُهُ . مَنْ اسْتَطَالَ عَلَيْكَ بِمَلَبْسِهِ ، وَتَحَلَّى بِفَضْلِهِ ، فَلَا أَكْثَرَ لِلَّهِ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ .
الْجَوَادُ مُحَبَّبٌ ، وَالْبَخِيلُ مُبْغَضٌ . إِذَا حَمَلْتَ الْبَخِيلَ مُؤْتَةً ^(١) أَهْدَى لَكَ الْجِرْمَانَ
وَالْعَدَاوَةَ . الْبَخِيلُ يَمْتَنِعُ مَا عِنْدَهُ ، وَيَتَخَلَّى عَلَى الْجَوَادِ بِجُودِهِ . مَنْ طَلَبَ مِنَ الْبَخِيلِ
حَاجَةً فَهُوَ شَرُّ مِنْهُ . مَنْ بَدَّلَ لِبَخِيلٍ صِلَتَهُ ، وَرَفَعَ عَنْهُ مُؤْتَتَهُ ^(٢) دَامَتْ لَهُ مَوَدَّتُهُ .
ضَيْفُ الْبَخِيلِ آمِنٌ مِنَ التُّخَمَةِ . مَنْ طَلَبَ ^(٣) مِنْ لَيْمٍ حَاجَةً كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ
فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ ^(٤) تَقْدُ ، وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْكَرِيمُ يُوَسِّى إِخْوَانَهُ
فِي ذَوَلَيْهِ ، وَاللَّيْمُ يَقْطَعُهُمْ . لَا تَخْضَعُ لِلَّيْمِ فَإِنَّهُ لَا يُعْطِيكَ . إِنَّمَا الصَّدِيقُ الَّذِي
يَتَذَلُّ ^(٥) لَكَ مَالَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَنَفْسُهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَيَحْفَظُكَ عِنْدَ الْمَغِيبِ ، وَيَنْفَعُكَ
عِنْدَ الرَّجَاءِ .

إِذَا صَادَقْتَ الْوَزِيرَ فَلَا تَحْشَ الْأَمِيرَ . مَنْ لَمْ يَنْصَحْكَ فِي الصَّدَاقَةِ فَعَادِهِ . مَنْ
عَشَّكَ فِي الْعَدَاوَةِ فَلَا تَلْمُهُ . مَنْ كَانَ النَّاسُ عِنْدَهُ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْدِقَاءُ . مَنْ
صَادَقَ الْإِخْوَانَ بِالْمَكْرِ كَأَهْوَى بِالْعَدْرِ . مَنْ لَمْ يُوَسِّرِ الْإِخْوَانَ فِي ذَوَلَيْهِ ، تَحْلِلَ عِنْدَ
مَأْمِيهِ . إِيَّاكَ أَنْ تَبْغِيَ مَوَدَّةَ ^(٦) مَنْ يَحْسُدُكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ إِخَاءَكَ . مَنْ حَسَدَكَ عَلَى
عِلْمٍ لَكَ لَمْ يَسْتَمِعْ حَدِيثَكَ . الْحَاسِدُ يَفْرَحُ بِزَلَّتِكَ ، وَيَحْزَنُ بِصَوَابِكَ . إِذَا رَأَيْتَ
مَنْ يَحْسُدُكَ وَيَسُرُّكَ أَنْ تَسَلَّمَ مِنْهُ فَقَمِّ عَلَيْهِ أُمُورَكَ . مَنْ صَبَرَ عَلَى مَوَدَّةِ الْكَاذِبِ
فَهُوَ مِثْلُهُ . كُلُّ ^(٧) شَيْءٍ شَيْءٌ ، وَمَوَدَّةُ الْكَاذِبِ لَا شَيْءَ . مَنْ بَدَأَكَ بِجَهْلِهِ فَكَافِهِ
بِجَلْمِكَ تَعْمَهُ ^(٨) . أَوَّلُ الْمَرْوَةِ طَلَاقُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ ، وَالثَّالِثَةُ الْفَصَاحَةُ .

(١) لِي (م) : : مؤتة : وهما بمعنى واحد .

(٢) لِي (م) : : صلته : مكررة .

(٣) لِي (م) : : كرر الناصح - سهواً - قوله : (من طلب) .

(٤) عِدَّةُ الْكَرِيمِ : وَغُلَّةُ .

(٥) لِي (م) : : يَتَذَلُّ .

(٦) لِي (م) : : (لِي مَوَدَّةُ) .

(٧) لِي (ط) : : (وَاكُلْ) .

(٨) لِي (م) : : (يَجْلُمُكَ عَنْهُ) .

الْفَاجِرُ لَا يُبَالِي مَا قَالَ . وَالْوَرَعُ يَتَعَاهَدُ كَلَامَهُ . مَنْ شَغَلَ مَشْغُولًا فَقَدْ أَظْهَرَ ثِقَلَهُ .
مَنْ صَبَرَ عَلَى شُغْلٍ سَوِيٍّ فَقَدْ نَظَرَ إِلَى سُخْنَةِ عَيْنِهِ ^(١) . مَنْ لَمْ يَغْلِبِ الْحُزْنَ بِالصَّبْرِ
طَالَ غَمُّهُ .

مَنْ اسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ فَلْيَصْبِرْ عَلَى الدُّلِّ وَالْهَوَانِ . لَا تُخْفِرِ الْفَقِيرَ
السُّرَى ^(٢) ، وَلَا تُرْغَبْ فِي الْعَيْنى الدُّنْيَى . مَنْ نَشِبَهُ بِالسَّرَاةِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ ^(٣) الدُّنَاءَةُ
فَلَا تُكْرِمْهُ . مَنْ أَغْضَبَتْهُ أَنْكَرَتْهُ . مَنْ أَغْنَيْتَهُ أَغْطَفْتَهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِصَاحِبِ الدُّوَلَةِ انْقَلَبَ
بِهَزِيمَةٍ . مَنْ صَانَعَ بِمَالِهِ لَمْ يَخْتَشِمْ مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ ^(٤) . مَنْ صَاحَبَ الْكُتَّابَ
مُلُوءَهُ ^(٥) ، وَمَنْ عَادَاهُمْ أَنْكَرُوا . مَنْ شَمَخَ عَلَيْكَ بِأَنْفِهِ ، وَطَمَحَ ^(٦) بِبَصَرِهِ ، وَلَمْ
يَدْخُلْ عَلَيْكَ فَضْلُهُ ، فَلْيَهِنْ عَلَيْكَ سَلْبُهُ ^(٧) . السَّفِيهُ يَقْطَعُ مَوَدَّةَ لَمْ تَزَلْ ، وَيَكْتَسِبُ
عِدَاوَةَ لَمْ تَكُنْ . حَمَلَ الْمُرُوءَةُ ثِقِيلَ ^(٨) . مَنْ سَأَلَ النَّاسَ غَنِمَ . خِذْلَانُ الْجَارِ لُؤْمٌ ،
وَرِجَالُ الْبَلَاءِ قَبِيلٌ . اخْفِظْ إِخْوَانَكَ تُبْذَلْ أَعْدَاكَ . مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ عَلَى مَا لَا بُدَّ
لَكَ مِنْهُ . الْمَحْرُومُ مَنْ سَأَلَ نَصْبَهُ ^(٩) وَكَانَ لِيَغْيِرَهُ نَشْبُهُ . لَا قُوَى أَقْوَى مِنْ

(١) سُخْنَةُ عَيْنِهِ : عدم قُرْبِيَّتِهَا ، وهى كناية عن فَقْدِ الرضا والسرور .

(٢) الْفَقِيرُ السُّرَى : الشريف .

(٣) فى « م » : « وَهَانَتْ عَلَيْهِ .. » وَالسَّرَاةُ : جمع سَرَى ، وهو جمعٌ عزيز لا يكاد يُوجَدُ له نظير ، لأنه لا يَجْمَعُ « قَبِيلٌ » على « قَمَلَةٍ » .

(٤) لَمْ يَخْتَشِمْ : لم يَحْتَجِلْ .. و « مِنْ طَلَبِ حَاجَتِهِ » عن « ط » ولم ترد فى « م » .

(٥) فى « م » : « مَوْلُوءُهُ » أى : قَدَّمُوا لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَغَوَاهِ .

(٦) هَكَذَا فى « ط » .. وفى « م » : « وَمَنْ هَمَّخَ عَلَيْهِمْ بِأَنْفِهِ وَطَمَحَ » وَهَمَّ النَّاسِخُ أَنَّهَا عَطَفَتْ عَلَى سَابِقَتِهَا وَهَمَّخَ بِأَنْفِهِ : تَكَبَّرَ .. وَطَمَحَ بِبَصَرِهِ : رَفَعَهُ وَحَدَّثَهُ .

(٧) فى « م » : « فَضِيكَ عَفَلَتْهُنَّ عَلَيْكَ سِلْبُهُ » هَكَذَا .. وَمَا جَاءَ فى « ط » هو الْمُنَاسِبُ لِلْبَيَاقِ .. وَالسَّلْبُ : مَا يُسَلَّبُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : أَنْ تَسْقُطَ مِنْ عَيْنِكَ .

(٨) مِنْ قَوْلِهِ : « السَّفِيهُ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » وَسَاقَطَ مِنْ « م » .

(٩) نَصْبُهُ : تَعَيُّنُهُ وَجْهَهُ .. وَنَشْبُهُ : مَالُهُ .

قَوَى ^(١) عَلَى نَفْسِهِ ، وَلَا عَاجِزٌ أَعْجِزُ مِمَّنْ عَجَزَ عَنْهَا . الْخَيْرُ فِي أَهْلِهِ غَرِيبٌ .
مَا أَضْعَفَ قُوَّةَ مَنْ يُغَالِبُ مَنْ لَا يُغْلَبُ !

* * *

(١) في (م) : (مِنْ قَوَى) .

البَابُ الرَّابِعُ وَالسُّتُونَ

مُشْتَجِلٌ عَلَى حِكْمٍ مَثْوَرَةٍ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُرِيدُ ^(١) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْتَحِنُ أَنْبِيََاءَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَضْطَرُّ أَوْلِيَاءَهُ وَأَحِبَّاءَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ رِفْعَةً وَتَقَرُّبًا لِأَنْبِيَائِهِ ، وَتَمْجِيسًا لِهَفَوَاتِ أَوْلِيَائِهِ ، وَذُخْرًا لَهُمْ عِنْدَهُ ، وَزُلْفَى لَدَيْهِ وَتَعْظِيمًا ^(٢) لَأَقْدَارِهِمْ ، وَتَشْرِيفًا لِمَنَازِلِهِمْ ، وَتَرْفِيعًا لِدَرَجَاتِهِمْ . قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَعَزُّيَةً لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِعَظِيمِ مَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ سَطَوَاتِ أَعْدَائِهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ^(٣) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٤) . يَا مُحَمَّدُ ، لَا تَسْتَوْجِشْ مِنَّا وَلَا تَتَّهِمْنَا فِي سِيرَتِنَا فِيمَنْ نَحِبُّهُ وَيُحِبُّنَا ، فَالْبَلَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا كَفَّارَةٌ لِلذَّنْبِ ^(٥) ، وَالْآخَرُ رَفْعٌ

(١) في د م : : أيا الملك .

(٢) في د ط : : تعظيماً ، بدون الواو .. والزُّلْفَى : القُرْبَى والمَثْوَرَةُ .

(٣) سورة الأنعام ، من الآية ١١٢ .

(٤) سورة الفرقان ، من الآية ٣١ .

(٥) في د ط : : وأحدهما للذنوب .

الزُّلْفَى

دَرَجَةٍ ^(١) وَتَوْفِيرٍ أَجْرٍ ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَلَا أَمْتَلُ ، فَالْبَلَاءُ بَلَاءَانِ : بَلَاءٌ رَحْمَةً لِتَضْعِيفِ دَرَجَةٍ ، وَتَمْنِيحِصِ سَيِّئَةٍ ، وَتُلَوِّغِ فَضِيلَةٍ ، وَعُلُوِّ مَنَزَلَةٍ ، وَبَلَاءٌ عَقُوبَةٌ ، لَا تُبْهَكُ حُرْمَةً وَأَقْتِرَافَ مَعْصِيَةٍ . لَنْ تُحْلُو الْمَكَارِهِ أَنْ تُكَوِّنَ لِحَادِثِ رَحْمَةٍ ، فَلَا رَغْبَةَ عَمَّا أُنْعَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْهَا ، أَوْ لِسَيِّئَةٍ عَنْ ^(٢) إِضَاعَةٍ ، فَلَا غِنَى عَنْ زَاجِرٍ عَنْهَا ، فَلَأَيُّ ذَلِكَ كَانَ حُلُولُهَا عَظُمَتْ بِهِ الْعِثَّةُ ، وَوَجَبَتْ لِلَّهِ بِهِ النُّعْمَةُ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا وَقَعَ فِي شَيْءٍ يَكْرَهُهُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَذًى ، وَلَا تَجْعَلْهُ غَضَبًا . وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقُيِّضَ ^(٤) اللَّهُ لَهُ مِنْ يُؤْذِيهِ » .

يَأْمَنُ ضَاقَ صَدْرُهُ ، وَخَرَجَ ^(٥) قَلْبُهُ ، وَسَاءَ حُلُقُهُ مِنْ عَدُوِّ أَقْلَقُهُ ، وَحَامِدِ حَسَدِهِ ، طَبَّ نَفْسًا ، وَفَرَّ عَيْنًا ، وَأَنْعَمَ عَيْشًا بِشَهَادَةِ الرَّسُولِ لَكَ بِالْإِيمَانِ ، وَلِعُدُوكَ ^(٦) بِالْتَّفَاقِ ، بَخٍ بَخٍ إِنْ عَقَلْتَهَا ! أَمَا لَكَ ^(٧) فِي الْأَنْبِيَاءِ أُسُوءَ ؟ أَمَا لَكَ فِي الصَّالِحِينَ قُلُوءَ ؟ فَلَوْ لَمْ تَلَقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ^(٨) مِنْ الْحَسَنَاتِ إِلَّا بِمَا اقْتَرَفَاهُ

(١) في م : : درجات .

(٢) في م : : عند .

(٣) هو : الإمام جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، الملقب بالصِّدِّيق .. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية .. وُلِدَ في المدينة سنة ٨٠ هـ ، وكان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة في العلم .. وأُخذ عنه جماعة ، منهم الإمامان : أبو حنيفة ، ومالك .. وكان جريماً على تخلفاء بني العباس ، صكداً بالحق ، وتولى بالمدينة ، ودُفِنَ بالقيع سنة ١٤٨ هـ ، وله رسائل مجموعة ورد ذكرها في كشف الظنون .

[انظر الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ ، وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٢ - ٢٠٦ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨] .

(٤) في م : : لَقِيْطٌ لغة في قَيْضٍ أي : قَلَرٌ وهَيَّا وَأَتَاخ .

(٥) خَرَجَ : ضَاقَ .

(٦) في ط : : وعدوك .. وبخ بخر ، يقال مكررة عند الرضا والإعجاب بالشيء ، أو للدخ أو الفخر .

(٧) لك : عن ط .

(٨) في م : : والله تعالى .

اخْتِيارًا ، لَلَّيْمِنَا اللهُ تَعَالَى فَقَرَاءَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، ثُقَلَاءَ مِنَ السَّيِّئَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
قَدْ يَتَّبِعُ اللهُ بِالْبُلُوْى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَنَلَّى اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

قَالَ (١) بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الَّذِي رَأَيْنَا مِمَّا نُحِبُّ فِيمَا نَكْرَهُ أَكْثَرُ مِمَّا رَأَيْنَا مِمَّا
نُحِبُّ فِيمَا نُحِبُّ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا أَهْمَنِي ذَنْبُ أَهْلِيكَ
بَعْدَهُ حَتَّى أَصْلَى رَكَعَتَيْنِ . السُّجُونُ قُبُورُ الْأَحْيَاءِ ، وَشَمَائِلُ الْأَعْدَاءِ ، وَتَجْرِبَةُ
الْأَصْدِقَاءِ ، وَأَسْعَدُ النَّاسِ مَنْ كَانَ الْقَضَاءُ لَهُ مُسَاعِدًا ، وَكَانَ لِمُسَاعَدَتِهِ أَهْلًا . غَلَبَ
عَلَى الْكَرِيمِ مَنْ بَدَرَ (٢) إِلَيْهِ الشَّمَائِلُ . لَوْمْ عَرَّاهُ النَّاسُ عِدَّةَ لِحَوَاصِهِمْ . مَجِئُهُ
الْقَدْرِ يَسْبِقُ الْحَذَرَ . مَنْ سَجَرَ مِنْ شَيْءٍ حَاقَ بِهِ (٣) . مَنْ غَبَّرَ بِشَيْءٍ ابْتُلِيَ بِهِ (٤) .
الْخُلُقُ نَهْبُ الْمَصَائِبِ . مُذَاكِرَةُ الرِّجَالِ تُلْقِيحٌ لِلْبَابِهَا . أَقْلُ مَا فِي طَلَبِ الْحِيلَةِ
الْخُرُوجُ مِنَ الْاسْتِكَانَةِ . جَانِي الْعُقُوبَةِ عَلَى نَفْسِهِ أَعْظَمُ جُرْمًا عَلَيْهَا مِنَ الْمُعَاقِبِ لَهُ
عَلَيْهَا . قَرَابَةُ بَعْضٍ مُنْفَعَةٌ بِلَيَّةٍ عَظِيمَةٍ .

النَّعْمَةُ مُتَعَمَّةٌ (٥) . كَفَالَكُ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ . الْحَمِيَّةُ شَوْبُوبُ
الْجَهْلِ (٦) . الْأَنَفَةُ قِرَامُ السُّفِيهِ (٧) . قُلْ أَنَفٌ لَمْ يُعَقِّبْ ذُلًّا . الْعَادَةُ (٨) كَمِيزٌ
لَا يُؤْمَنُ . مِنْ أَرْوَحَامٍ (٩) الْكَلَامُ مَضَلَّةُ الصَّوَابِ . عَجَلُوا الْقِرَى قَبْلَ سُوءِ الظَّنِّ
وَالْحَاقِ السَّيِّئَةِ . أُعْجِبْ مَا فِي هَذَا الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ ، وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَضْدَادُ
مِنْ خِلَالِهَا ، فَإِنْ سَنَّحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ ، وَإِنْ حَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْجِرْصُ ،

(١) فِي د م : : : وَقَالَ .

(٢) يَدْر : أَبْدَى ، وَأَسْرَعَ .

(٣) حَاقَ بِهِ : أَصَابَهُ وَأَحَاطَ بِهِ .

(٤) فِي د م : : : يُبْلَى بِهِ .

(٥) فِي د م : : : مُنْفَعَةٌ .

(٦) الْحَمِيَّةُ : الْأَنَفَةُ .. وَشَوْبُوبُ الْجَهْلِ : شَيْئُهُ .

(٧) فِي د ط : : : السُّفَهَى .

(٨) فِي د ط : : : الْعَادَةُ .

(٩) فِي د م : : : لَا يُؤْمَنُ أَرْوَحَامُ .

وَأَنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ ^(١) قَتَلَهُ الْأَسَفُ ، وَأَنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ ^(٢) ، وَأَنْ اسْتَعَدَّ بِالرِّضَا ^(٣) نَسِيَ التَّحَفُّظَ . وَأَنْ نَالَ الْخَوْفَ شَعَلَهُ الْحَذَرُ ، وَأَنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَبَيَّتْهُ الْغَرَّةُ ^(٤) ، وَأَنْ حَدَّثَتْ لَهُ نِعْمَةٌ ^(٥) أَخَذَتْهُ الْبِرَّةُ ، وَأَنْ امْتَحِنَ بِمُصِيبَةٍ فَضَحَتْهُ الْجَرْعُ ، وَأَنْ أَفَادَ مَالًا أَطْفَأَ الْغِنَى ، وَأَنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ شَعَلَتْهُ ^(٦) الْبَلَاءُ ، وَأَنْ أَجْهَدَهُ ^(٧) الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ ، وَأَنْ أَقْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَطْتُهُ الْبُطْنَةُ ^(٨) ، فَكُلَّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ ، وَكُلَّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ .

أَفْضَلُ الْقَوْلِ بَيِّنَةٌ أَمْرِي وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ . أَشَدُّ النَّاسِ عَمَّا الَّذِي يَرَى غَيْرُهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ^(٩) أَوَّلًا . مَا أَخَذَ اللَّهُ طَاقَةً أَحَدٍ إِلَّا رَفَعَ عَنْهُ طَاعَتَهُ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ لَا تَرْضَى عَمَّنِ ابْتَنَى رِضَاكَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَسْخَطَ عَلَيْهِ . زَيْرُ الْأَسَدِ يُشَبِّهُ صَوْلَتَهُ . عَلَامَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ^(١٠) بِالْإِعْرَاضِ عِنْدَ الْمُنَادَاهِ . لَا تُتَعَادُوا ^(١١) حَتَّى تَرَوْا . لَا تَفْخَرُوا حَتَّى تَفْعَلُوا . لَا تَأْتَفُوا حَتَّى تُظْلَمُوا . أَوْجُهُ الشُّفَاعَةِ ^(١٢) بَرَاءَةُ السَّاجَةِ . مَنْ لَزِمَ الصَّحَّةَ وَالْإِسْتِقَامَةَ لَزِمَتْهُ الْغِبْطَةُ وَالسَّلَامَةُ . قِصَصُ الْأَوَّلِينَ مَوَاعِظُ الْآخِرِينَ . الْبَحْثُ يُوَضِّحُ الْحَقَّ كَمَا يُورِي النَّارَ الْقَدْحُ . لَيْسَ مَعَ الْحَسَدِ سُرُورٌ ، وَلَا مَعَ الْحِرْصِ رَاحَةٌ ، وَلَا مَعَ السُّخْطِ غِنَاءٌ .

(١) في م : : الناس ، تحريف .

(٢) في م : : اشتد بالغيط .

(٣) في م : : الرضى .

(٤) في م : : الأرض ، مكان ، الأمن .. و البزة ، مكان ، البرة .

(٥) في م : : فإن حدث له النعمة .

(٦) في ط : : أشغله ، والفاقة : الحاجة والفقر .

(٧) في م : : أجهد به .

(٨) كَطَطْتُ : البطنة : ضاقت به بسبب الامتلاء الشديد من الطعام .

(٩) في م : : به .

(١٠) في م : : العلم ، مكررة .. والمناداة : الزجر ، والطرود بالصباح .

(١١) في م : : لا تفاروا ، والأول أوجه .

(١٢) في ط : : الشفعاء .

قَالَ جَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) : عَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِأَرْبَعِ كَيْفَ يَفْعَلُ عَنْ أَرْبَعِ : لِمَنْ ابْتُلِيَ بِالضَّرِّ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٢) وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَاغْلَبْنَا مَائِهِ مِنْ ضَرِّهِ ﴾ ^(٣) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُلَى بِالْعَمِّ كَيْفَ ^(٤) يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وَعَجِبْتُ لِمَنْ خَافَ شَيْئًا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَقَضَىٰ لَكُمْ يَمْسَسْنَهُمْ سُوءٌ ﴾ ^(٧) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ مُكِرَ بِهِ كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَالْفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ^(٨) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ فَوَقَاةُ اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا ﴾ ^(٩) . وَعَجِبْتُ لِمَنْ أُتِمَّ عَلَيْهِ ^(١٠) يَنْعَمَ خَافَ زَوَالَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿ وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ^(١١) . كَذَا سَنَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١٢) فِيمَنْ صَدَّقَ فِي النِّجَاحِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ فِي مُهِمَّاتِهِ إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن م .

(٢) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٣ .

(٣) السورة السابقة ، من الآية ٨٤ .

(٤) في م : ﴿ ابْتُلِيَ بِالْعَمِّ أَنْ ... ﴾ .

(٥) سورة الأنبياء ، من الآية ٨٧ .

(٦) الآية ٨٨ من سورة الأنبياء .

(٧) سورة آل عمران ، من الآية ١٧٤ .

(٨) سورة غافر ، من الآية ٤٤ .

(٩) السورة السابقة ، من الآية ٤٥ .

(١٠) في م : ﴿ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ وبهذا : « طاف » مكان « خاف » تحريف من الناسخ .

(١١) سورة الكهف ، من الآية ٣٩ .

(١٢) في م : ﴿ اللَّهُ تَعَالَى ﴾ .

الْيَمِينُ مَائِمَةٌ أَوْ مَدَنَةٌ ^(١) . أَلَذُّ الْمَوَارِدِ مَنَاجَاةٌ مِنْ مَتَلَفَةٍ ، أَوْ قُدُومٌ غَائِبٌ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ بِالْيَأْسِ مِنْهُ الرُّكَائِبُ ، وَأَشْرُّ الْمَصَادِرِ ظَفَرٌ عَلَى قُنُوطٍ . الطَّبِيعَةُ مُخَالَفَةٌ لِلْمُرُوءَةِ ، فَاصْبِرْ لِحَقِّ وَجَبَ عَلَيْكَ وَإِنْ خَالَفَ هَوَاكَ . ^(٢) بِهِاءُ ^(٣) الْمَجْلِسِ الشَّرِيفِ بِالرَّجُلِ الْفَاضِلِ . الْيَقِينُ رَاحَةٌ وَرَوْحٌ . الْعَمَلُ ^(٤) الثَّابِتُ بِالرَّجُلِ الْمُدَبِّرِ كِبَهَاءِ الْيَاقُوتِ وَاللُّوْلُؤِ فِي تَيْجَانِ الْمُلُوكِ . مَا أَلْوَرُ الْهُدَى ! مَا أَظْلَمَ الْعَمَى ! مَا أَكْرَمَ التَّقَى ! مَا أَخَذَعَ الْهَوَى ! مَا أَسْرَعَ الْبَلَا ! مَا أَجْلَدَ ^(٥) الصَّبَا !

الْجُودُ أَنْ يَهْضِمَ الرُّوحَ حَظُّ الْجَسَدِ ، وَالْإِسْرَافُ أَنْ يَهْضِمَ الْجَسَدَ حَظُّ الرُّوحِ ، وَالْعَدْلُ أَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَظَّهُ ، وَالشُّعُ أَنْ تُكْفَّ حُظُوظُهُمَا عَنْهُمَا . عَدُوٌّ يَخَافُ اللَّهَ فِيمَا تَكَرَّهُ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ لَا يَخَافُهُ فِيمَا تُحِبُّ . مِنَ الْعَجَبِ أَنْ تُطْلَبَ فِي صِحَّةٍ كُلُّ عِلْمٍ مَا يَنْفَعُنَا ^(٦) ، وَنُكِلَ الْعِلْمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ عَنْ صِحَّتِهِ . لَا يَرْعَكَ الْبَاطِلُ مِمَّا تُرْمَى بِهِ ، وَلَكِنْ اخْذَرْ أَنْ يَصْدَعُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَشْهَدَ عَلَيْكَ عَيْنَاكَ وَوَجْهَكَ .

مَنْ بَطَلَ ثَنَاؤُهُ ^(٧) بَطَلَ مَنَحُهُ . الرَّاعِبُ فَقِيرٌ بِقَدْرِ رَغْبَتِهِ . الْحَقُّ يُعْطَى وَيُمْنَعُ . تَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ لِحُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَاجْتَنَبَ الذُّنُوبَ لِثِقَلِ حُجَّتِهِمْ عَلَيْكَ . الْفَرَاغُ الْفَاضِلُ عَنِ الْحَمَامِ مَفْسَدَةٌ . الْحَمِيَّةُ إِحْدَى الْعِلَّتَيْنِ . الْفَرَقُ ^(٨) يَنْسِي الْحُجَّةَ .. حَابِ الْعِلْيَةِ ^(٩) فِي كَلَامِكَ ، وَسَوْ يَبْتَئُهُمْ وَيَبْنَ السُّفْلَةُ فِي أَحْكَامِكَ . مَوْتُ فِي عِزٍّ

(١) في م : : « مَائِمَةٌ » أي : ندامة .

(٢) بهاء : عن « ط » .

(٣) في م : : « العلم » .

(٤) في م : : « ما أجهل » .

(٥) في م : : « ما يقنعنا » .

(٦) في ط : : « رشاهة » .. وبطل : ذهب .

(٧) الفرق : شدة الخوف .

(٨) في م : : « و » « ط » : : « حاي » لا تصح .. فعل أمر مبني على حذف حرف العلة .. أي :

جامليهم .. والعلية : أشراف القوم .

بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ^(١) . مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ فَقَدْ فَخَّرَ ^(٢) .
 مَا اكْتَسَبَتِ الْبُغْضَاءُ ^(٣) بِمِثْلِ الْكِبِيرِ . مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ انْقَرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ . التَّصْفِيرُ
 يُخْلِجُ عَنِ الصَّوَابِ . الْإِفْرَاطُ يُقْجِمُكَ فِي الْخَطَا . ثَلَاثُ حِصَالٍ مَا اجْتَمَعْنَ إِلَّا فِي
 كَرِيمٍ : حُسْنُ الْمَحْضَرِ ، وَاجْتِمَاعُ الرُّزَّةِ ، وَقِلَّةُ الْمَلَالَةِ . كَفَى ^(٤) مُخْبِرًا عَمَّا يَقَى
 مَاضِي ، وَكَفَى عِبرًا لِلَّذِي الْأَلْبَابِ مَاجِرُهَا .

التَّهَؤُنُ بِالْمَطْلُوبِ أَوَّلُ أَسْبَابِ حِرْمَانِهِ . الشُّبُهَةُ ^(٥) ظُلْمَةٌ . لَنْ يُضَيِّعَ امْرُؤٌ
 صَوَابَ ^(٦) الْقَوْلِ حَتَّى يُضَيِّعَ صَوَابَ الْعَمَلِ . خَيْرُ الْأُمُورِ مَا سُرَّ عَاجِلُهُ وَحَسُنَتْ
 عَاقِبَتُهُ . لَا شَرَفَ مَعَ سُوءِ آدَبٍ ، وَلَا بَرٍّ مَعَ شُعٍّ ، وَلَا اجْتِنَابَ مُحَرَّمٍ مَعَ جِرْصٍ ،
 وَلَا مَحَبَّةَ مَعَ زُهْوٍ . بِإِجَالَةِ الْفِكْرِ يُسْتَخْرَجُ الرَّأْيُ الْمُصِيبُ ، وَبِحُسْنِ الثَّائِي تُذَرَكُ
 الْمَطَالِبُ ، وَبِالْتَّصِفَةِ يَكْثُرُ الْمُتَوَاصِلُونَ ^(٧) . الْفَاجِئَةُ عَارُ الْأَبِيدِ وَعُقُوبَةُ عَدِ . الشَّمَاةُ
 تَغْفِبُ النَّدَامَةَ . مَنْ سَخِرَ ابْتُلِيَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ
 كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ ^(٨) .

إِذَا فَقِدَ الْمُتَفَضِّلُونَ هَلَكَ الْمُتَجَمِّلُونَ . رَبُّ صَيَانَةٍ غُرِسَتْ مِنْ لَحْظَةٍ ، وَخَرِبَ
 جُنَيْثٌ مِنْ لَفْظَةٍ . مَا شَاهَدَ عَلَى غَائِبٍ بِأَدَلٍّ مِنْ طَرَفٍ عَلَى قَلْبٍ . شَرُّ الْمَالِ مَا
 لَا يَنْفَقُ مِنْهُ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا صِينَ بِهِ الْعِرْضُ ، وَبِالْإِفْضَالِ تَشْرَفُ الْأَقْدَارُ . الَّذِي
 يَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ نَفْسِهِ أَذَلُّ مِمَّنْ يُفْسِدُهُ عَدُوُّهُ أَوْ دَهْرُهُ . لَا تُعْلَدَنَّ وَدِيعَةً مَالًا . الشَّهْوَةُ
 رِقٌّ . الْحَرِيصُ كُلُّهُ . يُعْبَرُ عَلَى الْإِنْسَانِ اللِّسَانُ ، وَعَلَى الْمَوَدَّةِ الْعَيْنَانِ . لَا شَرَفَ

(١) من قوله : « استبط الصواب » إلى هنا من « م » .. وعصفت : أغويت وزيئت .

(٢) فخر : عظم وقُضِلَ .

(٣) في « ط » : « ما اكتسب بمثل » ، وسقطت « البغضاء » .

(٤) في « ط » : « وكفى » .

(٥) في « م » : « الشبهة » .

(٦) في « م » : « أمر وصواب » .

(٧) التَّصِفَةُ : الإنصاف .. والمتواصلون : الذين يصل بعضهم بعضاً .

(٨) سورة هود من الآية ٣٨ .

أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعْلَى مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا شَفِيعَ أَغْنَى ^(١) مِنَ التَّوْبَةِ .
أَوَّلَى النَّاسِ بِأَمْرِ مَنْ حَافِظَ عَلَيْهِ . الْخَيْرُ مَوْضُوعٌ لِمَنْ أَرَادَهُ ، مَوْفُورٌ لِمَنْ عَمِلَ
بِهِ ^(٢)

الرَّغْبَةُ وَمِفْتَاحُ الطَّلَبِ ، وَمَعْلِيَةُ الْحَسْرَةِ . الْحِرْصُ دَاعٍ إِلَى الْجِرْمَانِ . التَّنْفُلُ
بِالْحَسَنَةِ يَنْفِي السَّيِّئَةَ . الْمُكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ دُخُولٌ فِيهَا . الْبُعْثُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ ^(٣) .
إِصْلَاحُ الرُّعْيَةِ أَنْفَعُ ^(٤) مِنْ كَثْرَةِ الْجُنُودِ . حَقُّ الْمَذْمُومِ التَّائِبِ ، وَحَقُّ الْمَرْحُومِ
الْمَعْوَةُ . مِنَ الْجَهْلِ وَالْجَفَاءِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ عِنْدَ الْمَحْزُونِ . الْمَحْزُونُ يَحْقِدُ عَلَى
الْفَرَحِ وَيَشْكُرُ لِلْمُكْتَسِبِ . مِنْ ظَلٍ ^(٥) السَّلَامَةِ تِدْبُ أَفَاعِي الْأَقَاتِ . أَعْظَمُ النَّاسِ
قَدْرًا مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ قَدْرًا . مَا أَحْدَثَ مُحَدِّثٌ بِذَعَةٍ إِلَّا تَرَكَ بِهَا ^(٦) سَنَةً .
عَزَائِمُ الْأُمُورِ خِيَارُهَا ، وَمُحَدَّثَاتُهَا شِرَارُهَا . الْمَلِكُ يَكْتَسِبُ مِنْ إِتْفَاقِهِ ، وَالْعَامَّةُ تَنْفِقُ
مِنْ تَكْسِبِهَا ^(٧) . مَنْ أَقْنَى عُمُرَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ مَخَافَةَ الْعَدَمِ ^(٨) فَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ
لِلْعَدَمِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَقَلَ الْفَقْرُ

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى جَمْعِ الْفَضَائِلِ فَلْتَكُنْ فَضَائِلُهُ تَرَكُ الرِّذَالِ . إِذَا لَمْ تَكُنْ مِلْحًا
تُصْلِحُ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا تُفْسِدُ . اسْتِصْلَاحُ بَعْضِ الْعَدُوِّ أَفْضَلُ مِنْ إِهْلَاكِهِ ^(٩) . مِنْ
سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرَى فِي عَدُوِّهِ مَا يَسُرُّهُ . خَيْرُ الْكُتُبِ مَا إِذَا أَعَادَ قَارِئُهُ
النَّظَرَ فِيهِ زَادَ حُسْنُهُ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى خَيْرِهِ . أَثْقَلُ الْأَحْمَالِ مَنْ اتَّسَعَتْ مَرْوَعَتُهُ وَقَلَّتْ

(١) أَقْنَى : أَظْهَرَ وَأَمَمَ .

(٢) فِي (ط) : دَعَا إِلَى عَمَلِ اللَّهِ .

(٣) الْحَيْنُ : الْمَلَاكُ .

(٤) فِي (م) : الْفَيْدُ .

(٥) فِي (م) : دَعَا إِلَى طَلَبِ .

(٦) فِي (م) : دَعَا إِلَى تَحْرِيفِ .

(٧) فِي (م) : دَعَا إِلَى كَسْبِهَا .

(٨) الْقَدَمُ ، بِفَتْحِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِهَا : الْفَقْرُ .

(٩) فِي (م) : دَعَا إِلَى هَلَاكِهِ .

مَقْدِرَتُهُ . اسْتَحْ (١) مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْ عَقْلِكَ ، وَأَطِعهُ بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ ، وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ (٢) ، وَاعصِهِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَى الثَّارِ ، وَاعْمَلْ لِلدُّنْيَا بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا ، وَاعْمَلْ لِلْآخِرَةِ بِقَدْرِ مُقَامِكَ (٣) فِيهَا .

الْمَلِكُ يَنْفَقُ لِيَكْتَسِبَ ، وَالْعَامَّةُ تَكْتَسِبُ لِيَنْفَقَ . الطَّاعَةُ بِقَدْرِ الْفَاقَةِ . يَفْحَشُ زَوَالُ النِّعَمِ (٤) إِذَا زَالَ مَعَهَا التَّجَمُّلُ . أَوَّلَى الْأُمُورِ بِكَ أَوْجِبُهَا عَلَيْكَ . الدُّنْيَا الْعَاقِبَةُ ، وَالشَّبَابُ الصَّحَّةُ . إِذَا أَقْبَلَ الْأَمْرُ أُسِيرَ بِهِ ، وَإِذَا أَذْبَرَ صَرَخَ (٥) . إِذَا عَدَلَ السُّلْطَانُ مَلَكَ قُلُوبَ الرِّعِيَةِ ، وَإِذَا جَارَ لَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ إِلَّا الرِّيَاءُ وَالتَّصَنُّعُ . الصَّدَقَةُ مِنْ سَعَةٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ . إِذَا أَضْرَبْتَ التَّوَافِلَ بِالْفَرَائِضِ ، تَرَكْتَ التَّوَافِلَ وَقَدَّمْتَ الْفَرَائِضَ . قَدَّرَ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ ، وَصَدَقَتْهُ عَلَى قَدْرِ مَرْوَعَتِهِ ، وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنْفَتِهِ ، وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ .

مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ ، وَمَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حَظًّا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ رَوَّحَ قَلْبِهِ (٦) . شَرُّ مَالِكَ مَا لَزِمَكَ إِثْمٌ مُكْتَسَبِهِ (٧) وَحُرِمَتْ مَنَفَعَةُ الْفَاقَةِ . رَبُّ مَغْبُوطٍ بَلِيلَةٌ قَامَتْ بِوَائِكِهِ فِي آخِرِهَا . لَا تَرْجُ خَيْرَ مَنْ لَا يَرْجُو خَيْرَكَ ، وَلَا تَأْمَنْ جَانِبَ مَنْ لَا يَأْمَنْ جَانِبَكَ . تَارِكُ الطَّلَبِ ضَجْرًا (٨) أَرْجَى لِلْعَوْدَةِ مِنْ تَارِكِهِ خَوْرًا (٩) . ثَمَرَاتُ الشَّهَوَاتِ الْمَحْزَارِي . الْمُخْصُومَةُ تُعْرِضُ الْقَلْبَ . أَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ

(١) فِي « م » وَ « ط » : « اسْتَحَى » .

(٢) قَوْلُهُ : « وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ » عَنْ « ط » وَ « م » : « مَقْدِرَتِهِ » .

(٣) فِي « م » : « بِقَائِكَ » .

(٤) يَفْحَشُ زَوَالُ النِّعَمِ : تَجَاوَزَ حُدُودَهَا .

(٥) صَرَخَ : انْكَشَفَ وَظَهَرَ .. وَ « م » : « يَشْبَهُ » مَكَانَ « أُسِيرَ بِهِ » .

(٦) رَوَّحَ قَلْبَهُ : أَرَاخَهُ .. وَ « م » : « رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ » .

(٧) فِي « م » : « مَا لَزِمَكَ إِثْمُهُ » أَيْ : لَمْ يَهَارِقَكَ .

(٨) ضَجْرًا : ضَيْقًا وَتَبَرُّمًا .

(٩) فِي « م » : « أَرْجَى لِعَوْدِهِ » وَخَوْرًا : ضَعْفًا وَانْكَسَارًا .

اسْتَكْفَى الْكُفَاةَ كُفَى الْأَعْدَاءَ . خَيْرٌ مَالِكَ مَا أَغْنَاكَ . وَخَيْرٌ مِنْهُ مَا وَقَاكَ . صَوْلَةُ الْكَرِيمِ صَيْلَمٌ ^(١) . ذَنْبُ أَسَدٍ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِ كَلْبٍ . بِجَنَهِةِ الْعَبْرِ يُفْدَى خَافِرُ الْفَرَسِ . مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ خَفَّتْ وَطْأَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَاتَهُ ، وَمَنْ تَعَزَّزَ عَلَيْهِ أَهْلَانَهُ . كَمَا يَجِبُ أَنْ تُكُونَ الْبِرَّةَ أَضْوًا مِنَ النَّاطِرِ فِيهَا ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُؤَدَّبُ أَفْضَلَ ^(٢) مِنْ يُوَدَّبُ .

مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَتَّبِعِي عُومِلَ ^(٣) بِمَا لَا يَتَّبِعِي . لَيْسَ فِي الشَّرِّ أَسْوَةٌ ، وَلَا فِي الْخَطِئِ قُلُوبَةٌ . لَنْ تُكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ عَدُوَّكَ ^(٤) إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ فِي عَدَاوَتِكَ عَلَى عَدَاوَتِهِ ، وَتَفَلَّحَ عَمَّا عَادَاكَ عَلَيْهِ ، وَتَبَيَّضَ وَلِيُّكَ إِذَا عَصَى اللَّهُ فِي مُوَالَاتِكَ ، وَتَنَزَّعَ عَمَّا وَالَاكَ عَلَيْهِ . لَا تُكُنْ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ . الشَّقِيُّ مَنْ جَمَعَ لِغَيْرِهِ ، وَضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ . شَرُّ ^(٥) أَخْلَاقِ الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَ خَيْرَهُ . مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا رِجْلَهُ ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا رَأْسَ مَالِهِ كَانَتْ الْآخِرَةُ خَسَارَتَهُ . أَفْضَلُ الْعِلْمِ ^(٦) وَقُوفُ الرَّجُلِ عِنْدَ عَلَيْهِ . أَفْضَلُ الْمَالِ مَا قُضِيَتْ بِهِ الْحُقُوقُ . الْبِدْعُ فِخَاخٌ ^(٧) مَحْبُوءَةٌ قَدْ عُلِقَتْ عَلَيْهَا الْفَاطُ ظَاهِرَةٌ . رِضَاءُ ^(٨) الْعَامَّةِ أُمْنِيَّةٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ^(٩) ، وَرِضَاءُ الْخَاصَّةِ يَقِينٌ عَلَى نِقَةٍ . الْقَلِيلُ مِنَ الْمَلِكِ كَالْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ . عَطَاءُ الْمُلُوكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ ^(١٠) .

(١) صَيْلَمٌ : أَيْ تَسَاوَيْلٌ مَا تُصِيبُ .. وَفِي « ط » : « سَلِيمَةٌ » .

(٢) فِي « م » : « خَيْرٌ مِنْ يُوَدَّبُ » ، وَالصَّوَابُ : « خَيْرًا » ، بِالنَّصْبِ .

(٣) فِي « م » : « عَمَلٌ » .

(٤) فِي « م » : « غَيْرُكَ » .

(٥) فِي « م » : « مَنْ » ، مَكَانَ « شَرِّ » ، تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي « م » : « أَفْضَلُ الْعُلُومِ » .

(٧) فِخَاخٌ : مَصَاتِدٌ .

(٨) فِي « ط » : « رِجَاءٌ » ، مَكَانَ « رِضَاءٍ » ، فِي الْمَوْضِعَيْنِ .

(٩) فِي « م » : « عَلَى غَيْرِ ثِقَةٍ » .

(١٠) فِي « م » : « عَطَاءُ الْمَلِكِ زِينَةٌ ، وَسُؤَالُهُمْ شَرَفٌ » .

وَفِي الْأَمْثَالِ : جَاوَزَ بَحْرًا أَوْ مَلِكًا . إِذَا كَذَبَ السَّيْفِيرُ بَطَلَ التَّدْبِيرُ . أُخْبِتِ الْأُزْمِنَةُ زَمَنًا لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الصَّوَابُ . لَا تُعْطُوا فِي الْفُضُولِ مَا خِفْتُمْ الْعَجْزَ عَنِ الْحُقُوقِ ^(١) .
الْآذَانُ أَقْمَاعٌ تُؤَدِّي ^(٢) ، وَالْقُلُوبُ قَوَابِلُ نَعْيٍ . مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَمَّى ذَاهِيًا ^(٣) لَمْ يُظْهِرْ ذَهَاءَهُ . لَا دَلِيلَ أَهْدَى مِنَ التَّوْفِيقِ . الْجَلَاءُ الْبَلَاءُ . مَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلتَّهَمِ فَلَا يَلُومَنَّ ^(٤) مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . الْحِفْظُ قَيْدُ الْعِلْمِ . الْمُدَارَسَةُ ^(٥) إِذْكَاءٌ لِلْفَهْمِ .
الْمُقَاسِمَةُ إِخْيَاءُ الْفِطَنِ ^(٦) . اسْتَدِيمُ النِّعْمَةِ بِالشُّكْرِ ، وَالْقُدْرَةَ بِالْعَفْوِ . وَالطَّاعَةَ بِالتَّائِلِ ^(٧) ، وَالنَّصَرَ بِالتَّوَصُّلِ لِلَّهِ وَالرَّحْمَةَ لِلْخَلْقِ . اسْتِفْلَالُ الْكَيْبَرِ تُعْرَضُ لِلتَّغْيِيرِ .

ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تُدُلُّ عَلَى عَقُولِ أَرْبَابِهَا : الْكِتَابُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ كَاتِبِهِ ، وَالرَّسُولُ يُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُرْسِلِهِ ، وَالْهَدْيَةُ تُدُلُّ عَلَى عَقْلِ مُهْدِيهَا / لَمْ يَحْكَمْ عَلَى الْعُقُولِ حَاكِمٌ كَالْعَبْرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْهَا مُحْكِمٌ كَالْتَجْرِيةِ . مَنْ غَابَ سِفْلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ ^(٨) ، وَمَنْ غَابَ سَيْدًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ ^(٩) . أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُؤْتَمَنَ ^(١٠) عَلَى الدُّنْيَا أَهْلُ الْآخِرَةِ . صَحَّ مِنْ صَحَّتْ سَرَائِرُهُ ، وَسَقَمَ ^(١١) مَنْ سَقَمَتْ ظَوَاهِرُهُ . بِالْكَلامِ يُعْرَفُ فَضْلُ

(١) في م : « العفوق » تحريف .

(٢) أقماع تؤدى : آلات تسمع وتعى .. ويقال : « وَبَلْ لَأَقْمَاعُ الْقَوْمِ » أى : الذين يسمعون ولا يفهمون .

(٣) ذاهياً : بصوراً بالأمور .

(٤) في م : « فلا يكون ممن » تحريف .

(٥) المُدَارَسَةُ : القراءة والذاكرة .

(٦) المقايسة : القدرة على التقدير ، من قاس الشيء قياساً ومقايسة : إذا قَلَّزَهُ .. وَالْفِطَنُ : جمع فِطْقَةٍ ، وهى : الجذق والمهارة .

(٧) في م : « بالتأليف » .

(٨) الرفعة : الشرف ، وارتفاع القلر والمنزلة .

(٩) وَضَعَ نفسه : أدلَّها .

(١٠) في ط : « أن يؤتمن » .

(١١) سَقَمَ : طال مَرَضُهُ .

العقل، كما بالرسول يعرف قدر المرسل. ملاك أموركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزيتكم الأدب، وحسن أغراضكم الحلم. إذا أعطيت مالا ترضى فارض بما أعطيت. كلما ازداد الخير كثرة، كان الخارج منه أشد حسرة، وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة ^(١). الإبقاء على العمل أشد من العمل.

من التوقى ترك الإفراط في التوقى ^(٢)، وتوريت الحرمة والذمام سنة في المروءة ^(٣)، كما أن وراثة التركة فريضة في الديانة. لا تمدحن امرأً بأكثر من قدره فتكون مهيناً لنفسك، كذاها على غيرك. لا تفرحن بسقطعة غيرك ^(٤)، فإنك لا تدري متى يخذلها الزمان بك. من الجفاء الكلام في الأمر الجسيم من غير مشاوررة. أكثر الناس مخادعة لنفسه في أمر جسده عند الحمية، وفي أمر مروءته عند الشهوة، وفي أمر دينه عند الشبهة. المصائب بغات ^(٥). العاقل المذبر أرجى من الأحمق المقتيل.

أشرف الصنائع ^(٦) ما لم يكن مكافأة لِمَاضٍ، ولا رجاء لِبَاقٍ. أرض الطمير ثم كافئه، وأنس الملهى ^(٧) ثم استمع منه. لم تكن غواية ولا هداية ^(٨) إلا واليهما سائق وعنهما ناكص ^(٩). إحسانك إلى الحر يحرضه على المكافأة، وإحسانك إلى

(١) وجبة الوقعة: ثبوت السقطعة ولزومها.

(٢) في م : « : الترقى » بالراء.

(٣) في م : « : تورث الحرمة، والذمام سنة في المودة » .. والحرمة: ما لا يحل انتهاكه من ذمة أو صنعة .. والذمام: العهد والأمان والحق.

(٤) في ط : « : بسقطعة عدوك ».

(٥) قوله: « المصائب بغتات » عن ط : « .. وبغتات، أى: تفاجيء الإنسان على غير توقع ».

(٦) الصنائع: ما صنيع من خير، والأفعال الحسنة.

(٧) الملهى: المشغول.

(٨) في م : « : هداية ولا غواية ».

(٩) السائق: القائد .. والناكص: التراجع والمُتخجم.

الْحَسِيسَ يَتَعْتَهُ عَلَى مُعَاوَذَةِ الْمَسْأَلَةِ . لَيْسَ يُنْتَحَنُ الْأَدِيبُ بِأَنْ يَكُونَ قَاعِيًا لِلْخَيْرِ ،
إِنَّمَا يُنْتَحَنُ بِأَنْ يَكُونَ تَارِكًا لِلشَّرِّ . مَنْ صَنَعَ مَعَكَ خَيْرًا فَأَضْعِفْهُ لَهُ ، وَإِلَّا فَلَا تُعْجِزْ
أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ . الْأَشْرَارُ يَقْبَعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ ^(١) وَيَقْفُلُونَ عَنْ مَحَاسِنِهِمْ ، كَمَا
يَتَّبِعُ الذَّبَابُ الْمَوَاضِعَ الثَّقَلَةَ ^(٢) مِنَ الْجَسَدِ وَيَدْعُ صَحِيحَهُ .

الظُّرْفُ ^(٣) فِطْنَةٌ مَارَجَتْهَا عِبَادَةٌ ، مَعَ حَذَرٍ وَتَوَقُّ ، فَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ التَّوَقُّي
فَصَاحِبُهَا لَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ أَهْلُ الْمُرُوءَةِ ، وَإِذَا خَلَّتِ الْفِطْنَةُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَقَارَتْهَا فَصَاحِبُهَا
فَصَاحِبُهَا غَيْرُ طَلِبٍ ^(٤) . الظُّرْفُ ^(٥) الْأَلْفَاظُ الَّتِي يَرْتَفِعُ عَنْهَا أَهْلُ الْجَلَالَةِ مِنَ
الْمُحْلِصِينَ فِي بَاطِنِ الدُّنْيَا ، وَالْمُتَرَفِّعِينَ فِي ظَاهِرِ الْحَالِ . وَسَمِعْتُ الْقَاضِي أَبَا الْعَبَّاسِ
الْجُرْجَانِي ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، بِالْبَصَرَةِ يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اتَّبَعَ بِسَارِقٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَسْرَقْتَ ؟ قُلْ : لَا . فَقَالَ الرَّجُلُ :
لَا . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَطَرِيفٌ .

جَهْدُ الْبَلَاءِ ^(٦) الْإِفْقَالُ وَالْعِيَالُ . يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَتَطَامَنَ لِلْجَاهِلِ ^(٧) بِقَدْرِ
مَا رَفَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . الْقَلُّ أَقْفَرُ إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ مِنَ الْجَسَدِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .
أَعْظَمُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ زَالَتْ نِعْمَتُهُ وَبَقِيَتْ ^(٨) شَهْوَتُهُ ، وَضَاقَتْ قُدْرَتُهُ ^(٩) . قَلُّ الْعِيَالِ
أَحَدُ الْيَسَارَتَيْنِ ^(١٠) . مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ ^(١١) خَيْرٌ مِنَ انْتِظَارِ الْمَقْهُودِ . مَنْ

(١) يَقْبَعُونَ مَسَاوِيءَ النَّاسِ : يَطْلُبُونَهَا .

(٢) الثَّقَلَةُ : الْفَاسِدَةُ .

(٣) الظُّرْفُ : الْفِطْنَةُ وَالْكِيَاةُ .

(٤) فِي « م » : « فَصَاحِبُهَا طَلِبٌ » .

(٥) فِي « م » : « الظُّرْفُ فِطْنَةٌ مَعَهَا بَعْضُ الْإِرْسَالِ » .. وَالْإِرْسَالُ : الْإِطْلَاقُ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ .

(٦) جَهْدُ الْبَلَاءِ : كِبَرَةُ الْعِيَالِ وَالْفَقْرُ .

(٧) يَتَطَامَنُ لِلْجَاهِلِ : يَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ لَهُ .

(٨) فِي « ط » : « وَبُحْتٌ » .

(٩) فِي « ط » : « مَقْدَرَتُهُ » .

(١٠) الْيَسَارَتَيْنِ : السَّهُولَةُ وَالْيُسْرَى .

(١١) مُعَالَجَةُ الْمَوْجُودِ : التَّمَامُلُ مَعَهُ وَالرِّضَا بِهِ .

عَدِمَ ^(١) الْحَيَاءَ عِنْدَ الْفَضِيحَةِ ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ النَّصِيحَةِ ^(٢) سَهَلَتْ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي كُلُّهَا . الْعَالَمُ مِثْلُ السَّرَاجِ ، مَنْ مَرَّ بِهِ اقْتَبَسَ مِنْهُ .

مَنْ تَقَدَّمَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ نَصَرَهُ التَّوْفِيقُ . لَنْ تَكُونَ لِلَّهِ نَاصِحًا حَتَّى تُحِبَّ أَنْ يَكُونَ ^(٣) غَدُوكَ مُطِيعًا . مَنْ أَذَلَّ ^(٤) النَّاسَ بِلَا سُلْطَانٍ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ . مَا دَحَلَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مُحَاطَبٌ لِفَعْلِكَ ^(٥) ، فَجَوَابُهُ وَتَوَابُهُ سَاقِطَانِ عَنْكَ ^(٦) . الْمَكْرُ وَالْحَدِيعَةُ فِي النَّارِ . الْأَحْدَاثُ تَأْتِي عَلَى ^(٧) مَا مِنْهُ يُؤْمَى الْحَذَرُ . الْمَأْكُولُ لِلْبَدَنِ ، وَالْمَوْهُوبُ لِلْمَعَادِ ، وَالْمَحْفُوظُ لِلْعَدُوِّ . مَنْ ^(٨) غَضِبَ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى غَمِّهِ عَذَّبَ نَفْسَهُ ، وَاشْتَدَّ غَيْظُهُ . أُطْلُبْ مَا يَنْعِيكَ وَاتْرِكْ مَا لَا يَنْعِيكَ ، فَإِنْ فِي تَرْكِ مَا لَا يَنْعِيكَ دَرَكٌ مَا يَنْعِيكَ . مِنْ أَلْكَى الْأَشْيَاءِ لِعَدُوِّكَ أَنْ تُرِيَهُ ^(٩) أَنَّكَ لَا تُعَادِيهِ . كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .

الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الشَّيْءِ خَيْرٌ مِنَ الْاسْتِعْنَاءِ بِهِ . وَمِنْ خَيْرِ خَبَرٍ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَطَرِ . لَا فَخْرَ فِيمَا يَزُولُ ، وَلَا غِنَى فِيمَا لَا يَبْقَى . شَرُّ الْعُيُوبِ مَا كَانَ مُعِينًا عَلَى الْعُيُوبِ ^(١٠) . شَرُّ الدُّنُوبِ مَا كَانَ عِلَّةً لِلدُّنُوبِ . أَهْلُغِ الرُّسُلَ الْكُتُبُ . حَافِلِ الْأُمُورَ بِالنَّصِفَةِ وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ ^(١١) . مَنْ أَرَادَ جَمَالًا لَا تَهْدِمُهُ الْأَيَّامُ فَلْيَصْنَبِ

(١) عَدِمَ : فَقَدَ .

(٢) فِي د م : : الصبر على النصيحة .

(٣) فِي د م : : أَنْ يَكُونَ لَهُ .

(٤) فِي ط : : مَنْ آذَى .

(٥) فِي د م : : مُحَاطَبٌ بِمَا لَيْسَ فِيكَ .

(٦) فِي ط : : عِنْدَكَ .

(٧) فِي ط : : تَأْتِي مِنْ عَلَى .

(٨) فِي د م : : وَمِنْ .

(٩) فِي د م : : أَنَّكَ تَرِيهِ .. وَأَنْكِي : أَغْلِبَ وَأَهْرَ .

(١٠) فِي د م : : مَا كَانَ مُضْمِنًا لِلْعُيُوبِ .

(١١) النصف : العمل والحق .. وَأَنَا زَعِيمٌ لَكَ بِالظُّفْرِ ، أَيْ : وَأَنَا كَفِيلٌ لَكَ بِالْفُوزِ وَالغَلْبَةِ .

الْمُرُوءَةَ وَالصِّيَانَةَ ، فَهَمَّا ذِرْوَةُ ^(١) الشَّرَفِ . رَبُّ أَمْرٍ لَهُ مَا بَعْدُهُ . مَنْ سَبَقَ إِلَيْكَ كَانَ لَكَ صَفْوُهُ . مِنْ شُرُوطِ الْمُرُوءَةِ التَّعَانُ لِلضَّعِيفِ ^(٢) . الْمُرُوءَةُ تَرْكُ الرِّيَّةِ . يَكَاذُ اسْتِغْنَاءُ الْقَوَى عَلَى الضَّعِيفِ أَنْ يَكُونَ ظَلَمًا . يَكَاذُ اسْتِغْنَاءُ الْغَنَى مِنَ الضَّعِيفِ أَنْ يَكُونَ جَوْرًا . الْقُرْآنُ ظَاهِرُهُ أُنَيْقٌ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، أَوَّلُهُ حُكْمٌ وَآخِرُهُ عِلْمٌ ^(٣) .

الْمُحَادَّةُ ^(٤) عَلَى الطَّعَامِ تَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ ، وَتُذْهِبُ الْحِشْمَةَ ، وَتُزِيلُ الْإِقْبَاضَ . لَنْ تَنَالَ مَا تُحِبُّ حَتَّى تُصْبِرَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا تُكْرَهُ ، وَلَنْ تَنْجُو مِمَّا تُكْرَهُ حَتَّى تُصْبِرَ عَنْ كَثِيرٍ ^(٥) مِمَّا تُحِبُّ . ذَهَابُ الْبَصَرِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّظَرِ ^(٦) . لَا تُعْدُ الْعَزَمُ عَزْمًا إِذَا سَاقَ غَمًّا . مَعَ الرَّأْيِ الْأَوَّلِ الْوَهْمُ . النَّظَرَةُ بَعْدَ النَّظَرَةِ تَعْقُبُ لِمَا قَبْلَهَا وَتَزِيدُ لِمَا بَعْدَهَا ^(٧) . لَيْسَ ^(٨) مَذْحُ الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ تَرْكِيَّةٌ . أَلْعَمُ النَّاسِ مَنْ كَفَى أَمْرَ دُنْيَاهُ وَلَا يُهَمُّهُ أَمْرُ دِينِهِ ^(٩) . الْغَرِيبُ مَنْ قَدَّ إِخْوَانَهُ وَنُظَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِي وَطَنِهِ . الْغَرِيبُ مَنْ لَا صَدِيقَ لَهُ . الْغَرِيبُ الْفَقِيرُ . الْغَرِيبُ الْأَحْمَقُ . الْغَرِيبُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ .

شَيْفَانٍ لَا يَسْتَجِى الْعَاقِلُ مِنْهُمَا : الْمَرَضُ ، وَذُو الْقَرَابَةِ الْفَقِيرُ . مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا سَبَبَ صَلَاتِهِ فَأَتَتْهَا سَبَبُ قَطْعِهِ ، فَاحْذَرْ أَنْ تُجْعَلَهَا وَسِيطًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ . عَلَامَةُ الْأَشْرَارِ أَنْ ^(١٠) مَنْ خَالَطَهُمْ لَا يَسْلَمُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ تَرَكَهُمْ لَا يَصْرِفُوا شَرَّهُمْ عَنْهُ ،

(١) الذَّرْوَةُ ، بكسر الذال المعجمة وضمها : أعلى كل شيء .

(٢) التعانين للضعيف : أن يتغلب له رافة به .

(٣) الْحُكْمُ : القضاء .. والوَهْمُ : التفقه والحكمة .

(٤) في د م : : د المحاداة .

(٥) في د م : : على كثير .. وصبر على الأمر : احتمله ولم يزعج .. وصبر عنه : حبس نفسه عنه .

(٦) يبريد بالنظر هنا : النظر إلى المُحَرَّمَاتِ .

(٧) تَعَقَّبَ لِمَا قَبْلَهَا ، أى : تلووه وتأقى بعده .. والتَّزِيدُ : الزيادة والتكلف .

(٨) في د م : : د وليس .

(٩) كَفَى أَمْرَ دُنْيَاهُ : وجد ما يكفيه منها فاستغنى به ، أو قنع به .. ولم يهجم دينه : لم يقلقه .. ول د م : :

ولا يهجم أمر دينه .

(١٠) د أن : عن د ط .

وَأَمَّا الْأَخْيَارُ فَمَنْ خَالَطَهُمْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ غَالَطَهُمْ ^(١) تَرَكَ رُشْدَهُ . أَلِيرُ ثَلَاثَةٌ :
الْصُّدُقُ فِي الْقَضَبِ ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ . مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ
طَالَتْ مَعْبَتُهُ ^(٢) . سَتَسَاقُ إِلَى كُلِّ مَا أَتَتْ لَاقِي .

إِذَا صَحِبَ الْإِزْيَادُ الرُّشَادَ وَجَدَ الْمَرَادَ . مَا أَغْنَى ^(٣) مِنَ الذَّمِّ مَنْ مَلَكَهُ الْجَهْلُ .
وَلَا ظَفِيرَ بِالْعِزِّ مَنْ اخْتَمَلَ مَا فِي الْمُنْصِيَةِ مِنَ الدَّلِّ ^(٤) ، وَلَا خَرَجَ مِنَ الدَّنَاءَةِ مَنْ
صَرَفَ جَمِيعَ عَقْلِهِ ^(٥) إِلَى الدُّنْيَا . أَخُو الظُّلَمَاءِ مُرِيبٌ . الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسَبَةِ ^(٦) .
مَاعِدٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَا ^(٧) مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى ، وَلَا كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى مَنْ حَادَ
عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى . مَنْ ذَمَّ أَذْنَى الْإِحْسَانِ لَامْتِنَاعٍ أَقْصَاهُ لَمْ يَحْمَدْ شَيْئًا مِنْهُ . مِنْ
دَوَاعِي الْهَلَكَةِ إِضَاعَةُ الْمَعْرِفَةِ . وَاعْجَبَا لِمَنْ بَنَى دَارَهُ وَجَسَمَهُ يُهْلِكُهُ ، وَلِمَنْ يَبْنِي
أُمُورَ الدُّنْيَا ^(٨) وَأُمُورُهُ فِي نَفْسِهِ تَحْتَلُّ ^(٩) .

قَالَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا كَانَ عَلَيْنَا ، وَالسَّائِكُ أَخُو الرَّاضِي .
الْكَاتِبُ لِلْعِلْمِ كَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، أَوْ هُوَ غَيْرُ وَائِقٍ فِيهِ بِالصَّوَابِ . الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ
لِسَانِهِ . قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُخْسِنُ . الْعِلْمُ بِمَا فِي الْمُنْصِيَةِ مِنَ الثَّوَابِ يَنْسِي الْمُنْصِيَةَ .
شَرٌّ مِنَ الْمُنْصِيَةِ سُوءُ الْخُلُقِ ^(١٠) . مِنْهَا . الْحِكْمَةُ رَيِّعُ الْقُلُوبِ . الْخُصُومَةُ تَكْشِفُ

(١) غَالَطَهُمْ : أَوْعَاهُمْ لِي الْغُلَطِ .. وَلِي « م » : « وَمَنْ جَانِبَهُمْ » أَيْ : فَارْقَهُمْ وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ .

(٢) مَعْبَتُهُ : مِلَامَتُهُ .

(٣) فِي « م » : « مَا أَغْنَى » .

(٤) قَوْلُهُ « مِنَ الدَّلِّ » عَنْ « ط » .

(٥) فِي « م » : « مَنْ صَرَفَ عَقْلَهُ » .

(٦) قَوْلُهُ « أَخُو الظُّلَمَاءِ مُرِيبٌ » وَ « الْمَسْأَلَةُ آخِرُ الْمَكْسَبَةِ » عَنْ « ط » .. وَأَخُو الظُّلَمَاءِ : الْإِنْسَانُ الْغَامِضُ

الْمَلْفُوزُ .. وَالْمَكْسَبَةُ : مَا يُكْسَبُ .

(٧) الْحِجَا ، بِالْكَسْرِ وَالْقَصْرِ : الْعَقْلُ .

(٨) فِي « م » : « أَمْرُ الدُّنْيَا » .. وَبِهِمْ : يُحْكَمُ .

(٩) فِي « م » : « تَحْتَلُّ » أَيْ : تَتْرَكَ .

(١٠) فِي « م » : « سُوءُ الْخُلُقِ » .

الْعَوْرَةَ وَتَوْرَثَ الْمَعْرَةَ . بَلَاءُ الْمُؤْمِنِ مِنْ عَافِيَتِهِ ^(١) كَالثَّارِ حَرِيقُهَا مِنْ نُورِهَا . قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . مَنْ لَمْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ عَنْ قَدْرِ الْجَاهِلِ ، رَفَعَ الْجَاهِلُ قَدْرَهُ عَلَيْهِ . الذَّلَّةُ مَعَ الْفَقْلَةِ . تَجُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِئِدْيَتِهَا ^(٢) . مَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَيِّ ^(٣) آجِلٍ . الْغَضَبُ عِنْدَ الْمُنَاطَرَةِ ^(٤) مَنَسَاءٌ لِلْحُجَّةِ .

الِاخْتِصَارُ اثْبَتَ لِلْمُتَكَلِّمِ وَأَفْهَمَ لِلْسَامِعِ . الْكَلْبُ فِي الْحَاضِرَةِ ^(٥) يَنْبَحُ الضَّيْفَ وَيَذْفَعُ الزَّائِرَ ، وَيُرْدُ السَّائِلَ ، وَالْكَلْبُ فِي الْبَادِيَةِ يُعِينُ الصَّاحِبَ ، وَيَنْذِرُ بِالضَّيْفِ ، وَيَذْفَعُ السَّارِقَ . لَا تُفْتَرِ يَقُولُ الْجَاهِلُ لَكَ : إِنْ فِي يَدِكَ لَوْلُوءَةٌ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا بَعْرَةٌ . مِثْلُ الصَّلَاةِ مَعَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ مِثْلُ السَّفِينَةِ مَعَ جَمِيعِ مَنْ فِيهَا ^(٦) ، إِنْ سَلِمَتْ سَلِمَ الْكُلُّ ، وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ ^(٧) . الْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِتْنَةٌ ^(٨) . طَلَبُ الْمَطْمَعِ حَزْمٌ ، وَطَلَبُ الْمُؤْمِسِ عَجْزٌ ^(٩) . قَدْ يَنْظُرُ الْمَنْطِقِيُّ مَنْ يُعْنَى بِهِ . إِذَا فَسَدَ الزَّمَانُ كَسَدَتْ أَفْضَالُ وَضُرَتْ ، وَتَفَقَّتِ ^(١٠) الرِّذَائِلُ وَتَفَعَّتْ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمُؤْمِسِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِ الْمُعْصِرِ .

-
- (١) أى : مِنْ تَمَامِ صِحَّتِهِ وَبَرِّهِ مِنَ الْعِلَلِ .. وَفِي « م » : « مِنْ عَافِيَتِهِ » .. وَالْعَاقِبَةُ : آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَاتَمَتُهُ .
 (٢) فِي « م » : « بِئِدْيَتِهَا » .. وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْحُرَّةَ لَا تَكُونُ ظُفْرًا وَإِنْ أَذَاهَا الْجُوعُ .. وَالظُّفْرُ ، هِيَ الَّتِي تُرْضِعُ وَلَدَ غَيْرِهَا .. وَيُضْرَبُ هَذَا الْمَثَلُ فِي صَيَانَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنْ خَسِيسِ الْمَكَاسِبِ .
 (٣) الضَّيُّ : الْمَرَضُ .
 (٤) الْمُنَاطَرَةُ : الْمَجَادَلَةُ وَالْمِبَاحَثَةُ .
 (٥) الْحَاضِرَةُ : خِلَافُ الْبَادِيَةِ ، وَهِيَ الْمَدَنُ وَالْقُرَى وَالرِّيفُ .
 (٦) فِي « م » : « مَا فِيهَا » .
 (٧) فِي « م » : « وَإِنْ أَصِيبَتْ أَصِيبَ الْكُلُّ » .
 (٨) فِي « م » : « فِيهِ » تَحْرِيفٌ .
 (٩) الْمَطْمَعُ : مَا يُطْمَعُ فِيهِ وَيُرْغَبُ .. وَفِي « م » : « الطَّمَعُ » تَحْرِيفٌ .. وَالْمُؤْمِسُ : الْخَاضِعُ الدَّلِيلُ .. وَفِي « م » : « الْمُؤْسِرُ » تَحْرِيفٌ أَيْضًا .
 (١٠) تَفَقَّتْ : رَاجَتْ وَرُغِبَ فِيهَا .. وَفِي « م » : « تَفَعَّتْ » تَحْرِيفٌ .

لِقَاءُ أَهْلِ الْخَيْرِ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ . لَا يَصِيدُ الْكَثِيرَ مَنْ لَا يَصِيدُ لِنَفْسِهِ ^(١) الْوَاحِدَةَ .
بِالْعَمَلِ يَحْسُنُ الْمُنَطِقُ ، وَبِالْقُوَّةِ يَتِمُّ الْعَمَلُ . الْفِكْرَةُ مِرَاةٌ . مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ
مِخْنَةٌ ^(٢) مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَكَثُرَ مَجْدُهُ . الْأَدَبُ مَعَ الْعَقْلِ كَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالْعَقْلُ
بِلَا أَدَبٍ كَالرَّجُلِ الْعَقِيمِ . الْمَاءُ الْهَيَّ مِنْ الْقَوْلِ ، وَالْقَلْبُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ ، وَقَدْ
يُظْلِمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ ^(٣) إِذَا كَثُرَ الْحِدَارَةُ عَلَيْهِ . أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ إِخْفَاءُ الْفَاقَةِ ^(٤) . أَوْلَى
النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ . لَمْ يَغِبْ مِنْ شَهِدَ رَأْيُهُ ، وَلَمْ يَنْفَرِ
مَنْ بَقِيَ أَثَرُهُ ، وَلَمْ يَمُتْ مَنْ خَلَدَ عِلْمُهُ . وَقَدْ سَبَقَ الْمَثَلُ : كَيْسَ بِهِالِكٍ مَنْ تَرَكَ
بِثَلِّ مَالِكٍ ^(٥) . كَمَا أَنَّهُ قَبِيحٌ إِذَا رَكِبْنَا الْخَيْلَ أَنْ نَجْرِيَ بِهَا حَيْثُ أَرَادَتْ ذُنُونُ أَنْ
لُدِيرَهَا ، كَذَلِكَ قَبِيحٌ أَنْ يَجْرِيَ الْبَدَنُ وَالنَّفْسُ بِالْعَقْلِ حَيْثُ أَرَادَتْ ^(٦) مِنْ
الشَّهَوَاتِ .

أَشَقُّ الْأُمُورِ مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ . عَائِبُ الْمُجْتَمَعِ عَلَيْهِ مَحْجُوجٌ ^(٧) . كَيْسَ شَيْءٌ
مِنَ الْبِرِّ إِلَّا وَدُونَهُ عَقَبَةٌ مِنَ الصَّبْرِ . ضَرْبُ الْإِنْسَانِ عَارٍ بَاقٍ وَوَثَرٌ مَطْلُوبٌ ^(٨) . قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : هَلْ لِلْغَضَبِ مَادَّةٌ تَحْسِبُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ كَيْسَ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ مُطَاعًا أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُخْدَمَ أَبَدًا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يُحْتَمَلَ خَطَاؤُهُ أَبَدًا ،
وَلَا يَجِبُ أَنْ يُصْبَرَ عَلَيْهِ أَبَدًا ، بَلْ قَدْ يُطِيعُ وَيُخْدَمُ ، وَيَحْتَمَلُ الْخَطَأَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى
التَّوَاتُبِ ، فَإِذَا عَقَلَ ^(٩) ذَلِكَ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ غَضِبَ ^(١٠) فَقَلِيلٌ .

(١) في « م » : : نفسه .

(٢) « حنة » عن « م » .

(٣) في « م » : : في الحجر . وَيُظْلِمُ الْمَاءُ الْحَجَرَ : يُحْدِثُ فِيهِ شَقًّا .

(٤) الفاقة : الفقر والحاجة .

(٥) أي : مثل مالك بن أنس في العلم .

(٦) في « م » : : أَنْ يَجْرِيَ عَلَى الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ الْعَقْلُ حَيْثُ أَرَادَ .

(٧) أي : الذي يجب شيئاً أجمع عليه الناس ، فالحُجَّةُ قاطعة عليه .

(٨) وَثَرٌ مَطْلُوبٌ : ثَأْرٌ مَطْلَابٌ بِهِ .

(٩) في « م » : : وَإِذَا قَلَّ .

(١٠) في « م » : : وَإِذَا غَضِبَ .

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِنَفْسِهِ . لَا تَنْفَعُ كَثْرَةُ الْعِلْمِ لِمَنْ لَا يَعْمَلُ ، كَمَا لَا يُغْنِي ضَوْءُ الشَّمْسِ عَمَّنْ لَا يَبْصُرُ ^(١) . رَضِيَ بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ ضَرَّهُ بِتَرْكِ التَّوَرُّعِ ، وَأُزْزِيَ بِنَفْسِهِ مَنْ امْتَشَعَرَ الطَّمَعُ . الْبِدْعُ فُخُوحٌ تَسْتَرْهَا ^(٢) زَخْرَفَةُ الْكَلَامِ وَخِدْعُ الْمَقَالِ ^(٣) . النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِخْوَانِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ . صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ ، وَعَدُوُّهُ حُمْقُهُ . مَنْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ ^(٤) النِّعْمَةُ أُدِيمَتْ لَهُ الرُّغْبَةُ . يُحْفَظُ الْأَخْمَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ . لَا جُودَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا صَدَاقَةَ إِلَّا بِوَفَاءٍ ، وَلَا فِقْهَ إِلَّا بِوَرَعٍ .

الْعَلِيلُ الَّذِي يَشْتَهِي أَرْجَى مِنَ الصَّبْحِجِ الَّذِي لَا يَشْتَهِي . قُلُوبُ الرُّجَالِ وَخَشِيَّةٌ ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ . اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ . لِقَاءُ الرَّجُلِ إِحْلَاءٌ مَسَلَةٌ ^(٥) لِلنَّهْمِ . مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ اللَّهِ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَذْيِيرِ نَفْسِهِ ، وَالْأَحْلَامُ قَرْحٌ وَهَمٌ كَاذِبٌ ، وَالْعَامِلُ بِهَا كَالْمُعْتَمِدِ عَلَى الظِّلِّ الرَّائِلِ . الدُّنْيَا ذُوْلٌ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَثَاكٌ ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَقْوْ عَلَى دَفْعِهِ ^(٦) . الْعَاقِبَةُ خَيْرٌ مِنَ الزَّائِقَةِ . الْكَرِيمُ لَا يَسْتَحِي مِنْ إعْطَاءِ الْقَلِيلِ . الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقِيرِ . الْكَرَمُ حُسْنُ الْفِطْنَةِ ، وَاللُّؤْمُ ^(٧) سُوءُ التَّعَافُلِ . اخْتِلَافُ كَلَامِ الْمَرْءِ دَلِيلٌ عَلَى مِيلِ الْهَوَى بِهِ . مِنْ حَقِّ النِّعْمَةِ أَنْ يُرَى أَثَرُهَا .

مَنْ ^(٨) كَانَ شَبَعُهُ فِي الطَّعَامِ لَمْ يَزَلْ جَائِعًا ، وَمَنْ كَانَ غِنَاهُ فِي الْمَالِ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِحَوَائِجِهِ الْخَلْقِ لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا ، وَمَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ مَحْدُولًا . مَنْ خَافَ مِنْ فَوْقِهِ خَافَهُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ فَوْقِهِ

(١) فِي م : : لَا يَبْصُرُهُ .

(٢) فِي ط : : يَسْتَرْهَا .

(٣) فِي ط : : الْمَالِ .

(٤) فِي م : : عَلَيْهِ .

(٥) مَسَلَةٌ : نِسْيَانٌ .

(٦) فِي م : : دَفْعِهِ بِقُوَّتِكَ .

(٧) فِي م : : وَالْكَرَمُ مَكْرَةٌ .. وَلَا تَصَحُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٨) فِي م : : وَمِنْ .

لَمْ يَخْفَهُ مِنْ دُونِهِ ^(١) . مَا تُحْسِنُهُ وَلَا ^(٢) تَعْمَلُ بِهِ ، لِغَيْرِكَ نُورُهُ وَعَلَيْكَ بُورُهُ ^(٣) .
وَأَعَجَبًا لِمَنْ يَحْتَارُ الْمَذَلَّةَ فِي طَلَبِ مَا يَفْتَنِي عَلَى الْبُزْ فِي طَلَبِ مَا يَنْقَى . مَنْ حَدَرَكَ
كَمَنْ بَشَرَكَ . الشُّمُوعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَأَتَّفِقْ مِنْهَا ، فَإِنِهَا
لَا تَفْنَى ، وَإِذَا أَذْبَرْتَ عَنْكَ فَأَتَّفِقْ مِنْهَا ، فَإِنِهَا لَا تَبْقَى ^(٤) . قَالَ الشَّاعِرُ :
فَأَتَّفِقْ إِذَا أُبْسِرْتَ غَيْرَ مُقْتَسِرٍ وَأَتَّفِقْ عَلَى مَا خَلَّكَ حِينَ تُعْسِرُ ^(٥)
فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُحْلُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْحِطُّ مُذِيرٌ ^(٦)
وَلِغَيْرِهِ :

لَا تَبْخُلَنَّ بِدُنْيَا وَهَى مُقْبِلَةٌ فَلَنْ يَضُرَّ بِهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ ^(٧)
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالشُّكْرُ مِنْهَا إِذَا مَا أَذْبَرْتَ خَلْفَ ^(٨)

الْغَرِيبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ . مَنْ سَلَكَ الْحِذَارَ ^(٩) أَمِنَ الْغَارَ . لَمْ يَخْرَ رَاكِبُ
الْقَصْدِ ^(١٠) . عَجَبًا لِلْيَمِّ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ، وَيَقْوُوهُ الْكَرَمُ الَّذِي أَتَاهُ
يَطْلُبُهُ ^(١١) ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا غَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .
مَنْ يَطْلُ ذَبْلُهُ ^(١٢) يَكْثُرُ وَيَلُهُ . وَقَالَ عَلِيُّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١٣) : مَا يَطْلُ فَيَمْلُ اللَّهُ

(١) من قوله : « مَنْ اسْتَعَانَ فِي أَمْرِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ » إِلَى هُنَا عَنْ « ط » .

(٢) فِي « ط » : « وَمَا » .

(٣) بُورُهُ : كِسَادُهُ وَتَعَطُّلُهُ .

(٤) فِي « م » : « فَاَلتَّائِقِي » تَحْرِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٥) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّرِيلِ : وَتَحَوَّلَتْ : صَوَّرَتْ وَشَبَّهَتْ .. وَفِي « ط » : « عَلَى مَا بَخَلْتُ » .. وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى
مِنَ الْبَيْتِ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ج ٣ ص ٢٠١ : « فَاتَّفَقَ إِذَا انْفَقَتْ إِنْ كُنْتُ مُوسِرًا » .

(٦) الْحِطُّ : النَّصِيبُ .. وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « الْجَدُّ » مَكَانُ « الْحِطِّ » فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَهِيَ هِمَاكُمَا .

(٧) الْبَيْتَانِ مِنَ الْبَسِيطِ .. وَالشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْبَيْتِ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ص ٤٤ :

« فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ » .. وَالسَّرْفُ : الْإِسْرَافُ وَالتَّبَذِيرُ .

(٨) فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ : « فَإِنْ » مَكَانُ « وَإِنْ » وَ « فَالْحَمْدُ مِنْهَا » مَكَانُ « فَالشُّكْرُ مِنْهَا » .

(٩) فِي « م » : « الْجَدُّ » وَهِيَ الْأَرْضُ الظَّلِيطَةُ الصَّلْبَةُ .. وَهِيَ كِتَابَةٌ عَنِ الْإِسْقَامَةِ .

(١٠) أَيْ : لَمْ يَطْلُ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْإِسْقَامَةِ .

(١١) فِي « م » : « يَطْلُبُ » .

(١٢) أَيْ : مَنْ يَتَكَبَّرُ وَيَسِيرُ مُتَبَهِّجًا بَيْنَ الْعِبَادِ .

(١٣) فِي « م » : « وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » .. وَ « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » عَنْ « ط » .

يَتَطَلَّقُ بِهِ ^(١) . عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . إِنْ أُخْبِيتَ أَنْ لَا يَقُوْلَكَ مَا تَسْتَهْيِي ، فَاشْتِهِ مَا يُمَكِّنُكَ . مَنْ قَصَدَ أَسْهَلَ ^(٢) ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَوْعَرَ . الْفَصْدُ أَشْرُ الْجِمَامِ ^(٣) . شَرُّ السَّيْرِ الْحَفَقَةُ ^(٤) . بَوَى لِنَفْسِكَ فِي الْمَجَالِسِ مَجْلِسًا لَا يَقْصُرُ بِكَ وَلَا تُقَامُ عَنْهُ ^(٥) . اقْطَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ يَقْطَعُهُ مِنْ صَدْرِكَ ^(٦) ، وَازْجِرِ الْمُسِيءَ بِإِثَابَةِ الْمُحْسِنِ لِكَيْ يَرْغَبَ فِي الْإِحْسَانِ .

لَنْ يَهْلِكَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ ^(٧) . الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ . خَيْرُ النَّاسِ لِبَعْضِهِ خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ . إِحْسَانُ اللَّهِ مَكْفُورٌ ^(٨) عِنْدَ مَنْ أَصْبَحَ مُصِيرًا عَلَى ذَنْبٍ مَسْتَوٍ . يَصِيرُ التَّحَلُّقُ خُلُقًا بِالْاجْتِهَادِ وَالْإِعْتِيَادِ . الْحَجَرُ الْقَصْبُ فِي الْبُتْيَانِ رَهْنٌ عَلَى الْخَرَابِ . رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رَيِّهِ . رَبُّ رَأْيٍ أَنْفَعُ مِنْ مَالٍ ، وَحَزْمٌ أَوْفَى مِنْ رِجَالٍ . مَنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ ثَابَتَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ . مَنْ ذَمَّ الزَّمَانَ لَمْ يَحْمِدِ الْإِخْوَانَ . بِتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ تُعْلَمُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ . مَنْ عَرَفَ الزَّمَانَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى تَرْجُمَانٍ . مَنْ ^(٩) عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الْاسْتِعْدَادِ . رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ . الطَّاعَةُ غَنِيْمَةٌ الْأَنْكِيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَاجِزِ ^(١٠) . كُلَّمَا اسْتَدَّ الظَّلَامُ حَسَنَ ضَوْءِ السَّرَاجِ . الشَّاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَأَ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى ^(١١) أَوْ حَسَدٌ .

(١) فِي « م » : « مَنْ يُظَلُّ » .. وَيَتَطَلَّقُ بِهِ : يُعْتَصِدُ بِهِ وَيُعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

(٢) قَصَدَ ، أَيْ : تَوَسَّطَ فِي الْأَمْرِ ، لَمْ يُقْرِطْ وَلَمْ يُقْرِطْ .. وَأَسْهَلَ : كَانَ سَهْلًا مَقْبُولًا لَدَى النَّاسِ .

(٣) فِي « م » : « أَحَدٌ » .. وَالْفَصْدُ : إِخْرَاجُ مِقْدَارٍ مِنَ الدَّمِ مِنَ الْوَرِيدِ بِقَصْدِ الْعِلَاجِ .. وَالْجِمَامُ : قِضَاءُ الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ .

(٤) الْحَفَقَةُ : شِدَّةُ السَّيْرِ .

(٥) بَوَى لِنَفْسِكَ ، أَيْ : أَعَدَّ لِنَفْسِكَ .. لَا يَقْصُرُ بِكَ : لَا يَصِيرُ قَصِيرًا بِكَ ، أَوْ مَكَانًا يُنَاسِبُ مَكَانَكَ وَقَدْرَكَ .. وَلَا تُقَامُ عَنْهُ : لَا يُقِيمُكَ عَنْهُ أَحَدٌ .

(٦) فِي « م » : « اقْلَعْ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ » .

(٧) فِي « م » : « مَنْ وَعَظَكَ » .. وَتُسْتَعْمَلُ « مَا » لِفِعْلِ الْعَاقِلِ .

(٨) مَكْفُورٌ : لَا يُحْمَدُ .

(٩) فِي « م » : « وَمَنْ » .

(١٠) فِي « م » : « الْعَجِزَةُ » وَهِيَ جَمْعُ عَاجِزٍ .

(١١) فِي « م » : « وَبِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عَمَى » .

أَوَّلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ مَنِ اخْتَجَّ إِلَيْهَا فَحَرَمَهَا . مَنْ لَمْ يَنْدِرْ قَلْبَهُ الْبَلِيَّةَ لَمْ يَرْحَمْ أَهْلَهَا . كَفَاكَ أَذْبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِهَا . مُجَالَسَةُ الْأَخْمَقِ غَرَرٌ ^(١) ، وَالْقِيَامُ عَنْهُ ظَفَرٌ . لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فِي الَّذِي كَانَ ^(٢) شُغْلٌ . الْبُحْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِيءِ الْغُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ . إِذَا صَحَّ الْقَلْبُ وَصَحَّ الْعَمَلُ كَانَ التَّوْفِيقُ . إِخْرَازُ الْعَوَاقِبِ بِالْإِجْتِهَادِ ، وَالْإِجْتِهَادُ أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ . التَّوْفِيقُ خَيْرٌ قَائِدٌ . كَمَالُ الْعَمَلِ التَّوْفِيقُ . مَنْ تَرَفَّقَ فِي اسْتِثْمَارِ الْحِظِّ مِنَ الْبُعْيَةِ أَذْرَكَ وَبَلَغَ . مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ ^(٣) مِنْ غَوَائِلِهِمْ . لَا تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي رَكَّبَهُ فِيهِ زَمَانُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَيْهِ بِقِيَمَتِهِ فِي الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ .

أُبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ سَافَرَ فِي طَلَبِ آخِرِ صَالِحٍ . لَيْسَتْ الْبَرَكَةُ مِنَ الْكُفْرَةِ ، لَكِنْ الْكُفْرَةُ مِنَ الْبَرَكَةِ . وَقَالَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ كَانَ مَا تَرَى مِنَ الْجَهْلِ يَغِظُكَ ^(٤) إِذَنْ يَكْثُرِ الْجَهْلُ وَيَطُولُ غَمُّكَ . قِيلَ لِبُزْجَمِهَرٍ : مَا لَكُمْ لَا تُعَاتِبُونَ الْجَهْلَةَ ؟ قَالَ : لِأَنَّا لَا نُرِيدُ ^(٥) مِنَ الْعُمَيَّانِ أَنْ يَتَصَيَّرُوا . الْعِشْقُ مَرَضٌ نَفْسُ فَارِعَةَ لَا هِمَّةَ لَهَا . إِجَالَةُ الْفِكْرَةِ اسْتِخْرَاجُ الْفِطْنَةِ . تَتَّبِعُ الْإِسَاءَةَ بِالتَّدَمُّرِ ، وَتَتَّبِعُ التَّدَمُّرَ بِالْإِقْلَاعِ . الْأَمْنُ بِالْبِرَاءَةِ ^(٦) ، وَكَثْرَةُ الصَّدِيقِ بِالتَّوَاضُعِ ، وَأَعْمُ الْأَشْيَاءِ نَفْعًا فَقْدُ الْأَشْرَارِ . مَنْ بَذَرَ عِدَاوَةً حَصَدَ نَدَامَةً . السُّنَنَةُ لِلنِّسَاءِ عُلْمَةٌ ^(٧) وَلِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ .

(١) غَرَرٌ : خَطَرٌ .

(٢) فِي « م » : « لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّ فِي الَّذِي قَدْ كَانَ » .

(٣) فِي « م » : « أَمْنًا » لِانْصَحَ . وَغَوَائِلُهُمْ : فَسَادُهُمْ وَشُرُورُهُمْ ، جَمْعُ غَائِلَةٍ .

(٤) فِي « ط » : « يَغِظُ » .

(٥) فِي « ط » : « مَا نُرِيدُ » .

(٦) بِالْبِرَاءَةِ : بِالتَّخْلِصِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالتَّهَمِّ .. وَفِي « م » : « بِالْبِرَاءِ » وَهُوَ مُصَدَّرٌ يُوصَفُ بِهِ .

(٧) الْعُلْمَةُ : شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلْجَمَاعِ .

قَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا جِلْمُ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْجَهْلِ ؟ وَمَا قُوَّةُ مَنْ لَمْ يَزِدْ الْغَضَبَ ؟ وَمَا عِبَادَةُ مَنْ لَمْ يَتَوَاضَعَ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ ؟ عِبَادَةُ التَّوَكُّي (١) الْمَجِيءُ فِي غَيْرِ وَقْتٍ ، وَالْجُلُوسُ فَوْقَ الْقَدْرِ . إِذَا وَقَعَتِ الضَّرُورَةُ ارْتَفَعَتِ الْمَشُورَةُ . قِيلَ لِحَكِيمٍ : أَخْرِجِ الْهَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ، قَالَ : لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلَ . مَنْ اغْتَرَّ بِحَالِهِ قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ (٢) . إِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ (٣) . طَلَبَهَا ، وَلَا تُدْرِكُوا حَقًّا مِنْهَا . هَيْئَةُ الزَّلِيلِ تُورِثُ الْحَصَرَ (٤) . قِيلَ لِلْحَكِيمِ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً دَمِيمَةً (٥) ؟ وَآتَتْ وَسِيمٌ ؟ قَالَ : اخْتَرْتُ مِنَ الشَّرِّ أَقْلَهُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا تَقُولُ فِي الزَّوْاجِ ؟ قَالَ : لَذَّةُ شَهْرِ وَهَمُّ دَهْرٍ . فَتَنَةُ عَالَمٍ إِلَى إِبْلِيسَ خَيْرٌ مِنْ غَوَايَةِ آلِفِ جَاهِلٍ . تَمْنَى الْمُعَاتِبِ (٦) وَلَا تَمْنَى الْمُعَاذِرِ . الْمُوَالَاةُ فِي الْإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلِيفِ (٧) فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

سَبُّ الْجَاهِلِ لِلْحُكَمَاءِ تَشْرِيفٌ لَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لِأَنَّ الْجَاهِلَ مَنسُوبٌ إِلَى فِعْلِهِ ، وَكَذَا أَنَّ الْحَكِيمَ يَتَّكِمُ بِحَدِيثِ الْجَاهِلِ ، كَذَلِكَ الْجَاهِلُ يَتَّكِمُ بِسَمَاعِ الْحِكْمَةِ . اُغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحَقْدِ مَنْ عَظُمَ قَدْرُهُ عَنِ الْمُحَادَاثَةِ (٨) . الْكَبِيرُ الْهِمَّةِ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ غُفُّ النَّاصِحِ عِنْدَهُ الْطُفُّ مَوْقِعًا مِنْ مَلَقِ الْكَاشِحِ . إِنْ كَانَتْ الْجُدُودُ (٩) هِيَ الْحُظُوظُ ، فَمَا بَالُ الْحِرْصِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ

(١) عِبَادَةُ التَّوَكُّي : زيارَةُ الْحَقِيقِي وَالْجُهَالِ .

(٢) قَصَرَ فِي احْتِيَالِهِ : عَجَزَ وَكَفَّ عَنْهُ .

(٣) فِي « ط » : مَنْ غَيْرَ وَجْهِهَا فَيَغِيْبُكُمْ .

(٤) أَى : الْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا يُورِثُ الْحَصَرَ .. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ عَنْ « ط » وَلَمْ تَرِدْ فِي « م » .

(٥) فِي « م » : « دَمِيمَةٌ » .

(٦) الْمُعَاتِبِ : الَّذِي يُلَوِّمُكَ وَيُعَاتِلُكَ .. وَفِي « م » : « الْمُعَاتِبِ » بِالْيَاءِ .

(٧) الْمُوَالَاةُ : التَّصَبُّرُ وَالْمُحَابَاةُ ، وَشَرْعًا : أَنَّ يُعَاهَدَ شَخْصٌ شَخْصًا آخَرَ .. وَالْحَلْفُ : الْمَعَاهِدَةُ عَلَى التَّعَاوُنِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَالْإِتِّفَاقِ .

(٨) الْمُحَادَاةُ : الْمَطَاءُ .. وَفِي « م » : « الْجَزَاةُ » .

(٩) الْجُدُودُ : الْأَرْزَاقُ ، جَمْعُ جَدٍّ .

فَمَا بَالُ السُّرُورِ ؟ وَإِنْ كَانَتْ الدَّارُ عَدَارَةً ، فَمَا بَالُ الطُّمَأْنِينَةِ ؟ وَقَالَ الشُّعْبِيُّ : مَا رَأَيْتُ
اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ^(١) أَعْطَى عِبَادَهُ أَجَلَ مِنْ الْجِلْمِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خَمْسٌ مَنْ لَمْ تُكُنْ فِيهِ فَلَا تُرْجَى لِشَيْءٍ
مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الْوَثِيقَةَ فِي أَرْوَمِيهِ ^(٢) ، وَالْذِمَّاتَةَ ^(٣) فِي خُلُقِيهِ ،
وَالْكَرَمَ ^(٤) فِي طَبْعِهِ ، وَالتَّبَلَّ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّحَاقُرَ ^(٥) عِنْدَ رَبِّهِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ
حَمْدُونٍ : كُنْتُ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ ^(٦) لَمَّا خَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَرَكِبَ يَوْمًا إِلَى رَصَافَةِ
هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَظَرَ إِلَى قُصُورِهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَأَى دَيْرًا قَدِيمًا هُنَاكَ حَسَنَ
الْبِنَاءِ ، بَيْنَ مَزَارِعَ ^(٧) وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ ، فَدَخَلَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ بَصُرَ بِرُقْعَةٍ ^(٨)
قَدْ أَلْصَقَتْ فِي صَنْدَرِهِ ، فَأَمَرَ بِقَلْعِهَا ، فَإِذَا فِيهَا هَذِهِ الْأُيُوثُ :

أَيَا مَنْزِلًا بِالذَّنِيرِ أَصْبَحَ نَحَالِيَا تَلَاعَبُ فِيهِ شِمَالٌ وَدُبُورُ ^(٩)
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بَيْضُ أَوَانِسُ وَلَمْ يَتَّبَحَثْ فِي فِتَائِكَ حُورُ ^(١٠)
وَأَبْنَاءُ أُمْلَاكِ غَوَاشِمُ سَادَةٌ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَنَامِ كَبِيرُ ^(١١)
إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعَهُمْ فَصَوَابِسُ وَإِنْ لَيْسُوا تَيْجَانَهُمْ فَبُدُورُ ^(١٢)

(١) في م : « الله تعالى » .

(٢) الأرومة : الأصل والحسب .. والوثيقة : الثقة وما يُحكَّم به الأمر .

(٣) الذماتة : السهولة واللين .

(٤) في م : « والكبر » تحريف .

(٥) التحاقر : التضاغر .

(٦) في م : « عند المتوكل » .

(٧) في م : « من مزارع » .

(٨) بصّر برقعة : أبصرها .

(٩) الأبيات من الطويل .. وتلاعَبُ وهماَل : تلاحَبُ وهماَل : ريح مهب من الغرب .

(١٠) الحُور : جمع حَوْرَاءَ ، وهي المرأة البيضاء الحسناء .

(١١) أبناء أُمْلَاكِ غَوَاشِمُ : أبناء ملوك أشداء .. والأَنَامُ : الخلق .. وفي « ط » : « صغيرهم عند الإله كبير » .

(١٢) أى : إذا ارتدوا زى الحرب تراههم عابسين متجهمي الوجوه ، وإن لبسوا تيجانهم في زمن السلم ، فالواحد

منهم يبدو كالقمر ليلة اكتماله .

عَلَى أَنَّهُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ ضَرَاغِمُ وَأَنَّهُمْ يَوْمَ النَّوَالِ بُحُورُ ^(١)
 لِيَالِي هِشَامٍ بِالرَّصَافَةِ قَاطِنُ وَفِيكَ ابْنُهُ يَا دَيْرٌ وَهُوَ أَمِيرُ ^(٢)
 إِذَا الْعَيْشُ غَضُ وَالْخِلَافَةُ لَذَّةُ وَأَنْتَ طَرِيبُ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ ^(٣)
 وَرَوْضُكَ مَرْتَادٌ وَنُورُكَ مَزْهَرُ وَعَيْشُ بَنِي مَرَاوَانَ فِيكَ تَضِيرُ ^(٤)
 بَلَى فَسَقَاكَ الْعَيْثُ صَوَّبَ سَحَابِ عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرُّوَاكِ بُكُورُ ^(٥)
 تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
 فَزَيْتُ نَفْسِي وَهِيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَى لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي أَنَّهُ وَزَيْرُ ^(٦)
 لَعَلَّ زَمَانًا جَارَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النَّفُوسُ يَدُورُ ^(٧)
 فَيَفْرَحُ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمُ بَائِسٌ وَيُطْلَقُ مِنْ ضَيْقِ الْوَنَاقِ أُسِيرُ
 رُوَيْدَكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ ^(٨)

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْمُتَوَكِّلُ ارْتَوَعَ وَتَطَيَّرَ ، وَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ ^(١) أَقْدَارِهِ ، ثُمَّ دَعَا
 صَاحِبَ الدَّيْرِ فَسَأَلَهُ عَمَّنْ كَتَبَهَا ، فَقَالَ : لَا عِلْمَ لِي بِهِ .

- (١) يوم اللقاء : يوم الحرب .. ضراغم : أسود .. النوال : المطاء .. بحور : كالبحور في جودهم وسخائهم .
 (٢) قاطن : مقيم .. ولي « م » : « وقتل » مكان « وفيك » .
 (٣) هكذا البيت في « ط » .. وقد سقطت الشطرة الثانية من البيت ، والأولى من الذي يليه من « م » ..
 وجاء البيت هكذا : « إِذَا الْعَيْشُ عَيْشٌ وَالْخِلَافَةُ غَضَّةٌ .. وَعَيْشُ بَنِي مَرَاوَانَ فِيكَ تَضِيرُ » .
 والغض والغرير : الناعم من العيش .. والطرب : الطرب والمنتشى بهجة وسرورا .
 (٤) التور : الزهر الأبيض .
 (٥) الصوب : انصباب المطر .. والرواح : الوقت من زوال الشمس إلى الليل .. والبكور : أول النهار .
 (٦) الأكة : مصدر الترة بين الأثنين .. والزفير : إخراج النفس بعد مدّه ، وهو هنا كتابة عن الألم والحزن ..
 ولي « ط » : « إنه لزفير » .
 (٧) جَارَ عَلَيْهِمْ : ظلمهم .
 (٨) صرّوف الدائرات : أحداث الأيام .
 (٩) في « م » : « من سوء » .

وَأَمَّا الْكُتُبُ وَصِفَاتُهَا فَتَجَلُّ عَنِ الْوَصْفِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْجَهْمِ ^(١) فِي قَوْلِهِ :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتَهُ كَانَ مُسْتَبَا فَوَادِكُ مِمَّا فِيهِ مِنَ أَلَمِ الْوَجْدِ ^(٢)
يُفِيدُكَ عِلْمًا أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً وَغَيْرُ حَسُودٍ أَوْ مُصِيرٌ عَلَى الْحَقْدِ
وَيَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ غَيْرَ غَافِلٍ وَلَا خَائِنٍ عَهْدًا عَلَى قَدَمِ الْعَهْدِ
زَمَانُ رَيْبٍ فِي الزَّمَانِ بِأَسْرِهِ يُبِيحُكَ رَوْضًا غَيْرَ ذَاوٍ وَلَا جَهْدِ ^(٣)
يُسَوِّرُ أَحْيَانًا بِزُورِدٍ بَدَائِعَ أَخْصَ وَأَوَّلَى بِالْثُقُوسِ مِنَ الْوَرْدِ
وَأَنْشَدَ ^(٤) بَعْضُ الْعَجَمِ :

إِذَا مَاعَلَا النَّاسُ فِي دُورِهِمْ يَحْنُمُ سُلَافٍ وَخَوْدٍ كَعَابِ ^(٥)
وَأَنْسَهُمْ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ لِيُغَيِّرَ التَّدَامَى وَزَهْوِ السَّحَابِ ^(٦)
خَلَوْتُ وَصَحْبِي كُتُبُ الْعُلُومِ وَبَيْتُ عُرُوسِي بَيْتُ الْكِتَابِ ^(٧)
وَدَزَسُ الْعُلُومِ شَرَابُ الْعُقُولِ فَلُورُوا عَلَى بِذَلِكَ الشَّرَابِ
وَمَا يَجْمَعُ الْمَرْءُ فِي دَفْنِهِ سِوَى الْعِلْمِ يَجْمَعُهُ لِلشَّرَابِ

(١) هو : أبو الحسن علي بن المهيم بن بدر ، شاعر رقيق الشعر ، وأديب ، من أهل بغداد ، كان معاصراً لأبي تمام ، وعرض بالثوكل العباسي ، ثم غضب عليه الثوكل ففاه إلى خراسان ، ثم انتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد الفزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب ، فقاتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه سنة ٢٤٩ هـ . [انظر الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ وطبقات الشعراء لابن المحرز ص ٣١٩ - ٣٢٢ ، والأغاني ج ١٠ ص ٣٦٦٧ - ٣٦٩٨] .
(٢) الأبيات من الطويل .. والسمير : المسامر الذي يسامرك ويحدثك .. وهو وصف للكتاب .. ومُسْتَبَا فَوَادِكُ : يكشف عما بقلبك من الهم والحزن .

(٣) ذَاوٍ : ذليل .. والجهد : المنقيض والقليل .

(٤) في م : .. وأنشدني .

(٥) الأبيات من المتقارب .. والخوْدُ : الشاة الناعمة الحسنة الخلق ، وجمعها : خَوْدٌ .. والكعاب : الفتاة التي تهْدُ ثَنُهَا : وجمعها : كواعب .

(٦) الرُّمُ : الساكن والمُنْخَفِضُ .. والبيت في م : :

« وَأَنْسَهُنَّ حَسَابَ اللَّيَالِي لِيُغَيِّرَ التَّدَامَى وَزَهْوِ الشَّيَابِ »

(٧) الشُّهُرة الثانية من البيت في ط : .

« وَبَيْتُ الْعُرُوسِ بَيْتُ الْكِتَابِ »

وَمِنْ مَلِيحٍ مَا يَنْشُدُ فِي الْكُتُبِ ^(١) :

- إِذَا مَا خَلَوْتُ مِنَ الْمُؤَسِّسِينَ جَعَلْتُ الْمَوَاسِيَ لِي دَقِيرِي ^(٢)
 فَلَمْ أَخْلُ مِنْ شَاعِرٍ مُخْسِنٍ وَمِنْ عَلَمٍ صَالِحٍ مُنْذِرٍ ^(٣)
 وَمِنْ حِكْمٍ يَنْ أَثْنَائِهَا قَوَائِدُ لِلنَّاطِرِ الْمَفْكَرِ ^(٤)
 وَإِنْ ضَاقَ صَدْرِي بِأَسْرَارِهِ وَأَوْدَعْتُهُ السَّرَّ لَمْ يُظْهِرِ ^(٥)
 وَإِنْ صَرَخَ الشَّعْرُ بِاسْمِ الْحَبِيبِ بِ لَمْ أَحْشِمُهُ وَلَمْ أَخْصِرِ ^(٦)
 وَإِنْ عُدْتُ مِنْ ضَجْرِهِ بِالْهَجَا وَسَبَّ الْخَلِيفَةِ لَمْ أَخْذِرِ ^(٧)
 وَتَادَمْتُ فِيهِ كَرِيمَ الْمَغِيْبِ بِ لِنُدْمَائِهِ طَيْبَ الْمَجْهَرِ ^(٨)
 فَلَسْتُ أَرَى مُؤِنْسًا مَا حَيْثُ عَلَيْهِ نَدِيمًا إِلَى الْمَحْشَرِ ^(٩)
 وَأَنْشُدُ ابْنَ حَزَمٍ لِبَغْضِ الْأَدْبَاءِ :

(١) الأبيات من المقارِب .. وجاء في كتاب « جمع الحكيم والأمثال » في الشعر العربي لأحمد قيس - ص ٤٣٠ - أنها لعل بن هارون بن يحيى .

(٢) الشطرة الثانية من البيت في المصدر السابق :

« جَعَلْتُ الْمُحَدَّثَ لِي دَقِيرِي »

(٣) الشطرة الثانية من البيت في المصدر نفسه :

« وَمِنْ مُضْجَلِكِ طَيْبٍ مُنْذِرٍ »

(٤) الْمَفْكَرُ : مِنَ الْفَعْلِ : أَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ ، إِذَا فَكَّرَ فِيهِ وَأَعْمَلَ الْعَقْلَ .

(٥) لَمْ أَحْشِمُهُ : لَمْ أَخْجِلْ مِنْهُ ، وَلَمْ أَصْغِهِ مَا يَكْرَهُ .. وَلَمْ أَخْصِرِ ، أَيْ : لَمْ أَخْشِ عَنْهُ مَا أُرِيدُ . وَهُوَ مِنْ حَصَرَ : إِذَا عَمِيَ فِي مُنْطَقَةٍ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ .

(٦) فِي « م » : « ضَجْرَةٌ » بِالضَّاءِ .. وَضَجَرَ بِالْأَمْرِ ، وَمِنْهُ ضَجَرًا : ضَاقَ وَتَبَرَّمَ .. وَالْهَجَا : الْهَجَاءُ وَاللُّمُّ .

(٧) نَادَمْتُ : صَحِجْتُ وَوَأَقَنْتُ .. وَالتَّدْمَاءُ : لِلْمَصَاحِبِينَ عَلَى الشَّرَابِ ، وَالْمَسَامِرِينَ .. وَالْمَجْهَرُ : خِلَافُ الْمُنْظَرِ ، يُقَالُ : طَائِقٌ مَجْهَرٌ مَنَظَرَةٌ .

(٨) الشطرة الأولى من البيت في المصدر الأسبق :

« فَلَسْتُ أَرَى مُؤَثِّرًا مَا حَيْثُ » .

(٩) فِي « م » : « وَأَنْشُدُ ابْنَ حَزَمٍ » .. وَابْنُ حَزَمٍ هُوَ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَمِيدٍ بْنِ حَزَمٍ الظَّاهِرِيُّ ، عَالِمُ الْأَنْدَلُسِ فِي عَصْرِهِ ، وَأَحَدُ أُمَمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوْلاَفَاتِ وَالْمُصَنَّفَاتِ .. وُلِدَ بِقَرْطَبَةِ سَنَةِ ٣٨٤ هـ ، وَاتَّفَقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ ، فَنَالُوا عَلَى بَغْضِهِ ، وَحَدَّثُوا سُلَاطِمَهُمْ مِنْهُ ، وَهِيَوُا الْعَامَّةُ مِنَ الدُّنْيَا مِنْهُ ، فَأَقْصَتْهُ =

إِنْ صَحَبْنَا الْمُلُوكَ نَاهُوا عَلَيْنَا
أَوْ صَحَبْنَا الشُّجَارَ عَدْنَا إِلَى الْفَقْدِ
فَلَزِمْنَا النَّيُوتَ نَحْضُدُ الْجَبِ
لَوْ تَرَكْنَا وَذَلِكَ كُنَّا ظَفِرْنَا
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ أَغْنَى زِينِهِ
وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ (٥) :

أَنِسْتُ إِلَى التَّفَرُّدِ طَوَّلَ عُمْرِي
جَعَلْتُ مُحَادِثِي وَتَدِيمَ نَفْسِي
قَدْ اسْتَعْنَيْتُ عَنْ قَرَسِي بِرَجُلِي
وَلِي عَرَسٌ جَدِيدٌ كُلُّ يَوْمٍ
فَمَالِي فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ أَنْيَسِ (٦)
وَأَنْيَسَى دَقَقِرِي بِذَلِّ الْعُرُوسِ
إِذَا سَاكِرْتُ أَوْ نَعْلِي كَبُوسِ (٧)
يَطْرَحُ الْهَمُّ فِي أَمْرِ الْعُرُوسِ (٨)

= الملوك وطاردته ، فرحل إلى « بَلَّة » من بلاد الأندلس ، وتوفى بها سنة ٤٥٦ هـ وكان عمر الطوطوشى - صاحب سراج الملوك - عند وفاة ابن حزم ست سنوات ، إذ أنه ولد سنة ٤٥٠ هـ ، لذا فإن قوله : « أنشدني » هنا لا يعقل ، ويُعد تحريفاً من الناسخ .

[انظر الأعلام ج ٤ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٢٥٥ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٣٠ ، والمغرب في حُلَى المغرب ج ١ ص ٣٥٤ - ٣٥٧ ، ومعجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٥٧ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠] .

(١) الأبيات من الخفيف .. وتأوها : تكبروا .. واستبدوا بالرأى .. انفردوا به .

(٢) الطُّروس : الصحائف والكتب ، جمع طرس .

(٣) يَلْقَى : النفيس من كل شيء يعلق به القلب .

(٤) أغنى بنه : أقصد أبناء الزمان .. وحياة النفوس : يريد بها العلم ، فيه غيا النفوس وتسمو .

(٥) في « م » : « وأنشدوا » .

(٦) الأبيات من الوافر .. ويريد بالتفرد : الوحدة والانفراد .. والبرية : الخلق .

(٧) في « م » : « قد استغنيت عن قَرَسٍ » .. والنعل الكبوس : الذي يخفى القدمين ويحميها .. ول « م » :

« بعل كبوس » أى : ضمخ .

(٨) في « م » : « يطرح الهم في بيت العروس » .. والعُرس ، بضم العين : الزفاف والتزويج . وبكسرهما :

العروس والزواج .

فَبَطْنِي سَفَرْتِي وَالْخُرْجَ جِسْمِي وَهَمَيَانِي فِي أَبَدًا وَكَيْسِي ^(١)
وَيْتِي حَيْثُ يُدْرِكُنِي مَسَائِي وَأَهْلِي كُلُّ ذِي عَقْلٍ نَفِيسٍ
وَلَيْنَ كَانَ النَّاطِقُونَ ^(٢) قَدْ وَصَفُوا فَجَوُّدُوا ، وَقَالُوا : فَأَبْلَغُوا ، فَلَقَدْ قَصَرُوا ،
وَأَجَلَ مَمْدُوحٍ مَنِ اسْتَقْصَرَ فِي مَدْحِهِ الْمُتَنَهَى ، وَاسْتَنْزَرَ فِي تَقْرِيبِهِ الْمُحْتَغَلَ ^(٣) ،
وَكَيْفَ لَا وَالْكِتَابَ نِعَمَ الْأَيْسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةَ بِيَلَادِ الْعَرَبَةِ ، وَنِعَمَ
الْقَرِينُ وَاللَّحِيْلُ ، وَنِعَمَ الْوَزِيرُ وَالْتَزِيلُ ، وَعَالَمَ مُلَيٍّ عِلْمًا ، وَظَرْفَ حُشْيٍ
ظَرْفًا ^(٤) ، وَإِنَاءَ مُلَيٍّ مَزَاجًا ^(٥) ، وَحَبْدًا بُسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ^(٦) ، وَرَوْضَةً تُقَلَّتْ
فِي جَنْحٍ ^(٧) ، هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ ثَوْتِي أَكَلَهَا كُلَّ سَاعَةٍ بِالْوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَطُغُومٍ
مُتَبَايِنَةٍ ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذْوِي ^(٨) ، وَزَهْرٍ لَا يَتَوَى ^(٩) ، وَتَمَرٍ لَا يَقْنَى ؟
وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُكَ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضِدَّهُ ، يَنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى ،
وَيَتَرَجَّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ ، إِنْ غَضِبْتَ عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ ، وَإِنْ سَخَطْتَ عَلَيْهِ لَمْ يُجِبْ ،
أَكْتُمُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَتُمُّ ^(١٠) مِنَ الرِّيحِ ، وَاللَّهْيَ مِنَ الْهَوَى ، وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى ،

(١) السُّفْرَةُ : مَا يَحْمِلُ فِيهَا الطَّعَامُ .. وَالْخُرْجُ وَالْهَمِيَانُ مَرُّ الصَّرِيفِ بَيْنَهُمَا .

(٢) فِي « ط » : « النَّاطِقُونَ » .

(٣) اسْتَنْزَرَ : اسْتَقْبَلَ وَاسْتَحْضَرَ .. وَالْمُحْتَغَلُ : مَعْظَمُ الشَّيْءِ .

(٤) الظَّرْفُ : الْوَعَاءُ .. وَظَرْفَ حُشْيٍ ظَرْفًا ، أَيْ : وَعَاءَ مُلَيٍّ ، بِلَاغَةً وَحُسْنًا .. وَهَذَا الْوَصْفُ لِأَيِّ عِلَّانٍ
ابْنِ بَحْرِ الْجَاهِلِ .

(٥) الْبَزَاجُ : مَا يُمَزَّجُ بِهِ الشَّرَابُ وَنَحْوُهُ ، وَكُلُّ نَوْعَيْنِ امْتَزَجَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَزَاجُ .. وَفِي « م » : « مُلَيٍّ
رَاحَ » ، وَالْأَخْيَرَةُ تَحْرِيفٌ .. وَصَارَةُ الْجَاهِلِ : « وَإِنَاءَ مُلَيٍّ مَزَاجًا وَجِدًا » ، بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٦) الرُّذْنُ : كُمُّ الثَّوْبِ .

(٧) فِي « ط » : « تَقَلَّبَ فِي جَنْحٍ » .. وَصَارَةُ الْجَاهِلِ : « رَوْضَةً تَتَقَلَّبُ فِي جَنْحٍ » .. وَالْجَنْحُ ، بِكَسْرِ
الْحَاءِ وَضَحُّهَا : وَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ : حِضْنُهُ ، وَمِنَ الْمَكَانِ : نَاحِيَتُهُ .

(٨) لَا تَذْوِي : لَا تَيْسُ وَلَا تَذْبَلُ .

(٩) لَا يَتَوَى : لَا يَقِيمُ وَلَا يَسْتَقِرُّ .. وَفِي « ط » : « لَا يَتَوَى » ، بِالتَّاءِ : أَيْ : لَا يَهْلِكُ .

(١٠) أَتُمُّ : أَثْقَلُ وَأَظْهَرُ .. وَفِي « م » : « أَتَمَرُ » ، تَحْرِيفٌ .

وَأُتِمَّعَ مِنَ الضُّحَى ، وَأُنْطُقَى مِنْ سَخْبَانَ وَائِلٍ ^(١) وَأُعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ^(٢) .
 هَلْ سَمِعْتَ بِمُعَلِّمٍ وَاحِدٍ تَحْلَى بِحُلَى كَثِيرَةٍ ، وَجَمَعَ أَوْصَافًا غَيْرَةً ^(٣) : عَرَبِيٌّ ،
 فَارِسِيٌّ ، هِنْدِيٌّ ، سِنْدِيٌّ ، رُومِيٌّ ، يُونَانِيٌّ ، إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ ، وَإِنْ أَلْهَى أُمْتَعَ ،
 وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ ، وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ ، يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ ^(٤) مِنْكَ ، وَيَزِيدُكَ
 وَيَسْتَزِيدُكَ ، إِنْ جَدَّ فَيَسَّرَ ، وَإِنْ مَزَحَ فَتَزَهَّهَ ، قَبِرَ الْأَسْرَارِ ، وَحِرَزَ الْوَدَائِعَ ، قَيَّدَ
 الْعُلُومَ ، وَتَبَيَّعَ الْحِكْمَ ، وَمَعَدِنُ الْمَكَارِمِ ، وَمُؤْنَسَ لَا يَنَامُ ، يُفِيدُكَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ ،
 وَيُخْبِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ أَنْبَاءِ الْآخَرِينَ .

هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ ، أَوْ بَلَغَكَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّالِفِينَ جَمْعٌ ^(٥) هَذِهِ الْأَوْصَافِ
 مَعَ قِلَّةِ مُؤَنِّيهِ ، وَخِفَةِ مَحْمَلِهِ ؟ لَا يَرْزُوكَ ^(٦) شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، نِعَمَ الذُّخْرِ
 وَالْعُدَّةِ ^(٧) ، وَالْمُسْتَعْلَى وَالْحِرْقَةَ ^(٨) ، جَلِيسٌ لَا يَضُرُّكَ ^(٩) ، وَزَفِيقٌ لَا يَمْلُكَ ،
 يُطِيعُكَ بِاللَّيْلِ طَاعَتَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ ^(١٠) ، إِنْ أَدْمَنْتَ
 النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ ، وَشَحَذَ طِبَاعَكَ ، وَبَسَطَ لِسَانَكَ ، وَجَوَّدَ بَنَانَكَ ، وَقَحَّمَ

(١) سَخْبَانُ : رجل مشهور بفصاحته وبلاغته ، وهو من وائل .

(٢) أُعْيَا : عجز في منطقته وحجته ولم يستطع بيان مراده منه .. وباقِل : رجل من ربيعة ، يُضَرَّبُ به المثل
 لـ الفهامة والقي . وبلغ من عُيِّهِ أَنَّهُ اشترى طيِّباً بأحد عشر درهماً ، فمر بقوم ، فقالوا له : بكُم اشترت الطيِّب ؟
 فنَدَّ يديه وقَلَعَ لسانه ، يريد : أحد عشر ، فشرَّه الطيِّب ، وكان تحت لَبَطِهِ .

(٣) في (م) : « عَزِيزَةٌ » .

(٤) في (م) : « وَيَسْتَفِيدُ مِنْكَ » بسقوط « لَا » ولا يستقيم المعنى إلا بها .

(٥) في (م) : « مَنْ جَمَعَ » .

(٦) لَا يَرْزُوكَ : لَا يَصِيحُ بِرِزْوٍ .

(٧) الذُّخْرُ : المُدَّخَرُ لَوْقَتِ الْحَاجَةِ .

(٨) عبارة الجاحظ : « وَيَنَعَمُ الْمُشْتَغَلُ وَالْحِرْقَةُ » بالشين .

(٩) في (ط) : « جَلِيسٌ لَا يَضُرُّ بِكَ » وفي (م) : « لَا يَضُرُّكَ » . وقد سقطت منها كلمة « جَلِيسٌ » قبلها .

(١٠) الْحَضَرُ : المكان الذي تقيم فيه .

الْفَاطِكُ . إِنَّ الْفَتَى خَلَدَ عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ ، وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ ، وَإِنْ
حَمَلْتَهُ نَوَّةً ^(١) عِنْدَهُمْ بِاسْمِكَ ، يُقْعِدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَةِ ، وَيُجْلِسُ السُّوْقَةَ فِي
مَجْلِسِ الْمُلُوكِ ، فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ ، وَأَعِزِّزْ بِهِ مِنْ مُرَافِقٍ . وَقَدْ قَالَ فِيهِ الْأَوَّلُ :

لَنَا جُلُوسَاءُ مَائِلٌ حَدِيثُهُمْ إِلْيَاءُ مَأْمُونُونَ غَيِّبًا وَمَشْهَدًا ^(٢)

يَعْبُدُونَنَا مِنْ عَلَيْهِمْ عِلْمٌ مَامَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيًا وَعَقْلًا مُسَدَّدًا ^(٣)

فَلَا يَتَنَّهُ نَحْضَى وَلَا سُوءَ عِشْرَةٍ وَلَا تَتَقَى مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا ^(٤)

فَإِنْ قُلْتَ أَمَوَاتٌ فَمَا أَتَى كَاذِبٌ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتُ مُفَنَّدًا ^(٥)

فَهَذَا مَا أَرَدْنَا أَنْ نُعْلِيَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَاصْبِرُوا إِنْ شِئْتُمْ أَنْفَاسَهُ ، إِنْ كَانَتْ الْأَنْفَاسُ
مِمَّا يُكْتَبُ ^(٦) .

تم الكتاب بحمد الله

(١) نَوَّةٌ : أَشَاءَ .

(٢) الْأَيَّامُ مِنَ الطَّوِيلِ .. وَإِلْيَاءٌ : عُقْلَاءٌ ، جَمْعُ لَيْبٍ .

(٣) مُسَدَّدًا ، أَيْ : مُسْتَقِيمًا مَوْفِقًا .. وَفِي « م » : « وَعَقْلًا وَسَوْدَدًا » .. وَالسُّودَدُ : الْجِدُّ وَالشَّرَفُ وَالسِّيَادَةُ .

(٤) لِي « ط » : « لَا يَتَنَّهُ » .. وَلِي « م » : « لَا غَشَّةَ » .. وَلِي « ط » : « تَتَقَى » ، بِالنَّاءِ .

(٥) فَلَسْتُ مُفَنَّدًا : لَسْتُ مُحْطَفًا .

(٦) لِي « م » : « يُكْتَبُ » .

(فهرس الكتاب)^(٥)

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأحاديث النبوية .
- ٣ - فهرس القوال .
- ٤ - فهرس الأعلام .
- ٥ - فهرس الأماكن والبلاد والباق .
- ٦ - فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف .
- ٧ - مراجع التحقيق والتعليق .
- ٨ - فهرس المحتويات .

(٥) هذه الفارس خاصة بمن الكتاب فقط .

(١)
 فهرس القرآن الكريم

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾	٢٤	البقرة	٦٣١
﴿ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾	٣١	البقرة	٢٦٧
﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾	٥٦	البقرة	٤٢٥
﴿ قتلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يُحْيِي الله الموتى ويريمكم آياته لعلكم تعقلون * ثم قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٣ ، ٧٤	البقرة	٣١
﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾	٨٣	البقرة	٥٨٣
﴿ وإذا ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلمات فآمنهَنَّ ﴾	١٢٤	البقرة	٣٩٢
﴿ استمعينوا بالصبر والصلاة ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٣	البقرة	٣٩٢
﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾	١٥٩	البقرة	٥٩٧
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٦٤	البقرة	٤٢٩
﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾	١٧٩	البقرة	٦٢٢
﴿ أَنِّي يَكُونُ لِهَ الْمُلْكِ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾	٢٤٧	البقرة	١٧٦
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	٢٥١	البقرة	١٨٢
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٢٥٥	البقرة	٢٦٥
﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٣٩
﴿ ... اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ... ﴾	٢٥٨	البقرة	٦٣٩ ، ٦٤٠
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾	١٨	آل عمران	٢١٦
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾	٣٠	آل عمران	١١
﴿ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	آل عمران	٢٤٢
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	آل عمران	٤٢٥
﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤	آل عمران	٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٤٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾	١٥٥	آل عمران	٦٩١
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾	١٥٩	آل عمران	٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَاَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾	١٧٤	آل عمران	٧٦١
﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	١٨٠	آل عمران	٣٨٦ ، ٥٩٤
﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٨٦	آل عمران	٣٩١
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٩٠	آل عمران	٤٢٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٢٠٠	آل عمران	٣٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	٥٩	النساء	٢٤٥
﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾	٧٧	النساء	١٧
﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَالُونَ لِّلْمُنْكَرِ ﴾	٤٢	المائدة	٦١٢ ، ٦٢١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	٤٤	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	٤٥	المائدة	٥٩١
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	٤٧	المائدة	٥٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٥١	المائدة	٥٤٥
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴿	٥٧	المائدة	٥٤٦
﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾	٦٦	المائدة	٤٣٢
﴿ قد نعلم إنه ليخزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾	٣٣	الأنعام	٣٩١، ٣٩٠
﴿ وما من دابة في الأرض ، ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يُحشرون ﴾	٣٨	الأنعام	٦٢٨، ٤٤٣، ٦٣٢
﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾	٤١	الأنعام	٤٣٣
من قوله تعالى : ﴿ فلما جنَّ عليه الليل ... ﴾	٨١ - ٧٦	الأنعام	٦٣٨، ٦٣٧
إلى قوله : ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾			
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ﴾	١١٢	الأنعام	٧٥٧
﴿ وكذلك نُؤَلِّي بعض الظالمين بعضًا ﴾	١٢٩	الأنعام	٤٦٧
﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾	١٦٠	الأنعام	٣٠٨
﴿ ولا تُؤزَّر ولا زرةٌ وزرٌ أخرى ﴾	١٦٤	الأنعام	٦٢٣
﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾	٥٤	الأعراف	٧
﴿ ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾	٧٩	الأعراف	٣٢٥

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ ﴿ ووقت كلمة ربك الحُسنَى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ ﴿ رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾ ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ ﴿ نأخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ ﴿ فشرّد بهم مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم	٩٣ ١٣٧ ١٣٧ ١٤٦ ١٥١ ١٨٢ ١٩٩ ٢٥ ٤٥ ، ٤٦ ٥٧ ٦٠	الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأعراف الأنفال الأنفال الأنفال الأنفال	٣٢٥ ٥١٣ ٤٠٣، ٣٩٠ ٢٣٤ ٦٠٦ ٥٠٥ ٣٠٩، ٣٠٥ ٥٧٥ ٧٠٣، ٦٩٠ ٣١٤ ٦٧٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
وليم مدبرين ﴿	٢٥	التوبة	٦٩٨
﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم			
إن كان الله يريد أن يغويكم ﴿	٣٤	هود	٣٢٥
﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما			
تسخرون ﴿	٣٨	هود	٧٦٤
﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴿	٧٥	هود	٣٣٢
﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة			
إن أخذهُ أليم شديد ﴿	١٠٢	هود	٥٩٥
﴿ يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا			
لك كيداً ﴿	٥	يوسف	٤١٣
﴿ اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم ﴿	٥٥	يوسف	٥١٠، ١٨١
			٥٦٢
﴿ ربِّ قد آتيتنى مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ			
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى			
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوْفَى مُسْلِمًا وَالْحَقْنِى			
بِالصَّالِحِينَ ﴿	١٠١	يوسف	٦٤٥
﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخِفَّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبَ بِالنَّهَارِ ﴿	١٠	الرعد	٣
﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا			
ما بأنفسهم ﴿	١١	الرعد	٤٣٢
﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴿	٢٤	الرعد	٣٩١
﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴿	٧	إبراهيم	٤٣٣، ٤٣١
﴿ يدعوكم ليعفر لكم ﴿	١٠	إبراهيم	٤٤١
﴿ وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها ﴿	٣٤	إبراهيم	٤٣٤
﴿ ربنا إني أسكنت من ذرىي بوادٍ غير ذى زرع			
عند بيتك المحرم ﴿	٣٧	إبراهيم	٦٣٥
﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴿	٤٢	إبراهيم	٥٩٢، ٥٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فاصفح الصفيح الجميل ﴾	٨٥	الحجّير	٣٣٢
﴿ قَوْرِيكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٩٣، ٩٢	الحجّير	١٤٧، ١٩
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	الحجّير	١٧٩
﴿ وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾	١٨	النحل	٣٩٠
﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	٥٣	النحل	٤٣٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾	٩٠	النحل	٤٢٤
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾	١٠٥	النحل	٣٠٧، ٢١٣
﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاءً ﴾	١٢١	النحل	٢٣٦
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾	١٢٦	النحل	٤٤٠
﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	١٢٧	النحل	٣٠٦
﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	٣	الإسراء	٤٠٤، ٤٠٣
﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	الإسراء	٤٤٠
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾	١٥	الإسراء	٤٤٠
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	الإسراء	٦٢٣
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	١٦	الإسراء	٦٣٠
﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾	١٨	الإسراء	٥٩٦
﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْنُكَ ضَعُفَ الْحَيَاةُ وَضَعُفَ الْمَمَاتِ ﴾	٧٥، ٧٤	الإسراء	٤٣٣
﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾	٨٤	الإسراء	٥٨٩
﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾	٢٤	الكهف	٤٥٢
﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾	٢٨	الكهف	٣٥٤
			٣٩١

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ﴾	٣٩	الكهف	٧٦١
﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علّمت رشدًا ﴾	٦٦	الكهف	٢٦٧
﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾	٧٨	الكهف	١٩٦
﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾	٨٢	الكهف	٧١٧
﴿ وهزى إليك بجذع النخلة ﴾	٢٥	مريم	٧٠٩
﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثًا ورثًا ﴾	٧٤	مريم	٢٤
﴿ هل نحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا ﴾	٩٨	مريم	٢٤
﴿ إذ رأى نازًا فقال لأهله امكثوا إني آنست نازًا لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى ﴾	١٠	طه	٦٦٣
﴿ واجعل لي وزيرًا من أهلي ﴾	٢٩	طه	٢٨٧
﴿ اشتدّ به أزرى • وأشركه في أمرى ﴾	٣٢، ٣١	طه	٢٨٧
﴿ كي نسبحك كثيرًا • ونذكرك كثيرًا ﴾	٣٤، ٣٣	طه	٢٨٧
﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾	١١٤	طه	٢٦٧
﴿ وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾	٤٧	الأنبياء	١٩ ، ١٤٧
﴿ قالوا من فعل هذا بالهتأ إنه لمن الظالمين • قالوا سمعنا ففى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾	٦٠، ٥٩	الأنبياء	٦٣٩
﴿ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا آنت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم • قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون • فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾	٦٤-٦١	الأنبياء	٦٣٩
﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم • أف			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿	٦٥ - ٦٧	الأنبياء	٦٣٩
﴿ مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴿	٨٣	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر ﴿	٨٤	الأنبياء	٧٦١
﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿	٨٧	الأنبياء	٧٦١
﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ﴿	٨٨	الأنبياء	٧٦١
﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴿	٤٠	الحج	١٦٠
﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴿	٤١	الحج	١٦٠
﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿	٦٠ ، ٥	المؤمنون	٤٣٠
﴿ وليعفوا وليصْفَحُوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴿	٢٢	النور	٣٠٦
﴿ يا ويلتنا ليتنى لم آتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان			
للإنسان خلوياً ﴿	٢٨ ، ٢٩	الفرقان	٢٩٦
﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ﴿	٣١	الفرقان	٧٥٧
﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿	٥٧	الفرقان	٢٣٧
﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴿	٥٨	الفرقان	٧١٢
﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴿	٦٢	الفرقان	٤٢٩
﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴿	٢٠٥ - ٢٠٧	الشعراء	١٠٥
﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴿	٢١٥	الشعراء	٢٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢١٦	الشعراء	٣٠٣
﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾	٤٠	التحل	١٤٧، ١٤٩، ٤٤٠، ٤٤٣
﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾	٥٢	التحل	٥٩٢
﴿ أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	التحل	٦٣٣
﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾	٧٨	القصص	٤٢٤
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾	٨١	القصص	٤٢٤
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٨٣	القصص	٢٣٤
﴿ وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾	١٣	العنكبوت	٦٢٣
﴿ أَأَنْتُمْ تُلَاتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾	٢٩	العنكبوت	٦٠٧
﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾	٦٤	العنكبوت	١٨
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	العنكبوت	٧١٩، ٢٤١
﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾	١٧	لقمان	٤٠٤
﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾	٢٠	لقمان	٥٨٦
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾	٢٤	السجدة	٣٩٠
﴿ أَشْجَعًا عَلَى الْحَرِّ أَوْلَكُ لَمْ يَأْمُرُوا ﴾	١٩	الأحزاب	٣٨٧، ٣٨٦
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾	٤٦	الأحزاب	٧
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	الأحزاب	١٧٦
﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾	١٣	سبأ	٤٢٨، ١٤٦

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا ترزأ لزره ﴾ أخرى	١٨	فاطر	٦٢٣
﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾	١٨	فاطر	٤٤٠
﴿ فنظر نظرة في النجوم • فقالت لئن سقيم • فقلوبوا عنه مدبرين • فراغ إلى آلتهم فقال ألا تأكلون • مالكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾	٨٨-٩٣	الصافات	٦٣٨
﴿ فيشرناه بغلام حليم ﴾	١٠١	الصافات	٣٣٤
﴿ يابني إلى أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى • قال يابئ أفعل ماثوّم ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾	١٠٢	الصافات	٣٣٣، ٣٢٠، ٣٣٤
﴿ يا إبراهيم • قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي الحسنين • إن هذا هو البلاء المبين • وفديناه بذبح عظيم ﴾	١٠٤-١٠٧	الصافات	٦٤٤
﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾	٢٦	ص	١٥٩ ، ١٥١
﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾	٢٩	ص	٣٢٦
﴿ رَبِّ اغفر لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَبْغِي لأحد من بعدي ﴾	٣٥	ص	١٧٨، ١٧٩ ، ١٨٠، ١٨١
﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ﴾	٣٦	ص	١٨ ، ١٧٩
﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾	٣٩	ص	١٩، ١٤٧ ، ١٧٨، ٤٢٤
﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾	٤٤	ص	٣٩٧

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ ولا تنز وازرة وزر أخرى ﴾	٧	الزمر	٦٢٣
﴿ إنما يؤفَى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾	١٠	الزمر	٣٩٧، ٣٩٠
			٤٠٣
﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾	٣٣	الزمر	٥٢٢
﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾	٧٤	الزمر	٤٢٧
﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾	٤٤	غافر	٧٦١
﴿ فوفاه الله سيئات ما مكروا ﴾	٤٥	غافر	٧٦١
﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾	٦٠	غافر	٤٣٣، ٤٣١
﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ﴾	٣٤	فُصِّلَتْ	٣٠٧
﴿ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴾	١١	الشورى	٧
﴿ ومن كان يريده حرث الدنيا فليؤت منها ﴾	٢٠	الشورى	٤٣٣
﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾	٢٨	الشورى	٦٣٣
﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا			
ما غضبوا هم يغفرون ﴾	٣٧	الشورى	٣٠٦
﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾	٤٠	الشورى	٣٠٧
﴿ ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من			
سبيل ﴾	٤١	الشورى	٣٠٦
﴿ ولن صبر وغفر إن ذلك ليعن عزم الأمور ﴾	٤٣	الشورى	٣٠٦
﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾	٣٢	الزخرف	١٢١
﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من			
تحتي أفلا تبصرون ﴾	٥١	الزخرف	٥٠٩
﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو			
إلا المتقين ﴾	٦٧	الزخرف	٢٩٦
﴿ كم تركوا من جنات وعيون • وزروع ومقام كريم			
• ونعمة كانوا فيها فاكهين ﴾	٢٧-٢٥	الدخان	٥٠٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾	٢١	الجاثية ٨٥	
﴿ نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾	٢٤	الجاثية ٤٥١	
﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾	٢٠	الأحقاف ٥٣٦ ، ٥٣٩	
﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾	٣٥	الأحقاف ٣٠٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم يثبت أقدامكم ﴾	٧	محمد ٦٩٠ ، ٦٩١	
﴿ ولتقرّ قنّهم في لحن القول ﴾	٣٠	محمد ١١٨	
﴿ ومن يخل فإنما يخل عن نفسه ﴾	٣٨	محمد ٣٨٦	
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾	٦	الحجرات ٦١٢	
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢١	الذاريات ٢٧٤	
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾	٥٦-٥٨	الذاريات ١٢٦	
﴿ الرّحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان ﴾	٤-١	الرّحمن ٦٢٠	
﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾	٣	الحديد ٧	
﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فظال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾	١٦	الحديد ٢٢	
﴿ اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد			

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يبيح فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ولى الآخرة عذاب شديد ﴿	٢٠	الحديد	٤٥، ١٨
﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴿	١١	المجادلة	٢١٧
﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴿	٩	الحشر	٣٦٠، ٣٦١
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	٩	الحشر	٣٨٧، ٤٦٢
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿	١٦	التغابن	٣٨٧، ٣٦٢
﴿ وقودها الناس والحجارة ﴿	٦	التحريم	٦٣١
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيف الخبير ﴿	١٤	المُلْك	٣
﴿ وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴿	٤	القلم	٥٧٤، ٥٧٦
﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴿	٩	القلم	٥٨٨، ٥٨٩
﴿ ولا تطع كل حَلَافٍ مهين * هَماز مشاء بنميم * منع للخير معتدٍ أثيم * غُثِلَ بعد ذلك زَئيم ﴿	١٠-١٣	القلم	٦٠٩
﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأُملى لهم إن كيدى متين ﴿	٤٤، ٤٥	القلم	٥٠٣، ٤٠٥
﴿ فاصبر صبراً جميلاً ﴿	٥	المعارج	٤٠٩
﴿ والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير مَلُومِينَ ﴿	٢٩، ٣٠	المعارج	٤٣٠
﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ﴿	١٠-١٢	نوح	٤٣٢
﴿ وثيابك فطهر ﴿	٤	المدثر	٥٨٤
﴿ وإذا الوحوش حُشرت ﴿	٥	التكوير	٦٢٨
﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿	١٤	المطففين	٣١، ١٧
﴿ والفجر * وليالي عشر .. ﴿ إلى قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴿	١ - ١٤	الفجر	١٢٧، ١٢٨

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	الضحى	٤٢٦
﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٦	الشرح	٦٣٣
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	٨ ، ٧	الزلزلة	٢٩

(٢)

فهرس الأحاديث النبوية ،
حرف الألف - همزة ،

الصفحة

مطلع الحديث

- آدَمَ الله بينكما.. [قاله ﷺ لرجلين متباغضين] ٥٨٠
- أبشروا بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك .. [قاله ﷺ لكعب بن مالك ...] ٦٣٧
- أبشروا فقد جاءكم اليسر ٦٣٣
- ابن آدم ، إنما لك من مالك ما أكلت فأفانيت ٣٦٢
- أتدرون مني المُفلس ؟ ٦٢٦
- أترون هذا هان على أهله ؟ ... [قاله ﷺ حينما رأى طلاً مذبحاً بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه] ٢٠
- اتقوا الشح ٣٨٦
- اتقوا دعوة المظلوم ٥٩٣
- اتقى الله واصبري .. [قاله ﷺ لامرأة كانت تبكي عند قبر] ٣٩٣
- أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا ٧٢٢
- احشوا في وجوه المدّاحين التراب ٥٥٥
- إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ غَمَ التَّفَتِ فِيهِ أَمَانَةٌ ٤١٨
- إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَلْيَجْلِسْ ٥٨١
- إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُنْفَى بِالْوَالِي ١٦٤
- أَرَأَيْتُمْ سَلِيمَانَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مُلْكِهِ ١٨٠
- أَرْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمَشْرُكٍ ... [قاله ﷺ لرجل من المشركين] ٥٤٦
- أَرْحَمُ قَرَحَمٍ ٣٠٩
- ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ ٣٠٩
- اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ بِالْكَفَّانِ ٤١٣
- أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِمَامُ الْجَائِرُ ١٦٧
- أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا ١٧٣
- اشْكُرُوا لِمَنْ أَنْتَى عَلَيْكُمْ ٣٨١

- اطلع في القبور ... [قال ﷺ لرجل شكاً إليه القسوة] ٣٥٤
- اعقل يا أبا ذرٍّ ما أقول لك ١٧٣
- أفضل الناس أعقل الناس ٢٨٠
- أفلا أكون عبداً شكوراً ٤٢٩
- اقتلوا الوزغ ٦٣٠
- أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم ٣٣٥
- ألا أخبركم بشراركم ؟ ٦١٣
- ألا أدلكم على ما يحبط الله به الخطايا ؟ ٣٩٢
- ألا أهلك الدنيا جميعاً بما فيها ؟ ٢١
- ألا إن القوة الرمي ٦٧٨
- ألا كلكم راجع ١٦١
- اللهم إني أعوذ بك من شح نفسي ٣٨٦
- اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ٩٣
- آمري يا رسول الله ١٦٦، ١٦٣
- إن استطعت أن تعمل لله بالرضا ٤٠٤
- أنا حبيب المظلوم ٥٣٠
- إنا لا نستعمل على عملنا من أراحه ٥٦٠، ٢١١
- انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال ٦٢٨
- انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة ٤٠١
- أنزل الداء الذى أنزل الدواء ٧٠٨
- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ٥٩٥
- انظر إليها ... [قاله ﷺ لرجل أراد أن يتزوج امرأة] ٥٨٠
- أنهاك عن الشرك بالله والكبر ... [قاله ﷺ لعمه العباس] ٢٣٢
- إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه ١٥٢

مطلع الحديث

الصفحة

- إِنَّ الْجِسَلَ - ولد الضب - تموت بذنب ابن آدم ٥٩٧
- إِنَّ الْحَشْرَاتِ تَمُوتُ فِي أَجْحَرِهَا هُزَالاً بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ ٢٠٧
- إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٣٢٥، ٢١٦
- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ ٣٢٥
- إِنَّ عَفْرِيئاً مِنَ الْجَنِّ جَعَلَ يَتَفَلَّتُ عَلَى الْبَارِحَةِ ١٨٠
- إِنَّ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَدْخُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهَا ٥٢٨
- إِنَّ قَسَّ بْنَ سَاعِدَةَ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ ٧٩
- إِنَّ الْقَاضِيَ يَزُلُ فِي مَزَلَّةٍ أَبَدٍ مِنْ عَدَنِ فِي جَهَنَّمَ ١٦٨
- إِنَّكُمْ سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ١٦٣، ١٦٢
- إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةَ ٤٦٣
- إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هَادٍ قَلْبِكَ وَلِسَانُكَ .. [قَالَ ﷺ لَعَلَّيْ بَنِي طَالِبٍ] ١٧٥
- إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ جَبَّاراً ١٢٩
- إِنَّ اللَّهَ لِيَزْعُ بِالْسلْطَانِ مَا لَمْ يَزْعُ بِالْقُرْآنِ ٢٥٢
- إِنَّ اللَّهَ لِيُجْلِيَ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ٥٩٥
- إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يَعْذِبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ٦٠٢
- إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً ٥٧٦
- إِنَّمَا يُبْعَثُ رَحْمَةً وَلَمْ يُبْعَثْ عَذَاباً ٥٨٥
- إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى ٣٩٣
- أَوَّلُ مَا تَأْخُذُ النِّسَاءُ التُّطْقُ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ٦٣٤
- أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ ٦٢٢
- أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ ٢٠٩
- أَيُّكُمْ يَعْرِفُ قَسَّ بْنَ سَاعِدَةَ ؟ ٧٥
- أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوَّرُ ٩٥

(حرف الباء)

- بايعتُ النبي ﷺ على السمع والطاعة ٣٢٨
 • يَايَعْنَا النبي عليه السلام ٤٦٢
 • برئ من الشح من أدى الزكاة ٣٨٨
 • بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق ٥٧٥

(حرف التاء)

- تجدون من خير الناس ١٦٤

(حرف الشاء)

- ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم ١٨٢
 • ثلاث لا يُغْلُ عليهن قلب مسلم ٣٢٧

(حرف الجيم)

- جاء رجل الى النبي فقال : إني جائع ٣٦٠
 • الجنة لا يدخلها ديوث ولا قَلَاع ٦١٥

(حرف الحاء)

- الحرب تُخدَع ٦٨٩
 • حَسِّنْ خُلُقَكَ للناس بِأَمْعَاز ٥٧٦

(حرف الخاء)

- خير الأمور أوساطها ٢٨٦
 • خير المال سكة مأبورة ٥٩٦

(حرف الدال)

• دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله ١٦٩

(حرف الذال)

• ذلك الأحق المطاع ... [قاله ﷺ في الأقرع بن حابس التميمي] ٢٣٤

(حرف الراء)

• رأس العقل - بعد الإيمان بالله - التودد إلى الناس ٥٨٨

• رأى عيسى - عليه السلام رجلاً يسرق ٥٨٤

• رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْتِيهِ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ٦٤٨

(حرف السين)

• سئل ﷺ عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة ٣٩٤

• سئل ﷺ عن الشؤم فقال : سوء الخلق ٥٨٥، ٥٨٤

• ساقى القوم آخرهم شرباً ١٩٥

• سبعة يُظْلَمُ الله في ظلمه ١٨٣

• السُّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ ٣٦٢

• السلطان ظل الله في أرضه ١٨٣

• سيأتيكم رَكْبٌ مَبْعُوثُونَ ٤٦٣

(حرف الشين)

• الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده ٦٦٩

(حرف الصاد)

• الصبر ستر من الكرب وعون على الخطوب ٣٩٦

- الصبر ضياء ، وبالصبر يتوقع الفرج ٣٩٦
 • صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي ١٦٩
 • صنفان من أهل النار لم أرهما ٥٩٥

(حرف الضاد)

- ضرب موسى الحَجَر الذي فُر بثوبه ٦٣١

(حرف الطاء)

- الظلم ظلمات يوم القيامة ٥٩٣

(حرف العين)

- العرفاء في النار ١٦٧
 • العقل حيث كان ألوف مألوف ٢٨٠

(حرف القاف)

- قد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر ٣٩٣
 • القضية ثلاثة : اثنان في النار ، وواحد في الجنة ١٧٦، ١٧٠
 • قطعت ظهر أخيك .. [قاله ﷺ حينما سمع رجلاً يمدح رجلاً] ٥٥٥
 • القلب كالكف ، فإذا أذنب العبد انقبض ٣١

(حرف الكاف)

- كان النبي ﷺ في غزوة فأمرهم بالنزول ٢١٠
 • كأني بك قد لبست ميوارى كسرى .. [قاله ﷺ لسراقة بن مالك] ٥٠٥
 • كن في الدنيا كأنك غريب ١١٥

مطلع الحديث

الصفحة

• كيف رأيت الإمارة أبا معبد؟ .. [قاله عليه السلام للمقداد بن عمرو] ٥٦٧

(حرف اللام)

• لا تُسَبِّحْهُ عنه - أى : لا تخففى عنه .. [قاله عليه السلام لعائشة رضى

الله عنها عندما سُرِقَتْ لها ملحفة فجعلت تدعو على مَنْ أخذها] ٤٦٥

• لا يَأْتِيَنِي أَحَدُكُمْ عَلَى رِقْبَتِهِ بِعَمْرٍ لَه رِغَاء ٦٢٨

• لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ٣٢٨

• لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ - أَوْ نَغَامٌ ٦١٣

• لَتَوَدُّنَّ الْحَقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦٢٨

• لَتَعْمَلُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ فِي رِعْيَتِهِ يَوْمًا أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ ١٨٤

• لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ٥٧٨

• لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ٥٥٢

• لَوْ أَطْلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَأَتْ الْأَرْضَ

مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ٥٢٩

• لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ٧١٠

• لَوْ جِئْتَنِي مَالًا أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا ٥٠٦

• لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ ٤٣٢

• لَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ لَقَبِضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَوْذِبِهِ ٧٥٨

• لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَرَنُّنًا عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ١٩

• لَوْلَا الْقِصَاصُ لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا ٦٢٥

• لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ ١٢٣

• لَيْسَ مِنْ وَالِيٍّ وَلَا قَاضٍ إِلَّا وَيُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٦٧

• لَيُؤَدُّنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ وَقَعُوا مِنَ الثَّرْيَا وَلَمْ يَكُونُوا أَمْراءَ عَلَى شَيْءٍ ... ١٦٩

(حرف الميم)

• مَا أَزْدَادَ رَجُلٌ بِعَفْوٍ إِلَّا عَزَا ٣٥٥

- ما بال الرجل نستعمله على عمل من أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا لي . ٥٦٩
- ما بعث الله نبيًّا ولا استخلف خليفة إلا كانت له بطاقتان ٢٨٨
- ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ؟ ٥٠١
- ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ٥٩٧
- ما لكم ولأمرائي ؟ لكم صفو أمرهم وعليهم كدره ١٩٥
- ما من امرئ على أمر المسلمين ١٦١
- ما من أمير يؤمِّر على عشرة ١٦٩
- ما من عبد يسترعيه الله تعالى ١٦١
- مانع الزكاة يجيء ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه ويقول : أنا مالك .. أنا كنزك ٥٩٤
- ما هذا يا جبريل ؟ ٥٧٥
- ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ٣٩٢
- المؤمن ألف مألوف ٥٨٠
- مثل ابن آدم عند الموت كمثله رجل له ثلاثة أخلاء ١٠٤
- المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ١٤٣
- مر النبي ﷺ بقرين فقال : إنهما ليعذبان ٦١٤
- مطَّل الغني ظلم ٥٩٥
- ملعون ذو الوجهين ٦١٣
- من استرق أو اكتوى فقد برى من التوكل ٧٠٨
- من أشرط الساعة أن تكون الزكاة مفرمًا ٢١٢
- من أصبح غاشًا لرعيته لم يَرْخ راحة الجنة ١٢٦
- من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار ٥٩٧
- من التمس رضا الناس بسخط الله ١٠٧
- من جُعل قاضيًا ١٧١

مطلع الحديث

الصفحة

* من شفع لأخيه شفاعاً فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى باباً

عظيماً من أبواب الربا ٥٦٩

* من ظلم من الأرض شبراً طَوَّقَهُ من سبع أرضين ٥٩٤

* من قَدِمَ إلى القضاء فقد ذُبِحَ بغير سكين ١٧٥، ١٧١

* من كانت لأخيه عنده مظلمة فليتحلَّه منها ٦٢٢، ٥٩٤

* من كانت له عندى مظلمة فليأت ٦٢٣

* مَنْ كَرِهَ من أموره شيئاً ٤٦٣

* من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ٤٢٦

* من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً ١٦٤

(حرف النون)

* نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عن كلام كعب بن مالك ومراة بن الربيع وهلال بن

أمية ٦٣٦

(حرف الواو)

* وَجِبَتْ حُبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَغْضَبَ فَحَلِمَ ٣٣٣

(حرف الياء)

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّمَا أَمَانَةٌ ١٧٤

* يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَحْبَبْتُ لَكَ مَا أَحْبَبْتُ لِنَفْسِي ١٧٤

* يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، هَذِهِ الرِّعَاسُ كَانَتْ تَحْرُصُ عَلَى الدُّنْيَا كَحِرْصِكُمْ ٢١

* يَا بَنَةَ أَبِي بَكْرٍ ، ذَرْنِي أَتَعْبُدُ لِرَبِّي ٤٢٨

* يَا جَبْرِيلُ ، مَا هَذَا ؟ ٣٠٥

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُهَا وَأَتَوَكَّلُ ؟ ٧٠٧

* يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَعْمِلْنِي ٥٦٠، ٢١١

- يا رسول الله ، خز لي - أو اخز لي ٥٧١، ١٦٩
- يا رسول الله ، أئى المؤمنين أفضل ؟ ٥٧٥
- يا رسول الله ، علمنى كلمات أعيش بهن ٣٣٢
- يا عباس يا عم النبي ، نفس تحبها خير من إمارة لا تحصيها ١٦٦، ١٢٦
- يا عبادى ، إني حرمت الظلم على نفسى ٥٩٢
- يا عبد الرحمن ، لا تسأل الإمارة ١٦١
- يا عبد الله ، كن فى الدنيا كأنك غريب ٢٢
- يا عمر ، ما آتاك الله من هذا المال ٥٤٠
- يا عويمر ، ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ٢٨٢
- يا محمد ، إن الله يقول لك : عش ما شئت ٢٠
- يا محمد ، ما هذه الجريدة بيدك ؟ ١٢٩
- يا محمد ، مر لي من مال الله الذى آتاك ٥٧٦
- يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة ١٦٨
- ينجى الظالم يوم القيامة ٦٠٢
- يخلص المؤمنون من النار ٦٢٣
- اليد العليا خير من اليد السفلى ٣٧٦
- يرحم الله أم إسماعيل ٦٣٦
- يُسئل العود لم يحدش العود ٦٢٩
- يقول الله تعالى : اشتد غضبى على من ظلم ٦٠١
- يقول الله تعالى يوم القيامة : أنا ظالم إن فاتنى ظلم ظالم ٦٢٤
- يقول الله تعالى : أنا والجن والإنس فى نبي عظيم ٤٢٨
- ينادى مُنادٍ يوم القيامة : من كان له على الله أجر فليقم ٣٠٨

(٣)
(فهرس القوافي)

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
(قافية الهمزة)				
قل ما بدا لك	صمَاء	البسيط	١	٣٤٣
وراعي	رعَاء	الوافر	١	١٦١
رأيت الحرب	براء	الوافر	١	٦٨٩
(قافية الباء)				
أَلَمْ تَر	الرُّطْبُ	الطويل	٢	٧١٠، ٧٠٩
طُبِعَتْ	المُهَذَّبَا	الطويل	٣	٧١٥
أَقُولُ	تذهبُ	الطويل	٢	٥٠
وَعُوضَتْ	يذهبُ	الطويل	١	٤٠٠
وما سُمِّيَ	يتقلبُ	الطويل	١	٧٢٣
يخبِبُ	طالِبُهُ	الطويل	١	٧١٤
أَلَمْ تَر	التجاربِ	الطويل	١	٢٧٨
ومن يرهط	الكلبِ	الطويل	١	٥٦٨
ولانْيَاسَنَ	حبيبِ	الطويل	١	٧٢٣
يَقْدُ	المُحِبَّاجِبِ	الطويل	١	٦٧٦
بالله رَيْكَ	والطَّرِبِ	البسيط	٢	٨١
إذا غدا	الحربِ	البسيط	٢	٤٧٢
لَمَّا رَأَيْتُ	بالعقابِ	مخلع البسيط	٢	٣١٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وراعى	ذئابُ	الوافر	١	٢١١
نعم	مصائبُ	الكامل	١	٤٣٥
كم للحوادث	بنوائبُ	الكامل	٣	٩٧، ٩٦
جمع الشجاعة	المحرابُ	الكامل	١	٦٦٩
ولقد مررتُ	نهبُ	الكامل المرفل	٣	١٠٣
إن الهدية	القلوبنا	مجزوء الكامل المرفل	٣	٥٧٢
يا مَلِكُ	واجبُ	السريع	٢	٢٩١
لا تُرْجُ	العيبُ	السريع	١	٢٠٤
ماكل مكتوم	جوابه	السريع	٤	٤٢٢
لا تُخْفِرَنَّ	شبيبُ	المجئت	١	٢٥٧
إذا ما تحلا	كعابُ	المتقارب	٥	٧٨٣

« قافية التاء »

وعظمتك	تحفتُ	مجزوء الكامل	٥	٤٨
إن يكن	وجلتُ	الخفيف	٤	٦٣٤
نضر الله	الطلحاتُ	الخفيف	١	٣٦٦

« قافية الشاء »

ولا شيء	حديثُ	الوافر	١	٥١٨
---------	-------	--------	---	-----

« قافية الجيم »

كدودُ	ناسجةُ	الطويل	١	٩٦
إن الأمور	ارتجما	البيسط	٣	٤٠١
من كان يعلم	مخرجةُ	البيسط	٤	٦١
أيها العبدُ	راجُ	الخفيف	٤	٦٦٣

صدر البيت قافيته بحره عدد الأبيات الصفحة

« قافية الحاء »

٣٢٩	١	مجزؤه الكامل	النصوح	وعلى النصوح
٤٢٢، ٤٢١	٢	المتقارب	صحيحًا	ألم تر

« قافية الدال »

٣٧٩	٢	الطويل	غَدَا	ذنبى
٧٨٨	٤	الطويل	ومشهدًا	لنا جلساء
٣٨٢	٣	الطويل	واحد	وأنى امرؤ
٦١١	١	الطويل	الفرْدُ	وأنت زنيم
٧٨٣	٥	الطويل	الوجد	سمير
٣٣٠	٣	البسيط	أحد	لقد نصحت
٤٧٥، ٢٣٦	١	البسيط	سادوا	لا يصلح
٣٤٧	٢	البسيط	ثريد	أقول للنفس
٦٧٥	٢	البسيط	بادى	أبقى الحوادث
٨٤	٣	الوافر	الجديدا	لمن أبنى
٣٧٦	٢	الوافر	اقتصادى	ملأث
٢٥	٦	الوافر	وإد	مقيم
٤٨٢	١	الكامل	فيخمد	عذوى البليد
٣٦، ٣٥	٧	الكامل	الأعواد	ولقد علمت
٦٧	٣	الكامل	الحَدُّ	من كان
٢٧	٢	الرجز	تبيدى	ولقد سألت
٢٥٦	٢	السريع	السوددا	تفقّد
٢٧٩	١	الخفيف	شديد	أنفس
٥٩٨	٢	المتقارب	المعاد	إذا ما ممت

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات الصفحة
-----------	--------	------	--------------------

(قافية الراء)

ولا خير	يُكَدَّرَا	الطويل	٢	٣٥٠
تروحُ لك الدنيا	أُمُورُ	الطويل	٤	٧٣
فَقَى	كَيْثُرُ	الطويل	١	٢٣٣
إذا كان	الشكرُ	الطويل	٤	٤٢٦، ٤٢٥
سأشكرُ	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
إلهي	الشكرُ	الطويل	٢	٤٤٠
ألا فاستغنى	الجهرُ	الطويل	٢	٤٧١
ومن يُنْفَقْ	الفقرُ	الطويل	١	٧٦٥
أيا منزلاً	ودُورُ	الطويل	١٤	٧٨٢، ٧٨١
فإن كُنْتُ	الدَّهْرُ	الطويل	١	٢٣
تنافسُ	الفقرُ	الطويل	٢	٧٣ ، ٧٢
فإن كُنْتُ	الأجرُ	الطويل	١	٣١٣
إذا طَالَ	الصبرُ	الطويل	٢	٤٠٠
صبرْتُ	للصبرِ	الطويل	١	٤٠٦
صبرْتُ	السَّوْرُ	الطويل	٢	٤٠٨
رضيتُ	الأمرُ	الطويل	١	٤٠٨
سأصبرُ	صبري	الطويل	١	٤٠٨
تعودْتُ	الصبرِ	الطويل	٣	٤١١
فأنفقُ	تفسيرُ	الطويل	٢	٧٧٧
أحسنْتُ	القَدْرُ	البسيط	٢	٢٢
ولا أرى	أثرُ	البسيط	٢	٣٢
هَذِي منازلُ	خطرُ	البسيط	٢	١٠٢

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
بالملح	الغَيْرُ	البسيط	١	٢١١
إذا مرضنا	فنعْتَذِرُ	البسيط	١	٣١٣
يا مَنْ أَلَحَّ	الغَيْرُ	البسيط	٤	٤٠٢
ولو قد رُثْتُ	والخَيْرِ	البسيط	٢	٤١٥
عرضْتُ	مُرُّ	الوافر	٤	٣٢٩
ولو لَيْسَ	حمارٍ	الوافر	١	٩
وإذا تُهَيِّئْكَ	لا يصْبِرُ	الكامل	١	٤٠٠
وإذا بَقِيَ	بالتكْرِ	الكامل	١	٣١٠
في الذاهِبِينَ	بصائرُ	مجزوء الكامل	٦	٧٧، ٧٦
قالوا	تَفَرُّ	مجزوء الكامل	٤	٧١٨
عِشْ ما بَدَأَ لَكَ	القصورِ	مجزوء الكامل	٤	٦٦
لن ترجع	زاجِرُ	الرجز	١	٣٢
لن يُسَبِّقَ	طَيَّارٍ	الرجز	٢	٧١٦
فُصِّحَ	الأَرْزُ	الرَّمَلُ	١	٣٤٧
أيها الرُّبْعُ	أَثَرَا	الرمل	٣	٩٢
الناسُ	قَلْدِرِي	السريع	٢	١٢
صَابِرُ	صَبْرَا	الخفيف	١	٤٠٦
وتَيَّنَ	تدْكِيرُ	الخفيف	٦	٣٥، ٣٤
وإذا ما اعترتك	الاعتذارِ	الخفيف	١	٣٥٦
هِيَ الدَّارُ	الغَيْرُ	المقارب	٤	٣٠
فلا تُحْفَرَنَّ	قِصْرُ	المقارب	٢	٦٧٧
قلو كان	الناظِرُ	المقارب	٣	٤٤٢
دع الدُّهْرَ	أوطارِهِ	المقارب	٣	٤٠٦، ٤٠٥

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
إذا ما خلوت	دفعري	المقارب	٨	٧٨٤
(قافية الزاي)				
زَرَرْنَا	أَجَوَزُ	الطويل	١	٣٥٦
لئن عَجَزَتْ	عَاجِزُ	الطويل	٢	٤٤١
(قافية السين)				
ومستودعي	الحسُ	الطويل	٢	٤١٦
رُبُّ مغروس	مغترِبة	المديد	٢	٧٢
أُنسُ	أنيسي	الوافر	٦	٧٨٦، ٧٨٥
إِنْ صَحِبْنَا	الجليبي	الخفيف	٥	٧٨٥
(قافية الشين)				
فلا تنطق	فاشي	الوافر	١	٤٢٠
(قافية العين)				
لَعَمْرِي	جائما	الطويل	٣	٣٨٣
أبا جعفر	واقع	الطويل	٢	٨٣ ، ٨٢
وَمَنْ يَأْمَنُ	الأصابع	الطويل	١	١٠٣
ومعصية	استماعا	الوافر	٢	٣٣٠، ٣٢٩
تعصى	بديع	الكامل	٣	١٥٤
ذئب	ركع	مجزوء الكامل	٣	٤٤٧، ٢١٢
إنما أجزع	والجزع	الرمل	١	٤٠٤
وأنت	المطاع	المقارب	٢	٢٩٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
-----------	--------	------	-------------	--------

(قافية الفاء)

وَيْتَنَا نُسُوسُ	ننصفُ	الطويل	٢	٦١
لَا تَبْخَلَنَّ	والسرفُ	البيسط	٢	٧٧٧
لَا الْفَقْرُ	سرفُ	المنسرح	٢	٣٦٦
وسركُ	الحفي	المتقارب	١	٤٢٠

(قافية القاف)

فَقُلْ	وَأَعْتَقُ	الطويل	٣	٣٤٣
إِذَا ضَاقَ	أَضِيقُ	الطويل	١	٤١٩
قِفْ بِالْدِيَارِ	تشوقاً	الكامل	٣	٩٢ ، ٩١
ومن الرزية	ناطق	الكامل	٢	٤٣٨
إِنَّ الْبِلَاءَ	مُطَاقٍ	الكامل	١	٤١١
لَا تُكْثِرُ	المخلوق	الرجز المشطور	١	٤٠٩
مازِلْتُ	عَلِقِ	المنسرح	٢	٣١١ ، ٣١٠
قَلْتُ	الآفاقِ	الخفيف	٥	٥١ ، ٥٠

(قافية اللام)

إِذَا لَمْ يَكُنْ	طِفَلًا	الطويل	٣	٢٦٦
إِذَا طَالَ	عَقَلًا	الطويل	١	٢٧٨
إِلَهِي	أَفَلًا	الطويل	٢	٤٣٧
سَوَّاسَ	فَضْلًا	الطويل	١	٤٧٥
أَرَى	عَلِيلُ	الطويل	٣	٤٩
نَسِيرُ	مراحلُ	الطويل	٤	٥٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
كأني	منازلة	الطويل	٢	٨٢، ٨٠
أتبني	قليل	الطويل	٢	١٠٢
تعلم	جاهل	الطويل	٢	١٤٠
إذا راب	مفاصل	الطويل	٢	٣٠٣
إذا أنت	جاهل	الطويل	١	٣٤٥
وآمرة	سبيل	الطويل	٤	٣٨٢، ٣٨١
سأسكت	فلول	الطويل	٣	٤٠٥
ويعني	علي	الطويل	٢	٤٠٦
تعر	معرول	الطويل	٨	٤١٢، ٤١١
ألا أيها الموت	خليل	الطويل	٢	٤٩
يسود	توفل	الطويل	١	٣٣٨
وجهل	بالجهل	الطويل	٢	٣٤٠
كسوتني	حللا	البسيط	٤	٣٨٠
بأثوا	القلل	البسيط	٦	٣٨
أصون	المال	البسيط	٢	٣٨٣
إذا لعب	بالرجال	الوافر	٢	٤٠٧
صبرا	فمن لها	الكامل	٣	٤٠٥، ٤٠٤
صبرتي	لعلها	الكامل	٢	٤٠٥
ياخذ	الجنديل	الكامل	٢	٥٨
الحرب	جهول	الكامل	٣	٦٩٠، ٦٨٩
لى حيلة	حيلة	مجزوء الكامل	٢	٢٣٦
من رآنا	زوال	الزومل	٥	٥٦، ٥٥
إنك لى دار	العامل	السريع	٤	٥٩
إننا إذا	للقائل	السريع	٣	٣٥٦، ٣٥٥
لم أكن	صالي	الخفيف	١	٦٨٩

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الآيات	الصفحة
يُمَثَّلُ	تَنْزِلًا	المتقارب	٣	٤١٠
(قافية الميم)				
وعاذلة	والقسَمُ	الطويل	٣	٣٨٠
خَلِيلِي هُبَا	كِرَاكُمَا	الطويل	٨	٧٩، ٧٨
صفوح	مجرما	الطويل	٢	٣١٥
سألزم	الجرائمُ	الطويل	٥	٣٣٧
وليسَ	لا يتحلَّمُ	الطويل	٢	٣٤٤
وما سقطت	ذميتها	الطويل	٤	٥٦١
وقالَ	المائم	الطويل	٣	٣٩٩
إذا ترحلت	هُمُ	البسيط	١	٣٨٥
هَيْدَى منازلُ	بالذَمِّ	البسيط	٢	٧٠
لن يبلغَ	لأقوامِ	البسيط	٢	٣٣٩
البرُّ بي	تَلِمَ	البسيط	٢	٣٥٧
لا تَظْلَمَنَّ	الندم	البسيط	٢	٥٩٨
قد يُنعم	بالنعمِ	البسيط	١	٧٥٩
إذا ما ضاقَ	تلوُّمُ	الوافر	٢	٤٢٠
أرى	ضرامُ	الوافر	٣	٢٣١، ٢٣٠
ولأنَّ اللهَ	الحليمُ	الوافر	١	٣١٦
أما واللهِ	الظلوُّمُ	الوافر	٣	٦٠٨
زنيَمَ	لعميم	الوافر	١	٦١١
يا أيُّهَا	التعليمُ	الكامل	٦	٤٧٤، ٤٧٣
إني وهبتُ	علمي	الكامل	٦	٦٠٠
مَنْ يَهْنُ	إيلاَمُ	الخفيف	١	٣٣٦

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
وأخْبِ	تُصَرِّمًا	المتقارب	١	٧٢٣
تبوحُ	يَكْتُمُ	المتقارب	٣	٤٢٠
إذا كُنْتُ	مغرْمُ	المتقارب	٣	٥٧٢

(قافية النون)

أَجُودُ	لَصْنَيْنُ	الطويل	٤	٤١٧
بأحلام	لسانٍ	الطويل	٢	٣٤٨، ٣٤٧
قلو كان	مكانٍ	الطويل	٢	٤٤١
ليس الشفيع	عُرْيَانًا	البسيط	١	٤٨٨
إِنْ كُنْتُ	قارونٍ	البسيط	٤	٨٤ ، ٨٣
والناسُ	إحسانٍ	البسيط	١	١٤٨
وا أَسْقَى	والحصونُ	مخلع البسيط	٤	٥٥
الصبرُ	يهونُ	مخلع البسيط	٣	٤٠٢
ألا لا يجهلُن	الجاهليتنا	الوافر	١	٣٠٧
إلهي لا تعذبني	مِنِّي	الوافر	٨	٧٥، ٧٤
وأكرمُ	اليدين	الوافر	٣	٥٧٢
والناسُ	عَنِّي	الكامل	١	٦٨٥
أأمتُمُ	أمانٍ	الكامل	١	٧٤٨
أيما الرُّحْبُ	المُجْدُونَا	الهزج	٢	٥٦
ويحكُ	ما شأني	الرجز	٩	٣٩
ليت شعري	الْوَسْنُ	الرمل	٤	٨٦
رُبَّ ورقاء	فَنِّي	الرمل	٦	٩٣، ٩٢
يا ذا الذي	مِنِّي	السريع	٢	٤١٩
أيها المرءُ	تَأْمَنْتَهَا	الخفيف	٢	٤٣

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	الصفحة
أَسْعَدَانِي	الزَمَانِ	الخفيف	٣	٥١ ، ٥٢
أَنْتَ زَيْعَمُ الْمَتَاعِ	لِلْإِنْسَانِ	الخفيف	٢	٦٧
أَيُّهَا الرَّافِعُ	الْمُبَانِي	الخفيف	٢	٨١

« قافية الهاء »^(٥)

وَأَنَّى لَمْ تُشْتَقِّ	عَلَيْهِ	الطويل	٢	٣٠١
إِذَا رَشُوهُ	فِيهِ	الطويل	٢	٥٧٢
إِنَّ الْمَكَارِمَ	سَادِيهَا	البسيط	٥	٢٨٣
إِذَا ابْتُلِيَتْ	اللَّهُ	البسيط	٣	٤٠٦
إِذَا أَتَتْ	كُؤَاهَا	الوافر	١	٥٧١
أَقَامَ عَلَى الْمَسِيرِ	حَادِيهَا	الوافر	٣	٧١٦
أُولَيْتَنِي	بِأَسْرِهَا	الكامل	٢	٤٤٠
وَإِذَا تَحْشِيَتْ	تَتَوَجَّهْ	الكامل	١	٧١٥
وَلَهَا سَرَائِرُ	طَيِّهِ	الكامل	١	٤١٦
حَسْبُ	عَلَيْهِ	مجزوء الكامل	٢	٢٣٥
غَدَوْنَا	فَعْلَنَاهُ	المزج	٦	٢٩٨
مَنْ لَمْ يَكُنْ	فِيهِ	السريع	١	٢٨٥


« قافية الياء »

أَلَا حَيَّ	الْيَالِيَا	الطويل	٣	٨٧
كَفَى	يَدَيَا	الوافر	٢	٥٢ ، ٥٣

(٥) رتبت المواد هنا حسب ظاهر اللفظ تسهيلاً على الباحث .

(٤)
فهرس الأعلام

(١)

- ابن الأعرابي (أبو سعيد أحمد بن محمد) : ٧٣١ .
ابن أم حؤاد (في شعر) : ٣٦ .
ابن الجهم = علي بن الجهم .
ابن حبيب = محمد بن حبيب بن أمية .
ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد .
ابن الحصار (أبو المطرف) = عبد الرحمن بن أحمد .
ابن حنبل (الإمام أحمد) : ٥٤٩ .
ابن الجندی (السياف) : ٦٥٤ .
ابن ذكوان (الفقيه) : ٦٥٥ .
ابن رودمي (رودمیل) : ٦٨٥ .
ابن الرومي = علي بن العباس بن جريح .
ابن زياد = عبد الله بن زياد بن أبيه .
ابن زيد = ثابت بن زيد بن النعمان .
ابن زيد = عبد الواحد بن زيد (الزاهد) .
ابن السمك الأسدي : ٦٠٤ .
ابن السمك (الواعظ) : ٢٧ ، ١٢٠ ، ١٥٣ .
ابن سيرين = أبو بكر محمد بن سيرين (البصري) .
ابن شبرمة = عبد الله بن شبرمة .
ابن الشري (القاضي) : ٦٥٤ .
ابن شهاب (الزهري) = أبو بكر محمد بن مسلم .
ابن صمعة : ٤٦٠ .
ابن طلووس = عبد الله بن طلووس الجاني .
ابن عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن عباس = عبد الله بن عباس بن عبد المطلب .
ابن عبد المطلب = محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .
() .
ابن عفان = عثمان بن عفان (رضى الله عنه) .
ابن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب .
ابن عوف = عبد الرحمن بن عوف .

- آدم (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦ ، ١٠٦ ، ١٨٠ ، ٢٦٧ ، ٣١٤ ، ٤٢٦ .
أزر (أبو إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٨ .
إبراهيم بن أحمد الخواص (أبو إسحاق) : ٣٩٧ .
إبراهيم بن آدم : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٣٣١ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ .
إبراهيم بن بشار (أبو إسحاق الخراساني) : ٤٠ .
إبراهيم بن الحسن : ٥٨٢ .
إبراهيم بن خالد بن أبي الهيثم (أبو ثور) : ٣٧٠ .
إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٢٣ ، ٦٨ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ، ٤٦٤ ، ٥١٢ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٦٥ .
إبراهيم بن العباس (الكاتب) : ٢٩٩ .
إبراهيم القمودي (أبو جعفر) : ٥٨٢ .
إبراهيم بن محمد (أبو إسحاق الإسفراييني) : ٦٢٩ .
إبراهيم بن محمد بن علي (صاحب الموصلي) : ١٥٧ .
إبراهيم بن المهدي (العباسي) : ٢٦٥ ، ٣٥٦ .
إبراهيم النخعي : ٥٦٨ .
أبرويز بن هرمز : ٤٩٣ .
ابن أبي حؤاد = أحمد بن أبي حؤاد الإباضي .
ابن أبي ذئب = محمد بن عبد الرحمن .
ابن أبي السرح = عبد الله بن أبي السرح .
ابن أبي عامر = عبد الملك بن عبد العزيز .
ابن أبي عروبة = سعيد بن أبي عروبة .
ابن أبي ليل : ٧١٦ .
ابن الأشعث : ٣٥٦ .

- ابن عون = عبد الله بن عون بن أرتبان .
 ابن حينة = سفيان بن حينة .
 ابن ضحون (أبو الوليد بن ضحون) : ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ .
 ابن فضلوه = عبد الله بن المعلم .
 ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) .
 ابن قتيبة (الدينوري) : ٦١٥ .
 ابن قصاب المديني : ٧٤٢ .
 ابن الكواء = عبد الله بن عمرو بن النعمان .
 ابن التلية = عبد الله بن التلية الأزدي .
 ابن لقمان الحكيم : ٧٢١ .
 ابن المبارك = عبد الله بن المبارك المروزي .
 ابن المستطاري (العابد) : ٦٤٧ .
 ابن مسعود = عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) .
 ابن المصنفى : ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
 ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .
 ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم .
 ابن المنكدر = أبو بكر بن المنكدر .
 ابن هيرة (أمير البصرة) : ٣٢٣ .
 ابن هند = معاوية بن أبي سفيان .
 ابن هود = سليمان بن محمد (المستعين بالله) .
 ابن وهب = عبد الله بن وهب الفهري .
 أبو إدريس الخولاني : ٥٩٣ .
 أبو أمانة الباهلي = صدق بن عجلان .
 أبو أيوب : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
 أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد .
 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (صاحب السنن) : ٥٢٠ ، ٥٢٣ .
 أبو بكر بن أبي مريم : ١٧٢ .
 أبو بكر بن حزم (الأنصاري) : ٤١٨ .
 أبو بكر الثفاق : ٣٧٥ .
 أبو بكر الصديق = عبد الله بن أبي قحافة .
 أبو بكر بن عبد الرحمن (الفقيه) : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .
 أبو بكر بن عمر : ٣٢٤ .
 أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب الزهري) : ١١٩ ، ١٥١ ، ٦٢٦ .
 أبو بكر محمد بن سيرين (ابن سيرين البصري) : ١٧١ .
 أبو بكر محمد بن الوليد (الطرطوشي) : ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٨٦ ، ٣٨١ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 أبو بكر بن المنكدر : ٣٧٧ .
 أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي .
 أبو التياح الأسدي = يزيد بن حميد .
 أبو ثور = إبراهيم بن خالد بن أبي إيمان .
 أبو جعفر الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة .
 أبو جعفر القمودي : ٥٨٢ .
 أبو جعفر المنصور (الخليفة العباسي) : ٨١ ، ٨٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٢٥ ، ٢٦٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٤٦٦ .
 ٤٩٣ ، ٦١٨ ، ٧٣٢ .
 أبو جهل (عمرو بن هشام) : ٦٦٧ .
 أبو حازم الأعرج = سلمة بن دينار المدني .
 أبو الحسن الأشعري = علي بن إسماعيل بن إسحاق .
 أبو حفص = عمر بن أحمد بن شاهين .
 أبو حنيفة (الإمام) = النعمان بن ثابت .
 أبو داود (صاحب السنن) = سليمان بن الأشعث السجستاني .
 أبو الدرداء = عويمر بن مالك .
 أبو دهمان الفلاني : ١٤٥ .
 أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة .
 أبو ذر القاري : ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٩ .
 أبو رهم : ٥٠٩ .
 أبو السرايا (من الفقهاء) : ٦٨٣ .
 أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان .
 أبو سعيد الصوفي : ٥١٦ ، ٥١٧ .
 أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ١٨٥ ، ٥٣٧ .
 أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد .

- أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان .
 أبو عباد الكاتب : ٧٢١ .
 أبو العباس الأنطاكي : ٣٦٨ .
 أبو العباس الجرجاني (القاضي) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٧٧٠ .
 أبو العباس الحجازي : ٢٢٣ ، ٤٨١ .
 أبو العباس السُّفَّاح (أول الخلفاء العباسيين) : ٢٥٧ ، ٣٥٠ .
 أبو العباس الطوسي : ٤٩٣ .
 أبو العباس (المستظهر بالله) : ٥١٧ .
 أبو عبد الرحمن = محمد بن حسين الأزدي .
 أبو عبد الله بن حملون : ٧٨١ .
 أبو عبد الله التَّمَنَّاغِي = محمد بن علي بن حسن .
 أبو عبد الله الروذباري = أحمد بن عطاء .
 أبو عبد الله محمد الأمري (المأمون البطالحي) : ١١ .
 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (البخاري) : ١٦٤ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٤٦٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ .
 أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود : ٢١٩ .
 أبو عبيدة بن الجراح : ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٥٦ .
 أبو عبيدة معمر بن النشئ : ٢٤٧ .
 أبو القتاتبة = إسماعيل بن القاسم .
 أبو عثمان : ٥٧٨ ، ٥٧٩ .
 أبو عثمان البصري = عمرو بن عبيد .
 أبو عثمان الحيري = سعيد بن إسماعيل .
 أبو عثمان النهدي = عبد الرحمن بن مل .
 أبو عقاب علوان بن الحسن : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .
 أبو علي الثقفي : ٣٦٧ .
 أبو علي الدقاق : ٣٦٩ .
 أبو عمرو المكدودي (الفقيه) : ٦٥٤ .
 أبو الفتح البستي = علي بن محمد .
 أبو الفتح بن ألب أرسلان (ملك الترك) : ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ .
 أبو الفضل المعبر : ٦٥١ .
 أبو القاسم بن الحسين : ٦٥٩ .
 أبو القاسم الحضرمي : ٦٥٣ .
 أبو القاسم بن فاذك : ٦٤٨ .
 أبو قتادة الأنصاري = الحارث بن ربيع .
 أبو محمد الأزدي (عبد الله بن موسى) : ٣٦٨ .
 أبو محمد التيمي : ٨٤ .
 أبو محمد الحريري = أحمد بن محمد بن الحسين .
 أبو مرثد : ٣٧٦ .
 أبو مروان الدائي (القاضي) : ٦٥٥ .
 أبو مسعود الأنصاري = عقبة بن عمرو .
 أبو مسلم الخراساني : ٧٣٢ .
 أبو موسى الأشعري : ٢٨٤ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ ، ٥٩٥ ، ٦١١ .
 أبو النضر سالم (مولى عمر بن عبيد الله) : ١٥٧ ، ١٥٨ .
 أبو نواس = الحسن بن هاني .
 أبو هارون : ٤٢٩ .
 أبو هارون الأنطلي : ٨٤ ، ٨٥ .
 أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الثؤوسي .
 أبو الوليد الباجي = سليمان بن خلف التجيبي .
 أحمد بن أبي الخوارى : ١٥٢ ، ٤٠٨ .
 أحمد بن أبي دُرَّاد الإيادي (ابن أبي دُرَّاد) : ٥١٨ .
 أحمد بن خضرويه : ٥٩١ .
 أحمد بن سهل البلخي : ٧٣٤ .

- أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان .
 أبو عباد الكاتب : ٧٢١ .
 أبو العباس الأنطاكي : ٣٦٨ .
 أبو العباس الجرجاني (القاضي) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٧٧٠ .
 أبو العباس الحجازي : ٢٢٣ ، ٤٨١ .
 أبو العباس السُّفَّاح (أول الخلفاء العباسيين) : ٢٥٧ ، ٣٥٠ .
 أبو العباس الطوسي : ٤٩٣ .
 أبو العباس (المستظهر بالله) : ٥١٧ .
 أبو عبد الرحمن = محمد بن حسين الأزدي .
 أبو عبد الله بن حملون : ٧٨١ .
 أبو عبد الله التَّمَنَّاغِي = محمد بن علي بن حسن .
 أبو عبد الله الروذباري = أحمد بن عطاء .
 أبو عبد الله محمد الأمري (المأمون البطالحي) : ١١ .
 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (البخاري) : ١٦٤ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٤٦٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٤ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ .
 أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود : ٢١٩ .
 أبو عبيدة بن الجراح : ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٥٦ .
 أبو عبيدة معمر بن النشئ : ٢٤٧ .
 أبو القتاتبة = إسماعيل بن القاسم .
 أبو عثمان : ٥٧٨ ، ٥٧٩ .
 أبو عثمان البصري = عمرو بن عبيد .
 أبو عثمان الحيري = سعيد بن إسماعيل .
 أبو عثمان النهدي = عبد الرحمن بن مل .
 أبو عقاب علوان بن الحسن : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .
 أبو علي الثقفي : ٣٦٧ .
 أبو علي الدقاق : ٣٦٩ .
 أبو عمرو المكدودي (الفقيه) : ٦٥٤ .

أحمد بن عطاء (أبو عبد الله الروذباري) : ٣٧٢ .
أحمد بن محمد بن الحسين (أبو محمد الجبري) :
٤٠٧ .

أحمد بن محمد بن سلامة (أبو جعفر الطحاوي) :
٥٩٤ .

الأحنف بن قيس : (أبو بحر التميمي) : ١١٧ ،
١١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ،
٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ،
٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٤١٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٩ ، ٥٧٧ ،
٦٦٧ .

أخرسخي الملك : ٧٤٤ .

إدريس (عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٨ ،
أردشير بن بابك : ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠ ،
٣١٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٩٥ ، ٤٧٨ .

أرسطاطاليس (الحكيم اليوناني) : ٥٢ ، ٣٣٦ ،
٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٧٣٠ .

إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٣٣٣ ، ٥٥٣ ،
٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ .

إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٤٢ .

إسفنديار بن بشتاسب : ٧٢٨ .

الإسكندر المقدوني : ٥٢ ، ٦٩ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ،
٢٨٦ ، ٣٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٦١٦ ،

٧٢٣ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ .

إسلم - أبو زيد العدوي (مولى عمر بن الخطاب) :
٥٤٤ .

أسماء (في شعر) : ٣٩ .

أسماء بن خارجة بن حصن : ٣٦٣ .

إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) : ٧٧ ، ٥٥٣ ،
٦٣٤ ، ٦٣٥ .

إسماعيل بن صبيح (الكاتب) : ٤٨٨ .

إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) : ٣٠ ، ٣٢ ،
٤٨ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٦٠٨ .

الأسود بن يعفر (النهلثي) : ٣٥ .

الأشعث بن قيس بن معدى كرب : ٣٧٣ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ .

الاصطخري = الحسن بن أحمد بن يزيد .

الأصمعي = عبد الملك بن قريب .

أفرائيم بن يوسف الصنّيق (عليه السلام) : ٥١٢ .
الأفضل بن أمر الجيوش : ١٤٦ .

أفلاطون (الحكيم اليوناني) : ٢٣٣ ، ٣١٥ .

الأقرع بن حابس (التميمي) : ٢٣٣ .

أكثم بن صفي : ٢٥٨ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٦٩٠ ، ٧٤٩ .

ألب أرسلان (ملك الترك) : ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ،
٦٩٧ .

إلغازر (من قوم إبراهيم عليه السلام) : ٦٤١ .

أم إبراهيم الخليل (عليه السلام) : ٦٤٢ .

أم إسحاق (عليه السلام) : ٦٤٤ .

أم إسماعيل (هاجر المصرية) : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ،
٦٣٦ .

أم حاتم طيء = غنية بنت عفيف .

أم الدّبال العيسية : ٦٨٢ .

امرأة فرعون : ١٥٥ .

امرأة لوط (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة معاذ بن جبل : ٥٣٢ .

امرأة نوح (عليه السلام) : ١٥٥ .

امرأة يعقوب (عليه السلام) : ٤١٣ .

الأمين = محمد الأمين بن هارون الرشيد .

بوليس (الملك) : ٧٤٤ .

البيرودى (الطبيب الحاذق) : ٦٥٢ .

البيهقى = أبو بكر أحمد بن الحسين .

(ت)

تدمير (قائد الروم) = انظر (ردميل) .

ثميم بن المعز : ٤٠٥ .

التهامى = على بن محمد (أبو الحسن) .

(ث)

ثابت بن زيد بن النعمان (ابن زيد) : ٣٨٨ .

ثور بن يزيد : ٦٠١ .

الثورى = سفيان الثورى .

(ج)

جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) : ٣٢٧ ، ٣٨٦ .

الجاحظ = عمرو بن بحر .

جالوت : ٣٠٩ .

جالينوس (الطبيب) : ٧٣٣ .

جبريل (عليه السلام) : ٢٠ ، ١٢٩ ، ٣٠٥ ،

٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٥ .

جرادة (زوجة سليمان - عليه السلام) : ١٥٩ ،

١٦٠ .

جرير (الشيخ) : ٦٤٨ .

جرير بن عبد الله : ٣٤٨ .

جرير بن يزيد (البجلي) : ٣٧٧ .

جعفر بن حنظلة : ٥٨٢ .

جعفر بن سليمان الهاشمي : ١٥٥ .

جعفر بن عثمان (أبو الحسن المصنف) : ٤١٨ .

جعفر بن محمد بن الأشعث : ٣٣٤ ، ٣٣٨ .

جعفر بن محمد الصادق (الإمام) : ٣٤٤ ، ٣٧١ ،

٧٥٨ ، ٧٦١ .

جعفر بن المتصم بن هارون الرشيد (المتوكل) :

٥٤٤ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ .

أُمَيَّة (فى شعر) : ٢٣١ .

أُمس بن مالك (رضى الله عنه) : ٣٦١ ، ٣٢٨ ،

٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٥٢٣ ، ٥٧٥ ، ٥٩٥ ، ٧٠٧ .

أنوشروان = كسرى أنوشروان .

أوربها بن حنان : ٦٢٥ .

الأوزاعى = عبد الرحمن بن عمرو .

أويس بن عامر القرني : ٥٧٩ .

إياس بن معاوية بن قرة : ٢٧٧ ، ٥٥٨ .

أيوب - النبی - (عليه السلام) : ٤٠٨ .

(ب)

باسراج (الملك) : ٧٤٨ .

باقل ربيعة : ٧٨٧ .

البخارى = أبو عبد الله محمد بن إسماعيل .

البيهقان (أبو بزرجمهر) : ٧٣٥ .

بريدة بن الحبيب : ١٧٠ .

بزرجمهر (ابن البيهقان) : ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ،

٢٥٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٧٣ ، ٣٩٦ ،

٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٥٦٠ ، ٧١٤ ، ٧١٦ ، ٧٢٣ ،

٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٥ ، ٧٤٠ ، ٧٧٩ .

بشار بن برد : ٧١٥ .

بشر بن المبرق : ١٥٥ .

بشر بن مروان بن الحكم : ٣٣٥ ، ٥٥٤ .

بشر الحافي (أبو نصر) : ٣٦٩ .

بكر بن عبد الله المزني البصري : ٣٢ .

بلال بن ألى بردة (ابن ألى موسى الأشعري) :

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ٦١١ .

بلال بن رباح : ٤٢٩ .

بلال بن سعد : ٥٩٩ .

بلوام بن حفص (من ملوك اليمن) : ٦٩ .

بهرشان (الملك) : ٧٤٨ .

البهلول بن راشد (أبو عمرو الحجري) : ٣٧٩ ،

٣٨٣ .

بوران بنت كسرى : ٥٥٢ .

٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٠ ، ٥٨٤ ، ٦١٠ ،
٦٣٣ ، ٧١٧ .

الحسن بن سهل : ٣٠١ ، ٣٦٥ ، ٧٣٤ .
الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (نظام الملك) :
٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ .
الحسن بن علي الأسدي : ٥٠٧ .

الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :
١٠٧ ، ٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٠ ، ٥٧٧ ، ٦١٧ .
الحسن بن محمد بن الحسين (رضي الله عنه) : ١٣٨ ،
١٣٩ .

الحسن بن هانيء (أبو نواس) : ٣٣ ، ٤٧١ .
الحسن بن يزيد : ١٥٦ ، ١٥٧ .
حسبل بن جابر بن ربيعة (يمان العيسى) : ٦١٠ .
الحسين بن علي (رضي الله عنه) : ٦٣ ، ١٠٧ ،
١٤٠ ، ٣١٨ ، ٦٧٠ .

حفص بن عمار : ٣٧٩ .
الحكم بن عبد المطلب : ٣٦٤ .
الحكم بن عمرو : ٨١ .
الحكم بن عوانة : ٣٣٩ .
حكيم بن حزام : ٣٦٧ .

حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (الخطابي) : ٣٩٣ .
حمران بن أبان (كاتب عثمان بن عفان) : ٤١٤ ،
٤١٥ .

حميد الطويل (أبو عبيدة الخزاعي) : ٢٩ .
حنظلة : ٣٦٤ .
حواء (عليها السلام) : ٣١٤ .

(خ)

خاتون (أخت ملك الروم) : ٧٢٦ .
خالد بن أسيد : ٣٧٧ .
خالد بن زيد (أبو أيوب الأنصاري) : ٥٠٦ .
خالد بن صفوان (المنقري) : ٣٤٠ .
خالد بن عتّاب بن ورقاء (الراحمي) : ٤٤٩ .
خالد بن الوليد : ٥٢٥ ، ٧٠٨ .

جعفر بن يحيى بن خالد (البرمكي) : ٤٩٦ .
جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري) : ١٦٣ ،
١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٤٣ ، ٥٨٠ ،
٥٨١ ، ٥٩٣ ، ٦٢٨ ، ٦٦٩ .
الجندب (أبو القاسم الخزاز) : ٣٧٠ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ .
جُهَيْل (رئيس القندهار) : ٧١٠ ، ٧١١ .

(ح)

حاتم الطائي : ٣٧٣ .
الحارث بن أسد الهامسي (أبو عبد الله) : ٤٠٧ ،
٤٠٨ ، ٥٧٧ ، ٥٨٣ .
الحارث بن رعي (أبو قتادة الأنصاري) : ٦٣٦ .
الحارث بن عامر : ٥٧٢ .
الحارث بن قيس : ٥٨١ .
حازق (الملك) : ٧٤٤ .
حيان بن هلال (البصري) : ٣٧٥ .
حيب بن أبي حبيب : ٣٩٧ .
حيب بن أوس الطائي (أبو غام) : ٣٩٩ .
حيب بن عيسى بن محمد المجسمي : ٤٣٥ .
حيب بن مسلمة بن مالك الفهري : ٦٢٥ .
الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٠٣ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣١٦ ،
٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٣٥ ، ٥٦٨ ، ٦٠٤ ، ٦٨٢ .
حذيفة بن اليمان : ٣١ ، ١٧٠ ، ٦١٣ .
حذيفة الطوسي (حذيفة بن غاثم بن عبد الله بن
عوف) : ٣٦١ .

الحرق بنت النعمان بن المنذر : ٦٠ .
الحريمري = أبو محمد القاسم بن علي البصري .
حسان بن برزى : ٥٤٦ .
حسان بن ثابت : ٦١٠ .
الحسن بن أحمد بن يزيد (الاصطخري) : ٥٥٠ .
الحسن البصري (أبو سعيد الحسن بن يسار) : ٢٠ ،
٢٨ ، ٣٢ ، ١٠٥ ، ١٦٩ ، ٢١٨ ، ٣٦٣ ،
٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٥ .

- رسم بن الفُرْعَزَاد (قائد فارسي) : ٦٧٥ ، ٦٧٤ .
 الرشيد = هارون الرشيد .
 الرُّقَام (من المتصوفة) : ٣٧٠ .
 روح بن زنباع : ١٤١ .
 الرِّياحى = خالد بن عَتَّاب بن ورقاء .

(ز)

- الزبير بن العوام : ٣٦٧ .
 زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن (الساجي) : ١٦٧ .
 زليخا (زوجة عزيز مصر) : ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
 زمهرير (الملك) : ٧٤٤ .
 زعيم بن فلان : ٦٧٥ .
 زوجة موسى بن عمران : ٦٦٢ .
 الزهرى = أبو بكر محمد بن مسلم (ابن شهاب) .

- زياد بن أبيه (زياد بن عبيد الثقفى = زياد بن سمية =
 زياد بن أبي سفيان) : ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩٦ ، ٧٢٢ .

- زياد (ابن سعد) : ١٥١ .

- زياد بن جرير : ٣٧٧ .

- زياد العبدى : ١٣١ .

- زياد بن عبيد الله الحارثى : ٣٢٤ .

- زياد بن عمرو (أبو أمامة - الناهقة الديباني) : ٤٤٥ ،
 ٦٧٥ .

- زيد (فى شعر) : ٣٢٩ .

- زيد بن أسلم : ١٥٥ ، ٣٦٧ ، ٥٦٥ .

- زيد بن على بن الحسين : ٥٥٣ .

(س)

- السائب بن الأقرع بن عوف : ٥٢٤ .
 سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) : ٣٤ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٣١٤ .

- الساجى = زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن .

- سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام) : ٦٣٤ ، ٦٤١ .

- سحاب بن الأرت : ١١٥ ، ١١٦ .

- سحيب : ٥٣٠ ، ٥٣١ .

- السخر (عليه السلام) : ٩٠ ، ١٧٣ ، ٢٦٧ .

- السخر بن على : ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٩ .

- الخطاى = حمد بن محمد بن إبراهيم البستى .

- الخليل بن أحمد (الفراهيدى) : ٤٧٢ .

- خوارجا بزرک = نظام الملك الحسن بن على بن إسحاق الطوسى .

- الخواص = إبراهيم بن أحمد (أبو إسحاق) .

(س)

- الدامغانى = محمد بن على بن محمد .

- داود - النبى (عليه السلام) : ٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٩ ،
 ٣٠٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٥٦٢ ،

- ٥٦٣ ، ٦٢٤ ، ٧٧٩ .

- داود بن على : ٤٧٦ .

- دُرُوف (الملك) : ٧٤٨ .

(ش)

- ذو الأعواد (فى شعر) = غوى بن سلامة الأسيدى .

- شوبان (رسول ملك كابلستان) : ٧٣٧ ، ٧٣٨ ،
 ٧٣٩ .

- شون النون المصرى (أبو الفيض شوبان) : ٣٥٩ .

(ر)

- رابعة العلوية (أم الخير بنت إسماعيل) : ٣٦٠ .

- رافع بن الليث : ٤٥٦ .

- الربيع بن زياد (الحارثى) : ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣ .

- الربيع بن يونس بن محمد (أبو الفضل) : ٨٣ .

- رجاء بن حيوة (أبو المقداد الكندى) : ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ٣٥٦ ، ٥٤١ .

- ردميل - أو تدمير (قائد الروم) : ٦٩٢ ، ٦٩٩ ،
 ٧٠٠ .

- رسم (الملك) : ٤٧ ، ٧٢٨ .

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٢٤ .

ساميد (الحكيم الفارسي) : ٤٩٠ .

سيأ بن نواس بن سبأ : ٦٨ .

سحبان وثائل : ٧٨٧ .

سحنون = عبد السلام بن سعيد التنوخي .

سراقة بن مالك بن جُمُشْم : ٥٠٥ .

السري بن المُفْلَس السَّقَطِي : ٤٣٣ .

سعد : ٢١٠ .

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن : ١٨٥ .

سعد بن أبي وقاص : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٧٠ .

سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري) :

١٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٥٥ ، ٦٢٣ .

سعدارة : ٦٩٩ ، ٧٠٠ .

سعد العشرة : ٢٤٣ .

سعيد بن أبي عروبة : ١٤٢ .

سعيد بن إسماعيل الحيري (أبو عثمان) : ٥٨١ ، ٥٨٢ .

سعيد بن جبير (أبو عبد الله الأسدي) : ٥٢٦ .

سعيد بن زيد بن عمرو (الملوي) : ٥٩٤ .

سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت : ١٨٥ .

سعيد بن عامر (الجُمُحِي) : ٥٢٨ .

سعيد بن المسيب (أبو وهب الخزومي) : ٥٣٧ .

سفيان بن عُثَيَّة : ١٢٢ ، ٢٩٨ ، ٣٩٠ .

سفيان الثوري : ١١٨ ، ١٨٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ، ٣٩١ ، ٤٣٥ .

سقراط (الحكيم اليوناني) : ٩٨ .

سكينة بنت الحسين : ٤٦٠ .

سلامان الشعبي : ١٨٠ .

سلمة بن دينار (أبو حازم الأعرج) : ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢٥٠ ، ٤٢٩ .

سَلَمٌ بن نوفل : ٣٣٨ .

سلمان الفارسي : ٢٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٥٣٥ .

سلم (مولي زياد بن أبيه) : ٤٧٩ .

سليمان بن الأشعث السجستاني (أبو داود) :

١٦٦ ، ١٧١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٥٠١ ، ٥٦٩ ، ٥٧٥ .

سليمان بن خلف التميمي (القاضي أبو الوليد

الباجي) : ٣٨ ، ٢٨٥ ، ٣٨١ ، ٦٥٦ ، ٦٨٦ .

سليمان الخواص : ٧١٢ .

سليمان بن داود (عليهما السلام) : ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٠٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦ ، ٤٦٤ ، ٤٨٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٦ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٩٤ ، ٧١٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ .

سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) : ٢٩ ، ٦٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩١ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٣٥٤ ، ٦٤٥ ، ٧١٤ .

سليمان بن مجالد : ١٢٨ .

سليمان بن محمد (المستعين بالله ، ابن هود) : ٨٨ ، ٨٩ .

السسماني = علي بن عبيد الله .

سنجار (الملك) : ٦٥٠ ، ٦٥١ .

سهل بن إبراهيم : ٤٢ .

سهل بن عبد الله التستري : ٤٣٨ ، ٥٧٨ .

سواد بن غَزِيَّة الأنصاري : ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

سيب (الملك) : ٧٤٤ .

سيف بن ذى يزن (من ملوك اليمن) : ٣٧ ، ٦٧ .

سيف الولة : ٦٧٢ .

(ش)

شاهباق (الحكيم السندي) : ٧٤٢ .

الشافعي (الإمام) = محمد بن إدريس .

شاه الكرمان : ٥٧٨ .

شبيب بن شيبه : ١٢٧ ، ٤٠٠ .

الشَّحَام (من المتصوفة) : ٣٧٠ .

(ظ)

لا يوجد .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر (أم المؤمنين) : ١٠٦ ، ١٦٨ ،
٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٦٥ ،
٥٧٤ ، ٦٢٦ .

عائشة بنت عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

عاصم بن سفيان الثقفي : ١٦٤ .

عاصم بن عبد الله بن عمر : ١١٤ .

عامر بن شراحيل (الشعمي) : ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ، ٤٨٥ ، ٧٨١ .

عامر بن الطفيل : ٢٩٧ .

عبادة بن الصامت : ٤٦٢ .

عباس بن عبد المطلب : ٥٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٦٦ ، ٢٣٢ ، ٤٨٥ ، ٥٠٥ .

عباس بن الفضل بن الربيع : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
عبادة بن رفاعه (الأنصاري) : ٥٦٤ .

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد (القرشي) :
٥٤٩ .

عبد الحميد الكاتب : ٣٩٦ .

عبد الرحمن بن أحمد (أبو سليمان الداراني) :
٤٠٨ ، ٥٩٩ .

عبد الرحمن بن أحمد أبو المطرف (ابن الحصار) :
٥٨٩ .

عبد الرحمن بن سبرة : ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٥٧١ ،
عبد الرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة) : ٢١ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ،
٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٥٧٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ،

٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦١٣ ، ٦٢٢ ،
٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٤٤ .

عبد الرحمن بن عمرو (الأوزاعي) : ١٢٩ ، ٢٣٧ ،
٢٩٩ .

عبد الرحمن بن عوف : ٣٨٨ ، ٤١٥ ، ٥٠٥ ، ٥٦٦ .

شرح بن الحارث (القاضي) : ٥٣٤ .

شرح بن عبيد : ٢٩٠ .

الشعمي = عامر بن شراحيل .

شعيب - النبي (عليه السلام) : ٣٢٥ ، ٦٦٢ .

شهاب الملك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .

شهر بن حوشب (الأشعري) : ٥٢٨ .

شعوية بن أرويز (من ملوك فارس) : ٣٥١ ،
٤٩٣ .

(هـ)

الصاحب بن عباد (أبو القاسم إسماعيل) : ١٠٢ .

صالح بن عبد القدوس (الأزدي) : ٤٢١ .

صخر (الجنى) : ٦٤٢ .

صدقة بن يسار الجزري : ٤٣٧ .

صدقي بن عجلان (أبو أمانة الباهلي) : ٦٠٢ .

صعصعة بن صوحان (العبدي) : ٢٣٩ ، ٣٤٥ .

صعصعة بن معاوية (عم الفرزدق) : ٢٨ .

الصنابحي (صفوان بن عسال) : ٥٥٦ .

(ض)

ضرار بن القمقاع : ٣٧٨ .

ضمرة بن أبي ضمرة (النخشل) : ١٤٠ ، ١٤١ .

(ط)

طارق بن زياد : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

طالوت (من أنبياء بني إسرائيل) : ١٧٦ .

طاهر بن الحسين : ٣٢١ ، ٤٧١ ، ٧٣٨ .

طاووس بن كيسان : ١٦٩ ، ٣٨٨ ، ٥٢٦ .

طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي (طلحة

الطلحات) : ٣٦٦ .

طلحة بن عبد الله بن عثمان القرشي : ٢٨٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٤ ، ٣٧٧ .

عبد الله بن عمر بن الخطاب (ابن عمر) : ٢٢ ،
 ١١٠ ، ١٧١ ، ٢٨٤ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٣٦٨ ،
 ٣٨٧ ، ٤٧٦ ، ٤٨٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ،
 ٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٩ .

عبد الله بن عمر القُمرى : ٥٢٥ .
 عبد الله بن عمرو بن العاص : ٥٠٩ .
 عبد الله بن عمرو بن النعمان (ابن الكواء) : ٢٥١ .
 عبد الله بن عون بن أربطبان : ٣٤٥ .
 عبد الله بن اللَّثِيَّة الأُردى (ابن اللَّثِيَّة) : ٥٦٩ .
 عبد الله بن المبارك (الروزي) : ٣٨٧ .
 عبد الله بن محمد الرازي : ٥٧٧ .
 عبد الله بن مروان : ٢٢٥ .

عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : ١١٤ ، ١٧٣ ،
 ٢١٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤٦٣ ، ٥٣٤ ، ٥٩٦ ،
 ٦٠١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٣ ، ٧١٨ .

عبد الله بن مسلم بن عمار : ٣٥٦ .
 عبد الله بن مطيع (الكمي) : ٥٥٢ .
 عبد الله بن المعمر : ٥٣ .

عبد الله بن المعلم (ابن فضلوه) : ٥٦ ، ٥٧ .
 عبد الله بن المقفع (ابن المقفع) : ٢٢٢ ، ٢٥٠ ،
 ٢٦٢ ، ٣٩٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ،
 ٥٨٦ .

عبد الله بن هارون الرشيد (الخليفة المأمون) : ١١٢ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٦٥ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ،
 ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ،
 ٤٧١ ، ٤٨١ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ ،
 ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٧٢٥ ، ٧٣٧ ،
 ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري (ابن وهب) :
 ٣٣١ ، ٦٢٦ .

عبد الملك بن بحر : ٣٧٣ .
 عبد الملك بن عبد العزيز (ابن أبي عامر) : ٤٩٨ .
 عبد الملك بن عمر : ٦٣ .

عبد الرحمن بن غنم (الأشعري) : ٥٤٢ .
 عبد الرحمن بن القاسم (أبو عبد الله) : ٥٢١ .
 عبد الرحمن بن مل الهدي (أبو عثمان) : ٥٢٣ .
 عبد الرحمن بن ملجم : ١٠٧ .

عبد الرزاق بن هشام (الحميري) : ١٢٢ .
 عبد السلام بن سعيد الترخي (محتون) : ٨٤ ،
 ٥٩٩ .

عبد العزيز بن زرار (الكلابي) : ٢٩٧ .
 عبد الكافي الديهجي : ٦٤٨ .

عبد الله بن أبي السرح : ٤٩٦ ، ٦٩٢ .
 عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر الصديق) : ١١٣ ،
 ١٧٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ،
 ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣٣ ، ٥٥٢ ، ٦٢٦ .

عبد الله بن أبي نوح : ٧٠ .
 عبد الله بن بُذَيْل بن ورقاء : ٢٨١ .
 عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : ٢٩٨ ، ٣٧١ ،
 ٤٨٧ .

عبد الله بن الحسن : ٤٧٦ .
 عبد الله بن حنظلة الراهب : ٥٥٢ .
 عبد الله الحياط : ٥٨٣ .
 عبد الله بن الزبير بن العوام : ٥٥٦ .

عبد الله بن زهير : ٣٨٠ .
 عبد الله بن شيرمة (ابن شيرمة) : ٣٢ .
 عبد الله بن طاهر بن الحسين : ٣٠٠ .
 عبد الله بن طاووس التيمي (ابن طاووس) : ١٥١ ،
 ١٥٢ .

عبد الله بن عامر بن كزيم : ٣٨٤ .
 عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عباس) :
 ٧٥ ، ١٥٩ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ،
 ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩ ،
 ٥١٠ ، ٥٥٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ،
 ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٢٧ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ،
 ٧١٧ .

عمرو بن معاذ : ٤٩٤ .
 عمرو بن معدى كرب (الزبيدي) : ٦٧٤ ، ٦٧٣ .
 عمرو بن سعد بن عبيد (الأوسى) : ٥٣٠ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ .
 عون بن عبد الله بن عتبة : ٤٣٦ ، ٦٢٥ .
 عويمر بن مالك (أبو الدرداء) : ٥٣ ، ١١٥ ، ٢٨٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ .
 عيسى بن مريم (المسيح عليه السلام) : ٢٣ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٣٧ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٦٠٦ ، ٦٣١ ، ٧٣١ ، ٧٨٠ .
 عيصو بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) : ٦٨ .
 عيينة بن حصن : ٣٠٨ .

(غ)

غلام خليل (أبو عبد الله الزاهد) : ٣٦٩ .
 غنية بنت عفيف (أم حاتم الطائي) : ٣٨٣ .
 غوي بن سلامة الأسدي (ذو الأعواد) : ٣٥ .
 غيلان بن مسلم القُدري : ٧١٣ .

(ف)

فاطمة الزهراء (عليها السلام) : ٤٨ .
 فاطمة (زوجة عمر بن عبد العزيز) : ٥٤١ .
 الفُتاك (ابن أم الذبيل البصية) : ٦٨٢ .
 فخر المُلك بن نظام المُلك : ٦٥٠ ، ٦٥١ .
 الفرزدق = همام بن غالب .
 فرعون : ١٥٥ ، ٢٨٨ ، ٥٠٩ .
 فرعون هامان : ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 فرعون يوسف : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ .
 الفضل بن الربيع : ١٢١ .
 الفضل بن سهل : ٤٥٥ ، ٦١٧ ، ٧٢٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٩ .

١١٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٦٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٦١٦ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٧٣ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٧٧٠ ، ٧٨١ .
 عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : ٢٦ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٨ ، ٢٩١ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٥٠٠ ، ٥٢١ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ، ٦٠٤ ، ٧٣٦ .
 عمر بن عبد الله : ١٥٧ .
 عمر بن النكسر : ٣٧٧ .
 عمر بن هبيرة : ٥٥٨ .
 عمرو (ملك يمنى مجهول) : ٧٠ .
 عمرو بن بحر (الجاحظ) : ٥٤ .
 عمرو بن دينار الجُمحي : ٦٠٤ .
 عمرو بن ربيعة (للمستوغر الأكبر) : ٥٦١ .
 عمرو بن العاص : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٤١ ، ٤١٩ ، ٤٥٣ ، ٤٩٦ ، ٥٦٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٧ ، ٧٠٣ .
 عمرو بن عبيد (أبو عثمان البصري) : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٤٢٥ .
 عمرو بن عثمان المكي : ١٨٠ .
 عمرو بن كلثوم القفلي : ٣٠٧ .
 عمرو بن مسعدة (أبو الفضل الصولي) : ٢١٧ .

- ٧٢٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٤ .
 كعب الأحبار (كعب بن مافع الحميري) : ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ٢٥٢ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ .
 كعب بن زهير بن أبي سلمى : ٣٤٤ .
 كعب بن مامة الإيمادي (في شعر) : ٣٦ .
 كعب بن مالك بن عمرو (الأنصاري) : ٦٣٦ ،
 ٦٣٧ .
 الكلبي = محمد بن السائب بن بشر .
 كلثوم بن عمرو التغلبي (العتابي) : ٥٠ ، ١٤٥ ،
 ٤٨١ .
 كُمَيْل بن زياد النخعي : ١٤ ، ٢٦٩ .
 كيجور (وزير ملك ليران شهر) : ٧٣٩ .
 كيسان (مولى عتّاب بن أسيد) : ٥٧١ .

(ل)

- لُذْرِيْق (من ملوك القوط بأسبانيا) : ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،
 ٦٩٤ .
 لقمان الحكيم : ٣٤٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٨٣ ،
 ٧٢١ .
 لقيط بن زرارَة : ٣٤٢ .
 لوط (عليه السلام) : ١٥٥ ، ٦٠٧ .
 الليث بن سعد (الإمام) : ٣٨٤ .

(م)

- مالك بن أنس (الإمام) : ٤٦ ، ٥٤ ، ٩٧ ، ١٤٣ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٨ ، ٣٢١ ، ٥٢١ ،
 ٥٢٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٦ ، ٥٧٠ .
 مالك بن الحارث بن عبد بنوثة (الأشتر النخعي) :
 ٥٢٦ .
 مالك بن دينار : ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٩٧ ، ٤٦٤ ،
 ٥٧٨ ، ٦٠١ .
 مالك بن مسعم : ٢٩٩ .
 المأمون بن ذى النون : ١٠١ ، ١٠٢ .
 المأمون البطائحي = أبو عبد الله محمد الأمري .

- الفضل بن مروان (أبو العباس) : ٧٢٤ ، ٧٢٥ .
 الفضل بن يحيى (البرمكي) : ٦٦ .
 الفضيل بن عياض : ١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٢٠٠ ،
 ٣٤٦ ، ٣٧٥ ، ٤٦٥ ، ٥٧٧ ، ٥٨٦ .
 (ق)

- القاسبي = علي بن محمد بن خلف المعافري .
 قارون (من قوم موسى) : ٨٣ ، ٤٢٣ .
 القاسم بن محمد : ٢٨٠ ، ٣٩٨ .
 قاسم بن محمد السَّيِّق : ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ .
 قبيصة بن جابر بن وهب (الأسدي) : ٢٨٢ .
 قبيصة بن ذؤيب (الحزاعي) : ٥٤٠ .
 قتادة : ٥٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٤١ ، ٦٤٥ .
 قتادة بن دعامة (السلمي) : ٤٦٧ .
 قُتُس بن ساعدة (الإيمادي) : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ٢٥٩ .
 القُطامي (عُمر بن شيم التغلبي) : ٣٢٩ .
 قطري بن النُّجاعة : ٣١٦ .
 قنبر (خادم الإمام علي) : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٥٠١ .
 قنبد (الملك) : ٧٤٤ .
 قيس بن الحظيم : ٤١٧ .
 قيس بن سعد بن عبادة (الأنصاري) : ١٨٤ ،
 ٢٨١ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ .
 قيس بن عاصم المنقري : ٣٤٦ ، ٥٧٧ .
 قيس بن عبد الله (النابغة الجعدي) : ٣٤٩ .
 قيسر (ملك الروم) : ٢٥٩ ، ٧٣٤ .

(ك)

- كثير بن مرة (الحضرمي) : ١٨٣ .
 كسرى = كسرى أنوشروان .
 كسرى أنوشروان (ملك الفرس) : ٣٤ ، ٢٢٠ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ،
 ٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٤٢ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ ،
 ٥٢٤ ، ٥٥٢ ، ٥٦٦ ، ٦٠٨ ، ٧١٦ ، ٧٢٢ ،

- محمد بن واسع : ١٤٥ ، ١٤٦ .
 محمد بن يزيد (الروزي) : ٢٩٥ .
 محمد بن يزيد : ٦٤٥ ، ٦٤٦ .
 محمد بن يوسف (الثقفى) : ١٥٦ ، ٤٦٨ .
 محمود الوراق : ٣٣٧ ، ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، ٦٠٠ .
 مخارق (أبو المهنا يحيى الجزار) : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
 المختار بن عبيد الثقفى (أبو إسحاق) : ٦٤ ، ٦٨٢ .
 المداينى = على بن محمد بن عبد الله .
 مُرارة بن الربيع (الأنصارى) : ٦٣٦ .
 مروان بن زنباع (القيسى) : ٦١٨ .
 مروان بن عبد الملك : ٣٥٤ .
 مروان بن محمد الجسدى = مروان الحمار (آخر ملوك
 بني أمية) : ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٦٨٠ ،
 ٧٣٧ .
 مريم ابنة عمران (عليها السلام) : ٧٠٩ .
 مزدك (الفارسي) : ٤٧٥ ، ٤٨٠ .
 المستعين ابن هود (من ملوك الطوائف) : ٦٨٥ .
 المستعين (أبو المقتدر بالله بن هود) : ٧٠١ ، ٧٠٢ ،
 ٧٠٣ .
 مسروق بن الأجدع (الهمداني) : ١٨٤ .
 مسعر بن كدام : ١٠١ .
 المستوخر الأكبر = عمرو بن ربيعة .
 مسلم بن الحجاج (الإمام) : ١٦١ ، ٢١١ ، ٥٩٢ ،
 ٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ .
 مسلم بن عقيل بن أبي طالب : ٣١٧ ، ٣١٨ .
 مسلم بن عمرو بن الحصين : ٤٨٦ .
 مسلم بن قتيبة : ٣١٠ .
 مصعب بن الزبير : ٦٥ ، ٢٣٦ ، ٣٣٥ .
 مطرف بن عبد الله بن الشخير : ٣٨١ ، ٤٤٠ .
 المطلب بن عبد الله بن مالك : ٣٧٧ .
 معاذ بن جبل (رضى الله عنه) : ١٦٨ ، ٣٢٧ ،
 ٥٣٢ ، ٥٧٦ .
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨١ ،
- ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ،
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،
 ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٨٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ،
 ٧٢٢ .
 المحصم بالله العباسى : ٤٩٠ .
 معروف الكرخى : ٥٨٠ .
 معقل بن يسار (المزنى) : ١٦٢ .
 مغيث الرومى (مولى الوليد بن عبد الملك) : ٦٩٣ ،
 ٦٩٤ .
 المغيرة بن شعبة : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
 ٢٨٤ ، ٣٦٥ ، ٤٣٥ .
 مقاتل بن سليمان الأزدي (صاحب التفسير) :
 ٦١٠ .
 المقتدر بالله (جعفر بن أحمد ، الخليفة العباسى) :
 ٢٩٤ .
 المقتدر بالله بن هود (أحمد بن سليمان) : ٦٩٩ .
 المقداد بن عمرو (أبو مبد) : ٥٥٥ ، ٥٦٧ .
 مكرم بن يوسف العابد : ٢٥ .
 المنذر بن المنذر بن ماء السماء : ١٤٠ ، ١٤١ .
 المنصور بن أبي عامر : ١٣٣ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ .
 المنكدر بن عبد الله بن المنذر : ٣٧٧ .
 المنهدى (محمد بن أبي جعفر المنصور - الخليفة
 العباسى) : ٨٠ ، ١١٨ ، ١٥٧ ، ٤٠٠ ، ٦١٧ .
 مهريق (الملك) : ٧٤٤ .
 المهلب بن أبي صفرة : ١٣٧ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ ، ٦٨١ .
 مهيوز الموبدان : ٢٢٩ ، ٢٥٥ .
 موري الصجلي : ٩٤ ، ٣٦٤ .
 موسى بن عمران (عليه السلام) : ٢٣ ، ٢٦٧ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٢ ،
 ٦٠٦ ، ٦١٥ ، ٦٣١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ .
 موسى بن نصير : ٦٩٢ ، ٦٩٤ ، ٧١٤ .

هارون بن محمد (الوائق بالله - الخليفة العباسي) :

٥١٩ ، ٥١٨ .

هامان : ٢٨٨ .

هرثمة (امرأة من قوم عاد) : ٩٧ .

هرم بن قطيبة (القزاري) : ٢٩٧ .

هرمز (في شعر) : ٣٣٠ .

الهرمزان (ثرملة - ملك خوزستان) : ٢٨١ .

هشام بن حكيم بن حزام (القرشي) : ٦٠٢ .

هشام بن العاص : ٣٦٢ ، ٣٦١ .

هشام بن عبد الملك بن مروان : ١١٢ ، ١٣٠ ،

٣٠٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٥٥٣ ، ٧٢٨ ، ٧٨١ ،

٧٨٢ .

هشام بن عروة بن الزبير : ٤١٨ .

هلال بن أمية (الأنصاري) : ٦٣٦ .

هلال بن يساف : ٥٦٧ .

هشام بن الحارث النخعي : ٦١٣ .

هشام بن غالب (الفرزدق) : ٢٨ .

هند بن أبي هالة (ابن السيدة خديجة) : ٥٨٦ .

هنيئ (مول عمر بن الخطاب) : ٥٦٥ .

الهيثم بن عدى (أبو عبد الرحمن) : ٦٨ .

(و)

وائل (الملك) : ٧٤٤ .

الواثق بالله - الخليفة العباسي = هارون بن محمد .

واطاب (الملك) : ٧٤٤ .

الواقدي = محمد بن عمر بن واقد السهمي .

ورقة بن نوفل : ٣٣٠ .

الوضاحي = محمد بن الحسين (الأتياري) .

الوليد بن عبد الملك : ٦٨ ، ١٥١ ، ١٩١ ، ٢٤٧ ،

٦١٦ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ٦١٢ .

الوليد بن المغيرة : ٦٠٩ .

الوليد بن هشام : ١٨٩ .

وهب بن منبه : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٧٣ ، ٩٦ ،

موسى الهادي بن محمد المهدي : ٣١٢ .

ميشا بن يوسف الصنديق : ٥١٢ .

ميمون بن مهران : ١٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٦٥ ، ٤٨٢ ،

٥٩٢ ، ٦٠٦ ، ٧١٣ .

(ن)

النابغة الديباني = زياد بن عمرو .

النابغة الجعدي = قيس بن عبد الله .

ناصر النولة (أبو علي الحسن الحمدي) : ٦٥١ .

نافع (مولى عبد الله بن عمر) : ٥٤٤ .

النبي - ~~محمد~~ = محمد رسول الله .

النخعي (إبراهيم بن يزيد النخعي) = مالك بن

الحارث بن عبد يغوث .

نسيب (خادم مروان الجعدي) : ٢٢٩ .

نصر بن سيار : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

نظام الملك = الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي .

النعمان بن امرئ القيس (اللخمي) : ٣٣ .

النعمان بن بشير الأنصاري : ٤٢٦ .

النعمان بن ثابت (الإمام أبو حنيفة) : ٥٤٩ .

النعمان بن المنذر : ٥٥ ، ٥٦ ، ٣٦٣ .

نهر بن تولب : ٦٧٥ .

نمرود بن كوش : ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ .

نوح (عليه السلام) : ٢٣ ، ١٥٥ ، ٣٢٥ .

النوري (أبو الحسين أحمد بن محمد) : ٣٧٠ ،

٣٧١ .

(هـ)

هارون (أخو موسى - عليه السلام) : ٦٠٦ .

هارون الرشيد (الخليفة العباسي) : ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٩٧ ،

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٦ ، ٤٨٨ ،

٤٩١ ، ٥٥٨ ، ٧٣٤ .

- يزيد بن حاتم : ٥٩٩ .
 يزيد بن حميد الأسدي (أبو النجاش) : ٣٨٨ .
 يزيد الرقاشي : ٢٦ .
 يزيد بن عبد الملك : ٦٤٦ .
 يزيد بن عمر بن هيرة : ٢٢٩ .
 يزيد بن أبي مسلم : ٢٨٨ ، ٦٤٦ .
 يزيد بن معاوية : ٥٨٣ .
 يزيد بن المهلب : ٧١٤ .
 يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام) : ٤٠٨ ،
 ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٥٨٥ .
 يلدقور : ٥٠٤ .
 يمان = حسيل بن جابر بن ربيعة العيصي .
 يوسف بن أسباط (الشيباني) : ٦٠٦ .
 يوسف الصديق (عليه السلام) : ١٨١ ، ٤١٣ ،
 ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٢٠ ،
 ٥٦٢ ، ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
 يونس بن متى (عليه السلام) : ٦٠١ ، ٦٠٣ .

١٤٣ ، ١٨٨ ، ٤٨٨ ، ٤٢٥ ، ٦٤٠ ، ٦٤٢ .

(هـ)

- هبي بن أكثم : ١٣١ ، ١٣٣ ، ٢١٨ ، ٥٥٧ .
 هبي بن خالد البرمكي : ١٥٣ ، ٢٣٨ ، ٤٨٧ ،
 ٤٩١ .
 هبي بن زكريا (عليهما السلام) : ٩٧ ، ٣٣٣ ،
 ٥٨٦ .
 هبي بن زياد الحارثي : ٥٨٥ .
 هبي بن زيد : ٦١٧ .
 هبي بن سعيد : ١٤٩ .
 هبي بن معاذ : ٣١٦ ، ٧١٧ .
 هبي بن معين : ٣٧٧ .
 هرفاً (مولى عمر بن الخطاب) : ٥٢٧ ، ٥٣٨ .
 يزجرد (ملك الفرس) : ٦٧٤ .
 يزيد بن أبي مسلم (الثقفي) : ٢٩١ .
 يزيد بن أنس (المالكي) : ٦٨٢ .

(٥)
 فهرس الأماكن والبلاد والبقاع

ليون كسرى : ٥٢٤ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

(ب)

باب البحر : ٤١ .

بارق (فى شعر) : ٣٥ .

بحر الظلمات : ٢٦٧ .

البحرين : ٥٣٨ ، ٥٦٦ .

بدر : ٥٤٦ ، ٦٩٠ .

البصرة : ٥٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،

٣٢٣ ، ٣٧٨ ، ٤١٥ ، ٤٩٧ ، ٥٣٥ ، ٥٥٧ ،

٥٧٠ ، ٥٧٨ ، ٦١١ ، ٧٧٠ .

بغداد (مدينة السلام) : ١٤٣ ، ٤٧١ ، ٥١٦ ،

٥١٧ ، ٥٩٨ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ .

بلاد الأندلس = الأندلس .

بلاد الروم : ٨٨ ، ٤٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٣٣ .

بلاد فارس : ٢٤٣ ، ٥٣٧ ، ٥٦٨ ، ٧٣١ .

بلاد المسلمين : ٤٩٩ ، ٦٩٥ .

بلخ : ٣٩ .

بيت الله الحرام (الكعبة = المسجد الحرام = البيت

الحرام) : ٨٣ ، ٨٥ ، ١١٩ ، ٤٦٦ ، ٥٢٤ ،

٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

بيت المال (بيت مال المسلمين) : ١٥ ، ١١٩ ،

٤٦٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،

٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ،

٥٧٠ ، ٧٢٦ .

بيت المقدس : ٥١٤ ، ٦٦٥ .

(أ)

الأهله (بلدة على شاطئ دجلة) : ٥٨ .

أبو قبيس (جبل بمكة) : ٥٥٦ .

أحمد (جبل بالمدينة) : ٦٩١ .

أرض الأندلس = الأندلس .

أرض الحجاز = الحجاز .

أرض الصليحي : ٦٥٣ .

أرض صنعاء = صنعاء .

أرض الصين = الصين .

أرض العراق = العراق .

أرض مصر = مصر .

أرض المغرب = المغرب .

أرض النوبة = النوبة .

الإسكندرية : ١٩٠ ، ٦٠٢ ، ٦٥٢ ، ٧١٧ ،

٧١٩ ، ٧٣٠ .

أسوان : ٥٠٩ .

أصبهان : ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ ، ٦٩٥ ، ٧٣١ .

أطواد (جبال - فى شعر) : ٣٦ .

إفريقية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٧٠٠ .

الأندلس : ٨٨ ، ١٠١ ، ١٣٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ،

٦٨٥ ، ٦٩٢ ، ٦٩٩ ، ٧١٤ .

أنطاكية : ٦٦٥ ، ٦٦٦ .

أنقرة (فى شعر) : ٣٦ .

أودية المدينة (المنورة) : ٢١ .

ليون شهر : ٧٣٩ .

يَهْيَق (بلد من نواحي نيسابور) : ٦٥٠ .

(ت)

تبوك : ٦٣٦ ..

تكريت : ٦٦٠ ، ٦٥٩ .

تهامة : ٢٩٤ .

الحضراء (موضع) : ٨١ .

خليج الإسكندرية : ١٩١ .

خليج سَردوس : ٥٠٩ ، ٥١٠ .

مُتَنَاصِرَة (من أعمال حلب) : ٥٤١ .

الخَوَزَنَق (قصر يظهر الحيرة) : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(د)

دار عثمان بن عفان : ٤٦٥ .

دار علي بن أبي طالب : ٤٠٣ .

دار عمر بن عبد العزيز : ٥٤١ .

دار المطلب : ٣٧٧ .

دانية (مدينة أندلسية) : ٦٥٥ .

دجلة (نهر) : ٥٨٠ .

دمشق : ٣١٢ ، ٦٥٢ ، ٧٢٧ ، ٧٨١ .

ديار بكر : ٥١٤ ، ٦٦٥ ، ٦٩٥ .

(ج)

الجامع الأعظم بقرطبة : ٦٥٣ .

جبانة البصرة : ١٥٠ .

جبل طارق : ٦٩٢ .

جبل لبنان : ٦٨ .

جبل الياقوت (بالهند) : ٤٨١ .

الجزيرة (جزيرة الفرات) : ٦٨٢ .

الجزيرة الخضراء (في الأندلس) : ٦٩٢ .

(ح)

الحيشة : ٧٢٤ .

الحجاز : ٢٨٤ ، ٣٦٦ ، ٣٩٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ،

٥٤٨ .

الحجّير : ١٥٥ .

الحجون (جبل بمكة) : ٢٥ .

الحرة : ٥٤٦ .

حرة واقم : ٥٥٢ .

حلوان (في شعر) : ٥١ .

حمص : ٢١٨ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٠ .

الحسّى (مكان) : ٥٦٥ ، ٥٧٠ .

الحيرة : ٥٩ ، ٧٣٢ .

(ذ)

ذقار (أو : ذِمَار) : ٤٠١ .

(ر)

رشيد (في مصر) : ٥٠٩ .

الرصافة (في شعر) : ٧٨٢ .

رصافة هشام بن عبد الملك : ٧٨١ .

الركن الهامى (الملتزم) : ٤٣٦ .

الرملة : ٣٦٩ .

الروم = بلاد الروم .

الرّوَيْكَة : ٥٧ .

الرّئى : ٣٦٨ .

(ز)

زمرم : ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(ص)

ساحل إفريقية : ٦٦٣ .

(خ)

خراسان : ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٤٥٦ ، ٤٧١ ، ٥١٤ ، ٥٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٩٥ ،

٧٣٣ ، ٧٣٧ .

خزائن مصر : ٥١٠ .

طَلِيظَة : ٦٩٤ .

الطور : ٦٦٢ .

طوس : ٥٢ .

(ع)

عَدَن : ١٦٨ ، ٧٣٤ .

العراق : ٤١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٩٤ ،

٥٠٤ ، ٥١٣ ، ٥٣٤ ، ٥٦٥ ، ٦٤٥ ، ٦٩٥ ،

٧٠٣ ، ٧٢٢ ، ٧٣٢ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ .

العراقيين (البصرة والكوفة) : ٥١٤ .

عَقَبَة عُثْمَان : ١٤٩ .

عكاظ (سوق) : ٧٦ .

ساحل مدينة برق : ٦٥٢ .

سجستان : ٣٦٦ .

السدير (في شعر) : ٣٤ ، ٣٥ .

مَرْقُسطَة : ٦٩٩ ، ٧٠١ .

سمرقند : ٥١٤ ، ٧٣٢ .

سمعان (جبل - في شعر) : ٧٨ .

سنداد (منزل لإباد - في شعر) : ٣٥ .

سواحل الشام : ٦٠٤ .

السواد (ما حول الكوفة من القرى) : ٥٧١ .

سور قسطنطينية : ٥١٤ .

السويدية (بلدة) : ٦٦٥ .

(ش)

شاطيء دجلة : ٥١٦ .

الشام : ٤١ ، ٥٣ ، ٢٦٧ ، ٣١٧ ، ٣٤٣ ، ٣٧٨ ،

٤٧٨ ، ٥٠٤ ، ٥١٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٤٠ ،

٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٦٠٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠٣ .

شعاب اليمن : ٧٠ .

(غ)

الغريبة : ١٩٠ .

عُمْدَان (قصر) : ٣٧ .

(ف)

فارس = بلاد فارس .

الفرات (في شعر) وانظر (نهر الفرات) : ٣٦ .

(ق)

القادسية : ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

قبر خُيَّاب بن الأَرث : ١١٥ .

قبر الخليل (عليه السلام) : ٦٦٥ .

قبر الرسول (ﷺ) : ٥٣٠ .

قرطبة : ٤٥٧ ، ٥٨٩ ، ٦٥٣ ، ٦٩٤ .

قُرَى اصْطَحْر (في شعر) : ٢٩٨ .

القسطنطينية : ٦٩٧ .

قصر ابن ذى يزن = انظر غمدان .

قصر المأمون بن ذى النون : ١٠١ .

قصر هارون الرشيد : ١٥٣ .

القُنْطَهَار : ٧١٠ .

القروان : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

(ص)

صعيد مصر : ١٩٠ .

الصفا (جبل) : ٦٣٥ .

صِفُون : ١١٥ ، ٧٠٣ .

صقلية : ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٦ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ .

صنماء : ٣٧ ، ٣٨٩ ، ٥٥٠ .

الصين : ٢٢٣ ، ٤٨١ .

(ط)

طرسوس (مدينة بغير الشام) : ٤١ .

طَرْطُوشَة : ٦٥٥ ، ٦٧٢ ، ٦٩٩ .

طريق الحجاز : ٦٤٨ .

طريق مكة : ١٤١ .

٦٩٥ ، ٦٥١ ، ٦٤٥ ، ٦٤٤

المصبية : ٤١ .

المغرب : ٩ ، ٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٦٧ ، ٣٩٤ .

مكة المكرمة : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٩ ،

٤٦٠ ، ٤٩٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥٧ ، ٦٣٤ ، ٦٤٤ .

منيج (بلدة بالشام) : ٣٦٤ .

مفازة تيوك : ٦٤٨ .

النصورية = المصبية .

الواصل : ١٥٧ ، ٤٩٧ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(ن)

نجران : ٢٣٦ ، ٦١٦ .

نهر جيحون : ٥١٤ .

نهر عمر (نهر البصرة) : ٤٢٧ .

نهر الفرات : ٣٧٨ .

النوبة : ٢٢٦ .

النيل (نيل مصر) : ٥٠٩ .

(هـ)

الحند : ٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٤٨٠ ،

٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٥٤ ، ٧٢٩ .

(و)

الوادي المقدس (طوى) : ٦٦٢ .

وشقة (مدينة) : ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(ي)

اليوموك (موضع بالشام) : ٣٦١ .

الجماعة : ٥٤٨ .

الين : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ٥٠٠ ، ٦٥٣ .

(ك)

كابلستان (أفغانستان) : ٧٣٧ .

الكمة = بيت الله الحرام .

كورة بلغ : ٣٩ .

كورة بوسو : ٢٢٦ .

كور خراسان : ٧٣٧ .

كور الشام : ٥٢٨ .

الكوفة : ١١٥ ، ٢٤٩ ، ٥٢٦ ، ٥٤٩ ، ٥٦٤ ،

٥٧٠ ، ٦٥٩ ، ٧١٦ .

(م)

مجمع البحرين : ٢٦٧ .

الملكان : ٥٢٤ ، ٧٣٨ .

المدرسة النظامية : ٥١٦ ، ٥١٧ .

ملتين : ٦٦٢ .

مدينة أصبهان = أصبهان .

مدينة حمص = حمص .

مدينة دمشق = دمشق .

مدينة السلام = بغداد .

مدينة سمرقند = سمرقند .

المدينة المنورة : ٥٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٥٢٧ ، ٥٣٨ ، ٥٤٨ ،

٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٧٠٨ .

المروة (جبل) : ٦٣٥ .

المسجد الجامع (بالإسكندرية) : ٦٤٧ .

المسجد الجامع (بالبصرة) : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

مسجد مصر : ٢٦٨ .

مسجد النبي (ﷺ) : ٢١٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ ،

٥٠٦ .

المسحى (بين الصفا والمروة) : ١٣٨ .

مصر : ١٤٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٩٨ ، ٣٦٨ ،

٤٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٦٢٤ ،

(٦)

فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف

(أ)

أمة محمد (ﷺ) : ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٣١ ،
 الأمراء : ١٢ ، ١١٧ ، ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٦١٥ ،
 أنبياء بنى إسرائيل : ٢٥ ، ٩٦ ،
 الأنصار : ٣٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ،
 ٥٢١ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٥٢ ،
 أهل الإسلام = المسلمون .
 أهل إفريقية : ٦٤٦ .
 أهل البصرة : ١١٨ ، ٤٢٧ ، ٥٧٨ ،
 أهل بيت النبوة (آل البيت) : ٧ ، ١٣٨ ، ٥٠١ ،
 أهل الحجاز : ١٣٩ ، ٢٨٤ ،
 أهل حمص : ٥٤٠ ،
 أهل الحراج : ٤٩٧ ،
 أهل خراسان : ٤٥٥ ،
 أهل الدهر = الدهريون .
 أهل الذمة : ٥٤٢ ، ٥٥٠ ،
 أهل الشام : ٥٣ ، ١٥١ ، ٤٧٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ،
 ٧٠٣ ،
 أهل صقلية : ٧٠٠ ،
 أهل العراق : ٤٧١ ، ٧٠٣ ،
 أهل العلم = العلماء .
 أهل القرآن : ٥٤٧ ،
 أهل القروان : ٦٤٩ ،
 أهل الكتاب = أهل الذمة .
 أهل الكوفة : ٥٤٩ ،
 أهل المدينة : ١٥٦ ، ٥٦٥ ،
 أهل مصر (الفرعونية) : ٥١٢ ،

آل داود : (عليه السلام) : ١٤٦ ، ٤٢٨ ،
 آل ساسان = ملوك الفرس .
 آل محرق = ملوك الحيرة .
 آل العباس = العباسيون .
 آل هاشم : ٦١١ ،
 أئمة المسلمين : ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ،
 إخوة يوسف (عليه السلام) : ٤١٣ ، ٥١٢ ،
 ٥٩٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ،
 أرباب القلوب = الصوفية .
 الأزارقة (فرقة من الخوارج) : ٣٢٥ ، ٦٨٢ ،
 أشياخ الصعيد (صعيد مصر) : ١٩٠ ،
 أصحاب الأنحف : ٣٤٨ ،
 أصحاب التواريخ (المؤرخون) : ١٩١ ،
 أصحاب سخون : ٨٤ ،
 أصحاب الشافعى : ١٨١ ، ٥٤٧ ، ٥٦٢ ،
 أصحاب علي (كرم الله وجهه) : ٧٠٣ ،
 أصحاب النبى (محمد) ﷺ = الصحابة .
 الأطباء : ٢٩٠ ، ٣٢٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٧٨ ،
 الأعاجم = المعجم .
 الأقيال : (ملوك اليمن فى الجاهلية) : ٧٠ ،
 الأكاسرة = ملوك الفرس .
 الأمناء : ١٧٠ ، ٤١٣ ، ٥٠٨ ،
 أمناء فرعون : ٥٠٨ ،

٤٥٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ،

٥٠٢ ، ٥٨٢ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ ،

٧٣٧ ، ٧٣٨ .

جيوش ألى الفتح (ملك الترك) : ٥١٥ .

جيوش إفريقيا : ٦٩١ .

جيوش الصائقة : ٤٩٤ .

جيوش المسلمين (عسكر المسلمين) : ٦٨٥ ،

٦٨٦ ، ٦٩٢ .

(ح)

الحجازيون = أهل الحجاز .

الحكاماء (أهل الحكمة) : ٩ ، ١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣١٩ ،

٣٢٤ ، ٣٦٠ ، ٣٩٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٧١ ،

٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٦٧ ،

٦٨٣ ، ٦٩٠ ، ٧١٠ ، ٧١٢ ، ٧٢٢ ، ٧٤٩ ،

٧٨٠ .

حكماء الروم : ٤٥٦ .

حكماء الصين : ٩ .

حكماء العجم (وانظر : حكماء الفرس) : ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ، ٤٣٤ ، ٤٨٠ ،

٦٧٩ .

حكماء العرب : ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ،

٢٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٥٦ ، ٤٨٠ .

حكماء الفرس : ٤٥٦ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ .

حكماء الهند : ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٤٥٦ ، ٤٧٣ ،

٦٧٠ .

حِمْلة العلم = العلماء .

حِمْلة القرآن : ٤٥٦ .

الحواريون (أصحاب عيسى عليه السلام) : ٦٠٦ .

(خ)

عزنة النيران : ٨ .

أهل مكة : ٢٩٩ .

أهل اليمن : ١٥٥ .

إمّاد (قبيلة) : ٣٥ .

(ب)

البصريون = أهل البصرة .

البطارقة : ٢٤٦ .

بنو إسرائيل : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٩٠ ، ٤٦٧ ،

٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٥ .

بنو الأصفر = ملوك الروم .

بنو الأغلب (من ملوك المغرب) : ٨٤ .

بنو أمية : ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٤٧٦ .

بنو تغلب : ٥٤٤ .

بنو تميم : ٣٤١ .

بنو الحسحاس (قوم من العرب) : ٥٦٢ .

بنو زبيد : ٦٧٤ .

بنو سعد (لى شعر) : ٣٤٣ .

بنو ضبة : ٥٠ .

بنو عيس : ٣٢٣ .

بنو عمرو بن عوف : ٥٢١ .

بنو كنانة : ٣٣٨ .

بنو مدلج : ٥٠٥ .

بنو مروان : ٢٢٩ .

بنو المصطلق : ٦١٢ .

بنو هاشم : ٥٧ .

(ت)

التجار : ١٩٥ .

الترك (الأتراك) : ٥١٣ ، ٦٨٠ ، ٦٩٤ .

(ج)

جُهاة الأموال : ٤٩٥ ، ٤٩٨ .

الجند (الجنود أو الأجناد) : ١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

شيوخ الجند : ٦٧٢ .

(ص)

الصحاب (أصحاب النبي ﷺ) : ٢٣ ، ٢٠٩ ،

٥٨٦ ، ٥٦٧ ، ٥٤٦ ، ٤٨٥ ، ٣٦١ ، ٢٦٨

٦٩٠ ، ٦٢١ .

الصوفية (الفقراء = أرباب القلوب) : ٣٦٩ ،

٥١٤ ، ٥١٧ ، ٥٢٥ .

الصينيون = أهل الصين .

(ض)

الضرابون (الذين يُضْرَبُونَ الأضربة) : ٥٤٩ .

(ع)

العُباد (وانظر الزهاد والصوفية) : ٥١٤ .

عُباد المدينة (بنو المنكسر) : ٣٧٧ .

العباسيون (آل العباس) : ٢٣١ ، ٣٥٠ .

عَبْدَة الأنداد والأوثان : ٨ .

عبد القيس (قبيلة) : ٧٥ .

العجم (الأعاجم) : ٣٥١ ، ٣٩٤ ، ٤٧٨ ، ٥٤٥ ،

٥٥٨ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٧٠١ .

العرب : ٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ،

٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٣ ، ٥٤٤ ، ٥٥٨ ، ٦١٠ ،

٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٢ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٢٠ ،

٧٤٩ .

الْعَرَقَاء : ١٦٧ ، ١٧٠ .

العلماء (حَمَلَة العلم) : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٠٩ ،

١١٧ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ٢٠٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،

٢٣٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،

٢٨٧ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٤٣٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦١ ،

٥١٤ ، ٥٤٨ ، ٥٧٤ ، ٦٠٣ ، ٦٤٨ ، ٧٢١ .

علماء المسلمين : ٥٥٠ ، ٦٦٣ .

العمال (القائمون على الجباهات ، والأمراء) : ١٦ ، ٣٢٧ ،

٥٠٦ ، ٥٣٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٠ ،

٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ .

خلفاء بني العباس : ٥٣٠ .

الخلفاء الراشدون : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٧٢٦ .

الخوارج (وانظر الأزارقة) : ٧١٣ .

(ذ)

ذُعاة العرب (الستة) : ٢٨١ .

الدهريون (أهل الدهر) : ٤٥١ ، ٦٠٩ .

(ر)

الرامة : ٦٩١ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٨ .

الروم : ٩ ، ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٦٦٦ ،

٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٧ ، ٦٩٢ ، ٦٩٤ ،

٦٩٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠٢ .

(ز)

الزُّرَّاع (أو المزارعون أو الفلاحون) : ٤٥ ، ٤٩٦ ،

٤٩٧ ، ٤٩٨ .

الزُّهَّاد = أهل الزهد (وانظر الصوفية) : ٨٧ ،

٣٦٠ ، ٥١٤ .

(س)

سنة بيوت الأصنام : ٨ .

سلاطين الأندلس = ملوك الأندلس .

سلاطين المغرب = ملوك المغرب .

السُّنْد (أمة السند) : ٩ ، ٧٢٠ .

السند هند : ٩ .

(ش)

الشاميون = أهل الشام .

الشُّرَط : ١٩٥ ، ٧١٧ .

الشمراء : ٦٦٣ .

الشيوخ : ١٩٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ .

شيوخ الأندلس : ٤٩٨ .

٥٨١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٥ ، ٥٦١ ، ٥٥٠ ، ٥٤٨

٦٦٤ ، ٦٦٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٢ ، ٦٣٦ ، ٦١٧

٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩١

٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩

٧٠٢ .

المشركون : ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٦٨٧ ، ٧٠٢ .

المكاشون : ٦٠٢ .

الملوك (أو السلاطين) : ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ،

١٦٠ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ،

٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ،

٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ،

٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ،

٥١٣ ، ٥٩٨ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧٣٧ ، ٧٦٧ ،

٧٨٥ .

ملوك الإسلام : ٥٠١ .

ملوك الأندلس (سلاطين الأندلس) : ١٠١ ، ٥٠٢ .

ملوك بني إسرائيل : ٤٦ .

ملوك بني أمية : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٦٨٠ ، ٧٣٧ .

ملوك بني حمدان : ٦٥١ .

ملوك جنتي : ٢٤٣ .

ملوك الحيرة (آل عرق) : ٣٥ ، ٦٠ .

ملوك خراسان : ٣٩ ، ٤٠ .

ملوك الروم (بنو الأصغر) : ٣٥ ، ٢٨٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ .

٥٠٠ .

ملوك الصين : ٩ ، ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

ملوك الطوائف : ٩ ، ٢٢١ ، ٣٥٤ ، ٥٠٠ .

ملوك الحزم (وانظر ملوك الفرس) : ١٦ ، ٢٢٠ ،

٣٢٢ ، ٧٢٠ .

ملوك الفرس (ملوك فارس) : ٢٢٧ ، ٣٣٧ ،

٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٥٦٠ ، ٧٢٨ .

ملوك المغرب : ٨٤ ، ١٩٥ .

ملوك الهند : ٢٢٣ ، ٥٠٠ .

المهاجرون : ٥٠٤ ، ٥٣١ ، ٥٤٠ .

(ف)

الفرس : ٩ ، ٣٥١ ، ٧٢٠ ، ٧٤٠ .

الفقهاء = الصوفية .

الفقهاء : ١٣٤ ، ٢٦٣ ، ٣٢٤ ، ٤٥٥ ، ٥١٤ ،

٥٨٩ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

قهاء الأسماء : ٥٦٢ .

قهاء البصرة : ٤١٥ .

(ق)

القرء : ١٧٠ .

قريش : ١٥٦ ، ٤٨١ ، ٥٥٢ ، ٥٨٩ ، ٦٩١ .

القضاة : ١٢ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٥٩٨ .

قوم عاد : ٩٧ .

قوم لوط (عليه السلام) : ٦٠٧ .

قوم يونس (عليه السلام) : ٦٠١ .

(ك)

كبراء فارس : ٣٣٧ ، ٣٥١ .

الكفار (عبدة الأوثان وأهل الكفر والإلحاد) :

٦٧٢ ، ٦٩١ ، ٦٩٩ ، ٧٠٢ .

الكفلاء : ٥١٤ ، ٧٦٧ .

كلب (قبيلة) : ٣٣٩ .

الكنهاء : ٦٨٤ .

كهنة فرعون : ٥٠٨ .

(م)

المثلمون (المثلمون) : ٤٩٩ .

المرازبة : ٣٢٢ ، ٧٣٥ .

المسلمون : ١١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،

٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،

٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ،

٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ،

المهندسون : ١٠٢ .

(و)

وجوه البصرة (أعيان البصرة) : ٥٥٧ .

وجوه قرطبة : ٦٥٣ .

الوزراء : ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٩٥ ،

٢٤٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٣٢٠ ، ٤١٣ ، ٥١٣ ، ٧٣٥ .

الوعاظ : ١٨٠ ، ٧٤٠ .

وفد عبد القيس : ٧٥ .

الولاة (وانظر العمال) : ١٢ ، ١٦ ، ١٥٩ ،

١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٩ ، ٣٥٨ ، ٤٩٨ ،

٥٥١ .

(ي)

اليهود : ٣٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .

(ن)

النسك : ١٥٤ ، ٥٨٤ .

النصارى (وانظر أهل الذمة) : ٣٦٨ ، ٥٤٢ ،

٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٦٧٣ .

نصارى أهل الشام : ٥٤٢ .

(هـ)

الحند (الحنود) : ٩ .

...

(٧)

مصادر ومراجع التحقيق والتعليق ،

القرآن الكريم (٥) .

أبو بكر الطرطوشي ، العالم الزاهد النائر ، للدكتور جمال الدين الشيال ، سلسلة أعلام العرب
رقم ٧٤ - القاهرة ١٩٦٨ م .

أبو جعفر المنصور ، لمبد السلام رسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .
الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، ترتيب علاء الدين الفارسي وضبط كمال الحوت ، دار الكتب
العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الأحكام السلطانية ، للماوردي ، دار الفكر - القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة .
أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، تحقيق محمد فتحى أبو بكر ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ،
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور ، دار الشعب -
القاهرة ، ١٩٧٠ م .

إشارة التحين في تراجم النحاة واللغويين ، لمبد الباقي الجاني ، تحقيق د . عبد المجيد دياب ، مركز
الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

إعجام الأعلام ، لمحمود مصطفى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ، تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب المصري - اللبناني ،
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م .
أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، للدكتور جمال الشيال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥ م .

أعلام النساء ، لممر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب - القاهرة ١٣٨٩ هـ -
١٩٦٩ م .

(٥) يقتضى الترتيب الأبجدي وضع كتاب الله تعالى في حرف القاف ، وقد قدمناه هنا احتراماً وتقديراً .

- أفلاطون ، للدكتور أحمد قزاد الأهواني ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .
- الإكمال ، لابن ماكولا ، دائرة المعارف العثمانية - الهند ١٩٦٢ م .
- أمالى السيد المرتضى ، ضبط وتعليق السيد محمد بنر الحلبي ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٢ م .
- الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- إيران والعراق في العصر السلجوقي ، للدكتور عبد النعيم حسنين ، دار الكتاب المصرى - اللباني - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- البداية والنهاية ، لابن كثير ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- بغية المعصم في تاريخ رجال الأندلس ، للضبي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصرى - اللباني القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل - بيروت .
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، لابن حمزة الحسيني ، المكتبة العلمية - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- تاج العروس ، للزبيدي ، المطبعة الخيرية بالجمالية - مصر ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى ، للدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربى ، العصر العباسى الأول ، للدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامى ، للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأمر الحاكم ، للدكتور أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
- تاريخ الدولة الفاطمية ، للدكتور حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٨١ م .
- تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩ م .

تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، للدكتور جمال الشئال ، دار المعارف - القاهرة

١٩٦٧ م .

تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٦٨ م .

الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذرى ، بتعليق مصطفى عمارة ، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٧ هـ

١٩٨٧ م .

تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

تفسير القرآن الكريم ، لمحمد حمزة وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

تفسير القرطبي ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ، دار الشعب - القاهرة .

تفثال الأمثال ، لأبى المحاسن الشيبى ، تحقيق الدكتور أسعد ذبيان ، دار المسيرة - بيروت ١٤٠٢ هـ

١٩٨٢ م .

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف -

القاهرة ١٩٨٥ م .

الملاحظ ، حياته وآثاره ، للدكتور طه الحاجرى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

جامع كرامات الأولياء ، ليوسف النبهانى ، تحقيق إبراهيم عطوة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي

- القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ .

المجلدول فى إعراب القرآن ، تصنيف محمود صافى ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

جدوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، لأبى عبد الله الحميدى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار

الكتاب المصرى - اللبناني - القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

جهرة أنساب العرب ، لابن حزم الأندلسى ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة

١٩٨٢ م .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبى نعيم الأصفهاني ، دار الفكر - بيروت .

حياة الصحابة ، لمحمد بن يوسف الكاندهلوى ، المكتبة الإسلامية بالأزهر - القاهرة .

حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، مصطفى البابى الحلبي - القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

خزانة الأدب ، للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ م .

دائرة المعارف الإسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، ترجمة الشتناوى وآخرين - دار الشعب - القاهرة .

دائرة معارف القرن العشرين ، لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة - بيروت ١٩٧١ م .

دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، للدكتور محمود قاسم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٢ م .
درة الفواص فى أوهام الخواص ، للحريزى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥ م .

الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة ، لحمزة الأصهبانى ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

ديوان الأمير أبى العباس عبد الله بن المعز ، تحقيق الدكتور محمد بدیع شريف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

ديوان أبى الطاحية ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

ديوان أبى نواس ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ديوان الإمام على ، تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجى ، دار ابن زيدون - بيروت .

ديوان الإمام على ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم - بيروت .

ديوان الإمام على ، ضبط وشرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت .

ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٤ م .

ديوان بشار بن بُرد ، شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر - تونس ١٩٧٦ م .

ديوان بشار بن بُرد ، تحقيق وتعليق محمد الطاهر ومحمد رفعت فتح الله ومحمد شوق أمين ، لجنة

التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

ديوان أبى تمام ، بشرح الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٦ م .

ديوان قديم بن المعز ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .

ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .

ديوان حسان بن ثابت ، بشرح محمد العنانى ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٣١ هـ .

ديوان الخواارج ، جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- ديوان فريد بن الصنّة ، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- ديوان الشريف الرضى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت .
- ديوانا عروة بن الورد والسّمّوأل ، دار صادر - بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر - بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ديوان كعب بن زهير ، تحقيق وشرح على فاعور ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٥ م .
- رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعرى ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٢ م .
- الزهد ، لأحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- سنن أبي داود ، لأبي داود السجستاني ، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية - بيروت .
- سنن الدارمي ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، دار إحياء السنّة النبوية - القاهرة .
- سنن النسائي ، بشرح جلال الدين السيوطي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- صور أعلام النبلاء ، للذهبي ، تحقيق مجموعة من العلماء ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- سيرة النبي - ﷺ ، لابن إسحاق ، وتهذيب ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة صبيح - القاهرة ١٩٧١ م .
- شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبل ، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح ديوان أبي الطيّب المتصفي ، لأبي العلاء المعرى ، المعروف « بمعجز أحمد » تحقيق الدكتور عبد المجيد دهاب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، لإيليا الحواي ، دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٣ م .
- شرح ديوان المتصفي ، لعبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر الأنباري ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، لأبي أحمد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي - القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .
شعراء النصرانية في الجاهلية (*) ، للأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٨٢ م .
الصبح المنبئ عن حيشة المتنبئ ، للشيخ يوسف البديهي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

الصباح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الشعب - القاهرة .
صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي ، دار الكتاب العربي - بيروت .
صحيح مسلم ، بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
الصلة ، لابن بشكوال ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

صور من حياة الرسول ، أمين دويدار ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الأولياء ، لابن الملتن ، تحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨ م .
طبقات الشافعية ، لابن هداية الله الحسيني ، وبذيله «طبقات الفقهاء» للشرازي ، دار القلم بيروت .

طبقات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمى ، بتحقيق نور الدين شريعة ، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
الطبقات الكبرى ، للشعراني ، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(*) ليس كل ما ورد بهذا الكتاب من الشعراء يدينون بالنصرانية .

طبقات المفسرين ، لشمس الدين الداودي ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠ هـ - ١٩٨٣ م .

طبقات النحويين واللغويين ، للزيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤ م .

العبر في خبر مَنْ غير ، للذهبي ، بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

علل الحديث ، للإمام أبي محمد عبد الرحمن الرازي ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

الملل المتنامية في الأحاديث الواهية ، لابن الجوزي ، ضبط الشيخ خليل الميس ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

عمرو بن العاص ، لعباس محمود العقاد ، دار الهلال - القاهرة .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣ م .

عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

غزوات الرسول وسراياه ، لابن سعد ، بتقديم أحمد عيد الغفور عطار ، دار بيروت - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

الفاروق عمر ، للدكتور محمد حسين هيكل ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .

فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، بتحقيق عبد العزيز بن باز وآخرين ، دار المعرفة - بيروت .

فقه اللغة وصر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

فوات الوفيات ، لمحمد بن شاکر الکتبی ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ١٩٧٣ م .

الفصل في ألوان المجموع ، عباس أبو السعود ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ م .

القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، لمحمد رمزي ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٤ م .

قاموس الفارسية ، للدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، دار المأمون - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
قصص الأنبياء ، لابن كثير ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

قصص الأنبياء ، لعبد الوهاب النجار ، دار الرائد العربى - بيروت .
قصص الأنبياء ، بإشراف محمد أحمد برانق ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ م .
قصة قرطبة ، لأبى عبد الله الخشنى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى - القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

القطامى - حياته وشعره ، للدكتور زكى عابدين غريب ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٦ م .
الكامل فى التاريخ ، لابن الأثير ، بتعليق ومراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

كتاب الأمالى ، لأبى على القالى ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربى ، دار الجليل - بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

كتاب التاريخ الكبير ، للبخارى ، دار الكتب العلمية - بيروت .
كتاب الصريقات ، للجرجانى ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

كتاب الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم الرازى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدآباد - الهند ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

كتاب الحراج ، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٧ هـ .
كتاب دول الإسلام ، للدخيبى ، تحقيق فهم شلتوت وعبد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٤ م .

كتاب السبعة فى القراءات ، لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوق ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ م .

كتاب السنن الكبرى ، للبيهقى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدآباد - الهند ١٣٤٤ هـ .
كتاب الضعفاء الصغير ، للبخارى ، تحقيق بوران الضناوى ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب الضعفاء الكبير ، للعقلى ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كتاب طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق موسسته ديفلد - فلزر ، دار مكتبة الحياة - بيروت .

كتاب فروح البلدان ، للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية - القاهرة ١٣١٨ هـ .

كتاب كلية ودمنة ، لابن المقفع ، بتعليق وضبط الشيخ خليل اليازجى ، المطبعة الأدبية - بيروت ١٩٠٧ م .

كتاب المُحَبَّر ، لابن حبيب ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .

كتاب المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، للمقريزى ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٩٨٧ م .

كتاب نسب قريش ، للمصعب الزبيرى ، نشرة بروفيسال ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ م .

كتاب الوحشيات ، لأبى تمام ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠ م .

الكشاف عن حقائق التنزيل ، للزغشرى ، دار المعرفة ، بيروت .

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة - استانبول ١٣١١ هـ .

كشف الغيوب ، للهجويزى - مترجم عن الإنجليزية - تحقيق ومراجعة الدكتور إبراهيم شتا وإسماعيل ماضى أبو العزائم ، دار التراث العربى - القاهرة ١٩٧٧ م .

لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .

لقمان الحكيم ، لعبد الله كنون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩ م .

مجالس نعلب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٠ م .

مجمع الأمثال ، للميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

مجمع الجُحُكُم والأمثال فى الشعر العربى ، لأحمد قبش ، دار الرشيد - دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى ، بتحريه الحافظين : العراقى ، وابن حجر ، المعارف - بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

المهر فى الحديث ، لأبى عبد الله الحنبلى ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن وآخرين - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

مختار الصحاح ، للرازى ، مراجعة وتحقيق لجنة من العلماء ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ م .

مروج الذهب ، للمسعودى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

المصباح المنير ، للفيومى ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ م .

- المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨١ م .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموى ، دار بيروت - بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب - القاهرة .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ترتيب وتنظيم ليف من المستشرقين ، نشر د . ونسك ، طبعة بريل - ليدن ١٩٣٦ م .
- معجم مقيدات ابن خلكان ، لعبد السلام هارون ، مكتبة الخفاجى - القاهرة ١٩٨٧ م .
- المعجم الفلسفى ، للدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- معجم قبائل العرب ، لعمر كحالة ، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ، دار إحياء التراث العربى - بيروت .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- المغرب فى حُلَى المغرب ، لابن سعيد المغربى ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ م .
- المغنى فى توجيه القراءات العشر ، للدكتور محمد سالم محسن ، دار الجبل - بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- المغنى فى ضبط أسماء الرجال ومعرفة كُنى الرواة وألقابهم وأنسابهم ، للمحدث محمد بن طاهر ابن على الهندى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، لأحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد على ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٦ م .
- مقاصد الفلاسفة ، للغزالى ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، دار المعارف - القاهرة .
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون المغربى ، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٨٢ م .
- الجلل والنخل ، للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، لابن رشد ، تحقيق الدكتور محمود قاسم ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٩ م .
- مناهج اليقين ، شرح أدب الدنيا والدين ، لأويس وفا الأرنجائى ، طبعة الآستانة - ١٣٢٨ هـ .
- منهج عمر فى التشريع ، للدكتور محمد بلتاجى ، دار الفكر العربى - القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

موارد الظمآن إلى زوائد ابن جبان ، للهيثي ، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية - بيروت .

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري ، للآمدى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف - القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

الموسوعة الفلسفية المختصرة ، بإشراف الدكتور زكي نجيب محمود ، دار القلم - بيروت .
ميزان الاعتدال ، للذهبي ، تحقيق علي الجاوي ، دار المعرفة - بيروت .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري بردى ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

نصيحة الملوك ، للماوردي ، تحقيق محمد جاسم الحريشي ، دار الحرية ، والشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٦ م .

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري اللبناني - القاهرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

نهج البلاغة ، بشرح الشيخ محمد عبده ، دار البلاغة - بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
نهج البلاغة ، ضبط وتحقيق الدكتور صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٣ م .
الورقة ، لابن الجراح ، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد ، دار المعارف - القاهرة .

والموعود الله ، لخالد محمد خالد ، دار ثابت - القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت .
يتممة الدهر ، للثعالبي ، المطبعة الحنفية - دمشق .

(٨)

« فهرس المحتويات »

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم بقلم الدكتور شوقي ضيف
١١	مقدمة الخفقي
١١	تنويه
١٢	مؤلف الكتاب : نسبه ونشأته
١٤	رحيله لطلب العلم وأساتذته
١٤	الطرطوشي في مكة
١٥	الطرطوشي في بغداد
١٦	اتجاه الطرطوشي إلى التصوف
١٧	الطرطوشي في البصرة
١٨	الطرطوشي في الشام
٢٠	الطرطوشي في مصر
٢١	الطرطوشي في الإسكندرية
٢٣	موعظة الطرطوشي للملك الأفضل
٢٤	الطرطوشي وابن حديد
٢٥	الأفضل ، يحدد إقامة الطرطوشي
٢٦	الطرطوشي والمأمون البطائحي
٢٨	تلاميذ الطرطوشي
٢٨	سند بن عنان

الموضوع

الصفحة

٢٩	أبو الطاهر بن عوف
٢٩	أبو بكر بن العربي
٣٠	المهدى بن تومرت
٣١	مؤلفات أبي بكر الطرطوشي
٣١	مختصر تفسير الثعالبي
٣٢	الكتاب الكبير في مسائل الخلاف
٣٢	شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني
٣٢	كتاب الأسرار
٣٢	كتاب يعارض به كتاب الإحياء
٣٣	رسالة في تحريم جبن الروم
٣٤	الحوادث والبدع
٣٤	كتاب الفتن
٣٤	كتاب بر الوالدين
٣٤	رسالة في تحريم الغناء واللهو على الصوفية
٣٤	كتاب تحريم الاستمناء
٣٤	كتاب نزهة الإخوان المتحايين في الله
٣٤	رسالة العدة عند الكرب والشدة
٣٤	حاشية على إثبات الواجب
٣٤	كتاب الدعاء
٣٤	كتاب النهاية في فروع المالكية
٣٥	كتاب نفائس الفنون
٣٥	اختصار كتاب « أخلاق رسول الله ﷺ »
٣٥	جزء فيه منتخب من عيون خصائص العباد

٣٥ ثلاثة أجزاء فيها الكلام في الغنى والفقر
٣٥ رسالة أنى بكر الطرطوشى إلى ابن تاشفين
٣٥ المجالس
٣٥ صراج الملوك
٣٥ الهدف من تأليفه
٣٥ الكتب المصنفة على منواله
٣٧ منهج الطرطوشى في تأليف الكتاب
٣٨ مخطوطات الكتاب وطبعاته
٣٩ وصف نُسخَتَي التحقيق
٣٩ وصف نسخة المطبعة الخيرية
٤١ وصف مخطوطة الكتاب
٤٣ منهج التحقيق
٣ مقدمة المؤلف
١٧ الباب الأول : في مواعظ الملوك
١١٧ الباب الثانى : في مقامات العلماء والصالحين عند الأمراء والسلاطين
١٥٩ الباب الثالث : فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الفرر والخطر .
١٧٨ الباب الرابع : في بيان معرفة مُلك سليمان بن داود ، عليهما السلام ، ووجه طلبه المُلك وسؤاله أن لا يُؤْتى لأحد من بعده
١٨٢ الباب الخامس : في فضل الولاة والقضاة إذا عدلوا
١٩٣ الباب السادس : في أن السلطان مع رعيته مقبون غير غابن ، وخاسر غير رابع
١٩٨ الباب السابع : في بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض
٢٠٢ الباب الثامن : في منافع السلطان ومضارّه

٢٠٥	الباب التاسع : فى بيان منزلة السلطان من الرعية
	الباب العاشر : فى بيان معرفة خصال وَرَدَ الشرع بها ، فيها نظام المُلْك
٢٠٨	والدول
	الباب الحادى عشر : فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ،
٢١٣	ولا ثبات له دونها
	الباب الثانى عشر : فى التتبع على الخصال التى زعم الملوك أنها أزالَت
٢٢٥	دولتهم وهدمت سلطانهم
	الباب الثالث عشر : فى الصفات الذاتية التى زعم الحكماء أنها لاتدوم
٢٣٢	معها مملكة
٢٣٩	الباب الرابع عشر : فى الخصال المحمودة فى السلطان
٢٤٣	الباب الخامس عشر : فيما يَحْزُ به السلطان
٢٤٦	الباب السادس عشر : فى ملاك أمور السلطان
٢٤٩	الباب السابع عشر : فى خير السلطان وشر السلطان
٢٥٢	الباب الثامن عشر : فى منزلة السلطان من القرآن
٢٥٤	الباب التاسع عشر : فى خصال جامعة لأمر السلطان
٢٦٠	الباب الموفى عشرين : فى الخصال التى هى أركان السلطان
٢٦٢	الباب الحادى والعشرون : فى بيان حاجة السلطان إلى العلم
٢٦٩	الباب الثانى والعشرون : فى وصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب
٢٧٢	الباب الثالث والعشرون : فى العقل والدهاء والمكر
٢٨٧	الباب الرابع والعشرون : فى الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم
٢٩٦	الباب الخامس والعشرون : فى المجلساء وآدابهم
	الباب السادس والعشرون : فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال
٣٠٥	السلطان

٣١٩١	الباب السابع والعشرون : فى المشاورة والنصيحة
٣٣٢	الباب الثامن والعشرون : فى الحِلم
٣٥٣	الباب التاسع والعشرون : فيما يَسْكُن به الغضب
٣٥٨	الباب الثلاثون : فى الجود والسخاء
٣٨٦	الباب الحادى والثلاثون : فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما
٣٩٠	الباب الثانى والثلاثون : فى الصبر
٤١٣	الباب الثالث والثلاثون : فى كتمان السر
	الباب الرابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى هى رهن بسائر الخصال ، وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذى الجلال - وهى الشكر
٤٢٣	الباب الخامس والثلاثون : فى بيان السيرة التى يصلح عليها الأمير والمأمور ، ويستريح إليها الرئيس والمرعوس ، مستخرجة من القرآن العظيم ..
٤٤٣	الباب السادس والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها غاية كمال السلطان ، وشفاء الصدور ، وراحة القلوب ، وطيبة النفوس
٤٥٠	الباب السابع والثلاثون : فى بيان الخصلة التى فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ، ومقفل السلاطين عند اضطراب الأمور وتغير الوجوه والأحوال
٤٥٤	الباب الثامن والثلاثون : فى بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان
٤٥٨	الباب التاسع والثلاثون : فى مثل السلطان العادل والجائر
٤٦٠	الباب العاشر والأربعون : فيما يجب على الرعية إذا جاز السلطان
٤٦٢	الباب الحادى والأربعون : فى : كما تكونون يؤلى عليكم
٤٦٧	الباب الثانى والأربعون : فى بيان الخصلة التى تصلح بها الرعية
٤٧٠	الباب الثالث والأربعون : فيما يملك السلطان من الرعية
٤٧٧	الباب الرابع والأربعون : فى التحذير من صحبة السلطان
٤٨٠	الباب الخامس والأربعون : فى صحبة السلطان
٤٨٥	الباب الحادى والأربعون : فى صحبة السلطان

٤٩٢ الباب السادس والأربعون : في سيرة السلطان مع الجند
٤٩٥ الباب السابع والأربعون : في سيرة السلطان في استجباء الخراج
٥٠٠ الباب الثامن والأربعون : في سيرة السلطان في بيت المال
 الباب التاسع والأربعون : في سيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال ،
٥٢٠ وسيرة العمال
 الباب الموفى خمسين : في سيرة السلطان في تدوين الدواوين ، وفرض
٥٣٣ الأرزاق ، وسيرة العمال
٥٤٢ الباب الحادى والخمسون : في أحكام أهل الذمة
٥٥١ الباب الثانى والخمسون : في بيان الصفات المعتبرة في الولاة
 الباب الثالث والخمسون : في بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على
٥٦٠ العمال
٥٦٩ الباب الرابع والخمسون : في هدايا العمال والرشا على الشفاعات
٥٧٣ الباب الخامس والخمسون : في معرفة حُسْن الخُلُق
٥٩١ الباب السادس والخمسون : في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته
 الباب السابع والخمسون : في تحريم السعاية والتميمة وقبحهما ، وما يؤول
٦٠٩ إليه أمرُهما من الأفعال الرديئة والعواقب الذميمة
٦٢٢ الباب الثامن والخمسون : في القصاص وحكمته
٦٣٣ الباب التاسع والخمسون : في الفرج بعد الشدة
 الباب الستون : في بيان الخصلة التى هى أُم الخصال وينبوع الفضائل ،
	وَمَنْ قدَّما لم تكمل فيه خصلة - وهى الشجاعة ، ويُعبَّر عنها بالصبر ،
٦٦٧ ويُعبَّر عنها بقوة النفس
٦٧٧ الباب الحادى والستون : في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها ...
٧٠٦ الباب الثانى والستون : في القضاء والقدر والتوكل والطلب

٧٢٠ (وهو يشتمل على خمسة فصول)	الباب الثالث والستون : وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم
٧٥٧	الباب الرابع والستون : مشتمل على حكم منثورة
٧٨٩	فهارس الكتاب
٧٩١	١ - فهرس الآيات القرآنية
٨٠٦	- فهرس الأحاديث النبوية
٨١٦	فهرس القوافي
٨٢٧	فهرس الأعلام
٨٤٤	فهرس الأماكن والبلاد والبقاع
٨٤٨	فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف
٨٥٣	مصادر ومراجع التحقيق والتعليق
٨٦٤	فهرس المحتويات

* * *

تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه ، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً .

* * *